

شرح صحيح البخاري

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

طبعة مشكولة محققة مخرجة الأحاديث، مفهرسة الأطراف والفوائد، ذات حواشٍ علمية نفيسة

تخريجات
العلامة الألباني

تعليقات
العلامة ابن باز

قسم التحقيق والبحث العلمي
بالمكتبة الإسلامية

الجزء العاشر

النبلاء للكتاب
مراكش - المغرب

المكتبة الإسلامية
للنشر والتوزيع - القاهرة

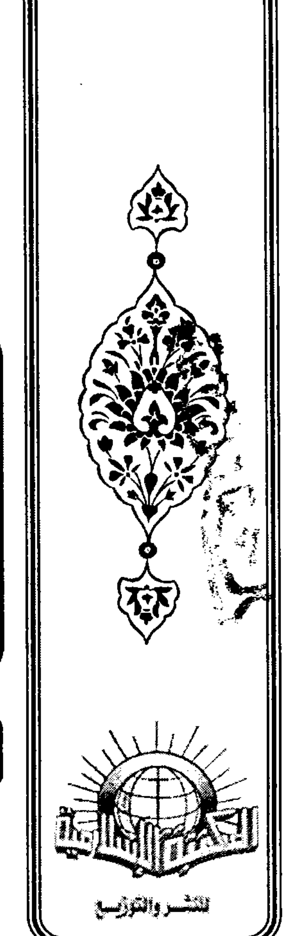
I.S.B.N.
978-977-6241-49-7

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن
المغيرة، ٨١٠-٨٧٠
شرح صحيح البخاري
الشارح/ محمد بن صالح العثيمين
ط١ - القاهرة
المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع ٢٠٠٨
٦٥٦ص ١٧×٢٤سم
تدمك: ٩٧٨٩٧٧٦٢٤١٤٩٧

الطبعة: الأولى

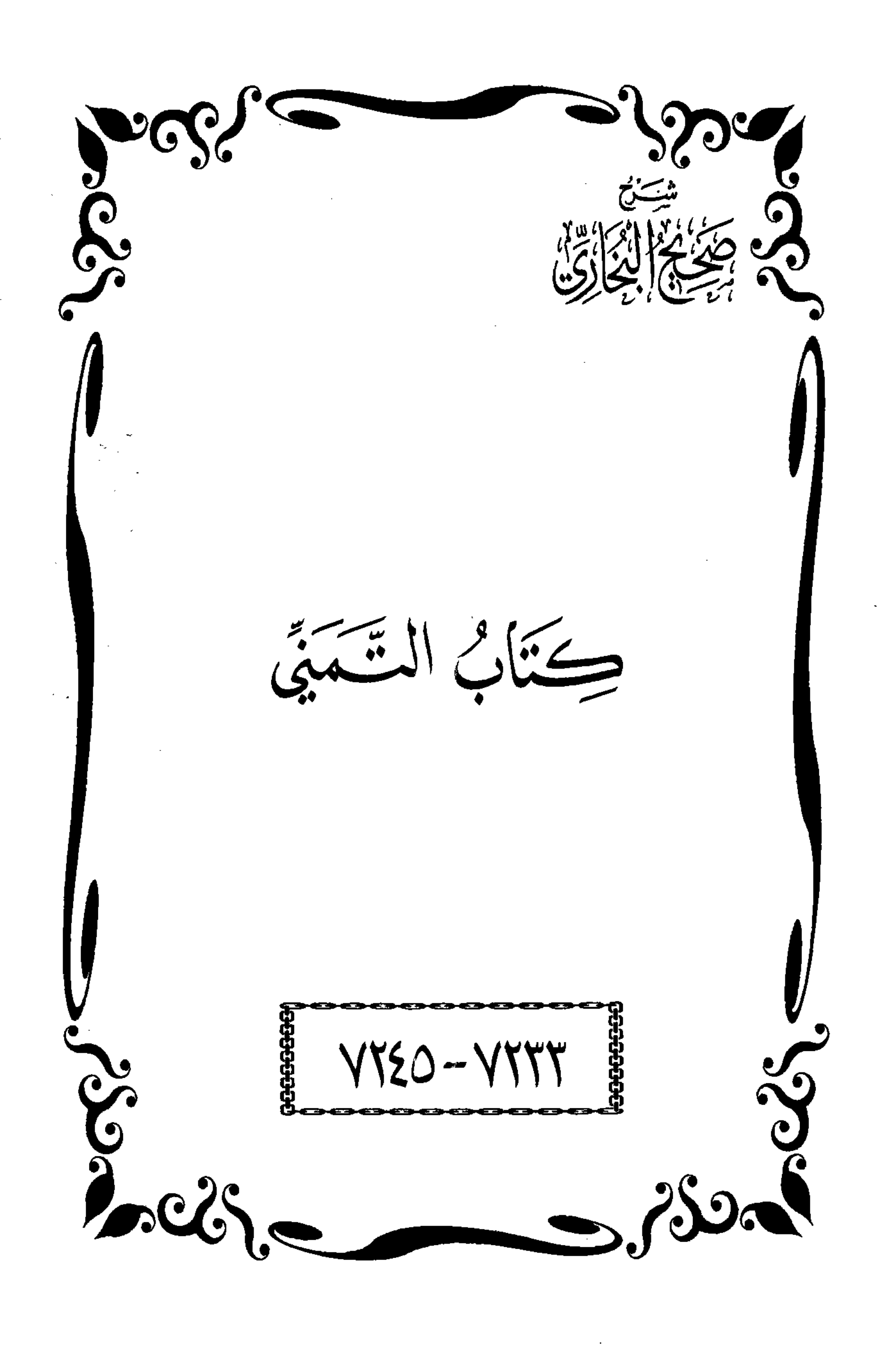
رقم الإيداع: ٢٠٠٨/٢١٥٧

التاريخ: ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م



الإدارة والفرع الرئيسي:
٢٣ش صعب صالح - عين شمس الشرقية - القاهرة- جمهورية مصر العربية
ت وفاكس: ٢٤٩٩١٢٥٤/ ٢٤٩٠٠٦٠٦/ ٢٤٩٠٠٨٠٨
فرع الأزهر: ١٢ ش البيطار خلف جامع الأزهر - ورب الأتراك. ت: ٢٥١٠٨٠٠٤

E-mail: islamya2005@hotmail.com



كتاب التمني

٧٢٣٣ - ٧٢٤٥



ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦ - باب مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّمَنِّي ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ [النساء: ٣٢].

٧٢٣٣ - حَدَّثَنَا الحَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ، حَدَّثَنَا أَبُو الأَحْوَصِ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه: لَوْلَا أَنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَمَنَّوُا الْمَوْتَ» لَتَمَنَّيْتُ[1].

٧٢٣٤ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، حَدَّثَنَا عَبْدَةُ، عَنِ ابْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسٍ، قَالَ: أَتَيْنَا خَبَّابَ بْنَ الأَرَتِّ نَعُودُهُ وَقَدِ اكْتَوَى سَبْعًا فَقَالَ: لَوْلَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَانَا أَنْ نَدْعُوَ بِالْمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِهِ[2].

٧٢٣٥ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ - اسْمُهُ سَعْدُ بْنُ عُبَيْدٍ، مَوْلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَزْهَرَ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ»[3].

۞ قولُه: بابُ ما يُكرَهُ مِن التمنِّي. أن من التمنِّي ما يُكرَهُ، وذكَر الآيةَ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾؛ يَعْنِي: لا تتمنَّوا أن يَكُونَ لكم. وقال سبحانه: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾. فتمَنِّي ما أنعمَ اللهُ به على غيرِه أن يَكُونَ له، نقولُ: لا تفعَلْ. بل اسألِ اللهَ من فضلِه، وقُل: اللهمَّ كما مَنَنْتَ على فلانٍ بكذا، فامْنُنْ عليَّ بمثلِه.

أما أن تتمَنَّوا ما فضَّل اللهُ به بعضَكم على بعضٍ حتى يُحْرَمَ منه ويَبْقَى لكم، فهذا مما نَهَى اللهُ عنه.

۞ وأما قولُه: لولا أني سمِعت رسولَ الله ﷺ يقُولُ: «لا تمنَّوا الموتَ» لتمنيتُ يقُولُه أنسٌ رضي الله عنه هذا لما رأى من الفتنِ؛ لأنه أدرَك فتنًا وقَعت بينَ الصحابةِ رضي الله عنهم، فكان يَوَدُّ أن يَتمَنَّى الموتَ لولا النهيُ.

وفي هذا: دليلٌ على حرصِ الصحابةِ رضي الله عنهم على موافقةِ النبيِّ ﷺ، وطاعتِه.

وكذلك الحديثُ الذي بعده، فخبابُ بنُ الأرتِّ قال: لولا أن رسولَ الله ﷺ نهانا أن نَدْعُوَ بالموتِ لدعوتُ به.

وفي الحديثِ الثالثِ: بيانُ الحكمَةِ من النهيِ عن تمنِّي الموتِ؛ وذلك لأنه قد يَكُونُ محسنًا فَيزْدَادُ ببقائِه في الدنيا، وقد يَكُونُ مسيئًا فيَسْتَعْتِبُ، ويَسْتَغْفِرُ، ويَتُوبُ إلى اللهِ عز وجل، فلا يَنْبَغِي للإنسانِ أن يَتمَنَّى الموتَ، وما من ميتٍ يَمُوتَ إلا ندم، فإن كان محسنًا ندم على ألا يَكُونَ يَزْدَادَ

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠٦٤) (٢٦٨٠) (١١).

(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٠٦٤) (٢٦٨١) (١٢).

(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٠٦٥) (٢٦٨٢) (١٣) بغير هذا اللفظ.

وإن كان مسيئًا ندم ألا يكُونَ اسْتَعْتَبَ.

فإن قال قائلٌ: ما تَقُولُونَ في قولِ مريمَ -عليها السلام-: ﴿يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ [مريم:٢٣].

الجوابُ: عن هذا أن نَقُولَ: إنها إنما أرادتِ التمنِّي بأنها ماتت قبلَ هذه الفتنةِ؛ يعني: ماتت ولم تُفْتَنْ ولم تتَمَنَّ تعجلَ الموتِ، فكأنَّها تَقُولُ: ليتني متُّ قبلَ أن يُصِيبَني ما أصابني. وليست تَقُولُ: «ليتني مت قبل هذا» فتكونُ قد تمنَّت الموتَ، ففرقٌ بين أن يَتَمَنَّى الإنسانُ الموتَ قبلَ أن يُصَابَ بالفتنةِ، وبينَ أن يَتَمَنَّى تعجلَ الموتِ، فالأخيرُ هو المنهيُ عنه؛ ولهذا جاء في الحديثِ: **«إن أردت بعبادك فتنةً فاقبِضْني إليك غيرَ مفتونٍ»**(١).

ومثلُ هذا قولُ يوسُفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ [يوسف:١٠١]. ليس هذا دعاءً بالموتِ، ولكنه دعاءٌ بالموتِ على هذا الوصفِ وهو الإسلامُ، ويُشْبِهُهُ ما في دعاء الجنازة: **«ومَن توفَّيته منا فتوفَّه على الإيمانِ»**(٢).

فإذا قال قائلٌ: أليس رسولُ الله ﷺ قد كرِه الاكتواءَ، فكيف اكْتَوى خبابٌ رضي الله عنه سبعَ مراتٍ؟

الجوابُ: أن الاكتواءَ الذي في الحديثِ أن يَطْلُبَ الإنسانُ من يَكْوِيه، وفعلُ خبابِ بنِ الأرتِّ ليس فيه تعينُ أن يَكُونَ طلَبَ أن يَكْتَوِيَ فمن الممكن أنه لما جاءه من يَكْوِيه وافَق وأجاز، كالقراءةِ أيضًا، فالذين يَسْتَرقُونَ، والذين يُقرأُ عليهم بدون استرقاء، الثاني منهم لا يَمْتَنِعُ أن يَكُونَ من السبعين ألفًا.

والجواب على فعل خباب رضي الله عنه أنه جاءه من يرقيه فوافق أو أنَّ الحديث لم يبلغه.

ثم إن هناك مسألةً؛ وهي أنه ليست هذه الصفاتُ الأربعُ إذا فاتتِ الإنسانَ فاته أن يَدْخُلَ الجنةَ بلا حسابٍ، فقد يَكُونُ هناك صفاتٌ أخرى تُوجِبُ أن يَدْخُلَ الجنةَ بغيرِ حسابٍ، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر:١٠]. يُحتَمَلُ بغيرِ حسابٍ على الأجرِ بل يُعْطَونَ أجرًا كثيرًا بلا عددٍ.

أمَّا سببُ الأرقِ الذي كان عند الرسولِ ﷺ فلا شكَّ أن سببَه الخوفُ؛ ولذلك تمنَّى أن يُهَيِّئَ اللهُ له رجلًا صالحًا.

*****

(١) رواه الترمذي (٣٢٣٣)، (٣٢٣٥)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ٦٦) (١٦٦٢١)، ومالك في «الموطأ» (١/ ٢١٨) (٥٠٨)، وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على سنن الترمذي.

(٢) رواه أبو داود (٣٢٠١)، والترمذي (١٠٤٤)، وابن ماجه (١٤٩٨)، وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧- باب قَوْلِ الرَّجُلِ: لَوْلاَ اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا.

٧٢٣٦ - حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ شُعْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْقُلُ مَعَنَا التُّرَابَ يَوْمَ الأَحْزَابِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ وَارَى التُّرَابُ بَيَاضَ بَطْنِهِ، يَقُولُ: «لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا، فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا إِنَّ الأُلَى -وَرُبَّمَا قَالَ الْمَلاَ- قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا أَبَيْنَا» يَرْفَعُ بِهَا صَوْتَهُ[1].

❁ الشاهدُ قولُه: «لولا الله ما اهتدينا». وهذا مثالٌ. وإلَّا فيَصِحُّ أن تَقُولَ: لولا اللهُ ما اهتدينا، ولولا اللهُ لم يَنْزِلِ المطرُ، ولولا اللهُ لم يَحْصُلْ لنا هذا الربحُ، ولولا اللهُ لم نُرْزَقْ بولدٍ، وهكذا.

ولكن إضافةَ الشيءِ إلى غيرِ اللهِ بـ «لولا». هل هو جائز أو لا؟

نقُولُ هذا له أحوالٌ:

الحالُ الأولى: أن يَنْسِبَه إلى مَن ليس سببًا له فهذا شركٌ إما أصغرُ، وإما أكبرُ، فإذا نسبَه إلى ميتٍ في قبره وقال: لولا فلانٌ لم يَحْصُلْ كذا وكذا. أو لولا فلانٌ لحصَل كذا وكذا. فهذا شركٌ أكبرُ؛ لأنه اعتقَدَ أن للأمواتِ تأثيرًا في الحوادثِ، وهذا شركٌ.

والحالُ الثانيةُ: أنه قد يَكُونُ أصغرَ كما لو نسبَه إلى غيرِ سببٍ شرعيٍّ، لكنه لا يَصِلُ إلى حدِّ الأكبرِ، مثلَ قولِ القائلِ: لولا البطُّ لأتى اللصوصُ. فهذا شركٌ أصغرُ ولا يُخرِجُ عنِ الملةِ.

والحالُ الثالثةُ: أن يُضِيفَه إلى السببِ المعلومِ شرعًا أو حسًّا وحدَه، فهذا لا بأسَ به ولا حرَجَ فيه، مثلَ أن تَقُولَ: لولا شربي الماءَ لعطِشت، أو لولا أكلُ السَّحورِ لجُعْت، فهذا لا بأسَ به ولا حرجَ.

ولكن يُشْتَرَطُ في هذا أن تُضِيفَه إليه إضافة السبب إلى المسبَّبِ، لا إضافةَ المُحدِثِ إلى الحادثِ، ومِن ذلك قولُ النبيِّ ﷺ في عمِّه أبي طالبٍ لما ذكَره أنه في ضَحْضَاحٍ من نارٍ وعليه نعلانِ يَغْلِي منهما دماغُه.

قال: «ولولا أنا لكان في الدركِ الأسفلِ من النارِ»[2].

❁❁❁

---

(١) رواه مسلم (٣/ ١٤٣٠) (١٨٠٣) (١٢٥).

(٢) رواه البخاري (٦٢٠٨)، ومسلم (١/ ١٩٤) (٢٠٩) (٣٥٧).



وابنُ القيِّمِ في ميميَّتِه الشهيرةِ يَقُولُ في الصحابةِ:

وَلَـوْلاهُمُ مـا كـان في الأرضِ مُـسْلِمُ

وَلَوْلَاهُمُ كادت تَمِيدُ بِأَهْلِهَا

وَلَكِـنْ رَوَاسِـيَها وَأَوْتَادُهَـا هُـمُ[1]

وعلى كلِّ حالٍ: نحن نَذْكُرُ كلامَ ابنِ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ للاعتضاضِ والاستشهادِ لا للاعتمادِ؛ لأنه غيرُ معصوم.

والحالُ الرابعةُ: أن يَقُولَ: «ويُضِيفُه إلى السببِ المعلومِ شرعًا أو حسًّا مع اللهِ مقرونًا بالواوِ، فهذا شركٌ، قد يَكُونُ أكبرَ، وقد يَكُونُ أصغرَ مثلَ: لولا اللهُ وزيدٌ لغرقتُ.

يَقُولُه في زيدٍ الذي أَنْقَذَه من الغرقِ، فإن هذا شركٌ إما أصغرُ وإما أكبرُ، فإن كان هذا القرنُ مجردَ قرنٍ لفظيٍّ فهو شركٌ أصغرُ، وإن كان هذا القرنُ يَعْتَقِدُ أن هذا المنقذَ مساوٍ للهِ تعالى في إنقاذِه، أو أعظمُ من اللهِ فهذا شركٌ أكبرُ.

الحالُ الخامسةُ: أن يَقْرِنَ ذلك مع اللهِ بما يَدُلُّ على التعقيبِ بمهلةٍ، مثلَ: لولا اللهُ ثم فلانٌ.

فهذا جائزٌ ولا بأسَ به، بشرطِ أن يَكُونَ فلانٌ سببًا حقيقيًّا شرعيًّا أو حسيًّا فإن قرنه بحرفٍ يَقْتَضِي الترتيبَ والتعقيبَ مثلَ: لولا اللهُ ففلانٌ. فهذا محلُّ نظرٍ؛ لأنه لم يُضِفْه إلى اللهِ وغيرِه بالواوِ، ولم يُضِفْه إلى اللهِ وإلى غيرِه بـ «ثم»، فكان مترددًا بين هذا وهذا ولا شكَّ أن الأفضلَ تَجَنُّبُه، وإنما الجزمُ بأنه حرامٌ فلا نجزِمُ به.

وخيرٌ من ذلك كلِّه، أن تَقولَ: لولا أن اللهَ قيَّض لي فلانًا لغرِقت.

أو لولا أن اللهَ قَيَّض لي المعلمَ ما تعلَّمت، وما أشبه ذلك.

فَيُجْعَلُ الأصلُ هو اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وهذا خيرُ الأقسامِ.

فالأقسامُ إذن ستةٌ، هذه الخمسةُ التي ذكَرنا، والأولُ من قولِه: إذن: لولا اللهُ ما اهتدينا. فهذا هو القسمُ الأولُ هو الذي بَنَيْنَا عليه التقسيم، وهو أن يُضِيفَه إلى الله وحدَه.

****

(١) انظر: «شرح القصيدة الميمية» (ص١٩) البيتين: (٥)، (٦).

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٨- بَاب كَرَاهِيَةِ تَمَنِّي لِقَاءِ الْعَدُوِّ.

وَرَوَاهُ الْأَعْرَجُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ[(١)].

٧٢٣٧- حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنْ مُوسَى ابن عُقْبَةَ، عَنْ سَالِمٍ أَبِي النَّضْرِ -مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ، وَكَانَ كَاتِبًا لَهُ-، قَالَ: كَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللهِ ابن أَبِي أَوْفَى، فَقَرَأْتُهُ فَإِذَا فِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ»[(٢)].

هذا الحديثُ قال في آخرِه: «فإذا لَقِيتُموهم فاصْبِرُوا، فإن الجنةَ تحتَ ظلالِ السيوفِ»[(٣)].

وهكذا لا يَنْبَغِي للإنسانِ أن يَتَمَنَّى البلاءَ، فإنه إذا تمنَّى البلاءَ ربما لا يَصْبِرُ إذا نزَل به.

فقولُه: «لا تَتَمَنَّوا لقاءَ العدوِّ» ليس خاصًّا بهذه المسألةِ. بل كلُّ ما فيه بلاءٌ فاسْأَلِ اللهَ السلامةَ منه، فإذا نزَلَ فَاسْتَعِنِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عليه وَاصْبِرْ كما أمر بذلك النبيُّ ﷺ، وسواءٌ كان هذا في الأمورِ التي تأْتِي من اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، أو من البشرِ لا تتمنَّاها.

ولهذا يُذْكَرُ أن سحنونًا وهو من أصحابِ مالكٍ، قال عن نفسِه إنه صابرٌ، وذكَر أبياتًا فيها: فكما شِئتَ فامتحنِّي فابتَلِي بعسرِ البولِ، فما كان البولُ يَخْرُجُ منه بسهولةٍ، فكان يَدُورُ على الصبيانِ ويَقُولُ: ادْعُوا لعمِّكم الكذابِ[(٤)].

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

بَاب مَا يَجُوزُ مِنَ اللَّوِ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ [هود: ٨٠].

٧٢٣٨ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: ذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْمُتَلَاعِنَيْنِ؛ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ شَدَّادٍ: أَهِيَ الَّتِي قال رسول الله ﷺ: «لَوْ كُنْتُ رَاجِمًا امْرَأَةً مِنْ غَيْرِ بَيِّنَةٍ، قَالَ: لَا تِلْكَ امْرَأَةٌ أَعْلَنَتْ»[(٥)].

٧٢٣٩ - حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عن عَمْرٍو: حَدَّثَنَا عَطَاءٌ، قَالَ: أَعْتَمَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْعِشَاءِ

---

(١) علقه البخاري بصيغة الجزم كما في «الفتح» (١٣/ ٢٢٣)، وتقدم الكلام عليه في الجهاد، باب: لا تمنوا لقاء العدو (٣٠٢٦).
وانظر: «تغليق التعليق» (٥/ ٣١٤).

(٢) رواه مسلم (٣/ ١٣٦٢) (١٧٤٢) (٢٠).

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٥٦٠)، و«طبقات الصوفية» (١٦٥-١٩٩)، و«حلية الأولياء» (١٠/ ٣٠٩)، و«تاريخ بغداد» (٩/ ٢٣٤)، و«المنتظم» (٦/ ١٠٨).

(٥) رواه مسلم (٢/ ١١٣٥) (١٤٩٧) (١٣).

فَخَرَجَ عُمَرُ فَقَالَ: الصَّلَاةَ يَا رَسُولَ اللهِ رَقَدَ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ فَخَرَجَ وَرَأْسُهُ يَقْطِرُ، يَقُولُ: «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي -أَوْ عَلَى النَّاسِ-»، وَقَالَ سُفْيَانُ أَيْضًا: «عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالصَّلَاةِ هَذِهِ السَّاعَةَ»(١).

قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَخَّرَ النَّبِيُّ ﷺ هَذِهِ الصَّلَاةَ، فَجَاءَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ رَقَدَ النِّسَاءُ وَالْوِلْدَانُ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَمْسَحُ الْمَاءَ عَنْ شِقِّهِ يَقُولُ: «إِنَّهُ لَلْوَقْتُ لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي...».

وَقَالَ عَمْرٌو: حَدَّثَنَا عَطَاءٌ: لَيْسَ فِيهِ ابْنُ عَبَّاسٍ، أَمَّا عَمْرٌو فَقَالَ: رَأْسُهُ يَقْطُرُ. وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: يَمْسَحُ الْمَاءَ عَنْ شِقِّهِ، وَقَالَ عَمْرٌو: لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: إِنَّهُ لَلْوَقْتُ لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ: حَدَّثَنَا مَعْنٌ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ عَطَاءٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ(٢).

٧٢٤٠ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يقول: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ»(٣).

٧٢٤١ - حَدَّثَنَا عَيَّاشُ بْنُ الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الأَعْلَى، حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: وَاصَلَ النَّبِيُّ ﷺ آخِرَ الشَّهْرِ وَوَاصَلَ أُنَاسٌ مِنَ النَّاسِ فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «لَوْ مُدَّ بِيَ الشَّهْرُ لَوَاصَلْتُ وِصَالًا يَدَعُ الْمُتَعَمِّقُونَ تَعَمُّقَهُمْ إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ إِنِّي أَظَلُّ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ» تَابَعَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ مُغِيرَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ(٤).

٧٢٤٢ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ح، وَقَالَ اللَّيْثُ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابن خَالِدٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ: أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ أَخْبَرَهُ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الْوِصَالِ، قَالُوا: فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ! قَالَ: «أَيُّكُمْ مِثْلِي إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ» فَلَمَّا أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا؛ وَاصَلَ بِهِمْ يَوْمًا ثُمَّ يَوْمًا ثُمَّ رَأَوُا الْهِلَالَ، فَقَالَ: «لَوْ تَأَخَّرَ لَزِدْتُكُمْ» كَالْمُنَكِّلِ لَهُمْ(٥).

---

(١) رواه مسلم (١/ ٤٤٢) (٦٣٨) (٢١٩).

(٢) قَالَ الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٢٢٩): وقوله: «قَالَ إبراهيم بن المنذر...إلخ» يريد أن محمد بن مسلم هو الطائفي رواه عن عمرو وهو ابن دينار، عن عطاء موصولًا بذكر ابن عباس فيه، وهو مخالف لتصريح سفيان بن عيينة، عن عمرو، بأن حديثه عن عطاء ليس فيه ابن عباس فهذا يعد من أوهام الطائفي، وهو موصوف بسوء الحفظ، وقد وصل حديثه الإسماعيلي من وجهين عنه هكذا، وذكر أن من جملة ما حدث به عن سفيان مدرجًا كما قَالَ الحميدي: عبد الأعلى بن حماد، وأحمد بن عبدة الطبي، وأبو خيثمة، وأن عبدة بن عبد الرحيم، وعمار بن الحسن روياه عن سفيان، فاقتصرا على طريق عمرو، وذكر فيه ابن عباس، فوهما في ذلك أشد من وهم عبد الأعلى وأن ابن أبي عمر رواه في موضعين، عن ابن عيينة مفصلًا على الصواب.

قلت: وكذلك أخرجه النسائي عن محمد بن منصور، عن سفيان موصولًا .اهـ

(٣) رواه مسلم (١/ ٢٢٠) (٢٥٢) (٤٢).

(٤) الحديث رواه مسلم (٢/ ٧٧٦) (١١٠٤) (٦٠)، والمتابعة رواها أيضًا مسلم (٢/ ٧٧٥) (١١٠٤) (٥٩).

(٥) رواه مسلم (٢/ ٧٧٤) (١١٠٣) (٥٧).

٧٢٤٣ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا أَبُو الأَحْوَصِ، حَدَّثَنَا أَشْعَثُ، عَنِ الأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الجَدْرِ؛ أَمِنَ الْبَيْتِ هُوَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: فَمَا بَالُهُمْ لَمْ يُدْخِلُوهُ فِي الْبَيْتِ؟ قَالَ: «إِنَّ قَوْمَكِ قَصَّرَتْ بِهِم النَّفَقَةُ» قُلْتُ: فَمَا شَأْنُ بَابِهِ مُرْتَفِعًا؟ قَالَ: «فَعَلَ ذَاكِ قَوْمُكِ لِيُدْخِلُوا مَنْ شَاءُوا وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاءُوا، وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثٌ عَهْدٍ بِالْجَاهِلِيَّةِ، فَأَخَافُ أَنْ تُنْكِرَ قُلُوبُهُمْ أَنْ أُدْخِلَ الْجَدْرَ فِي الْبَيْتِ، وَأَنْ أَلْصِقَ بَابَهُ فِي الأَرْضِ»[1].

٧٢٤٤ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنْ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «لَوْلاَ الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا، وَسَلَكَتْ الأَنْصَارُ وَادِيًا أَوْ شِعْبًا؛ لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ أَوْ شِعْبَ الأَنْصَارِ»

٧٢٤٥ - حَدَّثَنَا مُوسَى، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى، عَنْ عَبَّادِ بْنِ تَمِيمٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ابن زَيْدٍ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: «لَوْلاَ الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا أَوْ شِعْبًا؛ لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا» تَابَعَهُ أَبُو التَّيَّاحِ، عَنْ أَنَسٍ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي الشِّعْبِ[2].

هذا البابُ كما قال المؤلفُ رَحِمَهُ اللهُ: بابُ ما يَجُوزُ من اللَّوْ وأشار رَحِمَهُ اللهُ إلى ما يجوز، وسكت عما لا يجوز؛ وذلك لأنَّ اللَّو تَخْتَلِفُ أحكامُها كما سَيَأْتِي.

وهنا أَدْخَلَ «أل» على «لو» والمعروفُ أن «أل» لا تَدْخُلُ إلا على الأسماءِ، ولا تَدْخُلُ على الحروفِ؛ لأنها من علاماتِ الأسماءِ، لكن لما قُصِد لفظُها صحَّ أن تَدْخُلَ عليها «أل» كأنه قال: بابُ ما يَجُوزُ من هذا اللفظِ. فصحَّ دخولُ «أل» على «لو» مع أنها حرفٌ؛ لأن المرادَ بها اللفظُ.

اللَّوْ تَنْقَسِمُ إلى ثلاثةِ أقسامٍ: قسمٌ للتمنِّي، وقسمٌ للخبرِ، وقسمُ للندمِ.

فالقسمُ الأولُ للتمنِّي: ومنه قولُ لوطٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ أي: أي: أَتَمَنَّى أن يَكُونَ لي بكم قوةٌ، فهذه حكمُها حكمُ ما يَتَمَنَّاه، فإن تمنَّى خيرًا فهي خيرٌ، وإن تمنَّى شرًّا فهي شرٌّ.

فلو رأَى رجلًا عنده مالٌ يَبْذُلُه في سبيلِ اللهِ فقال: لو أن لي مثلَ مالِ فلانٍ فأفْعَلُ مثلما فعَلَ. كان هذا تمنِّي الخيرِ فهو خيرٌ.

ورجلٌ آخرُ رأَى شخصًا يُنْفِقُ مالَه في الملاهي، والفسوقِ، والفجورِ، والمجونِ فقال: لو أن لي مالًا حتى أُنْفِقَ بمثلِ ما يُنْفِقُ. فهذا تمنَّى شيئًا فيكُونُ شرًّا.

إذًا: التي للتمنِّي يَكُونُ يحسبِ ما تمنَّى الشخصُ.

---

(١) رواه مسلم (٢/ ٩٧٣) (١٣٣٣) (٤٠٥).

(٢) الحديث رواه مسلم (٢/ ٧٣٨) (١٠٦١) (٣٩) والمتابعة أخرجها البخاري في مناقب الأنصار، باب: مناقب الأنصار (٣٧٧٨).

القسمُ الثاني: أن تكونَ لمجردِ الخبرِ: فهذه جائزةٌ. إذا كان القائلُ صادقًا في قولِه، مثلَ أن تَقُولَ لصاحبِك: لو زُرْتَني لأَكْرَمْتُك، فهذَا خبرٌ محضٌ إذا كنتَ صادقًا في أنه لوزَارَك لأَكْرَمْتَه، فهذا خبرٌ صادقٌ ولا شيءَ فيه، فإن قُلْتَ: لو زُرْتني لأَكْرَمتُك.

وأنت كاذبٌ، بل ولو زَارَك لأَهَنْتَه فهنا يَحْرُمُ؛ لأنه كذبٌ.

فإذا كانت للخبر، فهي على حسبِ ما يَقْتَضِيه ذلك الخبرُ.

القسمُ الثالثُ: أَن تكُونَ للندمِ: فهذه هي التي نهى عنها الرسولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حيث قال: «**المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ من المؤمنِ الضعيفِ، وفي كلٍّ خيرٌ، احرِص على ما يَنْفَعُكَ، واسْتَعِنْ باللهِ، ولا تَعْجَزْ، وإن أَصَابَك شيءٌ فلا تَقُلْ: لو أني فعلت لكان كذا وكذا، فإن لو تفتح علم الشيطان**»[1] فهذه منهي عنها؛ لأنها تَفْتَحُ عملَ الشيطانِ كما قال النبيُّ ﷺ، وعملُ الشيطانِ الذي تَفْتَحُه هو الندمُ، والتحسرُ، والهمُّ، فكلُّ هذا من عملِ الشيطانِ؛ لأن الشيطانَ لا يُريدُ لابنِ آدمَ أن يَكُونَ مسرورًا أبدًا، بل يُريدُ أن يَنْزِلَ به الغمُّ والحزنُ والكسلُ. قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٠].

ومن فتحِها لأعمالِ الشيطانِ، أنها تَفْتَحُ الاعتراضَ على القدرِ، فإن الذي يَقُولُ: لو أني فعَلت لكانَ. كأنه يُغَالِبُ قدرَ اللهِ وقدرُ اللهِ قد حصَل، ولا يُمْكِنُ أن يُرْفَعَ، فعملُ الشيطانِ الذي تَفْتَحُه ليس بالأمرِ الهيِّنِ، فقد يَكُونُ أمرًا صعبًا؛ فلهذا نَهى النبيُّ ﷺ أن يَقُولَ الإنسانُ لو أني فعَلتُ كذا لكان كذا وكذا، ولكن يَفْعَلُ الأسبابَ النافعةَ لقولِه: «**احرِصْ على ما يَنْفَعُكَ واسْتَعِنْ باللهِ**»[2].

فإن قالها على سبيلِ الخبرِ، مثلَ أن يَقُولَ: لو أني تَرَكْتُه ما حصَل كذا وكذا، لا على سبيلِ الندمِ فلها حكمُ القسمِ الثاني، الذي ذكرنا أنه لا بأسَ به إن كان صدقًا.

۞ وقولُه تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ قال البخاريُّ: «وقولُه تعالى» مع أن اللهَ حكَاه عن لوطٍ؛ لأن هذا اللفظَ من اللهِ، فلوطٌ لم يَقُلْه بهذا اللفظِ؛ لأن هذا اللفظَ لفظٌ عربيٌّ، ولوطٌ ليست لغتُه عربيةً، فكانَ قولَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ومن العلماءِ من يَحْكِي مثلَ هذا فيَقُولُ: لقولِ اللهِ تعالى عن لوطٍ، عن آدمَ، عن نوحٍ، وما أَشْبَهَ ذلك، فالأمرُ في هذا واسعٌ.

ثم ذكَر قولَ النبيِّ ﷺ: «**لو كنت راجمًا امرأةً من غيرِ بينةٍ لرَجَمْتُها**» وهي امرأةٌ -كما قال ابنُ عباسٍ- تُعْلِنُ، ولكنَّها لا تُقِرُّ، وهذا من بابِ الخبرِ.

ثم ذكَر أيضًا حديثَ تأخيرِ صلاةِ العشاءِ، حيث أَعْتَمَ النبيُّ ﷺ بالعشاءِ، فخرَج عمرَ

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠٥٢) (٢٦٦٤) (٣٤).

(٢) المصدر السابق.

فقال: الصلاةَ يا رسولَ الله.

۞ وقولُه: «الصلاة» بالنصبِ لفعلٍ محذوفٍ تقديرُه: أقِمِ الصلاةَ، ويَجُوزُ أن تَقُولَ: الصلاةُ على تقديرِ الصلاةُ حاضرةٌ، أو حضرت.

۞ قوله: فخرَج فقال: الصلاةَ يا رسولَ اللهِ رقَد النساءُ والصبيانُ. في هذا دليلٌ على أن الصبيانَ يَحْضُرونَ المسجدَ في عهدِ الرسولِ عليه الصلاة والسلام، ولكن اشْتَرط العلماءُ في تمكينِهم من الحضورِ ألا يَحْصُلَ منهم أذيةٌ على المصلينَ، ولا على المسجدِ، فإن حصَل منهم أذيةٌ فإنهم يُمْنَعُونَ، ولكن يُمْنَعُونَ عن طريقِ أولياءِ الأمورِ؛ لأننا لو منَعناهم منعًا مباشرًا لكان في ذلك تنفيرٌ لهم عن المسجدِ[1].

۞ قولُه: فخرَج ورأسُه يَقْطُرُ يَقُولُ: **«لولا أن أَشُقَّ على أمتي -أو على الناسِ وقال سفيانُ أيضًا- على أمتي لأمرتُهم بالصلاةِ هذه الساعةَ»** يَعْنِي: بعدَ أن أَعْتَموا، ومضَى نحوُ ثلثِ الليلِ. وإنما قال الرَّاوِي خرَج ورأسُه يَقْطُرُ، أو يَمْسَحُ الماءَ عن شقِّه، من بابِ أن الرسولَ عليه الصلاة والسلام تعمَّد التأخيرَ، ومن بابِ أنه ضبَط القصةَ، وهذا يُشْبِهُ ما يُسَمِّيه علماءُ المصطلح بالمسلسلِ.

يَقُولُ: **«لولا أن أَشُقَّ على أمتي أو على الناسِ لأمرتُهم بالصلاةِ هذه الساعةَ»**.

۞ «بالصلاة»؛ أي: صلاة العشاء هذه الساعة.

وفي هذا: دليلٌ على القاعدةِ المشهورةِ عند العلماءِ أن المشقةَ تَجْلِبُ التيسيرَ.

وفيه: دليلٌ على أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يُشَرِّعُ من عنده؛ لأنه لم يَقُلْ: لولا أن يُشَقَّ على أمتي لأمَرهم اللهُ. بل قال: لولا أن أَشُقَّ لأَمَرتُ. وهو كذلك له أمرٌ مستقلٌ؛ لأنه لو أمَر بما لا يُرِيدُه اللهُ؛ لبيَّن اللهُ له ذلك كما في قولِه: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٤٣﴾ [التوبة:٤٣].

وفي هذا الحديث: دليلٌ على أن الأفضلَ في صلاةِ العشاءِ التأخيرُ.

فإذا كانوا جماعة وقالوا: سنؤخر ولا يشق عليهم إذا أخروا فما هو الأفضل لهم؛ التأخير أم التقديم؟

فالجواب: الأفضل لهم التأخير.

وذكَر المؤلفُ أيضًا اختلافَ الرواياتِ في هذا الحديثِ، ولكنه اختلافٌ لا يَضُرُّ؛ يعني: لا يُؤَدِّي إلى أن يَكُونَ هذا الحديثُ مُضْطَرِبًا؛ لأن موضعَ الدليلِ منه ليس فيه اضطرابٌ؛ وهو تأخيرُ الصلاةِ إلى أن يَمْضِي هزيعٌ من الليل.

ثم ذكَر المؤلفُ أيضًا حديثَ أَبِي هريرةَ، أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «لولا أن أَشُقَّ على أمتي

---

(١) انظر: «كشاف القناع» (١/ ١٤٨).

لأمرتهم بالسواكِ». وتتمةُ الحديثِ في ألفاظٍ أخرى: «عند كلِّ صلاةٍ»[1] هذا هو المشهورُ إنه عند كلِّ صلاةٍ ورواه مالكٌ: «مع كلِّ وَضُوءٍ»[2] والغالبُ أن الصلاةَ والوضوءَ مقترنانِ.

وفي هذا الحديثِ: إشارةٌ على أن الأصلَ في الأمرِ الوجوبُ وفي الذي قبله أيضًا؛ لأنه لو لم يكُن أصلُه الوجوبَ، لم يَكُنْ في الأمرِ به مشقةٌ؛ لأن المندوبَ يَجُوزُ للإنسانِ تركُه، والذي فيه المشقةُ لو أُمِر به ما كان واجبًا.

ولكن أين محلُّ السواكِ؟

قال العلماءُ: عند المضمضةِ؛ لأن المضمضةَ هي تطهيرُ الفمِ، ولكن لو تَسَوَّكَ قبل ذلك أو بعده صدَق عليه أنه تسوَّك مع الوَضُوءِ[3].

ثم ذكَر المؤلفُ: حديثَ الوصالِ أن النبيَّ ﷺ نهى عن الوصالِ. والوصالُ: أن يَقْرِنَ الصائمُ بينَ يومينِ بدونِ فطرٍ بينهما. وقد نهَى النبيُّ ﷺ عنه، مع أنه كان يَفْعَلُه؛ ولهذا لما نهى عنه الصحابةَ؛ قالوا: إنك تُواصِلُ؛ يَعْنِي: ولنا فيك أسوةٌ في الوصالِ. ولكنه بيَّن الفرق فقال: «إني لست كهيئتِكم» أو قال: «أَيُّكم مثلي»، إني أَبِيتُ يُطْعِمُني ربِّي ويَسْقِينْ.

وقولُه: «يُطْعِمُني ويَسْقِيني». يَعْنِي: فلستُ أُوَاصِلُ. لو وَاصَلت حسًّا فلا أُوَاصِلُ معنًى؛ لأن الله ﷻ يُطْعِمُه ويَسْقِيه، لكنه ليس إطعامًا حسيًّا ولا سُقًى حسيةً؛ لأنه لو كان كذلك لم يَكُن مواصِلًا، ولم يَكُن ممسكًا فما هذا الإطعامُ والإسقاءُ؟

قال بعضُهم: إنه يُطْعَمُ من الجنةِ، ويُسْقَى من الجنةِ، وهذا ضعيفٌ؛ لأنه حتى لو أُطْعِمَ من الجنةِ، أو سُقِي من الجنةِ فهو غيرُ مواصلٍ.

والصحيحُ: أنه ما كان في قلبِه من الانشغالِ بالله ﷻ، فإنه بانشغالِه باللهِ، وبذكرِه اللهِ لا يَهُمُّه الأكلُ ولا الشُّربُ، وهذا شيءٌ محسوسٌ فإن الإنسانَ إذا اشتَغَل اشتغالًا تامًّا بشيءٍ نسِي ما سواه، فتَجِدُهُ إذا كان منهمكًا في شغلٍ من الأشغالِ يَأْتِي عليه وقتُ الغداءِ، ووقتُ العشاءِ ما يَهُمُّه وقد قال الشاعر:

لها أحاديثُ من ذكراك تَشْغَلُها ... عن الشرابِ وتُلْهيها عن الزَّادِ[4]

۞ قولُه: لها أحاديثُ من ذِكْرَاك؛ أي: إذا قامت تَذْكُرك وتَتَحَدَّثُ بك نَسِيتِ الأكلَ والشربَ.

۞ قولُه: فهذا هو المعنى الصحيحُ في هذا الحديثِ.

---

(١) رواه البخاري (٨٨٧)، ومسلم (١/ ٢٢٠) (٢٥٢) (٤٢).

(٢) في «الموطأ» (١/ ٨٣) (١١٥).

(٣) انظر: «المبدع» (١/ ١٠٠)، و«الإنصاف» (١/ ١٢٠).

(٤) انظر: «المدهش» (١/ ٤٥٥)، و«الحماسة البصرية» (١/ ١٥٧)، و«ديوان المعاني» (١/ ٦٣).

وليس قصدُهم رضي الله عنهم المعاندةَ، لكنَّهم فهموا أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم أراد الرفقَ بهم فقالوا: نَتَحَمَّلُ المشقة، ولم يُرِيدُوا قطعًا المعصيةَ.

فواصَلَ بهم النبيُّ عليه الصلاة والسلام تركهم يومًا، ثم يومًا، ثم رأَوا الهلالَ؛ أي: هلالَ شوالٍ فقال عليه الصلاة والسلام: «لو تأخَّر لزِدْتُكم». كالمُنكِّل لهم، حتى يَمَسَّهم الجوعُ، والعطشُ، ويَعْرِفُوا حِكمَةَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم في النهيِ عن الوصالِ.

وفيه أيضًا: في بعضِ الألفاظِ. لو مُدَّ بي الشهرُ لوَاصَلت وصالًا يَدَعُ المتعمِّقُون تعمُّقهم[1]، وفي هذا إشارةٌ إلى أن التعمقَ مذمومٌ.

فالتعمقُ في دينِ اللهِ، ومحبةُ الإنسانِ للشقاقِ على نفسِه أمرٌ مذمومٌ، مادَامَ الشرعُ قد جعَل له رخصةً، وقد قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام: «هلَكَ المُتَنَطِّعُونَ» ثلاثَ مراتٍ[2].

وفي قصةِ عبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ رضي الله عنهما حينما قال: إنه يَصُومُ ولا يُفْطِرُ، ويَقُومُ ولا يَنَامُ، فبيَّن له الرسولُ عليه الصلاة والسلام أن لنفسِه عليه حقًّا، ولأهلِه عليه حقًّا، ولربِّه عليه حقًّا، ونَازَله في الصيامِ إلى أن قال: «أفضلُ الصيامِ صيامُ داودَ، صم يومًا وأفطِرْ يومًا». فلما كبرَ صار يَشُقُّ عليه أن يَصُومَ يومًا ويُفْطِرُ يومًا، ولكنَّه لم يَكُن لِيَتْرُكَ شيئًا، أو لِيَدَعَ شيئًا تركَه عليه رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وقال: لَيْتَنِي قبلت رخصةَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فكان رضي الله عنه يَصُومُ خمسةَ عشرَ يومًا جميعًا بدونِ وصالٍ لكنه يَصُومُها متتابعةً ويُفْطِرُ خمسةَ عشرَ يومًا[3]، وهذا من الضيقِ على نفسِه، ضيَّق على نفسِه فضُيِّق عليه.

ولهذا جَاء في الحديثِ: «لا تُشدِّدُوا فيُشَدِّدِ اللهُ عليكم»[4] فالإنسانُ كلَّما كان سهلًا ميسرًا على نفسِه. سهَّل اللهُ له الأمرَ.

وذكَر المؤلفُ رحمه الله حديثَ بناءِ الكعبةِ. عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: سألتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم عن الجَدْرِ أمن البيتِ هو؛ يعني: أم لا؟ والجَدْرُ: هو الحجرُ؛ جدارٌ مبنيٌّ معروفٌ، قال: نعم. أي: من البيتِ، فظاهرُ هذا الحديثِ أن جميعَ الحجرِ من البيتِ.

ولكنَّ أكثرَ العلماءِ يَقُولونَ: إن الذي من البيتِ من الحجرِ ستةُ أذرعٍ ونصفُ تقريبًا[5]. وليس الحجرُ كلُّه، فلعلَّ الحجرَ في ذاك العهدِ؛ أي: عهدِ الرسولِ عليه الصلاة والسلام كان دونَ هذا، وهذا هو

---

(١) تقدم في أحاديث الباب.
(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٠٥٥) (٢٦٧٠) (٧).
(٣) رواه البخاري (١٩٧٧)، ومسلم (٢/ ٨١٣) (١١٥٩) (١٨٢).
(٤) رواه أبو داود (٤٩٠٤) وضعفه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.
(٥) قال صاحب «الإنصاف» (٢/ ٨): نص الإمام أحمد أن الحجر من البيت وقدره ستة أذرع وشيء.
وانظر: «كشاف القناع» (١/ ٣٠٠)، و«المغني» (٣/ ١٩٠).

الأقربُ؛ لأن الحجرَ مقوسٌ، والكعبةُ لا تكُونُ كعبةً إلا إذا كانت بناءً مربعًا؛ ولهذا نَقُولُ: الأقربُ أنه من حيثُ يَبْتَدِئُ التقويسُ تَنْتَهِي الكعبةُ.

وكأن الذي بناه مقوسًا -واللهُ أعلم- أراد ألا يَكُونَ مربعًا فيَتَمَسَّحَ الناسُ بأركانِه، كما يَتَمَسَّحُونَ بالحجرِ والركنِ اليَماني؛ لأنه إذا كان مقوسًا ما فيه أركانٌ تُمسَحُ، بخلافِ ما لو كان مربعًا.

ونظيرُ هذا ما فعَله بعضُ الغلاةِ في الشَّاذَرْوانِ، والشَّاذَرْوانُ هو العتبةُ المبنيةُ في أسفلِ الكعبةِ دائرةٌ عليها، وهذا البناءُ كان بالأولِ مسطحًا، وكان الناسُ يَرْكَبُونَه، ويَطُوفُونَ عليه إذا زُحِموا؛ لأنه كان مسطحًا، فجاء بعضُ الخلفاءِ -جزاهم الله خيرًا- وجعَله غيرَ مسطحٍ، بحيث لا يَتَمكَّنُ الإنسانُ من الوقوفِ عليه، والطوافِ به؛ لأنهم يَرَونَه من أصلِ الكعبةِ، ومعلومٌ أن الطوافَ يَجِبُ أن يَكُونَ بجميعِ البيتِ.

لكنَّ شيخَ الإسلامِ ابنَ تيميَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَرَى أن الشَّاذَرْوانَ ليس من الكعبةِ، وإنما بني لدعمِ الكعبةِ، فهو عمادٌ لها، وليس منها[1].

والاحتياطُ لا شكَّ أن يَطُوفَ الإنسانُ من وراءِ الشَّاذَرْوانِ.

ثم قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فما لهم لم يُدخِلُوه في البيتِ. هذه مناقشةٌ، والصحابةُ عندهم الصراحةُ؛ يعني: لو أنها اقتصرت لما قال: نعم انتهى الموضوعُ. لكنها أوردَت إشكالًا، إذا كان من البيتِ فلماذا لم يُدْخَلْ. قال: إن قومَك قصَّرت بهم النفقةُ؛ يَعْنِي: لم يَتَمَكَّنُوا من بناءِ البيتِ كلِّه.

لكن لماذا اختاروا تلك الجهةَ؟

الجوابُ: أنهم اختاروا تلك الجهةَ؛ لأن الجهةَ اليمانيةَ فيها الحجرُ والركنُ اليمانيُّ، ولا يُمْكِنُ أن تَخْتَلَّ، فلهذا رَأَوا أن يَكُونَ التقصيرُ من الجهةِ الشماليَّةِ.

لكنك تَتَعَجَّبُ كيف عجَزوا أن يَبْنُوا بقيتها وهم أصحابُ إبل، وأصحابُ أموالٍ، ولهم تجاراتٌ من الشام، وتجاراتٌ من اليمنِ، وفيهم الأغنياءُ فلماذا قصَّرت بهم النفقةُ، وعجزوا أن يبنوا بقيتها؟

الجوابُ: لأنهم اختاروا ألا يَبْنُوا من شيءٍ محرمٍ، لا من الرِّبا، ولا من الميسرِ، قالوا لا يُمْكِنُ أن نَبْنِيَ بيتَ اللهِ إلا بأطيبِ أموالِنا، وهذه من حمايةِ اللهِ للبيتِ -سبحان الله!- كفارٌ لا يُحِلُّونَ ولا يُحَرِّمُونَ، لكن حمى اللهُ البيتَ أن يُبْنَى بكسبِ حرامٍ. فقصَّرت بهم النفقةُ فبَنَوه على هذا.

وهنا جاء إشكالٌ آخرُ من عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقالت: قلت فما شأنُ بابِه مرتفعًا. وهي حجرة من الحجرِ، والمفروض أن يكون بابها لاطئًا بالأرض، حتى يدخله من يَدْخُلُ من الناسِ، أو أن يَكُونَ له درجٌ إذا رُفِع، لكنَّ الدرجَ ممتنعٌ؛ لأن الدرجَ يُعِيقُ الطائفينَ فما بالُهم رفَعوه.

۞ قال: «فعَل ذلك قومُك لِيُدْخِلُوا من شَاءُوا ويَمْنَعُوا من شَاءُوا» هذا تحكمٌ -والعياذُ

(١) انظر: «الأخبار العلمية من الاختيارات الفقهية» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص١٧٥).

بالله- إذا جاء إنسانٌ كبيرٌ ذو جاهٍ، أو غنيٌّ، أو ما أشبهَ ذلك أَدْخَلوه في الكعبةِ، وإذا جاء مَن سِوَاه قالوا: البابُ مغلقٌ، والعتبةُ رفيعةٌ، ولم يُدْخِلُوه.

ثم قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **«لولا أن قومَك حديثُ عهدٍ بالجاهليةِ -فأخافُ أن تُنكِرَ قلوبُهم أن أُدْخِلَ الجَدْرَ في البيتِ، وأن أُلْصِقَ بابَه في الأرضِ- لفعلت»**.

والشاهدُ من هذا الحديثِ قولُه: **«لولا أن قومَك حديثُ عهدٍ»**. فبيَّن الرسولُ ﷺ المانعَ له من إعادةِ البيتِ على قواعدِ إبراهيمَ، وعلى الوصفِ الذي ذكَره، وهو أن قريشًا كانوا حَدِيثي عهدٍ بالكفرِ، والكافرُ لضعفِ إيمانِه؛ ولأن الإيمانَ لم يَرْسَخْ في قلبِه، يَسْتَنْكِرُ كلَّ شيءٍ فأخاف أن تُنكِرَ قلوبُهم ما أَفْعَلُ.

ففي هذا الحديثِ من الفوائد: درءُ المفاسدِ، وأنها أَولى من جلبِ المصالحِ، وهذه القاعدةُ سليمةٌ، لكنَّها مشروطةٌ بأن تتَسَاوَى المفاسدُ والمصالحُ، أو يُرَجَّحَ جانبُ المفاسدِ، أما إذا ترَجَّح جانبُ المصالحِ، فإنه يُغَطِّي المفاسدَ، فهنا لا يَتَرَجَّحُ جانبُ المصلحةِ؛ لأن المفسدةَ التي يُخْشَى منها مفسدةٌ عظيمةٌ، وهي الرجوعُ في الكفرِ، فتَحْصُلَ فتنةٌ عظيمةٌ لقريشٍ، وربما يَعُودُ الأمرُ جذعًا بعد أن فُتِحَت مكةُ.

وفي هذا الحديثِ: حكمةُ الرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأنه يَجِبُ علينا أن نَتَأَسَّى به، فإذا رَأَينا بعضَ المصالحِ التي نَرَى أنه لابدَّ منها يُخْشَى منها عاقبةٌ سيئةٌ، فإننا نَدَعُها، ونَسْكُتُ، ونَصْبِرُ حتى يَعُودَ الأمرُ على ما يَنْبَغِي.

ولهذا لما تولَّى عبدُ اللهِ بنُ الزبيرِ رضي الله عنهما الخلافةَ في مكةَ، بل على الحجازِ كلِّه -مكةَ والمدينةِ، وما كان تابعًا لهما بنى الكعبةَ على الوجهِ الذي تمنَّاه الرسولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأَدْخَل الجَدْرَ وبَنَاها على قواعدِ إبراهيمَ، وجعَل لها بابينِ بابًا يَدْخُلُ منه الناسُ، وبابًا يَخْرُجُونَ منه[1].

ثم لما حصَلت فتنةُ الحَجَّاجِ، ورَمَاها بالمَنْجَنِيقِ -والعياذُ باللهِ- وهدمَها، ودخَل مكةَ عَنْوَةً مع أن الرسولَ قال: **«لا تَحِلُّ لأحدٍ بعدي»**. لكنَّه خالفَ -والعياذ بالله- وقتَل عبدَ اللهِ بنَ الزبيرِ رضي الله عنهما، وصلبَه وجِيء إلى أمِّه أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ رضي الله عنهما، وأُخْبِرت بما فعَل الناسُ به، فقالَت: إن الشاةَ لا يَضُرُّهَا سَلْخُها بعد ذَبْحِها، رضي الله عنها. صبرٌ واحتسابٌ، وإلا فهذا أمرٌ عظيمٌ.

ثم لما اسْتَولى عليها هدَمها كليةً، وأَعادَها على بناءِ قريشٍ -واللهُ أعلمُ بنيتِه- هل قصدُه أن الرسولَ أقرَّ هذا البناءَ إلى أن مات، وأقرَّه الخلفاءُ الراشدونَ، أو أن قصدَه الانتقامُ مما فعَله عبدُ اللهِ بنُ الزبيرِ -اللهُ أعلمُ بنيته[2]؛ لكنَّ عبدَ الملكِ بن مروانَ لما بلَغه هذا الحديثُ قال لو

---

(١) رواه البخاري (١٥٨٦)، ومسلم (٢/ ٩٧٠) (١٣٣٣) (٤٠٢).
(٢) رواه مسلم (٢/ ٩٧٠) (١٣٣٣) (٤٠٢).

علِمت به لمنَعتُ الحجاجَ من هدمِها وبنائها على ما كانت عليه في الجاهليةِ[(١)].

ثم لما طالتِ المدةُ، وتولَّى الرشيدُ بنُ هارونَ فأراد أن يَهْدِمَها ويُعِيدَها على ما تمنَّاه الرسولُ عليه الصلاة والسلام، فاسْتَشار الإمامَ مالكًا -رضي الله عنه ورحمه- فقال: لا تَجْعَلْ بيتَ اللهِ ملعبةً للملوكِ، كلما جاء ملكٌ هدَمه، وأعاده على ما يُرِيدُ، فتركَه وبقِي على ما هو عليه[(٢)].

ولكننا نَقولُ: ما أراده النبيُّ ﷺ حصَل وللهِ الحمدُ على وجهٍ أكملَ مما تَتَوَقَّعُ؛ لأنه لو بُنِي على قواعدِ إبراهيمَ مسقوفًا، وجُعِل له بابان: بابٌ يَدْخُلُ منه الناسُ، وبابٌ يَخْرُجُونَ منه، لأَهْلَكَ الناسُ بعضُهم بعضًا، لا سيَّما في مثلِ عصورنا هذه مع جهالةِ الناسِ.

أما الآن فإن له بابين: بابًا يَدْخُلُ منه النَاسُ، وبابًا يَخْرُجُونَ منه بالهواءِ الطلقِ؛ لأن بين الكعبةِ القائمةِ والجَدْرِ بابينِ، فما أَرادَه النبيُّ عليه الصلاة والسلام حصَل وللهِ الحمدِ، مع زوالِ المفسدةِ.

ثم إن في بقائه هكذا جدرًا دونَ أن يَكُونَ كعبةً مبنيةً كلَّها، امتحانًا وإذعانًا؛ لأنه لو كانت بنايةً واحدةً، لكان الناسُ يَطُوفُونَ بها اضطرارًا، لكن الآن لو أَراد أحدٌ أن يَدْخُلَ من بابِ الحجرِ، ويَخْرُجَ من البابِ الثاني، أمكنَه ذلك، لكن تعبدًا لله يُكَمِّلُونَ الحجرَ، ويَطُوفُونَ من ورائِه، ولو كان عليهم أعظمُ مشقةٍ، ففيه محنةٌ وابتلاءٌ؛ لأنه لو كانت بنايةً قائمةً ما تمكَّن أحدٌ أن يَدْخُلَ، لكن هنا يُمْكِنُ أن يَدْخُلَ أحدٌ.

لكن لو قال إنسانٌ: سأُكَمِّلُ ما أمَرني به اللهُ ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ۝٢٩﴾ [الحج:٢٩]. وأَطُوفُ من وراء الجدرِ صار في هذا امتحانٌ للعبادِ في أداءِ العبادةِ، واللهُ تعالى عليمٌ حكيمٌ، فقد قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة:٢١٦]. وقال: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۝١٩﴾ [النساء:١٩]. وهذه من حكمةِ اللهِ عز وجل.

ثم ذكَر المؤلفُ حديثَ الأنصارِ، وهو مهمٌّ وفيه عبرٌ عظيمةٌ.

وهذا الحديثُ: له قصةٌ؛ وهو أن النبيَّ ﷺ لما رجَع من حُنَينٍ، وقسَّم الغنائمَ، وأعطَى المؤلفةَ قلوبُهم كثيرًا من الأموالِ، تكلَّم بعضُ الناسِ من الأنصارِ بكلام لا يَلِيقُ بهم، لكن كما قال اللهُ عز وجل ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠﴾ [الفجر:٢٠]. وقال: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ [العاديات:٨]. فمن أجلِ المالِ تكلَّموا بكلام لا يَلِيقُ بهم قال بعضُهم: إن محمدًا لقي قومَه فصار يُعْطِيهم وترَكنا.

فلما سمِع النبيُّ ﷺ بهذا أمَر أن يَجْتَمِعُوا في مكانٍ خاصٍّ بهم، فاجْتَمَعُوا فجاءوا إلى النبيِّ ﷺ فقَالُوا: إننا اجتمَعْنا. فقال: هل فيكم أحدٌ؛ يَعْنِي: سواكم. قالوا: أبدًا إلا فلانٌ كانوا هم أخوالَه

---

(١) رواه مسلم (٢/ ٩٧٢) (١٣٣٣) (٤٠٣).

(٢) انظر: «الاستذكار» لابن عبد البر (٤/ ١٨٨)، و«التمهيد» (١٠/ ٥٠)، و«التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة» (١/ ٢٦٥)، و«أخبار مكة» (٢/ ٣٦).

قال: ابنُ أختِ القومِ منهم. ثم جَاء إليهم وخطَب بهم خطبةً بليغةً عظيمةً ساقَها في عمدةِ الأحكام بطولِها[1]، ذَكَّرهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بما أنْعَم اللهُ به عليهم، من بعثةِ النبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وقال لهم: ألم أَجِدْكُم ضُلَّالًا فهَدَاكم اللهُ بي؟ ألم أَجِدْكُم فقراءَ عالةً فأغناكم الله بي، ألم أَجِدْكُم متفرقينَ فألَّفكم اللهُ بي؟ كلما قال قولًا قالوا: اللهُ ورسولُه أَمَنُّ؛ يعني: أعظمَ منةً.

فقال: لو شِئْتُمْ لقُلتم: جئتَنا طريدًا فآويناك. وذكَر أشياءَ فكما أن له عليهم فضلًا، فلهم عليه فضلٌ أيضًا، وهذا من حكمتِه وعدلِه.

ثم أتمَّ هذه الخطبةَ العظيمةَ بقولِه: «**لولا الهجرةُ لكنت امرءًا من الأنصارِ**». لكن الهجرةَ تَمْنَعُه أن يَكُونَ من الأنصارِ؛ لأنها أَعْلَى وأفضلُ، فالمهاجرونَ جمَعوا بين الهجرة بتركِ ما يُحِبُّونَ، وبين النصرةِ، والأنصارُ عندهم النصرةُ، وهم في بلادِهم وفي أموالِهم.

وفي هذا: إشارةٌ إلى مسألةٍ تقدَّم الكلامُ عليها، وهي أن عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لا يَنْبَغِي أن نصِفه بالصحبةِ، وهو في مقامٍ أعلى فنَقُولُ: لولا النبوةُ لكان من الصحابةِ مثلًا، ولكنه نبيٌّ والنبوةُ أعلى.

فيَقُولُ: «**لولا الهجرةُ لكنت امرءًا من الأنصارِ، ولو سلَك الناسُ واديًا، وسلكَ الأنصارُ واديًا أو شِعْبًا، لسَلَكْتُ وَادِيَ الأنصارِ، أو شِعْبَ الأنصارِ**».

وهذا فخرٌ عظيمٌ، أن يَدَعَ النبيُّ ﷺ الناسَ ليكُونَ مع الأنصارِ، الناسُ دِثارٌ، والأنصارُ شعارٌ، والشعارُ: هو الثوبُ الذي يَلِي الجسدَ، والدِّثارُ ما فوقه.

ثم قال: «**إنكم سَتلْقَونَ بعدي أثرةً، فاصْبِرُوا حتى تَلْقَوني على الحوضِ**». فجعَلوا يَبْكونَ حتى خَضَّبُوا لِحَاهم من الدموع رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، واقْتَنَعُوا أعظمَ اقتناع.

وهذا: دليلٌ على أنه يَنْبَغِي للإنسانِ أن يُطَيِّبَ قلوبَ الناسِ، إذا رأى أنهم وجَدوا عليه شيئًا، حتى يَزُولَ ما في قلوبِهم، فها هو النبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أرفعُ من الأنصارِ وأرفعُ من المهاجرين، وأكرمُ الخلقِ عند اللهِ، يَتَوَدَّدُ إلى الأنصارِ هذا التودد، ويُطَيِّبُ قلوبَهم هذا التطييبَ.

والشاهدُ من هذا الحديثِ في هذا البابِ: قولُه: «**لولا الهجرةُ**»، و«**لو سلك الناسُ**»، وهذا من قسم الخبر كما ذكرنا.

*****

(١) تقدم تخريج الحديث في الصحيحين، وانظر: «عمدة الأحكام» (٣/ ١٧١).



شرح صحيح البخاري

كتاب أخبار الآحاد

٧٢٤٦ - ٧٢٧



ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

كتاب أخبار الآحاد

١ - بابُ ما جَاء في إجازةِ خبرِ الواحدِ الصدوقِ في الأذانِ، والصلاةِ والصوم، والفرائض، والأحكام.

وقولِ الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ۝١٢٢﴾ [التوبة:١٢٢].

ويُسَمَّى الرجلُ طائفةً؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ [الحجرات:٩]. فلو اقتَتَل رجلانِ دخَلا في معنى الآية.

وقوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات:٦]. وكيفَ بعَث النبيُّ ﷺ أُمراءه واحدًا بعدَ واحدٍ فإن سَها أحدٌ منهم رُدَّ إلى السنةِ.

۞قولُه: «بابُ ما جاء في إجازةِ خبرِ الواحدِ الصدوقِ في الأذانِ، والصلاةِ، والصومِ، والفرائضِ، والأحكامِ».

والخبرُ: هو كلُّ ما يَحتمِلُ أن يُصدَّقَ قائلُه، أو يُكَذَّبَ لذاته؛ أي: لذاتِ الخبرِ بقطعِ النظرِ عن المُخبرِ به، فإن خبرَ النبيِّ ﷺ بأنه رسولُ اللهِ هذا لا يُمْكِنُ تكذيبُه، وخبرُ مُسَيلَمةَ بأنه رسولٌ، لا يُمْكِنُ تصديقُه، لكنَّ نفسَ الخبرِ بقطعِ النظرِ عن المخبرِ يَصِحُّ أن يُقَالَ: إنه صدقٌ، ويَصِحُّ أن يُقَالَ: إنه كذبٌ.

والشهادةُ: هي خبرٌ مؤكدٌ؛ لأن الشاهدَ يَقُولُ: أَشْهَدُ. كأنما شَاهَده بعينِه.

وخبرُ الواحدِ هل يَجُوزُ في كلِّ شيءٍ؟ بَيَّن المؤلفُ أنه يَجُوزُ في الأذانِ، فيُعمَلُ بقولِ المؤذنِ في دخولِ وقتِ الصلاةِ، وفي الامتناعِ عن الأكلِ في الصومِ، وفي حلِّ الأكلِ عند غروب الشمسِ، وكذلك في الصلاةِ، إذا أخبَره شخصٌ بأنه ليس إلى اتجاه القبلةِ؛ وهو ثقةٌ فإنه يَتبَعُه.

وكذلك على القول الصحيحِ إذا سبَّح به واحدٌ، وهو ليس عنده ما يُخَالِفُـه، فإنـه يَتْبَعُـه؛ لأن النبيَّ ﷺ إنما منَعه من اتباعِ ذي اليدين ما كان عنده من الجزمِ بأنه على صوابٍ؛ ولهذا قال: «لم أَنْسَ ولم تُقْصَرْ» وقصةُ ذي اليدينِ أن النبـيَّ ﷺ سـلَّم في إحـدى صَـلَاتي العَـشِيِّ: الظهـرِ أو العصرِ من ركعتينِ، فقال له ذو اليدينِ: يا رسولَ اللهِ، أَنَسِيتَ أم قُصِرَتِ الصلاةُ، فقال: «لم أَنْسَ ولم تُقْصَر»[1] فنفى الأمرينِ جميعًا.

ولكن كيفَ نفَى الأمرينِ جميعًا، وأحدُهما متأكدٌ؟

الجوابُ: أن الإنسانَ يَجُوزُ له أن يُخْبِرَ عما في ظنِّه، ولا يُعَدُّ هذا كذبًا، ولا يَحْنَـثُ بـه لـو حلَفَ عليه، فلو قال: واللهِ ليَقدمَنَّ زيدٌ غدًا بناءً على ما في قلبِه وأنه سَيَقْدُمُ، ثم لم يَقْـدُمْ فإنـه لا يَحْنَثُ، ولا كفارةَ عليه؛ لأن هذا خبرٌ عما في نفسِه، وهو صادقٌ.

❁ فلما قال: «لم أَنْسَ ولم تُقْصَرْ». فهم الـصحابيُّ رضي الله عنه أنـه نـسِي؛ لأنـه يُمْكِـنُ أن يُخْطـئَ في الذكرِ، ولا يُخْطِئُ في الشرعِ؛ لأن النفيَ هنا -أي قولـه: «لم أنـسَ»- هـذا نفـيُ ذكـرٍ، وقولُـه: «ولم تُقْصَر» نفي شرعٍ، وهو أن يُخْطِئ في الذكرِ أقربُ من أن يُخْطِئَ في الشرعِ، بل لا يُخْطِئُ في الشرعِ.

❁ قال: «بلى قد نـسيت». فـاجتمع الآن قَـولُ ذي اليـدينِ، واعتقـادُ الرسـولِ عليه الصلاة والسلام، فلابدَّ من مرجحٍ، فلهذا قال: «أحقٌّ ما يَقُولُ ذو اليدينِ». قالوا: نعم.

الشاهدُ: أنه يُقْبَلُ في الصلاةِ، حتى في السهوِ على القولِ الراجحِ، ما لم يُخَالِفْهُ عقيدةُ الإمامِ مثلًا.

والصومُ كذلك؛ لقول النبيِّ ﷺ: «كلوا واشربُوا حتى تَسْمَعُوا أذان ابن أمِّ مَكْتُومٍ»[2].

❁ وقولُه: «الفرائضُ»: مثلُ الزكواتِ، وغيرِها؛ أي: كل ما فرَضه اللهُ.

❁ وقوله: «والأحكامُ»؛ يعني: الأحكامَ الشرعيةَ، وأحكامَ القضاءِ بينَ الناسِ.

والقاعدة في هذا: أن كلَّ خبرٍ دينيٍّ فإنه يُقْبَلُ فيه خبرُ الواحدُ.

❁ لكن المؤلفَ يَقُولُ: «الـصَّدوقُ»؛ يَعْنِـي: الـذي يَغْلِـبُ عـلى الظـنِّ صـدقُه؛ لأمانتِـه، ومعرفتِه، فأما من يَغْلِبُ على الظنِّ كذبُه، فإنه لا يُقْبَلُ، فلو تَرَاءى الناسُ الهـلالَ، وقـال رجـلٌ ضعيفُ البصرِ: رأيتُه، وقال الأقوياءُ في البصرِ: لم نَرَه.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٦١٧)، ومسلم (٢/ ٧٦٨) (١٠٩٢) (٣٦).

لا نأخذ بقولِه؛ لأنه ضعيفُ البصرِ، وضعيفُ البصرِ ربما يَرَى الواحدَ اثنينِ أو ثلاثةً، وربما يَرَى الثلاثةَ اثنينِ أو واحدًا.

ويُذْكَرُ أن شُرَيحًا القاضِي أو غيرَه جَاء إليه رجلٌ ثقةٌ أمينٌ، فقال: إني رَأيتُ الهلالَ وكان قد تراءاه مع الناسِ. فقال الناسُ: لم نَرَه. فالقاضِي توقَّف.

فهذا ثقةٌ، والناسُ خَالَفوه. فقال: «قُمْ معي نَترَاءى الهلالَ». فقام معه فترَاءيا الهلالَ، فقال: أَتَراه؟ قال: نعم. والقاضِي لا يَرَاهُ فمسحَ حاجبَه وقال له: تَرَاه الآنَ؟ قال: لا أَرَاهُ. وإذا هي شعرةٌ بيضاءُ في حاجبِه متقوسةٌ كأنها الهلالُ.

فهذا لا نَقْبَلُ شهادتَه؛ لأنه يَغْلِبُ على ظنِّنا أنه ليس بصادقٍ وإن كان ثقةً، كما أن حادَّ النظرِ إذا كان غيرَ ثقةٍ لا نَقْبَلُه؛ لعدمِ ثقتِنا بقولِه، وكذلك ضعيفُ البصرِ.

۞ ثم قال: وقولِ اللهِ تعالى: «﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ﴾». وهذا بقيةُ الآيةِ، وأولُها: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ﴾ [التوبة:١٢٢]. يَعْنِي: في الجهادِ، فما كان لهم أن يَنْفِرُوا جميعًا، ولكن ﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ﴾ يَعْنِي: فهلَّا نَفَر من كلِّ فرقةٍ منهم طائفةٌ.

۞ وقال: «من كلِّ فرقةٍ منهم»؛ ليَكُونَ الجهادُ موزعًا على الجميعِ، ولم يَقُلْ: فلولا نَفَر منهم طائفةٌ من كلِّ فرقةٍ من الأوسِ، من الخزرجِ، من بطونِهما، من كلِّ فرقةٍ منهم طائفةٌ ليَتفقَّهُوا في الدين.

ظاهرُ السياقِ أن التعليلَ للنافرينَ والحقيقةُ أنه للباقينَ، والضميرُ في قولِه: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ﴾ للباقينَ؛ لأن الذين يَنْفِرُونَ للجهادِ إنما يُقَاتِلُونَ. والباقونَ عند الرسولِ ﷺ هم الذينَ يَتفقَّهُونَ؛ ولهذا قال: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ﴾؛ أي: بما سمِعوا من النبيِّ ﷺ ﴿لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾.

وفي هذه الآيةِ: دليلٌ واضحٌ على أن تعلُّمَ العلمِ الشرعيِّ يُقَابِلُ، أو يُعَادِلُ الجهادَ في سبيلِ اللهِ؛ ولهذا ذهَب كثيرٌ من العلماءِ إلى أن طلبةَ العلمِ يَسْتَحِقُّونَ من الزكاةِ، وإن كان عندهم ما يَكْفِيهم، لنفقاتِهم من أجلِ طلبِ العلمِ، فيَدْخُلُونَ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ﴾ [التوبة:٦٠].

۞ وقوله: «﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾» فيه: دليلٌ على أن المدحَ إنما هو للفقهِ في الدينِ، وليس للفقه في الواقعِ، فالفقهُ في الواقعِ وسيلةٌ لتطبيقِ الأحكامِ الشرعيةِ، أما الأصلُ فهو الفقهُ في

الدينِ؛ ولهذا قال: ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ وهذا يُطَابِقُ قولَ رسولِ اللهِ ﷺ: «مَن يُرِدِ اللهُ به خيرًا يُفقِّهْهُ في الدينِ»[1]. وكثيرٌ من الناسِ اشتَغَلوا بأحوالِ العالمِ ليفْقَهُوا الواقعَ، ففاتَتْهم أوقاتٌ كثيرةٌ لو تفرَّغوا فيها للفقهِ في الدينِ لكان خيرًا لهم وأَوْلى، ونحن لا نُنْكِرُ أن يَكُونَ عند الإنسانِ فقهٌ، وعلمٌ بأحوالِ الناسِ، ولكننا نَقُولُ: خيرٌ من ذلك أن يَتفَقَّهَ في دينِ اللهِ، ثم يُطَبِّقَ الواقعَ بعد أن يَعْرِفَه، ويَحْكُمَ عليه بما يَقْتَضِيه هذا الفقهُ.

۞ قولُه: «ويُسَمَّى الرجلُ طائفةً». مع أن قولَه: ﴿مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾، ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا﴾؛ أي: الباقونَ. ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾؛ يعني: يَكْفِي رجلٌ واحدٌ أن يَتفَقَّهَ ويُنْذِرَ، واستَدَلَّ لقولِه بأن الطائفةَ تُطْلَقُ على الرجلِ الواحدِ بقولِه تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات:٩]. فلو اقتَتَل رجلانِ دخَلا في معنى الآية. فلو اقتَتَل رجلانِ، وجَب علينا أن نَمْنَعَ بعضَهما من بعضٍ، وأن نُصْلِحَ بينهما.

لكن دخولُه في الآيةِ فيه نظرٌ، وإنما يُؤْخَذُ من أدلةٍ أخرى.

۞ وجهُ النظرِ قولُه: «﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾» وهذه جمعٌ، فلابدَّ أن تكونَ الطائفةُ اثنينِ فأكثرَ، أو على الأقلِّ اثنانِ من وجهٍ، وواحدٍ من وجهٍ آخرَ؛ لِيَصْدُقَ الجمعُ.

لكنَّ اقتتالَ رجلينِ لا شكَّ أنه يَجِبُ علينا التدخلُ والمنعُ من الاقتتال، والإصلاحُ بقدرِ المستطاعِ.

۞ وقولِه تعالى: «﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾». والفاسقُ: هو الخارجُ عن طاعةِ اللهِ. وعرَّفه الفقهاءُ: بأنه من فعَل كبيرةً، لم يَتُبْ منها، أو أصرَّ على صغيرةٍ[2]، فإذا جاءنا رجلٌ معروفٌ باتهامِه بالدينِ، وعدمِ مبالاةٍ بتركِ الواجباتِ، وفعلِ المحرماتِ، فهذا فاسقٌ لا يُقْبَلُ خبرُه. ولكن هل يُرَدُّ؟

الجوابُ: لا، لا يُرَدُّ، ولا يُقْبَلُ، بل يُتَبَيَّنُ الأمرُ؛ ولهذا قال: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾؛ أي: اطلُبُوا بيانَ الواقعِ، هل هو على حسبِ ما أخبَر به هذا الفاسقُ أوْ لا؟ وهذا من الإنصافِ، ألَّا نَرُدَّ خبرَ الفاسقِ مطلقًا، ولا نَقْبَلَهُ مطلقًا؛ لأن قبولَه مطلقًا مشكلٌ؛ فهو مُتَّهَمٌ في خبرِه، وردُّه مطلقًا أيضًا مشكلٌ؛ لاحتمالِ أن يَكُونَ صادقًا.

---

(١) رواه البخاري (٧١)، ومسلم (٢/ ٧١٨) (١٠٣٨) (٩٨).

(٢) انظر: «التعاريف» (١/ ٥٥٧)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٣١٢)، و«تفسير الطبري» (٥/ ٢٦١).

۞قولُه: «وكيف بعث النبيُّ ﷺ أُمراءَه واحدًا بعدَ واحدٍ فإن سَها أحدٌ منهم رُدَّ إلى السنةِ». نعم، كان الرسولُ عليه الصلاة والسلام يَبْعَثُ بدينِ الله الرجلَ الواحدَ، وربما يُرْدِفُه بآخرَ، وربما لا يُردِفُه فإن سَها أحدٌ منهم رُدَّ إلى السُّنةِ.

إن سها؛ يَعْنِي: غَفَل فإنه يُرَدُّ إلى السُّنةِ وجوبًا.

قال ابن حجر رحمه الله في الفتح (١٣/ ٢٣٤، ٢٣٥):

۞قولُه: «وكيف بعَث النبيُّ ﷺ أُمَراءَه واحدًا بعدَ واحدٍ، فإن سَها أحدٌ منهم رُدَّ إلى السنةِ»، سَيأتِي في أواخرِ الكلامِ على خبرِ الواحدِ، بابُ: ما كان النبيُّ ﷺ يبعَثُ من الأمراءِ والرسلِ واحدًا بعدَ واحدٍ، فزادَ فيه بعثَ الرسلِ.

والمرادُ بقولِه: «واحدًا بعد واحدٍ»، تعددُ الجهاتِ المبعوثِ إليها، بتعددِ المبعوثينَ، وحمَله الكرمانيُّ على ظاهرِه، فقال: فائدةُ بعثِ الآخرِ بعدَ الأولِ ليَرُدَّه إلى الحقِّ عند سَهوِه، ولا يَخرُجُ بذلك عن كونِه خبراً واحدًا، وهو استدلالٌ قويٌّ؛ لثبوتِ خبرِ الواحدِ من فعلِه ﷺ؛ لأن خبرَ الواحدِ لو لم يَكفِ قبولُه ما كان في إرسالِه معنًى.

وقد نبَّه عليه الشافعيُّ أيضًا، كما سَأذكُرُه، وأيَّده بحديثِ «لِيُبلغِ الشاهدُ الغائبَ» وهو في الصحيحينِ، وبحديثِ: «نَضَّرَ اللهُ امرءًا سمِع مني حديثًا فأدَّاه» وهو في السننِ. واعترَضَ بعضُ المخالفينَ بأن إرسالَهم إِنَّمَا كَانَ لِقَبضِ الزَّكَاة وَالفُتيَا وَنَحو ذَلِكَ وَهِيَ مُكَابَرَة ، فَإِنَّ العِلمَ حَاصِلٌ بِإِرسَالِ الأُمَرَاء لِأَعَمَّ مِن قَبض الزَّكَاة وَإِبلَاغ الأَحكَام وَغَير ذَلِكَ ، وَلَو لَم يَشتَهِر مِن ذَلِكَ إِلَّا تَأمِير مُعَاذ بن جَبَل وَأَمرهُ لَهُ وَقَوله لَهُ: إِنَّك تَقدَمُ عَلَى قَومٍ أَهلِ كِتَابٍ فَأَعلِمهُم أَنَّ الله فَرَض عَلَيهِم...إلخ.

وَالأَخبَارُ طَافِحَةٌ بِأَنَّ أَهلَ كُلِّ بَلَدٍ مِنهُم كَانُوا يَتَحَاكَمُونَ إِلَى الَّذِي أُمِّرَ عَلَيهِم، وَيَقبَلُونَ خَبَره، وَيَعتَمِدُونَ عَلَيهِ مِن غَيرِ التِفَاتٍ إِلَى قَرِينَةٍ، وَفِي أَحَادِيثِ هَذَا البَابِ كَثِيرٌ مِن ذَلِكَ.

وَاحتَجَّ بَعضُ الأَئِمَّةِ بِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة:٦٧]. مَعَ أَنَّهُ كَانَ رَسُولًا إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَيَجِبُ عَلَيهِ تَبلِيغُهم ، فَلَو كَانَ خَبَر الوَاحِدِ غَير مَقبُولٍ لَتَعَذَّرَ إِبلَاغُ الشَّرِيعَةِ إِلَى الكُلِّ ضَرُورَةً؛ لِتَعَذُّرِ خِطَابِ جَمِيع النَّاس شِفَاهًا ، وَكَذَا تَعَذُّرِ إِرسَالِ عَدَد التَّوَاتُرِ إِلَيهِم وَهُوَ مَسلَكٌ جَيِّدٌ يَنضَمُّ إِلَى مَا احتَجَّ بِهِ الشَّافِعِيُّ ثُمَّ البُخَارِيُّ، وَاحتَجَّ مَن رَدَّ خَبَر الوَاحِد بِتَوَقُّفِهِ ﷺ فِي قَبُولِ خَبَرِ ذِي اليَدَينِ وَلَا حُجَّةَ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ عَارَضَ

عِلمَه، «وَكُلّ خبرَ وَاحِدٍ إِذَا عَارَضَ العِلمَ لَم يُقبَل»، وَبِتَوَقُّفِ أَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ فِي حَدِيثَي المُغِيرَةِ «فِي الجَدَّةِ وَفِي مِيرَاثِ الجَنِين» حَتَّى شَهِدَ بِهِمَا مُحَمَّدُ بنُ مَسلَمَةَ، وَبِتَوَقُّفِ عُمَرَ فِي خَبَرِ أَبِي مُوسَى فِي الِاستِئذَانِ حَتَّى شَهِدَ أَبُو سَعِيدٍ، وَبِتَوَقُّفِ عَائِشَةَ فِي خَبَرِ ابنِ عُمَرَ «فِي تَعذِيبِ المَيِّت بِبُكَاءِ الحَيّ».

وَأُجِيبَ: بِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا وَقَعَ مِنهُم إِمَّا عِندَ الِارتِيَابِ كَمَا فِي قِصَّةِ أَبِي مُوسَى، فَإِنَّهُ أَورَدَ الخَبَرَ عِند إِنكَارِ عُمَرَ عَلَيهِ رُجُوعَه بَعدَ الثَّلَاثِ وَتَوَعَّده فَأَرَادَ عُمَرُ الِاستِثبَاتَ خَشيَةَ أَن يَكُونَ دَفَعَ بِذَلِكَ عَن نَفسِه، وَقَد أَوضَحتُ ذَلِكَ بِدَلَائِلِهِ فِي «كِتَاب الِاستِئذَان» وَأَمَّا عِندَ مُعَارَضَةِ الدَّلِيلِ القَطعِيِّ كَمَا فِي إِنكَارِ عَائِشَةَ حَيثُ استَدَلَّت بِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾ وَهَذَا كُلُّه إِنَّمَا يَصِحُّ أَن يَتَمَسَّكَ بِهِ مَن يَقُولُ: لَا بُدَّ مِن اثنَينِ عَن اثنَينِ، وَإِلَّا فَمَن يَشتَرِطُ أَكثَرَ مِن ذَلِكَ فَجَمِيعُ مَا ذُكِرَ قَبلَ عَائِشَةَ حُجَّةٌ عَلَيهِ؛ لِأَنَّهُم قَبِلُوا الخَبَرَ مِن اثنَينِ فَقَط، وَلَا يَصِلُ ذَلِكَ إِلَى التَّوَاتُرِ، وَالأَصلُ عَدَمُ وُجُودِ القَرِينَةِ؛ إِذ لَو كَانَت مَوجُودَةً مَا احتِيجَ إِلَى الثَّانِي، وَقَد قَبِلَ أَبُو بَكرٍ خَبَرَ عَائِشَةَ فِي أَنَّ «النَّبِيّ ﷺ مَاتَ يَوم الِاثنَينِ» وَقَبِلَ عُمَرُ خَبَرَ عَمرِو بنَ حَزمٍ فِي أَنَّ «دِيَة الأَصَابع سَوَاءٌ» وَقَبِلَ خَبر الضَّحَّاكِ بنِ سُفيَان فِي «تَورِيث المَرأَةِ مِن دِيَةِ زَوجِهَا»، وَقَبِلَ خَبَرَ عَبدِ الرَّحمَنِ بنِ عَوفٍ فِي «أَمر الطَّاعُون، وَفِي أَخذِ الجِزيَةِ مِن المَجُوسِ»، وَقَبِلَ خَبَر سَعدِ بن أَبِي وَقَّاصٍ فِي «المَسح عَلَى الخُفَّينِ»، وَقَبِلَ عُثمَانُ خَبَرَ الفُرَيعَةِ بِنتِ سِنَانٍ أُختِ أَبِي سَعِيدٍ فِي «إِقَامَة المُعتَدَّة عَن الوَفَاة فِي بَيتِهَا» إِلَى غَير ذَلِكَ.

وَمِن حَيثُ النَّظَرِ أَنَّ الرَّسُولَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَعَثَ لِتَبلِيغِ الأَحكَامِ وَصِدقُ خَبَرِ الوَاحِد مُمكِنٌ، فَيَجِبُ العَمَلُ بِهِ احتِيَاطًا، وَأَنَّ إِصَابَة الظَّنِّ بِخَبَرِ الصَّدُوقِ غَالِبَةٌ، وَوُقُوعَ الخَطَأ فِيهِ نَادِرٌ فَلَا تُترَك المَصلَحَةُ الغَالِبَةُ خَشيَةَ المَفسَدَةِ النَّادِرَةِ، وَأَنَّ مَبنَى الأَحكَام عَلَى العَمَلِ بِالشَّهَادَةِ وَهِيَ لَا تُفِيدُ القَطعَ بِمُجَرَّدِهَا، وَقَد رَدَّ بَعضُ مَن قَبِلَ خَبَر الوَاحِدِ مَا كَانَ مِنهُ زَائِدًا عَلَى القُرآنِ، وَتُعُقِّبَ بِأَنَّهُم قَبِلُوهُ فِي وُجُوب غَسل المَرفِقِ فِي الوُضُوءِ؛ وَهُوَ زَائِدٌ، وَحُصُولُ عُمُومِه بِخَبَرِ الوَاحِدِ كَنِصَابِ السَّرِقَةِ، وَرَدَّهُ بَعضُهم بِمَا تَعُمُّ بِهِ البَلوَى وَفَسَّرُوا ذَلِكَ بِمَا يَتَكَرَّرُ، وَتُعُقِّبَ بِأَنَّهُم عَمِلُوا بِهِ فِي مِثل ذَلِكَ، كَإِيجَابِ الوُضُوءِ بِالقَهقَهَةِ فِي الصَّلَاةِ، وَبِالقَيءِ وَالرُّعَافِ، وَكُلُّ هَذَا مَبسُوطٌ فِي أُصُولِ الفِقه، اكتَفَيتُ هُنَا بِالإِشَارَةِ إِلَيهِ. وَجُملَةُ مَا ذَكَرَهُ المُصَنِّفُ هُنَا اثنَانِ وَعِشرُونَ حَدِيثًا. اهـ

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٢٤٦ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ الْحُوَيْرِثِ، قَالَ: أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَفِيقًا فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا، أَوْ قَدِ اشْتَقْنَا سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا فَأَخْبَرْنَاهُ، قَالَ: «ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ -وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لَا أَحْفَظُهَا- وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ»[١].

۞ هذا الحديثُ يَقُولُ: «أَتَيْنَا النبيَّ ﷺ»؛ يَعْنِي: في عامِ الوفودِ، ونحن شَبَبَةٌ متقاربونَ؛ يَعْنِي: شبابًا، والشبابُ إلى سنِّ الثلاثينَ، ومنها إلى الأربعينَ: كهلٌ.

۞ يَقُولُ: «فأَقَمنا عنده عشرينَ ليلةً». أقاموا عنده يَتعَلَّمونَ منه، من قولِه، وفعلِه، وإقرارِه، وليست إقامةَ نزهةٍ، ولكنَّها إقامةُ علمٍ.

۞ يَقُولُ: «وكان رسولُ اللهِ ﷺ رفيقًا»، ورفيقًا من الرفقِ، وهذه الجملةُ لِيَنْبَنِي عليها ما بَعْدَها؛ وهي قولُه: فلما ظنَّ أنَّا قد اشْتَهينا أَهْلَنا، أو قد اشْتَقْنا أَهْلَنا، سَأَلَنا عمن تَرَكْنا بعدنا، فأَخْبَرناه؛ يَعْنَي: تَرَكْنا الأمَّ، الولدَ، البنتَ، الزوجةَ، وما أشبهَ ذلك، فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «ارجعُوا إلى أَهْليكم» فأَمَرَهم أن يَرْجِعوا إلى أَهْلِيهم مع أنهم أقَامُوا للعلمِ.

وهذا الحديثُ فيه فوائدُ، منها: أن الوافدَ يَنْبَغِي له أن يُقِيمَ عند الموفودِ إليه مدَّةً يَسْتَفِيدُ منها، فلا يَكْفِي اليومانِ والثلاثةُ، بل يَنْبَغِي أن يُقِيمَ أكثرَ من ذلك، حتى يَسْتَفِيدَ من الوفادةِ.

ومن فوائدِه: هذا الخُلُقُ العظيمُ لرسولِ اللهِ ﷺ؛ وهو أنه رفيقٌ بأمتِه، وقد أَخْبر ﷺ: «أن اللهَ يُعْطِي بالرفقِ ما لا يُعْطِي على العنفِ»[٢].

ومنها: العملُ بالظنِّ؛ لقولِه: فلما ظنَّ أنَّا قد اشْتَقْنا أَهْلَنا. وهذا مما توافرت فيه الأدلةُ الشرعيةُ؛ على العملِ بالظنِ، ولكن لابدَّ له من قرائنَ تُؤَيِّدُه[٣].

ومنها: عنايةُ النبيِّ ﷺ بأمتِه، وأصحابه حيثُ سَأَلَهم من تَرَكُوا بعدهم.

---

(١) رواه مسلم (١/ ٤٦٥) (٦٧٤) (٦٩٢).

(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٠٠٣) (٢٥٩٣) (٧٧).

(٣) تقدم بحث هذه المسألة في كلام الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ قريبًا.

ومنها: أنه يَنْبَغِي للإنسانِ أن يَكُونَ عند أهلِه، إلا إذا دَعَتِ الحاجةُ إلى سفرِه عنهم؛ لقولِه: ارْجِعُوا إلى أهلِيكم فأَقِيمُوا فيهم.

ومنها أيضًا: أنه يَنْبَغِي لمن كَان في أهلِه أن يُعَلِّمَهم حسبَ ما تَتَحَمَّلُه عقولُهم، فالصغارُ لهم طريقةٌ في التعليمِ، والكبارُ لهم طريقةٌ؛ لقولِه: عَلِّمُوهم.

ومنها: أن للإنسانِ سلطةٌ على أهلِه في الأمرِ من قولِه: ومُرُوهم.

۞ قال: «وذكَر أشياءَ أحفظُها أو لا أَحْفَظُها». «أو» هذه للتنويعِ؛ يعني: بعضَها أَحْفَظُها، وبعضَها لا أَحْفَظُها.

ومنها: الأمرُ بأن نُصَلِّيَ كما صلَّى؛ لقولِه: «**صلُّوا كما رَأَيْتُموني أُصَلِّي**». والتشبيهُ هنا عائدٌ على الكيفيةِ، وليس عائدًا على العددِ، وبه يُبَيَّنُ ضعفُ مَن استدلَّ بهذا الحديثِ على أنه لا يُزَادُ في صلاةِ الليلِ على إحدى عشرةَ ركعةً أو ثلاثَ عشرةَ ركعةً؛ وذلك لأن هؤلاءِ لا نَعْلَمُ أنهم كانوا يَعْلَمُونَ كما عددَ صلاتِه في الليل، وإنما يُشَاهِدُونَ كيفيةَ صلاتِه، فالتشبيهُ هنا عائدٌ على الكيفيةِ، ثم هذا الأمرُ بحسبِ المأمورِ؛ قد يَكُونُ للوجوبِ، وقد يَكُونُ للاستحبابِ، فما كان من أمرِ الصلاةِ واجبًا فالاقتداءُ بالنبيِّ ﷺ فيه واجبٌ، وما كان مستحبًّا فهو مستحبٌّ.

ومن فوائدِ هذا الحديثِ: أن الأذانَ إنما يَكُونُ عند حلولِ الصلاةِ وقتًا وفعلًا، فيُؤَذَّنُ إذا دخَل الوقتُ؛ لأنها حَضَرت، وإذا كانتِ الصلاةُ مما يُسَنُّ تأخيرُها، فإنه يُؤَذَّنُ لها عند إرادةِ فعلِها بعد دخول الوقتِ وإذا كانت الصلاةُ فعِلت بعد الوقتِ لعذرٍ؛ فإنها قد حَضَرت، فيُؤَذَّنُ لها، فهذه ثلاثةُ أحوالٍ:

الأولى: ما يُسَنُّ تقديمُه من الصلواتِ فيُؤَذَّنُ له عند دخولِ الوقتِ.

والثانيةُ: ما يُسَنُّ تأخيرُه في وقتِه، يُؤَذَّنُ له عند فعلِه.

والثالثةُ: ما كان مقضيًّا؛ أي: بعد الوقتِ، فإنه يُؤَذَّنُ له أيضًا عند فعلِه، وكلُّ هذا له أدلةٌ من السنةِ.

* أما الأولُ: فقد كان بلالٌ رضي الله عنه يُؤَذِّنُ في المدينةِ إذا دخَل الوقتُ[1]، وإذا طلَع الفجرُ أذَّن[2]، وإذا غرُبتِ الشمسُ أذن، وهكذا.

---

(١) وذلك لما رواه البخاري (٦٣١)، ومسلم (٦٧٤) من قول النبي ﷺ لمالك بن الحويرث: «**إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم**».

(٢) ذلك لما رواه البخاري (٦٢٢)، ومسلم (١٠٩٢) من قول النبي: «**إن بلال لا يؤذن بالليل، فكلوا**

* وأما الثاني: فدليلُه ما ثَبت في صحيحِ البخاريِّ أن النبيَّ ﷺ كان في سفرٍ فقام بلالٌ ليُؤَذِّنَ فقال: «أَبْرِدْ». ثم قام لِيُؤَذِّنَ، فقال: «أَبْرِدْ». فلما رَأوا فَيْءَ التلولِ أو حتى إذا سَاوَى التلُّ فَيْأَهُ أَمَره فأَذَّنَ[1].

* وأَمَّا الثالثُ: فحديثُ أبي قَتادةَ في نومِهم عن صلاةِ الصبحِ، فإنهم حين اسْتَيْقَظُوا من الشمسِ، وتَرَكُوا مكانَهم نَزَلوا، ثم أَذَّن بلالٌ[2]. وكلُّ هذا داخلٌ تحتَ قولِه: «فإذا حَضَرتِ الصلاةُ».

ومن فوائدِ هذا الحديث: أن الأذانَ قبلَ الوقتِ لا يَصِحُّ؛ لأن الصلاة لا تَحْضُرُ قبلَ دخولِ وقتِها.

ومن فوائدِ هذا الحديثِ: أن الأذانَ فرضُ كفايةٍ، وليس فرضَ عينٍ؛ لقوله: «فَلْيُؤَذِّنْ لكم أحدُكم». وهذا شيءٌ مجمعٌ عليه فليس كلُّ الناسِ يُؤَذِّنُونَ بل الذي يؤَذِّنُ واحدٌ.

ومن فوائدِ الحديثِ: أنه لابدَّ أن يَرْفَعَ المؤذنُ صوتَه بحيث يَسْمَعُه من أُذِّن له؛ لقولِه: «فَلْيُؤَذِّنْ لكم». فلو كان الناسُ في ناحيةٍ، وخفض المؤذنُ صوتَه حتى لا يُسْمَعُ، فإنه لا يُجْزِئُ، لابدَّ أن يَسْمَعَ من تَحْصُلُ به الجماعة.

ومن فوائدِ هذا الحديثِ: أن متابعةَ المؤذنِ لا تَجِبُ، فيَكُونُ مُبَيِّنًا لقولِ النبيِّ ﷺ: «إذا سمِعتم المؤذنَ فقُولُوا مثلما يَقُولُ المؤذنُ»[3] وأن هذا الأمرَ ليس للوجوبِ، ولكنه للاستحبابِ؛ لأنه لو كانت إجابةُ المؤذنِ واجبةً لبلَّغهم الرسولُ عليه الصلاة والسلام حين قال: «فَلْيُؤَذِّنْ لكم أحدُكم». وقال: «وليُتَابِعه من سمِعه»؛ لأن المقامَ هنا مقامُ تعليمٍ؛ فهؤلاءِ وفدٌ يُرِيدُونَ يَذْهَبُوا بالشريعةِ من عندِ رسولِ الله ﷺ.

ومن فوائدِ هذا الحديث: أن مَن قام بالأذانِ كان له أجرٌ، حيث أَذَّن لإخوانِه، ولنفسِه أيضًا، وقد اخْتَلَفَ العلماءُ أَيُّهما أفضلُ فرضُ العينِ أو فرضُ الكفاية؟[4].

والصحيح: أن فرضَ العينِ أفضلُ؛ ولهذا أَوجَبَه الله على كلِّ واحدٍ، وهو أفضلُ وأحبُّ إلى الله.

=

واشربوا حتى ينادي ابن أم مكتوم»

(١) رواه البخاري (٥٣٩)، ومسلم (١/ ٤٣١) (٦١٦) (١٨٤).

(٢) رواه مسلم (١/ ٤٧٢) (٦٨١) (٣١١).

(٣) رواه البخاري (٦١١)، ومسلم (١/ ٢٨٨) (٣٨٣) (١٠).

(٤) انظر: «القواعد والفوائد الأصولية» (١/ ١٨٨)، و«التمهيد» (١/ ٧٥).

ومن فوائدِ هذا الحديثِ: وجوبُ صلاةِ الجماعةِ؛ لقولِه: «وَلْيَؤُمَّكُم أكبرُكم». ولا إمامةَ إلا بجماعةٍ، فإذا كانتِ الإمامةُ واجبةً، فما لا يَتِمُّ الواجبُ إلا به فهو واجبٌ.

ومن فوائدِ هذا الحديثِ: تقديمُ الأكبرِ في الإمامةِ، لكن ما لم يُعارِضْهُ وصفٌ أهمُّ، فالكبرُ وصفٌ مرجِّحٌ، ولكن إذا عورِض بوصفٍ أهمَّ، صار مرجوحًا، الوصفُ الأهمُّ ما ثبت عن النبيِّ ﷺ في قوله: «يَؤُمُّ القومَ أَقْرَؤهم لكتابِ الله، فإن كانوا في القراءةِ سواءً، فَأَعْلَمُهم بالسنةِ، فإن كانوا في السنةِ سواءً فأقْدمُهم هجرةً، فإن كانوا في الهجرةِ سواءً فأقْدَمُهم سِلمًا» أو قال: سِنًّا[1].

فإذا قال قائلٌ: لماذا لم يُبيِّنْ في هذا الحديث، وأنتم تقولُونَ إن البيانَ في هذا الموضعِ مهمٌّ؛ لأن هؤلاء وفدٌ سَيَذْهَبُونَ بالشريعةِ؟

قلنا: لأنهم كانوا كما قال مالكٌ: شَبَبَةً متقاربينَ. وكان علمُهم متقاربًا؛ لأنهم جاءُوا جميعًا، ورجَعوا جميعًا، فكأن النبي ﷺ علمًا بأنهم مُتساوونَ، أو متقارِبُونَ في القراءةِ والسُّنةِ، فقال: «وَلْيَؤُمَّكم أكبرُكم».

وفي هذا: إشارةٌ إلى مكانِ الإمامِ وأنه يَكُونُ أمامَ الناسِ؛ لأن الإمامَ لابدَّ له من تقدُّمٍ، حتى يَكُونَ إمامًا يُقْتَدَى به، ويُسْتَثْنَى من ذلك ما إذا كانوا اثنينِ، فإن الإمامَ يَكُونُ مع المأمومِ، وذلك لوجوبِ المُصافَّةِ؛ لأنه لا جماعةَ إلا باجتماعٍ، فإذا كانوا اثنينِ وتقدَّمَ واحدٌ وتأخَّر واحدٌ، فهل في هذا اجتماعٌ؟

الجوابُ: لا. وإذا كانوا جميعًا اثنينِ، فإنهما يَتَساوِيانِ في الصفِّ، خلافًا لمن استحبَّ أن يَتقَدَّمَ الإمام شيئًا يسيرًا، فإن هذا خلافَ السنةِ، والسنةُ هي تسويةُ الصفوفِ.

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٢٤٧- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ أَذَانُ بِلَالٍ مِنْ سَحُورِهِ؛ فَإِنَّهُ يُؤَذِّنُ -أَوْ قَالَ يُنَادِي- بليلٍ لِيَرْجِعَ قَائِمَكُمْ وَيُنَبِّهَ نَائِمَكُمْ، وَلَيْسَ الْفَجْرُ أَنْ يَقُولَ هَكَذَا. وَجَمَعَ يَحْيَى كَفَّيْهِ حَتَّى يَقُولَ

---

(١) رواه مسلم (١/ ٤٦٥) (٦٧٣) (٢٩٠).

هَكَذَا، وَمَدَّ يَحْيَى إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَتَيْنِ[١].

الشاهدُ من هذا: أن الرسولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اعتبر خبرَ الواحدِ؛ لأنه قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **«لا يَمْنَعَنَّ أحدَكم أذانُ بلالٍ من سَحورِه»**. فدلَّ ذلك على أن المؤذن يُقْبَلُ قولُه، فيُمْنَعُ من السحورِ أو لا يُمْنَعُ.

وفي هذا **الحديثِ**: دليلٌ على ردِّ قولِ بعضِ العلماء: إن صلاةَ الفجرِ يُؤَذَّنُ لها قبلَ الوقتِ، كما أن ذلك في الحديثِ الأولِ أيضًا؛ وهو الحديثُ الذي قبلَ حديثِ مالكٍ؛ لأن النبيَّ ﷺ بيَّن الحكمةَ من أذانِ بلالٍ وقال: **«لِيُرْجِعَ قائمَكم، ويُنَبِّهَ نائمَكم»**، فليس هو لصلاة الفجرِ، بل هو لهذا الغرضِ.

وفيه: دليلٌ أيضًا على خطأ مَن فهم من قولِ الرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لبلالٍ: **«إذا أذَّنت أذانَ الصبحِ الأولِ فقُل: الصلاةُ خيرٌ من النوم»**[٢] حيث إن قوله: **«الصلاةَ خيرٌ من النوم»** إنما تُقَالُ في الأذانِ الذي في آخرِ الليلِ؛ لأننا نَقُولُ: هذا ليس أذانًا لصلاةِ الصبحِ، هذا أذانٌ لإرجاعِ القائمِ وتنبيهِ النائمِ، قالوا: ويَدُلُّ لقولنا أنه قال: الصلاةُ خيرٌ من النومِ، والخيريةُ في المستحب.

فهؤلاءِ نقُولُ لهم: هذا خطأٌ وجهلٌ، فالخيريةُ جاءَت بأصلِ الإيمانِ، وفرائضِ الإسلامِ، قال الله تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الصف:١١]. وذلكم المشارُ إليه هو الإيمانُ والجهادُ، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الجمعة:٩]. وهي فريضةٌ من فرائض الإسلامِ.

فلهذا لا شكَّ أن هذا القولَ خطأٌ؛ أي: قولُهم: إن الذي يُشْرَعُ فيه قول: الصلاةُ خيرٌ من النومِ. هو الأذانُ الذي في آخرِ الليل، وليس لهم دليلٌ إلا أنهم قالوا: الأذانُ الأولُ. ولكنَّ الأذانَ الأولَ هو الذي ثانيه الإقامةُ، فإن الإقامةَ يُطْلَقُ عليها الأذانُ كما في الحديث: **«بين كلِّ أذانين صلاةٌ»**[٣]. وكما في صحيحِ البخاريِّ قال: «فزَادَ عثمانُ الأذانَ الثالثَ يومَ الجمعةِ»[٤].

---

(١) رواه مسلم (٢/ ٧٦٨) (١٠٩٣) (٣٩).

(٢) رواه أحمد (٣/ ٤٠٨) (١٥٣٧٩)، وأبو داود (٥٠٠)، وابن حبان (١٦٨٢)، وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

(٣) رواه البخاري (٦٢٤)، ومسلم (١/ ٥٧٣) (٨٣٨) (٣٠٤).

(٤) رواه البخاري (٩١٣).

ومعلومٌ أن يومَ الجمعةِ ليس فيها ثلاثُ أذاناتٍ، بل فيه أذانانِ وإقامةٌ.

مسألةٌ: السؤال عن أذان أخر الليل قبل دخول وقت الفجر؟

الجوابُ: ظاهرُ السنةِ في هذا الأذانِ أنه في رمضانَ فقط، ولكن ذهب بعضُ العلماءِ إلى أنه يُشْرَعُ حتى في غيرِ رمضانَ؛ لأن الرسولَ ﷺ علَّل بعلتينِ:

الأولى: إرجاعُ القائم[1].

والثانيةُ: تنبيهُ النائمِ. وهذا يَكُونُ في كلِّ ليلةٍ لمن أراد أن يَصُومَ، ومَن لم يَصُمْ ففيه التنبيهُ؛ أي: تنبيهُ النائمِ.

ومن المعلومِ أن هناك فجرين: فجرًا صادقًا، وفجرًا كاذبًا، وبينهما ثلاثةُ فروقٍ:

الفرق الأول: أن الفجرَ الصادقَ يَتَّسِعُ شمالًا وجنوبًا، والكاذبُ يَذْهَبُ مستطيلًا في الأفقِ طولًا من الشرقِ إلى الغربِ، وذاك من الجنوبِ إلى الشمالِ، فالصادقُ مستطيرٌ، والكاذبُ مستطيلٌ.

الفرقُ الثاني: أن الفجرَ الكاذبَ بينه وبين الأفقِ ظلمةٌ؛ يعني: النورُ فيه لا يَتَّصِلُ بالأفقِ، والصادقَ يَتَّصِلُ بالأفقِ.

الفرقُ الثالثُ: أن الكاذبَ يَزُولُ ويَحْدُثُ بعده ظلمةٌ، ولهذا سمِّي كاذبًا والصادقُ لا يَزُولُ، بل لا يَزَالُ يَزْدَادُ ضياءً حتى تَطْلُعَ الشمسُ.

فإذا قَالَ قائلٌ: هل يُسْتَدَلُّ بهذا الحديثِ على أن قيامَ الليلِ يَنْتَهي بالأذانِ الذي في آخرِ الليلِ؟

الجوابُ: أنه لا يَدُلُّ على هذا، ولكن يَدُلُّ على أنه يَنْبَغِي تأخيرُ السحورِ بعدَ القيامِ، وأن الأفضلَ لمن أرادَ أن يَصُومَ أن يَكُفَّ عن القيامِ من أجلِ السحورِ، والراجحُ في قيامِ الليلِ أنه يَنْتَهِي إلى الفجرِ، لكنَّ الأفضلَ منه ثلثُ الليلِ بعدَ النصفِ، فيَنَامُ النصفَ الأولَ، ثم يَقُومُ الثلثَ، ثم يَنَامُ السُّدُسَ.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٢٤٨ - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ دِينَارٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ بِلَالًا يُنَادِي بِلَيْلٍ

---

(١) انظر: «المبدع» لابن مفلح (١/ ٣٢٥).

فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُنَادِيَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ»[1].

هذا الحديثُ: كالأولِ، إلا أنه أَصْرَحُ في أن أذانَ المؤذنِ يَجِبُ العملُ به في الامتناعِ عن الأكلِ والشربِ، وكان ابنُ أُمِّ مكتومٍ رجلًا أَعْمَى لا يُؤَذِّنُ حتى يُقَالَ له: أَصْبَحْتَ أَصْبَحْتَ[2]، ثم يَقُومُ فيُؤَذِّنُ.

وفي هذا: دليلٌ على خطأ اجتهادِ بعضِ الناسِ المُتَعَمِّقِينَ المُتَنَطِّعينَ الذين يُؤَذِّنُونَ في رمضانَ للفجرِ قبلَ دخولِ الوقتِ، زعَموا أن ذلك حمايةٌ للصومِ، واحتياطٌ للصومِ، وهذا ليس احتياطًا للصومِ، فالمشروعُ في الصومِ أن تَتَسَحَّرَ إلى طلوعِ الفجرِ.

ثم على زعمِك أنه احتياطٌ للصومِ، ففيه تفريطٌ في الصلاةِ؛ لأن من سمِع النداءَ فربما يَقُومُ فيُصَلِّي، فيَكُونُ قد صلَّى قبلَ الوقتِ، ثم إن فيه جنايةً على عبادِ اللهِ؛ لأنك تَمْنَعُهم مما أحلَّ اللهُ لهم إلى الفجرِ، فإن أكثرَ الناسِ إذا سمِعوا النداءَ أمسَكُوا، بل رأيتُ في بعضِ التقاويمِ يُكْتَبُ الوقتُ كذا للإمساكِ، وكذا طلوعُ الفجرِ، ويُجْعَلُ بين الإمساكِ وطلوعِ الفجرِ خمسَ دقائقَ، أو نحوها، وهذا لا شكَّ أنه من المضادةِ لحكمِ اللهِ، فكيف يَقُولُ اللهُ عَجَلَ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ﴾ [البقرة:١٨٧]. وأنت تَقولُ: كُلْ وَاشْرَبْ حتى يَبْقَى خمسُ دقائقَ، و نحوُها؟ ولكن هلَك المُتَنَطِّعُونَ.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٢٤٩ - حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ الْحَكَمِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: صَلَّى بِنَا النَّبِيُّ ﷺ الظُّهْرَ خَمْسًا، فَقِيلَ: أَزِيدَ فِي الصَّلَاةِ؟ قَالَ: «وَمَا ذَاكَ» قَالُوا: صَلَّيْتَ خَمْسًا. فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ بَعْدَ مَا سَلَّمَ[2].

۞ فهنا كلمةُ «قالوا» يُحْتَمَلُ أن القائلَ واحدٌ، ويُحْتَمَلُ أنه أكثرُ فليس في الحديثِ ما يَدُلُّ على قَبولِ خبرِ الواحدِ في مثلِ هذه المسألةِ.

****

(١) رواه مسلم (٢/ ٧٦٨) (١٠٩٢) (٣٦).
(٢) رواه البخاري (٦١٧).
(٢) رواه مسلم (١/ ٤٠١) (٥٧٢) (٩١).

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٢٥٠ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، انْصَرَفَ مِنَ اثْنَتَيْنِ، فَقَالَ لَهُ ذُو الْيَدَيْنِ: أَقَصُرَتِ الصَّلَاةُ يَا رَسُولَ اللهِ أَمْ نَسِيتَ؟ فَقَالَ: «أَصَدَقَ ذُو الْيَدَيْنِ»، فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ. فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ كَبَّرَ، ثُمَّ سَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ، ثُمَّ رَفَعَ، ثُمَّ كَبَّرَ فَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ ثُمَّ رَفَعَ[1].

هنا استدلَّ بعضُ العلماءِ؛ أي: بهذا الحديثِ على أنه لا يُرْجَعُ إلى قولِ الواحدِ؛ لأن النبيَّ ﷺ لم يَرْجِعْ إلى قولِ ذي اليدينِ حتى سَأَل الصحابة[2]، ولكن لا دليلَ فيه؛ لأن عند النبيِّ ﷺ يقينًا -في ظنِّه- أنه لم يُنْقِصْ، ودليلُ ذلك أنه لما قال له ذو اليدينِ: أَنَسِيت أم قُصِرَتِ الصلاةُ؟ قال: لم أَنْسَ ولم تُقْصَرْ.

وهذا يَدُلُّ على أن عنده يقينًا في أنه لم يَنْسَ، فإذا كان عند الإنسانِ يقينٌ، وحدَّثه أحدٌ بخلافِ يقينِه، فلابدَّ من مُرَجِّحٍ، فلهذا سَأَل الصحابةَ، فلما وافقُوا ذا اليدينِ أتمَّ الصلاةَ.

وفي هذا الحديثِ: أن سجودَ السهوِ يَكُونُ بعد السلامِ؛ لأن هذه زيادةٌ، وسجودِ السهوِ إنما يَكُونُ في الزيادةِ بعد السلامِ.

فلو قال قائلٌ: هذه ليستَ زيادةً، بل هي نقصٌ؟

قلنا: بل هي زيادةٌ؛ لأن الإنسانَ سلَّم؛ أي: أتى بركنٍ في غيرِ محلِّه، وعليه فيَكُونُ مطابقًا لما دلَّ عليه حديثُ ابنِ مسعودٍ الذي قبلَه، بأن سجودَ السهوِ للزيادةِ يكونُ بعدَ السلامِ.

وهناك أيضًا مسألةٌ أخرى يَكُونُ سجودُ السهوِ فيها بعدَ السلامِ: وهي ما إذا شكَّ في عددِ الركعاتِ، وترجَّح عنده أحدُ الأمرينِ، فإنه يَأْخُذُ بالراجحِ ويُتِمُّ عليه، ويَسْجُدُ بعدَ السلامِ، كما لو شكَّ هل صلَّى ثلاثًا أم اثنتينِ، وترجَّح عنده أنها اثنتانِ، فإنه يُكَمِّلُ على الثنتينِ ويُسَلِّمُ، ويَسْجُدُ بعدَ السلامِ.

أما الذي قبلَ السلامِ ففي موضعينِ:

الموضعُ الأولُ: إذا نقَص واجبٌ من واجباتِ الصلاةِ، أو شكَّ مع الترددِ وعدمِ

---

(١) رواه مسلم (١/ ٤٠٣) (٥٧٣) (٩٧).

(٢) انظر: «الأحكام للآمدي» (٢/ ٧٩)، و«المحصول» (٤/ ٦٠١)، و«المستصفى» (١/ ١٢٢)، و«روضة الناظر» (١/ ١١٠).

الترجيح، فإذا نقص واجبٌ من واجباتِ الصلاةِ كالتشهدِ الأولِ، أو قولِ سبحانَ ربِّيَ الأعلَى فإن صلاتَه صحيحةٌ، ويَسْجُدُ قبل السلامِ.

والموضع الثاني: إذا شكَّ مع الترددِ، فإنه يبني على اليقينِ وهو الأقلُّ، وسجَد قبلَ السلامِ.

فصار السجودُ قبلَ السلامِ في موضعينِ، والسجودُ بعدَ السلامِ في موضعينِ.

***

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٢٥١ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: بَيْنَا النَّاسُ بِقُبَاءٍ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآنٌ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ فَاسْتَقْبِلُوهَا وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّامِ فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْكَعْبَةِ[1].

٧٢٥٢ - حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُوَجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ [البقرة:١٤٤]. فَوُجِّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ وَصَلَّى مَعَهُ رَجُلٌ الْعَصْرَ، ثُمَّ خَرَجَ فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: هُوَ يَشْهَدُ أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّهُ قَدْ وُجِّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ فَانْحَرَفُوا وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ[2].

هذا كالأولِ فيه دليلٌ على قَبولِ خبرِ الواحدِ.

وفي هذين الحديثين: أن المسألةَ وقَعت في قضيَّتينِ: في صلاةِ العصرِ، وفي صلاةِ الفجرِ.

أمَّا التي في صلاةِ العصرِ: فإنهم لم يَفُتْهم إلا صلاةٌ واحدةٌ فقط؛ لأن هذا الرجلَ صلَّى مع النبي ﷺ العصرَ، وكانت أولُ صلاةٍ صلَّاها إلى القبلةِ هي صلاةُ العصرِ.

والقضيةُ الثانيةُ: أن أهلَ قباءٍ لم يأتِهم الخبرُ إلا في صباحِ اليوم الثاني، فكانوا يُصلُّونَ إلى بيتِ المقدسِ؛ لأن النبي ﷺ أولَ ما قدِم المدينةَ كان يُصلِّي إلى بيتِ المقدسِ؛ لقولِ الله

---

(١) رواه مسلم (١/ ٣٧٥) (٥٢٦) (١٣).
(٢) رواه مسلم (١/ ٣٧٤) (٥٢٥) (١١).

تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام:٩٠]. وكانَ اليهودُ يُصلُّونَ إلى بيتِ المقدسِ، هكذا زعَم بعضُ العلماءِ، ولكنَّ الصحيحَ أن اتجاهَ الأنبياءِ في صلاتِهم إلى الكعبةِ، وأن الصلاةَ إلى بيتِ المقدسِ من تحريفِ اليهودِ، كما أن الصلاةَ إلى المشرقِ من تحريفِ النصارى، وإلا فإن الكعبةَ قبلةٌ لجميعِ الأنبياءِ، كما قال ذلك شيخُ الإسلام ابن تيميةَ رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: وأنها ليست قبلةً للمسلمينَ فقط.

وفي هذا: دليلٌ على أن الإنسانَ إذا صلَّى إلى غيرِ جهةِ القبلةِ، ثم تبين له أن اتجاهَه خطأٌ، وجَب عليه أن يَنْحرِفَ إلى الكعبةِ، ولا يَلْزَمُهُ إعادةُ الصلاةِ من الأولِ، فإذا كُنْتَ مثلًا في صحراء تُصَلِّي إلى جهةٍ ما، ثم علِمت أنك أخطأتَ، فإنك يَجبُ أن تَنْحَرِفَ، لكن إذا دَخَلْتَ في مسجدِنا هذا، وصلَّيت إلى غير القبلةِ ورآك أحدُ الناسِ، وقال: القبلةُ على يمينكِ، فهل تَبني على ما سَبق و تَسْتَأنِفُ الصلاةَ من جديد؟

الجوابُ: أنَّك تَسْتَأْنِفُ الصلاةَ من جديدٍ؛ لأنك هنا مفرطٌ، فلو تأمَّلْتَ بعض الشيءِ لعرِفتَ القبلةَ.

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٢٥٣ - حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ قَزَعَةَ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَسْقِي أَبَا طَلْحَةَ الأَنْصَارِيَّ وَأَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ وَأُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ شَرَابًا مِنْ فَضِيخٍ وَهُوَ تَمْرٌ، فَجَاءَهُمْ آتٍ فَقَالَ: إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ، فَقَالَ أَبو طَلْحَةَ: يَا أَنَسُ قُمْ إِلَى هَذِهِ الْجِرَارِ فَاكْسِرْهَا، قَالَ أَنَسٌ: فَقُمْتُ إِلَى مِهْرَاسٍ لَنَا فَضَرَبْتُهَا بِأَسْفَلِهِ حَتَّى انْكَسَرَتْ[٢].

الشاهدُ من هذا الحديث: أنهم عَمِلوا بخبرِ الواحدِ في أن الخمرَ قد حرِّمت، وكانت في الأولِ مباحةً، وقد ذكَر العلماءُ أن الخمرَ لها أربعَ حالاتٍ: الإباحةُ، والتعريضُ بالتحريم، والتحريمُ في أوقاتِ الصلاةِ، والتحريمُ المطلقُ[٣].

---

(١) انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ» (٢٧/ ١١).
(٢) رواه مسلم (٣/ ١٥٧٢) (١٩٨٠) (٩).
(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٣٦١)، و«تفسير القرطبي» (٦/ ٢٨٦).

أَمَّا الإباحةُ: ففي قولِه تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل:٦٧].

وأَمَّا التعريضُ بالتحريم: ففي قولِه تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة:٢١٩].

وأَمَّا التحريمُ في أوقاتِ الصلاةِ: ففي قولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء:٤٣]. أي: حتى يَزُولَ السُّكْرُ منكم.

وأَمَّا التحريمُ المطلقُ: ففي سورة المائدةِ في قولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١﴾ [المائدة:٩٠-٩١].

فهنا عَمل هؤلاءِ الثلاثةُ: أبو طلحةَ، وأبو عُبيدةَ، وأُبَيُّ بنُ كعبٍ بخبرِ الواحدِ وأَمَر أبو طلحةَ أنسًا أن يَكْسِرَ الجِرارَ من بابِ سدِّ الذرائعِ، حتى لا تَتعلَّقَ النفسُ بهذه الجِرارِ التي تُعَدُّ للخمرِ.

***

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٢٥٤ - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ صِلَةَ، عَنْ حُذَيْفَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَهْلِ نَجْرَانَ: لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ فَاسْتَشْرَفَ لَهَا أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ[1].

وهذا: يَدُلُّ على قبولِ خبرِ الواحدِ.

***

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٢٥٥ - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ خَالِدٍ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ»[2].

٧٢٥٦ - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ

---

(١) رواه مسلم (٤/ ١٨٨٢) (٢٤٢٠) (٥٥).

(٢) رواه مسلم (٤/ ١٨٨١) (٢٤١٩) (٥٣).

حُسَيْنٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ إِذَا غَابَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَشَهِدْتُهُ أَتَيْتُهُ بِمَا يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَإِذَا غِبْتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَشَهِدَهُ أَتَانِي بِمَا يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ[1].

هذا أيضًا فيه: قبولُ خبرِ الواحِدِ؛ لأنه وقَع في عهدِ النبيِّ ﷺ ولم يُنكَرْ.

وفي هذا دليلٌ: على التناوبِ في العلمِ؛ يعني: أن واحدًا يَنُوبُ عن الآخرِ في حلقةٍ من الحلقاتِ أو في وقتٍ من الأوقاتِ إما في الزمان، وإما في المكانِ.

في الزمانِ: مثلُ أن يقولَ: احضُر درسَ الشيخ في الصباحِ، وأنا أحضُره في المساءِ.

وفي المكانِ: مثلُ أن يَقُولَ: احضُر درسَ الشيخِ الفلانيِّ في المكانِ الفلانيِّ، وأنا أحضُر درسَ الشيخِ الفلانيِّ في المكانِ الفلانيِّ، وكلُّ واحدٍ منَّا يُخبِرُ الآخرَ بما سمِع، فالتناوبُ في العلمِ كان في عهدِ الصحابةِ رضي الله عنهم كما كان عمرُ عاهَد الرجل الأنصاريَّ.

أما بالنسبةِ لتفضيلِ أبي عبيدةَ في الحديثِ السابقِ، وأنه أمينُ هذه الأمةِ، فهل يَدُلُّ هذا على أنه أفضلُ من الخلفاءِ الراشدين؟

الجوابُ: أن التفضيلَ نوعانِ: تفضيلٌ مطلقٌ، وتفضيلٌ في قضيةٍ معينةٍ.

فالفضلُ المطلقُ لا شكَّ أنه للخلفاءِ الراشدينَ، وقد يَمْتَازُ بعضُ الناسِ بخصيصةٍ لا تَحْصُلُ للخلفاءِ الراشدينَ، مثل هذا الحديثِ، ومثلُ قولِ الرسولِ عليه الصلاة والسلام: «لَأُعطِيَنَّ الرايةَ رجلًا يُحِبُّ اللهَ ورسولَه، ويُحِبُّه اللهُ ورسولُه، ثم أَعْطَاها عليًّا»[2] فالفضائلُ في خصيصةٍ واحدةٍ لا تَسْتَلْزِمُ الفضل المطلقَ.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رحمه الله:

٧٢٥٧ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ زُبَيْدٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ جَيْشًا وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا فَأَوْقَدَ نَارًا وَقَالَ: ادْخُلُوهَا. فَأَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا، وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا فَرَرْنَا مِنْهَا، فَذَكَرُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِلَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا: لَوْ دَخَلُوهَا لَمْ يَزَالُوا فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَقَالَ لِلْآخَرِينَ: لَا طَاعَةَ

(١) رواه مسلم (٢/ ١١٠٨) (١٤٧٩) (٣١) مطوَّلًا.
(٢) تقدم تخريجه.

فِي مَعْصِيَةٍ إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»[١].

۞ قولُه: «لا طاعةَ في المعصيةِ» لأنهم لـو فَعلـوا قتَلـوا أنفسَهم، وقتـلُ الـنفسِ معـصيةٌ، وكذلك لو أمَرهم بشربِ خمرٍ، أو بتركِ صلاةِ الجماعةِ، أو أمَرهم بحلقِ اللحيـةِ، فكـلُّ هـذا لا يجُوزُ أن يُطَاعَ فيه؛ لأن الطاعةَ في المعروفِ فقط.

ومناسبةُ الحديث للبابِ: أن الرسولَ أمَّر عليهم رجلًا وهو واحدٌ.

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٢٥٨، ٧٢٥٩ - حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْـنُ إِبْـرَاهِيمَ، حَـدَّثَنَا أَبِـي، عَـنْ صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللهِ، أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، وَزَيْدَ بْنَ خَالِدٍ، أَخْبَرَاهُ أَنَّ رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ[٢].

٧٢٦٠ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْـدِ اللهِ بْـنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْـدَ رَسُـولِ اللهِ ﷺ إِذْ قَـامَ رَجُـلٌ مِـنْ الْأَعْـرَابِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اقْضِ لِي بِكِتَابِ اللهِ، فَقَامَ خَصْمُهُ فَقَالَ: صَـدَقَ يَـا رَسُـولَ اللهِ، اقْـضِ لَـهُ بِكِتَابِ اللهِ وَأْذَنْ لِي فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «قُلْ». فَقَالَ: إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا عَلَى هَذَا -وَالْعَـسِيفُ: الْأَجِيرُ- فَزَنَى بِامْرَأَتِهِ فَأَخْبَرُونِي أَنَّ عَلَى ابْنِي الرَّجْمَ، فَافْتَدَيْتُ مِنْهُ بِمِائَةٍ مِنْ الْغَنَمِ وَوَلِيـدَةٍ ثُـمَّ سَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ فَأَخْبَرُونِي أَنَّ عَلَى امْرَأَتِهِ الرَّجْمَ، وَأَنَّمَا عَلَى ابْنِـي جَلْـدُ مِائَـةٍ وَتَغْرِيـبُ عَـامٍ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللهِ، أَمَّا الْوَلِيدَةُ وَالْغَنَمُ فَرُدُّوهَا وَأَمَّا ابْنُكَ فَعَلَيْهِ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا أُنَيْسُ -لِرَجُلٍ مِنْ أَسْلَمَ- فَاغْدُ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا فَإِنْ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمْهَا» فَغَدَا عَلَيْهَا أُنَيْسٌ فَاعْتَرَفَتْ فَرَجَمَهَا[٣].

هذا الحديثُ: سبق لنا، وبَيَّنا أنه يَدُلُّ على عدمِ تكرارِ الإقـرارِ بالزِّنـا إذا لم يَكُـنْ هنـاك ريبـةٌ، ووجهُ مناسبتِه للبابِ أنه اعتمد على رجلٍ واحدٍ، كما اعتمد على بعثِ أبي عبيدةَ، ومعاذِ بن جبلٍ.

---

(١) رواه مسلم (٣/ ١٤٦٩) (١٨٤٠) (٣٩).
(٢) رواه مسلم (٣/ ١٣٢٤) (١٦٩٧، ١٦٩٨) (٢٥) مطوَّلًا.
(٣) رواه مسلم (٣/ ١٣٢٤) (١٦٩٧، ١٦٩٨) (٢٥).

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٢- بابُ بعثِ النبيِّ ﷺ الزبيرَ طليعةً وحدَه.

٧٢٦١ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُنْكَدِرِ، قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: نَدَبَ النَّبِيُّ ﷺ النَّاسَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ ثُمَّ نَدَبَهُمْ، فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ، ثُمَّ نَدَبَهُمْ فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ، فَقَالَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ»[١]. قَالَ سُفْيَانُ: حَفِظْتُهُ مِنَ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ، وَقَالَ لَهُ أَيُّوبُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، حَدِّثْهُمْ عَنْ جَابِرٍ فَإِنَّ الْقَوْمَ يُعْجِبُهُمْ أَنْ تُحَدِّثَهُمْ عَنْ جَابِرٍ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ: سَمِعْتُ جَابِرًا فَتَتَابَعَ بَيْنَ أَحَادِيثَ: سَمِعْتُ جَابِرًا، قُلْتُ لِسُفْيَانَ: فَإِنَّ الثَّوْرِيَّ يَقُولُ: يَوْمَ قُرَيْظَةَ، فَقَالَ: كَذَا حَفِظْتُهُ مِنْهُ كَمَا أَنَّكَ جَالِسٌ يَوْمَ الْخَنْدَقِ. قَالَ سُفْيَانُ: هُوَ يَوْمٌ وَاحِدٌ، وَتَبَسَّمَ سُفْيَانُ.

الشاهدُ قولُه: انتدبَ الزبيرُ، وهو واحدٌ، ورضيه النبيُّ ﷺ أن يأتِيَ بخبرِ القومِ. ويومُ الخندقِ أو يومُ قريظَةَ، يُعبَّرُ ببعضِهما عن بعضٍ؛ لأن قريظةَ متصلةٌ بالخندقِ، فإن الرسولَ ﷺ لما رجَع من الخندقِ ووضَع لأمَته، جاءه جبريلُ وأمَره أن يَخرُجَ إلى بني قُرَيظَةَ[٢].

****

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٣- بابُ قولِ الله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. فإذا أذِن واحدٌ جاز.

٧٢٦٢ - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ حَائِطًا، وَأَمَرَنِي بِحِفْظِ الْبَابِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ فَقَالَ: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»، فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ فَقَالَ: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»، ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ فَقَالَ: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»[٣].

٧٢٦٣ - حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ

---

(١) رواه مسلم (٤/ ١٨٧٩) (٢٤١٥) (٤٨).
(٢) رواه البخاري (٤١٢٢)، ومسلم (٣/ ١٣٨٩) (١٧٦٩) (٦٥).
(٣) رواه مسلم (٤/ ١٨٦٧) (٢٤٠٣) (٢٨).

حُنَيْنٍ، سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ، عَنْ عُمَرَ رضي الله عنهم قَالَ: جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَشْرُبَةٍ لَهُ، وَغُلَامٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَسْوَدُ عَلَى رَأْسِ الدَّرَجَةِ، فَقُلْتُ: قُلْ هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَأَذِنَ لِي»[1].

مع أن البيتَ يَكُونُ فيه الأهلُ، ويَكُونُ فيه الأموالُ، ومع ذلك يُقْبَلُ فيه الرجلُ الواحدُ إذا أَذِن له.

فإذا قال قائلٌ: هل قولُ البخاري: رجلٌ المقصودُ به البالغُ؟

الجوابُ: لا، ما أراد هذا، فلو أَذِن له واحدٌ جاز وما عندنا رجلٌ.

والمردُ بالحائطِ البستان الذي عليه حائطٌ.

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رحمه الله:

٤-باب مَا كَانَ يَبْعَثُ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الأُمَرَاءِ وَالرُّسُلِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ دِحْيَةَ الْكَلْبِيَّ بِكِتَابِهِ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى قَيْصَرَ[2].

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رحمه الله:

٧٢٦٤ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنِي اللَّيْثُ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَنَّهُ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ، أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَى كِسْرَى فَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ الْبَحْرَيْنِ يَدْفَعُهُ عَظِيمُ الْبَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى، فَلَمَّا قَرَأَهُ كِسْرَى مَزَّقَهُ، فَحَسِبْتُ أَنَّ ابْنَ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ.

فمُزِّقُوا -ولله الحمد- كلَّ ممزقٍ.

*****

---

(١) رواه مسلم (٢/ ١١٠٦) (١٤٧٩) (٣٠).

(٢) علقه البخاري بصيغة الجزم كما في «الفتح» (١٣/ ٢٤١) وأسنده المصنف في العلم باب (٣٨) حديث (٥١) مختصرًا وعدة مواضع عنه من حديث عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس. وانظر: «تغليق التعليق» (٥/ ٣١٧).

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٢٦٥ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ، حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ الأَكْوَعِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال لِرَجُلٍ مِنْ أَسْلَمَ: أَذِّنْ فِي قَوْمِكَ أَوْ فِي النَّاسِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ أَنَّ مَنْ أَكَلَ فَلْيُتِمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ أَكَلَ فَلْيَصُمْ[1].

الشاهدُ من الحديثِ قولُه: لرجلٍ من أَسْلَمَ أَذِّن في قومِك.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥- باب وَصَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وُفُودَ الْعَرَبِ أَنْ يُبَلِّغُوا مَنْ وَرَاءَهُمْ قَالَهُ مَالِكُ بْنُ الْحُوَيْرِثِ[2].

٧٢٦٦ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ ح، وحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ، أَخْبَرَنَا النَّضْرُ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي جَمْرَةَ، قَالَ: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُقْعِدُنِي عَلَى سَرِيرِهِ، فَقَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا أَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «مَنْ الْوَفْدُ». قَالُوا: رَبِيعَةُ، قَالَ: «مَرْحَبًا بِالْوَفْدِ والْقَوْمِ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كُفَّارَ مُضَرَ فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ وَنُخْبِرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، فَسَأَلُوا عَنْ الأَشْرِبَةِ فَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، وَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ.

أَمَرَهُمْ: بِالإِيمَانِ بِاللهِ، قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ؟». قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَأَظُنُّ فِيهِ صِيَامُ رَمَضَانَ، وَتُؤْتُوا مِنْ الْمَغَانِمِ الْخُمُسَ وَنَهَاهُمْ عَنْ الدُّبَّاءِ، وَالْحَنْتَمِ، وَالْمُزَفَّتِ، وَالنَّقِيرِ، وَرُبَّمَا قَالَ الْمُقَيَّرِ قَالَ: احْفَظُوهُنَّ وَأَبْلِغُوهُنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ»[2].

في هذا الحديثُ:دليلٌ على أن الأعمالَ من الإيمانِ؛ لأن النبي ﷺ قال: «أتدرون ما الإيمانُ؟» قالوا: الله ورسولُه أعلمُ. قال: شهادةُ أن لا إله إلا الله... إلى آخرِه.

---

(١)رواه مسلم (٢/ ٧٩٨) (١١٣٥) (١٣٥).

(٢)علقه البخاري بصيغة الجزم كما في «الفتح» (١٣/ ٢٤٢). وأسنده المؤلف في الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانو جماعة والإقامة (٦٣٠) مختصرًا، و(٦٣١) مطوّلًا، وفي عدة مواطن أخرى.
وانظر: «تغليق التعليق» (٥/ ٣١٨).

(٢)رواه مسلم (١/ ٤٦) (١٧) (٢٣).

ولـيُعْلَمْ أن الإيـمانَ عنـد الإطـلاقِ يَـشْمَلُ الإيـمانَ في القلـبِ، والأعـمالَ في الجـوارحِ، والإسلامَ كذلك عند الإطلاقِ. ومنه قولُه تَبارك وتعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣]. فهذا يَشْمَلُ كلَّ الإسلامِ.

وأما إذا قُرِن أحدُهما بالآخرِ، فإن الإيمانَ في القلبِ، والإسلامَ في الجوارحِ؛ فالإيمانُ سرٌّ، والإسلامُ علانيةٌ، ومنه قولُـه تعـالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر:١-٣]. فقولُه: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ عطفٌ على الإيمان وليس من بابِ عطفِ الخاصِّ على العامِّ، بل هو من بابِ عطفِ المغايرِ على غيرِه.

فالإيمانُ في الآيةِ بالقلبِ والعملُ الصالحُ بالجوارحِ.

ومنه: حديثُ جبريلَ حيث فرَّق النبيُّ ﷺ بين الإسلامِ والإيمانِ.

وفي هذا الحديثِ: قرْنُ رسولِ الله ﷺ مع الله بالواوِ في قولِه: «الله ورسـولُه أعلـمُ». وذلـك؛ لأن الحكمَ حكمٌ شرعيٌّ، وعِلْمُ الرسولِ مما علَّمـه الله عز وجل ومنـه: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة:٥٩]. لأن هذا الإتيانَ إتيانٌ شرعيٌّ، وشرعُ الرسولِ من شرعِ الله تعالى.

أما الأمورُ الكونيةُ فلا يجوزُ أن يُقْرَنَ فيها اسمُ الرسولِ باسمِ الله بالواوِ، مثلُ مـا شَـاءَ الله وشئْتَ، ولولا الله وأنت؛ لأن مقامَ الربوبيةِ غيرُ مقامِ العبادةِ، فالرسولُ عليه الصلاة والسلام مشرِّعٌ كما أن الله مشرِّعٌ، لكنه ليس مدبرًا للكونِ، كما أن الله مدبرٌ، فهـذا وجـه الفـرقِ بـين الأمـورِ الكونيـةِ والأمورِ الشرعيةِ.

وفي هذا الحديثِ: دليلٌ على الترحيبِ بالوفدِ؛ لقولِه: «**مرحبًا بالوفدِ والقومِ غيرَ خَزايا ولا نَدَامى**» وهذا من حسنِ الخلقِ، أن يُرَحِّبَ الإنسانُ بالوافدينَ إليه، سواءٌ كانوا من أهلِ بلدِه أو من غيرِهم.

وفيه: النهيُ عن هذه الأواني الأربعةِ: لكنه نُسِخ؛ لأن الرسولَ عليه الصلاة والسلام قال: «**كنتُ نهيتُكم عن الانتباذِ بالدُّبَّاءِ وما ذكِر معها فانتبِذوا فيما شِئتم، غير ألا تَشْربُوا مُسْكِرًا**»[1] وإنما نهـى عـن هـذه الأربعِ؛ لأنها حارةٌ، فإذا انتبذ فيها صار سريعَ الغليانِ سريعَ التخمرِ، فقد يَتخَمَّرُ من غيرِ أن يَـشْعُرَ به المرْءُ، لكن الرسولَ عليه الصلاة والسلام بعد ذلك. أَذِن في أن نَنْتبِذَ بما شئنا، غيرَ ألا نَشْربَ مُسْكِرًا.

---

(١)رواه مسلم (٢/ ٦٧٢) (٩٧٧) (١٠٦).

والنبيذُ: هو أن يُجْعَلَ مع الماءِ عنبٌ -زبيبٌ-، أو تمرٌ، أو شعيرٌ، أو بُرٌّ لمدة يوم وليلةٍ، أو يومينِ فيَكْتَسِبَ الماءُ من طعمِ هذا الشيءِ الذي نبذ فيه، ويُقَالُ أيضًا: إن هذا النبيذَ يَمْتَصُّ ما في الماءِ من العفوناتِ أو الجراثيمِ أو ما أشبهَها، ثم بعد هذا يَشْرَبُونَه، فيكُونُ مع العنبِ ومع الزبيبِ حُلْوًا، ويَكُونُ مع الشعيرِ والبُرِّ له طعمُه، وهو مأخوذٌ من النبذِ، فنبيذٌ بمعنى منبوذٍ.

ومعنى الـ«ح» في السندِ، تحويلُ السندِ من السندِ الأولِ إلى سندٍ جديدٍ آخرَ، وفائدتُه تقويةُ السندِ الأولِ.

****

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦- باب خَبَرِ الْمَرْأَةِ الْوَاحِدَةِ.

٧٢٦٧ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ تَوْبَةَ الْعَنْبَرِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي الشَّعْبِيُّ: أَرَأَيْتَ حَدِيثَ الْحَسَنِ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ وَقَاعَدْتُ ابْنَ عُمَرَ قَرِيبًا مِنْ سَنَتَيْنِ أَوْ سَنَةٍ وَنِصْفٍ، فَلَمْ أَسْمَعْهُ يُحَدِّثُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ غَيْرَ هَذَا، قَالَ: كَانَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فِيهِمْ سَعْدٌ، فَذَهَبُوا يَأْكُلُونَ مِنْ لَحْمٍ فَنَادَتْهُمْ امْرَأَةٌ مِنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ إِنَّهُ لَحْمُ ضَبٍّ، فَأَمْسَكُوا، فَقَالَ رسول الله ﷺ: «كُلُوا -أَوِ اطْعَمُوا- فَإِنَّهُ حَلَالٌ -أَوْ قَالَ لَا بَأْسَ بِهِ شَكَّ فِيهِ- وَلَكِنَّهُ لَيْسَ مِنْ طَعَامِي»[1].

الشاهدُ هنا: أن الصحابة أمْسَكُوا بخبرِ المرأةِ وخبرُ المرأةِ في الحلالِ والحرامِ، والعلمِ جائزٌ ومقبولٌ.

وفي هذا الحديث: دليلٌ على أنه يَجوزُ للإنسانِ أن يَمْتَنِعَ عما أحلَّ اللهُ، إذا لم يَكُنْ يَشْتَهيه؛ لأن الرسولَ ﷺ أباح الضبَّ ولكنَّه قال: «ليس من طعامي» وفي روايةٍ أخرى: «إنه ليس في أرضِ قومي فأجدُني أعافه»[2]. فلا يُلامُ الإنسانُ إذا ترك المباحَ؛ لأن نفسَه لا تَشْتَهيه.

ومن ذلك: إذا وقَع الذبابُ في الشرابِ، وغمسَه ثم استخرجه، فإن بعضَ الناسِ لا تَقْبَلُه نفسُه، فلا حرجَ عليه إذا لم يَشْرَبْهُ.

---

(١) رواه مسلم (٣/ ١٥٤٢) (١٩٤٤) (٤٢).
(٢) رواه مسلم (٣/ ١٥٤٣) (١٩٤٥) (٤٣).

ومن ذلك: أن بعضَ أمهات النساءِ لا تَطِيبُ نفسُها أن تكْشِفَ وجهَها لزوجِ ابنتها حياءً وخجلًا، فلا بأسَ بهذا ما دامت لا تَعتقِد التحريمَ.

فالحاصل: أن ما أباحه الله ﷻ فالإنسانُ منه في حلٍّ ما لم يَتَّخِذْهُ عبادةً.

فإذا قال قائلٌ: إذا كان النبيُّ يَكْرَهُ الضبَّ فهل من السنةِ ألا نأْكُلَه؟

الجوابُ: لا، السنةُ أن يُأْكَلَ؛ لأن الرسولَ قال لأصحابه: «**كلوا أو اطعموا**».

أتى البخاريُّ بكتابِ خبرِ الواحدِ بعد كتابِ التمنيِّ؛ لأن بعضَ الناسِ لا يَقْبَلُونَ خبرَ الواحدِ، حتى قال بعضُهم: لا يَكُونُ الحديثُ صحيحًا إلا إذا جَاءَ من طريقين، وقد أشَارَ إلى هذا ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في النخبة،حيث ذكَر شروطَ الحديثِ الصحيحِ، وذكَر العزيزَ، وقال: إنه ليس شرطًا للصحيحِ خلافًا لمن اشترطه[1]. فبعضُ الناسِ يَجْعَلُ هذه الأمورَ مثلَ الشهادةِ على الأحوالِ، وبعضُ الناسِ أيضًا يَقْبَلُ خبرَ الواحدِ في غيرِ العقائدِ، ويَقُولُ: خبرُ الواحدِ لا يُمْكِنُ أن تَثْبُتَ به عقيدةٌ، وهذا مذهبٌ باطلٌ.

فالرسولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَبْعَثُ الرجلَ الواحدَ بالعقيدةِ بالإسلامِ كلِّه، وتَقُومُ به الحجَّةُ، ويَبْعَثُ الرجلَ إلى الملوكِ وحدَه يَدْعُوهم إلى العبادة، وإلى الإيمان، وهو واحدٌ وتَقُومُ به الحُجَّةُ.

فالقولُ: بأن خبرَ الواحدِ لا تَثْبُتُ به العقيدةُ قولٌ باطلٌ باطلٌ، بل إن العقيدةَ تَثْبُتُ بخبرِ الواحدِ، والاثنينِ، والثلاثةِ، ولكن لابدَّ أن يَكُونَ ثقةً، أما غيرُ الثقةِ فلا يُقْبَلُ.

ثم نَقُولُ: لهؤلاءِ المنكرينَ خبرَ الواحدِ: الأعمالُ البدنيةُ لابدَّ أن يَصْحَبَها عقيدةٌ، فالإنسانُ الذي يُصَلِّي الصلواتِ الخمسَ، قد صحِب صلاتَه عقيدةٌ؛ وهي أن هذه الصلواتِ واجبةٌ، ومن الفرائض، فأيُّ فرقٍ بين أن أَعْتَقِدَ بأن محمدًا رسولُ اللهِ، وأن الصلاةَ فريضةٌ، كلاهما عقيدةٌ، لكن هم يُحِبُّونَ أن يُقَلِّلُوا من إثباتِ الصفاتِ لله، فتارةً يطعنُونَ في السندِ، وتارةً يَطْعَنُونَ في المتنِ، ويُحرِّفُونَ الكلمَ عن مواضعِه.

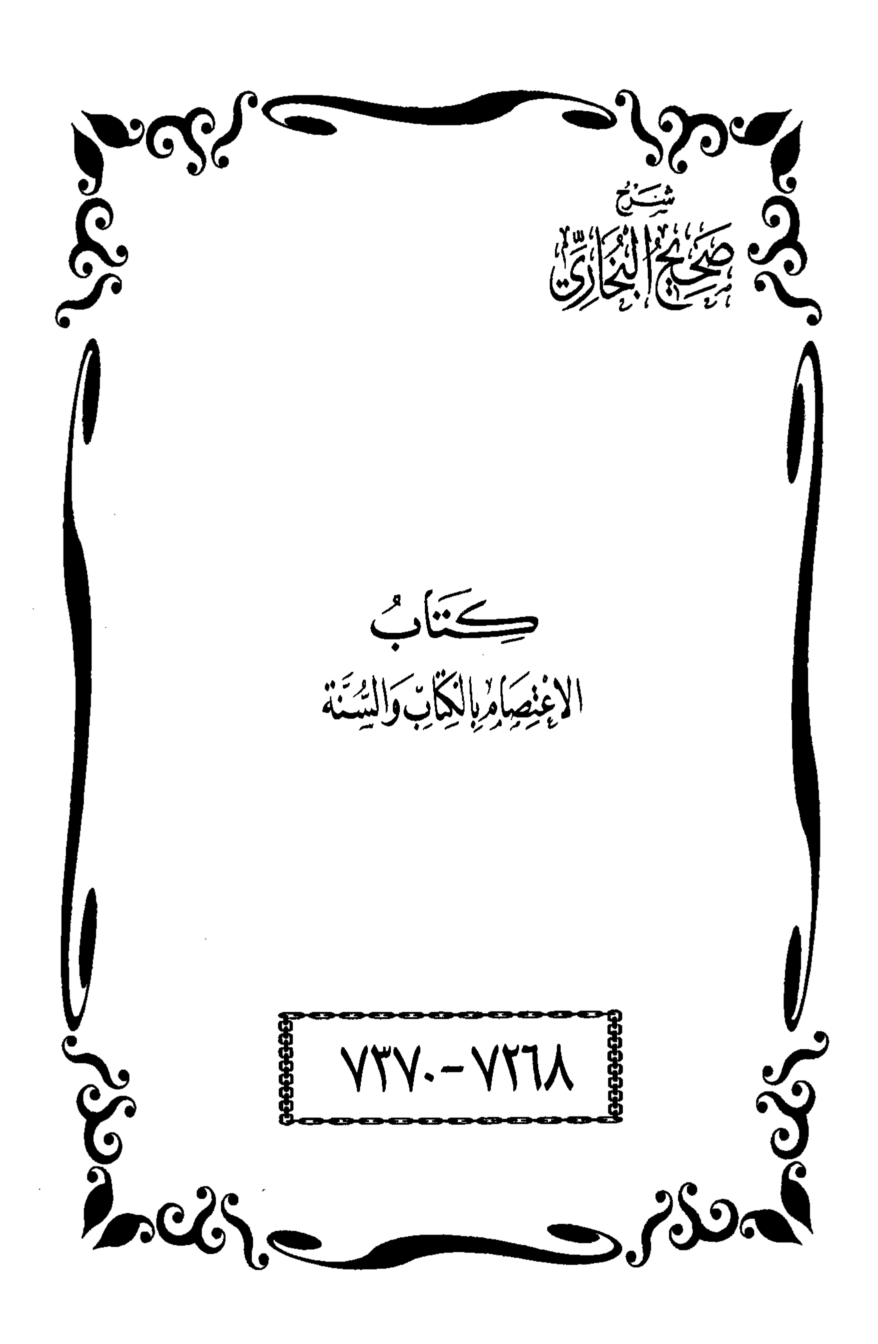
*****

(١) انظر: «شرح نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر» (ص٥٧).

سبق أن قلنا: كلُّ شيءٍ لا تَشْتَهِيهِ فالسنةُ ألا تأْكُلَه، وهو أيضًا من الطبِّ، لكن اختلف الأطباءُ إذا كان فمُك يَشْتَهِيه، وبطنُك لا تَشْتَهِيه، والصحيحُ: أن تُقَدِّمَ البطنَ؛ وذلك لأن لذة الفمِ لذةٌ عابرةٌ، لكنَّ تعبَ البطنِ تعبٌ مستمرٌ وخطرٌ، فبعضُ الناسِ مثلًا يَرُوق له بعضُ الأشياءِ، لكنه إذا أكَله أو شرِب صار في بطنِه غازاتٌ عظيمةٌ تُتْعِبُه.

وبعضُ الناسِ أيضًا يَكُونُ فيه داءٌ معينٌ يُحْمَى من طعامٍ معينٍ ولكنَّه يَشْتَهِيه فيأْكُلُه، فيُقَالُ: لا تَفْعَلْ: اللهمَّ إلا الشيءَ القليلَ النادرَ فلا حرجَ.





شرح صحيح البخاري

كتاب
الاعتصام بالكتاب والسنة

٧٢٦٨ - ٧٣٧٠



ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

كتاب

الاعتصام بالكتاب والسنة

۞ قولُه: «الاعتصامُ بالكتابِ والسُّنَّةِ». الكتابُ: هو القرآنُ.

والسنةُ: هي سنةُ النبيِّ ﷺ. والمرادُ بها هنا: ما نُسِبَ إليه مِن قولٍ، أو فِعلٍ، أو تقريرٍ، وإن شئتَ، فقل: أو وصفٍ. فما نسِب إلى الرسولِ ﷺ، وأضِيفَ إليه، وصحَّ عنه فهو سنةٌ، سواءٌ مِن قولِه، أو فعله، أو إقرارِه.

والاعتصامُ بهما واجبٌ؛ لقولِ اللهِ تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء: ٥٩]. ولا تظنُّوا أن الرجوعَ إليهما فيه مضرةٌ، حتى وإن كان في بادِئ الأمرِ شاقٌّ، أو يَتخيَّلُ الإنسانُ أن فيه مضرةً، فإن اللهَ يقولُ: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩﴾ [النساء: ٥٩]. أي: أحسنُ مآلًا، وما يَتوهَّمُهُ بعضُ الناسِ -ضعفاءُ الإيمانِ اليومَ- مِن أن تَطبيقَ الشريعةِ كما جاء عن النبيِّ ﷺ لا يَتناسَبُ مع العصرِ، ويُخْشَى مِن نفورِ الدولِ الكافرةِ، فإن ذلك مِن وحيِ الشيطانِ؛ لأننا نَقولُ: لو صَدَقْنا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ في الرجوعِ إلى كتابِه، وسنةِ رسولِه ﷺ؛ لكانت العاقبةُ لنا، بل العاقبةُ والحاضرةُ، فقولُه: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ في الحاضرِ، ﴿وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ في المستقبلِ.

ولكنَّ القرآنَ الكريمَ يَعْتَوِرُ -أو يُعَكِّرُ عليه- المسْتَدِلَّ به شيءٌ واحدٌ؛ هو الفهمُ في مرادِ اللهِ ورسولِه، فقد يُخْطِئُ الإنسانُ في فهمِه، ويَفْهَمُه آخرُ على خلافِه، فَيَحْصُلُ في هذا الاختلافُ.

والسنةُ النبويةُ يَعْتَوِرُ الإنسانَ فيها شيئانِ:

أولًا: ثبوتُها عن الرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قد تُروَى عن طريقٍ يَراهُ بعضُ العلماءِ طريقًا صحيحًا، ويَراهُ آخرونَ طريقًا غيرَ صحيحٍ، مثلَ أن يَختلِفُوا في رجلٍ مِن الرواةِ، فيُوثِّقُه بعضُهم، ويضَعِّفُه آخرونَ، ثم إذا نظَرنا في هذا، يَبْقَى النظرُ في المفهومِ مِنَ المتنِ.

ولهذا وقَع الخلافُ بين الأمةِ في كتابِ اللهِ، وسنة رسولهِ ﷺ، ولكنه خلافٌ بلا اختلافٍ -وللهِ الحمدُ-، إلا عند أهلِ الأهواءِ، فهم يَجْعَلُونَ مِن الخلافِ اختلافًا.

٧٢٦٨- حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مِسْعَرٍ وَغَيْرِهِ، عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ لِعُمَرَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ أَنَّ عَلَيْنَا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة:٣]. لاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا. فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي لأَعْلَمُ أَيَّ يَوْمٍ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ، نَزَلَتْ يَوْمَ عَرَفَةَ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ[(١)].
سَمِعَ سُفْيَانُ مِنْ مِسْعَرٍ، وَمِسْعَرٌ قَيْسًا، وَقَيْسٌ طَارِقًا.

قولُه: سمِعَ سفيانُ... إلخ: إنما نصَّ البخاريُّ على ذلك ليزولَ الوهمُ مِن التدليسِ في هذه العنعنةِ.

لكنه قال: عن مِسْعَرٍ وغيرِهِ. والغيرُ هنا: مجهولٌ، والفائدةُ مِن هذا أن هذا الغيرَ المجهولَ يُقَوِّي روايته عن مِسْعرٍ؛ يعني: لم يَنْفَرِدْ بهذه الروايةِ عن مِسْعَرٍ، بل رَوَاها عن مِسْعَرٍ وغيرِه عن قيسٍ.

٧٢٦٩- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ الْغَدَ حِينَ بَايَعَ الْمُسْلِمُونَ أَبَا بَكْرٍ، وَاسْتَوَى عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَشَهَّدَ قَبْلَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَاخْتَارَ اللهُ لِرَسُولِهِ ﷺ الَّذِي عِنْدَهُ عَلَى الَّذِي عِنْدَكُمْ، وَهَذَا الْكِتَابُ الَّذِي هَدَى اللهُ بِهِ رَسُولَكُمْ، فَخُذُوا بِهِ تَهْتَدُوا، وَإِنَّمَا هَدَى اللهُ بِهِ رَسُولَهُ.

٧٢٧٠- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، عَنْ خَالِدٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: ضَمَّنِي إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ»[(٢)].

الشاهدُ مِن هذا الحديثِ، قولُه: «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ». يعْنِي: القرآنَ، والتعليمُ هنا يَشْمَلُ: التعليمَ اللفظيَّ، والمعنويَّ؛ ولهذا كان ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما يُلَقَّبُ بتَرْجُمانِ القرآنِ؛ لأنه مِن أعلمِ الصحابةِ بتفسيرِ كتابِ اللهِ عز وجل.

٧٢٧١- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ صَبَّاحٍ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، قَالَ: سَمِعْتُ عَوْفًا، أَنَّ أَبَا الْمِنْهَالِ حَدَّثَهُ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا بَرْزَةَ، قَالَ: إِنَّ اللهَ يُغْنِيكُمْ أَوْ نَعَشَكُمْ بِالإِسْلَامِ وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ.

قال أبو عبدِ اللهِ: وقَع هنا «يُغْنِيكُم». وإنما هو «نعَشَكُم». يُنْظَرُ في أصلِ كتابِ الاعتصامِ.

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٣١٢) (٣٠١٧) (٣).

(٢) رواه مسلم (٤/ ١٩٢٧) (٢٤٧٧) (١٣٨) بلفظ: اللهم فقِّهْ.

قال ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (١٣/ ٢٤٦):

قولُه: «يُنظرُ في أصلِ كتابِ الاعتصامِ». فيه إشارةٌ إلى أنه صنَّفَ «كتابَ الاعتصامِ» مُفردًا، وكتبَ مِن هنا ما يَليقُ بشرطِهِ في هذا الكتابِ، كما صنَع في «كتابِ الأدبِ المفردِ»، فلما رأى هذه اللفظةَ مغايرةً لما عنده أنه الصوابُ، أحال على مراجعةِ ذلك الأصلِ، وكأنه كان في هذه الحالةِ غائبًا عنه، فأمر بمراجعتِه وأن يصلحَ منه، وقد وقَع له نحو هذا في تفسير ﴿أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾ [الشرح:٣]، ونبَّهتُ عليه في تفسيرِ سورةِ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ [الشرح:١].

ونقَلَ ابنُ التينِ عن الدَّاوُدِيِّ أن ذِكر حديثِ أبي برْزَةَ هذا هنا، إنما يُسْتَفَادُ منه تَثْبِيتُ خبرِ الواحدِ، وهو غفلةٌ منه، فإن حُكمَ تثبيتِ خبرِ الواحدِ انقضى، وعقَّب بالاعتصامِ بالكتابِ والسنةِ، ومناسبةُ حديثِ أبي برْزَةَ للاعتصامِ بالكتابِ، مِن قولِه «إن اللهَ نَعَشَكُم بالكتابِ» ظاهرةٌ جدًّا، واللهُ أعلمُ. اهـ.

قال بدرُ الدينِ الْعَينِيُّ في: «عمدة القَارِي» (٢٥/ ٢٤):

قولُه: «أو نَعَشَكُم». بنونٍ، ثم عينٍ مُهْملةٍ، وشينٍ مُعْجمةٍ، أي: رفَعكم، أو جبركم مِن الكسرِ، أو أقامَكم مِن العثرِ.

إذن: نَعَشَكُم بالكتابِ؛ يعْني: رفعكم بِهِ؛ ولعلَّ النعشَ الذي يُحْمَلُ عليه الميتُ مِن هذا البابِ؛ لأنه يُرْفَعُ.

وأما قولُه: «بالإسلامِ وبمحمدٍ ﷺ»، فليس فيه ذكرُ الكتابِ، لكن لعلَّه في أصلِ كتابِ الاعتصامِ، كما أشارَ إليه البخاريُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- وحينئذٍ تكُونُ فيه مناسبةٌ لبابِ الاعتصامِ بالكتابِ والسنةِ.

****

٧٢٧٢- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يُبَايِعُهُ، وَأُقِرُّ لَكَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ عَلَى سُنَّةِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، فِيمَا اسْتَطَعْتُ.

سبقَ في كتابِ الأحكامِ، والشاهدُ مِن هذا قولُه: «على سنةِ اللهِ وسنةِ رسولِه ﷺ». فإن المرادَ بسنةِ اللهِ هو ما جاء في كتابِ اللهِ.

فإذا قال قائلٌ: الواوُ في «وأقِرُّ». زائدةٌ أم مِن الحديثِ؟

الجوابُ: إنها مِن الحديثِ؛ لأنه كتبَ إلى عبد الملكِ بن مروانَ يبايعُه، ثم قال في مبايعتِه: وأقِرُّ لك. فهي معطوفةٌ على ما في كتابِ ابنِ عمرَ؛ الذي لم يذكرْه المؤلفُ هنا.

****

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١- بابُ قولِ النبيِّ ﷺ «بُعِثْتُ بجوامعِ الكلم»:

٧٢٧٣- حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ، فَوُضِعَتْ فِي يَدِي». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقَدْ ذَهَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنْتُمْ تَلْغَثُونَهَا أَوْ تَرْغَثُونَهَا، أَوْ كَلِمَةً تُشْبِهُهَا[(١)].

الشاهدُ من هذا: قولُه: «بُعِثْتُ بجوامعِ الكَلِمِ». فكلامُ النبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جوامعُ، وانظُرْ قولَه صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمالُ بالنياتِ، وإنما لكلِّ امرئٍ ما نوى»[(٢)]. وقولَه: «مَن عمِلَ عملًا ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ»[(٣)]. وقولُه: «ما أنْهر الدَّمَ وذكِر اسمُ اللهِ عليه فكلْ»[(٤)]. وقولَه: «إذا وجَدَ أحدُكم ذلك ـ يعني: الوساوسَ التي يُلْقِيها الشيطانُ في قلب ابنِ آدمَ، وهي وساوسُ رديئةٌ ـ فَلْيَسْتَعِذْ باللهِ ولْيَنْتَهِ»[(٥)]. وأمثالُ ذلك كثيرٌ.

وقد ألَّفَ العلماءُ رَحِمَهُمُ اللهُ في ذلك مؤلفات منها: الأربعونَ النوويةُ للنوويِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، فإنها جوامعُ تَجِدُ في بعضِ الأحاديثِ كلماتٍ لو ألَّفَ الناسُ مجلداتٍ، ما أتَوا بمضمونِها، ولا نفَعوا الناسَ بمثلِها.

وأما قولُه: «نصِرتُ بالرعبِ، وبينا أنا نائمٌ رأيْتُني أُتِيتُ بمفاتيحِ خزائنِ الأرضِ». قد سبَق الكلامُ عليها، وهو إشارةٌ إلى أن اللهَ عَزَّوَجَلَّ قد أحلَّ له الغنائمَ، كما في حديثِ جابرٍ الطويلِ المشهورِ[(٦)].

٧٢٧٤- حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ أُومِنَ - أَوْ آمَنَ - عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(٧)].

---

(١) رواه مسلم (١/ ٣٧١)(٥٢٣) (٦).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه مسلم (٣/ ١٣٤٣) (١٧١٨) (١٨)، وهو عند البخاري (٢٦٩٧) بلفظ: مَن أحدث في أمرنا...

(٤) رواه البخاري (٢٥٠٧)، ومسلم (٣/ ١٥٥٨) (١٩٦٨) (٢٠).

(٥) رواه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١/ ١٢٠) (١٣٤) (٢١٤).

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) رواه مسلم (١/ ١٣٤) (١٥٢)(٢٣٩).

هذا الحديثُ: فيه آيةٌ مِن آياتِ اللهِ ﷻ؛ وهي أن اللهَ ما بَعثَ نبيًّا إلا وآتاهُ مِن الآياتِ ما يُؤْمِنُ على مثلِه البشرُ، ومِن رحمتِه أيضًا؛ لأنه لا يُمْكِنُ أن يُصَدَّقَ رجلٌ يأتي مِن بينِ الناسِ، ويقُولُ: أنا رسولٌ. حتى يَكُونَ معه آياتٌ.

وفي هذا: دليلٌ على أن الأفضلَ أن يُعَبَّرَ بآياتٍ دونَ معجزاتٍ، فكثيرًا ما نَرَى في كتبِ العلماءِ معجِزاتِ الأنبياءِ، ومعجزاتِ النبيِّ ﷺ.

نَقُولُ: الأفضلُ أن تَقُولَ: آياتٌ. كما عبَّر اللهُ عنها، وعبَّر عنهما رسولُه ﷺ.

وأما المعجزاتُ فقد تكُونُ مِن الساحرِ، ومِن الكاهنِ، فيأتي بما يَعجزُ عنه الناسُ، لكنَّها ليست آياتٍ على صدقِه، فالتعبيرُ بالآياتِ هو الأصحُّ، ويمكنُ أن نقولَ: دلائلَ النبوةِ، لكن الآياتُ أحسنُ.

ولكنَّ الرسولَ عليه الصلاة والسلام أُوتي وحيًا أوحَاه اللهُ إليه، وبقِي بعدَ موتِه، وسَيَبْقَى إلى قيامِ الساعةِ، إلى أن يَرفَعَه اللهُ ﷻ في آخرِ الزمانِ، وآياتُ الأنبياءِ السابقينَ أكثرُها تنقَضي بانقضاءِ حياتِهم؛ فلهذا قال: أرجُو أنِّي أكثرُهم تابعًا يومَ القيامةِ؛ لأنه إذا كانتِ الآيةُ في هذا الوحيِ، وهذا الوحيُ باقٍ، صارت آيةً للرسولِ إلى يومِ القيامةِ.

* * * *

ثم قال البخاريُّ رحمه الله:

٢- بابُ الاقتداءِ بِسُنَنِ الرسولِ ﷺ، وقولِ اللهِ تعالى: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾ [الفرقان: ٧٤]. قال: أئمةً نَقْتَدِي بمَنْ قَبْلَنا ويَقْتَدِي بنا مَنْ بعدَنا.

وعنِ ابنِ عونٍ: ثلاثٌ أُحِبُّهنَّ لنفسي ولإخواني: هذه السُّنةُ أن يَتَعَلَّموها ويَسْأَلُوا عنها، والقرآنُ أن يَتفَهَّمُوه ويَسْأَلُوا الناسَ عنه، ويَدَعُوا الناسَ إلَّا مِن خيرٍ[1].

۞ قولُه: «بابُ الاقتداءِ بسننِ رسولِ اللهِ ﷺ»، وقولُه: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾، اجْعَلنا هذا مِن دعاءِ عبادِ الرحمنِ: ﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، وقولُه: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾؛ أي: أئمةً يُقْتَدَى بهم.

۞ وقولُه: «نَقْتَدِي بمَنْ قبْلَنا». هذا ليس بظاهرٍ؛ لأن الإمامَ هو المتبوعُ وليس التابعَ،

---

(١) هكذا علقه البخاري بصيغة العنعنة كما في «الفتح» (١٣/ ٢٤٨). وقال الحافظ في الفتح (١٣/ ٢٥١): وصله محمد بن نصر المروزي في كتاب السنة، والجوزقي من طريقه، قال محمد ابن نصر: حدثنا يحيى بن يحيى، حدثنا سليم بن أخضر، سمعت ابن عونٍ، يقول غير مرة، ولا مرتين، ولا ثلاث: «ثلاث أحبهن لنفسي» الحديث. وانظر: «تغليق التعليق» (٥/ ٣١٩).

وفيه آياتٌ كثيرةٌ تَدُلُّ على الاقتداءِ برسولِ اللهِ ﷺ، مثلَ قولِه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

۞ وقولِه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]. فهذه الآيةُ التي ذكَرها المؤلفُ أعمُّ مِن كونِها للرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لأنها لعبادِ الرحمنِ.

۞ وقولُه: «﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾». هذه إمامةُ الدينِ، وأما إمامةُ الدنيا فقد تكُونُ لغيرِ المتقينَ، وإمامةُ النارِ قد تكُونُ للكافرِ، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ۝٤١﴾ [القصص: ٤١].

۞ وقولُ ابن عونٍ: «ثلاثٌ أُحِبُّهنَّ لنفسي ولإخواني: هذه السنةُ أن يتعَلَّموها ويَسْأَلُوا عنها، والقرآنُ أن يَتَفهَّمُوه ويسأَلُوا عنه». الظاهرُ أنه لا فرقَ بينَ الفهمِ والعلمِ في كلامِ ابنِ عونٍ، فإن المطلوبَ مِن ذلك أن يُفْهَمَ القرآنُ وتُفْهَمَ السنةُ، ومَن لم يَعْلَمْ ولم يَفْهَمْ، فَلْيسْأَلْ.

۞ وقولُه: «يَدَعُوا الناسَ». هذا في زمنِ الفتنةِ لا يَتكَلَّمُونَ مع الناسِ، ولا يَنحازونَ إلى هؤلاءِ، ولا إلى هؤلاءِ، بل يكُن همُّهم أن يَتعَلَّمُوا كتابَ اللهِ، وسنةَ رسولِه ﷺ، ويَدَعُوا الناسَ إلَّا مِن خيرٍ. إذا كان هناك خيرٌ، مثل أن يُصْلِحُوا بينَ الناسِ، ويُؤلِّفُوا بينهم، ويَجْمَعُوا كلمَتهم فهذا طيبٌ.

۞ قولُه: «اجعلنا». وهذا جمعٌ، وإمامًا مفردٌ، وذلك لأن إمامًا تصْلُحُ للجمعِ والمفردِ، وبعضُهم قال: اجعلنا؛ أي: اجعل كلَّ واحدٍ منا للمتقينَ إمامًا، لكنَّ الأولَ أظهرُ، وهو أنها صالحةٌ للجمعِ والمفردِ.

قال ابنُ حجرٍ في «الفتحِ» (١٣/ ٢٥٢):

۞ وقولُه: «أن يَتعلَّموها، ويَسألُوا عنها». في روايةِ يحيى بن يحيى هذا الأثرُ عن رسولِ اللهِ ﷺ، فيَتَّبِعُه ويَعْمَلُ بما فيه.

۞ قولُه: «والقرآنُ أن يَتفهَّموه ويَسْألُوا الناس عنه». في روايةِ يحيى «فيَتَدَبَّروه» بدلَ «فيَتَفَهَّمُوه»، وهو المرادُ.

۞ قولُه: «ويَدَعُوا الناسَ إلا مِن خيرٍ» كذا للأكثرِ بفتح الدالِ مِن «يَدَعُوا» وهو مِن الودعِ بمعنى التركِ. ووقَع في روايةِ الكُشْمَيْهَنِيِّ بسكونِ الدالِ مِن الدعاءِ، وكذا هو في نسخةِ الصاغانيِّ، ويُؤَيِّدُ الأولَ أن في روايةِ يحيى بنِ يَحْيَى: «ورجلٌ أَقْبَلَ على نفسِه ولَها عن الناسِ إلا مِن خيرٍ»؛ لأن في تركِ الشرِّ خيرًا كثيرًا. قال الكرمانيُّ: قال: في القرآنِ يَتَفَهَّمُوه، وفي السنةِ يَتَعلَّموها؛ لأن الغالبَ أن المسلمَ يَتعَلَّمُ القرآنَ في أولِ أمرِه، فلا يَحْتَاجُ إلى الوصيةِ بتعلُّمِه،

فلهذا أوصى بتفهم معناه، وإدراكِ منطوقِه. انتهى، ويُحْتَملُ أن يَكُونَ السببُ أن القرآنَ قد جمع بين دفتي المصحفِ، ولم تكُنِ السنةُ يومئذٍ جُمِعَتْ، فأرادَ بتعلمها جمعَها؛ لِيَتَمَكَّنَ من تفهمِها بخلافِ القرآنِ، فإنه مجموعٌ، فَلْيُبَادَرْ لِتَفهمه. ثم ذكَر فيه ثلاثةَ عشرَ حديثًا. اهـ

القولُ الثاني أحسنُ مِن الأولِ؛ وهو أن السنةَ يَتَعلَّموها، والقرآنَ يَتفهَّموه؛ لأن القرآنَ لا يَحْتَاجُ إلى تعلم. فهو معلومٌ بين الصغيرِ والكبيرِ، والذكرِ والأنثى.

وأما السنةُ فتَحْتَاجُ إلى معاناةٍ في تعلمِها.

أولًا: في إثباتِ صحَّةِ الحديثِ عن الرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وذلك بقراءةِ السننِ، والمسانيدِ، والرجالِ، وغيرِ ذلك.

والثاني في فهمِها.

٧٢٧٥- حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَبَّاسٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ وَاصِلٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: جَلَسْتُ إِلَى شَيْبَةَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ قَالَ: جَلَسَ إِلَيَّ عُمَرُ فِي مَجْلِسِكَ هَذَا فَقَالَ: هَمَمْتُ أَنْ لَا أَدَعَ فِيهَا صَفْرَاءَ وَلَا بَيْضَاءَ إِلَّا قَسَمْتُهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ. قُلْتُ: مَا أَنْتَ بِفَاعِلٍ. قَالَ: لِمَ. قُلْتُ: لَمْ يَفْعَلْهُ صَاحِبَاكَ، قَالَ هُمَا الْمَرْءَانِ يُقْتَدَى بِهِمَا.

قولُه: «الصفراءُ والبيضاءُ»: هما الذهبُ والفضةُ، ولكنه لما ذُكِّر بأن هذا شيءٌ لم يَفْعَلْه الرسولُ ﷺ، ولا خليفتُه، توقَّفَ، بل رجع، وقال: هما المرءان يُقْتَدَى بهما، فهذا يَدُلُّ على حرصِ عمرَ على اتباعِ السنةِ التي جاءَت عن النبيِّ ﷺ، وعن أبي بكرٍ.

٧٢٧٦- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: سَأَلْتُ الأَعْمَشَ، فَقَالَ: عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، سَمِعْتُ حُذَيْفَةَ، يَقُولُ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ، فَقَرَءُوا الْقُرْآنَ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ»[1].

قولُه: «في جَذْرِ»؛ أي: في أصلِ، الجذرُ وجمعُه جُذُورٌ؛ يعني: الأصولَ؛ يَعْني: أن الأمانةَ نَزَلتْ في أصلِ قلوبِ الرجالِ، ثم نزلَ القرآنُ مُتمِّمًا لذلك، فقرَأ الناسُ القرآنَ، وعلِموا مِن السنةِ، فاعتَصَموا بالقرآنِ والسنةِ.

٧٢٧٧- حَدَّثَنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ، سَمِعْتُ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيَّ، يَقُولُ: قَالَ عَبْدُ اللهِ: إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ،

(١) رواه مسلم (١/ ١٢٦) (١٤٣) (٢٣٠).

وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَإِنَّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ، وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ.

هذه الكلماتُ جاءَت عن النبيِّ عليه الصلاة والسلام، ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾[الأنعام:١٣٤]. هذه في القرآنِ الكريم.

والشاهدُ مِن هذا: أن أحسنَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وأحسنَ الهـدي هـديُ محمـدٍ، الهـديُ يعْني: الطريقَةَ، وطريقةُ النبيِّ ﷺ هي سُنتُه، والحُسْنُ هنا يشمَلُ: الحُسْنَ اللفظيَّ والمعنـويَّ، وحُسْنَ العقيدةِ، وحُسْنَ القولِ، وحُسْنَ العملِ.

وفي هذا الحديثِ: دليلٌ على جـوازِ الإخبـارِ عـن النبـيِّ ﷺ باسـمِه دونَ لقبِـه، بخـلافِ دعائِه، فإنه يُقَالُ: يا رسولَ اللهِ، يا نبـيَّ اللهِ؛ لقـولِ اللهِ تعـالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾[النور:٦٣]. على أحدِ التفسيرَيْنِ، أما في الخـبرِ، فـلا بـأسَ أن نَقُـولَ: قـال محمدٌ أو خيرُ الهدي هديُ محمدٍ.

٧٢٧٨- ٧٢٧٩- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ، عَـنْ عُبَيْـدِ اللهِ، عَـنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَزَيْدِ بْنِ خَالِدٍ، قَالاَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «لأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللهِ»[1].

٧٢٨٠- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ، حَدَّثَنَا هِلَالُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ عَطَـاءِ بْـنِ يَـسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَـدْخُلُونَ الْجَنَّـةَ، إِلَّا مَـنْ أَبَـى». قَـالُوا: يَـا رَسُولَ اللهِ وَمَنْ يَأْبَى، قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».

٧٢٨١- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَادَةَ، أَخْبَرَنَا يَزِيد، حَدَّثَنَا سَلِيمُ بْنُ حَيَّانَ - وَأَثْنَى عَلَيْـهِ - حَـدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ، حَدَّثَنَا أَوْ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، يَقُولُ: جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ إِلَى النَّبِـيِّ ﷺ وَهْـوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَـائِمٌ. وَقَـالَ بَعْـضُهُمْ: إِنَّ الْعَـيْنَ نَائِمَـةٌ، وَالْقَلْـبَ يَقْظَـانُ. فَقَـالُوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَـةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ. فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً، وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ، وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَـدْخُلِ الـدَّارَ وَلَـمْ يَأْكُـلْ مِـنَ الْمَأْدُبَةِ. فَقَالُوا: أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّـهُ نَـائِمٌ. وَقَـالَ بَعْـضُهُمْ: إِنَّ الْعَـيْنَ نَائِمَـةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ. فَقَالُوا فَالدَّارُ الْجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَقَـدْ أَطَـاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ. تابَعَه قتيبةُ، عـن ليـثٍ، عـن

(١) رواه مسلم (٣/ ١٣٢٤) (١٦٩٧،١٦٩٨) (٢٥) مطولًا.

خالدٍ، عن سعيد بن أبي هلالٍ، عن جابرٍ خرَج علينا النبيُّ ﷺ[1].

في نسخةٍ: حدَّثنا سليمان بنُ حَيَّانَ.

وفي نسخةٍ: محمدٌ فرْقٌ بين الناسِ وأخرى: محمدٌ فرَّق بينَ الناسِ.

الشاهدُ من هذا: قولُه: «**فمن أطاعَ محمدًا فقد أطاع الله، ومن عصَى محمدًا فقد عصى الله**». فهو دليلٌ على وجوبِ الاعتصامِ بالسنةِ.

۞ وقولُه: «فرَّق بينَ الناسِ، أو فرْقٌ»؛ يعني: بين المؤمنِ والكافرِ، وبينَ المسلمِ والمؤمنِ، وبينَ البرِّ والفاجرِ.

بعضُ الناسِ اليومَ يُنكِرُ السنةَ، أو يُنكِرُ الرجوعَ إليها ويقُولُ: عندنا القرآنُ نَرْجِعُ إليه ولا نرجعُ إلى غيره، وهذا أخبَر عنه الرسولُ ﷺ قال: «**لا أُلْفِيَنَّ أحدكم مُتكئًا على أريكتِه يأتيه الأمرُ مِن أمري، يَقُولُ: لا أَدْرِي، ما في كتابِ اللهِ اتَّبعْناه. قال: وإني أوتيتُ الكتابَ ومثلَه معَه**»[2]. والذين يَكفرونَ بالسنةِ كَافُرون بالكتابِ؛ لأن السنة متممةٌ له؛ إلا سنةً لم تَثبُت عن الرسولِ عليه الصلاة والسلام، فهذا شيءٌ آخر، لكن ما ثبتَ عنه فهو كالقرآنِ تمامًا.

فإذا قال قائلٌ: حديثُ«**مَن أطاعني دخلَ الجنةَ، ومَن عصاني فقد أَبَي**». هل يُفْهَمُ منه أن العاصِيَ لا يَدْخُلَ الجنةَ؟

الجوابُ: نعم فالعاصي لا يَدْخُلُ الجنةَ، ولكن المعصيةُ نوعانِ: والدخولُ نوعانِ:

فمَن عصَى معصيةً كاملَةً؛ دخَل النارَ مخلدًا فيها.

ومَن عصَى بعضَ معصيةٍ فهو مستحقٌّ لدخولِ النارِ، لكن بقدر معصيتِه، ولا يَسْلَمُ مِن النارِ إلا مَن أطاعَ الرسولَ عليه الصلاة والسلام، أما من عصى ولو معصية يسيرةً؛ فإنه مستحق لدخول النار والعذاب فيها.

فإذا قال قائلٌ: هل يصحُّ أن يُطلَقَ على الرسولِ إنه مُفَرِّقٌ؟

الجواب: لا، فإذا أطلقناه يجبُ أن نُفَسِّرَه، بأنه مأخوذٌ مِن الحديثِ؛ لأن الحديثَ قسَّمَ الناسَ إلى مطيعٍ وعاصٍ، فمحمدٌ عليه الصلاة والسلام فرَّقَ بينَ المطيعِ والعاصي.

---

(١) علقه البخاري بصيغة الجزم كما في «الفتح» (١٣/ ٢٤٩). وقال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٢٥٦): وصله الإسماعيلي، عن الحسن بن سفيان. وأبو نعيم من طريق أبي العباس سراج، كلاهما، عن قتيبة. وانظر: «هدي الساري» (ص ٧٠).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ٤٥/ ١٣٠ (١٧٧٤)، وأبو داود (٤٦٠٤)، وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

٧٢٨٢- حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ هَمَّام، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا فَقَدْ سُبِقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا، لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا.

في نسخةٍ «فقد سَبقتم».

هذه توصيةٌ مِن حذيفةَ رضي الله عنه يُوصِي القرَّاءَ؛ يَعْنِي: حملةَ القرآنِ، يوصيهم بالاستقامةِ، ويَقُولُ: إنكم سَبقتم سبقًا بعيدًا بما مَنَّ اللهُ به عليكم مِن قراءةِ القرآنِ، فإن أخذتم يمينًا وشمالًا، لقد ضَلَلْتُمْ ضلالًا بعيدًا؛ لأنكم عَلِمتم الحقَّ، والذي يَأخُذُ يمينًا وشِمالًا بَعْدَ عِلْمِهِ بالحقِّ، لا شكَّ أنه ضالٌّ ضلالًا بعيدًا.

٧٢٨٣- حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا، فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ فَالنَّجَاءَ. فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأَدْلَجُوا، فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ، فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي، فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي، وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ»[1].

❁ قولُه عليه الصلاة والسلام: «إنما مثلي ومَثَلُ ما بعَثَني اللهُ بِهِ كمثلِ رجلٍ أتى قومًا، فقال: يا قومِ إني رأيتُ الجيشَ بعيني». و«بعيني». هنا تأكيدٌ للرؤيةِ؛ لأن الرؤيةَ لا تكونُ إلا بالعينِ.

❁ وقولُه: «وإني أنا النذيرُ العريانُ» النذيرُ: المنذِرُ. والعريانُ: المتجردُ مِن ثيابه، وكانوا إذا دَهَمَهم العدوُّ، وكانوا يَتخوَّفُونَ منه كثيرًا، فيأتي النذيرُ عريانًا في القومِ، فيَصِيحُ بهم: النَّجاءَ النَّجاءَ. وهذا يَحْتَمِلُ أن يَكُونَ إشارةً إلى أن العدوَّ قد سلَبه حتى ثيابَه، ويَحتمِلُ أن العدوَّ سلَبه فعلًا سلبًا حقيقةً، ويَحْتَمِلُ أن ذلك من أجل التهييجِ؛ أي تهييج القوم. كلُّ ذلك محتَمِلٌ؛ لأن كشفَ العوراتِ عندهم أمرٌ عظيمٌ حتى إن بعضَهم إذا أُدرِك؛ يَعْنِي: لِيُقْتَلَ. كشفَ عورتَه، فإذا كشَفَ عورتَه امتنَع القاتلُ، أو امتنَع مريدُ القتلِ، عن قتلِه.

ثم ذكرَ أن الناسَ انقَسَموا إلى قسمينِ: طائفةٌ مِن قومِه أطاعُوه، فأدْلَجُوا فانطلَقوا على مَهَلِهم، فنجوا، وكذَّبت طائفةٌ منهم فأَصبحوا مكانَهم فصبَّحَهم الجيشُ فأهْلَكهم واجتاحَهم.

وفي هذا الحديثِ: ضربُ الأمثالِ، وأن ضربَ الأمثالِ لتقريبِ المعاني لا بأسَ به.

---

(١) رواه مسلم ٤/ ١٧٨٨ (٢٢٨٣) (١٦).

فهل يَشْمَلُ ذلك ضربَ الأمثالِ بالفعل، وهو ما يُسَمَّى عند الناسِ بالتمثيلياتِ، أو يُقالُ: إن هناك فرقًا بينَ التمثيلِ القوليِّ، والتمثيلِ الفعليِّ.

من هنا اختلَفَ الناسُ. فمنهم مَنْ يَقُولُ: هناك فرقٌ.

ومنهم مَنْ قالَ: إنه لا فرقَ بينهما. المهمُّ ألا يَشْتَمِلَ التمثيلُ الفعليُّ على شيءٍ مُحرَّمٍ.

التفسير الثاني: أنه إذا دعاكم شيء وجب عليكم الإجابة، وأما غيره فلا تجب.

القولُ الراجح في التمثيل أنه لا بأس بِهِ، إذا لم يَشْتمِلْ على شيءٍ محرمٍ.

٧٢٨٤ - ٧٢٨٥ - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ عُمَرُ لأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ». فَقَالَ: وَاللهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ. فَقَالَ عُمَرُ: فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ[1].

قَالَ ابْنُ بُكَيْرٍ، وَعَبْدُ اللهِ، عَنِ اللَّيْثِ: عَنَاقًا. وَهْوَ أَصَحُّ[2].

۞ قولُه: (عقلًا) أو (عِقَالًا). الفرقُ بينهما: أن العناقَ: هو الصغيرُ مِن ولدِ الماعزِ، والعقالُ: ما يُعْقَلُ به الناقةُ.

فأبوبكرٍ يَقولُ: «لو منَعُوني عِقالًا تُعْقَلُ به إبلُ الصدقةِ لقَاتَلْتُهم». واللفظُ الثاني: عَنَاقًا؛ يَعْني: لو منَعُوني صغيرًا من الماعزِ لقاتَلْتُهم على ذلك.

وهذا الحديثُ فيه: دليلٌ على حسنِ سيرةِ الصحابةِ ﷺ، وأن الصغيرَ يُنَاقِشُ الكبيرَ.

وفيه: دليلٌ أيضًا على أن مقصودَهم الحقُّ، فيَرْجِعُ المناقِشُ إلى الحقِّ؛ لأن عمرَ رضي الله عنه لما رأى اللهَ قد شرحَ صدرَ أبي بكرٍ للقتالِ، علِم أنه الحقُّ.

---

(١) رواه مسلم (١/ ٥١) (٢٠) (٣٢).

(٢) علق البخاري رحمه الله قولي ابن بكير، وعبد الله بصيغة الجزم كما في «الفتح» (١٣/ ٢٥٠).

فأما حديث ابن بكير فقد أسنده المؤلف في استتابة المرتدين، باب قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة (٦٩٢٤). وأما حديث عبد الله، وهو ابن صالح، فقد وصله أبو عبيد في كتاب «الأموال» له عن عبدالله بن صالح، ثنا الليث بن سعد، حدثني عقيل، عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: أن أبا هريرة..... الحديث. وانظر: «تغليق التعليق» (٥/ ٣٢١).

وفيه: دليلٌ على أن الرجلَ المجتهدَ المعروفَ بالصلاحِ، إذا انشَرَح صدرُه لشيءٍ، فهو دليلٌ على أنه الحقُّ، ويُؤيِّدُ هذا قولُ النبيِّ ﷺ: «البرُّ ما اطمأنت إليه النفس واطمأنَّ إليه القلبُ، والإثمُ ما تردد في الصدر أو ما حاك في الصدرِ وكرِهتَ أن يَطَّلِعَ عليه الناسُ»[1].

ومن فوائدِ هذا الحديثِ أيضًا: قوةُ أبي بكرٍ رضي الله عنه في مواطنِ الضيقِ، وأنها تَرْبُو على قوةِ عمرَ رضي الله عنه، ففي موتِ الرسولِ عليه الصلاة والسلام حصلَ من عُمر ما هو معلومٌ، وجاء أبو بكرٍ ـ وهو أشدُّ مصيبةً من عمر بموتِ رسولِ الله ﷺ ـ مطمئنًا وصعِدَ المنبرَ، وأخبرَ الناسَ بموتِ الرسولِ عليه الصلاة والسلام، وقال: من كان يَعْبُدُ محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبدُ اللهَ فإن اللهَ حيٌّ لا يموتُ، وتلا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٤٤]. فكان عمرُ يقولُ: فو اللهِ ما أن سمِعتُها حتى عقِلْتُ، فما تُقِلُّني رِجْلاي[2].

وكذلك في قصةِ جيشِ أسامةَ الذي نفَّذه الرسولُ عليه الصلاة والسلام، وتوفِّي وهو في ظهر المدينةِ فأمَر أبو بكرٍ رضي الله عنه أن يَسْتَمِرَّ الجيشُ، فجادَلَه في ذلك عمرُ فقال: واللهِ لا أنقُضُ رايةً عقدها رسولُ اللهِ ﷺ، فنفَّذ الجيشَ، وصارتِ العاقبةُ حميدةً؛ لأن الذين ارتدُّوا من العربِ قالوا: لولا أن عند هؤلاءِ القومِ قوةً، ما بعثوا جيشًا يُقاتِلُ الرومَ. فاسْتَسْلموا.

وأيضًا: في قتالِ أهلِ الردةِ، فإن عمرَ توقَّف حتى بيَّن له أبو بكرٍ رضي الله عنه بهذا الحزمِ حيثُ قال: لو منعوني عَنَاقًا، أو عِقالًا يُؤدُّونه إلى رسولِ اللهِ ﷺ لقاتَلْتُهم على ذلك.

وفي هذا الحديث: دليلٌ على فائدةٍ عظيمةٍ؛ وهي أن مانِعِي الزكاةِ يُقَاتَلُونَ عليها ولا يُقْتَلُون؛ أي: يُقَاتَلُونَ عليها حتى يُؤَدُّوها، ودماؤُهم حرامٌ، لكن يُقَاتَلُونَ من أجلِ القيامِ بالواجبِ كما نقول بأنه يُقاتَلُ من ترَك الأذانَ ولا يُقْتَلُ، وكما تقول: تُقَاتَلُ الفئةُ الباغيةُ ولا تُقْتَلُ، فبابُ القتالِ أوسعُ من بابِ القتلِ.

* *** *

ثم قال البخاريُّ رحمه الله:

٧٢٨٦- حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٥٥٣) (١٤) بنحوه.

(٢) رواه البخاري (١٢٤١).

فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسِ بْنِ حِصْنٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ، فَتَسْتَأْذِنَ لِي عَلَيْهِ. قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ لِعُيَيْنَةَ، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ وَاللهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ، وَمَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ. فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ بِأَنْ يَقَعَ بِهِ فَقَالَ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف:١٩٩] وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ. فَوَاللهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ.

الشاهدُ من هذا: أن عمرَ اعتصَم بكتابِ اللهِ، ولم يَتَجاوزْهُ، وهذا واجبٌ على كلِّ مؤمنٍ؛ لقولِه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦]. وإلا فهذه كلماتٌ عظيمةٌ كبيرةٌ في حقِّ أميرِ المؤمنينَ، فالرجلُ يقولُ: ما تُعطِينا الجزلَ، وما تحكُم بيننا بالعدلِ.

❁ أما قولُه: «ما تُعْطِينا الجزْلَ». فهذا أعرابيٌّ لا يَشْبَعُ، فلو أُعطِي الدنيا كلَّها فهي عندَه يَسيرةٌ، وعمرُ لا يُعْطِي الجزْلَ، وإنما يُعْطِي ما فيه مصلحةُ الخلقِ؛ لأنه أمينٌ على بيتِ المالِ.

❁ أما قولُه: «وما تَحْكُمُ بيننا بالعدلِ». فقد كذَب، فإن عمرَ مضربَ المثلِ في العدلِ، وهو من أعدلِ الخلفاءِ رضي الله عنه؛ ولهذا همَّ أن يَقَع به حين غضِب، ولكن أخاه كان ذَكِيًّا حليمًا فقال: إن اللهَ قال لنبيِّه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف:١٩٩].

❁ قولُه: ﴿الْعَفْوَ﴾. يَعْني: ما عفَا وتيَسَّر من الناسِ، ولا تطلُبْ حقَّك كلَّه، فإن ذلك لا يُمكِنُ من بني آدمَ، وإنما تأخُذُ العفوَ، أي: ما عفَا وهانَ وتيَسَّر.

❁ وقولُه: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾. أي: بما يُعْرَفُ من الشرعِ، وبما يُعْرَفُ من العادةِ والمروءةِ.

❁ وقولُه: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾. لأنه سوف يَجْهَلُ عليك، ما يجهل إذا أَمَرت بالعُرْفِ، فما من آمرٍ بالمعروفِ إلا ويجِدُ أذًى، وإن هذا يكونُ من الجاهلين.

يقُول: لما تلَاها عليه، ما جاوزها. ولا ضرَبه، ولا قال له شيئًا، وكان وقَّافًا عندَ كتابِ اللهِ رضي الله عنه.

وقولُه: «ما جاوزها» الظاهرُ أنه من كلامِ ابنِ عباسٍ؛ لأنه هو راوي الحديثِ.

* ❁❁❁ *

ثم قال البخاريُّ رحمه الله تعالى:

٧٢٨٧- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ

الْمُنْذِرِ، عَنْ أَسْمَاءَ ابْنَةِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ حِينَ خَسَفَتِ الشَّمْسُ، وَالنَّاسُ قِيَامٌ وَهِيَ قَائِمَةٌ تُصَلِّي فَقُلْتُ: مَا لِلنَّاسِ؟ فَأَشَارَتْ بِيَدِهَا نَحْوَ السَّمَاءِ فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللهِ! فَقُلْتُ: آيَةٌ. قَالَتْ: بِرَأْسِهَا أَنْ نَعَمْ. فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَرَهُ إِلَّا وَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي، حَتَّى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ - أَوِ الْمُسْلِمُ لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ: أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ فَأَجَبْنَا وَآمَنَّا. فَيُقَالُ: نَمْ صَالِحًا عَلِمْنَا أَنَّكَ مُوقِنٌ. وَأَمَّا الْمُنَافِقُ - أَوِ الْمُرْتَابُ لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ»[(١)].

الشاهدُ من هذا الحديث قولُه: «جاءَنا بالبيناتِ، فأجبنا وآمنا». وهذا هو الاعتصامُ بالسنَّة، وأثرُ عمرَ الذي سبقَ هو من الاعتصامِ بالكتابِ.

وفي هذا الحديثِ من الفقهِ: جوازُ الإشارةِ في جوابِ مَن طلَب أو استفهم عن شيءٍ في الصلاةِ.

وفيه: تسبيحُ المرأةِ لقولِ عائشةَ رضي الله عنها: سبحانَ اللهِ. ولا يُخالِفُ هذا قولَ النبيِّ عليه الصلاة والسلام: «إذا نابكم شيءٌ فَلْيُسَبِّحِ الرجالُ ولْتصفِّق النساءُ»[(٢)]. لأن المرادَ بذلك النساءُ مع الرجالِ إذا نابهم شيء، أما إذا كانتِ النساءُ وحدَهن وامرأةٌ إلى جوارِ امرأةٍ مع الرجالِ، ولا يسْمَعونَ صوتَها، فلا بأسَ؛ لأنه إنما أُمِرَ النساءُ بالتصفيقِ، صيانةً عن سماعِ أصواتِهن.

وفي الحديثِ أيضًا من العقيدةِ: أن الرسولَ عليه الصلاة والسلام قد يُكْشَفُ له حتى يَرَى ما كان غائبًا عن الخلقِ، فقد رأَى في مقامه حتى الجنَّة والنارَ.

وفيه أيضًا من العقيدةِ: إثباتُ فتنةِ القبرِ فإنها قريبةٌ من فتنةِ الدجالِ، لعظمِها؛ فإن الإنسانَ ليس عنده كتابٌ في القبرِ يَرْجِعُ إليه، فإذا سُئِل عن ربِّهِ، ودينِهِ، ونبيِّه، فإن كان من المؤمنين أجابَ بالصوابِ، وإن كان من المرتابين أو المنافقين قال: لا أدري سمِعتُ الناسَ يَقُولُون شيئًا فقُلْتُه، ولكن الإيمان لم يَصِلْ إلى قلبِهِ - والعياذُ باللهِ.

ومن قال إن محمدًا يَعْلَمُ الغيبَ استنادًا لهذا الحديثِ فهو صادقٌ كاذبٌ؛ لأنه إن أراد أنه يَعْلَمُ الغيبَ بذاتِه بدونِ وحيٍ من اللهِ فهو كاذبٌ؛ لأن اللهَ قال له: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾[الأنعام: ٥٠].

وإن أراد أنه يَعْلَمُ الغيبَ بما أخبره اللهُ؛ فهو صادقٌ؛ لقولِه تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ

---

(١) رواه مسلم ٢/ ٦٢٤ (٩٠٥) (١١).

(٢) رواه البخاري (٧١٩٠)، ومسلم ١/ ٣١٦ (٤٢١) (١٠٢).

﴿عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[الجن:٢٦-٢٧]. والصوفيةُ يَرَونَ أنه يَعلمُ الغيبَ بذاتِه لا بالوحيِ، حتى إنه يَعْلَمُ -عندهم- ما يَقع في الأرضِ بعدَ موتِه، وهذا لا يُمْكِنُ.

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٧٢٨٨- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»(١).

في روايةِ مسلم: «بأمرٍ».وفي روايةٍ أخرى له: «بشيءٍ» وعلى كلِّ حالٍ المرادُ بالأمرِ أو بالشيءِ معناه واحدٌ.

وفي هذا الحديثِ: دليلٌ على أنه في عهدِ الرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لا يَنْبَغِي السؤالُ، فقد قال اللهُ تعالى: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[المائدة:١٠١]. فعلى الإنسانِ أن يَعْتَصِمَ بما جاءه.

وهنا فرَّق عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بين النهي والأمرِ: فالنهيُ قال فيه: اجتنبوه. والأمرُ قال: ائتوا منه ما اسْتَطَعْتُم؛ لأن النهي يُجْتَنَبُ كلُّه ولا يفعل الإنسان ولا يعطه، والأمرُ يُفْعَلُ ما يُقْدَرُ عليه منه.

فإذا قِيلَ: لا تَفْعَل كذا. فلا يَجوزُ لك أن تَفْعَلَ بعضًا، وتَقُولُ: أنا ما فَعَلْتُه كلَّه، بل قد فعلْتُ البعضَ.

وإذا قِيلَ: افْعل كذا. ففعَلْتَ البعضَ بقدرِ استطاعتِك، فإنه قد بَرِئَتْ ذمتُك.

* *** *

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣- بابُ ما يُكرَهُ من كثرةِ السؤالِ وتكَلُّفِ ما لا يَعنِيه، وقولِه تعالى: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾.

٧٢٨٩- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يَزِيدَ الْمُقْرِئُ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ، فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ»(٢).

الترجمة هذه مهمة، فترجم البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ «بابَ ما يُكْرَهُ من كثرةِ السؤالِ». وكثرةُ السؤالِ على نوعين:

النوعُ الأولُ:الإعناتُ؛ يعني: الإشقاقُ على المسئولِ، بحيثُ يَقْصِدُ بذلك مللَه، وتعبَه، وخطأه وما أشبهَ ذلك، فهذا لا شكَّ أنه منهيٌّ عنه لما فيه من الإضرارِ بالشخصِ المسئولِ،

(١)رواه مسلم (٢/ ٩٧٥) (١٣٣٧) (٤١٢) بلفظ «بشيءٍ».
(٢)رواه مسلم (٤/ ١٨٣١) (٢٣٥٨) (١٣٢).

ولما فيه من الخطر فيما يُجِيب به هذا الشخصُ؛ لأنه قد يُجِيبُه في هذه الحالِ بخطأٍ.

والنوع الثاني: كثرةُ السؤالِ على سبيلِ البحثِ والمناقشةِ والتعلُّمِ، فهذا لا بأسَ به، كما يَكُونُ من الطالبِ إلى معلمِهِ؛ لأنه من بابِ التعلم.

وأما تَكَلُّفُ ما لا يُعْنِيه فهذا من أهمِّ ما يَكُونُ اجتنابُه. فالشيءُ الذي لا يَعْنِيك لا تتكَلَّفْه، ولاسيَّما في الأمورِ الخبريةِ التي تتعلَّقُ بذاتِ اللهِ سبحانَه وأسمائِه وصفاتِه، وكثيرٌ من الطلبةِ في الوقتِ الحاضرِ لما منَّ اللهُ عليهم بالتفتحِ، ومحبةِ التعمقِ في العلمِ صاروا يَتَنطَّعُونَ ويَسْأَلُونَ عن أشياءَ لا تَعْنِيهم ولا يَحْتَاجُونَ إليها؛ لأننا نَعْلَمُ أنها لو كانت تَعْنِي الناسَ أو يَحْتَاجُونَ إليها لبُيِّنَتْ، ولهذا أمثلةٌ كثيرةٌ.

منها: مَن يَسْأَلُ عن كيفيةِ النزولِ.

ومنها: مَن يَقُولُ: كيف يَنْزِلُ وهو فوقَ كلِّ شيءٍ.

ومنها: مَنْ يَقُولُ: كيف يَنْزِلُ في ثلثِ الليلِ الآخرُ، وثلُثُ الليلِ الآخرُ يَمْتَدُّ في الأرضِ كلِّها، حتى يَدُورَ عليها وأشباه ذلك.

وكذلك من الطلبةِ مَن يَسْأَلُ: كم أصابعُ الرحمنِ عَزَّوَجَلَّ، وكم أناملُه؟ وما أشبهَ ذلك من الأسئلةِ التي لا تَعْنِيك، والتي من حُسنِ إسلامِ المرءِ وأدبِهِ مع اللهِ ورسولِه ألا يَسْأَلَ عنها، وَلْيَسْأَلِ الإنسانُ نفسَه فَلْيَقُلْ: أأنا أحرصُ أم الصحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟ سيُجِيبُ نفسَه بأن الصحابةَ أحرصُ، أحرص على العلمِ باللهِ وبأسمائِه وصفاتِه منك وهم أحبُّ للخيرِ منك، ولم يَسْأَلُوا النبيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن شيءٍ.

وانْظُر إلى أدبِهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لما حدَّثهم الرسولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الدجالَ يَبْقَى أربعينَ يومًا: «اليومُ الأولُ كسنةٍ»[1]. ما سألوا كيف يكُونُ اليوم الأوّلُ سنةً؟ والمعروفُ أن دورانَ الشمسِ يَكُونُ في أربعٍ وعشرينَ ساعةً، إنما سألوا عن الشيءِ الذي يُهِمُّهم، وهو الصلاةُ، فقالوا: كيف صلاتُنا في ذلك اليوم؟

فإذا عرفتَ الأدبَ مع اللهِ ورسولِه في مثلِ هذه الأمورِ، فإنك لا تتكَلَّمُ. والإمامُ مالكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ لما سُئِلَ عن قولِهِ تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]. كيف استوى؟ قال: السؤالُ عنه بدعةٌ[2].

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٢٥٠) (٢١٣٧) (١١٠).

(٢) رواه الدارمي في «الرد على الجهمية» (١٠٤) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٦٦٤)، وأبو عثمان الصابوني في «عقيدة السلف» (٢٥)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٥)، وله طرق عدة تنبأ بثبوت هذه القصة عن =

فالحاصلُ: أن كلَّ شيءٍ لم يَرِدْ في القرآن والسنةِ، مما يتعلَّقُ بأمور الغيبِ، فوظيفتُك الأدبية، والشرعية، والعقلية ألَّا تَسْأل عنه، و إن تَسْأَلْ عن المعنى فلا بأسَ؛ لأن المعني مما يَجِبُ علمهُ، أما الكيفيةُ، كيف ولِمَ، وما أشبهَ ذلك فهذه لا تَسْأَلُ عنها، وظيفتُك التسليمُ؛ ولهذا قال: «وتكلُّفٌ» أي: ما يُكْرَه من تكلُّفِ ما لا يَعْنيه.

وقولُه تعالى: «﴿لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[المائدة:١٠١]». هذه إنما تكُونُ في زمنِ الوحيِ؛ يَعْنِي أن الله نَهى عبادَه المؤمنينَ أن يَسْأَلُوا عن أشياءَ في زمن الوحي، فقد تكُونُ معفوًّا عنها مسكوتًا عنها، ثم بعدَ هذه المسألةِ تُحَرَّمُ أو تُوجَب، مثال ذلك: عندما سأل الأقرعُ بنُ حَابسٍ رسولَ اللهِ ﷺ لما قال: «إن اللهَ كتَب عليكم الحجَّ فحُجُّوا». قال: أفي كلِّ عام يا رسولَ اللهِ؟ هذا سؤالُ تكَلُّفٍ، ولهذا قال له «لو قُلْتُ: نعم. لوجَبَتْ ولما اسْتطَعْتُم، الحجُّ مرةٌ، فما زاد فهو تطوعٌ، ذَرُوني ما تَركتُكم؛ فإنما أهلَكَ من كان قبلكم كثرةُ مسائِلهم واختلافُهم على أنبيائِهم»[1] وما اشبه ذلك.

وهذا الحديثُ:الذي ذكَره البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أن أعظمَ المسلمينَ جُرْمًا مَن سأل عن شيءٍ لم يُحَرَّمْ، فحرِّم من أجلِ مسألتِهِ»، هذا من أعظم الناس جرما؛ لِأَنَّهُ حرَّم ما أحلَّه اللهُ لعبادِه، وكذلك مَن سأل عن شيءٍ لم يَجِبْ، فأُوجِب من أجلِ مسألتِهِ، فهو شريكُه في هذا الإثم.

أما بعدَ أن انقطَع الوحيُ، فلا بأسَ أن يَسأَلَ الإنسانُ عن كلِّ شيءٍ يَعِنُّ له و يَخْفَى عليه.

والترجمةُ هنا أخصُّ من وجهٍ، وأعمُّ من وجهٍ؛ لأن الترجمةَ في الكثرةِ لا في مطلقِ السؤالِ، والآيةُ في مطلقِ السؤالِ، فمطلقُ السؤالِ إنما يُنْهى عنه في زمنِ التشريعِ، وأما كثْرةُ السؤالِ ففي كلِّ وقتٍ ما لم يَكنْ على وجهِ التعلُّمِ كما سبَق.

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٢٩٠- حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، أَخْبَرَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، سَمِعْتُ أَبَا النَّضْرِ يُحَدِّثُ عَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اتَّخَذَ حُجْرَةً فِي الْمَسْجِدِ مِنْ حَصِيرٍ، فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهَا لَيَالِيَ، حَتَّى اجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَاسٌ، ثُمَّ فَقَدُوا صَوْتَهُ لَيْلَةً فَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ نَامَ، فَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَتَنَحْنَحُ لِيَخْرُجَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «مَا زَالَ بِكُمُ الَّذِي رَأَيْتُ مِنْ صَنِيعِكُمْ،

=

مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ؛ ولذلك قال الذهبي في «مختصر العلو» (ص١٤١): هذا ثابت عن مالك.

(١) رواه البخاري (٧٢٨٨) مختصرًا، ومسلم (٢/ ٩٧٥) (١٣٣٧) (٤١٢) مطولًا.

حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيْكُمْ، وَلَوْ كُتِبَ عَلَيْكُمْ مَا قُمْتُمْ، بِهِ فَصَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ أَفْضَلَ صَلَاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ، إِلَّا الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ»[1].

في هذا الحديث أيضًا: من الأشياءِ التي يتكلَّفُها بعضُ الناسِ حتى تُفْرَضَ على الأمةِ، فإن النبيَّ ﷺ صلى في حجرةٍ من حصيرٍ، فعلِم الناسُ، فاجتَمعوا إليه حتى كَثُروا، ثم إنهم فقدوا صوتَه، فظنُّوا أنه قد نام، فجعلوا يَتَنَحْنَحُونَ لِينبِّهُونهُ، فبيَّن لهم عليه الصلاة والسلام أنه إنما ترك هذا خوفًا من أن تُفْرضَ على الأمةِ، فيعْجَزوا عنها.

وفي الحديثِ: «**أيُّها الناسُ صلُّوا في بيوتِكم فإن أفضلَ صلاةِ المرءِ في بيتهِ إلا الصلاةَ المكتوبةَ**» يُسْتَثْنَى من ذلك ما دلَّت عليه السُّنةُ، قيامُ الليلِ في رمضانَ، فإنه ثابتٌ في السنَّة، ويُسْتَثْنَى من هذا أيضًا صلاةُ الكسوفِ على القولِ بأنها سنةٌ، ويُسْتَثْنى من هذا صلاةُ الاستسقاء، ويُسْتَثْنى من هذا صلاة العيدِ على القولِ بأنها سنةٌ أو فرضُ كفايةٍ.

إذًا: المرادُ بذلك أن التطوعَ، الأفضلُ أن يَكُونَ في البيتِ حتى في مكةَ، حتى في المدينةِ كما هو الظاهرُ من هذا الحديثِ، فالصلاةُ في البيتِ أفضلُ.

وعلى هذا فإذا كنت في مكةَ، وأَرَدْتَ أن تتطَوَّعَ، فالتطوعُ في البيتِ أفضلُ من التطوعِ في المسجدِ الحرامِ.

وإنما قُلْنَا: إن صلاةَ التطوعِ في البيتِ أفضلُ من التطوعِ في الحرمِ؛ لأن الرسولَ صلى الله عليه وسلم قالها في المدينةِ، وهو يقُولُ: «**صلاةٌ في مسجدِي هذا خيرٌ من ألفِ صلاةٍ فيما سواه**»[2]. والتوفيقُ بينَهما بأن يُقَالَ: إما أن هذا خاصٌّ بالفرائضِ، كما قيل بها: إن ما يُشرع في المسجد فهو في المساجد الثلاثة أكثر. ولكنَّ هذا قولٌ فيه نظرٌ، بل نَقُولُ: ما فُعِل في المسجدِ مما يَكُونُ في المسجدِ تحيةُ المسجدِ مثلًا. فتحية المسجد تكونُ أفضلَ من ألفِ تحيةٍ فيما سوى المسجدِ النبويِّ، إلا المسجد الحرامَ، وكذلك أيضًا لو جلَس إنسانٌ يَنْتَظِرُ الصلاةَ، وصلَّى. فهذا نفلٌ مطلقٌ، فإن هذه الصلاةَ أفضلُ من مائةِ ألفِ صلاةٍ فيما سواه وهكذا.

وأما أن تَقصِدَ أن تذهبَ من بيتِك إلى المسجدِ من أجل هذا الفضلِ فلا.

وأعلم أن هذا التضعيفَ الذي في الحديثِ يَكُونُ في الكميةِ، لَكن في البيتِ يَكُونُ بالكيفيةِ، ومعلومٌ أنك لو جَمَعْتَ مائةَ نواة، ثم أتيتَ بحجرٍ كبيرٍ صار الحجرُ أعظمُ منها،

---

(١) رواه مسلم (١/ ١٥٣٩) (٧٨١) (٢١٤).

(٢) رواه البخاري (١١٩٠)، مسلم ٢/ ١٠١٢ (١٣٩٤) (٥٠٥).

فالصلاةُ في البيتِ من حيث الكيفيةِ أفضلُ من حيث الصلاةِ، وإن زادتِ الكميةُ في المسجدِ النبويِّ، هذا وجهٌ.

الحاصل: أن ما يُشْرَعُ فعلُه في المساجدِ، فالمساجدُ الثلاثةُ خيرٌ من البيتِ، ومن المساجدِ الأخرى، وما لا يُشْرَعُ ففي البيتِ أفضلُ، فراتبة الفجر في البيت أفضل، لأن الحديث عام.

* *** *

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٢٩١- حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَشْيَاءَ كَرِهَهَا، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ الْمَسْأَلَةَ غَضِبَ وَقَالَ: «سَلُونِي». فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَبِي قَالَ: «أَبُوكَ حُذَافَةُ». ثُمَّ قَامَ آخَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَبِي فَقَالَ: «أَبُوكَ سَالِمٌ مَوْلَى شَيْبَةَ». فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا بِوَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْغَضَبِ قَالَ: إِنَّا نَتُوبُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ[1].

هذا شاهدٌ للباب، لأن الرسولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لما أكثروا عليه المسألةَ غضب، وقال: «سَلُونِي». تحديًا لهم، فجعَلوا يَسْألُونه هذا السؤالَ، مَن أبي؟ مَن أبي؟ مع أنه لا فائدةَ منه.

لكن كأنَّ السائلينَ قد قيل فيهم ما قيل من الاشتباهِ، بأنهم يُنْسَبُونَ إلى آبائِهم أو لا، فأرادوا أن يَأخذوا من النبيِّ ﷺ إثباتًا بأن آباءَهم فلانٌ وفلانٌ.

ولكنَّ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما رأى ما بوجهِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم من الغضبِ قال: إنا نَتُوبُ إلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. يَعْني: نَرْجِعُ إليه مما أغضب رسولَه ﷺ.

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٧٢٩٢- حَدَّثَنَا مُوسَى، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ، عَنْ وَرَّادٍ كَاتِبِ الْمُغِيرَةِ قَالَ كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْمُغِيرَةِ اكْتُبْ إِلَيَّ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ». وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَنْهَى عَنْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ، وَكَانَ يَنْهَى عَنْ عُقُوقِ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدِ الْبَنَاتِ، وَمَنْعٍ وَهَاتِ[2].

---

(١) رواه مسلم (٤/ ١٨٢٤) (٢٣٦٠) (١٣٨).

(٢) رواه مسلم (١/ ٤١٤) (٥٩٣) (١٣٧) مختصرًا.

في هذا الحديثِ: كتَب معاويةَ إلى المغيرةِ ﷺ جميعًا يَسْأَله عما سمِع من رسولِ اللهِ ﷺ؛ لأن الخلفاءَ في صدرِ هذه الأمةِ علماءُ، يَحْرِصُونَ على العلمِ، وعلى الحديثِ، فكتَب إليه يَسْأَله ماذا سمِع من رسولِ اللهِ ﷺ، فكتبَ إليه المغيرةُ... إلى آخرِه.

وفي هذا الحديث: دليلٌ على تداولِ الحديثِ بواسطةِ الكتابةِ، وهذا أمرٌ كان فيه خلافٌ في صدرِ هذه الأمةِ؛ فإنهم كرِهوا أن يُكتَبَ الحديثُ خوفًا من أن يُلْحَقَ بالقرآنِ، لكن بعد ذلك اتَّفق العلماءُ على جوازِ كتابةِ الحديثِ، وعلى جوازِ كتابةِ الأحكامِ المستنبطةِ من الأحاديثِ في المصنفاتِ الفقهيةِ وغيرِها [١].

كتَبَ إليه يَقُولُ: إن النبيَّ ﷺ كان يَقُولُ في دبرِ كلِّ صلاةٍ: «لا إلهَ إلا اللهُ».

والمرادُ بدبرِ الصلاةِ هنا: ما بعدَ السلامِ؛ لأنه يَقَعُ مستدبرًا لها.

وأما قولُه في حديثِ معاذٍ: «لا تدَعَنَّ أن تَقُولَ في دبرِ كل صلاةٍ» [٢]. فالصحيحُ أن المرادَ به آخرُ الصلاةِ، والفرق أن حديث معاذ: «اللهم أعني» دُعاء، ومحل الدعاء قبلَ السلامِ بعدَ التشهدِ، كما قال النبيُّ ﷺ في حديثِ ابنِ مسعودٍ، لما ذكرَ التشهدَ قال: «ثم ليَتخيَّرْ من الدعاءِ ما شاء» [٣].

وأما الذكرُ فهو بعدَ الصلاةِ؛ لقولِه تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾[النساء:١٠٣].

وقولُه: «لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ، وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ». النفيُ هنا نفيٌ للحقيقةِ، فلا إلهَ حقٌّ إلا اللهُ، أما ما يُعبَدُ مِن دون اللهِ، ويُسَمَّي إلهًا فهو أسماءٌ فقط، قال تعالى: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾[النجم:٢٣]. ووضَعوها على غيرِ مسمياتِها في الحقيقةِ، فهم يَعْبُدُونَ هذه الأصنامَ، ويَتَّخِذُونها آلهةً، وهي في الحقيقةِ ليست بآلهةٍ.

وقولُه: «وحدَه لا شريكَ له». هذا تأكيدٌ للنفيِ والإثباتِ، «فلا شريكَ له». تأكيدٌ

---

(١) أما سبب كراهه السلف كتابة الحديث قديمًا فذلك لما رواه الإمام مسلم (٣٠٠٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه...»
قال القاضي عياض في إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٥٥٣): كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف كثير في كتابة العلم، فكرهه كثيرمنهم، وأجازها أكثرهم ثم أجمع المسلمون على جوازها، وزال ذلك الخلاف. وقال الحافظ في «الفتح» (١/ ٢٠٤): السلف اختلفوا في ذلك عملاً وتركاً -أي كتابة العلم- وإن كان الأمر استقر والإجماع انعقد على جواز كتابة العلم، بل على استحبابه، بل لا يبعد وجوبه على من خشي النسيان ممن يتعين عليه تبليغ العلم.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٢٤٤) (٢٢١١٩)، وأبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (١٣٠٢)، وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

(٢) رواه البخاري (٦٣٢٨)، ومسلم (١/ ٣٠٢) (٤٠٢) (٥٨).

للنفي، «وحدَه» تأكيدٌ للإثباتِ.

۞ وقولُه: «له الملكُ». أي: له وحدُه الملكُ، والدليلُ على قولِنا وحدُه، أنه قدَّم الخبرَ في قولِه: «له الملكُ»؛ لأن «له». خبرٌ مقدمٌ، و«الملك». مبتدأٌ مؤخرٌ، قال العلماءُ: وتقديمُ ما حقُّه التأخيرُ يُفِيدُ الحصرَ والاختصاصَ[1].

۞ وقولُه: «له الحمدُ». أي: الوصفُ بالجمالِ والكمالِ، فهو ﷻ له الحمدُ كلُّه، وهو المستحقُّ له، أما غيرُه ممن يُحْمَدُ فإنه لا يَسْتَحِقُّ من الحمدِ إلا اليسيرَ، ولا يَسْتَحِقُّ الحمدَ كلَّه.

۞ وقولُه: «وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ». أي: كلُّ شيءٍ فاللهُ قديرٌ عليه، ولا يَمْتَنِعُ عليهِ شيءٌ أرادَه ﷻ، سواءٌ كان في إيجادِ معدومٍ، أو إعدامِ موجودٍ، أو تغييرِ حالٍ، أو تغييرِ وصفٍ، المهمُّ أنه ﷻ على كلِّ شيءٍ قديرٌ؛ لقولِه سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[يس:٨٢].

ولا أعظمَ من قدرةٍ بيَّنها اللهُ في قولِه: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات:١٣-١٤]. فالأمواتُ كلُّهم ﴿زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾. يَخرجُون من القبورِ ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾، كأنما خرجوا من نفسٍ واحدةٍ، بإذنِ اللهِ، واللهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ، ولا يُسْتَثْنَى من هذا شيءٌ.

وأما ما يَقَعُ في عبارةِ بعضِ الناسِ: إنه على ما يشاءُ قديرٌ. فهذا غلطٌ؛ لأنه تخصيصٌ لما عمَّمه اللهُ، وتَقييدٌ له، فهو قديرٌ على ما يَشاءُ وعلى ما لا يَشاءُ سبحانَه، ثم إن هذه العبارةَ ربما توهِمُ أنه لا يَقْدِرُ على أفعالِ العبادِ؛ لأن أفعالَ العبادِ عند المعتزلةِ ليست داخلةً في مشيئةِ اللهِ، وعلى هذا فلا يَكُونُ قادرًا عليها، ولذلك يَنْبَغِي تَجنُّبُ هذه العبارةِ، وأن نَقُولَ كما قال اللهُ عن نفسِه: ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[الحج:٦].

وأما ما ورَد في حديثِ آخرِ أهلِ الجنةِ دخولًا، وأن اللهَ يَقولُ: «إني على ما أشاء قادرٌ»[2].
فلا يَعْنِي هذا الوصفَ المطلقَ، ولكنه لما حصَل لهذا الرجلِ ما حصَل من الوصولِ إلى هذه الدرجاتِ العُلَا، بيَّن اللهُ تعالى أن هذا بمشيئتِه، وأن ما شَاءَه فهو قادرٌ عليه، فهو كقولِه تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ﴾[الشورى:٢٩]. أي: إذا شاءَ جمعهم فليس بعاجزٍ عنه، ففرَّق بين القدرةِ المقيدةِ بشيءٍ معين، فإنها إذا قيدَت بالمشيئةِ فلا بأس؛ ليَتبيَّن أن هذا الشيءَ المعينَ شاءَه اللهُ، وما شاءَه فهو قادرٌ عليه.

---

(١) انظر: دروس البلاغة بتحقيقنا (ص٤٧، ٥١).
(٢) رواه مسلم (١/ ١٧٤) (١٨٧) (٣١٠).

أما إذا ذُكِرت القدرةُ على أنها وصفٌ مطلقٌ لله، فلا تُقيَّدُ بالمشيئةِ؛ وبهذا جاءَت السنَّةُ: «وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ». كما جاء في القرآنِ في قولِه تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الفتح:٢١] وما أشبهَهُ.

وقولُه: «اللهم لا مانعَ لما أعْطَيْتَ ولا مُعْطِيَ لما منَعْتَ». في هذا: تمامُ التفويضِ إلى اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فما أَعطاه اللهُ لا يُمْكِنُ لأحدٍ أن يَمْنَعَه؛ أي: ما قدَّر أن يُعْطِيه أحدًا فإنه لا يُمْكِنُ لأحدٍ أن يَمْنَعه أبدًا، لو اجْتَمَعَ أهلُ الأرضِ على أن يَضُرُّوك بشيءٍ، لم يَضُرُّوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك.

كذلكقولُه: «لا مُعْطِي لما منعت»، فما قدَّر اللهُ منعَهَ، فلن يَسْتَطِيع أحدًا أن يُعْطِيَه مهما كان.

إذًا: ففي هاتين الجملتين كمالُ التفويضِ إلى اللهِ عَزَّوَجَلَّ، والاعتمادُ عليه، وصدقُ التوكلِ عليه عَزَّوَجَلَّ.

وقولُه: «ولا يَنْفَعُ ذا الجدِّ منك الجدُّ» الجدُّ يَعْني: الحظَّ والغِنَى، وصاحبُ الجدِّ لا يَنْفَعُه من اللهِ جدُّه. ونفَع هنا؛ بمعني منَع، ولذلك عُدِّيَتْ بـ«مِن» فالمعني: لا يَمْنَعُ صاحبُ الجدِّ جدَّه منك مهما عظُم حظُّه، وسلطانُه، وقوتُه فإنه لا يَمْنَعُه من اللهِ شيءٌ.

وقولُه: «وكتبَ إليه أنه كان يَنْهى عن قيل وقال» -اللهُ أكبرُ- ما أعظَم هذه العبارةِ، فَدَيْدَنُ كثيرٍ من الناسِ اليومَ -ومع الأسفِ أنها تُوجدُ في طلبةِ العلمِ- قيل في فلان كذا، قال فلانٌ في فلانٍ كذا، فيُضَيِّعُون أوقاتَهم في غيرِ فائدةٍ، ويُحمِّلُونَ قلوبَهم من الضغائنِ والأحقادِ ما لا يَنْبَغِي أن يَكُونَ من طالبِ العلمِ؛ ولهذا يَنْبَغِي لك إذا رَأيتَ الناسَ مشتغلينَ بقيلَ وقال أن تُعرِضَ عن هذا؛ لأن النبيَّ ﷺ يَنْهَاك عنه، ولا يَسْلَمُ من اتبع قيل وقال من الإثم غالبًا؛ لأنه إما أن يَنْقُلَ كذبًا، أو يَنْقُلَ تهمةً، أو يَحْمِلَ ضغائن أو ما أشبهَ ذلك فتجنبْ قيل وقال، واجْعَلْ قولَك مبنيًا على قولِ الرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَن كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فلْيَقُلْ خيرًا أو ليصمُتْ»[1].

ولو أننا سَلكْنا هذا المسلكَ لسَلِمنا من مآثمَ كثيرةٍ؛ ولهذا قال النبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لمعاذِ بن جبل: «أفلا أخبِرُكَ بمِلاكِ ذلك كلِّه»؟ لما عدَّد عليه ما عدَّد من شعائر الإسلامِ قلت: بلى يا رسولَ الله، فأخذ بلسانه وقال: «كُفَّ عليك هذا» قال: يا رسولَ اللهِ وإنا لمؤاخذونَ بما نتكلَّمُ به؟ قال: «ثكِلَتْكَ أمُّك يا معاذُ وهل يُكَبُّ الناسُ في النارِ على وجوهِهم -أو قال على مناخِرهم- إلا حصائدُ ألسنتِهم»[2].

---

(١) رواه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (١/ ٦٨) (٤٧) (٧٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٢٣١) (٢٢٠١٦)، والترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

۞ وقولُه: «وكثرةُ السؤالِ». كثرةُ السؤالِ، هل المرادُ سؤالُ العلمِ، أو السؤال عن أحوالِ الناسِ، أو سؤالُ المالِ؟ الظاهر أن كلَّ ذلك محتملٌ. فكثرةُ السؤالِ للعلمِ قد تُفْضي إلى الإعناتِ والإشقاق على المسئولِ كما هو مشاهدٌ فقد يأتي إنسانٌ يَسْأَلُكَ عشرينَ مسألةً في آنٍ واحدٍ فإن اعتَذَرْتَ قال: هذا كاتمٌ للعلمِ،ويتلو قولَه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة:١٥٩]. فيُعْطِيكَ اللعنةَ ويَنْصَرِفُ وهذا غلطٌ.

وأما كثرةُ السؤالِ عن أحوالِ الناسِ، فبعضُ الناسِ مبتَلى ـ والعياذُ باللهِ ـ كلما جلَسَ عند إنسانٍ يَسْأَلُه، ما حصل لفلانٍ؟ وما حصل لفلانٍ؟ وقد قال النبيُّ ﷺ: «من حسنِ إسلامِ المرءِ تركُه ما لا يَعْنِيه»[1] فما دَام هذا الأمرُ لا يَعْنِيك لا في دينِك، ولا في دُنياك فاترْكْه، فإن هذا من حسنِ إسلامِك.

وأما كثرةُ سؤالِ المالِ فأشدُّ، لأن سؤالَ المالِ محرمٌ إلا للحاجةِ أو الضرورةِ، فإذا كان محرمًا على وجهِ الإطلاقِ، فهو محرمٌ على وجه الكثرةِ من بابِ أَوْلى .

وإضاعةُ المالِ: هو صرفه في غيرِ فائدةٍ، وصرفُه في المحرمِ أشدُّ، وفي المكروهِ يُنْهَى عنه، والناسُ يَصْرِفُونَ أموالَهم في وجوهٍ شتَّى.

فمنهم: من يَصْرِفُه في طرقِ الخيرِ المعلومةِ وفي محلِّه؛ فهذا خيرُ من يَصرِفُ.

ومنهم: من يَصْرِفُه فيما يَظُنُّه خيرًا وليس بخيرٍ، وهذا يُعْذَرُ بجهلِه، ولكن يَجِبُ عليه أن يَسْأَلَ.

ومنهم: من يصْرِفُه في المباحِ، ويُطْلِقُ العنانَ لنفسِه في الصرفِ في المباحِ، فهذا لا يَنْبَغِي، ولاسيَّما إذا كان ذلك يُؤَدِّي إلى الاستدانةِ من الغيرِ.كما يُوجدُ بعضُ الناسِ، ولاسيَّما في بلادنا، فمِن أجلِ أن يكُونَ مظهرُه لدي الناسِ مظهرَ الغِنى، ومظهر الشرفِ والسيادةِ، تجدُه يَسْتَدِينُ، ويُظْهِرُ بيتَه بمظهرِ بيوتِ الملوكِ، والشرفاءِ، والأسيادِ، وهذا لا يَنْبَغِي، بل يُنْهَى عنه، وهو من أشدِّ ما يَكونُ من إضاعةِ المالِ.

وأما من يَصْرِفُ المالَ فيما يَلِيقُ به وبأمثالِه، فهذا ليس من إضاعةِ المالِ، وليس من الإسرافِ.

۞ وقوله: «وكان يَنْهَى عن عقوقِ الأمهاتِ». العقُّ بمعنى: القطعُ، والمرادُ بالعقوقِ قَطْعُ ما يَجِبُ للأمِّ من البرِّ والصلةِ، وخَصَّ الأمهاتِ وإن كان الآباءُ مثلَهن؛ لأن الغالبَ أن الإنسانَ يَسْتَهِينُ بالأمِّ أكثر مما يَسْتَهِينُ بالأبِ؛ لأنه يَهَابُ أباه ولا يَهَابُ أمَّه، فهو يَنْظُرُ إلى أبيه نظرةَ الهيبةِ والسلطانِ، ويَنْظُرُ إلى أمِّه

---

(١) رواه الترمذي (٢٣١٧)، وابن ماجه (٣٩٧٦)، وابن حبان (٣٢٩)، وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

نظرَ الرحمةِ والإشفاقِ، وإذا لم يَكُنْ في قلبِهِ رحمةٌ فإنه لا يَهْتَمُّ لها.

ﮣ وقولُه: «وعن وَأدِ البناتِ». والوأدُ، هو القتلُ على صفةٍ معروفةٍ معهودةٍ، وهي الدفنُ أحياءً، وهذا من شأنِ الجاهليةِ ـ والعياذُ باللهِ ـ.

وفي الجاهليةِ يَنْقَسِمُونَ في قتلِ الأولادِ إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

القسمُ الأولُ: حَماهُ اللهُ عَجَّلَ من قتلِ الأولادِ الذكورِ والإناثِ.

والقسمُ الثاني: يَقْتُلُ الذكورَ والإناثَ، وهؤلاء أشار اللهُ إليهم في قولِه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ [الأنعام:١٥١]. وفي آيةٍ أخرى ﴿خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ [الإسراء:٣١]. فهؤلاء يقولونَ: إنهم عندما يَكْبُرون يُضَيِّقون علينا في الأكلِ والشربِ.

والقسمُ الثالثُ: يَقْتُلُ الإناثَ فقط؛ لأنهنَّ على زعمِه عارٌ عليه، أشار اللهُ إليهم في قولِه: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل:٥٨]. ـ أعوذُ باللهِ ـ يَعْني: يتغيَّرُ في ظاهرِه وباطنِه، ففي ظاهرِه يكونُ وجهُه مسودًا، وفي باطنِه كظيمٌ ممتلئٌ غيظًا: ﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ [النحل:٥٩]. : أي: يختفي عنهم: ﴿مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾، لأنهم يَلْقَوْنَهُ بقولِهم جبرَ اللهُ مصيبتَك جاءكَ اليومَ بنتٌ. فيتوارى منهم من سوءِ ما بُشِّر به، ثم يُفكِّرُ: ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾: يَعْني: يُبْقِيه حيًّا على هونٍ وذُلٍّ ومهانةٍ، ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾.

وهذا هو الوَأْدُ، قال تعالى: ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل:٥٩].

والعجبُ أن هؤلاءِ يَشْمئِزُّون ويَسْتَنْكِفُونَ أن تُنْسَبَ البناتُ إليهم، ويَجْعَلُونها للهِ قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل:٥٧].

كما فعَلوا ذلك في المآكلِ، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ﴾ [الأنعام:١٣٦].

وقولُه: عن وأدِ البناتِ. يَدْخُلُ فيه وأدُ الأولادِ؛ لأن التخصيص هنا بإعتبار الواقعِ وقد ذكر علماءُ الأصولِ أن التخصيصَ بإعتبار الواقعِ لا مفهومَ له. وقد سبَق لنا الكلام عليها عند الكلامِ على قولِهِ تعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم﴾ [النساء:٢٣]. فهذا باعتبارِ الواقعِ، فليس له مفهومٌ، وكذلك وأدُ البناتِ باعتبارِ الواقع فليس له مفهومٌ.

ﮣ وقولُه: «ومنع وهاتِ». منعٌ لما يَجِبُ، وهاتِ لما لا يَجِبُ له؛ يَعْني: يَمْنعُ ما يَجِبُ عليه؛ وهذا يَدُلُّ على البخلِ، وهاتِ: يَطْلُبُ ما ليس له؛ وهذا هو الشحُّ، والشحُّ قال فيه

الرسولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اتقوا الشحَّ فإنه أهلَك من كان قبلَكم»[1] .

هذا الحديثُ: كما ترونَ جمعَ مسائلَ متعددةً، فهو يَدُلُّنا على نصح سلفِ الأمةِ لولاةِ الأمرِ، فإن المُغيرةَ رضي الله عنه أتى بكلِّ ما أتى به؛ لأن المقامَ يَقْتَضِيه، فأتى بما يتعَلَّقُ بالعبادةِ، وبما يَتَعلَّقُ بمعاملةِ الناسِ، وبما يَتَعَلَّقُ بالمالِ؛ لأن معاويةَ رضي الله عنه هو الخليفةُ، وعنده الأموالُ يَفْعَلُ بها ما يَشَاءُ، لكن إذا جاء مثل هذا الحديثُ: يَنْهَى عن إضاعةِ المالِ، توقفَ.

وكذلك عقوقُ الأمهاتِ؛ لأن الخليفةَ قد يرِدُ عليه أن فلانًا عقَّ أمَّه، أو ما أشْبَه ذلك، فهذا يَدُلُّنا على كمالِ نصحِ سلفِ الأمةِ لولاةِ الأمورِ،وأحقُّ مَن تَنْصَحُ وليُّ الأمرِ؛ لأن وليَّ الأمرِ إذا صَلُحَ صَلُحَ مَن تحت ولايتِه، وإذا فسَد أهمَل وأَضاعَ.

وقولُه: «وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ». وهذا يَدُلُّ على أنه لا يَجُوزُ للإنسانِ أن يَقُولَ: اللهُمَّ إني لا أسْأَلُك ردَّ القضاءِ، ولكنني أسْأَلكَ اللطفَ فيه. بل الإنسانُ يَدْعُو بما شاءَ، والدعاءُ يَرُدُّ القضاءَ كما جاءَ في الحديثِ: «لا يرُدُّ القضاءَ إلا الدعاءُ»[2]. وأنتَ الآن كأنَّك تتحدَّى اللهَ وتَقُولُ: اقض عليَّ بما تُرِيدُ، لكن الطُفْ بي، وهذا لا يَسْتَقِيمُ أو نَقُولُ: اللَّهم إني لا أَسْأَلُكَ أن تَمنَعَنِي من الغرقِ، ولكن الطف بي إذا غَرِقْتُ. هذا لا يَسْتَقِيمُ. وهذه مبتدعةٌ، ما سمِعناها في دعاءِ الأولينَ، ولا الآخرينَ.

* ***

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

٧٢٩٣- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ: نُهِينَا عَنِ التَّكَلُّفِ.

النهيُ هنا عن التكلفِ في كلِّ شيءٍ، حتى في أحوالِك الخاصةِ، فاجعلِ الأمورَ تأتِي على طبيعتِها، وعلى ما تيَسَّر؛ لأنك إذا تكلَّفت تكَلَّفْتَ، فإذا أردْتَ أن يَكُونَ كلُّ شيءٍ على ما تُرِيدُ، فاتك كلُّ ما تُرِيدُ، وتَعِبْتَ، فاجعَلِ الأمورَ تَمشِي على طبيعتِها، والذي يَتَيَسَّرُ يتيَسَّر، والذي لم يَتَيَسَّرْ فاعْلَمْ أن اللهَ سبحانَه لو أرادَ سِواه لحصَل.

فالتكلفُ في كلِّ شيءٍ منْهِيٌّ عنه، ولا أعرفُ لفظَ الحديثِ الذي ورَد، ولكنَّ قول عُمر:

---

(١) رواه مسلم(٤/ ١٩٩٦) (٢٥٧٨) (٥٦).

(٢) رواه الترمذي (٢١٣٩)، وحسنه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

نُهينا. قال العلماءُ: إنه من المرفوعِ حُكْمًا[1]، وأما المرفوعُ صريحًا في هذا فهو قولُه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **«هلك المُتنطِّعُونَ قالها ثلاثًا»**[2].

* ❁❁❁ *

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٢٩٤- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ. وَحَدَّثَنِي مَحْمُودٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ فَصَلَّى الظُّهْرَ فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَذَكَرَ السَّاعَةَ، وَذَكَرَ أَنَّ بَيْنَ يَدَيْهَا أُمُورًا عِظَامًا ثُمَّ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ فَلْيَسْأَلْ عنه، فَوَ اللهِ لا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ، مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي هَذَا». قَالَ: أَنَسٌ فَأَكْثَرَ النَّاسُ الْبُكَاءَ، وَأَكْثَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَقُولَ: «سَلُونِي». فَقَالَ أَنَسٌ: فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: أَيْنَ مَدْخَلِي يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «النَّارُ». فَقَامَ عَبْدُ اللهِ بْنُ حُذَافَةَ فَقَالَ: مَنْ أَبِي يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أَبُوكَ حُذَافَةُ». قَالَ: ثُمَّ أَكْثَرَ أَنْ يَقُولَ: «سَلُونِي سَلُونِي». فَبَرَكَ عُمَرُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلام دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا. قَالَ فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ قَالَ: عُمَرُ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ آنِفًا فِي عُرْضِ هَذَا الْحَائِطِ وَأَنَا أُصَلِّي، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ»[2].

وفي نسخةٍ: **«أولى والذي نفسي بيده»**

قال ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (١٣/ ٢٦٩):

۞ قولُه: **«وقال سَلوني»**. في حديثِ أنسٍ المذكورِ: فصعَدَ المنبرَ فقال: **«لا تَسْأَلُوني عن شيءٍ إلا بيَّنته لكم»**. وفي روايةِ سعيدِ بن بشيرٍ، عن قتادةَ عندَ أبي حاتم، **«فخرَج ذاتَ يومٍ حتى صعَد المنبرَ»**، وبيَّن في روايةِ الزهريِّ المذكورة في هذا البابِ وقتَ وقوعِ ذلك، وأنه بعدَ أن صلَّى الظهرَ، ولفظه: **«خرَج حين زاغتِ الشمسُ فصلَّى الظهرَ، فلما سلَّم قام على المنبرِ، فذكَر الساعةَ ثم قال: من أحبَّ أن يَسْأَلَ عن شيءٍ فليَسْأَلْ عنه»** فذكَر نحوَه.

۞ قولُه: **«فقام رجلٌ فقال: يا رسولَ اللهِ مَن أبي»**؟ بيَّن في حديثِ أنسٍ من روايةِ الزهريِّ

---

(١) انظر: «مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث» ص٢٣.

(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٠٥٥) (٢٦٧٠) (٧).

(٢) رواه مسلم (٤/ ١٨٣٢) (٢٣٥٩) (١٣٤).

اسمَه، وفي روايةِ قتادةَ سببُ سؤالِه، قال: فقام رجلٌ كـان إذا لاحَـى ـ أي؛ خاصَـم ـ دعـى إلى غيرِ أبيه، وَذُكرَ اسمُ السائلِ الثاني، وأنه سعدٌ، وإني نَقَلْتُه من ترجمةِ سُهَيلِ بـنِ أبـي صـالحٍ مـن تمهيدِ ابنِ عبدِ البرِّ. وزاد في روايةِ الزهريِّ الآتيةِ بعدَ حـديثينِ، فقـام إليـه رجـلٌ فقـال: «أيـن مَدْخَلي يا رسُولَ اللهِ؟ قال: النَّارُ» ولم أَقِفْ على اسمِ هذا الرجـلِ في شـيءٍ مـن الطـرقِ، كـأنهم أَبْهَمُوه عمدًا للستر عليه. وللطبرانيِّ من حديثِ أبي فراسٍ الأسلميِّ نحوه وزاد «وسأَله رجـلٌ في الجنةِ أنا؟ قال: في الجنةِ» ولم أَقِفْ على اسم هذا الآخر.

ونقَل ابنُ عبدِ البرِّ عن روايةِ مسلمٍ أن النبيَّ ﷺ قال في خطبتِه: «**لا يَسْأَلُني أحدٌ عـن شيءٍ إلا أخبَرْتُه، ولو سَأَلني عن أبيه**». فقام عبدُ اللهِ بنُ حذافةَ، وذكَر فيه عتابَ أمِّه له وجوابَه، وذكَر فيه: «فقام رجلٌ فسأل عن الحجِّ» فذكَره، وفيه فقام سعدٌ مَولى شيبةَ فقال: مـن أنـا يـا رسـولَ اللهِ؟ قال: «أَنْتَ سَعْدُ بنُ سالمٍ مَوْلى شيبةَ». وفيه فقام رجلٌ من بني أسدٍ فقال: أيـن أنـا؟ قـال: «في النارِ» فذكَر قـصةَ عمـرَ قـال: فنزلـت ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ ﴾[المائدة:١٠١] ونهَى النبيُّ ﷺ عن قِيلَ وقال وكثرةِ السؤالِ.

وبهذه الزيادةِ يتَّضِحُ أن هذه القصةَ سببُ نزولِ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾. فإن المساءةَ في حقِّ هذا جاءَت صريحةً، بخلافِهـا في حـقِّ عبـدِ اللهِ بـنِ حُذافـةَ، فإنهـا بطريـقِ الجوازِ، أي لو قدِّر أنه في نفسِ الأمرِ لم يَكُن لأبيه فبيِّن أباه الحقيقيَّ لافتَضحَتْ أُمُّه، كما صرَّحت بذلك أُمُّه حين عاتبته على هذا السؤالِ كما تقدَّم في «كتابِ الفتنِ».

❁ قولُه: «فلما رأى عمرُ ما بوجِه رسولِ اللهِ ﷺ من الغـضبِ». بـيَّن في حـديثِ أنـسٍ أن الصحابةَ كلَّهم فهِمُوا ذلك، ففي روايةِ هشام «فإذا كلُّ رجلٍ لافًّا رأسَه في ثوبِهِ يبكِـي» وزاد في روايةِ سعيدِ بنِ بشيرٍ: «وظَنُّوا أن ذلك بين يدَي أمرٍ قد حضَر» وفي روايةِ موسى بن أنسٍ، عـن أنسٍ الماضيةِ في تفسيرِ المائدةِ: «فَغَطُّوا رؤسَهم لهم حنينٌ». وزاد مسلمٌ من هـذا الوجـهِ: «فـما أَتىَ على أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ يومٌ كان أشدَّ منه».

❁ وقولُه: «فقال: إنا نَتوبُ إلى اللهِ ﷻ» زاد في روايةِ الزهريِّ: «فبرك عمرُ على ركبتـهِ فقـال: رضِـينا باللهِ ربًّا وبالإسلامِ دينًا وبمحمدٍ رسولًا». وفي روايةِ قتادةَ من الزيـادةِ: «نَعـوذُ بـاللهِ مـن شـرِّ الفتنِ». وفي مرسلِ السُّدِّيِّ عند الطبريِّ في نحوِ هذه القصةِ: «فقام عمرُ فقبَّل رجلَه وقال: رَضِينا باللهِ ربًّا». فذكَر مثلَـه وزاد: «وبالقرآنِ إمامًا، فاعفُ عفَا اللهُ عنك فلم يَزَلْ به حتى رضِيَ».

وفي هذا الحديثِ غير ما يَتعلَّقُ بالترجمةِ.

مراقبةُ الصحابةِ أحوالَ النبيِّ ﷺ، وشدةُ إشفاقِهم إذا غضِب، خشيةَ أن يكُونَ لأمرٍ يَعُمُّ فيَعُمُّهم، وإدلالُ عمرَ عليه.

○ وجوازُ تقبيلِ رِجْلِ الرجل.

○ وجوازُ الغضبِ في الموعظةِ.

وبُروك الطالبِ بين يدَي من يَسْتَفِيدُ منه، وكذا التابعُ بين يدي المتبوعِ إذا سألَهُ في حاجةٍ.

ومشروعيةُ التعوذِ من الفتن عندَ وجودِ شيءٍ قد يَظْهَرُ منه قرينةَ وقوعِها.

واستعمالُ المزاوجةِ في الدعاءِ في قولِه: «اعفُ عفَا اللهُ عنك» وإلا فالنبيُّ ﷺ معفوٌّ عنه قبلَ ذلك.اهـ

وقولُه: المزاوجةِ في الدعاءِ في قولِه: «اعفُ عفا اللهُ عنك» ؛ لأن النبيَّ ﷺ قد عُفِيَ عنه قبلَ ذلك. في هذا التعليلِ نظرٌ؛ لأنه قد يَكُونُ من أسبابِ العفوِ دعاءُ الناسِ له؛ ولهذا يَجِبُ أن تُصَلِّيَ على الرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مع أن اللهَ قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب:٥٦]. وكذلك أيضًا نَسْأَلُ اللهَ له الوسيلةَ عند الفراغِ من الأذانِ، مع أنها حاصلةٌ له[1].

فإذا قال قائلٌ: إذا كانت هذه الأمورُ حاصلةً فما الفائدةُ من الدعاء بها له؟

قُلنَا هذا له فوائدُ: أولًا: كثرةُ الأجرِ لنا لسؤالِنا لرسولِ اللهِ ﷺ هذا.

ثانيًا: أنه عنوانٌ على محبةِ الإنسانِ لرسولِ اللهِ ﷺ.

ثالثًا: إنه قد يكُونُ حصولُ هذا له بأسبابٍ متعددةٍ؛ منها دعاؤنا له. فما ذهَب إليه ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فيه نظرٌ.

وإنما لا شكَّ أنه يَنْبَغِي أن يَكُونَ الدعاءُ من جنسِ العملِ: مثل: اغفِر لي غفَر اللهُ لك، أَعْطِني أعطَاك اللهُ، أو وسِّع لي وسَّع اللهُ لك.

قال ابنُ حجرٍ في «الفتح» (١٣/ ٢٧٠):

قال ابنُ عبد البرِّ: سُئِلَ مالكٌ عن معنى النهيِ عن كثرةِ السؤالِ، فقال: ما أَدْرِي أنهى عن الذي أَنْتمُ فيه من السؤال عن النوازلِ، أو عن مسألةِ الناسِ المالَ، قال ابنُ عبد البرِّ: الظاهرُ الأولُ، وأما الثاني فلا معنى للتفرقةِ بين كثرتِه وقلتِه، لا حيثُ يَجُوزُ ولا حيثُ لا يَجُوزُ، قال: وقيل كانوا يَسْأَلُونَ عن الشيءِ ويُلِحُّونَ فيه إلى أن يُحرَّمَ، قال: وأكثرُ العلماءِ على أن المرادَ

---

(١) رواه مسلم (١/ ٢٨٨) (٣٨٤) (١١).

كثرةُ السؤالِ عن النوازلِ، والأغلوطاتِ، والتوليداتِ كذا قال: وقد تقدم الإلمامُ بشيءٍ من ذلك في كتاب «العلم».اهـ

ثم قال ابنُ حجرٍ رحمه الله تعالى في «الفتح» (١٣/ ٢٧٢):

الحديثُ السادسُ: وهو يتعلَّقُ بالقسمِ الثالثِ، وكذا الرابعِ حديثُ أنسٍ وهو في معنى الحديثِ الرابعِ، وقد مضى شرحُه، أورَده من وجهينِ عن الزهريِّ، وساقَه هنا على لفظِ مَعْمَرٍ، وفي بابِ وقتِ الظهرِ من «كتابِ الصلاةِ» بلفظِ شعيبٍ وهما متقاربانِ، ووقع هنا «فأَكْثَرَ الأنصارُ البكاءَ». في رواية الكشميْهَنيِّ، وفي روايةِ غيرِه «فَأكْثَرَ الناسُ» وهي الصوابُ، وكذا وقَع في روايةِ معمَرٍ وغيرِه، ووقَع هنا «فذكَر الساعةَ وذكَر أن بينَ يديهَا أمورًا عظامًا». وفي روايةِ شُعَيبٍ، وذكَر أن فيها أمورًا عظامًا، وزاد هنا: «فقام رجلٌ فقال: أين مُدْخَلي» إلخ. ووقَع هنا «وبمحمدٍ رسولًا» وفي روايةِ شعيبٍ «ومحمدٍ نبيًّا» ووقَع هنا «فسكَت حين قال ذلك عمرُ ثم قال النبيُّ ﷺ: أولى» وسقَط هذا كلُّه من روايةِ شعيبٍ قال المبردُ: يُقَالُ للرجلِ إذا أفْلَت من معضلةٍ: أَوْلى لك، أي: كِدْتَ تَهلَكُ، وقال غيرُه هي بمعني التهديدِ والوعيدِ. اهـ

وقولُه: «أولى» معروفٌ أنها تَقَعُ للتهديدِ، مثلَ قولِه تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ [القيامة: ٣٤]. ويَحْتَمِلُ أن قولَه «أَوْلَى» هنا أن هذا أَوْلى؛ أي: ما قاله عمرُ من قولِه: «رضينا بالله ربًّا وبالإسلامِ دينًا وبمحمدٍ رسولًا» ففيه احتمالٌ.

المشكلةُ عندي أن الرجلَ قال: أين مُدْخَلي؟ فقال: النارُ؛ فمثلُ هذا من رسول الله عليه الصلاة والسلام فيه شيءٌ من الجفاءِ، ومن عادتِه عليه الصلاة والسلام أنه لا يَقَعُ منه الجفاءُ، اللهم إلا أن يُقَالَ: لعلَّ هذا الرجلَ كان معروفًا بالعداوةِ وإيذاءِ المسلمين، فأراد النبيُّ عليه الصلاة والسلام أن يُخبِرَ بمصيره تطييبًا لقلوبِ المسلمين الذين يَلْحقُهم أذيتُه، فهذا له وجهٌ. وذكَر في كتابِ «العلمِ» أنه كان منافقًا.

وقولُه: «الأغلوطاتِ» يَعْني: الإيراداتِ والمنازعات.

* *** *

ثم قال البخاريُّ رحمه الله تعالى:

٧٢٩٥- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ، أَخْبَرَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، أَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ أَنَسٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ: رَجُلٌ يَا نَبِيَ اللهِ مَنْ أَبِي؟ قَالَ: «أَبُوكَ

فُلَانٌ». ونزلَتْ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ ﴾ الآيَة[1].

هذا الحديثُ مع الأحاديثِ التي ذكَرها المؤلفُ في هذا البابِ: وهو كراهةُ السؤالِ عما يُخْشَى أن يُجابَ عليه الإنسانُ بما يسُوءُه. فهذا الرجلُ سأل مَن أبي؟ وكأنه والله أَعْلَمُ يتكلَّمُ الناسُ فيه، فأراد أن يَسْأَلَ النبيَّ ﷺ عن أبيه حتى يُحَقِّق أن أبَاه فلانُ ابنُ فلانٍ، فيزُولُ هذا الاشتباهُ الذي رمَاه الناسُ به، فنزلَت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [المائدة:١٠١]؛ لأنه ربَّما لو كان الرجلُ يُنْسَبُ إلى غيرِ أبيه الحقيقيِّ، فأخبرَ به النبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حينَ سُئل لساءَه ذلك.

وهذه الآيةُ محِلُّها وقتُ نزولِ الوحي، أما الآن فيجِبُ السؤالُ عن كلِّ شيءٍ يُشْكِلُ على المرء؛ لأن تغييرَ الأحكامِ مأمون، فلا يُمْكِنُ أن يُوجَبَ ما لم يَجِبْ، ولا أن يُحَرَّمَ ما لم يَحْرُمْ.

* * * *

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٢٩٦- حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ صَبَّاحٍ، حَدَّثَنَا شَبَابَةُ، حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِالرَّحْمَنِ، سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَنْ يَبْرَحَ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يَقُولُوا هَذَا اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟»[2].

في تفسيرِه: ذاك صريحُ الإيمانِ. أي: أنه يُؤدِّي إلى صريحِ الإيمانِ الذي ليس فيه تردُّدٌ ولا شكٌّ، وهذا خلافُ ظاهرِ الحديثِ؛ لأن ظاهرَ الحديثِ أن نفسَ الشكِّ صريحُ الإيمانِ، وحينئذٍ يَحْتَاجُ إلى توجيهٍ.

وتوجيهُه أن يُقَالَ: إن الشكَّ لا يَرِدُ إلا على قلبٍ خالصٍ؛ لأن الشكَّ على القلبِ المترددِ غيرُ واردٍ؛ إذ إنه لم يَكُنْ فيه يقينٌ حتى يَرِدَ عليه الشكُّ خلفه ويُلْقِي الشبهةَ في قلبِ هذا الموقِنِ الذي إيقانُه صريحٌ، من أجل أن يُفْسِدَه.

فإذا ورَد الشكُّ على القلبِ، فهذا يَدُلُّ على أن قلبَه صريحٌ سالمٌ؛ إذ إن القلبَ الذي فيه شبهاتٌ، هو من الأصلِ مبنيٌّ على الشبهاتِ، فلا يَرِدُ عليه الشكُّ، هذا هو المعنى الصحيحُ، وقد أشار إليه شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابِ «الإيمانِ».

أما قولُ من يَقُولُ عن اللهِ إنه قديمٌ، فهذا مصطلحٌ حادثٌ بِدْعِيٌّ، ويُرِيدُونَ بالقديمِ غير ما

---

(١) رواه مسلم (٤/ ١٨٣٢) (٢٣٥٩) (١٣٥).

(٢) رواه مسلم (١/ ١٢١) (١٣٦) (٢١٧).

يُرَادُ به لغةً، فالقديمُ في اللغةِ: ما سبَق غيرَه، وإن كان حادثًا، ومنه قولُه تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس:٣٩]. وأما القديمُ عندَهم في اصطلاحِهم فهو الـذي لم يُسْبَقْ بعـدمٍ[1] ، وعـلى هـذا فيَكُونُ بمعنى الأوَّلِ، ولكن الأول أَوْلى منه لأمرين:

أولًا: لأنه هو الذي ورَد في القرآنِ والسنةِ[2] .

وثانيًا: أن فيه معنى أَوَّلِ الأشياءِ التي بعده إليه؛ لأنه يَجُوزُ أن يَكُونَ مـن الأوليـة بمعنـي التقدمِ، أو من الأولِ بمعنى الرجوعِ، فيكُونُ الأولُ بلا شكٍّ أولى من القديمِ، وإن كان القـديمُ بمعناه عند هؤلاء في اصطلاحِهم.

****

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٧٢٩٧- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ مَيْمُونٍ، حَدَّثَنَا عِيسَى بْـنُ يُـونُسَ، عَـنِ الأَعْمَـشِ، عَـنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَـرْثٍ بِالْمَدِينَـةِ، وَهْـوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَسِيبٍ، فَمَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: سَلُوهُ عَـنِ الـرُّوحِ. وَقَـالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَسْأَلُوهُ لَا يُسْمِعُكُمْ[3] مَا تَكْرَهُونَ فَقَامُوا إِلَيْهِ فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ حَدِّثْنَا عَنِ الرُّوحِ. فَقَامَ سَـاعَةً يَنْظُرُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، فَتَأَخَّرْتُ عَنْهُ حَتَّى صَعِدَ الْوَحْيُ، ثُمَّ قَـالَ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[الإسراء:٨٥][4] .

الشاهدُ من هذا الحديث قولُه: «لا يُسْمِعُكُم ما تكْرَهُونَ».

والمرادُ بالروحِ هنا: روحُ الحيوانِ من الإنسانِ، وغيرِ الإنسانِ، فإنها من أمرِ الله عَزَّ وَجَلَّ، ولا يُمْكِنُ أن يُحِيطَ الإنسانُ بشيءٍ من كيفياتِها، إلا بما جاء بـه الـوحيُ، نعـم قـد يُحِيطُ الإنسانُ بآثارِها، وأنها مادَامت في البدنِ فهو حيٌّ، وإذا فارَقَته صار ميتًا، لكنَّ صفةَ هذه الروحِ، وكيـف هي؟ وما مادَّتُها، وكثافتُها، ولطافتُها؟ هذا لا يُعْلَمُ إلا عن طريقِ الوحيِ.

وقد قال بعضُ الناسِ: إن الروحَ جزءٌ من البدنِ كالدمِ، وبه الحياةُ.

---

(١) قال الله تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣].

(٢) قال النبي ﷺ: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الأخر فليس بعدك شيء» رواه مسلم (٢٧١٣).

(٢) قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٤٠٢): قوله: وقال بعضهم: «لا يـستقبلكم بـشيء تكرهونـه». وفي روايـة العلم: « لا يجيء فيه بشيء تكرهونه ». وفي الاعتصام «لايسمعكم ما تكرهون». وهي بمعنـى، وكلهـا بـالرفع على الإستئناف، ويجوز السكون وكذا النصب أيضًا. اهـ

(٤) رواه مسلم (٤/ ٢١٥٢) (٢٧٩٤) (٣٢).

وقال بعضهم: إنها عرضٌ من أعراضه كالصحةِ والمرضِ وما أشبهَ ذلك وقال بعضهم: الروحُ شيءٌ يُذْكَرُ، ولكنه ليس بداخلِ الجسمِ، ولا خارجِ الجسمِ، ولا متصلٌ بالجسمِ، ولا منفصلٍ عن الجسمِ؛ يَعْنِي: لا نَقُولُ: هي داخلُ الجسمِ، ولا خارجُه.

وقال بعضُهم: لا تَقُولُ هي داخلُ العالمِ، ولا خارجُه، كما وصَفوا بذلك الربَّ ﷻ [١].

فهاتان طائفتانِ، وكلاهما مُنحَرفتان.

فالأولى: سلكت فيها مسلكَ التمثيلِ. حيث قالت: جزءًا من البدنِ أو عرضًا من أعراضِه، وأنها تَفْنَى بفنائِه، وتوجدُ بوجودِه.

والثانيةُ: سلكت بها مسلكَ التعطيلِ، والجحودِ؛ لأن هذا الوصفَ الذي ذكَروه لها؛ يَعْني: أنه ليس لها وجودٌ كما قالوا في الخَالقِ ﷻ: أنه ليس داخلَ العالمِ، ولا خارجَه ولا متصلٌ ولا منفصلٌ إلى آخرِه.

والحقُّ أنها؛ أي: الروحُ جسمٌ، ولكنه جسمٌ لطيفٌ قويُّ النفوذِ والسلوبِ والدخولِ في البدنِ، والدليلُ على هذا أن النبيَّ ﷺ أخبَر حين جاء إلى أبي سلَمَةَ رضي الله عنه، وقد قبِض وشخُص بصُره فقال: «إن الروحَ إذا قُبِض اتَّبَعَه البصرُ» [٢]. ومعلومٌ أن البصَر، لا يتبع إلا شيئًا ذا جُرْمٍ.

وكما أَخبَر أن الإنسانَ إذا قبِضت روحُه، كُفِّن في كفنٍ من الجنةِ، أو بكفنٍ من النارِ، وصُعِد بها إلى السماءِ، وكان لها رائحةٌ طيبةٌ إن كانت من أرواحِ المؤمنين، أو خبيثةٌ إن كانت من أرواحِ الكفارِ [٢]، وهذا يَدُلُّ على أنها ذاتُ جُرْمٍ.

لكن جُرْمٌ ليس من العناصرِ التي كعناصرِ المخلوقاتِ لا كالأجسادِ، بل هي من مادةٍ لا نَعْلَمُها، ولا نُدْرِكُها؛ لأنها لم تُوصَفْ لنا في الكتابِ والسّنةِ؛ ولهذا قال: «قُلِ الروحُ من أمر ربِّي».

والروحُ أمرُها عجيبٌ؛ فلو أن الإنسانَ أُغْلِقَ عليه في مكانٍ. فإن الروحَ تَخْرُجُ ولو كان محكمَ الإقفالِ.

فالصوابُ في الروحِ أنها جُرْمٌ يُرَى ويُقْبَضُ، ويُكفَّنُ، ويُصعَدُ به، ويَبْقَى له رائحةٌ، لكنه جسمٌ ليس كالأجسامِ في الكثافةِ، وله قوةٌ في السريانِ في الجسمِ عجيبةٌ؛ ولهذا تَجِدُ أن النائمَ

---

(١) انظر الكلام في هذه المسأله: الروح لابن القيم ص٥٦ وما بعدها.

(٢) رواه مسلم (٢/ ٦٣٤) (٩٢٠) (٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٢٨٧) (١٨٥٣٤)، وأبو داود (٤٧٥٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٧)، وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

مثلًا تَخرجُ روحُه، لكنَّها لا تَخرُجُ خروجًا كليًّا، فإذا أوقِظَ استيقظ في لحظة، فهذه الروح التي كانت في الأوَّل خارجة كالظِّل على الجسد إذا أوقظت دَخلَتْ في الجسدِ.

* *** *

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

٤- بابُ الاقتداءِ بأفعالِ النبيِّ ﷺ.

٧٢٩٨- حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: اتَّخَذَ النَّبِيُّ ﷺ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فَاتَّخَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي اتَّخَذْتُ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ». فَنَبَذَهُ وَقَالَ: «إِنِّي لَنْ أَلْبَسَهُ أَبَدًا» فَنَبَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ[١].

۞ قولُه: «بابُ الاقتداءِ بأفعالِ النبيِّ ﷺ». يَعْني: اتباعَ الرسولِ ﷺ في أفعالِه.

وقد قسَّم العلماءُ في أصولِ الفقهِ هذه المسألةَ إلى أقسام[٢]:

القسمُ الأولُ: ما فعَله بمقتضَى الجبِلَّةِ؛ مثلَ الأكل إذا جاع؛ والشربِ، إذا عطِش، والنوم إذا أتاه النومُ، فهذا لا حكَم له في نفسِه؛ لأنه مُقْتَضى الطبيعةِ، لَكن قد يَكُونُ له حكمٌ في وصفِه؛ مثلَ أن يكونَ الأكلُ باليمينِ، والشربُ باليمينِ، والنومُ على الجانبِ الأيمنِ، وما أشبهَ ذلك.

والقسمُ الثاني: ما فعَله على وجه العادةِ؛ يَعْنِي: أن الناسَ اعتادُوه، فهذا يُتَّبَعُ فيه النبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في جنسِه لا في عينِه.

ومعني قولِنا: في جنسِه: أن نَتَّبعَ ما اعتاده الناسُ؛ لأن الرسولَ ﷺ اتَّبَع ما اعتادَه الناسُ. لا في عينِه؛ فمثلًا: إذا كان الناسُ في عهدِه يَعتَادُونَ لبسَ الإزارِ والرداءِ بدلًا عن القميصِ والسراويلِ والغترةِ، فهل المشروعُ لنا أن نَلْبَسَ الإزارَ والرداءَ، وإن خالفَ العادةَ؟

الجوابُ: لا؛ بل نَقُولُ: ما فعَله على سبيلِ العادةِ فاتِّباعُه فيه من حيثُ الجنسِ، بأن نَتَّبعَ ما اعتاده الناسُ، لا باعتبارِ عينِه.

القسمُ الثالثُ: ما فعَله على سبيلِ التعبدِ، فهذا نَتَّبِعُه فيه، فما فعَله على سبيلِ التعبدِ فإنه يُشْرَعُ لنا أن نتَّبِعَه فيه.

ولكن إذا كان لم يَرِدْ إلا مجردُ الفعلِ، فإنه يَكُونُ مستحبًّا ولا يكون واجبًا. وهذا هو القولُ الراجحُ،

---

(١) رواه مسلم (٣/ ١٦٥٥) (٢٠٩١) (٥٣).

(٢) انظر: الإحكام في «أصول الأحكام» للآمدي (١/ ٢٧)، والبرهان في «أصول الفقه» للجويني (١/ ٣٢١)، والمسودة لآل تيمية (١/ ٦٦)، و«المنخول» للغزالي (١/ ٢٢٣).

أي: أن ما فعَله على سبيلِ التعبدِ، وليس مقرونًا بأمرٍ منه فإنه يَكُونُ مستحبًّا، وليس بواجبٍ؛ ولهذا قال العلماءُ: إن فعلَ النبيِّ ﷺ المجردَ يَدُلُّ على الاستحبابِ دونَ الوجوبِ.

القسمُ الرابعُ: ما كان مترددًا بينَ العادةِ والعبادةِ، فهنا اختلف العلماءُ فيه: فمنهم مَن قال: إنه يُسْتَحبُّ؛ لأن الأصلَ اتباعُ الرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في فعلِه؛ لقولِه تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[الأحزاب:٢١].

وقال بعضُهم: بل يُحْكَمُ له بحكمِ العادةِ؛ لأن الأصلَ في العباداتِ المنعُ حتى يَقُومَ دليلٌ لا ترددَ فيه على أن هذا الشيءَ من العبادةِ، فنَفعَلُه، ومن أمثِلة ذلك: اتِّخاذُ شعرِ الرأسِ هل هو سنةٌ، أو عادةٌ؟.

فمِن العلماءِ من قال: إنه سنةٌ، وإلى هذا ذهبَ الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث قال: هو سنةٌ لو نقَوى عليه لاتَّخذناه، ولكنَّ له كلفةً ومئونةً[١].

وقال بعضُ العلماءِ: إنه ليس بسنةٍ؛ لأن الرسولَ ﷺ اتَّخذه على سبيلِ العادةِ؛ ولهذا قال في الصَّبيِّ الذي كان فيه قزعٌ؛ يعني: بعض رأسِه محلوقٌ، وبعضَه غيرُ محلوقٍ، قال: «احلِقه كلَّه أو اتركْه كلَّه»[٢] ولو كان من الأمرِ المشروعِ لقال: اترُكه حتى يَنْبُت.

وهذا هو الأقربُ: أن ما تردَّدَ بين كونِه عبادةً، أو عادةً فإن الأصلَ أنه ليس متعبَّدًا به؛ لأن العبادةَ لا تَثْبُتُ إلا بيقين أنها عبادة، فيُرَجَّحُ جانبُ العادةِ.

القسمُ الخامسُ: ما فعَله امتثالًا لأمرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، لكنَّه فعَله على وجهِ البيانِ، والتفصيلِ، فهذا قال بعضُ العلماءِ فيه: إن له حُكمَ ذلك المُجْملِ، فإن كان المجملُ واجبًا فهو واجبٌ، وإن كان غيرَ واجبٍ فهو غيرُ واجبٍ.

ولكن يَبْدو أن هذا ليس على إطلاقِه؛ بدليلِ قولِ اللهِ تبارك وتعالى في سورةِ المائدةِ: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ﴾[المائدة:٦]. فهذا مجملٌ لم يُبَيِّن فيه كيف يَكُونُ التطهرُ، والنبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بيَّن كيف يَكُونُ ذلك، كما في صفةِ غُسْلِ الرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[٢]. فهل نَقُولُ: إن الغسلَ على هذه الصفةِ واجبٌ، لأنه بيانٌ لمجملٍ

---

(١) انظر «المبدع» (١/ ١٠٥)، و«الفروع» (١/ ٩٩)، و«كشاف القناع» (١/ ٧٥)، و«الروض المربع» (١/ ٤٥).

(٢) رواه أبو داود (٤١٩٥) بهذا اللفظ، وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على «السنن»، وهو عند مسلم (٣/ ١٦٧٥) (٢١٢٠) (١١٣) بلفظ: «نهي عن القزع....».

(٢) روى البخاري (٢٧٤)، مسلم (٣١٧) عن ميمونه بنت الحارث زوج النبي ﷺ أنها قالت: وضعت لرسول الله ﷺ وضوء الجنابة فأكفأ بيمينه على يساره مرتين أو ثلاثًا، ثم غسل فرجه، ثم ضرب يده بالأرض أو الحائط مرتين أو ثلاثًا، ثم مضمض واستنشق ثم غسل وجهه وذراعيه، ثم أفاض على رأسه الماءَ، ثم غسل سائر =

واجب، أو نقولُ: إن أصل الغُسلِ واجبٌ، وهذه الصفةُ سنةٌ؟

لا شك أن السنةَ دَلتْ علَى الأخيرِ، وهو أن الغسلَ واجبٌ بأصلِه، مستحبٌ بوصفِه، ويَدُلُّ لهذا ما في صحيح البخاريِّ، مِن حديث عِمْرَانَ بنِ الحصينِ الطويلِ، وفيه: أن رجلًا اعتزَلَ ولم يُصَلِّ مع النبيِّ ﷺ فقال له: «ما منعكَ أن تُصلِّيَ معنا؟». قال: أَصَابَتْني جنابةٌ ولا ماءَ. فقال: «**عليك بالصَّعيدِ، فإنه يَكْفيكَ**». ثم جيءَ بالماءِ، واستقَى الناسُ، وشَربُوا، وبَقِي بقيةٌ فأعطاها الرجلَ، وقال: «**خُذْ هذا أَفْرِغْه على نفسِكَ**»[1].

ولم يبيِّن له الكيفيةَ، فلو كانتِ الكيفيةُ واجبةٌ، لبيَّنها الرسولُ ﷺ، لوجوبِ التبليغ عليه.

وعلى هذا: القسمُ الخامسُ محلُّ نظرٍ؛ بمعنى: أننا نَنْظُرُ كلَّ قضيةٍ بعينِها، ولا نُعْطِيها حكمًا عامًّا، فنقولُ: إذا كان بيانًا لواجبٍ؛ فهو واجبٌ، وإذا كان بيانًا لمستحبٍ؛ فهو مستحبٌ، بل نقُولُ: نحكُمُ في كلِّ قضيةٍ بعينِها.

وهناك قسمٌ سادسٌ يَفْعَلُه النبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اتفاقًا: فهذا لا يُقْتَدَى بِهِ فيه، وليس محلَّ اقتداءٍ عند جمهورِ الصحابةِ، وإن كان ابنُ عمرَ رضي الله عنهما يَقتَدي بالرسولِ ﷺ فيه، ويَتَّبِعُه فيه[2].

مثالُ ذلك: إذا نزلَ النبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في مكانٍ وصلى فيه اتفاقًا؛ أي: صادَفه الوقتُ في هذا المكانِ، فنزَلَ فصلَّى، هل نَقُولُ: يُشْرَعُ للإنسانِ إذا مرَّ في هذا المكانِ في وقتِ الصلاةِ أن يَنزِلَ فيه ويُصَلِّي؟

والجوابُ: أما ابنُ عمرَ رضي الله عنه فكان يَفعَلُ ذلك، حتى ذهبَ إلى ما هو أعظمُ، فكان يتَحرَّى المكان الذي بَالَ فيه الرسولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فينْزِلُ ويَبُولُ فيه، ولكنَّ هذا الأصلَ خالفَه فيه أكثرُ الصحابةِ، ورَأوا أن ما فُعِل اتفاقًا، فإنه لا يُشْرَعُ.

ومِن ذلك أيضًا: قدومُ الإنسانِ الحاجِّ إلى مكةَ في اليومِ الرابعِ مِن ذي الحِجَّةِ، فهل نَقُولُ: إن هذا مشروعٌ، وأنه يَنْبَغِي للإنسانِ أن يَكُونَ قُدومُه إلى مكةَ وهو حاجٌّ في الرابعِ مِن ذي الحجةِ، أو نُقولُ: إن هذا حصَلَ مِن النبيِّ ﷺ[2] اتفاقًا فلا حكمَ له؟

الجوابُ: أن الثاني هو الصحيحُ.

=

جسده، ثم تنحى فغسل رجليه.... الحديث.

(١) رواه البخاري (٣٤٤).

(٢) أورد البخاري رحمه الله جملة من الأحاديثِ والآثار الدالة على ذلك في كتاب الصلاة، باب المساجد التي على طرق المدينة والمواضع التي صلى فيها النبي ﷺ الحديث (٤٨٣) وما بعده من الأحاديث.

(٢) رواه البخاري (٧٣٦٧)، ومسلم (١٢١٦) (١٤١).

فهذه أقسامٌ ستةٌ في أفعالِ النبيِّ ﷺ.

أما الحديثُ الذي معنا ؛ وهو «اتخاذُ النبيِّ ﷺ خاتمًا مِن ذهبٍ، فاتَّخذَ الناسُ خواتيمَ مِن ذهبٍ، ثم نبَذه ﷺ فنبذ الناسُ خواتيمَهم». فهذا في زمنِ المشروعيةِ والاتباعِ، فكان الصحابةُ يَحْرِصونَ على متابعته في كلِّ شيءٍ، حتى إنه لما نزَع نَعْلَيْهِ وهو في صلاتِه، نزَع الناسُ نِعالَهم[1]، وحتى إنهم تابَعُوه في الركعةِ الخامسةِ لما صلَّى خمسًا[2]، وتابَعُوه في التسليمِ مِن ركعتينِ في الظهرِ أو العصرِ لما سلَّمَ مِن ركعتينِ[3]؛ لأن هذا زمنُ التشريعِ، ويُمكِنُ أن يَكُونَ ما فعلَه على وجهِ العبادةِ، فكانوا يُتَابِعُونه فيه.

وفي الحديثِ: دليلٌ -من حيث الفقه- على أن لباسَ الذهبِ حرامٌ على الرجالِ؛ لقولِه ﷺ: «لن أَلْبَسَهُ أبدًا». وهو كذلك. فلبسُ الذهبِ حرامٌ على الرجالِ سواءٌ كان خاتمًا، أو سلسلةً، أو قُرْطًا أو غيرَ ذلك، ثم أُضِيفَ إلى هذا أنه مِن خصائصِ النساءِ، فصَار فيه محظورانِ:

أولًا: كونُه مِن ذهبٍ.

والثاني: التشبُه بالنساءِ،وهو مِن كبائرِ الذنوبِ.

وأما اليسيرُ التابعُ فقد رَخَّص فيه كثيرٌ مِن العلماءِ، كالمسمارِ في المِرآة مثلًا، أو العضدِ في المِرآة، أو العقربِ في الساعةِ، أو ما أشبهَ ذلك[4]؛ لأنه يَسيرٌ تابعٌ، والتابعُ يَثْبُتُ تبعًا ما لا يَثْبُتُ استقلالًا، وقياسًا على الحريرِ الذي قُرِنَ تحريمُه بالذهبِ، وأُبيحَ منه ما كان تابعًا، كأربعِ أصابعَ فما دونَ ذلك.

ولهذا ترخَّص كثيرٌ مِن علمائِنا بلباس المشالحِ المنسوجةِ بالزَّري وإن كان بعضُ الناسِ يقولُ: إن في هذا الزري ذهبًا؛ وبعضُهم يَقولُ: لا ذهبَ فيه، وإنما هذا ملونٌ بلونِ الذهبِ، ونقله شيخُنا عبدُ العزيزِ بنُ بازٍ، عن شيخِه محمدِ بنِ إبراهيمَ: أن هذا الزرى الذي في المَشالحِ ليسَ بذهبٍ، ولكنه ملونٌ بالذهبِ.

وعلى هذا فلا إشكالَ فيه؛ أنه ليسَ بحرامٍ، أما إذا قلنا: إنه ذهبٌ، وقلنا: بجوازِ التابعِ قياسًا على الحريرِ، فهو جائزٌ أيضًا، وبعضُ أهلِ العلمِ يَتورَّعُ عن هذا، ولا يَلْبَسُ المُطرَّزَ

---

(١) رواه الإمام أحمد (٣/ ٢٠) (١١٥٢)، وأبو داود (٦٥٠)، وابن خزيمة (١٠١٧)، والدارمي (١/ ٣٢٠)، والحاكم (١/ ٢٦٠) وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

(٢) رواه البخاري (٤٠٤)، ومسلم(١/ ٤٠١)(٥٧٢) (٩١).

(٣) رواه البخاري (٧١٤)، ومسلم(١/ ٤٠٣)(٥٧٣) (٩٧).

(٤) انظر «مجموع فتاوي شيخ الإسلام»(٢٥/ ٦٤)، و«المبدع»(١/ ٣٨٣)، و«شرح العمدة»(٤/ ٣٠٨).

بالذهبِ أخذًا بالعمومِ، أن الذهبَ حُرِّم على ذكورِ هذه الأمةِ[1].

وكذلك أيضًا: يَجُوزُ الذهب في الخناجرِ والسيوفِ والبنادقِ؛ لأن ذلك فيه مصلحةٌ أكبرُ من مفسدتِه، وهو إغاظةُ الأعداءِ، فالأعداءُ إذا رأوا أن أسلحةَ المسلمينَ من الذهبِ فلا شكَّ أنهم يُغَاظُون بهذا، فلمصلحةٍ راجحةٍ أُبيحَ منه هذا الشيءُ.

* *** *

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٥- بابُ ما يُكْرَهُ من التعمقِ والتنازعِ[2] والغلوِّ في الدينِ والبدعِ لقولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾[النساء:١٧١] ؟

قولُه: «التعمقِ»، مأخوذٌ من العمقِ؛ وهو التقُّعرُ في الشيءِ.

وقولُه: «التنازعِ». هو التنازعُ في العلمِ، والمرادُ بالتنازعِ في العلمِ الذي لا يَقْصِدُ به الإنسانُ إلا منازعةَ الخصمِ وغلبتَه عليه.

وقولُه: «الغلوِّ في الدينِ»: الزيادةُ فيه، سواءٌ فيما لم يُشرَعْ، أو فيما شُرِع فيزيدُ في وصفِه، فإن هذا مما يُكرَهُ.

وقولُه: «البدع»: أيضًا مما تُكرَهُ؛ أي: البدعُ في الدينِ، لا في الدنيا. فالبدعُ في الدينِ كلُّها ضلالةٌ، حتى وإن ظنَّ صاحبُها أنها هُدًى فإنها ضلالةٌ، ولكنها تَختلِفُ بحسبِ ما تُوَصِّلُ إليه، فقد تكُونُ فِسقًا، وقد تكُونُ كفرًا بحسبِ مخالفتِها للسنَّةِ.

ثم استدَلَّ البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بقولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾[النساء:١٧١]. فأهلُ الكتابِ كانوا في دينِهم على طرفين: طرفٌ غالٍ، وطرفٌ جاهلٌ.

فكان بعضُهم يَغْلُوا في دينه حتى يفرِضَ على نفسِه ما لم يَفْرِضْه اللهُ عليه؛ كقولِه تبارك وتعالى: ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ﴾[الحديد:٢٧] .

وبعضُهم يتفلَّتُ من دينِه، ويُفرِّطُ، ويُهمِلُ، فكما أننا منهيون عن التفريط، فإننا منهيُّون أيضًا عن الغلوِّ.

* *** *

(١)تقدم تخريجه.

(٢)في نسخة الشعب: والتنازع في العلمِ.

ثم قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٧٢٩٩- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تُوَاصِلُوا». قَالُوا: إِنَّكَ تُوَاصِلُ. قَالَ: «إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ، إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي». فَلَمْ يَنْتَهُوا عَنِ الْوِصَالِ - قَالَ - فَوَاصَلَ بِهِمُ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَيْنِ أَوْ لَيْلَتَيْنِ، ثُمَّ رَأَوُا الْهِلَالَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ تَأَخَّرَ الْهِلَالُ لَزِدْتُكُمْ». كَالْمُنَكِّلِ لَهُمْ[1].

۞ قولُه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لا تواصِلُوا». قالوا: إنك تُواصِلُ. لم يُرِيدُوا بهذا أن يَعْتَرِضُوا على الرسولِ ﷺ؛ أي: لم يُرِيدُوا أن يَقولُوا: كيف تَنْهَانا عن شيءٍ أنت تفعَلُه؟ وإنما يُرِيدُونَ بذلك أن يُبيِّنوا أن مواصلتَهم كانت اتباعًا له ﷺ، فكأنهم قالوا: إنك تواصِلُ ونُرِيدُ أن نَتَّبِعَك في ذلك، ثم بيَّن لهم الفرقَ الذي يَمنَعُ المتابعةَ في هذا، بأنه ليس مثلنا يَبيتُ يُطعِمُه ربُّه ويسقِيه.

۞ قولُه: «يبيتُ»، يَعْنِي: في الليلِ.

۞ وقولُه: «يطعِمُه ربُّه ويَسْقِيه». هل يُطْعِمه خبزًا ولحمًا وعسلًا، ويَسْقِيه لبنًا وماءً؟

الجوابُ: لا؛ إذ لو كان كذلك، لم يَكُن هناك وصالٌ، فتعذَّرَ أن يَكُونَ طعامًا كطعامِ الناسِ، إذن هو طعامٌ آخرُ، فما هذا الطعامُ؟

قال بعضُهم: إنه طعامٌ مِن طعامِ الجنةِ، وطعامُ الجنةِ طعامٌ أخرويٌّ، فلا يُفطِّرُ الصائمَ. وهذا أيضًا فيه نظرٌ؛ لأن طعامَ الجنةِ وشرابَ الجنةِ يَملأُ البطنَ، فيحصُلُ به ما يَحصُلُ بطعامِ الدنيا فلا يَصِحُّ.

وقال بعضُهم: إن معنى الإطعامِ، والإسقاءِ: هو أن الرسولَ ﷺ يَشْتَغِلُ بمناجاةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وذكرِه، والثناءِ عليه، فيَحصُلُ له بهذا مِن الغذاءِ الروحيِّ، ما يَكفيه عن الغذاءِ الجسديِّ، والإنسانُ إذا اشتغَل بشيءٍ اشتغالًا تامًّا، أنسَاه الاشتغالُ به ما سواه، وهذا شيءٌ مشاهدٌ، وعلى هذا يُجْرى قولُ الشاعرِ:

لها أَحَادِيثُ مِن ذِكْرَاكَ تَشْغَلُها عَنِ الشَّرابِ وتُلهِيهَا عَنِ الزَّادِ[2]

يعني أن أحاديثَها بذكرَاك تشغَلُها عن الشرابِ فلا تَحتاجُ إليه، وتُلهيها عن الزادِ فلا تَحتاجُ إليه.

وهذا القولُ هو المتعيِّنُ، لأنه لا يُمكِنُ أن يكُونَ الناسُ في مرتبةٍ كمرتبةِ الرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فيَستَغْنونَ بمناجاةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عن الغذاءِ الجسديِّ، فهذا هو الفرقُ.

---

(١) رواه مسلم (٢/ ٧٧٤) (١١٠٣) (٥٧).

(٢) انظر: «المدهش» (١/ ٤٥٥)، و«الحماسة البصرية» (١/ ١٥٧)، «ديوان المعاني» (١/ ٦٣).

وقولُه: «فلم يَنْتَهوا عن الوصالِ». ربما يَأخُذُ مِن هذه الجملةِ وأمثالِها مَن يَقدحُ بالصحابةِ. ويَقولُ: انظرُوا للصحابةِ يُنْهَونَ فلا يَنْتَهونَ، ويُؤْمَرُون فلا يَأتمِرونَ، فيتَّخذُ مِن هذا قَدْحًا في الصحابةِ ﷺ، وكذلك أُمِروا بالحَلْقِ في غزوةِ الحديبيةِ (١)، وأمِروا بالتحلُّلِ في حَجَّةِ الوداعِ (٢)، ولكنَّهم لم يمتثِلُوا على وجهِ مُبادرينَ فيه.

فَنقُولُ: الصحابةُ ﷺ حين لم يَنْتَهوا، لم يُريدُوا بذلك معصيةَ اللهِ ورسولِه ﷺ، وحين امتنعُوا عن فعلِ المأمورِ لم يُريدُوا بذلك معصيةَ اللهِ ورسولِه ﷺ، وإنما هم مُتأوِّلونَ، ويَرجُونَ أن يَعْدِلَ الرسولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن هذا الحكمِ، أو أنه أتى بهذا الحكمِ رحمةً بهم، فهم لم يَنْتَهُوا عن الوصالِ ظنًّا منهم أن الرسولَ ﷺ نهى عن الوصالِ رأفةً بهم، فقالُوا في أنفسِهم: إنا قادِرُونَ ولا يَشُقُّ علينا؛ ولهذا تركَهم النبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لم يُعنِّفهُم، وواصلَ بهم يومينِ، أو ليلتينِ، ثم رأَوا الهلالَ، فقال النبيُّ ﷺ: **«لو تأخَّر الهلالُ لزِدْتُكم»**. كالمُنكِّلِ لهم.

وفي هذا: إشارةٌ إلى عقوبةِ الإنسانِ بأشدِّ العقوبتينِ التي يَترجَّاها؛ ولهذا بنى أميرُ المؤمنينَ عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه مَنْعَ الرجلِ المطلِّقِ ثلاثًا مِن الرجوعِ إلى زوجتِه، وقال: أرى الناسَ تَعجَّلُوا في أمرٍ كانت لهم فيه أناةٌ، فلو أمضيناه عليهم (٢)، فعاقبهم بما تعجَّلوا إليه مِن الشيءِ المحرمِ؛ لأن الذي يُطلِّقُ زوجتَه ثلاثًا يُريدُ بذلك سرعةَ البينونةِ، فعاقبهم عمرُ بما أرادُوه لأنفسِهم.

وهنا عاقبَ النبيُّ ﷺ هؤلاءِ الصحابةَ بما أرادُوه لأنفسِهم مِن الوصالِ، فقال: **«لولا أن الهلالَ رئِيَ لزَادهم»**.

*****

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٧٣٠٠- حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ، حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ خَطَبَنَا عَلِيٌّ رضي الله عنه عَلَى مِنْبَرٍ مِنْ آجُرٍّ، وَعَلَيْهِ سَيْفٌ فِيهِ صَحِيفَةٌ مُعَلَّقَةٌ، فَقَالَ: وَاللهِ مَا عِنْدَنَا مِنْ كِتَابٍ يُقْرَأُ إِلَّا كِتَابُ اللهِ، وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ. فَنَشَرَهَا فَإِذَا فِيهَا أَسْنَانُ الإِبِلِ، وَإِذَا فِيهَا: «الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مِنْ عَيْرٍ إِلَى كَذَا، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا». وَإِذَا فِيهِ: «ذِمَّةُ مُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا». وَإِذَا فِيهَا: «مَنْ وَالَى قَوْمًا بِغَيْرِ إِذْنِ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا»[1].

وفي هذا الأثرِ: دليلٌ على أن عليَّ بنَ أبي طالبٍ ﷺ لم يُخَصَّ بشيءٍ باطنٍ لا يُعْلَمُ به، بل كلُّ ما رواه عن النبي ﷺ أعْلَنه وبيَّنه، ولم يَخْفِ شيئًا، ففيه ردٌّ على الرافضةِ الذين يقولونَ: إن عندهم مصحفًا لفاطمةَ ﷺ، وإنه أكثرُ مِن المصحفِ الموجودِ الذي أجمعَ عليه المسلمونَ، أو أن لآلِ البيتِ أشياءَ، ووصايا خاصةً بهم لا يَعلَمُها الناسُ.

فعليُّ بنُ أبي طالبٍ ﷺ أتقى للهِ مِن أن يَجْحَدَ شيئًا، أو يَكتُمَهُ مما علَّمه النبيُّ ﷺ فلذلك يَقُولُ: واللهِ ما عندنا مِن كتابٍ.

۞ وقولُه: «عندنا»، يَشْمَلُ آلَ البيتِ كلَّهم؛ ولهذا لم يَقُلْ: ما عندي. ويَبْدُو لي -واللهُ أعلمُ- أن الناسَ مِن عهدِه يَدَّعُون هذه الدعوة الباطلةَ، وهي أن آلَ البيتِ خُصُّوا بشيءٍ؛ ولهذا جاءَ في أثرٍ آخرَ: أنه قيلَ لعليٍّ: هل خصَّكمُ النبيُّ ﷺ بشيءٍ؟ قال: لا، لم يَخُصَّنا بشيءٍ[2].

فالصحيفةُ يقُولُ فيها: «ما عندنا مِن كتابٍ يُقْرَأُ إلا كتابَ اللهِ». وهو هذا المصحفُ الذي أجمعَ عليه المسلمونَ، منذ كُتِبَ إلى يومِنا هذا، ومِن المعلوم أن المصحفَ جُمِعَ على مصحفٍ واحدٍ في عهدِ عثمانَ قبلَ خلافةِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ ﷺ[2]، والمصحفُ العثمانيُّ الذي قرَّره الصحابةُ في عهدِ عثمانَ، هو المصحفُ الذي يُرِيدُه عليُّ بنُ أبي طالبٍ ﷺ، وليس هناك مصحفٌ سِواه.

۞ وقولُه: و«ما في هذه الصحيفةِ». يَعني: الورقةَ، «فنشَرها» أي: فلَّها، فإذا فيها: «أسنانُ الإبلِ»؛ أي: بنتُ المخاضِ، وبنتُ اللَّبُونِ، إما في الزكاةِ أو في الدِّيَّاتِ.

فيها أيضًا: «المدينةُ حَرَمٌ مِن عَيْرٍ إلى كذا». وقد جاءَ مبيَّنًا في صحيحِ مسلمٍ: مِن عَيْرٍ إلى ثَورٍ[4]. وهما جَبَلانِ معروفانِ في شمالِ المدينةِ وجنوبِها.

۞ وقولُه: «فمَنْ أحدَثَ فيها حَدَثًا». يَعني: ينتهكُ به هذا التحريمَ مِن اعتداءٍ على الآدميينَ، أو على أموالِهم، أو على الطيرِ في المدينةِ: فعليه لعنةُ اللهِ، والملائكةِ، والناسِ أجمعينَ.

---

(١) رواه مسلم (٢/ ٩٩٤) (١٣٧٠) (٤٦٧).
(٢) رواه مسلم (٣/ ١٥٦٧) (١٩٧٨) (٤٥).
(٢) تقدم تخريجه.
(٤) رواه مسلم (٢/ ٩٩٤) (١٣٧٠) (٤٦٧).

وقولُه: «فعليه لعنةُ اللهِ، والملائكةِ، والناسِ أجمعينَ». فهذا خبرٌ، أو دعاءٌ، فإن الرسولَ عليه الصلاة والسلام لعَنَ، بل أَخْبَرَ: «أن مَن أحدثَ في المدينةِ حَدَثًا، فعليه لعنةُ اللهِ، والملائكةِ، والناسِ أجمعين»[1].

وهذا دليلٌ على عِظَمِ الإحداثِ في المدينةِ، وإن كان الإحداثُ فيها دونَ الإحداثِ في مكةَ؛ لأن مكةَ قال اللهُ فيها: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الحج:٢٥].

وقولُه: «لا يَقْبَلُ اللهُ منه صرفًا ولا عدلًا». صَرْفًا؛ أي: صرفًا للعقوبةِ، ولا عدلًا؛ أي: أَخْذَ مُعادلٍ عنها، وهو الفداءُ؛ يعني: لا يُمكِنُ أن يَقبَلَ اللهُ فداءً، ولا صرفًا بدونِ فداءٍ.

وقولُه: «وإذا فيه ذمةُ المسلمينَ واحدةٌ، يَسْعَى بها أدناهم». يَعنِي: أن المسلمينَ عهدُهم واحدٌ، فإذا أمَّن واحدٌ مِن المسلمينَ أحدًا، وجبَ على المسلمينَ أن يُؤَمِّنُوهُ؛ لأن ذمَّتَهم واحدةٌ؛ ولهذا قال: «فمَن أخْفَر مسلمًا» - أي: غدرَ في ذمتِه - فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعينَ، لا يَقْبَلُ اللهُ منه صرفًا ولا عدلًا.

وقولُه: «وإذا فيها مَن وَالَى قومًا بغيرِ إذنِ مَوَالِيه، فعليه لعنةُ اللهِ، والملائكةِ والناسِ أجمعينَ»، لا يقْبَلُ اللهُ منه صرفًا ولا عدلًا؛ يعني: صَارَ مَوْلًى لهم بغيرِ إذنِ مَوَالِيه، فعليه لعنةُ اللهِ.

وظاهرُ الحديثِ: أنه إذا وَالَاهم بإذنِ مَوَالِيه، فإنه جائزٌ، ويُحْمَل هذا على غيرِ ولاءِ العِتَاقةِ، لأن ولاءَ العِتاقةِ لا يَنْتَقِلُ ولو أَذِن فيه المولَى؛ لقولِ النبيِّ ﷺ: «إنما الولاءُ لمن أَعْتَقَ»[2]. لكنَّ المرادَ في هذا موالاةُ الحَلِفِ، والمساعدةُ والمناصرةُ، وما أشبهَ ذلك.

***

ثم قال البخاريُّ رحمه الله:

٧٣٠١- حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا تَرَخَّصَ وَتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ قَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ، فَوَاللهِ إِنِّي أَعْلَمُهُمْ بِاللهِ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً»[2].

قولُه: «فحمِد اللهَ». وفي نسخة: فحمد اللهَ، وأثنى عليه.

هذا كما وقَعَ في قصةِ النفرِ الثلاثةِ؛ الذين سَألوا عن عملِ النبيِّ ﷺ في السرِّ، فذُكِر لهم،

(١) رواه مسلم (٢/ ٩٩٩) (١٣٧١) (٤٦٩).
(٢) رواه البخاري (٢٥٦٠)-(٢٥٦٥) ومسلم (٢/ ١١٤١) (١٥٠٤) (٥).
(٢) رواه مسلم (٤/ ٨٢٩) (٢٣٥٦) (١٢٧).

فكأنهم تَقَالُّوا عملَه، فقالوا: إن رسولَ اللهِ ﷺ قد غفَرَ اللهُ له ما تقدَّم مِن ذنبِهِ وما تأخرَ، ثم قال أحدُهم: لا أتزوَّجُ النساءَ. وقال الثاني: لا آكلُ اللحمَ. والثالثُ قال: أقومُ الليلَ ولا أنامُ. فبلغَ ذلك النبيَّ ﷺ فزجَرَهم، وقال: «**إني أصومُ وأُفطِرُ، وأُصلِّي وأنامُ، وأتزوَّجُ النساءَ، فمَنْ رغبَ عن سُنَّتي فليس مني**»[1].

ومِن ذلك مَن يتنزَّهُونَ عن بعضِ الأطعمةِ؛ لاشتباهِهم فيها، مع أن الأصلَ فيها الحلُّ. ففي صحيحِ البخاريِّ: أن قومًا جاءُوا إلى الرسولِ ﷺ وقالُوا: إن قومًا يَأْتُونَنَا باللحمِ لا نَدْرِي أَذُكِرَ اسمُ اللهِ عليه أمْ لا؟ فقال: «**سَمُّوا أنتم وكُلوا**»[2].

وهذا كالتأنيبِ لهم على هذا السؤالِ؛ يعني: كأنه قال: إنكم لا تُكلَّفونَ إلا عملَكم، أما عمل غيرِكم فلَسْتُم مسئولينَ عنه، قالت عائشةُ: وكانوا حدِيثي عهدٍ بكفرٍ.

ولو أردنا أن نتتبَّعَ مثلَ هذه الأمورِ؛ لحصلَ في ذلك إشكالٌ كثيرٌ، وتعَبٌ؛ أي: أننا لو قلنَا: كلُّ إنسانٍ باعَ علينَا بيتًا مثلًا، لابدَّ أن نَعْلَمَ أنه تملَّكه بطريقٍ شرعيٍّ، أو باعَ علينا ثيابًا، لابدَّ أن نَعْلَمَ أنه تملَّكها بطريقٍ شرعيٍّ. فهذا لا شكَّ أن فيه مِن المشقةِ والحرجِ، ما يُنَافِي الشريعةَ الإسلاميةَ.

* ❊❊❊ *

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٣٠٢- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ، أَخْبَرَنَا وَكِيعٌ، عَنْ نَافِعِ بْنِ عُمَرَ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: كَادَ الْخَيِّرَانِ أَنْ يَهْلِكَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، لَمَّا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَفْدُ بَنِي تَمِيمٍ، أَشَارَ أَحَدُهُمَا بِالأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيِّ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ، وَأَشَارَ الآخَرُ بِغَيْرِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: إِنَّمَا أَرَدْتَ خِلَافِي. فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ. فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَزَلَتْ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ [الحجرات: ٢]. إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٣]. قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: فَكَانَ عُمَرُ بَعْدُ - وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ يَعْنِي: أَبَا بَكْرٍ - إِذَا حَدَّثَ النَّبِيَّ ﷺ بِحَدِيثٍ حَدَّثَهُ كَأَخِي السِّرَارِ، لَمْ يُسْمِعْهُ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ.

۞ قولُه: «فكان عمرُ بعدُ، ولم يَذْكُرْ ذلك عن أبيه»؛ يعني: أبا بكرٍ، إذا حدَّث النبيَّ ﷺ بحديثٍ حدَّثه، كأخي السِّرارِ، لم يُسْمِعْهُ حتى يَسْتَفْهِمَهُ؛ يعني: في مقابلةِ رفعِ الصوتِ الذي حصَلَ منه مع أبي بكرٍ في حضرةِ النبيِّ ﷺ.

---

(١) رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (٢/ ١٠٢٠) (١٤٠١) (٥٠).

(٢) رواه البخاري (٥٥٠٧).

٧٣٠٣- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ». قَالَتْ: عَائِشَةُ: قُلْتُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ. فَقَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ». فَقَالَتْ، عَائِشَةُ، فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ: قُولِي: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، فَفَعَلَتْ حَفْصَةُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّكُنَّ لأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ». قَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ: مَا كُنْتُ لأُصِيبَ مِنْكِ خَيْرًا[1].

قولُها: «ما كنتُ لأُصيبَ منكِ خيرًا»: لأن رسولَ اللهِ ﷺ وبَّخها، وقال: «لأنتُنَّ صواحبُ يوسُفَ». يعني: في الكيدِ، وكانت عائشةُ رضي الله عنها تُعَلِّلُ بهذا، أنه كثيرُ البكاءِ رضي الله عنه، وتُعَلِّلُ أيضًا بعلةٍ أخرى؛ وهي أنه سيقومُ بعدَ الرسولِ ﷺ، والناسُ لا يَطْمَئنُّونَ إليه إذا كان بعد حبيبهم عليه الصلاة والسلام، فكانت رضي الله عنها تُريدُ هذا وهذا.

ومناسبةُ هذا الحديثِ في الباب:

قال ابنُ حجرٍ رحمه الله تعالى في «الفتح» (١٣/ ٢٨٠):

والمقصودُ منه بيانُ ذمِّ المخالفةِ، وقال ابنُ التِّينِ: وفيه: أن أوامرَه على الوجوبِ، وأن في مراجعتِهِ فيما يَأمُرُ به بعضَ المكروهِ. قلتُ: وليس ما ادَّعاه مِن دليلِ الوجوبِ ظاهرًا. اهـ

٧٣٠٤- حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: جَاءَ عُوَيْمِرٌ إِلَى عَاصِمِ بْنِ عَدِيٍّ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا فَيَقْتُلُهُ، أَتَقْتُلُونَهُ بِهِ، سَلْ لِي يَا عَاصِمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَهُ، فَكَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَسَائِلَ، وَعَابَهَا، فَرَجَعَ عَاصِمٌ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَرِهَ الْمَسَائِلَ، فَقَالَ عُوَيْمِرٌ: وَاللَّهِ لآتِيَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، فَجَاءَ وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى الْقُرْآنَ خَلْفَ عَاصِمٍ، فَقَالَ لَهُ: «قَدْ أَنْزَلَ اللهُ فِيكُمْ قُرْآنًا». فَدَعَا بِهِمَا فَتَقَدَّمَا فَتَلاعَنَا، ثُمَّ قَالَ عُوَيْمِرٌ: كَذَبْتُ عَلَيْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَمْسَكْتُهَا. فَفَارَقَهَا وَلَمْ يَأْمُرْهُ النَّبِيُّ ﷺ بِفِرَاقِهَا، فَجَرَتِ السُّنَّةُ فِي الْمُتَلاعِنَيْنِ. وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «انْظُرُوهَا، فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَحْمَرَ قَصِيرًا مِثْلَ وَحَرَةٍ، فَلَا أُرَاهُ إِلَّا قَدْ كَذَبَ، وَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَسْحَمَ أَعْيَنَ ذَا أَلْيَتَيْنِ، فَلَا أَحْسِبُ إِلَّا قَدْ صَدَقَ عَلَيْهَا». فَجَاءَتْ بِهِ عَلَى الأَمْرِ الْمَكْرُوهِ[2].

---

(١) رواه مسلم (١/ ٣١٣) (٤١٨) (٩٥). مطولًا.

(٢) رواه مسلم (٢/ ١١٢٩) (١٤٩٢) (١).

الشاهدُ مِن هذا قولِه: «إن الرسولَ كَرِه المسائلَ». فلا يَنْبَغي للإنسانِ أن يتعرَّضَ للبلاءِ، ويَفرِضَ الأشياءَ المكروهةَ؛ لأنه ربما يقعُ المكروهُ بناءً على توقُّعِه؛ ولهذا قيلَ: البلاءُ موكَّلٌ بالمنطقِ. وقال الشاعرُ:

احذَرْ لسانَكَ أن تَقُولَ فتُبْتَلَى إن البلاءَ مُوَكَّلٌ بالمنطقِ [1]

وكم مِن إنسانٍ يَتوقَّعُ أشياءَ مكروهةً ثم تَقَعُ؛ ولهذا كان الرسولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُعْجِبُه الفألُ، ويكْرَهُ الطِّيَرَةَ [2]؛ لأن الفألَ حسنٌ، وفيه تنشيطٌ للإنسانِ، وفيه فتحُ سرورٍ.

والفرقُ بين الفألِ والطِّيَرةِ: أن الفألَ، للشيءِ الحسنِ؛ يَعْني: تتفاءَلُ خيرًا، والطِّيَرةُ: للتشاؤمِ.

فلا يَنْبَغي للإنسانِ أن يَكُونَ قلبُه متشائمًا، بل يَنْبَغي أن يَكُونَ متفائِلًا؛ لأن التفاؤلَ يوجِبُ نشاطَ الإنسانِ، وانشراحُ صدرِه، وسيره في عملِه، والتطيرُ بالعكسِ.

* ❋❋❋ *

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٠٥- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مَالِكُ بْنُ أَوْسٍ النَّصْرِيُّ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ذَكَرَ لِي ذِكْرًا مِنْ ذَلِكَ، فَدَخَلْتُ عَلَى مَالِكٍ فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: انْطَلَقْتُ حَتَّى أَدْخُلَ عَلَى عُمَرَ أَتَاهُ حَاجِبُهُ يَرْفَأُ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ فِي عُثْمَانَ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَالزُّبَيْرِ، وَسَعْدٍ يستأذنونَ. قَالَ: نَعَمْ. فَدَخَلُوا فَسَلَّمُوا وَجَلَسُوا. فَقَالَ: هَلْ لَكَ فِي عَلِيٍّ، وَعَبَّاسٍ. فَأَذِنَ لَهُمَا. قَالَ الْعَبَّاسُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اقْضِ بَيْنِي وَبَيْنَ الظَّالِمِ -اسْتَبَّا- فَقَالَ الرَّهْطُ عُثْمَانُ وَأَصْحَابُهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اقْضِ بَيْنَهُمَا، وَأَرِحْ أَحَدَهُمَا مِنَ الآخَرِ. فَقَالَ: اتَّئِدُوا، أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ الَّذِي بِإِذْنِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ». يُرِيدُ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَفْسَهُ. قَالَ الرَّهْطُ: قَدْ قَالَ ذَلِكَ. فَأَقْبَلَ عُمَرُ عَلَى عَلِيٍّ، وَعَبَّاسٍ، فَقَالَ: أَنْشُدُكُمَا بِاللهِ هَلْ تَعْلَمَانِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ ذَلِكَ. قَالَا: نَعَمْ. قَالَ عُمَرُ: فَإِنِّي مُحَدِّثُكُمْ عَنْ هَذَا الأَمْرِ، إِنَّ اللهَ كَانَ خَصَّ رَسُولَهُ ﷺ فِي هَذَا الْمَالِ بِشَيْءٍ لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا غَيْرَهُ، فَإِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ﴾ [الحشر:٦].

---

(١) انظر «النجوم الزاهرة» (٢/ ١٣٠)، و«المستطرف» (١/ ١٨٨)، و«حماسة البحتري» (١/ ٢٧٢)، و«السحر الحلال» (١/ ٨٣).

(٢) فمن ذلك ما رواه البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٤) (١١١) من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل. قالوا: ما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة»

الآيَةَ، فَكَانَتْ هَذِهِ خَالِصَةً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ وَاللهِ مَا احْتَازَهَا دُونَكُمْ، وَلَا اسْتَأْثَرَ بِهَا عَلَيْكُمْ، وَقَدْ أَعْطَاكُمُوهَا وَبَثَّهَا فِيكُمْ، حَتَّى بَقِيَ مِنْهَا هَذَا المَالُ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةَ سَنَتِهِمْ مِنْ هَذَا المَالِ، ثُمَّ يَأْخُذُ مَا بَقِيَ فَيَجْعَلُهُ مَجْعَلَ مَالِ اللهِ، فَعَمِلَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ حَيَاتَهُ، أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ هَلْ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ، فَقَالُوا: نَعَمْ. ثُمَّ قَالَ لِعَلِيٍّ وَعَبَّاسٍ: أَنْشُدُكُمَا اللهَ هَلْ تَعْلَمَانِ ذَلِكَ، قَالَا: نَعَمْ. ثُمَّ تَوَفَّى اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا وَلِيُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَبَضَهَا أَبُو بَكْرٍ، فَعَمِلَ فِيهَا بِمَا عَمِلَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَنْتُمَا حِينَئِذٍ -وَأَقْبَلَ عَلَى عَلِيٍّ وَعَبَّاسٍ- تَزْعُمَانِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ فِيهَا كَذَا، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ فِيهَا صَادِقٌ بَارٌّ رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ، ثُمَّ تَوَفَّى اللهُ أَبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ: أَنَا وَلِيُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ. فَقَبَضْتُهَا سَنَتَيْنِ، أَعْمَلُ فِيهَا بِمَا عَمِلَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ جِئْتُمَانِي، وَكَلِمَتُكُمَا عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَأَمْرُكُمَا جَمِيعٌ، جِئْتَنِي تَسْأَلُنِي نَصِيبَكَ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ، وَأَتَانِي هَذَا يَسْأَلُنِي نَصِيبَ امْرَأَتِهِ مِنْ أَبِيهَا، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتُمَا دَفَعْتُهَا إِلَيْكُمَا، عَلَى أَنَّ عَلَيْكُمَا عَهْدَ اللهِ وَمِيثَاقَهُ تَعْمَلَانِ فِيهَا بِمَا عَمِلَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَبِمَا عَمِلَ فِيهَا أَبُو بَكْرٍ، وَبِمَا عَمِلْتُ فِيهَا مُنْذُ وَلِيتُهَا، وَإِلَّا فَلَا تُكَلِّمَانِي فِيهَا. فَقُلْتُمَا: ادْفَعْهَا إِلَيْنَا بِذَلِكَ. فَدَفَعْتُهَا إِلَيْكُمَا بِذَلِكَ، أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ هَلْ دَفَعْتُهَا إِلَيْهِمَا بِذَلِكَ، قَالَ الرَّهْطُ: نَعَمْ. فَأَقْبَلَ عَلَى عَلِيٍّ وَعَبَّاسٍ، فَقَالَ: أَنْشُدُكُمَا بِاللهِ هَلْ دَفَعْتُهَا إِلَيْكُمَا بِذَلِكَ. قَالَا: نَعَمْ. قَالَ: أَفَتَلْتَمِسَانِ مِنِّي قَضَاءً غَيْرَ ذَلِكَ، فَوَالَّذِي بِإِذْنِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لَا أَقْضِي فِيهَا قَضَاءً غَيْرَ ذَلِكَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، فَإِنْ عَجَزْتُمَا عَنْهَا فَادْفَعَاهَا إِلَيَّ، فَأَنَا أَكْفِيكُمَاهَا[1].

هذا الحديثُ مرَّ علينا مِن قبلُ، وفيه أن النبيَّ ﷺ قال: «لا نورَثُ، ما تركْنا صدقةٌ». وهاتانِ جملتانِ: الأولى نفيٌ: لا نُورَثُ. والثانيةُ: ما تَركْنا صدقةٌ. فـ «ما» هنا اسمٌ موصولٌ مبتدأٌ، والتقديرُ: الذي تَركْناه صدقةٌ؛ أي: يَكُونُ صدقَةً، فالأنبياءُ لا يُورَثُون، بل ما تَركُوه فإنه يَكُونُ صدقةً.

وقد زعَمتِ الرافضةُ أن الكلامَ جملةٌ واحدةٌ، وأن قولَه: «لانورَثُ ما تركْنا صدقةٌ». أي: لا نُورَثُ ما تَركْناه صدقةً. وأما ما تركناه تملُّكًا، فإنه يُورَثُ.

وعلى تحريفِهم، تكُونُ «ما»: في موضعِ نصبِ مفعولًا به لـ «تَركْنا»، لا نُورَثُ الذي تركْنا صدقةً، ولا شكَّ أن هذا تحريفٌ واضحٌ؛ لأن ما تُرِك صدقةً لا يُورَثُ، لا مِنَ الرسولِ ﷺ، ولا مِن غيرِه، فإن الإنسانَ لو أوصَى بشيءٍ مِن مَالِه أن يَكُونَ صدقةً تُدْفَعُ بعدَ موتِه، فإنه لا يُمكِنُ أن يُورَثَ عنه، بل يُتَصَدَّقُ به كما

(١) رواه مسلم (٣/ ١٣٧٧) (١٧٥٧) (٤٩).

جاءَ في الحديثِ: «إن اللهَ تصدَّقَ عليكم بثلثِ أموالِكم عند وفاتِكم»(١).

وفي هذا الحديثِ أيضًا: دليلٌ على براءةِ أبي بكرٍ وعمرَ ﭭ، مما زعَمته الرافضةُ أنهما ظلَما عليَّ بنَ أبي طالبٍ، وفاطمةَ، والعباسَ، فإن النهايةَ كما رَأيتم أن عمرَ ﭬ دفَع إليهما على أن يَعْمَلَا فيه ما كان النبيُّ ﷺ يَعْمَلُ فيه، ومع ذلك تنازَعا في هذا النزاعَ، حتى وصَفَ العباسُ عليَّ بنَ أبي طالبٍ بأنه ظالمٌ، وهذا نزاعٌ شديدٌ؛ ولهذا قال: إن عجَزْتُما عنها، فادْفعَاها إليَّ، فأنا أكْفِيكُمَاها ﭬ؛ أي: وإن قدِرتما على أن تَصْرِفاها كما صَرَفها النبيُّ عليه الصلاة والسلام فهذا هو الواجبُ عليكما.

وفي هذا: دليلٌ على أن الخلفاءَ الراشدينَ ﭫ يَنالُهم مِن الرعيةِ ما ينالُهم مِن الأذَى، ولكنهم يَصْبِرونَ، ويَحْتَسِبونَ كما هي طريقة الرسل -عليهم الصلاةُ والسلامُ- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام: ٣٤]. ولا تظُنَّ أنك تكُونُ رأسًا في شيءٍ مِن الأشياءِ، فتسْلَمُ.

ولهذا يُذْكَرُ عن رجلٍ أنه أوصَى ابنَه، فقال: يا بني لا تكُن رأسًا، فإن الرأسَ كثيرُ الآفاتِ. كلُّ إنسانٍ يتولَّى شيئًا قياديًّا، فإنه لابدَّ أن يجِدَ مَن يَرْضَى بعملِه، ومن لا يَرْضَى بعملِهِ، ولكنَّ وظيفةَ الإنسانِ أن يُصْلِحَ ما بينَه وبينَ اللهِ ﷻ، فإذا أصلحَ ما بينَه وبينَ اللهِ ﷻ، أصلَح اللهُ ما بينَه وبينَ الناسِ.

ولهذا كتَبت أمُّ المؤمنينَ عائشةَ ﭫ إلى معاويةَ حين تولَّى الخلافةَ، وقالت: إن النبيَّ ﷺ يَقولُ: «مَنِ التمسَ رضا الناسِ في سخطِ اللهِ سخِطَ اللهُ عليه، وأسْخَطَ عليه الناسَ، ومَنِ التمسَ رضا اللهِ في سخطِ الناسِ، كفاه اللهُ مئونَةَ الناسِ، ودافعَ عنه وحفِظَه، وبيَّنَ أمرَه»(٢). أمَّا مَن يُسخِطُ اللهَ برضا الناسِ، فإن اللهَ تعالى يَسْخَطُ عليه، ويُسْخِطُ عليه الناسَ، فتكُونُ قلوبُهم كارهةً له، ساخطةً لفعلِه، فأهمُّ شيءٍ على الإنسانِ أن يَنْظُرَ ما بينَه وبينَ ربِّه فقط، أما ما بينَه وبينَ الناسِ فإنه سوف يَصْلُحُ، ولو بعد زمنٍ.

*****

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٦/ ٤٤٠) (٢٧٤٨٢)، وابن ماجه (٢٧٠٩) والطبراني في الكبير (٢٠/ ٩٤)، والدارقطني (٤/ ١٥٠)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٢١٢)، وقال: إسناده حسن، وقال الحافظ في «بلوغ المرام» بعد أن ذكر له عدة طرق: وكلها ضعيفة لكن يقوي بعضها بعضًا وحسنه الشيخ الألباني كما في تعليقه على «السنن»، وفي «الإرواء» (١٦٤١).

(٢) رواه الترمذي (٢٤١٤)، ابن حبان (٢٧٦)، وعبد بن حميد (١٤٢٤) وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

ثم قال البخاريُّ رحمه الله تعالى:

٦- بابُ إثم مَنْ آوى مُحدِثًا، رواه عليٌّ عن النبيِّ ﷺ[١].

٧٣٠٦- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ، حَدَّثَنَا عَاصِمٌ، قَالَ: قُلْتُ لأَنَسٍ: أَحَرَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ. قَالَ: نَعَمْ مَا بَيْنَ كَذَا إِلَى كَذَا، لَا يُقْطَعُ شَجَرُهَا، مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. قَالَ عَاصِمٌ: فَأَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ أَنَسٍ، أَنَّهُ قَالَ: أَوْ آوَى مُحْدِثًا[٢].

قولُه: «آوى»؛ يعني: تلقَّاه، ونصَره، ودافعَ عنه، فإنه ملعونٌ، وإن كان هذا فيمن آواه، فالُمحدِثُ أولى باللعنِ -والعياذُ باللهِ- وهذا يَشْمَلُ الحدثَ الاعتقاديَّ، والحدثَ العمليَّ. فكلُّ مَن أحدَثَ في المدينةِ فعليه لعنةُ اللهِ، والملائكةِ، والناسِ أجمعينَ.

وقولُه: «لا يُقْطَعُ شجرُها». يُسْتَثْنَى مِن ذلك ما يَحْتَاجُه أهلُها للحرثِ، فإنه رُخِّص في هذا بخلافِ مكةَ، فإنه لم يُرَخَّصْ في شجرِها إلا الإذْخِرَ[٣]. ثم إذا حُرم قطعُ شجرِها، فهل فيه جزاءٌ؟

الجوابُ: أن الصحيحَ أنه لا جزاءَ في قطعِ الشجرِ، لا في مكةَ ولا في المدينةِ، أما الصيدُ ففيه الجزاءُ في مكةَ، واختلفَ العلماءُ فيه في المدينةِ[٤].

❁❁❁❁

ثم قال البخاريُّ رحمه الله تعالى:

٧- بابُ ما يُذْكَرُ مِن ذمِّ الرَّأْيِ، وتكلُّفِ القياسِ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

قولُه رحمه الله: «ما يُذْكَرُ مِن ذمِّ الرَّأْيِ». المرادُ به الرأيُ المجردُ عن الدليلِ.

وقولُه: «وتكلُّفُ القياسِ». ولم يقُلْ: والقياسُ. ولكنَّه قال: تكلُّف القياسِ. أي القياسِ المتكلَّفِ المتعمقِ فيه، وأما القياسُ الصحيحُ فلا يُكرَه، فإن الرسولَ ﷺ قاسَ بنفسِه حيثُ قال للمرأةِ: «أرأيتِ إن كان على أمِّك دينٌ أكنتِ قاضيتَه؟ قالت: نعم. قال: فاقضُوا الذي له فإنَّ اللهَ أحقُّ بالوفاءِ»[٥].

---

(١) علقه البخاري رحمه الله تعالى بصيغة الجزم كما في «الفتح» (١٣/ ٢٨١)، وأسنده المؤلف في أواخر الحج وفي فضائل المدينة، باب حرم المدينة (١٨٧٠).

(٢) رواه مسلم (٢/ ٩٩٤) (١٣٦٦) (٤٦٣) بنحوه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) انظر: «المبدع» (٣/ ٢٠٨)، و«الفروع» (٣/ ٣٥٠)، و«الإنصاف» ٣/ ٥٥٩، و«كشاف القناع» (٢/ ٤٧٤).

(٥) رواه البخاري (٧٣١٥)، ومسلم (٢/ ٨٠٤) (١١٤٨) (١٥٤) بنحوه.

وقال للرجلِ الذي قال له: يا رسولَ اللهِ، إن امراتي ولـدَت غلامًـا أسـودَ ـ يُعَـرِّض بهـا ـ فقال: «هل لك مِن إبلٍ؟ قال: نعم، قال: ما ألوانُها؟، قال: حمرٌ. قـال: هـل فيهـا مِـن أورقَ؟ ـ الأورقُ الذي سوادُه فيه بياضٌ ـ قال: نعم. قال: «مِن أين أتاهـا الأورقُ؟» ـ قـال: لعلَّـه نزَعَـه عِرْقٌ. قال: «فابنُك هذا لعلَّه نزَعه عِرْقٌ»(١).

فالقياسُ الصحيحُ الذي لـيس فيـه تكلـفٌ، هـذا طريـقٌ شـرعيٌّ محمـودٌ، أمـا القيـاسُ المتكلَّفُ فهو المذمومُ.

ثم استدلَّ المؤلفُ رَحِمَهُ اللَّهُ بقولِه تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦]. وفسَّر تَقْفُ بـ «تَقُلْ»: والصوابُ أن «تَقْفُ». بمعني: تتَّبِعُ؛ لأنه مأخوذٌ مِن القَفـا، أي: لا تتَّبِـعْ شـيئًا لـيس لك به علمٌ، سواءٌ كان هذا في القولِ أو في الفعلِ، وتَشْمَلُ الآيةُ قفْوَ ما ليس فيه علمٌ مِن الأمورِ الشرعيةِ، وغيرِها، حتى فيما بينَ الناسِ، لا تَقْفُ ما ليس لك به علمٌ.

وفي هذه الآيةِ: دليلٌ على أنه يَجِبُ على الإنسانِ أن يَتَثَبَّتَ ويَتأنَّى فـيما يُنقَـلُ، وقـد جـاءَ في الحديثِ: «كفى بالمرءِ كذِبًا أن يُحدِّثَ بكلِّ ما سَمِعَ»(٢).

*****

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٠٧- حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ تَلِيدٍ، حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شُرَيْحٍ، وَغَيْرُهُ، عَنْ أَبِي الأَسْوَدِ، عَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: حَجَّ عَلَيْنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْزِعُ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاهُمُوهُ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِـنْهُمْ مَـعَ قَـبْضِ الْعُلَـمَاءِ بِعِلْمِهِمْ، فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ، فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ». فَحَدَّثْتُ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو حَجَّ بَعْدُ، فَقَالَتْ: يَا ابْنَ أُخْتِي انْطَلِقْ إِلَى عَبْـدِ اللهِ فَاسْـتَثْبِتْ لِي مِنْهُ الَّذِي حَدَّثْتَنِي عَنْهُ. فَجِئْتُهُ فَسَأَلْتُهُ فَحَدَّثَنِي بِهِ كَنَحْوِ مَا حَدَّثَنِي، فَأَتَيْتُ عَائِشَةَ فَأَخْبَرْتُهَـا، فَعَجِبَتْ، فَقَالَتْ: وَاللهِ لَقَدْ حَفِظَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو(٢).

الشاهدُ قولُه: «فيَبْقَى ناسٌ جهالٌ، يُسْتَفْتَونَ فيُفْتُونَ بـرأيِهم فيُـضِلُّونَ، ويَـضِلُّونَ».ومثـلُ هؤلاءِ لا يُعْذَرُونَ بجهلِهم، بل يجِبُ ألَّا يَقُولُوا على اللهِ إلا ما يَعْلَمُون.

---

(١) رواه البخاري (٥٣٠٥)، ومسلم (٢/ ١١٣٧) (١٥٠٠) (١٨).
(٢) رواه مسلم (١/ ١٠) (٥) (٥).
(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٠٥٩) (٢٦٧٣) (١٤).

٧٣٠٨- حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، أَخْبَرَنَا أَبُو حَمْزَةَ، سَمِعْتُ الأَعْمَشَ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا وَائِلٍ: هَلْ شَهِدْتَ صِفِّينَ، قَالَ: نَعَمْ. فَسَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ، يَقُولُ: ح. وَحَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: قَالَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهِمُوا رَأْيَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ وَلَوْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرُدَّ أَمْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَرَدَدْتُهُ، وَمَا وَضَعْنَا سُيُوفَنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا إِلَى أَمْرٍ يُفْظِعُنَا إِلَّا أَسْهَلْنَ بِنَا إِلَى أَمْرٍ نَعْرِفُهُ غَيْرَ هَذَا الأَمْرِ. قَالَ: وَقَالَ أَبُو وَائِلٍ: شَهِدْتُ صِفِّينَ وَبِئْسَتْ صِفُّونَ [1] [2].

قولُه صِفُّونَ: ملحقٌ بجمعِ المذكرِ السالمِ.

الشاهدُ قولُه: «ياأيُّها الناسُ اتَّهِمُوا رأيكم على دينِكم». ثم استدلَّ بقصةِ أبي جنْدلٍ، يُشيرُ إلى الصلحِ الذي وقَعَ في غزوةِ الحديبيةِ، بينَ الرسولِ عليه الصلاة والسلام وبينَ قريشٍ.

ومن شروطِ الصلحِ: أن مَنْ جاءَ مسلمًا رَدَدْناه إلى قريشٍ، ومَنْ جاءَ منا إليهم فإنهم لا يَرُدُّونه، فراجَعَ النبي ﷺ فيه وقال: ألسنا على الحقِّ، وعدوُّنا على الباطل. قال: بلى. قال: فلِم نُعْطِ الدَّنيَّةَ في دينِنا [3]، ولكن هذا الصلحُ كان خيرًا وفتحًا، وصار الناسُ يأتونَ إلى المدينةِ، ويَذْهبونَ من المدينةِ إلى مكةَ، وانتشر دينُ الإسلامِ، ولهذا سمَّاه اللهُ تعالى فتحًا. فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ [الحديد: ١٠]. يَعْني بذلك صلحَ الحديبيةِ.

والناسُ يَظُنُّونَ أن هذا الصلحَ جورٌ على المسلمين، ولكن النبيَّ ﷺ قال عن ذلك الصلحِ: إنه بأمرِ اللهِ، وإنه لن يَعْصِيَ اللهَ، وإن اللهَ سيَنْصُرُه، وهذا هو الذي وقَع والحمدُ للهِ [4].

ففي هذا الحديثِ: دليلٌ على أن الإنسانَ يَجِبُ عليه أن يَتَّهمَ رأيَه أمامَ شرعِ اللهِ عز وجل، ولا يُقلْ: لِمَ كان هذا؟ أو كيف كان هذا؟ يُريدُ بذلك الإنكارَ. أما إذا سأل لم كان هذا؟ يُريدُ بهذا

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (١٣/ ٢٨٨): قوله: وقال أبو وائل: «شهدت صفين وبئست صفين» كذا لأبي ذر، ولغيره: «وبئست صفون»، وفي رواية النسفي مثله ولكن قال: «بئست الصفون» بزيادة ألف ولام والمشهور في صفين كسر الصاد المهملة وبعضهم فتحها، وجزم بالكسر جماعة من الأئمة، والفاء مكسورة مثقلة اتفاقًا، والأشهر فيها بالياء قبل النون كما ردين وفلسطين وقنسرين وغيرها، ومنهم من أبدل الياء واوًا في الأحوال وعلى هاتين اللغتين فإعرابها إعراب غسلين وعربون، ومنهم من أعربها إعراب جمع المذكر السالم فتتصرف بحسب العوامل مثل: لفي عليين وما أدراك ما عليون ومنهم من فتح النون مع الواو لزومًا نقل كل ذلك ابن مالك، ولم يذكر فتح النون مع الياء لزومًا. اهـ

(٢) رواه مسلم (٣/ ١٤١١) (١٧٨٥) (٩٤).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

الاسترشادَ والوصول إلى الحكمةِ، أو سأَل كيف هذا؟ يُريدُ بذلك أن يَعرِفَ الكيفيةَ، فيقُولُ بها، فهذا لا بأسَ.

۞ وقولُه: «**وما وضَعنا سيوفَنا على عواتِقنا إلى أمرٍ يُفظِعُنا إلا أسْهَلْنَ بنا إلى أمرٍ نعرِفُه**».

المعني أننا نحْمِلُ السيوفَ لنُقَاتِلَ، فإذا أُمِرْنَا بالكفِّ عاد بنا ذلك إلى الأسهلِ في الفعلِ.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٢٨٨/ ١٣):

۞ قولُه: «قال سهلُ بنُ حُنيفٍ: يا أَيُّها الناسُ». قد تقدَّم بيانُ سببِ خطبتِه بذلك في تفسيرِ سورةِ الفتحِ، وبيانُ المرادِ بقولِ سهلٍ يوم أبي جندلٍ.

۞ وقولُه: «يُفْظِعُنا» بالظَّاء المعجمةِ المكسورةِ بعدَ الفاءِ الساكنةِ؛ أي: يُوقِعُنا في أمرٍ فظيعٍ، وهو الشديدُ في القبحِ ونحوِه. وقولُه: «إلا أسهَلْنَ». بسكونِ اللامِ بعد الهاءِ والنونِ المفتوحتينَ؛ والمعني أَنْزَلْنَنا في السهلِ من الأرضِ؛ أي: أفضَينَ بنا، وهو كنايةٌ عن التحولِ من الشدةِ إلى الفرجِ.

۞ وقولُه: «بنا». في ورايةِ الكُشْمِيهَنِيِّ «بها».

ومرادُ سهل: أنهم كانوا إذا وقَعوا في شدَّةٍ يَحْتَاجونَ فيها إلى القتالِ في المغازي والثبوتِ والفتوحِ العُمَريةِ، عمَدوا إلى سيوفِهم فوضَعوها على عواتِقِهم، وهو كنايةٌ عن الجدِّ في الحربِ، فإذا فعَلوا ذلك انتصَروا، وهو المرادُ بالنزولِ في السهلِ، ثم استثْنَى الحربَ التي وقَعت بصِّفينَ لما وقع فيها من إبطاءِ النصرِ، وشدةِ المعارضةِ من حججِ الفريقين؛ إذ حجةُ عليٍّ ومن معَه ما شُرِعَ لهم من قتالِ أهلِ البغي حتى يَرْجِعُوا إلى الحقِّ، وحجةُ معاويةَ ومن معَه ما وقَع من قتلِ عثمانَ مظلومًا، ووجودُ قَتلتِه بأعيانِهم في العسكرِ العراقيِّ فعظُمتِ الشبهةُ حتى اشتدَّ القتالُ. وكَثُرَ القتلُ في الجانبين، إلى أن وقَع التحكيمُ فكان ما كان. اهـ

***

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٨- بابُ ما كان النبيُّ ﷺ يُسْئَلُ مما لم يُنزَلْ عليه الوحيُ فيقُولُ: لا أَدْرِي أو لم يُجِبْ حتى يُنزَلَ عليه الوحيُ، ولم يقُلْ برأيٍ ولا بقياسٍ لقولِه تعالى: ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾.

وقال ابنُ مسعودٍ: سُئِلَ النبيُّ ﷺ عن الرُّوحِ فَسَكَتَ حتى نَزَلَتِ الآيةُ[1].

(١) علقه البخاري بصيغة الجزم، وأسنده المؤلف في التفسير، تفسير سورة بني إسرائيل، باب: ويسئلونك عن الروح (٤٧٢١)، وانظر: «تغليق التعليق» ٥/ ٣٢٢.

❁ قولُه: «ما كان النبيُّ ﷺ يُسْئَلُ مما لم يَنْزِلْ عليه الوحيُ فيقُولُ: لا أدرِي. أو لم يُجِبْ حتى يَنزِلَ عليه الوحيُ». هذه إحدى حالاتِ الرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أنه إذا سُئِل عن أمرٍ لا يَعْرِفُه توقَّفَ، ولكن إذا سُئِل عن أمرٍ يَعْرِفُه أجاب، وقد يَأتي الاستدراكُ على جوابِهِ مِن عندِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

مثالُ ذلك: أنه سُئِل عن الشهادةِ هل تُكفِّرُ الذنبَ، فقال: نعم، فانْصَرف السائلُ، ثم دعَاه، فقال: إلا الدَّينَ. أخبرَني بذلكَ جبريلُ آنفًا[1]. فهذا دليلٌ على أن الرسولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُجِيبُ فإذا أقرَّه اللهُ على الجوابِ، كان هذا وحيًا، كما أن الرسولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إذا أقرَّ أحدًا على شيءٍ كان هذا الإقرارُ سنةً.

فإذا سُئِل إنسانٌ عن مسألةٍ وعنده علمٌ سابقٌ فيها لكن غابَ عنه الدليلُ أثناءَ إفتائِه، فهل يُفْتي أم يَنتظِرُ حتى يَستَحْضِرَ الدليلَ؟

الجوابُ: أنه إذا أمكَنَ التأني فهو أولى، وإذا كانتِ الضرورةُ تُلِحُّ على المبادرةِ بالفُتيا، فلا بأسَ أن يُفتِيَ بما كان يَعْلَمُه راجِحًا، وإن لم يَسْتَحْضِرِ الدليلَ حينَ الفتوى، وهذا يَكْفِي، لأن الأمورَ الشرعيةَ قد تكُونُ يقينيةً وقد تكونُ ظنيةً.

* *** *

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٠٩- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ الْمُنْكَدِرِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، يَقُولُ: مَرِضْتُ فَجَاءَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعُودُنِي، وَأَبُو بَكْرٍ، وَهُمَا مَاشِيَانِ، فَأَتَانِي وَقَدْ أُغْمِيَ عَلَيَّ، فَتَوَضَّأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ صَبَّ وَضُوءَهُ عَلَيَّ، فَأَفَقْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ -وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: فَقُلْتُ: أَيْ رَسُولَ اللهِ- كَيْفَ أَقْضِي فِي مَالِي، كَيْفَ أَصْنَعُ فِي مَالِي، قَالَ: فَمَا أَجَابَنِي بِشَيْءٍ حَتَّى نَزَلَتْ آيَةُ الْمِيرَاثِ[2].

في هذا دليلٌ على: استحبابِ عيادةِ المريضِ.

وعلى قوةِ الصلةِ بينَ رسولِ اللهِ ﷺ وأبي بكرٍ.

وعلى أنه يَنْبَغِي أن يُصَبَّ على المغمى عليه ماءٌ؛ لأن ذلكَ يُوجِبُ انتباهَه، كما هو مُجرَّبٌ مشاهدٌ.

وفيه: جوازُ التبركِ برسولِ اللهِ ﷺ في حياتِه، أما بعدَ مماتِه فإنه لا يُتبركُ بترابِ قبرِه، ولكن

---

(١) رواه مسلم (٣/ ١٥٠١) (١٨٨٥) (١١٧).

(٢) رواه مسلم (٣/ ١٢٣٤) (١٦١٦) (٥).

يُتبَرَّكُ بآثارِه، وكما كانت أمُّ سلمةَ تتبركُ بشعرِه، ويُستشفَى بها مِن المرضِ [١].

وقد فهِمَ بعض الصوفيةِ مِن التبركِ بالنبيِّ ﷺ وآثارِه أنه يجوزُ التبركُ بالصالحين وآثارهم، وهذا فهم غير صحيح، لأن الصحابة ما فهموا ذلك، وهم ليسوا أفهم مِن الصحابةِ، والصحابة رضي الله عنهم لم يتبركوا بأبي بكر، ولا عمرَ، ولا غيرهم مِن الصحابةِ، وهم أصلحُ الناسِ.

فإذا قالَ قائلٌ: هل يُتبرَّكُ بما ليسَ فيه آثارُه؛ كخطاباتِه للملوكِ؟

الجوابُ: لا، هذه ما يُتبَرَّكُ بها، لكنَّ الإنسانَ يَنظُرُ إليها اعتبارًا، وكيف كان الخطُّ مثلًا في ذلكَ الوقتِ، وكيف كان الرسولُ عليه الصلاة والسلام يأتي بِمُخْتَصَرِ القولِ دونَ التطويلِ وهكذا.

****

ثم قال البخاريُّ رحمه الله تعالى:

٩- بابُ تعليم النبيِّ ﷺ أمَّتَهُ مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ مما علَّمَه اللهُ ليس برأيٍ ولا تمثيلٍ.

٧٣١٠- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الأَصْبَهَانِيِّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ذَكْوَانَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ، تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ. فَقَالَ: «اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا، فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا». فَاجْتَمَعْنَ فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلَاثَةً، إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ». فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: يَا رَسُولَ اللهِ اثْنَيْنِ، قَالَ: فَأَعَادَتْهَا مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: «وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ» [٢].

في هذا دليلٌ: على أنه لا بأسَ أن يَجْتَمِعَ النساءُ في مكانٍ، ويأتي الرجلُ الثقةُ الأمينُ، فيعلمُهنَّ فيؤخَذُ منه جوازُ تدريسِ الرجلِ للنساءِ. لكن يؤخذُ مِن القواعدِ العامةِ للشريعةِ، أنه إذا كان يُخْشَى الفتنةُ، فإنه لا يجوزُ؛ لأن الفتنةَ يجِبُ درْؤها، لكونِها مفسدةً.

وفي هذا دليلٌ: على أن النساءَ لا يَجتمِعنَ مع الرجالِ في التعليمِ، وإلا لقال لهنَّ رسولُ اللهِ عليه الصلاة والسلام: احضَرْنَ مع الرجالِ، لكن الشرعَ لا يُقِرُّ الاختلاطَ بينَ الرجالِ والنساءِ حتى في مقامِ التعليمِ؛ ولهذا كان النساءُ يحضُرْنَ مع النبيِّ ﷺ الصلاة، ولكنّه يَحُثُّهنَّ على التأخرِ، فيقولُ: خيرُ صفوفِ النساءِ آخرُها، وشرُّها أولُها [٣].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٠٢٨) (٢٦٣٣) (١٥٢).

(٢) رواه مسلم (١/ ٣٢٦) (٤٤٠) (١٣٢).

كلُّ هذا مِن أجلِ البعدِ عن الاختلاطِ بالرجالِ.

وفي هذا دليلٌ أيضًا: على أنه لا بأسَ بتقديرِ الحِصصِ مكانًا وزمانًا، وعلى هذا فيرَدُّ على مَنْ يَقُولُ: إن الدراسةَ النظاميةَ الآنَ بدعةٌ، وأنه لا خيرَ فيها.

لأنه يُحدَّدُ لها مكانٌ، ويُحدَّدُ لها زمانٌ، فيُقالُ: وما المانعُ مِن أن يُحدَّدَ لها زمانٌ، ومكانٌ، فهذا الرسولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أمَرَ النساءَ أن يَجْتَمِعْنَ في يومِ كذا، في مكانِ كذا، فحدَّدَ الزمانَ وحددَ المكانَ.

ثم إنه يَجِبُ علينا أن نَعْرِفَ الفرقَ بينَ الوسائلِ والغاياتِ، فهذه المدارسُ النظاميةُ تُنظَّمُ على هذا الوجهِ مِن أجلِ حفظِ الوقتِ، وحفظِ العلمِ، كما فعلَ العلماءُ رَحِمَهُمُ اللهُ في تبويبِ السُّنَّةِ، فجعَلوا التوحيدَ على حِدَةٍ، والطهارةَ على حدةٍ، والصلاةَ على حدةٍ، والزكاةَ على حدةٍ، مع أن هذا ليسَ معروفًا في عهدِ الرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لكن مِن بابِ المصلحةِ، وحصرِ العلومِ، وتطبيبِها للناسِ، فليسَ كلُّ شيءٍ لم يُصْنَعْ في الزمنِ الأولِ يكُونُ بدعةً، إلا ما قُصِد التعبُّدُ للهِ به، فهذا شيءٌ آخرُ، أما ما كان وسيلةً إلى مقصودٍ شرعيٍّ، فإنه لا بأسَ به ولا يُعَدُّ هذا مِن البدعِ.

وفي هذا دليلٌ على أنه إذا ماتَ للمرأةِ وَلَدانِ، فإن الوَلَدينِ يَكُونَانِ حجابًا لها مِن النارِ، لكن هل يَلْحَقُ بذلكَ الأبُ، أو هذا خاصٌّ بالأمِّ؟

الجوابُ: أن هذا يَحْتَمِلُ أن يكُونَ عامًّا، وأن النبيَّ ﷺ إنما خصَّ النساءَ؛ لأنه يَتَحَدَّثُ إليهنَّ؛ لأن مصيبةَ الرجلِ بأولادِه، كمصيبةِ المرأةِ بأولادِها، وإن كانتِ المصيبةُ للمرأةِ قد تكونُ أشدَّ.

فإذا قال قائلٌ: هل يُشْتَرطُ رضا الأمِّ عن ذهابِ ابنِها للجهادِ حتى تَحْصُلَ على هذا الأجرِ إذا قُتِلَ؟

الجوابُ: الظاهرُ لا، ما يَدْخُلُ في الحديثِ؛ لأن هذا الحديثَ مُقيَّدٌ في رواياتٍ أخرى بقولِه: «**لم يَبْلُغُوا الحلمَ، أو الحنثَ**».[1] يعني: الأولادَ الصغارَ.

والظاهرُ أيضًا مِن هذا الحديثِ أنَّه اجتمعَ بِهنَّ مرةً واحدةً، لكن لا نَدْري عنه أنه استمَرَّ كلما مضى وقتٌ ذهبَ وأخذَ منهُنَّ موعدًا، أو أنه اقتصرَ على هذا إجابةً لطلبِهنَّ.

فإذا قال قائلٌ: إن تحديدَ وقتٍ معينٍ، ومكانٍ معينٍ للنساءِ كان ذلك في تعليمِهِنَّ دينَهنَّ، فأما الآنَ فالأصلُ في التعليمِ هو تعليمُ الأمورِ الدنيويةِ؟

الجوابُ: أنَّه إذا كان جائزًا في العلومِ الشرعيةِ فهذه مِن بابِ أولَى.

****

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠٢٩) (٢٦٣٤) (١٥٣).

قال ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في «الفتح» (١٣/ ١٩٣):

وقد مضى شرحُه مستوفًى في أوَّلِ «كتابِ الجنائزِ» وفي العلمِ.

✿ وقولُه: «جاءتِ امرأةٌ» لم أَقِفْ على اسمِها، ويُحتَمَلُ أن تكُونَ هي أسماءُ بنت يَزِيدَ بنِ السكنِ.

✿ وقولُه هنا: «فأتاهُنَّ فعلَّمَهُنَّ مما علَّمه اللهُ». تقدَّم هناك بلفظِ: «فوعَدهنَّ يومًا لقيَهن فيه فوعظَهن، فأمَرهن فكان فيما قال لهن». فذكَر نحوَ ما هنا، ولم أرَ في شيءٍ من طرقِه بيانَ ما علّمَهن، لكن يُمْكِنُ أن يُؤْخَذَ من حديثِ أبي سعيدٍ الآخرِ الماضي في «كتابِ الزكاةِ» وفيه: «فمرَّ على النساءِ فقال: يا معشرَ النساءِ تصَدَّقْنَ فإني رَأيتُكُنَّ أكثرَ أهلِ النارِ» الحديثَ، وفيه: «فقامتِ امرأة فقالتَ لم؟» وفيه: «أليس شهادةُ المرأةِ مثلُ نصفِ شهادةِ الرجلِ، وأليس إذا حاضَت لم تُصَلِّ ولم تَصُمْ». وقد مضى شرحُه مستوفًى هناك، وإن المرأةَ المذكورةَ هي أسماءُ

قال الكَرْمَانِيُّ: موضعُ الترجمةِ من الحديثِ قولُه «كُنَّ لها حجابًا من النارِ». فإنه أمرٌ توقيفيٌّ لا يُعْلَمُ إلا من قبَلِ اللهِ تعالى لا دخلَ للقياسِ والرأيِ فيه. اهـ

* *** *

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

١٠- بابُ قولِ النبيِّ ﷺ: لا تزالُ طائفةٌ من أمتي ظاهرينَ على الحقِّ، يُقَاتِلُونَ وهم أهلُ العلمِ.

٧٣١١- حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُوسَى، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»(١).

٧٣١٢- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي حُمَيْدٌ قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ يَخْطُبُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَيُعْطِي اللهُ، وَلَنْ يَزَالَ أَمْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ مُسْتَقِيمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، أَوْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ»(٢).

هذا الحديثُ: «لا تزالُ طائفةٌ من أمتي ظاهرينَ حتى يَأتِيهمُ أمرُ اللهِ، وهم ظاهرون». يُريدُ بهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الطائفةَ التي تتمسَّكُ بما كان عليه النبيُّ ﷺ وأصحابُه، فهم الذين يكُونُون ظاهرينَ لا يَضُرُّهم من خذَلهم، ولا مَن خالفهم.

وفي الحديثِ الثاني: «مَن يُرِدِ اللهُ به خيرًا يفقِّهْهُ في الدينِ»: فيه بشارةٌ لمن فقَّهَه اللهُ في دينِه،

---

(١) رواه مسلم (٣/ ١٥٢٣) (١٩٢١) (١٧١).

(٢) رواه مسلم (٣/ ١٥٢٤) (١٩٢٢) (١٧٥).

أنَّ اللهَ قد أراد به خيرًا، ويُؤْخذُ من مفهومِه أن مَن لم يُفقِّهْهُ اللهُ في الدينِ فلم يُرِدْ به خيرًا، فالفقهُ في الدينِ دليلٌ على أن اللهَ أرادَ به خيرًا.

والفقه في الدينِ ليس هو عِلْمُ الأحكامِ الشرعيةِ العمليةِ كالطهارةِ والصلاةِ، بل هو أعـمُّ مـن ذلـك، حتى في العقائدِ يُعْتَبرُ العلمُ بها فقهًا؛ ولهذا سمَّى العلماءُ رَحِمَهُمُ اللهُ علمَ التوحيدِ الفقهَ الأكبرَ.

وفي هذا: إثباتُ الإرادةِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لقولِه: «من يُرِدِ اللهُ به خيرًا».

وقولُه: «إنما أنا قاسِمٌ، ويُعْطِي اللهُ». القِسْمةُ هنا: قسمةُ العلمِ والبيانِ، فهو يُعَلِّمُ النـاسَ، ويُقَسِّمُ بينهم ما علَّمه اللهُ، والذي يُعطِي هو اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فكم من إنسانٍ أخذ قسطًا، وافرًا من السنةِ، لكن بـدونِ فقـهٍ؛ لأن اللهَ تعالى لم يُفقِّهْهُ، وعلى هذا قال النبيُّ ﷺ: «رُبَّ مُبلَّغٍ أوعَى من سامعٍ»[1].

وفي الوقتِ الحاضرِ قد تجدُ أُناسًا عندَهم فهمٌ في الدينِ، ولكنَّهم لا يَنْشرُونه للنـاسِ، فـلا شـكَّ أن هؤلاءِ ما فقِهُوا في الدينِ إذ لو فَقِهوا في دينِ اللهِ لنشرُوا العلمَ؛ لأن من جملةِ الفقهِ في الدينِ أن يَنْشُرَ عِلمـه، فإن نشرَ العلمِ لا شكَّ أنه من الفقهِ، والفقهُ ليس مجرَّدَ الفهمِ، فالفهمُ قد لا يكُونُ فقهًا، إنما الفقهُ أن يكُـونَ عندَه تعمقٌ في دينِ اللهِ، ومعرفةٌ بما يَجِبُ عليه، والقيامُ بالعملِ به.

والطائفةُ المنصورةُ فسَّرها بعـضُ العلـماءِ بـأنهم أصـحابُ الحـديثِ[2]. ومـرادُهم أهـلُ الحديثِ الذين يَعْمَلُون به، لا الذين يَرْوُونَه، فأهلُ الحديثِ ليسوا هم رواتَه فقط، بل هم الـذين يَحْفَظونه ويَعْمَلُون به، فالرواةُ نَقَلةٌ فقط؛ ولهذا تَجِدُ بعضَ الرواةِ ليس عندهـم فقهٌ إطلاقًـا، ولا يُعدُّون من الفقهاءِ.

والطائفةُ المذكورةُ في الحديثِ؛ هي الفرقةُ الناجيةُ المذكورةُ في أحاديثَ أخرى وهذا مـن تعددِ الأوصافِ لموصوفٍ واحدٍ؛ ولهذا كانت عبارةُ شيخِ الإسلامِ في الواسطيةِ: أما بعدُ، فهـذا اعتقادُ الفرقةِ الناجيةِ المنصورةِ إلى قيامِ الساعةِ؛ أهلِ السنةِ والجماعةِ[3].

* *** *

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

١١- بابُ قولِ اللهِ تعالى: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ [الأنعام:٦٥].

٧٣١٣- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ عَمْرٌو: سَمِعْتُ جَابِرَ بْـنَ عَبْـدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

---

(١) رواه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (٣/ ١٣٠٥) (١٦٧٩) (٢٩).

(٢) انظر: اعتقاد أئمة الحديث (١/ ٧٩).

(٢) انظر: «العقيدة الواسطية» من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ١٢٩).

يقول: لما نزل على رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾[الأنعام:٦٥]. قال: «أعوذُ بوجهِكَ». ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: «أعوذُ بوجهِكَ». فلما نزلت ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال: «هاتانِ أهونُ أو أيسرُ».

۞قولُه: ﴿يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾: أي: يَخْلِطَكُم شيعًا، كلُّ شيعةٍ تُفارقُ الأخرى في الرأي، والسلوكِ، والعملِ.

ثم ذكر الآيةَ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾. كالحاصبِ الذي نزَل على قومِ لوطٍ، وكالصواعقِ وما أشبهها.

۞وقولُه:﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾. كالخسفِ، والزلازلِ.

۞قال النبيُّ ﷺ: «أعوذُ بوجهِك»: في الاثنتينِ؛ لأن هاتين الاثنتينِ لا قِبلَ للإنسانِ بهما، ولا يمكنُه التخلُّصُ منهما، فلذلك استعاذ النبيُّ ﷺ بوجهِ اللهِ منهما، أما الثالثةُ والرابعةُ، فقال: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ يجْعَلُكُم فرقًا، وهذا أهونُ، وإن كان يُعْتَبرُ عذابًا، ونِقْمَةً أن تتفرَّقَ الأمةُ، فإنه لا شكَّ أنه عذابٌ.

وليس اختلافُ الأمةِ رحمةً كما يُروَى الحديثُ الموضوعُ: «اختلافُ أمَّتي رحمةٌ»[1]. لأنه لا صحةَ له. والاختلافُ شرٌّ لقولِه تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾[هود:١١٨-١١٩]. فالرحمةُ بالاتفاقِ لا بالاختلافِ، فإذا تفرقتِ الأمةُ شيعًا حصَل الفشلُ، وذهابُ الريحِ، ودخولُ الأعداء في صفوفِ الأمةِ.

۞وأما قولُه: ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾[الأنعام:٦٥]. فهذا بالحروبِ كأن تتحاربَ الأمةُ فيُقاتِلَ بعضُها بعضًا، وإنما كانت هاتانِ أهونَ أو أيسرَ؛ لأنه بإمكانِ الإنسانِ العاقلِ أن يتخلَّصَ منهما، فيدْعُو إلى الوفاقِ والمصالحةِ ووضعِ السلاحِ.

فإذا قال قائلٌ: كلمةُ: «أعوذُ بوجهِك». أليس هذا من دعاءِ الصفةِ؟

الجوابُ أن يُقالَ: إن الوجهَ يُعبرَّ به عن الذاتِ كما في قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[الرحمن:٢٧]. كذلك قولُ النبيِ ﷺ «أعوذُ بعزةِ اللهِ وقدرتِه من شرِّ ما أجدُ وأحاذِرُ»[2]،

---

(١) قال ابن الملقن في تذكرة المحتاج إلى أحاديث المنهاج (١/ ٧١): هذا الحديث لم أر من خرجه مرفوعًا بعد البحث الشديد عنه. وقال السيوطي في شرح الزرقاني على «موطأ» الإمام مالك (٤/ ٣١٤): لعله خُرِّج في بعض الكتب التي لم تصل إلينا؛ لأنه عزاه لجمع من الأجلة ذكروه في كتبهم بلا إسناد ولا نسبة لمخرِّج كإمام الحرمين.

(٢) رواه مسلم (٤/ ١٧٢٨) (٢٢٠٢) (٦٧).

والعياذُ بصفةٍ من صفاتِ اللهِ لا بأسَ به، لكنْ لو يَقُولُ الإنسانُ: يا عـزةَ اللهِ أعِيـذيني. فهـذا لا يَجُوزُ، لأنه بهذا جعَل العزةَ منفصلةً عن اللهِ، وهي التي تَفْعَلُ وتُرِيدُ.

أما إذا استعاذ بعزةِ اللهِ، أو استعاذ برضاه عن سخطِه، فهذا توسلٌ إلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بهذه الـصفةِ ليُعِيذَه اللهُ بها، فيُفَرَّقُ بين دعاءِ الصفةِ، وبين أن يجعلَها وسيلةً كقولِه: «برحمتِـك أستَغِيثُ»[1].

فليس المعنى: أن يقُولَ القائلُ: يا رحمةَ اللهِ أغيثني لأن هذا لا يجُوزُ وقد حكى شـيخُ الإسـلام رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: اتفاقَ العلماءِ على كفرِ من دعا الصفةَ[2]، وأمَّا «برحمتك استغثيث»، فالمعنى أنه توسـل إلى الله برحمته ليُغيثه.

فإذا قال قائلٌ: هل قولُه: «لها حجابًا من النارِ». هو مطلقٌ أم مقيدٌ؟

الجوابُ: أن يقالَ: هذا من الأسبابِ التي تَمْنَعُ دخولَ النار، وقد يَكُونُ هناك أسبابٌ قوية تدخُلُ بها النارَ، منها عدمُ الصبرِ، فلا بدَّ لها مـن الـصبرِ، فأمـا إذا لم تـصْبِرْ فإنـه لا يكُـونُ لهـا حجابًا من النار.

*****

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

١٢- بابُ من شبَّه أصلًا معلومًا بأصلٍ مبيَّنٍ وقد بيَّن[3] النبيُّ ﷺ حكمهما، ليَفهمَ السائلُ.

٧٣١٤- حَدَّثَنَا أَصْبَغُ بْنُ الْفَرَجِ، حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدَ، وَإِنِّي أَنْكَرْتُهُ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟». قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَمَا أَلْوَانُهَا؟». قَالَ: حُمْرٌ. قَالَ: «هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟». قَالَ: إِنَّ فِيهَا لَوُرْقًا. قَالَ: «فَأَنَّى تُرَى ذَلِكَ جَاءَهَا»؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ عِرْقٌ نَزَعَهَا. قَالَ: «وَلَعَلَّ هَذَا عِرْقٌ نَزَعَهُ». وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُ فِي الِانْتِفَاءِ مِنْهُ[4].

۞ قال البخاريُّ: «**بابُ من شبَّه أصلًا معلومًا بأصلٍ مبيَّنٍ**». كأنه أشار إلى البـابِ الـسابقِ

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٢٤)،وقال: حديث غريب. والحاكم في المستدرك(١/ ٦٨٩) (١٨٧٥) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١١٧): رجاله رجال الـصحيح غيـر عـثمان بـن موهبة وهو ثقة، وحسنه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوي» (١/ ١١١).

(٣) قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٢٩٦): في روايـة الكـشميهني والإسـماعيلي والجرجـاني: قـد بـين الله بحـذف «الواو» وبحذف «النبي» والأول أولى. اهـ

(٤) رواه مسلم(٢/ ١١٣٧)(١٥٠٠) (١٩).

في ذمِّ الرأي، وتكلفِ القياسِ لأنه إذا كان الشيءُ معلومًا واضحًا فلا بأسَ من أن يُشَبَّهَ أحدُهما بالآخرِ، ويُعْطَى حكمَه، ولا يُعدُّ هذا تناقضًا من البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأنه إنما أراد فيما سبقَ ذمَّ الرأيِ المجرَّدِ الذي ليس مبنيًّا على أصلٍ معلومٍ، أمَّا إذا كان أصلًا معلومًا وبُيِّن بأصلٍ مبينٍ، فإن هذا لا بأسَ به.

وهذا الحديثُ سبقَ الإشارةُ إليه ويُؤْخذُ منه:

أنه يَنْبَغِي للمجيبِ أن يُقْنِعَ السائلَ بالأدلةِ العقليةِ وإن كان مؤمنًا؛ أي: السائلُ، فإن المؤمنَ لا شك يَقْبَلُ ما جاء به الكتابُ والسنةُ، لكن إذا بيِّن له هذا بدلالةٍ من العقلِ، صار أشدَّ طمأنينةً له بالحكم الشرعيِّ، فلهذا بيَّن النبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لهذا الأعرابيِّ أن ابنهَ لا يَمتَنِعُ أن يَكُونَ منه، وإن كان مخالفًا له في اللونِ، فيَنبغي للمجيبِ أن يُبيِّنَ للسائلِ ما يقتَنِعُ به من الأدلةِ العقيلةِ؛ لأن ذلك أشدُّ طمأنينةً له، وأشدُّ قبولًا له.

* *** *

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٧٣١٥- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ، إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ، فَمَاتَتْ قَبْلَ أَنْ تَحُجَّ، أَفَأَحُجَّ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَتَهُ؟» قَالَتْ: نَعَمْ. فَقَالَ: «فَاقْضُوا الَّذِي لَهُ، فَإِنَّ اللهَ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ»[1].

عندي في نسخةٍ: «فاقضُوا اللهَ الذي له». وهي صحيحةٌ.

وهذا الحديثُ كالأولِ، فإن النبيَّ ﷺ لما أذِن لها أن تحجَّ عن أمِّها، بيَّن أن هذا كالدَّينِ، إذا كان عليها دينٌ لآدميٍ، فإنه يُقْضَى عنها، فكذلك إذا كان الدَّين للهِ عَزَّ وَجَلَّ فإنه يُقْضَى عنها.

ولكن متى يلزَمُ؟ وهل يَلزَمُ بمجردِ النذرِ أو لا بدَّ من إمكانِ الأداءِ؟

الجوابُ: إن هذا يَحتمَلُ وجهينِ:

أحدِهما: أنه بمجردِ النذرِ يَلْزَمُ النذرُ، سواءٌ تمكَّن من أدائِه أم لا.

والثاني: لا يَلْزَمُ إلا إذا تمكن من الأداءِ.

ويَظْهَرُ أثرُ الخلافِ فيما لو نذرَ الإنسانُ أن يَحجَّ، وكان نذرُه في رمضانَ، فمات في شوالٍ،

---

(١) رواه مسلم (٢/ ٨٠٤) (١١٤٨) (١٥٤).

فهل يَلزَمُ أن يُقضَى عنه؟

إن قُلنا: إنه لابدَّ من إمكانِ الأداءِ، فإنه لا يَلْزَمُ أن يُقضَى عنه؛ لأنه لا يَتمكَّنُ من الحجِّ قبلَ أن يَدْخُلَ شهرُ ذي الحجةِ، وتأتِي أيامُ الحجِّ.

وإذا قلنا: إنه ليس بشرطٍ، فإنه يَجِبُ أن يُحجَّ عنه. وهذا هو ظاهرُ الحديثِ: وأنه إذا نذرَتْ أن تحجَّ، فلم تحجَّ، فإنه يُحجُّ عنها؛ لأن الرسولَ صلى الله عليه وآله وسلم لما قالت: ماتت قبل أن تحجَّ ما قال: هل أدركَتْ زمن الحجِّ، أم لا؟ فظاهرُه العمومُ.

وقد يُقالُ: إن الحديثَ ليس بظاهرٍ في هذا المعنى؛ لأن قولَها: «نذرتْ أن تحجَّ فماتت قبل أن تحجَّ» يُشْعِرُ بأنه أمكَنها أن تحجَّ فلم تفعَل، فإنها لم تَقُلْ: فماتت قبل أن يأتِيَ الحجُّ.

قال ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ في «الفتحِ»(١٣/ ٢٩٧):

وقد تقدَّمتِ الإشارةُ إليه قريبًا أيضًا، وتقدَّم شرحُه مستوفى في الحجِّ، قال ابنُ بطالٍ: التشبيهُ والتمثيلُ هو القياسُ عند العربِ، وقد احتجَّ المُزَنيُّ بهذين الحديثين على من أنكَر القياسَ، قال: وأولُ مَن أنكر القياسَ إبراهيمُ النَّظَّامُ، وتَبِعَهُ بعضُ المعتزلةِ، وممن يُنْسَبُ إلى الفقهِ داود بنُ عليٍّ، وما اتَّفق عليه الجماعةُ هو الحجةُ، فقد قاس الصحابةُ فمن بعدهم من التابعينَ، وفقهاءِ الأمصارِ وباللهِ التوفيقُ. اهـ

❊❊❊❊

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

١٣- بابُ ما جاء في اجتهادِ القضاءِ[1] بما أنزَلَ اللهُ تعالى، لقولِه: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[المائدة: ٤٥]. ومدحَ النبيُّ ﷺ صاحبَ الحكمةِ حين يَقْضي بها ويُعلِّمُها لا يتكلَّفُ مِنْ قِبَلِهِ ومشاورةِ الخلفاءِ وسؤالِهم أهلَ العلمِ.

هذا البابُ يَشْتَمِلُ على مسائلَ:

أولًا: اجتهادُ القُضاة بما أنزلَ اللهُ، وهذا واجبٌ عليهم، والقضاةُ هنا يَشْمَلُ بالمعنى الأول: الحكامَ بينَ الناسِ، وبالمعني الثاني: المفتينَ للناسِ، فإن المفتىَ لا شكَّ أنه حاكمٌ،

(١) قال الحافظ في «الفتح» (١٣- ٢٩٩): كذا لأبي ذر والنسفي وابن بطال وطائفة «القضاءُ» بفتح أوله، والمد وإضافة الاجتهاد إليه بمعنى الاجتهاد فيه، والمعنى: الاجتهاد في الحكم بما أنزل الله تعالى، أو فيه حذف تقديره اجتهاد متولي القضاء ووقع في رواية غيرهم القضاة بصيغة الجمع وهو واضح ولكن سيأتي بعد قليل الترجمة لاجتهاد الحاكم فيلزم التكرار. اهـ

وكلٌّ منهم يَلْزَمُه الاجتهادَ بـما أنـزالَ اللهُ، والاجتهـادُ يَـسْتَلْزِمُ القيـاسَ؛ لأن المجتهـدَ سـوفَ يَجْتَهدُ في فَهمِ النصوصِ، والجمع بينها، ويَجتَهِدُ أيضًا بالمسائل التي تُشبهُ المنصوصَ عليها.

ثم قال: لقولِه تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾[المائدة:٤٥]. ومَن لم يَجتهدْ بما أنزلَ اللهُ فإنه لم يَحْكُمْ بما أنزَل اللهُ. وهذا أحدُ الأوصافِ الثلاثةِ التـي ذكرهـا اللهُ ﷻ في سورةِ المائدة، في مَنْ لم يحكم بما أنزل اللهُ؛ الظالمونَ، والفاسقونَ، والكافرونَ. وقد اختلفَ العلماءُ في تخريجِ هذه الأوصافِ الثلاثةِ[1].

فقال بعضُهم: إنها أوصافٌ لموصوفٍ واحدٍ، وأنَّ مَنْ لم يحكمْ بـما أنـزلَ اللهُ، فهـو كـافرٌ، والكافرُ يُطلَقُ عليه اسمُ الفاسقِ، قال تعـالي: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [السجدة:٢٠].

ويُطْلَقُ عليه الظالمُ، كقولِه تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾[البقرة:٢٥٤]. وعـلى هـذا فمـن لم يحكمْ بما أنزلَ اللهُ فهو فاسقٌ ظالمٌ كافرٌ.

وقيلَ: إن هذه الأوصافَ الثلاثةَ تتنزَّلُ على أحوالٍ بحسبِ الحاملِ للشخصِ، على الحكمِ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ.

فمن لم يحكم بما أنزلَ اللهُ معتقِدًا أن غيره أنفعَ للخلقِ وأولَى فهذا كافرٌ.

ومَنْ حكمَ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ عُدْوانًا وظلمًا على المحكـومِ عليـه، وهـو يَعتقِـدُ أن الحكـمَ الصحيح، هو حكم اللهِ فهذا ظالمٌ.

ومَنْ حكمَ بهوًى في نفسِه، لا للعدوانِ على المحكومِ عليه، فهو فاسقٌ.

وهذا أوْلَى؛ لأن حملَ اللفظِ على معنًى جديدٍ غيرِ الأولِ أوْلى مِن حَملِه على الأوّلِ، ولهـذا يُحْمَلُ اللفظُ على التأسيسِ دونَ التوكيدِ. وأننا إذا حكمنا على اختلافِ الحالاتِ، صار كلُّ آيـةٍ تَدُلُّ على معنىً مستقلٍّ غيرِ المعني الذي دلَّت عليه الآيةُ الأخرى. وربما يَظْهرُ ذلكَ مِن سياقِ الكلامِ في السورةِ، قـال اللهُ تعـالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝٤٤﴾[المائدة:٤٤]. فإن سياقَ الآيةِ يَدُلُّ على أن ذلكَ فيمن تركَ مـا استُحفِظَ عليـه مِـن

(١) انظر: «تفسير الطبري»(٦/ ٢٣٣)، و«البغوي» ٢/ ٤٠، و«فتح القدير»٢/ ٤٢.

كتابَ اللهِ ولم يَحْكُم بهِ.

والآيةُ الثانيةُ في القصاصِ: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة: ٤٥]. وعدمُ القصاصِ أو رفعُ الحكمِ به، يَظْهرُ فيه الظلمُ أكثرُ مما يظْهرُ غيرُه.

وأما الآيةُ الثالثةُ: ففيها ذكرُ الإنجيلِ، وأنه أُنزِلَ على عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولكن اليهودَ لم يَقبَلُوه، أو بَدَّلُوه أو غيرُّوه، فناسَبَ أن يُوصَفُوا بالفسقِ؛ لأنهم اتَّبعوا هوى أنفسِهم.

وقولُه: «ومدحَ النبيُّ ﷺ صاحبَ الحكمةِ حين يَقْضِي بها ويُعَلِّمُها». وهذا في حديثِ: «**لا حسدَ إلا في اثنتين، رجلٌ آتاهُ اللهُ الحكمةَ فهو يَقْضِي بها ويُعَلِّمها، ورجلٌ آتاهُ اللهُ المالَ فهو يُنْفِقُه في سبيلِ اللهِ**»[1].

قال: «لا يتكلَّفُ مِن قِبَلِه، ومشاورةِ الخلفاءِ وسؤالِهم أهلَ العلمِ». هذا معطوفٌ على قولِه: «**اجتهادِ القضاةِ**». يعني: وما جاءَ في مشاورةِ الخلفاءِ وسؤالِهم أهلَ العلمِ، وهذا واجبٌ على الخلفاءِ سواءٌ كانوا خلفاءَ كبارًا، أو خلفاءَ مُسْتَخلَفِينَ على قريةٍ، أو مدينةٍ كالأمراءِ، واجبٌ عليهم أن يَسألوا أهلَ العلمِ إذا نزَلت بهم حادثةٌ تحتاجُ إلى التفقه بها، فكما أن الخلفاءَ يَشاورُونَ مَن له خبرةٌ بالسلاحِ، وبالزراعةِ، وبالعلومِ الأخرى، فيجِبُ عليهم أيضًا أن يُشَاورُوا أهلَ العلمِ، فيصدُرُوا عن رأيِهم.

* *** *

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣١٦- حَدَّثَنَا شِهَابُ بْنُ عَبَّادٍ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حُمَيْدٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَآخَرُ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهْوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»[2].

قولُه: «**يَقْضِي بها**»، أي: يَعْمَلُ بها، ويَحْكُم بها إذا حُكِّم.

وقولُه: «**يُعَلِّمُها**»؛ أي: يُعَلِّمُها الناسَ، ويَنْشُرُها سواءٌ حُكِّم أم لم يُحكَّمْ.

وقولُه: «**رجلٌ آتاه اللهُ مالًا فسلَّطَه على هلكتِه في الحقِّ**». هذا لا يَشمَلُ جميعَ المالِ؛ لأن

---

(١) رواه البخاري (٧٣١٦)، ومسلم (١/ ٥٥٩) (٨١٦) (٢٦٨).

(٢) رواه مسلم (١/ ٥٥٩) (٨١٦) (٢٦٨).

«في». للظرفيةِ؛ يعني: في دائرةِ الشرعِ.

ولكن كيف لو فعلَ ذلك في جميعِ مالِه؟

صورةُ ذلك مثلُ ما جرى لأبي بكرٍ رضي الله عنه حين حثَّ رسولُ اللهِ ﷺ على الصدقةِ فجاءَ بكلِّ مالِه[1].

وهذا مشروعٌ لمن كان مثلَ أبي بكرٍ، يَعْنِي: عنده قوةُ توكُّلٍ، وعنده عملٌ يَسْتَطِيعُ بـه أن يَنْقـذَ نفسَه وأهلَه، وما دام الحديثُ مُقيدًا في الحقِّ؛ والمعنى: أن هذا الإهلاكَ لا يخرُجُ عن دائرةِ الحقِّ. ولا يُعَارِضُ هذا قولَ النبيِّ ﷺ لسعدٍ: «الثلثُ والثلثُ كثيرٌ»[2]. لأن هذا في الوصيةِ.

* *** *

ثم قال البخاريُّ رحمه الله تعالى:

٧٣١٧- حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَـنِ الْمُغِـيرَةِ بْـنِ شُـعْبَةَ قَالَ: سَأَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَنْ إِمْلَاصِ الْمَرْأَةِ - هِيَ الَّتِي يُضْرَبُ بَطْنُهَا فَتُلْقِـي جَنِينًـا - فَقَـالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فِيهِ شَيْئًا، فَقُلْتُ: أَنَا. فَقَالَ: مَا هُوَ؟ قُلْـتُ: سَـمِعْتُ النَّبِـيَّ ﷺ يَقُـولُ: «فِيهِ غُرَّةٌ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ». فَقَالَ: لَا تَبْرَحْ حَتَّى تَجِيئَنِي بِالْمَخْرَجِ فِيمَا قُلْتَ.

٧٣١٨- فَخَرَجْتُ فَوَجَدْتُ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ فَجِئْتُ بِهِ، فَشَهِدَ مَعِـي أَنَّـهُ سَـمِعَ النَّبِـيَّ ﷺ يَقُولُ: «فِيهِ غُرَّةٌ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ». تَابَعَهُ ابْنُ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنِ الْمُغِيرَةِ[3].

المرادُ بالغُرَّةِ: العبدُ أو الأمةُ. وسمِّي غرةً؛ لأنه أعْلَى أنواعِ المالِ، فإن الأموالَ تَخْتَلِفُ: إبـلٌ، وبقـرٌ، وغنمٌ، وغيرُها، لكنَّ أشرفَها هو الرقيقُ، ولهذا سمِّي غرةً. وغرَّةُ الشيءِ وجهُهُ، أو بياضُ وجهِه.

قال أهلُ العلمِ: وهذه الغُرَّةُ يَكُونُ ثمنُها خمسًا مـن الإبـلِ؛ أي: عـشرُ دِيـةِ المـرأةِ[4]؛ لأن المرأةَ ديتُها خمسونَ بعيرًا، وعُشرُ الديةِ خمْسٌ من الإبلِ.

فإذا زادَت الغُرةُ عن خمسٍ من الإبلِ، فهل المعتبرُ خمسٌ من الإبلِ، أو المعتبرُ الغُرَّةُ، ولو زادَت؟

---

(١) رواه الترمذي (٣٦٧٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والدارمي (١/ ٣٩١)، وابن أبـي عاصـم في السنةِ (١٢٤٠)، وحسنه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

(٢) تقدم تخريجه.

(٢) رواه مسلم (٣/ ١٣١١) (١٦٨٩) (٣٩).

(٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوي» (٣٤/ ١٦٠): ولو قدر أن الـشخص أسـقط الحمـل خطـأ، مثل أن يضرب المرأة خطأ فتسقط، فعليه غرة عبد أو أمة بنص النبي ﷺ، واتفاق الأئمة، وتكون قيمـة الغـرة بقدر عشرُ دية الأم عند جمهور العلماء كمالك، والشافعي، وأحمد. اهـ

وانظر: «الأم» (٦/ ٢٤٥)، و«المبدع» (٨/ ٣٥٨)، و«الإنصاف» (١٠/ ٧٠).

الجوابُ: أن المشهورَ عندَ الحنابلةِ رَحِمَهُمُ اللهُ: أن المعتبرَ خمسٌ من الإبلِ، قالوا: لأننا لو اعتبرنا الغرَّةَ ولو زَادَت، فإنه يَلْزَمُ أن تكُونَ غُرةُ الجنينِ أكثرَ من غُرةِ أمِّه، كما لو قدَّرنا أن الرقيقَ يُسَاوي ثمانين بعيرًا مثلًا، فإن هذا يَقْتَضي أن تكُونَ دِيةُ الجنينِ أكثرَ من ديةِ أمِّه، فقيدوها بخمسٍ من الإبلِ، سواءٌ زادت الخمسُ على الغرةِ أو لا[1].

* ❁❁❁ *

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

١٤- بابُ قولِ النبيِّ ﷺ: لتتبعُنَّ سننَ من كان قبلَكُمْ.

٧٣١٩- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، عَنِ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ». فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَفَارِسَ وَالرُّومِ. فَقَالَ: «وَمَنِ النَّاسُ إِلَّا أُولَئِكَ»؟

٧٣٢٠- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ الصَّنْعَانِيُّ -مِنَ الْيَمَنِ- عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ»[2].

هذا الحديثُ: فيه أن النبيَّ ﷺ بيَّنَ أن هذه الأمةَ تتَّبعُ طريقَ مَن قبلَها، وهو قولُه: «سننَ». أي: طريقةَ مَنْ كان قبْلكم، وليس المرادُ بهذا إقرارَ النبيِّ ﷺ للأمةِ على ما تَفْعلُ، ولكنَّه إخبارٌ بأن هذا سيَقَعُ، ويَتَضَمَّنُ التحذيرُ مِن ذلك، أن تَحذرَ الأمةُ مِن أن تتَّبعَ سبيلَ مَن قبْلَها.

وهناك وجوهٌ كثيرةٌ شاركَت فيها الأمةُ مَن قبلَها، مثالُ ذلك: الحسدُ، وحبُّ الدُّنيا، والنكولُ عن الجهادِ وإضاعةُ الصلاةِ، والحكمُ بغيرِ ما أنزَلَ اللهُ، والتحريفُ، وأشياءُ كثيرةٌ.

فإذا قال قائلٌ: كيف قال ﷺ في الروايةِ الأولى، لما قالوا: كفارسَ والروم: فقال: «ومَن الناسُ إلا أولئكَ». في الروايةِ الثانيةِ قلنا يا رسولَ اللهِ: اليهودُ والنصارى؟ قال: فمَن؟!

لأن المرادَ الجنسُ، فهم لما ذكرُوا الفرسَ والرومَ كمثالٍ، قال: فمَنْ؟ ولما ذكرُوا اليهودَ والنصارى كمثالٍ، قال: فمَنْ؟ فالمرادُ جنسُ المنحرفينَ عن الحقِّ مِن فرسٍ أو يهودٍ أو نصارى، أو غيرِ ذلك.

---

(١) انظر: «المبدع» (٨/ ٣٥٨)، و«الإنصاف» (١٠/ ٦٩)، و«كشاف القناع» (٦/ ٢٣).

(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٠٥٤) (٢٦٦٩) (٦).

لكن لو كان للكفارِ عادة معينةٌ، وشاعتْ بينَ المسلمينَ؛ كلُبسِ الكفارِ مثلًا، فهل هذا يُعَدُّ مِنَ التشبهِ المذموم؟

الجوابُ: لا، لأن ما كانت العلةُ فيه التشبهَ، فإنه يَزولُ حكمُهُ إذا اتسعَ وشمِلَ المسلمينَ ما لم يكن عبادةً أو محرمًا بذاتِه، فلو كان مِن عادةِ المشركينَ لباسُ الحريرِ للرجالِ حرُمَ ولو شاعَ بينَ الناسِ، ولكن ما حَرُمَ للتشبُّهِ فإذا شاعَ بينَ الناسِ وصارَ للمسلمينَ والكفارِ زالَ التشبهُ.

* * *

ثم قال البخاريُّ رحمه الله تعالى:

١٥- بابُ إثمِ مَن دعَا إلى ضلالةٍ أو سنَّ سنةً سيئةً؛ لقولِ اللهِ تعالى: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم﴾[النحل:٢٥] الآية.

٧٣٢١- حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا - وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ. وَمِنْ دَمِهَا - لأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ أَوَّلًا»[1].

قال المؤلفُ: «بابُ إثمِ مَن دعا إلى ضلالةٍ، أو سنَّ سنةً سيئةً»، يعني: فإنه يَحْمِلُ وزرَه، ووزرَ مَن عملِ بهذه السيئةِ، ثم استدلَّ البخاريُّ بقولِ اللهِ تعالى: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل:٢٥]. وهذا بعضُ آيةٍ، لَيْتَهُ جاءَ بها مِن أوَّلِها، وهي قولُه تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [النحل:٢٥]. أما أوزارُ غيرِهم، فقال: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ﴾؛ يعني: يَحْمِلونَ مِن أوزارِ الذينَ يُضِلُّونَهم بغيرِ علمٍ، وإنما كانت أوزارُهم كاملةً؛ لأنها فعلُهم، وكانت مِن أوزارِ الذين يُضِلُّونَهم بغيرِ علمٍ؛ لأنه فعلُ غيرِهم، فأوزارُ غيرِهم موزعةٌ عليهم، وعلى غيرِهم، وأوزارُهم على أنفسِهم، ولهذا قال: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[النحل:٢٥]. وقولُه: ﴿يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾. يحتمِلُ أن تكونَ عائدةً على الفاعلِ، أو على المفعولِ؛ يعني: ومِن أوزارِ الذين يُضلُّونهم، وهم لا يعلمونَ أنهم على ضلالٍ، فتكونُ عائدةً على التابعِ؛ يعني: أن التابعينَ لهم يَضِلُّونَ بغير علمٍ. فأما لو ضلَّ التابعونَ على علمٍ بضلالِهم، فإنهم هم الضالونَ، ويحتملُ أنه عائدٌ على الأولِ، وأنهم؛ أي: المضلينَ، وأن هؤلاءِ المضلينَ تكلَّموا بغيرِ علمٍ، فضلُّوا، وأضلُّوا، والمعنيانِ حقٌّ. فإن

(١) رواه مسلم (٣/ ١٣٠٣) (١٦٧٧) (٢٧).

المتبوعينَ إذا تكلَّموا عن علمٍ، فقد تكلَّموا بحقٍّ، وإن تكلَّموا عن غيرِ علمٍ، فقد تكلَّموا بالباطل. وإن تكلَّموا عن علمٍ بالمخالفةِ، فهم أضلُّ.

وكذلك التابعونَ. نقولُ: إذا تبِعوهم عن غيرِ علمٍ، فعلى المتبوعينَ من أوزارِهم، وإن تبِعوهم بعلمٍ يعلمُونَ أنهم على باطلٍ، فإنهم هم الآثِمونَ الظالمونَ.

قال ابنُ حجرٍ رحمه الله في «الفتحِ» (١٣/ ٣٠٢):

❁ قولُه: «بابُ إثمِ مَنْ دعا إلى ضلالةٍ، أو سنَّ سنةً سيئةً»؛ لقولِه تعالى: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾. ورَدَ فيما ترجَمَ به حديثانِ بلفظٍ: وليسا على شرطِه، واكْتَفَى بما يُؤدِّي معناهما، وهما ما ذكرهما مِن الآيةِ والحديثِ، فأما حديثُ «مَن دعا إلى ضلالةٍ». فأخرجه مسلمٌ، وأبو داودَ، والترمذيُّ مِن طريقِ العلاءِ بنِ عبدِ الرحمنِ، عن أبيه، عن أبي هريرَة، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ دعا إلى هدًى كان له مِن الأجرِ مثلُ أجورِ مَن تبعَه لا يَنْقُصُ ذلك مِن أجورِهم شيئًا، ومَنْ دعا إلى ضلالةٍ كان عليه مِن الإثمِ مثلُ آثامِ مَنْ تبِعَه لا يَنْقُصُ ذلك مِن آثامِهم شيئًا»**.

وأما حديثُ «مَنْ سنَّ سنةً سيئةً». فأخْرجَه مسلمٌ مِن روايةِ عبدِ الرحمنِ بنِ هلالٍ، عن جريرِ بنِ عبدِ اللهِ البجليِّ في حديثٍ طويل، قال فيه: **«فقال رسولُ اللهِ ﷺ مَنْ سنَّ في الإسلامِ سنةً حسنةً فله أجرُها وأجرُ مَنْ عمِلَ بها بعدَه مِن غيرِ أن ينقُصَ مِن أجورهم شيئًا، ومَنْ سنَّ في الإسلامِ سنةً سيئةً كان عليه وزرُها، ووِزرُ مَن عمِلَ بها بعدَه مِن غيرِ أن ينقُصَ مِن أوزارهم شيئًا»**.

وأخرجَه مِن طريقِ المنذرِ بنِ جريرٍ، عن أبيه، مثلَه، لكن قال: «شيءٌ» في الموضعينِ بالرفعِ.

وأخرجه الترمذيُّ مِن وجهٍ آخرَ عن جريرٍ، بلفظِ: «مَنْ سنَّ سنةَ خيرٍ، ومَنْ سنَّ سنةَ شرٍّ».

وأما الآيةُ، فقالَ مجاهدٌ في قولِه تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم﴾. قال: حملُهم ذنوبَ أنفسِهم، وذنوبَ مَنْ أطاعهم، ولا يُخفِّفُ ذلك عمَّن أطاعهم شيئًا، وأخْرجَ عن الربيعِ بنِ أنسٍ: أنه فسرَ الآيةَ المذكورةَ بحديثِ أبي هُريرَةَ المذكورِ، ذكَره مرسلًا بغير سندٍ.

وأما حديثُ البابِ عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ، فقد مضَى شرحُه في أولِ «كتابِ القِصاصِ». وتقدَّمَ البحثُ في المرادِ بالمُفارِقِ للجماعةِ المذكورِ فيه، قال المهلَّبُ: هذا البابُ، والذي قَبْلَه في معنى التحذيرِ من الضلالِ، واجتنابِ البدعِ، ومحدثاتِ الأمورِ في الدينِ، والنهي عن مخالفةِ سبيل المؤمنينَ انتهى.

ووجهُ التحذيرِ: أن الذي يُحدِثُ البدعةَ قد يتهاونُ بها لخفةِ أمرِها في أولِ الأمرِ، ولا

يَشْعُرُ بها يترتَّبُ عليها مِن المفسدةِ، وهو أن يَلحَقَه إثمُ مَنْ عمِلَ بها مِن بعدِه، ولو لم يكُنْ هو عمِلَ بها، بل لكونِه كان الأصلَ في إحداثِها. اهـ

فإذا قال قائلٌ: مَن دعا إلى ضلالةٍ أو بدعةٍ في الدينِ، عقديةٍ، أو قوليةٍ، أو فعليةٍ، فهل له مِن توبةٍ؟

الجوابُ: نعم، له مِن توبةٍ، إذا تابَ إلى اللهِ تابَ اللهُ عليه، ولم يَلْحَقْه مِن أوزارِ مَن تبعَه شيءٌ، ولكن يجِبُ إذا كان قد دعا إلى الضلالةِ مِن طريقٍ، أن تكُونَ توبتُه ورجوعُه إلى اللهِ بمثلِ هذا الطريقِ. فإذا كانت عن طريقِ المؤلفاتِ، فليكتبْ أنه رجَعَ إلى الحقِّ عن طريقِ التأليفِ، إذا كان عن طريقِ الأشرطةِ، كما يُوجدُ في عصرِنا، فليتكلَّمْ عن طريقِ الأشرطةِ. المهمُّ أن السيئةَ لا تُمحى إلا بطريقٍ مثلِ الطريقِ التي أُثبتَتْ بها، وحينئذٍ يتُوبُ اللهُ عليه، ولا يَلْحَقُه شيءٌ مِن آثامِ مَنْ تبِعه.

وكذلك مَن سنَّ في الإسلامِ سنةً سيئةً، فإن توبتَه أن يُعْلِنَ الرجوعَ عن ذلك، وأن يحْرِصَ على أن يُحْدِثَ حسنةً تمْحُو تلك السيئةَ، فإذا كانتِ السيئةُ التي سَنَّها؛ الامتناعَ عن الزكاةِ، فتَبِعه الناسُ، وامتنعوا عن الزكاةِ، فتوبتُه أن يُخرِجَ الزكاةَ، ويُعلِن ذلك، وإن حقَّقَ التوبةَ بإخراجِ الصدقاتِ التي تُقابِلُ بُخلَه أولًا فهذا حسنٌ. لقولِ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود:١١٤].

فإذا قال قائلٌ: ابنُ آدمَ الأوَّلُ أليسَ قد ندِمَ على ما فعلَ؛ لقولِه تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة:٣١].

الجوابُ: بلى، ولكن يُحْتَملُ أنه تابَ، ويُحتملُ أنه ندِمَ، وليس هذا ندمَ التوبةِ على ما فعلَ، لكنه ندِم أن يَكونَ الغرابُ أعلَمَ منه بالتخلصِ مما يَضُرُّه.

وهل يدخلُ فيمن يَلحَقُه أوزارُ من اتَّبعه ذلك الرجلُ المتأولُ الذي دعا إلى شيءٍ ثم تبِعَه الناسُ؟

الجوابُ: الظاهرُ أنه لا يَدخُلُ؛ لأن هذه السيئةَ في حقِّه ليست سيئةً، ولكن عليه إذا تبيَّن له الحقُّ أن يَرْجِعَ.

* *** *

ثم قال البخاريُّ رحمه الله تعالى:

١٦- بابُ ما ذَكَرَ النبيُّ ﷺ وحضَّ على اتفاقِ أهلِ العلمِ، وما أجمعَ عليه الحرَمانِ: مكةُ والمدينةُ، وما كان بها مِن مشاهدِ النبيِّ ﷺ، والمهاجرينَ، والأنصارِ، ومصلىَّ النبيِّ ﷺ، والمنبرِ، والقبرِ.

هذه الترجمةُ فيها مسائلُ:

أولًا: ما ذكَر النبيُّ ﷺ، وحضَّ على اتفاقِ أهلِ العلم، حيثُ إن الرسولَ ﷺ حضَّ على الجماعةِ، وأخبرَ: «أن مَنْ خرجَ عن الجماعةِ، فإنه شاذٌّ»[1]. وأخبرَ: «أن مَن خرجَ على الإمامِ الذي تمَّت عليه البيعةُ ليُفرِّقَ المسلمَين، فإنه يَجِبُ على المسلمينَ أن يَضْرِبُوا عُنقَه»[2]. لأنه خارجٌ، فحثَّ على اجتماعِ الناسِ.

ثانيًا: «وما أجمعَ عليه الحرَمانِ: مكةُ والمدينةُ». هل ما أجمعَ عليه أهلُ الحرَمينِ يُعْتبرُ إجماعًا؟

الجوابُ: ذهبَ بعضُ العلماءِ إلى أنَّ ما أجمعَ عليه أهلُ المدينةِ فهو إجماعٌ[2]؛ لأن المدينةَ دارُ العلم، ولكنَّ الصوابَ: أنه لا إجماعَ إلا ما أجمعَ عليه المسلمون عمومًا بمكةَ، والمدينةِ، والشام، والعراقِ وغيرِها.

ثالثًا: قولُه: «وما كان بها مِن مشاهدِ النبيِّ ﷺ، والمهاجرينَ، والأنصارِ». مشاهدُ المهاجرينَ والأنصارِ، يَعْني: التي شَهدوها، كأمكنةِ العبادةِ، ومصلَّى العيدِ، وما أشبهَ ذلك.

وقولُ المؤلفِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، «ومصلَّى النبيِّ ﷺ والمنبر، والقبر» ومُصَلَّاه أوَّلُ ما يَدْخُلُ فيه المسجدُ، ثم مصلَّى العيدِ، ثم مصَّلى الجنائزِ، والمنبرُ، والقبرُ، يعني: منبرَ النبيِّ ﷺ، وقبره الذي كان في بيتِ عائشةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

قال ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في «الفتحِ» (١٣/ ٣٠٦):

قولُه: «بابُ ما ذَكَر النبيُ ﷺ وحضَّ». بمُهمَلةٍ وضادٍ ثقيلةٍ؛ أي: حرَّضَ بالمُهملةِ وتشديدِ الراءِ، وقولُه: «على اتفاقِ أهلِ العلمِ». قال الكِرمانيُّ في بعضِ الرواياتِ: «وما حضَّ عليه مِن اتفاقٍ»، وهو مِن بابِ تنازعِ العاملينَ، وهما ذكرٌ وحضٌّ.

قولُه: «وما اجتمَعَ عليه الحرَمانِ: مكةُ والمدينةُ، وما كان بها مِن مشاهدِ النبيِّ ﷺ، والمهاجرينَ، والأنصارِ». في روايةِ الكُشْمَيْهَني «وما أجمعَ». بهمزةِ قطعٍ بغيرِ تاءٍ، وعنده «وما كان بها» بالإفرادِ والأوّلُ أولى، قال الكِرمَانيُّ: الإجماعُ هو: اتفاقُ أهلِ الحَلِّ والعَقدِ؛ أي:

---

(١) روى الترمذي (٢١٦٧) من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «ويد الله مع الجماعة، ومن شذَّ شذَّ إلى النار».
ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٩٢)، وصححه الشيخ الألباني دون قوله: ومن شذَّ كما في تعليقه على السنن.

(٢) رواه مسلم (٣/ ١٤٧٩) (١٨٥٢) (٥٩).

(٢) قال صاحب «البرهان» في أصوله (١/ ٤٥٩): نقل أصحاب المقالات عن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه كان يرى اتفاق أهل المدينة؛ يعني: علمائها حجة، وهذا مشهور عنه. وانظر: «المدخل» (١/ ٢٨٣)، و«التبصرة»، (١/ ٣٦٥)، و«الإحكام» للآمدي (١/ ٣٠٢).

المجتهدينَ مِن أمةِ محمدٍ ﷺ على أمرٍ مِن الأمورِ الدينيةِ، واتفاقُ مجتهدي الحرمينِ دونَ غيرِهم ليس بإجماعٍ عندَ الجمهورِ، وقال مالكٌ: إجماعُ أهلِ المدينةِ حجةٌ، قال: وعبارةُ البخاريِّ مشعرةٌ بأَن اتفاقَ أهلِ الحرمينِ كِليهما إجماعٌ.

قلتُ: لعله أرادَ الترجيحَ به لا دَعوى الإجماعِ، وإذا قال بحجِّيَّةِ إجماعِ أهلِ المدينةِ وحدَها مالكٌ، ومَن تبعه فهم قائلونَ به إذا وافقهم أهلُ مكةَ بطريقِ الأولى، وقد نقلَ ابنُ التينِ عن سَحنونَ اعتبارَ إجماعِ أهلِ مكةَ مع أهلِ المدينةِ، قال: حتى لو اتفقوا كلُّهم وخالفهم ابنُ عباسٍ في شيءٍ لم يُعدَّ إجماعًا، وهو مبنيٌّ على أَن نُدرةَ المخَالفِ تؤَثِّرُ في ثبوتِ الإجماعِ. اهـ

قولُه: «وهو مبنيٌّ على أن ندرةَ المخالفِ تُؤَثِّرُ في ثبوتِ الإجماعِ». هذا فيه خلافٌ؛ ولهذا قال: مبنيٌّ على القولِ وذلك أن بعضَ العلماءِ، يقولُ: إذا أجمعَ المسلمونَ على شيءٍ، وخالفَ واحدٌ، أواثنانِ فلا إجماعَ ما دامَ هناك خلافٌ مِن مجتهدٍ ـ وإن لم يكنْ مِن كُبَراءِ العلماءِ ـ فإنه يُعَدُّ إجماعًا.

وعند بعضِ العلماءِ: لا عبرةَ بالمخالفِ الواحدِ والاثنينِ.

والصحيحُ: أنه لا يُعدُّ إجماعًا حتى يتَّفِقَ الناسُ كلُّهم عليه.

و أهمُّ شيءٍ في هذه الترجمةِ، قولُه: «بابُ ما ذكَر النبيُّ وحضَّ على اتفاقِ أهلِ العلمِ»؛ أي: أنه حضَّ على اتفاقِ أهلِ العلمِ ألا يَختَلفُوا فيما بينهم، وأن يَحاوِلُوا اجتماعَ الكلمةِ ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا، لما في اجتماعِ الكلمةِ مِن الفوائدِ العظيمةِ، والقُربِ إلى الصوابِ؛ لأنه كلما كثُرَ الناسُ على شيءٍ كانوا أقربَ إلى الصوابِ، مما إذا اختلفوا، ولئَلا يَضْطَرِبَ الناسُ؛ أي: العامةُ الذين يقْتَدُونَ بالعلماءِ، إذا رَأوا اختلافَ العلماءِ، فإن العامَّةَ يُقَلِّدُونَ العلماءَ تَقْليدَ دِينٍ، فإذا رَأوهم مختلفينَ، حصلَ عندهم قلقٌ وحرجٌ، فلذلك حثَّ النبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على اتفاقِ أهلِ العلمِ، لما فيه مِن المصالحِ الكثيرةِ، ودرءِ المفاسدِ.

وفي هذا دليلٌ: على أَن الإنسانَ يجِبُ عليه أن يَرجِعَ إلى الحقِ إذا كان مع غيرِه، وألا يُخالفِهَ، وألا يُجادِلَ، وقد أرسلَ الرسولُ ﷺ أبا موسىَ الأشعريَّ ومعاذَ بنَ جبلٍ، وقال: تطاوَعَا، يعني: ليُطِعْ بعضُكما بعضًا[1].

* * *

---

(١) رواه البخاري (٤٣٤٤، ٤٣٤٥)، ومسلم (٣/ ١٣٥٩) (١٧٣٣) (٧).

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٢٢- حدَّثنا إسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ السَّلَمِيِ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَايَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى الإِسْلَامِ، فَأَصَابَ الأَعْرَابِيَّ وَعْكٌ بِالْمَدِينَةِ، فَجَاءَ الأَعْرَابِيُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَقِلْنِي بَيْعَتِي. فَأَبَى رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ جَاءَهُ، فَقَالَ: أَقِلْنِي بَيْعَتِي. فَأَبَى، ثُمَّ جَاءَهُ، فَقَالَ: أَقِلْنِي بَيْعَتِي. فَأَبَى، فَخَرَجَ الأَعْرَابِيُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْمَدِينَةُ كَالْكِيرِ، تَنْفِي خَبَثَهَا، وَيَنْصَعُ طِيبُهَا»[1].

في هذا الحديثِ كان الناسُ إذا بايَعُوا النبيَّ ﷺ ارتَحلُوا إلى المدينةِ، وهاجَروا إليها؛ لأنها بلادُ المهاجرينَ، فهذا الأعرابيُّ أُصيبَ بالوعْكِ، ولعلَّ هذا قبلَ أن تُنْقَلَ حُمَّى المدينةِ إلى الجُحفَةِ؛ لأن النبيَّ ﷺ لما هاجرَ إلى المدينةِ كانت فيها الحمى، فدعا اللهَ أن يَنْقُلَ حمّاها إلى الجُحفَةِ[2] فنقلَها اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وصارت المدينةُ طيِّبةً.

وفي هذا: دليلٌ على أن الإنسانَ لا يُمكِنُ أن يَرْجِعَ في الإسلامِ، إذا قَبِلَ أن يُسلِمَ وإلا فهو على دينِه، لكن إذا دخلَ في الإسلامِ فإنه لا يُمكَّنُ أن يَرتدَّ عنه.

وفي هذا: دليلٌ على أن هذا الرجلَ ـ والعياذُ باللهِ ـ لم يَطْمَئِنَّ قلبُه بالإيمانِ، ولهذا آثَرَ الحياةَ الدُّنيا على الآخرةِ، فخرجَ مِن المدينةِ بعدَ أن منعه الرسولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عدةَ مراتٍ.

ولكن هل قولُ النبيِّ ﷺ «إنما المدينةُ كالكيرِ، تَنفي خبثَها، ويَنْصَعُ طيبُها» على العموم، أم هو خاصٌّ بعهدِ النبيِّ ﷺ؟

الجوابُ: ظاهرُ الحديثِ العمومُ، ولكن قد يُقالُ: إن الواقعَ يُخالِفُ ذلك؛ يَعْنِي: يُخالفُ دعوى العمومِ؛ لأن في المدينةِ الآن أناسٌ خبثٌ لا شكَّ، وليسوا على المستوى الذي يُرادُ منهم، فيُحْملُ هذا العمومُ على أنه في عهدِ النبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أما الظاهرُ فهو العمومُ.

قال الحافظُ في «الفتحِ» (١٣/ ٣٠٦):

قوله: «أن أعرابيًّا» تقدم القول في اسمه، وفي أي شيء استقال منه، وضبط ينصع في أواخر الحج في فضل المدينة، وكذا...

وقوله: «كالكير» مع سائر شرحه ولله الحمد، قال ابنُ بطالٍ عنِ المُهلَّبِ: فيه تفضيلُ المدينةِ على غيرِها بما خصَّها اللهُ به، مِن أنها تنْفِي الخبثَ، ورتَّبَ على ذلك القولِ بحجيةِ إجماعِ

(١) رواه مسلم (٢/ ١٠٠٦) (١٣٨٣) (٤٨٩).

(٢) رواه البخاري (١٨٨٩)، ومسلم (٢/ ١٠٠٣) (١٣٧٦) (٤٨٠).

أهلِ المدينةِ، وتُعُقِّبَ بقولِ ابنِ عبدِ البر: أن الحديثَ دالٌّ على فضلِ المدينةِ، ولكن ليس الوصفُ المذكورُ عامًّا لها في جميعِ الأزمنةِ، بل هو خاصٌّ بزمنِ النبيِّ ﷺ؛ لأنه لم يكُن يخرُجُ منها رغبةً عن الإقامةِ معه إلا مَنْ لا خيرَ فيه.

وقال عياضٌ نحوَه، وأيَّدَه بحديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه الذي أخرَجه مسلمٌ: «لا تقومُ الساعةُ حتى تنفِيَ المدينةُ شرارَها، كما ينفي الكيرُ خبثَ الفضةِ». قال: والنارُ إنما تُخْرِجُ الخبثَ والرديءَ، وقد خرجَ مِن المدينةِ بعدَ النبيِّ ﷺ جماعةٌ مِن خيارِ الصحابةِ، وقطَنوا غيرَها، وماتوا خارجًا عنها، كابنِ مسعودٍ، وأبي موسى، وعليٍّ، أو أبي ذرٍّ، وعمارٍ، وحذيفةَ، وعُبادةَ بنِ الصامتِ، وأبي عبيدةَ، ومعاذٍ، وأبي الدرداءِ، وغيرِهم، فدلَّ على أن ذلك خاصٌّ بزمنِه ﷺ بالقيدِ المذكورِ. اهـ

هذا المثالُ الذي ذكَره مِن خروجِ بعضِ الصحابةِ، لا شكَّ أنه يَدُلُّ على عدمِ العمومِ، وأنه خاصٌّ في زمنه، أو خاصٌّ بمن يَخْرُجُ كارِهًا لها لا لمصلحةٍ؛ يعني: مَنْ خرجَ كارهًا لها فإنه يَصْدُقُ عليه هذا الوصفُ. أما هؤلاءِ الصحابةُ فقد خرَجوا لمصلحةٍ لا شكَّ.

ولكن إذا ترجَّحَ عندَ الإنسانِ مصلحةٌ دينيةٌ للخروجِ وهو فيها فهل يَخرُجُ منها؟

الجوابُ: نعم، بلا شكَّ. ولهذا اختلفَ العلماءُ هل المجاورةُ بمكةَ أفضَلُ، أم في المدينةِ أفضلُ؟.

الجوابُ: على قولينِ للعلماءِ: بعضُهم فضَّلَ المجاورةَ بالمدينةِ، وبعضُهم فضَّل المجاورةَ بمكةَ[1].

وقال شيخُ الإسلام رحمه الله: المجاورةُ في مكانٍ يَكثُرُ فيه تقواهُ للهِ عز وجل أفضلُ مِن المدينةِ وغيرها[2].

فجعلَ العبرةَ بما يَقُومُ به الدينُ، لا العبرةَ بالمكانِ، واستدَّل بنزوحِ بعضِ الصحابةِ رضي الله عنهم عن المدينةِ.

****

ثم قال البخاريُّ رحمه الله تعالى:

٧٣٢٣- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كُنْتُ أُقْرِئُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، فَلَمَّا كَانَ آخِرَ حَجَّةٍ حَجَّهَا عُمَرُ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِمِنًى: لَوْ شَهِدْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَتَاهُ رَجُلٌ، قَالَ: إِنَّ فُلَانًا يَقُولُ: لَوْ مَاتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَبَايَعْنَا فُلَانًا. فَقَالَ عُمَرُ: لَأَقُومَنَّ الْعَشِيَّةَ فَأُحَذِّرَ

---

(١) انظر: «الفروع» لابن مفلح (٣/ ٣٦٤)، و«الإنصاف» للمرداوي (٣/ ٥٦٢)، و«كشاف القناع» (٢/ ٤٧٣).

(٢) قال ابن مفلح في «الفروع» (٣/ ٣٦٤): قال يعني شيخ الإسلام ابن تيمية -: والمجاورة بمكان يكثر فيه إيمانه وتقواه أفضل حيث كان. ونقله عنه أيضًا صاحب «كشاف القناع» (٢/ ٤٧٣).

هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينِ يُرِيدُونَ أَنْ يَغْصِبُوهُمْ. قُلْتُ: لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ الْمَوْسِمَ يَجْمَعُ رِعَاعَ النَّاسِ، يَغْلِبُونَ عَلَى مَجْلِسِكَ، فَأَخَافُ أَنْ لَا يُنْزِلُوهَا عَلَى وَجْهِهَا، فَيُطِيرُ بِهَا كُلُّ مُطِيرٍ، فَأَمْهِلْ حَتَّى تَقْدَمَ الْمَدِينَةَ دَارَ الْهِجْرَةِ وَدَارَ السُّنَّةِ، فَتَخْلُصَ بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، فَيَحْفَظُوا مَقَالَتَكَ، وَيُنَزِّلُوهَا عَلَى وَجْهِهَا. فَقَالَ: وَاللهِ لأَقُومَنَّ بِهِ فِي أَوَّلِ مَقَامٍ أَقُومُهُ بِالْمَدِينَةِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، فَكَانَ فِيمَا أُنْزِلَ آيَةُ الرَّجْمِ»[1].

الشاهدُ مِن هذا، قولُه: «حتى تَقْدَمَ المدينةَ دارَ الهجرةِ ودارَ السنةِ». ففيه دليلٌ عظيمٌ على أهميةِ الخلافةِ، أو السلطةِ، وأنه لا يجوزُ للإنسانِ أن يَتَعرَّضَ لها بسوءٍ لخوفِ الفتنةِ، فإن هؤلاءِ الرهطَ قالوا: لو مات عمرُ لبايعنا فلانًا، ولم يُعيِّنْه الحديثُ، لكنَّ هذا يدلُّ على أنهم كرِهوا خلافتَه، فقدَّروا هذا التقديرَ، على أنه يحتمل أن يكونَ فلانٌ في رأيِهِمْ أفضلَ مِن عمرَ ﷺ، وإن لم يكن ذلك كراهةً لعمرَ، لكنه محبةٌ لمن هو أولى، ومع ذلك غضِبَ عمرُ ﷺ.

ثم فيه أيضًا: دليلٌ على أن الإنسانَ الفاضلَ قد يفُوتُه شيءٌ يَعْلَمُ به المفضولُ، فإن عمرَ لا شكَّ أفضلُ مِن عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ، وأوفرُ عقلًا، وأرجحُ رأيًا، ولكنه قد تَفُوتُه -ولا سيَّما عند الحميةِ، وعند الغضبِ- أشياءُ كثيرةٌ.

وفيه أيضًا: دليلٌ على أن الإنسانَ يَنبَغِي له أن يَضَعَ الحديثَ موضعَه، فلا يُحَدِّثُ بحديثٍ يَخْشَى منه الضررَ أو الشرَّ، وإن كان خيرًا فقد يَسْمَعُه أهلُ الشرِّ، فيُنزِّلُونه على ما يُرِيدُونَ فينقلونه على ما يريدون؛ فلذلك يَجِبُ أن يَتَحرَّزَ الإنسانُ، حتى في الإفتاءِ في العلمِ يَجِبُ أن يتحرَّزَ، فكم مِن إنسانٍ أَفْتَى فتوى علمٍ على ظاهرِ السؤالِ، ثم اسْتُغِلَّ في القدحِ ببعضِ الناسِ، والإنكارِ عليهم، وما أشبهَ ذلك. فالإنسانُ لا سيَّما في زمنِ القيلِ والقالِ، وكثرةِ الكلامِ يجِبُ عليه أن يتحرَّزَ تحرزًا كاملًا، وإذا علِمَ اللهُ مِن نيتِه الخيرَ، وفَّقه له، ووقَاه مِن الشرِّ.

وفيه: دليلٌ على أنَّ القربَ مِن المتكلمِ أو الخطيبِ لا يدُلُّ على أن الذي يَقْرُبُ إليه هم أهلُ العقلِ، وأهلُ الفهمِ، بل الذي يَقْرُبُ في الغالبِ ولا يَسْتَحيي هم عامَّةُ الناسِ، فتجِدُ أهلَ الخيرِ، وأهلَ العقلِ، وأهلَ الرزانةِ يَسْتَحيُونَ، فلا يُزاحِمونَ، ولا يَتزاحمونَ على المجالسِ، ويَكونُونَ في آخرِ النَاسِ، ولهذا يَقُولُ: «يَجْمَعُ رِعَاعَ الناسِ، يَغْلِبُونَ على مجلسِكَ».

---

(١) رواه مسلم (٣/ ١٣١٧) (١٦٩١) (١٥) بغير ذكر القصة، وبلفظٍ أتمّ من هذا في مسألةِ الرجم.

وفيه أيضًا: التحرزُ مِن الرِّعاعِ، وألا يَنْقادَ الإنسانُ معهم، وأن يُحكِّمَ عقلَه على عاطفتِه، فإن بعضَ الناسِ يَغْتَرُّ إذا رأى الرِّعاعَ فيتكلَّمُ بما يظُنُّ أنه يُرضِيهم، وإن كان فيه مضرةٌ عاجلةٌ أو آجلةٌ.

وفيه أيضًا: دليلٌ على جوازِ تأخيرِ ما يُظَنُّ فيه المصلحةُ لدرءِ المفسدةِ؛ لأن عمرَ أخَّرَ ما أرَادَ أن يتكلَّمَ به إلى أن يَقْدُمَ إلى المدينةِ، وحصلَ فيه الخيرُ الكثيرُ.

وفيه: دليلٌ على جواز نسخِ اللفظِ، وإبقاءِ الحُكْمِ، وذلك في آيةِ الرَّجمِ، فإنها كانت موجودةً في القرآنِ أنه إذا أُحْصِنَ الرجلُ وزنا، فإنه يُرْجَمُ، قال عمرُ رضي الله عنه: «إننا قرأناها وحفظنَاها ووَعَيناها، ورجمَ النبيُّ ﷺ، ورجمنا بعدَه، فأخشى إن طالَ بالناسِ زمانٌ أن يقُولُوا: لا نرى الرجم في كتابِ اللهِ، فيضِلُّوا بتركِ فريضةٍ أنزلها اللهُ عز وجل، وإن الرجمَ حقٌّ ثابتٌ على مَنْ زنَا إذا أحْصَنَ، وكان الحَبَلُ أو الاعترافُ»[1].

وفيه أيضًا: أن اللهَ بعَثَ محمدًا بالحقِّ، والأَحَقِيَّةُ هذه تعُودُ إلى أمرينِ:

إلى البعثِ، وإلى المبعوثِ به. فالبعثُ؛ يعني: أنه صادقٌ، وأنه رسولُ اللهِ ﷺ. والمبعوثُ به؛ أن كلَّ ما جاءَ به فهو حقٌّ، ولهذا لا تَرَى باطلًا فيما جاءَ به الرسولُ أبدًا، لا تَرَى كذبًا في خبرٍ، ولا جورًا في حكمٍ، ولا تناقضًا في مختلفٍ أبدًا، فكلُّه حقٌّ.

وفيه أيضًا: أن القرآنَ مُنَزَّلٌ من اللهِ؛ لقولِه تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾ [النحل:١٠٢]. ونحن نعْلَمُ جميعًا أن القرآنَ وصفٌ، وليس عينًا تنزلَ وتُرَى وتُشاهَدُ، ولكنَّه كلامٌ، فإذا كان نازلًا من عندِ اللهِ، وهو كلامٌ، لزم أن يَكُونَ كلامَه وليس مخلوقًا من مخلوقاتِه، بخلافِ قولِه تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد:٢٥]. وقولِه: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر:٦]. فإن هذا الإنزالَ إنزالُ المخلوقِ، لأن المُنْزَلَ أعيانٌ قائمةٌ بنفسِها، فتكُونُ مخلوقةً بخلافِ القرآنِ، ولهذا كان من عقيدةِ أهلِ السنةِ والجماعةِ، أن القرآنَ كلامُ اللهِ مُنَزَّلٌ غيرُ مخلوقٍ، منه بدأ وإليه يعُودُ.

فإن قال قائلٌ: «غيرُ مخلوقٍ» من التعمقِ؛ فإنه ليس في القرآنِ أن اللهَ قال: منزلٌ غيرُ مخلوقٍ.

فيُقَالُ: إن السلف اضطرُّوا إليها دفعًا لباطلٍ اخترعه أهلُ الباطلِ، وهم الجَهْمِيَّةُ، حيثُ قالوا: إن القرآنَ مخلوقٌ، فلزِم أن يَقُولُوا: غيرُ مخلوقٍ[2]. وكذلك قولُهم أو قولُ بعضِهم: استوى على العرشِ

---

(١) المصدر السابق.

(٢) قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٧٤): أما هذا القول فهو المأثور الثابت عن السلف مثل ما نقله عمرو بن دينار قال: أدركت الناس منذ سبعين سنة يقولون: الله الخالق وما سواه مخلوق إلا القرآن فإنه =

«بذاتِه» فإن «بذاتِه» لم تَرِدْ في القرآنِ ولا في السنةِ، لكن اضطرُّوا إلى ذلك لقولِ أهلِ الباطلِ: إنه لم يَستوِ بذاتِه على العرشِ، ولكنه اسْتولَى استيلاءً. وكذلك النزولُ إلى السماءِ الدنيا، حيث عبَّر بعضُهم فقال «بذاتـِهِ» فإنهم اضطُرُّوا إلى ذلك مِن أجلِ دفعِ قولِ من يَقُولُ: إن الذي يَنْزِلُ إلى السماءِ الدنيا أمرُه، أما هو فلا ينـزِلُ. هكذا يقولونَ: تَنزِلُ رحمتُه. وهذا خطأٌ.

فمثلُ هذه العباراتِ قد يُعَبِّرُ بها السلفُ للاضْطِرارِ، وإذا كانت للاضطرارِ، فإنه لا يَنْبَغِي أن تُقالَ في حالِ الاختيارِ؛ يعني: إذا كنت تُحدِّثُ عامَّةَ الناسِ، ولم يَطْرأْ على بالِهم، وليسوا في مكانٍ أو في زمانٍ قد شاعَ فيه أن المرادَ يَنْزِلُ أمرُه، فلا يَحْسُنُ أن تَقُولَ: يَنـزِلُ بذاتِـه، لأنَّـك لستَ أَبلَغَ من الرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولا أنـصحَ مـن الرسـولِ ﷺ، ولـيس عليـك لـومٌ فـيما لـو حذفتَ «بذاتِه». وما دام لم يَرِدْ في أذهانٍ من عندَكَ: أنه تنزِلُ رحمته، أو مَلَكٌ من ملائكتِـه، فـلا حاجةَ إلى هذه العبارةِ؛ لأن ما جاز حالَ الاضطرارِ، لا يَلزَمُ جوازُه في حال الاختيارِ.

إذن:تَقُولُ: إن قولَ السلفِ: «غيرُ مخلوقٍ». [1] جاءوا به اضطرارًا لـدفعِ قـولِ الجهميـةِ، وإلا يَكْفِي أن يَقُولَ: منزلٌ من عند اللهِ. وكلٌّ يَعْرِفُ بعقلِه وفطرتِه السليمةِ أنه إذا كـان القـرآن كلامًا وقولًا، وهو نازلٌ من اللهِ فلابدَّ أن يَكُونَ من صفاتِه؛ إذ هو شيءٌ ليس عينًا قائمةً بذاتِها.

وقولُه: الكتابَ. ذكَرْنا فيما سبق أنه سُمِّي بذلك؛ لأنه مكتـوبٌ في اللـوحِ المحفـوظِ، وفي الصحفِ التي في أيدِي الملائكةِ وفي أيدِي الناسِ.

وقولُ الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾[النساء:٨١]. هذا لملائكتِه. والدليلُ قولُه تعـالى: ﴿كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الانفطار:٩-١٢].

وقولُ اللهِ تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾[الأنعام:٥٤] يعنـي: أوجـبَ، مثلُ قولـِهِ تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾[البقرة:١٨٣]. يعني: أوجبَ عليكم.

******

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٢٤- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْـدَ أَبِـي

=

كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود. وانظر: سؤال عمن يقول إن صفات الـرب نـسب وإضـافات وغيـر ذلك، لشيخ الإسلام(١/ ١٦٢)، و«العقيدة الأصفهانية»(١/ ٥٨).

(١)تقدم تخريجه.

هُرَيْرَةَ وَعَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَشَّقَانِ مِنْ كَتَّانٍ فَتَمَخَّطَ فَقَالَ: بَخْ بَخْ أَبُو هُرَيْرَةَ يَتَمَخَّطُ فِي الْكَتَّانِ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لَأَخِرُّ فِيمَا بَيْنَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ مَغْشِيًّا عَلَيَّ، فَيَجِيءُ الْجَائِي فَيَضَعُ رِجْلَهُ عَلَى عُنُقِي، وَيُرَى أَنِّي مَجْنُونٌ، وَمَا بِي مِنْ جُنُونٍ، مَا بِي إِلَّا الْجُوعُ.

وهذا الحديثُ فيه بيانُ حكمةِ اللهِ ﷻ، أن يَكُونَ العبادُ مختلفينَ في الأرزاقِ، والأشكالِ، والأخلاقِ، والفُهومِ، والعقولِ، وفي كلِّ شيءٍ، حتى يَرَى الإنسانُ قدرَ نعمةِ اللهِ عليه إن كان من الطبقةِ العُليا، ويَصْبرَ على ما دونَ ذلك إن كان من الطبقةِ السُّفْلى.

وفيه: ردٌّ على القائلينَ بالاشتراكيةِ الذين يَقُولُونَ في الرسولِ عليه الصلاة والسلام: والاشتراكيونَ أنت إمامُهم. وهم كذبةٌ فيما يقُولُونَ، فإن اللهَ ﷻ جعَل الإنسانَ حرًّا في مالِه، لكنْ أوجَب عليه واجباتٍ، ولو كانت الاشتراكيةُ من الشرعِ، ما كان أبو هريرَةَ يَبْلُغُ هذا المبلغَ من الجوعِ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ وأمثالُه عندهم من الغنى ما يُباينُ هذه الحالَ بينونةً عظيمةً، وفي جيشِ العُسْرةِ جهَّز عثمانُ بنُ عفَّانَ رضي الله عنه مائةَ بعيرٍ، بجميعِ ما تَحتاجُ إليه من مُعِدَّاتٍ[1]. فمائةُ بعيرٍ من رجلٍ واحدٍ في جيشٍ يُسَمَّى جيشَ العُسْرَةِ، يَدُلُّ على غنىً كبيرٍ.

وفي هذا: دليلٌ على التحدثِ بنعمةِ اللهِ، وأن يُذكِّرَ الإنسانُ نفسَه بنعمةِ اللهِ عليه، حيثُ كان في الأولِ لا يملِكُ شيئًا، ثم أنْعَم اللهُ عليه بالمالِ، وإذا كان هذا بنعمةِ المالِ، فبنعمةِ العلمِ أَوْلى أن يَقُولَ: الحمدُ للهِ الذي هدَانا، فقد كنتُ لا أعرِفُ من العلمِ شيئًا، ثم هَدَاني اللهُ حتى وصلتُ إلى ما أنا فيه من العلمِ.

والحقيقةُ أن مِن فوائدِ تحديثِ الناسِ بالنعمةِ أن يَعْرِفَ الإنسانُ قدرَ النعمةِ؛ لأن الذي لا يُذكِّرُ نفسَه، بما مضَى لا يَعْرِفُ قدرَ النعمةِ.

وأَضْرِبُ لك مثلًا بشيءٍ محسوسٍ: عندك ابنٌ له أربعُ سنواتٍ، غِبْتَ عنه ستَّ سنينَ، إذا جِئتَ تبيَّن لك الفرقُ العظيمُ بين حالِه وهو ابنُ عشرٍ، وحالِه وهو ابنَ أربعٍ، أو ستٍّ. كذلك الإنسانُ إذا لم يُذكِّرْ نفسَه بما مضَى، فإن العلمَ مثلًا أو المالَ يَنْتَهي شيئًا فشيئًا فلا يَعْرِفُ الإنسانُ قدرَه حتى يتذكَّرَ ما بينَ الحالينِ.

والشاهدُ من هذا الحديثِ قولُه: «فيما بين منبرِ رسول ﷺ إلى حجرةِ عائشةَ».

****

(١) رواه البخاري (٢٧٧٨).

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

٧٣٢٥- حَدَّثنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَابِسٍ، قَالَ: سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَشَهِدْتَ الْعِيدَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: نَعَمْ وَلَوْلَا مَنْزِلَتِي مِنْهُ مَا شَهِدْتُهُ مِنَ الصِّغَرِ، فَأَتَى الْعَلَمَ الَّذِي عِنْدَ دَارِ كَثِيرِ بْنِ الصَّلْتِ فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَذَانًا وَلَا إِقَامَةً، ثُمَّ أَمَرَ بِالصَّدَقَةِ، فَجَعَلَ النِّسَاءُ يُشِرْنَ إِلَى آذَانِهِنَّ وَحُلُوقِهِنَّ، فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَتَاهُنَّ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ[1].

الشاهدُ مِن هذا قولُه: «فأتى العَلَمَ الذي عندَ دَارِ كثيرِ بنِ الصَّلْتِ فصلَّى». فهذه مواضعُ صلاتِه.

وفي هذا الحديثِ فوائدُ كثيرةٌ:

منها: احترامُ الصحابةِ لقرابةِ النبيِّ ﷺ؛ ولهذا قال: «ولولا منزلتي منه ما شهدتهُ من الصغرِ» واحترامُ آلِ النبيِّ ﷺ واجبٌ لحقِّ الرسولِ ﷺ، ولحقِّ القرابةِ. قال اللهُ تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]. يعني: إلا أن تَوَدُّوا قرابَتي، هذا على قولٍ في معنى الآيةِ.

وقِيلَ: إلا المودةَ بسببِ قُرْبي منكم؛ يعني: فأريدُ أن تَوُدُّوني لا لأني جئتُكم بالرسالةِ، ولكن لأني قريبُكم، والقريبُ غايتُه أن يَوُدَّ قريبَه، والآيةُ تحتَمِلُ المعنيينِ، فتُحْمَلُ عليهما؛ لأنه لا منافاةَ بينهما.

وفيه: دليلٌ على حرصِ عبد اللهِ بنِ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا على العلمِ والقربِ من المعلمِ، وهذا أمرٌ مشهودٌ له حتى إنه كان يَأتِي إلى دارِ الرجلِ في القيلولةِ في نصفِ النهارِ، فيَضَعُ رداءَه ويتوسَّدُه، ويبْقَى إلى أن يَقُومَ الرجلُ، فيحدِّثُه، فيقُولُ له: هلا كنتَ استأذنتَ فيَقُولُ: أنا صاحبُ الحاجةِ، فلا يَليقُ بي أن أُوقِظَكَ لتَقْضِيَ حاجتي، وهذا من أدبِه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[2].

وفيه أيضًا: دليلٌ على أن الرسولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُصَلِّي العيدَ في غيرِ المسجدِ النبويِّ، وأن هذا هو السنةُ، وعملُ أهلِ المدينةِ اليومَ على خلافِ السنةِ، فالسنةُ أن يُجْعَلَ للمدينةِ مصلَّى عيدٍ، يَخْرُجُ الناسُ إليه، ويُصَلُّونَ فيه، كما كان النبيُّ ﷺ يَفْعَلُه.

فإن قيل: إذا صلَّوا في المكانِ الذي كان الرسولُ ﷺ يُصَلِّي فيه، كانوا في جوفِ المدينةِ.

فيُقَالُ: هذا المكانُ الذي صلَّى فيه الرسولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ليس مقصودًا بعينِه، ولكنَّه مقصودٌ بوصفِه، وهو أنه خارجُ البلدِ، فيُطْلَبُ للمدينةِ مصلًّى خارجَ المدينةِ يُصَلُّونَ فيه.

وفيه: دليلٌ على أن المفضولَ قد يكُونُ أفضلَ من الفاضلِ بسببٍ يَقْتَضِيه، فالصلاةُ في

---

(١) رواه مسلم ٢/ ٦٠٣ (٨٨٥) (٣) بنحوه.

(٢) تقدم تخريجه.

مسجدِ الرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خيرٌ مِن ألفِ صلاةٍ فيما سواه مِن المساجدِ إلا مسجدَ الكعبةِ، فالصلاة فيه خير من ألف صلاة في مُصلَّى العيد لكن لما كان الخروجُ إلى مصلَّى العيدِ وتركُ المسجدِ النبويِّ في صلاةِ العيدِ يترتَّبُ عليه مصلحةٌ أكثرُ، صار أفضلَ، فلا يُقالُ: إن أهلَ المدينةِ تركَوا الخروجَ إلى الصحراءِ من أجلِ فضلِ المكانِ، لأننَّا نَقولُ: فضلُ هذا المكانِ ثبتَ في عهدِ الرسولِ ومع ذلك لم يُراعِه النبيُّ ﷺ، بل كان يَخرُجُ إلى الصحراءِ.

وفيه:دليلٌ على أن خطبةَ العيدِ بعدها الصلاةُ، بخلافِ خطبةِ الجمعةِ، فإنها قَبلَها، واختلفَ العلماءُ في الحكمةِ من تقديم خطبة الجمعة على العيد.

فقيل:إن الخطبتينِ في الجمعةِ شرطٌ لصحة الصلاةِ، والشرطُ يَتَقَدَّمُ المشروطَ، بخلافِ الخطبتينِ في العيدِ فإنها سنةٌ، فلو أن الناسَ تركوهما فلا إثمَ عليهم.

وقيل:من أجلِ أن يَجتَمِع الناسُ في الجمعةِ شيئًا فشيئًا، بخلافِ العيدِ، فإنه ليس لها أذانٌ ولا إقامةٌ، فيُبادَرُ بالصلاةِ إليها. وقيل غيرُ ذلك. والشاهدُ أن الخطبةَ في العيدِ تكُونُ بعدَ الصلاةِ.

وفيه:دليلٌ على أنها خطبةٌ واحدةٌ؛ وذلك لأن «خطَب» فعلٌ مطلقٌ، والمطلقُ لا يَقْتَضِي التَّكرارَ إلا بدليلٍ، ولا دليلَ على هذا إلا حديثٌ رواه ابنُ ماجه في سندِه ضعفٌ: أن الرسولَ ﷺ خطبَ خطبتَينِ جلسَ بينهما [1].

وفيه أيضًا:أنه لا يُشْرَعُ للعيدِ أذانٌ، ولا إقامةٌ، ولا الصلاةُ جامعةٌ، خلافًا لقولِ بعضِ العلماءِ [2]: إنه يُشْرَعُ أن يُنَادَى لصلاةِ العيدِ: «الصلاةُ جامعةٌ» وهذا ليس بصحيحٍ.

لكن لو حصَل حالٌ تَقْتَضِي أن يُصَلِّيَ الناسُ داخلَ البلدِ، فهل يُشْرَعُ للمؤذنِ أن يَقُولَ: «الصلاةُ في البلدِ»؟

الجوابُ:نعم، يُشْرَعُ؛ لإعلامِ الناسِ، ولهذا كان النبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إذا حصَل وَحَلٌ أو مطرٌ أو نحوُ ذلك، قال:«صلُّوا في رِحَالِكم» [2]. بدلَ «حيَّ على الصلاةِ».

وفيه:دليلٌ على حثِّ الناسِ على الصدقةِ، أو أمرِهم بها في صلاةِ العيدِ، لاجتماعِ الناسِ؛ ولأنه يومٌ يَنبْغِي أن يَكُونَ عيدًا للأغنياءِ والفقراءِ، فإذا تُصُدِّقَ على الفقراءِ في هذا اليومِ انتفَعوا كثيرًا.

---

(١)رواه ابن ماجه (١٢٨٩)، وقال الشيخ الألباني في تعليقه على «السنن»: منكرًا سندًا ومتنًا.

(٢)انظر: «الأم» (١/ ٨٢)، و«المجموع» (٣/ ٨٣)، و«منهاج الطالبين» (١/ ٩)، و«الإنصاف» (١/ ٤٢٨)، و«كشاف القناع» (١/ ٤٢٨)، و«الروض المربع» (١/ ٣١٩).

(٢)رواه البخاري (٦٦٦)، ومسلم ١/ ٤٨٤ (٦٩٧) (٢٢).

ومِن فوائدِ هذا الحديثِ وهو مختصرٌ في هذا: فضيلةُ نساءِ الصحابةِ ﵅؛ لأن النبيَّ ﷺ لما أمَر بالصدقةِ، تَصَدَّقْن مِن حُليِهِّن حتى جعلن يُشِرْن إلى آذانِهنَّ وحلوقِهنَّ، فالآذانُ فيها الأخراصُ، والحلوقُ فيها القلائدُ، وفي حديثٍ آخرَ بلفظٍ آخرَ «خواتيمِهن»[1].

ففيه: دليلٌ على جواز الذهبِ المحلَّقِ، وأن الأحاديثَ الواردةَ في التحذيرِ منه والوعيدَ عليه إن صحَّت، فإنما كانت ثم نُسخت، وقد حقَّقَ الشيخُ إسماعيلُ الأنصاريُّ ﵀ في كتابٍ له، وناقشَ فيه الشيخَ الألبانيَّ ـ دَعْواه: أن الذهبَ المحلَّقَ حرامٌ ـ مُناقَشَةً جيدةً حديثيةً وفقهيةً، وبيَّنَ أن هذا الحكمَ منسوخٌ[2].

ولهذا حكى بعضُ العلماءِ الإجماعَ على جوازِ لبسِ الذهبِ للنساءِ مطلقًا محلقًا ومقطعًا، وعلى أيِّ حالٍ، هذا القولُ هو الراجحُ[3] وعليه يَدُلُّ مثلُ حديثِ ابنِ عباسٍ هذا: مِن أنه يَجُوزُ للمرأةِ لبسُ الذهبِ مطلقًا محلقًا وغيرَ محلقٍ، إلا أن بعضَ الفقهاءِ اسْتَثْنَى، أو قيَّدَ المسألةَ بما جرَت به العادةُ، فقيَّدها وصفًا لا نوعًا[4]؛ لأن ما خرج عن العادةِ يُعْتَبرُ إسرافًا، وقد قال اللهُ تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١]. وهذا القيدُ واضحٌ أنه مرادٌ، وهو مِن الفهمِ الدقيقِ الذي يَغِيبُ عن كثيرٍ مِن طلبةِ العلمِ؛ لأن العلماءَ يفهمُونَ الأحاديثَ على إطلاقِها، وعلى ظاهِرِها، ثم على القواعدِ العامةِ.

مثالُ ذلك: قولُ النبيِّ ﷺ: «**أُحِلَّ الذهبُ والحريرُ لإناثِ أمتي**»[5]. فلقائلٍ أن يَقُولَ: فكلُّ

---

(١) رواه مسلم (٢/ ٦٠٣) (٨٨٥) (٤).

(٢) انظر: «رسالة إباحة التحلي بالذهب المحلق للنساء» والرد على الألباني في تحريمه للعلامة إسماعيل بن محمد الأنصاري ﵀.

(٣) قال البيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ١٤٢): فهذه الأخبار وما في معناها تدل على إباحة التحلي بالذهب للنساء، واستدللنا بحصول الإجماع على إباحته لهن، وعلى نسخ الأخبار الدالة على تحريمه فيهن خاصة. اهـ
وقال النووي في «المجموع» (٦/ ٤٠): وأجمع المسلمون على أنه يجوز للنساء لبس أنواع الحلي من الفضة والذهب جميعًا؛ كالطوق، والعقد، والخاتم، والسوار، والخلخال والتعاويذ، والدمالج والقلائد، والمخانق، وكل ما يتخذ في العنق وغيره، وكل ما يعتدن لبسه، ولا خلاف في شيء من هذا وانظر: «تفسير القرطبي» (١٦/ ٧١)، و«الأحكام للجصاص» (٤/ ٤٧٧)، و«فتح الباري» (١٠/ ٣١٧)، و«الزواجر» للهيتمي (ص١٢٥)، و«حاشية السندي على سنن النسائي» (٨/ ١٥٧).

(٤) قال ابن مفلح في «الفروع» (٣/ ٣٥٣): ويباح للمرأة من الذهب والفضة ما جرت به العادة كالطوق، والخلخال، والسوار، والدملوج، والقرط، والخاتم. أهـ
وانظر: «المبدع» (٢/ ٣٧٥).

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٣٩٤) (١٩٥١٥)، والترمذي (١٧٢٠)، والنسائي (٥٢٦٥)، وابن ماجه =

الذهبِ يَجُوزُ للمرأةِ، ولو أن تَجْعَلَ نفسَها في قارورةٍ من ذهبٍ؛ لأن الرسولَ ﷺ قال: «أُحِلَّ الذهبُ لإناث أمتي». وهذا القولُ لا شكَّ أنه غيرُ صوابٍ؛ لأن هناك نصوصًا عامَّةً تَدُلُّ على أن الإسرافَ والتبذيرَ حرامٌ.

فلو قال قائلٌ: هل يَجُوزُ للمرأةِ أن تَلْبَسَ سُوارًا على شكلِ حيةٍ؟

فالجوابُ أن نقولَ: هذا حرامٌ من أجلِ الصورةِ؛ لأن هناك أحاديثَ تُقيِّدُ هذا[1].

وفي هذا دليلٌ على فضلِ نساء الصحابةِ رضي الله عنهن، وسرعتِهن إلى الامتثالِ، ولا تَتَردَّدُ المرأةُ منهن، وتقولُ: لعلَّ ولعلَّ. وكذلك الصحابةُ ﷺ؛ أي: الرجالُ منهم سرعةُ الامتثالِ لأمرِ الرسولِ عليه الصلاة والسلام، وهذا أمرٌ مُشاهَدٌ، وأنا أَنْصَحُ نفسِي، وإيَّاكم إذا بلَغَنا شيءٌ عن اللهِ ورسولِه ألَّا نتردَّدَ في تنفيذِه إذا علِمْنا أن هذا مرادُ اللهِ ورسولِه.

أما إذا شككْنا في الحكمِ هل هو ثابتٌ أو لا؟ فهذا للإنسانِ ألَّا يَفْعَلَه، لكنَّ كثيرًا من الناسِ يَتَردَّدُ إذا جاء الأمرُ، ويقولُ: هل الأمرُ للوجوبِ، أم للاستحبابِ؟ فسبحان اللهِ! هل أنت ملزمٌ ألَّا تَمْتثِلَ الأمرَ إلا إذا كان للوجوبِ؟! ولكنَّ البحثَ عن الأمرِ هل للوجوبِ أو للاستحبابِ يَكُونُ فيما إذا فرَّطتَ ولم تَفْعلْ، فحينئذٍ ربما نَقُولُ: لك العذرُ في أن تقولَ هل هو للوجوبِ، أو للاستحبابِ؛ من أجلِ أن تُحدِثَ توبةً إذا رأيت أنه للوجوبِ، أو تحدِثَ استقامةً أكثرَ إذا رأيتَ أنه للاستحبابِ،فكلما مرَّ عليك أمرٌ قُلْ: سمعًا وطاعةً. إذا علمتَ أنه المرادُ، أما أن تَبْحَثَ هل هو واجبٌ أو مستحبٌّ، فهذا يَدُلُّ على أنك مترددٌ.

أرأيت لو أن سيِّدًا قال لعبده: افْعَل كذا. هل من الأدبِ أن يَقُولَ العبدُ للسيدِ أنتَ تأمُرُني على وجهِ الإلزامِ أم على وجهِ الاستحبابِ؟!

كذلك في مسألةِ النهيِ؛ فإذا بلَغَكَ نهيٌ من اللهِ ورسولِه لا تَقُلْ: هل هو للتحريمِ، أو للكراهةِ بل انته. ثم إذا فرَّطتَ وفعَلتَ فحينئذٍ تَبْحثُ هل هو للتحريمِ أو للكراهةِ؛ لتُحدث

=

(٣٥٩٥)، وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

(١) يشير الشيخ رحمه الله إلى ما رواه البخاري (٥٩٥١)، ومسلم (٢١٠٧) (٩٦)، من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ جاء إلى البيت ذات يوم فرأى نُمْرُقة فيها صورة فوقف ولم يدخل. قالت عائشة: فعرفت الكراهة في وجهه، فقلت: أتوب إلى الله ورسوله مما صنعت. فقال: **«إن أهل هذه الصور يعذبون، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم»**.

وقال أيضًا: عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري (٥٩٤٩)، ومسلم (٢١٠٦) (٨٣): **«إن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة»**.

إلى غير ذلك من الأحاديثِ المروية في معنى هذين الحديثين.

توبةً إذا كان للتحريم.

هذه حقيقةُ المؤمنِ؛ ولهذا نجدُ الصحابةَ -إذا تأمَّلنا أحوالهم- ليسوا يَقولُونَ: هل هذا الأمرُ للاستحبابِ أو للوجوبِ أبدًا، بل يَمْتَثِلونَ فورًا، فلما أمَر بالصدقةِ، هل النساءُ قُلْن: يا رسولَ اللهِ أتأمُرُنا على وجهِ الوجوبِ أو الاستحبابِ؟! لكنْ إذا كان الإنسانُ يَخْشَى الضررَ على نفسِه لو نفَّذ، وكان الأمرُ فيه احتمالٌ، كما قُلْتُ أولًا، فيُمْكِنُ للإنسانِ أن يَتردَّد كما قالت بريرَةُ للرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لما أشَار عليها أن تَرْجِعَ إلى مغيثٍ: يا رسولَ اللهِ إن كنتَ تأمُرني فسمعًا وطاعةً، وإن كنتَ تُشيرُ عليَّ فلا رغبةَ لي فيه[1]. فهذه ردَّتِ الأمرَ؛ لأن فيه احتمالًا أنه يُشيرُ إشارةً. والتزامُها بما أشار به الرسولُ فيه مشقةٌ عليها؛ لأنها تُبغِضُ زوجَها بغضًا شديدًا، لذلك رأتْ لنفسِها فُسحةً أن تسألَه هل هو أمرٌ أو مشورةٌ.

إنما نحن الآن لا يُوجَدُ مشورةٌ بالنسبةِ للرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فإذا جاءَنا أمرٌ فإننا إن كان للاستحبابِ، فقد كسِبنا خيرًا، وإن كان للوجوبِ، فقد كسبنا أخير من ذلك، وسلِمنا من الإثمِ، فنحن لن نَعدِمَ خيرًا أبدًا، ثم بعد ذلك إذا جرَى إهمالٌ، أو ما أشبَه ذلك، أو ما يَترتَّبُ على هذا الواجبِ فيما إذا تُرِكَ من شيءٍ فحينئذٍ، نبحثُ هل هو للوجوبِ أو لا، ونتعَمَّقُ في البحث، ولا حرجَ علينا في هذا.

۞ وقولُه: «يُشِرْن إلى آذانِهن، وحلوقِهن». هل فيه دليلٌ على أن الحجابَ ليس بواجبٍ؟ لقوله: «يُشرن إلى آذانِهن وحلوقِهن»؟

الجوابُ: أن هذا ليس فيه دليلٌ؛ لأن الإنسانَ قد يُشيرُ إلى حلقهِ وإلى أذنه، وهو قد احْتجَب، وليس فيه دليلٌ على أن الحجابَ ليس بواجبٍ، وإن كان يَحْتَمِلُ، لكنْ عند العلماءِ قاعدةٌ وهي: إذا وجِد الاحتمالُ بطَل الاستدلالُ[2].

۞ قولُه: «فأمَر بلالًا فأتاهُن ثم رجَع إلى النبيِّ ﷺ». هذا فيه دليلٌ أيضًا على جوازِ التوكيلِ في قبضِ الصدقاتِ؛ لقولِه: «فأمر بلالًا». ويجوزُ التوكيلُ في حفظ الصدقاتِ، ويجوزُ التوكيلُ أيضًا في دفعِ الزكواتِ، فكلُّ ذلك جاءتْ به السنةُ؛ فالتوكيلُ في قبضِ الصدقاتِ كما في حديثِ بلالٍ.

وفي حفظِ الصدقاتِ كما في حديثِ أبي هريرةَ حين جعله النبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حفيظًا على زكاةِ الفطرِ[3].

---

(١) رواه البخاري (٥٢٨٣).

(٢) انظر: «القواعد والفوائد الأصولية» (١/ ٢٣٥)، و«التقرير والتحرير» (١/ ١٨٨)، و«فتح القدير» (٣/ ٢٤٥).

(٣) تقدم تخريجه.

في دفع الزكواتِ أيضًا في حديثِ أبي هريرةَ؛ لأنه دفَع إلى مَن ادَّعى أنه فقيرٌ وذو عائلةٍ، فأقرَّه النبيُّ ﷺ على ذلك، ففيه دليلٌ على جوازِ التوكيل في قبضِ الصدقاتِ وحفظِها ودفعها، ولكنْ لا يجوزُ لولِّي الأمرِ أن يُوكِّلَ على ذلك إلا من جمَع بين أمرين: القوةِ، والأمانةِ.

لأن القوةَ والأمانةَ شرطٌ في كلِّ شيءٍ، فكلُّ عقدٍ، وكلُّ عمل تتولَّاه لابدَّ من قوةٍ وأمانةٍ؛ لأن ضدَّ القوةِ الضعفُ، فإذا كان الوكيلُ ضعيفًا ولو كان أمينًا، فإنه لا يَصْلُحُ للوَكالةِ، فقد يَجِيءُ إنسانٌ يَأخذُ من الصدقاتِ في غفلتِه، أو يَأخذُ من الصدقاتِ في غيرِ غفلتِه؛ لأنه ضعيفٌ مسكينٌ.

والأمينُ ضدُّه الخائنُ، فلا يجوزُ أن يُوَكَّلَ في شيءٍ من أمورِ المسلمينَ إذا كان خائنًا مهما كان عنده من القوةِ.

فإذا كان عندنا رجلانِ: أحدُهما: قويٌّ غيرُ أمينٍ، والثاني: أمينٌ غيرُ قويٍّ، وليس عندنا غيرُ هذين الرجلين فمَن نولِّي؟

الجوابُ: أنه يَختلفُ باختلافِ الأمرِ المولَّى عليه، فإذا كان العملُ المولَّى عليه يَقْتَضي من القوةِ، أو يَحتاجُ من القوةِ أكثرَ من الأمانةِ أخذنا القويَّ، ووكَّلنا أمينًا غيرَ قويٍّ على هذا الرجلِ يَسبرُ حالَه، وفي هذه الحالِ يَجُوزُ أن نَجْعَلَ هذا الأمينَ من رجالِ المباحثِ، ولا حرجَ.

ورجالُ المباحثِ إذا كانوا يَبْحَثونَ عن الشرِّ من أجلِ أن يُطْفِئُوه فهذا طيبٌ، ولكنَّ المشكلَ إذا كانوا يَبْحَثونَ عن الخيرِ من أجلِ أن يُطْفِئُوه فهذَا هو الشرُّ. فالمباحثُ لا نقولُ كلُّهم خيرٌ، أو كلُّهم شرٌّ، بل على حسبِ ما يَبحَثونَ عنه، فإن كانوا يَبْحَثُونَ عن الشرِّ ليَمْنَعُوهُ فجَزاهم اللهُ خيرًا، ولكن بشرطِ ألا يَكُونَ هناك تجسسٌ، أو اعتداءٌ على الناسِ، وإن كانوا يَبْحثونَ عن الخيرِ؛ ليمْنَعُوه فهذا شرٌّ، ولا يجوزُ لأحدٍ أن يَكُونَ في هذه الوظيفةِ أبدًا؛ لأن هذا تعاونٌ على الإثمِ والعدوانِ.

فلهذا نُسْأَلُ دائمًا: هل يَجُوزُ أن أكُونَ موظفًا في المباحثِ؟ نقُولُ هذا شيءٌ يرْجِعُ لك أنت، فإذا كُنْتَ تُرِيدُ أن تَمْنَع الشرَّ، ولا تظلِمَ أحدًا، فهذا لا بأسَ به؛ فهناك من المباحثِ أهلُ خيرٍ إذا وجَد أحدًا عنده مخدراتٌ، أو عنده فسوقٌ، أو فجورٌ، أو ما أشبه ذلك، دلُّوا عليه، فهذا ليس فيه شيءٌ بشرطِ ألا يَصِلَ الحالُ للتجسسِ المنهيِّ عنه.

فالحاصلُ أننا نقُولُ: إذا اجتَمع أمينٌ غيرُ قويٍّ، أو قويٌّ غيرُ أمينٍ تُقَدِّمُ حسبَ العملِ، فإذا كان العملُ يَحتاجُ إلى القوةِ أكثرَ من الأمانةِ، قدَّمنا القويَّ، وإذا كان يَحْتَاجُ للأمانةِ أكثرَ من القوةِ قدَّمنا الأمينَ، فربما يَكُونُ العملُ حفظَ الصدقاتِ في الصناديقِ، والمفاتيحُ مضبوطةٌ

فنُقدِّمُ الأمينَ؛ لأنه لا حاجةَ للقوةِ هنا.

لكن عملٌ آخرُ يَحْتَاجُ إلى إنسانٍ حذرٍ قويٍّ، نقـدِّمُ القـويَّ، ونَـسْأَلُ اللهَ أن يَجْعَلَـه أمينـًا، ونجعلُ واحدًا حوله يبحَثُ عنه واللهُ الموفِّقُ.

* *** *

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

٧٣٢٦- حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنِ ابْنِ عُمَـرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ كَانَ يَأْتِي قُبَاءَ مَاشِيًا وَرَاكِبًا[1].

في هذا: دليلٌ على مشروعيةِ إتيانِ مسجدِ قُباءٍ، وهو مـشهورٌ معـروفٌ، وقـد كـان النـاسُ يَأتونَه -وللهِ الحمدِ-، على وجهٍ فيه كُلْفةٌ، لكن الآن توفَّر فيه الماءُ، وتوفَّر فيه كلُّ شـيءٍ، -وللهِ الحمدُ-، ويُسَنُّ أن يَأْتِيَ الإنسانُ بعدَ أن يَتطهَّرَ في بيتِه، ويَخـرجَ ماشـيًا أو راكبًـا، وهـو أحـدُ المزاراتِ التي تُزَارُ في المدينةِ:

الأوَّل: المسجدُ النبويُّ.

والثاني: زيارةُ قبر النبيِّ ﷺ وصاحِبيه.

والثالث: مسجدُ قُباءٍ.

والرابع: البقيعُ.

والخامس: شهداءُ أحدٍ.

وليس في المدينةِ مزاراتٌ سِوَى هذه الخمسةِ، فأما مسجدُ القبلتينِ، والمـساجدُ الـسبعةُ، ومسجدُ الغمامةِ، وما أشبهَ ذلك فكلُّه لا أصلَ له، ولكن جاءَ على سبيلِ الدَّعْوى الكاذبةِ.

* *** *

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

٧٣٢٧- حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَـتْ: لِعَبْـدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ادْفِنِّي مَعَ صَوَاحِبِي، وَلَا تَدْفِنِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْبَيْتِ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُزَكَّى.

٧٣٢٨- وَعَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عُمَرَ أَرْسَلَ إِلَى عَائِشَةَ ائْذَنِي لِي أَنْ أُدْفَنَ مَـعَ صَـاحِبَيَّ فَقَالَـتْ: إِي وَاللهِ. قَالَ: وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَرْسَلَ إِلَيْهَا مِنَ الصَّحَابَةِ قَالَتْ: لَا وَاللهِ لَا أُوثِرُهُمْ بِأَحَدٍ أَبَدًا.

---

(١) رواه مسلم (٢/ ١٠١٦) (١٣٩٩) (٥١٥).

هذا الحديثُ: فيه دليلٌ على ذكرِ قبرِ النبيِّ ﷺ، وأنه دُفِن في حجرةِ عائشةَ ﵂، وكذلك دُفِن معه أبو بكرٍ ﵁، آثَرَتْ به عائشةُ ﵂ أباها على نفسِها، وكذلك لما طُعِن عمرُ ﵁ أرسَل إليها يَستأذِنُ أن يُدفَن مع صاحِبِيه، فأذِنت له، وقال لهم ﵁: إذا حَمَلْتموني إلى مكانِ الحجرةِ، فاسْتَئذِنوا مرةً ثانيةً؛ لأني أخشَى أنها أَذِنت في حياتي؛ يَعْنِي: حياءً وإلا خجلًا منِّي، فإذا أذِنت فادْفِنوني، وإلا فرُدُّوني إلى البقيع.[1] اللهم ارضَ عنه.

۞ قولُها: «لا واللهِ لا أوثِرُهُمْ بأحدٍ أبدًا». المعنى أنها تَمْنَعُ أحدًا إذا استأذن أن يُدْفَن مع رسولِ اللهِ ﷺ وأبيها.

* ❊❊❊ *

ثم قال البخاريُّ ؒ:

٧٣٢٩- حَدَّثَنَا أَيُّوبُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي الْعَصْرَ فَيَأْتِي الْعَوَالِيَ وَالشَّمْسُ مُرْتَفِعَةٌ. وَزَادَ اللَّيْثُ عَنْ يُونُسَ، وَبُعْدُ الْعَوَالِي أَرْبَعَةُ أَمْيَالٍ أَوْ ثَلَاثَةٌ[2].

الشاهدُ قولُه: «فيأتي العَوَالِيَ». يَدُلُّ على أن الرسولَ ﵊ كان يَمْشِي على قدميه إلى ثلاثةِ أميالٍ أو أربعةٍ.

٧٣٣٠- حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ زُرَارَةَ، حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ مَالِكٍ، عَنِ الْجُعَيْدِ، سَمِعْتُ السَّائِبَ بْنَ يَزِيدَ، يَقُولُ: كَانَ الصَّاعُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مُدًّا وَثُلُثًا بِمُدِّكُمُ الْيَوْمَ، وَقَدْ زِيدَ فِيهِ. سمعَ القاسمُ بنُ مالكٍ الجُعيدَ.

٧٣٣١- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مِكْيَالِهِمْ، وَبَارِكْ لَهُمْ فِي صَاعِهِمْ وَمُدِّهِمْ» يَعْنِي: أَهْلَ الْمَدِينَةِ[2].

۞ قولُه: «بارِك لهم...» المرادُ: بارِك لهم فيما يُكَالُ مِن الثمارِ، لا في نفسِ المكيالِ، أو نفسِ المدِّ.

---

(١) رواه البخاري (٣٧٠٠) في قصة مقتل الفاروق عمر بن الخطاب ﵁.

(٢) رواه مسلم (١/ ٤٣٣) (٦٢١)(١٩٢) بغير: زيادة الليث عن يونس «وَبُعدُ العوالي أربعة أميال أو ثلاثة». وهذه الزيادة وصلها البيهقي في «السنن الكبير» (١/ ٤٤٠) من طريق أبي عبد الله محمد بن الفضل بن نظيف، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد، حدثنا أحمد بن زهير الحمراوي، حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث، حدثني الليث بني سعد به... وانظر: تغليق التعليق (٥/ ٣٢٤).

(٢) رواه مسلم (٢/ ٩٩٤) (١٣٦٨) (٤٦٥).

وفي هذا: دليلٌ على أن المكاييلَ تتغيَّرُ، يُزَادُ فيها، ويُنْقَصُ؛ ولهذا عدَل العلماءُ رَحِمَهُمُاللهُ عن تقديرِ الصاعِ بالحجمِ إلى تقديرِه بالوزنِ، فتجِدُهم إذا تكلَّموا على الصاعِ في بابِ الغسلِ، أو في بابِ الفطرةِ يتكلَّمُون عن تقديره وزنًا[1].

فإذا قال قائلٌ: هل الدعاءُ بالبركةِ الواردِ في الحديثِ عامٌّ لكلِّ ما في المدينةِ أم خاصٌّ؟

الجوابُ: ظاهرُ الحديثِ أنه فيما يُكَالُ فقط، لكن لا يَمْنَعُ أن اللهَ يُبارِكُ في الجميعِ، لكن ما يَشْمَلُه الدعاءُ هو الذي يُكَالُ فقط.

* ❁❁ *

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُاللهُ تَعَالَى:

٧٣٣٢- حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ، حَدَّثَنَا أَبُو ضَمْرَةَ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ الْيَهُودَ جَاءُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِرَجُلٍ وَامْرَأَةٍ زَنَيَا، فَأَمَرَ بِهِمَا فَرُجِمَا قَرِيبًا مِنْ حَيْثُ تُوضَعُ الْجَنَائِزُ عِنْدَ الْمَسْجِدِ[2].

الظاهرُ في هذا الحديثِ أنهما كانا مُحصنَيْنِ، وكان الرجمُ واجبًا في شريعةِ مُوسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لكن لما كثُر الزِّنا في أشرافِهم، ساءَهم أن يُرْجَمَ الأشرافُ، فأبدَلُوا هذه العقوبةَ بعقوبةٍ أُخْرى؛ وهي أن تُحَمَّمَ وجوهُهما؛ يعني: تُسَوَّدُ، وأن يَرْكَبا على عيرٍ؛ أي: على حمارٍ، ويَكُونُ وجهُ الرجلِ إلى دُبرِ الحمارِ، ويكُونُ وجهُ الأنثى إلى وجهِ الحمارةِ أو العكسِ، ويُطَافُ بهما في الأسواقِ. إظهارًا لما حصلَ منهما مِن الفاحشةِ، وكانوا يُنَفِّذُونَ ذلك مع قلقٍ[3].

فلما قدِمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ قالوا: ائتُوا هذا الرجلَ لعلَّه يَجِدُ لكم مخلصًا، ويَسْهلُ عليهم أن يُؤمِنوا بالرسولِ مِن وجهٍ، ويَكْفُروا به مِن وجهٍ آخرَ؛ يعني: لو قال لهم: الحدُّ كذا وكذا اتبعوه ولا يَهُمُّهم، ولكنَّ الرسولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أحالَهم على التوراةِ، فقالوا: لا نجِدُ الرجمَ في التوراةِ، فدعَا بها، فجاءُوا بالتوراةِ فجعلوا يَقْرأونها على رسولِ اللهِ ﷺ، فوضَعَ القارئُ يدَه على آيةِ الرجمِ، وكان عبدُ اللهِ بنُ سلامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حاضرًا، وهو عالمٌ مِن علماءِ اليهودِ يعْرِفُ التوراةَ، فقال للرجلِ: ارفَعْ يدَكَ؛ يعني: عن الآيةِ التي فيها الرجمُ، فرفَع يدَه، فإذا آيةُ الرجمِ تَلُوحُ فيها

---

(١) قال ابن مفلح رَحِمَهُاللهُ تَعَالَى في «الفروع» (٢/ ٣١٥): والوسق، الصاع كيلان لا صنجتان نقل إلى الوزن ليحفظ وينقل. وانظر: «المبدع» (٢/ ٣٤٣)، و«الإنصاف» (١/ ٢٨٥)، و«كشاف القناع» (١/ ١٥٥).

(٢) رواه مسلم (٣/ ١٣٢٦) (١٦٩٩) (٢٦) دون قوله: قريبًا من حيث توضع الجنائز عند المسجد.

(٢) انظر: ما رواه البخاري (٦٨٤١)، ومسلم (٣/ ١٣٢٧) (١٧٠٠) (٢٨).

واضحةٌ، فأمَر بهما الرسولُ عليه الصلاة والسلام فرُجِما. قال الرَّاوي: فرأيتُ الرجلَ يَحْنِي ظهرَه على المرأةِ يَقِيها مِن الحجارةِ[1]. وهذا يَدُلُّ على شدةِ تعلُّقِه بها فرَجَمهما النبيُّ ﷺ مِن حيثُ تُوضَعُ الجنائزُ عندَ المسجدِ.

وفي هذا: دليلٌ على أن مصلَّى الجنائزِ غيرُ المسجدِ، بل هو إلى جوارِ المسجدِ، وهو كذلك، لكنَّ هذا لا يَمْنَعُ أن يُصَلَّى على الجنازةِ في المسجدِ، فقد ثبَتَ أن النبيَّ ﷺ صلَّى على ابني بيضاءَ في المسجدِ[2].

وقد يُؤْخَذُ مِن هذا الحديثِ أنه تَنْبَغِي إقامةُ الحدودِ قربَ المساجدِ كما يُصْنَعُ اليومَ؛ لأن ذلك تحصلُ به إشاعةُ هذه الحدودِ.

* *** *

ثم قال البخاريُّ رحمه الله تعالى:

٧٣٣٣- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ عَمْرٍو مَوْلَى الْمُطَّلِبِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ طَلَعَ لَهُ أُحُدٌ، فَقَالَ: «هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ، اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ، وَإِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا». تَابَعَهُ سَهْلٌ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي أُحُدٍ[2].

قولُه: «أحدٌ». هو الجبلُ المحيطُ بالمدينةِ مِن ناحيةِ الشَّمالِ، وهو أكبرُ جبالِ المدينةِ، وقد حصَلَ عنده الواقعةُ المشهورةُ؛ ولهذا كان النبيُّ عليه الصلاة والسلام يُحِبُّ هذا الجبلَ، لما حصَلَ حولَه مِن هذه المعركةِ التي فيها مِن المصالحِ العظيمةِ، ماذكره اللهُ عز وجل في آياتِ آلِ عمرانَ، واستطْرَدَ لها الحافظُ ابنُ القيمِ رحمه الله في زاد المعادِ، وذكَر مِن الفوائدِ ما يَحْسُنُ لطالبِ العلمِ أن يُرَاجِعَها[4].

ولو كانتِ المسألةُ في غيرِ النبيِّ ﷺ، لكان الرجلُ المهزومُ عنده يَتَشاءمُ به، ويُبْغِضُه، ويَكْرَهُه، لكن النبيَّ عليه الصلاة والسلام قال: «إنه يُحِبُّنا ونُحِبُّه».

وفي هذا: دليلٌ على أن الجماداتِ لها شعورٌ؛ لأن الأصلَ فيما يُضَافُ إلى الفاعلِ أنه حقيقةٌ، فيكُونُ الجبلُ يُحِبُّ النبيَّ ﷺ، والرسولُ ﷺ يُحِبُّه، وعلى هذا فلا يَرِدُ إشكالٌ في قولِه تعالى: ﴿

---

(١) راجع الحاشيتين السابقتين.

(٢) رواه مسلم (٢/ ٦٦٨) (٩٧٣) (٩٩).

(٢) رواه مسلم (٢/ ٩٩٣) (١٣٦٥) (٤٦٢) وأما متابعة سهل فقد تقدم الكلام عليها في الزكاة، باب خرص التمر، (١٤٨١) وانظر: «الفتح» (٣/ ٣٤٣، ٣٤٤).

(٤) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ١٩٢-٢٤٢).

﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف:٧٧]. حيثُ أنكرَ بعضُ الناسِ الإرادةَ مِن الجدارِ، وقال: إن إرادةَ الجدارِ أن يَنْقَضَّ كنايةٌ عن مَيلِه للسقوطِ، وليس عن إرادةٍ حقيقيةٍ[1].

والصوابُ: أن الجدارَ له إرادةٌ حقيقيةٌ كما أخبرَ عنها علَّامُ الغيوبِ؛ الخالقُ الَّذي قال عن نفسِه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤]. وهذه الأرضُ يومَ القيامةِ تُحَدِّثُ أخبارَها، فتتكلَّمُ وتنْطِقُ: بأنه فُعِل عليها كذا وكذا، أو سمِعت كذا وكذا، فلها سمعٌ، ولها بصرٌ، ولها نطقٌ، ولا يَجُوزُ للإنسانِ أن يَتوقَّفَ في مدلولِ كتابِ اللهِ، وسنةِ رسولِه ﷺ، في أمرٍ يُحارُ فيه عقلُه، فالعقولُ لا تُدرِكُ هذه الأمورَ، لكنَّ خالقَ العقولِ، وخالقَ هذه الجماداتِ هو الذي أخْبَرنا بأن لها إرادةً، والنبيُّ ﷺ أخبَرنا بأن لها محبةً.

قولُه: «يُحِبُّنا». هل هذا الوصفُ يَنْطَبِقُ على كلِّ أمةِ الرسولِ ﷺ، أو خاصٌّ بالرسولِ ﷺ، وبِمَنْ كان معه؟

الجوابُ: الظاهرُ الثاني. أما نحنُ فنُحِبُّ أُحُدًا، ولا نَكْرَهُه، ولا نتَشاءمُ به، ومع ذلك لا نُعَظِّمُه بشيءٍ لم يُعَظِّمْهُ الرسولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ به.

وفي هذا الحديثِ: دليلٌ على أن النبيَّ ﷺ حرَّمَ ما بين لابتَيها؛ أي: ما بينَ الحَرَّتَيْنِ، ولكنَّ هذا التحريمَ كما سبَق، ليس كتحريمِ مكةَ، لا في القوةِ، ولا في الاتفاقِ عليه؛ فإن تحريمَ المدينةِ فيه خلافٌ، وتحريمُ مكةَ ثابتٌ بالإجماعِ[2].

* *** *

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٣٤- حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ، حَدَّثَنِي أَبُو حَازِمٍ، عَنْ سَهْلٍ، أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ جِدَارِ الْمَسْجِدِ مِمَّا يَلِي الْقِبْلَةَ وَبَيْنَ الْمِنْبَرِ مَمَرُّ الشَّاةِ[3].

هذا الحديثُ فيه بيانٌ: أن المنبرَ ليس لاصقًا بالجدارِ، بل متقدمًا عليه؛ ولهذا تَجِدُونَ العلماءَ يَتكلَّمونَ عن الصفِّ الأولِ في المسجدِ، هل هو الذي يَلِي الإمامَ، أو ما يَقْطَعُه المنبرُ[4]؟

---

(١) انظر: «الإحكام» للآمدي (١/ ٧٥)، و«المستصفى» (١/ ٨٤)، و«المحصول» (١/ ٤٦٢)، و«المعتمد» (١/ ٢٤). كذلك غالب من قال بوقوع المجاز في القرآن الكريم، تجده يتبنى هذا القول. والله أعلم.

(٢) انظر: «الاستذكار» لابن عبد البر (١٧٦٩١) (١٩١٩٨)، و«المجموع» للنووي (٧/ ٤٥١)، و«الإقناع في مسائل الإجماع» لابن القطان (١/ ٢٩٧) (١٦٨٧).

(٢) رواه مسلم (١/ ٣٦٤) (٥٠٩) (٢٦٣).

(٤) قال صاحب «المغني» (٢/ ١٠٢): الصف الأول الذي يقطعه المنبر، أو الذي يليه. والصحيح أنه الذي يقطعه =

دائمًا الإنسانُ يسألُ ما معنى قولُهم يَقطعُه المنبرُ؟ ولكن إذا عرفَ أن المنابرَ فيما سبَقَ كانت تُوضَعُ دونَ جدارِ القبلةِ، عرَف أن المنبرَ يَقْطَعُ الصفَّ الأولَ، لأنه يَحُولُ بينَ اتصالهِ المنبرُ، فيتَّضِحُ المعنى في قولِ العلماءِ هل هو ما يَلِي الإمامَ، أو ما يَقْطَعُه المنبرُ.

وفي هذا: دليلٌ على بساطةِ الأولينَ، وسهولةِ أمرِهم؛ لأنه لم يَقُلْ قدرَ شبرٍ، أو ذراعٍ، أو ذهبَ يذرَعُه بمِرْفقِه، بل قدَّره هذا التقديرَ، فقال: «ممرُّ الشاةِ». وممرُّ الشاةِ قد يكُونُ كبيرًا، وقد يكُونُ الشاةُ صغيرةً، وقد تكونُ تمرُّ بسهولةٍ، وقد تكُونُ تمرُّ بضيقٍ، ولكنَّ الناسَ فيما سبقَ ولا سيَّما في عصر الصحابةِ تجِدُ أن أمرَهم كلَّه سهلٌ وبسيطٌ، وأنهم بَعيدونَ عن التعمقِ أشدَّ البعدِ.

وأما نحن فشدَّدنا فشدَّد اللهُ علينا فصرنا الآنَ نقَدِّرُ حتى قدرَ المِلِّميتر، وعلى كل حالٍ فهذه الدقةُ العظيمةُ قد لا نحتَاجُ إليها في كلِّ شيءٍ، ففي بعضِ الأشياءِ ربما نَحتَاجُ إليها، وأما في كلِّ شيءٍ يَذهبُ الإنسانُ، ويتَعَمَّقُ هذا التعمقَ الشديدَ الذي يُتعِبُ نفسه، ويُتْعِبُ غيرَه فلا شك أن هذا خلاف ما كان يفعلُه الصحابةُ رضي الله عنهم.

* ❋❋❋ *

ثم قال البخاريُّ رحمه الله:

٧٣٣٥- حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ، عَنْ خُبَيْبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي»[1].

يُروَى هذا الحديثُ: «مابين قبري ومِنبري». لكنَّ هذا ليس بصحيحٍ[2]؛ لأن الرسولَ عليه الصلاة والسلام حين تكلَّمَ بهذا، لم يكن له قبرٌ، لكن كان له بيتٌ، واللفظُ المذكورُ «ما بين قبري» ليس في الصحيحينِ، ولا في

=

المنبر، لأنه هو الأول في الحقيقة، ولو كان الأول ما دونه لأفضى إلى خلو ما يلي الإمام، ولأن أصحاب النبي ﷺ كان يليه فضلاؤهم ولو كان الصف الأول وراء المنبر لوقفوا فيه اهـ. وانظر: «المبدع» (١/ ٤٢٧)، و«الإنصاف» (٢/ ٤١)، و«الفروع» (١/ ٣٥٨).

(١) رواه مسلم (٢/ ١٠١١) (١٣٩١) (٥٠٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٦٤) (١١٦١٠)، وأبو يعلى (١٣٤١)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤/ ٧٠)، والطبراني في «الكبير» (١٣١٥٦)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٧٣). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «القاعدة الجليلة ص٧٤: قوله: «في بيتي» هذا هو الثابت الصحيح، ولكن بعضهم رواه بالمعني فقال: قبري وهو ﷺ حين قال هذا لم يكن قد قبر ﷺ؛ لهذا لم يحتج بهذا الحديث أحد من الصحابة حيث تنازعوا في موضع دفنه، ولو كان هذا عندهم لكان هذا نصًا في محل النزاع.ا هـ.

أحدِهما، والصوابُ: «ما بين بيتي ومنبري روضةٌ مِن رياضِ الجنةِ».

ومعنى: «**الروضة مِن رياض الجنة**» أنه مِحلُّ غرسٍ، وزرعٍ للعملِ الصالحِ، فيُفِيدُ أنه يَنْبَغِي للإنسانِ أن يُكْثِرَ العملَ الصالحَ في هذا المكانِ؛ من صلاةٍ، أو ذكرٍ، أو قراءةٍ.

ولكن الصلاةُ في الروضةِ الآن قد يَكُونُ فيها مشقةٌ شديدةٌ؛ لشدةِ الزحامِ، حتى إنه لا يكادُ يطمَئِنُّ المصلي في صلاتِه، فهل الأولى الصلاةُ في الروضةِ، أو الأولى الصلاةُ في المسجدِ؟.

هذا يَنْبَنِي على قاعدةٍ سبَق ذكرُها، وهي أن مراعاةَ ما يَتعلّقُ بالعبادةِ أولَى من مراعاةِ ما يَتعلّقُ بالزمانِ أو المكانِ.

✿ قولُه: عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**ومنبري على حوضي**». الظاهرُ -واللهُ أعلمُ- أن معناه أن منبرَه يومَ القيامةِ يُوضَعُ على حوضِه، حتى يُشَاهِدَ أمتَه وهي تَرِدُ هذا الحوضَ، وتَشْرَبُ منه، حتى إنه يُذادُ أناسٌ ورَدوا الحوضَ، فيقُولُ: «**يا ربِّ أمتي أمتي**»[1].

ثم هل المرادُ المنبرُ عينًا، أم المنبرُ جنسًا؟

الجوابُ أن يُقالَ: إن كان المرادُ المنبرَ عينًا، فاللهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ، حتى لو تلِف المنبرُ الذي في عهدِ الرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فاللهُ تعالى قادرٌ على أن يُنشئَه يوم القيامةِ، كما يُنْشِئُ الأجسامَ إذا بَلِيت في الأرضِ.

وإن كان المرادُ المنبرَ جنسًا، فلا إشكالَ؛ أي: أنه يُوضَعُ له منبرٌ يومَ القيامةِ، يَكُونُ لائقًا بذلك اليوم.

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٧٣٣٦- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: سَابَقَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ الْخَيْلِ، فَأُرْسِلَتِ الَّتِي ضُمِّرَتْ مِنْهَا وَأَمَدُهَا إِلَى الْحَفْيَاءِ إِلَى ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ، وَالَّتِي لَمْ تُضَمَّرْ أَمَدُهَا ثَنِيَّةُ الْوَدَاعِ إِلَى مَسْجِدِ بَنِي زُرَيْقٍ، وَأَنَّ عَبْدَ اللهِ كَانَ فِيمَنْ سَابَقَ[2].

الشاهدُ هنا ذكرُ هذه الأمكنةِ: «الحفياءُ، ثنيَّةُ الوداعِ، مسجدُ بني زُريقٍ». وكلُّ هذا الآن بالنسبةِ لي غيرُ معروفٍ، لكن ربما لو أن أحدًا تتبَّعَ الآثارَ في المدينةِ، يُمكِنُ أن يَعرِفَ هذه الأماكنَ، والمسافاتِ التي بينها.

لكن يُؤخذُ منها مِن حيث الحكمُ، المسابقةُ بين الخيلِ، وأنه مِن السنةِ، ومثلُ ذلك المسابقةُ الآن في الدراجاتِ العسكريةِ، وكذلك في السفنِ العسكريةِ، وكذلك في الطائراتِ

---

(١) رواه البخاري (٧٠٤٨)، ومسلم ٤/ ١٧٩٤ (٢٢٩٣).

(٢) رواه مسلم (٣/ ١٤٩١)(١٨٧٠) (٩٥).

العسكريةِ، وكلُّ شيءٍ بحسبه.

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٧٣٣٧- حدَّثنا قتيبةُ، عن ليثٍ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ، ح. وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ، أَخْبَرَنَا عِيسَى، وَابْنُ إِدْرِيسَ، وَابْنُ أَبِي غَنِيَّةَ، عَنْ أَبِي حَيَّانَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ عَلَى مِنْبَرِ النَّبِيِّ ﷺ [١].

٧٣٣٨- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ، سَمِعَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ خَطَبَنَا عَلَى مِنْبَرِ النَّبِيِّ ﷺ.

٧٣٣٩- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الأَعْلَى، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ حَسَّانَ أَنَّ هِشَامَ بْنَ عُرْوَةَ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ يُوضَعُ لِي وَلِرَسُولِ اللهِ ﷺ هَذَا الْمِرْكَنُ، فَنَشْرَعُ فِيهِ جَمِيعًا [٢].

قولُ المصنفِ: «ح»؛ يعني: تحويلَ السندِ؛ أي: أنه رَحِمَهُ اللَّهُ تحوَّلَ من السندِ الأولِ إلى السندِ الثاني، وهو يُشْبِهُ ما يُعرفُ في الاصطلاحِ بالمتابعةِ؛ يعني: أن أهلَ السندِ الثاني تابَعُوا أهلَ السندِ الأولِ.

وفي نسخةٍ في الحديثِ الثاني خطيبًا على منبر النبيِّ ﷺ.

۞ وقولُها: «هذا المركنُ». أي: أن هذا من آثارِ الرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والمركنُ الذي كانت عائشةُ تُشِيرُ إليه، كان موجودًا بعدَ موتِهِ ﷺ.

۞ وقولُها: «يُوضَعُ لي» الظاهرُ أن الذي يَضَعُه لها، أو لهما الخادمُ، مثلُ بريرَةَ أو غيرِها.

۞ وقولُها: «نشرعُ فيه جميعًا». أي: نغتَسِلُ فيه جميعًا، أو نَعمَلُ فيه جميعًا، والمركَنُ نوعٌ من الأواني.

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٧٣٤٠- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا عَبَّادُ بْنُ عَبَّادٍ حَدَّثَنَا عَاصِمٌ الأَحْوَلُ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: حَالَفَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ الأَنْصَارِ وَقُرَيْشٍ فِي دَارِي الَّتِي بِالْمَدِينَةِ [٣].

٧٣٤١- وَقَنَتَ شَهْرًا يَدْعُو عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ [٤].

الشاهدُ قولُه: «في دَارِي التي بالمدينةِ»وهي من الآثارِ.

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٣٢٢) (٣٠٣٢) (٣٢).

(٢) رواه مسلم (١/ ٢٥٦) (٣٢١) (٤٣) أن عائشة قالت: كنت اغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحدٍ ونحن جنبان.

(٣) رواه مسلم (٤/ ١٩٦٠) (٢٥٢٩) (٢٠٥).

(٤) رواه مسلم (١/ ٤٦٩) (٦٧٧) (٣٠٤) بلفظ: قنت شهرًا يدعو على أحياءٍ من أحياءِ العربِ ثُمَّ تركَهُ.

۞ وقولُه: «قنت شهرًا يَدْعُوا على أحياءٍ من بني سُلَيم».

وهذا فيه دليلٌ: على تقييدِ القنوتِ بالشهرِ، لكنْ هل مَعني ذلك أنه قُيِّد بالشهرِ لزوالِ العلةِ، وإتيانِ هؤلاءِ القومِ مُسلمينَ، أو لئلَّا يَحْصُلَ المللُ والكسلُ؟

الجوابُ: على كلِّ حالٍ أُذَكِّرُكُم أنه قيِّد لنا القنوتُ للبوسنةِ والهرسكِ، وعلى أعدائِهم من الصِّربِ والكرواتِ شهرًا - من خمسةَ عشر ذي القعدةِ، إلى خمسةَ عشر ذي الحجةِ - وانتهي الشهرُ. لكن لا يَعنِي هذا أنه يَنتَهِي دُعاؤنا لهم؛ أي: للبوسنةِ والهِرْسِكِ، والدعاءُ على هؤلاءِ النَّصارىَ لعنةُ الله على النَّصارىَ جميعًا.

بَلْ ادْعُوا لهم في السجودِ، وبين الأذانِ والإقامةِ، وفي آخرِ الليلِ، وفي كلِّ مناسبةٍ؛ لأنهم في حاجةٍ إلى دعائكم لهم، فَهُمْ على وشكٍ أن يُبَادوا جميعًا، وتُدمَّرَ ديارُهم من تآمرِ النَّصارى عليهم من كلِّ صوبٍ.

فهي مؤامرةٌ ظاهرةٌ واضحةٌ جدًّا ولا تُشكَلُ على أيِّ واحدٍ أنها مؤامرةٌ، فنسأل اللهَ تَعَالَى أن يُدَمِّرَ كلَّ عدوٍّ للمسلمينَ، وأن يَجْعَلَ كيدَهم في نحورِهم، واللهُ المستعانُ.

أنا أوصيكم ونفسِي بالدعاءِ لهم والإلحاحِ، فالدعاءُ أعظمُ سلاحٍ؛ لأنه بكلِّ بساطةٍ أقولُ لكم: الذي يحمِلُ هؤلاءِ على غزوِ هؤلاءِ المسلمينَ هو ما وقَع في قلوبِهم من الإرادةِ وما أمَّلُوه من الانتصارِ، والإرادةُ بيدِ اللهِ عَجَلَّ، والانتصارُ أو فرحُ القلبِ بما حصَل من نصرٍ من اللهِ، واللهُ تعالى قادرٌ على أن يُلْقِيَ في قلوبِهم كراهةَ الحربِ، ويُلقِيَ في قلوبِهم الرعبَ، حتى يَنْخَذِلُوا أمامَ المسلمين، ويَلقُطُوهم لقطَ الجُعْلانِ، فاللهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

ولا تَظُنَّ أن المسألةَ القوةُ المادية فقط، بل هناك شيءٌ فوقَ القوةِ الماديةِ، فالقوةُ الماديةُ مسخَّرةٌ، والقوةُ الماديةُ تَخضَعُ لإرادةِ المحرّكِ لها، فإذا لم يَكُنْ في المحركِ إرادةٌ، لا تتحرَّكُ، وإذا كان في قلبِه الرعبُ يخَافُ حتى من ظلِّه، ولن يَتَحَرَّكَ.

فلهذا لا تيأسُوا من رحمةِ اللهِ، وأكْثِرُوا من الدعاءِ على أعداءِ المسلمينَ عمومًا، وعلى الكرواتِ والصِّربِ خصوصًا، وادْعُوا اللهَ بالنصرِ لكلِّ من جاهَد في سبيلِ اللهِ، وبالأخصِّ البوسنةِ والهرسكِ؛ لأنهم في حاجةٍ لنا نسألُ اللهَ أن يُفرِّجَ عنهم.

وفي قنوت النوازل، هل يَجُوزُ للإمامِ أن يَقولَ: اللهم اغفر لي ولوالدي. أم يدعو فقط للمسلمين، ويدعُوا على أعداءِ المسلمينِ؟

الجوابُ: أنه إذا قال: اللهَّم اغفر لي ولوالدي.وقال الناسُ: آمين. فهذا مشكلٌ فقد حَرَمَهم، وخصَّ

نفسَه؛ ولهذا جاء في الحديثِ: ما مِن إمامٍ يَدعو ليخُصَّ نفسَه بالدعاءِ إلا خان المَأْمُومِينَ[1].

ولا يُخصَّصُ هذا بدعائِه ﷺ لنفرٍ مخصوصينَ؛ لأن هذا هو الأصلُ، ولكن نَقُولُ: لعله بالتبعِ، ويَثْبُتُ تبعًا ما لا يَثْبُتُ استقلالًا.

ثم قال البخاريُّ رحمه الله تعالى:

٧٣٤٢- حَدَّثَنِي أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا بُرَيْدٌ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَلَقِيَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ، فَقَالَ لِي: انْطَلِقْ إِلَى الْمَنْزِلِ فَأَسْقِيَكَ فِي قَدَحٍ شَرِبَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُصَلِّي فِي مَسْجِدٍ صَلَّى فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ. فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَأَسْقَانِي سَوِيقًا، وَأَطْعَمَنِي تَمْرًا، وَصَلَّيْتُ فِي مَسْجِدِهِ.

في هذا الحديثِ أثرانِ مِن آثارِ النبيِّ ﷺ.

فالأثرُ الأولُ: القَدَحُ.

والأثرُ الثاني: المسجدُ.

وفي هذا: عرضُ الهديةِ على المُهدَى إليه، وهو لا يضُرُّ، ولا يُقالُ: إن هذا مِن البخلِ كما تَقُولُ العامَّةُ: مَن قال تَبْغِي ما أعطَى. فأحيانًا يَعْرِضُ الإنسانُ الهديةَ مِن بابِ التبيينِ والإيضاحِ، لا مِن بابِ المنِّ؛ لأنه لو كان لا يُرِيدُ العطاءَ لسكتَ، وما الذي يُدْرِيكَ أن عنده شيئًا يُرِيدُ أن يُهدِيَهُ.

فهذا القَدَحُ الذي عند عبدِ اللهِ بنِ سلامٍ، ما الذي يُدْرِي أبا بُردَةَ عنه، فلولا أنه يُرِيدُ أن يمنَحَه هذه الهديةَ، وهي أن يَشْرَبَ مِن القَدَحِ الذي شربَ منه النبيُّ ﷺ- ما عَرَضَه عليه.

وهل يُؤخذُ مِن هذا الحديثِ التبركُ بآثارِ النبيِّ ﷺ؟

الجوابُ: أنه ربما يُؤخذُ منه التبركُ بآثارِه، لكنه خاصٌّ به عليه الصلاة والسلام، فيجوزُ أن تتبرَّكَ بثيابه وبريقِه، وتتبرَّكَ أيضًا بآثارِه التي شرِبَ بها، أو لَبِسَها، ويَحْتَمِلُ أن يَكُونَ مِن شدةِ محبةِ الإنسانِ للرسولِ عليه الصلاة والسلام، يُحِبُّ أن يَشرَبَ بالإناءِ الذي شرِبَ منه. كما كان عليه الصلاة والسلام يَتتبَّعُ الإناءَ الذي شربتْ منهُ عائشةُ رضي الله عنها، ويَشرَبُ من محل فمِها، وكذلك يأخذُ العَظْمَ الذي تعرَّقَته، فيتعرَّقُه عليه الصلاة والسلام[2].

فهذه الأشياءُ قد يُرادُ بها التبركُ، وقد يُرادُ بها بيانُ كمالِ المحبةِ.

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٧)، وابن ماجه (٩٢٣)، وضعفه الشيخ الألباني كما في تعليقه على «السنن».

(٢) رواه مسلم ١/ ٢٤٥ (٣٠٠) (١٤).

قال ابنُ حجرٍ رحمه الله تعالى في «الفتحِ» (١٣/ ٣١١):

۞ قولُه: «فانطلقتُ معه، فأسْقاني سويقًا، وأطعمني تمرًا» قد مضى في مناقبِ عبدِ اللهِ بنِ سلامٍ، من طريقِ سعيدِ بن أبي بُردَةَ عن أبيه بلفظ: «ألا تَجِيءُ فأطْعِمُك سويقًا وتمرًا» فكأنه استعمَلَ الإطعامَ بالمعنى الأعمِّ، وليس هذا من قبيلِ:

علَفتها تبنًا وماءً.

لأنه إما من الاكتفاءِ، وإما من التضمينِ ولا يَحْتَاجُ لذلك هنا؛ لأن الطعامَ يُستعمَلُ في الأكلِ والشربِ، وقد بيَّن في الروايةِ الأخرى أنه أسقاه السويقَ.اهـ

لَو قال: أطعمنِي سويقًا ما فيه إشكالٌ، ولكنَّه قال: فأسقيَك في قدحٍ شربَ منه رسولُ اللهِ ﷺ، فانْطلَقْتُ معه فسَقَاني سويقًا، فالذي أشْكَل كيف يُقالُ: إنَّ السويقَ يُسْقَي، إلا أن المرادَ أن السقيا هنا بمعني الإطعامِ، وليس هذا بمستنكرٍ، لأن اللهَ قال: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾ [البقرة:٢٤٩]. أو نَقُولُ: إن السويقَ يُسْتَعمَلُ على وجهين: على وجهٍ رقيقٍ، وعلى وجهٍ غليظٍ. فالغليظُ يُطْعَمُ والرقيقُ يُسْقَى.

إنما الشاهدُ من هذا هو: أن هنا أثرين من آثارِ رسولِ اللهِ ﷺ: وهما هذا القدحُ، والمسجدُ. واللهُ أعلمُ.

قال ابنُ حجرٍ رحمه الله في «الفتحِ»(٤/ ١٠٠):

فأما الحديثُ الأولُ في المنبرِ فقوله: «ما بين بيتي ومنبري» كذا للأكثرِ، ووقَع في روايةِ ابنِ عساكرَ وحدَه قبري بدلَ «بيتي» وهو خطأٌ، فقد تقدَّم هذا الحديثُ في كتابِ الصلاةِ قُبيلَ الجنائزِ بهذا الإسنادِ بلفظِ: «بيتي» وكذلك هو في مسندِ مسددٍ شيخِ البخاريِّ فيه، نعم، وقعَ في حديثِ سعدِ بنِ أبي وقاصٍ عندَ البزار بسندٍ رجالهُ ثقاتٌ، وعندَ الطبراني من حديثِ ابنِ عمرَ بلفظِ القبرِ، فعلى هذا المرادُ بالبيتِ في قولِهِ: «بيتي» أحدُ بيوتِه لا كلِّها؛ وهو بيتُ عائشةَ الذي صار فيه قبرُه وقد ورد الحديثُ بلفظِ: «ما بين المنبرِ وبيتِ عائشةَ روضةٌ من رياضِ الجنةِ» أخرجه الطبرانيُّ في الأوسطِ.

قولُه: «روضةٌ مِن رياضِ الجنةِ» . أي: كروضةٍ مِن رياضِ الجنةِ في نزولِ الرحمةِ، وحصولِ السعادةِ بما يَحصُلُ مِن ملازمةِ حِلَقِ الذكرِ، لا سيَّما في عهدِه ﷺ فيكُونُ تشبيهًا بغيرِ أداةٍ، أو المعنى أن العبادةَ فيها تُؤَدِّي إلى الجنةِ فيكُونُ مجازًا، أو هو على ظاهرِه وأن المرادَ أنه روضةٌ حقيقةٌ، بأن يَنتقِل ذلك الموضعُ بعينِه في الآخرةِ إلى الجنةِ. هذا مُحصَّلُ ما أوَّله العلماءُ

في هذا الحديثِ، وهي على ترتيبها هذا في القوةِ.

✪ وأما قولُه: «ومنبري على حوضي» أي: يُنْقَلُ يومَ القيامةِ فيُنْصبُ على الحوضِ، وقال الأكثرُ: المرادُ منبرهُ بعينِه الذي قال هذه المقالةَ وهو فوقَه. وقيل: المرادُ المنبرُ الذي يوضعُ له يومَ القيامةِ، والأوَّلُ أظهرُ. ويؤيِّدُه حديثُ أبي سعيدٍ المتقدِّم، وقد رواه الطبرانيُّ في «الكبيرِ» مِن حديثِ أبي واقدٍ الليثيِّ رفعَه: «إن قوائمَ منبري رواتبُ في الجنةِ»، وقيل: معناه أنه قصدَ منبرَه، والحضورَ عنده لملازمةِ الأعمالِ الصالحةِ يوردُ صاحبَه إلى الحوضِ، ويقتضي شربَه منه، واللهُ أعلمُ.

ونقَلَ ابنُ زَبَالة: أن ذرعَ ما بينَ المنبر والبيتِ الذي فيه القبرُ الآنَ ثلاثٌ وخمسونَ ذِراعًا، وقيلَ: أربعٌ وخمسونَ وسدسٌ وقيلَ خمسونَ إلا ثُلُثي ذراع، وهو الآنَ كذلك، فكأنه نقص لما أدخلَ مِن الحجرة في الجدارِ، واستدلَّ به على أن المدينةَ أفضلُ مِن مكَّةَ؛ لأنه أثبتَ أن الأرضَ التي بينَ البيتِ والمنبرِ مِن الجنةِ، وقد قال في الحديثِ الآخرِ: «لقابُ قوسِ أحدكم في الجنةِ خيرٌ مِن الدنيا وما فيها». وتعقَّبه ابنُ حزم، بأن قولَه: إنها مِن الجنةِ مجازٌ، إذ لو كانت حقيقةً لكانت كما وصفَ اللهُ الجنةَ: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾[طه:١١٨]. وإنما المرادُ أن الصلاةَ فيها تؤدي إلى الجنةِ كما يُقالُ في اليومِ الطيبِ: هذا مِن أيامِ الجنةِ، وكما قال ﷺ: «الجنةُ تحتَ ظلالِ السيوفِ». قال: ثم لو ثبتَ أنه على الحقيقةِ لما كان الفضلُ إلا لتلك البقعةِ خاصةً.

فإن قيل: إن ما قَرُبَ منها أفضلُ مما بَعُدَ، لزمهم أن يقولوا: إن الجحفةَ أفضلُ مِن مكةَ، ولا قائلَ به.اهـ

صار فيها الآن قولانِ: هل المنبرُ بعينِه، أو بجنسِه؟.

الجوابُ: والأقربُ أنه بجنسِه، ولكنَّ كونَه بعينِه لا مانعَ منه، وإن كان الآن قد تلِفَ وزالَ، فاللهُ عَجَلَّ قادرٌ على أن يعيدَه.

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٣٤٣- حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ الرَّبِيعِ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، حَدَّثَنِي عِكْرِمَةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ عُمَرَ رضي الله عنه حَدَّثَهُ، قَالَ: حَدَّثَنِي النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: «أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتٍ مِنْ رَبِّي وَهُوَ بِالْعَقِيقِ أَنْ صَلِّ فِي هَذَا الْوَادِي الْمُبَارَكِ وَقُلْ: عُمْرَةٌ وَحَجَّةٌ».

وَقَالَ هَارُونُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ: حَدَّثَنَا عَلِيٌّ: «عُمْرَةٌ فِي حَجَّةٍ»[1].

---

(١) علقه البخاري بصيغة الجزم كما في «الفتح»(١٣/ ٣٠٥). ووصله ابن حجر في تغليق التعليق (٥/ ٣٢٥) بسنده إلى عبد بن حميد قال: حدثنا هارون بن إسماعيل ......به وانظر «الفتح»(١٣/ ٣١١).

في هذا الحديثِ اللفظانِ معناهما واحدٌ، والذي أتاه يُحتَمَلُ أنه جبريلُ، ويُحْتَملُ أنه غيرُ جبريلَ، ولكن المهمَّ أنه أرشدَ النبيَّ ﷺ إلى أن يقُولَ: عمرةٌ وحجةٌ، أو عمرةٌ في حجةٍ. وهل هذا قبلَ أن يَشْرَعَ في الإحرامِ أو بعدَه؟

الجوابُ: فظاهرُ حديثِ عائشةَ الذي في الصحيحينِ أنه بعدَه؛ لأنها تَقُولُ: أهلَّ رسولُ اللهِ ﷺ بالحجِّ، وذلك في موردِ التقسيمِ. عندما قالت: منا مَنْ أهلَّ بحجٍّ، ومنا مَنْ أهلَّ بعمرةٍ، ومنا مَنْ أهلَّ بحجٍّ وعمرةٍ، وأهلَّ رسولُ اللهِ ﷺ بالحج[1]. وهذا يَدُلُّ على أنه كان مفردًا أولًا، ثم أُمِرَ أن يكُونَ قارنًا، فيَكُونُ دليلًا لقولِ مَن قال: إنه يَجُوزُ إدخالُ العمرةِ على الحجِّ، ويَصيرُ به الإنسانُ قارنًا.

وقد سبَقَ في كتابِ المناسكِ: أن الحنابلةَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، يَقُولُونَ: لا يَجُوزُ إدخالُ العمرةِ على الحجِّ، وأنه لو أحرمَ مفرِدًا، ثم أدخَلَ العمرةَ عليه؛ أي: على الحجِّ، لم يصحَّ إحرامُه؛ لأنه لا يَصِحُّ إدخالُ الأصغرِ على الأكبرِ[2]، ولكن مَن قال بالأولِ، قال: هذا هو ظاهرُ الحديثِ أن النبيَّ ﷺ قال: «**دخلتِ العمرةُ في الحجِّ إلى يومِ القيامة**»[3].

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٧٣٤٤- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، وَقَّتَ النَّبِيُّ ﷺ قَرْنًا لأَهْلِ نَجْدٍ، وَالْجُحْفَةَ لأَهْلِ الشَّأْمِ، وَذَا الْحُلَيْفَةِ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ. قَالَ: سَمِعْتُ هَذَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَبَلَغَنِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَلأَهْلِ الْيَمَنِ يَلَمْلَمُ». وَذُكِرَ الْعِرَاقُ، فَقَالَ: لَمْ يَكُنْ عِرَاقٌ يَوْمَئِذٍ.

هذا الجوابُ مِن ابنِ عمرَ، يُريدُ بالعراقِ يومئذٍ البصرةَ والكوفةَ؛ لأنها ما كانت إلا في خلافةِ عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه، وإلا فإنها موجودةٌ مِن قبلُ، وليس يُريدُ أن العراقَ لم يُسلِموا فإن الشامَ أيضًا لم يُسلِمُوا، واليمنُ لم يُسْلِم، وكثيرٌ منهم، ولكن مرادَه أن العراقَ الذي مُصِّرَ، وكان أمصارًا - الكوفةَ والبصرةَ - لم يَكُنْ ذلك في عهدِ الرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

****

(١) رواه البخاري (١٥٦٢)، ومسلم (٢/ ٨٧٣)(١٢١١)(١١٨).

(٢) انظر: «الإنصاف» للمرداوي (٣/ ٤٣٨)، و«شرح العمدة» و«الكافي في الفقه الحنبلي» (١/ ٣٩٥)، (٢/ ٥٧١).

(٣) رواه مسلم (٢/ ٩١١)(١٢٤١)(٢٠٣).

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٧٣٤٥- حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْمُبَارَكِ، حَدَّثَنَا الْفُضَيْلُ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، حَدَّثَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ أُرِيَ وَهُوَ فِي مُعَرَّسِهِ بِذِي الْحُلَيْفَةِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّكَ بِبَطْحَاءَ مُبَارَكَةٍ[(١)].

الشاهدُ مِن هذا الحديثِ: أن هذا المكانَ وصِفَ بأنه مباركٌ.

ومعنى المباركةِ هنا: أنها مواقيتٌ للعبادةِ، فكان مباركًا بهذا الشيء، لأنه تُنْشَأُ منه العبادةُ، أو أن اللهَ قد باركَ فيما يَخْرُجُ منه مِن أشجارٍ، وزروعٍ، وغيرِها.

هذا هو الظاهرُ، فالأولُ: بركةٌ تتعلَّقُ بأمرِ الآخرةِ، والثاني: بركةٌ تتعلَّقُ بأمرِ الدنيا.

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

١٧- بابُ قولِ اللهِ تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[آل عمران:١٢٨].

٧٣٤٦- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ -وَرَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ-. قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ» فِي الأَخِيرَةِ. ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا». فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[آل عمران:١٢٨].

في هذا الحديثِ: الجمعُ بين اللهم، والواو في قولِه: «**ربَّنا ولك الحمدُ**». وبهذا تكمُلُ الوجوهُ الأربعةُ في هذه الجملةِ:

الوجهُ الأولُ: ربَّنا لكَ الحمدُ. بحذفِ اللهمَّ، وحذفِ الواوِ.

والوجهُ الثاني: ربَّنا ولك الحمدُ. بإثباتِ الواوِ، وحذفِ اللهمَّ.

والوجهُ الثالثُ: اللهمَّ لك الحمدُ. بحذفِ الواوِ وإثباتِ اللهمَّ.

والوجهُ الرابعُ: الجمعُ بينهما، اللهمَّ ربَّنا ولكَ الحمدُ.

ففيها أربعةُ أوجهٍ، ينبَغي للإنسانِ أن يَقُولَ هذا مرةً، وهذا مرةً؛ لأن الإتيانَ بالعباداتِ المتنوعةِ على وجوهِها يحصلُ به ثلاثُ فوائدَ:

الفائدةُ الأولى: حفظُ السُّنَّةِ، لأنك إذا لم تَعْمَلْ بها نسِيتَها.

والفائدةُ الثانيةُ: تمامُ الاتباعِ؛ لأنك لو اقتصرتَ على وجهٍ واحدٍ، لم يَكُنْ منك تمامُ الاتباعِ.

---

(١) رواه مسلم (٢/ ٩٨١) (١٣٤٦) (٤٣٣).

والفائدةُ الثالثةُ: قوةُ الاستحضارِ؛ لأن الإنسانَ إذا اعتادَ شيئًا صارَ يَقُولُه هكذا تلقائيًا. لكن إذا كان أحيانًا يَقُولُ هذا، وأحيانًا يَقُولُ هذا، صار ذلك أبلغَ في الاستحضارِ، فينْبَغِي لك في جميعِ العباداتِ الواردةِ على وجوهٍ متنوعةٍ أن تَأخُذَ بوجهٍ مرةً، وبوجهٍ آخرَ مرةً أخرى.

وكذلك في القراءاتِ في القرآنِ الكريمِ، فينبغِي للإنسانِ أن يَتعلَّمَها، وأن يَقْرأَ مرةً بهذا، و مرةً بهذا؛ لأن الكلَّ ثبتَ عن النبيِّ ﷺ.

فإذا قال قائلٌ: كيفَ يَقُولُ: إنه يَنْبَغِي معرفةُ القراءاتِ، والقراءةُ بها، مع قولِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضِي اللهُ عنه: «حدِّثوا الناسَ بما يَعْرِفُونَ»[1]؟

الجوابُ أن يُقالَ: إن القراءاتِ غيرَ الموجودةِ في المصحفِ لا يقْرَأُ بها عندَ العامةِ، لكن فيما بينكَ وبينَ نفسكِ، وفي صلاتِك غيرِ التي تكُونُ فيها إمامًا يصحُّ أن تقرأَ بها، أما عند العامةِ فلا تَقرَأ؛ لأنك إذا قرأتَ سوف يَحصلُ إحدى مفسدتينِ:

إما أن يَقُولوا: هذا رجلٌ لا يعرِفُ قراءةَ القرآنِ، ولا نُريدُ أن يَكُونَ إمامًا لنا.

وإما أن يَتشكَّكُوا في القرآنِ، كيف القرآنُ يُتلاعَبُ به مرةً كذا ومرةً كذا.

وفي هذا الحديثِ: دليلٌ على القنوتِ بعدَ الركوعِ، وأنه في الركعةِ الأخيرةِ.

وفيه: دليلٌ على جوازِ لعنِ الشخصِ المعيَّنِ، ولكن هذا فيه نظرٌ، والصوابُ المنعُ لأنَّ الرسولَ ﷺ دعا أولًا، ثم نُهيَ عن ذلك وقيلَ له: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[آل عمران:١٢٨]. فالأمرُ ليس إليكَ، بل إلى اللهِ وحدَه؛ ولهذا قال: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾. فلعنُ المعيَّنِ لا يجوزُ إذا كان حيًّا؛ لأن اللهَ تعالى قد يَتُوبُ عليه فيهتَدِي.

لكن إذا كان ميتًا، هل يُلعنُ؟

الجوابُ: قد يُقالُ: لا يُلْعَنُ أيضًا؛ لأن النبيَّ ﷺ قال: «لا تَسُبُّوا الأمواتَ فتُؤذُوا الأحياءَ»[2]. وفي لفظٍ: «فإنهم أفْضَوا إلى ما قدَّموا»[3].

أما لعنُ العمومِ فهذا جائزٌ، مثلُ أن تَقُولَ: اللهمَّ العنِ الكافرينَ، اللهمَّ العنِ اليهودَ، اللهمَّ العنِ النَّصارى، فقد قال النبيُّ ﷺ: «لعنةُ اللهِ على اليهودِ والنَّصارى، اتَّخذوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ»[4].

---

(١) رواه البخاري (١٢٧).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٢٥٢)(١٨٢٠٩)، والترمذي (١٩٨٢)، وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

(٣) رواه البخاري (١٣٩٣).

(٤) رواه البخاري (١٣٩٠)، ومسلم (١/ ٣٧٦)(٥٢٩) (١٩).

وفي هذا: دليلٌ على أن الرسولَ عليه الصلاة والسلام قد يَجْتَهِدُ، فإن أقرَّه اللهُ على ذلك، فاجتهادُه صحيحٌ، وإن لم يقرَّهُ، فإنه يَكُونُ مِن الاجتهادِ المغفورِ؛ الذي يَكُونُ له فيه أجرٌ واحدٌ.

ثم قال البخاريُّ رحمه الله تعالى:

١٨- بابُ قولِه تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[الكهف:٥٤]. وقولِه تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[العنكبوت:٤٦].

المجادلَةُ: المناظرةُ والمخاصمةُ؛ وسمِّيت بذلك؛ لأن كلَّ واحدٍ منهما يَجْدَلُ رأيَه؛ أي: يفتلَه؛ كما يَفْتِلُ الحبلَ؛ ليقوِّيه حتى يَرُدَّ به على صاحبِه.

۞ وقولُه تعالى: ﴿أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾. وهو الإنسانُ؛ ولهذا يُجادِلُ أحيانًا بالحقِّ، وأحيانًا بالباطلِ، وأحيانًا باللغوِ، فالجدالُ إما أن يَكُونَ ليُنصِفَ الحقَّ، ويَخْذُلَ الباطلَ، أو بالعكسِ أو يكونَ لغوًا كأن يَتَجادَلَ اثنانِ في أمرٍ ليس بحقٍّ ولا باطلٍ، بل هو مِنَ اللغوِ فيَحْصُلُ الجدالُ بينهما.

والذي يَنْبَغِي للإنسانِ تركُ الجِدالِ، ما لم يَتَعَيَّنْ عليه لإثباتِ حقٍّ أو إبطالِ باطلٍ، وإلا فتركُ الجدالِ أوْلى، وأسلمُ، وأبعدُ عن تحمي النفوسِ بعضِها على بعضٍ كما هو مشاهدٌ.

لكنَّ بعضَ الناسِ يُجَادِلُ في أمرٍ لا يَترتَّبُ عليه إثباتُ حقٍّ، وإبطالُ باطلٍ، لكن مِن أجلِ أن يُثْبِتَ رأيَه، مع أنه ليس في أمرٍ دينيٍّ، ولا أمرٍ دنيويٍّ نافعٍ، وهذا خطأٌ؛ لأن الجدلَ لابدَّ أن يَترُكَ في النفوسِ شيئًا، لا سيَّما إذا لم يكن ذلك للهِ.

أما إذا كان الجدلُ للهِ، فاعلَم أنك إذا جادلتَ صاحبكَ للهِ، مِن أجلِ إثباتِ الحقِّ. وإبطالِ الباطلِ، فإنه وإن كان في نفسِه عليكَ شيءٌ حين المجادلةِ، فإن اللهَ تعالى سوفَ يَمحُوه؛ لأن هذا داخلٌ في عمومِ قولِه ﷺ: «مَنِ التمسَ رضَا اللهِ بسخطِ الناسِ كفَاه اللهُ مئونةَ الناسِ»[1].

۞ وقولُه ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[العنكبوت:٤٦]. إذا جاء ذكرُ أهلِ الكتابِ في القرآنِ؛ فهمُ اليهودُ والنصارى، كما قال تعالى: ﴿أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾[الأنعام:١٥٦]. وهما اليهودُ والنصارى، فاليهودُ كتابُهم التوراةُ، وهي أصلُ الإنجيلِ، والنصارى كتابُهم الإنجيلُ، والإنجيلُ أصلٌ ومرجعٌ لكلِّ الكتبِ التي جاءت بعدَه.

۞ وقولُه: ﴿إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[العنكبوت:٤٦]. أي: إلا بالمجادلةِ التي هي أحسنُ، «فالتي». هنا وصفٌ لموصوفٍ محذوفٍ، وتقديرُه المجادلةُ، وبأي شيءٍ هي أحسنُ.

---

(١) تقدم تخريجه.

ولكن هل هي بالإقناعِ، أو بالفصاحةِ، أوبصفةِ الكلامِ، وهل يَكُونُ نهْرًا، أو يكونُ لينًا أو ما أشبهَ ذلك؟

الجوابُ: نَقُولُ: يَشْمَلُ كلَّ هذا قولُه: ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. فمِن حيثُ الإقناعُ بالأدلةِ السمعيةِ، والعقليةِ، والحسيةِ، ومن حيثُ صيغةِ الكلامِ وقوتِه، ومِن حيثُ صفةُ الكلامِ بالقوةِ والانفعالِ، أو باللطفِ واللينِ، على حسبِ ما تَقْتَضِيه المصلحةُ، بالتي هي أحسنُ، وقد يكُونُ مِن المجادلةِ بالتي هي أحسنُ تركُ المجادلةِ.

لكن في آخرِ الآيةِ قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾[العنكبوت:٤٦]. فهؤلاء لا نُجادِلُهم بالتي هي أحسنُ. وإنما نجادلُهم بما يقتَضِيه ظلمُهم، بحيثُ نَمنَعُهم مِن الظلمِ ولو أدَّى ذلك إلى المقاتلةِ والمجالدةِ.

أما غيرُ أهلِ الكتابِ، فقد قال اللهُ تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[النحل:١٢٥]. ولم يَسْتَثنِ؛ وذلك لأن عنادَ أهلِ الكتابِ ليس كعنادِ غيرِهم، لأن معهم مِن الحقِّ ما يُلْزِمُهم بقبول الحقِّ الذي جاءَ به الرسولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾[البقرة:١٤٦].

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٧٣٤٧- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، ح حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ، أَخْبَرَنَا عَتَّابُ بْنُ بَشِيرٍ، عَنْ إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ، أَنَّ حُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ، أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ -عَلَيْهَا السَّلَامُ- بِنْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ لَهُمْ: «أَلَا تُصَلُّونَ». فَقَالَ عَلِيٌّ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّمَا أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللهِ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا، فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ قَالَ لَهُ ذَلِكَ، وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعَهُ وَهْوَ مُدْبِرٌ يَضْرِبُ فَخِذَهُ وَهْوَ يَقُولُ: ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[الكهف:٥٤].[1]

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: يُقَالُ: مَا أَتَاكَ لَيْلًا فَهُوَ طَارِقٌ. وَيُقَالُ: الطَّارِقُ النَّجْمُ، وَالثَّاقِبُ الْمُضِيءُ، يُقَالُ: أَثْقِبْ نَارَكَ لِلْمُوقِدِ.

هذا الحديثُ فيه فوائدُ:

منها اعتناءُ الرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بأهلِ بيتِه؛ لأن الظاهرَ أن طرقَه إياهم في الليل، ليتفقَّدَهم، ويَنْظُرَ ماذا يَعْمَلُونَ، ولهذا قال لهم: «أَلَا تُصَلُّونَ». وهذا عرضٌ لطيفٌ، فلم يَقُلْ: لماذا لم

(١) رواه مسلم (١/ ٥٣٧) (٧٧٥) (٢٠٦).

تُصلوا؟ والعرضُ فيه لطافةٌ في الأسلوبِ والترغيب.

وفيه مِن الفوائدِ: أن الإنسانَ له أن يُقَدِّمَ العذرَ إلى مَن هو أكبرُ منه لأن قولَ عليٍّ رضي الله عنه: إنما أنفسُنا بيدِ اللهِ. لا يُريدُ بذلك الردَّ على الرسولِ عليه الصلاة والسلام، أو تبكيتَ الرسولِ عليه الصلاة والسلام، لأن الرسولَ يَعْلَمُ أن أنفسَهم بيدِ اللهِ عز وجل، لكن يُريدُ الاعتذارَ، وأن هذا شيءٌ ليس مِن فعلِنا؛ لأن النائمَ لا يُنْسَبُ إليه فعل، ألا ترى إلى قولِه تعالى في أصحابِ الكهفِ: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾[الكهف:١٨]. لم يَقُلْ: «يتقلبون». لأن النائمَ لا يُنْسَبُ إليه قولٌ ولا فعلٌ.

فلهذا اعتذرَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه بالنوم، وأن أنفسَهم بيدِ اللهِ عز وجل، فإذا شاءَ أن يَبعَثَها بعَثَها، والنبيُّ عليه الصلاة والسلام أعلمُ مِن عليِّ بنِ أبي طالبٍ بذلك، لكنَّه يُريدُ أن يُقدِّمَ العذرَ.

واحتجَ بهذا الحديثِ الجبريةُ على تركِ الواجبِ، وإن شِئتَ فقُل: على تركِ المأمورِ، ثم على فعلِ المحظورِ. وقالوا: إن عليَّ بنَ أبي طالبٍ احتجَ بالقدرِ على تركِ الصلاةِ في الليلِ، لأن النومَ بيدِ اللهِ عز وجل فكم مِن إنسانٍ يَنامُ في فراشِه، ويَضْطَجعُ يُريدُ النومَ، ولا يَأْتيه، وكم مِن إنسانٍ يَغلِبُه النومُ وهو جالسٌ حتى يَضْطجِعَ، وهو لا يَدْري عن نفسِه شيئًا.

ولا شك أن هذا الحديثَ مِن المتشابه؛ لأن النصوصَ الشرعيةَ مِن كتابِ اللهِ، أو سنةِ رسولِه ﷺ فيها نصوصٌ متشابهةٌ؛ يعني: قد يكُونُ فيها شُبْهَةٌ لمن يَحْتَجُّ بها على الباطلِ، وهذا مِن حكمةِ اللهِ عز وجل حتى يَبْلُوَ العبدَ، أهو مِن الراسخينَ في العلمِ، أم هو مِن الزائغينَ -والعياذُ باللهِ-.

فالذين يَتَّبِعُونَ المتشابهَ مما في كتابِ اللهِ، وسنةِ رسولِه ﷺ هم أهلُ الزيغِ، وهم الذين سمَّى اللهُ فاحذرُوهم كما صحَّ عن النبيِّ ﷺ[١].

والواجبُ على المؤمنِ إذا جاءتِ النصوصُ متشابهةً، أن يَحْمِلَها على النصوصِ المحكمةِ، والنصوصُ المحكمةُ تدُلُّ على أنه لَا حجةَ بالقدرِ على الشرعِ؛ لأن الشرعَ يردُ على إنسانٍ مختارٍ لا حجةَ له، ولهذا لو أكرِه الإنسانُ على مخالفةِ الشرعِ، ففعلَ للإكراهِ لم يَكُنْ مخالفًا، أما إذا وقَعَ باختيارِه فهو مخالفٌ.

فالنصُّ المحكمُ يَدُلُّ على أنه لا حجةَ بالقدرِ على الشرعِ، قال اللهُ عز وجل: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا﴾[الأنعام:١٤٨]. وهذا يَدُلُّ على أنه لا حجةَ لهم في ذلك؛ إذ لو كان لهم حجةٌ في ذلك ما ذاقوا بأسَ اللهِ،

(١) رواه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٤/ ٢٠٥٣)(٢٦٦٥) (١).

ولكانوا معذورينَ بما احتجوا به، وحينئذٍ نَقولُ: هذا لا يُرادُ به الاحتجاجُ بالقدرِ.

إذًا فما هو الجمعُ؟

جمَعَ ابنُ القيمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين هذا الحديثِ المتشابهِ، وبين النُّصوصِ المحكمةِ، بأن الاحتجاجَ بالقدرِ على أمرٍ قد فرَط مِن الإنسانِ، ولا يُمكِنه تَلافيه فيقُولُ ذلك معتذرًا، لا معاندًا، ويُعذرُ بهذا الاحتجاج أما مَنْ قال ذلك محتجًّا بالقدرِ على عنادِه، وإصرارِه، ورفعِ اللومِ عنه فهذا ملومٌ؛ لأن الذي وقَعَ مِن المشركينَ مِن هذا النوعِ الأوّل، ذكروا ذلك احتجاجًا على معاصيهم وعنادهم لا اعتذارًا منهم، وعليٌّ بنُ أبي طالبٍ ذَكَره اعتذارًا، ففرْقٌ بين هذا وهذا[1].

ولهذا لو أن الإنسانَ فرَط منه معصيةٌ، كأن يَشْرَبَ الخمرَ مثلًا، ثم ندِم وتَابَ، فلما عوتِب على ذلك قال: واللهِ هذا شيءٌ قضاه اللهُ عليَّ وقدَّره، ولكنِ الحمدُ للهِ الذي عَصَمَني منه، وتبتُ إلى اللهِ منه. فهذا لا نَلُومُه؛ لأن الرجلَ لا يُريدُ أن يَحْتَجَّ بالقدرِ على أن يَسْتَمِرَّ في شربِ الخمرِ، بل يحتجَّ بالقدرِ اعتذارًا، لا إصرارًا ودفعًا للوم.

أما المشركونَ فقد احتجُّوا بالقدرِ على الشركِ دفعًا للوّمِ عنهم، وإنكارًا لعقوبتِهم؛ أي: كيف تُعاقِبوننا وهذا ليس باختيارِنا؟!

ولهذا احتجَّ اللهُ بالقدرِ على شركِ المشركينَ في آيةٍ آخرى، فقد قال اللهُ تبارك وتعالى مسليًّا رسولَه ﷺ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾[الأنعام:١٠٧]. فسلَّاه اللهُ ﷻ بكونِ الشركِ الذي وقَع منهم، وخالَفوا به الرسولَ كان بمشيئةِ اللهِ؛ ليَهُونَ الأمرَ على رسولِ اللهِ ﷺ فيرْضَى بقضاءِ اللهِ وقدرِه.

ومثلُ هذه النصوصِ المتشابهةِ من الكتابِ والسنةِ سواءٌ من الكتابِ بعضِه مع بعضٍ، أومن السنةِ بعضِها ببعضٍ، أو من القرآنِ والسنةِ مع بعضِها، فإن الواجبَ على الإنسانِ أن يَرُدَّ المتشابه إلى المحكم، حتى يَكُونَ الكلُّ محكمًا.

ومن **فوائدِ هذا الحديثِ**: الاستدلالُ بالآيةِ على الواقعِ؛ لقولِه تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف:٥٤]. وكذلك وقَع من الرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حين جاءَه الحسنُ والحسينُ وعليهما ثوبانِ يَعثُرانِ بهما، فنزَل وأخذهما وقال: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[التغابن:١٥][2].

---

(١) انظر: «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» (ص٤٤-٤٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده(٥٥/ ٣٥٤)(٢٢٩٩٥)، والترمذي (٣٧٧٤)، وأبو داود(١١٠٩)، وابن ماجه =

يوجد شيء من المتشابه أيضًا: وهو كون الرسول عليه الصلاة والسلام يضرب فَخِذَه، فهل يُقال: إن هذا كضرب المصاب على خدِّه وعلى رأسه، أم ماذا؟

قال ابنُ حجرٍ رحمه الله تعالى في «الفتح»(١٣/ ٣١٤، ٣١٥):

ويؤخذ منه: أن عليًّا ترك فعلَ الأوْلَى خلفه، ولو كان امتثَل وقام لكان أوْلى.

ويُؤْخَذُ منه: الإشارةُ إلى مراتبِ الجدالِ فإذا كان فيما لابُدَّ له منه تعيَّن نصرُ الحقِّ بالحقِّ، فإن جَاوز الذي يُنْكِرُ عليه المأمورَ نُسِبَ إلى التقصيرِ، وإن كان في مباحٍ اكتفى فيه بمجردِ الأمرِ والإشارةِ إلى تركِ الأوْلى.

وفيه أن الإنسانَ طُبِعَ على الدفاع عن نفسهِ بالقولِ والفعلِ، وأنه يَنْبَغِي له أن يُجَاهِدَ نفسَه وأن يَقْبَلَ النصيحةَ ولو كانت في غيرِ واجبٍ، وألَّا يَدْفَعَ إلا بطريقٍ معتدلةٍ وأنَّها من غيرِ إفراطٍ ولا تفريطٍ.

ونقَل ابنُ بطالٍ عن المهلبِ ما ملخصُه: أن عليًّا لم يَكُنْ له أن يَدْفَعَ ما دعَاه النبيُّ ﷺ إليه من الصلاةِ بقولِه ذلك، بل كان عليه الاعتصامُ بقولِه، فلا حجةَ لأحدٍ في تركِ المأمورِ اهـ.

ومن أين له أن عليًّا لم يَمْتَثِلْ ما دعَاه إليه فليس في القصةِ تصريحٌ بذلك، وإنما أَجَاب عليٌّ بما ذكَر اعتذارًا عن تركِه القيامَ بغلبةِ النومِ، ولا يَمْتَنِعُ أنه صلَّى عقِبَ هذه المراجعةِ، إذ ليس في الخبر ما يَنْفِيه.

وقال الكِرمانيُّ: حرَّضَهم النبيُّ ﷺ باعتبارِ الكسبِ والقدرةِ الكاسبةِ، وأجاب عليٌّ باعتبارِ القضاءِ والقدرِ.

قال: وضَرَب النبيُّ ﷺ فخِذَه تعجبًا من سرعةِ جوابِ عليٍّ، ويَحْتَمِلُ أن يَكُونَ تسليمًا لما قال: وقال الشيخُ أبو محمد بنُ أبي جمرة: وفي هذا الحديثِ من الفوائدِ مشروعيةُ التذكيرِ للغافلِ خصوصًا القريبَ والصاحبَ؛ لأن الغفلةَ من طبعِ البشرِ، فيَنْبَغِي للمرءِ أن يَتَفَقَّدَ نفسَه ومَن يُحِبُّه بتذكيرِ الخيرِ والعونِ عليه.

وفيه أن الاعتراضَ بأثرِ الحكمةِ لا يُنَاسِبُه الجوابُ بأثرِ القدرةِ، وأن للعالمِ إذا تكلَّم بمقتَضَى الحكمةِ في أمرِ غيرِ واجبٍ، أن يَكْتَفِيَ من الذي كلَّمه في احتجاجِه بالقدرةِ، يُؤْخَذُ الأولُ من ضربه ﷺ على فخذِه، والثاني من عدمِ إنكارِه بالقولِ صريحًا. قال: وإنما لم يُشَافِهْهُ بقولِه تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[الكهف:٥٤]. لعلمِه أن عليًّا لا يَجْهَلُ أن الجوابَ بالقدرةِ ليس من الحِكْمَةِ، بل يُحْتَمَلُ أن لهما عذرًا

=

(٣٦٠٠)، وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

يَمْنَعُهما مِن الصلاةِ، فاسْتحيا عليٌّ من ذكرِه فأراد دفعَ الخجلِ عن نفسِه، وعن أهلِه فاحتجَّ بالقدرةِ، ويُؤَيِّدُه رجوعُه ﷺ عنهم مسرعًا. قال: ويُحْتَمَلُ أن يَكُونَ عليٌّ أراد بما قال استدعاءَ جوابٍ يَزدادُ به فائدةً [أي مِن الرسولِ ﷺ][1].

وفيه جوازُ محادثةِ الشخصِ نفسَه فيما يتعَلَّق بغيرِه، وجوازُ ضربِه بعضَ أعضائِه عند التعجبِ، وكذا الأسفُ. اهـ

الظاهرُ: أن الحديثَ يُحْمَلُ على أن الرسولَ ﷺ فعَل ذلك تعجبًا مِن كونِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ يَحْتَجُّ بأمرٍ كان الرسولُ عليه الصلاة والسلام يَعْلَمُه، فهو يَعْلَمُ أن نَفْسَه بيدِ اللهِ، فيَتَعَجَّبُ كيفَ احتجَّ بهذا الشيءِ المعلومِ، وهو ليس له فيه حجةٌ؟!

ثم قال البخاريُّ رحمه الله تعالى:

٧٣٤٨- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ، خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «انْطَلِقُوا إِلَى يَهُودَ». فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى جِئْنَا بَيْتَ الْمِدْرَاسِ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَنَادَاهُمْ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ يَهُودَ أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا». فَقَالُوا: بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ. قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ذَلِكَ أُرِيدُ أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا». فَقَالُوا: قَدْ بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ذَلِكَ أُرِيدُ». ثُمَّ قَالَهَا الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: «اعْلَمُوا أَنَّمَا الأَرْضُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُجْلِيَكُمْ مِنْ هَذِهِ الأَرْضِ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ بِمَالِهِ شَيْئًا فَلْيَبِعْهُ، وَإِلَّا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا الأَرْضُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ»[2].

❁ قولُه: «المِدْرَاسُ»: يَعْنِي: البيتَ الذي يَدْرِسُونَ فيه، أو بيتَ المدراسِ، أي البيتَ الذي يَدْرُسُهم، فهو ليس علمًا لشخصٍ، بل هو مِن الدراسةِ.

❁ قولُه: «أَسْلِمُوا تَسْلَموا». أي تَسْلَمُوا في الدنيا والآخرةِ.

أما في الدُّنْيَا: فتَسْلَمُونَ مما أشار إليه النبيُّ ﷺ.

وأما في الآخرةِ: فيَسْلَمُونَ مِن النارِ، وهذا كقولِه عليه الصلاة والسلام حين كتبَ إلى هِرَقْلَ: «أَسْلِم تَسْلَم»[3].

❁ وقولُهم: «بلَّغتَ يا أبا القاسم». نَقُولُ فيه: ما أشبَهَ الليلةَ بالبارحةِ. فاليومَ تَمُرُّ ببعضِ الناسِ، فتَقُولُ: يا فلانُ صلِّ. فيَقُولُ: آمِرٌ بخيرٍ. وهو في مكانِه لا يَتَحَرَّكُ مثلُ قولِ اليهودِ:

---

(١) ما بين معقوفين من كلام الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى.

(٢) رواه مسلم (٣/ ١٣٨٧) (١٧٦٥) (٦١).

(٣) رواه البخاري (٧).

بلَّغْتَ. وهو يَعْنِي أنه لن يَمْتَثِل؛ ولهذا أعادَها النبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ثلاثًا، ولكنهم يُجادِلُونَ وَيقُولُونَ: بلَّغْتَ.

فتَهدَّدهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَجادَلَهم بالقوةِ؛ لأن اللهَ قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾[العنكبوت:٤٦]. وهؤلاءِ ظَلَمُوا. وقال: «إِنِّي أُرِيد أن أُجَلِّيَكُم مِن هذه الأرضِ، فَمَن وجَدَ منكم بمالِه شيئًا فَلْيَبِعْهُ، وإلَّا فاعْلَمُوا أنما الأَرْضُ للهِ ورسولِه».

وهكذا تَنْبَغِي القوةُ مع أعداءِ اللهِ إذا عانَدُوا، لكن بشرطِ أن يَكُونَ عند القوي قدرةٌ يَسْتَطِيعُ بها أن يُنَفِّذَ قولَه، أما إذا لم يَكُنْ له قوةٌ، فإن قولَه يَكُونُ أُضحوكةً.

ومِن القوةِ: القوةُ المعنويةُ بالإيمانِ، والعملِ الصالحِ، أَرَأَيتَ لو جَاءَ طفلٌ صغيرٌ له أربعُ سنواتٍ، وأَخَذ يُهَدِّدُ شابًّا مملوءًا شَبَابًا ويَقُولُ: واللهِ لئن خَالَفْتَنِي لَأَفْعَلَنَّ بك كذا وكذا. فهذا لا شكَّ غير حكمة.

فالتَهديدُ بالقوةِ يَنْبَغِي أن يَكُونَ لمن عنده قدرةٌ على تنفيذِ تهديدِه، وإلَّا صار ضحكةً.

وفي هذا: دليلٌ على أن رسولَ اللهِ ﷺ مع لينِه ورحمتِه قويٌّ على أعداءِ اللهِ، شديدٌ عليهم، كما وصَفه اللهُ وأصحابَه، بقولِه: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[الفتح:٢٩].

فإذا قال قائلٌ: إذا دَعَوتَ أحدًا مِن غيرِ المسلمينَ فقال: إنكم تَقُولُونَ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون:٦]. فلماذا تَدْعُونَنا؟! فماذا نَقُولُ لهم؟

الجوابُ أن يُقَال: هذا مِن جهةِ البراءةِ، فلهم دينُهم ولنا ديننا، ولا يُمْكِنُ أن يَكُونَ بَيْنَنا وبينهم اتفاقٌ في الدينِ، لكن مِن جهةِ ما يَجِبُ علينا مِن دعوتِهم وقتالِهم إذا لم يَمْتَثِلُوا ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾، فهذا شيءٌ آخرُ.

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

١٩- بابُ قولِه تعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[البقرة:١٤٣]. وما أَمَر النبيُّ ﷺ بلزومِ الجماعةِ وهم أهلُ العلمِ.

قولُ اللهِ تعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[البقرة:١٤٣]. قال العلماءُ[1]: الوسطُ: العدلُ الخيارُ، وسطًا؛ أي: عدلًا خيارًا، فهذه الأمةُ -وللهِ الحَمْدُ- هي صاحبةُ العدلِ، وهي التي اختارها اللهُ عَزَّوَجَلَّ لتكُونَ شاهدةً على الناسِ.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري»(٢/ ٨)، والقرطبي (٢/ ١٥٣)، وابن كثير (١/ ١٩٢)، و«فتح القدير»(١/ ١٥٠).

قال: وما أمرَ النبيُّ ﷺ بلزومِ الجماعةِ. أي: جماعةِ المسلمينَ، بأن يَجْتَمِعُوا على الحقِّ.

ولكن هل المرادُ بلزومِ الجماعةِ، جماعةُ أهلِ الحَلِّ والعقدِ، إذا أمَّروا أميرًا ألَّا يَخْرُجَ الإنسانُ عمن أمَّروا، أو المرادُ جماعةُ أهلِ العلمِ؛ أي: إذا اجْتَمَعَ العلماءُ على شيءٍ فإنه يَلْزَمُه الأخذُ به؟

كلامُ البخاريِّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَدُلُّ على الثاني؛ وهو المرادَ بلزومِ الجماعةِ عدمُ مخالفةِ العُلَماءِ، فإذا أَجْمَعُوا على شيءٍ وجَبَ الأخذُ به، والأولُ كذلك له وجهٌ صحيحٌ؛ لأن النبيَّ ﷺ قال: «مَن أتاكم وأمْرُكم جميعٌ يُرِيدُ أن يُفرِّقَ جماعتكم، فاضرِبُوا عُنقَه»[1].

والاجتماعُ على الأميرِ أمرٌ واجبٌ؛ لأن المخالفةَ والاختلافَ عليه يُؤَدِّي إلى شرٍّ كثيرٍ، وفتنٍ عظيمةٍ، ولا تحَلُّ المشكلةُ التي مِن أجلِها اختَلَفوا على هذا الأميرِ.

قال ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى (١٣/ ٣١٦):

وأما قولُه «وما أمر إلى آخره» فمطابقتُه لحديثِ البابِ خفيةٌ، وكأنه مِن جهةِ الصفةِ المذكورةِ وهي العدالةُ، لما كانت تَعُمُّ الجميعَ لظاهرِ الخطابِ، أشار إلى أنها مِن العامِّ الذي أُريدَ به الخاصُّ، أو مِن العامِّ المخصوصِ؛ لأن أهلَ الجهل ليسوا عدولًا، وكذلك أهلَ البدعِ، فعُرِفَ أن المرادَ بالوصفِ المذكورِ أهلُ السنةِ والجماعةِ، وهم أهلُ العلمِ الشرعيِّ، ومَن سواهم، ولو نُسِبَ إلى العلمِ فهي نسبةٌ صوريةٌ لا حقيقيةٌ، وورَدَ الأمرُ بلزومِ الجماعةِ في عدةِ أحاديثَ.

منها: ما أخْرَجه الترمذيُّ مصحِّحًا مِن حديثِ الحارثِ بن الحارثِ الأشعريِّ فذكَر حديثًا طويلًا، وفيه: «وأنا آمرُكم بخمسٍ أمَرَني اللهُ بهِنَّ: السمعُ والطاعةُ، والجهادُ، والهجرةُ، والجماعةُ، فإن مَن فَارَقَ الجماعةَ قِيد شبرٍ فقد خلَعَ رِبْقَةَ الإسلامِ مِن عنقِه» وفي خطبةِ عمرَ المشهورةِ التي خطَبَها بالجابيةِ. «عليكمْ بالجماعةِ وإيَّاكم والفُرقَةَ، فإن الشيطانَ مع الواحدِ، وهو مِن الاثنينِ أبعدُ» وفيه: «ومَن أرادَ بَحبوحةَ الجنةِ فَلْيَلْزَمِ الجماعةَ».

وقال ابنُ بطالٍ: مرادُ البابِ الحضُّ على الاعتصامِ بالجماعةِ، لقولِه ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[البقرة:١٤٣]. وشرطُ قَبولِ الشهادةِ العدالةُ، وقد ثبتت لهم هذه الصفةُ بقولِه: ﴿وَسَطًا﴾. والوسطُ العدلُ، والمرادُ بالجماعةِ أهلُ الحلِّ والعقدِ مِن كلِّ عصرٍ، وقال الكرمانيُّ: مقتضى الأمرِ بلزومِ الجماعةِ أنه يَلْزَمُ المكلّفَ متابعةُ ما أجمعَ عليه المجتهدونَ وهم المرادُ بقولِه: «وهم أهلُ العلمِ» والآيةُ التي تَرْجَمَ بها احتجَّ بها أهلُ الأصولِ لكونِ الإجماعِ حجةً؛ لأنهم

---

(١) تقدم تخريجه.

عُدُلوا بقولِه تعالَى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾؛ أي: عدولًا، ومقتضى ذلك أنهم عُصِموا مِن الخطأِ فيما أجمَعوا عليه قولًا وفعلًا. اهـ

المهمُّ: أن المرادَ بالجماعةِ تَشْمَلُ المعنيينِ: الجماعةَ على الأميرِ، والجماعةَ على القولِ والحكمِ، فالرسولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أمَرَ بهذا وهذا.

أما هل الإجماعُ حجةٌ أو غيرُ حجةٍ فهذا موضعُ بحثِه في أصولِ الفقهِ، ولا شكَّ أن الإجماعَ حجةٌ، ولكن يَبْقَى النظرُ في تَحَقّقِ الإجماعِ، فإنَّ تحققَ الإجماعِ صعبٌ للغايةِ، إلَّا فيما لا إشكالَ فيه مِن أمورِ الدينِ، كوجوبِ الصلاةِ مثلًا.

وإلَّا ما فيه إشكالٌ فنقلُ الإجماعِ فيه صعبٌ، والعلمُ بالإجماعِ عليه كذلك.

ولهذا قال الإمامُ أحمدُ فيما يُرْوَى عنه: مَن ادَّعَى الإجماعَ فهو كاذبٌ، وما يُدْرِيه لعلَّهم اختلَفُوا[1]، أما شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فتوسَّط وقال: الإجماعُ الذي يَنْضَبِطُ ما كان عليه سلفُ الأمةِ، إذ بعدهم كثُر الاختلافُ، وانتَشَرتِ الأمةُ[2].

فما كان عليه السلفُ فهو الذي يُمْكِنُ أن يُحاطَ به، أما بعدَ ذلك فالحكومةُ الإسلاميةُ اتَّسعت، والآراءُ كثُرت، وحصلَ النزاعُ الكثيرُ، فانظرْ إلى تفرقِ الأمةِ لما اختلفَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ ومعاويةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكيفَ انشطَرت انشطارًا مازالَت تَئِنُّ منه إلى اليوم!

والإجماعُ لا شكَّ أنه هو الحقُّ، سواءٌ في المسائلِ الحُكميةِ، أوفي مسائلِ السلطةِ والإمرةِ.

فإذا كان هناك أميرُ سلطةٍ؛ وهو رئيسُ الدولةِ، وهناك أهلُ سنةٍ وجماعةٍ يُريدُونَ أن يَجْعَلُوا لهم أميرًا، فهل لهم ذلك في الأمورِ الدينيةِ فقط؟

الجوابُ: الظاهرُ أن أميرَ أهلِ السنةِ والجماعةِ لا يكُونُ أميرًا، بل يَكُونُ إمامًا، فكونُه إمامًا ولو كان تحت سلطةٍ عامةٍ للجميعِ لا بأسَ به - يَقْتَادُونَ به ويَأخذونَ بقولِه - كما كانت الأمةُ الإسلاميةُ فيها الأئمةُ، وفيها الخلفاءُ.

٧٣٤٩- حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُجَاءُ بِنُوحٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ، فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ. فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ هَلْ بَلَّغَكُمْ؟، فَيَقُولُونَ: مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ. فَيَقُولُ: مَنْ شُهُودُكَ، فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ. فَيُجَاءُ بِكُمْ فَتَشْهَدُونَ». ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً

---

(١) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في مسائله لأبيه (١١٣٧)، وانظر إعلام الموقعين لابن القيم (١/ ٣٠).

(٢) انظر العقيدة الواسطية في مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ١٥٧).

وَسَطًا ﴾. قَالَ عَدْلًا: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾.

وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَوْنٍ، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا[1].

ثم قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٢٠- بابُ إذا اجتَهد العاملُ أو الحاكمُ فأخطأَ خلافَ الرسولِ ﷺ مِن غيرِ علمٍ فحكمُه مردودٌ؛ لقولِ النبيِّ ﷺ: «مَنْ عمِلَ عملًا ليس عليهِ أمرُنا فهوَ ردٌّ»[2].

٧٣٥٠، ٧٣٥١- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنْ أَخِيهِ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ سُهَيْلِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، أَنَّهُ سَمِعَ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يُحَدِّثُ، أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، وَأَبَا هُرَيْرَةَ، حَدَّثَاهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ أَخَا بَنِي عَدِيٍّ الأَنْصَارِيَّ وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى خَيْبَرَ، فَقَدِمَ بِتَمْرٍ جَنِيبٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَكُلُّ تَمْرِ خَيْبَرَ هَكَذَا». قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا لَنَشْتَرِي الصَّاعَ بِالصَّاعَيْنِ مِنَ الْجَمْعِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَفْعَلُوا، وَلَكِنْ مِثْلًا بِمِثْلٍ، أَوْ بِيعُوا هَذَا وَاشْتَرُوا بِثَمَنِهِ مِنْ هَذَا، وَكَذَلِكَ الْمِيزَانُ»[3].

۞ يقولُ البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا اجتهدَ العاملُ». والعاملُ: هو الذي يَبْعَثُه الإمامُ عاملًا على الصدقةِ، يَجْمعُها مِن الناسِ، ويأتي بها إلى المدينةِ.

۞ وقولُه: «أو الحاكمُ»؛ أي: الذي يحكُمُ بينَ الناسِ؛ وهو القاضي، فإذا أخطأَ خطأً مخالفًا للنصِّ مِن غيرِ علمٍ، فحكمُه مردودٌ؛ ولهذا قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: فأخطأَ خلافَ الرسولِ؛ أي: أنه تبيَّنَ أنه مناقضٌ لنصٍّ، فإنه يُرَدُّ حكمُه.

ولهذا قال العلماءُ: إنه لا يَنْقَضي حكمُ الحاكمِ للقضاءِ، إلَّا ما خالفَ نصًّا، أو إجماعًا قطعيًا، أو ما يَعْتَقِدُه الحاكمُ، وإلا فإن حكمَه نافذٌ، فتقييدُ البخاريِّ رَحِمَهُ اللَّهُ هذه المسألةَ بقولِه: «خلافَ الرسولِ». يعني: أن خطأَه مخالفٌ للنصِّ، فإنه مردودٌ.

---

(١) علقه البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بصيغة الجزم. وأسنده الترمذي في «التفسير»، باب ومن سورة البقرة عقب حديث (٢٩٦١) قال: حدثنا عبد بن حميد، أخبرنا جعفر بن عون، أخبرنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد...» الحديث. وانظر: «تغليق التعليق» (٥/ ٣٢٦)، و«هدي الساري» ص ٧٠، و«فتح الباري» (١٣/ ٣١٧).

(٢) علقه البخاري بصيغة الجزم، وتقدم الكلام عليه في الصلح (٢٦٩٧)، وقد أسنده المؤلف من حديث عائشة بغير هذا اللفظ، وتقدم هذا اللفظ معزوًا لمسلم وغيره. وانظر: «تغليق التعليق» (٥/ ٣٢٧). وانظر كما في «الفتح» (٣/ ٣١٧).

(٣) رواه مسلم (٣/ ١٢١٥) (١٥٩٣) (٩٤).

واستدلَّ لذلك بقولِ النبيِّ ﷺ: «مَنْ عمِل عملًا ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ»[1]. فقولُه: «عملًا». نكرةٌ في سياقِ الشرطِ، فتَعمُّ كلَّ عملٍ سواءٌ كان عبادةً، أو معاملةً، أو قضاءً أو غيرَ ذلك.

وقولُه: «فهو ردٌّ»؛ أيْ: مردودٌ، لكنه عبَّر عنِ اسمِ المفعولِ بالمصدرِ مِن بابِ التوكيدِ؛ يعني: كأن هذا الشيءَ نفسَه ردٌّ، فهو أبلغُ مِن قولِه: «مردودٌ».

وهذا الحديثُ قال العلماءُ: إنه ميزانُ الأعمالِ الظاهرةِ، وحديثُ عمرَ «إنما الأعمالُ بالنياتِ»[2]. ميزانُ الأعمالِ الباطنةِ، وعلى هذا فيكُونُ هذانِ الحديثانِ قد استوعَبا ميزانَ الأعمالِ الظاهرةِ، وميزانَ الأعمالِ الباطنةِ[3].

وقولُه: «ليس عليه أمرُنا»؛ أي: أمرُ اللهِ ورسولِه فهو ردٌّ، وما خالفَ أمرَ رسولِ اللهِ فهو مخالفٌ لأمرِ اللهِ، وهذا الحديثُ روي بلفظٍ آخرَ: «مَنْ أحدث في أمرِنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ»[4]. وهذا اللفظُ الأخيرُ يَدُلُّ على أن جميعَ البدعِ مردودةٌ؛ لأنه قال: «مَنْ أحدثَ في أمرِنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ». فيكُونُ اللفظانِ يُبيِّنانِ على أن مَن عمِل عملًا أصلُه مشروعٌ لكنَّه على خلافِ المشروعِ؛ فهو مردودٌ، ومَن أحدثَ أمرًا أو عمَلًا ليس له أصلٌ في الشرعِ؛ فإنه أيضًا مردودٌ.

قال ابنُ حجرٍ رحمه الله تعالى في «الفتحِ» (١٣/ ٣١٧):

۞ قولُه: «بابُ إذا اجتهدَ العاملُ أو الحاكمُ» في روايةَ الكشميهنيِّ «العالِمُ» بدلَ العاملِ، و«أو» للتنويعِ، وقد تقدم في «كتابِ الأحكامِ» ترجمةُ إذا قضَى الحاكمُ بجَورٍ أو خلافِ أهلِ العلمِ فهو مردودٌ، وهي معقودةٌ لمخالفةِ الإجماعِ، وهذه معقودةٌ لمخالفةِ الرسولِ عليه الصلاة والسلام.

۞ قولُه: «فأخطأَ خلافَ الرسولِ مِن غيرِ علمٍ»؛ أي: لم يَتعَمَّدِ المخالفةَ؛ وإنما خالَفَ خطأً.

۞ قولُه: «فحكمهُ مردودٌ؛ لقولِ النبيِّ ﷺ: مَنْ عمِل عملًا ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ»؛ أي: مردودٌ، وقد تقدمَ هذا الحديثُ موصولًا في «كتابِ الصلحِ» عن عائشةَ بلفظٍ آخرَ، وأنه بهذا اللفظِ موصولٌ في صحيحِ مسلمٍ، وتقدَّمَ شرحُه هناك.

قال ابنُ بطالٍ: مرادُه أن مَن حكَم بغيرِ السُّنةِ جهلًا، أو غلطًا يَجِبُ عليه الرجوعُ إلى حكمِ السنةِ،

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب الحنبلي (١/ ٩٥).

(٤) تقدم تخريجه.

وتركُ ما خالفَها امتثالًا لأمرِ اللهِ تعالى، بإيجابِ طاعةِ رسولِه ﷺ، وهذا هو نفسُ الاعتصامِ بالسنةِ.

وقال الكِرمانيُّ: المرادُ بالعاملِ: عاملُ الزكاةِ، وبالحاكمِ: القاضي.

وقولُه: «فأخطأ»؛ أي: في أخذِ واجبِ الزكاةِ، أو في قضائِه.

قلتُ: وعلى تقديرِ ثبوتِ روايةِ الكشميهنيِّ، فالمرادُ بالعالمِ: المُفتي، أي أخطأ في فتْواه، قال: والمرادُ بقولِه، «فأخطأ خلافَ الرسولِ»؛ أي: يَكُونُ مخالفًا للسُّنةِ، قال وفي الترجمةِ نوعُ تعجرفٍ.

قلتُ: ليس فيها قلقٌ إلا في اللفظِ الذي بعد قولِ: «فأخطأ» فصَار ظاهرُ التركيبِ يُنَافي المقصودَ؛ لأن مَن أخطأ خلافَ الرسولِ لا يُذَمُّ، بخلافِ مَن أخطأ وفاقَه، ليس ذلك المرادَ وإنما ثَمَّ الكلامُ عند قولِه: «فأخطأ» وهو متعلقٌ بقولِه: اجتهد، وقولُه «خلافَ الرسولِ»؛ أي: فقال خلافَ الرسولِ، وحذفُ «قال» يقعُ في الكلامِ كثيرًا فأيُّ عجرفةٍ في هذا، والشارحُ مِن شأنِه أن يُوَجِّه كلامَ الأصلِ مهما أمكنَ، وَيغْتَفِرَ القدرَ اليسيرَ مِن الخللِ تارةً، ويَحمِلَه على الناسخِ تارةً، وكلُّ ذلك في مقابلةِ الإحسانِ الكثيرِ الباهرِ، ولا سيَّما مثلُ هذا الكتابِ.

ووقَعَ في حاشيةِ نسخةِ الدُّمياطيِّ بخطِّه الصوابُ في الترجمةِ «فأخطأ بخلافِ الرسولِ» انتهى، وليس دعوى حذفِ الباءِ برافعٍ للإشكالِ، بل إن سلكَ طريقَ التغييرِ فلعلَّ اللامَ متأخرةٌ، ويَكُونُ في الأصلِ خالفَ بدلَ خلافِ. اهـ

الحاصلُ: هو ما سبَقَ أن ذكرناه؛ وهو أن يكُونَ مخالفًا للنصِّ، أما ما لم يَكُن مخالفًا، فإنه لا يُنْقَضُ، ولو تبيَّن له الخطأُ، ولكن يَجِبُ عليه الرجوعُ عن الخطأِ.

مثالُ ذلك: أن يَكُونَ حكمُ الحاكمِ مبنيًّا على الاجتهادِ الذي لا يُخالفُ النصَ، ثم تبيَّن له في القضيةِ الثانيةِ أنه أخطأ في الأولى، فيجِبُ عليه أن يحكمَ في القضيةِ الثانيةِ بما تبيَّن له أو بما ظهر له أنه الحقُّ، ولكن لا يَنْقُض الأولَ، وهذا هو الذي يَكَادُ العلماءُ أن يُجمِعُوا عليه؛ لأننا لو قلنا: كلما تبيَّن لحاكمٍ أن اجتهادَه الأولَ خطأٌ، وجبَ عليه نقضُه، لاختلَّت أحكامُ الناسِ، حتى لو كان قاضيًا، فأفتى بصحةِ الصلاةِ مثلًا، ثم تبيَّن له أن فتواه خطأٌ، فإنه لا يَلزَمُه أن يَرجِعَ في الفتوى الأولى.

مثالُ ذلك: لو أن رجلًا أفتى شخصًا أكلَ لحمَ إبلٍ، بأن صلاتَه صحيحةٌ، بناءً على أنه تبيَّن له باجتهادِه أن لحمَ الإبلِ لا يَنقُضُ الوضوءَ، ثم بعدَ أن نُوقِشَ تبيَّن له أن لحمَ الإبلِ يَنقُضُ الوضوءَ، فهل نقولُ: يَلزَمُه أن يُبَلِّغَ الرجلَ الأولَ بإعادةِ الصلاةِ؟

الجوابُ: لا، وحتى الأولُ لو علِم أن المفتيَ تغيَّرَ اجتهادُه لا يَلزمُه أن يُعِيدَ الصلاةَ،

ويدُلُّ على هذا كتاب أبي موسى الذي كتبه له عمرُ رضي الله عنه:

أنه إذا تبيَّن له حقٌّ فلا يَمْنَعَه مَن قضاه بالأمسِ عن القولِ بالحقِّ، فإن الرجوعَ للحقِّ خيرٌ مِن التمادي في الباطلِ[1].

وأما العبارةُ ففيها شيءٌ مِن القلقِ؛ أي: قولُه: «فأخطأ خلافَ الرسولِ». لكن مِنَ الممكنِ أن نُقَدِّرَ المعنى: أخطأ فقالَ بخلافِ الرسولِ، أو نقولَ: إن «أخطأ» تُضَمَّنُ معنى «قال»، أو معنى «حكمَ» خلافَ الرسولِ، ولا إشكالَ فيها.

أما الحديثُ الذي ساقه رحمه الله، فاستدلَّ به أصحابُ الحِيَلِ على جوازِ الحيلِ، وقالوا: إن الرسولَ ﷺ قال: «لا تفعلُوا. ولكن مثلًا بمثلٍ، أو بيعُوا هذا واشتروا بثمنِهِ مِن هذا»[2].

ولا شك أن قولَه: «مثلًا بمثلٍ». لا حيلةَ فيه، لأنه قال: اشتَروا صاعًا مِن هذا بصاعٍ مِن هذا، أو بيعوا هذا واشتروا بثمنِهِ مِن الطَّيِّبِ. فالأولُ عادةٌ لا يُمكِنُ ـ هو مثلًا بمثلٍ ـ والثاني ممكنٌ.

وفيه: دليلٌ على أن الإنسانَ إذا ذكَرَ للناسِ ما يُمنَعُونَ منه، فإنه يَذكُرُ لهم ما يباحُ لهم؛ لأن الرسولَ عليه الصلاة والسلام لما قال: لا تَفعَلُوا. قال: «ولكن». فعلَّمهم المباحَ، وهذا مِن الحكمةِ.

فأنت إذا رأيتَ الناسَ يَعمَلُون عملًا مُحرمًا، فلا تقتصِر على قَولِك هذا محرمٌ فقط، بل افتحَ لهم البابَ؛ أي: بابَ المباحِ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا﴾ [البقرة:١٠٤] فأتاهم بالبديل.

وفيه أيضًا: أن الإنسانَ الذي يُسيءُ في إدارتِه، لا يَنبُغي أن نعزِلَه عن الإدارةِ، حتى نجِدَ البديلَ؛ لئلَّا تبْقَى الإدارةُ شاغرةً مِن المديرِ، اللهم إلا أن يَكُونَ بقاؤه أفسدَ مِن شغورِها، فهذا شيءٌ آخر.

واستدلَّ بهذا الحديثِ جماعةٌ مِن العلماءِ على جوازِ بيعِ العِينَةِ، وقالوا: لأن قولَه: «بع واشترِ». لم يقُلْ: اشترِ مِن غيرِ هذا، ولكن هذا ليس بصحيحٍ؛ لأن الفعلَ لا يَدُلُّ على العمومِ، وإنما يَدُلُّ على الإطلاقِ فليس في الحديثِ صيغةُ عمومٍ، بل فيها إطلاقٌ[3].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) راجع الفصل الذي عقده العلامة ابن القيم رحمه الله تعالي تحت عنوان «الدلالة على تحريم الحيل» من كتابه «إعلام الموقعين» (٤/ ٥٢٣).

(٣) قال صاحب الإنصاف (٤/ ٣٣٥): ومن باع سلعة بنسيئة لم يجز أن يشتريها بأقل مما باعها نقدًا إلا أن تكون قد تغيرت صفتها، هذه مسألة العينة، فعلها محرم على الصحيح من المذهب، نص عليه، وعليه الأصحاب، وعند أبي الخطاب يحرم استحسانا، ويجوز قياسًا، وكذا قال في الترغيب لم يجز استحسانًا، وفي كلام القاضي

ثم على فرضٍ أن فيها صيغةَ عمومٍ، فهناك أدلةٌ تدل على تحريمِ العِيْنَةِ: أدلةٌ سمعيةٌ، وأدلةٌ عقليةٌ.

أما السمعيةُ: فحديثُ ابنِ عمرَ الذي في «السننِ»، «**إذا تبايعتم بالعينةِ، وأخذتم بأذنابِ البقرِ، ورضيتم بالزرعِ، وتركتُم الجهادَ، فإن اللهَ تعالى يُنزِلُ في قلوبكم ذلًّا لا يَنزِعُه حتى ترجِعُوا إلى دينكم**»[1]. وهذا صريحٌ في تحريمِ العينَةِ.

ثم إن المعنى يَقْتَضِي ذلك، إذا قلنا: يَحرُمُ عليكَ أن تأخذَ صاعًا مِن التمرِ الجيدِ، بصاعينِ مِن التمرِ الرديءِ، ثم قُلنا: بعِ التمرَ الرديءَ، على صاحبِ التمرِ الجيدِ، ثم اشترِ منه بثمنِه تمرًا جيدًا، فما الذي استفاده مِن البيعِ؟.

الجوابُ: لا شيءَ، فهي حيلةٌ واضحةٌ، والشرعُ لا يُحرِّمُ الأشياءَ لصورِها، وإنما يُحَرِّمُها لمعانيها، فإذا كان شراءُ صاعٍ مِن التمرِ الطيبِ، بصاعينِ مِن التمرِ الرديءِ محرمًا فبيعُ التمرِ الرديءِ على صاحبِ التمرِ الطيبِ، ثم شراؤك بثمنِه تمرًا طيبًا يكُون حرامًا؛ لأنه حيلةٌ واضحةٌ.

وأيضًا: قولُه: «**لا تفعلوا**». ليس فيه دليلٌ على ردِّ البيعِ الأولِ، وإنما فيه دليلٌ على النهي عن الفعلِ في المستقبلِ.

لكن في بعضِ ألفاظِ الحديثِ: «**رُدُّوه**»[2]. فأمَرَ بردِّه، وحينئذٍ يَكُونُ فيه دليلٌ على ما تَرجَمَ له البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، ولعلَّه لم يَذْكُرْ هذه اللفظةَ إما لأنها على غيرِ شرطِه، أو لأنها في سياقٍ على غيرِ هذا الطريقِ.

وقولُه: «كذلك الميزانُ». أي: كذلك ما يُوزَنُ، مثلُ: الذهبِ والفضةِ، فإنه لا يُباعُ الذهبُ بالذهبِ إلا مثلًا بمثلٍ، فإن كان جيدًا ورديئًا، فإنه يُباعُ الرديءُ ويُشْتَرى بثمنِه جيدًا.

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢١- بابُ أجرِ الحاكمِ إذا اجتهدَ فأصابَ أو أخطأَ

٧٣٥٢- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يَزِيدَ، حَدَّثَنَا حَيْوَةُ، حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْهَادِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي قَيْسٍ مَوْلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، عَنْ

=

وأصحابه القياس صحة البيع، قال في الفروع: ومرادهم أن القياس خولف لدليل راجح فلا خلاف إذا في المسألة، وحكى الزركشي بالصحة قولا. اهـ

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٢٨) (٤٨٢٥) وأبو داود (٣٤٦٢)، وصححه الشيخ الألباني كما في السلسة الصحيحة (١١)، وتعليقه على السنن.

(٢) رواه مسلم (٣/ ١٢١٦) (١٥٩٤) (٩٧).

عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ؛ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ؛ فَلَهُ أَجْرٌ»(١).

قَالَ: فَحَدَّثْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ أَبَا بَكْرِ بْنَ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، فَقَالَ: هَكَذَا حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ(٢).

وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْمُطَّلِبِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَهُ(٢).

هذا البابُ بيَّنَ مرادَ البخاريِّ رَحِمَهُ اللهُ في البابِ الذي قبلَه، مِن أن المرادَ الحاكمُ إذا اجتهدَ فأخطأَ مخالفًا للنصِّ، فإنه يُنقَضُ حُكمُه، أما إذا لم يُخالِفِ النصَّ، فحكمُه الأولُ صحيحٌ، ويُؤجَرُ أجرًا واحدًا على اجتهادِه.

أما الذي اجتهدَ فأصابَ، فإنه يُؤجرُ أجرينِ: الأجرُ الأولُ على اجتهادِه، والثاني على إصابتِه.

فإن قال قائلٌ: كيفَ يُؤْجَرُ على إصابتِه، وإصابتُه بغيرِ فعلهِ في الواقعِ، فهو ليس منه إلا الاجتهادُ؛ ولذلك يَجْتَهِدُ فيُخْطِئُ تارةً، ويُصيبُ تارةً؟.

الجوابُ أن يُقالَ: إن إصابتَه للصوابِ، وإظهارَه إيَّاه يُؤْجَرُ عليه كما يُؤجرُ الإنسانُ الذي يزرع زرعًا، أو يغرسُ نخلًا فتأكلُ منه الطيرُ، مع أنه ما قصد ذلك، فالفعلُ إذا كانت ثمرتُه نافعةً أُجِر صاحبُه عليه، وإن لم يكُن حصولُ الثمرةِ باختيارِه.

وفي هذا الحديثِ يَقُولُ: «إذا حكمَ الحاكمُ فاجتَهدَ». قد يُشكَلُ على طالبِ العلمِ، أيُّهما أسبقُ، الحكمُ أو الاجتهادُ؟.

الجوابُ: الظاهرُ أنه الاجتهادُ، فلماذا لم يقُلْ: إذا اجتهَد الحاكمُ فأخطأَ ثم أصَابَ؟

فيُقالُ: إن الحديثَ عن حكمِ الحاكمِ، وأن قولَه: فاجْتَهَدَ. يَعْنِي: حكَمَ حكمًا مبنيًّا على الاجتهادِ، وهذا وجهٌ.

والوجهُ الثاني: أن يكُونَ هذا مِن بابِ الترتيبِ الذِّكْريِّ، لا الترتيب المعنَوي أي ذكر الاجتهاد بعد الحُكم وإن كان الاجتهاد سابقًا، والترتيب الذكري موجود في اللغة العربية، ومنه قول الشاعر:

---

(١) رواه مسلم (٣/ ١٣٤٣) (١٧١٦) (١٥).

(٢) هكذا رواه البخاري عقب الحديث (٧٣٥٢)، وقال الحافظ في «هدي الساري» ص ٧٠: رواية عبد العزيز بن المطلب المرسلة لم أجدها. اهـ.

(٢) انظر: «همع الهوامع» (٣/ ١٩٥)، و«مغني اللبيب» (١/ ٥٩).

إِنَّ مَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبوه ثُمَّ سَادَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ جَدُّه

فإن سيادةَ الأب هنا مقدمةٌ على سيادةِ الابنِ، وسيادةُ الجدِّ مقدمةٌ على سيادةِ الأبِ، ومع ذلك جاء بثُمَّ الدالةُ على الترتيبِ، فيُقالُ: إن هذا ترتيبٌ ذكريٌّ، وليس ترتيبًا معنويًّا.

قال ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (١٣/ ٣١٨):

بابُ «أجرِ الحاكمِ إذا اجتهدَ فأصابَ أو أخطأَ». يُشِيرُ إلى أنه لا يَلزَمُ من ردِّ حكمِه أو فَتْواه إذا اجتهدَ، فأخطأَ أن يَأثَمَ بذلك، بل إذا بذلَ وُسْعَه أُجِر، فإن أصابَ ضُوعِف أجرُه لكن لو أقدَم فحكَمَ أو أفتى بغيرِ علمٍ لحِقه الإثمُ، كما تقدَّمتِ الإشارةُ إليه.

قال ابنُ المنذرِ: وإنما يؤجَرُ الحاكمُ إذا أخطأَ إذا كان عالمًا بالاجتهادِ فاجتهدَ، وأما إذا لم يَكُنْ عالمًا فلا، واستدلَّ بحديثِ: «**القضاةُ ثلاثةٌ** -وفيه- **وقاضٍ قضى بغيرِ حقٍّ؛ فهو في النارِ، وقاضٍ قضى وهو لا يعلَمُ؛ فهو في النارِ**». وهو حديثٌ أخرجه أصحابُ السننِ عن بُريدةَ بألفاظٍ مختلفةٍ، وقد جمعتُ طرقَه في جزءٍ مفردٍ.

ويُؤيِّدُ حديثَ البابِ ما وقَعَ في قصةِ سليمانَ في حكمِ داودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ في أصحابِ الحرثِ، وقد تقدَّمتِ الإشارةُ إليها فيما مضى قريبًا، وقال الخطابيُّ في معالمِ السننِ: إنما يُؤجَرُ المجتهدُ إذا كان جامعًا لآلةِ الاجتهادِ، فهو الذي نعذُرُه بالخطأِ، بخلافِ المتكلفِ فيُخافُ عليه، ثم إنما يؤجَرُ العالمُ؛ لأن اجتهادَه في طلبِ الحقِّ عبادةٌ، هذا إذا أصابَ، وأما إذا أخطأَ فلا يُؤجَرُ على الخطأِ، بل يوضَعُ عنه الإثمُ فقط، كذا قال، وكأنه يَرَى أن قولَه: «وله أجرٌ واحدٌ» مجازٌ عن وضعِ الإثمِ.

قولُه: «عن محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ الحارثِ». هو التيميُّ، تابعيٌّ، مدنيٌّ، ثقةٌ، مشهورٌ، ولأبيه صحبةٌ، «وبُسْرٌ». بضمِّ الموحدةِ وسكونِ المهملةِ، «وأبو قيسٍ»، مولى عمروُ بنِ العاصِ لا يُعرَفُ اسمُه كذا قاله البخاريُّ، وتبعه الحاكمُ أبو أحمدَ، وجزَمَ ابنُ يونُسَ في تاريخِ مصرَ بأنه عبدُ الرحمنِ بنُ ثابتٍ، وهو أعرفُ بالمِصريينَ مِن غيرِه، ونُقِل عن محمدِ بنِ سُحنونٍ أنه سمَّى أباه الحكمَ وخطَّأه في ذلك، وحكى الدِّمياطيُّ أن اسمَه سعدٌ وعزَاه لمسلمٍ في الكُنَى.

وقد راجَعتُ نُسَخًا مِن الكُنى لمسلمٍ فلم أرَ ذلك فيها، منها نسخةٌ بخطِّ الدراقطنيِّ الحافظِ، وقَرَأْتُ بخطِّ المنذريِّ «وقَع عند السبتيِّ» يعني: ابنَ حبانَ في صحيحِه «عن أبي قابوسٍ» بدلَ أبي قيسٍ، كذا جزَمَ به، وقدَ راجَعتُ عدةَ نسخٍ مِن صحيحِ ابنِ حبانَ فوجدتُ فيها «عن أبي قيسٍ» إحداها صحَّحها ابنُ عساكرٍ، وفي السندِ أربعةٌ مِن التابعينَ في نسقٍ، أوَّلُهم يزيدُ بنُ عبدِ اللهِ، وهو المعروفُ بابنِ الهادِ، وما لأبي قيسٍ في البخاريِّ إلا هذا الحديثُ.

قولُه: «إذا حكمَ الحاكمُ فاجتهَدَ ثم أصَابَ»، في روايةِ أحمدَ «فأصابَ». قال القرطبيُّ: هكذا وقعَ في الحديثِ بدَأَ بالحكمِ قبلَ الاجتهادِ، والأمرُ بالعكسِ، فإن الاجتهادَ يتقدَّمُ الحكمَ، إذ لا يَجُوزُ الحكمُ قبلَ الاجتهادِ اتفاقًا، لكن التقديرَ في قولِه «إذا حكمَ» إذا أرَاد أن يحكمَ فعند ذلك يَجْتَهِدُ، قال: ويؤيدُه أن أهلَ الأصولِ، قالوا: يَجِبُ على المجتهدِ أن يُجددَ النظرَ عند وقوعِ النازلةِ، ولا يعتمِدُ على ما تقدَّمَ له لإمكانِ أن يَظهرَ له خلافُ غيرِه انتهى، ويُحْتَملُ أن تَكُونَ الفاءُ تفسيريةً لا تعقيبيةً.

وقولُه: «فأصاب» أي صادَفَ ما في نفسِ الأمرِ مِن حكمِ اللهِ تعالى. اهـ

إذًا قولُه: إذا حكَمَ الحاكمُ فاجْتَهَدَ. يعنِي: إذا أرَادَ أن يحكُمَ فاجتَهَدَ ثم حكَمَ، أو نَقولُ: الفاءُ هنا للترتيبِ الذِّكْرِيِّ، أو أن المعنى: إذا حكَمَ حكمًا مبنيًّا على الاجتهادِ؛ أي: إذا حكمَ فكان مجتهدًا، على كلِّ حالٍ فالمتفقُ عليه أن الاجتهادَ لابُدَّ أَنْ يَكُونَ سابقًا على الحكمِ.

والاجتهادُ هنا يَشْملُ الاجتهادَ في دليلِ المسألةِ، والاجتهادَ لابد أن يكون في وسائلِ الحكمِ؛ يعني: الاجتهادَ في الحكمِ ووسائلِه.

فوسائلُ الحكم: كأن يَتحرَّى الشهودَ، ويَسألُ عن عدالتِهم، وينظرُ في القرائنِ، وما أشبه ذلك، فكلُّ هذا محلُّ اجتهادٍ.

وكذلك في محلِّ الحُكمِ؛ أي: ما دلَّ عليه الشرعُ، وهل يدُلُّ عليه النصُّ، أو لا يدُلُّ؟ وهل يَدُلُّ عليه ظاهرًا، أو دلالَةً قطعيةً وما أشبهَ ذلك؟

الجوابُ: ظاهرُ الحديثِ أنه يتكلَّمُ عن المسائلِ العمليةِ؛ لأنها هي محلُّ الحكمِ، لكن لا شكَّ أن المسائلَ العلميةَ مثلُها؟ فإذا اجتهدَ الإنسانُ فأدَّاه اجتهادُه إلى شيءٍ ما، وكان هذا الاجتهادُ سائغًا فلا بأسَ، أما الاجتهادُ غيرُ السائغِ فلا يُقْبَلُ، والاجتهادُ السائغُ أن يَكُونَ ما قالَه محتملًا في اللغةِ العربيةِ، أو في قرينةِ السياقِ، وفي محلِّ الحكمِ فإنه حينئذٍ يعذَرُ؛ ولهذا اختلفَ السلفُ حتى في المسائلِ العلميةِ، فاختلفوا في عذابِ القبرِ[1]، واختلفوا في الصراطِ، واختلفوا فيما يوزَنُ[2]، واختلَفُوا هل رأى الرسولُ ربَّه[3]، فكلُّ هذه

---

(١) انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٤/ ٢٦٢) وما بعدها.
(٢) انظر «شرح العقيدة الطحاوية» ص ٤١٧.
(٣) روي مسلم في صحيحه (١٧٧) من حديث عائشة قالت: ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم الفرية. قلت ما هن؟ قالت: من زعم أن محمدًا رأي ربه فقد أعظم على الله الفريةِ. وانظر: «كلام شيخ الإسلام في مجموع فتاويه» (٦/ ٥٢).

المسائل علميةٌ، ومِن بابِ العقيدةِ.

وأَما إطلاقُ بعضِ الناسِ أنه لا خلافَ في العقيدةِ، فالمرادُ بها الأصلُ، أما المسائلُ الجزئيةُ فقد يَقعُ فيها الخلافُ؛ يعني: أنهم لم يَخْتلِفوا في أنه سيكُونُ وزنٌ، وسَيكُونُ عذابُ قبرٍ، وسيكُونُ صراطٌ.

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٢٢- بابُ الحجةِ على مَن قال: إن أحكامَ النبيِّ ﷺ كانت ظاهرةً، وما كان يَعيبُ بعضُهم من مشاهِدِ النبيِّ ﷺ وأمُورِ الإسلام.

٧٣٥٣- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، حَدَّثَنِي عَطَاءٌ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: اسْتَأْذَنَ أَبُو مُوسَى عَلَى عُمَرَ، فَكَأَنَّهُ وَجَدَهُ مَشْغُولًا فَرَجَعَ، فَقَالَ عُمَرُ: أَلَمْ أَسْمَعْ صَوْتَ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ، ائْذَنُوا لَهُ. فَدُعِيَ لَهُ فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: إِنَّا كُنَّا نُؤْمَرُ بِهَذَا. قَالَ: فَأْتِنِي عَلَى هَذَا بِبَيِّنَةٍ أَوْ لأَفْعَلَنَّ بِكَ. فَانْطَلَقَ إِلَى مَجْلِسٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالُوا: لَا يَشْهَدُ إِلَّا أَصَاغِرُنَا. فَقَامَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ فَقَالَ: قَدْ كُنَّا نُؤْمَرُ بِهَذَا. فَقَالَ عُمَرُ: خَفِيَ عَلَيَّ هَذَا مِنْ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ، أَلْهَانِي الصَّفْقُ[1] بِالأَسْوَاقِ[2].

٧٣٥٤- حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ، أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنَ الأَعْرَجِ يَقُولُ: أَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَاللَّهُ الْمَوْعِدُ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مِسْكِينًا أَلْزَمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى مِلْءِ بَطْنِي، وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ، وَكَانَتِ الأَنْصَارُ يَشْغَلُهُمُ الْقِيَامُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ، فَشَهِدْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، وَقَالَ: «مَنْ يَبْسُطْ رِدَاءَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي، ثُمَّ يَقْبِضْهُ، فَلَنْ يَنْسَى شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي». فَبَسَطْتُ بُرْدَةً كَانَتْ عَلَيَّ، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ[3].

قال المصنفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «بابُ الحجةِ على مَن قال: إن أحكامَ النبيِّ ﷺ كانت ظاهرةً». يعني: كانت معلومةً لكلِّ أحدٍ، هكذا زعَمَ بعضُ العلماءِ، وقال: إن الرسولَ ﷺ مبلِّغٌ، والمبلِّغُ لابدَّ أن يُبلِّغَ كلَّ مَن أُرْسِل إليه، فلابدَّ أن تكُونَ أحكامُه ظاهرةً[4].

---

(١)الصَّفْق: التَّبَايُع. النهاية لابن الأثير (ص ف ق).

(٢)رواه مسلم (٣/ ١٦٩٤) (٢١٥٣) (٣٣).

(٢)رواه مسلم (٤/ ١٩٣٩) (٢٤٩٢) (١٥٩).

(٤)سيأتي بيان ذلك في كلام الحافظ قريبًا إن شاء الله.

وقولُه: «ما كان يغيبُ بعضُهم من مشاهدِ النبيِّ ﷺ وأمورِ الإسلامِ». يعني: أن بعضَ الصحابةِ يَغِيبُونَ عن مشاهدِ الرسولِ عليه الصلاة والسلام، ولا يَحْضُرُونَها، ولو قلنا بأنها تكُونُ ظاهرةً ما غاب أحدٌ عنها، ولأحَاطَ بها جميعُ الناسِ.

قال ابنُ حجرٍ رحمه الله تعالى في «الفتح»(١٣/ ٣٢١):

قولُه: «بابُ الحجةِ على مَن قال:إن أحكامَ النبيِّ ﷺ كانت ظاهرةً»؛ أي: للناسِ لا تَخْفَى إلا على النادرِ.

وقولُه: «وما كان يَغيبُ بعضُهم عن[1] مشاهدِ النبيِّ ﷺ وأمورِ الإسلامِ». كذا للأكثرِ، وفي روايةِ النَّسَفيِّ، وعليها شرحُ ابنِ بطالٍ: «مشاهدِه». ولبعضِهم «مشهدِ». بالإفرادِ، ووقَع في مُسْتَخْرَجِ أبي نعيمٍ، (ما كان يُفيدُ بعضُهم بعضًا) بالفاءِ والدالِ من الإفادةِ، ولم أرَه لغيرِهِ.

«وما » في قولِه: «ما كان». موصولةٌ، وجوَّز بعضُهم أن تكُونَ نافيةً، وأنها مِن بقيةِ القولِ المذكورِ، وظاهرُ السياقِ يأباهُ.

وهذه الترجمةُ معقودةٌ لبيانِ أن كثيرًا من الأكابرِ من الصحابةِ كان يَغيبُ عن بعضِ ما يَقُولُه النبيُّ ﷺ، أو يَفعَلُه من الأعمالِ التكليفيةِ، فيَسْتَمِرُّ على ما كان اطَّلع عليه هو، إما على المنسوخِ لعدمِ اطلاعِه على ناسخِه، وإما على البراءةِ الأصليةِ.

وإذا تقرَّر ذلك قامت الحجةُ على مَن قدَّم عملَ الصحابيِّ الكبيرِ، ولا سيَّما إذا كان قد وَلِيَ الحكمَ على روايةِ غيرِه مُتَمَسِّكًا بأن ذلك الكبيرَ لولا أن عندَه ما هو أقوى من تلك الروايةِ لما خالَفَها.

ويَرُدُّه أن في اعتمادِ ذلك تركَ المحقَّقِ للمظنونِ.

وقال ابنُ بَطَّالٍ: أَرَاد الردَّ على الرافضةِ والخوارجِ الذين يَزْعُمونَ أن أحكامَ النبيِّ ﷺ وسننَه منقولةٌ عنه نقلَ التواترِ، وأنه لا يجوزُ العملُ بما لم يُنْقَلْ متواترًا.

قال: وقولُهم مردودٌ بما صحَّ أن الصحابةَ كان يَأخذُ بعضُهم عن بعضٍ، ورجَعَ بعضُهم إلى ما رَواه غيرُه، وانعقدَ الإجماعُ على القولِ بالعملِ بأخبارِ الآحادِ.

قلتُ:وقد عقدَ البيهقيُّ في المَدْخَلِ: بابٌ: الدليلُ على أنه قد يَعْزُبُ على المتقدِّمِ الصحبةِ الواسعِ العلمِ الذي يعلَمُه غيرُه، ثم ذكَر حديثَ أبي بكرٍ في الجَدَّةِ، وهو في «الموطأِ»، وحديثَ عمرَ في الاستئذانِ، وهو المذكورُ في هذا البابِ، وحديثَ ابنِ مسعودٍ في الرجلِ الذي عقَدَ على امرأةٍ، ثم طلَّقَها، فأراد أن

---

(١)وفي طبعة الشعب: من. كما أثبتناه.

يَتَزَوَّجَ أُمَّها، فقال: لا بأسَ، وإجازتُه بيعَ الفضةِ المكسرةِ بالصحيحةِ متفاضلًا، ثم رجوعُه عنِ الأمرينِ معًا، لما سَمِعَ مِن غيرِه مِن الصحابةِ النهيَ عنهما، وأشياءُ غيرُ ذلك، وذكَر فيه حديثَ البراءِ (ليس كُلُّنا كان يَسْمَعُ الحديثَ مِن النبيِّ ﷺ كانت لنا صنعةٌ وأشغالٌ، ولكن كان الناسُ لا يَكْذِبُونَ، فيُحَدِّثُ الشاهدُ الغائبَ). وسنده ضعيفٌ.

كذا حديثَ أنسٍ: «ما كلُّ ما نُحَدِّثُكم عن رسولِ اللهِ ﷺ سمِعناه، ولكن لم يُكَذِّبْ بعضُنا بعضًا» ثم سرَد ما رواه صحابيٌّ، عن صحابيٍّ مما وقَعَ في الصحيحينِ، وقال: في هذا دلالةٌ على إتقانهم في الروايةِ، وفيه أبيَنُ الحجةِ، وأوضحُ الدلالةِ على تثبيتِ خبرِ الواحدِ، وأن بعضَ السننِ كان يَخْفى عن بعضِهم، وأن الشاهِدَ منهم كان يُبلِّغُ الغائبَ ما شهِدَ، وأن الغائبَ كان يَقبَلُه ممن حدَّثه ويَعتَمِدُه ويعملُ به.

قلتُ: خبرُ الواحدِ في الاصطلاحِ خلافُ المتواترِ، سواءٌ كان مِن روايةِ شخصٍ واحدٍ أو أكثرَ، وهو المرادُ بما وقعَ فيه الاختلافُ، ويَدْخُلُ فيه خبرُ الشخصِ الواحدِ دخولًا أوَّليًّا، ولا يَرد على مَنْ عَمِلَ به ما وقعَ في حديثِ البابِ مِن طلبِ عمرَ مِن أبي موسى البينةَ على حديثِ الاستئذانِ، فإنه لم يَخرُجْ مع شهادةِ أبي سعيدٍ له وغيرِه عن كونِه خبرَ واحدٍ، وإنما طلَبَ عمرُ مِن أبي موسى البيِّنَةَ للاحتياطِ كما تقدَّم شرحُه واضحًا في «كتابِ الاستئذانِ». وإلا فقد قبِل عمرُ حديثَ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ في أخذِ الجزيةِ مِن المجوسِ، وحديثَه في الطاعونِ، وحديثَ عمروِ بنِ حزمٍ في التسويةِ بين الأصابعِ في الديةِ، وحديثَ الضَّحاكِ بنِ سفيانَ في توريثِ المرأةِ مِن ديةِ زوجِها، وحديثَ سعدِ بنِ أبي وقاصٍ في المسحِ على الخفينِ إلى غيرِ ذلك، وتقدَّم في العلمِ مِن حديثِ عمرَ أنه كان يتناوبُ النبيَّ ﷺ هو ورجلٌ مِن الأنصارِ فينزلُ هذا يومًا وهذا يومًا، ويُخْبِرُ كلٌّ منهما الآخرَ بما غابَ عنه، وكان غرضُه بذلك؛ تحصيلَ ما يَقُومُ بحالِه وحالِ عيالِه ليُغنِيَ عن الاحتياجِ لغيرِه، وليتقوَّى على ما هو بصددِه مِن الجهادِ. اهـ

الحاصلُ: أننا عرَفنا الآن أن مَن قال بهذا همُ الروافضُ والخوارجُ، وكذلك أيضًا ينبغي أن يَلحَقَ بهم ما قاله بعضُ المعاصرينَ: مِن أن الحديثَ القوليَّ إذا لم يؤيَّدْ بعملٍ مِن الصحابةِ فإنه لا يُؤخذُ به، فهذا أيضًا غلطٌ؛ لأنَّنا مكلفونَ بأن نَقْبَلَ ما جاء عن النبيِّ ﷺ، فإذا قيل هل عَمِل به الصحابةُ؟

الجوابُ: نقُولُ: هذا ليس مِن شأنِنا، عمِلوا أم لم يَعمَلُوا، ثم إن الأصلَ أنهم عمِلوا ﷺ فلا حاجةَ إلى النقلِ.

ومثلُ ذلك أيضًا: الأمورُ العلمية، فلا حاجةَ إلى أن نقولَ: أثبتْ أن الصحابةَ قالوا عنها: هكذا وهكذا.

كأن يقولَ قائلٌ: إن الله قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾[الفجر:٢٢]. فما هو قولُ الصحابةِ في قولِه ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾. هل جاء نفسُه، أو جاء أمرُه؟

الجوابُ: نقولُ: جاء بنفسِه ﷻ، فيقولُ: أَثْبِتْ لنا أن أبابكرٍ، أو عمرَ، أو عثمانَ، أو عليًّا، أو ابنَ مسعودٍ قال: جاء ربُّك؛ أي: نفسُه. فنقولُ: لا حاجةَ لإثباتِها؛ لأنهم يَقْرَأُونَ القرآنَ ويَعرِفُونَ معناه، ولا يَعْتَقِدونَ خلافَه. وهكذا يقالُ في الاستواءِ، وغيرِه من المسائلِ العِلْميةِ.

فآياتُ الأحكامِ، وآياتُ الأخبارِ كلُّها سواءٌ، والأصلُ أن الصحابةَ عَمِلوا بآياتِ الأحكامِ، وصدَّقوا بالأخبارِ على ظاهرِها، ولو قلنا: لابدَّ لكلِّ حديثٍ عمليٍّ من ثبوتِ أن الصحابةَ عَمِلوا به؛ لَضاعَتْ كثيرٌ من الأحكامِ.

وهذا أيضًا كالذي يقولُ: إن أحكامَ الرسولِ ﷺ لابدَّ أن تكُونَ ظاهرةً معلنةً، وكلُّ أحدٍ يعرِفُها. فهذا أيضًا غيرُ صحيحٍ؛ لأن كثيرًا من أخبارِ الرسولِ لم يَرْوِها عنه إلا واحدٌ، فحديثُ: «إنما الأعمالُ بالنياتِ»[(١)] لم يَرْوِه إلا عمرُ مع أنه يَقُولُ: سمِعْتُ النبيَّ ﷺ يَقُولُ. وهذا يَقْتَضِي أن يَكُونَ عَلَنيًّا، ومع هذا لم يَرْوِه إلا واحدٌ.

وحديثُ الطاعونِ، وفيه: أن المهاجرينَ والأنصارَ وعلى رأسِهم عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه لم يَعْملَوا به، حتى جاء عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ، وكان قد ذهَب في حاجةٍ له، فأخبرَهم أن النبيَّ ﷺ قال: «إذا سمِعْتُم به في أرضٍ فلا تَقْدُمُوا عليها»[(٢)].

فالحاصلُ: أنه لا يَلزَمُ أن نَقُولَ: إن أحكامَ الرسولِ ﷺ لابدَّ أن تكُونَ ظاهرةً؛ لأنه مُرْسَلٌ إلى جميعِ الخلقِ، فيجِبُ أن يُبَلِّغَ كلَّ واحدٍ؛ لأنه قولٌ باطلٌ بلا شكٍّ.

وأما حديثُ عمرَ رضي الله عنه ففيه: دليلٌ على أن الإنسانَ إذا استأْذن فلم يُؤْذَنْ له ثلاثَ مراتٍ، فإنه يَرْجِعُ، فإن كلَّمه صاحبُ البيتِ، وقال: ادخُلْ. فلْيَدْخُلْ، وإن قال: ارْجِعْ فلْيَرْجِعْ.

ولما كان الرجوعُ صعبًا على النفوسِ، جعلَ اللهُ تعالى الرجوعَ من أسبابِ الزكاةِ فقال: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾[النور:٢٨]؛ أي: أزكى لك من أن تُصِرَّ على أن تدخُلَ، وإن كان فيه شيءٌ من الغَضاضةِ.

---

(١)تقدم تخريجه.

(٢)رواه البخاري (٥٧٢٩)،ومسلم(٤/ ١٧٤٠) (٢٢١٩) (٩٨).

ومثلُ ذلك: إذا قال لكم أحدٌ في سيرِكم معه: ارْجِعوا، فإن هذا عنده شيءٌ خاصٌ، فإذا رجَعْتُم فهو أزكى لكم.

وفيه أيضًا: دليلٌ على تثبُّتِ عمرَ رضي الله عنه في الأخبارِ، كما سبَقَ بيانُه[1].

أما الحديثُ الثاني ففيه: أن الاتهامَ -أي: اتهامَ الشخصِ- قد كان حتى في صدرِ هذه الأمةِ.

وفيه: أن أبا هريرةَ رضي الله عنه أكثرُ الصحابةِ روايةً عن النبيِّ ﷺ، ولكن هل هذا هو أكثرُ الصحابةَ تحمُّلًا؟

الجوابُ: لا، فلا أظُنُّه أكثرَ تحمُّلًا من أبي بكرٍ رضي الله عنه وعمرَ؛ اللَّذينِ كانا يُلازِمانِ النبيَّ ﷺ دائمًا في سفرِه، وإقامتِه، وقبلَ أن يُسْلِمَ أبو هريرةَ بزمانٍ، لكنَّ أبا هريرةَ تفرَّغَ وصار يُحَدِّثُ الناسَ، فكثُر تلاميذُه، وكثُرت أحاديثُه رضي الله عنه.

ثم هو أيضًا: أكثرَ مِن غيرِه تحملًا ولكنها كثرةٌ نسبيةٌ؛ لأنه كان فقيرًا، وكان يَتْبَعُ النبيَّ ﷺ على شِبَعِ بطنِه، والصحابةُ كثيرٌ منهم يَشْتَغِلُونَ بالتجارةِ، وبالصَّفْقِ في الأسواقِ؛ أي: أنهم يَبِيعُونَ ويَشْتَرُونَ؛ لأن عقدَ البيعِ يُسَمَّي صَفقًا، والأنصارُ عندَهم الحرثُ والزرعُ يَشْتَغِلونَ فيه.

وفي هذا الحديثِ أيضًا: هذه الآيةُ العظيمةُ التي حصَلَت له، حينَ قالَ النبيُّ ﷺ: «مَن يَبْسُطْ رِداءَه حتى أَقْضِيَ مقالتي، ثم يَقْبِضْه فلن يَنْسَى شيئًا سمِعه مني». يقُولُ: فبَسَطْتُ بُرْدَةً كانت عليَّ، فوالذي بَعثَه بالحقِّ ما نَسِيتُ شيئًا سمِعْتُه منه.

وظاهرُ الحديثِ: أن اللهَ يُعْطِيه حفظًا في هذا الحديثِ وفي غيره.

فإذا قال قائلٌ: هل نَفْهَمُ من حديثِ أبي هريرةَ أن ملازمةَ العلماءِ لتلقِّي العلمِ منهم، أفضلُ من الصَّفْقِ في الأسواقِ؟

الجوابُ: نعم، وذلك إذا كان عندَ الإنسانِ ما يَكْفِيه، أو كان لديه قوةُ توكُّلٍ، فلا شكَّ أن ملازمةَ العلماءِ للأخْذِ منهم أفضلُ من كونِه يَبْقَى هكذا.

أما إذا لم يَكُنْ عندَ الإنسان ما يَكْفيه، أو كان ضعيفَ التوكلِ، فإنه يُقَدِّمُ حاجتَه وحاجةَ عيالِه على فاضلِ العلمِ.

ولكن هل الأفضلُ الزواجُ، أم طلبُ العلمِ وملازمةُ العلماءِ؟

الجوابُ: هذا أيضًا يَرْجِعُ إلى حالِ الشخصِ، فبعضُ الناسِ لا يُطِيقُ الصبرَ عن الزواجِ، حتى لو جلَسَ عندَ العلماءِ تَجِدُه يُفكِّرُ في الزواجِ، فهذا نَقُولُ له: تَزَوَّجْ أولًا. وبعضُ الناسِ لا

---

(١) تقدم تخريجه.

يَهْتَمُّ بهذا الأمرِ، فلكلِّ قضيةٍ حكمٌ خاصٌّ.

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

٢٣- بابُ مَن رأى تركَ النكيرِ من النبيِّ ﷺ حجةً، لا من غيرِ الرسولِ.

٧٣٥٥- حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سَعْدِ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ المُنْكَدِرِ قَالَ: رَأَيْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَحْلِفُ بِاللهِ أَنَّ ابْنَ الصَّائِدِ الدَّجَّالُ. قُلْتُ: تَحْلِفُ بِاللهِ؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ عُمَرَ يَحْلِفُ عَلَى ذَلِكَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يُنْكِرْهُ النَّبِيُّ ﷺ[1].

هذه الترجمةُ يَقُولُ فيها رَحِمَهُ اللهُ: إن تركَ النكيرِ مِن النبيِّ ﷺ حجةٌ، وأما مِن غيرِه فلا. ووجهُ ذلك أن إقرارَ النبيِّ ﷺ على الشيءِ إن كان تعبدًا فهو سنةٌ، وإن كان غيرَ تعبدٍ فهو مُباحٌ؛ لأن النبيَّ ﷺ لا يُقِرُّ على خطأٍ، أما غيرُه فقد يُقِرُّ الخطأَ، إما ذهولًا وغفلةً، وإما خوفًا، وإما حياءً، وإما عجزًا أو لغيرِ ذلك مِنَ الأسبابِ.

مثالُ ذلك: إذا أُنكِر على شخصٍ فعلٌ مِن الأفعالِ ثم قال: قد فعَلتُ هذا بحضرةِ العالمِ الفلانيِّ، فلم يُنكِرْ عليَّ. نَقُولُ: هذا ليس بحجةٍ؛ لأن هذا العالمَ قد يَكونُ عاجزًا عن الإنكارِ، وقد يَكُونُ عنده ترددٌ في الحكمِ، فلا يُحِبُّ أن ينكِرَ وهو عنده ترددٌ، وقد يَرى جوازَ هذا الشيءَ وهو ليس كذلك، ولكن عدمَ إنكارِ الرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حجةٌ.

وقولُ المؤلفِ: «بابُ مَن رأى» يَدلُّ على أن هناك رأيًا آخرَ؛ لأن مِن العلماءِ[2] مَن يرى أن تركَ الإنكارِ مِن العالمِ القادرِ على الإنكارِ حجةٌ.

لكن ينبَغي أن يُقَالَ: هو حجةٌ على رأيه؛ أي: على أنه يَرى أن هذا جائزٌ، لا على الحكمِ الشرعيِّ، وفرقٌ بينَ الأمرينِ: فإذا قلنا: إنه حجةٌ على أنه يَرَى جوازَه، فهذا هو الأصلُ؛ لأنه لم يُقِرَّه إلا وهو يَرَى أنه جائزٌ، لاسيَّما مع القدرةِ على الإنكارِ، أما إذا قلنا: إنه يدُلُّ على جوازِ الشيءِ شرعًا فلا؛ لأن هذا الرجلَ قد يَكُونُ مخطئًا في رأيِه، فلا يَكُونُ موافقًا للحقِّ.

قال ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (١٣/ ٣٢٣، ٣٢٤):

قولُه: «بابُ مَنْ رأى تَرْكَ النكيرِ مِن النبيِّ ﷺ حجةً» النَّكيرُ بفتحِ النونِ وزنُ عظيمٍ: المبالغةُ في الإنكارِ. وقد اتَّفقوا على أن تقريرَ النبيِّ ﷺ لما يُفعلُ بحضرتِه، أو يُقَالُ ويَطلِّعُ عليه

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٢٤٣) (٢٩٢٩) (٩٤).

(٢) سيأتي ذكر ذلك في كلام ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ قريبًا إن شاء الله تعالى.

بغيرِ إنكارٍ دالٌّ على الجوازِ؛ لأن العصمةَ تنفي عنه ما يحتَمِلُ في حقِّ غيرِه، مما يترتَّبُ على الإنكارِ، فلا يُقِرُّ على باطلٍ، فمِنْ ثَمَّ قال: «لا مِن غيرِ الرسولِ». فإن سكوتَه لا يدُلُّ على الجوازِ، ووقعَ في تنقيحِ الزركشيِّ في الترجمةِ بدلَ قولِه: لا مِن غيرِ الرسولِ «لأمرٍ يحضُرُه الرسولُ». ولم أرَه لغيرِه، وأشار ابنُ التينِ إلى أن الترجمةَ تتعلَّقُ بالإجماعِ السكوتيِّ، وأن الناسَ اختلفوا، فقالت طائفةٌ: لا يُنسَبُ لساكتٍ قولٌ؛ لأنه في مهلةِ النظرِ، وقالت طائفةٌ: إن قال المجتهدُ قولًا وانتَشَر لم يُخالِفْه غيرُه بعدَ الاطلاعِ عليه فهو حجةٌ، وقيل: لا يكونُ حجةً حتى يتعددَ القيلُ به، ومحلُّ هذا الخلافِ ألَّا يُخالِفَ ذلك القولُ نصَّ كتابٍ أو سنةٍ، فإن خالفَه فالجمهورُ على تقديمِ النصِّ، واحتجَّ مَنْ منعَ مطلقًا؛ أن الصحابةَ اختلفوا في كثيرٍ مِن المسائلِ الاجتهاديةِ، فمنهم مَنْ كان يُنكِرُ على غيرِه إذا كان القولُ عنده ضعيفًا، وكان عنده ما هو أقوى منه مِن نصِّ كتابٍ أو سنةٍ، ومنهم مَن كان يَسكُتُ فلا يَكُونُ سكوتُه دليلًا على الجوازِ، لتجويزِ أن يَكُونَ لم يَتَّضِح له الحُكمُ، فسكتَ لتجويزِ أن يكونَ ذلك القولُ صوابًا، وإن لم يظهَر له وجهُه. اهـ

الحاصلُ: أننا عرفنا أنه حجةٌ على أن هذا القولَ هو قولُ هذا العالمِ، لا على أن هذا هو الصوابُ.

فإذا قال قائلٌ: ألا يَحتَمِلُ أن هذا العالمَ غفَلَ، أو أنه ليس بقادرٍ؟

الجوابُ: قلنا: الأصلُ عدمُ الغفلةِ، وأما أنه ليس بقادرٍ فقد قيَّدناه بقولِنا: مع القدرةِ فإذا فُعِل عند العالمِ فعلٌ، وهو قادرٌ على إنكارِه ولم يُنكِره، فهو دليلٌ على أنه يَرَى جوازَه؛ لأن هذا هو الأصلُ وأَن العالمَ لا يُقِرُّ شيئًا يَرَى أنه حرامٌ.

وفي هذا الحديثِ: أن ابنَ الصائدِ هو الدجالُ وليس المرادُ به الدجالَ المعينَ الذي يَخرُجُ في آخرِ الزمانِ؛ لأن ابنَ الصيادِ دخلَ مكةَ والمدينةَ، والدجالُ لا يَدخُلُ مكةَ والمدينةَ[1] على أن بعضَ أهلِ العلمِ يَقولُ: هذا ليس بحجةٍ؛ لأنه ربما يَكُونُ ممنوعًا مِن مكةَ والمدينةِ إذا ظهرتْ فتنتُه، أما قبلَ ذلك فلا.

ولهذا اختلفَ العلماءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ هل ابنُ الصيادِ هو الدجالُ الذي يُبْعَثُ في آخرِ الزمانِ، أو هو دجالٌ مِن الدجاجلةِ والمموهينَ[2]؟

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٢٤١) (٢٩٢٧) (٨٩).

(٢) قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرحه على صحيح مسلم» (٩/ ٢٨١): قال العلماء: وقصته مشكلة وأمره مشتبه في أنه هل هو المسيح الدجال المشهور أم غيره؟ ولا شك في أنه دجال من الدجاجلة، قال العلماء: وظاهر =

والأقربُ الثاني: لأنه ثبتَ في الصحيحينِ أن الرسولَ عليه الصلاة والسلام خطبَ يومًا فقال: «إنه على رأسِ مائةِ سنةٍ لا يَبقَى ممن هو على وجهِ الأرضِ اليومَ أحدٌ»[1] والأصلُ أن العامَّ شاملٌ لجميعِ أفرادِه، و(أحدٌ) نكرةٌ في سياقِ النفيِ فيكونُ للعمومِ، وقد قرَّرَ النبيُّ عليه الصلاة والسلام هذه القاعدةَ -أن العامَّ شاملٌ لجميعِ أفرادِه- في قولِه «السلامُ علينا وعلى عبادِ اللهِ الصالحينَ»، فقال: «إنكم إذا قلتم ذلك فقد سلَّمتم على كلِّ عبدٍ صالحٍ في السماءِ والأرضِ»[2]. لأن لفظَ عبادِ اللهِ مِن صيغِ العمومِ.

وعلى هذا فيَكُونُ ابنُ الصيادِ داخلٌ في العمومِ مِن أنه لا يبْقَى على رأسِ مائةِ سنةٍ ممن هو على وجهِ الأرضِ أحدٌ.

ووجهُ مطابقةِ الحديثِ للترجمةِ؛ أن عمرَ كان يَحْلِفُ على ذلك عند النبيِّ ﷺ فلم يُنكِرهُ.

ثم قال البخاريُّ رحمه الله تعالى:

٢٤- بابُ الأحكامِ التي تعرفُ بالدلائلِ وكيف معنى الدِّلالةِ وتفسيرُها.

وقد أخبر النبيُّ ﷺ أمرَ الخيلِ وغيرِها، ثم سُئِل عن الحُمُرِ فدلَّهم على قولِه تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾[الزلزلة:٧][3].

وسُئِل النبيُّ ﷺ عن الضبِّ، فقال: لا آكلُهُ ولا أُحرِّمُه، وأُكِلَ على مائدةِ النبيِّ ﷺ الضبُّ، فاستدلَ ابنُ عباسٍ بأنه ليس بحرامٍ[4].

هذا البابُ المقصودُ به معرفةُ الأحكامِ بالاستنباطِ والقرائنِ، فالاستنباطُ والقرائنُ لا شكَّ أنهما مِن طرقِ ثبوتِ الأحكامِ؛ لأن طرقَ ثبوتِ الأحكامِ متعددةٌ:

=

الأحاديث أن النبي ﷺ لم يوح إليه بأنه المسيح الدجال ولا غيره، وإنما أوحي إليه بصفاتِ الدجال وكان في ابن صياد قرائن محتملة،فلذلك كان النبيﷺ لا يقطع بأنه الدجال ولا غيره، ولهذا قال لعمر رضي الله عنه «إن يكن هو فلن تستطيع قتله». اهـ

وانظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام»(١١/ ٢٨٣)، و«تحفة الأحوذي»(٦/ ٤٢٦)، و«عمدة القاري» (٨/ ١٧٢).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٦٣٢٨)، ومسلم(١/ ٣٠١)(٤٠٢) (٥٥).

(٣) هكذا علقه البخاري بصيغة الجزم، وأسنده في حديث الباب الذي معنا.

(٤) علقه البخاري أيضًا بصيغة الجزم وأسنده في الذبائح والصيد (٥٥٣٦)، (٥٥٣٧) من طريق عبد الله بن مسلمة، عن مالك، عن ابن شهاب عن أبي أمامة بن سهل، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن خالد بن الوليد، به. وبغير هذا الطريق أيضًا.

فتارةً يُنصُّ على الحكمِ بعينه.

وتارةً يؤخذُ بالقرينةِ.

وتارةً يُؤخذُ بالعمومِ إلى غيرِ ذلك.

في هذه الترجمةِ أخبرَ النبيُّ عليه الصلاة والسلام عن الخيل، وقال: «إن في نواصيها الخيرَ إلى يوم القيامةِ».

وسُئل عن الحُمُرِ، فقال: «لم ينزل عليَّ فيها إلا هذه الآيةُ الشاذةُ الفاذةُ»؛ يعني: المنفردةَ التي تُعتبرُ حكمًا فاصلًا، ثم قرأ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾[الزلزلة:٧]. يعني: أن الحمرَ ليس فيها خيرٌ لذاتها، ولا شرٌّ، لكن إن عملتَ فيها خيرًا أُثِبتَ، وإن عمِلتَ فيها شرًّا عوقِبتَ.

وسُئلِ عن الضَّبِّ، فقال: «لا آكُلُه ولا أحرِّمه». وعلَّل ذلك بأنه ليس في أرضِ قومِه فهو يُعافُه، لكنه لم يُحرِّمْه لأنه أُكِلَ على مائدتِه ﷺ، أكلَه خالدُ بنُ الوليدِ، فاستدلَّ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما بأنه ليس بحرام؛ لأنه لو كان حرامًا لم يُقِرَّ النبيُّ ﷺ خالدًا ولا غيرَه على أكلهِ.

واستدلَّ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما أيضًا: على أن أجرَ الحجَّامِ حلالٌ -مع أن النبيَّ ﷺ قال: «كسبُ الحجَّامِ خبيثٌ»[1] - بأنَّ النبيَّ ﷺ احتجمَ وأعطى الحجامَ أجرَه، ولو كان حرامًا لم يُعْطِه[2] .

كذلك أيضًا: نستدِلُ على جوازِ أخذِ الأجرةِ على القراءةِ على المريضِ، بأن النبيَّ ﷺ أقرَّ الصحابةَ على أخذِ الأجرةِ على القراءةِ على المريضِ[2] .ونأخُذُ كذلك جوازَ الأُجرةِ على تعليمِ القرآنِ مِن هذا الحديثِ.

فالحاصلُ: أن طرقَ الاستدلالِ كثيرةٌ، فتكوُنُ بالقرائنِ، وبالنصِّ، وبالعمومِ، وبغيرِ ذلك، والناس يختلفون في هذا اختلافًا كثيرًا.

فمثلًا لو قال لك قائلٌ: هل يَجُوزُ للإنسانِ أن يُصبح جُنبًا وهو صائمٌ؟

الجوابُ: قل: نعم، يجوزُ؛ لأن الله قال: ﴿فَالْئَنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾[البقرة:١٨٧]. فإذا جاز للإنسانِ أن يُباشرَ زوجتَه إلى طلوعِ الفجرِ، لزِم مِن ذلك أن يُصبحَ وهو جنبٌ.

والأمثلةُ على هذا كثيرةٌ؛ مِن أن الحكمَ يَكُونُ بالنصِّ على نفسِ الحكمِ، وبالعمومِ، وبالاستنباطِ، وبالإشارةِ، وبغيرِ ذلك، والناسُ يَختلِفونَ في هذا اختلافًا كثيرًا، فتجدُ بعضَ الناسِ يأخذُ مِن نصٍّ واحدٍ

---

(١) رواه مسلم(٣/ ١١٩٩)(١٥٦٨) (٤١).

(٢) رواه البخاري (٢٢٧٩)، ومسلم(٣/ ١٢٠٥)(١٢٠٢) (٦٦).

(٢) ر واه البخاري(٥٧٤٩)، ومسلم(٤/ ١٧٢٧)(٢٢٠١) (٦٥).

عدةَ مسائلَ، وآخرَ لا يَسْتَطيعُ أن يأخُذَ ولا نصفَ الذي أخذَه الأولُ.

ويُذكرُ أن الشافعيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ استضافَه الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ، وكـان الإمـامُ أحمـدُ بـنُ حنبـلٍ يَذكُرُه عند أهلِه- أي: الشافعيُّ ـ بخيرٍ، فنزلَ عليه ضيفًا ذاتَ يومٍ، فقدَّم إليه العشاءَ فأكله كلَّه؛ ثم انصرفَ الإمامُ أحمدُ وبقِيَ الإمامُ الشافعيُّ في فراشِه، ولم يَقُمْ في آخرِ الليلِ ليتهجدَ، ثـم أذَّنَ الفجرُ، فقام يُصَلِّي ولم يَطلُبْ ماءً للوضوءِ، فلما أصبحَ الإمـامُ أحمـدُ، قـال لـه أهلـهُ: مـا هـذا الشيخُ، أكلَ الطعامَ كلَّه، ونامَ ولم يتهجَّدْ، وصلَّى الفجرَ بغيرِ وضوءٍ؟

كلُّ هذه عَدُّوها عيوبًا ـ فسألَ الإمامُ أحمدُ الشافعيَّ ما هو شأنُك البارحةَ؟

فقال: أما الطعامُ فملأتُ بطني منه؛ لأنني لا أجدُ طعامًـا أحـلَّ مِـن طعـامِ الإمـامِ أحمـدَ، فملأتُ بطني مِن هذا الطعامِ الحلالِ، ومِلءُ البطنِ عادةٌ لا بأسَ بها، فإن أبـا هريـرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لـما سقاه النبيُّ ﷺ اللبنَ ورَوِيَ، قال: «اشرَب» قال: لا أجدُ له مُسَاغًا يعني: امتلأَ بطنُه[1].

وأما كوني لم أتهجدْ؛ فلأن العلمَ أفضلُ مِن التهجـدِ، وكنـتُ أفكـرُ في اسـتنباطِ الأحكـامِ مِـن قـولِ الرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «يا أبا عميرَ ما فعل النغيرُ»[2]. وأقلُّ ما قيل إنه أَخذَ مِن هذا الحديثِ ثمانينَ مسألةً.

وأما كوني خرجتُ ولم أتوضَّأ؛ فلأن وضوئي لم يَنْتَقِضْ؛ لأننـي مـا نمـتُ ـ يعنـي: وكأنـه يَقُولُ لا أحبُّ أن أكَلِّفَكُم بأن تأتوا لي بالماءِ.

الشاهدُ: أن الناسَ يختَلِفونَ في استنباطِ الأحكامِ مِن الأدلةِ، ومِن أكثـرِ مـا مـرَّ عـليَّ مِـن الذين يَستَنبِطونَ الأحكامَ مِن الأدلةِ ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ، فإن له مجالًا واسعًا، ويظهَـرُ ذلـك تمامًـا مِن كتابهِ «زاد المعادِ في هديِ خير العبادِ»، وكذلك شيخُنا عبدُ الرحمنِ بنُ السَّعديِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، فلـه قوةٌ في استنباطِ الأحكامِ، ويظهَرُ ذلك تمامًا في كلامِه على آيـةِ الوضـوءِ في سـورةِ المائـدةِ، فقـد استنبَطَ منها أحكامًا كثيرةً[3].

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٧٣٥٦- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ، عَنْ

---

(١) رواه البخاري (٦٤٥٢).

(٢) رواه البخاري (٦١٢٩)، ومسلم (٣/ ١٦٩٢) (٢١٥٠) (٣٠).

(٣) ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى واحدًا وخمسين حكمًا، ثم قال: إنه ينبغي أن يتدبر الحكم والأسرار في شرائع الله في الطهارة وغيرها، ليزداد معرفة وعلمًا، ويزداد شكرًا لله ومحبة له على مـا شـرع مـن الأحكـام التـي توصـل العبـد إلى المنازل العالية الرفيعة. (ص٢١٥).

أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْخَيْلُ لِثَلَاثَةٍ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَى رَجُلٍ وِزْرٌ، فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَأَطَالَ فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، فَمَا أَصَابَتْ فِي طِيَلِهَا ذَلِكَ الْمَرْجِ وَالرَّوْضَةِ كَانَ لَهُ حَسَنَاتٍ، وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيَلَهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ كَانَتْ آثَارُهَا وَأَرْوَاثُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ، وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهَرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَ بِهِ كَانَ ذَلِكَ حَسَنَاتٍ لَهُ، وَهِيَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ أَجْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغَنِّيًا وَتَعَفُّفًا وَلَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي رِقَابِهَا وَلَا ظُهُورِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخْرًا وَرِيَاءً، فَهِيَ عَلَى ذَلِكَ وِزْرٌ». وَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْحُمُرِ، قَالَ: «مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيَّ فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الآيَةَ الْفَاذَّةَ الْجَامِعَةَ»: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨][1].

هذا الحديثُ هو الذي أشارَ إليه في الترجمةِ.

وقولُه: «الفـاذَّةَ الجامعـةَ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾» وجـهُ الجمـعِ فيهـا أن «مَن» فيها شرطيةٌ، و«خيرًا» و«شرًّا» نكرةٌ في سياقِ الشرطِ، فتعُمُّ.

ولقائلٍ أن يَقُولَ: «ألا يَدُلُّ قولُه: ولم يَنْسَ حقَّ اللهِ في رِقابِها ولا ظهورِها». أن في الخيلِ زكاةً؟

الجوابُ: أنه لا يَدُلُّ على وجوبِ الزكـاةِ؛ لأن مـن ظهورِهـا أن يَـستعْمِلَها في الجهـادِ في سبيلِ اللهِ، ومِن رِقابِها أيضًا أن يَقُومَ عليها بما يَجِبُ، فإن دلَّ على شيءٍ من ذلك فإنما يكُونُ هـو المرادَ وهذا لم يُعَدَّ للتجارةِ، وإلا فقد ثبتَ في الصحيحينِ أن النبيَّ ﷺ قال: «ليس على المسلم في عبدِه ولا فرسِه صدقةٌ»[2].

ثم قال البخاريُّ رحمه الله تعالى:

٧٣٥٧- حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ صَفِيَّةَ، عَنْ أُمِّهِ، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ. حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ - هُوَ ابْنُ عُقْبَةَ - حَدَّثَنَا الْفُضَيْلُ بْنُ سُلَيْمَانَ النُّمَيْرِيُّ الْبَصْرِيُّ، حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنُ شَيْبَةَ، حَدَّثَتْنِي أُمِّي، عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْحَيْضِ كَيْفَ تَغْتَسِلُ مِنْهُ، قَالَ: «تَأْخُذِينَ فِرْصَةً مُمَسَّكَةً فَتَوَضَّئِينَ بِهَا». قَالَتْ: كَيْفَ أَتَوَضَّأُ بِهَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَوَضَّئِي». قَالَتْ: كَيْفَ أَتَوَضَّأُ بِهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَوَضَّئِينَ بِهَا». قَالَتْ عَائِشَةُ: فَعَرَفْتُ الَّذِي يُرِيدُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

---

(١) رواه مسلم (٢/ ٦٨٠) (٩٨٧) (٢٤) بطوله.

(٢) تقدم تخريجه في الزكاة.

فَجَذَبْتُهَا إِلَيَّ فَعَلَّمْتُهَا[١].

الشاهدُ مِن هذا الحديثِ: أن هذه المرأةَ كرَّر عليها النبيُّ ﷺ الإجابةَ ثلاثَ مراتٍ ولم تَفْهمْ ذلك، والمرادُ أنها تتنظَّفُ بها؛ لأن الوضوءَ في الشرعِ يُطلَقُ على النظافةِ والتَّنزهِ، ولكن عائشةَ رضي الله عنها عرَفت ما أراد النبيُّ ﷺ فأخبرَتْها بذلك.

وقد يُفْهَمُ مِن هذا أن طرقَ الاستنباطِ غيرُ محصورةٍ؛ لأنها تنبني على قوةِ فهمِ الإنسانِ.

فإذا قال قائلٌ: لكن ما هي الوسائلُ التي يُحَصِّلُ بها الإنسانُ ملكةَ الاستنباطِ؟

فالجوابُ أن يُقالَ: إن الوسائلَ التي يُحَصِّلُ بها الإنسانُ ملكةَ الاستنباطِ هي التَّكرارُ والتدبُّرُ؛ لأن الذكاءَ كما نَعْلَمُ جميعًا غريزيٌّ ومكتسبٌ:

أما الغريزيُّ فالله تعالى يَهَبُهُ لمن يشاءُ، وأما المكتسبُ فهو ما يحصُلُ بفعلِ الإنسانِ وممارستِه، وانظر إلى قضيةِ سليمانَ مع المرأتينِ، فإن داودَ حكمَ بأن الولدَ للكُبْرى، وأما سليمانُ فطلبَ السكينَ؛ ليَشُقَّ الغلامَ نصفينِ، فأبتِ الصغيرةُ، ووافقتِ الكبيرةُ؛ فاستنبطَ مِن هذا أنه ابنُ الصغيرةِ التي أدركتها رحمةُ الوالدةِ وأبت أن يُشَقَّ[٢].

ثم قال البخاريُّ رحمه الله تعالى:

٧٣٥٨- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ أُمَّ حُفَيْدٍ بِنْتَ الْحَارِثِ بْنِ حَزْنٍ أَهْدَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ سَمْنًا وَأَقِطًا وَأَضُبًّا، فَدَعَا بِهِنَّ النَّبِيُّ ﷺ فَأُكِلْنَ عَلَى مَائِدَتِهِ، فَتَرَكَهُنَّ النَّبِيُّ ﷺ كَالْمُتَقَذِّرِ لَهنّ، وَلَوْ كُنَّ حَرَامًا مَا أُكِلْنَ عَلَى مَائِدَتِهِ، وَلَا أَمَرَ بِأَكْلِهِنَّ[٣].

٧٣٥٩- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا، فَلْيَعْتَزِلْنَا أَوْ لِيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا، وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ». وَإِنَّهُ أُتِيَ بِبَدْرٍ -قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: يَعْنِي طَبَقًا- فِيهِ خَضِرَاتٌ مِنْ بُقُولٍ، فَوَجَدَ لَهَا رِيحًا، فَسَأَلَ عَنْهَا- فَأُخْبِرَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْبُقُولِ- فَقَالَ: قَرِّبُوهَا فَقَرَّبُوهَا إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ كَانَ مَعَهُ، فَلَمَّا رَآهُ كَرِهَ أَكْلَهَا قَالَ: «كُلْ، فَإِنِّي أُنَاجِي مَنْ لَا تُنَاجِي»[٤].

---

(١) رواه مسلم (١/ ٢٦٠) (٣٣٢) (٦٠).

(٢) رواه البخاري (٣٤٢٧)، ومسلم (٣/ ١٣٤٤) (١٧٢٠) (٢٠).

(٣) رواه مسلم (٣/ ١٥٤٤) (١٩٤٧) (٤٦).

(٤) رواه مسلم (١/ ٣٩٤) (٥٦٤) (٧٣) عن ابن وهب إلى قوله: «فإني أناجي من لاتناجي».

وَقَالَ ابْنُ عُفَيْرٍ: عَنِ ابْنِ وَهْبٍ بِقِدْرٍ فِيهِ خَضِرَاتٌ. وَلَمْ يَذْكُرِ اللَّيْثُ، وَأَبُو صَفْوَانَ، عَنْ يُونُسَ قِصَّةَ الْقِدْرِ، فَلَا أَدْرِي هُوَ مِنْ قَوْلِ الزُّهْرِيِّ أَوْ فِي الْحَدِيثِ[1].

الشاهدُ مِن هذا: أن الرسولَ عليه الصلاة والسلام قرَّبها إلى بعضِ أصحابِه، فكرِه هذا الصاحبُ؛ لأن النبيَّ ﷺ لم يَأكل منها، فقال له: «كُلْ، فإني أُناجي من لا تُناجِي»؛ أي: يُناجِي جبريلَ؛ لأن اللهَ يُناجيه كلُّ إنسانٍ، فالمصلِّي يُناجِي ربَّه، لكن الرسولَ ﷺ يُناجِي جبريلَ وهذا الصحابيُّ لا يُناجيه.

وفي هذا الحديثِ: دليلٌ على أن مَنْ أكل شيئًا له رائحةٌ كريهةٌ، فإنه يَعتزِلُ الناسَ؛ لأنه قال: «فليَعتزلنا»، أو «لِيعتزِلْ مسجدنا». هذا شكٌّ، لكنَّ قولَه: «وليقعُدْ في بيتِه». يَدُلُّ على أن المرادَ اعتزالُ الناسِ لما يَلْحَقُهم مِن الأذيةِ بالرائحةِ، ومثلُ ذلك: الروائحُ الأخرى؛ كمن فيه بَخَرٌ[2]، وصُنَانٌ[3] وعَرَقٌ مؤذٍ، فإنه يعتزِلُ الناسَ؛ لئلَّا يُؤذِيَهم.

وإذا كان هذا في المؤذِي فالذي يضُرُّ مِن بابِ أولى، فمَنْ كان في حضورِه ضررٌ على الناسِ، مثلَ أن يكُونَ فيه جُذامٌ - والجذامُ معروفٌ أنه مِن الأمراضِ المعديةِ - فإنه يُنْهَى عن الاختلاطِ بالناسِ؛ ولهذا نهى النبيُّ ﷺ أن يُوردَ مُمْرِضٌ على مُصحٍّ[4]. وقال أهلُ العلمِ: يجبُ على وليِّ الأمرِ أن يَجْعَلَ الذين يأتيهمُ الجذامُ في مكانٍ خاصٍّ لا يَختَلِطونَ بالناسِ، خوفًا مِن الضررِ بالعدوَى[5].

فإذا قال قائلٌ: هل يَلزَمُ مِن هذا تحريمُ أكلِ البصلِ والكراثِ؛ لأنه يَسْتَلْزِمُ ألا يحضُرَ المسجدَ؟

الجوابُ: قلنا: لا، إلا إذا أكلَه مِن أجلِ ألّا يحضُرَ المسجدَ، فحينئذٍ يكُونُ حرامًا، ونظيرُ ذلك أن الرجلَ يُسافِرُ في رمضانَ فيُفْطِرُ فيستَبيحُ بسفرِه الأكلَ والشربَ، والجماعَ في نهارِ رمضانَ، فهل نَقُولُ: إنه لا يجوزُ أن يُسافِرَ؛ لأن ذلك يؤدِّي إلى استباحةِ المُحرَّمِ؟

---

(١) علق البخاري رحمه الله هذه الروايات الثلاث بصيغة الجزم عقب الحديث. فأما حديث سعيد بن عفير فتقدم الكلام عليه في الأذان، [باب ما جاء في الثوم النيء والبصل والكراث] (٨٥٥)، وكذا حديث الليث، وانظر: «الفتح» ٢/ ٣٤٢، وأما حديثِ أبي صفوان فأسنده المؤلف في الأطعمة، باب ما يكره من الثوم والبقول (٥٤٥٢) وانظر «الفتح» ٩/ ٥٧٥.

(٢) البَخَر: الرائحة المتغيرة من الفم. اللسان (ب خ ر).

(٣) الصُّنان: ذَفَر الإِبْط، وقد أَصَنَّ الرجلُ؛ أي: صار له صُنَانٌ. مختار الصحاح (ص ن ن).

(٤) رواه البخاري (٥٧٧١)، ومسلم (٤/ ١٧٤٣) (٢٢٢١) (١٠٤).

(٥) قال شيخ الإسلام في الفتاوى الكبرى (٤/ ٦٠٥): ولا يجوز للجذماء مخالطة الناس عمومًا، ولا مخالطة الناس لهم، بل يسكنون في مكان مفرد لهم ونحو ذلك، كما جاءت به سنة رسول الله ﷺ، وخلفائه، وكما ذكره العلماء، وإذا امتنع ولي الأمر من ذلك أو المجذوم أثم بذلك، وإذا أصر على ترك الواجب مع علمه به فسق. وانظر: «كشاف القناع» (٦/ ١٢٦).

الجوابُ: لا، إلا إذا قصدَ بأن يُسافِرَ مِن أجلِ الفطرِ، فهنا يحرمُ الفطرُ ويحرمُ السفرُ.

وإذا كان الدخانُ يُؤذي أكثرَ مِن البصلِ، نَقُولُ لشاربِ الدخانِ: لا تَدْخُلِ المساجدَ، ولا تحضُرِ الصلاةَ، وهذا لو طبَّقناها لكان فيها حملٌ للمدخنينَ أن يتركُوا الدخانَ.

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٧٣٦٠ـ حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا أَبِي، وَعَمِّي، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرٍ، أَنَّ أَبَاهُ جُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ أَخْبَرَهُ، أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَتْهُ فِي شَيْءٍ، فَأَمَرَهَا بِأَمْرٍ، فَقَالَتْ: أَرَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ لَمْ أَجِدْكَ، قَالَ: «إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ». زَادَ الْحُمَيْدِيُّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ كَأَنَّهَا تَعْنِي الْمَوْتَ[1].

الشاهدُ مِن هذا: أن الرسولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أمَرها بأمرٍ أن تفعَلَه، فخافت ألَّا تجِدَ النبيَّ ﷺ إذا رجَعتْ إليه، فأمَرها أن ترْجِعَ إلى أبي بكرٍ، وهو إشارةٌ منه إلى أنه الخليفةُ مِن بعدِه، ولكن هل هذا نصٌّ على أنه الخليفةُ، أو توقُّعٌ مِن الرسولِ ﷺ أن الصحابةَ يَكُونُ رأيُهم على أنه يكونُ هو الخليفةُ؟

الجوابُ: لا شكَّ أنه توقعٌ مِن الرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أن يكونَ أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الخليفةَ بعدَه؛ ولهذا جاء في الحديثِ: «يأبى اللهُ والمؤمنونَ إلَّا أبا بكرٍ»[2].

قال الحافظُ في «الفتح» ١٣/ ٣٣٣:

قولُه: «زادَ لنا الحميديُّ، عن إبراهيم بن سعدٍ إلخ». يُريدُ بالسندِ الذي قبلَه والمتنَ كله، والمزيدُ هو قولُه: «كأنها تَعني الموتَ». وقد مضى في مناقبِ الصديقِ بلفظِ: «حدَّثنا الحميديُّ، ومحمدُ بنُ عبدِ اللهِ، قالا: حدَّثنا إبراهيمُ بنُ سعدٍ، وساقَه بتمامِه وفيه الزيادةُ، ويستَفادُ منه، أنه إذا قال: زادنا، وزاد لنا، وكذا زادني، وزادَ لي، ويلتَحِقُ به، قال لنا، وقال لي، وما أشبهَها، فهو كقولِه: حدَّثنا، بالنسبةِ إلى أنه حَمَلَ ذلك عنه سماعًا؛ لأنه لا يستَجيزُها في الإجازةِ، ومحلُّ الردِّ ما يُشْعِرُ به كلامُ القائلِ مِن التعميمِ، وقد وُجِدَ له في موضعٍ: زادنا، حدثنا، وذلك لا يَدْفَعُ احتمالَ أنه كان يستجيزُ في الإجازةِ أن يَقُولَ: قال لنا، ولا يستجيزُ: حدثنا.

قال ابنُ بطالٍ: استدلَّ النبيُّ ﷺ بظاهرِ قولِها: «فإن لم أجدكَ». أنها أرادتِ الموتَ، فأمَرها

---

(١) رواه مسلم (٤/ ١٨٥٦) (٢٣٨٦) (١٠) وقوله: زاد لنا الحميدي. قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٣٣٣): يريد بالسند الذي قبله والمتن كله، والمزيد قوله: كأنها تعني الموت. وقد مضى في مناقب الصديق بلفظ: حدثنا الحميدي، ومحمد بن عبد الله قالا: حدثنا إبراهيم بن سعد. وساقه بتمامه وفيه الزيادة. وانظر: «تغليق التعليق» (٥/ ٣٢٨).

(٢) رواه مسلم (٤/ ١٨٥٧) (٢٣٨٧) (١١).

بإتيانِ أبي بكرٍ، قال: وكأنه اقترنَ بسؤالِها حالةٌ أفْهَمت ذلك، وإن لم تَنْطق بها، قلتُ: وإلى ذلك وقعتِ الإشارةُ في الطريقِ المذكورةِ هنا التي فيها: «كأنها تعني الموتَ». لكنَّ قولَها: «فإن لم أجدكَ». أعمُّ في النفي مِن حالِ الحياةِ وحالِ الموتِ؛ ودلالتُه لها على أبي بكرٍ مطابقٌ لذلك العمومِ، وقولُ بعضِهم هذا يدُلُّ على أن أبا بكرٍ هو الخليفةُ بعد النبيِّ ﷺ صحيحٌ، لكن بطريقِ الإشارةِ لا التصريحِ، ولا يُعارِضُ جزمَ عمرَ بأن النبيَّ ﷺ لم يَسْتخلِف؛ لأن مرادَه نفيُ النصِّ على ذلك صريحًا والله أعلمُ.

قال الكرمانيُّ: مناسبةُ هذا الحديثِ للترجمةِ أنه يُستَدلُّ به على خلافةِ أبي بكرٍ، ومناسبةُ الحديثِ الذي قبلَه؛ لأنه يُستَدَلُّ به على أن المَلَكَ يتأذَّى بالرائحةِ الكريهةِ.

قلتُ: في هذا الثاني نظرٌ؛ لأنه قال في بعضِ طرقِ الحديثِ: «فإن الملائكةَ تتأذَّى مما يتأذَّى منه بنو آدمَ» فهذا حكمٌ يُعرفُ بالنصِّ، والترجمةُ حكمٌ يُعرَفُ بالاستدلالِ، فالذي قاله في خلافةِ أبي بكرٍ مستقيمٌ بخلافِ هذا، والذي أشرتُ إليه مِن استدلالِ أبي أيوبَ على كراهيةِ أكلِ الثومِ بامتناعِ النبيِّ ﷺ مِن جهةِ عمومِ التأسِّي أقربُ مما قاله. اهـ

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

٢٥- بابُ قولِ النبيِّ ﷺ: لا تسألوا أهلَ الكتابِ عن شيءٍ.

٧٣٦١- وَقَالَ أَبُو الْيَمَانِ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، سَمِعَ مُعَاوِيَةَ يُحَدِّثُ رَهْطًا مِنْ قُرَيْشٍ بِالْمَدِينَةِ، وَذَكَرَ كَعْبَ الأَحْبَارِ، فَقَالَ: إِنْ كَانَ مِنْ أَصْدَقِ هَؤُلَاءِ الْمُحَدِّثِينَ الَّذِينَ يُحَدِّثُونَ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَإِنْ كُنَّا مَعَ ذَلِكَ لَنَبْلُو عَلَيْهِ الْكَذِبَ[1].

قولُه: إن كان «إن» هذه مخففةٌ مِن الثقيلةِ؛ وليست نافيةً، والمعنى: أنه كان مِن أصدقِ هؤلاءِ المحدثينَ الذين يُحدثونَ عن أهلِ الكتابِ، ومع ذلك ربما يأتي بأشياءَ غيرِ صحيحةٍ، والكذبُ في لغةِ الحجازيينَ، ليس كالكذبِ في لغةِ عامَّةِ العربِ، وهو أن يتعمدَ الإنسانُ الإخبارَ بخلافِ الواقعِ، بل الكذبُ عندهم هو الخطأُ، كما قال النبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في حديثِ

---

(١) قال الحافظ في الفتح(١٣/ ٣٣٤): قوله: قال أبو اليمان، كذا عند الجميع، ولم أره بصيغة حدثنا، وأبو اليمان من شيوخه، فإما أن يكون أخذه عنه مذاكرة، وإما أن يكون ترك التصريح بقوله: حدثنا، لكونه أثرًا موقوفًا، ويحتمل أن يكونَ مما فاته سماعه، ثم وجدت الإسماعيلي أخرجه، عن عبد الله بن العباس الطيالسي، عن البخاري قال: حدثنا أبو اليمان ومن هذا الوجه أخرجه أبو نعيم، فذكره فظهر أنه مسموع له، وترجح الاحتمال الثاني، ثم وجدته في التاريخ الصغير للبخاري. قال: حدثنا أبو اليمان أهـ. وانظر: «تغليق التعليق»(٥/ ٣٢٨).

سُبَيعَةَ الأسلميةِ حين قال لها أبو السنابلِ بنُ بَعْكَكٍ: واللهِ لا تتزوَّجينَ حتى يَمُرَّ عليكِ أربعةُ أشهرٍ وعشرُ وكانت قد نفسَت بعدَ موتِ زوجِها بليالٍ، فجمعت عليها ثيابها، ثم ذهبت إلى الرسولِ عليه الصلاة والسلام، ثم أخبرته بما قال أبو السنابل، فقال: «كذَبَ أبو السنابل»[1].

فكذَبَ هنا؛ بمعنى: أخطأَ، فالكذبُ في لغةِ الحجازيينَ ليس كالكذبِ في لغةِ باقيةِ العربِ؛ لأنها عندهم بمعنى الخطأِ، والمخطيء لا يُقالُ إنه كاذبٌ في عامةِ لغة العربِ.

ثم قال البخاريُّ رحمه الله تعالى:

٧٣٦٢- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ، أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لأَهْلِ الإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ، وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة:١٣٦].

قولُه: «لا تصدِّقوهم»؛ أي: لاحتمالِ أن يكُونُوا كاذبينَ.

وقولُه: «ولا تكذِّبوهم»؛ أي: لاحتمالِ أن يكُونوا صادقينَ.

وقولُه: «ولكن قولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰ...﴾». ونحنُ نؤمنُ بما أُنزلَ إليهم مِن التوراةِ ونؤمنُ بما أنزلَ إليهم مِن الإنجيل. لكننا لا نصدقُهم بما نسبوا إلى التوراةِ والإنجيلِ وكذلك لا نكذِّبُهم؛ لاحتمالِ أن يكونوا صادقينَ فنكذِّبُهم، أو أن يكُونُوا كاذبينَ فنصدِّقُهم، فنصدِّقُ بالباطلِ، أو نُكذِّبُ بالحقِّ.

وهذا يجِبُ أن نَعلَمَ أنَ ما أخبرَ به أهلُ الكتابِ ينْقَسِمُ إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

الأولُ: ما شهِدَ شرعُنا بصدقِه فيجبُ علينا أن نصدقَه، ومثالهُ قولُ الحَبْرِ مِن اليهودِ للنبيِّ ﷺ إننا نجدُ أن اللهَ يجعَلُ السماءَ على إصبعٍ، والأرضينَ على إصبعٍ.... إلي آخرِ الحديثِ فصدَّقَ النبيُّ ﷺ[2]، فهذا نَقْبلُه.

والثاني: ما جاء في شرعِنا تكذيبُه، فيجِبُ علينا أن نُكذِّبَه، مثالُ ذلك: قولُهم: إننا نجِدُ في الإنجيلِ أن محمدًا رسولُ العربِ خاصَّةً. فهذا كذبٌ؛ لأن اللهَ قال في وصفِه: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ

---

(١) روى هذا الحديث البخاري (٥٣١٨)، ومسلم (١٤٨٤) بغير قوله: كذب أبو السنابل. وهو عند أحمد في مسنده (١/ ٤٤٧) (٤٢٧٣). وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ٣): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٤/ ٢١٤٧) (٢٧٨٦) (١٩).

مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾[الأعراف:١٥٧]. وعيسى ابنُ مريمَ بَشَّرَ قومَه بمحمدٍ ﷺ.

والثالثُ: ما لم يَرِدْ في شرعِنا تصديقُه ولا تكذيبُه، فالحقُّ والعدلُ ألا نُصدِّقَ ولا نكذِّبَ، فلا نُكَذِّبُ فيكُونُ صدقًا، ويكونُ تكذيبُنا ردًّا للحقِّ، ولا نُصدِّقُ فيكُونُ باطلًا، ويكونُ تصديقُنا إقرارًا للباطلِ، بل نقُولُ: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ ...﴾. وهذا هو العدلُ والفضلُ.

أما هم فقَد حَرَّفوا، وبدَّلوا، وغيَّروا، فلا يُؤمِنونَ باللهِ وما أُنزل إليهم وما أُنزل إلينا، ويدُلُّ لذلك الحديثُ الذي بعدَه.

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

٧٣٦٣- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ، أَخْبَرَنَا ابْنُ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ، وَكِتَابُكُمُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحْدَثُ، تَقْرَءُونَهُ مَحْضًا لَمْ يُشَبْ، وَقَدْ حَدَّثَكُمْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ بَدَّلُوا كِتَابَ اللهِ، وَغَيَّرُوهُ، وَكَتَبُوا بِأَيْدِيهِمُ الْكِتَابَ، وَقَالُوا: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ. لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، أَلَا يَنْهَاكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ عَنْ مَسْأَلَتِهِمْ، لَا وَاللهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلًا يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ.

هذا كلامٌ جيدٌ مِن ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، يقُولُ: كيفَ تسألُونَ أهلَ الكتابِ عن شيءٍ وكتابُكم أحدَثُ. وأحدثُ؛ يعني: أقربُ عهدًا؛ لأن التوراةَ قبلَ الإنجيلِ، والإنجيلَ قبلَ القرآنِ، فأحدثُ كتابٍ نزلَ مِن عندِ ربِّنا عَزَّ وَجَلَّ هو القرآنُ، فكيفَ يُسأَلُ عن شيءٍ تقدَّمَه؟! إنما يُسألُ ويكُونُ الحكمُ بالأحدثِ.

ويقُولُ أيضًا: «تقرأونَه محضًا لم يُشَبْ». بخلافِ الكتبِ السابقةِ، فإنها مَشوبةٌ، فيها تبديلٌ، وتغييرٌ، وتحريفٌ، ولهذا قال: وقد حدَّثكم: أن أهلَ الكتابِ بدَّلوا كتابَ اللهِ وغيروه، وكتبوا بأيديهمُ الكتابَ، وقالوا: هو مِن عندِ اللهِ، وقد قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[آل عمران:٧٨].

فكيف يوثَقُ بهؤلاءِ أن يُسألُوا، ثم إذا جعلنا المسألةَ مِن بابِ المجازاتِ، نقولُ: هل رأيتم أحدًا منهم يأتِي إلينا، ويسألُنا عما نزَل علينا؟

الجوابُ: لا، ولذا أقسمَ، وقال: «لا واللهِ ما رأينا منهم رجلًا يسألُكم عن الذي أُنزِلَ عليكم. فكيفَ تَذْهَبُونَ أنتم وتسألونهم عن الذي أُنْزِلَ إليهم.

فلو قال قائلٌ: إن أَراد الإنسانُ بسؤالِهم إقامةَ الحجةِ عليهم، وتأييدَ ما جاء به الإسلامُ، فهل هذا جائزٌ؟



الجوابُ: نقولُ: هو جائزٌ، ولكن هم غيرُ مأمونينَ. وإلا فالأصلُ أنه جائزٌ أن نَسْألَهم مِن أجلِ أن نؤيِّدَ ما عندنا مِن الحقِّ، وأن نُقيمَ الحجةَ عليهم، لكن نَعلَمُ علمَ اليقينِ أنهم لن يَنْصحُوا لنا، كيف وقد قال اللهُ عنهم ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾ [البقرة:١٠٩]. وهم يقولون: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[آل عمران:٧٢]. تخدعونهم.

وعلى هذا: فلا يجوزُ أن نسألَ أهلَ الكتابِ عمَّا يتعلَّقُ بالدياناتِ أبدًا، ولا بالأخلاقِ، ولا بالآدابِ.

ولكن يجوزُ أن نسألَ الصُّنَّاعَ منهم عن صناعتِهم؛ لتقدُّمِهم في الصناعةِ، كالطبِّ لتقدُّمِهم في الطبِّ، بشرطِ أن نثقَ فيهم أيضًا؛ لأنهم قد يُخبرُونَنا بشيءٍ في الصناعةِ ضدَّ ما تكُونُ فيه المصلحةُ.

ويَبعدُ فيما أظنُّ ـ والعلمُ عند اللهِ ـ أن يُخبِرُونَنا بشيءٍ نُجَاريهم فيه مِن الأسلحةِ؛ لأن ذلك يعني أنهم يُعلِمونَنَا ما نُقاتِلُهم به، وكذلك في الأدويةِ، يَبعُدُ أن يُعطُونا ما عندهم؛ لأنهم لو فعلوا ذلك لاستغنَينا عنهم، وهم لا يُرِيدُوننا أن نستَغنِيَ عنهم.

فالحاصلُ: أن حكمَ هذه المسألةِ؛ أي: مسألةِ الصنائعِ والطبِّ تخضَعُ إلى كلِّ قضيةٍ بعينِها، فقد يكُونُ بعضُهم عنده مِن النُّصحِ الفطريِّ ما لا يمْكِنُ أن يَغُشَّ في مهنتِهِ، وإن كان كافرًا، وإن كان عدُوَّنا، فيُنظرُ إلى كلِّ قضيةٍ بعينِها.

ثم قال البخاريُّ رحمه الله تعالى:

٢٦- بابُ كراهيةِ الخلافِ.

٧٣٦٤- حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ سَلَّامِ بْنِ أَبِي مُطِيعٍ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ»[1]. قال أبو عبد الله: سمع عبد الرحمن سلامًا.

٧٣٦٥- حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ، عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ»[2]. قال أبو عبد الله:

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنْ هَارُونَ الأَعْوَرِ، حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ، عَنْ جُنْدَبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ[3].

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠٥٣) (٢٦٦٧) (٣).

(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٠٥٤) (٢٦٦٧) (٤).

(٣) هكذا رواه البخاري عقب الحديث (٧٣٦٥) وقال الحافظ في التغليق (٥/ ٣٢٩): لم أجده عند يزيد بن =

قولُه: «بابُ كراهيةِ الخلافِ»، يعني: أنه ينبغي للأمةِ أن تتَّفِقَ، وألا تختلِفَ.

وفيه: إشارةٌ إلى ضعفِ الحديثِ الذي يُروَى: «اختلافُ أمتي رحمةٌ»[1]، فإن هذا الحديث لا يصِحُّ عن النبيِّ ﷺ، بل الخلافُ ليس برحمةٍ، وإنما عدمُ الأخذِ بالمخالفةِ رحمةٌ إذا صارَ عن اجتهادٍ، فإن اللهَ تعالى لا يُعَذِّبُ مَن خالفَ عن اجتهادٍ.

وقولُه: «كراهيةِ الخلافِ». المرادُ بالخلافِ خلافُ القلوبِ، أما لو اختلفتِ الآراءُ الصادرةُ عن اجتهادٍ فهذا شيءٌ لا بدَّ منه، ولهذا وقعَ الخلافُ في عهدِ الصحابةِ رضي الله عنهم في عهدِ النبيِّ ﷺ، والدليلُ على هذا قولُه: «اقرءوا القرآنَ ما ائتلَفت قلوبُكُم». يعني: ما ائتلفت عليه قلوبُكم، -فإذا اختلفت فقُومُوا عنه.

وفيه: إشارةٌ إلى منعِ الحزبيةِ في الإسلامِ، وأنه لا يجوزُ للمسلمينَ أن يتفرقوا أحزابًا، لأن الحزبيةَ تستلزِمُ الخلافَ حتمًا؛ ولهذا نجدُ الأحزابَ، ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ۝٥٣﴾ [المؤمنون:٥٣]. فالكلُّ يَقُولُ: الحقُّ عندي والمخالفُ لي ضالٌّ، فتَتفرقُ الأمةُ، وهذا أمرٌ معلومٌ؛ لقولِ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾[الأنعام:١٥٩].

وفي الحديثينِ، بل هما حديثٌ واحدٌ: أنه إذا اختلَفَ الناسُ هل يُقرأُ القرآنُ أو لا يُقرَأُ؟ فإنه لا يُقرأُ؛ لقولِهِ: «إذا اختلفتم فقومُوا عنه».

وأما أن نَفرِضَ على الناسِ أن نقرأَ، فإن هذا لا ينْبَغي، وقد سبَق عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما أنه قال: «لا يَنبَغي للإنسانِ أن يَقْرَأَ على القومِ إلا إذا وافقوا وائتلفوا»[2]. حتى غيرُ القرآنِ فلا ينبَغي أن تفرِضَ على أناسٍ أن تَجلِسَ إليهم، أو أن تَفرِضَ عليهم قراءةَ كتابٍ، أو موعظةً، أو ما أشبه ذلك، إلّا إذا علِمتَ أنهم يَرغبُونَ ذلك؛ لأن هذا خلافُ هدي السلفِ الصالحِ.

وفي هذا الحديثِ: إشارةٌ إلى أنه ينبَغي لنا أن نأتَلِفَ على معاني القرآنِ، ولا نختلِفَ فيها، فإن حصلَ نزاعٌ أو جدالٌ، فلنتَفرَّقْ، فلعلَّ الخلافَ يَعُودُ وِفاقًا.

=

هارون، إلا عن همام. قال الدارمي في مسنده [٢/ ٣١٨ (٣٣٦٣)]: ثنا يزيد بن هارون، ثنا همام، ثنا أبو عمران، عن جندب به، وقال في أثره: [٢/ ٣١٨ (٣٣٦٢)]: هكذا رواه الدارمي في مسنده قبل الحديث السابق. حدثنا أبو النعمان، ثنا هارون الأعور، ثنا أبو عمران به، وانظر: الفتح (١٣/ ٣٣٦).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

ثم قال البخاري رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

٧٣٦٦- حَدَّثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى، أَخْبرَنَا هِشَامٌ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ ابْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا حُضِرَ النَّبِيُّ ﷺ -قَالَ: وَفِي الْبَيْتِ رِجَالٌ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ- قَالَ: «هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ». قَالَ عُمَرُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَلَبَهُ الْوَجَعُ وَعِنْدَكُمُ الْقُرْآنُ، فَحَسْبُنَا كِتَابُ اللهِ. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ وَاخْتَصَمُوا، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ قَرِّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَا قَالَ عُمَرُ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغَطَ وَالِاخْتِلَافَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قُومُوا عَنِّي». قَالَ عُبَيْدُ اللهِ: فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ مِنِ اخْتِلَافِهِمْ وَلَغَطِهِمْ[1].

قولُه: «لما حُضِر»؛ يعْنِي: احتضَر النبيُّ ﷺ في الوفاةِ، أو قبلَ وفاتِه، المهمُّ أنه عُلِم أنه مرتحِلٌ عن الدنيا، وكان في البيتِ رجالٌ منهم عمرُ بنُ الخطابِ، فقال: **«هَلُمَّ أكتُبْ لكم كتابًا لن تَضِلُّوا بعده»**.

ومِن المعلوم أن الذي لن نَضِلَّ بعده، هو كتابُ اللهِ، كما قال النبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في خُطبةِ عرفةَ: «وقد تركْتُ فيكم ما إن تَمسَّكتم به لن تَضِلوا بعدَه، كتابَ اللهِ»[2]. لكنَّ المرادَ بالكتابِ هنا أن يَكتُب لهم كتابًا في الخلافةِ، وأن الخليفةَ مِن بعدِه فلانُ بنُ فلانٍ. فمنهم مَنْ وافق، ومنهم مَنْ خافَ أن النبيَّ ﷺ في حالِ مرضٍ قد يقُولُ قولًا يَسُوؤهم، ومِن هؤلاء عمرُ بن الخطابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فاختلَفَ الناسُ، فمنهم مَنْ يقُولُ: يَكتبُ، ومنهم مَنْ يقُولُ: لا يكتُبُ، ولكنَّ مشيئةَ اللهِ تعالى وحكمتَه اقتضت ألَّا يَكتُبَ، فكان هذا اللَّغطُ سببًا في عدمِ كتابتِهِ، ولا شكَّ أن عدمَ الكتابةِ هو الحِكْمةُ؛ لأن اللهَ تعالى قدَّرَ له مِن الموانعِ ما يَمْنَعُه، وإلا فإن السببَ قائمٌ؛ لأن الرسولَ طلبَ أن يَكتُبَ، لكنَّ هذا السببَ أوجدَ اللهُ له ما يمنَعُه وهو اختلافُ الصحابةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

فلما اختلفوا، وكثُر اللَّغَطُ قال: قومُوا عنِّي. فقاموا عنه.

وفي هذا الحديثِ: إشارةٌ إلى أن الرسولَ ﷺ يَكتُبُ لقولِه: «هَلُمَّ أكتُبُ لكم كتابًا». ولقولِه: «فمنهم من يَقُولُ: قرِّبوا يكتبُ لكم رسولُ اللهِ ﷺ كتابًا لن تَضِلُّوا بعدَه». وهذه المسألةُ اختلفَ فيها أهلُ العلمِ بعدَ اتفاقِهم، على أن النبيَّ ﷺ قبلَ أن يَنْزِلَ عليه الوحيُ كان لا يَكْتُبُ، ولا يقرأُ؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ

(١) رواه مسلم (٣/ ١٢٥٩) (١٦٣٧) (٢٢).
(٢) رواه مسلم (٢/ ٨٨٦) (١٢١٨) (١٤٧).

ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾[العنكبوت:٤٨] . فهو قبلَ أن يَنزِلَ عليه القرآنُ لا يَقرأُ ولا يكتُبُ بالاتفاقِ [١].

لكن اختلفوا فيما بعدُ [٢]، فمنهم من قال: إنه تَعَلَّم الكتابةَ، والرسولُ عليه الصلاة والسلام من أشدِّ الناسِ ذكاءً، وتوَقُّدًا، وفطنةً ولا يَصعبُ عليه أن يتعلَّمَ الكتابةَ، والمحظورُ الذي يُخشَى منه إذا كان يَكْتُبُ قد زَال.

واستدلُّوا لذلك بمثلِ هذا الحديثِ، وبحديثِ صُلْحِ الحديبيةِ أنه كتبَ عليه الصلاة والسلام [٢].

ومنهم مَن قال: بل إنَ النبيَّ ﷺ لا يَكتُبُ، ولكنه يأمُرُ بالكتابةِ، فأُسْنِدَتِ الكتابةُ إليه؛ لأنه يَأمرُ بها، وأنه ﷺ لا يكتُبُ إلا اسمَه فقط، فاللهُ أعلمُ، هل تعلَّم الكتابةَ أو لا؟ ولكن مهما كان.

وحتى لو قلنا: بأنه صار يَكتُبُ ويَقرأُ. فإن ذلك لا يَضُرُّه شيئًا؛ لأن الرسالةَ ثبتَت بالوحي وكان لا يَقْرَأُ ولا يَكْتُبُ.

وفي هذا الحديثِ: دليلٌ على أنه يَنبُغي التَّفرُّقُ عند كثرةِ اللَّغَطِ، والاختلافِ؛ لأن هذا يَحُلُّ المشكلةَ؛ إذ لو بقي الناسُ في مكانِهم زاد اللَّغَطُ، وزاد الاختلافُ، وربما يؤدِّي إلى المقاتلةِ؛ فلهذا كان ذلك مِن الحكمةِ.

ومِن ذلك أيضًا: إذا قويَ الغضبُ مَن شخصٍ ـ واستعاذَ باللهِ مِن الشيطانِ الرجيمِ ـ وجلسَ إن كان واقفًا، واضْطَجع إن كان جالسًا، ولكنه لم يَهْدَأ غضبُه ـ فإن الأولى أن ينْصرِفَ حتى تَنْتَهِيَ المشكلةُ.

وفي قولِ عبد الله بنِ عباسٍ رضي الله عنهما: إن الرَّزِيَّةَ كلَّ الرَّزِيَّةِ ما حَالَ بينَ رسولِ اللهِ ﷺ، وبينَ أن يكتُبَ لهم ذلك الكتابَ بيانُ أن هذا مِن رأيه رحمه الله، ونحنُ نعلمُ أن مِن الحكمةِ البالغةِ ما حصَل مِن سببِ عدمِ الكتابةِ؛ لأن اللهَ سبحانه وتعالى لا يَقْضِي قضاءً إلا والحكمةُ في هذا القضاءِ.

لكنَّه رحمه الله رأى هذا الرأيَ، وظنَّ أن النبيَّ ﷺ لو كتبَ لكان غنيمةً، ومعَ هذا فإن ابنَ عباسٍ رضي الله عنهما لا يُريدُ بهذا الإنكارَ على القدرِ، وإنما أراد الإنكارَ على السببِ، فلا يُقالُ: إن هذا مِن بابِ الاعتراضِ على قدرِ اللهِ، بل هو مِن بابِ الاعتراضِ على السببِ؛ الذي هو فعلُ العبدِ.

---

(١) قال شيخ الإسلام في الجوابِ الصحيح (٥/ ٣٣٨): بيَّن سبحانه من حاله ما يعلمه العامة والخاصة، وهو معلوم لجميع قومِه الذين شاهدوه، ومتواتر عند مَن غاب عنه وبلغته أخباره من جميع الناس أنه كان أميًّا لا يقرأ كتابًا، ولا يحفظ كتابًا من الكتب لا المنزلةِ ولا غيرها، ولا يقرأ شيئًا مكتوبًا، ولا كتابا منزلًا ولا غيره ولا يكتب بيمينه كتابًا، ولا ينسخ شيئًا من كتب الناس المنزلةِ ولا غيرها. أهـ

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٧/ ٢٩٨)، وابن كثير (٣/ ٤١٨).

(٢) رواه البخاري (٢٦٩٩)، ومسلم (٣/ ١٤١٠) (١٧٨٣) (٩٢).

فإذا قال قائلٌ: ما الجمعُ بينَ هذا الحديثِ، وبينَ قولِه تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[النساء:٥٩]؟

الجمعُ أن يُقالَ: إن بينَهما فرقًا، فالحديثُ فيما لو كان جماعةٌ اختلفوا في القرآنِ كأن يَقُولُ بعضُهم: نقرأ، وبعضُهم يَقُولُ: لا نقْرأ، فنقولُ: اقطعوا النِّزاعَ بتركِ القراءةِ.

أو إذا اختلفوا في معنى آيةٍ من كتابِ اللهِ،وكَثُر جَدَلُهم. منهم مَن يقُولُ: معناها كذا. ومنهم مَن يَقُولُ: معناها كذا، فنقُولُ: تفرَّقوا، وقومُوا حتى يَهْدَأَ نِزاعُكم واختلافُكم، ثم إذا شئتم فارجعوا. وأما الآيةُ فعندَ اختلافِنا قبلَ أن نقْرأَ، فحينئذٍ نُحكِّمُ الكتابَ والسنةَ.

وهذا الحديثُ في الواقعِ يحتجُّ به مَنْ يحتجُّ، مِن أن الرسولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أراد أن يُوصِي لعلِّي بنِ أبي طالبِ، أو أوصَى لعليِّ بن أبي طالبِ، وأن الصحابةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كتموا ذلك، وظلمُوه، ولا شكَّ أن هذا ليس بصحيحٍ، فإنه مرَّ علينا أن عليَّ بنَ أبي طالبٍ قال: لم يُوصِ إلينا النبيُّ بشيءٍ إلا ما في هذه الصحيفةِ[1].

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٢٧- بابُ نهي النبيِّ ﷺ عن التحريم إلا ما تُعرفُ إباحتُه.

وكذلك أمرُه نحو قولِه حين أحلُّوا: أصيبُوا مِن النساءِ. وقال جابرٌ: ولم يَعزِم عليهم، ولكن أحلَّهنَّ لهم[2].

وقالت أم عطيةَ: نهينا عنِ اتباعِ الجنازةِ ولم يُعزَم علينا[2].

٧٣٦٧- حَدَّثَنَا الْمَكِّيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ عَطَاءٌ: قَالَ جَابِرٌ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ: حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ، سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ فِي أُنَاسٍ مَعَهُ، قَالَ أَهْلَلْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْحَجِّ خَالِصًا لَيْسَ مَعَهُ عُمْرَةٌ - قَالَ عَطَاءٌ: قَالَ جَابِرٌ: - فَقَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ صُبْحَ رَابِعَةٍ مَضَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، فَلَمَّا قَدِمْنَا أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نَحِلَّ، وَقَالَ: «أَحِلُّوا وَأَصِيبُوا مِنَ النِّسَاءِ». قَالَ عَطَاءٌ: قَالَ جَابِرٌ: وَلَمْ يَعْزِمْ عَلَيْهِمْ وَلَكِنْ أَحَلَّهُنَّ لَهُمْ، فَبَلَغَهُ أَنَّا نَقُولُ لَمَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَرَفَةَ إِلَّا خَمْسٌ أَمَرَنَا أَنْ نَحِلَّ إِلَى نِسَائِنَا

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) علقه البخاري بصيغة الجزم، وأسنده فيما رواه من الأحاديثِ تحت هذه الترجمة (٧٣٦٧).

(٢) علقه البخاري بصيغة الجزم، أيضًا كما في هذه الترجمة وأسنده في الجنائز، باب اتباع النساء الجنائز (١٢٧٨) وانظر الفتح(٣/ ١٤٤).

فَنَأْتِي عَرَفَةَ تَقْطُرُ مَذَاكِيرُنَا الْمَذْيَ، قَالَ: وَيَقُولُ جَابِرٌ بِيَدِهِ: هَكَذَا وَحَرَّكَهَا، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «قَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَتْقَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَصْدَقُكُمْ، وَأَبَرُّكُمْ، وَلَوْلَا هَدْيِي لَحَلَلْتُ كَمَا تَحِلُّونَ فَحِلُّوا، فَلَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا أَهْدَيْتُ». فَحَلَلْنَا وَسَمِعْنَا وَأَطَعْنَا[١].

٧٣٦٨- حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، عَنِ الْحُسَيْنِ، عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ الْمُزَنِيُّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «صَلُّوا قَبْلَ صَلَاةِ المغربِ - قَالَ فِي الثَّالِثَةِ - لِمَنْ شَاءَ». كَرَاهِيَةَ أَنْ يَتَّخِذَهَا النَّاسُ سُنَّةً.

يقول البخاريُّ رحمه الله تعالى: «بابُ نهيِ النبيِّ ﷺ عن التحريمِ إلا ما تُعْرَفُ إباحتُه». يعني: أن الأصلَ في نهيِ النبي ﷺ التحريمُ، فإذا نَهَى عن شيءٍ صار محرمًا.

وقولُه: «إلا ما تُعْرَفُ إباحتُه»، أي: فيكُونُ النهيُ فيه للتنزيهِ، وليس للتحريمِ.

وكذلك أمرُه ﷺ، الأصلُ فيه الإيجابُ، إلا ما عُرِفَتْ إباحةُ تركِه، فإنه يَكُونُ الأمرُ فيه للندبِ.

وهذا هو المعروفُ عندَ الأصوليين[٢]: أن الأصلَ في النهيِ التحريمُ، والأصلَ في الأمرِ الوجوبُ، إلا ما دلَّ الدليلُ على إباحتِه في الأمرينِ، فيكونُ للكراهةِ أو للندبِ؛ لأن ما كان مكروهًا كراهةً تنزيهيةً يجوزُ فعلُه، وما كان مندوبًا يجوزُ تركُه، وإذا جاز تركُه،أو جاز فعلُه؛ فهو للإباحةِ.

وقال بعضُ العلماءِ: الأصلُ في الأمرِ الاستحبابُ والندبُ، والأصلُ في النهيِ الكراهةُ دونَ التحريمِ، وعلَّلوا ذلك بأن الأمرَ دائرٌ بينَ الإيجابِ والندبِ، والأصلُ براءةُ الذمةِ وعدمُ التأثيمِ بالتركِ، وهذا هو حقيقةُ المندوبِ؛ أن يَكونَ مأمورًا به غيرَ آثمٍ بتركِه[٢].

وقال بعضُ العلماءِ: ما كان الغرضُ منه إقامةَ المروءةِ، وهو ما يَتَعَلَّقُ بالآدابِ فالأمرُ فيه للندبِ، والنهيُ فيه للتنزيهِ، وما كان تعبُّدًا، وهذا ما يكونُ بينَ العبدِ وبينَ ربِّه؛ فإن الأمرَ فيه يكونُ للوجوبِ، والنهيَ للتحريمِ.

وهذا قولٌ وسطٌ، وَيَتَخَلَّصُ به الإنسانُ من نصوصٍ كثيرةٍ في آدابِ الأكلِ والشربِ وما

---

(١) رواه مسلم (٢/ ٨٨٣) (١٢١٦) (١٤١).

(٢) قال ابن حزم في «الإحكام» (٣/ ٢٩٦): الباب الثاني عشر: في الأوامر والنواهي الواردة في القرآن، وكلام النبي ﷺ والأخذ بظاهرها، وحملها على الوجوب والفور، وبطلان قول من صرف شيئًا من ذلك إلى التأويل، أو التراخي، أو الندب، أو الوقف بلا برهان، ولا دليل. اهـ

وانظر: إرشاد الفحول (١/ ١٩٢)، والتبصرة (١/ ٣١)، والمُسْتَصْفَى (١/ ٢٠٤)، والتمهيد (١/ ٢٩١)، والمحصول (٢/ ٦٩).

(٢) انظر: المصادر السابقة.

أشبَهَ ذلك، أو في آداب المعاملة بين الخلق كلُّها أوامرُ، وبعضُها قد أجْمَعَ العلماءُ على أنها ليست للوجوبِ، وعلَّلوا ذلك بأن المروءةَ أدبٌ، لا عبادةٌ.

وإذا كانت أدبًا فالتوجيهُ فيه يكُونُ للإرشادِ، سواءٌ كان نهيًا أو أمرًا .

لكنَّ ظاهرَ كلامِ البخاريِّ رَحِمَهُ اللهُ أن النهيَ للتحريمِ مطلقًا، وأن الأمرَ للوجوبِ مطلقًا، واسْتَدَلَّ بقولِ جابرٍ: ولم يَعْزِمْ عليهم. وهذا كان في أوّلِ الأمرِ ـ أي: لم يَعْزِمْ على الناسِ أن يَحِلُّوا من إحرامِهم، ويَجْعَلُوها عمرةً ـ ولكن في ثاني الأمر أمَرَهم وحتّمَ عليهم، وغَضِبَ لما تأخّروا.

ولذلك ذهَبَ كثيرٌ من العلماءِ إلى أنه يَجِبُ على مَن لم يَسُقِ الهَدْيَ إذا أحرَم بحجٍّ أن يَجْعَلَها عمرةً؛ ليصيرَ مُتَمَتّعًا.

وقولُه: قالتْ أمُّ عطيةَ: نُهينا عن اتباعِ الجنائز ولم يُعْزَمْ علينا.

وقولُها: «نُهينا»، تعني: النساءَ وأما الرجالُ فالأمر في اتباعِ الجنائزِ في حقِّهم مشروعٌ.

وقولُها: ولم يُعْزَمْ علينا. هذا تفقهٌ منها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أو أنها رَأَتْ مِنْ أُسْلُوبِ الرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في النهي ما يدُلُّ على أنه ليس للتحريمِ، فقالت: ولم يُعْزَمْ علينا، ومِنْ المعلومِ أن صِيغَةَ النطقِ، وانْفِعَالَ الناطقِ، يُعبِّر عن الوجُوبِ أو التحْرِيمِ، فإذا قال: افعلْ ـ بصوت مرتفع مع الجزمِ ـ فهذا يَدُلُّ على الوجوبِ، ولهذا كان فِقْهُ الصحابةِ لأوامرِ ونواهي الرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أعظمُ من فقهِ مَنْ بعدهم؛ لأن من يُشاهِدُ المتكلمَ حين كلامِه يعرِفُ أنه قد عزَمَ في النهي أو في الأمرِ، ولا يَعْلمُه مَنْ لم يَرَه ويُشاهدْه.

ولهذا تقول أم عطية هنا: ولم يُعْزَمْ علينا. فهل هذا تفقهٌ مستندٌ إلى قرينةٍ، أو مستندٌ إلى مجرد فهمٍ؟

الجوابُ: قال بعضُ العلماءِ: إنه مستندٌ إلى مجردِ فهمٍ، فنأخُذُ بالنهيِ ولا نأخذُ بالتفقهِ.

وعليه يكونُ اتباعُ النساء للجنائزِ حرامًا، وأن قول أُمِّ عطيةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «لم يُعْزَمْ علينا»، هذا تفقهٌ منها، أن نهي الرسول ﷺ للتحريمِ[1] .

وقد يُقالُ: يحتَملُ أنه مُسْتَنْبَطٌ من القرينةِ؛ أي: من قرينةِ نهي الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حين نهى، وقد سبق أن كيفيةَ نطقِ الإنسانِ وانفعاله تدُلُّ على أمرٍ زائدٍ على النهي، أو على الأمرِ، فيكُونُ قولها هذا. بمنزلة المرفوعِ استنادًا إلى القرينةِ الحَاليةِ التي هي مُشَاهدة النبيِّ ﷺ لها.

ولكن هل هذا يدلُّ على جواز زيارة النساءِ للقبورِ، وأن النهي ليس للتحريم؟

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام(٢٤/ ٣٥٥).

الجوابُ: لا يَدُلُّ؛ لأن هناك فرقًا بين اتباع الجنائزِ، وبين زيارة القبور، ففي اتباعِ الجنائزِ تمشي المرأةُ مع الجنازةِ، وحولها الرجالُ فلا يُخشى مِن النياحةِ، وشقِّ الجيوبِ، ولطمِ الخدودِ، ونتفِ الشعورِ؛ لأن هذا مأمونٌ فيها إذا كانت متبعة للجنازةِ لكن إذا زارَت المقبرةَ - أي: خرجتْ من بيتها لتزُورَ المقبرةَ وهي وحدها فهذا إنشاءٌ للزيارةِ لا اتباعٌ للجنازةِ، ثم إنها قد تكُونُ في المقبرةِ وحدَها، فربما يَحصُلُ منها مِن الفعلِ المحرمِ، كالنياحةِ، وشقِ الجيبِ، ولطْمِ الخدِّ، ونتفِ الشعرِ ما لا يَحصُلُ منها باتباعِ الجنازةِ.

ولهذا من استدلَّ على جواز زيارة المرأة للقبورِ بهذا الحديثِ، فقد وضع الحديث في غير ما دلَّ عليه، واستدلَّ بها لا دليل فيه.

والصحيحُ أن زيارة المرأة للمقبرةِ، إن خرجت قَصْدًا فإن ذلك حرامٌ، بل هو من كبائر الذنوبِ، وإن لم يكن قَصْدًا بأن مرَّت بالمقبرةِ ووقفتْ ودعت لأهلِ القبورِ بها ثَبتَ عن النبيِّ ﷺ، فإن هذا لا بأسَ به[1]، وبهذا يُجْمَعُ بين حديثِ عائشةَ ﵂ في صحيحِ مسلمٍ، أن النبيَّ ﷺ علّمها ما تقُولُ: إذا مرت بالقبورِ، وبين لعنِ زائراتِ القبورِ[2].

وفي هذا الحديثِ:دليلٌ على مَشَقَّةِ تحوُّلِ الصحابةِ مِن الحجِّ إلى العُمْرَةِ، وأن ذلك شقَّ عليهم كثيرًا إلى حدِ أنهم صاروا يتكلّمُونَ مِن وراءِ النبيِّ ﷺ، ويقولُون: لمَّا لم يكُنْ بينَنا وبينَ عرفةَ إلَّا خمسٌ أمَرَنا أن نُحِلَّ إلى نسائنا، فنأتيَ عرفةَ تَقْطِرُ مذاكيرُنا المنيَّ. فهذا كلامٌ فيه شدةٌ، لا مِن جهةِ الأثرِ المترتِّبِ على الحِلِّ، ولا مِن جهةِ توجيهِ الصحابةِ إلى الحِلِّ، ولكن لأن الوقتَ مبكرٌ والحَجُّ قريبٌ، فكيف يأمُرُنا بأن نَجْعَلَ الحجَّ عمرةً؟! ولكن لا شكَّ أن قضاءَ اللهِ أحقُّ، وأن شرطَ اللهِ أوثقُ، وأن الشرعَ لا يُعارَضُ بالعقلِ، فأيُّ مانعٍ يَمْنَعُ مِن أن يتحلَّلَ الإنسانُ مِن عُمْرَتِه قبلَ عرفةَ بخمسِ ليالٍ، أو بأربعةِ ليالٍ، أو بثلاثِ ليالٍ، أو بليلتَينِ، أو بليلةٍ؟

وبه نعرِفُ الفرقَ بينَ حالِ الصحابةِ ﷺ الذي تعجَّبُوا أن يَكُونَ التَّحَلُّلُ مِن العمرةِ قبلَ الحجِّ بخمسِ ليالٍ، وبينَ قوم يأتونَ يومَ عرفةَ إلى مكةَ ويتَحَلَّلُونَ بعُمْرةٍ، فهؤلاءِ لم يَتَمَتَّعوا بالعمرةِ إلى الحجِّ، بل تَمَتَّعُوا بالعمرةِ في الحجِّ، واللهُ ﷻ يَقولُ ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾

---

(١) يشير الشيخ ﵀ إلى حديثِ عائشة ﵂ الذي رواه مسلم (٢/ ٦٧٠) (٩٧٤) (١٠٣) وفيه: قال رسول الله ﷺ لعائشة ﵂ «قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون».

(٢) رواه أبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠)، والنسائي (٢٠٤٣)، وحسنه الترمذي، وشيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٤٨).

[البقرة:١٩٦]. ورسولُ اللهِ ﷺ أمرَ أصحابَه أن يُحرِمُوا بالحجِّ وذلك في ضُحَى اليوم الثامنِ، فإذا جاءَ اليومُ الثامنُ فلا عمرةَ[1]، إلا إذا كان التحلُّلُ منها، كأن يكونُ قبلَ الفجرِ، أو قبلَ أن تَطْلُعَ الشمسُ، أوحينَ طلوعِ الشمسِ قبلَ أن يَأْتِيَ وقتُ الانصرافِ، أو وقتُ الخروجِ إلى مِنِيَ فهذا نعم، أما أن يتحلَّلَ الإنسانُ مِن العمرةِ والناسُ في الحجِّ نقولُ: أنت لم تتمتَّع بالعمرةِ إلى الحجِّ، بل تمتعتَ بالعمرةِ في الحجِّ، فهذا زمنُ الحجِّ.

وفي حديثِ جابرٍ أيضًا: تقريبُ المعاني بالإشارةِ؛ لقولِ جابرٍ بيدِه، وحرَّكها، كأنه يُمَثِّلُ صورةَ تَقَاطُرِ المنيِّ.

ولكن قولُ الصحابةِ هل يَدُلُّ على أنه لابدَّ مِن فَرْقٍ كافٍ بين التحلُّلِ مِن العمرةِ، ووقتِ الحجِّ؟

الجوابُ: لا يَدُلُّ على هذا لكن يَدُلُّ على أنهم استَغْربوا كيفَ يَأْمُرُهم بالتحلُّلِ والزَّمَنُ قريبٌ.

وفي الحديثِ الثاني؛ أي: حديثِ عبدِ اللهِ المُزَنِيِّ: اسْتِحْبابُ صلاةِ ركعتَينِ بينَ أذانِ المغربِ والصلاةِ؛ لقولِ النبي ﷺ: «صلُّوا قبلَ صلاة المغربِ» لكن هذه ليست سنةً راتبةً؛ ولهذا قال: «لمن شاءَ» كراهيةَ أن يتَّخِذَها الناسُ سنةً راتبةً.

وعلى هذا فنقولُ: الصلواتُ الخمسُ كلُّها لها سنةٌ قبلَها، لكنَّ بعضَها سنةٌ راتبةٌ، وبعضَها غيرُ راتبةٍ، فالفجرُ سنتهُ راتبةٌ، والظهرُ راتبةٌ، والعصرُ غيرُ راتبةٍ، والمغربُ غيرُ راتبةٍ، والعِشاءُ غيرُ راتبةٍ، والدليلُ على هذا: قولُه ﷺ: «بين كلِّ أذانَينِ صلاةٌ» قالها ثلاثًا، وقال في الثالثةِ: «لمن شاء»[2].

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٢٨- بابُ قولِه تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:٣٨]، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وأن المشاورةَ قبلَ العزمِ والتبينِ؛ لقولِه: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٩]. فإذا عزَم الرسولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لم يَكُنْ لبشرٍ التقدمُ على اللهِ ورسولِه.

وشاورَ النبيُّ ﷺ أصحابَه يومَ أُحدٍ في المقامِ والخروجِ، فرأَوا له الخروجَ، فلما لَبِس لأمَتَه، وعزمَ، قالوا: أقِمْ فلم يَمِلْ إليهم بعدَ العزمِ، وقال: «لا ينبَغي لنبيٍّ يَلْبَسُ لأمَتَه فيَضَعُها حتى يَحْكُمَ اللهُ»[3].

---

(١) رواه البخاري (١٥٧٢)، ومسلم (٢/ ٨٨٤) (١٢١٦) (١٤٣).

(٢) رواه البخاري (٦٤٢)، ومسلم (١/ ٥٧٣) (٣٠٤).

(٢) علقه البخاري بصيغة الجزم، واسندها الحاكم في المستدرك (٢/ ١٢٨) كتاب «قسم الفيء» قال: ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، ثنا ابن وهب. وانظر: «تغليق التعليق» (٥/ ٣٣٠).

وشاوَر عليًّا وأسامَةَ فيما رمى به أهلُ الإفكِ عائشةَ ﵂، فسَمِع منهما، حتى نزلَ القرآنُ، فجلَد الرَّامِينَ، ولم يَلْتَفِتْ إلى تنازُعِهم، ولكن حكَم بما أمرَه اللهُ[1]، وكانت الأئمةُ بعدَ النبيِّ ﷺ يَسْتَشيرُونَ الأُمَناءَ مِن أهلِ العلمِ في الأمورِ المباحَةِ ليأخُذوا بأَسْهَلِها، فإذا وَضَح الكتابُ أو السنةُ، لم يَتَعَدُّوه إلى غيرِه اقتداءً بالنبيِّ ﷺ.

ورأى أبو بكرٍ قتالَ مَن منعَ الزكاةَ، فقال عمرُ: كيف تُقاتِلُ الناسَ وقد قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أُمِرتُ أن أقاتِلَ الناسَ حتى يَقولُوا: لا إلهَ إلا اللهُ. فإذا قالوا: لا إلهَ إلا اللهُ. عصَموا مني دِمَاءَهم، وأموالَهم إلا بحقِّها، وحسابُهم على اللهِ**». فقال أبو بكرٍ: واللهِ لأُقاتِلَنَّ مَن فرَّق بينَ ما جمعَ رسولُ اللهِ ﷺ، ثم تابعَه بعدُ عمرُ، فلم يلتَفِتْ أبو بكرٍ إلى مشورةٍ، إذ كان عندَه حُكْمُ رسولِ اللهِ ﷺ في الذين فرَّقوا بينَ الصلاة والزكاةِ، وأرادوا تبديلَ الدينِ وأحكامِه[2].

وقال النبيُّ ﷺ: «من بدَّل دينَه فاقتلُوه»[3].

وكان القرَّاءُ أصحابَ مشورةِ عمرَ كُهولًا كانوا، أو شُبَّانًا، وكان وقَّافًا عندَ كتابِ اللهِ ﷻ[4].

قولُه تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[الشورى:٣٨]؛ أي: شأنُهم، فالأمورُ العامَّةُ لا يَتَّخِذُ الإنسانُ فيها قرارًا عندَ الإشكالِ، إلَّا بعدَ المُشاوَرَةِ، فهذا يَشْمَلُ الجَمْعَ الكثيرَ، والجَمْعَ القليلَ.

مثالُ ذلك: نحن الآن في الدَّرسِ إذا أُشكِل علينا قرارٌ نريدُ أن نتَّخذَه، فإننا نُشاوِرُ، لكن إذا عَلِمْنا المصلحةَ في شيءٍ فإننا لا نُشاوِرُ، وكذلك في الحكمِ العامِّ، فوليُّ الأمرِ، السلطانُ، والأميرُ، والوزيرُ، وغيرُهم إذا تبيَّن لهم الأمرُ فلا حاجةَ للمُشاوَرَةِ، وإلَّا فلابدَّ مِن المشاورةِ؛ لأن اللهَ أمرَ رسولَه ﷺ، وقال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾[آل عمران:١٥٩] وهو أسدُّ الناسِ رأيًا.

ولأن الإنسانَ قد يُخطِئ؛ ولأنه إذا استبدَّ بالأمرِ كرِهَتْه الرَّعِيَّةُ، حيث يَسْتَبِدُّ فيما لا يتبيَّنُ صلاحُه، أما ما تبيَّن صلاحُه فالأمرُ فيه واضحٌ، ولا حاجةَ للمشاورةِ.

---

(١) علقه البخاري أيضًا بصيغة الجزم، وأسنده المؤلف في المغازي، باب حديث الإفك (٤١٤١).
وانظر «تغليق التعليق» (٥/ ٣٣٢).

(٢) علقه البخاري بصيغة الجزم، وأسنده المؤلف في الاعتصام، باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ (٧٢٨٥،٧٢٨٤)، وغيره وقد تقدم، وانظر «الفتح» (٣/ ٢٥٠)، و«تغليق التعليق» (٥/ ٣٣٤).

(٣) علقه البخاري بصيغة الجزم وأسنده المؤلف في الجهاد، باب لا يعذب بعذاب الله (٣٠٧) وغيره من طريق. وانظر: «الفتح» (٦/ ١٤٩)، و«تغليق التعليق» (٥/ ٣٣٤).

(٤) علقه البخاري بصيغة الخير وأسنده في تفسير سورة الأعراف باب: «خذ العفو وأمر بالعرف وأرض عن الجاهلين» (٤٦٤٢).
وانظر «الفتح» (١٣/ ٣٣٩)، «وتغليق التعليق» (٥/ ٣٣٤).

ولهذا لم يَكُن مِن هدي الرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يُشاوِرَ في كلِّ قضيةٍ، وإنما يُشاوِرُ في الأمورِ التي تعرِضُ، ولا يتبيَّنُ له فيها شيءٌ.

ومِن هنا نَأْخُذُ أيضًا: أنه ليس مِن هدي الرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يُقِيمَ مجلسًا للتشاورِ؛ كمجلسِ الشُّورى وما أشبهَه، فإن الرسولَ لم يتَّخذَ مجلسًا للشُّورى، لكن إذا نزلتِ النازلةُ، وأُشْكِلَ عليه الأمرُ شاورَ فيه.

فعلى كل حالِ الحاصلُ: أن الله عَزَّ وَجَلَّ يقولُ: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ وهذه حكايةٌ لحالِ المسلمينَ، وأن أمرَهم لا يَسْتَبِدُّ به أحدُهم.

وقولُه تَعَالَى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ يأمُرُ النبيَّ ﷺ أن يُشاوِرَهم في الأمرِ؛ أي: في الشأنِ الذي يكُونُ بينه وبينهم.

ثم قال البخاريُّ: «وأن» وفي نسخةٍ «وإن» المشاورةَ قبلَ العزم التبيُّنِ؛ لقولِه: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾. ومثلُ ذلك الاستخارةُ أيضًا لا تكُونُ في كلِّ شيءٍ فقولُ النبيِّ ﷺ: «إذا هَمَّ أحدكم بالأمرِ فليصلِّ ركعتَينِ»[1]، مرادُه بالأمرِ الذي لا يتبيَّنُ فيه وَجْهُ الصوابِ فإنه يَستَخيرُ اللهَ تعالى فيه، أما ما تبيَّن فيه وَجْهُ الصوابِ فلا حاجةَ للاستخارةِ.

والاستخارةُ أيضًا تكونُ عندَ خَفاءِ الأمرِ على الإنسانِ، هل يُقْدِمُ أو يُحْجِمُ؟ أما معَ تبيُّنِ الأمرِ فلا حاجةَ؛ ولهذا لا نقولُ لإنسانٍ: يُشْرَعُ إذا أراد أن يُصَلِّيَ أن يَستخيرَ، أو إذا أراد أن يصومَ وغيرُ ذلك، لكنَّ الشيءَ الذي يَخْفَى على الإنسانِ هو الذي يَسْتَخيرُ اللهَ تعالى فيه.

وهل تُقدَّمُ الاستخارةُ أو المشورةُ؟

الجوابُ: نقُولُ: أما الأمرُ العامُّ الذي يكُونُ بينَ الإنسانِ وبين غيرِه فتُقَدَّمُ فيه المشورةُ؛ لأنه ربما يكُونُ مع التشاورِ رأيٌ سديدٌ لا يُحتاجُ معه الاستخارةُ، وأما في المسائلِ الخاصةِ بك أنت؛ فَقَدِّمْ الاستخارةَ، وإذا اختارَ اللهُ لك شيئًا فلا حاجةَ للمشاورةِ فيه.

فإذا قال قائلٌ: ما هي المشورةُ، أو ما هي الاستشارةُ؟

الجوابُ: قلنا: الاستشارةُ هي تداولُ الرأيِ لِيُنظَرَ في خيرِ الأمرينِ، ثم إنه سيأتينا إن شاء اللهُ تعالى، أنه لا يَسْتَشيرُ إلا مَنْ جمعَ بين أمرينِ: الأمانةِ والخبرةِ؛ لأنَّك إن استشرتَ مَنْ ليس بأمينٍ فقد يخدعُكَ، وإن استشرتَ مَنْ ليس عنده خبرةٌ، فقد يُضِلُّك بغيرِ قصدٍ، فلا بدَّ مِن

---

(١) رواه البخاري (٧٣٩٠).

شرطينِ: الأمانةُ، والخبرةُ، وسيذكُرُهما المؤلفُ إن شاء اللهُ.

وقولُه: «وكانتِ الأئمَّةُ بعدَ النبيِّ ﷺ يَستشيرونَ الأمناءَ مِن أهلِ العلمِ في الأمورِ المباحةِ؛ ليأخذوا بأسهلِها؛ فإذا وضحَ الكتابُ أو السنةُ لم يتعدَّوه إلى غيرِه اقتداءً بالنبيِّ ﷺ».

الشاهدُ: قولُه: «الأمناءَ مِن أهلِ العلمِ». وهذا ماأشرنا إليه؛ أي: الأمانةُ، والثاني: الخبرةُ، فإذا لم يكن أمينًا فلا تستشره، وإذا لم يكن خبيرًا فلا تستشره؛ لأن الأولَ لا يُؤمَنُ أن يخونَ، والثاني لا يُؤمَنُ أن يُضِلَّ عن غيرِ قصدٍ.

ثم إن الخبرةَ في كلِّ موضعٍ بحسبِهِ، فإذا كنتَ تريدُ أن تُسافِرَ إلى بلدٍ ما، فصاحبُ الخبرةِ فيها هو مَنْ عرِفَ البلدَ، ولو كانَ مِنْ أجهلِ الناسِ بالعلمِ الشرعيِّ، وإذا كنتَ تريدُ أن تَستَشيرَ شخصًا في أمورٍ شرعيةٍ، فعليكَ بأهلِ العلمِ في الشرعِ، المهمُّ أن علمَ كلِّ شيءٍ بحسبِهِ، لكن لابدَّ مِن الخبرةِ، ولابدَّ مِن الأمانةِ.

وقولُه: «وكان القراءُ أصحابُ مشورةِ عمرَ كهولًا كانوا أو شُبانًا، وكان وقَّافًا عندَ كتابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ».

هذا واضحٌ وليس فيه إشكالٌ، فعمرُ رضي الله عنه كان يجمعُ الناسَ ويستشيرهُم في الأمرِ إذا نزلَ به، إذا لم يَتبيَّن فيه الصوابُ، سواءً كانوا كهولًا أو شبانًا، حتى كان يجمَعُ إلى الكهولِ عبدَ اللهِ بنَ عباسٍ رضي الله عنه وهو صغيرٌ، فقال بعضُ الأنصارِ: كيف يدعو عبدَ اللهِ بنَ عباسٍ، ولا يدعو أبناءَنا؟ فامْتَحنهم رضي الله عنه ذاتَ يومٍ، وقال لهم: ما تقولُونَ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾[النصر:١-٣].

قالوا: إن اللهَ أمرَ نبيَّه إذا جاءَ النصرُ والفتحُ أن يستغفِرَ، ويسبِّحَ بحمدِ ربِّه. فقال: ما تَقُولُ يا ابنَ عباسٍ؟ قال: أقولُ: هذا أجلُ رسولِ اللهِ ﷺ؛ يعنِي: أن اللهَ أمرَه إذا جاءَ نصرُ اللهِ والفتحُ أن يَخْتِمَ حياتَه بالتسبيحِ والاستغفارِ؛ -لأن رسالتَه خُتمت بذلك- فقال: هكذا فهِمتُها[1].

فتأمَّل هذا الصغيرَ، كيف كان أعلمَ بالمقاصِدِ مِن هؤلاءِ الكبارِ، فحينئذٍ امتنعَ الأنصارُ الذين كانوا قد اعترضوا، وامتنعوا ورأوا أن عبدَ اللهِ بنَ عباسٍ رضي الله عنهما أهلٌ بأن يكونَ في مجالسِ العلماءِ.

***

(١) رواه البخاري (٤٩٧٠).

ثم قال البخاري رحمه الله تعالى:

٧٣٦٩- حَدَّثَنَا الأُوَيْسِيُّ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ، عَنْ صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، حَدَّثَنِي عُرْوَةُ، وَابْنُ الْمُسَيَّبِ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ وَقَّاصٍ، وَعُبَيْدُ اللهِ، عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الإِفْكِ مَا قالوا قَالَتْ: وَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ يَسْأَلُهُمَا، وَهْوَ يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَأَمَّا عَلِيٌّ، فَقَالَ: لَمْ يُضَيِّقِ اللهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ. فَقَالَ: «هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ». قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ أَمْرًا أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ؛ فَتَأْكُلُهُ. فَقَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي، وَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا». فَذَكَرَ بَرَاءَةَ عَائِشَةَ. وَقَالَ أَبُو أُسَامَةَ: عَنْ هِشَامٍ[1].

٧٣٧٠- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي زَكَرِيَّاءَ الْغَسَّانِيُّ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: «مَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ فِي قَوْمٍ يَسُبُّونَ أَهْلِي، مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُوءٍ قَطُّ». وَعَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: لَمَّا أُخْبِرَتْ عَائِشَةُ بِالأَمْرِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَنْطَلِقَ إِلَى أَهْلِي. فَأَذِنَ لَهَا، وَأَرْسَلَ مَعَهَا الْغُلَامَ. وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا، سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ[2].

حديثُ الإفكِ هذا حديثٌ مشهورٌ معروفٌ، قد أنزل اللهُ تعالى فيه عشرَ آياتٍ؛ لعظمِهِ؛ وشدةِ وقعِه على المسلمينَ إلى يوم القيامةِ، والذي تولَّ كِبْرَ هذا الأمرِ هو: عبدُ اللهِ ابنُ أُبَيٍّ بن سلولٍ، فأشاعه، وأذاعه، وصار يمشي به في الناسِ، لا مِن أجلِ أن عائشةَ رضي الله عنها -يحصلُ منها هذا الشيءُ، ولكن مِن أجلِ تدنيسِ فراشِ النبيِّ ﷺ، فهذا هو أهمُّ شيءٍ عنده؛ وهو أن يكُونَ هذا النبيُّ الذي اصطفاه اللهُ عز وجل يكون -والعياذُ باللهِ- على الوصفِ الذي يُريدُه عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ.

ولكن أَنْزَلَ اللهُ تعالى في ذلك عشر آياتٍ مِن كتابِ اللهِ وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ١١]. انظر؛ أي: جاءوا به مِن عند أنفسِهم، وإلا فلا حقيقةَ للأمرِ أصلًا.

۞ وقولُه: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾، أي: كما يتبادرُ للذهنِ، ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾. وصدقَ اللهُ

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢١٢٩) (٢٧٧٠) (٥٦) وذكر قصة الإفك بتمامها.

(٢) انظر: المصدر السابق.

ﷻ في أنه صارَ خيرًا لعائشةَ، وللنبيِّ ﷺ إلى أن تَقُومَ الساعةُ.

الشاهدُ: أنه لما حصلَ الإفكُ المُفترَى الكاذبُ، وصارَ حديثَ الناسِ -وحُقَّ لهم أن يكُونَ حديثَهم؛ لأنه أمرٌ مفزعٌ موجعٌ مؤلمٌ- استشارَ النبيُّ ﷺ أسامةَ بنَ زيدٍ، هل يفارقُ عائشةَ أو لا؟ وعلاقةُ أسامةَ بنِ زيدٍ بالرسولِ ﷺ أنه ابنُ مَوْلاه؛ لأن أباه زيدَ بن حارثةَ عبدٌ، أهدته خديجةُ للنبيِّ ﷺ فأعتقه، وأسامةُ ابنُه، وكان النبيُّ ﷺ يُحِبُّ أسامةَ، ويُحِبُّ أباه، وهو موضعُ ثقةٍ عنده.

فاستشارَه، هل يُفارِقُ عائشةَ أوْ لا؟ والنبيُّ ﷺ إنما فعَلَ ذلك لا تهمةً لعائشةَ، ولكن ضاقتْ به الأرضُ مِن كلامِ الناسِ، فأرَاد أن يُريحَ نفسَه، وإلا فإنه يَعْلَمُ أنها ﵂ أعظمُ الناسِ براءةً مما رُميت به، لكنَّ الإنسانَ إذا كان في مجتمعٍ كلِّهم يَخوضُونَ في أهلِه -ولو كان يعْلَمُ براءتَهم- فسوفَ يُريدُ أن يتخلصَ، لكن أسامةَ ﵁ أشار بالذي يَعْلَمُ مِن براءةِ أهلِه، وقال: إنها بريئةٌ، وأثْنى عليها بما تستحِقُّ.

أما عليٌّ، فلأن ما يَصيبُ النبيُّ ﷺ مِن قدحٍ يُصيبُه -لأنه ابنُ عمِّه- فعرَّض ﵁ أن يُطلِّقَها النبيُّ ﷺ، وقال: لم يُضيِّقِ اللهُ عليكَ، والنساءُ سوَاها كثيرٌ ومع ذلك أرَاد أن يُهوِّنَ الأمرَ على رسولِ اللهِ ﷺ ويُبعِدَ عن الرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ما كان في قلبِه مِن الضيقِ، فقال: سلِ الجاريةَ تَصْدُقْكَ؛ أي: بَريرةَ، فاسألها ماذا تنقِمُ على عائشةَ ﵂، فسأل النبيُّ ﷺ الجاريةَ، فقالت: ما تَسْمَعونَ ما رأيتُ أمرًا أكثرَ مِن أنها جاريةٌ حديثةُ السنِّ -لأنه لما ماتَ الرسولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان لها ثماني عشرةَ سنةً، وحديثُ الإفكِ كان لها حوالي أربع عشرةَ سنةً- تَنَامُ عن عَجينِ أهلِها، فتأتي الداجنُ -أي: ما يكُونُ في البيتِ مِن بهيمةٍ كالشاةِ، والصغيرِ مِن الغنمِ، وما أشبَه ذلك- فتأكُلُ العجينَ.

وهذا ليس فيه شيءٌ أبدًا، فهذه طبيعةُ البشرِ، فبعضُ الناسِ ينامُ وكوبُ الشايِ في يدِه وهم رجالٌ كبارٌ.

فعلى كلِّ حالٍ: النومُ يَغلبُ على كلِّ إنسانٍ، وليس فيه عيبٌ، ولهذا لما قالتِ الجاريةُ هذا القولَ اطمأنَّ النبيُّ ﷺ بعضَ الشيءِ، ثم قام على المنبرِ، يقُولُ: «مَنْ يَعْذِرُني مِن رجلٍ بلغني أذاه في أهلي، واللهِ ما عَلِمتُ على أهلِي إلا خيرًا؛ فذكر براءةَ عائشةَ والحمدُ للهِ.

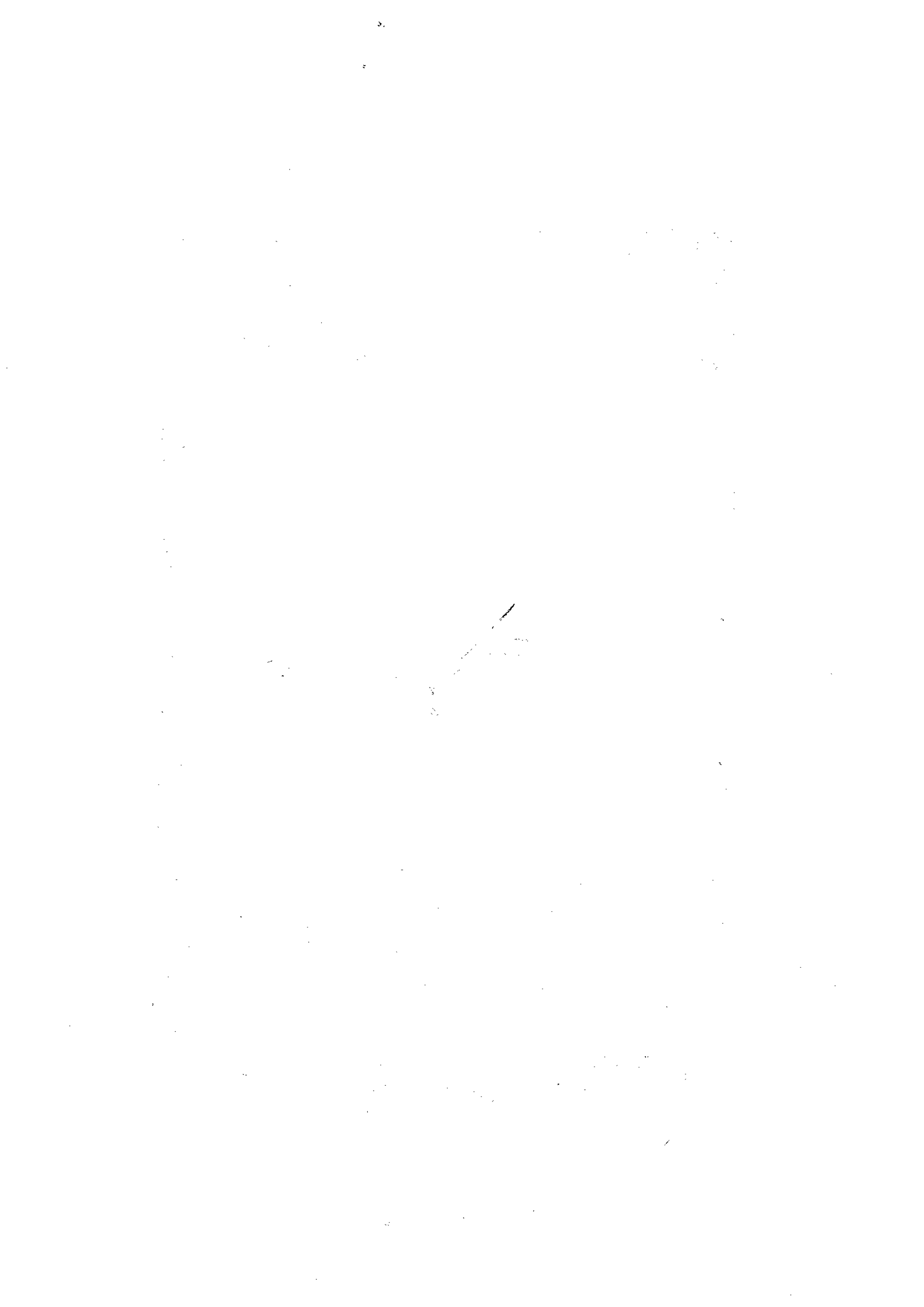
فالشاهدُ مِن هذا: الاستشارةُ؛ أي: استشارةُ النبيِّ ﷺ لأسامةَ بنَ زيدٍ، ولعليِّ بنِ أبي طالبٍ، وهكذا ينبَغي للإنسانِ أن يتَّهِمَ رأيَه، وأن يَسْتَشيرَ غيرَه في الأمورِ التي تُشْكِلُ عليه، ولكن حَذَاري مِن أن يستَشيرَ مَنْ ليس بأمينٍ، أو مَنْ ليس بذي خبرةٍ، فإن ضررَ هؤلاءِ أكثرُ مِن نفعِهم. وإلى هنا ينتهي هذا البابُ، يَليه كتابُ التوحيدِ.



شرح
صحيح البخاري

كتاب التوحيد

٧٣٧١ - ٧٥٦٣



ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التوحيد

هذا الكتابُ ختَم المؤلفُ رَحِمَهُ اللَّهُ به «الجامعَ الصحيحَ»، كما ابتدأه بالوحْيِ؛ لأنَّ الـوَحْيَ بـه الابتداءُ، والتوحيدَ به الغايةُ، ولهذا كان مَن ماتَ وآخِرُ كلامِه لا إلهَ إلا اللهُ دخَل الجنَّةَ[1].

والتَّوحيدُ مصدرُ وحَّدَ يُوَحِّد؛ أي: جعَل الشيءَ واحدًا، وهذا في اللغةِ. ولا يَتِمُّ التوحيدُ إلَّا إذا تَضَمَّن شيئَين: النفْيَ والإثباتَ؛ لأن النفيَ وحدَه تعطيلٌ وإخلاءٌ، والإثباتَ وحدَه لا يمنَعُ المشاركةَ، فلا توحيدَ إلا بإثباتٍ ونفيٍ،

وطـرقُ الإثبـاتِ والنفـيِ كثيـرة؛ مثـلُ قولـه تعـالى: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [طه:٩٨]. ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة:١٦٣].

المهمُّ: أن طرقَ التوحيدِ، أو طرقَ الإثباتِ والنفيِ كثيرةٌ، لكنَّ التوحيدَ لا يَتِمُّ إلا بـأمرَيْنِ: النفيِ والإثباتِ، فإذا قلتَ: لا قائِمَ في البيتِ. فهذا نفيٌ، ومعناه انتفاءُ القيامِ عن مَن في البيـتِ، وإذا قلتَ: زيدٌ قائمٌ. فهذا إثباتٌ، ولا يَمْنَعُ أن يكونَ غيرُه قائمًا أيـضًا، وإذا قلـتَ: لا قـائمَ في البيتِ إلا زيدٌ. فهذا نفيٌ وإثباتٌ يتضمَّنُ قيامَ زيدٍ وعدمَ مشاركةِ غيرِه له في ذلك.

هذا الأخيرُ هو التوحيدُ، ولهذا لابدَّ فيه مِن الركنين النفيِ والإثباتِ، وكـما تقـدم أنَّ طـرقَ النفيِ والإثباتِ كثيرةٌ، ولا تختصُّ بصيغةٍ معيَّنَةٍ، وهذا في اللغةِ العربيةِ.

---

(١) رواه أبو داود (٣١١٦)، وأحمد (٥/ ٢٣٣) (٢٢٠٣٤)، والحاكم (١/ ٣٥١)، وابن منده في «التوحيد» (ق٤٨/ ٢). وحسنه الشيخ الألباني كما في «الإرواء» (٦٨٧)، وتعليقه على «العقيدة الطحاوية» ص٧٨.

وأمّا في الشرعِ: فتوحيدُ اللهِ ﷻ هو إفرادُ اللهِ تعالَى بما يختَصُّ به عِلمًا وعقيدةً، سواء كان ذلك مما يتعلَّقُ بأسمائِه وصفاتِه، أو أفعالِه، أو عبادتِه، فالذي يختصُّ باللهِ يجبُ إفرادُ اللهِ به، ولا يجوزُ أن يُشْرَكَ به معَه غيرُه.

وقد قسَّم العلماءُ رَحِمَهُمُ اللهُ التوحيدَ إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

توحيدِ الرُّبوبيَّةِ، وتوحيدِ الأسماءِ والصفاتِ، وتوحيدِ الألوهيَّةِ، ويقالُ له أيضًا: توحيدُ العبادةِ.

فأمّا توحيدُ الربوبيَّةِ: فهو إفرادُ اللهِ ﷻ بالخلقِ والمُلكِ والتدبيرِ؛ وذلك بأن تُؤْمِنَ بأنَّه لا خالقَ إلا اللهُ، ولا مالكَ إلا اللهُ، ولا مُدبِّرَ إلَّا اللهُ.

فإن قال قائلٌ: كيف الجوابُ عن قولِه ﷺ في المُصَوِّرين: «يُقالُ لهم: أَحْيُوا ما خَلَقْتُم»[1]. وقولِه تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون:١٤].

قُلْنا: الخَلْقُ الثابتُ للهِ غيرُ الخلقِ الثابتِ للمخلوقِ، فالخَلْقُ الثابتُ للهِ هو إيجادُ مِن عَدَمٍ، وهذا لا يَمْلِكُه أحدٌ، والخَلْقُ الثابتُ للمخلوقِ تغييرٌ وتحويلٌ، بأن يُحَوِّلَ الشيءَ مِن شيءٍ إلى آخرَ، أو يُغَيِّرَه، فهو ليس إيجادًا.

مثالُ ذلك: البابُ الذي خلَقَه إيجادًا هو اللهُ، فهو الذي خلَقَه مِنَ الشجرِ، ولا يملِكُ أحدٌ أن يَخْلُقَ شجرةً حتى يُكَوِّنَ منها هذا البابَ، لكنَّ خَلْقَ النَّجارِ لهذا البابِ يُعْتَبَرُ تَحْوِيلًا وتَغْيِيرًا؛ أي: حَوَّل هذا النجارُ الخشَبَةَ التي أنبَتَها اللهُ ﷻ إلى صورةٍ معيَّنَةٍ، فليس بخَلْقٍ.

ثم إنَّ خَلْقَ النجارِ لها كان بقُدْرَتِه -أي بقدرة النجار- وعِلْمِه وإرادتِه، والذي أوْدَعَه العِلْمَ والإرادة والقدرةَ هو اللهُ ﷻ، فكان خَلْقُ الإنسانِ أو خَلْقُ النجارِ لهذا البابِ فَرْعًا عن خَلْقِ اللهِ ﷻ له؛ لأنَّ هذا مِن صفاتِ النَّجارِ وأخلاقِه، والإنسانُ مخلوقٌ للهِ ﷻ بذاتِه وصفاتِه وأفعالِه، فتبَيَّن الآنَ أنَّ كلَّ الخلقِ يَدُورُ على اللهِ ﷻ.

كذلك المُلْكُ الثابتُ للهِ غيرُ المُلْكِ الثابتِ للإنسانِ، فالإنسانُ يَمْلِكُ، كما قال تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ﴾ [النور:٦١]. و ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء:٣٦]. لكنَّ مُلْكَ الإنسان للشيءِ ليس كمُلكِ اللهِ له، فملكُ اللهِ للشيءِ مُلْكٌ مطلقٌ شاملٌ عامٌّ، فهو سبحانَه يَفْعَلُ في مُلْكِه ما يشاءُ، لكنَّ مُلكَ الإنسانِ للشيءِ مُلْكٌ مُقيَّدٌ، وليسَ تامًّا، ولا شاملًا، فالإنسانُ مثلًا يَملِكُ كتابَه، لكنَّه لا يَمْلِكُ كِتابَ غيرِه، واللهُ ﷻ يَمْلِكُ كلَّ ما في السمواتِ والأرضِ.

وكذلك فالإنسانُ يملِكُ الكتابَ، ولكنَّه لا يتصرَّفُ فيه كما يشاءُ، بل تَصَرُّفُه في الكِتابِ تَصَرُّفٌ مُقيَّدٌ بحدودٍ شرعيةٍ، ولهذا لو أرادَ أن يُحْرِقَ هذا الكتابَ لغيرِ سببٍ شرعيٍّ لمُنِعَ منه، ولو كان مُلْكُه تامًّا لكان يفعلُ ما يشاءُ، وكذلك الإنسانُ يملِكُ البعير فهي له يَرْكَبُها وينتَفِعُ بها، ويَنْحَرُها ويأْكُلُها، لكنه لا يملِكُ أن يُعَذِّبَها، فلو أراد أن

(١) رواه البخاري (٥٩٥١)، ومسلم (٢١٠٨).

يَحْفِرَ في ظهرِها جُرْحًا لم يُمَكَّنْ مِن ذلِكَ، واللهُ ﷻ يملِكُ هذا، فيُخرجُ سبحانه غُدَّةً في ظَهْرِ البَعيرِ تَنْجَرِحُ وتَتَأَلَّمُ البعيرُ منها، وربَّمَا تموتُ.

إذًا: تبيَّن لنا أن المُلكَ الثابتَ للخالِقِ ليس كالمُلكِ الثابتِ للمخلوقِ.

كذلك في التدبيرِ، الإنسانُ له تدبيرٌ في ملكِه، فهو مثلًا يقولُ لولدِه: افْعَلْ كذا. ولولدِه الآخرِ: افعلْ كذا، ويُوَجِّهُه، لكنَّ التدبيرَ المطلقَ يكونُ للهِ وحدَه، فاللهُ ﷻ يُدَبِّرُ كما يشاءُ على مَا تقْتَضِيه حكمتُه، ولا مُعَقِّبَ لحُكْمِه، بخلافِ الإنسانِ.

وبهذا يتبيَّنُ انفرادُ اللهِ ﷻ بالخلقِ والملكِ والتدبيرِ.

القسمُ الثاني: توحيدُ الأسماءِ والصفاتِ: وهو مِن تمامِ توحيدِ الرُّبُوبيَّةِ في الحقيقةِ، لكن نصَّ العلماءُ عليه لوجودِ الخلافِ فيه بينَ أهلِ القِبلةِ -أي المسلمين- فلذلك جعلُوه قِسمًا مستقلًّا، وإلَّا فإنَّه يتعلَّقُ بذاتِ الربِّ، فهو مِن تمامِ الربوبيةِ.

فما هو توحيدُ الأسماء والصفاتِ؟

الجوابُ: توحيدُ الأسماءِ والصفاتِ هو إفرادُ اللهِ ﷻ بأسمائِه وصفاتِه بحيثُ نُثْبِتُها له إثْبَاتًا بلا تَمْثِيلٍ، وتَنْزِيهًا بلا تعطيلٍ؛ أي: نثبتُها للهِ على وجهٍ لا يُماثِلُ ما للمَخْلُوقِين مِن ذلك.

مثالُ ذلك: أن اللهَ ﷻ له يدٌ، وللمخلوقِ يدٌ، لكن يجبُ أن نُوحِّدَ اللهَ بيدِه بحيثُ نثبتُ له يدًا لا تماثِلُ أيديْ المخلوقِ؛ لأنك لو جعلتَ يدَ المخلوقِ مثلَ يد اللهِ، أو جعلتَ يدَ اللهِ مثلَ يدِ المخلوقِ كنتَ بذلك مُشْرِكًا.

فتوحيدُ الأسماءِ والصفاتِ إثباتُ ما أثبتَه اللهُ لنفسِه مِن الأسماءِ والصفاتِ مِن غيرِ تمثيلٍ لها بما للمخلوقِ من ذلك، فقد يُسمَّى الإنسانُ العزيزَ، كما قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾ [يوسف:٥١]. واللهُ ﷻ سمَّى نفسَه بالعزيزِ، لكن هل العزيزُ الذي سُمِّي به البشرُ كالعزيزِ الذي سُمِّي به اللهُ؟

الجوابُ: لا، فهما يختلفان اختلافًا كَبِيرًا، فالمخلوقُ قد يُسمَّى بالعزيزِ، ولا عِزَّةَ له، أما الخالقُ فإنه سُمِّي بالعزيزِ لكمالِ عِزَّتِه.

وقد يُسمَّى المخلوقُ بصالح، وليس فيه صلاحٌ، ويُسمَّى خالدًا وهو يموتُ، لكن أسماءَ اللهِ مشتملةٌ على معانِيها التامَّةِ.

فبذلك يحصلُ الفرقُ بينَ ما يثبتُ للهِ مِن الأسماءِ، وما يثبتُ للمخلوقِ، وكذلك نقولُ في الصفاتِ. وهذا هو توحيدُ اللهِ تعالى بأسمائِه وصفاتِه.

القسمُ الثالثُ: توحيدُ اللهِ تعالى بالعبادةِ بأن لا يُعْبَدَ غيرُ اللهِ أيًا كان ذلك المعبودُ، سواء كان مَلَكًا أو رسولًا أو وليًّا أو صالحًا أو سلطانًا أو أمًّا أو أبًا أو غيرَ ذلك، فلا يُعْبَدُ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له.

وقد ذكَر العلماءُ ذلك قِسمًا برأسِه؛ لأنَّه وقَع فيه خلافٌ بينَ المسْلِمين والمشْرِكين.

فتوحيد الربوبيةِ لم يَقَعْ فيه خلافٌ بينَ المسلمين والمشركين، وتوحيد الألوهية والعبادة وقع فيه

خلاف بين المسلمين والمشركين وتوحيدُ الأسماءِ والصفاتِ وقَع الخلافُ فيه بينَ المسلمين، فصارَتِ الآنَ الأقسامُ ثلاثةً من حيثُ اتفاقُ الناسِ عليها.

ولا يَرِدُ على هذا التقسيمِ أنَّ مِن الناسِ مَن أنكَر وجودَ الخالقِ؛ لأنَّ مَن أنكر وجودَ الخالقِ فقد عطَّل تعطيلًا نهائيًّا، والكلامُ مع مَن أثبتَ الخالقَ، أما مَن أنكر فلا كلامَ معه؛ لأنَّه لا يُثْبِتُ الرَّبَّ، ولا غيرَ الربِّ؛ وذلك مثلُ الشُّيُوعِيَّةِ والدَّهْرِيَّةِ، وغيرُهم كثيرون.

إذًا: هل وقَع الخلافُ بينَ المُسْلِمين والمشركين في توحِيدِ الربوبيةِ؟

الجوابُ: لا؛ لأن اللهَ صَرَّح في آياتٍ كثيرةٍ أنَّهم يُقِرُّون بتوحيدِ الربوبيةِ، فقال: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون:٨٦-٨٧]؛ أي: سيقولون: اللهُ هو ربُّ السمواتِ السبعِ وربُّ العرشِ العظيمِ.

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس:٣١]. وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف:٨٧].

فَهُم يُقِرُّون تمامًا بتوحيدِ الربوبيةِ، لكنَّ توحيدَ الألوهيةِ لا يتفقُ المسلمون والمشركون عليه؛ لأنَّ المشركين يُشْرِكونَ باللهِ في توحيدِ الألوهيةِ، فيعبدون مع اللهِ غيرَه؛ مثل اللاتَ، والعُزَّى، ومَنَاةَ، وهُبَل وغيرِها مِن الأصنامِ المعَيَّنَةِ بِعَيْنِها، وغيرِ المعيَّنَةِ.

فالمشركون لهم أصنامٌ معينةٌ بعينِها؛ كاللاتِ والعُزَّى ومناةَ وما أَشْبَهها، ولهم أصنامٌ غيرُ معينةٍ، فمِن سفهِهم أن الإنسانَ إذا نَزَل أرضًا اختارَ أربعةَ أحجارٍ؛ ثلاثة منها يجعلُها للقِدْرِ، والأحسنُ منها يجعلُه إلهًا يعبدُه، وهذا سفهٌ عجيبٌ!

فإذا قال قائلٌ: ما هو الدليلُ على هذا التقسيمِ؟

قُلْنَا: الدليلُ على هذا التقسيمِ هو التَّتَبُّعُ والاسْتِقْرَاءُ؛ أيْ: أنَّ العلماءَ رَحِمَهُمُ اللهُ تتبَّعُوا واسْتَقْرَءُوا ما حصَل مِن أنواعِ الشركِ، فوجَدُوه يدورُ على هذه الأقسامِ الثلاثةِ.

***

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

كِتَابُ التَّوْحِيد

وفي نسخةٍ: والرَّدُّ على الجَهْمِيَّةِ؛ الجهميةُ أتباعُ الجَهْمِ بنِ صَفْوَانَ، والجَهْمُ بنُ صَفْوَانَ ليسَ هو رأسَ الأمرِ في التَّعْطيل، بل رأسُ الأمرِ في التعطيلِ شيخُه الجَعْدُ بنُ دِرْهَم، لكنَّ الجَهْمَ كان فَصِيحًا بَلِيغًا نَشِيطًا، فحَرَّكَ هذه الدعوةَ -دعوةَ التعطيلِ- ونشَرَها وناظَرَ عليها، وجادَل فيها، فنُسِبَ المذهبُ إليه، وإن كان المذهبُ في الأصل من الجَعْدِ بنِ دِرْهَم.

وأولُ هذا المذهبِ الخبيثِ مبنيٌّ على شَيْئَيْن: إنكارِ المحبةِ، وإنْكارِ الكلامِ للهِ، قالوا: اللهُ لا يحبُّ، ولا يتكلَّمُ. وهذا هَدْمٌ للدينِ كلِّه، لأنه إذا كان اللهُ لا يحبُّ صارَ المؤمنُ والكافرُ عندَ اللهِ سواءً وهذا تعطيل واضح، وإذا كان

لا يتكلمُ صارت الشرائعُ والخَلْقُ سواءً؛ يَعْني: أنَّ حُكْمَه الكونيَّ وحُكْمَه الشرعِيَّ سواءٌ وهذا تعطيل واضح، وأيضًا فإنَّ إنكارَ الكلامِ إنكارٌ للشرائعِ؛ لأن الشرعَ مما ثبَتَ بالوحي، والوحي كلامٌ فإذا أُنكِر الكلامُ أُنكِر الوحْيُ، وهذا تعطيلٌ واضحٌ.

وعلى هذا فقولُ الجعدِ بنِ دِرْهَمٍ أنَّ اللهَ تعالى لم يَتَّخِذْ إبراهيمَ خليلًا، ولم يُكَلِّمْ مُوسَى تكليمًا هو إنكارُ تأويلٍ لا إنكارَ جحد؛ لأنه لو كان يريدُ إنكارَ الجَحْدِ لأعلنَ على نفسِه بالكفرِ؛ إذ إن مَن أنكر حَرْفًا واحدًا من القرآنِ فهو كافرٌ؛ لكنَّه أنكره إنكارَ تأويلٍ، فقال: إنَّ اللهَ يتكلمُ، وإنَّ اللهَ اتَخَذَ إبراهيمَ خليلًا، لكن ليسَ على المعْنَى الذي تريدون، فهو قد اتَّخَذَه خليلًا مِن الخِلَّة بالكسرةِ وهي الاحتِياجُ والفقرُ، وليست مِن الخُلَّةِ التي هي المحبةُ. أو أعْلَى أنواعِ المحبةِ.

وهو لم يكلِّمْ مُوسَى تكليمًا بمعنى الكلامِ الذي يُسْمَعُ، ولكن كلَّمَه بمعنى: جَرَّحَه بمَخَالِبِ الحكمةِ؛ لأن الكَلْمَ في اللغةِ بمَعْنَى الجرْحِ، ومنه قولُ النبيِّ ﷺ: «ما مِن مَكْلُومٍ يُكْلَمُ في سبيلِ اللهِ إلَّا جاءَ يومَ القيامةِ، وكَلْمُه يَثْعُبُ[1] دمًا، اللونُ لونُ الدَّمِ؛ والرِّيحُ ريحُ المِسْكِ»[2].

فمعنى كلَّم: جَرَّحَ، وهذا على سبيلِ الاستعارةِ على كلامِه، كأنَّ الحكمةَ وَحْشٌ لها أظفارٌ جَرَّحَ اللهُ بها مُوسَى[3].

ولا شكَّ أن هذا كلامٌ مُنْكَرٌ عظيمٌ، لكن مَن طُبِع على قلبِه فإنه لا يَرَى الباطلَ باطلًا -والعياذ باللهِ-.

ويقالُ: إنه لمَّا خرَجَ خالدُ بنُ عبدِ اللهِ القَسْريُّ ذاتَ عيدٍ من أعيادِ الأضحى، وكان قد حَبَس الجعدَ بنَ درهمٍ، فخرَجَ بالجعدِ بنِ دِرْهمٍ موثوقًا، وخطب الناس وقال: أيها الناس، ضحُّوا، تقبل اللهُ ضحاياكم، فإني مُضَحٍ بالجعد بن درهم، إنه زعَمَ أنَّ اللهَ لم يَتَّخِذْ إبراهيمَ خليلًا، ولم يُكَلِّمْ موسى تكليمًا. ثم نزَلَ من المنبرِ، فذَبَحه[4].

---

(١) قال النووي رحمه الله في شرح مسلم (٧/ ٢٩): قوله ﷺ: «وجرحه يثعب». وهو بفتح الباء والعين وإسكان المثلثة بينهما، ومعناه: يجري متفجِّرًا؛ أي: كثيرًا، وهو بمعنى الرواية الأخرى: يتفجر دمًا.اهـ
وانظر «النهاية» لابن الأثير (ث ع ب)

(٢) رواه مسلم (١٨٧٦)(١٠٥).

(٣) قال الشيخ رحمه الله: إذا قال الله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝١٦٤﴾ [النساء:١٦٤]. فالقاعدة في اللغة العربية أن الفعل إذا أُكِّد بمصدر انتفى المجاز عنه؛ يعني: حتى القائلون بوجود المجاز في اللغة العربية يقولون: إن التأكيد ينفي احتمال المجاز، والآية مؤكدة ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝١٦٤﴾ فلا وجه لما ادعاه، ثم الآيات قاطعة بإثبات المحبة لله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۝٧﴾ [التوبة:٧]، ﴿يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝١٣﴾ [المائدة:١٣].

رواه البيهقي في «سننه» (١٠/ ٢٠٥). والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٦٤)، وفي «خلق أفعال العباد» (ص١٢)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص١١٣).

(٤) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٦٤)، وفي خلق أفعال العباد، (ص١٢)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص١١٣)، والبيهقي في «سننه» (١٠/ ٢٠٥) قال محقق كتاب «خلق أفعال العباد» الأستاذ بدر =

وفي ذلك يقول ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولأجل ذا ضحَّى بجَعْدٍ خالدُ الـ ... قسري يوم ذبائح القربان

إذا قال إبراهيمُ ليس خليلَهُ ... كلَّا ولا مُوسَى الكليمُ الدَّاني

شَكَر الضَّحِيةَ كلُّ صاحبِ سُنَّةٍ ... لله دَرُّك مِن أخِي قُرْبَان[1]

ونحن نَشْكُرُه أن ضحَّى بهذا الرَّجُلِ الذي هو رأسُ هذه البدعةِ العظيمةِ.

وقولُ البخاريِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«التوحيدُ والرَّدُّ على الجهميةِ». ويُفْهَمُ مِن هذا الكلامِ أنَّ الجهميةَ في رَأيِ البخاريِّ رَحِمَهُ اللَّهُ لَيْسُوا مِن أهلِ التوحيدِ؛ لأنه قال: التوحيد والرَّدُّ على الجهميةِ، وقد صرَّح كثيرٌ مِن العلماءِ بكفرِ الجهميةِ.

وبعضُهم فصَّل، وقال: المجتهدُ منهم كافرٌ، والمُقَلِّدُ العَاميُّ ليس بكافرٍ.

وبعضُهم زادَ قيدًا في المجتهدِ، وقال: المجتهدُ الدَّاعِيَةُ إلى بدعتِه كافرٌ، وغيرُ الداعيةِ -الذي تكونُ بِدْعَتُه على نفسِه- ليسَ بكافرٍ.

وهذه المسألةُ -أعني: مسألةَ تكفيرِ الجهميةِ والمعتزلةِ والخوارجِ والرافضةِ ونحوِهم- تحتاجُ إلى نظرٍ عميقٍ، وفي كلِّ قضيةٍ بعينِها؛ لأنَّ إطلاقَ الكفرِ، قد يدخلُ فيه مَن ليسَ بكافرٍ، ونَفْيُ الكفرِ قد يخرجُ منه مَن هو كافرٌ، والكُفْرُ حكمٌ مِن أحكامِ اللهِ لا يجوزُ لنا أن نُطْلِقَه على أحدٍ إلَّا إذا عَلِمْنا أنَّه يَسْتَحِقُّ هذا الوصفَ.

كما أن التحليلَ والتحريمَ مِن أحكامِ اللهِ، فلا يجوزُ أن نُطْلقَ على شيءٍ أنَّه حلالٌ أو حرامٌ إلَّا وعندَنا فيه مِنَ اللهِ بُرْهَانٌ، بلِ الكفرُ أعظمُ؛ لأنَّ الكفرَ فوقَ الحرامِ، وفوقَ الكبائرِ.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١- باب مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتَهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تبارَكَ وَتَعَالَى.

قوله: «دعاءِ النبيِّ ﷺ أمتَه إلى توحيدِ اللهِ تبارَك وتعالَى».

الظاهرُ: أنَّ «ال» في قولِه: «النبيِّ» للعهدِ الذِّهْنِيِّ وليست للعمومِ بدليلِ سياقِ الأحاديثِ ويَصِحُّ أنْ نجعلَها للعمومِ؛ أي: دعاءِ كلِّ نبيٍّ أمتَه إلى توحيدِ اللهِ، وإذا جَعَلْناها للعمومِ فإنَّ دليلَ ذلك قولُه تعالى:

=

البدر، إسناده ضعيف؛ فإن أبا عبد الرحمن، وهو محمد بن حبيب مجهول، كما في «الميزان» للذهبي (٣/ ٥٠٨، ٥٠٩)، و«التقريب» لابن حجر، وعبد الرحمن بن محمد قال عنه ابن حجر: مقبول؛ يعني: حيث يتابع، وإلا فلين، جده حبيب قال عنه: صدوق يخطئ. ا.هـ

وانظر: «السير» (٥/ ٤٣٢).

(١) انظر: «شرح القصيدة النونية» لفضيلة الشيخ محمد خليل هراس (١/ ٣٤)

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء:٢٥]. فكل الرَّسُلِ جاءُوا لتحقيقِ التوحيدِ -نسألُ اللهَ أن يُحَقِّقَه لنا ولكم- تحقيقُ هذا التوحيد مُهِمٌّ جدًّا فعبادةُ اللهِ وحدَه وإخلاصُ العبادةِ له أمرٌ عظيمٌ جدًّا وليسَ بالسهلِ ولا باليسيرِ، ولهذا قال بعضُ السَّلَفِ: ما جاهدتُ نفسي على شيءٍ مُجَاهَدَتَها على الإخلاصِ. فالنفسُ تحتاجُ إلى جهادٍ في تحقيقِ هذا التوحيدِ الذي جاءت به الرسلُ ونزلَتْ به الكتبُ بلْ مِن أجلِه خُلِق الجنُّ والإنسُ، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦]. فجميعُ الرُّسُلِ دَعَوْا أُمَمَهم إلى التوحيدِ، وعلى رَأْسِهم خاتَمُهم محمدٌ ﷺ فقد دعَا إلى التوحيدِ في مكةَ وفي المدينةِ بالقولِ وبالفعلِ.

فمن ذلك ما قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٧١- حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَيْفِيٍّ عَنْ أَبِي مَعْبَدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ»[1].

٧٣٧٢- و حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْأَسْوَدِ حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أُمَيَّةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَيْفِيٍّ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا مَعْبَدٍ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ يَقُولُ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ: مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»[2].

بعثُ معاذٍ إلى اليمنِ كان في السنةِ العاشرةِ مِن الهجرةِ، بَعَثَ النبيُّ ﷺ معاذًا وأبا مُوسَى الأشْعَريَّ، لكنه بعَثَ كلَّ واحدٍ منهما إلى ناحيةٍ، ولهذا ورَدَت ألفاظُ حديثِ ابنِ عبَّاسٍ في بَعْثِ مُعَاذٍ على وَجْهَين:

الوجهُ الأوَّلُ: بَعَث معاذًا إلى اليمنِ.

والوَجْهُ الثاني: بَعَث مُعَاذًا نحوَ اليمنِ أيْ جِهَةَ اليمنِ.

---

(١) رواه البخاري (٧٣٧١)،ومسلم (١٩).

(٢) رواه البخاري (٧٣٧٢)،ومسلم (١٩).

قال الحافظُ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (١٣/ ٣٤٨) قوله: لما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى نحو أهل اليمن. أي: جهة أهل اليمن، وهذه الرواية تقيد الرواية المطلقة بلفظ: حين بعثه إلى اليمن فبيّنت هذه الرواية أن لفظ اليمن من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أو من إطلاق العام وإرادة الخاص، أو لكون اسم الجنس يطلق على بعضه كما يطلق على كله، والراجح أنه من حمل المطلق على المقيد كما صرحت به هذه الرواية. اهـ

والثانِي أقربُ إلى الواقِعِ؛ أيْ: نحوَ اليمنِ أقربُ إلى الواقِعِ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ بعثَ معاذًا إلى جهةٍ، وبعَثَ أبا مُوسَى إلى جهةٍ أخرَى، ولا يَمْتَنِعُ أن يكونَ اللفظُ الذي فيه إلى اليمنِ يرادُ به الخُصُوصُ، وإن كان للعُمُومِ، ومعلومٌ أن معاذًا لم يَتَجَوَّل في كلِّ اليمنِ.

والشاهدُ مِن هذا الحديثِ قولُه: «فلْيَكُنْ أوَّلَ ما تَدْعُوهم إلى أن يُوَحِّدُوا اللهَ» كَلِمة «يُوَحِّدُوا اللهَ» مطابقةٌ للترجمةِ تمامًا وفي لفظٍ آخرَ في الحديثِ نفسِه: «إلى أنْ يَشْهَدُوا ألَّا إلهَ إلا اللهُ»، و«فلْيَكُنْ أوَّلَ ما تَدْعُوهُم إليه شهادةُ ألَّا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ» فبأيِّهما نأخذُ؟

نأخذُ بالثاني: لأنَّ فيه زيادةً، وهو قولُه: «وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ»؛ لأنَّ أهلَ الكتابِ لا يُؤْمِنون بأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ إلى جميعِ الخلقِ، فيكونُ هذا اللفظُ هو المعتبرَ وهو المأخوذَ به؛ لأنَّه أوْفى، وأكثرُ فائِدةً، ومِن المعلوم أنَّ النبيَّ ﷺ لم يَبْعَثْ مُعاذًا إلَّا مَرَّةً واحدةً،ولم يُوصِه بما أَوْصَاه به إلَّا مَرَّةً واحدةً، وعلى هذا فينبغي أنْ نَخْتَارَ مِن ألفاظِ هذا الحديثِ أَوْفاها وأكثرَها، وهكذا يَنْبَغِي في كلِّ حديثٍ اخْتَلَفَتْ ألفاظُه، ونحنُ نعلمُ أنَّه لم يَقَعْ إلَّا مَرَّةً واحدةً فإنه يجبُ علينا أن نأخذَ أوفَاها وأتَمَّها سِيَاقًا؛ لأنَّ الوافيَ التامَّ السياقِ يدلُّ على أن راوِيَهُ قد ضَبَطَه وأَحَاطَ به، وعلى كلِّ حالٍ فقوله: «إلى أن يُوَحِّدُوا اللهَ» هي مَعْنَى شهادةِ أن لا إلهَ إلا اللهُ.

وفي الحديثِ: دليلٌ على أن أهلَ الكتابِ لم يُوَحِّدُوا اللهَ ﷻ وهو كذلك، فإنَّ اليهودَ يقولون: عزيرٌ ابنُ اللهِ. والنَّصارَى يقولون: المسيحُ ابنُ اللهِ. ويقولون أيضًا: إنَّ اللهَ ثالثُ ثلاثةٍ. فهم لم يُوَحِّدُوا اللهَ ﷻ، إلى السَّنةِ العاشرةِ وهم لم يُوَحِّدُوا اللهَ وبهذا نَعْرِفُ أن قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة:٥]، أي حِلُّ نساءِ أهلِ الكتابِ ثابتٌ، ولو كانوا يقولون بالشركِ.

وفي الحديثِ دليلٌ: على ردِّ قولِ مَن يقولُ: إنَّ أولَ واجبٍ على الإنسانِ المعرفةُ قبلَ أن يَعْتَقِدَ، أي أننا نَدْعُو الناسَ أوّلًا إلى أن يَعْرِفوا ويَتَعَلَّمُوا ثم بعدَ ذلك يَعْتَقِدُون، وأفسدُ منه قولُ مَن يَقُولُ: إن أَوَّلَ واجبٍ على الإنسانِ الشَّكُّ. أن يَشُكَّ أوّلًا ثم ينظرَ في الآياتِ مِن أجلِ أن يَدْفَعَ هذا الشكَّ، وهذا القولُ مِن أبطلِ الأقوالِ، بل هو أبطل قولٍ سَمِعْتُه؛ لأن الذي يُلقي نفسَه في الطينِ ليتعودَ كيف يخرجُ من الطينِ هل يأمَنُ أن يركسَ في الطينِ أو لا يأمنُ؟ لا يأمنُ، ربما هذا الرجلُ القائلُ: نشكُّ أوّلًا. ما يستطيعُ أن يَصِلُ إلى اليقين فيَبْقَى شاكًا -نسألُ اللهَ العافيةَ مِن هذه الأقوالِ- وسببُ هذه الأقوالِ هو انحرافُ الفطرةِ والطبيعةِ عند هؤلاءِ، فيظنون أنَّ النَّاسَ مِثلُهم، والنَّاسُ في الحقيقةِ مَجْبُولون على الفطرةِ، لا يُحتاجُ أن يقالَ لهم: انظروا مَن خَلَقَ السمواتِ والأرضَ؛ لأن هذا أمرٌ معلومٌ فطريًّا بل نقولُ وَحِّدُوا مَنْ خَلَقَ السمواتِ والأرضَ، واعْبُدُوه وحدَه، نعم لو احْتاجَ الإنسانُ إلى نَظَرٍ فإننا نُخْبِرُه.

مثل: أن يكونَ شخصٌ نَشَأ في بلادٍ شيوعيةٍ لا يَعْرِفُون ربًّا ولا إلهًا، وإنما هم كالأنعامِ فهؤلاء قد نحتاج إلى أن نُعَرِّفَهم باللهِ أولًا ثم ندعوهم إلى التوحيدِ ثانيًا، لكنَّ مثلَ أهل الكتابِ لا يحتاجون إلى تعريفٍ باللهِ؛ لأنَّهم عندَهم علمٌ باللهِ.

فهم يعرفون اللهَ عَجَّلَ بلْ يَعْرِفون الرسولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما يَعْرِفون أبناءَهم، فصار أوَّلَ ما ندعو الناسَ إلى توحيد اللهِ عَجَّلَ قبلَ المعرفةِ؛ لأنَّ هذا أمرٌ فِطْريٌّ إلَّا إذا كانَ إنسانٌ منغمسًا في قومٍ أفْسَدُوا فِطْرَتَه فحينئذٍ نُعَرِّفُه باللهِ أولًا، ثُم نَدْعُوه إلى توحيدِ اللهِ.

أمَّا القولُ: بأن الواجبَ الشكُّ أولًا ثم المعرفةُ ثانيًا ثم العقيدةُ ثالثًا، فهذا قولٌ مِن أبطلِ الأقوالِ بل هو أبطلُ قولٍ سَمِعْتُه.

۞ وفي الحديث قولُه: «فإذا عَرَفوا ذلك» اسْتَدَلَّ بعض النّاسِ أنَّ أوّلَ شيءٍ هو المعرفةُ، لقولِه: «فإذا عَرَفُوا ذلك» لكن ذكرنا لكم آنِفًا أنَّ الحديثَ رُوِيَ بألفاظٍ مُتعَدِّدةٍ، وأوفى هذه الألفاظِ هو قولُه في اللفظِ الثاني: «فإن أطاعُوك لذلك» هذا اللفظُ الذي سِيقَ فيه الحديثُ سِياقًا تامًّا. وعلى هذا فيكونُ هذا اللفظُ الذي ذَكره المؤلفُ هنا منقولًا بالمعنى على أن قولَه: إذا عَرَفُوا ذلك. لا يَتَعَيَّنُ أن يكونَ المرادُ به إذا عَرَفُوا اللهَ، بلْ يكون المرادُ من قوله: إذا عَرَفوا ذلكِ أي عَرَفُوا أنَّ اللهَ إلهٌ واحدٌ أي عَرَفوا التوحيدَ وأقَرُّوا به وانقادُوا له فأخْبِرْهم أنَّ اللهَ افْتَرَض عليهم ... إلى آخره، وهذا لا يحتاجُ إلى شرحٍ، وهو معروفٌ، وقد سبَقَ.

۞ وفي قولِه في الحديثِ: «زَكاةً في أموالِهم». تَدُلُّ هذه اللفظةُ على أن الزَّكاةَ واجبةٌ في المالِ، وهو كذلك، ولهذا لا يُشْتَرَطُ لوجوبها على القولِ الراجحِ أن يكونَ مَالِكُ المالِ مُكَلَّفًا -أي: بالغًا عاقلًا-. فتجبُ في مالِ الصبيِّ وفي مالِ المجنونِ.

ولو قال قائلٌ: إنَّ الخطابَ لا يُوَجَّهُ إلَّا للمُكَلَّفِ أصلًا. لكان هذا وجهًا قويًّا، لكنَّه لما قال: في أموالِهم، وقال في الآية: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة:١٠٣]. دلَّ هذا على أنَّ الزكاةَ مُركَّزةٌ في المالِ.

۞ وقولُه: «من غنيِّهم فتُرَدُّ على فقيرِهم». المرادُ بالغَنِيِّ هنا: مَن يَملِكُ نِصابًا زَكَويًّا، أمَّا مَن يَملِكُ العَقارَ، ولو كثُرَ فإنَّه ليسَ غنيًّا، بالنسبة لوجوبِ الزكاةِ عليه؛ لأنَّ العَقاراتِ على القولِ الراجح لا تجِبُ فيها الزكاةُ.

۞ وقوله في الحديثِ: «على فقيرِهم». دليلٌ على أنَّ الصدقةَ تُوَزَّعُ على مُسْتَحِقِّيها توزيعَ أفرادٍ، لا توزيعَ جميعٍ، فقولُه تعالى: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾ [التوبة:٦٠]. لبيانِ جنسِ المُسْتَحِقِّين، وليسَ المرادُ أن تَسْتَوْعَبَ هذه الأصنافَ بالزكاةِ.

وهذه مسألةٌ اختلَف فيها الفقهاءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ مع وجودِ هذا النصِّ، فقال بعضُهم: لابدَّ أن نُقَسِّمَ الزكاةَ ثمانيةَ أقسامٍ، لكلِّ واحدٍ مِن الأصنافِ الثمانيةِ قسمٌ.

۞ وقال آخرون زيادةً على ذلك: بل ما جاءَ بلفظِ الجمعِ مِن هذه الأصنافِ وَجَبَ أن نُعْطِيَ ثلاثةً منهم. وعلى هذا فيكونُ الواجبُ أن نعطيَ ثلاثةَ فقراءَ وثلاثةَ مساكين وثلاثةَ عامِلين عليها وثلاثةَ غارِمين وثلاثَ رِقابٍ، وثلاثةَ مؤلفةً قلوبُهم، وأما في سبيلِ اللهِ وابنِ السبيل فهذه مفردةٌ تَصْدُقُ بالواحدِ.

ولكنَّ القولَ الراجحَ أنَّ المرادَ بيانُ المستحقين، لا وجوبُ الصرفِ في الجميعِ، بدليلِ قولِه في هذا الحديثِ: «في فقراءِهم».

۞ وقولُه: «تؤخذُ مِن غَنِيِّهم، فتُرَدُّ على فقيرِهم». أخَذ بعض العلماءِ مِن هذا الحديثِ أنَّه لا يجوزُ نَقْلُ الزكاةِ عنِ البلدِ الذي فيه الأغنياءُ إلى بَلَدٍ آخرَ؛ لأنَّ قولَه: «غَنِيِّهم» كما هو خاصٌّ بأغنياءِ أهلِ اليمنِ فقوله: «فقيرِهم» أيضًا خاصٌّ بفقراءِ أهلِ اليمنِ.

ووَجهُ ذلك أيضًا مِن حيثُ المعنى، وهو أنَه إذا نُقِلَتِ الزكاةُ مِن بلدِ الغنيِّ إلى بلدٍ آخرَ صارَ في هذا إيغارٌ لصدورِ الفقراءِ الذين في البلدِ، وربَّما صار ذلك فتحًا للعدوانِ على الأغنياءِ، وأَخْذِ أموالِهم، فيكونُ في هذا فتنةٌ.

وهذا هو المشهورُ مِن مذهبِ الإمامِ أحمدَ رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّه يَحْرُمُ[1] نقلُ الزكاةِ إلى خارجِ البلدِ، لكنَّهم بَيَّنُوها بمسافةِ القَصْرِ إلا إذا لم يكنْ في البلدِ مُسْتَحِقٌّ، فتُصْرَفُ في بلدٍ آخرَ.

والحديثُ له فوائدُ سبق الكلامُ عليها، لكن الذي يَخْتَصُّ بهذا البابِ قولُه: «إلى أنْ يُوَحِّدُوا اللهَ».

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٧٣- حدَّثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ، قال: حدَّثنا غُنْدَرٌ، قال: حدَّثنا شُعْبَةُ، عن أبي حَصِينٍ والأشعثِ ابنِ سُلَيمٍ أنهما سمِعا الأسودَ بنَ هلالٍ، عن مُعاذِ بنِ جَبَلٍ قال: قال النَّبِيُّ ﷺ: «يَا مُعاذُ، أتَدْرِي ما حقُّ اللهِ على العِبادِ». قال: اللهُ ورَسُولُه أعْلَمُ. قال: «أن يَعْبُدُوه ولا يُشرِكُوا به شَيئًا، أتدري ما حَقُّهم عليه؟». قال: اللهُ ورَسُولُه أعْلَمُ قال: «ألَّا يُعَذِّبَهم»[2].

هنا الحديثُ مُخْتَصَرٌ، فالبخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالَى اخْتَصَر السِّيَاقَ؛ لأنَّ المقصودَ هو الشَّاهِدُ مِنَ الحَدِيثِ، وهو قولُه لمَّا سَأَلَ «مَا حَقُّ اللهِ على العبادِ؟». قال: اللهُ ورسولُه أعْلَمُ. قال: «أن يَعْبُدُوه ولا يُشْرِكُوا بِه شَيْئًا».

فذكَر النَّبِيُّ ﷺ شَيْئَيْنِ: العبادةَ، وعدمَ الشِّرْكِ، فلابُدَّ مِن عبادةٍ، ولابُدَّ مِن عَمَلٍ.

وكلمةُ «يَعْبُدُوه»؛ يَعْنِي: عبادةً تامَّةً لا تَقْتَضِي مُخَالَفَةً يسْتَحِقُّ عليها العِقَابُ، ولهذا قالَ: «أتَدْرِي ما حقُّهم عليه؟». قال: اللهُ ورسولُهُ أعْلَمُ. قال: «ألَّا يُعَذِّبَهم». وهو لا يُعَذِّبُهم إذا عَبَدُوه ولم يُشْرِكوا به شيئًا؛ لأنَّهم قاموا بحقِّ اللهِ، واللهُ عَزَّ وَجَلَّ أكْرَمُ منهم، فإذا قَامُوا بِحَقِّه قامَ بِحَقِّهم.

فإذا قَالَ قَائِلٌ: كيفَ يكونُ للعبادِ حقٌّ على اللهِ، وهم مَرْبُوبُونَ؟

فالجوابُ: أنَّ اللهَ هو الذي أوْجَبَ الحقَّ على نَفْسِه، والممنوعُ أن نُوجِبَ نحن حقًّا على اللهِ، أمَّا إذا أَوْجَبَ اللهُ على نَفْسِه حقًّا لنا فهذا مِن فَضْلِه وكَرَمِه، ولهذا قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) انظر: «المغني» (٢/ ٢٨٣).

(٢) رواه مسلم (٣٠).

مَـا للعبـادِ عليـه حـقٌّ واجِـبٌ وهـو أوْجَـبَ الأجْـرَ العَظِـيمَ الـشانِ

كـلَّا ولا عَمَـلٌ لَدَيْـهِ ضَـائِعٌ إنْ كـانَ بـالإخْلاصِ والإحْـسانِ

إنْ عُـذِّبُوا فبِعَدْلِـه أو نُعِّمُـوا فبِفَـضْلِه والحَمْـدُ للمَنَّـانِ[1]

فَبَيَّن رَحِمَهُ اللَّهُ أنّه ليسَ لنَا على رَبِّنا حقٌّ نُوجِبُه نَحْنُ بأنْفُسِنَا، بل هو الذي أَوْجَبَ الحقَّ على نفسِه، وله أن يَفْعَلَ ما يشاءُ، قال اللهُ تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤]. أي: أوجب على نفسه الرحمة ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥٤﴾.

وعلى كلِّ حالٍ نحن نقولُ: إنَّ اللهَ تعالَى أَوْجَبَ على نفسِه أن مَن قامَ بِعبادتِه بلا شِركٍ، فإنَّه لا يُعَذِّبُه، وهذا مِن فضلِه وإحسانِه ورحمتِه.

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٧٤- حدَّثنا إسماعيلُ، قال: حدَّثني مالكٌ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبي صَعْصَعَةَ، عن أبيه، عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أنَّ رَجُلًا سمِع رَجُلًا يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١] يُرَدِّدُها، فلمَّا أَصْبَحَ جاءَ إلى النَّبيِّ ﷺ، فذكَر له ذلك، فكأنَّ الرَّجُلَ يَتَقالُّها، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذي نَفْسِي بيدِه، إِنَّهَا لَتَعدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ».

زَادَ إِسْمَاعِيلُ بنُ جَعْفَرٍ، عن مَالِكٍ، عن عبدِ الرَّحْمَنِ، عن أبيهِ، عن أبي سعيدٍ، قالَ: أَخْبَرَني أَخِي قَتَادَةُ بنُ النُّعْمَانِ، عن النبيِّ ﷺ[2].

الشَّاهِدُ من هذا الحديثِ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّها لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ». وأقْسَمَ على ذلك.

قال أهلُ العِلْمِ: وإنَّما كانَتْ تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ؛ لأنَّ القُرْآنَ ثَلَاثَةُ مَوَاضِيعَ: أحكامٌ، وأخبارٌ عن اللهِ، وأخبارٌ عن مخلوقاتِ اللهِ، وكلُّ القُرْآنِ يَدُورُ على هذه المعاني الثلاثةِ. فالأحْكامُ تتعلَّقُ بأعمالِ العِبادِ، والأخبارُ عن مخلوقاتِ اللهِ أيضًا تتعلَّقُ بما أخبَر اللهُ به عنها، والأخبارُ عن اللهِ تَضَمَّنَتْها سورةُ الإخلاصِ، ففيها تَوْحِيدُ الأُلُوهِيَّةِ والرُّبُوبِيَّةِ والأسماءِ والصِّفَاتِ.

فالألوهيةُ: في قَولِه: ﴿اللَّهُ﴾.

والربوبيةُ والأسماءُ والصفات: في قوله: ﴿الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص:٢-٤]. ولهذا كانت تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ.

وفي الحديثِ مِن المسائِلِ الفقهيةِ: جَوَازُ تَرْدِيدِ السورةِ أو الآيةِ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ أقَرَّ على ذلك، ولم يُنكِره، فإذا كَرَّرَ الإنْسَانُ الآيةَ أو السورةَ فإنه لا بأسَ، وكثيرًا ما تُعجِبُ الإنسانَ آيةٌ مِن كتابِ اللهِ إمَّا

---

(١) «شرح القصيدة النونية» (٢/ ١٠٨).

(٢) تقدم الكلام عليه في فضائل القرآن.

لمَعْنَاها أو لِلَفْظِها، أو ما أشبه ذلك فيُرَدِّدُها.

فهذا لا بأسَ به حتَّى لو كَرَّر، لكنَّ تكريرَها بعددٍ مُعَيَّنٍ يَعْتَادُه الإنسانُ هذا يحتاجُ إلى تَوْقِيفٍ، فمثلًا لو أرادَ الإنسانُ أن يَقرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾. مائةَ مرةٍ، وجعَل لنفسِه وِرْدًا يَقرَؤُها كلَّ يومٍ مائةَ مرةٍ فإنَّ ذلك بدعةٌ، لكن لو كان يَقرَؤُها بدونِ عددٍ مُعَيَّنٍ، بأن يكونَ كلَّما قَرأ قرَأَها فهذا ليس ببدعةٍ، وليسَ بحرامٍ، ولا بمكروهٍ. واللهُ أَعْلَمُ.

*****

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٧٥- حدَّثَنا محمدٌ، قال: حدَّثَنا أحمدُ بنُ صالحٍ، قال: حدَّثَنا ابنُ وَهْبٍ، قال: حدَّثنا عمرٌو، عن ابنِ أبي هلالٍ، أن أبا الرِّجالِ محمدَ بنَ عبدِ الرحمنِ، حَدَّثه عن أُمِّه عَمْرَةَ بنتِ عبدِ الرحمنِ، وكانَتْ في حَجْرِ عائشةَ زوجِ النبيِّ ﷺ، عن عائشةَ، أنَّ النبيَّ ﷺ بعثَ رَجُلًا على سَرِيَّةٍ، وكان يقرأُ لأصحابِه في صلاتِه فيَختِمُ بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾، فلمَّا رجَعوا ذكَروا ذلك للنبيِّ ﷺ فقال: «سَلُوه لأيِّ شيءٍ يصنعُ ذلك؟» فسألُوه، فقال: لأنَّها صِفَةُ الرحمنِ، وأنا أُحِبُّ أن أَقْرَأَ بِها. فقال النبيُّ ﷺ: «أَخْبِروه أنَّ اللهَ يُحِبُّه»[1].

الشاهدُ مِن هذا الحديثِ: قصةُ هذا الرجلِ الذي بَعَثه النبيُّ ﷺ على سَرِيَّةٍ، فكان يَقْرَأُ لأصحابِه، ويَختِمُ بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾.

۞ وقولُه: فيَختِمُ بِـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾. يَحتَمِلُ أن يكونَ يَخْتِمُ قراءةَ كلِّ ركعةٍ، أو أنه يَختِمُ قراءةَ الصلاةِ عمومًا.

فعلى الاحتمالِ الأولِ: إذا كانت الصَّلاةُ رباعيةً يكونُ يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ أربعَ مَرَّاتٍ.

وعلى الاحتمالِ الثاني: يكونُ يَقرَأُها مرةً واحدةً، وقد اسْتَدَلَّ به الفقهاءُ على جوازِ جَمْعِ سورتين في ركعةٍ واحدةٍ[2].

۞ وقولُه: «لأنَّها صفةُ الرحمنِ». هذا هو الشاهدُ، لأنَّها؛ أيْ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ صفةُ الرحمنِ. ولا يريدُ أنَّها كلامُ اللهِ فهي صفتُه؛ لأنَّ هذا الوصفَ لا يَختَصُّ بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ بل هو شاملٌ للقرآنِ كلِّه، ولكنَّ مرادَه لأنَّها تَشْتَمِلُ على صفةِ الرحمنِ؛ فإن جميعَ صفاتِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ تَتَضَمَّنُها هذه السورةُ، وتَشْتَمِلُ عليها.

وفي هذا الحديثِ: إثباتُ الصفةِ للهِ، كما جرَى على ذلك علماءُ السلفِ؛ أنَّ للهِ أسماءً وصفاتٍ،

---

(١) رواه مسلم (٢٦٣).

(٢) انظر: «المغني» (٢/ ١٦٨، ١٦٩)، و«المبدع» (١/ ٤٨٥)، و«الفروع» (١/ ٣٦٩)، و«كشَّاف القناع» (١/ ٣٧٤).

وأنكر ابنُ حَزْمٍ الظاهريُّ ذِكْرَ الصِّفَةِ، وقال: إن ذِكْرَ الصفةِ مِمَّا أَحْدَثَه المتكلمون[1]، ولكنَّ قولَه مردودٌ بالقرآنِ وبالسُّنَّةِ:

أَمَّا القرآنُ فإنَّ اللهَ تعالى قال: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠﴾ [الصافات:١٨٠]. فنفيُ ما وصَفَه به المُشْرِكون عن نفسِه أو تَنْزِيهُه نَفسَه عمَّا وَصفَه المشركون يَدُلُّ على ثبوتِ صفةِ الكمالِ له، وهو كذلك.

وأمَّا الحديثُ فظاهرٌ؛ لقولِه فيه: «لأنَّها صفةُ الرحمنِ»، فأثْبَتَ للرحمنِ صِفةً، ومِن المعلومِ أنَّ ابنَ حزمٍ لم يَحْتَجَّ لقولِه إلا أن الصفةَ لا تقومُ إلا بجِسْمٍ، والجِسْمُ مُمْتَنِعٌ على اللهِ.

ونحن نتكلمُ عن الجِسْمِ الآن والحَيِّزِ والجهةِ وما أَشْبَهَ ذلك من العباراتِ التي تَوَصَّلَ أهلُ التعطيلِ بها - أيْ بنَفْيِها- إلى نَفْيِ الصفاتِ عن اللهِ، فقالوا: لا نَصِفُ اللهَ بصفةٍ؛ لأنَّ هذا يَقْتَضِي أن يكونَ جِسْمًا، والجِسْمُ مُحْدَثٌ، واللهُ عَجَّلَ هو الأولُ الذي ليسَ قبلَه شيءٌ.

فنقولُ لهم: إن كان يَلْزَمُ مِن إثباتِ الصفةِ أن يكونَ اللهُ جِسْمًا فهذا لازمٌ مِن كتابِ اللهِ وسنةِ رسولِه، وكتابُ اللهِ وسُنَّةُ رسولِه حقٌّ، واللازمُ مِن الحقِّ حَقٌّ، وإن كان لا يَلْزَمُ فقد حصَلَ الانفكاكُ عمَّا أَلْزَمْنا به.

ثُمَّ نَقولُ له: ولغيرِه من الأشاعرةِ أيضًا الذين يُنْكِرون الصفاتِ بناءً على هذا: ما هو الجِسْمُ الذي تُريدون أن تَنْفُوه عن اللهِ؟ هل مرادُكم بذلك الجِسْمُ المُرَكَّبُ الذي يَفْتَقِرُ بعضُه إلى بعضٍ ويَتَجَزَّأُ، أم مُرادُكم بذلك الشيءُ القائمَ بنفسِه المُتَّصِفُ بالصفاتِ، الفاعلُ لما يريدُ، الذي يَجِيءُ ويأْتِي، ويأخذُ ويَقْبِضُ ويَبْسُطُ؟

إن أَرَدْتُم الأَوَّلَ فنحن نوافِقُكم على أنَّ اللهَ لا يُوصَفُ بالجسمِ بهذا المَعْنَى، وإن أَرَدْتُم الثانيَ فنحن نَصِفُ اللهَ به، وسَمُّوه ما شِئْتُم، سَمُّوه جِسْمًا أو غيرَ جِسْمٍ، فنحن نَصِفُ اللهَ بأنه عَجَّلَ قائمٌ بنفسِه مُتَّصِفٌ بالصفاتِ اللائقةِ به، يَجِيء وينزلُ ويَسْتَوِي ويأخُذُ ويقبِضُ ويبسُطُ ويتكَلَّمُ، نَقُولُ بذلك، ولا يُمْكِنُ أن نُنْكِرَ هذا؛ لأنَّ إنكارَ هذا هو التعطيلُ المَحْضُ.

ثم نقولُ لهم: أنتم تَقُولون: إنَّه لا يَتَّصِفُ بالصفاتِ إلا الجِسْمُ، وهذا خطأٌ مخالفٌ للواقعِ؛ فإنَّه يوصفُ بالصفاتِ ما ليسَ بجسمٍ، فاللغةُ العربيةُ مملوءةٌ مِن وصفِ الأَزْمَانِ بالصفاتِ، فيُقالُ مثلًا: هذا ليلٌ طويلٌ، وهذا نهارٌ قصيرٌ. وهل الليلُ والنهارُ أجسامٌ؟

الجوابُ: لا.

۞ ويقالُ: حرٌّ شديدٌ، وبردٌ شديدٌ. والحرُّ والبردُ ليسَا بجسمٍ، فدَعْواكم أن الصفاتِ لا تقومُ إلَّا بجسمٍ دَعْوَى باطِلَةٌ، تُكَذِّبُها اللغةُ ويُكَذِّبُها الحِسُّ.

---

(١) قال ابن حزم في «الفِصَل» (٢/ ٢٨٤): هذه لفظة اصطلح عليها أهل الكلام، من المعتزلة، ومن تبعهم، ولم يثبت عن النبي ﷺ ولا عن أحد من أصحابه ﷺ اهـ.
وضعف هذا الحديث، وقد أطال الكلام على هذا المعنى، واحتج بأشياء لا تدل على مراده.

وبناءً على ذلك يَتبيَّنُ أن نفيَ الجِسْمِيَّةِ عن اللهِ ﷻ خطأٌ، وأن إثْبَاتَها كذلك خطأٌ، وهذا من حيثُ اللفظُ.

وأمّا مِن حيثُ المَعْنَى: فإن أُرِيد بها مَعْنًى لا يَلِيقُ باللهِ وجَبَ نَفْيُها، وإن أُرِيدَ بها مَعْنًى يَلِيقُ باللهِ فهي حقٌّ، لكن لا تُطلقُ لفظًا على اللهِ؛ إثباتًا، ولا نَفْيًا؛ لأنَّه لم يَرِدْ إثباتُها ولا نَفْيُها. والعجبُ أن هؤلاء القومَ الذين اعْتَمَدُوا في نفيِ الصفاتِ عن اللهِ على نفيِ الجسميةِ قالُوا: إن اللهَ لا يَحْزَنُ؛ لأنَّه لو حَزِن لكان جِسْمًا.

إذًا: الحَزَنُ صِفَةٌ والصِّفَةُ، لا تقومُ إلَّا بجسمٍ، فانظُرْ كيفَ أدَّى بهم هذا الخطأُ إلى هذا الخطأ الفادِحِ، أيُّها أعظمُ أن نَصِفَ اللهَ بالحُزْنِ والعَجْزِ والتَّعَبِ وما أشْبَهَ ذلك، أو أن نَصِفَه بأنَّه جِسمٌ؟

الجوابُ: أنَّه الأولُ، فذَهَبوا يَنْفُون الأوْضَحَ في الفسادِ بناءً على ما هو أخْفَى، فعَكَسوا القضيةَ؛ لأنَّ القضيةَ أن يُسْتدَلَّ بالأوْضَح على الأخْفَى، أما هؤلاءِ فاسْتَدَلُّوا بما هو أخْفَى على ما هو أوْضَحُ.

فنقولُ لهم: هذا الكلامُ مِن أبطَلِ ما يكونُ:

فأوَّلًا أنتم إذا قلتُم: إنَّنا لو أثْبَتْنا الحُزْنَ للهِ لَزِمَ أن يكونَ جِسْمًا، فمن أثبتَ الحزنَ، له أن يقولَ: أنا أثبتُ الحزنَ ولا أقولُ: إنه جِسْمٌ كما قال السلفُ: نحن نثبتُ القدرةَ ولا نقولُ: إنه جسمٌ. ثم نقولُ: كلامُكم هذا يُؤَدِّي إلى أن يَكُونَ الردُّ على السلفِ والردُّ على المعطلةِ بطريقٍ واحدٍ، وهو إثباتُ الجسميةِ إن ثبَت الحزنُ، أو إثباتُ الجسميةِ إن ثبتت القدرةُ مثلًا.

وعلى كلِّ حالٍ: فهذه وجهةُ نظرِ ابنِ حزمٍ في إنكارِ الصفةِ، وقال: إنَّ اللهَ ليسَ له صفةٌ، ولا يَجِبُ أن يكونَ له صفةٌ؛ لأنَّ ذلك يَسْتَلزِمُ أن يكونَ جِسْمًا، إذ إن الصفاتِ أعراضٌ، والأعراضُ لا تكونُ إلَّا بأجسامٍ، ولا يَخْفَى علينا أنَّ هذا استعمالٌ للقياسِ، وهو ينكرُ القياسَ في الأحكامِ العَمَلِيَّةِ، ويأتي به في الأحكامِ العقديةِ فسبحان اللهِ!

إذًا: يستفادُ مِن هذا الحديثِ إثباتُ الصفةِ للهِ ﷻ.

ومما يتعَلَّقُ بهذا الحديثِ في مسألةِ التوحيدِ أو العقيدةِ إثباتُ المحبةِ للهِ؛ لقولِه: «أخْبِرُوه أنَّ اللهَ يُحِبُّه» وهذه المحبةُ محبةٌ حقيقية، فيَجِبُ أن نُؤمِنَ بأنَّ اللهَ يُحِبُّ؛ لأنَّ القرآنَ مملوءٌ بذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧﴾ [التوبة:٧]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٩٥﴾ [البقرة:١٩٥]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ [الصف:٤]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ۝٢٢٢﴾ [البقرة:٢٢٢]، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤].

فالقرآن مملوءٌ بهذا، وذِكرُ مَحَبَّةِ اللهِ لمن عُلِّقَتْ محبةُ اللهِ به أكثرُ مِن ذِكْرِ مَحَبَّتِنا للهِ، ففي القرآنِ إضافةُ المحبةِ للهِ ﷻ أكثرُ مِن إضافاتِها للمخلوقِ، ومع ذلك أنكرَها أهلُ التعطيلِ مِن الأشاعرةِ وغيرِهم، وقالوا: إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ، ولا يجوزُ أن نُثْبِتَ أن اللهَ يُحِبُّ؛ وذلك لأنَّ المحبةَ لا تكونُ إلا بينَ شَيْئَيْنِ مُتَجانِسَيْنِ، والخالقُ لا يُماثِلُ المخلوقَ.

والجوابُ على هذا سهلٌ وهو: أنَّ قولَهم: إنَّ المحبةَ لا تكونُ إلَّا بينَ شَيْئَيْن مُتَجانِسَين خطأٌ،

فالمحبَّةُ تكونُ بينَ شَيْئَيْنِ مُتجانِسَين؛ كمحبةِ الرَّجُلِ لامرأتِه مثلًا، فهذا واقعٌ كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم:٢١].

وتكونُ أيضًا بينَ الجمادِ والإنسانِ، ففي الحديثِ الصحيح: «أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنا ونُحِبُّه»[1]

والإنسانُ نَفسُه يُحِبُّ بعضَ مَالِه أكثرَ مِن بَعضٍ، فيقولُ مثلًا: عندي قلمٌ رِيشَتُه سهلةٌ وَلَيِّنَةٌ، لا تُشَقِّقُ الورقةَ، وقلمٌ آخرُ رِيشَتُه صعبةٌ تُشَقِّقُ الورقَ، مرةً تكونُ الكتابةُ به غليظةً، ومرةً تكونُ دقيقةً، فلا شَكَّ أنّه يُحِبُّ الأولَ أكثرَ مِن الثاني، مع كونِه جَمادًا.

حتى البهائمُ، نَرَى البَعِيرَ يُحِبُّ صَاحِبَه، ويَأْوِي إليه، ولا يُحِبُّ الآخَرين، ونَرَى أيضًا أنَّ الإنسانَ يُحِبُّ هذه البعيرَ بعَيْنِها، ولا يُحِبُّ الأُخْرَى؛ لأنَّ الأُخْرَى صَعْبَةٌ، وهذه سهلةٌ ذَلُولٌ.

فإذًا: انتَقَضَ كلامُهم وقياسُهم بأنّ المَحَبَّةَ لا تكونُ إلّا بينَ شَيْئَيْنِ مُتَجَانِسَيْن.

وهنا سؤالٌ، وهو: هل هُم يُنْكِرُون المحبَّةَ إنكَارَ جُحودٍ أو إنْكَارَ تَأْوِيلٍ؟

والجوابُ: أنّهم يُنْكِرُونها إنكارَ تَأْوِيلٍ؛ لأنّهم لو أَنْكَرُوها إنكَارَ جُحُودٍ لكَفَرُوا، فلو قالُوا: اللهُ لا يُحِبُّ. فهذا كفرٌ، لكنهم يَقُولُون: هو يُحِبُّ، ومَعْنَى المحبّةِ كذا وكذا.

فما مَعْنَى المحبةِ عندَهُم؟ يَقُولُون: المحبةُ إمَّا الثوابُ وإمَّا إرادةُ الثواب، فأمّا على التَّأْوِيلِ الأوّلِ فالثوابُ مَخْلُوقٌ مُنْفَصِلٌ بائنٌ عن اللهِ، مخلوقٌ ولا أحدَ يُنْكِرُه، فالكلُّ يقولُ: المخلوقاتُ الثابتةُ، اللهُ هو الذي خَلَقَها.

وأمّا على التأويلِ الثاني -وهوَ إرادةُ الثوابِ- فالإرادةُ صفةٌ، والأشاعرةُ يُقِرُّون بإثباتِ الإرادةِ للهِ عَجَّلَ، والإرادةُ وإن كانَتْ صفةً للمريدِ، لكن هم يُثْبِتُون صفةَ الإرادَةِ؛ لأنَّ العقلَ عندَهم دَلَّ عليها، وكيف دَلَّ العقلُ على ثبوتِ الإرادةِ عندَهم؟

الجوابُ: قالوا: تَخْصِيصُ المخلوقاتِ بما تَخْتَصُّ به يَدُلُّ على الإرادةِ؛ يعني: جَعْلُ السماءِ سماءً، والأَرْضِ أرْضًا، والبعيرِ بعيرًا والشاةِ شاةً، كلُّ هذا يَدُلُّ على الإرادةِ.

فاللهُ عَجَّلَ أرادَ أن تكونَ السماءُ سماءً على هذا الوجهِ، فصارت كذلك، وكذلك الأرضُ، وكذلك البعيرُ، وكذلك الشاةُ.

ونحن نُوَافِقُهم على أن الإرادةَ دَلَّ عليها الشَّرْعُ والعقلُ، فلا نَرُدُّ الحقَّ، بل نَقْبَلُه مِن أيِّ إنسانٍ، لكنْ كَوْنَنا نجعلُ المحبةَ بِناءً على الإرادةِ فهذا خطأٌ؛ إذ إنَّ المحبةَ أعْلَى وأَعْظَمُ مِن الإرادةِ.

وتجدُ الفَرْقَ بينَ أن تَقُولَ لشخصٍ: إنَّ اللهَ يُحِبُّكَ. أو تقولَ لشخصٍ: أنَّ اللهَ يُرِيدُ أن يُثِيبَكَ. فأيُّهما أعْظَمُ؟

الأولى أعْظَمُ وأشْرَحُ للصدرِ، وأطمنُ للقلب وأرْضَى للنفسِ، فكيفَ نُنْكِرُ المحبةَ، ونُثْبِتُ الإرادَةَ؟!.

---

(١) تقدم تخريجه.

على كلِّ حالٍ: فهذا الحديثُ يَدُلُّ على إثْبَاتِ المحبةِ للهِ ﷻ؛ لقولِه: «إنَّ اللهَ يُحِبُّه». وهذا قد جاءَ في الكتابِ والسنةِ.

ومَحَبَّةُ اللهِ تعالَى تتعلَّقُ أحيانًا بالأشخاصِ، وأحيانًا بالأعْمَالِ، وأحيانًا بالأماكِنِ، وأحيانًا بالأزْمَانِ والأوْقَاتِ.

فأمَّا تعلُّقُها بالأشخاصِ فمثلُ هذا الحديثِ: «أخْبِرُوه أنَّ اللهَ يُحِبُّه».

وأما تَعلُّقُها بالأعْمَالِ فكقولِ النبيِّ ﷺ: «أَحَبُّ الأعْمالِ إلى اللهِ الصَّلاةُ علَى وَقْتِها»[1].

وَأما تَعلُّقُها بالأوْصَافِ، فكقولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٩٥﴾.

وأما تعَلُّقُها بالأماكِنِ فمثلُ قولِ الرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَحَبُّ البِقَاعِ إلى اللهِ مساجدُها، وأبغضُ البِقَاعِ إلَى اللهِ أسواقُها»[2]. وقال الرسولُ ﷺ عن مكةَ: «إنَّكِ لأَحَبُّ البِقاعِ إلَى اللهِ»[3].

وأمَّا الأزمانُ، فربَّما يُسْتَدَلُّ لذلك بقولِ النبيِّ ﷺ: «مَا مِنْ أيَّامِ العَمَلُ الصالحُ فيهنَّ أَحَبُّ إلى اللهِ مِن هذه الأيام»[4]؛ يعني: عَشْرَ ذي الحِجَّةِ.

وقد يُقالُ: إن هذا مِن بابِ تعليقِ المحبةِ بالعملِ في هذا الزمنِ، فلا يَتِمُّ الاسْتِدْلَالُ.

وإذا قيل: هل هناك تلازُمٌ بينَ الإرادةِ والمحبةِ؟

فالجوابُ: لا تلازُمَ بينَهما، فقد يُريدُ اللهُ مَا لَا يُحِبُّ وَقَدْ يُحِبُّ مَا لَا يُرِيدُ، فليسَ كلُّ ما أَحَبَّه اللهُ يُرِيدُه، ولا كلُّ ما أرادَه اللهُ يُحِبُّه.

فإذَا قالَ قائلٌ: قولُكم: ليسَ كلُّ ما أرادَ اللهُ يُحِبُّه فيه إشْكَالٌ؛ إذ كيفَ يُريدُ ما لا يُحِبُّ؟

فالجوابُ أن نقولَ: إن اللهَ قد يُريدُ ما لا يُحِبُّ للحكمةِ والمصلحةِ التي تَقْتضيه، فالمَعاصِي لا يُحِبُّها اللهُ ولكنَّه يُريدُها، لذا وَقَعَت بإرادتِه الكَوْنيَّةِ لكنه لا يُحبها، كيفَ يُريدُها وهو لا يُحِبُّها؟ نقولُ للمصلحةِ، ألَم تَسْمَعْ إلى قولِ اللهِ تَعَالَى في الحديثِ القُدسيِّ: «مَا تَرَدَّدْتُ عن شَيْءٍ أنا فَاعِلُه تَرَدُّدِي عن قبضِ نفسِ عَبْدِي المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ، وأَكْرَهُ مُسَاءَتَه، ولابُدَّ لَهُ مِنْه»[5].

فهنا أراد تَعَالَى ما يَكْرَهُ، لكنَّ المَصْلَحةَ لَابُدَّ منها.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (٦٧١)، ورواه البيهقي في «السنن» (٣/ ٦٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٤/ ٤٧٦)، (١٥٩٩)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٦٧)، وحسنه الشيخ الألباني كما في «الجامع الصغير» (٣٢٧١)، و«صحيح الترغيب» (٣٢٣).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٣٠٥) (١٨٧١٥-١٨٧١٨)، والترمذي (٣٩٢٥)، والنسائي في «الكبرى» (٤٢٥٢)، وابن ماجه (٣١٠٨)، من حديث عبد الله بن عدي بن الحمراء بلفظ: «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله».

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) تقدم تخريجه.

ونظيرُ ذلك في المَحْسُوسِ أنَّ الإنسانَ يَأْتِي بابْنِه إلى الطبيبِ، فيُقَرِّرُ الطبيبُ أنَّه لا بُدَّ مِن كَيِّهِ بالنَّارِ، فيُحْمِي الحَدِيدَةَ حتَّى تكونَ جَمْرَةً، ثُمَّ يَكْوِي بها ابنَ الرَّجُلِ، وهل الرَّجُلُ يُحِبُّ أن يُحْرِقَ ابنَه بالنارِ؟

الجوابُ: لا، فهو يَكْرَهُ ذلك بلا شكٍّ، لكنْ أَحَبَّ إحْرَاقَه بالنارِ مِن أجلِ مصلحةٍ أعْظَمَ مِن ذلك، وهي شفاءُ ولدِه، فاللهُ ﷻ قد يُرِيدُ ما يَكْرَهُه لحكمةٍ تَقْتَضِيه وقد يُحِبُّ ما لا يُرِيدُ.

فيُحِبُّ مِنَّا أنْ نكونَ مُؤْمِنين بهِ قائمين بأمْرِه، ولكن قد لا يُرِيدُ ذلك لمصلحةٍ أيضًا، فإنَّ اللهَ تعالَى قَسَّمَ العبادَ إلى قِسْمَين، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن:٢]. ولو جاءَ الناسُ على ما يُحِبُّه اللهُ ﷻ لم يَنْقَسِموا إلَّا إلَى قِسْمٍ واحِدٍ، ولبَطَلت الحِكْمَةُ مِن خلقِ النارِ والجنَّةِ، ولبَطَلَ الجهادُ في سبيلِ اللهِ، وبَطَلَ الأمرُ بالمعروفِ والنَّهْيُ عن المنكرِ، وبَطَلَ الامتِحانُ الذي يُمْتَحَنُ به العبادُ، فقد قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود:٧].

فتبَيَّن بهذا أنَّه لا ارْتِبَاطَ بينَ المحبةِ والإرادةِ، فقد يجتمعان في شيءٍ، وقد يَفْتَرِقان، فطاعَةُ المُطِيعِ اجْتَمَع فيها الإرادةُ والمحبةُ، ومعصيةُ العَاصِي فيها الإرادةُ دونَ المحبةِ.

***

قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢- بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء:١١٠].

٧٣٧٦- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ وَأَبِي ظَبْيَانَ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ»(١).

۞ يَقُولُ البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بابُ قولِه تعالى: «﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾». ذُكِرَ أنَّ سَبَبَ نُزُولِ هذه الآيةِ أنَّ قُرَيْشًا سَمِعُوا النَّبِيَّ ﷺ لا: «يا اللهُ يا رحمنُ». فقالوا: هذا الرجلُ يقولُ: إن الإلَهَ واحدٌ، ويَنْهَانَا عن أن نَجْعَلَ له شَرِيكًا، وهو يَدْعُو إلَهَيْنِ: «يا اللهُ يا رحمنُ». فأنْزَلَ اللهُ هذه الآيةَ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟﴾؛(٢) أي: ادْعُوا رَبَّكم باسمِ اللهِ أو باسمِ الرحمنِ.

فادْعُوا اللهَ أو ادْعُوا الرحمنَ ليسَ مَعْنَاها أنَّ هناك مَنْ يُسَمَّى باللهِ وَمَنْ يُسَمَّى بالرحمنِ، ولكن المَعْنَى ادْعُوا اللهَ باسمِ اللهِ أو باسمِ الرحمنِ، فقُولُوا: يا اللهُ. وقولوا: يا رحمنُ هذا هو معنى الآيةِ.

---

(١) رواه ومسلم (٢٣١٩).

(٢) رواه ابن جرير في «التفسير» (١٥/ ١٨٢)، من طريق عبد الله بن واقد، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وإسناده ضعيف، فيه عبد الله بن واقد، وهو ضعيف ليس بشيء، كما في «اللسان» ٣/ ٣٧٤.

وأَمَّا إعرابُ قولِه تعالى: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ف«أيًا» اسمُ شَرْطٍ جَازِمٍ، مفعولٌ به مُقَدَّمٌ لِتَدْعُوا، وجُمْلَةُ «فله الأسماء الحسنى» هي جوابُ الشرطِ؛ يَعْنِي: أيَّ اسمٍ تَدْعُوا اللهَ بِه، فلَه الأَسْمَاءُ الحُسْنَى؛ يَعْنِي: فأسماؤه كلُّها حُسْنَى تَصِحُّ أَنْ تَكُونَ وَسِيلةً للدُّعاءِ بها.

والشَّاهدُ مِن هذا البابِ: هو إثباتُ اسمِ الرحمنِ، وإثْبَاتُ اسمِ اللهِ، وإثْبَاتُ الأسماءِ الحُسْنَى عُمُومًا.

أَمَّا اسمُ اللهِ واسْمُ الرحمنِ فهو نَصٌّ وتَعْيِينٌ، وأَمَّا الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فهي عَامَّةٌ.

وفي هذا البابِ بحوثٌ:

أَوَّلًا: على أيِّ شيءٍ يَدُلُّ الاسْمُ؟

نقولُ: كلُّ اسمٍ مِن أسماءِ اللهِ؛ فإنَّه يَدُلُّ على شيئَينِ: على الذاتِ المُقدَّسةِ، وعلى الصِّفةِ التي اشْتُقَّ منها[1]، فكَلِمةُ «اللهِ» تَدُلُّ على ذاتِ الرَّبِّ عَلَّ، وعلى الصِّفَةِ التي اشْتُقَّ منها، وهي الأُلوهيَّةُ.

والرحمنُ تَدُلُّ على ذاتِ اللهِ عَلَّ، وعلى الصفةِ التي اشْتُقَّ منها، وهي الرَّحْمَةُ. وهذه هي قاعدةُ كلِّ اسمٍ مِن أسماءِ اللهِ، أنه يَدُلُّ على شَيْئَيْنِ:

أَوَّلًا: الذاتُ. والثاني: الصفةُ، وإن شئتَ فَقُلْ: الوَصْفُ الذي اشْتُقَّ مِنْه هذا الاسمُ.

وهل يَدُلُّ على أكثرَ مِن ذلك؟

الجوابُ: نعم، فرُبَّما يَدُلُّ على أكثرَ مِن صفةٍ باللزُّومِ لا بالتَّضمُّنِ.

مثالُ ذلك: قولُه تبارك وتعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ﴾ [الحشر:٢٤].

دَلَّت صفةُ الخالِقِ على ذاتِ اللهِ، وعلى وَصْفِه بالخَلْقِ، ودَلَّتْ على عِلْمِه، وعلى قُدْرَتِه، ولكن كَيْفَ دَلَّتْ على عِلْمِه وقُدْرَتِه، وهي ليسَ فيها عِلْمٌ ولا قُدْرَةٌ؟

الجوابُ نقولُ: إنَّ مِن لَازِمِ الخَلْقِ العِلْمُ والقدرةُ؛ إذْ مَع الجهلِ لا يُمْكِنُ أنْ يَخْلُقَ، ومَعَ العَجْزِ لا يُمْكِنُ أن يَخْلُقَ.

فكلُّ اسمٍ مِن أَسْمَاءِ اللهِ يتَضمَّن شَيْئينْ:

أولًا: الذاتُ.

---

(١) رواه البيهقي في «السنن» (٩/ ١٣٢)، (١٨١٣٠).

سئل الشيخ الشارح رحمه الله: هل كلُّ اسمٍ مُتَضَمِّنٌ لصفة بالنسبة للناسِ؟

فأجاب رحمه الله: لا، فقد يكون الاسمُ ضِدَّ الصفةِ فخالدٌ مثلًا هذا ضِدُّ الصفةِ. قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء:٣٤]. فهذا ضِدُّ الصِّفةِ، رُبَّما تسمي فُلانٌ سهلًا، ويكونُ مِن أصعب عبادِ اللهِ، ورُبَّما تسمي عبدَ اللهِ وهو كافرٌ، صالحًا وهو غيرُ صالحٍ ولهذا أَقَرَّ النبيُّ ﷺ اسم حكيم؛ لأنَّه لا يُرادُ بها ملاحظةُ الصفةِ التي هي الحكمةُ، ومَنَع التَّكَنِّي بأبي الحَكَمِ، وقال: «إنَّ اللهَ هو الحَكَمُ وإليه الحكمُ» مَنَع التَّكَنِّي بأبي الحَكَمِ؛ لأنه قد يُوهِمُ بأنَّ للهِ أبًا، واللهُ عَلَّ ليسَ له أبٌ، أبو الحكم والمعروفُ أن الحَكَمَ هو اللهُ فيُوهِمُ التسمي بأبِي الحكمِ وهذا المَعْنَى الفاسدَ، ولهذا مَنَعَ التَكَنِّي بأبي الحَكَمِ.

والثاني: الوصفُ الذي اشتُقّ منه هذا الاسمُ.

ثُم قد يَدُلُّ على صِفَةٍ أخرى وثانيةٍ وثالثةٍ ورابعةٍ عن طريقِ اللُّزومِ.

فالاسمُ يَدُلُّ على الذَّاتِ والصفةِ، وكلُّ اسمٍ مِن أسماءِ اللهِ يَدُلُّ على ذاتٍ وصفةٍ، وَدَلَالَتُه على الأَمْرينِ تُسَمَّى دَلَالَةَ مُطابقَةٍ، ودَلَالَتُه على واحدٍ مِنهما تُسَمَّى دَلَالَةَ تَضَمُّنٍ؛ يَعْنِي: أنَّ هذا اللفظَ تَضمَّن هذا، وليسَ هو مَعْناه الكاملَ.

ودَلَالَةُ الالتزامِ تَدُلُّ على أمرٍ لا يَدُلُّ عليه اللفظُ مِن حيث المادةُ، لكنْ يَدُلُّ عليه المَعْنَى من حيثُ أنَّه يلزمُ منه كذا وكذا.

وَنُمَثِّلُ بمعقولٍ ومحْسُوسٍ، فمِن أسماءِ اللهِ تعالى الخالقُ، فالخالقُ دلَّ على ذاتِ الرَّبِّ عَجَّلَ، وعلى صفةِ الخَلْقِ، فَدَلَّ على أنَّ هُناكَ خالقًا، وهناك خَلْقًا، كما إذا قُلْتَ: قائمٌ. فإنَّه يَدُلُّ على أنَّ هناك شَخْصًا قائمًا، وعلى قيامٍ، فالخالقُ تَدُلُّ على ذاتِ الرَّبِّ عَجَّلَ وعلى صفةِ الخَلْقِ، وَدَلَالَتُه على الذاتِ والصفةِ دَلَالَةُ مُطَابقَةٍ؛ لأنَّ اللفظَ طابَقَ المَعْنَى، وصارَ مُساوِيًا له.

وهَل يُمْكِنُ أن يكونَ خلقٌ بلا عِلْمٍ ولا قدرةٍ؟

الجوابُ: لا، فالخالقُ يَدُلُّ على صِفَتَيِ العلمِ والقدرةِ عن طريقِ اللُّزُومِ، فمِن لَازِمِ الخالقِ أن يكونَ عالمًا قادرًا؛ إذ الجاهلُ لا يُمْكِنُ أن يَخْلُقَ والعاجزُ لا يُمْكِنُ أن يَخْلُقَ. وهذا مثالٌ معقولٌ.

وأمَّا المثالُ المحسوسُ فإنك إذا قلتَ: هذا قَصْرُ فلان. فكلمةُ قصر تَشْتَمِلُ على كلِّ هذه البِنايةِ بما فيها مِن غُرفٍ وحُجَرٍ وساحاتٍ وغيرِ ذلك، فتَدُلُّ على هذا بالمطابقةِ، وتَدُلُّ على غُرْفَةٍ مِنه، أو حجرةٍ منه، أو ساحةٍ منه بالتضمُّنِ؛ يَعْنِي: أنَّ مِن ضِمنِ هذا القصرِ غُرْفَةً، ومن ضِمْنِه حجرةً، ومِن ضِمْنِه ساحةً.

وتَدُلُّ على أنَّ هناك بانِيًا بَنَى هذا القصرَ باللُّزُومِ؛ لأنه مِن لازمِ القصرِ المَبْنِيِّ القائمِ أن يكونَ له بانٍ.

ودَلَالَةُ المطابقةِ والتضمُّنِ غالِبُ الناسِ يَفْهَمُها، ولا تُشْكِلُ عليه، لكنَّ دلالةَ اللُّزُوم هي التي يَخْتَلِفُ فيها العلماءُ اخْتِلَافًا كبيرًا بحَسَبِ مَا أَعْطَاهُمُ اللهُ تعالى مِن الفَهمِ؛ لأنَّ كَوْنَك تَعْرِفُ أنَّه يلزمُ مِن كذا كذا وكذا، هذا لا يُدْرِكُه إلا الجهابذةُ.

ولهذا نقولُ: كُلُّ اسمٍ مِن أسماءِ اللهِ يَدُلُّ على ذاتٍ وصفةٍ، وقد يَدُلُّ على أكثرَ مِن صفةٍ عن طريقِ اللُّزوم.

ثانيًا: كلُّ أسماءِ اللهِ حُسْنَى، ولهذا قال اللهُ تعالى: ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء:١١٠]. والحسنى اسمُ تَفْضِيلٍ يُقابِله في المُذكَّرِ «أحْسَنَ»، ويقالُ: رجلٌ أَحْسَنُ، وامْرَأَةٌ حُسْنَى. وهنا قالَ: ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾. فجعَل الوَصْفَ وَصْفَ مُؤنَّثٍ؛ لأنَّ الأَسْماءَ جَمْعٌ، والجَمْعُ يُوصَفُ بالمُؤَنَّثِ إلَّا جَمْعَ العَاقِلِ، فيُوصَفُ بِحَسَبِ ما يقْتَضِيه المَعْنَى، إن كانَ للذُّكُورِ فجمعُ مُذَكَّرٍ سَالِمٌ، وإن كان للإناثِ فَجَمْعُ مُؤَنَّثٍ سَالِمٌ، أمَّا غيرُ العاقِلِ فإنَّه يُجْمَعُ وَصْفُه على جمعِ المؤنثِ.

إذًا: أسماءُ اللهِ تعالَى كلُّها حُسْنَى، والحُسْنَى هي المُشْتَمِلةُ على أكملِ وجوهِ الحُسْنِ، فهي حُسْنَى ليسَ فيها نَقْصٌ بأيِّ وجهٍ مِن الوجوهِ.

فيُفْهَمُ مِن هذه القاعدةِ أنَّه لا يوجدُ في أسماءِ اللهِ اسمٌ يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ: مَعْنًى حَسَنًا ومَعْنًى غيرَ حَسَنٍ.

وانْتَبِهُوا لهذا: فكلُّ أسماءِ اللهِ لابدَّ أنْ تكونَ حُسْنَى؛ أيْ: بالغةَ الكمالِ في الحُسْنِ، ولهذا لم يَكُنْ مِن أسماءِ اللهِ المُتكَلِّمُ، ولا مِن أسمائِه المُرِيدُ، مع أنَّه مُتكَلِّمٌ، ومُرِيدٌ.

قال العلماءُ: لأنَّ المتكلِّمَ مَن قَامَ به الكلامُ، والكلامُ قد يكونُ حَسَنًا، وقد يكونُ سيِّئًا، وكذلك الإرادةُ، ولهذا لا يَصِحُّ أن يُسَمَّى اللهُ بالمتكلِّمِ، ولا أن يُسَمَّى بالمُرِيدِ، لكن يُوصَفُ بأنَّه متكلمٌ وأنَّه مريدٌ؛ لأنَّ بابَ الإخبارِ أوسَعُ مِن بابِ التَّسْمِيَةِ؛ لأنَّ التسميةَ إنشاءٌ فتُنْشِئُ اسمًا للمُسَمَّى الذي تريدُ أن تُسَمِّيَه.

لكنَّ الإخبارَ مجردُ خبرٍ ليسَ بإنشاءٍ، ولذلك قالوا: الإخبارُ أوسعُ مِن الإنشاءِ، فقد يُخْبَرُ عن الشيءِ بشيءٍ، ولا يُسَمَّى به؛ مثلُ المتكلِّمِ، وحينئذٍ يُمْكِنُ أن نُقَسِّمَ ما يُضَافُ إلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إلى أربعةِ أقسامٍ:

الأولُ: ما تَضَمَّنَ كمالَ الحُسْنِ، فهذا يكونُ مِن أسمائِه.

والثاني: ما كان حَسَنًا مِن وجهٍ دُونَ وجهٍ، فهذا يُخْبَرُ به عنه، ولا يُسَمَّى به.

والثالثُ: ما كان مَحْمُودًا في حالٍ دونَ حالٍ، فهذا يُوصَفُ به في الحالةِ التي يكونُ فيها محمودًا، ولا يُسَمَّى به على الإطلاقِ؛ مثلُ المكرِ والخداعِ والاستهزاءِ والكيدِ، فهذه أوصافٌ إن ذُكِرَتْ في مقابلِ مَن يُعامِلُ بهذه الأوصافِ، صارَتْ أوصافًا محمودةً، ووُصِفَ اللهُ بها، وإلَّا فلا.

فمثلًا: المكرُ وصَفَ اللهُ نفسَه بأنَّه يمكُرُ، لكنَّه وصفٌ مقيدٌ بمَن يَمْكُرُ به، فقال: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال:٣٠]. فلا يَصِحُّ أن تقولَ: إنَّ اللهَ ماكرٌ.

وهذا هو الفرقُ بينَ هذا وبينَ قولِنا: إنَّ اللهَ متكلِّمٌ؛ لأنَّه يجوزُ أنْ تقولَ: إنَّ اللهَ متكلمٌ على وجهِ الإطلاقِ، لكن لا يجوزُ أن تقولَ: إنَّ اللهَ ماكرٌ. إلَّا إذا قَيَّدْتَه فقلتَ: ماكرٌ بمَن يمكُرُ به؛ لأنَّ المكرَ لا يكونُ مَدْحًا إلا حيثُ كانَ في مُقَابِلِ مكرٍ آخرَ، لِيَتَبَيَّنَ به أنَّ قوةَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أقْوَى مِن مكرِ هذا الماكِرِ.

فكذلك نقولُ في الخِداعِ، قال تعالَى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء:١٤٢]. فلا يَصِحُّ أن تَصِفَ اللهَ بأنَّه خادِعٌ أو مُخادِعٌ على وجهِ الإطلاقِ، لكن قلْ: خادعٌ مَن يُخادِعون، كما قال تعالَى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾.

فكذلك المستهزِئُ لا يَصِحُّ أن نَقُولَ: إنَّ اللهَ مستهزِئٌ على سبيلِ الإطلاقِ، بل نقولُ: مستهزِئٌ بمَن يستهزِئُ به.

وكذلك الكيدُ نقولُ: إنَّ اللهَ لا يكيدُ على أحدٍ إلا مَن كادَ عليه، قال تعالَى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦﴾ [الطارق:١٥-١٦].

والرابعُ: ما لا يَصِحُّ أن يُنْسَبَ للهِ إطْلَاقًا، وهو ما تَضَمَّن نَقْصًا مُطْلَقًا، فهذا لا يَصِحُّ أنْ يُضَافَ إلى اللهِ إطْلَاقًا؛ مثلُ الخَائِنِ؛ والعياذُ باللهِ، فهذا لا يُمْكِنَ أن تَصِفَ اللهَ به مُطْلَقًا.

وقولُ العامَّةِ: خانَ اللهُ مَن يَخُونُ. خطأٌ فادِحٌ وغَلَطٌ، ولهذا لما ذَكَرَ اللهُ خِيانَةَ أعدائِه لم يَذْكُرْ خِيانَته لهم، فقال: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأنفال:٧١]. ولم يَقُلْ فخانَهم. لكنْ في الخداعِ قال: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء:١٤٢].

فإذا قالَ قائِلٌ: ما الفرقُ بينَ الخِيانةِ والخداعِ؟

قلنا: الفرقُ بينَهما ظاهرٌ، فالخيانةُ أن تَخُونَ الأمانَةَ فيمَن ائْتَمَنَك، والخداعُ أن تُخادِعَ مَن خادَعَك، فبينَهما فرقٌ يَظْهَرُ بالمثالِ، فيُقالُ: إنَّ الحربَ خُدعةٌ، والحِرابَةُ في مُقابلةِ عَدُوٍّ يُريدُ أن يَخْدَعَك، فإذا خَدَعْتَه، كان هذا مَدْحًا.

أمَّا الخيانةُ فلا يُمكِنُ أن تَخُونَ مَن ائْتَمَنَك، فإذا خُنْتَه فأنت أتَيْتَ ما يَقْدَحُ فيك؛ لأنَّ الذي ائْتَمَنَك لا يُريدُ بك سوءًا، بخلافِ المحاربِ، ولهذا إذا اسْتَأْمَنَنَا أحدٌ مِن المُشْرِكِين يَحْرُمُ علينا أن نَخُونَ أمانَتَه، بلْ يَجِبُ علينا حِمَايَتُه.

ويُذْكَرُ أنَّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ أرادَ أن يُبارِزَه عمرُو بنُ وُدٍّ، والمبارزةُ كانت إذا التقى الصفان في الحربِ طلَب الشجعانُ في هؤلاء وهؤلاءِ أن يَبْرُزَ بعضُهم لبعضٍ، وفائدةُ المبارزةِ أنَّه إذا قَتَل أحدُهما الآخرَ صارَ في هذا قُوَّةٌ وتَشْجِيعٌ لأصحابِ القاتلِ، وانهزامٌ لأصحابِ المقتولِ، فلهذا كانوا يَسْتَعْمِلون هذا في الحربِ.

ولمَّا خَرَج عمْرُو بنُ وُدٍّ إلى عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه، صاحَ به عليٌّ، وقال: ما خَرَجْتُ لأُبارِزَ رَجُلَيْن. وهذا صحيحٌ، فهو لم يخْرُجْ ليُبَارِزَ رَجُلين، فَظَنَّ عمرُو بنُ وُدٍّ أنَّه لَحِقَه رَجُلٌ آخَرُ، فالْتَفَتَ فضَرَبَه عليٌّ حتى أبانَ رَأْسَه عن جَسَدِه[1].

فهذا خداعٌ لكنَّه خِداعٌ جائزٌ؛ لأنَّ عمرَو بنَ وُدٍّ خَرَج ليَقْتُلَ عليًّا فخَدَعَه، فهذا الخداعُ يُعْتَبَرُ مَدْحًا وثناءً، فهؤلاء المنافِقُون الذين يُخادِعُون اللهَ خَدَعَهم اللهُ عز وجل، فيُعتبَرُ هذا الخداعُ مَدْحًا.

لكنَّ الخيانةَ ليسَتْ بمَدْحٍ؛ لأنَّ الخيانَةَ خَدِيعةٌ في مَحَلِّ الأمانَةِ، وهذا ذنبٌ، فلا تَجُوزُ على اللهِ عز وجل.

فصار ما يُنْسَبُ ويضافُ إلى اللهِ يَنْقَسِمُ إلى أربعةِ أقسام:

الأولُ: أسماءٌ وهذه كلُّها مُتَضَمِّنَةٌ لأحسنِ الكمالاتِ.

والثاني: أوصافٌ يُخبَرُ بها عنه، ولا يُسَمَّى بها.

والثالثُ: أوصافٌ يُوصَفُ بها مُقَيَّدةً.

والرابعُ: أوصافٌ لا يُوصَفُ بها مُطْلَقًا، فإن وُصِفَ بها كان ذلك عُدْوانًا وظُلْمًا، فاليهودُ قالُوا: إنَّ

---

(١) رواه البيهقي في «السنن» (٩/ ١٣٢) (١٨١٣٢).

الله فقيرٌ، وقالوا: يدُ اللهِ مغلولة؛ أي: أنه بخيلٌ، وهذا لا يُمْكِنُ أن يُوصَفَ به؛ لأنَّه نَقصٌ بكلِّ حالٍ.

ومما يتعلَّقُ بالأسماء تعليقًا على ما سَبَق من قولِنا: إنَّ أسماءَ اللهِ حُسْنَى. أن نُطَبِّقَ ما جاءَ في الحديثِ الصحيح مِن قولِه تبارَكَ وتعالَى في الحديثِ القُدسِيِّ: «يُؤْذِينِي ابنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وأَنا الدَّهْرُ، بِيَدِيَ الأَمْرُ أُقَلِّبُ الليلَ والنَّهارَ»[1]. قال الله عَزَّ وَجَلَّ: «وأَنَا الدَّهْرُ» فهل الدهرُ مِن أسماءِ اللهِ؟

نقولُ: إنَّ اللهَ قالَ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[الأعراف:١٨٠]. فخصَّ أسماءَه بأنَّها حُسْنَى، والدَّهرُ ليسَ مِن أسْمَائه الحُسْنَى.

ثم إنَّ اللهَ قال: «يُؤْذِينِي ابنُ آدمَ يَسُبُّ الدَّهرَ». والذين يَسُبُّون الدَّهْرَ ليسوا يَسُبُّون اللهَ، بل يَسُبُّون الوقتَ، فيَسُبُّون السَّنَةَ، ويَسُبُّون الزَّمَنَ، ولَيسُوا يَسُبُّون اللهَ.

وعلى هذا فيكونُ مَعْنَى قولِه: «وَأَنَا الدَّهْرُ». يَعْنِي: أَنَا المُدَبِّرُ أو المُتَصَرِّفُ في الدّهرِ؛ بدليلِ قولِه: «بيدِيَ الأَمْرُ، أُقَلِّبُ الليلَ والنَّهارَ».

وهذا أمرٌ واضحٌ أنَّ الدّهرَ هنا هو الوقتُ، وليسَ اسمًا من أسماءِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بناءً على القاعدةِ التي دَلَّ عليها قولُه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾. ولأنَّ سياقَ الحديثِ يَأْبَى أن يكونَ المرادُ إثباتَ اسمِ الدَّهرِ كاسمٍ من أسماءِ اللهِ تعالى.

ونَذْكُرُ أيضًا إتمامًا للفائدةِ من قواعدِ الأسماءِ أنَّ أسماءَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى متباينةٌ مترادفةٌ باعتبارين:

فما هو المُتَبايِنُ، وما هو المتَرادِفُ؟

المتباينُ: هو أن يكُونَ كلُّ شيءٍ غيرَ الآخرِ، والمترادفُ: هو أن يكونَ الشيءُ هو الشيءَ الآخرَ.

وأسماءُ اللهِ تعالى نقولُ: هي متباينةٌ مترادفةٌ:

فباعتبارِ دَلالتِها على الذَّاتِ فَقَطْ مترادفةٌ؛ لأنَّ السميعَ العليمَ العزيزَ الحكيمَ كلَّها أسماء لمُسَمًّى واحدٍ.

وباعتبارِ دَلَالةِ كلٍّ منها على معناه الخاصِّ متباينةٌ؛ لأنَّ السميعَ غيرُ البصيرِ، والعزيزَ غيرُ الحكيمِ.

يَعْنِي: مَعْنَى العزيزِ غيرُ مَعْنَى الحكيمِ، ومَعْنى السميعِ غيرُ مَعْنَى البصيرِ.

وبهذا يَتبَيَّنُ بطلانُ مَذْهَبِ المعتزلةِ الذين يقولُون: إنَّ أسماءَ اللهِ مترادِفَةٌ، فالعليمُ والسميعُ والبصيرُ كلُّها عندَهم واحدٌ، فلا يَدُلُّ السميعُ على مَعْنًى غيرِ ما يَدُلُّ عليه البصيرُ، ولا البصيرُ على مَعْنًى غيرِ ما يَدُلُّ عليه السميعُ، وهذا القولُ تُكَذِّبُه كُلُّ لُغَةٍ في العالمِ؛ إذ إن المُشْتَقَّ مِن البصرِ ليسَ هو المُشْتَقَّ مِن السمعِ مثلًا.

فإذًا: أسماءُ اللهِ مُتَبايِنَةٌ مُتَرادِفَةٌ.

ومما يتعلقُ بالأسماءِ أيضًا: هل أسماءُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى محصورةٌ في عددٍ مُعَيَّنٍ، أم أنها لا حَصْرَ لها؟[2]

---

(١) رواه البخاري (٧٤٩١)، ومسلم (٢٢٤٦)

(٢) انظر تفصيل ذلك في: «الفصل في الملل والنحل» (٢/ ١٢٦)، و«شفاء العليل» (١/ ٢٧٧)، و«المحلى»

قال بعضُ أهلِ العلم: إنَّها محصورةٌ بتسعةٍ وتِسْعِين اسْمًا؛ لأنَّ اللهَ وِترٌ، ولأنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ للهِ تسعةً وتسعين اسْمًا مَن أَحْصَاهَا دَخَل الجنَّةَ».[1] فقال: «إنَّ للهِ تسعةً وتسعين اسمًا من أحْصَى هذه التسعةَ والتسعين دَخَل الجنةَ».

وقال بعضُ العلماءِ: إنَّ أسماءَ اللهِ ليسَتْ محصورةً بعددٍ، واستدلَّ هؤلاء بالحديثِ الصحيح، عن ابن مسعودٍ -حديثِ الهمِّ والغَمِّ- أن الإنسانَ إن أَصَابَه حزنٌ أو هَمٌّ أو غَمٌّ دَعا به، وفيه: «أسْأَلُك بكلِّ اسمٍ هو لك سَمَّيْتَ به نفْسَك، أو أَنْزَلْتَه في كتابِك، أَوْ عَلَّمْتَه أحدًا مِن خلقِك، أو اسْتَأْثرْتَ به في عِلمِ الغيبِ عِندَك»[2].

الشاهدُ من هذا الحديثِ: قوله: «أو اسْتَأْثَرْتَ به في عِلمِ الغيبِ عِندَك». لأنَّ ما اسْتَأْثَرَ اللهُ به في عِلمِ الغيبِ لا يُمْكِنُ إدْرَاكُه، فلو أمْكَن إدْرَاكُه لم يَكُنِ اللهُ مُسْتَأْثِرًا به، وإذا لم يُمْكِنْ إدراكُه فإنَّه لا يُحْصَر بتسعةٍ وتِسْعِين.

وهذا القولُ هو الراجحُ، وهو أنَّ أسماءَ اللهِ غيرُ محصورةٍ، وليسَتْ كلُّها معلومةً لنا؛ لأنَّ الرسولَ يقولُ: «أو اسْتَأْثَرْتَ به في عِلمِ الغيبِ عندَك».

تَبْقَى الحاجةُ إلى الجوابِ عن قولِه: «إنَّ للهِ تسعةً وتِسْعِين اسْمًا، مَن أَحْصَاها دَخَل الجَنَّةَ».

فنقولُ: الجوابُ أنَّ هذا الحديثَ جُمْلَةٌ واحدةٌ: «**إن للهِ تسعةً وتِسْعِين اسمًا**» موصُوفةً بأنَّ مَن أَحْصَاها دَخَل الجنةَ؛ يَعْنِي: وهناك أسماءٌ أخْرَى لا عَلاقةَ لها بهذا الحُكمِ.

ونظيرُ ذلك أن تَقُولَ: عِندِي مائةُ فَرَسٍ أعْدَدْتُها للجهادِ في سبيلِ اللهِ. فهل يَعْنِي ذلك أنَّه ليسَ لك سِوَى هذه المائةِ، إذا علمنا أن لك ألفَ فرسٍ؟

الجوابُ: لا، فالحديثُ نظيرُ هذا المثالِ الذي ذكرتُ، فالمَعْنَى: أن مِن أسماءِ اللهِ تسعةٌ وتسعون اسمًا مَن أَحْصَاها دَخَلَ الجنةَ، وحينئذ تكونُ الأسماءُ غيرَ محصورةٍ.

ولكن هل هذه التسعةُ والتسعون يمكنُ الإحاطةُ بها عِلْمًا؟

الجوابُ: نَعَمْ؛ لأنَّه لو كانَ لا يُمْكِنُ، لكان كلَامُ النبيِّ ﷺ لَغْوًا، وحَاشَاه.

=

(١/ ٣٠)، و«مجموع الفتاوى» (٦/ ٣٨١، ٣٨٢).

(١) رواه البخاري (٧٣٩٢)، ومسلم (٢٦٧٧).

(٢) رواه الإمام أحمد (١/ ٣٩١) (٣٧١٢)، وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٣٦، ١٨٦، ١٨٧)، وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني والبزار، إلا أنه قال: وذهاب غمي مكان همي، ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان.
وأورده الدارقطني الحديث في «العلل» (٥/ ٢٠٠، ٢٠١)، فذكر طريق أبي سلمةَ الجهني وطريق عبد الرحمن بن إسحاق، كلاهما عن القاسم، عن أبيه، عن ابن مسعود، وطريق على بن مُسِهر، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن القاسم، عن ابن مسعود مرسلاً، ثم قال: وإسناده ليس بالقوي. ا.هـ

إذًا: يُمكِن إحْصَاؤُها؛ فقد جاء الحديثُ بسَرْدِ هذه الأسماءِ[١]، لكنَّ شيخَ الإسلامِ ابنَ تيميةَ رَحِمَهُ اللهُ قال: إنَّ سَرْدَها مُدْرَجٌ، وليس من كلامِ النبيِّ ﷺ، فلا يُحْتَجُّ به[٢].

ووجَّه قولَه بأن مِن أسماءِ اللهِ ما لم يُوجَدْ في هذه الأسماءِ المَسْرُودَةِ مثلَ الرَّبِّ، فالربُّ مِن أسماءِ اللهِ، ولا يُوجَدُ في الأسماءِ المَسْرُودَةِ، والدليلُ على أنَّ الربَّ مِن أسماءِ اللهِ: لقولُ النبيِّ ﷺ: «السواكُ مَطْهَرَةٌ للفَمِ، مرضاةٌ للربِّ»[٣]، ولقولِه ﷺ: «أمَّا الركوعُ فعظِّمُوا فيه الربَّ»[٤].

وكذلك مِن أسماءِ اللهِ: الشَّافِي، ولم يُذْكَرْ في الأسماءِ المَسْرُودةِ، ودليلُ على أنه من أسماءِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كان مِن رُقْيَةِ النبيِّ ﷺ على المريضِ أنَّه يقولُ: «واشف أنت الشَّافِي»[٥].

إذن ما هو الطريقُ إلى حَصْرِها؟

الجوابُ: الطريقُ أن يُقالَ: إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أبهمَها عنَّا، كما أبْهَم ليلةَ القَدْرِ، وكما أَبْهَم ساعةَ الإجابةِ في الجمعةِ مِن أجْلِ أنْ يَكُونَ لَنَا عَمَلٌ في تتبُّعِ هذه الأسماءِ وحَصْرِها؛ ليَتبَيَّنَ الحريصُ على حَصْرِ هذه الأسماءِ حتَّى ينالَ أجْرَها مِن غيرِ الحريصِ.

فنقول: هذا هو القرآنُ وهذه هي سنةُ الرسولِ ﷺ، فتَتَبَّعِ القرآنَ، وتَتَبَّعِ السنة، وخُذْ منها تسعةً وتسعين اسْمًا، وأَحْصِها، وحينئذٍ تَدْخُلُ الجنةَ.

ولكن يَبْقَى النظرُ في مَعْنَى إحْصَائِها، هل هو إحصاؤُها عدًّا، أو أنَّ الإحصاءَ شيءٌ وراءَ ذلك؟

نقولُ: إذا أردتَ أن تعرفَ المرادَ، فاعْرِفْ العِوَضَ، فما هو العِوضُ؟

الجواب: أنَّه دخولُ الجنةِ، ومُجَرَّدُ العدِّ لا يكونُ عِوَضًا لدخولِ الجنةِ، فالمرادُ بالإحصاءِ إذن هو مَعْرِفَتُها لفظًا ومَعْرِفَتُها مَعْنًى، والتعبدُ للهِ بمُقْتَضَى هذه الأسماءِ، ودعاؤُه بها، فهذه أربعةُ أشياءَ.

فمثلًا إذا علمتَ أنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ غفورٌ، فلا يَكفي في إحصاءِ هذا الاسمِ أن تَعْرِفَ أن مِن أسماءِ اللهِ الغفورَ، وأن الغفورَ مَعْناه الساترُ للذنبِ العَافِي عنه، لا يَكْفِي هذا، حتَّى تَدْعُوَ اللهَ به، فتَقُولَ: يا غَفورُ، اغْفِرْ لي. وحتى تتعبدَ للهِ بمُقْتَضاه، بأن تَتَعَرَّضَ لمغفرةِ اللهِ بكثرةِ الاستغفارِ، وكثرةِ الأعمالِ الصالحةِ، التي تُوجِبُ المغفرةَ، وما أشْبَهَ ذلك.

---

(١) يشير الشيخ الشارح رَحِمَهُ اللهُ إلى الحديث الذي رواه الترمذي (٣٥٠٧)، وابن ماجة (٣٨٦١)، وقال: الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في «تلخيص الحبير» (٤/ ٣١٨): له طرق، رواه ابن خزيمة وابن حبان والترمذي والحاكم من حديث الوليد، عن شعيب، عن أبي الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وسرد الأسماء، وذكر آدم بن أبي إياس هذا الحديث بإسناد آخر، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وذكر فيه الأسماء، وليس له إسناد صحيح.

(٢) انظر: «مجموع فتاوى» شيخ الإسلام (٢٢/ ٤٨٢).

(٢) رواه أحمد (١/ ٧٣)، والنسائي (٥)، وابن ماجه (٢٨٩).

وصححه الشيخ الألباني كما في «المشكاة» (٣٨١)، والإرواء (٦٥).

(٤) أخرجه مسلم (٤٧٩)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) تقدم تخريجه.

ومما يتعلقُ بأسماءِ اللهِ ﷻ: هل أسماءُ اللهِ تَوْقِيفِيَّةٌ يُقْتَصرُ فيها على ما جاءَ به النصُّ، أو هي عَقْلِيَّةٌ فيُسَمَّى اللهُ ﷻ بما يَقْتَضِيه العقلُ؟

الجواب: هي توقيفيةٌ؛ لأنَّنا لا نعلمُ الاسمَ الذي يَسْتَحِقُّ أن يُسَمَّى اللهُ به، فعقولُنا تَقْصُرُ عن ذلك، ولذلك يُعْتَمَدُ في هذا على النصِّ، ولا نُسَمِّي اللهَ بما لم يُسَمِّ به نَفْسَه.

وإذا كان لا يُمْكِنُ أن تُسَمِّيَ الشخصَ مِن بَنِي آدمَ بما لم يُسَمِّ به نَفْسَه -أي: بما لا تَعْلمُ أنَّه اسمُه-، فكَيْفَ بالربِّ ﷻ؟! يَعْنِي: إذا كان لا يُمْكِنُ أن تقولَ لشخصٍ لا تَعْلَمُ اسمَه: يا عبدَ اللهِ مثلًا، يا عليُّ، يا خالدُ، يا بكرُ. فالربُّ ﷻ أَوْلَى أَلَّا تُسَمِّيَه باسمٍ لا تَعْلَمُ أنَّه سَمَّى به نَفْسَه؛ لأنَّ جانبَ الربوبيةِ أَعْظَمُ احترامًا مِن جانبِ البشريةِ.

وعلى هذا فالأسماءُ توقيفيَّةٌ، فلا يجوزُ أن نُسَمِّيَ اللهَ بما لم يُسَمِّ به نفسَه، ولهذا عَدَّ العلماءُ تَسْمِيَةَ اللهِ بما لم يُسَمِّ به نفسَه مِن الإلحادِ في أسماءِ اللهِ.

ومِمَّا يَتَعَلَّقُ بالأسماءِ والصفاتِ أيضًا: أنَّ الصفةَ أَوْسَعُ مِن الاسْمِ، وكيف ذلك؟

الجوابُ: أن كُلَّ اسمٍ مُتَضَمِّنٌ لصفةٍ -كما تقدم- وبهذه القاعدةِ الكليةِ تتساوَى الأسماءُ والصفاتُ، لكن ليسَ كلُّ صفةٍ يُشْتَقُّ منها اسمٌ، وبهذا تكونُ الصفاتُ أَوْسَعَ مِن الأسماءِ، ولهذا مِن صفاتِ اللهِ أنه متكلمٌ ومُريدٌ وصانعٌ وجاءٍ ونازلٌ، وما أَشْبَهَ ذلك مِن الصفاتِ الكثيرةِ التي لا تُحْصَى، لكن لا يُسَمَّى اللهُ تعالى بشيْءٍ دَلَّت عليه هذه الصفةُ.

فكانت الصفاتُ أَوْسَعَ مِن الأسْماءِ لهذا السببِ. فقولُه: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣﴾ [البروج:١٣]. لا يُمْكِنُ أن تَشْتَقَّ مِنه اسمًا، فتقولَ: هو المبْدِئُ المُعِيدُ. لكن لا بأسَ أن تُخْبِرَ، فتقولَ: اللهُ مُبْدِئٌ ومُعِيدٌ.

كذلك القابضُ الباسطُ: لولا الحديثُ لقُلْنَا جَزْمًا: إنَّهما ليسا مِن أسماءِ اللهِ؛ لأنَّهما لم يَأْتِيَا في القرآنِ إلا بلفظِ الفعلِ، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ لكن جاءَ في الحديثِ: «إنَّ اللهَ هو القابضُ الباسطُ»[1] فهل نقولُ: إنَّ القابضَ الباسطَ مِن أسماءِ اللهِ؛ لقولِه: «إنَّ اللهَ هو القابضُ الباسطُ». أو نقولُ: إنَّ الحديثَ ورَدَ على قضيةٍ معينةٍ، وهي التَّسْعيرُ، لمَّا طلَبَ الصحابةُ من النبيِّ ﷺ أن يُسَعِّرَ حينَ غَلَا السعرُ قال: «إن اللهَ هو القابضُ الباسطُ المسَعِّرُ» فيكونُ القابضُ الباسطُ في الرزقِ، فهو الذي يَقْبِضُه ويَبْسُطُه، وهو الذي يُقَدِّرُ الغَلَاءَ والرُّخصَ، فيكونُ هذا مِن بابِ الصفةِ، لا مِن بابِ الاسم[2].

---

(١) رواه أبو داود (٣٤٥١)، والترمذي (١٣١٤)، وابن ماجه (٢٢٠٠).
وصححه الشيخ الألباني، كما في «غاية المرام» (٣٢٣)، و«الروض النضير» (٤٠٥)، و«التعليق على السنن».

(٢) قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في إجابة على سؤال وُجِّه له أثناء الشرح: والقابض الباسطُ الأولى جَمْعهما، ويكونُ هذا مِن الأسماءِ المُزْدوجَةِ، التي لا يَتِمُّ الكمالُ إلَّا باجْتِماعِها، وإن كان الباسطُ لو أُفرِدَ لكانَ لا بأسَ، به أمَّا القابضُ فمجرَّدُ القبضِ ليسَ صفةَ كمالٍ، لكن إذا قُلْنَا: القابضُ الباسطُ. صارَ مَعْنَاها كمالَ التَّصرُّفِ في حقِّ اللهِ ﷻ =

والأمرُ مُحْتَمِلٌ، لكنَّ القاعدةَ التي تُهِمُّنا الآن، أن الصفاتِ أَوْسَعُ مِن الأسماءِ، ووَجْهُه أنَّ كلَّ اسمٍ مُتضَمِّنٌ لصفةٍ، وليسَ كلُّ صفةٍ مُتضَمِّنَةً لاسم، أو ليسَ كلُّ صفةٍ يُمْكِنُ أن يُشْتَقَّ منها اسمٌ

ولو قال قائلٌ: هل يُوصَفُ اللهُ بأنَّه عارفٌ؟

نقولَ: لا يُوصَفُ بأنَّه عارفٌ لسببين:

السببُ الأولُ: أنَّ المعرفةَ تَشْمَلُ العِلْمَ والظَّنَّ، ولهذا قال العلماءُ في تعريفِ الفِقْهِ: معرفةُ الأحكامِ الشرعيةِ علمًا أو ظنًّا، والظَّنُّ في جانبِ اللهِ مُمْتَنِعٌ.

السببُ الثاني: أنَّ المعرفةَ انكشافٌ بعدَ لَبْسٍ، فتكونُ المعرفةُ واردةً على جَهْلٍ، وهذا غيرُ لَائِقٍ باللهِ عَجَلَ، ولهذا قال صاحبُ «مُخْتَصَرِ التحريرِ»: ولا يُوصَفُ اللهُ بأنَّه عارفٌ. فَإن قال قائلٌ: ما الجوابُ عن قولِ النبيِّ ﷺ: «تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ في الرخاءِ يَعْرِفْكَ في الشِّدَّةِ»[1].

قُلْنَا: المعْرِفةُ هنا ليسَتِ المعرفةَ التي هي العلمُ؛ لأنَّ اللهَ عالمٌ بالإنسانِ في حالِ الشدَّةِ، وفي حالِ الرخاءِ، لكنَّ المرادَ بذلك لَازِمُها، وهو أنَّك إذا تَعَرَّفْتَ إلى اللهِ في الرخاءِ، فإنَّ اللهَ يَرْأَفُ بِك في حالِ الشدةِ، وكَمْ مِن إنسانٍ لم يُنقِذْهُ مِنْ شِدَّتِه إلا مَعْرِفَتُه لربِّه تعالى في الرخاءِ.

وحَدَّثنا مَن نَثِقُ به أنَّه في زمنِ نَقْلِ البَضَائِعِ على الإبلِ قبلَ وجودِ السَّيَّاراتِ انقطَع به السَّفَرُ في الدَّهْناءِ، والدهناءُ ما فيها ماء في ذلك الوقتِ، وأنَّه نامَ على عطشٍ شديدٍ وجوعٍ، فرأى في المنامِ أنَّ رجلًا جاءَ إليه بقَدَحٍ مِن لبنٍ، فشَربَه فقَامَ نَشِيطًا شبعان ريَّانَ، وقال: إنَّ القَدَحَ الذي جيءَ به إليَّ في المنامِ مِثْلُ القَدَحِ الذي كنتُ أَسْقِي به عجوزًا لنا مِن جيرانِنا...فسبحانَ اللهِ!

وهذا مصداقُ الحديثِ: «تَعَرَّف إلى اللهِ في الرخاءِ يَعْرِفْكَ في الشدةِ».

فالحاصلُ: أنَّ المعرفةَ في الحديثِ ليسَتْ هي المعرفةَ التي هي معرفةُ العلمِ، بل إنَّ المرادَ لَازِمُها، وهو أنَّ اللهَ عَجَلَ يَرْأَفُ به، ويَذْكُرُه حتَّى يُزيلَ شِدَّتَه.

وإذا قَالَ قائِلٌ: لو أَوْرَدَ عَلَيْنَا مُورِدٌ بأننا إذا قُلْنَا: المرادُ بقولِه: «يَعْرِفْك في الشدةِ»؛ أي: الرحْمَةُ والحَنَانُ والعَطْفُ وما أَشْبَهَ ذلك، وقال: هذا صرفٌ للفظِ عن ظَاهِرِه، وأنتم تُشَنِّعُونَ علينا إذا صَرَفْنا اللفظَ عن ظاهره فما الجوابُ؟

فالجوابُ: أنَّ صَرْفَ اللفظِ عن ظاهرِه إذا كانَ لدَلِيل، فإنَّه لا بأسَ به، ولهذا نقولُ: إنَّ قولَه تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ [النحل:٩٨]. مَعْنَاه: إذا أَرَدْتَ أن تَقْرأَ. وهذا المَعْنَى مُتَعَيِّنٌ مع أنَّه خلافُ ظَاهِرِ اللفظِ، ودَلَّ عليه

=

قبضًا وبسطًا، ولو قُلْنَا: الباسطُ فقط، لكان مَعْنَاها الموسعَ وهو صفةُ كمالٍ على كلِّ حالٍ. فالقابضُ لا يُذكَرُ وحدَه، وأمَّا الباسطُ فلا بأسَ.

(١) مختصر التحرير (ص١٥).

رواه أحمد في «مسنده» (١/ ٣٠٧) (٢٨٠٣) وقال الشيخ شعيب في تحقيق المسند: حديث صحيح.

دليلٌ، هو أنَّ الرسولَ كان يَتَعَوَّذُ عِنْدَ إرادةِ القِراءةِ[1].

والدليل الصارف في مسألتنا أنَّ اللهَ يَعْرِفُ الإنسانَ في الشدةِ، وفي حالِ السَّعَةِ. هذا مِن وجهٍ.

والوجهُ الثاني: أنَّ اللهَ لا يُوصَفُ بالمعرفةِ؛ لأنَّ المعرفةَ مَعْنَاها اللُّغَوِيُّ انكشافٌ بَعْدَ لَبْسٍ؛ أيْ: بَعْدَ خفاءٍ، واللهُ عَجَلَ لَا يَخْفَى عليه شيءٌ.

وأيضًا المعرفةُ في اللغةِ تَشْمَلُ العِلْمَ والظنَّ، والظنُّ، في حَقِّ اللهِ غيرُ واردٍ، ولا يَلِيقُ به، وإنما يكون الظنُّ منا ممن تَخْفَى عليهم الأمورُ.

ولو قيل: هل المحسنُ والمُنْتَقِمُ من أسماءِ اللهِ؟

فالجوابُ: أمَّا المحسنُ فقد وَرَد فيه حديثٌ أن اللهَ تعالى مُحْسِنٌ[2]، وبعضُ العلماءِ يقولُ: إنه ليسَ اسمًا مِن أسماءِ اللهِ، ولكنه خبرٌ؛ لأنَّه لم يَرِدْ مُعَرَّفًا بـ «ال»، فيكونُ خَبَرًا، لكنَّ شيخَ الإسلامِ رَحِمَهُ اللهُ عدَّه مِن الأسماءِ، وقال: إنَّ المحسنَ مِن أسماءِ اللهِ.

ولهذا أقرَّه العلماءُ، فكان مِن أجدادِنا مَن يُسَمَّى بعبدِ المحسنِ، فرأى رَحِمَهُ اللهُ أنَّه مِن الأسماءِ، وذكَرَ أنَّ النَّاسَ ما زالوا يقولون: عبد المحسنِ، عبد الباري، عبد الخالقِ فالاسم ما كان لازمًا له، والصفة ما كان من أفعاله.

أمَّا المنتقمُ فليس مِن أسماءِ اللهِ، وهو مع كَوْنِه مَوْجُودًا في الأسماءِ المسرودةِ، فهوَ ليسَ مِن أسماءِ اللهِ، بل هو مِن وَصْفِ اللهِ المقيَّدِ أيضًا، قال تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة:٢٢].[3]

ومما يتعلقُ بالأسماءِ أيضًا: أنَّ جَمْعَ الاسمِ إلى الآخرِ يكونُ منه كمالٌ آخرُ فوقَ ذِكْرِ كلِّ اسمٍ وحدَه، فالجمعُ بينَ العِزَّةِ والحكمةِ يُفيدُ مَعْنَى أكثرَ مِمَّا لو ذُكِرَتِ العِزَّةُ وحدَها أو الحكمةُ وحدَها؛ لأن العزيزَ إذا لم تكنْ عِزَّتُه بحكمةٍ، فربَّما يكونُ التصرفُ تصرفًا غيرَ حكيمٍ، فإذا كانَتِ العِزَّةُ بالحكمةِ صار لها مَعْنًى أكثرُ.

وكذلِكَ العَفُوُّ القَدِيرُ أيضًا، فقولُه تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [النساء:١٤٩]. مثلُها ففي اجتماعِ العَفْوِ مع القدرةِ يَتِمُّ الكمالُ؛ لأنَّ العَفْوَ مع العجزِ نَقْصٌ.

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٨٠، ٨٣، ٨٥) (١٦٣٩، ١٦٧٦٠، ١٦٧٨٤)، وأبو داود (٧٦٤)، وابن ماجة (٨٠٧). وقال أحمد رَحِمَهُ اللهُ: لا يصح هذا الحديث. وانظر التلخيص الحبير (١/ ٤١٦).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٨٦٠٣)، وعنه الطبراني في الكبير (٧١٢١).
عند ابن أبي عاصم في الديات (ص٥٦)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٣٢٨)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢/ ١١٣) من حديث أنس رضي الله عنه.
وعند ابن عدي في الكامل بلفظ: «إن الله تعالى محسن فأحسنوا» صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١٨١٩)

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «مجموع الفتاوى» (٨/ ٩٦): واسم المنتقم ليس من أسماء الله الحسنى الثابتة عن النبي ﷺ، وإنما جاء في القرآن مقيدًا؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة:٢٢]. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾ [إبراهيم:٤٧]. ا.هـ

وإذا قال قائلٌ: هل يُسَمَّى الله تعالى بالسيدِ؟

فالجوابُ: نعم، يُسَمَّى السيد، جاء ذلك في الحديث عن النبيِّ عليه الصلاة والسلام[1].

۞وقولُه في الحديثِ: «لا يَرْحَمُ اللهُ مَن لا يَرْحَمُ الناسَ». مناسبتُه للترجمةِ ظاهرةٌ في قولِه تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ﴾ [الإسراء:١١٠].

فيستفادُ مِن هذا الحديثِ: أنَّ الرحمنَ مِن أسماءِ اللهِ، وله حكمٌ يَتَعَلَّقُ به، وهو ما يُطْلِقُ عليه بعضُ العلماءِ الأثَرَ، وذلكَ أنَّ أسماءَ اللهِ تعالى قِسمانِ: لازمٌ ومُتَعَدٍّ.

فاللَّازِمُ يَدُلُّ على الاسمِ والصفةِ فَقَطْ؛ مثلُ الحيِّ، فالحيُّ ليسَ له متعلَّقٌ بائنٌ عن اللهِ عز وجل بل هو صِفَةٌ لازِمَةٌ فالحيُّ معناه ذو الحياةِ، وكذلك العظيمُ معناه ذو العظمةِ، والجليلُ معناه ذُو الجلالِ، وما أشْبَهَها؛ فهذه أسماءٌ لازمةٌ يَتِمُّ الإيمانُ بها بإثباتِ الاسمِ وإثباتِ الصفةِ.

وهناك أسماءٌ متعديةٌ يَعْنِي -لها تَعَلُّقٌ بالمخلوقِ- وهذه لا بدَّ للإيمانِ بها مِن الإيمانِ بالاسمِ والصفةِ والحُكْمِ المُتَرَتِّبِ على هذا الاسمِ، أو على هذه الصفةِ، وبعضُهم يقولُ: الأثرُ.

مثالُ ذلك: اسمُ الرحمنَ، فالرحمنُ يَدُلُّ على الاسمِ والصفةِ، وهي الرحمةُ، ويَدُلُّ على الحُكْمِ وهو أنَّه يَرْحَمُ، كما في الحديثِ: «لا يَرْحَمُ اللهُ مَن لا يَرْحَمُ النَّاسَ». وكما في القرآنِ الكريمِ: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُ﴾ [العنكبوت:٢١].

وكذلك السميعُ له حُكْمٌ؛ بدَليلِ قولِه: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [المجادلة:١].

۞«والحكيمُ» نقولُ: إمَّا مِن الحِكْمةِ فهو غيرُ مُتَعَدٍّ، وإمَّا مِن الحُكْمِ فهو مُتَعَدٍّ، قال اللهُ تعالَى: ﴿ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ﴾ [الممتحنة:١٠].

والبخاريُّ رحمه الله أتى بهذا الحديثِ -واللهُ أعلمُ- للإشارةِ إلى أنَّ الرحمنَ اسمٌ مُتَعَدٍّ يَتَعَلَّقُ بالمَخْلُوقِين.

وفي الحديثِ الحثُّ على الرحمةِ، وأنَّه يَنْبَغِي للإنسانِ أن يكونَ رَحِيمًا بالخلقِ، حتَّى بالبهائمِ، فالإنسانُ الذي يَجِدُ مِن قلبِه رحمةً للناسِ وللبهائمِ فليُبْشِرْ بالخيرِ أنَّه مِمَّن يَرْحَمُهم اللهُ عز وجل.

فالجَنَّةُ رحمةُ اللهِ، وأهلُها الرحماءُ، وفي الحديث: «ارْحَمُوا مَن فِي الأرضِ يَرْحَمْكُم[2] مَن في السماءِ»[2] وإذا وَجَدْتَ مِن قلبِك غِلْظَةً على مَن يَسْتَحِقُّ الرحمةَ، فيَجِبُ عليك أنْ تُعَالِجَ هذه الغلظةَ،

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٢٤، ٢٥) (١٦٣٠٧)، وأبو داود (٤٨٠٦)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٠٧٦)، وصححه الشيخ الألباني، كما في المشكاة (٤٩٠١)، و«إصلاح المساجد» (١٠٣)، و«التعليق على سنن أبي داود».

(٢) قال العجلوني في «كشف الخفا» (١/ ١١٩): روى «يرحمكم» مرفوعًا على الاستئناف البيان، ويجوز جزمه؛ لوقوعه في جواب الأمر، لكن ذكر في الإسعاف أن الرواية بالرفع، وكذا نقله البيلوني عن العمادي على أن الجملة دعائية فاعرفه.اهـ

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٦٠) (٦٤٩٤) وأبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وقال: حديث حسن =

وأن تُحَوِّلَها إلى رحمةٍ.

وأسبابُ الرحمةِ كثيرةٌ؛ منها الفَقْرُ، ومنها الصِّغَرُ، ومنها المَرَضُ، ومنها القَرَابَةُ، إلى غيرِ ذلك مِن الأسباب.

فكونُكَ تَرْحَمُ هذا؛ لأنَّه صبيٌّ صغيرٌ، أو لأنَّه يتيمٌ، وتَرْحَمُ هذا الرجلَ؛ لأنَّه فقيرٌ، أو لأنَّه مريضٌ...إلخ، فإذا وَجَدْتَ مِن نَفْسِك رحمةً لمن يَسْتَحِقُّ الرَّحمةَ فاعْلَمْ أنَّك مُوَفَّقٌ إن شاءَ اللهُ.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٣٧٧- حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ عَاصِمٍ الْأَحْوَلِ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَسُولُ إِحْدَى بَنَاتِهِ يَدْعُوهُ إِلَى ابْنِهَا فِي الْمَوْتِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «ارْجِعْ إِلَيْهَا فَأَخْبِرْهَا أَنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ» فَأَعَادَتْ الرَّسُولَ أَنَّهَا قَدْ أَقْسَمَتْ لَتَأْتِيَنَّهَا فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَامَ مَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ فَدُفِعَ الصَّبِيُّ إِلَيْهِ وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ كَأَنَّهَا فِي شَنٍّ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذَا قَالَ: «هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ»[1].

الشاهدُ مِن هذا الحديثِ: قولُه: «إِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ». فهذه صفةٌ مِن صفاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، مِن آثارِ الاسمِ الذي هو الرحمنُ.

فإن قالَ قائلٌ: هل الرحمةُ صفةٌ ذاتيَّةٌ لازمةٌ للهِ، أو صِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ؟

فالجوابُ: أنَّها في أَصْلِهَا ذَاتِيَّةٌ؛ لأنَّها صفةُ كَمَالٍ، لكنْ في أفْرَادِها وآحَادِها فِعْلِيةٌ؛ لأنَّه يَرْحَمُ مَن يشاءُ، وكلُّ شيءٍ يَتَعَلَّقُ بالمَشِيئَةِ فهو صفةٌ فِعْلِيةٌ.

وفي هذا الحديثِ: رحمةُ النبيِّ ﷺ؛ لأنَّه دُفِعَ إليه الصبيُّ، وهو في سياقِ الموتِ.

۞وقولُه: «ونَفْسُه تَقَعْقَعُ»؛ يَعْنِي: لها صَوْتُ قَعْقَعَةٍ.

۞وقولُه: «كأنَّها في شَنٍّ». والشَّنُّ هو القِرْبَةُ البَالِيَةُ، والقِرْبَةُ البالِيةُ لو صار فيها شيءٌ يَتَحَرَّكُ تُسْمَعُ لها قَعْقَعَةٌ، وهذه حَشْرَجَةُ النَّفْسِ في صَدْرِ هذا الصَّبِيِّ وقولُهُ: فَفَاضَتْ عَيْنَا رسولِ اللهِ ﷺ رحمةً به، فَقَالَ سعدٌ: ما هذا يا رسولَ اللهِ؟ وكأنَّه اسْتَغْرَبَ أن يَبْكِيَ النبيُّ ﷺ على هذا الصبيِّ.

=

صحيح من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

وقال الحاكم في المستدرك ٤/ ١٥٩ بعد أن ذكره مع أحاديث عدة في الباب: وهذه الأحاديث كلها صحيحة. ووافقه الذهبي، وانظر «كشف الخفا» (١/ ١١٩).

(١)رواه مسلم (٩٢٣).

وقولهُ ﷺ: «هذه رحمةٌ جَعَلَها اللهُ تعالَى في قلوبِ عِبادِه، وإنَّما يَرْحَمُ اللهُ مِن عِبادِه الرُّحَماءَ».

في هذه الكلماتِ النَّيِّرةِ مِن رسولِ اللهِ ﷺ أكبرُ تعزيةٍ، وهي قولُه: «إنَّ للهِ ما أخَذَ، وله ما أعطَى، وكلُّ شيءٍ عِنْدَه بأجلٍ مُسَمًّى» سبحان اللهِ! كلماتُ النبوةِ لها نورٌ، إيجازٌ مع عِظَمِ المَعْنَى وسَعَتِه، فإذا كان الشَّيْءُ للهِ فله ما أخَذَ وله ما أعْطَى، فيَنْبَغِي أن يَكُونَ مَوْقِفُنا نَحْنُ مِمَّا أخذ اللهُ مِن بينِ أيدِينَا التسليمَ بأنَّ الأمْرَ للهِ، له ما أخَذَ وله ما أعْطَى ﷻ، كلُّ شيءٍ عندَه بأجلٍ مُسَمًّى.

فالشَّيْءُ المُقدَّرُ لا يُمكِنُ أن يَتقدَّمَ أو يَتأخَّرَ؛ لأنَّه بأجَلٍ مُسَمًّى؛ أي: مُعَيَّنٍ في تلك الساعةِ المعينةِ يكونُ هذا الشيْءُ، ولا يُمكِنُ أن يَتقدَّمَ أو يَتأخَّرَ.

وفي القرآنِ الكريمِ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨﴾ [الرعد:٨]. فهذا الحديثُ عائدٌ للمُدَّةِ وذاك عائدٌ للكَمِّ، كلُّ شيءٍ بِمقْدَارٍ، ويُمْكِنُ أن نجْعلَ قولَه: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨﴾. عائدًا حتَّى على الزمنِ، وهذا دليلٌ على كمالِ عنايةِ الربِّ ﷻ بخلقِه، وأنَّه ﷻ يُقدِّرُ كلَّ شيءٍ في أجلٍ لا يَتعدَّاه، ولا يَقْصُرُ عنه.

إذًا: مِن أسماءِ اللهِ «الرحمنُ» وهو يَدُلُّ على وَصْفِ الرحمةِ، وعلى فِعْلِ الرحمةِ، وفي البسملةِ: بِسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ، هل اسما الرحمن والرحيم مُترَادِفَانِ أو مُتبَايِنَانِ باعتبارِ دلالتِها على الذاتِ، وباعتبارِ معناهما؟

الجوابُ: أمَّا باعتبارِ دَلَالَتِهما على الذاتِ فهما مُترَادِفان، وأمَّا باعتبارِ مَعْنَاهُمَا فمُتبَايِنان، لكن كيف يَكُونَان مُتبَايِنَيْن، وهما مِن الرحمةِ، فالرحمنُ مِن الرحمةِ، والرحيمُ مِن الرحمة؟

أجابَ العلماءُ عن ذلك بما يَقْتَضِي أن يكونَ جَوَابَيْن:

الجواب الأولُ: أنَّ الرَّحمَنَ صفةٌ عَامَّةٌ، والرَّحِيمَ صفةٌ خَاصَّةٌ، فالرحمنُ عامَّةٌ لكلِّ أحدٍ، والرحيمُ خاصَّةٌ بالمُؤْمِنين، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾ [الأحزاب:٤٣].

الجوابُ الثَّاني: أنَّ الرحمنَ باعتبارِ الوصْفِ، والرحيمَ باعتبارِ الفعلِ، فوَصْفُه الرحمةُ، ولهذا جاءتْ على صيغةِ فَعْلَانَ الذي يَدُلُّ على السَّعةِ والامتلاءِ، فغَضْبَانُ مثلًا للمُمْتَلِئِ غَضَبًا، وسكرانُ للمُمْتلِئِ سَكَرًا، ورَيَّانُ لمن امْتلَأ بَطْنُه ماءً، فلمَّا أُرِيدَ الوصفُ جاءَتْ على وَزْنِ فَعْلَانَ، أما حينَ أُرِيدَ الفعلُ فجاءَتْ على اسم رحيم.

وهذا الثَّانِي أقربُ، وهو أنَّ الرحمنَ باعتبارِ الوصفِ، والرحيمَ باعتبارِ الفعلِ، الذي هو إيصالُ الرحمةِ إلى المرحوم.

ذكَرَ صاحبُ الفَتحِ في تفسيرِ الرحمةِ أنَّها إرادةُ الإنعامِ، أو إرادةُ الإحسانِ، أو الإنعامُ نفسُه، أو الإحسانُ نفسُه، وهذا تحريفٌ للرحمةِ عن مَعْنَاها الحقيقيِّ؛ لأنَّ الرحمةَ صِفَةٌ تتعلقُ بالرَّاحمِ. لكن الأشاعرةَ وأشْبَاهَهم لا يُثْبِتون مِن الصفاتِ إلَّا ما دَلَّتْ عليه عقولُهم، ويُنْكِرُون مِن الصفاتِ ما لم تَدُلَّ عليه عقولُهم، وإن كان العقلُ يَدُلُّ على أنَّها ثابتةٌ للهِ ﷻ.

فالرحمةُ يُنكِرون أن يُوصَفُ اللهُ بها، يقولون: لأنَّ الرحمةَ رِقَّةٌ ولينٌ، واللهُ ﷻ يقولُ عن نفسِه: ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات:٥٨]. وحينئذٍ تُفَسَّرُ الرَّحْمَةُ بأنَّها إرادةُ الإنعامِ أو الإنعامُ نفسُه.

فأما تفسيرُها بالإنعامِ عندَهم فظاهرٌ؛ لأنَّ الإنعامَ نعمةٌ منفصلةٌ بائنةٌ عن اللهِ، والإرادةُ ثابتةٌ عندَهم لا يُنكِرونها، ولكننا نقولُ: هذا تحريفٌ للكَلِمِ عن مواضِعِه؛ لأنَّ إرادةَ الإنعامِ أو الإنعامَ إنَّما تكونُ بعدَ الرحمةِ، فالإرادةُ مترتبةٌ على الرحمةِ؛ لأنَّ الرحيمَ هو الذي يريدُ الإنعامَ والإحسانَ.

فتفسيرُ الرحمةِ بما كان مِن آثارِها تحريفٌ للكَلِمِ عن مواضِعِه، ولهذا نقولُ: نحن نثبتُ أنَّ للهِ ﷻ رحمةً يرحمُ بها مَن يشاءُ، وأنَّ هذه الرحمةَ إذا كانت رقةً في المخلوقِ، فإنَّها لا تكونُ كذلك في الخالقِ؛ لأنَّ اللهَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى:١١].

على أنَّنا لا نُسَلِّمُ لهم أنَّ الرحمةَ رقةٌ، فقد يكونُ الرجلُ القويُّ الشجاعُ، أو السلطانُ القويُّ النافذُ أمرُه، قد يكونُ رحيمًا، ولا يَقْتَضِي ذلك شيئًا يَنْقُصُ مِن سُلْطتِه وقُدْرَتِه وقُوَّتِه.

وقد ذكَرَ هذا الحافظُ في «الفتحِ»، سواءٌ كان ذاكرًا، أو آثرًا، أو مقرًّا، فعلى كلِّ حالٍ معروفٌ أنَّ مذهبَ الأشاعرةِ هو أنَّهم لا يُؤْمِنون بأنَّ للهِ رحمةً، مع العلمِ بأنَّهم يقولون: الدليلُ العقليُّ على الإرادةِ هو التخصيصُ.

ثم لا يَسْتَدِلُّون عقلًا على الرحمةِ بما يُنْعِمُ اللهُ به على العبادِ، من المطرِ والنباتِ والصحةِ والأمنِ وغير ذلك من آثارِ الرحمةِ.

وكونُه مِن آثارِ الرحمةِ يُدْرِكُه كلُّ أحدٍ حتَّى العامةُ، فالعاميُّ إذا خَرَج من بيتِه، ورأى المطرَ قال: هذا مِن رحمةِ اللهِ. لكن العاميَّ لا يَدْرِي أنَّ السماءَ والأرضَ والجبالَ والمخلوقاتِ أنها تَدُلُّ على الإرادةِ، وهذا مِن الغرائبِ مما يدلُّك على أنَّ الإنسانَ إذا اعتَمد على عقلِه ضلَّ.

والحافظُ في «الفتحِ» نقلَ عنهم، فإذا لم يَرُدَّ فمَعْناه أنَّه مُقِرٌّ، ومع ذلك لا نقولُ: إنَّه أشعريٌّ خالصٌ؛ لأنَّ الأشاعرةَ ليسُوا يخالفُونَ أهلَ السنةِ في الصفاتِ فقَط، وإنما يخالفون أهلَ السنةِ -كما قالَ الشيخُ سَفَرٌ الحواليُّ- في أكثرَ مِن إحدى عَشَرَة مسألَةً في العقيدةِ[1] فإذا رَأَينا رجلًا أَوَّلَ في بعضِ النصوصِ والصفاتِ لا يمكنُ أن نقولَ: إنَّه أشعريٌّ حتَّى نَذْكُرَ حالَه ونَنْظُرَ فيه، فنقولَ: هو مخالفٌ لرأيِ السلفِ إذا تبَيَّنَ أنَّه أَوَّل هو بنفسِه.

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٣- باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات:٥٨].

٧٣٧٨- حَدَّثَنَا عَبْدَانُ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ قال النبي ﷺ: «مَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ يَدَّعُونَ لَهُ

---

(١) للدكتور سفر الحوالي حفظه الله رسالة صغيرة بيّن فيها «منهج الإشاعرة في العقيدة»، وهي مطبوعة في مكتبة العلم.

الْوَلَدَ ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»[1].

الرزَّاقُ صِيغةُ مُبالغةٍ مِن الرِّزْقِ، وهو العطاءُ، ومِنه قولُه تعالَى: ﴿فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ﴾ [النساء:٨]. أي: أعْطُوهم مِنه. وجاءَتْ بصيغةِ المبالغةِ لأحدِ وَجْهَينِ:

إمَّا لأنَّها مِن بابِ النِّسْبَةِ، وأنَّ الرِّزْقَ وَصْفٌ لازمٌ للهِ.

وإمَّا للمبالغةِ الدَّالَّةِ على الكثرةِ، وذلك لكثرةِ مَن يَرْزُقُه اللهُ عَجَّلَ، ولكثرةِ رِزْقِه عَجَّلَ.

فالرزَّاقُ إذن على وَزْنِ فعَّال، ويَحْتَمِلُ أنْ تكونَ للنسبةِ، ويَحْتَمِلُ أن تكونَ للمبالغةِ؛ لأنَّ كلمةَ فَعَّال تكونُ للنسبةِ كالنَّجَّارِ والحَدَّادِ، وما أشْبَهَ ذلك، وتكونُ للمبالغةِ.

فإذا كانت للنسبةِ، فالمَعْنَى أنَّ اللهَ مَوْصُوفٌ بهذه الصفةِ.

وإذا كانت للمبالغةِ، فالمَعْنَى كثرةُ مَن يَرْزُقُهم اللهُ عَجَّلَ، وكثرةُ الرِزْقِ الذي يُعْطِيه.

وقوله: ﴿هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ [الذاريات:٥٨]. هو ضمير فصلٍ، يَدُلُّ على الحصرِ، و«الرزَّاق» بصيغة المبالغةِ لا تكونُ إلا اللهِ.

أمَّا الرازقُ أورزَق يَرْزُق فتكون للهِ وللمخلوقِ.

وقولُه: ﴿ذُو ٱلۡقُوَّةِ﴾. ذو بمَعْنَى صاحبٍ، والقوةُ هي الفِعْلُ بلا ضَعْفٍ، وليست هي القدرةَ؛ لأنَّ القدرةَ الفعلُ بلا عَجْزٍ، والقوةَ الفعلُ بلا ضَعْفٍ، والدليلُ: قولُه تبارك وتعالَى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ﴾ [الروم:٥٤]. لم يَقُلْ: ثم جَعَلَ مِن بعدِ ضَعْفٍ قُدْرَةً.

وقال عَجَّلَ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ٤٤﴾ [فاطر:٤٤]. فقال: ﴿لِيُعۡجِزَهُۥ﴾. ثم قال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا﴾. ولم يَقُلْ: كان عليمًا قويًا؛ لأنَّ العَجْزَ ضِدُّه القُدْرَةُ، والضعفَ ضِدُّه القوةُ.

فإذا قِيلَ: أيُّهما أكملُ: القدرةُ أو القوةُ؟

قُلْنَا: القوةُ أكْمَلُ، ويَظْهَرُ ذلك بالمثالِ، فلو قِيلَ لك: احْمِلْ هذا الحجرَ. فأردتَ أنْ تَحْمِلَه، فعَجَزْتَ أن تُقِلَّه عن الأرضِ، فأنت الآنَ غيرُ قادرٍ.

ولو قِيلَ لك: احْمِلْ هذا الحجرَ. فحَمَلْتَه، ولكن بمشقةٍ، فأنت الآنَ قادرٌ غيرُ قويٍّ.

ولو قِيلَ: احْمِلْ هذا الحجرَ فحَمَلْتَه بسهولةٍ حتى رَفَعْتَه إلى فوق فأنت الآن قويٌّ.

إذًا: القوةُ أكملُ مِن القدرةِ؛ لأنَّ كلَّ قويٍّ قادرٌ، وليسَ كلُّ قادرٍ قويًّا. ويقابلُ القوةَ الضعفُ، ولهذا تقولُ: فلانٌ قويٌّ، غيرُ ضعيفٍ، ولا تقولُ: فلانٌ قويٌّ غيرُ عاجزٍ، وتقولُ: فلانٌ قادرٌ غيرُ عاجزٍ.

فهذا هو الفرقُ بينَ القدرةِ والقوةِ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٠٤).

فرقٌ آخرُ، وهو أنَّ القوةَ تكونُ في الحيوانِ والجمادِ، والقدرةُ تكونُ في الحيوانِ فقط، فتقُولُ: هـذا الحديدُ قويٌّ، ولا تقولُ: هذا حديدٌ قادرٌ.

إذًا: لا يوصفُ بالقدرةِ إلَّا ما كانَ ذا رُوحٍ، فيمكنُ أنْ تقولَ: الفيلُ قويٌّ وقادرٌ، والإنسانُ قويٌّ وقادرٌ.

۞ وقولُه ﷻ: ﴿ٱلْمَتِينُ﴾. أي: الشديدُ القوةِ.

ففي هذه الآيةِ مِن أسماءِ اللهِ ثلاثةٌ: اللهُ، والرزاقُ، والمتينُ.

وفيها مِن صفاتِ اللهِ أربعةٌ: الألوهيةُ والرزقُ والقوةُ والمتانةُ.

ثم ساقَ المؤلفُ حديثَ أبي مُوسَى الأشعريِّ: قال: قـالَ النبـيُّ ﷺ: «مـا أحـدٌ أصـبرَ عـلى أذًى سَمِعَه مِن اللهِ». إذا قُلْنَا: ما أحدٌ أصبرُ[1] . فهذه لغةُ تميمٍ، وإذا قُلْنَا: ما أحدٌ أصبرَ[2] . فهذه لغةُ قـريشٍ؛ لأنَّ قريشًا يَجْعَلُونَ ما النافيةَ تعملُ عملَ «ليسَ» بشروطٍ معروفةٍ، والتمِيمِيُّون يَرَوْنَها لا تعملُ[3]، وقد قال الشاعرُ:

وَمُهَفْهَـفِ الأَعْطَـافِ قُلْـتُ لَـه انْتَـسِبْ ... فأجَـابَ مَـا قَتْـلُ المحـبِّ حَـرامُ[4]

فالشاعر هنا تميميٌّ؛ لأنَّه لم يَقُلْ: مَا قَتْلُ المحبِّ حرامًا. ولو قالَ: ما قَتْلُ المحبِّ حرامًا. صار قرشيًّا.

۞ قولُه: «ما أحدٌ أصبرَ على أذًى سَمِعَه مِن اللهِ». أَصْبرَ على أذًى في هذا وصفُ اللهِ تعالَى بالـصبرِ والتَّحمُّلِ من عبادِه.

وفيه إثباتُ الأذيةِ للهِ ﷻ وأنَّ اللهَ ﷻ يَتأَذَّى، ولكن هل الصبرُ صفةُ عيبٍ أو صفةُ كمالٍ؟

الجوابُ: لا شكَّ أنَّه صفةُ كمالٍ، وأنَّ الإنسانَ يُثْنَى عليه بالصبرِ، فكذلك الرَّبُّ ﷻ يُثْنَى عليه بالصبرِ.

ولكن هل التَّأَذِّي بما يُؤْذِي صفةُ نَقْصٍ؟

الجوابُ: لا، ليسَ صفةَ نقصٍ؛ لأنَّه لَا يَلْزَمُ مِن الأذَى الضَّررُ، ولهـذا نقـولُ: إنَّ اللهَ ﷻ يَتـأَذَّى، ولكنَّه لا يتضرَّرُ، كما قالَ اللهُ تعالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الـدُّنْيَا وَالآخِـرَةِ ﴾ [الأحزاب:٥٧]. وهذا في القرآنِ.

وفي الحديثِ القدسيِّ: «يُؤْذِينِي ابنُ آدمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَـا الـدَّهْرُ»[5] لكنَّـه قـال في القـرآنِ: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا ٱللَّهَ شَيْـًٔا ﴾ [آل عمران:١٧٦].

وقال في الحديثِ القدسيِّ: «يا عبادي، إنَّكـم لَـن تَبْلُغـوا ضَـرِّي فتَـضُرُّوني، ولـن تَبْلُغُـوا نَفْعِـي

---

(١) بالرفع.

(٢) بالنصب.

(٢) انظر: «شرح قطر الندى» (ص١٤٢ – ١٤٤)، وشرح ابن عقيل (١/ ٣٠١)، وأوضح المسالك (١/ ٢٤٥)، والنحو الوافي (١/ ٥٩٣) والقواعد الأساسية للهاشمي (ص١٥٦).

(٤) انظر: «ريحانة ؟» (ص٢٦٤)، و«الإفادات والإنشاءات» للشاطبي (ص٥٦)، و«نفح الطيب» (٥/ ٢٢٧).

(٥) تقدم تخريجه.

فتنفعوني»(١). والأذى لا يَدُلُّ على ضَعفِ المُتأذِّي؛ فإنَّ الرجلَ قد يَتأذَّى بالرائحةِ الكريهةِ، ولكنَّها لا تَضُرُّه، ولا يَدُلُّ على ضَعفِه، بل قد يَدُلُّ على كمالِه، إذا تأذَّى بما يُؤذِي حقيقةً.

۞ وقولُه: «يَدَّعون له الولَد، ثم يُعافيهم، ويَرْزُقهم»؛ أي: يَقولُون: إنَّ للهِ ولدًا، وذلك كما قالَتِ اليهودُ: عزيرٌ ابنُ اللهِ. وكما قالَتِ النصارَى: المسيحُ ابنُ اللهِ. وكما قالَ المُشْرِكُون: الملائكةُ بناتُ اللهِ.

۞ وقولُه: «وهو يُعَافِيهم ويرزُقُهم»، هذه هي نتيجةُ الصبرِ، أنَّه يُعافِيهم ويرزقُهم، مع أنَّهم يَدَّعُون له الوَلَدَ.

ودَعْوَى الولدِ للهِ ﷻ تَتضمَّنُ شيئَيْنِ:

الشيءُ الأولُ: تكذيبُ اللهِ ﷻ؛ فإنَّ اللهَ تعالَى نَفَى أنْ يكونَ له ولدٌ، بل نَزَّه نفسَه عن ذلك؛ ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ﴾ [النساء:١٧١].

الشيءُ الثاني: وصفُ اللهِ بالنقصِ؛ لأنَّه لا يَحْتاجُ إلى الولدِ إلَّا مَن كان ناقصًا، فهو يحتاجُ إلى الولدِ ليُعِينَه في مُهمَّاته، وليَبْقَى نَسْلُه بعدَه؛ لأنَّ الإنسانَ إذا ماتَ بلا نَسْلٍ نُسِيَ، ولم يأتِ له ذكرٌ، اللهم إلَّا مِن علمٍ، أو صدقةٍ جاريةٍ، أو ما أشْبَه ذلك.

وعلى كُلِّ حالٍ: فهؤلاء آذَوُا اللهَ ﷻ بدَعْوَى الولدِ، ومع ذلك فهو يُعافِيهم ويَرْزُقُهم، ولولا صبرُه تبارَكَ وتعالَى لأهلكَهم، قال تعالَى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾[فاطر:٤٥].

والشاهدُ من هذا الحديث: قوله: «يُعافيهم ويَرزُقُهم». أي: يُعافِيهم في أبدانِهم مِن الأمراضِ، ويُعافِيهم في أعراضِهم مِن أنْ تُنْتَهَكَ، ويرزقُهم أيضًا.

وفي هذا الحديثِ من الصفاتِ: إثباتُ صفةِ الصبرِ؛ لقولِه: «مَا أَحَدٌ أصبرُ على أذًى سَمِعَه مِن اللهِ».

وهل هو حقيقيٌّ؟

الجوابُ: نَعَمْ، هو حقيقيٌّ، ولكنَّه لا يُشْبِهُ صبرَ المخلوقِ؛ لأنَّ المخلوقَ قد يَصْبِرُ، لكن مع تَضجُّرٍ وتَمَلْمُلٍ، وأما الربُّ ﷻ فلا. لا يَلْحَقُه مِن صبره شيءٌ كما يَلْحَقُ المخلوقَ مِن صبرِه.

وفيه: إثباتُ أنَّ اللهَ يرزقُ ويُعافِي؛ لقولِه: «ويعافيهم ويرزقهم».

وهل نشتق من «يرزقهم» اسمًا؟

الجوابُ: لا، لكن جاء الاسم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ [الذاريات:٥٨].

وهل نَشْتَقُّ مِن «يُعافِي» اسما؟

الجوابُ: لا، ولهذا لا يُسَمَّى اللهُ بالمُعافِي، ولكن يُخْبَرُ عنه بأنَّه يُعافِي مِن الأمراضِ القلبيةِ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧)، من حديث أبي ذرة رضي الله عنه.

والبدنيةِ، قال ﷺ: «واشفِ أنت الشَّافِي لا شفاءَ إلا شفاؤُك»[1].

والفرق بَين الحِلْمِ والصبر، أنَّ الحِلْم لا يعجلَ بالعقوبةِ، مع أنَّه قد لا يصبرُ، لكن في الصبرِ يتحملُ، ونحن نقولُها بالنسبةِ لنا يتحملُ الإنسانُ ولا يفكرُ بالعقوبةِ، والحليمُ يفكرُ بالعقوبةِ لكنه لا يُعَجِّلُ.

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤- باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾[الجن:٢٦]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[لقمان:٣٤]. ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾[النساء:١٦٦]. ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾[فاطر:١١].

قَالَ يَحْيَى الظَّاهِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا وَالْبَاطِنُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا

هذه الترجمةُ أتى بها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ لإثباتِ صفةِ العلمِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، والعلمُ للهِ تَعَالَى ثابتٌ، وهو قد جاءَ على وجوهٍ متعددةٍ، والعلمُ هو إدراكُ المعلومِ على ما هو عليه.

فقولُنا: إدراك. خَرَج به الجهلُ البسيطُ.

وقولُنا: على ما هو عليه. خَرَج به الجهلُ المركبُ؛ لأنَّ الجهلَ عندَهم نَوْعَان:

جهلٌ بسيطٌ: وهو عدمُ العلمِ.

وجهلٌ مركبٌ: وهو أن يكونَ الإنسانُ جاهلًا، ويجهلُ أنَّه جاهلٌ، ولهذا قِيلَ: إنَّه مركبٌ مِن جَهْلَين؛ الجهلِ بالواقعِ، والجهلِ بحالِه.

وأضربُ لهذا مثلًا يتبينُ به ذلك: سَألْنا رجلًا: متى كانت غزوةُ بدرٍ؟ فقال: كانت غزوةُ بدرٍ في رمضانَ في السنةِ الثانيةِ. بماذا تَصِفُ هذا المجيبَ؟ تَصِفُه بأنَّه عالمٌ؛ لأنَّه ذكَر الأمرَ على ما هو عليه.

ولو سألنا رجلًا آخرَ فقُلْنَا له: متى كانت غزوةُ بدرٍ؟ قال: كانت في السنةِ الخامسةِ من الهجرةِ. فهذا جاهلٌ جهلًا مُرَكَّبًا.

ولو سَألْنَا الثالثَ، فقُلْنَا له: مَتَى كانت غزوةُ بدرٍ؟ فقال: لا أَدْرِي. فهذا جهلٌ بسيطٌ. فالربُّ عَزَّ وَجَلَّ عالمٌ؛ أي: مُدْرِكٌ للمعلوماتِ على ما هي عليه.

ثم إنَّ علمَ اللهِ تَعَالَى:

أولًا: أَزَلِيٌّ أَبَدِيٌّ.

ثانيًا: عامٌّ شاملٌ لكلِّ شيءٍ جملةً وتفصيلًا، حتَّى دبيبُ النَّمل في أيِّ وقتٍ مِن أوقاتِ الدنيا يَعْلَمُه تفصيلًا، ويعلمُ أين تَضعُ النملةُ خُطوَها تفصيلًا: فكلُّ شيءٍ يعلَمُه جملةً وتفصيلًا؛ لأنَّ اللهَ خلَق كلَّ شيءٍ، والخالقُ لابدَّ أنْ يكونَ عالمًا، كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك:١٤].

---

(١) تقدم تخريجه.

ثالثًا: علمُ اللهِ لم يُسْبَقْ بجهلٍ، ولا يَلْحَقُه نسيانٌ، كما قال موسى: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ [طه:٥٢].

إذًا: عِلمُ اللهِ واسعٌ شاملٌ أَزَلِيٌّ أَبَدِيٌّ لم يُسْبَقْ بجهلٍ، ولا يلحقُه نسيانٌ.

ولكن ما هي الفائدةُ مِن مَعْرفتِنا بهذه الصفةِ العظيمةِ؟

الفائدةُ: أنَّ الإنسانَ إذا عَلِمَ أنَّ اللهَ واسعُ العلمِ، وأنَّه محيطٌ بكلِّ شيءٍ علمًا، فلابدَّ أنْ يحمِلَه هذا الاعتقادُ على الاستقامةِ على أمرِ اللهِ، وهذه مسألةٌ تغيبُ عن كثيرٍ من الذين يتكلمون عن صفاتِ اللهِ، فتجدُهم لا يتكَلَّمُون عما يُثْمِرُه الاعتقادُ بالنسبةِ لهذه الصفةِ مِن الأحوالِ السلوكية، وهذه مهمةٌ؛ يَعْنِي: أنت إذا علمتَ أنَّ اللهَ يعلمُ كلَّ شيء فهل تُضْمِرُ في قلبِك ما يخالفُ الاستقامةَ؟

الجوابُ: لا.

وهل تفعلُ ما يخالفُ الاستقامةَ؟ وهل تقولُ ما يخالفُ الاستقامةَ؟

الجوابُ: لا، وهذه مسألةٌ ينبغي للإنسانِ أن يجعلَها على بالِه، أنَّه ليس المقصودُ أن نعلمَ ما يتعلقُ بالعقيدةِ فقط من أسماءٍ وصفاتٍ، بل المقصودُ مع ذلك ما يترتبُ على هذا الاعتقادِ مِن تصحيحِ المسلكِ والاستقامةِ على الأمرِ.

أما حكمُ مَن أنكَر أن يكونَ اللهُ عالمًا، فإنَّه كافرٌ، ولهذا قالَ الإمامُ الشافعيُّ رَحِمَهُ اللهُ بالنسبةِ للقدريةِ قال: جَادِلُوهم بالعلمِ، فإن أَقَرُّوا به خُصِموا، وإن أنكروه كَفَرُوا [1].

لأن القدريةَ يَقُولون: إنَّ اللهَ تَعَالَى لم يُقَدِّرْ عملَ العبدِ، ولم يَشَأْه، وليس له علاقةٌ به. فقال: جادِلُهم بالعلمِ أي: اسْأَلُوهم، هل اللهُ عالمٌ، بأعمالِ العبادِ أوْ لا؟

وإن قالوا: لا. فهم كفارٌ، وإن قالوا: نعم. فقد خُصِمُوا، وذلك بأن يقالَ: هل وَقَعَتْ هذه على خلافِ مَعْلُومِه أو على وَفْقِه؟ فإن قالُوا: على خلافِ المعلومِ، فهذا هو إنكارُ العلمِ، وإن قالوا: على وَفْقِه. فهذا يُلْزِمُهم أنْ يَقُولُوا بأنَّها وَقَعَتْ بمشيئتِه.

ثم ذكر المؤلفُ رَحِمَهُ اللهُ آياتٍ، فقال: «بابُ قولِ اللهِ تعالَى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾»، ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ الغيبُ ما غابَ عن الخلقِ، والغيبُ ينقسمُ إلى قِسْمَين:

غيبٌ مُطْلَقٌ لا يعلمُه الخلقُ.

وغيبٌ مُقَيَّدٌ يعلمُه بعضُ الناسِ دونَ بعضٍ.

فمثلًا الذين في مكةَ الآن غائبون عنَّا، لكنهم هم في مكةَ ليسَتْ أحوالُهم بغيبٍ.

إذًا: هذا غيبٌ نسبيٌّ.

فلو أن أحدًا قال: إنَّ مكانَ المسروقِ الذي سُرِقَ منك كذا وكذا. يَعْنِي: عَيَّنَ مكانَ المسروقِ

---

(١) انظر شرح «قصيدة ابن القيم» (٢/ ٤٠٨).

الذي سَرَقَه السارقُ ودَفَنَه فيه، فهل نقولُ: هذا مِن علمِ الغيبِ؟

الجواب: بالنسبةِ لنا غيبٌ، لكن بالنسبةِ لمن شَاهَد السارقَ، وهو يَدْفِنُه لا يكونُ غَيْبًا.

أمَّا الغيبُ المطلقُ فهذا هو الذي يختصُّ اللهُ به،وهو الذي يغيبُ عن كلِّ الناسِ؛ وذلك مثلُ العلمِ بالمستقبلِ فهذا غيبٌ، فمنَ ادَّعَى أنَّه يعلمُ ما سيكونُ غدًا فقد ادَّعَى علمَ الغيبِ؛ لأنَّه مُسْتَقْبَلٌ، والمستقبلُ مجهولٌ لكلِّ الناسِ.

۞ يقولُه: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾. وليتَ المؤلفَ رَحِمَهُ اللَّهُ أتى بآخرِ الآيةِ؛ لأنَّ آخرَها لابدَّ أنْ يُذكَرَ، وهو قولُه: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن:٢٧]. لأنَّ اللهَ أظْهَرَ على غيبِه مَن أَظْهَر مِن الرسلِ، فالنبيُّ ﷺ حدَّثَنا عن أمورٍ غيبيةٍ مُسْتَقْبَلَةٍ مِن أشراطِ الساعةِ، ومِن أحوالِ القيامةِ، فليتَ البخاريَّ رَحِمَهُ اللَّهُ ذَكَر هذا الاستثناءَ؛ لأنَّه مُهِمٌّ.

۞ وقولُه: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾» علمُ غيبِ الساعةِ عندَ اللهِ، حتَّى إنَّ النبيَّ ﷺ سَأله جِبْريلُ عنها، فقال له: «ما المسئولُ عنها بأعلمَ مِن السائلِ»[1]. فأفضلُ الرسلِ مِن الملائكةِ لا يَعْلَمُها، وأفضلُ الرسلِ مِن الآدميين لا يعلمُها، ومَن دُونَهم مِن بابِ أَوْلَى، فمن ادَّعَى عِلْمَ الساعةِ، وقال: الساعةُ ستقومُ في السنةِ الفلانيةِ. أو في الشهرِ الفلانيِّ فإنَّه مُكَذِّبٌ لهذه الآيةِ، مُدَّعٍ دَعْوَى باطلةً، ويكونُ كافرًا.

والظاهرُ أنَّ المؤلفَ رَحِمَهُ اللَّهُ أشارَ إلى بقيةِ الآيةِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾. فهذه الخمسةُ هي مفاتِحَ الغيبِ المذكورةُ في قولِه تعالَى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ وكانَتْ هذه الخمسةُ مفاتِحُ الغيبِ؛ لأنَّ ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾ مِفْتَاحُ الآخرةِ، وتنزيلُ الغيْثِ مِفْتَاحُ النباتِ، وعلمَ ما في الأرحام مِفْتَاحُ الجنينِ الذي خَلَقَه اللهُ تعالَى في هذا الرحمِ؛ يَعْنِي: مفْتَاحَ حياةِ الإنسانِ في الدُّنْيا. و﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ مِفْتَاحُ العملِ في المستقبلِ، و﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ مِفْتَاحُ الآخرةِ بالنسبةِ لكلِّ واحدٍ مِن الناسِ.

فلهذا قالَ النبيُّ ﷺ: «إنَّ مَفَاتِحَ الغيبِ خَمسٌ لا يعلمُها إلا اللهُ». وَذكَر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ...﴾[2].

وقالُه: ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ لقائلٍ أن يقولَ كيفَ جَعَل اللهُ تعالى تنزيلَ الغيثِ -وهو فعلٌ- وفي ظلِّ المعلوماتِ الغيبيةِ؟ لم يَقُلْ: ويعلمُ مَن ينزلُ الغيثَ

الجوابُ: أن نقولَ: لأنَّ الخالقَ لابدَّ أن يكونَ عالمًا بالمخلوقِ، فإذا كان هو الذي ينزِّلُ الغيثَ وحدَه، فلا أحدَ يعلمُ متى يَنزِلُ الغيثُ؛ لأنَّ عِلْمَ نزولِ الغيثِ عندَ مَنْ يُنزِّلُ الغيثَ. لكن جاءَتِ الآيةُ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

هكذا؛ لأنَّ إنزالَ المطرِ، الذي به الغيثُ، لا يكونُ أبدًا إلا مِن اللهِ ﷻ.

فإن قال قائلٌ: ماذا نقولُ عن مَن يَتكلَّمون الآنَ في الطقسِ، من أنه: سيكونُ غدًا مطرٌ في الأرضِ الفلانيةِ بعدَ الظهرُ أو في أولِ النهارِ، أو ما أشبهَ هذا؟

فالجوابُ عن ذلك مِن وَجْهين:

الوجهُ الأولُ: أنَّ هذا مَبْنِيٌّ على أمرِ محسوسٍ؛ فإنَّ الجوَّ يتغيرُ، ويتكيَّفُ على وجهٍ يُعْلَمُ بالآلاتِ الدقيقةِ أنَّه مهيأٌ للمطرِ، أو غيرُ مهيأ، وإذا كان كذلك فليس مِن أمور الغيبِ.

الوجهُ ثاني: أنَّ هذا الذي يقولُونه قد يُخطِئُ كثيرًا، ولو كان عِلمَ غيبٍ ما أخطأ؛ لأن العلمَ ليسَ فيه خطأٌ.

الثالث قوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾. أي: أرحامِ الآدميين وغيرِهم، فهو الذي يَعْلَمُها ﷻ.

فإذا قال قائلٌ: وما هو مُتعلَّقُ العلمُ هل هو الذكورةُ، أو الأنوثةُ، أو أحوالُ هذا الجنينِ من كلِّ وجهٍ؟

الجوابُ: الثاني؛ لأنَّ أحوالَ الذكورةِ والأنوثةِ يَعْلَمُها غيرُ اللهِ ﷻ.

فالمَلَكُ الذي يُوكَّلُ بالجنينَ يعلمُ هذا؛ لأنَّه يقولُ: يا ربِّ أذكرٌ أم أنثى؟ فيَقْضِي اللهُ ما شاءَ [1].

إذًا: فالمَلَكُ يَعْلَمُ بأنَّ ما في الرحمِ ذكرٌ أو أنثى قبلَ أن يَخْرُجَ، ثمَّ إنَّ الأجهزةَ الحديثةَ في عَصْرِنا يُمْكِنُ أن يُعْلَمَ بها الجنينُ أذكرٌ هو أم أنثى؟

فنقولُ: إذن مُتعَلَّقُ العلمِ بالجنينِ ليسَ هو الذكورةَ والأنوثةُ؛ لأنَّ الذكورةَ والأنوثةَ إذا خُلِّق الجنينُ فصار ذكرًا أمكَن العلمُ به، وكذلك إذا صارَ أُنثى، ولكنَّ الجنينَ له متعلقاتُه الأخرى؛ مثلُ: هل هذا الجنينُ سيخرجُ حيًّا أو ميتًا؟ هل ستطولُ حياتُه إذا خرَج حيًّا أو تَقْصُرُ؟ وهل وسيكونُ غنيًّا أو فقيرًا؟ وهل سيكونُ عالمًا أو جاهلًا، سيكونُ أميرًا أو مأمورًا؟ فمُتعَلَّقَاتُ العلمِ بالنسبةِ للجنينِ كثيرةٌ، فإذا قُدِّرَ أنَّ الناسَ عَلِمُوا أنَّه ذكرٌ أو أُنثَى، فإنَّهم لا يَعْلَمُون بقيَّةَ مُتعَلَّقَاتِ العلمِ الكثيرةِ التي لا يَعْلَمُها إلا اللهُ ﷻ.

۞ وقولُه: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾. تعبيرُ القرآنِ ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ ولم يَقُلْ: ماذا تَعْمَلُ؛ لأنَّ الإنسانَ يُقَدِّرُ ماذا يعملُ، يقولُ: سأسافرُ غدًا، وسأذهبُ إلى الكليةِ، وسأَخْتَبِرُ. وما أشبه ذلك، لكن هل يَدْرِي أن هذا يتحقَّقُ، ويكونُ كسبًا له؟

الجوابُ: لا، فرُبَّمَا يكونُ هناك موانعُ تمنعُ مِن تحقيقِ ما أرادَ، فرُبَّما يفعلُ، لكن لا يكسبُ بفعلِه شيئًا، فالكسبُ غدًا لا يعلمُه إلا اللهُ ﷻ.

قولُه تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ حتَّى لو أنَّ الإنسانَ قَرَّرَ أنَّه لن يَخْرُجَ مِن بلدِه، وكان اللهُ تعالى قد قدَّرَ أن يموتَ في بلدٍ آخرَ، فلابدَّ أن يُقَدِّرَ اللهُ تعالى سببًا يَنْتَقِلُ به إلى البلدِ الآخرِ، وإذا

---

(١) تقدم تخريجه.

كان لا يَعْلَمُ بأيِّ أرضٍ يَموتُ مع أنَّه يُمْكِنُه التَّنَقُّل فهو لا يَعْلَمُ في أيِّ وقتٍ يموتُ مِن بابِ أَوْلَى.

وبالنسبة لتوقُّعاتِ خُبَراءِ الأَرْصَادِ الجويةِ عن حالِ الجوِّ، فلا يُعَدُّ ذلك مِن الرَّجْمِ بالغيبِ؛ فإنهم كثيرًا ما يُصِيبُون، وهم يَعْتَمِدونَ لا على الغيبِ والتَّخرُّصِ، بل يَعْتَمِدون على تكيُّفِ الجوِّ بواسطةِ آلاتٍ دقيقةٍ يَعْرِفُون بها، ولهذا لا تَجِدُهم يقُولُون مثلًا: بعدَ سنةٍ سيكونُ مَطَرٌ. أو بعدَ شَهْرٍ. أو بَعْدَ أُسْبوعٍ. بل هو مُحَدَّدٌ في الوقتِ الذي يَعْرِفُون به تكيُّفَ الجوِّ، كما أنَّنا نحنُ الآنَ بلا آلاتٍ إذا وَجَدْنا أنَّ السماءَ مُلَبَّدةٌ بالغُيُومِ والرَّعْدِ والبَرْقِ نَتوقَّعُ أنَّه يَنْزِلُ المطرُ.

۞ وقولُه: و﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ...﴾ الآية، والواوُ: مِن كلامِ المُؤلِّفِ، فهي حرفُ عَطْفٍ، والتقديرُ: وقولُه: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾. وهذه الآيةُ جملةٌ، وهذه الجملةُ جملةٌ مِن آيةٍ، وهي قولُه تبارَك وتعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾. فبيَّن اللهُ ﷻ أنَّ اللهَ يَشْهَدُ بما أَنْزَلَ إلى محمدٍ ﷺ، وأنَّه أَنْزَلَه بعِلْمِه، وعِلمه هنا يَحْتَمِلُ أن تكونَ بمَعْنَى اسمِ المفعولِ؛ أي: أَنْزَلَه بمَعْلُومِه؛ أي: بما يَعْلَمُه ﷻ مِن أخبارٍ، وما يَحْكُمُ بِهِ مِن أحكامٍ.

ويَحْتَمِلُ أنَّه مصدرٌ على حَقِيقَتِه، والمَعْنَى: أنَّ اللهَ أَنْزَلَه، وهو عَالِمٌ به ﷻ، فالقرآنُ لا شكَّ أنَّه نَزَلَ بمعلوماتٍ كثيرةٍ مِن عندِ اللهِ، ولا شكَّ أنَّه نزَل عن عِلْمٍ مِن اللهِ ﷻ.

۞ وقولُه: «﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾». «مَا» هنا نافيةٌ، ولا يمكنُ أن تكونَ هنا شرطيةً؛ لأن الفِعْلَ بعدَها مَرْفُوعٌ، ولو كانت شَرْطِيَّةً لجُزِمَ، وهي نافيةٌ أيضًا؛ لأنه وقَع بعدَها ﴿إِلَّا﴾.

إذًا: فقولُه: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾. يَعْنِي: ابْتِداءَ الحملِ، وحُلُولَ الوَقْتِ، كُلُّ ذلك يكونُ بعلمِ اللهِ ﷻ.

وهذه الآيةَ مما يُقْرَأُ به للمَرْأَةِ إذا تَعَسَّرَتْ وِلادتُها، وهي مفيدةٌ جدًّا، فإذا قَرَأَ الإنسانُ بماءٍ، وقَرَأَ هذه الآيةَ، وقَرَأَ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾ [الزلزلة:١-٢]. وقَرَأَ: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾. فإنَّها بإذنِ اللهِ تَنْفَعُ، وهي تَشْرَبُها المرأةُ ويُمْسَحُ بها على بَطْنِها، فتَضَعُ بسهولةٍ.

۞ وقولُه: ﴿إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾. يَعْنِي: إلَّا كان ذلك صادرًا عن علمِ اللهِ ﷻ؛ لأنَّ حملَها ووَضْعَها مِن خلقِ اللهِ، واللهُ ﷻ يقولُ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾. وقال تعالى: ﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾. فهو إلى اللهِ، لا إلى غَيْرِه، ﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ وهذا شيءٌ معلومٌ بالقرآنِ والسنةِ والإجماعِ أنَّه لا أحدَ يَعْلَمُ مَتَى تقومُ الساعةُ إلَّا اللهُ ﷻ.

۞ وقولُه: «وقال يحيى هو الفرَّاءُ: الظاهرُ على كلِّ شيءٍ عِلْمًا، والباطنُ على كلِّ شيءٍ علمًا». يُشِيرُ إلى قولِه تعالَى في سورةِ الحديدِ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد:٣]. فهذه أربعةُ أسماءٍ اسْتَوْعَبَتِ الأَزْمِنَةَ والأمْكِنَةَ.

❂فقولُه: ﴿ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ﴾ هذا بالنسبةِ للزمانِ، فهو:
الأولُ الذي ليسَ قبلَه شيءٌ، والآخِرُ الذي ليسَ بعدَه شيءٌ.
❂وقولُه: ﴿وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ﴾. فهو الظاهرُ العَالِي على كلِّ شيءٍ، فإنَّ الظُّهورَ هنا بمَعْنَى العُلُوِّ، ومنه قولُه تعالى: ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة:٣٣]. أي: ليُعْلِيَه.

وقولُ الفَرَّاءِ: إنَّ المرادَ به العلمُ. نقولُ: نَعَم هو ﷻ ظاهرٌ؛ أيْ: عالٍ، ومع ذلك فهو عالمٌ بكلِّ شيءٍ، والباطنُ هو المحيطُ بكلِّ شيءٍ؛ الذي يعلمُ بَواطِنَ الأمورِ، فهو مع عُلُوِّهِ محيطٌ بكلِّ شيءٍ.

وليسَ المَعْنَى أنَّه في كلِّ شيءٍ؛ لأنَّ هذا مذهبُ الحُلُوليَّةِ مِن الجَهميةِ وغيرِهم، بل المعْنَى: الذي لا يَخْفَى عليه ما بَطَن وما خَفِيَ.

فهذه الآياتُ كما تَرَوْن فيها إثباتُ علمِ اللهِ ﷻ.

وقولُ النبيِّ ﷺ: «وأنت الباطِنُ فليسَ دونَك شيءٌ»[1]. يَعْنِي: لا يحولُ دونَك شيءٌ، فكلُّ شيءٍ عليه سُلْطانُك وعلمُك وقدرتُك، فمعَ عُلُوِّك لا يَخْفَى عليك شيءٌ، فأنت باطنٌ؛ أيْ: عالمٌ ببَواطِنِ الأمورِ لا يحولُ دونَك شيءٌ.

أمَّا البشرُ فيحولُ دونَهم الجدارُ، ويحولُ دونَهم الشجرُ، ويحولُ دُونَهم الغبارُ، فهناك موانعُ لا يُدْرِكُون بها ما وراءَها، والربُّ ﷻ لا يحولُ دونَه شيءٌ.

ومن بعض ما يتعلق بصفة العلم:
أولًا: من حيثُ العمومُ: فاللهُ عليمٌ بكلِّ شيءٍ جُمْلَةً وتَفْصِيلًا، ومن ذلك علمُه بما يَتَعَلَّقُ بأعمالِ العبد.
ثانيًا: علمُ اللهِ أزَلِيٌّ أبَدِيٌّ، ومَعْنَى قَوْلِنا: أزَلِيٌّ. سابقٌ؛ يَعْنِي: يَعْلَمُ كلَّ شيءٍ سَبَق، والأبَدِيُّ في المستقبل.

كذلك فعلمُ اللهِ لم يُسْبَقْ بجهلٍ، ولا يعتريه نِسْيَانٌ؛ بدليلِ قولِه تعالَى: ﴿قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ٥٢﴾ [طه:٥٢]. ولم يُنْكِرْ أحدٌ -فيما نَعْلَمُ- أنَّ اللهَ تعالَى يعلمُ كلَّ شيءٍ إلا غلاةُ القَدَرِيَّةِ؛ فإنهم أنْكَرُوا علمَ اللهِ بما يَفْعَلُه الخَلْقُ، وقالُوا: إنَّ اللهَ لا يَعْلَمُ ما يفعلُه الخَلْقُ إلَّا بعدَ وقوعِه، فلا يعلمُها عِلمَ غيبٍ، وإنَّما يَعْلَمُها عِلْمَ مُشَاهدةٍ، فإذا وقَع عَلِمَ اللهُ به، أمَّا قبلَ ذلك فلا يَعْلَمُه، ولكنَّ شيخَ الإسلامِ رَحِمَهُ اللهُ قال: إنَّ هذا قولُ غلاةِ القدريةِ قديمًا ومُنكِروه اليومَ قليلٌ؛[2] -أي: في زمنِه رَحِمَهُ اللهُ- فمُنْكِرو درجةِ العلمِ والكتابةِ في زمنِ شيخِ الإسلامِ كانُوا قليلين.

وشبهةُ القدريةِ أنهم يقولون: إنَّ الإنسانَ مُسْتَقِلٌّ بعَمَلِه استقلالًا تامًّا، ولهذا يُسَمَّوْن مجوسَ هذه الأمةِ[2]، حيثُ جَعَلُوا للحوادثِ خالِقَيْن، فالحوادثُ التي هي مِن فعلِ اللهِ خَلَقَها اللهُ، والتي هي مِن

(١)أخرجه مسلم (٢٧١٣) من حديث أبي هريرة
(٢)انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٢٠/ ١٠٤،١١١).
وانظر: بحث المسألة بالتفصيل في «تحقيق مسألة علم الله» لشيخ الإسلام (١/ ١٧٨).
(٢)وردت تسميتهم بهذا في حديث مرفوع، رواه أحمد (٢/ ٨٦) (٥٥٨٤)، وأبو داود (٤٦٩١)، وابن ماجة (٩٢)
=

فعلِ العبدِ، خَلَقَها العبدُ فيقولون: إن تَعَلُّقَ علمِ اللهِ تعالَى بفعلِ العبدِ كَتَعَلُّقِ علمِ زيدٍ بفعلِ عمرٍو.

وكلُّ ما ثبت في القرآنِ أو صحيحِ السنةِ إذا أنكره الإنسانُ إنكارَ جحودٍ فهو كافرٌ، والعلةُ في ذلك التكذيبُ لما أخبرَ اللهُ به.

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٣٧٩- حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللَّهُ وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ».

وقد سبَقَ الكلامُ على هذا الحديث.

قولُه: «﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾». فمَعْناه: تَنْقُصُ؛ بدَليلِ قولِه: ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ وقد مَرَّ علينا في قواعد التفسير أنه قد يُعْرَفُ تَفْسِيرُ الكلمةِ بذكرِ ما يُقَابِلُها، ومِن ذلك قولُه تعالى: ﴿فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾﴾ [النساء:٧١]، فقولُه: ﴿ثُبَاتٍ﴾. معناه فُرَادَى؛ لأنَّ اللهَ قابَلَها بقولِه: ﴿جَمِيعًا﴾. وقولُه: ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ تَغِيضُ: تَنْقُصُ، وتزداد: تَرْتَفِعُ.

وغَيْضُ الأرحامِ هنا هل المرادُ ما تَغِيضُ الأرحامُ عن المدةِ المعلومةِ عادةً، بحيثُ يُولَدُ الجنينُ قبلَ تمامِ تسعةِ أشهرٍ التي هي غالبُ مدةِ الحملِ، وما تَزْدَادُ عن تسعةِ أشهرٍ، أو المرادُ ما تَزْدَادُ عددًا أو تَنْقُصُ عددًا، بحيث يكونُ واحدٌ في البطنِ، أو اثنانِ، أو ثلاثةٌ، أو يكونُ المرادُ الأمرين جميعًا؟ الأمران جميعًا؛ الأمران جميعًا؛ لأن القاعدةَ في التفسير أنَّه مَتَى احْتَمَلَتِ الآيةُ مَعْنَيَيْنِ فأكثرَ، ولا منافاةَ بينَهما، فإنَّها تُحْمَلُ على الجميعِ.

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٣٨٠- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام:١٠٣]. وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ فَقَدْ كَذَبَ، وَهُوَ يَقُولُ ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل:٦٥]. «لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ».

الشاهدُ مِن هذا الحديثِ: قولُه: «وَهُوَ يَقُولُ: لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ»[1].

=

وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في تعليقه على «سنن أبي داود»: حسن

(١) رواه مسلم (١٧٧).

أما الحديثُ فتقولُ عَائِشَةُ رضي الله عنها لمسروقٍ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، وَهُوَ يَقُولُ- أي: اللهُ عز وجل-: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾.

ولا شكَّ أنَّ عائشةَ رضي الله عنها في هذا الاستدلالِ لم تُصِبْ؛ لأنَّ اللهَ تعالَى قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾. ولم يَقُلْ: لا تراه الأبصارُ، ولهذا جَعَل علماءُ أهلِ السُّنَّةِ هذه الآيةَ من الأدلةِ على ثبوتِ رؤيةِ اللهِ.

ووَجْهُ ذلك: أن نَفْيَ الأخَصِّ يَدُلُّ على وجودِ الأعَمِّ، فلمَّا قالَ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ﴾ عَلِمْنا أنَّها تَراهُ، ولكنْ لا تُدْرِكُه، ولو كان المرادُ نَفْيَ الرؤيةِ لقالَ: لا تراه الأبصارُ.

ولكن هي رضي الله عنها لو اسْتَدَلَّتْ بقولِ الرسولِ ﷺ: «واعْلَمُوا أنَّكم لن تَرَوْا ربَّكم حتَّى تَمُوتُوا»[1] -كما جاءَ ذلك في حديثِ الدَّجَّالِ، حيثُ يَدَّعِي الدَّجَّالُ أنه الربُّ- لكان هذا أصحَّ مِن اسْتِدْلَالِها بالآيةِ.

وهذه المسألةُ اخْتَلَف فيها العلماءُ: هل النبيُّ ﷺ رَأَى رَبَّه -يَعْنِي: في الدُّنْيَا- أم لَمْ يَرَه؟

فقِيلَ: إنَّه رَآه. وممن قال ذلك: ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما في المَشْهُورِ عنه[2] أن النبي ﷺ رأي ربه.

أَمَّا عائشةُ فكانت تُنْكِرُ ذلك، كَمَا مَرَّ.

وهذا في اليَقَظَةِ، أَمَّا في المنامِ فَقَد رَأَى ربَّه، كما في حديثِ اخْتِصَامِ الملأِ الأَعْلَى[3]، وهو حديثٌ مشهورٌ شَرَحَه زَيْنُ الدينِ عبدُ الرحمنِ بنُ رجب رحمه الله[4].

والصحيحُ: أنَّه لم يَرَ رَبَّه؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ نَفْسَه سُئِلَ: هل رَأَيْتَ ربَّكَ؟ فقال: «رَأَيْتُ نُورًا»[5]. وفي روايةٍ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»[6]. يَعْنِي: بَيْنِي وبَيْنَه نورٌ، فكَيْفَ أراه؟! وهذا كلامُ النبيِّ ﷺ. ولكن إذا قال قائلٌ: كيف نجمعُ بينَ هذا الحديثِ الذي حدَّث به النبيُّ ﷺ عن نَفْسِه، وبَيْنَ قَولِ ابنِ عَبَّاسٍ؟

فالجوابُ عن شيخِ الإسلامِ ابنِ تيميةَ، قَالَ رحمه الله: إِنَّ ابنَ عباسٍ لم يُصَرِّحْ بأنَّ النبيَّ ﷺ رَأَى

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٥/ ٣٢٤) (٢٢٨٦٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٢٨)، والبزار في «مسنده» (٢٦٨١)، والنسائي في «الكبرى» (٧٧٦٤)، والآجري في «الشريعة»، (ص٣٧٥)، من طرق، عن بقية بن الوليد، وهو كثير التدليس عن «الضعفاء»، كما في «التقريب» (٧٣٤).

(٢) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (ص٢٠١).

وقال الشيخ الألباني في «تعليقه على العقيدة الطحاوية» (ص١٩٧): ضعيف، أخرجه ابن خزيمة في التوحيد بألفاظ مضطربة عنه موقوفًا.

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٣٦٨)(٣٣٨٤)، والترمذي (٣٢٣٣)، وصححه الشيخ الألباني، كما في تعليقه على «سنن الترمذي».

(٤) شرحه رحمه الله في رسالة مستقلة بعنوان: «اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى»، وهي مطبوعة ضمن مجموعة من الرسائل له رحمه الله، طبعتها دار الفاروق في مصر في أربعة مجلدات

(٥) رواه مسلم (١٧٨).

(٦) انظر التعليق السابق.

ربَّه بعَيْنَيْ رَأْسِه، بل قالَ: رَأى ربَّه. لكن ما قال: بعينه فتُحْمَلُ الرُّؤيَا التي في قَوْلِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما على أنَّ المرادَ بذلك رؤيةُ اليقينِ.[1]

وهذا وإن كان خلافَ الظاهر، لكن لِئَلَّا يُظنَّ بابنِ عباسٍ أنَّه يُخالِفُ ما حدَّث به النبيُّ ﷺ عن نفسِه، من أنَّه لم يَرَ اللهَ عز وجل.

ومعلومٌ أنَّ رؤيةَ اللهِ في الدُّنْيا لا تُمْكِنُ؛ لأنَّ الإنسانَ لا يَسْتَطِيعُ ذلك، ولا يقوى على هذه الرؤيةِ أبدًا، والدليلُ على هذا أنَّ مُوسَى ﷺ قال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف:١٤٣]. يعني: لا يمكنُ أن تراني ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ فعلَّق. رُؤْيَته بشيءٍ مُسْتَحِيلٍ، وتَجَلَّى اللهُ للجبلِ فجعَلَه دكًّا، فبمجردِ ما تَجلَّى اللهُ للجبل، اندكَّ ولم يَسْتَقِرَّ مكانَه.

فَرأى مُوسَى مَنْظَرًا أفْزَعَه، فخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾. فمُوسَى عليه الصلاة والسلام لم يَسْأَلِ اللهَ رُؤيَته شَكًّا في الأمرِ، لكن تَلَذُّذًا برُؤْيَةِ اللهِ عز وجل لقوةِ محبتِه للهِ سأل اللهَ أن يُريه نفسه ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾. فلمَّا كانَتِ الرُّؤْيَةُ مُتَعَذِّرَةً إلى هذا الحدِّ وصَعِقَ وأفاقَ قال: ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾. أي: تَنْزِيهًا لك أنْ تُدْرِكَكَ الأبْصارُ، أو أنْ تَرَاكَ الأبصارُ في هذه الدُّنْيَا.

﴿تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ تُبْتُ إليك؛ أي: مِن سؤالِ الرؤيةِ؛ لأنَّه سَأَل ما لا يُمْكِنُ في الدنيا.

﴿سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ يعني: أنني لم أسْأَلْ شَكًّا، بلْ أنا مُؤْمِنٌ، فهو سَأَل ربَّه أن يَراه تَلَذُّذًا برُؤْيَتِه؛ لأنَّ أنْعَمَ شيءٍ وأكبرَ نعيمٍ وأكبرَ فوزٍ لأهلِ الجنةِ هو أن يَروا اللهَ عز وجل.

وبالمناسبةِ يقولون: إنَّ الزَّمَخْشَرِيَّ صاحبَ التفسير المشهورِ الجَيِّدِ الذي كان مَن بعدَه عيالًا عليه -وهو مِن المعتزلةِ- ويقولُ عنه البَلْقِينيُّ: إنني اسْتَخْرَجْتُ مِن هذا التفسيرِ اعْتِزَالِيَّاتٍ بالمناقيشِ[2]، والذي يُؤْخَذُ بالمِنْقاشِ خَفِيٌّ جِدًّا، ومِن ذلك قولُه على هذه الآيةِ: ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَ﴾ [آل عمران:١٨٥]. قال: أيُّ فوزٍ أعظمُ مِن هذا؛ أن يُزَحْزَحَ عن النارِ، ويُدْخَلَ الجنةَ.

وهذا الكلامُ إذا قَرَأه الإنسانُ يقولُ: صحيحٌ، أيُّ فوزٍ أعظمُ مِن أنْ يُزَحْزَحَ الإنسانُ عن النارِ ويُدْخَلَ الجنةَ. لكنَّه يُريدُ بذلك نفْيَ رؤيةِ اللهِ عز وجل في الجنةِ؛ لأنَّ رؤيةَ اللهِ في الجنةِ أشدُّ فوزًا مِن أن يُزَحْزَحَ عن النارِ ويُدْخَلَ الجَنَّةَ.

فتَأمَّلْ كيفَ يتكلمُ هؤلاءِ الأذكياءُ بمثلِ هذا الكلامِ الذي لا يُدْرِكُه إلَّا مَن عَرَفَ مَذْهَبَه وعقيدَتَه، وأنا لو قَرَأْتُ هذا الكلامَ في تفسيرِ ابنِ كثيرٍ مثلًا، فإنني لا أَظُنُّ به هذا الظنَّ بل أقول: إذا دخل الجنة فمن نعيم الجنة أن يرى اللهَ، لكن لمَّا كان هذا الرجلُ قد عُلِم أنَّه يُنْكِرُ الرؤيةَ للهِ في الآخرةِ، صار هذا

---

(١) انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٢/ ٢٣٠).

(٢) انظر: «الاتقان» (٢/ ٥٠١)، و«كشف الظنون» (١/ ٤٣١)، و«أبجد العلوم» (٢/ ١٨٢).

الكلامُ إشارةً إلى أنّه لا رؤيةَ.

فالحاصل أننا نقولُ:

أولًا: إن عائشةَ رضي الله عنها اسْتَدَلَّتْ على نَفْيِ رؤيةِ النبيِّ ﷺ بالآيةِ، وهذا الاستلالُ غيرُ صحيحٍ؛ لأنَّ هذه الآيةَ اسْتَدَلَّ بها السلفُ على أنَّ اللهَ يُرَى في الآخرةِ.

ثانيًا: تقولُ: «ومَن حَدَّثك أنّه يعلمُ الغيبَ فقد كَذَبَ». وهذا صحيحٌ؛ لأنَّ اللهَ يقولُ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[النمل:٦٥]. فليست على هذا اللفظ، ولكنها ذكرت جُزءًا مِن الآيةِ يدلُّ على بعضِها.

فالحاصلُ: أنَّ الذي يُحدِّثُك أنه يَعْلَمُ الغيبَ، فإنَّه كاذبٌ، ولا يَكفِي أن نقولَ: إنَّه كاذبٌ، بل نقولُ: إنه كافرٌ. ولهذا قال النبيُّ ﷺ: «مَن أَتَى كَاهِنًا أو عَرَّافًا، فصَدَّقَه بما يقولُ، فقد كَفَر بما أُنزِل على محمدٍ»[1].

۞ وقولُها: «وهو يقولُ: لا يَعْلَمُ الغيبَ إلا اللهُ». يَحْتَمِلُ أنَّ المرادَ بقولِها: وهو. أي: اللهُ أو الرسولُ، لكن على كلِّ حالٍ، هي ذكَرَتْ هذا بالمَعْنَى.

*****

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥- باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ﴾[الحشر:٢٣].

نحن إذا نَظَرْنَا إلى صنيعِ البخاريِّ رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابِ التوحيدِ وجَدْنا أنّه يُصَدِّرُ غالبًا الأبوابَ بآياتٍ مِن القرآنِ؛ وذلك لأنَّ مِن المبتدعةِ مَن يَقولُ: لا نَقْبَلُ مِن أدلةِ الصفاتِ إلَّا ما كان مُتَواتِرًا، ولا نَقْبَلُ أخبارَ الآحادِ.

فأرادَ رَحِمَهُ اللَّهُ أنْ يُعَزِّزَ أخبارَ الآحادِ.

التي يَسُوقُها في الكتابِ بآياتٍ مِن القرآنِ؛ لِئَلَّا يَبْقَى عُذْرٌ لمَن رَدَّ هذه الأسماءَ أو الصفاتِ، وهذا مِن فِقْهِه رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأنَّ المبتدعةَ الذين يُحَكِّمُون العقلَ، ويَتَلَقَّوْن عَقِيدَتَهم في اللهِ مِن عُقُولِهم، يَقُولون: لا نَقْبَلُ أخبارَ الآحادِ في بابِ الصفاتِ؛ لأن خبرَ الآحادِ لا يُفيدُ إلا الظنَّ، والعقيدةُ يجَبُ أنْ تكونَ مَبْنِيَّةً على اليَقِينِ.

وقد رَدَّ ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ هذه القاعدةَ الباطلةَ بوجوهٍ كثيرةٍ في «الصواعقِ المرسلةِ على غَزْوِ الجَهْمِيَّةِ والمُعَطِّلَةِ»[2]، وهي جديرةٌ بأن تكونَ مَرْدُودَةً.

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٤٢٩) (٩٥٣٦)، والحاكم (١/ ٨) وصححه العراقي في أماليه «الفيض» (٦/ ٢٣)، والحافظ في «الفتح» (١٠/ ٢١٧).

(٢) «مختصر الصواعق المرسلة» ص٥٤٤.

والعجبُ أن هؤلاء يَقبَلُون ما يُؤَلِّفُه مشايخهم، ويصلُ إليهم مِن طريقه على وجهِ الآحادِ، ويَعْتَقِدُون ما قالَه شيوخُهم، مع أنَّها جاءَت عن غيرِ معصومٍ وبخَبرٍ أحادِيٍّ، وهذا مِمَّا يَدُلُّ على أنَّهم مُتَناقِضون.

قولُه: «بابُ قولِ اللهِ تعالَى: ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ﴾». السلامُ مِن أسماءِ اللهِ، والمُؤْمِنُ كذلك مِن أسماءِ اللهِ، والسلامُ في الأصلِ اسْمُ مَصْدرِ «سَلَّمَ»، والمَصْدرُ تَسْلِيمٌ، واسْمُ المَصْدرِ عندَ علماءِ النَّحْوِ هو ما كان بمَعْنَى المصدرِ، ولم يَتَضَمَّنْ حروف المصدرِ، مثلُ: كلام: اسمُ مصدرِ كَلَّمَ، وسلام: اسمُ مصدرِ سَلَّمَ.

فما مَعْنَى السَّلامِ الذي هو اسمٌ مِن أسماءِ اللهِ؟

قولُه: «السَّلامُ»: قلنا: إنَّه اسمُ مصدرٍ، فيَكُونُ الوَصْفُ به مِن بابِ المبالغةِ، أنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ سلامٌ؛ أي: سالمٌ مِن كلِّ عيبٍ ونَقْصٍ فحَيَاتُه ليسَ فيها نَقْصٌ، ولا عَيْبٌ، وعِلْمُه ليسَ فيه نَقْصٌ ولا عَيْبٌ، وقُدْرَتُه ليسَ فيها نَقْصٌ ولا عَيْبٌ، وسَمْعُه ليسَ فيه نَقْصٌ ولا عَيْبٌ، وبَصَرُه ليسَ فيه نَقْصٌ ولا عَيْبٌ، وهَلُمَّ جَرًّا.

كلُّ أسمائِه وصفاتِه ليسَ فيها نَقْصٌ ولا عَيْبٌ.

أما المُؤْمِنُ فهو مُشْتَقٌّ مِن الإيمانِ ومِن الأَمْنِ؛ أي: أنَّ الفِعْلَ آمَنَ أو أمَّن، ومَعْنَى المُؤْمِنِ: المُصَدِّقُ برُسُلِه بما جاءُوا به، قال اللهُ تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء:١٦٦]. وهذا تصديقٌ لما جاءَ به الرسولُ ﷺ، والآياتُ في هذا المَعْنَى كثيرةٌ، ومنها: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [المائدة:١٥]. ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [المائدة:١٩]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الأحزاب:٤٥]، والآياتُ في هذا كثيرةٌ.

فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُصَدِّقٌ برُسُلِه، ومُؤْمِنٌ أيضًا بمَعْنَى مُؤَمِّن؛ أي: يُؤَمِّنُ مَن يَسْتَحِقُّ الأَمَانَ، وهو المُؤْمِنُ، فالمُؤْمِنُ له الأَمْنُ من اللهِ، وقال اللهُ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨٢].

إذًا: فالمُؤْمِنُ لها مَعْنيانِ؛ وهما: مُؤْمِنٌ بمَعْنَى مُصَدِّقٍ لرُسُلِه، ومُؤْمِنٌ بمعنى مَنْ يَسْتَحِقُّ الأَمَانَ.

وقولُنا: إنَّه مُصَدِّقٌ رُسُلَه، وكذلك مُصَدِّقٌ لغيرِ الرسلِ مِمَّن شَهِد اللهُ لهم بالصدقِ، حينَ قال اللهُ تبارك وتعالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة:١٧٧].

*****

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٨١- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا مُغِيرَةُ حَدَّثَنَا شَقِيقُ بْنُ سَلَمَةَ قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ كُنَّا نُصَلِّي خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَقُولُ السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ فَقَالَ النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ وَلَكِنْ قُولُوا التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»[1].

من حُسْنِ تَعْلِيمِ الرَّسُولِ ﷺ أَنَّه لمَّا ذَكَرَ المَمْنُوعَ ذَكَرَ المَشْرُوعَ، فقد كانُوا يَقُولُون: السَّلامُ على اللهِ. وهي تحيةٌ، فيُسَلِّمُونَ على اللهِ، وهذه الكلمةُ لا تُقالُ لَمنْ لا يُمْكِنُ أَنْ يَلْحَقَه نَقْصٌ؛ لأنَّ السلامَ إنَّما يُدْعَى به لمن يَلْحَقُه النَّقْصُ.

أمَّا مَن هو مُتَنَزِّهٌ عن ذلك ﷻ فإنَّه لا يُقَالُ لهُ: السَّلامُ عليك. ولهذا أَبْدَلَهم النبيُّ ﷺ مِن هذه الكلمةِ غيرَها فأَمَرَهم أَنْ يَقُولُوا: التحياتُ للهِ. بَدَلَ: السلامِ على اللهِ؛ لأنَّ اللهَ ﷻ كاملٌ مِن كلِّ وَجْهٍ، فلا يَحْتَاجُ أَنْ يُدْعَى له بالسَّلامِ.

فقال النبيُّ عليه الصلاة والسلام: «إنَّ اللهَ هو السَّلامُ». فبَدَأَ بالتَّعْلِيلِ قبلَ الحُكْمِ، مِن أَجْلِ أَنْ يَرِدَ الحُكْمُ على النَّفْسِ، وهي مُطْمَئِنَّةٌ بما ذُكِرَ لها من العِلَّةِ. ثم ذَكَرَ ما يقولونَ هو: «التَّحِيَّاتُ للهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ».

✿ قولُه: «التَّحِيَّاتُ للهِ». اللامُ هنا للاخْتِصَاصِ والاستحقاقِ، والتحياتُ جَمْعُ تحيَّةٍ، وهي كلُّ لَفظٍ يَدُلُّ على التعظيمِ، وجُمِعَتْ باعْتِبَارِ أَنْوَاعِها وأَجْنَاسِها؛ أي: كلُّ جِنْسٍ ونَوْعٍ يَدُلُّ على التعظيمِ، فإنَّه خاصٌّ باللهِ، ومُسْتَحَقٌّ للهِ ﷻ؛ لأنَّه أَهْلٌ لأنْ يُعظَّمَ ﷻ.

✿ وقولُه: «والصلوات». يَعْنِي: الصَّلَواتُ للهِ.

✿ قولُهُ: «والطَّيِّبَاتُ» يَعْنِي: الطَّيِّبَاتُ للهِ.

والصلواتُ التي هي للهِ هي العِبَادَةُ المعروفَةُ، وقِيلَ: الدُّعَاءُ. وعلى هذا القولِ يكونُ مَحْمُولًا على الصلاةِ لغةً، والصلاةِ شَرْعًا، ولا مَانِعَ مِن أن يُقَالَ: إنَّه يَعُمُّ الصلواتِ التي هي الدُّعَاءُ، والصلواتِ التي هي العبادةُ المَعْرُوفَةُ؛ لأنَّ ذلك أَعَمُّ.

✿ وقولُه: «الطَّيِّبَاتُ». يَعْنِي: الأَوْصَافَ الطَّيِّبَاتِ للهِ، والأعمالَ الطَّيِّبَاتِ للهِ، فاللهُ ﷻ طَيِّبٌ، ولا يَقْبَلُ إلا الطَّيِّبَ، فكُلُّ طَيِّبٍ مِن الأَعْمَالِ للهِ، وكلُّ خَبِيثٍ مِن الأعمالِ، فإنَّ اللهَ لا يَقْبَلُه، وكلُّ وَصْفٍ طَيِّبٍ فهو للهِ ﷻ.

إذًا: «الطَّيِّبَاتُ» هنا وَصْفٌ لأوصافِ اللهِ، ووَصْفٌ للأعمالِ التي تُفْعَلُ للهِ، فكونُها وصْفًا لأوصافِ اللهِ؛ يَعْنِي: له كلُّ صفةٍ طيبةٍ، وكَوْنُها وصفًا للأعمالِ التي تُفْعَلُ للهِ، فهو لا يَقْبَلُ سبحانَه إلا الطَّيِّبَ.

ولهذا اسْتَحْضِرْ عندَما تَقْرَأُ هذا في الصَّلاةِ، أَنَّكَ إذا قُلْتَ: الطَّيِّبَاتُ. يعْنِي: أنَّه سبحانَه ذو الأوصافِ الطَّيِّبَاتِ، وأنَّه الذي لا يَقْبَلُ مِن الأعمالِ إلَّا الطَّيِّبَاتِ.

---

(١) رواه مسلم (٤٠٢).

المسلسل هو ما تتابع رجال إسناده على صفة أو حالة للرواة تارة وللرواية تارة أخرى «تدريب الراوي» (٢/ ١٨٧).

ولَمَّا بَدَأَ بحقِّ اللهِ ووَصف الله بِما يَستحِقُّ، ثنّى بحقِّ الرَّسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقال: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّها النَّبيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ». لأنّه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُحْتاجٌ إلى أن يُسَلِّمَه اللهُ، ولهذا كان دُعاءُ الأنبياءِ على الصِّراطِ يَوْمَ القِيامَةِ «اللهمَّ سَلِّم اللهم سلِّم»[1]. فالأنبياءُ مُحْتاجُونَ لأنْ يُسَلِّمَهم اللهُ عَجَّلَ.

وقوله: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّها النَّبِيُّ». يَرِدُ عليه إشْكَالٌ، وهو كافُ الخطابِ في قولِه: «عَليك». فإن كافَ الخطابِ في الجملةِ تُحَوِّلُها إلى مُخاطَبَةِ آدَمِيِّين. فإذا لَقِيتَ أخاكَ قلتَ: السلامُ عليك. تُخاطبُه بكافِ الخطابِ.

فكيفَ نجْمَعُ بينَ هذا وبينَ قولِ الرَّسولِ ﷺ: «إنَّ هذه الصلاةَ لا يَصْلُحُ فيها شيءٌ من كلامِ النّاسِ»؟[2]

الجوابُ عن هذا من أحد وَجْهَيْن:

الوَجْهُ الأَوَّلُ: أنَّ هذا مُسْتَثْنَى، فيكونُ العمومُ في قولِه: «مِن كلام النّاسِ». مَخْصُوصًا بهذا، فيقالُ تَبْطُلُ الصلاةُ بكافِ الخطابِ إلّا ما كانَ للهِ أو لرَسُولِه ﷺ؛ لأنّها لا تَبْطُلُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾. أو ما كان لرسوله، كقولِك: «السلامُ عليك أيُّها النبيُّ».

والوَجْهُ الثاني: أن يُقالَ هذا الخطابُ لا يُرادُ حَقِيقَتُه، وإنّما هو لقُوَّةِ اسْتِحْضَارِ المُصَلِّي صار كأنَّ النبيَّ ﷺ مُوَاجِهًا له، يُخاطِبُه.

وعلى هذا فلا يُرادُ بالخطابِ حَقِيقَتُه، والدليلُ لذلك أنَّ المصلِّيَ يَقُولُ: السَّلامُ عليك بصوتٍ خَفِيٍّ، لا يَسْمَعُه الرَّسُولُ ﷺ، ولو كان خطابًا حَقِيقيًّا لكان هذا نوعًا مِن السُّخْرِيةِ أو الاسْتِهْزَاءِ؛ لأني لو قلتُ: السلامُ عليك في نفسي ثم قُلْتُ لك: لِمَ لَمْ تَرُدَّ على السلامَ؟ تقولُ: ما سَلَّمْتَ.

إذًا: فلا يُرادُ بالخطابِ حقِيقَتُه هنا والدليل على هذا أمور:

أولًا: أن المُصَلِّيَ يُسِرُّ بهذا الخطابِ.

ثانيًا: أن المصلي يقول ذلك ولو كان في الشَّرْقِ والرَّسُولُ ﷺ في الغربِ.

ولهذا يُقَالُ حتَّى بعدَ مَوْتِ الرسولِ ﷺ: السلامُ عليك أيُّها النبيُّ. لأنّه لا يُراد بذلك حَقِيقةُ الخطابِ، وإنَّمَا المُرَادُ كما قَالَ شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابِ «اقتضاء الصراطِ المستقيمِ»: المرادُ قُوَّةُ الاستحضارِ، كأنَّه بينَ يَدَيْك تُخاطِبُه، فيقالُ هذا حتَّى بعدَ موتِ الرَّسولِ ﷺ[3].

وما أَخْرجه البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه، قال: كُنَّا نقولُ في حياةِ النبيِّ ﷺ: السلامُ عليك أيُّها النبيُّ. فلمَّا مَاتَ، قُلْنَا: السلامُ علَى النبيِّ[4]. فهذا مِن اجْتِهَادِه رضي الله عنه لكنَّه اجْتِهادٌ مُجَانِبٌ للصوابِ.

والصوابُ: أن نَقُولَ ما أَمَرَنا به الرسولُ ﷺ فَقد قالَ: «**قُولُوا السَّلامُ عليك أيُّها النبيُّ**». ولم يَقُلْ:

---

(١) رواه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي.

(٣) انظر «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٣٦٦، ٤١٦).

(٤) رواه البخاري (٦٢٦٥).

إِلَّا إذا مِتُّ. فلم يَسْتَثْنِ.

ثم إِنَّه قدْ رَوَى الإمامُ مالكٌ في المُوَطَّأ بسندٍ صحيحٍ أنَّ أميرَ المُؤْمِنين عُمَرَ بنَ الخطابِ خَطَبَ النَّاسَ، يُعَلِّمُهم التَّشَهُّدَ فقَالَ: «التَّحيَّاتُ للهِ والصلواتُ والطَّيِّباتُ، السَّلامُ عليك أَيُّها النَّبيُّ، ورحمةُ اللهِ وبركاتُه»[1]. فخَطَبَ رضي الله عنه بذلك في خِلَافَتِه بعدَ موتِ الرَّسولِ ﷺ، وعُمَرُ رضي الله عنه أَعْلَمُ مِن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه، وقَالَ هذا بمَحْضَرٍ مِن الصحابةِ رضي الله عنهم، ولم يُنْكِرْ عليه أحدٌ، وبهذا يكونُ قولُ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ: كُنَّا نقولُ: مِن بابِ الاجتهادِ ولكنَّ الصوابَ ما دَلَّ عليه الحديثُ، وما تَحَدَّثَ به أميرُ المؤمِنين عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه.

۞وقولُه: «السَّلامُ عليكَ أَيُّها النبيُّ ورحمةُ اللهِ وبركاتُه». هنا أَطْلَقَ كلمةَ «النبيُّ» وأَرَادَ بها النبيَّ الرَّسُولَ؛ لأنَّ محمدًا ﷺ نبيٌّ رسولٌ. وعَرَفْنَا أنَّه نبيٌّ رسولٌ مِن أدلةٍ أُخرَى واضحةٍ.

ولهذا نرَى اللهَ ﷻ يُطْلِقُ في القرآنِ وَصْفَ النَّبِيِّ علَى مَن هو نبيٌّ رسولٌ، كقولِه: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٥٦﴾ [مريم:٥٦]. وقولِه: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥١﴾ [مريم:٥١]. والأمثلة على ذلك كثيرةٌ.

فإن قال قائلٌ: ماذَا تَقُولُون في حديثِ البراءِ بنِ عَازِبٍ رضي الله عنه الذي علَّمه النبيُّ ﷺ، ما يقولُ إِذَا أَوَى إلى فراشِه، وفيه: «وَبِنَبِيِّكَ الَّذي أَرْسَلْتَ». فقال البراءُ لمَّا أعادَها على الرسولِ، قال: وبرسولِك الذي أرْسَلْتَ. فقال له النبيُّ ﷺ: «وَبِنَبِيِّكَ الَّذي أَرْسَلْتَ»[2]؟

فالجوابُ عن هذا مِن وَجْهَين:

الوجهُ الأولُ: أنَّ دَلَالَةَ الرسَالةِ على النُّبوةِ دَلَالَةُ التزامٍ؛ لأنَّه لا يُمكِنُ أن يكونَ رسولًا حتَّى يكونَ نبيًّا، وجَمْعُ النُّبُوةِ مع الرسالةِ دَلَالةُ مُطَابَقَةٍ؛ لأنَّه وَصَفَه بالوَصْفَينِ النبيِّ والذي أَرْسَلْتَ؛ أي: وصَفَه بالنبوةِ والرسالةِ.

والوجهُ الثاني: أنَّه إذا قَالَ: برسولِك الذي أَرْسَلْتَ، فإنَّه لا يُخرِجُ بذلك الرَّسولَ المَلَكِيَّ مثلَ جبريلَ؛ فإنَّ جبريلَ رسولٌ أَرْسَلَه اللهُ، لكن إذا قَالَ: بنَبِيِّك الذي أَرْسَلْتَ. خَرَجَ الرسولُ المَلَكِيُّ؛ وتَعَيَّنَ أن يكونَ المرادُ بالرسولِ الرسولَ البشريَّ، وهو محمدٌ ﷺ.

۞وفي قولِه: «السلامُ عَلَيْكَ أَيُّها النبيُّ ورَحْمَةُ اللهِ وبركاتُه». ثلاثُ هَدَايَا للرسولِ ﷺ وهي لَنَا أيضًا وللجميعِ، فقد دَعَوْنا له ﷺ بالسلامِ وبالرحمةِ وبالبركَةِ.

الرحمةُ ما يَحْصُلُ بها المَطْلُوبُ، فرَحْمَةُ اللهِ يَحْصُلُ بها المطلوبُ، والبَرَكَةُ يَنْتَشِرُ بها المَطْلُوبُ

---

(١) رواه مالك في «الموطأ»، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة (٥٣)، والشافعي في «الرسالة» ص٧٣٨ بتحقيق العلامة أحمد محمد شاكر، وقال عنه في الحاشية: قال الزيلعي في «نصب الراية» ١/ ٤٢٢: وهذا إسناد صحيح.

(٢) تقدم تخريجه.

والخَيْرُ، والبركةُ تَشْمَلُ البركةَ عليه وعلى آثارِه وسُنَّتِه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهذا هو الواقِعُ؛ يَعْنِي: قد أجابَ اللهُ الدُّعاءَ، ولكن نَدْعُو بذلك تَحْقِيقًا للمُسْتَقْبَلِ، فإنَّ رسالةَ النبيِّ ﷺ أَبْرَكُ الرِّسالاتِ وأَعَمُّها وأَشْمَلُها، فمَلَايِينُ المَلَايِينِ مِن البَشَرِ، كُلُّهم انْتَفَعُوا بها، وبركاتُها كثيرةٌ مَعْرُوفةٌ لمَن تَتَبَّعَ التَّارِيخَ.

۞ وأمَّا قَوْلُه: «السلامُ علينا وعلى عبادِ اللهِ الصَّالِحين». ففيه حَقُّنا نحن، فَحَقُّ اللهِ مُقَدَّمٌ على حَقِّنا، وحَقُّ الرسولِ مُقَدَّمٌ على حَقِّنا، ثم يأْتِي حَقُّنا بعدَ ذلك.

إِذًا: فحَقُّ رسولِ اللهِ علينا أَعْظَمُ مِن حَقِّ أَنْفُسِنا علينا، وحَقُّ اللهِ فوقَ ذلك.

۞ وقولُه: «السلامُ علينا وعلى عبادِ اللهِ الصَّالحين». فيه مِن حُسْنِ التعليم: أنَّه لمَّا جاءَ الدعاءُ العامُّ غيرُ الخاصِّ بالرسولِ ﷺ أَمَرَنا أن نَبْدَأَ بأَنْفُسِنا، فقال: «عَلَيْنا وعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالحين»، فقال: «عَلَيْنا» بالجَمْعِ، ومَقَامُ الدُّعاءِ مَقَامُ ذُلٍّ وخُضُوعٍ، و (نا) تَدُلُّ على التَّعْظِيمِ، فكَيفَ جاءَتْ بصيغةِ التَّعْظِيمِ؟

نَقُولُ: جاءَتْ بصيغةِ التَّعْظِيمِ؛ لأنَّ المُرادَ بها (علينا)؛ أي: مَعْشَر أُمَّةِ محمدٍ، لِقَرِينَةِ قولِه: السَّلامُ عليك أيُّها النبيُّ، وهو مُرْسَلٌ للأُمَّةِ، فيَكُونُ مَعْنَى السَّلامُ علينا؛ أي: معشرِ هذه الأُمَّةِ المُتَّبِعَةِ للنبيِّ ﷺ، فضميرُ الجَمْعِ هنا ليسَ للتَّعْظِيمِ، ولكنَّه يُرادُ به حَقِيقَةُ الجَمْعِ.

وقِيلَ: المرادُ السَّلامُ علينا؛ أي: مَعْشَرِ المُصَلِّين، وهذا يَصِحُّ إذا كُنَّا في جماعةٍ، لكِن إذا لَمْ نَكُنْ في جماعةٍ لا يَصِحُّ، وعلَى هذا فالمَعْنَى الأوَّلُ أَصَحُّ.

۞ قولُه: «وعلى عبادِ اللهِ الصَّالِحين». المرادُ بالعبادِ هنا: عُبُودِيَّةُ الذُّلِّ والخُضُوعِ الشَّرْعِيِّ؛ لأنَّ عُبُودِيَّتَنا للهِ عَزَّ وَجَلَّ قِسْمانِ:

أ- عُبُودِيَّةٌ تَتَضَمَّنُ الذُّلَّ والخُضُوعَ الكَوْنِيَّ: وهذه عامةٌ للإنسانِ والحيوانِ، وكلِّ شيءٍ، حتَّى الكافرُ عبدٌ للهِ، قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم:٩٣].

ب- عُبُودِيَّةُ ذُلٍّ وخُضُوعٍ شَرْعِيٍّ: وهذه خاصَّةٌ بالمؤمنين، ولهذا قُيِّدَتْ بقَوْلِه: «وعلى عبادِ اللهِ الصَّالِحين».

والصالحُ هو الذي صَلَحَ أَمْرُه، ولم يَعْتَرِهِ فَسَادٌ، بأن كان عَمَلُه خالِصًا للهِ مُتَّبِعًا فيه رسولَ اللهِ ﷺ، ويَتَضَمَّنُ هذا أن يَقُومَ هذا العبدُ بحقِّ اللهِ وحقِّ عبادِه، ولهذا فَسَّر بعضُهم الصَّالِحين بأنَّهم الذين قَامُوا بحقِّ اللهِ وحقِّ عبادِه.

وعبادُ اللهِ جَمْعٌ مُضَافٌ يُفِيدُ العُمُومَ، والذي وَضَعَ لنا هذه القَاعِدَةَ -وهي أنَّ الجَمْعَ المُضَافَ للعمومِ- رسولُ اللهِ ﷺ؛ لأنَّه قال: «فإنَّكم إذا قُلْتُم ذلك سَلَّمْتُم على كلِّ عبدٍ صالحٍ في السماءِ والأرضِ»[1].

إِذًا: فللعمومِ صِيَغٌ، ولكنَّ بعضَ الأصوليين قال: لا صيغةَ للعموم. وهذا غَلَطٌ، فالعمومُ له

(١) تقدم تخريجه.

صيغٌ، ولا شكَّ.

وقولُه: «أَشْهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وأَشْهَدُ أنَّ محمدًا عَبْدُه ورَسُولُه». الشَّهادَةُ تكونُ بالرُّؤْيَة الحِسِّيَّةِ؛ يَعْنِي: بما يُدْرَكُ بالحِسِّ، تقولُ: أَشْهَدُ على فلانٍ أنَّه فَعَلَ كذا. وهنا المُرادُ بالشهادةِ اليَقِينُ التامُّ، لكنْ لمَّا كان يَقِينًا تامًّا صارَ كأنَّه مَشْهُودًا.

وقولُه: «أن لا إلَهَ إلَّا اللهُ». إلهٌ بمَعْنَى مَأْلُوهٍ؛ أي: لا مَعْبُودَ إلَّا اللهُ، فالمَعْنَى أَشْهَدُ ألَّا مَعْبُودَ إلَّا اللهُ، ومَعْلُومٌ أنَّنا لو أَخَذْنا بهذا الظاهرِ لأدَّى ذلك إلى الكُفْرِ؛ لأنَّ الأَصْنامَ تُعْبَدُ، وتُسَمَّى آلِهَةً، فإذا قُلْنا: لا إلهَ إلا اللهُ. صارَ كلُّ ما يُعْبَدُ هو اللهُ.

ولهذا يَتَعَيَّنُ أنْ نَقُولَ: إنَّ خبرَ «لا» النَّافيةِ محذوفٌ، وتَقْدِيرُه: لا إلهَ حقٌّ إلَّا اللهُ، وبذلك يزولُ الإشكالُ؛ لأنَّ الآلهةَ التي تُعْبَدُ مِن دُونِ اللهِ باطِلَةٌ، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢].

وقَد قَدَّرَها بعضُ العلماءِ بقولِهم: لا إِلَهَ موجودٌ إلَّا اللهُ. وهذا غَلَطٌ، ويَرِد عليه الإشكال الذي سَبَق، ولهذا نَقُولُ: هذا التقْدِيرُ خَطَأٌ، والصوابُ: لا إلهَ حقٌّ إلا اللهُ.

فإذا قال قائلٌ: لماذا لم تَجعَلُوا لفظَ الجلالةِ «اللهُ» هو خبرَ «لا»، ولأن الأصلَ عدمُ التَّقْدِيرِ؟

قُلْنا: هذا لا يَصِحُّ لَفْظًا ولا مَعْنًى:

أمَّا كَوْنُه لا يَصِحُّ لَفْظًا؛ فلأنَّ «لا» النافيةَ لا تَعْمَلُ إلَّا في النَّكِراتِ، قال ابنُ مالكٍ:

عَمَلَ إنَّ اجْعَلْ لـ «لا» في نَكِرَة[1].

ولو قُلْنا:

إنَّ لَفْظَ الجَلَالَةِ «اللهُ» هو الخبرُ لأعْمَلْنَاها في المَعَارِفِ، وهذا لا يصِحُّ.

وأمَّا كَونُه لا يَصِحُّ مَعْنًى فلأنَّنا إذا قُلْنا: لا إلَهَ إلا اللهُ. وَرَدَ علينا الإشْكَالُ الذي ذكَرْنا أوَّلًا، وهو أنْ تَكُونَ الأَصْنامُ المعبودةُ، والتي تُدْعَى آلِهَةً، هي اللهُ، وهذا لا يَسْتَقِيمُ.

وقولُه: «وأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ». كلمةُ «مُحَمَّدًا» هُنا عَلَمٌ على مُحَمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ القُرَشِيِّ الهَاشِمِيِّ ﷺ.

وقولُه: «عَبْدُه وَرَسُولُهُ». هذه العبوديةُ أَخَصُّ العُبُودِيَّاتِ؛ يَعْنِي: عُبُوديةٌ شَرْعِيَّةٌ خاصَّةٌ بمحمدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فأبو بَكْرٍ عَبْدُ اللهِ، لكن لَيْسَت عُبُودِيَّةُ أبي بكرٍ كعُبُودِيَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ؛ لأنَّ عبوديةَ الأنبياءِ عُبوديةٌ خاصةٌ، وهي أخَصُّ العبودياتِ.

وقولُه: «وَرَسُولُهُ». رسولُه بمَعْنَى مُرْسَله إلى الثَّقَلَيْن: الإنْسِ والجِنِّ.

فإذا قال قائِلٌ: ما هو دَليلُك على ما شَهِدْتَ به، وهو أنَّه لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ؟

---

(١) ألفية ابن مالك، باب «لا» التي لنفي الجنس، البيت رقم (١٩٧).

قُلنا: أمَّا الأولُ فدَليلي على ذلك: الفِطْرةُ والقرآنُ والحِسُّ:

أمَّا القرآنُ: فقد قالَ اللهُ تبارَكَ وتعالَى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:١٨].

وأمَّا الفِطْرَةُ: فالإنسانُ الذي لم يُقَيَّض له شَيْطَانٌ، ولا بيئةٌ فَاسِدَةٌ يَشْهَدُ بِفطْرَتِه ألَّا إلهَ إلَّا اللهُ؛ لقولِ النبيِّ ﷺ: «كلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ على الفطرةِ»[1].

أمَّا الحِسُّ والواقعُ: فقد قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾. فإنَّ أولي العلمِ يَعْلَمُون بما يُحِسُّونه ويَعْقِلُونه من أنَّه لا إلَهَ إلَّا اللهُ.

وَمَا دَلِيلُك على أنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللهِ؟

نقولُ: الدَّلِيلُ هو قولُه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ [الأحزاب:٤٥]. وقولُه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:٢٩].

وقولُه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران:١٤٤].

وأمَّا كونهُ عبدًا فقد قالَ اللهُ تعالَى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان:١]. وقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة:٢٣].

إذًا: نحن نَشْهَدُ هذه الشَّهَادَةَ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ محمدًا عَبدُه ورسولُه بما دَلَّ عليهِ الكتابُ والسنةُ.

والشَّاهِدُ مِن هذا الحديثِ: قولُه: «إنَّ اللهَ هو السلامُ». فيكونُ مُطَابِقًا للآيَةِ الكريمةِ: ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ﴾ [الحشر:٢٣].

وأما قولَ القائِلِ: اللهمَّ صلِّ على سيدِنا محمدٍ. فلا يَصِحُّ ولا يَسْتَقِيمُ، ولا يَنْبَغِي، بل هو إلى البدعةِ أقربُ مِنه إلى السنةِ، وهو اسْتِدْراكٌ على النبيِّ ﷺ، وعلى الصحابةِ؛ فإنهم لما قالوا: كيف نُصَلِّي عليك؟ قال: «قُولُوا اللهمَّ صلِّ على محمدٍ». ولم نَعْلَمْ أنَّ أحدًا مِن الصحابةِ قال: اللهمَّ صلِّ على سيدِنا محمدٍ. فليسَ لنا أن نَزِيدَ على ما عَلَّمَنا رسولُ اللهِ ﷺ؛ لأنَّ فيه الكفايةَ.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦- باب قولِ اللهِ تعالى: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾. فيه ابنُ عُمَرَ عن النبي ﷺ[2].

قال الحافظُ في «الفتح» (١٣/ ٣٦٧):

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٣٦٧) قولُه: فيه ابن عمر عن النبي ﷺ؛ أي: يدخل في هذا الباب حديث ابن عمر، ومراده حديثه الآتي بعد اثني عشر بابًا في ترجمة قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص:٧٥]. وسيأتي شرحه هناك إن شاء الله تعالى. اهـ. وانظر: «الفتح» (١٣/ ٣٩٢).

قولُه: «بابُ قولِ اللهِ تعالَى: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾» قال البَيْهَقِيُّ: الملكُ والمالِكُ هو الخاصُّ الملكِ، ومَعْنَاه في حقِّ اللهِ تعالى: القادرُ على الإيجادِ، وهي صفةٌ يَسْتَحِقُّها لذَاتِه. وقالَ الرَّاغِبُ: المَلِكُ المُتَّصِفُ بالأمرِ والنَّهْيِ، وذلك يَخْتَصُّ بالنَّاطِقين، ولهذا قال: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾. ولَم يَقُلْ: مَلِكِ الأشياءِ.

قال: وأمَّا قولُه: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤]. فتَقْدِيرُه المَلِكُ في يومِ الدِّينِ؛ لقولِه ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ [غافر:١٦]. انتهى.

ويَحْتَمِلُ أن يكُونَ خَصَّ النَّاسَ بالذِّكرِ في قولِه تعالَى: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾؛ لأنَّ المخلوقاتِ جَمادٌ ونامٍ، والنَّامِي صَامِتٌ ونَاطِقٌ، والنَّاطِقُ مُتكَلِّمٌ وغيرُ مَتكَلِّمٍ، فأَشْرَفُ الجميعِ المُتكلِّمُ، وهم ثلاثٌ: الإنْسِ والجِنُّ والملائكةُ.

وكلُّ مَن عداهم جائزٌ دُخُولُه تَحتَ قَبْضَتِهم وتَصَرُّفِهم، وإذا كان المرادُ بالناسِ في الآيةِ المتكلِّمَ فمَن مَلَكُوه في مِلكِ مَن مَلَكَهم، فكانَ في حكمِ ما لو قال: مَلِكُ كلِّ شيءٍ، مع التَّنْوِيهِ بذكرِ الأشرفِ، وهو المتكلمُ. اهـ

قلتُ: القولُ بأنَّ المتكلمَةَ ثلاثةٌ؛ الإنسُ والجنُّ والملائكةُ غَلَطٌ، فالكلامُ يكونُ مِن غير هؤلاء الثلاثةِ، قال تعالى: ﴿عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ﴾ [النمل:١٦]. وقال أيضًا: ﴿أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ﴾ [النمل:٨٢].

ولهذا يَنْبَغِي الحَذَرُ مِن الحصرِ، فالحَصْرُ دائمًا يُكَذِّبُه الواقعُ، فلا تَحْصُرْ؛ لأن عِلْمَك قاصِرٌ، ولكن قُلْ: لا أَعْلَمُ إلَّا كذا وكذا. فهذا لا بأسَ به، وأنت إذا قُلتَ ذلك وتَبَيَّن خلافُ ما قُلْتَ صِرْتَ جَاهِلًا بسيطًا، و لكن إذا حَصَرْتَ وتبيَّن خلافُ قولِك صِرْتَ جَاهِلًا مُرَكَّبًا.

***

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٣٨٢- حدَّثَنا أحمدُ بنُ صالحٍ، حدَّثنا ابنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَني يُونُسُ، عن ابنِ شِهَابٍ، عن سعيدٍ هو ابنُ المُسَيِّبِ، عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «يَقْبِضُ اللهُ الأرضَ يومَ القيامةِ ويَطْوِي السماءَ بيَمِينِه، ثُمَّ يَقولُ: أنا المَلِكُ، أيْنَ مُلوكُ الأرْضِ؟»[1].

وقال شُعَيْبٌ والزُّبَيْدِيُّ وابنُ مُسَافِرٍ وإسحاقُ بنُ يَحيَى، عن الزُّهْرِيِّ، عن أبي سَلَمَةَ.

في هذه الترجمةِ إثباتُ المَلِكِ اسمًا مِن أسماءِ اللهِ، وقَدْ وَرَد على ثلاثةِ أوجه -فيما أَعْلَمُ-:

أولًا: مُضَافًا إلى الناسِ.

ثانيًا: ومُضَافًا إلى الدِّينِ.

---

(١) رواه مسلم (٢٧٨٧)، (٢٣).

ثالثًا: ومطلقًا.

فالمطلقُ كقولِه تَعالَى: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ [الحشر:٢٣].

والمضافُ إلى يوم الدينِ؛ كقوله تعالى: ﴿مَلِكْ يوم الدين﴾ على إحْدَى القِراءَتَين.

والمضافُ إلى الناسِ؛ كقوله تعالى: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾.

وبهذا نَعْرِفُ أنَّ المُلْكِيَّةَ المُطْلَقَةَ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ للهِ عَجَلَّ، فمَلِكُ الناسِ هو مَلِكُهم في الدُّنيا والآخرةِ، ومَلِكُ يومِ الدِّينِ هو المَلِكُ الذي تَظْهَرُ، مُلْكِيَّتُه أو مَلَكُوتُه في يوم الدِّينِ حينَ لا يُوجَدُ مَلِكٌ في ذلك الوَقْتِ، ولهذا يقولُ اللهُ عَجَلَّ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾. فيُجيبُ نَفْسَه: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

والمَلِكُ والمَالِكُ إذا جُمِع بينَهما، فإنَّه يظهرُ مِنهما كمالٌ لاجتمَاعِهما، زائدٌ على الكمالِ الذي يكونُ بانْفِرَادِهما؛ لأنَّ في قولِه: «مَالِكِ» تمامَ السُّلْطَةِ، وفي قولِه: «مَالِكِ» تمامَ التَّصرُّفِ والتَّدْبيرِ.

ولْنَضْرِب لذلك مَثَلًا في المخلوقِ، فقد يكونُ الإنسانُ مَالِكًا ولا يكونُ مَلِكًا، فكُلُّنا الآنَ مَالِكُون، والكتابُ معَكَ مُلْكٌ لك وأنتم أيضًا مُلوكٌ على بيوتكم رعاة.

وقد يكونُ الإنسانُ مَلِكًا ولا يكونُ مالِكًا؛ يَعْنِي: يكونُ مَلِكًا لا سلطةَ له، وهذا موجودٌ، كَمَلِكَةِ بريطانيا أو غيرِها ممن يكونُ مَلِكًا صُورَةً، فيُسْلَبُ المُلْكَ ببَرْلَمانٍ وانتخاباتٍ، وما أَشْبَهَ ذلك. فإذا اجْتَمَعَ مُلْكٌ ومَالِكٌ صَارَ بذلك تَمَامُ السُّلْطَةِ والسيطرةِ، وتمامُ التصرفِ والتدبيرِ، ولهذا جَاءَتِ القراءتَانِ تبين هذا المعنى و﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ و﴿مَلِكْ يوم الدين﴾[1].

إذن المَلِك مَن له تَمامُ السلطةِ والسيطرةِ، والمَالِكُ مَن له تمامُ التصرفِ والتدبيرِ، وكلا الوَصْفَيْن من خَصَائِصِ ربِّ العالمين عَجَلَّ، وهو مُتَّصِفٌ بهما حقيقةً، فهو مَلِكٌ، وهو مَالِكٌ، فلا أَحَدَ يَتَصَرَّفُ في مُلْكِه إلَّا بما شاءَ عَجَلَّ، ولا أحدَ يَشْفَعُ عندَه إلا بإذنِه.

فملوكُ الدُّنيا مهما بَلَغُوا مِن القوةِ والسيطرةِ يُشْفَعُ عندَهم بلا إذنٍ، فالزوجةُ مثلًا تستطيعُ أن تقولَ له: يا فلانُ، أَشْفَعُ لفلانٍ عِندَك. بدونِ أن تَسْتَأْذِنَ مِنه، وبعضُ النَّاسِ يكونُ لوزيرِه أو صديقِه قوةٌ يَسْتَطِيعُ بها أن يَشْفَعَ بلا إذنٍ عندَه، لكن الربَّ عَجَلَّ لقوةِ سُلْطَانِه لا يَشْفَعُ أحدٌ عندَه إلا بإذنه ولو كان أقْرَبَ الناسِ إليه عبادةً وخُضُوعًا.

فالنبيُّ ﷺ لا يَشْفَعُ إلا بإذنِ اللهِ، وهو أقربُ الناسِ إلى اللهِ، وأتَمُّهم عبوديةً، ومع ذلك لا يَسْتَطِيعُ أن يَشْفَعَ عندَ اللهِ إلَّا بإذنِ اللهِ، وذلك لكمالِ سلطانه عَجَلَّ.

وهو أيضًا مالكٌ له تَمامُ التَّصرُّفِ والتَّدْبيرِ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]. ولا أحدٌ يُضادُّ اللهَ في تَدْبيرِه أبدًا، حتَّى أكفرُ الكافِرين لا يُمكنُه أنْ يُضادَّ اللهَ عَجَلَّ في

---

(١) قرأ عاصم والكيسائي: «مالك» بألف، وقرأ الباقون بغير ألف. وانظر: «حجة القراءات» (١/ ٧٧-٧٩)، و«الحجة في القراءات السبع» (١/ ٦٢)، و«الأحرف السبعة» (١/ ٤٨)، و«تفسير الطبري» (١/ ٦٥).



التَّدْبِيرِ، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الواقعة:٨٣-٨٧]. وهذا تَحَدٍّ:

أولًا: هل يُمكِنُ لأكْبَرِ الناسِ سلطةً في العالمِ أنْ يَرْجِعَها إذا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ، فيرُدَّها إلى أسفلَ؟

الجواب: لا يمكن.

إذًا: تمامُ السُّلْطَةِ والتَّدْبِيرِ للهِ ربِّ العالمين ﷻ، فهو إذَن تامُّ المُلْكِ، وتَامُّ التَّدْبِيرِ والتَّصرُّفِ.

وهنا قال: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾. ولم يَقُلْ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾. لأنَّ لكلِّ مَقَامٍ مقالًا، فالسُّورَتَانِ؛ الفَلَقُ والنَّاسُ نَزَلَتا لنُصْرَةِ النبيِّ ﷺ مِن السِّحْرِ، ومَن الذي سَحَرَه[1]؟

الجوابُ: إنَّه واحدٌ مِن الناسِ، فكَانَتِ المُنَاسَبَةُ أن يُقَالَ: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ الذي بيَدِه السُّلْطَةُ والسَّيْطَرَةُ على الناسِ، ومِنْهم الذين سَحَرُوا النبيَّ ﷺ، ولهذا كَرَّر ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:٢-٣]. لهذا، فهو المَلِكُ، وهو الإلَهُ المَأْلُوهُ للناسِ ﷻ، فلكلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ، وهذا مِن بلاغةِ القرآنِ، والنبيُّ ﷺ سُحِر ورُقِي بهاتَيْن السُّورَتَيْن، وما تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ، بمثلِهما، ولا أحسنَ منهما لرَفْعِ السِّحْرِ، لكن بشَرْطِ أن يَكُونَ هناك صِدقٌ مِن قارئِها، وقَابِلِها؛ أي: المَقْرُوءِ عليه.

فإن كان في القارئِ شَكٌّ، أو في المَقْرُوءِ عليه شك، فإنَّ ذلك لا يَنْفَعُ، لكنْ إذا كان هناك قوَّةٌ ويَقِينٌ، فإنَّه بإذْنِ اللهِ يَنْفَعُ ولا أنفع منه، وهذا شيءٌ مُجَرَّبٌ لمن وُفِّق للإيمانِ واليَقِين، وصَارَ المَحَلُّ قَابِلًا، وهو المقروءُ عليه.

وأمَّا إذا كان المَحَلُّ غيرَ قابلٍ فلا يَنْفَعُ، فلو جَاءَ رَجُلٌ شُجَاعٌ قَوِيٌّ، ومَعه سَيْفٌ بَتَّارٌ، وأَتَى على حديدٍ صُلْبٍ لا يَنْثَنِي ولا يَلِينُ، فتَحَمَّسَ عليه، ونادَى: أنا أبو فُلانٍ. أنا أبو فُلانٍ ثُمَّ قَامَ، وضرَب بالسَّيْفِ على هذا الحديدِ الصُّلْبِ، فإنه يَنْقَطِعُ السَّيْفُ؛ لأنَّ المحلَّ غيرُ قابلٍ، فلا يَتَأَثَّرُ به، مع أنَّ الرَّجُلَ شُجَاعٌ، والسَّيفَ بتَّارٌ ولكن لا ينتفع لأن المحل غير قابل.

لكن لو جَاءَ هذا الشجاعُ بسيفٍ بَتَّارٍ على رقبةِ مُجْرِمٍ مُسْتَحِقٍّ للقتل ثُمَّ ضَرَبَه بعدَ أن انْفَعَل؛ لِتكونَ الضَّرْبَةُ حينئذٍ قويَّةً فلا شكَّ أنه يَتَأَثَّرُ وتَنْقَطِعُ رَقَبَتُه؛ لأنَّ المحلَّ قَابِلٌ، فرُبَّما تَقرأُ على إنسانٍ يَشُكُّ في الرقيةِ هل تَنْفَعُ أم لا؟ فمثلُ هذا لا تَنْفَعُه الرقيةُ.

إذًا: في هذه الآيةِ إثباتُ المُلْكِ للهِ وأنَّه عامٌّ، وسَبَقَ أن مُلْكَ اللهِ ﷻ لا يُشَابِهُه مُلْكُ المَخْلُوقِين؛ لأنَّ مُلْكَ المَخْلُوقِين محدودٌ ومُقَيَّدٌ.

ثُمَّ ذَكَر حديثَ أبي هُرَيْرَةَ، قال: «يَقْبِضُ اللهُ الأرضَ يومَ القيامةِ». الأرض كلُّها يَقْبِضُها اللهُ يومَ

---

(١) رواه عبد بن حميد في «مسنده» (١/ ١١٥، ٢٧١).

وعزاه صاحب «الدر المنثور» إلى ابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل»، من حديث عائشة، وأصله في «الصحيحين» البخاري (٥٧٦٣)، ومسلم (٢١٨٩) بغير ذكر المعوذتين.

القيامةِ، وشَاهِدُ هذا في القرآنِ: قولُه: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر:٦٧]. ويَطْوِي اللهُ السماءَ بيَمِينِه؛ لقولِه تعالَى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾. وهذا الطَّيُّ حَقِيقِيٌّ، وليسَ المرادُ قُوَّةَ السَّيْطَرَةِ على السماءِ، أو قُوَّةَ السيطرةِ على الأرضِ بل هو قَبْضٌ حَقِيقيٌّ للأرضِ، وطَيٌّ حَقِيقِيٌّ للسماءِ.

وجعَلَ اللهُ الطَّيَّ للسمواتِ لا القَبْضَ؛ لأنَّ السماءَ أوسعُ مِن الأرضِ وأشدُّ وأعْظَمُ، وطَيُّها أبْلَغُ في القدرةِ، وقد شَبَّه اللهُ هذا الطَّيَّ بقولِه: ﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء:١٠٤]. فلا إلَه إلَّا اللهُ، فهذه السمواتُ العظيمةُ يَطْوِيها بيَمِينِه كطيِّ السِّجِلِّ للكُتُبِ، ثم يقولُ: «**أنَا المَلِكُ، أينَ مُلوكُ الأرضِ؟**».

اللهُ أكبرُ، أينَ ملوكُ الأرضِ، وهلِ أحدٌ منهم يَرْفَعُ أُصْبُعَه؟

الجوابُ: لا؛ لأنَّه لا يُوجَدُ مَلِكٌ يومَ القيامةِ، فالنَّاسُ سواءٌ؛ أصغرُ الخَدَمِ وأقْوَى الملوكِ، فكلُّهم حفاةٌ، وكلُّهم عُرَاةٌ، وكلُّهم غُرْلٌ، فالمُلْكُ للهِ ﷻ، لذا يقولُ: «**أنَا المَلِكُ، أينَ مُلوكُ الأرضِ؟**».

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

قالَ شُعَيْبٌ، والزُّبَيْدِيُّ، وابنُ مُسَافِرٍ، وإسْحَاقُ بنُ يَحْيَى، عن الزهريِّ، عن أبي سَلَمَةَ. وحديثُ البابِ عن ابنِ شهابٍ، عن سعيدٍ، عن أبي هريرةَ.

قال الحافظُ ابنُ حجَرٍ في «الفتح»(١٣/ ٣٦٧):

۞ قولُه: «فيه ابنُ عمرَ عن النبيِّ ﷺ»؛ أيْ: يَدْخُل في هذا البابِ حديثُ ابنِ عُمَرَ، ومُرَادُه حَدِيثُه الآتِي بعدَ اثْنَيْ عَشَرَ بَابًا في ترجمةِ قولِه تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]. وسيأتِي شَرْحُه هُنَاك إن شاءَ اللهُ تعالَى.

ثُمَّ ذَكَر حديثَ أبي هُرَيْرَةَ: «**يَقْبِضُ اللهُ الأرضَ يومَ القيامةِ، ويَطْوِي السماءَ بيَمِينِه، ثُمَّ يَقُولُ: أنَا المَلِكُ، أينَ مُلوكُ الأرضِ**». أَخْرَجَه مِن رِوايَةِ يُونُسَ -وهو ابنُ يزيدَ- عن ابنِ شهابٍ بسندِه، ثُمَّ قالَ: وقالَ شُعَيْبٌ والزُّبَيْدِيُّ وابنُ مُسَافِرٍ وإسْحَاقُ بنُ يَحْيَى، عن الزهريِّ، عن أبي سَلَمَةَ مثلَه.

كذا وقع لأبي ذَرٍّ، وسقَط لغيرِه لَفْظُ «مثله»، وليسَ المُرادُ أنَّ أبا سلمةَ أَرْسَلَه، بل مرادُه أنَّه اخْتُلِفَ على ابنِ شِهَابٍ، وهو الزُّهْرِيُّ، في شيخِه، فقال يُونُسُ: هو سَعِيدُ بنُ المُسَيِّبِ. وقال الباقُونَ: أبو سَلَمَةَ، وكُلٌّ منهما يَرْوِيه عن أبي هريرةَ:

فأمَّا رِوَايَةُ شُعَيْبٍ -وهو ابنُ أبي حَمْزَةَ الحِمْصِيُّ- فسَتَأْتِي في البابِ المُشَارِ إليه في الحديثِ المُعَلَّقِ آنِفًا، فإنَّه قالَ هناكَ: وقال أبو اليَمانِ أنبأنا شُعَيْبٌ ... فذَكَر طَرَفًا مِن المتنِ، وقد وَصَلَه الدَّارِمِيُّ، قال: حدَّثنا الحَكَمُ بنُ نَافِعٍ، وهو أبو اليمانِ، فذكَره، وفيه: سَمِعْتُ أبا سَلَمَةَ يقولُ: قالَ أبو هُرَيْرَةَ.

وكذا أَخْرَجَه ابنُ خُزَيْمَةَ في كتابِ «التَّوْحِيدِ» مِن «صَحِيحِه»، عن محمدِ بن يَحْيَى الذُّهْلِيِّ، عن أبي اليَمانِ.

وأمَّا رِوايةُ الزُّبَيْدِيِّ -بِضَمِّ الزَّايِ، بعدَها مُوَحَّدَةٌ وهو محمدُ بنُ الوليدِ الحِمْصِيِّ- فوَصَلَها ابنُ خُزَيْمَةَ أيضًا، مِن طريقِ عبدِ اللهِ بنِ سالمٍ عنه، عن الزهريِّ، عن أبي سَلَمَةَ، عن أبي هريرةَ.

وأمَّا طريقُ ابنِ مُسَافِرٍ، وهو عبدُ الرحمنِ بنُ خالدِ بنِ مُسَافِرٍ الفَهْمِيُّ أميرُ مِصْرَ، نُسِبَ لجدِّه، فتَقَدَّمَتْ مَوْصُولَةً في تفسيرِ سورةِ الزمر، مِن طريقِ الليثِ بنِ سعدٍ عنه كذلك.

وأمَّا روايةُ إسحاقَ بنِ يَحْيَى، وهو الكَلْبِيُّ، فَوَصَلَها الذُّهْلِيُّ في الزُّهْرِيَّاتِ، قال الإسماعيليُّ: وافقَ الجماعةُ عبيدَ اللهِ بنَ زيادٍ الرُّصَافِيِّ في أبي سَلَمَةَ.

قلتُ: وأَخْرَجَه ابنُ أبي حاتمٍ، مِن طريقِ الصَّدَفِيِّ، عن الزُّهْرِيِّ كذلك، ونَقَل ابنُ خُزَيْمَةَ، عن محمدِ بنِ يَحْيَى الذُّهْلِيِّ أنَّ الطَّرِيقَيْنِ مَحْفُوظَانِ. انتهى.

وَصَنيعُ البخاريِّ يَقْتَضِي ذلك، وإن كان الذي تَقْتَضِيه القَوَاعِدُ تَرْجِيحَ رِوَايَةِ شُعَيْبٍ لكثرةِ مَن تَابَعَه، لكن يُونُسُ كان مِن خَوَاصِّ الزهريِّ الملازِمين له. اهـ

البخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ -كما قال الحافظُ- صنيعُه يَقْتَضِي أنَّ الطَّرِيقَيْن صَحِيحانِ، وهذا مِن فِقْهِ البخاريِّ؛ لأنَّ الطريقَ الأولَ -طريقَ يُونُسَ- يَتَرَجَّحُ لمُلَازَمَتِه لابنِ شِهَابٍ، ومعلومٌ أنَّ المُلَازِمَ أَعْلَمُ مِن غيرِ المُلَازِمِ؛ يَعْنِي: أنَّ مَن صَحِبَك لا يُمَاثِلُه مَن لَاقَاكَ مَرَّةً مِن المَرَّاتِ.

لكنَّ الطريقَ الأُخْرَى، عن أبي سلمةَ، عن أبي هريرةَ بَدَلَ سعيدِ بنِ المسيبِ رَوَاهَا أربعةٌ: شُعَيْبٌ والزُّبَيْدِيُّ، وابنُ مُسَافِرٍ، وإسحاقُ، فتَرَجَّحَت بهذه الكثرةِ والمتابعاتِ، وهذه تَرَجَّحت بكثرةِ الملازمةِ، وعلى هذا فنقولُ: الطَّرِيقانِ صَحِيحَانِ.

۞ قَولُه: «يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». هذا القبضُ قَبْضٌ حَقِيقِيٌّ، فهو يَقْبِضُها عَزَّوَجَلَّ بيدِه.

۞ قولُه: «وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ»؛ أي: بيدِه اليُمْنَى، وهذا يُشِيرُ إلى أنَّ للهِ تَعَالَى يَدين اثْنَتين، وقد دَلَّ على ثُبُوتِ اليَدَيْن للهِ عَزَّوَجَلَّ الكِتَابُ والسُّنَّةُ وإجماعُ السَّلَفِ:

ففي كتابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ قال اللهُ تعالَى لإبليسَ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾. فأضافَ الخَلْقَ إليه وجعَلَه باليدِ، وهذا يَدُلُّ على أنَّه ليسَ المرادُ باليدِ الذاتَ، وإنَّما المرادُ بها اليدُ الحَقِيقِيَّةُ.

وقالَ اللهُ تبارَك وتعالَى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤].

وقالَ اللهُ تبارَك وتعالَى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك:١]. وقالَ تعالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾[1] [يس:٧١].

---

(١) قال سماحة الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ في «شرح العقيدة الواسطية» (١/ ٣٠٢): إن المراد باليد هنا نفس الذات التي لها يد، وقد قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم:٤١]. أي: بما كسبوا سواء كان من كسب اليد أو الرجل أو اللسان أو غيرها من أجزاء البدن لكن يعبر بمثل هذا التعبير عن الفاعل نفسه ولهذا نقول: إن الأنعام التي =

فهذه الآياتُ كلُّها تَدُلُّ على ثُبوتِ اليدِ للهِ ﷻ، ولكنَّها يدٌ لا تُماثِلُها أيْدِي المخْلُوقِين؛ لأنَّها يدٌ عَظِيمةٌ، كما جاءَ في هذا الحديثِ، أن اللهَ يَقْبِضُ بها الأرضَ ويَطْوِي بها السماءَ.

وقد جاء عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال: «ما السمواتُ السبعُ والأَرَضُون السبعُ في كفِّ اللهِ إلَّا كخَرْدَلَةٍ في كَفِّ أحدِكم»[1]. وهذا يَدُلُّ على عظمةِ هذه اليدِ، وأنَّه لا يُمْكِنُ أن يَتَصَوَّرَ الإنسانُ عَظَمَتَها، وقَدْرَها.

والبَحْثُ فيها -أيْ: في اليدِ- من وُجُوهٍ:

الوجهُ الأولُ: هل هي حقيقةٌ أو مجازٌ عن القدرةِ أو القوةِ؟

الجوابُ: أنَّ مذهَبَ السلفِ -كما هو قاعدةٌ أصِيلَةٌ- أنَّها حقيقةٌ؛ لأنَّ الأصْلَ فيما أضَافَه اللهُ إلى نَفْسِه أنَّه حَقِيقَةٌ، ولكنَّها حَقِيقَةٌ مُنَزَّهَةٌ عن التَّمْثِيلِ، وعن التَّكْيِيفِ؛ أي أنها لا تُمَثَّلُ بأَيْدِي المَخْلُوقِين، ولا تُكَيَّفُ بحيثُ يَتَصَوَّرُ الإنسانُ لها كَيْفِيَّةً.

وأمَّا مَن قال: إنَّ المُرادَ بها القُدْرَةُ أو القُوَّةُ. فقولُه باطلٌ مِن عِدَّةِ أَوْجُهٍ:

الوجهُ الأولُ: إجماعُ السَّلَفِ على خلافِ هذا القولِ.

فإنْ قالَ قائلٌ: أينَ إجْمَاعُ السلفِ؟

قُلْنَا: إنَّ الصَّحابَةَ يَتْلُونَ كِتابَ اللهِ، ويُؤْمِنُون به بمُقْتَضَى اللغةِ العربيةِ، فإذا لم يَرِدْ عنهم نقلٌ في مُخالَفَةِ مُقْتَضَى اللغةِ العربيةِ، عَلِمْنَا عِلْمَ اليَقِينِ أنَّهم أجْرَوا النَّصَّ على ظاهرِه؛ إذ لا يُمْكِنُ أنْ تأْتِيَ عن كلِّ صحابيٍّ أنَّه قالَ: المرادُ باليدِ: اليدُ الحقيقيةُ.

لكن إذا كانُوا يَتْلُونَ الكِتابَ، واليدُ في الكِتابِ بمُقْتَضَى اللسانِ العربيِّ الذِي نَزَل به القرآنُ هي اليدُ الحقيقيةُ، ولم يَرِدْ عنهم حَرْفٌ واحدٌ يَدُلُّ على نَقْلِها إلى المَعْنَى الآخرِ عَلِمْنا أنَّهم مُتَّفِقُون على ذلك، وهذا يَجْرِي في اليدِ، وفي غيرِها مِن الصفاتِ.

الوجهُ الثاني مِن الردِّ على القولِ بأنَّها القدرةُ أو القوةُ أو النعمةُ:

أنَّ القُدْرَةَ أو النِّعْمَةَ أو القُوَّةَ لا يَصِحُّ أن تُثَنَّى بالنسبةِ للهِ ﷻ، إذ ما هما القُدْرَتَانِ؟! وما هما القوَّتَانِ؟! وما هما النِّعْمَتَانِ؟!.

فقُوَّةُ اللهِ تبارك وتعالى صِفَةٌ واحِدةٌ لا تَتجزَّأُ، ولا تَتعَدَّدُ، وكذلك قُدْرَتُه، أمَّا نِعْمَتُه فقد قالَ اللهُ عنها: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل:١٨]. فلا تَنْحَصِرُ في نِعْمَتين.

الوَجْهُ الثالثُ: أنَّه لو كان المرادُ باليدِ القوةَ ما صَحَّ أن يَحْتَجَّ إبْلِيسُ بما احْتَجَّ به لمَّا أُمِرَ أن يَسْجُدَ

=

هي الإبل لم يخلقها الله تعالى بيده وفرق بين قوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ﴾ [يس:٧١]. ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]. فما عملت أيدينا كأنه قال «مما عملنا» لأن المراد باليد ذات الله التي لها يد، والمراد ﴿بِيَدَيَّ﴾ اليدان دون الذات. اهـ

(١) رواه ابن جرير في «تفسيره»، عن ابن عباس رضي الله عنهما (٢٤/ ٢٥)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١٠٩٠)، والطبراني في «التفسير» (٢٤/ ٥٤).

لآدمَ حيثُ قالَ اللهُ له: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (٧٦)﴾ [ص:٧٥-٧٦].

لأنَّه لو صَحَّ أن يكونَ المرادُ باليدِ القدرةَ أو القوةَ، لقالَ: يا ربِّ، وأيُّ فَضْل له عليَّ، وقد خَلَقْتَني أيضًا بقُدْرتك وقُوَّتك؟! فيكونُ حُجَّةً لإبليسَ أنْ يَقُولَ: يَاربِّ، أيُّ مَزِيَّةٍ لآدمَ، فإنَّه خُلِقَ بقُدْرَتِك، وأنا أيضًا خُلِقْتُ بقُدْرَتِك؟! ولم يأتِ بعلةٍ أُخرَى قد تُقْبَلُ وقد لا تُقْبَلُ، وهي غيرُ مقبولةٍ.

الوَجْهُ الرَّابعُ: أنَّ هذه اليَدَ جاءَتْ على وجوهٍ مُتَعَدِّدةٍ فقد جَاءَتْ بلفظِ الكفِّ، وجَاءَتْ بِذِكْرِ الأَصَابعِ، وجَاءَتْ بلَفْظِ اليمينِ؛ كما في قوله ﷺ: «وَكِلْتَا يَدَيْه يمينٌ»[1]. فَيَمْتَنِعُ مع هذا التنوعِ فيما جَاءَتْ عَلَيْه أنْ يَكُونَ المرادُ بها القوةَ أو القدرةَ.

الوَجْهُ الخامسُ: أنْ نَقُولَ لهم: لماذا فَرَرْتُم عن تَفْسِيرِها باليدِ الحقيقيةِ؟ فإذا قالُوا: لأن اليدَ جَارِحَةٌ، واللهُ مُنَزَّهٌ عن الجوارحِ.

نَقُولُ: فَصِّلُوا لنَا الجَارِحَةَ هذه، فالجارِحةُ لم يَرِدْ نَفْيُها، ولا إثْبَاتُها بالنسبةِ للهِ ﷻ، فماذا تُرِيدُونَ بالجارحةِ التي تَوَصَّلْتُم بنَفْيِها إلى نَفْيِ ما أَثْبَتَ اللهُ لنفسِه؟ أَتُرِيدُون بالجارحةِ أنَّه ﷻ يَكْتُبُ بها، ويَعْمَلُ بها ليكسب؟ أم تُرِيدُون بالجارحةِ أنَّه يَأْخُذُ بها؟

إن أَرَادُوا الأولَ، هو بَاطِلٌ، وإن أَرَادُوا الثانيَ فهو حَقٌّ، وكَوْنُهم يَتَوَصَّلُون إلى نَفْيِ هذا الحقِّ بنَفْيِ الجارحةِ هذا لا شَكَّ أنَّه مِن القولِ على اللهِ بلا علم.

وإن قَالُوا: نَنْفِي عنه اليدَ؛ لأنَّنا لو أَثْبَتْنَا له اليدَ الحقيقيةَ شَبَّهْنَاه بالمخلوقِ الذي له يدٌ حقيقيةٌ،فنَقُولُ: أنتم صَرَفْتُم المَعْنَى إلى القوةِ، وللمَخْلُوقِ قُوَّةٌ، فوَقَعْتُم في مثلِ ما فَرَرْتُم به، وزِدْتُم أنَّكم حَرَّفْتُم النَّصَّ عن ظَاهِرِه، فَجَنَيْتُم جِنَايتَيْن، ولم تَتَخَلَّصُوا مِن التَّشْبِيهِ على قَاعِدَتِكم.

وإن قُلْتُم: المرادُ بها القُدْرَةُ. قُلْنَا: للمخلوقِ: قَدْرَةٌ أيضًا، قال تعالى: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ [البقرة:٢٦٤]. وبه تكونون قد وَقَعْتُم في نظيرِ ما فَرَرْتُم مِنْه.

وإن قُلْتُم: المُرَادُ بها النِّعْمَةُ. قُلْنَا: وللمخلوقِ نِعْمَةٌ قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب:٣٧].

إذًا: فمَهْمَا فَرُّوا، فهُم مُدْرَكون؛ لأنَّ قَوْلَهم بَاطِلٌ.

البَحْثُ الثَّاني: اليَدُ وَرَدَتْ في القرآنِ على ثلاثةِ أَوْجُهٍ؛ الإفْرَادُ والتَّثْنِيَةُ والجَمْعُ، وقد يَبْدُو للإنسانِ أنَّ هذا تَنَاقُضٌ، ولكن لا تَنَاقُضَ في ذلك، ولا يُمْكِنُ أن يُوجَدَ تَنَاقُضٌ في كِتَابِ اللهِ ﷻ، ولا بينَ كتابِ اللهِ وما صَحَّ عن رسولِ اللهِ أبدًا، ولا بينَ كتابِ اللهِ وما صَحَّ عن رسولِ اللهِ وبينَ ما يَقْتَضِيه العقلُ الصَّرِيحُ.

---

(١) رواه مسلم (١٨٢٧).

فهذه ثلاثةُ أشياءَ، ونَعْنِي بالعقل الصَّريحِ: السَّالِمَ مِن الشُّبُهاتِ والشَّهَوَاتِ؛ يَعْنِي: أنَّه عَقْلٌ مَبْنِيٌّ على العلمِ، فليسَ عِنْدَه شُبْهَةٌ، وَمَبْنِيٌّ على حُسْنِ القَصْدِ، وإرادَةِ الحَقِّ، فليسَ عندَه شَهْوَةٌ أي إرادةُ غيرِ الحقِّ، فإذا كانَ الأمرُ كذلك فلا تَنَاقُضَ بينَ الإفرادِ والتَّثْنِيَةِ والجَمْعِ التي وَرَدَتْ في اليدِ، ولكن كيف الجَمْعُ؟

نَقُولُ: أمَّا المُفْرَدُ، فإنَّه مُضَافٌ، والمُفْرَدُ المُضَافُ صَالِحٌ للواحدِ والمُتَعَدِّدِ، ألم تَرَ قَولَ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾. «فنِعْمَة» مُفْرَدٌ مُضَافٌ، يَشْمَلُ مِن النعمِ ما لا نُحْصِيه، وعليه فالمُفْرَدُ المضافُ في اليدِ لا يُنَافِي التَّعَدُّدَ.

إذًا: أَسقَطَ عنَّا ظَنُّ التَّنَاقُضِ بالنسبةِ للمُفْرَدِ والتثنيةِ والجمعِ. وبَقِي عندَنا التثنيةُ والجمعُ، فنَقُولُ: أمَّا التَّثْنِيَةُ والجمعُ، فإن قُلْنَا بأنَّ أقلَّ الجمعِ اثنَانِ، كما ذَهَبَ إليه بعضُ النُّحَاةِ، وكما هو مَوْجُودٌ في آياتِ المَوارِيثِ، فإنَّ أقلَّ الجمعِ في آياتِ المواريثِ اثْنَانِ، وكذلك صلاةُ الجماعةِ تحصُلُ باثْنين، إنْ قُلْنَا: أقلُّ الجمعِ اثنان. فلا إشْكَالَ؛ لأنَّه يُحْمَلُ الجمعُ على أقَلِّه، فيكونُ اثْنين، فيُطَابِقُ المُثَنَّى، ولا إشْكَالَ في هذا. وإنْ قُلْنَا بالمَشْهُورِ، وهو أنَّ أقلَّ الجمعِ ثلاثةٌ، فحينئذٍ يكونُ عندَنا عددانِ؛ اثْنَانِ وثلاثةٌ، نحْتَاجُ إلى جمعٍ بينَهما، قالَ أهلُ العلمِ: الجمعُ بينَهما أن يُقَالَ: إنَّ صيغةَ الجمعِ لا يُرادُ بها مَعْنَى الجمعِ، وإنَّما يُرَادُ بها التَّعْظِيمُ، مُوافقةً لضميرِ الجمعِ، وهو أيدينا فإنَّ «نا» ضَمِيرُ جَمْعٍ ولكن بالنسبةِ لإضَافَتِها إلى اللهِ لا يُمْكِنُ أن يَكُونَ المُرادُ بها جمع التعددَ.

فإذا كانت «نا» الدَّالةُ على الجمعِ للتعظيمِ كان الأنسبُ لفظًا ومَعْنًى أنْ يكونَ المضافُ إليها بصيغةِ الجمعِ مِن أجلِ التَّنَاسُبِ بينَ المُضَافِ والمُضَافِ إليه.

ويُبيِّنُ لكَ هذا أنَّه لو كانَ تَفْسِيرُ الآيَةِ ﴿مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا﴾، لوَجَدْتَ هناك تَنَافُرًا بينَ «يدَا» المُثَنَّى والضَّمِيرِ، فلهذا كانَ المناسبُ لَفظًا ومَعْنًى أن تُصَاغَ اليَدُ بصيغةِ الجمعِ.

وبذلك يَتَبَيَّنُ أنَّه لا تَعارُضَ بينَ مَجِيءِ اليَدِ بصيغةِ التَّثْنِيَةِ، وصِيغَةِ الجمعِ، وصِيغَةِ الإفْرَادِ.

البحثُ الثالثُ: هذه اليَدُ لا يَلْزَمُ، بلْ لا يَجُوزُ أن تَكُونَ كيدِ المخلوقِ، ولكن ما وَرَدَ من الكتابِ أو السُّنَّةِ في وَصْفِها بما تُوصَفُ به يَدُ المخلوقِ، فإنَّه يَجِبُ إثْبَاتُه، فهذه اليَدُ وُصِفَتْ باليَمِينِ، كما في الآيةِ: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ فهل تُوصَفُ بالشمالِ، كما أنَّ المخلوقَ له يدٌ يمينٌ وشمَالٌ؟

الجوابُ: في هذا خلافٌ بينَ العلماءِ.

فمِنْهم مَن قَالَ: إنَّه يَصِحُّ أن تُوصَفَ بالشمالِ، كما جاءَ ذلك في «الصحيحِ»[1].

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم (٢٧٨٨) وقد ضعَّف هذه الرواية البيهقي من ناحية الإسناد، فقال في «الأسماء والصفات» (١/ ٣٢٤): ذكر الشمال فيه تفرد به عمر بن حمزة عن سالم، وقد رَوَى هذا الحديثَ نافع وعبيد الله بن مِقْسَم عن ابن عمر، ولم يذكر فيه الشمال. اهـ وضعفها أيضًا من ناحية المتن، فقال في «الأسماء والصفا» (١/ ٣٢٤) وكيف يصح ذلك، وقد صح عن النبي ﷺ أنه سَمَّى كلتا يديه يمينًا؟!



ومنهم مَن قَالَ: لا تُوصَفُ بالشمالِ، وما جاءَ في «الصحيح» فإنَّه شاذٌّ، أو وَهْمٌ مِن الرَّاوِي، ودليلُ ذلك قولُ النبيِّ ﷺ: «وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»[1].

والحقيقةُ أنَّ هذا اللفظَ، أو هذه الجملةَ لَا تمْنعُ من إثْباتِ الشمالِ؛ لأنَّ الرسولَ ﷺ لمَّا ذَكَرَ الشِّمَالَ، وقال: «وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ» إنما قاله لدفعِ تَوَهُّمِ نَقْصٍ في الشمالِ؛ لأنَّ المعروفَ في المخلوقاتِ أنَّ اليدَ الشمالَ فيها نَقْصٌ عن اليَدِ اليمينِ.

فإذا أُثْبِتَتِ الشِّمَالَ فقد يَتوَهَّمُ وَاهِمٌ أنَّها أَنْقَصُ مِن اليمينِ، فقَالَ: «وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ». أي: أنَّهما لا يَخْتَلِفَان في الكمالِ، فكِلَاهما كاملةٌ.

ويَنْبَنِي على هذه المسألةِ أو هذه القاعدةِ سؤالٌ، وَهو هل تُوصَفُ بالكفِّ، وهل له أصابعُ، وهل له أنَامِلُ؟

الجوابُ: لا يَلْزَمُ مِن إثباتِ اليدِ أنْ يَكُونَ له كفٌّ أو أَنَامِلُ أو أَصَابِعُ، لكن إذا وَرَدَ أنَّ للهِ تعالَى كفًّا، وأن له أنامَل، وأن له أصابعَ، فالواجبُ إثباتُها بدَلالةِ اللُّزُوم، وأنَّه يَلْزَمُ من إثْبَاتِ اليدِ إثْبَاتُ الكَفِّ والأنَامِلِ والأصَابِعِ، أو بدَلالةِ التَّضَمُّنِ أو المطابقةِ؛ أي: بدَلَالةٍ مُسْتَقِلَّةٍ عن دلالةِ اللُّزومِ باليدِ؟

الجوابُ: الثاني هو المُتَعَيِّنُ، وهو أن نَقُولَ: لولا أنَّ النصوصَ جَاءَت بثُبُوتِ الكفِّ، وثبوتِ الأصابع، وثبُوتِ الأناملِ ما أَثْبَتْنَاها مِن أجْلِ ثُبُوتِ اليدِ؛ لأنَّ هذه صفاتٌ ليدِ المخلوقِ، ولا يَلْزَمُ مِن ثُبُوتِها في يدِ المخلوقِ أن تَثْبُتَ للهِ، لكن إذا جاءت بها السُّنَّةُ وَجَبَ علينا قَبُولُها.

وهل إذا أُثْبِتَتِ الأَصَابعُ يَلْزَمُ أن تكُونَ خَمْسَةً في كلِّ يدٍ ولا أن تكُونَ أَقَلَّ، أو أكثرَ؟

الجوابُ: لا يَلْزَمُ، لكن الذي بَلَغَنا أنها خَمْسَةُ أَصَابعَ، وذلك حِينمَا تَحَدَّثَ النبيُّ ﷺ في حديثِ ابنِ مَسْعودٍ: «أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ...» فَذكرَ خمسةً[2].

لكن لا يَلْزَمُ مِن عدم ذِكرِ الخمسةِ ألَّا تزيدَ، فلهذا نَقُولُ: نُثْبِتُ مِن عَدَدِ الأصابعِ ما ثَبَتَ للهِ، والباقي نَسْكُتُ عنه، وهذا هو مَذْهَبُ أهلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ، أنَّ ما لم يَرِدْ فاسْكُتْ عنه، وما وَرَدَ فأثْبِتْه، وهذا هو ما يَتَعَلَّقُ بصفةِ اليَدِ.

والمُهِمُّ: أن نُؤْمِنَ بأنَّ للهِ تعالَى يدًا حَقِيقِيةً يَأْخُذُ بها ويَقْبِضُ، وأنها لا تُمَاثِلُ أَيْدِيَ المَخْلُوقِين، ولا يَجُوزُ أنْ نُكَيِّفَها.

فأمَّا نَفْيُ التَّمْثِيلِ؛ لقَوْلِه تعالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]. وهذا عامٌّ في جميعِ صِفَاتِه.

وأمَّا نفيُ التَّكْيِيفِ؛ لقَوْلِه تعالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦]. ولقولِه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٧٤١٤)، ومسلم (٢٧٨٦).

﴿ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣]. هذه هي عَقِيدَتُنا فيما يَتعلَّق بيدِ اللهِ عز وجل.

*****

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رحمه الله:

٧- بابُ قولِ اللهِ تعالَى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم:٤]. ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصافات:١٨٠]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾ [المنافقون:٨]. ومَن حَلَفَ بعزةِ اللهِ وصفاتِه. وقال أنسٌ: قال النبيُّ ﷺ: «تقولُ جهنَّمُ: قَطْ قَطْ[١] وعزتِك».

وقال أبو هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ: «يَبْقَى رجلٌ بينَ الجنةِ والنارِ، وهو آخِرُ أهلِ النارِ دخولًا الجنةَ، فيقولُ: ربِّ اصرفْ وجهي عن النارِ، لا وعزتِك لا أسألك غيرَها».

قال أبو سعيدٍ: إنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «قال اللهُ عز وجل: لك ذلك وعشرةُ أمثالِه».

وقال أيوبُ عليه الصلاة والسلام: «وعزتِك لا غِنَى لي عن بركتِك»[٢].

هذا البابُ تَضَمَّنَ اسْمَيْن مِن أسماءِ اللهِ؛ أوَّلُهما: العزيزُ، والثاني: الحَكِيمُ.

فأمَّا العزيزُ فلَه اشْتِقَاقَاتٌ في اللغةِ العربيةِ، فهو مَأْخُوذٌ مِن عَزَّ؛ أي: امْتَنَعَ، ومِن عَزَّ؛ أيْ: قَلَّ، ومِن عَزَّ؛ أي: قَوِيَ:

۞ فقولُه تعالَى: ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم:٢٠]. أي: بمُمْتَنِعٍ.

۞ وقولُه: ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ [ص:٢٣]. أي: غَلَبَنِي. وقولُهم: هذه أَرْضٌ عَزَازٌ؛ أيْ: صُلْبَةٌ. فالعَزيزُ يَدُلُّ على العِزَّةِ،

قال العلماءُ: وعِزَّةُ اللهِ عز وجل تَنْقَسِمُ إلى ثَلاثَةِ أقسامٍ؛ عِزَّةِ القَدْرِ، وعِزَّةِ القَهْرِ، وعِزَّةِ الامْتِنَاعِ.

فعِزَّةُ القَدْرِ، معناها: أنَّ اللهَ عز وجل ذو قَدْرٍ عَزِيزٍ، لا نَظِيرَ له.

وعِزَّةُ القَهْرِ هي عِزَّةُ الغَلَبَةِ؛ فإنَّه سبحانه وتعالى هو الغَالِبُ الذي لا يَغْلِبُه أحدٌ، حتَّى الجَاهِلِيُّونَ في جاهِلِيَّتِهم يقولُ قَائِلُهم[٣]:

أيـــن المَفَـــرُّ والإلَـــهُ الطَّالِـــبُ والأشْـــرَمُ المَغْلُـــوبُ لـــيسَ الغَالِـــبُ[٤]

يُؤمِنون بأنَّ اللهَ تعالَى ذُو العِزَّةِ الغَالِبَةِ.

---

(١) انظر «الفتح» (٨/ ٥٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٩٣)، وأحمد(٢/ ٣١٤).

(٢) القائل هو نفيل بن حبيب، قاله حين رأى ما أنزل الله عز وجل بجيش أبرهة وانظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ١٧٢)، و«تاريخ الطبري» (١/ ٤٤٣).

(٤) البيت من الرَّجز، وهو موجود في: «المنتظم» (٢/ ١٢٦)، و«الكامل في التاريخ» (١/ ٣٤٥)، و«سمط العوالي» (١/ ٢٧٥)، و«مغني اللبيب» (١/ ٣٩٠)، و«همع الهوامع» (١/ ٤٢٤)، (٣/ ٢١٧).

وعِزَّةُ الامْتِنَاعِ؛ مَعْنَاها: أنَّه يَمْتَنِعُ أنْ يَنَالَه نَقْصٌ في أيِّ شيءٍ مِن صفاتِه، امْتِنَاعُ النَّقْصِ على اللهِ ﷻ هذا معناه عزة الامتناع.

هل العزيزُ مِن الأسماءِ المُتَعَدِّيةِ أو اللَّازمة؟

نقولُ: هو في أحدِ مَعَانِيه مِن المُتَعَدِّي، فالعزيزُ بمَعْنَى الغالبِ مُتَعَدٍّ؛ لأنَّه غَالِبٌ وليسَ بمَغْلُوبٍ، وأمَّا العَزيزُ عِزَّةَ القَدْرِ وعِزَّةَ الامْتِنَاعِ، فهذه مِن الأسماءِ اللَّازمةِ، وقد تَقَدَّمَ كيفَ الإيمانُ بالأسماءِ المُتَعَدِّيةِ والأسْمَاءِ اللَّازِمَةِ[1].

أمَّا الحَكِيمُ فإنَّها فَعِيلٌ، وهي مُشْتَقَّةٌ مِن الحُكْمِ، ومِن الحِكْمَةِ؛ لأنَّ فعيلًا بمَعْنَى فَاعِلٍ، أو بمَعْنَى مُفْعِلٍ، فإن كانَتْ مِن الحكمةِ -أي: أَحْكَمَ- فهي بمَعْنَى مُفْعِلٍ، وإنْ كانَتْ مِن حَكَم فحَكِيمٌ بمَعْنَى فَاعِلٍ.

وَوُرُودُ فَعِيلٍ بمَعْنَى فَاعِلٍ لا غَرَابَةَ فيه، ففَعِيلٌ بمَعْنَى فَاعِلٍ كثيرٌ في اللغةِ العربيةِ، ومثالُه: رحيمٌ بمَعْنَى رَاحِمٍ.

وكذلك وَرَدَتْ فَعِيلٌ بمَعْنَى مُفْعِلٍ؛ أيْ: حَكِيمٌ بمَعْنَى مُحْكِمٍ للأشياءِ، ومِنْه قَوْلُ الشَّاعِر:

أمِنْ رَيْحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعُ ... يُؤَرِّقُني وأصحابي هُجُوعُ[2]

فالسَّمِيعُ، بمَعْنَى المُسْمِعِ، ولهذا قَالَ: يُؤَرِّقُني وأَصْحَابِي هُجُوعُ. فصَحَّ أنَّ فَعِيلًا في اللغةِ العربيةِ تَأْتِي بمَعْنَى مُفْعِلٍ، أمَّا إتْيَانُها بمَعْنَى فَاعل فكثيرٌ.

إذًا: الحكيمُ مُشْتَقَّةٌ مِن الحِكْمَةِ ومُشْتَقَّةٌ مِن الحُكْمِ، والحُكْمُ -أي: حُكْمُ اللهِ ﷻ- يَنْقَسِمُ إلى قِسْمَيْنِ؛ حُكْمٍ كَوْنِيٍّ وحُكْمٍ شَرْعِيٍّ.

مِثَالُ الحُكْمِ الشَّرْعِيِّ: قولُه تعالَى في سورةِ المُمْتَحِنَةِ: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [الممتحنة: ١٠].

ومثالُ الحُكْمِ الكَوْنِيِّ: قولُه: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨٠﴾ [يوسف: ٨٠]. يَعْنِي: يُقَدِّرُ لي.

والحِكمةُ تَكُونُ في الحُكْمِ الكَوْنِيِّ وفي الحُكْمِ الشَّرْعِيِّ، فما مِنْ حُكْمٍ كَوْنِيٍّ إلا ولَهُ حِكْمَةٌ، وما مِن حُكْمٍ شَرْعِيٍّ إلا ولَهُ حِكْمَةٌ؛ لأنَّ الحُكْمَ الشَّرْعِيَّ أو الحُكْمَ الكَوْنِيَّ بدُونِ حِكْمَةٍ سَفَهٌ، واللهُ تعالَى مُنَزَّهٌ عن السَّفَهِ، أو لَغْوٌ، واللهُ تعالَى مُنَزَّهٌ عن اللَّغْوِ.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) البيت من الوافر التام، وهو لعمرو بن مَعْدِيكَرِب الزبيدي، وهو موجود في ديوانه، و«معاهد التنصيص» (٢/ ٢٣٦)، «الأغاني» (١٥/ ١٩٩، ٢١٦، ٢١٧) و«العقد الفريد» (١/ ١٣١)، (٣/ ٣٧١) و«الكامل في الأدب» (١/ ١٠٥)، و«خزانة الأدب للبغدادي» (٨/ ١٨١، ١٨٩) (١١/ ١٢٤)، و«لسان العرب» (٨/ ١٦٤)، و«المحكم لابن سِيدَه» (١/ ٥١٢)، و«الأصمعيات» (١/ ١٧٢).

انظر: «شرح الكافية الشافية» (٢/ ١٠٣٤)، و«الخزانة» (٣/ ٣٦٠).

إذًا: ما مِن حُكْم كَوْنِيٍّ أو شَرْعِيٍّ إلا وَلَهُ حِكْمَةٌ، ولكن هل يَلْزَمُ مِن كَوْنِه ذا حِكْمَةٍ أَنْ تَكُونَ الحِكْمَةُ مَعْلُومَةً لَنَا؟

الجوابُ: لا، فما أكثرَ الأحْكَامَ الكَوْنِيَّةَ والأحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ التي تَخْفى علينا حِكْمَتُها، إمَّا خَفاءً نِسْبيًّا بأن تَخْفَى على بعضٍ دُونَ بَعْضٍ، أو خَفاءً حَقِيقيًّا بأن تَخْفَى على كلِّ أحدٍ؛ وذلك لأنَّ عقولَنا قاصِرَةٌ.

والحِكْمَةُ تَنْقَسِمُ إلى قِسْمَيْن:

١- حِكْمَةٍ حَالِيَّةٍ. ٢- وحِكْمَةٍ غَائِيَّةٍ.

* فالحكمةُ الحَالِيَّةُ بمَعْنَى كَوْنِ الشَّيءِ على هذه الحالِ حِكْمَةً.

* والحِكْمَةُ الغَائِيَّةُ بأَنْ يَكُونَ المَقْصُودُ مِن هذا الشَّيءِ حِكْمَةً بالغَةً وثمراتٍ جليلةً.

إذًا: فالحكمةُ الآنَ صَارَتْ تَنْقَسِمُ إلى قِسْمين:

حِكْمَةٍ حاليةٍ، يَعْنِي: أن الحالَ التي يكونُ عليها الشيءُ يكونُ مُطَابِقًا للحِكْمَةِ.

وحِكْمَةٍ غائيةٍ بأن يُرَادَ به غايةٌ حميدةٌ.

وعلى هذا فيكونُ الحكمُ الكونيُّ فيه حِكْمَةٌ بوَجْهَيْها، والحُكْمُ الشَّرْعِيُّ فيه حِكْمَةٌ بوَجْهَيْها.

فالحكمُ الكونيُّ الذي يَحْكُمُ اللهُ فيه على العبادِ له حكمةٌ، وكونُه على هذا الوَجْهِ هذا حكمةٌ، وكونُه له غايةٌ حَميدةٌ هذا له حِكْمَةٌ أخرى، والفسادُ في الأرضِ مثْلُ الجدبِ والقَحْطِ وقلةِ المياهِ والحرِّ الشديدِ المهلكِ للثمارِ، والبَرْدِ، والبرَدِ هذا فسادٌ، لكن يكونُ إيقاعُه حِكْمَةً قال تعالَى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ [الروم:٤١].

إذًا: هذا الفسادُ الذي سَبَبُه ما كَسَبَتْ أَيْدِينا له غايةٌ حَميدةٌ، ما هي: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾.

إذًا: فكلُّ ما قَضَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ على العبادِ مِن مِحَنٍ، ومَصَائِبَ، وقِتَالٍ، إلى غيرِ ذلك؛ فإن غايَته حميدةٌ، حتَّى لو كان فيه الهلاكُ والدَّمارُ، فإن الغايةَ فيه حميدةٌ؛ لأنَّ المُصَابِينَ بهذا لهم أَجْرُهم عندَ اللهِ بالإضافةِ إلى تكْفيرِ السيِّئاتِ ورِفْعَةِ الدَّرَجاتِ وزيادةِ الحَسَنَاتِ مع الصَّبْرِ والاحْتِسَابِ، والذين لم يُصَابُوا يَتَّخِذون مِن ذلك عِبْرَةً، فيَرْجِعُون إلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وكذلك أيضًا بالنسبةِ للحُكْمِ الشَّرْعِيِّ، فله حِكمةٌ حاليةٌ بمَعْنَى: أنَّ وَضْعَه على هذا الوَجْهِ له حِكْمَةٌ، وله حِكْمَةٌ غائيةٌ بمَعْنَى: أنَّ الغايةَ منه حَميدةٌ، يُحْمَدُ اللهُ عليها، وإذا نظَرْتَ في جميعِ الشَّرائِعِ تَجِدُها هكذا.

فمثلًا: الوضوءُ بغَسْلِ وتَطْهِيرِ الأعضاءِ الأربعةِ، لاشَكَّ أَنَّ شَرْعِيتَه على هذا الوجْهِ حكمةٌ؛ لأنَّ هذه الأعضاءَ هي أعضاءُ الجسدِ؛ الوَجْهُ واليَدَانِ والرَأْسُ والرِّجْلانِ.

وفي كونُه غَسْلًا في ثلاثةِ أعضاءٍ، ومَسْحًا في عُضْوٍ واحدٍ أيضًا: حكمةٌ؛ لأن اللهَ لو فَرَضَ علينا

غَسْلَ الرُّءُوسِ ولاسيَّما في زمنٍ كان النَّاسُ يَتَّخِذون الشَّعرَ في عهدِ الرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ثم ألزمنا بغسل الرأس كما نلزم بغسل الوجه، فإنه سوف يَحْصُلُ مِن المَشَقَّةِ الشيء الكثير ولاسيَّما في أيامِ الشتاءِ، ولهذا كانَت طهارتُه بالمسحِ، وطهارةُ الأعضاءِ الثلاثةِ بالغَسْلِ.

إذًا: هذا مُطَابِقٌ للحكمةِ، وطَبِّق هذا على جميعِ الشَّرائعِ تَجِدْ أَنَّ كَوْنَها على هذه الحالِ حكمةٌ.

ثم الغايةُ مِن ذلك حكمةٌ عظيمةٌ أيضًا، ففي الوضوءِ الغايةُ مِنه: التَّطْهيرُ المَعْنَوِيُّ وهذا أهمُّ شيءٍ، فإنَّ خطَايا هذه الأعضاءِ تزُولُ مع آخِرِ قَطْرَةٍ مِن قطَراتِ الماءِ.

وهذا التَّطْهيرُ المَعْنَوِيُّ هو المُهِمُّ بالإضافةِ إلى التَّطْهيرِ الحِسِّيِّ؛ لأنَّ هذه الأعضاءَ في الغالبِ بَارِزَةٌ، وإذا كانَتْ بارزةً؛ فإنَّها تتعَرَّضُ للغُبارِ، وتتعَرَّضُ للأَوْسَاخِ، فلهذا أُمِر بغسْلِها.

والخلاصةُ: أن الحِكمَةَ حَاليَّةٌ وغَائيَّةٌ في الشرعِ وفي القَدَرِ، فتكونُ أربعةً: حِكْمَةٌ حاليةٌ في القَدَرِ، وحكمةٌ غائيةٌ في القَدَرِ، وحِكْمَةٌ حاليةٌ في الشَّرْعِ، وحِكْمَةٌ غائيةٌ في الشرعِ.

وفي جَمْعِ اللهِ تَعَالَى بينَ العزيزِ والحكيمِ زيادةُ كَمالٍ؛ لأنَّ العزيزَ الذي هو الغالبُ قد تَحْمِلُه عِزَّتُه على سُوءِ التصرفِ، كما يُوجَدُ في المخلوقين، فإنه إذا كان عندَه عِزَّةٌ وغَلَبَةٌ وسُلْطَانٌ فقد يَتَصَرَّفُ تصرُّفًا أحمق، فقرَنَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ العِزَّةَ بالحكمةِ؛ ليَتبَيَّنَ أنَّ عِزَّتَه تَعَالَى مَبْنِيَّةٌ على الحكمةِ، وأنَّه ليسَ كالمخلوقِ الذي قد يكونُ عندَه مِن العزةِ التي قد تَحمِلُه على التهورِ وعَدَمِ إحْسَانِ التَّصَرُّفِ.

قولُه: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ [الصافات:١٨٠].

كلمةُ: ﴿سُبْحَٰنَ﴾. يقولُ أهلُ اللغةِ: إنَّها اسمُ مَصْدَرِ سَبَّح، والمَصْدَرُ تَسْبِيحٌ، ويَقُولُون أيضًا: إنَّها مُلَازِمةٌ للنَّصْبِ على المَفْعُولِيَّةِ المُطْلَقَةِ، ولم تَخرُجْ عن ذلك إلَّا نادرًا.

ويَقُولُون: إنَّها مُلَازِمَةٌ للإضَافَةِ، ولا تَأْتِي إلا مُضَافَةً إمَّا لاسمٍ ظَاهِرٍ، أو لاسمٍ مُضْمَرٍ، ورُبَّما تُفْرَدُ قَليلًا عن الإضَافَةِ[1].

ومَعْنَى التَّسْبيحِ: التَّنْزِيهُ، وما الذي يُنَزَّهُ اللهُ عنه؟

الجوابُ: يُنَزَّهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عن مُماثَلَةِ المَخلُوقِ، وعن النَّقْصِ والعَيْبِ، قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ الدَّجَّالَ أعورُ، وإنَّ ربَّكم ليسَ بأعْورَ**»[2]. وقال تعالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾. وقال تعالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق:٣٨].

والنُّصُوصُ في نَفْيِ العَيْبِ عن اللهِ كثيرةٌ، وكذلك في نَفْيِ المُمَاثَلَةِ عن اللهِ.

وقولُه: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ﴾. أَضَافَ الرُّبُوبِيَّةَ إلى النبيِّ ﷺ؛ لأنَّها رُبُوبِيَّةٌ خَاصَّةٌ، فإنَّ اللهَ تعالَى ربُّه، قد ربَّاه على أكْمَلِ الأخلَاقِ، ولذلك نقولُ: الرُّبُوبِيَّةُ تَنْقَسِمُ إلى عامَّةٍ وخَاصَّةٍ.

---

(١) ومثلها تمامًا كلمة «معاذ».

(٢) رواه البخاري (٧٤٠٧)، ومسلم (١٦٩).

فالعامَّةُ: هي الشَّامِلَةُ لجميعِ الخَلْقِ؛ وذلك مثل قولِه تعالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة:٢]. ومثلُ قولِه: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ [الشعراء:٢٤].

والخاصَّةُ: هي التي تَختَصُّ بمَن تعَبَّدَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، وتَستَلْزِمُ النَّصرَ والتَّأْييدَ والتَّربِيَةَ الخاصَّةَ، وأخصُّ هذا النوعِ -يَعْنِي الرُّبوبيةَ الخاصةَ- ما أُضِيفَتْ إلى الرُّسُلِ -عليهم الصلواتُ والسلامُ-؛ لأنَّ رُبوبيةَ اللهِ لهم هي أَخَصُّ ربوبيةٍ.

۞ وقولُه: ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾. مَعْنَى ﴿رَبِّ﴾ هنا صَاحِبُ؛ أي: صاحبُ العِزَّةِ، وليسَ مَعْناها «خالقٌ»؛ «فرب» في ﴿رَبِّكَ﴾ غيرُ «رب» في ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾؛ لأنَّ ربَّ العزةِ يتعيَّن أنْ تكونَ بمَعْنَى صاحبٍ، ولا يَجُوزُ أن نَجْعَلَها بمَعْنَى خَالِقٍ؛ وذلك لأنَّ العِزَّةَ صفةٌ مِن صفاتِ اللهِ، وصفاتُ اللهِ تعالَى غيرُ مخلوقةٍ.

فيَتَعَيَّنُ أن نَحْمِلَ قولَه: ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ على صاحِبِ العِزَّةِ؛ أي: ذِي العِزَّة.

وإنَّما أَضَافَ عَزَّ وَجَلَّ هنا نَفْسَه إلى العزةِ؛ لأنَّ المَقامَ يَقتَضِيه، فإنَّ هؤلاءِ يَصِفُون اللهَ تعالَى بما هو مُبَرَّأٌ منه، كما قال: ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾. فيَظُنُّون أنَّهم بذلك غَالِبُون، ولكنَّهم مَغْلُوبُون في الحقيقةِ؛ لأنَّ صاحبَ العزةِ على الكمالِ هو اللهُ عَزَّ وَجَلَّ،وهم وإن أُمْهِلُوا، لكنَّهم لا يُهْمَلُون.

وقولُه تعالَى:﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾. الشَّاهِدُ مِن هذا قولُه: ﴿ٱلْعِزَّةِ﴾. فإنَّها تُطَابِقُ العَزِيزَ؛ لأنَّ العَزِيزَ مَأْخوذٌ مِن العزةِ، كما سَبَق.

۞ وقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾. وهذا في جوابِ المُنافِقِين لمَّا قَالُوا: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، إذن فليْسُوا هم أعزَّ مِن رسولِ اللهِ ﷺ والمؤمنين، بل هم أَذَلُّ، فكأنَّ في الآيةِ تَسْلِيمًا لما قَالُوا؛ أي: أنَّه يُخرِجُ الأعزُّ الأذَلَّ، لكن الأعزَّ هواللهُ ورسولُه والمؤمنون، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وفي تقديمِ الخبرِ في قولِه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾. دَلِيلٌ على أنَّ العِزَّةَ المُطْلَقَةَ لا تَكُونُ إلا للهِ وحدَه، وأما العِزَّةُ التي قد تُشَابُ بذُلٍّ فهذه تكونُ للمخلوقِ، حتَّى للمُؤْمِنين، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران:١٢٣]. فأذِلَّةٌ جَمْعُ ذَلِيلٍ.

لكن في النهايةِ تكونُ العزةُ للمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، والمنافقون يَتوعَّدون بهذا الوعدِ: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾؛ كقولِ بعضِهم: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ [المنافقون:٧]. و«حتَّى» هنا ليسَتْ للغايةِ، وإنَّما هي للتعليلِ؛ لأنَّ المَعْنَى: لا تُنْفِقُوا لأَجْلِ أن يَنْفَضُّوا، وليسَ المَعْنَى: لا تُنفِقُوا حتَّى يَنْفَضُّوا، فإذا انْفَضُّوا فأَنْفِقُوا، المعنى: لا تنفقوا من أجلِ أن ينفضوا قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

خَزائِنُ السمواتِ ليست عندكم أيُّها المُنافِقُون، فلو مَنَعْتُم الإنْفاقَ فعندَ اللهِ ما ليسَ عندَكم، فهو سبحانَه عندَه خزائن السموات والأرض، وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧﴾.

والشَّاهِدُ لتَرْجَمَةِ هذا البابِ: قولُه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾. وأتى فيها بواوِ العطفِ وهنا قد يُشْكِلُ جمعُ العزةِ للهِ وللرسولِ وللمؤمنين بالواوِ، مع أنَّ عِزَّةَ الرسولِ وعِزَّةَ المُؤْمِنينَ، تابعَةٌ لعِزَّةِ اللهِ تعَالَى، ثُمَّ إنَّ عِزَّةَ الرَّسُولِ والمُؤْمِنين لَيْسَتِ العِزَّةَ المُطْلَقَةَ الثَّابتَةَ للهِ، فما هو الجَوابُ؟

الجَوابُ أنْ نَقُولَ: العِزَّةُ بالدِّينِ مِن عِزَّةِ اللهِ ﷻ؛ يَعْنِي: أنَّ اللهَ لا يُعِزُّ المُؤْمِنين، ولا يُعِزُّ النَّبِيَّ إلَّا لإعْزَازِ دِينِه، وهذا كقولِه: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد:٧]، هذا وَجْهٌ.

والوَجْهُ الثَّانِي: أنَّ جُمْلَةَ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾ جملةٌ مستقلةٌ تَمَّتْ، وقولُه ﴿وَلِرَسُولِهِۦ﴾. وهو عطف جُمْلَةٍ على جُمْلَةٍ ، ويكونُ التَّقْدِيرُ: ولرَسُولِه العِزَّةُ أو لرسوله عزة، فهذا ممكنٌ؛ لأنَّ الجُمْلَةَ الأُولَى تَمَّتْ، لكن لو كَانَ لَفْظُ الآيَةِ (ولله وللرسوله وللمؤمنين العزة)، لكَانَ هذا جَمْعًا بينَ العِزَّةِ للهِ ولرسولِه وللمُؤْمِنين، لكن لمَّا جاءَتِ الجُمْلَةُ الأُولَى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾ مُسْتَقِلَّةً وجاءَتْ هذه تابعَةً زَالَ الإِشْكَالُ، فلم يُقْرِنْ سبحانه بينَ عِزَّةِ اللهِ وعِزَّةِ الرسولِ والمؤمنين بالوَاوِ الدَّالَّةِ على التَّسْوِيَةِ.

۞قوله: «ومَن حَلَفَ بعِزَّةِ اللهِ وصِفَاتِه»؛ يَعْنِي: «وبابُ مَن حَلَفَ بعِزَّةِ اللهِ»؛ يَعْنِي: هل نَحْلِفُ بعِزَّةِ اللهِ وبصِفَاتِه؟

الجوابُ: نَعَمْ، بدَلِيلِ ما ذَكَره البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فنَحْلِفُ بعِزَّةِ اللهِ، ونَقُولُ: وعِزَّةِ اللهِ لأَغْلِبَنَّ عَدُوِّي، إنْ شَاءَ اللهُ.

۞وقولُه: «وصِفَاتِه»؛ أي: وبقيةِ الصِّفَاتِ، فأيُّ صِفَةٍ مِن صفاتِ اللهِ، فإنَّه يَجُوزُ أن تَحْلِفَ بها، فَنَقُولَ: وقُدْرَةِ اللهِ لأَحْمِلَنَّ هذا الحَجَرَ، أو تَقُولَ: وسُلْطَانِ اللهِ لأَسْتَحْوِذَنَّ على أهلِ بَيْتِي. فالحَلِفُ بصفَاتِ اللهِ جَائِزٌ.

وكذلك الحَلِفُ بالقُرْآنِ جَائِزٌ؛ لأنَّ القُرآنَ صِفَةٌ مِن صِفَاتِ اللهِ.

وأَمَّا الحَلِفُ بالمُصْحَفِ ففيه تَفْصِيلٌ: إنْ أَرَادَ المُصْحَفَ الذي هو الأَوْرَاقُ والجِلْدُ والمِدَادُ، فإنَّه لا يَجُوزُ؛ لأنَّ هذا مَخْلُوقٌ، وإنْ أَرَادَ بالمُصْحَفِ القُرْآنَ فهذا جَائِزٌ.

الحَلِفُ بآياتِ اللهِ فيه تَفْصِيلٌ: فإنْ أَرَادَ بآياتِ اللهِ الآياتِ الكَوْنِيَّةَ فإنَّه لا يَجُوزُ؛ لأنَّ الآياتِ الكونيةَ مخلوقةٌ، وإنْ أَرَادَ بآياتِ اللهِ الآياتِ الشَّرْعِيَّةَ؛ أي: الوَحْيَ، فهذا جَائِزٌ.

والذين يَحْلِفُونَ بآياتِ اللهِ الآنَ مِن عَامَّةِ النَّاسِ، الظَّاهِرُ أَنَّهم يُرِيدُون بها الآياتِ الشَّرْعِيَّةَ، فلو سَأَلْتَ أيَّ عَامِّيٍّ: هل أَنْتَ تُرِيدُ بقَوْلِك: وآياتِ اللهِ. أن تَحْلِفَ بالشَّمْسِ والقَمَرِ مثلًا؟ لقال: لا، بل أنا أُرِيدُ القُرْآنَ، فيَكُونُ بذلك حَالِفًا بصفةٍ مِن صِفَاتِ اللهِ.

۞قالَه: وقَالَ أَنَسٌ: قال النبيُّ ﷺ: «تقولُ جهنمُ قَطْ قَطْ وَعِزَّتِكَ»[1].

۞قولُه: «قَطْ». بمَعْنَى حَسْبُ، وفيها لُغَاتٌ، «قَطْ قَطْ»: وتكونُ فيها مَبْنِيَّةً على السُّكُونِ.

---

(١) رواه البخاري معلقًا بصيغة الجزم، وأسنده في الأيمان والنذور، حديث رقم (٦٦٦١).

«قَطِ قَطِ» : وتكون فيها مَبْنِيَّةً على الكَسْرِ مُنَوَّنَةً[1] .

۞ وقوله ﷺ: «تَقُولُ جَهَنَّمُ: قَطْ قَطْ». إذا وَضَع الرَّبُّ ﷻ عليها قَدَمَه، انْزَوَي بَعْضُها إلى بَعْضٍ؛ لأنَّها لا تَزَالُ يُلْقَى فيها، وهي تَقُولُ: هلْ مِن مَزِيدٍ. حتَّى يَضَعَ الرَّبُّ ﷻ عليها قَدَمَه، وتقولُ: قَطْ قَطْ، لكنَّ هذا اللفظَ الذي عَلَّقه المُؤَلِّفُ: «قط قط وعزتك» وهو قَسَمٌ، فقد أَقْسَمَتِ النَّارُ بعِزَّةِ الله، وحَكَاه النَّبِيُّ ﷺ عنها مُقَرِّرًا له.

وقال أبو هُرَيْرَةَ، عن النبيِّ ﷺ: «يَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ: رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ ، لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا»[2] .

الشَّاهِدُ من هذا الحديث قولُه: «لَا وَعِزَّتِكَ». فأقْسَم بعِزَّةِ اللهِ، وحَكَاه النبيُّ ﷺ مُقَرِّرًا له.

۞ وقولُه: «لَا وَعِزَّتِكَ»: «لا» هنا، لَيْسَتْ للنَّفْيِ؛ لأنَّها لو كانت للنَّفْيِ لكان نَفي اليَمِينِ، فهي هنا للتأكيدِ والتَّنْبِيهِ، ونَظِيرُها قَوْلُه تَعالَى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد:١]، و: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة:١]، و: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ [الحاقة:٣٨]. فـ«لا» هنا ليست نافية، ولكنها للتنبيه والتأكيد.

۞ قوله: قال أبو سَعِيدٍ: إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «قَالَ اللهُ ﷻ: لكَ ذَلِكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِه»[2] .

«وَقَالَ أَيُّوبُ: وَ عِزَّتِكَ لَا غِنَى بِى عَنْ بَرَكَتِكَ».

الشَّاهِدُ: قولُه: «وَعِزَّتِك». فَأَقْسَمَ أَيُّوبُ بعِزَّةِ اللهِ، فَدلَّ ذلك على جَوازِ القَسَمِ بأيِّ صفةٍ مِن صفاتِ اللهِ ﷻ.

ولكن يَحْسُنُ أنْ تَكونَ الصِّفَةُ التي تُقْسِمُ بها مُناسِبَةً للمُقْسَمِ عليه، فإذا كنتَ تُرِيدُ أن تُقْسِمَ على غَلَبَةٍ فيُناسِبُ ذلك أن تقولَ: وعِزَّتِك. ولهذا لمَّا كان الشَّيْطَانُ يَعْرِفُ رَبَّه ﷻ، ويَعْرِفُ قَدْرَه، لمَّا أرادَ أن يُخْبِرَ اللهَ ﷻ بأنَّه سوف يُغْوِي العِبادَ، وإغواءُ العبادِ يَحْتاجُ إلى قوةٍ وإلى سُلْطَةٍ، قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[ص:٨٢]. فأَقْسَمَ الشَّيْطَانُ بعِزَّةِ اللهِ؛ لأنَّها تُناسِبُ المَقامَ، والتَّناسُبُ بينَ المُقْسَمِ به والمُقْسَمِ عليه هو طَرِيقَةُ القُرْآنِ، ولهذا لا تَجِدُ قَسَمًا في القُرْآنِ إلَّا وبينَ القَسَمِ والمُقْسَمِ عليه مُناسَبَةٌ، لكنَّها قد تكونُ بعيدةً، وقدْ تَكُونُ قَرِيبةً مَعْرُوفةً لكلِّ أحدٍ.

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ في «الفتح» (١٣/ ٣٦٩):

۞ قولُه: «ومن حَلَفَ بعِزَّةِ اللهِ وصِفَاتِه». كذا للأكثرِ، وفي روايةِ المُسْتَمْلِي: «وسُلْطَانِه» بَدَلَ «وصِفَاتِه»، والأولُ أَوْلَى، وقد تَقَدَّم في الأيمانِ والنُّذُورِ بابُ الحلفِ بِعِزَّةِ اللهِ، وصفاتِه، وكلامِه. وتَقَدَّمَ تَوْجِيهُه هناكَ.

قال ابنُ بَطَّالٍ: العَزِيزُ يَتَضَمَّنُ العِزَّةَ، والعِزَّةُ يُحْتَمَلُ أنْ تَكُونَ صِفَةَ ذاتٍ بِمَعْنَى القُدْرَةِ والعَظَمَةِ، وأنْ تَكُونَ

---

(١) انظر «الفتح» (٨/ ٥٩٥).

(٢) رواه البخاري معلقًا بصيغة الجزم، وأسنده المؤلف في «الرقاق»، باب: الصراط جسر جهنم، حديث رقم (٦٥٧٣، ٦٥٧٤).
وانظر: «تغليق التعليق» (٥/ ١٩٩).

(٢) المصدر السابق.

صِفَةَ فِعْلٍ بمَعْنَى قَهْرِه لمَخْلُوقَاتِه، والغَلَبَةِ لهم، ولذلك صَحَّتْ إضَافَةُ اسْمِه إليها.

قال: ويَظْهَرُ الفَرْقُ بينَ الحَالِفِ بعِزَّةِ اللهِ، التي هي صِفَةُ ذَاتِه، والحَالِفِ بعِزَّةِ اللهِ، التي هي صِفَةُ فِعْلِه بأنَّه يَحْنَثُ في الأُولَى دُونَ الثانِيَةِ، بل هو مَنْهِيٌّ عن الحَلِفِ بها، كما نُهِي عن الحَلِفِ بحَقِّ السماءِ وحَقِّ زَيْدٍ.

قُلْتُ: وإذا أَطْلَقَ الحَالِفُ انْصَرَفَ إلى صِفَةِ الذَّاتِ، وانْعَقَدَتِ اليَمِينُ إلا إن قَصَدَ خِلافَ ذلك بدليل أحاديثِ البابِ. اهـ

ولو قِيل: إنَّ أحاديثَ البابِ تَدُلُّ عل العموم، ولا تُحْمَلُ على وَجْهٍ واحِدٍ، ثم إنَّه لا فَرْقَ فيما يَظْهَرُ بينَ الصِّفَاتِ الذاتيةِ والفِعْليةِ، فلو قُلْتَ: واستواءِ اللهِ على عَرْشِه، لأَعْلُوَنَّ على فلانٍ، فهو جائزٌ؛ لأنَّ الاستواءَ على العرشِ من خصائصِ اللهِ.

والمُهِمُّ: هو أنْ تَأْتِيَ بصفةٍ مِن خَصَائِصِ اللهِ، والصفةُ الفعليةُ مُشْتَرَكَةٌ، ولذا فإننا قد نَقُولُ: إنَّه لا يَنْعَقِدُ بها اليمينُ؛ لأنَّها مُشْتَرَكَةٌ، مثل النزولِ فهو مُشْتَرَكٌ لكن لو قُلْتَ: ونُزُولِ اللهِ إلى السماءِ الدُّنْيَا. لم تَكُنْ مُشْتَرَكَةً؛ لأنَّ هذا لا يُمْكِنُ أن يَكُونَ للمخلوقِ، كما قَالُوا أيضًا في الأسماءِ: الاسمُ الخاصُّ باللهِ تَنْعَقِدُ به اليمينُ، والمشتركُ لا تَنْعَقِدُ به اليمينُ إلا بنيَّةٍ.

ولَوْ أَقسَم بصفةٍ مِن الصفاتِ الخبريةِ فهذا جَائزٌ، إذا كَانَتْ هذه الصفةُ الخبريةُ تُطْلَقُ على الذاتِ؛ مثلَ وَجْهِ اللهِ، وإن لم تَكُنْ تُطْلَقُ على الذاتِ مِثلَ يدِ اللهِ فالظاهرُ أنَّه لا يجوزُ، فلا يَقُولُ ويدِ اللهِ لأَفْعَلَنَّ. أو وقَدَمِ اللهِ لأَفْعَلَنَّ.

والفرقُ بينَهما ظاهرٌ أنه إذا قُصِدَ بالوَجْهِ الذاتُ فهو قَسَمٌ باللهِ نَفْسِه، بخلافِ اليدِ والعينِ والقَدَمِ والسَّاقِ فلا تُطْلَقُ على اللهِ.

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٨٣- حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ الْمُعَلِّمُ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الَّذِى لَا يَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ»[1].

الشَّاهِدُ من هذا الحديث قَوْلُه: «أعُوذُ بِعِزَّتِكَ». فأثْبَتَ للهِ العِزَّةَ، و قد سَبَق مَعْنَى العِزَّةِ. وقولُه ﷺ: (أعوذ)، أي: أَعْتَصِمُ، وهنا قالَ: أَعُوذُ. وهناك قال: أَلُوذُ، والفَرْقُ بَيْنَهما: أنَّ اللِّيَاذَ يكونُ في طَلَبِ المَحْبُوبِ، والعِيَاذَ يكونُ في الالْتِجَاءِ مِن المَرْهُوبِ، وعلى هذا قولُ الشَّاعِرِ، وهو قولٌ لا يَنْبَغِي أنْ يَكُونَ إلَّا للهِ.

---

(١) رواه مسلم (٢٧١٧).

يا مَن أَلُوذُ بِهِ فيما أُؤَمِّلُه ... ومَن أَعُوذُ بِهِ مما أُحَاذِرُه

لا يَجْبُرُ النَّاسُ عَظْمًا أنت كَاسِرُهُ ... ولا يَهِيضُون عَظْمًا أَنتَ جَابِرُهُ[1]

الشَّاهِدُ: قولُه:

«يا مَن أَلُوذُ بِهِ فيما أُؤَمِّلُه ... ومَن أَعُوذُ بِهِ مما أُحَاذِرُه»

وهذا يَقُولُه في ممدوحٍ له، لكنه لا يَنْبَغِي أن يَكُونَ إلا للهِ وحدَه، هو الذي يستحق هذا.

وإذا قيلَ: ما الفرقُ بينَ الاستعاذةِ بصفةٍ من صفاتِ اللهِ، وبينَ الدُّعَاءِ بنفسِ الصفةِ؟

فالجوابُ: الفرقُ بينهما أنَّ الذي يَسْتَعِيذُ بصفةٍ من صِفَاتِ اللهِ جَعَلَ هذه الصفَةَ وَسِيلةً، والمَقْصُودُ الاسْتِعَاذَةُ باللهِ نفسِه.

وأمَّا مَن دعا يقول: يا عِزَّةَ اللهِ، أَعِيذِيني. أو: يا مغفرةَ اللهِ، اغفِري لي.ويُوَجِّهُ الدُّعاءَ لها وحدَها فإنه لا يجوزُ. وهذا بخلافِ الدعاءِ بمثلِ: أَسْأَلُكَ بمَغْفِرتك، أنْ تَغْفِرَ لي.

ومن ذلك: قولُ النبيِّ ﷺ: «بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ»، وقولُه ﷺ: «أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِن سَخَطِكَ»[2] فهنا المقصودُ بذلك أنه لكَوْنِك رَاحِمًا، أَسْتَغِيثُ بك، فجَعَلَ الرحمةَ وَسِيلةً، وهذا لا يُشْعِرُ بأنَّ الرحْمَةَ شيءٌ مُسْتَقِلٌّ عن اللهِ يُسْتَغَاثُ به.

وأمَّا لو قَالَ: «يَا رحمةَ اللهِ، أَغيثِيني». فإنَّ هذا لا يَجُوزُ؛ لأنَّك الآنَ جَعَلْتَ الرحمةَ مُسْتَقِلَّةً تُدْعَى مِن دُونِ اللهِ، ولهذا قالَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: إنَّ دُعاءَ الصفةِ كُفْرٌ بالاتفاقِ؛ لأنَّه يَتَضَمَّنُ أنَّك جَعَلْتَ الصفةَ شيئًا مُسْتَقِلًّا قَائِمًا بنفْسِه، وهذا هو الشِّرْكُ[3].

وقولُه ﷺ: «والجِنُّ والإِنْسُ يَمُوتُونَ». قد يُسْتَدَلُّ به على أنَّ الملائكةَ لا يَمُوتون، ولكن هذا ليس فيه دَلالةٌ، فأنتَ إذا قلتَ: زيدٌ وعمرٌو قائِمَان. فإنك لا تَنْفِي أن ذلك لا يأتي على غيرِهم، فهذا من مفهومِ اللَّقَبِ، وهو ما عُلِّق فيه الحكمُ على العَيْنِ فَقَط، فإذا قلتَ: محمدٌ قائمٌ. فليسَ مفهومُه أن غيرَه غيرُ قائمٍ.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٨٤- حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي الأَسْوَدِ، حَدَّثَنَا حَرَمِيٌّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُلْقَى فِي النَّارِ». ح. وقال لي خليفةُ: حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ، حدَّثنا سعيدٌ، عن قتادة، عن أنس

(١) البيتان للمتنبي، وهما موجودان في: خلاصة الأثر (٣/ ٣٣)، و«البداية والنهاية» (١١/ ٢٥٨)، ومحاضرات الأدباء (٢/ ١٦٣).

(٢) رواه مسلم (٤٨٦).

(٣) انظر: الرد على البكري (١/ ١٨١).

ح. وعن مُعْتَمِر سمِعْتُ أبي، عن قتادة، عن أنسٍ عن النبي ﷺ قال: «لا يزالُ يُلْقَى فيها، وتقولُ: هل من مَزِيدٍ؟ حتى يَضَعَ فيها ربُّ العالمين قدمَه، فيَنْزَوِي بعضُها إلى بعضٍ، ثم تقولُ: قَدْ قَدْ، بعزتِك وكرمك. ولا تزالُ الجنةُ تَفْضُل حتى يُنْشِئَ اللهُ لها خلقًا فيُسْكِنَهم فَضْلَ الجنةِ[1]»

❁قولُه في السند: «عن قتادة» ومِن المَعْروفِ أنَّ قَتَادَةَ مِن المُدَلِّسِين، وكيفَ يكونُ مِن المُدَلِّسِين وهو في البخاريِّ ومسلمٍ؟

الجوابُ: أنَّه مَحْمُولٌ على السماعِ لكثرةِ مُلَازمةِ قتادةَ لأنسٍ فيَبْعُدُ جدًّا أنْ يُرْسِلَ عنه، هذا هو السببُ[2]، وعلى هذا فالقولُ بإطلاقِ رَدِّ عَنْعَنَةِ المُدَلِّسِ ليسَ بوَجيهٍ، بل يقالُ: إن عَنْعَنَةَ المُدَلِّسِ يُنْظَرُ فيها إلى القَرائِنِ التي تَحْتَفُّ بها، والتي قد تُوجِبُ أن تَكُونَ عنعنتُه محمولةً على الاتصال، ولهذا قَبِلَ العلماءُ عَنْعَنَةَ قَتَادَةَ في «الصحيحين»، وقالُوا: إنَّ السندَ فيها مُتَّصِلٌ[3].

❁قولُه: «لَا يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا»؛ أيْ: في جَهَنَّمَ وقولُه تقول: «هَلْ مِنْ مَزِيدٍ». قولُه: «هَلْ» اسْتِفْهَامٌ، و قولُه: «مِنْ مَزِيدٍ». مُبْتَدَأٌ، و«مِن» زائدةٌ لفظًا زائدةٌ مَعْنًى. وهذا الاستفهامُ، هل هو للطَّلَبِ أو للنَّفْيِ؟

الجوابُ: في هذا قَوْلَان للعُلَماءِ:

منهم مَن قَالَ: إنَّه للنَّفْيِ، وأنَّ المَعْنَى لا مَزِيدَ على ما عِنْدِي؛ يعني: أنها قد امْتَلَأَتْ.

ومِنهم مَن قَالَ: إنه للطَّلَبِ؛ يَعْنِي هاتِ وزِدْ، وهذا القولُ الثَّانِي هو المُتَعَيِّنُ؛ لأنَّ الحديثَ يَدُلُّ عليه؛ فإنَّ قَوْلَه: حَتَّى يَضَعَ فيها رَبُّ العَالَمِين قَدَمَه، فيَنْزَوِي بَعْضُها إلى بَعْضٍ... إلى آخِرِه. يَدُلُّ على أنَّها تَطْلُبُ المزيدَ؛ لأنَّ اللهَ تَعَالَى قد وَعَدَها، وهو أَصْدَقُ الوَاعِدِين وأَوْفَاهُم، وَعَدَها بأَنْ يَمْلَأَها، فإذا سُئِلَتْ: هل امْتَلَأْتِ؟ قالت: هلْ مِن مَزِيدٍ؟ يَعْنِي: أَعْطُونِي وزِيدُوا عليَّ، فيَضَعُ فيها ربُّ العَالَمِين قَدَمَه، فيَنْزَوِي بَعْضُها إلى بعضٍ، ثُمَّ تَقُولُ:

قَدْ قَدْ. وفي روايةٍ: قَطْ قَطْ[4]. وهما لُغَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ في هذه الكلمةِ، ومَعْنَاهما حَسْبُ؛ أي: يكفي.

❁وقولُه: «بعِزَّتِك وكَرَمِك». تَوَسُّلٌ إلى اللهِ بعِزَّتِه وكَرَمِه، أن لا يَضَعَ عليها قَدَمَه أَكْثَرَ مما وَضَعَ؛ لأنَّه يَنْزَوِي بَعْضُها إلى بَعْضٍ، وتَنْضَمُّ وتَضِيقُ، فوَضْعُ ربِّ العِزَّةِ عليها قَدَمَه ليسَ بالأمرِ الْهَيِّنِ.

تَوَسَّلَتِ النارُ بالعِزَّةِ التي هي القهرُ، وبالكَرَمِ الذي هو الفَضْلُ أن لا يَضَعَ قَدَمَه سبحانَه عليها.

---

(١) رواه مسلم (٢٨٤٨).

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (١١/ ٥٤٦): لكن شعبة ما كان يأخذ من شيوخه الذين ذكر عنهم التدليس إلا ما صرحوا فيه بالتحديث ا.هـ

وقال أيضًا (٤/ ٣٨): شعبة لا يروي عن شيوخه المدلسين إلا ما هو مسموع لهم. ا.هـ

(٣) ينظر: «تدريب الراوي» (١/ ٢٣٠)

(٤) تقدم تخريجه.

والشَّاهِدُ مِن هذا الحديثِ: قولُ النَّارِ: «بِعِزَّتِك». وحدَّث به النبيُّ ﷺ مُقرَّرًا له.

وفيه أيضًا: شَاهِدٌ آخرُ لِصِفَةٍ مِن صفاتِ اللهِ الخَبَرِيَّةِ، وهي: القَدَمُ، و قد جاء في رِوَايَةٍ: «رِجْلَه»[1] والمَعْنَى واحدٌ، وعندَ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ بناءً على القَاعِدَةِ المَعْرُوفَةِ المَشْهُورَةِ تُحْمَلُ الرِّجْلُ والقَدَمُ على الحقِيقَةِ، بما يَلِيقُ باللهِ ﷻ كاليدِ، والدَّليلُ على هذا أنَّه يَنْزَوِي بَعْضُها إلى بَعْضٍ مِن شِدَّةِ ما وُضِعَ عليها وعَظَمَتِه، وهذا هو مَذْهَبُ أهلِ السنةِ والجماعةِ، ولكن هل هذه الرِّجْلُ تُماثِلُ أَرْجُلَ المَخْلُوقِين؟

الجوابُ: لا تُمَاثِلُها، والدليلُ على ذلك هذه الآيةُ التي تُعْتَبَرُ قَاعِدَةً في كلِّ صِفةٍ، وهي وقولُه تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾. والعَقْلُ يَدُلُّ أيضًا على أنَّه لا تَمَاثُلَ؛ إذ لا تَمَاثُلَ بينَ الخَالِقِ والمَخْلُوقِ، فكما أنَّ اللهَ لا مَثِيلَ له في ذاتِه، فلا مَثِيلَ له في صِفَاتِه، ولهذا قَال أهلُ العِلْمِ: الكَلامُ في الصفاتِ فَرْعٌ عن الكلامِ في الذاتِ، فكما أنَّ الذَّاتَ ليسَ لها مَثِيلٌ، فالصفات كذلك ليسَ لها مَثِيلٌ.

ولو سُئِلْنَا: هلْ لهذه اليدِ أَصَابعُ؟ فالجوابُ أن نَقُولَ للسَّائِلِ: أَنْتَ مُبْتَدِعٌ. فعليك أخي المسلمَ أن تضُمَّ إحْدَى الشَّفَتَيْنِ إلى الأُخْرَى، ولا تَسْأَلْ؛ لأنَّ مَن هو أَفْضَلُ منك وأَعْلَمُ منك وأَخْشَى منك وأَتْقَى منك وأَحَبُّ منك للعِلْمِ وأَشَدُّ تَعْظِيمًا للهِ لَم يَسْأَلُوا رسولَهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهو الذي يَأْتِيه الوَحْيُ: هل لِرِجْلِه أَصَابعُ أَوْ لا؟

وأنت لِمَ سَأَلْتَ عن ذلك: أَحُبًّا للهِ، أو أَحُبًّا لِمَعْرِفَةِ صِفَاتِ اللهِ، أو أَطَمَعًا في زيادةِ الدَّرَجَاتِ وتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ، أم ماذا؟

إنْ قُلْتَ: نَعَم. قُلْنَا: لَسْتَ أَوْلَى بهذا من أصحابِ الرَّسُولِ ﷺ، وإن قُلْتَ: تَعَنُّتًا وتَعَمُّقًا وتَنَطُّعًا. قُلْنَا: هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ[2]. فاسْكُتْ عن هذا. وليَسَعْك ما وَسِعَ السَّلَفُ الصَّالِحُ.

وبهذا نَسْتَرِيحُ مِن إيرَاداتٍ كثيرةٍ يُورِدُها الشَّيْطَانُ على قُلُوبِنا، أو يُورِدُها بَعْضُنا على بَعْضٍ، فأيُّ كيفيةٍ، وأيُّ صفةٍ، وأيُّ شيءٍ تَسْأَلُ عنه، وهو لم يَرِدْ في الكتابِ، ولا في السنةِ، ولا في كلامِ الصحابةِ فأَعْرِضْ عنه وجُوبًا، ولا تُورِدْه على نَفْسِك، ولا تُورِدْه على غَيْرِك حتى تَسْلُكَ سَبِيلَ السَّلَفِ، وحتَّى تستريحَ وتَسْلَمَ، ولذا قالَ الإمامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ، ومِن قَبْلِه شَيْخُه رَبِيعةُ، قالا: السُّؤَالُ عنه بِدْعَةٌ.[3]

---

(١) رواه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).

(٢) هذا لفظ حديث رواه مسلم (٢٦٧٠).

(٣) أما أثر ربيعة فقد أخرجه اللالكائي في «السنة» (١/ ٩٢)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الحموية» ص٨٠: رواه الخلال بإسناد كلهم أئمة ثقات، وانظر «تعليق العلامة الألباني على مختصر العلو» (ص١٣٢) وكذلك انظر «أثر مالك في مختصر العلو» (ص١٤١) وهو عند الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٣٣)، واللالكائي ١(/ ٩٢/ ١)

أما أثر مالك فقد رواه اللالكائي في شرح السنة (١/ ٩٢) (٦٦٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٦٧)، وقال الحافظ في =

يَعْنِي: انْتَهِ عن هذا.

والحقيقةُ أنَّ الذي ضَرَّ أهلَ الكلامِ هو هذا التَّنَطُّعُ، وهذا التَّعَمُّقُ.

وإلَّا فإنهم لو أَخَذُوا الدِّينَ على ظَاهِرِه، وعلى طَلَاوَتِه وحَلَاوَتِه وسُهُولَتِه ويُسْرِه ما تَوَلَّدَتْ عندَهم هذه الاسْتِفْهَامَاتُ، وهذه التَّقْدِيرَاتُ.

إذًا: أيُّ واحِدٍ يَسْأَلُنَا: هل للقَدَمِ أَصَابعُ؟ نَقُولُ: هذا بِدْعَةٌ، وكُفَّ لِسَانَكَ عنه، فما سَأَلَه مَن هو خَيْرٌ منك على مَن هو خَيْرٌ مِنهم، ولو كَانَ العِلْمُ بهذا مِن الدينِ لم يُهْمِلْه اللهُ عَجَلَّ، ولو كان هذا مِن الدينِ لَبَيَّنَه اللهُ في كتابِه أو في سُنَّةِ رَسُولِه ﷺ ابْتِدَاءً، أو جَوَابًا على سُؤَالٍ، أو إقْرَارًا مِن قائِلٍ.

ولهذا فإنه إذا لم يَتَكَلَّمِ الرسولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بشَيْءٍ قَدَّرَ اللهُ، أو يَسَّرَ أَعْرَابيًّا يَأْتِي مِن الباديةِ مِن أجلِ أن يَسْأَلَ الرسولَ ﷺ عن هذا الشيءِ، ولهذا كَانَ الصَّحَابَةُ يَفْرَحُون إذا أَتَى أَعْرَابِيٌّ مِن الباديةِ لِيَسْأَلَ النبيَّ ﷺ[1].

إذًا: فما بَالُنا نَتَكَلَّمُ في ذلك، ألا يَسَعُنَا ما وَسِعَ الأَوَّلين؟! وهم واللهِ أَفْقَهُ مِنَّا باللهِ، وأَعْلَمُ منا باللهِ، وأَشَدُّ مِنَّا أَدَبًا مع اللهِ، وأنت إذا سَأَلْتَ: هل للهِ أصابعُ في الرِّجْلِ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَسْمَعُكَ؟

ولو أنَّ مَلِكًا من مُلُوكِ الدُّنْيَا رَأَيْتَه يُغَطِّي قَدَمَه، فهل يَلِيقُ بك أن تَتَقَدَّمَ بينَ يَدَيْه وتَقُولَ له أَيُّها المَلِكُ، هل لَكَ أَصَابعُ بالرِّجْلِ؟! لا شك أنك لن تَسْأَلَه هذا السؤالَ؛ لأَنَّك تَرَى أنَّ هذا خلافُ الأَدَبِ، فكيف مَعَ اللهِ لا تَتَأَدَّبُ؟!.

فلهذا فأنا أَنْصَحُ نَفْسِي وإيَّاكم في هذه المسائلِ ألا تُقَدِّرُوا شَيْئًا واعْلَمُوا أنَّ اللهَ فوقَ ما تَتَصَوَّرُون، وفَوقَ ما يُدْرِكُهُ العَقْلُ، وقد قالَ اللهُ تعالَى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ۝١١٠﴾ [طه:١١٠]. فلماذا تُقَدِّرُ؟!.

وأنا أَتَعَجَّبُ أَنْ يُورِدَ عَلَيَّ شابٌّ أو طَالِبُ عِلْمٍ شيئًا من ذلك، فيقولَ مثلًا: كيف يَنْزِلُ اللهُ إلى السماءِ الدُّنْيَا في ثُلُثِ الليلِ الآخِرِ، وثُلُثُ الليلِ الآخِرِ في كلِّ الدُّنْيَا؟ فهلْ هذا أَدَبٌ؟! وهل تُرِيدُ أَنْ تُكَذِّبَ الرَّسُولَ؟ وهل تُرِيدُ أَنْ تَنْفِيَ عن اللهِ هذه الصفةَ؟ وهل تُرِيدُ أن تَجْعَلَ هذه الصفةَ في كلِّ وقتٍ، واللهُ حَدَّدها في ثلث الليل؟

فكلُّ هذا لا يَرِدُ، ولا يُورِدُه إلا إنسانٌ جَاهِلٌ أو ضَعِيفُ الإيمانِ؛ لأن هذه أمورٌ ليس للعَقْلِ فيها تَدَخُّلٌ إطْلَاقًا، ولم يَضُرَّ المُتَكَلِّمين هذا الضررَ العظيمَ حتى نَفَوْا صِفَاتِ اللهِ أو أَكْثَرَها إلَّا هذه التقديراتُ، قَالُوا: هذا غيرُ معقولٍ، وهذا لا يُدْرِكُه العقلُ: ولا يُمْكِنُ أن يَكُونَ للهِ قَدَمٌ، فمُسَمَّاه بعضُ

=

«الفتح» (١٣/ ٤٠٧) إسناده جيد ورواه الدارمي في الرد على الجهمية (١٠٤)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٥١)، والذهبي في «مختصر العلو» (ص١٤١)، وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا ثابت عن مالك وربيعة هو ابن عبد الرحمن فَرُّوخ، الإمام، مفتي المدينة، وعالم الوقت، أبو عثمان، كان يقال له: ربيعة الرأي توفي سنة ست وثلاثين ومائة بالمدينة وانظر: «السير» (٦/ ٨٩-٩٦).

(١) رواه مسلم (١٢).

لأجْسَامِنا؛ يَعْنِي: مُسَمَّى القدمِ عندَنا بَعْضُ الجسمِ.

نقولُ في الجوابِ على هؤلاء: مُسَمَّى القَدَمِ عندَ اللهِ كيف نَقُولُ: إنه بَعْضُ اللهِ؟! نَتَأَدَّب مع اللهِ ﷻ ونَقُولُ: قَدَمُه حَقِيقَةٌ، وصِفَةٌ مِن صِفَاتِه الخَبَرِيَّةِ، التي لا مَدْخَلَ للعقلِ فيها، ولَيْسَتْ مَعْنَوِيَّةً حتَّى يُدْرِكَها العَقْلُ إجْمَالًا، فهي مُجَرَّدُ خَبَرٍ آمَنَّا بها لمُجَرَّدِ الخَبَرِ.

وهم يَقُولُون: لا يُمْكِنُ أن يَكُونَ للهِ قَدَمٌ، وهذا مُسْتَحِيلٌ، والقَائِلُ بأنَّ للهِ قَدَمًا مُجَسِّمٌ كَافِرٌ، فكلُّ من اعتقدَ أنَّ للهِ جِسْمًا كَافِرٌ، ومَن اعْتَقَدَ أنَّ للهِ قَدَمًا حَقِيقَةً فقد جَسَّمَ، فيكونُ كافرًا، ولذلك يُطْلِقُون على أهلِ السُّنَّةِ المُشَبِّهَةَ، ومن شَبَّه اللهَ بخلقِه فهو كافرٌ.

ونحن نقولُ: هذا الرسولُ ﷺ قال: «**حتى يَضَع فِيهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ**». وهو يَتَكَلَّمُ بلسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، ويُخَاطِبُ أَفْصَحَ العَرَبِ في زَمَانِهم وَبَعْدَ زَمَانِهم، وهم الصحابةُ الذين عَلِمُوا اللغةَ العربيةَ شَرْعًا ووَضْعًا، ومع ذلك لم يُنْكِرْ أحدٌ منهم هذه الكلمةَ، ولم يُحَرِّفْها عن مَعْنَاها، بلْ قَالُوا: سَمِعْنا وأَطَعْنا، وصَدَّقْنا وآمَنَّا.

لكن المُتكلِّمةُ يُنْكِرُون هذا بعُقُولِهم الفاسدةِ، وذلك لبُعْدِهم عن حَقِيقَةِ الاسْتِسْلَامِ التَّامِّ للهِ؛ لأنَّ حقيقةَ الاسْتِسْلَامِ التامِّ للهِ: تَصْدِيقُ الخَبَرِ، وإن اسْتَبْعَدَه العقلُ، وامتثالُ الأمرِ وإن جَهِلَ حِكْمَتَه العَقْلُ، فهذا هو الاسْتِسْلَامُ الحَقِيقِيُّ، يُقَالُ: قَدَم، يعني مُقَدَّمَهُ مِن الخَلْقِ؛ يَعْنِي: الذين قَدَّمَهم للنَّارِ.

وعليه فيكونُ معنى قولِه ﷺ: «حتَّى يَضَعَ ربُّ العَالمين فيها قَدَمَه»؛ يَعْنِي: حتَّى يُضِيفَ إليها أُنَاسًا آخَرِين، فيَنْزَوِي بَعْضُها إلى بعضٍ، ولا شكَّ هذا تَحْرِيفٌ؛ لأنه إذا ضُمَّ إليها آخرون لم يَنْزَوِ بَعْضُها إلى بَعضٍ، بل كان الناسُ يَتراكَمُ بعضُهم فوقَ بعضٍ. لكنَّ النَّارَ تَبْقَى على ما هي عليه.

فالظاهرُ: أنَّ الذي يَنْزَوِي هو النارُ، تَنْضَمُّ هي بنَفْسِها، ثُمَّ ما الذي جَعَلَنا نُقَدِّرُ هذا التقديرَ؟! فهؤلاء إن كانوا مِن أهلِ النارِ لم يُحْتَجْ أن يُقَالَ للنارِ: هل امْتَلأْتِ أمْ لا؟ وإن لم يكُونوا مِن أهلِ النارِ فإنَّه لا يَصِحُّ أنْ يَدْخُلُوا النارَ مِن أجلِ مَلْءِ النارِ.

وأمَّا اللفظُ الآخرُ في هذا الحديثِ، وهو قولُه ﷺ: «**يَضَعُ رَبُّ العِزَّةِ فيها رِجْلَه**»[1]. فإنهم قد قالوا رِجْلٌ للهِ؟! هذا تَجْسِيدٌ وكُفْرٌ. ولذلك قالوا: إن مَعْنَى الرِّجْلِ: الطَّائِفَةُ، لأنه في الحديث أنَّ أَيُّوبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَرْسَلَ اللهُ إليه رِجْلَ جَرَادٍ؛[2] أيْ: طائفةً مِن الجرادِ، والناسُ إذا سُئِلُوا: هل الجَرَادُ كَثِيرٌ في هذا المكانِ؟ قالُوا: لا واللهِ رِجْلٌ. يعنونَ: طائفةً قَلِيلَةً.

وعليه فإن مَعْنَى «رِجْلَه»؛ أي: طَائِفتَه. وسبحانَ اللهِ، أطائفةٌ تُضَافُ إلى النارِ فيَنْزَوِي بَعْضُها إلى بعضٍ.

ثم مَن هي هذه الطائفةُ التي تَسْتَحِقُّ أن تُضَافَ إلى اللهِ إضافةً خَاصَّةً؟ لأنَّ الخبيثَ لا يُضَافُ إلى

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٣٣٩١)، (٧٤٩٣) وانظر: «النهاية» لابن الأثير (ج ر د).

اللهِ إضافةً خاصة -وهذه مَسْأَلَةٌ مفيدةٌ- فقد خَلَقَ اللهُ العَالَمِين كلَّهم، ويَدْخُلُ فيهم كلُّ شيءٍ، الطيبُ والخبيثُ، لكن لا يَليقُ أدبًا أنْ أَقُولَ: إنَّ اللهَ خَلَقَ الكلبَ. إلَّا في مُقابلةِ مَن يَنْفِي أنَّ اللهَ خَلَقَ الكَلْبَ، وأمَّا أنْ تُضِيفَ خَلْقَ اللهِ إلى شيءٍ خبيثٍ، فهذا ممنوعٌ، ولا يَلِيقُ، وإن كان دَاخِلًا في العمومِ؛ لأنَّ هناك فَرْقًا بينَ العمومَ وبينَ الخصوصِ، حتَّى عندَ العامةِ لو قُلْتَ مثلًا للملكِ: أنْتَ تَأكُلُ الطعامَ. يَعْنِي: أن كلَّ ما أكَلَ يَدْخُلُ في هذا، لكن أن تَقُولَ له: أنْتَ تَأْكُلُ القُرْصَ المُحْتَرِقَ. فهذا سوءُ أَدَبٍ، ففَرْقٌ بينَ التَّعْيين والعُمُوم، وقد أَشَارَ إلى هذا شَيْخُ الإسْلام ابنُ تيميةَ رَحِمَهُ اللهُ بالنسبةِ للخَلْقِ.

إذًا: قولُه ﷺ: «حتى يَضَعَ ربُّ العَالَمِين فيها قَدَمَه» القدمُ هنا قَدَمٌ حَقِيقِيَّةٌ تَلِيقُ باللهِ، ولا تَتَجاوَزْ أيُّها المسلمُ ذلك، فلا تقُلْ: ولها أَصَابعُ، أو ليسَ لها أَصَابعُ، أو ما أَشْبَهَ ذلك، بل اقْتَصِرْ على ما سَمِعْتَ، ولا تَتَعَرَّضْ لما لم يُنْقَلْ إلينا.

وأمَّا بَقِيَّةُ الحديثِ فَفِيه بيانُ أنَّ اللهَ ﷻ، كما ذَكَر عن نَفْسِه في الحديثِ القُدْسِيِّ: «رَحْمَتُه سَبَقَتْ غَضَبَه»[1]. فإنه لمَّا كان يَبْقَى في الجنةِ فَضْلٌ عن مَن دَخَلَها، والذي يَدْخُلُها مِن بَنِي آدمَ واحدٌ مِن ألفٍ[2]، لكنَّ هذا الواحدَ له مُلْكٌ طَوِيلٌ عَرِيضٌ، فهو مَسِيرَةُ أَلْفَي عَامٍ، يَنْظُرُ إلى أَقْصَاهُ كما يَنْظُرُ إلى أَدْناه[3].

إلا أن هذه الجنةُ عَرْضُها السمواتُ والأرضُ، ومَن يُدْرِك عَرْضَ السموات والأرضِ إلَّا اللهُ، فهي واسعةٌ سَعَةً عظيمةً يدخلها أهلها ويبقى فيها فضل، وقد وَعَدَها اللهُ ﷻ أن يَمْلأَها[4]، وهو أَوْفَى مَن وَعَد، ومَن أَوْفَى بعهدِه مِن اللهِ؟! فيبقى فيها فضل، يقول: حتى يُنْشِئَ[5] اللهُ لها خَلْقًا فيُسْكِنَهم فَضْلَ الجَنَّةِ في ذلك الوقت يخلق الله أقوامًا جُددًا ويدخلهم الجنة بلا عَمَلٍ، بل بفَضْلِه ورَحْمَتِهِ، وأهلُ النارِ في النار لا يَخْرُجُ أحدٌ ممن اسْتَحَقَّ الخلودَ في النارِ حتَّى يُسْكِنَه بقيَّةَ الجنةِ، فالنَّارُ أُغْلِقَتْ على أَهْلِها، والعياذُ باللهِ، لكن يُنْشِئُ اللهُ للجنةِ أَقْوامًا لأجلِ أنْ يَمْلَئُوا هذا الفَضْلَ، ولا يقولُ للجنةِ: يَقْرُبُ بَعْضُك مِن بعضٍ. حتَّى تَمْتَلِئَ بمَن فيها، وهذا مِصداقُ قولِه سبحانَه: «إن رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»[6]. ولو لا حِلْم اللهِ ما بَقِي على ظَهْرِ البَسِيطَةِ أَحَدٌ.

---

(١) رواه البخاري (٣١٩٤) بلفظ «غلبت غضبي»، ومسلم (٢٧٥١).

(٢) انظر في ذلك: ما وراه البخاري (٣٣٤٨، ٤٧٤١، ٦٥٣٠)، ومسلم (٢٢٢).

(٢) روى أحمد رَحِمَهُ اللهُ في «مسند» (٢/ ١٣) (٤٦٢٣)، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لَيَنظُر في مُلْكِ أَلْفَي سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه...» الحديث. وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٤٠١) رواه أبو يعلى والطبراني، وفي أسانيدهم ثُوَيْر بن أبي فاخِتَه، وهو مجمع على ضعفه.

(٤) رواه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).

(٥) هذا هو جواب الشرط لحرف الشرط «لمَّا».

(٦) تقدم تخريجه.

***

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨- بابُ قولِ اللهِ تعالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام:٧٣].

قولُه جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام:٧٣]. الباءُ للمُلَابَسَةِ والغَايَةِ، يَعْنِي: أنه سبحانَه هو الذي خَلقَها حَقًّا، فلم يَخْلُقْها أحدٌ سِواه.

وقولُه سبحانَه ﴿بالحقِّ﴾، أي: الغايةَ منها الحقُّ، كما قَالَ تعالَى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾. [الدخان:٣٨-٣٩].

وخَلَقَ بمَعْنَى أَوْجَدَ مِن عَدَمٍ، فالسموات كانت عَدَمًا، والأَرْضُون[1] كانت عَدَمًا، فخَلَقَها اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وبيَّن لنا أنَّه خَلقَها في سِتَّةِ أيَّامٍ، بيَّنَ ذلك إجمالًا، وبَيَّنَه تَفْصِيلًا، وهذا مِن حُسْنِ التَعْلِيمِ، فمن تعليم اللهِ أنَّه يَذْكُرُ الشَّيْءَ إجْمالًا؛ ثُمَّ يَذْكُرُه تفْصِيلًا، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [هود:١].

وذلك لأنَّ الإجْمَالَ يُوجِبُ قَرَارَ هذا الشَّيْءِ في النَّفْسِ، ثم تَشَوُّفَ النَّفْسِ إلى التَّفْصِيلِ، فيَرِدُ عليها التَّفْصِيلُ، وهي مُتَهَيِّئَةٌ لقَبُولِ ما يَرِدُ عليها.

وهذه الأيامُ السِّتَّةُ قد فَصَّلَها اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في سورةِ فُصِّلَتْ ولهذا سُمِّيَتْ فُصِّلَتْ، قال تعالَى: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾﴾. [فصلت:٩] فهو سبحانَه قد خَلَقَ الأرضَ في يَوْمين.

ثم قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ [فصلت:١٠]. فهذه ثلاثةُ أُمُور، في ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾؛ أي: باليَوْمَيْنِ السَّابِقَيْن، يعني بمعنى اليومين السابقين واليومين اللذين في الأمور الثلاثة، ولهذا قالَ: ﴿سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ يَعْنِي: أربعة أيام لا تَزِيدُ، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا﴾. ولم يَقُل: فِي وَسَطِها، أو مِن تَحْتِها؛ لأنَّ هذه الرَّوَاسِيَ التي جُعِلَتْ مِن فَوْق الأرضِ لها مَصْلَحةٌ عَظِيمةٌ وهي أن ذلك أَضْبَطُ للتَّوَازُنِ، ولِمَا يَحْصُلُ مِن هذه الجبالِ العَظِيمَةِ مِن كُهُوفِها ومَغَاراتِها، وغيرِ ذلك مِن المصالحِ العظيمةِ، والشِّعَابِ العظيمةِ التي تَمْلَأُ الأرضَ؛ لأنَّ الرياض تأتي من الجبال؛ المُنْبَسِطَةَ لا تَأْتِي منها الأَوْدِيَةُ.

ولذلك تَجِدُ الأَوْدِيَةَ في الأماكنِ التي فيها الجبالُ الشَّامِخَةُ أَقْوَى انْدفاعًا وأعْظَمَ.

وكذلك أيضًا هذه الجبالُ العظيمةُ من فَوْقَ الأَرْضِ تَصُدُّ الرِّياحَ العظيمةَ التي تَأْتِي مِن هنا وهناك، ففيها مَصَالِحُ يَعْرِفُها أهلُ الجغرافيةِ.

حيثُ قال سبحانَه: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾. فأَنْزَلَ اللهُ فيها البَرَكَةَ، ولهذا هي تَحْمِلُ بَنِي آدمَ، وأَنْعَامَ بَنِي آدمَ، وأَرْزَاقَ بَنِي آدمَ، على كَثْرَةِ مَن يُولَدُ ويَمُوتُ في هذه الأَرْضِ، فهي

---

(١) بفتح الراء، ويجوز تسكينها في ضرورة الشِّعْر، وانظر: شرح قطر الندى (ص٤٤).

مباركةٌ.

حيث قال سبحانه: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾؛ أي: جَعَل في كلِّ إقْلِيمٍ قوته الذي يَحْتَاجُ إليه، وجَعَل هذه الأقْوَاتَ تُوجَدُ في إقْلِيمٍ دُونَ إقْلِيمٍ وفي بَلَدٍ دُونَ بَلَدٍ، ليَتَبادَلَ الناسُ التجارةَ، فيما بَيْنَهم، فيَنْقُلُ هؤلاء إلى هؤلاء، وهؤلاء إلى هؤلاء، ولهذا قال: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾. وقبلَها قال: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾. لأنَّ الأقواتَ مُقَدَّرَةٌ بحَسَبِ الحاجةِ، وبحَسَبِ المصلحةِ التي تقومُ بينَ بَنِي آدمَ؟

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [فصلت:١١]. بعدَ أن خَلَقَ الأرْضَ وبَارَكَ فيها وقَدَّرَ فيها أقواتها في أربعةِ أيامٍ اسْتَوَى إلى السماءِ، ﴿وَهِىَ دُخَانٌ﴾؛ أي: كالدُّخانِ.

قال بعضُ العلماءِ: إنَّ هذا بخارُ الماءِ؛ لأنَّ الأرض والسماءَ كانت ماءً، لِما قَالَ تعالَى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود:٧].

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت:١١-١٢]. انْظُرْ الحِكْمَةَ العظيمةَ، السموات ما فَصَّلَ فيها كما فَصَّلَ في الأرضِ، ولا مَدَّدَ خَلْقَها كما مَدَّدَ خَلْقَ الأرضِ، مع أنَّها أعْظَمُ مِن الأرضِ بأضْعَافٍ مُضَاعفةٍ، لكن لِيَتَبيَّنَ للناسِ عِنايَةُ اللهِ ﷻ بمصالِحِهم، ثم لِيَتَبَيَّنَ لك أنْ كَوْنَ اللهِ خَلَقَ الأرضَ في أربعةِ أيام، والسموات في يَوْمَيْن ليسَ عَجْزًا منه أن يَخْلُقَ الأرضَ في لحظةٍ، ولذلك خَلَقَ السمواتِ وهي أَعْظَمُ منها في يَوْمَيْن وهي نَصْفُ مُدَّةِ الأرضِ، فإذن تَمْدِيدُ اللهِ خَلْقَ الأرضِ إلى أربعةِ أيامٍ ليسَ لعجزٍ أو ضَعْفٍ، لكن لِحِكْمَةٍ، بدَلِيلِ أنَّه خَلَقَ السماءَ وهي أَعْظَمُ منها بمُدَّةٍ أقْصَرَ مِن خلقِ الأرضِ، ومن ذلك أنه قَالَ لها وللأرضِ: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾. هذا يَحْتَمِلُ أنَّه للتَّهْدِيدِ أو للتَّخْيِيرِ، لِيَنْظُرَ ﷻ كيفَ انقيادُ السمواتِ والأرضِ إليه، فماذا قَالَتَا؟ ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾. وهنا قال: ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ مع أنَّ السماءَ والأرضَ جماد، والجَمَادُ لا يُجْمَعُ جَمْعَ مُذَكَّرٍ سَالِمٍ؛ لأنَّ مِن شُرُوطِ جَمْعِ المُذَكَّرِ السالمِ أن يَكُونَ اسْمًا أو صِفَةً لمُذَكَّرٍ عاقِلٍ، فكيفَ قَالَ: ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾؟

قَالَ بعضُ المُفَسِّرينَ قولًا عجِيبًا، قَال: قَالَتَا: أتينا بمَنْ فِينَا مِن الإنسِ والجنِّ والملائكةِ طَائِعِينَ، فغَلَّبَ العَاقِلَ على غيرِ العَاقِلِ، والصَّوابُ خِلَافُ ذلك؛ لأنَّ النَّاسَ لم يُخْلَقُوا بعدُ، حينَ خَلَقَ السمواتِ والأَرْضَ، لكن المَعْنَى أنَّهما لمَّا كانا يُخَاطَبَانِ ويُخَاطِبانِ، صَارَا بمَنْزِلَةِ العَاقِلِ، فقالتا: أَتَيْنا طَائِعِينَ، وهذا أمرٌ لا شَكَّ فيه.

الخلاصةُ: أنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ في ستةِ أيام، ذَكَرَ ذلك مُجْمَلًا وذَكَره مُفَصَّلًا، ولو شَاءَ لَخَلَقَهما في لحظةٍ كنْ فَيَكُونُ، فقد قالَ للقَلَمِ: اكْتُبْ ما هُوَ كَائِنٌ إلى يومِ القيامةِ، والقَلَمُ جَمادٌ ومع ذلك كَتَبَ ما هو كَائِنٌ إلى يوم القيامةِ؛ لأنَّ أمْرَ اللهِ لا يُرَدُّ، ولو قَالَ للسماءِ والأرضِ كُونَا أرضًا أو كُونَا سَماءً كَانَا في لحظةٍ، لكن قالَ العلماءُ: إنَّ اللهَ ﷻ مَدَّدَ الخَلْقَ إلى ستةِ أيامٍ تَعْلِيمًا للعبادِ إذا فَعَلُوا أنْ يَفعَلَوا على وَجْهِ الجَوْدَةِ والتَّأَنِّي، وإتْقَانِ الشَّيْءِ، دُونَ التَّسَرُّعِ والتَّعَجُّلِ، هذا مِن جَهَةٍ، ومن جِهَةٍ

أخرَى: أنَّ اللهَ حَكِيمٌ، فالخَلْقُ يَحْتَاجُ إلى تَدَرُّجٍ، فكَانَتْ الحِكْمَةُ تَقْتَضِي أنْ يَخْلُقَهما بالتَّدرُّجِ حتَّى يَصِلا إلى الكمالِ، كما أن النبات يبدأ بذرةً ثم يَنْمُو شَيْئًا فشَيْئًا حتَّى يَصِلَ إلى الكمالِ، وأيًّا ما ذكرنا من التعليل هذا أو هذا فما هو إلا تَعْلِيلٌ ظَنِّيٌّ وإلَّا فللهِ من الحِكَمِ والأَسْرَارِ ممَّا وراءَ عُقُولِنا فنَقُولَ: إنَّ اللهَ خَلَقَهما في ستةِ أيامٍ مع قُدْرَتِه على خَلْقِهما في لحظةٍ لأمرٍ لا نَعْلَمُه، ونكونُ بذلك صَادِقِينَ، فنحن عَاجِزُونَ عن إدْراكِ الحِكْمَةِ، لكن قَادِرُونَ على الجوابِ، فنَقُولُ: اللهُ أعلمُ.

فإن اسْتَنْبَطْنَا حِكْمَةً، وكَانَتْ هي الموافقةَ، فهذا مِن لُطْفِ اللهِ بنا وفَضْلِه علينا، وإن لم تَكُنْ فنَسْأَلُ اللهَ أنْ يَعْفُوَ عنَّا خَطَأَنا.

وهذه الأيام، كأيام الدنيا؛ لأن النبي ﷺ بيَّنَ أن أولها يومُ الأحدِ وآخرَها يومُ الجمعةِ.

سؤال في قولِه تعالَى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾﴾ [فصلت:٩]. ثم قَالَ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾. وهذا مَقْتَضَاهُ أَنَّ خَلْقَ السَّمواتِ بعدَ خَلْقِ الأرضِ، وقَالَ في سُورةِ النَّازِعَاتِ: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات:٢٧-٣٠]. فجعَلَ خَلْقَ الأرضِ بعدَ خَلْقِ السَّماءِ فكيف الجمعُ بينهما؟

فالجوابُ: أنَّ مَعْنَى الدَّحْوِ يُفَسِّرُه ما بعدَه، وهو قولُه: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [النازعات:٣١]. فيَكُونُ خَلْقُ الأرض وجَعْلُ الرَّوَاسِي فيها قَبْلَ خَلْقِ السماءِ، أمَّا الدَّحْوُ الذي جَعْلُ الأرضِ مُهَيَّأَةً لكلِّ المنَافِعِ فيها، وإِخْرَاجُ مائِها ومَرْعَاها فهذا بعدَ ذلك.

۞ وقولُه: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ [النازعات:٣٢]. جُملةٌ مُسْتَقِلَّةٌ، يَعْنِي: وأَرْسَاها للجبالِ.

وهنا مَسْأَلَةٌ دائمًا نُكَرِّرُها وهو أنَّه لا تَعارُضَ بينَ آياتِ القرآنِ الكريمِ، وأنَّ الإنسَانَ يجبُ أنْ يَنْظُرَ ويَتَأَمَّلَ حتَّى يَعْرِفَ الفَرْقَ الذي به يَزُولُ التَّعارُضُ، ولو قَالَ: والأَرْضَ بعدَ ذلك خَلَقَها، لكانَ فيه تَعارُضٌ، لكن قَالَ دَحَاها، فنَحْنُ نَعْلَمُ أنَّ الدَّحْوَ غيرُ الخَلْقِ، ولأنَّه ذَكَرَ في آياتٍ أُخرى أنَّه خَلَقَ الأرضَ قبلَ السماءِ.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

باب قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام:٧٣].

٧٣٨٥- حَدَّثنا قبيصةُ، حَدَّثنا سفيانُ، عن ابن جُرَيجٍ، عن سليمانَ، عن طاوسٍ عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: كان النبيُّ ﷺ يَدْعُوا من الليلِ: «اللَّهُمَّ لك الحَمْدُ أنت ربُّ السمواتِ والأرضِ، لك الحَمْدُ أنت نورُ السمواتِ والأرضِ، قَولُك الحقُّ، ووَعْدُك الحقُّ، ولقاؤُك حقٌّ، والجنَّةُ حقٌّ، والنارُ حقٌّ، والساعةُ حقٌّ، اللَّهُمَّ لك أَسْلَمْتُ

وبك آمَنْتُ وعليك تَوَكَّلْتُ وإليك أَنَبْتُ، وبك خاصَمْتُ، وإليك حاكَمْتُ، فاغْفِر ما قَدمْتُ وأخرْتُ وأَسْرَرْتُ وأَعْلَنْتُ، وأَنتَ إلهي لا إله لي غيرك» حَدَّثنا ثابتُ بنُ محمدٍ، حَدَّثنا سفيانُ بهذا وقال: «أنت الحقُّ وقولُكَ الحقُّ»[1].

ثم ذَكرَ المؤلفُ رَحِمَهُ اللهُ حديثَ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يَدْعو مِن الليلِ، وذلك إذا قَامَ لصلاةِ الليل يَقولُ: «اللهمَّ لك الحمدُ، أنتَ ربُّ السَّمواتِ والأرْضِ» . فبَدأَ بحَمْدِه، ثُمَّ قالَ: أنتَ ربُّ السَّمواتِ والأَرْضِ، إذ رُبوبيَّته تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَبْنيَّةٌ على الحمدِ، والحمدُ هو وَصْفُ المحمودِ بالكمالِ مَعَ الحُبِّ والتَّعظِيمِ، فإنْ كُرِّرَ وَصْفُ الكَمَالِ سُمِّيَ ثَنَاءً، والدَّليلُ قوله تعالى في الحديث القدسي: «إذا قال العبدُ: الحمدُ للهِ ربِ العالمينَ» قَالَ اللهُ: «حَمِدَني عَبْدِي، فإذا قَالَ: الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. قَالَ: أَثْنى عليَّ عَبْدِي»[2].

وقولُه: «ربُّ السَّمواتِ والأرضِ». سَبَقَ أنَّ مَعْنَى الرُّبُوبيَّةِ يَدُورُ على ثلاثةِ أشياءَ: على الخلقِ، والملكِ، والتدبيرِ، فهو خَالقُهما ومَالِكُهما والمُدَبِّرُ لهما، وجَمَع السَّمواتِ باعتبارِ العَدَدِ، وأفراد الأرضَ باعتبارِ الجِنْسِ، و السَّمواتِ سَبْعٌ بِنصِّ القُرْآنِ ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝٨٦﴾ [المؤمنون:٨٦]. أمَّا الأرضُ فليسَ في القرآنِ تَصْريحٌ بأنَّها سَبْعٌ لكن فيها ما يَدُلُّ على ذلك، مثل قَوْلهِ تعالَى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق:١٢]. والمُمَاثَلَةُ هنا لا يُمكِنُ أن تَتَأتَّى إلَّا في العَدَدِ، إذ إن الكيفيةَ، والحجم والعظمةَ لا تَماثُلَ بينَ السماءِ والأرضِ فيها، فتَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ المرادُ من قولِه: ﴿مِثْلَهُنَّ﴾. أيْ: في العَدَدِ، والسُّنَّةُ صَرِيحةٌ في ذلك، قَالَ النبيُّ ﷺ: «مَن اقْتَطعَ مِن الأرضِ شِبرًا، طَوَّقَه اللهُ يومَ القيامةِ مِن سَبعِ أرَضِينَ»[3].

وقولُه: «لَكَ الحَمْدُ أنتَ قَيِّمُ السَّموات والأَرْضِ». أي: بك تَقُومُ السماءُ والأرضُ، وأنت القيومُ عليهنَّ، فبه تَبَارَكَ وَتَعَالَى تَقُومُ السماءُ والأرضُ، ولا غِنَى للسمواتِ والأرضِ ومَن فِيهن عن اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وهو القَيِّمُ عليهما أيضًا، والقيوميةُ هنا تَتَضَمَّنُ الإيجادَ، والإعْدادَ، والقِيَامَةَ على الشيءِ كقولِه تعالَى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء:٣٤]، أي: يَقُومُون على النساءِ، ويَتولَّون أُمورَهُنَّ، فاللهُ قَيِّمُ السَّمواتِ؛ أي: به قَامَتْ السَّمواتُ والأرضُ، وهو الذي يقوم على السَّموات والأرض ويتولَّى أمر السماء والأرض قَالَ اللهُ تعالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم:٢٥]. هذا أحدُ المعنيين، أما المَعْنَى الثَّاني: أنَّه يَقُومُ عليها ويَتَولَّاهما «قَيِّمُ السَّموات والأرض ومَن فيهن».

«لك الحمدُ أنتَ نورُ السَّمواتِ والأرضِ». أيْ: بك اسْتَنَارَتْ السَّموات والأرضُ، فلولا أنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ في السَّموات والأرضِ نورًا لم يَكُنْ فيهما نورٌ، أو أنَّه هو نَفْسُه النُّورُ، وقال: إنَّه نورُ السَّموات والأرضِ. وإنْ لم يَكُنْ في جَوْفِ السماءِ أو في جَوْفِ الأرضِ، كقولِه تعالَى: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح:١٦]. ومِن المعلومِ أنَّ القَمَرَ ليسَ يُنير

---

(١) رواه مسلم (٧٦٩) (١٩٩) بنحوه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٢٤٥٢)، ومسلم (١٦١٠) (١٣٧).

السَّموات، وإنَّما يُنيرُ الأرضَ.

۞ وقولُه: «قولُك الحقُّ، ووعدُك الحقُّ، ولِقاؤُك حَقٌّ، والجَنَّةُ حَقٌّ، والنَّارُ حَقٌّ، والسَّاعَةُ حَقٌّ».
يُمكِنُ أنْ يَقُولَ القَائِلُ: قَوْلُك، ووَعْدُك، ولِقَاؤُك، والجنَّةُ، والنَّارُ، والسَّاعَةُ. ست، يمكن أن يقول الإنسان هذه الأشياء الستة ويُخبر عنها بكلمة واحدة فيقول: حَقٌّ. ولكنَّ مَقَامَ الثَّناءِ مَقَامُ بَسْطٍ ولكلِّ مقام مقال.

۞ وقولُه: «قَوْلُك الحَقُّ». الحَقُّ مِن وجْهَين؛ لأنَّ قولَ اللهِ عزَّوجلَّ إمَّا طَلَبٌ، و إمَّا خَبَرٌ، فإن كانَ طَلَبًا فهو عَدْلٌ مُشْتمِلٌ على المصالحِ، وإن كانَ خَبَرًا فهو صِدْقٌ، وعليه قوله تعالَى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام:١١٥].

۞ وقولُه: «وعْدُك الحَقُّ» .وَعْدُك سواءٌ كان وَعْدًا بمَثُوبَةٍ، أو وَعْدًا بعُقُوبَةٍ، فإنَّه حَقٌّ، وليسَ فيه كَذِبٌ، ولابُدَّ أن يَقَعَ؛ لأنَّ اللهَ لا يُخْلِفُ المِيعَادَ، إلَّا أنَّ الوَعْدَ بالعُقُوبَةِ إذا لم يَكُنْ الإثمُ شرْكًا فصَاحِبُه تحتَ المشيئةِ؛ لقَوْلِه تعالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:١١٦].

۞ وقولُه: «ولقاؤُك حَقٌّ». لِقَاءُ اللهِ ﷻ حَقٌّ، قالَ اللهُ تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾ [الانشقاق:٦]. فلابُدَّ أن تُلاقِيَ رَبَّك، ولابُدَّ أنْ يَخْلُوَ ربُّكَ بك، ليسَ بينَك وبينَه تَرْجُمان، ولابُدَّ أن يَسْأَلَك ويُقَرِّرَك بذُنُوبِك، ويَقُولُ: فَعَلْتَ كذا في يوم كذا. لكن بينَك وبينَه، ثم إذا أَقْرَرْتَ و اعْتَرَفْتَ، قالَ اللهُ تعالَى: إنِّي سَتَرْتُها عليك في الدُّنْيا، وأنا أَغْفِرُها لَك اليومَ. هكذا يحَاسِبُ اللهُ العَبْدَ المؤمنَ يومَ القيامةِ.

أما الكفارُ فإنَّهم لا يُقَرَّرُونَ هذا التقريرَ، ولكن يُخزَوْن يومَ القيامةِ، ويُنَادَى عليهم على رُءُوسِ الأشْهَادِ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود:١٨].

۞ وقولُه: «والجنَّةُ حَقٌّ» أيْ: صِدْقٌ، وكذلك النَّارُ كلاهما حَقٌّ، وهما الآنَ مَوْجُودَتَانِ، وهما مَخْلُوقَتَان للأبدِ، أي مُؤَبَّدَتَان بإجماع أهلِ السنةِ[1] .

إلَّا أنَّ هناك خِلافًا يَسيرًا في أبديةِ النارِ، ولكنَّ القولَ بعدمِ أبدِيَّتِها ضَعِيفٌ للغايةِ؛ لأنَّ اللهَ ذَكَرَ أبدِيَّتَها في ثلاثِ آياتٍ مِن القرآنِ: الآية الأولى قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۝١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء:١٦٨-١٦٩] والآية الثانيةُ قَالَ اللهُ تعالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[الأحزاب:٦٤-٦٥]. والآية الثالثةُ قَالَ اللهُ تعالَى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۝٢٣﴾[الجن:٢٣] وهذا خَبَرٌ مِن اللهِ ﷻ صِدْقٌ، وإذا كَانُوا خَالِدين فيها أبدًا لَزِمَ أنْ يُؤَبَّدَ المكانُ الذى خُلِّدُوا فيه.

---

(١) انظر «مراتب الإجماع» لابن حزم (ص١٧٣)، و«الإقناع في مسائل الإجماع» لابن القطان (١/ ٥٢)، (١٤٩)،و «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٤٨٠).

وقولُه: «والساعةُ حَقٌّ»، الساعةُ؛ يَعْنِي: ساعةَ القيامةِ حَقٌّ، أيْ: لابُدَّ أنْ تَقعَ؛ لأنَّ اللهَ أَخْبَرَبها وما أَخبرَ اللهُ به فهو حَقٌّ.

وقولُه: «اللهمَّ لك أَسْلَمْتُ». الجَارُّ والمجْرُورُ في قولِه: «لك أَسْلَمْتُ» معمولٌ مُقَدَّمٌ لإِفادةِ الحَصْرِ «لك أَسْلَمْتُ»؛ أي: انْقَدْتُ انْقِيَادًا تَامًّا لشَرْعِك.

وقولُه: «وبك آمَنْتُ». والإيمانُ مَحلُّه القَلْبُ، فَذَكَر النبيُّ ﷺ الدينَ الظاهرَ، والدينَ الباطنَ، فالدينُ الظاهرُ هو الإسلامُ، والباطنُ هو الإيمانُ.

وقولُه: «وبك آمنْتُ». مَعْنَى الإيمانِ باللهِ الإقْرَارُ به، المُتَضَمِّنُ للقَبُولِ والإِذْعَانِ، هذا هو الإيمانُ باللهِ فأمَّا الإقْرَارُ الذي لا يَتَضَمَّنُ ذلك فليسَ بإيمانٍ، بل لابُدَّ مِن قَبُولٍ للخَبَرِ، وإذعانٍ للطَّلَبِ.

ولهذا قَالَ أهلُ السُّنةِ: إنَّ الإيمانَ قَوْلٌ باللسانِ وعَمَلٌ بالأركانِ واعْتِقَادٌ بالجَنَانِ.

وقولُه: «وعليك توكلتُ». أيْ: اعْتَمَدْتُ اعْتِمَادًا تامًّا مُعْتَرِفًا بتَقْصِيرِي، مُفَوِّضًا أمْرِي إليك، وهذا هو الفَرْقُ بينَ التَّوكُّلِ على إنسانٍ، والتَّوكُّلِ على اللهِ، فتوكُّلِي على الإنسانِ ليسَ توكُّلَ افْتِقَارٍ وتَفْوِيضٍ، وتوكُّلِي على اللهِ توكُّلُ افْتِقَارٍ وتَفْوِيضٍ، فلو وَكَّلْتَ شَخْصًا يشْتَرِي لك شَيْئًا فقد تَوَكَّلْتَ عليه، واعْتَمَدْتَ عليه في شراءِ هذا الشيءِ، لكن هل هذا اعتمادُ افْتِقَارٍ وتَفْوِيضٍ مُطْلَقٍ؟

الجوابُ: لا، فلو شِئْتَ لعَزَلْتَه، ولو خَالَفَ ما وَكَّلْتَه فيه لضَمَّنْتَه، لكنْ تَوَكُّلُك على اللهِ تَوكُّلُ افْتِقَارٍ وتَفْوِيضٍ، فنفَوِّضُ الأمرَ إليه ونُسْنِدُه إليه، وهذا هو الفرقُ بينَ التوكلِ الذي لا يَصِحُّ إلا للهِ، والتوكلِ الذي يَصِحُّ للمخلوقِ.

وقولُه: «وإليك أَنَبْتُ». الإنابةُ بمَعْنَى الرُّجُوعِ؛ أي: إليك رَجَعْتُ في أُمُورِي كلِّها، رَجَعْتُ مِن المعصيةِ إلى الطاعةِ، ورَجَعْتُ إليك في تَسْهيلِ أمُورِي، وفي رِزْقِي، وفي كلِّ شيءٍ، أَنَبْتُ إليك في كلِّ شيءٍ.

وقولُه: «وبك خَاصَمْتُ». أي: خَاصَمْتُ كلَّ مَن يُخَاصِمُني فيك بك، والباءُ هنا لَيْسَتْ للظَّرْفِيَّةِ، ولكنَّها للاستعانةِ، يَعْنِي: أنك تُعِينُني على خُصُومَتِي مع مَن أخاصِمُ، ويُمْكِنُ أن تكُونَ الباءُ للظرفيةِ ويَكُونَ المَعْنَى: فيك خَاصَمْتُ؛ لأنَّ الرسولَ ﷺ يُخَاصِمُ في اللهِ كما خُوصِمَ إبْرَاهِيمُ عليه السلامُ، قالَ اللهُ تعالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [البقرة:٢٥٨].

فعلَى هذا نَقُولُ: «الباءُ» يَحْتَمِلُ أنْ تكُونَ ظَرْفِيَّةً بمَعْنَى «في»، ويَحْتَمِلُ أنْ تَكُونَ للاسْتِعَانَةِ، والفَرْقُ بينَ المَعْنَيَيْن واضحٌ، فإذا كانَتْ الباءُ للظرفيةِ صارَ المَعْنَى أنِّي أُخَاصِمُ فيك، فإذا خَاصَمَنِي مُخَاصِمٌ، وجَادَلَنِي مُجَادِلٌ في ذَاتِك، أو أسمائِك، أو صِفَاتِك، خَاصَمْتُه، وإن كَانَتْ للاسْتِعَانَةِ فالمَعْنَى أنَّني أَسْتَعِينُ بك في خُصُومَتِي لغَيْرِي، وكِلَا المَعْنَيَيْن صَحِيحٌ، فإذا قَالَ قائلٌ: هل تَأْتِي الباءُ للظَّرْفِيَّةِ؟

قُلْنَا: نَعَمْ، ففي القرآنِ الكريمِ، ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

[الصافات:١٣٧-١٣٨]. أي: وفي الليل.

وقولُه: «وإليك حَاكَمْتُ» أي: حُكُومَتي تَنْتَهِي إليك، ولا أُحَاكِمُ إلى غيرِك، فشَرْعُك هو الحَكَمُ، فأنا أُحَاكِمُ إليك، ولا أَتَعَدَّى حُكْمَك، وهذا تَفْوِيضٌ تامٌّ للهِ كَوْنًا وقَدَرًا.

وكلُّ هذه الكلماتِ والجُمَلِ التي تَتَضَمَّنُ هذا الثَّنَاءَ العظيمَ علَى اللهِ كلُّها وَسِيلةٌ لما سَيأْتِي، وهو قولُه: فاغْفِرْ لي.

قولُه «فاغْفِرْ لي». الفَاءُ هنا تُسَمَّى الفاء الفَصِيحةَ، ويجوزُ أنْ تَكُونَ للسَّبَبِيَّةِ؛ أي: فبِسَبَبِ ذلك اغْفِرْ لي.

والمَغْفِرَةُ سَتْرُ الذَّنْبِ والتَّجَاوُزُ عنه، ولَيْسَتِ السَّتْرَ فَقَط ودَلِيلُ ذلك أنَّها مُشْتَقَّةٌ مِن المِغْفَرِ، وهو ما يُلْبَسُ على الرَّأْسِ أثْنَاءَ القتالِ لحِمَايَةِ الرَّأْسِ مِن السِّهَامِ، فالمِغْفَرُ يَحْصُلُ به سَتْرٌ ووِقَايةٌ، فإذا سَأَلْتَ ربَّكَ مَغْفِرَةَ الذنوبِ، فأنت تَسْأَلُه لأمْرَيْنِ: السَّتْرِ، والتَّجَاوُزِ عن عُقُوبةِ هذا الذَّنْبِ.وقولُه: فاغْفِرْ لي ما قَدَّمْتُ وما أَخَّرْتُ و أَسْرَرْتُ وأَعْلَنْتُ.

و«ما» في قوله: «ما قَدَّمْتُ» مَوْصُولَةٌ، وكذلك في قولِه: «ما أَخَّرْتُ»، وقولُه: «وأَسْرَرْتُ وأَعْلَنْتُ» مَعْطُوفَةٌ على الصِّلَةِ، والمَعْطُوفُ على الصِّلَةِ يَقْتَضِي أنْ يَكونَ مَعْطُوفًا على الموصولِ أيضًا، والمَعْنَى أنَّ الرَّسُولَ ﷺ سَأَل اللهَ أنْ يَغْفِرَ له ما قَدَّمَ وأَخَّرَ وأَسَرَّ وأَعْلَنَ، وفي هذه الجُمَلِ بَسْطٌ ظَاهِرٌ؛ لأنَّه يُغْنِي عنها أنْ يَقُولَ: اغفِرْ لي ذَنْبِي؛ لأنَّ «ذَنْب» مُفْرَدٌ مُضَافٌ، فيَشْمَلُ كلَّ الذنوبِ؛ ما أَسَرَّ وأعْلَنَ، وقَدَّمَ وأَخَّرَ، لكنَّ مَقَامَ الدعاءِ يَقْتَضِي البَسْطَ، وذلك لأمورٍ:

الأولُ: وهو أهمُّها، لِمَا فَتَحَ اللهُ على قَلْبِه مِن التلذذِ بمناجاةِ اللهِ ﷻ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ مِنَّا لو كان له صَدِيقٌ مَحْبُوبٌ إليه، أفَلَا يُحِبُّ أنْ يَبْسُطَ معه القَوْلَ ويُكْثِرَ معه منه؟ بلى، لا شَكَّ. تَجِدُه إذا جَلَسَ إلى صَدِيقِه الذي يُحِبُّه، وقَامَا يَتَحدَّثَانِ تَمْضِي السَّاعَاتُ الطويلةُ وكأنَّها دَقَائِقُ، حتَّى إنَّ بعضَ الأصدقاءِ يُشَيِّعُ صديقَه إلى بيتِه -أي: يَتَحدَّثان ويَمْشِيان رُوَيْدًا رُوَيدًا- فإذا وَصَل إلى بَيْتِه انْقَلَبَ فشَيَّعَه الآخَرُ، وهكذا دَوَالَيْك، رُبَّما يَطْلُعُ الفَجْرُ، إن كانا في الليلِ، وهما على هذا الحالِ، وهذا أمرٌ مُشَاهَدٌ ومَعْرُوفٌ؛ أنَّ الإنسانَ يُحِبُّ أن يَبْسُطَ القَوْلَ مع مَن يُحِبُّ.

الثاني: أنَّ الدُّعاءَ عِبَادَةٌ، وكلَّما كَرَّرْتَ ازْدَدْتَ للهِ تَعَبُّدًا، فيَزْدَادُ أَجْرُك بازْدِيَادِ جُمَلِ الدُّعَاءِ.

الثالثُ: أنَّ البَسْطَ والتَّفْصِيلَ يُوجِبُ تَذَكُّرَ الإنسانِ كلَّ هذه الأنواعِ التي بَسَطَهَا وفَصَّلَها، وبَيَّنَها، واسْتِحْضَارُ الإنسانِ لذُنُوبِه تَفْصِيلًا أكْمَلُ في التَّوْبَةِ؛ لأنَّ التوبةَ المجملَةَ لا تَسْتَوْعِبُ جَمِيعَ الذنوبِ اسْتِحْضَارًا، وإن كانت تَسْتَوْعِبُ جميعَ الذنوبِ لَفظًا ومَدْلُولًا.

أرأيتَ لو أنك قُلْتَ: اللهمَّ اغفِرْ لي ذَنْبِي كلَّه. وأنت فَعَلْتَ ذُنُوبًا قد تَكُونُ أكبرَ مما تَتَصَوَّرُه الآن لكن غَابَت عن بَالِك، فإذا ذَكَرْتَ وفَصَّلْتَ كان هذا أَبْلَغَ في التوبةِ؛ لأنَّ الدلالةَ على تَعْيِينِ الأفراد أَقْوَى مِن الدلالةِ على العُمُومِ.

فهذه ثلاثُ فوائدَ في البسطِ.

ويُسْتَفادُ مِن هذا الحديثِ: عُلُوُّ مَرْتَبَةِ النبيِّ ﷺ في العبادةِ، حيثُ أثْنى على ربِّه هذا الثناءَ العظيمَ بهذا التفصيلِ العظيمِ، مع أنَّه ﷺ قد غفَرَ اللهُ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِه وما تَأَخَّرَ.

ويُسْتَفادُ مِنه: أنَّ للرسولِ ﷺ ذُنُوبًا؛ لقولِه: «اغْفِرْ لي ما قَدَّمْتُ وما أَخَّرْتُ» وأَصْرَحُ مِن ذلك قولُ اللهِ تبارَكَ وتعالَى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾﴾ [الفتح:١-٣]. وأَصْرَحُ مِن ذلك قولُه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد:١٩]. وبهذا يَبْطُلُ قولُ مَن يَقُولُ: إنَّ اسْتِغْفَارَ النبيِّ ﷺ لذَنْبِه اسْتِغْفَارٌ لذُنُوبِ أُمَّتِه، وليسَ اسْتِغْفَارًا لذنبِه، فنَقُولُ: سُبْحَانَ اللهِ! هل أنْتَ أعْلَمُ مِن رسولِ اللهِ برسولِ الله ﷺ؟

الجوابُ: لَا، فرسولُ اللهِ ﷺ أَعْلَمُ بنَفْسِه، وهو يَقُولُ: «اغْفِرْ لي ذَنْبِي كُلَّه دِقَّه وجِلَّه، عَلانِيَتَه وسِرَّه، وأَوَّلَه وآخِرَه»[1].

ثم نقولُ: كيفَ يَسْتَقِيمُ هذا القولُ واللهُ تعالَى يقولُ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾﴾ [الفتح:٢-٣]. الأَوْصَافُ هذه لمَوْصُوفٍ واحِدٍ، فهل هذه أوصافُ الأمَّةِ؟!.

ثم كَيْفَ يَسْتَقِيمُ ذلك واللهُ يقُولُ: ﴿أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ ولكنَّ الفرقَ بينَ الرسولِ والأمَّةِ من حيثُ الذنبِ أنَّ النبيَّ ﷺ لا يُقَرُّ على الذنبِ، والأمةُ تُقَرُّ عليه، ومَعْنَى تُقَرُّ؛ يَعْنِي: قَدَرًا لا شَرْعًا، أما شَرْعًا فلا أَحَدَ يُقَرُّ على الذنبِ، لكن قَدَرًا الأمةُ تُقَرُّ على الذنبِ، لكن الرسولَ لا يُقَرُّ؛ لأنَّه ﷺ لابُدَّ أنْ يَنْتَبِهَ أو يُنَبَّهَ فيَسْتَغْفِرَ، والإنسانُ إذا اسْتَغْفَرَ مِن الذنبِ فقد تكونُ حالُه بعدَ ذلك أكملَ مِن حالِه قبلَ فِعْلِ الذنبِ.

وانظُرْ إلى قولِه تعالَى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [التوبة:٤٣]. فبدأَ بالعفوِ قبلَ ذِكْرِ المخالفةِ فقال: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ﴾. ولا عفوَ إلا عن خَطِيئةٍ، وقال: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾. سبحانَ اللهِ هذا تَعْلِيمٌ مِن اللهِ ﷻ، يُعَلِّمُ نبيَّه، وهو تعليمٌ لنا ألَّا نَتَعَجَّلَ في الحكمِ على الشيءِ حتَّى نَتَبَيَّنَ؛ لقولِه: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ وهذا ينطبق تمامًا على ضد حالنا اليوم فنحنُ الآنَ نَسْمَعُ الكلمةَ ثُمَّ نَطِيرُ بها في الآفاقِ دونَ أن نَتَبيَّن، واللهُ ﷻ يقولُ لرسولِه: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٣) من حديث أبي هريرة.

ويقولُ: ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب:٣٧].
هذه كلماتٌ عظيمةٌ جدًّا، ويقولُ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾﴾ [التحريم:١]. وكما قلتُ قد يكونُ الإنسانُ بعدَ الذنبِ والتوبةِ خيرًا مِن قبلِ ذلك.

وانظر متى حَصَل الاجتباء لآدمَ؟

الجوابُ: بعدَ أنْ أذنبَ وتابَ، ثم اجْتَباه ربُّه فتابَ عليه وهَداه، وانْظُرْ ذلك أيضًا في نفسِك إذا أذنبتَ ذنبًا حَصَل في قلبِك مِن الانكسار والخَجَلِ مِن اللهِ ﷻ والخوفِ ما لم يَحْصُلْ لو اسْتَمْرَرْتَ فيما أنت عليه مِن الطاعةِ، بل إنَّ الإنسانَ ربَّما إذا كان على طاعةٍ، يَنْشَأُ في قلبِه مَرَضُ السرطان المعنوي العُجْبِ؛ العُجْبُ بالنفسِ والإدْلَالُ على اللهِ ﷻ بالعمل، نَسْأَلُ اللهَ أنْ يُعِيذَنا وإياكم مِن ذلك، لكن إذا فعَل الخطيئةَ انْكَسَر، وخَجِل أمامَ اللهِ، واسْتَحْيا مِن اللهِ، ورجع إلى اللهِ ﷻ.

ثمَّ إنَّ الأنبياءَ -عليهم الصلاةُ والسلامُ- لا يَجُوزُ في حَقِّهم شيءٌ واحدٌ، وهو ما يُخِلُّ بالرسالةِ فهذا ممنوعٌ في حقِّهم، منعهم اللهُ منه كالخيانةِ والكذب ممنوع حتى إن الرسولَ ﷺ ممنوعٌ مِن الإشارةِ بالعينِ[1]، فلا يُشِيرُ بالعينِ، لأنَّه لابدَّ أنْ يكونَ قولُه صريحًا وواضحًا بدونِ أيِّ خداعٍ، أو أيِّ خيانةٍ، فهذا الذي يُمنَعُ مِنه الرسلُ عليهم الصلوات والسلامُ، وهو ما يُخِلُّ بالرسالةِ مِن الكذبِ والخيانةِ وما أشْبَهَها.

كذلك ما يُخِلُّ بالشرفِ والمروءةِ؛ فإنَّهم مَمْنُوعون مِنه، مثلُ سَفَاسِفِ الأخلاقِ؛ لأنَّ هذا تَنْفِرُ منه النفوسُ والطباعُ، لكن المعاصِي الأُخْرى قد يَفْعَلُونها، فمُوسَى ﷺ قتَل نَفْسًا بغيرِ حقٍّ، وإن كان هذا قبلَ أنْ يُنبَّأَ، لكنَّه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جَعَل ذلك مانعًا له مِن الشفاعةِ للخلقِ، حيث إنه إذا أُتِي إليه ليَشْفَعَ اعْتَذَر بذلك؛ لأنَّ قَتْلَ النفسِ لا يَحْمِلُ عليه سوءُ الخُلُقِ أو ما يُخِلُّ بالصدقِ و الأمانةِ، لكن تَحْمِلُ عليه الغَيْرَةُ، ولاسِيَّما أن فرعونَ قد سامَ بني إسرائيلَ سوءَ العذابِ، حتى كان يُقَتِّلُ أبناءَهم، ويَسْتَحي نِساءَهم.

وكذلك الرسلُ إذا وَقَعَتْ مِنهم الذنوبُ فإنَّهم لا يُقَرُّون عليها قَدَرًا بمَعْنَى: أنَّ اللهَ يُنَبِّهُهم عليها أو يَنْتَبِهون، أما شَرْعًا فنحن والأنبياءُ مَمْنُوعُون مِن الإقرارِ عليها شَرْعًا، واللهُ ﷻ يُهَيِّئُ لهم أسبابَ التوبةِ فيتوبون فورًا أو بعد حينٍ، لكن لابدَّ أنْ يَتُوبوا، لكن نحن ممنوعون منها شَرْعًا، لكن قَدَرًا ربَّما نَسْتَمِرُّ في معاصينا ونُصِيرُّ عليها.

۞قولُه: «ما قَدَّمْتُ وأَخَّرْتُ». يَحْتَمِلُ مَعْنَى قولِه: «أخرت» أي: في المستقبلِ، أي: ما سَأَفْعَلُه

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٥١)، وأبو داود (٣١٩٤) من حديث أنس بلفظ: «ليس لنبي أن يومض» والإيماض: الرمز بالعين والإيماء بها. «عون المعبود» (٨/ ٣٤٠) وأخرجه أبو داود (٣٥٩)،(٢٦٨٣) من حديث سعد بن أبي وقاص بلفظ: «إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين» وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

في المستقبلِ، وهذا خاصٌّ بالرسولِ ﷺ، ويَحْتَمِلُ «ما أَخَّرْتُ» باعتبارِ الماضِي؛ لأنَّ الماضِيَ منه مُتَقَدِّمٌ ومنه متأخرٌ، وهذا هو ظاهرُ اللفظِ، أي: ماقدَّمْتُ ففعَلتُه قَدِيمًا، وما أَخَّرْتُ: ففعَلْتُه آخِرًا.

قولُه: «أنتَ إلَهِي لا إله لِي غيرُك». خَتَمها بالألوهيةِ؛ لأنَّها هي التي أُرْسِلَتْ مِن أجلِها الرسلُ وأُنزِلَتْ الكُتُبُ، «أنتَ إلَهِي لا إله لِي غيرُك». أي: لا معبود حقٌّ لي غيرُك يا اللهُ.

قولُه: حدَّثنا ثابتُ بنُ محمدٍ، حَدَّثنا سفيانُ بهذا، وقال: «أنتَ الحقُّ وقولُكَ الحقُّ» يَعْنِي بعدَ قولِه: «والساعةُ حقٌّ، أنتَ الحقّ وقولُك الحقُّ».

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٩- باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝١٣٤﴾ [النساء:١٣٤].

وَقَالَ الأَعْمَشُ، عَنْ تَمِيمٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة:١].

قولُه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝١٣٤﴾ [النساء:١٣٤]. هذان اسْمَانِ مِن أسماءِ اللهِ، ويَقْرِنُ اللهُ تعالى بينَهما كثيرًا؛ أي: بينَ السمعِ والبصرِ؛ لأنَّ بالسمع إدراكَ الأصواتِ وبالبَصَرِ إدراكَ الأفعالِ، فالأقوالُ مُتَعَلَّقُها السمعُ، والأفعالُ مُتَعَلَّقُها البصرُ، ولهذا يَقْرِنُ اللهُ تعالى بينَهما كثيرًا.

والسميعُ مِن أسماءِ اللهِ تعالَى، وله مَعْنيانِ:

المعنى الأولُ: إدراكُ المسموعِ.

والمَعْنَى الثَّانِي: اسْتِجَابةُ المسموعِ.

فمِن الأولِ ما ذَكَره المؤلفُ رَحِمَهُ اللَّهُ في قولِه تعالَى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المجادلة:١]. ومِن الثاني قولُه تعالَى عن إبراهيمَ: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم:٣٩]. أي: لَمُجيبُه، وليسَ المراد ﴿لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾؛ أي: لمدرِكه وسامعُه؛ لأنَّ مجردَ السمعِ لا يَتَنَاسَبُ مع قولِ الدَّاعِي: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ۝٣٩﴾. وإنَّما الذي يتناسبُ مع دعائِه هو استجابةُ الدعاءِ.

ثم اعلمْ أنَّ السمعَ بالمَعْنَى الأوَّل: -أي: بمَعْنَى إدراكِ المسموعِ- يَنْقَسِمُ إلى ثلاثةِ أقسامٍ؛ عامٌّ، وللتأييدِ، وللتهديد.

القسم الأولُ: وهو العامُّ مثلُ هذه الآيةِ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾. هذا عامٌّ يَشْمَلُ كلَّ ما يُسْمَعُ، فَسَمْعُ اللهِ مُتَعَلِّقٌ به، فيسمعُ أصواتَ بَنِي آدمَ، وما يَكونُ منهم مِن خيرٍ وشرٍّ، وأصواتَ البهائمِ، وأصواتَ الحشراتِ، حتى دبيبَ النملِ على الصخرةِ الصماءِ يَسْمَعُها عَزَّ وَجَلَّ، لا يَخْفَى عليه شيءٌ، وهذا هو السمعُ بالمَعْنَى العامِّ.

القسمُ الثاني: وهو يُرادُ به التهديدُ، مثلُ قولِ اللهِ تبارك وتعالَى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران:١٨١]. وقولِه تعالَى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ

يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ [الزخرف:٨٠]. فهذا المرادُ به التهديدُ.

والقسمُ الثالثُ: وهو الذي يُرادُ به التَّأْييدُ، مثلُ قولِه تعالَى لمُوسَى وهارونَ لَّما قالَا: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه:٤٥-٤٦]. فالمرادُ بالسمع هنا سَمْعُ التَّأْييدِ، والنصرِ، والمُدافعةِ.

فهذه أقسامُ السمعِ الذي بمَعْنَى إدراكِ المسموعِ.

أما السمعُ الذي بمَعْنَى إجابةِ الدَّاعِي، فمثلُهُ قولُه تعالَى: ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾. وقولُ المُصَلِّي: سَمِعَ اللهُ لمن حَمِدَه، فسَمِع هنا بمَعْنَى اسْتِجابَ لمن حمَده وليس المراد بذلك مجرد سماع صوت الحامد بل المراد بذلك استجابته.

فإذا قالَ قائلٌ: هل السمعُ يَأتِي بمَعْنَى الاستجابةِ؟

قُلْنَا: نَعَمْ يَأتِي بمَعْنَى الاستجابةِ، قالَ اللهُ تعالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنفال:٢١]. مَعْنَى ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾. أي: لا يَسْتَجِيبُونَ، وإلا فهم يَسْمَعون الذِّكْرَ يُتْلَى عليهم، يَسْمَعُونَه مِن الناسِ، ولكنَّهم لا يَسْتَجِيبُون.

ثم اعلمْ أنَّ سمعَ اللهِ وبصرَه حقيقةٌ وليست راجعة إلى العلم، خِلافًا للمعتزلةِ الذين يَقُولُون: إنَّ اللهَ لا يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ -والعياذُ باللهِ- وأنَّ مَعْنَى السمعِ والبصرِ هو العلمُ بدونِ رؤيةِ مَفْعُولٍ أو سماعِ مَقُولٍ.

ولكن نقُولُ: أخْطَأْتُم خطَأً كبيرًا، بل السمعُ غيرُ العلمِ؛ لأنَّ علمَ اللهِ تعالَى مُتَعَلِّقٌ بالشيءِ قبلَ أنْ يكونَ مَسْمُوعًا، وقَبْلَ أنْ يكونَ مُبْصَرًا، فهو يَعْلَمُ ما كان وما سيكونُ.

ثم ذكَر حديثَ عائشة، قالَتْ: «**الحمدُ للهِ الذي وَسِعَ سَمْعُه الأصواتَ**». فأَنْزَل اللهُ تعالَى على النبيِّ ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾. فهذه امرأةٌ جاءَتْ تَشْتَكِي إلى النبيِّ ﷺ زَوْجُها، وكان زَوْجُها قد ظَاهَرَ منها؛ أي: قالَ لها: أنتِ عليَّ كظَهْرِ أُمِّي. وكانُوا يَعُدُّون الظِّهارَ في الجاهليةِ طَلَاقًا بائِنًا، فجاءت تَشْتَكِي إلى الرسولِ ﷺ بأَنَّها كَبِرَتْ، وأنَّ لها أولادًا مِن زوجِها وأن زوجَها ظاهر منها، وتَشْتَكِي إلى اللهِ ﷻ، والنبيُّ ﷺ يُحَاوِرُها ويُيَسِّرُ عليها الأمرَ، ولكنَّها أَبَتْ وأَصَرَّتْ، فأَنْزَل اللهُ تعالَى هذه الآياتِ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾. أي: في شأنِه ﴿وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾.قالَتْ عائشةُ: «**الحمدُ للهِ الذي وَسِعَ سَمْعُه الأصواتَ**» إني لفي الحجرةِ وإنَّه ليَخْفَي عليَّ بعضُ حديثِها[1].

سبحان اللهِ! واللهُ ﷻ فوقَ عرشِه يَسْمَعُ كلامَها، ويَسْمَعُ محاورتَها للنبيِّ ﷺ ومحاورتَه لها،

---

(١) تقدم تخريجه، غير قولها: «إني لفي الحجرة.....» الحديث. فهو عند ابن ماجة (١٨٨) (٢٠٦٣)، وصححها الشيخ الألباني، كما في تعليقه على «السنن».

وتأملْ كيفَ جاءَتْ الآيةُ بلفظِ الماضِي ولفظِ المضارعِ ﴿قَدْ سَمِعَ﴾ ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ﴾.

كما جاءَتْ هذه المادةُ سَمِع بمَعْنَى التَّعَجُّبِ، مثلَ قولِه تعالَى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريم:٣٨]. أَسْمِعْ بهم؛ يَعني: ما أَسْمَعَهم وما أَبْصَرهم.

ففي هذا الحديثِ: أنَّ اللهَ ﷻ يَسْمَعُ سماعًا حقيقيًّا؛ لأنَّه قال ﴿قَدْ سَمِعَ﴾ ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ﴾.. ولو كانَ المرادُ بذلك العلمَ ما صحَّ؛ لأنَّ علمَ اللهِ تعالَى كان سابقًا، وهذا يَدُلُّ على أنَّ سَمْعَه مُتعلِّق بقولِ هذه المرأةِ حالًا، حيثُ قالَ: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ﴾. ويسمعُ هذه فعلٌ مضارعٌ تَدُلُّ على الحالِ.

۞ وقولُه ﷻ: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾. وهذه الجملةُ كالتعليلِ لما قبلَها، ومن هنا أَخَذ أهلُ السنةِ أنَّ الاسمَ إذا كان مُتعدِّيًا، فإنَّه لا يتمُّ الإيمانُ به إلا بإثباتِه وإثباتِ ما دَلَّ عليه مِن صفةٍ، وإثباتِ الحكم.

فهنا قال: ﴿اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ هذا هو الاسمُ، والصفةُ هي السمعُ والبصر، والحُكْمُ سَمِع ويَسْمَعُ، ثمَّ إنَّنا إذا آمنَّا بذلك -ونحنُ مُؤْمِنون إنْ شاءَ اللهُ- فإنَّ ذلك يُوجِبُ لنا ألا نُسْمِع ربَّنا ما يُغْضِبُه علينا، فإذا كنتَ تؤمنُ بأنَّ اللهَ يَسْمَعُ كلَّ قولٍ تَقُولُه، فإنَّ هذا يُوجِبُ ألَّا تقولَ قولًا لا يُرْضِي اللهَ؛ لأنَّه -ولله المثلُ الأَعْلَى- إذا كان أَبُوكَ لا يَرْضَى أنْ يَسْمَعَ منك ما لا يَرْضَاه، وتُحاولُ ألا يَسْمَعَ منك ما لا يَرْضاه، فربُّك أَوْلَى وأعظمُ أنْ لا تُسْمِعَه ما لا يَرْضَاه منك.

وإذا قيلَ: هل سَمْعُ اللهِ تعالَى مِن صفاتِه الذاتيةِ أو مِن صفاتِه الفعلية؟

الجوابُ: مِن صفاتِه الذاتيةِ، والذي يَحْدُثُ إنَّما هو المسموعُ، أما السمعُ فلم يَزَلْ ولا يزالُ متصفًا به، لكنَّ المسموعَ هو الذي يَحْدُثُ، مثلَ العلمِ فعِلْمُ اللهِ ﷻ صفةٌ أزليةٌ أبديةٌ مِن صفاتِه الذاتيةِ، لكن الذي يَحْدثُ هو المعلومُ، ومِنه قولُه تعالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ﴾ [محمد:٣١]. فهذا علمٌ متعَلِّقٌ بالمعلوم، والمعلومُ مُحْدَثٌ، أمَّا العلمُ الأزليُّ الذي هو وصفُ اللهِ فهو سابقٌ، فاللهُ عالمٌ بمَنْ يُجاهِدُ ومَنْ لا يُجاهِدُ، ومَنْ يَصْبرُ ومَنْ لا يَصْبِرُ، عالمٌ مِن قَبْلُ، لكن هذا علمٌ للشيءِ بعدَ وجوده فهو مُتعَلِّقٌ بالمعلومِ حينَ حدوثِه.

***

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٨٦- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا فَقَالَ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا ثُمَّ أَتَى عَلَيَّ وَأَنَا أَقُولُ فِي نَفْسِي لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَقَالَ لِي يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ قُلْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ أَوْ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ بِهِ»[1].

---

(١) رواه مسلم (٢٧٠٤).

هذا الحديثُ: يقُولُ فيه أبو مُوسَى -وهو عبدُ اللهِ بنُ قَيْسٍ- كنَّا مع النبيِّ ﷺ في سَفَرٍ، فكُنَّا إذا عَلَوْنا كَبَّرْنا. وكان النبيُّ ﷺ قد علَّمهم إذا عَلَوْا كَبَّرُوا وإذا هَبَطُوا وَادِيًا سَبَّحُوا، والمناسبةُ في هذا ظاهرةٌ؛ لأنَّ العُلُوَّ ارْتِفاعٌ، فإذا ارْتَفَعَ الإنسانُ فَقَد يَرَى في نَفْسِه الكبرياءَ فيقولُ: اللهُ أكبرُ، إذا نَزَل، فالنزولُ سُفْلٌ، والسُّفْلُ نَقْصٌ، فكانَ مِن المناسبِ أنْ يُسَبِّحَ اللهَ ﷻ.

فإذا نَزَلْتَ وَادِيًا فَقُلْ: سُبْحَانَهُ، وإذا عَلَوْتَ، فقُلْ: اللهُ أكبرُ. ومثلُ ذلك فيما يَظْهَرُ، الطائرةُ عند صُعُودِها، تقولُ: اللهُ أكبرُ، وعند نُزُولِها تَقُولُ: سُبْحَانَهُ، لأنَّ هذا النُّزولُ إلى أسفلَ.

وفي الحديثِ: كان الصحابةُ يُكَبِّرون، ولكنَّهم يَرْفَعُون أصواتَهم، ويَشُقُّون على أَنْفُسِهم بالتكبيرِ، فقال: «ارْبَعُوا على أنفسِكم». يَعْنِي: هَوِّنُوا عليها، لا تَشُقُّوا عليها، «فإنَّكم لا تَدْعُون أصمَّ ولا غَائِبًا».

وهنا قال: «لا تَدْعُون». ولم يَقُلْ: لا تُكَبِّرُون لأصمَّ. وذلك لأنَّ الذكرَ يَتَضَمَّنُ الدعاءَ، فإنَّ الذاكر إنَّما يذكرُ اللهَ لِيُثِيبَه على ذلك، فهو دعاءٌ بلسانِ الحالِ، فلو سَأَلْتَ الذاكرَ لِمَ تَذْكُرُ اللهَ؟ لقال: لِيُثِيبَني. فلهذا قال: «لا تَدْعُون». ويَحْتَمِلُ أنهم يُكَبِّرون ويَدْعُون فحُذِف الدعاءُ مِن التكبيرِ وذُكِرَ التكبيرُ، ولكنَّ الأوّلَ أقربُ: أنَّ الذكرَ دعاءٌ؛ لأنَّ الذاكرَ يَدْعُو اللهَ تعالَى بلسانِ حالِه.

۞قولُه: «لا تَدْعُون أصمَّ». يَعْنِي: لا يَسْمَعُ حتَّى تَرْفَعُوا أصواتَكم له، «ولا غَائِبًا» يَخْفَى عليه حالُكم، «إنَّما تَدْعُون سَمِيعًا بَصِيرًا»، فقولُه: «سَمِيعًا» ضدُّ أصمَّ، و «بصيرًا» ضدُّ أَعْمَى، وهنا لم يَتَعَرَّضْ للأولِ بالعَمَى، لكن ذَكَرَه في الثَّاني؛ لأنَّ اللهَ تعالَى دائمًا يَقْرِنُ بينَ اسْمَي السميعِ والبصيرِ؛ لأنَّ في السمعِ إدراكَ المسموعاتِ، وفي البصرِ إدراكَ المرئياتِ. وقولُه «قريبا» ضدُّ قولِه: «غائبًا».

ففي هذا الحديثِ: ما في الترجمةِ، وهي قولُه: بابُ ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

۞وقولُه: «تَدْعُون سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا». وفي لفظٍ آخرَ: «إنَّ الذي تَدْعُونَه أَقْرَبُ إلى أحدِكم مِن عُنُقِ رَاحِلَتِه»[1]. وهم على رواحلَ فهو ﷻ أقربُ إليهم مِن عُنُقِ الراحلةِ.

۞وقولُه: ﴿بَصِيرًا﴾ البصيرُ هو الذي يُدْرِكُ المُبْصَرَاتِ، فهو جلَّ وعلَا لا يَخْفَى عليه شيءٌ بل يدركُه.

۞وقولُه: «قريبًا» هل المُرادُ القربُ بالذاتِ أو المرادُ القربُ بالعلمِ؟

الجوابُ: أنه إذا أَجْرَيْنَا اللفظَ على ظاهرِه، قُلْنَا: إنَّه قريبٌ بذاتِه، وقد نَصَّ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ على ذلك في كتابِه «الصواعقِ المرسلةِ» على أنَّ قربَه ذاتِيٌّ[2]. أي قريبٌ بذاتِه.

ولكن يُشْكِلُ عَلَيْنَا إذا كان قَرِيبًا بذاتِه، أليسَ هو فوقَ عرشِه؛ إذن كيفَ يُمْكِنُ الجمعُ؟.

نَقُولُ: إنَّ صفاتِ اللهِ ﷻ لا تُشْبِهُ صفاتِ المَخْلُوقِين، ولهذا قالَ شيخُ الإسلامِ في «العقيدةِ الواسطيةِ»: إنَّ اللهَ

---

(١) رواه مسلم (٢٧٠٤).

(٢) انظر: «الصواعق المرسلة» (٢/ ٤٥٤).

قريبٌ في عُلُوِّه، عليٌّ في دُنُوِّه[1]. فهو ﷻ جامعٌ بينَ العُلُوِّ وبين القربِ وهو قربٌ حقيقيٌّ.

والأصلُ أنَّ كلَّ شيءٍ يضافُ إلى اللهِ فإنَّه يُضافُ إلى ذاتِه، هذا هو الأصلُ، لكنْ يكونُ مِن لوازِمِه أشياءُ، فمثلًا قُرْبُه يَلْزمُ مِنه علمُه، وسمعُه، وبصرُه، وتدبيرُه، وغيرُ ذلك من لوازمِ الربوبيةِ.

وقربُ اللهِ ﷻ قَسَّمه بعضُ العلماءِ إلى قِسْمين: قربٍ عامٍّ، وقربٍ خاصٍّ.

فالقربُ العامُّ: هو قُرْبُ الإحاطةِ، وهو شاملٌ لكلِّ أحدٍ، واستدلَّ هؤلاءِ بقولِه تعالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [ق:١٦-١٧]. قالوا: إنَّ هذا عامٌّ؛ لأنَّ اللهَ يقُولُ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾.

والقربُ الخاصُّ: مثلُ قولِه تعالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]. يَعْنِي: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾ إذَا دَعَوْنِي ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ فيكونُ هذا القربُ خاصًّا بمن يَدْعُوه، وكذلك قالَ النبيُّ ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العبدُ مِن رَبِّه وهو ساجدٌ»[2]. وهذا قربُ العابدِ، فالقربُ الخاصُّ قربُ الدَّاعِي وقربُ العابدِ، والعامُّ الشاملُ لكلِّ أحدٍ.

ولكنَّ شيخَ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ أَبَى ذلك[3] وقال: إنَّ القربَ لا يَنْقَسِمُ، فالقربُ لا يَكُونُ إلا ممن يستحقُّ القربَ وهو الدَّاعِي والعابدُ. قال: الدَّاعِي مع اللهِ يُنَاجِي ربَّه، والعابدُ كذلك يُنَاجِي ربَّه فهذا هو الذي يَسْتَحِقُّ أنْ يكونَ اللهُ قريبًا منه، أما غيرُ ذلك فلا، وأجابَ عن قولِه تعالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾. فقالَ: إنَّ هذا قربُ الكتبةِ، بدليل قولِه: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾. فإنَّ «إذ» ظرفٌ لابدَّ له مِن مُتَعلَّقٍ، ولا مُتَعلَّقَ له فيما نَعْلَمُ إلَّا كلمةُ أقربُ التي سَبَقَتْه، يَعْنِي: ونحنُ أقربُ إليه حينَ يَتَلَقَّى المُتَلَقِّيانِ. فيكونُ المرادُ بالقربِ هنا قربَ الملائكةِ.

قال: ومثلُه قولُه تعالَى في المُحْتَضَرِ: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الواقعة:٨٣-٨٧]. قال: ولم يَرِدْ في الكتابِ والسنةِ القربُ العامُّ لكلِّ أحدٍ، بخلافِ المعيةِ، فالمعيةُ وَرَدَتْ عامةً وخاصةً، كما قالَ تعالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة:٧].

وَوَرَدَتْ خاصةً مثلَ قولِه تعالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل:١٢٨]. لأنَّ المعيةَ أوسعُ مِن القربِ، فالقربُ دُنُوٌّ يليقُ بجلالِه وعظمتِه، ولا يَلْزَمُ منه انتفاءُ العُلُوِّ، وإن كان قريبًا؛ لأن

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ١٤٣) «العقيدة الواسطية».

(٢) رواه مسلم (٤٨٢).

(٢) انظر «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (١٥/ ١٧).

الإنسانَ ما يُتَصَوَّرُ كيفَ تكونُ هذه الصفاتُ للهِ ﷻ، فهي أعظمُ مِن أنْ يُدْرِكَها العقلُ، فإذا كانَ اللهُ ﷻ وَسِعَ كُرْسِيُّه السمواتِ والأرضَ، والكرسيُّ موضعُ القَدَمَيْنِ، فكيفَ بالعرشِ؟![1]. فكيفَ بالربِّ ﷻ؟ شيءٌ لا يمكنُ تَصَوُّرُه يَعْنِي لا يُمْكِنُ الإحاطةُ به.

إذًا: القربُ يَنْقَسِمُ عندَ بعضِ العلماءِ إلى قِسْمَين، والراجحُ أنَّه لا يَنْقَسِمُ، وأنَّه خاصٌّ بالعابدِ والدَّاعِي فَقَطْ.

۞ قولُه: «ثم أَتى عليَّ، وأنا أَقُولُ في نَفْسِي: لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ». قولُه: «في نَفْسِي». يَعْنِي: لا أَنْطِقُ به بلِسَانِي.

۞ قولُه: «لا حَوْلَ». جملةٌ مركبةٌ مِن «لا» النافيةِ للجنسِ واسمِها، وخبرُها محذوفٌ؛ أيْ: لا حولَ كائنٌ ولا قوةَ كائنةٌ إلا باللهِ، ومعنى الحَوْلِ: التَّحَوُّلُ مِن حالٍ إلى حالٍ، فلا تَحَوُّلَ لنا مِن حالٍ إلى حالٍ إلَّا باللهِ.

۞ وقولُه: «وَلَا قُوَّة». القوةُ مَعْرُوفَةٌ، وهي ضدُّ الضعفِ، ولا قوةَ لنا أيضًا إلا باللهِ، والباءُ هنا للسببيةِ أو للإعانةِ، والمَعْنَى لا نَسْتَطِيعُ أن نَتَحَوَّلَ ولا نَقْوَى على ذلك إلا باللهِ ﷻ.

وهذه الكلمةُ كلمةُ استعانةٍ، وليستْ كلمةَ استرجاعٍ، خلافًا لاستعمالِ العامةِ لها؛ فإنَّ العامةَ يَسْتَعْمِلُونَها للاسترجاعِ، فإذا أُصِيبوا بالمصيبةِ قالوا: لا حولَ ولا قوةَ إلَّا باللهِ.

والصوابُ: أنَّك إذا أُصِبْتَ بمصيبةٍ تقولُ: إنَّا للهِ، وإنَّا إليه راجعون. لكن لاستعمالِهم إيَّاها وجهٌ، وهو: كأنَّهم يَسْتَعِينُون بها على تَحَمُّلِ الصبرِ وتَلَقِّي المصيبةِ، لكن ما وَرَدَ -وهو الاسترجاعُ- أفضلُ وأحسنُ.

۞ وقولُه: «فقالَ لي: يا عبدَ اللهِ بنَ قيسٍ». عبدُ اللهِ بنُ قيسٍ هو أبو مُوسَى.

۞ وقولُه: «قلْ: لا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا باللهِ، فإنَّها كنزٌ مِن كنوزِ الجنةِ -أو قال- ألا أَدُلُّك على كنزٍ مِن كُنوزِ الجنةِ». فيَنْبَغِي للإنسانِ كُلَّما أصابه أمرٌ مُهِمٌّ أنْ يقُولَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا باللهِ. لأنَّها كلمةُ استعانةٍ، ولهذا نقولُ في إجابةِ المؤذِّنِ إذا قالَ: حَيَّ على الصلاةِ، حَيَّ على الفلاحِ. نقولُ: لا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ.

***

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٣٨٧، ٧٣٨٨- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي عَمْرٌو عَنْ يَزِيدَ عَنْ أَبِي الْخَيْرِ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ

---

(١) روى ابن خزيمة في «التوحيد» (ص٧١، ٧٢)، والدارمي في «الرد على المريسي» (ص٧١، ٧٣)، وأبو جعفر ابن أبي شيبة في العرش (٦١)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (ص٧١) والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٨٢)، والطبراني في «الكبير» (١٢٤٠٤) عن سفيان ، عن عمار الدهني، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أنه قال: الكرسي موضوع القدمين والعرش لا يقدر أحد قدره وقال الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٨٢) صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٣٢٣): رجاله رجال الصحيح. وقال الذهبي في «مختصر العلو» (ص١٠٢): رواته ثقات، وقال الشيخ الألباني في «تعليقه على مختصر العلو» (ص١٠٢) وهذاإسناد صحيح رجاله كلهم ثقات. وقد روى هذا الحديث مرفوعًا ولا يصح، راجع لذلك «التهذيب» (٤/ ٣١٣) والعلل لابن الجوزي و «شرح الطحاوية» (٢/ ٣٦٩).

فِي صَلَاتِي قَالَ قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مِنْ عِنْدِكَ مَغْفِرَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»[1].

هذا أبو بكر رضي الله عنه أَحَبُّ الناسِ إلى الرسولِ ﷺ حتَّى إنَّه قالَ: «لو كنتُ مُتَّخِذًا مِن أُمَّتي خليلًا لاتَّخَذْتُ أبَا بَكْرٍ»[2]. سأَلَ النبيَّ ﷺ وهو أنصحُ الخلقِ للخلقِ، ولاسيَّما لأبي بكرٍ الذي هو أحبُّ الناسِ إليه في أشرفِ عبادةٍ يَتَعَبَّدُ بها الإنسانُ لربِّه، وهي الصلاةُ، فهذا الدعاءُ الذي عَلَّمَه الرسولُ ﷺ لأبي بكرٍ يَتبَيَّنُ لك عِظَمَه؛ أنَّه مِن أبي بكرٍ، وبتوجيهٍ مِن رسولِ اللهِ ﷺ، وفي أشرفِ الأعمالِ، وهي الصلاةُ، إذن فهو دعاءٌ عظيمٌ.

وقولُه: «في صلاتي». لم يُبيِّنْ موضعَه مِن الصلاةِ، فيَحْتَمِلُ أنْ يَكُونَ في السجودِ؛ لقولِ النبيِّ ﷺ: «وأمَّا السجودُ فاجْتَهِدُوا فيه بالدعاءِ»[3] ويَحْتَمِلُ أنْ يَكُونَ بعدَ التشهدِ الأخيرِ»؛ لقولِ النبيِّ ﷺ لمَّا ذَكَرَ التشهدَ: «ثمَّ ليَتَخَيَّرْ مِن الدعاءِ أَعْجَبَه»[4]. ولعلَّ هذا أَوْلَى، -أن يكونَ بعدَ التشهدِ الأخيرِ، يَعْنِي عندَ السلامِ- لأنَّ التشهدَ الأخيرَ فيه ثناءٌ على اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وصلاةٌ على النبيِّ ﷺ على وجهٍ مشروعٍ للتعيينِ، فإنَّنا مَأْمُورُون في التشهدِ الأخيرِ بالتحياتِ للهِ والشهادةِ له بالوحدانيةِ، والصلاةِ على رسولِه والتبريكِ على رسولِه، وحينئذٍ يكونُ مُقَدِّمَةُ الدعاءِ مأمورًا بها، فيَكُونَ أَوْلَى ما يُذْكَرُ هذا الدعاءُ عندَ السلامِ بعدَ التشهدِ الأخيرِ.

وفي هذا الدعاءِ جمعٌ لجميعِ أنواعِ الدعاءِ؛ لأنَّ الدعاءَ يَشْمَلُ إمَّا الثناءَ على المدعوِّ أو الاعترافَ بالذنبِ وذكرَ الحالِ، أو الجمعَ بينهما، وهذا الحديثُ جَمَعَ بينَ هذا كلِّه.

فقولُه: «اللهم إني ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كثيرًا». هذه ذكرُ حالِ الدَّاعِي، وذكرُ حالِ الدَّاعِي وسيلةٌ مِن وسائلِ إجابةِ الدعاءِ، كما قالَ مُوسَى ﷺ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝٢٤﴾ [القصص:٢٤]. فما ذَكَرَ إلَّا حالَه فَقَطْ وهو أنَّه فقيرٌ لما أنزلَ اللهُ إليه مِن خيرٍ.

ففي هذا الدعاءِ ذكرُ الحالِ؛ أي: حالِ الدَّاعِي، واعترافُه بالحالِ التي هو عليها، وبماذا يكونُ ظلمُ الإنسانِ نفسَه؟

الجوابُ: أنه يَكُونُ إمَّا بتركِ الواجبِ أو بفعلِ المحرمِ.

وقولُه: «ظُلْمًا كثيرًا». وَرَدَتْ في بعضِ الرواياتِ «كبيرًا»[5]، قال بعضُ العلماءِ: والأفضلُ أن يُجْمَعَ بينهما فيقولُ: ظلمًا كثيرًا كبيرًا. ولكن هذا ضعيفٌ، أن يُجْمَعَ بينهما.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٥) بنحوه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) رواه مسلم (٢٧٠٥).

والصوابُ: أن نقولَ بأرجحِها، وأرجحُها «كثيراً» فيقتصرُ عليها.

۞ وقولُه: «ولا يغفرُ الذنوبَ إلَّا أنتَ» هذا ثناءٌ على اللهِ، فذَكَرَ حالَ نفسِه، وذَكَرَ الثناءَ على ربِّه، المرادُ بالذنوبِ هنا، الذنوبُ التي بين العبدِ وبينَ ربِّه، فإنَّه لا يغفرُها إلا اللهُ.

أمَّا الذنوبُ التي بينَه وبينَ غيرِه مِن الخلقِ فإنَّ الإنسانَ يغفرُها لغيرِه، كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية:١٤]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٤﴾ [التغابن:١٤].

إذًا: فالذنوبُ التي بينَ الإنسانِ وبينَ الناسِ يغفرُها الناسُ، والذنوبُ التي بينَك وبينَ اللهِ لا يغفرُها إلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

۞ وقولُه: «ولا يغفرُ الذنوبَ إلا أنتَ» الذنوبُ هي المعاصِي والآثامُ التي تكونُ على الإنسانِ.

۞ وقولُه: «فاغفرْ لي». هذا الدعاءُ، لكنَّ هذا الدعاءَ سَبَقَه ثناءٌ واعترافٌ.

۞ وقولُه: «مِن عندِك مغفرةً». أضافَها إلى اللهِ، فقال: من عندك لأنَّ العطاءَ يكونُ على حَسَبِ المُعْطِي، فإذا كانت مِن عندِ اللهِ فلابدَّ أنْ تكونَ مغفرةً عظيمةً لا تغادرُ ذنبًا.

۞ وقولُه: «إنَّك أنت الغفور الرحيم». هذا ثناءٌ أيضًا على اللهِ تَعَالَى وتوسلٌ إليه باسمِه الغفورِ الرحيمِ.

هل في هذا الحديث ذِكر للسمع والبصر، لأن الترجمة: بابٌ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾؟

قال ابنُ حجَرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في «الفتح»:

وَقَدْ تَقَدَّم في أواخرِ صفةِ الصلاةِ وفي الدعواتِ مع شرحِه وبيانِه، وبيانِ مَن جَعلَه مِن روايةِ عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو عن أبي بكرٍ الصديقِ فجعلَه من مسندِ أبي بكرٍ، وَأَشَارَ ابنُ بَطَّالٍ إلى أنَّ مناسبتَه للترجمةِ أنَّ دعاءَ أبي بكرٍ لمَّا علَّمه النبيُّ ﷺ يَقْتَضِي أنَّ اللهَ سميعٌ لدعائِه ومُجَازِيه عليه.

وقالَ غيرُه: حديثُ أبي بكرٍ ليسَ مُطَابِقًا للترجمةِ إذ ليسَ فيه ذِكْرُ صفتي السمعِ والبصرِ، لكنه ذَكَرَ لازِمَهما مِن جهةِ أن فائدةَ الدُّعاءِ إجابةُ الدَّاعِي لمطلوبِه، فلَولَا أنَّ سمعَه سبحانَه يتعلقُ بالسرِّ كما يتعلقُ بالجَهْرِ لمَا حَصَلَتْ فائدةُ الدعاءِ أو كان يُقَيدُه بمن يَجْهَرُ بدعائِه. انتهى مِن كلامِ ابنِ المُنَيِّرِ ملخصًا. وقال الكِرْمَانِيُّ: لما كان بعضُ الذنوبِ مما يُسْمَعُ وبعضُها مما يُبْصَرُ لم تَقَعْ مغفرتُه إلَّا بعدَ الإسماعِ والإبصارِ.

تَنْبِيهٌ: المشهورُ في الرواياتِ «ظُلْمًا كَثِيرًا» بالمثلثةِ، ووَقَع هنا للقَابِسِيِّ بالموحدةِ. انتهى[1].

على كلِّ حالٍ: هذه المناسباتُ التي ذَكَروها واللوازمُ فيها نظرٌ؛ لأنَّا لو أَخَذْنا باللوازِمِ لوجَدْنا أسماءً كثيرةً تدخلُ في ضِمْنِ الترجمةِ، ولكنَّ الذي يَظْهَرُ -واللهُ أعلمُ- أنَّ البخاريَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ جعلَه في هذا البابِ في هذه الترجمةِ؛ لأنَّه تَضَمَّنَ المغفرةَ والرحمةَ، ولكن حتَّى لو قُلْنا بهذا ما أستطيعُ أنْ أقولَ: إنَّ

---

(١) انظر «الفتح» (١٣/ ٣٧٥).

هناك مناسبةً بينةً، وأمَّا كونُه مِن لازمِ إجابةِ الدعاءِ أنْ يكونَ قد سَمِعَ وأبْصَرَ، فهذا لا يَكْفِي في المناسبةِ واللهُ أعلمُ.

المهمُّ: أنَّنا نقولُ بالنسبةِ للدعاءِ، تارةً يكونُ بذكرِ حالِ الدَّاعِي فَقَطْ؛ مثل قولِ مُوسَى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤﴾. فهذا ذكرٌ لحالِه.

وتارةً يكونُ بالدعاءِ المباشرِ بأنْ يقولَ الإنسانُ: ربِّ اغْفِرْ لي وارْحَمْني. كما في الجلسةِ بينَ السجدتين[1].

وتارةً يكونُ بالثناءِ على اللهِ المجردِ كقولِ النبيِّ ﷺ: «**خيرُ الدعاءِ دعاءُ يومِ عرفةَ، وخيرُ ما قُلْتُ أنا والنَّبِيُّون مِن قَبْلِي: لَا إِلَه إِلَّا اللهُ**»[2]. إلى آخرِه.

وتارةً يكونُ بالجمعِ بينهما، بينَ اثْنَيْن أو بينَ الثلاثةِ، وهذا الحديثُ تَضَمَّنَ الجمعُ بينَ الثلاثةِ.

***

قَالَ القَسْطَلَّانِي رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقولُ: والمقصودُ مِن الحديثِ في هذا البابِ أنَّ المدعوَّ لابدَّ أنْ يكونَ سميعًا؛ يَسْمَعُ دعوةَ الدَّاعِي إذا دَعَاه، بصيرًا بحالِه، فيوصلُ إليه ما طَلَب بقدرتِه، وإلا تكونُ دعوتُه ضلالًا وسُدًى، ففي الدعاءِ واستجابةِ اللهِ تعالَى لعبدِه الدَّاعِي برهانٌ على أنَّه سميعٌ بصيرٌ قادرٌ حيٌّ عليمٌ، وقد قالَ اللهُ تعالَى فيمن يَدْعُو مَن لا يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الأحقاف:٥]. الآيةَ.

وقال تعالَى عن خليلِه إبراهيمَ في دعوتِه لأبيهِ: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ﴾ [مريم:٤٢]. الآية. وقد قال ابنُ عقيلٍ[2]: قد نَدَبَ اللهُ تعالَى إلى الدعاءِ، وفي ذلك معانٍ:

أحدُها: الوجودُ، فإنَّ مَن ليسَ بموجودٍ لا يُدْعَى.

الثاني: الغِنَى، فإنَّ الفقيرَ لا يُدْعَى.

الثالثُ: السمعُ، فإنَّ الأصَمَّ لا يُدْعَى.

الرابعُ: الكرمُ، فإنَّ البخيلَ لا يُدْعَى.

---

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة: باب «الدعاء بين السجدتين» (رقم ٨٥٠)، والترمذي في الصلاة: باب ما يقول بين السجدتين (رقم٢٨٤)، وابن ماجة في إقامة الصلاة: باب ما يقول بين السجدتين (رقم ٨٩٨)، والحاكم (١/ ٢٧١)، والبيهقي (٢/ ١٢٢)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الترمذي (٣٥٨٥)، والبيهقي في «سننه الكبرى» (٤/ ٢٨٤)، (٥/ ١١٧)، وقال: هذا مرسل، وقد روى عن مالك بإسنادٍ آخر موصولًا، ووصله ضعيف.

ورواه البيهقي أيضًا في «شعب الإيمان» (٣/ ٤٦٢) بلفظ: «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل قولي وقول الأنبياء قبلي: لا إله إلا الله...» الحديث، وزاد بعد: «وله الحمد» «يحيي ويميت، بيده الخير».

قال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٢/ ٢٥٤): في إسناده حماد بن أبي حميد، وهو ضعيف.

(٢) كلامُه في «الطحاوية» (١/ ٤٥٨).

الخامسُ: الرحمةُ، فإنَّ القاسيَ لا يُدْعَى.

السادسُ: القدرةُ، فإنَّ العاجزَ لا يُدْعَى.

ومن يَقُولُ بالطبائعِ يعلمُ أنَّ النارَ لا يُقَالُ لها كفى. ولا النجمُ يقالُ له: أَصْلِحْ مِزَاجِي؛ لأنَّ هذه عندَهم مؤثرةٌ طبعًا لا اختيارًا، فشَرَعَ الدعاءَ وصلاةَ الاستسقاءِ؛ ليبينَ كذبَ هذه الطبائعِ.

وفعلُ السمعِ يرُادُ به أربعةُ معانٍ: أحدُها: سمعُ إدراكٍ ومُتَعَلَّقُه الأصواتُ.

والثاني: سَمْعُ فَهْمٍ وعَقْلٍ، وهو مُتَعَلِّقٌ بالمعاني.

الثالث: سَمْعُ إجابةٍ، وإعطاءُ ما سُئِلَ.

الرابعُ: سَمْعُ قَبُولٍ وانقيادٍ.

* فمن الأولِ: قولُه تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾. ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾.

* ومن الثاني: قولُه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ [البقرة:١٠٤]. أي سَمْعَ فهمٍ وعَقْلٍ واستجابةٍ.

* ومن الثالثِ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَه».

* ومن الرابعِ: قولُه تعالى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [المائدة:٤٢]. أي قابلون له ومُنْقَادُون. وهذا.

الأوَّلُ يَعْنِي ذكروا أن المناسبةَ فيه الملازمةُ.

* ❊❊❊ *

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٨٩- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ حَدَّثَنِي عُرْوَةُ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حَدَّثَتْهُ قال النبي ﷺ: «إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَادَانِي قَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ»[1].

الشاهدُ قولُه: «إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ». فَدَلَّ ذلك على تَعَلُّقِ سمعِ اللهِ تعالَى بكلِّ ما يُسْمَعُ.

* ❊❊❊ *

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٠- باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ﴾.

إنَّ مِنْ أسماءِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ القادرَ، والقديرَ، والمقتدرَ، لكنَّ القادرَ جاءتْ مقيدةً، مثلَ قولِه تعالَى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنعام:٦٥].

---

(١) رواه مسلم (١٧٩٥).

أَمَّا القديرُ والمقتدرُ فجاءَتْ مطلقةً، مثلُ ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ۝٥٤﴾ [الروم:٥٤]. وجاءَتْ مقيدةً، لكنها بالعموم ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٠٩﴾ [البقرة:١٠٩]. والمقتدرُ جاءَتْ مطلقةً كما في قولِه: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرِۭ ۝٥٥﴾ [القمر:٥٥].

وهذه كلُّها تعودُ إلى مَعْنًى واحدٍ، وهو القدرةُ، والقدرةُ هي: فِعْلُ الفاعِلِ بدونِ عجزٍ، فالذي يقابلُ القدرةَ هو العجزُ، والدليلُ على هذا قولُه تعالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ۝٤٤﴾ [فاطر:٤٤]. قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ﴾ [فاطر:٤٤]. وعلَّل ذلك بأنَّه عليمٌ وقديرٌ، والعليمُ ضدُّه الجاهلُ، والقديرُ ضدُّه العاجزُ، والجاهلُ معلومٌ أنَّه يُعْجِزُه الشيءُ، فإنَّ الإنسانَ قد يكونُ قادرًا غيرَ عاجزٍ، لكن لجهلِه بالشيءِ لا يستطيعُ أن يفعلَه، وقد يكونُ الإنسانُ عالمًا، لكنَّه عاجزٌ، فلا يستطيعُ أن يفعلَ، فاللهُ ﷻ لا يمنعُه شيءٌ، ولا يعجزُه شيءٌ؛ لأنَّه عليمٌ قديرٌ.

ثم القدرةُ مُتعلِّقَةٌ بكلِّ شيءٍ، عامةٌ في كلِّ شيءٍ؛ لقولِ اللهِ تباركَ وتعالَى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ۝١٣٣﴾ [النساء:١٣٣]. فلم تُعَلَّقِ القدرةُ بالمشيئةِ، فهو قادرٌ على ما يشاءُ وما لا يشاءُ.

وأما قولُه تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ۝٢٩﴾ [الشورى:٢٩]. فالتعليقُ بالمشيئةِ هنا لا يَعُودُ على القدرةِ، بل يعودُ على الجمعِ؛ يَعْني: إذا شاءَ جَمْعَهم، فإنَّه ليسَ بعاجزٍ عنه، بل هو قديرٌ عليه.

ومِن هنا نَعْرِفُ أنَّ قولَ بعضِ الناسِ: إنَّه على ما يشاءُ قديرٌ. خطأٌ؛ لأنَّهم إذا قالُوا: إنَّه على ما يشاءُ قديرٌ. خَصَّصُوا القدرةَ بما يشاءُ، فلَزِمَ مِن ذلك أنْ يكونَ غيرَ قادرٍ على الذي لا يشاءُه، ثم يدخلُ علينا مثلُ المعتزلةِ مِن هذه الناحيةِ حيثُ يقُولُون: إنَّ اللهَ ﷻ لا يشاءُ أفعالَ العبادِ، وعلى هذا فيكونُ اللهُ غيرَ قادرٍ على أفعالِ العبادِ؛ لأنَّه لا يشاؤُها، فلذلك يَنْبَغِي أنْ نُنبِّهَ القائلونَ على هذه المسألةِ.

وأمَّا ما جاءَ في الحديثِ الذي أَخْبَرَ به النبيُّ ﷺ عن آخرِ الناسِ دُخُولًا الجنةَ حيثُ قال اللهُ تباركَ وتعالَى له: «إنِّي على ما أشاءُ قادرٌ»[1]. فهذا مُتَعَلِّقٌ بفعلٍ خاصٍّ، والمتعلقُ بفعلٍ خاصٍّ يُبَيِّنُ أنَّ اللهَ تعالَى قادرٌ عليه إذا شاءَه، ولهذا قالَ: «على ما أشاءُ قادرٌ». ولم يَقُلْ: قديرٌ. لأنَّه مُتَعَلِّقٌ بفعلٍ خاصٍّ، فمَثَلًا لو رَأَيْنا أمرًا استَغْرَبْناه، إمَّا لاستبعادِه، أو لعظمتِه، فإنَّا نقولُ: إنَّ اللهَ على ما يشاءُ قادرٌ. يَعْنِي فلما شاءَ هذا الشيءَ كانَ قادرًا عليه.

أَمَّا إذا أَرَدْنَا أنْ نَأْتِيَ بالاسمِ والوصفِ على الإطلاقِ، فإنَّنَا لا نَقُولُ: على ما يشاءُ. خوفًا مِن أنْ يُتَوَهَّمَ مِن ذلك أنَّ ما لا يشاءُه لا يقدرُ عليه، مع أنَّه تعالَى قادرٌ على كلِّ شيءٍ؛ على ما يشاءُ وما لم يَشَأْ، لكن ما شاءَ كانَ وما لم يَشَأْ لم يَكُنْ.

ويذكرُ أنَّ جنودَ الشيطانِ قالوا له: نَراكَ تفرحُ إذا ماتَ العالِمُ أكثرَ مما تفرحُ إذا ماتَ العابدُ -لأنَّ العالم أشدُّ على الشيطان من العابدِ- فقال: نَعَم: إنَّني أفرحُ بموتِ عالمٍ أكثرَ مما أفرحُ بموتِ ألفِ عابدٍ،

---

(١) رواه مسلم (١٨٧).

وسأَخْتَبِرُ العالِمَ والعابدَ. فأرسلَ جنودَه إلى العابدِ فقالوا له: هل يقدرُ اللهُ على أنْ يجعلَ السمواتِ والأرضَ في جوفِ بيضةٍ؟ فأجابَ العابدُ على طبيعتِه فقال: لا يقدرُ أن يجعلَ السمواتِ والأرضَ في جوفِ بيضةٍ. فرَجَع الجنودُ إلى زعيمِهم، وقالوا: إنَّه قالَ: لا يَقْدرُ، قال: إذن نَفَى قدرةَ اللهِ. ثم أَرْسَلَهم إلى العالِمِ، فقالوا له: هل يقدرُ اللهُ على أن يَجْعَلَ السمواتِ والأرضَ في جوفِ بيضةٍ؟ قال: نَعَمْ. قالوا: كيفَ ذلك؟ قال: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يس:٨٢]. فإذا أَمَر اللهُ السمواتِ والأرضَ أن تكونَ في البيضةِ صارتْ فيها إما أن تَصْغُرَ السمواتُ والأرضُ، وإما أنْ تَكْبَرَ البيضةُ[1].

فالحاصلُ: أنَّ القدرةَ تتعلقُ بكلِّ شيءٍ؛ لقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٠﴾. لكن ذكَر بعضُ العلماءِ أنَّ القدرةَ لا تَتَعَلَّقُ بالمستحيلِ؛ لأنَّ المستحيلَ مستحيلٌ وجودُه.

مثال ذلك: هل يُمْكِنُ أن يَكُونَ المتحرِكُ ساكنًا في حالِ تَحَرُّكِه؟ لا يُمْكِنُ أن يكونَ المحتركُ ساكنًا في حالِ تحركِه، قالوا: فلو قِيلَ: هل يُمْكِنُ أن يَجْعَلَ اللهُ المتحرِّكَ ساكنًا في آنٍ واحدٍ؟ لا يُمْكِنُ؛ لأنَّه إنْ تَحرَّكَ لم يسكنْ، وإن سَكَنَ لم يَتَحَرَّكْ، أمَّا اللهُ فهو قادرٌ على أنْ يَجْعَلَ المتحركَ ساكنًا، يَعْنِي يَئُولُ إلى أن يكونَ ساكنًا، والساكنُ إلى أن يَكُونَ متحركًا.

ولهذا قال السفارينيُّ في عقيدتِه: واقْتَدَرْ بِقُدْرَةٍ تَعَلَّقَتْ بمُمْكِنٍ[2].

لأنَّ المستحيلَ عدمٌ، ليسَ بشيءٍ، لكن مع ذلك بالنسبةِ لطالبِ العلمِ قد يَحْتَمِلُ مثلَ هذا التفصيلِ؛ لأنَّه يعرفُ أنَّ المستحيلَ على اسمِه، لكنَّ العاميَّ لا يَنْبَغِي له أنْ يُفَصَّلَ له هذا التفصِيلَ؛ لأنَّ عقلَه لا يُدْرِكُ هذا الشيءَ، فيقالُ للعاميِّ: إنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ. فقط.

وقد ذَكَر صاحبُ الجَلالَيْن في سورةِ المائدةِ تعليقًا على قولِ اللهِ تباركَ وتعالَى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١٨٩﴾ [آل عمران:١٨٩]. قالَ: وخصَّ العقلُ ذاتَه[3]. أيْ ذاتَ اللهِ، فليسَ عليها بقادرٍ. وما هو العقلُ الذي خَصَّها، وعقلُ من؟ إنَّه عقلُ مَن لم يَقْدِرِ اللهَ حقَّ قَدْرِه، فما مَعْنَى قولِك: خَصَّ العقلُ ذاتَه، فليسَ عليها بقادرٍ؟ إنْ أردتَ، فليسَ عليها بقادرٍ أي: على أنْ يَخْلُقَ مثلَه، فتَقُولُ: هذا لم تَتَعَلَّقْ به القدرةُ أصلًا. أو ليسَ بقادرٍ على أنْ يُهْلِكَ نفسَه، فهذا لم تَتَعَلَّقْ به القدرةُ أصلًا، أم تُرِيدُ أنْ تَنْفِيَ الأفعالَ الاختياريةَ كما هو مرادُه، فلا يَقْدِرُ على أنْ يَنْزِلَ، ولا على أن يَسْتَوِيَ إلى السماءِ، ولا على أنْ يَسْتَوِيَ على العرشِ، ولا على أنْ يَضْحكَ، ولا على أنْ يَغْضَبَ، فإنَّنا لا نوافِقُك على هذا.

---

(١) «مكائد الشيطان» لابن أبي الدنيا ص٥٠ (٣٠).

(٢) انظر «الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية» (ص٥٢). (البيت ٣٧).

(٢) انظر «تفسير الجلالين» (١/ ١٦١).

وأنتم تَعلَمُونَ أنَّ الأشاعرةَ وكثيرًا ممن وافقَهم على ذلك يَرَوْن أنّه لا يُمْكِنُ أن تَقُومَ الأفعالُ الاختياريةُ في اللهِ ﷻ، يَعْنِي: ما يُمْكِنُ أنْ يفعلَ فعلًا يختارُه أبدًا مِثْلَ النزولِ والاستواءِ والمجيءِ والضحكِ، والغضبِ، وهذا أصلٌ مِن أصولِهم، أنَّ الأفعالَ الاختياريةَ لا تقومُ بذاتِ اللهِ، فلهذا قال بناءً على هذه العقيدةِ الفاسدةِ، قال: خصَّ العقلُ ذاتَه، فليسَ عليها بقادرٍ، وقد عَرَفْتُم التفصيلَ في هذا، فقُلْنَا، إنْ أرادَ بذلك ما يستحيلُ في حقِّ اللهِ، فهذا حقٌّ لن يكون، لكنَّنا لا نقولُ: إنَّ اللهَ غيرُ قادرٍ عليه. بلْ نقولُ: إنَّ القدرةَ لا تتعلقُ به أصلًا، وإنْ أرادَ بذلك أفعالَ اللهِ الاختياريةَ، وأنّه لا يقدرُ على أنْ يَأْتِيَ، أو أن يستويَ على العرشِ، أو يَسْتَوِيَ إلى السماءِ أو ما أشبهَ ذلك، فإنَّنا لا نُقِرُّه على ذلك، بل نقولُ: إنَّ اللهَ قال في كتابِه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج:١٨]. وقال: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج:١٦]. وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود:١٠٧].

ولهذا يَنْبَغِي لطالبِ العلمِ إذا أَتَى لمثلِ هذه الكلماتِ الخطيرةِ أن يُعَلِّقَ على الكتابِ إذا كان عندَه علمٌ يدفعُ به هذا الخطأَ؛ لأنَّ الكتابَ رُبَّما يُقرأُ مِن بعدِه.

****

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٩٠- حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ حَدَّثَنَا مَعْنُ بْنُ عِيسَى حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الْمَوَالِي قَالَ سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُنْكَدِرِ يُحَدِّثُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَسَنِ يَقُولُ أَخْبَرَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّلَمِيُّ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ الِاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ يَقُولُ إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ لِيَقُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ هَذَا الْأَمْرَ -ثُمَّ تُسَمِّيهِ بِعَيْنِهِ- خَيْرًا لِي فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ قَالَ أَوْ فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ اللَّهُمَّ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ»

سبَق الكلامُ على اسمِ اللهِ ﷻ القديرِ وما يدلُّ عليه مِن القدرةِ، وأنَّ القديرَ مِن الأسماءِ العامةِ، وأنَّ القدرةَ صفةٌ ذاتيةٌ لم يزلْ ولا يزالُ مُتَّصِفًا بها، وأن حدوثَ المقدورِ عليه لا يَقْتَضِي حدوثَ القدرةِ؛ لأن القدرةَ لم يزلِ اللهُ مُتَّصِفًا بها. كما أنَّ حدوثَ المعلومِ لا يلزمُ منه حدوثُ العلمِ، وحدوثَ المسموعِ لا يلزمُ منه حدوثُ السمعِ، فلم يزلِ اللهُ ولا يزالُ سميعًا، ولم يزلِ اللهُ ولا يزالُ عالمًا، لكنَّ الذي يحدثُ هو المسموعُ أو المعلومُ أو المقدورُ عليه بخلافِ الصفاتِ الفعليةِ، فإنَّ الصفةَ نفسَها تحدثُ كالنزولِ إلى السماءِ الدُّنْيا حينَ يَبْقَى ثلثُ الليلِ الآخِرِ، فهذا فعلٌ، حَدَثَ لمَّا بَقِي ثلثُ الليلِ الآخِرُ فإذا طَلَعَ الفجرُ انْتَهَى النزولُ، و﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى﴾ [الأعراف:٥٤]. فحَدَثَ الاستواءُ بعدَ خلقِ السمواتِ والأرضِ، ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣]. حَدَث الكلامُ، بعدَ مجيءِ مُوسَى.

فالصفاتُ الفعليةُ تَتَجَدَّدُ أفرادُها وآحادُها، أمَّا أصلُها فهو قديمٌ، لم يزلْ ولا يزالُ اللهُ تعالَى فعَّالًا لكنَّ آحادَ هذه الأفعالِ هي التي تحدثُ.

ولو قُلْنا بأنَّه لا يمكنُ أن يَحْدُثَ مِن اللهِ فعلٌ لَزِمَ أنْ يكونَ مُعَطَّلًا عن الأفعالِ، وهذا نقصٌ عظيمٌ.

أما الصفاتُ الذاتيةُ فإنَّها لا تحدثُ، فلم يزلْ ولا يزالُ مُتَّصِفًا بها، مثلُ العلمِ والقدرةِ والسمعِ والبصرِ، لكنَّ الذي يحدثُ هو المخلوقُ المعلومُ المسموعُ المُبْصَرُ المقدورُ عليه، ما أشبهَ ذلك، وهذا لا يَعْنِي أنَّ القدرةَ تتجددُ أو العلمُ أو السمعُ أو البصرُ.

فإنْ قالَ قائلٌ: ما تقولُ في قولِه تعالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد:٣١].

نقولُ: الجوابُ على هذا: أنَّ العلمَ علمانِ؛ علمٌ سابقٌ: فيعلمُ ﷻ بأنَّ هذا الشيءَ سيحدُثُ، وعلمٌ لاحقٌ: فيعلمُ سبحانَه أنَّه حَدَث، وهذا العلمُ هو الذي يترتبُ عليهِ الجزاءُ؛ الثوابُ أو العقوبةُ، وحينئذٍ يكونُ التجددُ ليسَ للعلمِ، ولكن للمعلومِ، ويختلفُ تعلُّقُ العلمِ بالمعلومِ قبلَ وجودِه وبعدَ وجودِه. ولهذا قالَ بعضُ العلماءِ: حتَّى نعلمَ علمَ ظهورٍ، وهذا مَعْنَى ما قُلْنا. وبعضُهم قال: حتَّى نعلمَ علمًا يترتبُ عليه الثوابُ والعقابُ. وهذا أيضًا مَعْنَى ما قلتُ.

ثم ذُكرَ حديثَ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ ﵄، وفي سندِه نكتةٌ، يَعْنِي: قد تكونُ نادرةَ الوجودِ، وهي تحديثُ الإنسانِ بحديثٍ يُحدَّث به غيرُه، يَعْنِي: لا يُوَجَّهُ إلقاءُ الحديثِ إليه، بل يُوَجَّهُ إلى غيرِه فيُحَدِّث به هو، وذلك في قولِه: سمعتُ محمدَ بنَ المنكدرِ، يحدِّثُ عبدَ اللهِ بنَ الحسنِ، يقولُ: أخْبرَنا جابرٌ.

فهذا محمدُ بنُ المنكدرِ يحدِّثُ عبدَ اللهِ بنَ الحسنِ، وابنُ أبي المَوَالِي نَقَلَه عن محمدِ بنِ المنكدرِ مع أنَّه ينقلُ الحدِّيثَ إلى عبدِ اللهِ بنَ الحسنِ، وهذا نادرٌ؛ لأنَّ الغالبَ أنَّ الراويَ يَرْوِي الحديثَ عمَّن ألْقَاه إليه، ولكن لا حرجَ أنَّ الإنسانَ إذا سَمِع شَخْصًا يحدثُ آخرَ أنْ يَنْقُلَه عنه، وإن لم يُوَجَّهْ الخطابُ إليه، خصوصًا في الأمورِ الشرعيةِ.

الشاهدُ مِن هذا الحديثِ: قولُه: «**أَسْتَقْدِرُك بقُدْرَتِك**». فالبخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عندَه فهمٌ عميقٌ أتَى بحديثِ الاستخارةِ ليُبيِّنَ أنَّ أسماءَ اللهِ ﷻ متضمنةٌ لما تدلُّ عليه مِن المعانِي والصفاتِ؛ لأنَّ البابَ هو بابُ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ﴾ [الأنعام:٦٥]. والقادرُ اسمُ فاعلٍ، وحديثُ الاستخارةِ فيه: «**بقُدْرَتِك**». فيبينُ أنَّ أسماءَ اللهِ متضمنةٌ للصفاتِ، وليسَتْ أسماءً جامدَةً، لا تحملُ مَعْنًى، بل هي أسماءٌ مشتقةٌ، تحملُ المَعْنَى الذي اشْتُقَّتْ منه، وهي القدرةُ.

۞وقولُه: «**يُعلِّمُ أصْحَابَه الاسْتِخَارَةَ**». يَعْنِي: طلبَ خيرِ الأمْرَيْنِ، فاستخرتُ: طلبتُ منك خيرَ الأمْرَيْنِ.

۞وقولُه: «**فِي الأُمُورِ كُلِّها**». هذا عامٌّ يُرادُ به الخاصُّ، والمرادُ به الأمورُ التي يُشْكِلُ على

الإنسانِ وَجْهُها، أمَّا ما لا يُشْكِلُ فلا حاجةَ للاستخارةِ فيه؛ لأنَّ الإنسانَ عازمٌ، فلا يحتاجُ أن يستخيرَ، ولهذا لو أرادَ الإنسانُ أن يسافرَ لزيارةِ قريبٍ أو لتجارةٍ، أو ما أشبهَ ذلك وهو عازمٌ، فإنَّه لا حاجةَ للاستخارةِ، وإلا لقُلْنَا: إنَّ الإنسانَ يُصَلِّي دائمًا صلاةَ الاستخارةِ؛ لأنَّ الإنسانَ حارثٌ وهَمَّامٌ، دائمًا يَهُمُّ في الأمورِ، لكنَّ المرادَ بذلك الأمورِ التي لا يتبينُ للإنسانِ وَجْهُها، فيتحيرُ وحينئذٍ لا ملجأَ له إلَّا اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

۞ وقولُه: «كما يُعَلِّمُ السورةَ مِن القرآنِ». يدلُّ على الاهتمامِ بهذه الاستخارةِ كما عَلَّمهمُ التشهدَ في الصلاةِ، وكما يُعَلِّمُهمُ السورةَ مِن القرآنِ، وهذا الدعاءُ والثناءُ على اللهِ عَزَّوَجَلَّ جَعلَه اللهُ تعالَى بديلًا لمَا كان يُصْنَعُ في الجاهليةِ، فقد كانُوا يَسْتَقْسِمُون بالأزلامِ؛ يَعْنِي: يَطْلُبُون ما يُقْسَمُ لهم بواسطةِ الأَزْلَامِ، وهي أقداحٌ تُجْعَلُ في كِيْسٍ، أو ما أشبهَ ذلك، مكتوبًا على واحدٍ منها: افعلْ، وعلى الثَّانِي: لا تفعلْ، والثالثُ: ما ليسَ فيه كتابةٌ، ثم يَعْمَلُون فيها عملًا، ثم يُخْرِجُ الإنسانُ واحدًا منها، إن خَرَجَ افعلْ فَعَلَ، وإن خرَجَ لا تفعلْ: لم يفعلْ، وإن خرَجَ الذي ليس فيه شيءٌ، يكونُ متوقِّفًا، ثم إمَّا أنْ يُعيدَ الاستقسامَ مرةً أُخرَى، أو يدعَ الأمرَ مع الشكِّ، فأبدلَ اللهُ تعالَى الناسَ بهذا الدعاءِ.

۞ قولُه: «فليركعْ رَكْعَتَيْن مِن غيرِ الفريضةِ». يَعْنِي: النافلةَ، وهلْ يَكْفِي عن هاتَيْنِ الرَّكْعَتينِ الراتبةُ مثلًا أو سنةُ الضُّحَى؟ يَحْتَمِلُ أنَ تكونَ مجزئةً؛ لقولِه: «مِن غيرِ الفريضةِ». ويَحْتَمِلُ أنَّه لابدَّ مِن صلاةٍ مستقلةٍ -وهو الأحوطُ-.

۞ قولُه: «ثُم ليَقُلْ». ظاهرُ الحديثِ أنَّ هذا الدعاءَ يكونُ بعدَ السلامِ؛ لأنَّه لا يَصْدُقُ عليه أنَّه صَلَّى رَكْعَتَيْنِ حتَّى يَفرُغَ منهما.

۞ يقولُ: «اللهمَّ إنِّي أسْتَخِيرُك بعلمِك». يَعْنِي أَطْلُبُ خيرَ الأَمْرَيْنِ، حَسَبَ ما تَعْلَمُه، «وأسْتَقْدِرُك بقُدرَتِكَ». أي: أطلبُ منك القدرةَ بقُدْرَتِكِ، فهو توسلٌ بالقدرةِ، على أن يَقْدِرَ على الأمرِ، «وأسألُك مِن فضلِكَ»؛ لأنَّ الإنسانَ قد يَقْدِرُ على الشيءِ ويحصلُ له الشيءُ لكن لا ينالُه مِن اللهِ فضلٌ به ولا بركةٌ، فيسألَ اللهَ مِن فضلِه، «فإنَّك تَقْدِرُ ولا أَقدِرُ، وتَعْلَمُ ولا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيوبِ». في هذه الجُمَلِ لفٌّ ونَشْرٌ غيرُ مرتبٍ؛ لأنَّه قَدَّمَ العلمَ في الجملةِ الأولَى على القدرةِ، وفي الجملةِ الثانيةِ قَدَّمَ القدرةَ على العلمِ، ولو كان اللفُّ والنَّشْرُ مُرَتَّبًا لبَدَأَ بالعلمِ قبلَ القدرةِ.

۞ قولُه: «اللهمَّ إن كُنْتَ تعلمُ هذا الأمرَ ». أي: الذي يريدُ أنْ يستخيرَ اللهَ فيه ثم يُسَمِّيه بعينِه.

۞ وقولُه: «خيرًا لي». مفعولٌ ثانٍ لتَعْلَم «في عَاجِلِ أَمْرِي وآجِلِه». قال: «أو في ديني ومَعَاشِي وعاقبةِ أَمْرِي، فاقْدُرْه لِي ويَسِّرْه لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فيه». هذه «أو». شكٌّ مِن الرَّاوِي، هل قالَ: «في عاجلِ أَمْرِي وآجِلِه»، أو قال: «في دِينِي ومَعَاشِي وعَاقِبَةِ أَمْرِي». رَجَّحَ بعضُ العلماءِ الأولَ لعمومِه، ورَجَّحَ بعضُهم الثَّانِي؛ لأنَّ العاجلَ السابقُ، وقد انْقَضَى، ولكن ليسَ هذا الوجهُ الأخيرُ بمُرَجِّحٍ؛ لأنَّ المرادَ بعاجلِ أَمْرِي ليسَ الذي قد انْقَضَى بلا شكٍّ، إنما المرادُ بعاجلِ أَمْرِي ما يَأْتِي بعدَ الاستخارةِ مباشرةً.

ولو قالَ قائلٌ: لو أنَّ الإنسانَ جَمَعَ بينَ هذه الجُمَل في عاجل أَمْرِي وآجِلِه، ودِينِي ومَعَاشِي وعاقبةِ أَمْرِي، فلا حَرَجَ؛ لأنَّ الدعاءَ يَنْبَغِي فيه البسطُ، أو نقولُ: إنَّ شكَّ الرَّاوِي يَقْتَضِي أنَّ الذي ثَبَتَ عنِ الرسولِ ﷺ واحِدٌ مِن الأمْرَينِ، وحينئذٍ يُرَجِّحُ الإنسانُ ما يَرَى أنَّه راجحٌ فيقولُه.

قُلْنَا: تَرجِيحُ الجملة الأُولَى «في عاجلِ أَمْرِي وآجِلِه» للعمومِ؛ لأنَّ كلمةَ أَمْرِي؛ تَعْنِي: شَأْنِي، وهو عامٌّ؛ لكونِه مفردًا مضافًا، والثانيةُ فيها شيءٌ مِن التفصيل، «دِينِي ومَعَاشِي وعاقبةِ أَمْرِي». فيها شيءٌ مِن التفصيل والتخصيصِ، فليسَ فيها عمومٌ، لكنَّ التفصيلَ قد يكونُ أحسنَ في بابِ الدعاءِ.

۞ قولُه: «فَاقْدُرْه لِي ويَسِّرْه لي ثم بَارِكْ لي فيه». ثلاثُ جُمَلٍ «اقْدُرْه»؛ يَعْنِي: بعِلْمِك ومَشِيئَتِك، «ويَسِّرْه» بحيثُ لا يكونُ فيه موانعَ «لي ثم بَارِكْ لِي فِيه». أي: اجْعَلْ لي فيه بركةً، والبَرَكَةُ هي: الخيرُ الواسعُ الثابتُ، وأصلُه مِن البِرْكَةِ، والبِرْكَةُ مَجْمَعُ الماءِ، وهي واسعةٌ وكبيرة، والماءُ يمكثُ فيها ويَبْقَى.

۞ قولُه: «اللهمَّ وإن كنتَ تَعْلَمُ أنَّه شَرٌّ لي في دِينِي ومَعَاشِي وعاقِبَةِ أَمْرِي، أو قال: في عاجلِ أَمْرِي وآجِلِه، فاصْرِفْنِي عنه، واقْدُرْ لِيَ الخَيرَ حيثُ كانَ، ثُمَّ رَضِّنِي به» وفي بعض الألفاظِ: «اصرفْه عني واصرفْني عنه»، ثم أقدرْ لي الخير حيث كان، ثم رضِّني به» يَعْنِي: اجْعَلْنِي رَاضِيًا به.

فهذا الدعاءُ يَنْبَغِي للإنسانِ إذا هَمَّ بالأمرِ، وأشْكَلَ عليه وجهُ الصوابِ فيه أنْ يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْن، ويستَخِيرَ اللهَ، فإنْ بانَ له الأمرُ، فذلك المطلوبُ، وإن لم يَبِنْ أعادَ الاستخارةَ.

وقال بعضُ العلماءِ: إنْ لم يَبِنْ استشارَ ذَوِي الرَّأْيِ والصلاحِ والخبرةِ، ثمَّ إمَّا أن يُقَوُّوه على هذا، أو على هذا، وقالَ آخَرُون: بلْ يُقَدِّمُ المشورةَ.

والصحيحُ: أنَّه يقدِّمُ الاستخارةَ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إذا هَمَّ أحدُكم بالأمرِ فليُصَلِّ رَكْعَتَين». فيُقَدِّمُ الاستخارةَ ثم إنْ بَدَا له وجهُ الصوابِ، فذلك المطلوبُ، وإلَّا أعادَ الاستخارةَ مرَّةً ثانيةً، واستشارَ ذَوِي الخبرَةِ والصلاحِ والأمانةِ.

وَيَبِينُ له وجهُ الأمرِ بأمورٍ:

أَوَّلًا: اطْمِئْنَانُه إلى أحدِ الأَمْرَيْنِ؛ يَعْنِي: يَرَى أنَّه رَضِي واطْمَأَنَّ.

ثَانيًا: أنَّه رُبَّما يَرَى في المنامِ مَا يُقَوِّي أحدَ الاحْتِمَالَيْن، مما يعينه، ويشجعه على الإقدامِ.

ثالثًا: أنَّه رُبَّما يَسْمَعُ كلامًا يتفاءلُ به على أحدِ الأَمْرَيْن.

رابعًا: أنَّه يَتَيَسَّرُ له الوصولُ إلى أحدِ الأَمْرَيْن، ويَتَعَسَّرُ الأمرُ الثَّانِي، وهذا التيسيرُ هو مضمونُ الدعاءِ «اقْدُرْه لي ويَسِّرْه لي».

وأمَّا بالنسبة للواجبِ فلا يستخيرُ اللهَ فيه إلَّا إذا أَشْكَلَ عليه، هل يُقَدِّمُ هذا أو هذا؛ يَعْنِي: أرادَ أنْ يُسَافِرَ للحجِّ مع وُجُوبِه عليه فلا حاجةَ إلى أن يستخيرَ؛ لأنه لابُدَّ أنْ يَفْعَلَ، ولو أرادَ أنْ يَسْتَخِيرَ هل يُصَلِّي الظهرَ مثلًا، يَعْنِي شَكَّ في الحكمِ الشرعيِّ هذا؟ لا يستخيرُ فيه، بل يطالِعُ الكتابَ والسنةَ؛ لأجلِ أن يَحْصُلَ به

العلمُ، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩].

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١١- باب مُقَلِّبِ الْقُلُوبِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ [الأنعام:١١٠].

مقلِبُ القلوبِ هذا وصفٌ لا يَصِحُّ إلا للهِ ﷻ، فهو الذي يقلبُ القلوبَ؛ لأنَّ الإنسانَ مهما كانَ لا يمكنُ أن يُقَلِّبَ أحدٌ قلبَه، والمرادُ بتقليبِ القلوبِ ليسَ التقليبَ الحسيَّ بأن يجعلَ أعلَى القلبِ أسفلَه أو الجانبَ الأيْسَرَ في الأيمنِ، لكن المرادَ بتقليبِ القلوبِ تقليبُ وجهاتِ النظرِ؛ يعني: يَهُمُّ الإنسانُ بالشيءِ، ثم يقلِبُ اللهُ همَّه إلى شيءٍ آخَرَ، يَهُمُّ بالسيئَةِ، ثم يقلِبُ اللهُ قلبَه إلى حسنةٍ، أو بالعكسِ.

ويُذكَرُ أنَّ أعْرَابيًّا قِيلَ له: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ قالَ: بِصَرْفِ الهِمَمِ. يَعْنِي: أنَّ اللهَ هو الذي يصرِفُ الهِمَمَ، فالإنسانُ يهمُّ بالشيءِ، ويجزمُ به، فإذا به تَنْصَرِفُ هِمَّتُه إلى شيءٍ آخرَ بدونِ سببٍ ظاهرٍ، مَن الذي صَرَفَ ذلك؟ هو اللهُ ﷻ، فلذلك مقلِّبُ القلوبِ هو اللهُ، كما قالَ اللهُ تعالَى: ﴿مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ﴾ [الأعراف:١٨٦]، ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِي﴾ [الأعراف:١٧٨]. فلا يُمْكِنُ لأحدٍ أن يقلِّبَ قلبَ أحدٍ، فمقلبُ القلوبِ هو اللهُ، فهذا وصفٌ لا يَصِحُّ إلا للهِ.

فإنْ قالَ قائلٌ: أليسَ الإنسانُ يهمُّ بالشيءِ، فيَأتِيه شخصٌ، ويشيرُ عليه، ويبينُ له الوجهةَ الصحيحةَ التي يَرَاها، ثم يتحولُ إلى رأيِه؟ نقولُ: بلى، لكن من الذي جَعَلَه يتحولُ؟ اللهُ ﷻ، وربما يشارُ عليه كثيرًا، ولكن لا يتحولُ، فالأمورُ كُلُّها بيدِ اللهِ.

ثم استدلَّ المؤلفُ بقولِ اللهِ تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ [الأنعام:١١٠]. أفئدتهم؛ أي: قلوبَهم، وأبصارَهم، يحتملُ أنْ يكونَ جَمْعَ بصيرةٍ، وإن كان هذا خلافَ المعروفِ؛ لأنَّ بصيرةً جمعُها بصائرٌ، ويحتملُ أنْ يكونَ جمعَ بصرٍ، كسَببٍ وأسبابٍ، ولكن كيفَ تقليبُ البصرِ؟ تقليبُ البصرِ أنْ يُصْرَفَ البصرُ مِن النظرِ إلى الطاعاتِ إلى النظرِ إلى المعاصِي، هذا مِن تقليبِ الأبصارِ والعياذُ باللهِ، فاللهُ ﷻ هو الذي يقلبُ القلوبَ والأبصارَ ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾. وليت البخاريَّ أتى بتكملةِ الآيةِ، وهي قولُه: ﴿كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ [الأنعام:١١٠]. والكافَ هنا للتعليلِ؛ أي: لكونِهم لم يُؤْمِنوا به أوَّل مرَّة ﴿وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١١٠﴾. وهذا تهديدٌ عظيمٌ للإنسانِ الذي لا يقبلُ الحقَّ أوَّلَ ما يَرِدُ إليه، فإنَّ الإنسانَ إذا لم يقبل الحقَّ أوَّلَ ما يَرِدُ إليه يُخْشَى أن يُبْتَلَى بهذه البَلْوَى؛ وهي أن يُقلَّبَ قلبُه ولا يَهْتدي للحقِّ؛ لأنَّه رَدَّه أوَّلَ مَرَّة.

إذًا: بيَّنَ اللهُ ﷻ أنَّه يقلبُ أفئدتَهم وأبصارَهم، وأنَّ لهذا التقليبِ سببٌ، وهو أنَّهم لم يُؤْمِنوا به أوَّلَ مَرَّةٍ، ويَدُلُّ لهذا أيضًا قولُ اللهِ تعالَى: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ٥﴾ [ق:٥]. أي: يختلطُ عليهم الأمرُ، ثم لا يتبينَ لهم وجهُ الصوابِ، ولهذا يجبُ على الإنسانِ مِن حينِ أن يتبينَ له الحقُّ أنْ يقبلَه، ويأخذَ به، حتى يُهْدَى لحقٍّ آخرَ، أمَّا إذا رَدَّه، أو تَرَدَّد فيه، فإنَّه على خطرٍ عظيمٍ؛ أن يُبْتَلَى بهذه البَلْوَى -نسألُ اللهَ لنا ولكم السلامةَ- وما ألَذَّ رجوعَ الإنسانِ إلى الحقِّ، والإنسانُ إذا رجع

إلى الحقِّ، وإن كان خلافَ ما يقولُه أوّلًا، يجدُ في هذا لذةً عظيمةً؛ لأنّه فتحَ اللهُ على قلبِه حيثُ آمنَ بالحقِّ أوّلَ ما جاءَ به.

بعضُ الناسِ -نسألُ اللهَ لنا ولكم الهدايةَ- يحاولُ ويجادلُ لقولِه الذي قاله أولًا حتَّى لا يُهزمَ -في نظره- والحقيقةُ أنّه مهزومٌ في نظرِه إذا أصرَّ على الانتصارِ لقولِه لا للحقِّ، لكن لو عادَ للحقِّ وانقادَ، لكان هو الذي انتصرَ؛ انتصرَ على نفسِه أولًا ثم يُنصرُ؛ لأنَّ الحقَّ معه حيثُ وافقَ الحقَّ ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

قال الحافظُ ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٣٧٧):

وتقليبُ اللهِ القلوبَ والبصائرَ، صَرْفُها مِن رَأْيٍ إلى رَأْيٍ، وقالَ الكِرْمَانِيُّ ما مَعْنَاه: كانَ يَحْتَمِلُ أنْ يكونَ المَعْنِيّ بقولِه: «مُقلِّب» أنّه يجعلُ القلبَ قلبًا لكنَّ مظانَّ استعمالِه تنشأُ عنه.

ويستفاد مِنه: أنَّ إعراضَ القلبِ كالإرادةِ وغيرِها بخلقِ اللهِ تعالَى وهي مِن الصفاتِ الفعليةِ ومَرْجِعُها إلى القدرةِ[1]. اهـ

كأنّه يميلُ إلى أنَّ المرادَ بها البصائرُ، لكنَّ لفظَها يدلُّ على أنَّ المرادَ بها البصرُ الذي يُجْمَعُ على أبصارٍ، وكما قلنا لكم: إنَّ تقليبَ البصرِ ألَّا يَهْتَدِيَ إلى رؤيةِ ما فيه رِضَا اللهِ، بل ينظرُ إلى مَعاصِي اللهِ ﷻ.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٩١- حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: أَكْثَرُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَحْلِفُ: «لَا وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ».

سبقَ في الأيمانِ أنَّ الرسولَ ﷺ يحلفُ بهذا كثيرًا، ويحلفُ بقوله: «والذي نفسي بيده» كثيرًا[2].

المرادُ بعبدِ اللهِ هنا: ابنُ عمرَ، والدليلُ على ذلك أن الراويَ عنه سالمٌ، وهذا مما يُسْتَدلُّ به على المبهمِ فالمبهمُ مِن الرواةِ يُمكنُ أن تَسْتدِلَّ على تَعْيينه بتلاميذِه أو مشايخِه.

❂ قولُه: «لا ومقلبِ القلوبِ» «لا» هذه للتوكيدِ، ومرَّ علينا ذلك قريبًا، وضَرَبْنَا لهذا أمثلةً، فـ«لا» النافيةُ تدخلُ على القَسَمِ، والمرادُ به الإثباتُ، مثلُ قولِه تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ١﴾ [القيامة: ١]، و ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ١﴾ [البلد: ١]. فالصحيحُ أنّها للتنبيهِ والتوكيدِ، خلافًا لمن قال في قولِ اللهِ تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ١﴾: إنّها للنَّفْي. والمَعْنَى: لا صحةَ لما تَزْعمون مِن إنكارِ البعثِ، أو ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾؛ لأنَّ الأمرَ لا يحتاجُ إلى قَسَمٍ، لكنَّ الصحيحَ ما قَرّرْناه أولًا: أنّها للتوكيدِ والتنبيهِ.

---

(١) انظر: «الفتح» (١٣/ ٣٧٧).

(٢) تقدم تخريجه.

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٢- باب إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ اسْمٍ إِلَّا وَاحِدًا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ذُو الْجَلَالِ الْعَظَمَةِ الْبَرُّ اللَّطِيفُ.

❁ قولُه رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ اسْمٍ إِلَّا وَاحِدًا». ظاهرُ كلامِه حَصْرُ أسماءِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ في هذه التسعةِ والتِّسْعِين، وهذا أحدُ القَوْلَين في هذه المسألةِ العظيمةِ أنّ أسماءَ اللهِ محصورةٌ بتسعةٍ وتِسْعِين، ولكن سبَق لنا أنَّ القولَ الراجحَ أنَّها غيرُ محصورةٍ واسْتَدْلَلنا لذلك بحديثِ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ في دعاءِ الهمِّ والحزنِ وفيه: «أو اسْتَأْثَرت به في علمِ الغيبِ عندَك»[1] فإنَّه يدلُّ على أنَّ مِن أسماءِ اللهِ ما اسْتَأْثَر اللهُ بعلمِه، وما اسْتَأْثَرَ اللهُ بعلمِه فإنَّه لا يُمْكِنُ أن يُحاطَ به، وهذا هو الصحيحُ، ولذلك لو تأَمَّلْتَ أسماءَ اللهِ في الكتابِ والسنةِ لوجدتَها تزيدُ على تسعةٍ وتِسْعِين اسمًا.

وعلى هذا فيكونُ ما أَفْهَمُه ظاهرُ كلامِ البخاريِّ رَحِمَهُ اللَّهُ يكونُ مَرْجُوحًا.

❁ قوله: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ذُو الْجَلَالِ؛ أي: ذو الْعَظَمَةِ. وهذا صحيحٌ، فالجلالُ هو كمالُ العظمةِ، يشيرُ إلى قولِه تعالَى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن:٢٧]. ولكن كيفَ الجمعُ بينَ قولِه: ﴿تَبَٰرَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِى الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ ۝٧٨﴾ [الرحمن:٧٨]. وقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾؟ وذلك لأنَّ قولَه: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ صِفةٌ للوجهِ، وأما ﴿تَبَٰرَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِى الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ ۝٧٨﴾ فهي صفةٌ للربِّ وليستْ صفة لاسمٍ، فهي في الآيةِ الأُولَى صفةٌ للمضافِ، وفي الآيةِ الثانيةِ صفةٌ للمضافِ إليه.

❁ وقولُه: «الْبَرُّ اللَّطِيفُ» الصوابُ أنَّ المرادَ بالبرِّ واسعُ الخيراتِ وكثيرُ العطاءِ؛ لأنَّه مَتَّفِقٌ في الاشتقاقِ مع البَرِّ الذي هو ضدُّ البحرِ، فالبرُّ الذي هو ضدُّ البحرِ واسعٌ، ومنه بِرُّ الوَالِدَين؛ أي: كثرةُ عطائِها ونَفْعِها وما أشبهَ ذلك.

والظاهرُ أنَّ تفسيرَ البرِّ باللطيفِ ليسَ مِن تفسيرِ ابن عباسٍ.

قالَ الحافظُ ابنُ حجرٍ في «الفتح» (١٣/ ٣٧٨):

هو تفسيرُ ابنِ عباسٍ أيضًا، وقد تقدمَ الكلامُ عليه وبيانُ مَن وصلَه عنه في تفسيرِ سورةِ الطورِ[2].

فإذا قال قائلٌ: ما فائدة الحصرِ في قولِ النبيِّ ﷺ: «**إنَّ للهِ تسعةً وتسعين اسمًا**». مع أنه بالنظرِ إلى الكتابِ والسنةِ نحصلُ على أكثرَ من ذلك؟ فالجواب: ان فائدةَ الحصرِ هي أنَّ من أسماءِه تسعةً وتسعين اسمًا مَن أَحْصَاها دخَل الجنةَ، فإذا أحصيتَ تسعةً وتسعين مِن هذه الأسماءِ دَخَلْتَ الجنةَ، يَعْنِي لا يلزمُ إحصاؤُها كلِّها، إذا أحصيتَ منها تسعةً وتِسْعِين دخلتَ الجنةَ، لكنَّ هذه التسعةَ والتسعينَ مبهمةٌ في جملةِ الأسماءِ التي تزيدُ على تسعةٍ وتسعين، ولو كان الذي في الكتابِ والسنةِ محصورًا لقالَ: إنَّ اللهَ ذكَر لكم تسعةً

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٣٧٨).

وتِسْعِينَ اسمًا مَن أحْصَاهَا دخَلَ الجنةَ. فلما قال: «إنَّ للهِ تسعةً وتِسْعِين اسمًا مَن أحْصَاها دَخَلَ الجنة». دَلَّ ذلك على أنَّ الأسماءَ أكثرُ مِن ذلك، ولكن أنت اخترْ منها تسعةً وتِسْعين وأَحْصِها، وقد أختارُ أنا مثلًا اسمًا، وأنت لا تختارُه، وتأتِي بشيءٍ بدلَه، وكذلك العكسُ.

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ في «الفتح» (١٣/ ٣٧٧):

قولُه: «بابُ إنَّ للهِ مائة اسمٍ إلَّا واحدًا» ذِكَر فيه حديثَ أبي هريرةَ إنَّ للهِ تسعةَ وتسْعين اسمًا وقد تقدَّم شرحُه في كتابِ «الدعواتِ» وبيانُ مَن روَاه باللفظِ المذكورِ في هذه الترجمةِ، ووَقَع هنا في روايةِ الكُشْمِيهَني: «مِائةً إلا واحدًا». بالتذكيرِ، و «مِائةً» في الحديث بدلٌ مِن قولِه «تسعةً وتسعين». فعدَل في الترجمةِ مِن البدلِ إلى المبدلِ، وهو فصيحٌ.

ويُستفادُ منه: زيادةُ توضيحٍ؛ ولأنَّ ذكْرَ العقدِ أعْلَى مِن ذكرِ الكُسورِ، وأولُ العقودِ العشراتُ، وثانيها المائةُ، فلما قارَبَتِ العدَّةُ أُعْطِيت حكمها وجُبرَ الكسرَ بقولِه: «مائة» ثم أُرِيدَ التحققُ في العدد فاسْتَثْنَى ولو لم يستثن لكان استعمالًا قريبًا سائغًا.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٩٢- حَدَّثنا أَبو الْيَمانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبو الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[1]. (أَحْصَيْنَاهُ): حَفِظْنَاهُ.

ومَعْنَى الإحصاءِ: هو مَعْرِفَتُها لفظًا ومَعْنًى، والتعبدُ وسؤالُ اللهِ بها، والتعبدُ للهِ بمُقْتَضَاها.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٣- باب السُّؤَالِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَالِاسْتِعَاذَةِ بِها.

السؤالُ بأسماءِ اللهِ دَلَّ عليه قولُه تعالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وسَبق لنا أنَّ مَعْنَى قولِه تعالَى ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ يتضَمَّنُ شَيْئَيْن:

الأول: أنْ تَتعبَّدَ للهِ عَزَّوَجَلَّ بمُقْتَضَى هذه الأسماءِ، فيكونُ الدعاءُ في قولِه تعال: ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ بمَعْنَى العبادةِ.

الثَّاني: أن تجعلَها وسيلةً لك في الدعاءِ، بأنْ تذكُرَها بينَ يَدَيِ الدعاءِ أو تَخْتِمَ الدعاءَ بها، فتقولُ: يا غفورُ اغْفِرْ لي ويا سميعُ اجْعَلْنِي سَامِعًا. وما أشبهَ ذلك.

فلقولِه تعالَى: ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ معنيان:

المَعْنَى الأولُ: التعبدُ للهِ بمُقْتَضَاها؛ لأنَّ الدعاءَ يَأْتِي بمَعْنَى العبادةِ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٧).

﴿الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غافر: ٦٠].

والثاني: سؤالُ اللهِ بها؛ أي: تجعلُها وسيلةً لك في الدعاءِ، سواءٌ جعلتَها بينَ يَدَيِ الدعاء، أو ختمتَ الدعاءَ بها.

أما الاستعاذةُ بها فظاهرٌ، تقولُ: اللهمَّ إنِّي أعوذُ باسمِك الأعظمِ، أعوذُ بكلماتِ اللهِ التامَّاتِ. يَعْنِي: تتَعَوَّذُ بصفاتِ وأسماءِ اللهِ.

****

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٩٣- حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قال: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ فِرَاشَهُ فَلْيَنْفُضْهُ بِصَنِفَةِ ثَوْبِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلْيَقُلْ: بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»[1].

تابعَه يحيى، وبِشرُ بنُ المُفَضَّلِ عن عبيدِ اللهِ، عن سعيدٍ، عن أبي هريرةَ ض عن النبيِّ ﷺ.

وزاد زهيرٌ وأبو ضَمْرَةَ وإسماعيلُ بنُ زَكرِيَّا، عن عبيدِ اللهِ، عن سعيدٍ، عن أبيه، عن أبي هريرةَ ض عن النبيِّ ﷺ.

ورواه ابنُ عجلانَ، عن سعيدٍ، عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ.

تابعَه محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ، والدَّرَاوَرْدِيُّ وأسامةُ بنُ حفصٍ.

۞ قولُه: «وزاد زهيرٌ». هذا لا يضرُّ؛ يَعْنِي: كونَه يحذفُ أحدَ الرجالِ في السندِ لا يضرُّ؛ لأنَّه يجوزُ أنْ يكونَ الرَّاوِي روَاه عن شيخِه أو شيخِ شيخِه، فلا يكونُ هذا مِن بابِ المزيدِ في مُتَّصِلِ الأسانيدِ[2]، فالإنسانُ رُبَّما يَرْوِي عن زيدٍ وهو شيخُه عن عمرٍو، وزيدٌ يَرْوِي عن عمرٍو، ثم يَأْتِي الأولُ فيَرْوِي عن عمرٍو مباشرةً، هذا واقعٌ وعلى هذا فليسَ في السندِ من طَعْنٍ، وليسَ مِن بابِ المزيدِ في مُتَّصِلِ الأسانيدِ.

۞ قولُه: «فَلْيَنْفُضْهُ بِصَنِفَةِ ثَوْبِهِ».

قال الحافظُ ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٣٨٠):

الصَنِفَةُ بفتحِ المهملةِ، وكسرِ النون، بعدَها فاءٌ، طُرَّتُه، وقيل: طرفُه وقِيلَ: جَانِبُه، وقِيلَ حَاشِيَتُه التي فيها هُدْبةٌ، وقالَ في «النهايةِ» طَرْفُه الذي يَلِي طُرَّتَه.

قلتُ: وتَقَدَّمَ في الدعواتِ بلفظ «دَاخِلَةِ إِزَارِه». وتَقَدَّمَ هناك مَعْنَاها، فالأَوْلَى هنا أن يقالَ: المرادُ

---

(١) رواه مسلم (٢٧١٤).

(٢) انظر: «تدريب الراوي» (٢/ ٢٠٣).

طَرفُه الذي مِن الداخلِ جمعًا بين الروايتين[1] اهـ.

وهذا هو القولُ الصحيحُ أنَّ المرادَ به طرفَه مِن الداخلِ، والحكمةُ مِن ذلك أنَّ الطرفَ في الغالبِ هو مُلْتَقى الأوساخِ، فإذا توَسَّخ مِن الفراشِ لم يكنْ في هذا غضاضةٌ على لابسِ الثوبِ، ولهذا قال: إنَّك تَمْسَحُه بدَاخِلَةِ الثوبِ أيضًا لأجلِ إن كان هناك وسخٌ يكونُ في داخلِ الثوبِ، وهذا مِن حسنِ توجيهِ الرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وإرشادِه، وتربيتِه؛ يَعْنِي. حتَّى كيفَ تنفضُ فراشَك بثوبِك، انفضْه بدَاخِلِه مِن أسفلِه؛ لأنَّك إنْ نَفَضْتَه مِن أعلاه رُبَّما يكونُ فيه أذَىً فيتلطخُ الثوبُ مِن فوقُ، ويظهرُ للناسِ، وكذلك لو أنَّك نَفَضْتَه مِن ظاهرِ الثوبِ الأسفلِ ربما يكونُ فيه أذًى فيشاهدُه الناسُ.

ويؤخذُ مِن هذا: أنَّه يَنْبَغِي للإنسانِ أن يلاحِظَ ثيابَه حتَّى لا يكونَ فيها أذًى فتنقمعَ أعينُ الناسِ مِن النظرِ إليه، ويقالُ: هذا رجلٌ مهملٌ، لا يُبَالِي بنفسِه.

والإنسانُ لا يَنْبَغِي أنْ يَظْهَرَ بمظهرٍ يتقَزَزُ الناسُ منه، ولهذا كانَ الرسولُ ﷺ إذا أرادَ أن يباشرَ أهلَه، وهي حائضٌ يأمرُها أن تتزرَ لئلَّا يشاهدَ منها في مَحِلِّ الفرجِ ما تتقززُ منه النفسُ مِن الدمِ، فهذه المسائلُ كثيرٌ مِن الناسِ لا يبالي بها، تجدُه يأكلُ مثلًا رُمَّانَة، فتنقطُ نقطةٌ على ثوبِه، فيكونُ الثوبُ أحمرَ، فيتركُه، ربَّما يرعُفُ أنفُه، فتنقطُ نقطةٌ على ثوبِه، فهذه تتقززُ منها النفوسُ.

والحاصلُ: أنَّ الرسولَ ﷺ علَّم أمتَه حَتَّى هذه المسألةَ التي قد لا تخطرُ على بالِ الإنسانِ، وغالبُ الناسِ يكونُ له ثوبٌ عندَ المنامِ فيأخذُ ثوبَ المنامِ أو الثوبَ الذي يلبسُه ويمسحُ به، فإذا لم يتيسرْ ذلك فليمسحْ بالغُتْرةِ بداخلِها.

ينفضه؛ أي: فراشَه ثلاثَ مراتٍ، وقد ورَد التعليلُ لهذا، وهو أنَّه لا يعلمُ مَن خَلَفَه على فراشِه، فلذلك سُنَّ للإنسانِ أن يفعل هذا ثلاثَ مراتٍ، فينفضُه ثلاثَ مراتٍ بثوبِه، فإذا لم يتيسرْ فبغُتْرَتِه، وبعضُ الناس يَطْوِي فراشَه ولا ينشرُه إلا عندَ نومِه، فالأولَى أنْ يَفْعَلَ ذلك أيضًا حتَّى في هذه الحالِ، أما إذا بَقِي الفراشُ منشورًا مِن الأصلِ فهذا لا إشكالَ فيه؛ لأنَّه قد ينامُ عليه الإنسانُ أو الشياطينُ أو الجنُّ إذا لم تنشرْه إلا عندَ منامِك فالأحسنُ أنْ تفعلَ هذا.

۞ قولُه: «وَلْيَقُلْ بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ». وهذا إذا نام واضْطَجَعَ يقولُه، ولهذا إذا وضع جنبَه يقولُ: باسمِ اللهِ. فيضعُ جنبَه على اسمِ اللهِ ﷻ.

ثم قال: «إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ». لأنَّ اللهَ تعالَى قد يُمْسِكُ نَفْسَ النائمِ فيموتُ، وهذا أحدُ القولَيْن في قولِه تعالَى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾[الزمر:٤٢]. ، ولكنَّ الصحيحَ أنَّ مَعْنَى الآيةِ ويَتوفَّى التي لم تَمُتْ في منامِها فيمسكُ التي قَضَى عليها الموتَ ويُرسلُ الأُخْرَى التي قَضَى عليها النومَ إلى أجلٍ مُسَمًّى.

---

(١) انظر: «الفتح» (١٣/ ٣٨٠).

******

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٩٤- حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ، عَنْ رِبْعِيٍّ، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ: «اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا وَأَمُوتُ». وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ».

هذا الحديثُ: ذكَره البخاريُّ في بابِ السؤالِ بأسماءِ اللهِ والاستعاذةِ بها، أما السؤالُ بأسماءِ اللهِ فقد تَقَدَّمَ الكلامُ عليها وأنَّ اللهَ أمَرنا بها فقال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾.

وأما الاستعاذةُ بها فكذلك تَستَعيذُ باسم اللهِ، فتقولُ: أعوذُ باللهِ، أعوذُ بالرحمنِ، أعوذُ بالعزيزِ، وما أشبهَ ذلك، وسبق أيضًا بيانُ مَعْنَى الاستعاذةِ[1] وهي الاعتصام من المكروه، واللجأ هو الفرار لحصول المطلوب، فالاستعانة تكون في المكروه واللجأ يكون في حصول المطلوب.

******

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٩٥- حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، عَنْ خَرَشَةَ بْنِ الْحُرِّ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: «بِاسْمِكَ نَمُوتُ وَنَحْيَا، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ».

۞ قولُه في هذا الحديثِ: «إِذَا أَخَذَ مَضْجعَه مِن الليلِ» قَيَّده بالمضجعِ مِن الليل، فيكونُ هذا الذكرُ مِن الأذكارِ الخاصةِ بنوم الليل، بدليل قولِه: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»؛ لأنَّ النشورَ يكونُ في أولِ الأمرِ، كما يُنْشَرُ الناسُ يومَ القيامةِ في أولِ يومِ القيامةِ.

۞ وقولُه: «بعد ما أماتنا» فالمرادُ به النومُ، ونومُ الرسولِ ﷺ الذي هو فقدُ الإحساسِ الظاهرِ ثابتٌ له، والدليلُ على هذا حديثُ أبي قتادةَ في انتظارِهم للفجرِ، فإن الفجر طلَع والنبيُّ ﷺ معهم ولم يعلمْ به[2]؛ لأنَّ النومَ الذي هو فقدُ الإحساسِ الظاهرِ يثبتُ له ولغيرِه.

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٩٦- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ كُرَيْبٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ فَقَالَ بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا. فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرُّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا»[3].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه باب الأذان بعد ذهاب الوقت.

(٢) رواه مسلم (١٤٣٤).

هذا مِن الاستعاذةِ باسم اللهِ وقولُه: «**إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ**». هذا كنايةٌ عن الجماعِ. «**فَقَالَ بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا. فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ**». سواءٌ ذكرٌ أو أُنثى، في ذلك؛ أي: في ذلك الجماعِ الذي قال فيه هذا الذكرَ «**لَمْ يَضُرُّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا**».

واختلفَ العلماءُ في قولِه: «**لَمْ يَضُرُّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا**» فقيل: المَعْنَى أنَّه لم يَضُرَّه ضررًا بَدَنِيًّا؛ لأن الشيطانَ إذا سقطَ الطفلُ مِن بطنِ أُمِّه لكزَه وربَّما يَقْضِي عليه بهذه اللَّكزةِ، ولذلك يَصْرُخُ الجنينُ إذا نَزَلَ مِن بطنِ أمِّه على إثرِ هذه اللَّكزةِ. وقِيلَ: بل المرادُ لم يَضُرَّه ضررًا حِسِّيًّا ولا ضررًا قلبيًّا،وأنَّ هذا مِن الأسبابِ التي تمنعُ مِن ضررِ الشيطانِ لهذا الحملِ الذي نَشَأَ بعدَ هذا الذِّكرِ.

والسببُ قد يُوجدُ له مانعٌ يمنعُه مِن النفوذِ ومِن حصولِ المُسَبَّبِ، وهذا القولُ أصحُّ، وهو أنَّه عامٌّ، فالمَعْنَى لم يضرَّه لا في بدنِه ولا في قلبِه، لكن هذا مِن بابِ الأسبابِ، والأسبابُ قد يُوجدُ لها موانعُ، كما أنَّ أسبابَ الإرثِ مثلًا توجدُ في الشخصِ كأن يكونَ قريبًا أو زوجًا أو مولًى ثم توجدُ موانعُ تمنعُ نفوذَ هذه الأسبابِ.

والقاعدةُ العامةُ أنَّ الأشياءَ لا تتمُّ إلا باستكمالِ أسبابِها وشروطِها وانتفاءِ موانعِها، فإذا طَبَّقْنا هذه القاعدةَ على هذا الحديثِ وشبهِه، قُلْنَا: هذا مِن رسولِ اللهِ ﷺ لبيانِ السببِ ثم قد يوجدُ موانعُ تمنعُ مِن نفوذِ هذا السببِ، ومِن ذلك أنْ يعيشَ هذا الطفلُ بعدَ خروجِه في بيئةٍ سيئةٍ، فقد تصرفُه عن الاستقامةِ لقولِ النبيِّ ﷺ: «**كلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفطرةِ، فأبواه يُهَوِّدَانِه، أو يُنَصِّرَانه، أو يُمَجِّسَانِه**»(١). وفي هذا الحثُّ، على أنْ يقولَ الإنسانُ هذا الذكرَ عندَ الجماعِ؛ أي: عند جماعِ أهلِه؛ لأنَّه يكتسبُ به هذه الفائدةَ العظيمةَ التي لو اشْتَرَاها الإنسانُ بالمَلَايينِ لكانت رخيصةً.

فإذا قال قائلٌ: إذا أتَى الإنسانُ أهلَه،وهي حاملٌ، هل يقولُ هذا الذكرَ؟ أوْ لا يقولُه؛ لأنَّه قد نَشَأَ الولدُ؟

الجوابُ: نقولُ: الأفضلُ أنْ يقولَه؛ لأنَّ الإمامَ أحمدَ رَحِمَهُ اللَّهُ قال: إنَّ الجماعَ يزيدُ في الحَمْلِ في سمعِه وبصرِه وقوتِه. ولهذا قالَ النبيُّ ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليوم الآخِرِ، فلا يَسْقِ ماءَه زَرْعَ غيرِه**»(٢). وهذا الحديث يشيرُ إلى أنَّ الجنينَ يتنفعُ بالجماعِ، وعلى هذا فيقولُ هذا الذكرَ.

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٩٧- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، حَدَّثَنَا فُضَيْلٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ عَدِيِّ

---

(١) رواه البخاري (١٣٥٨)، (١٣٥٩)، (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨).

(٢) رواه أبو داود (٢١٥٨)، والترمذي (١١٣١)، والدارمي (٢/ ٢٩٨)، (٢٤٧٧)، وحسنه الشيخ الألباني كما في «تعليقه على سنن أبي داود».

بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ قُلْتُ: أُرْسِلُ كِلَابِي الْمُعَلَّمَةَ. قَالَ: «إِذَا أَرْسَلْتَ كِلَابَكَ الْمُعَلَّمَةَ وَذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ فَأَمْسَكْنَ فَكُلْ، وَإِذَا رَمَيْتَ بِالْمِعْرَاضِ فَخَزَقَ فَكُلْ»[1].

في هذا الحديثِ: سأَلَ عديُّ بنُ حاتمٍ النبيَّ ﷺ أنَّه يُرسلُ كِلابَه المُعلَّمَةَ فتأْتِي بالصيدِ قد قتَلَتْه هل يَحِلُّ أو لا؟ فأخْبَر النبيُّ ﷺ أنَّه يَحِلُّ لكن بشرطِ أنْ يُسَمِّيَ اللهَ على ذلكَ، وهنا نبحثُ في هذا الحديثِ بحثًا فقهيًّا.

أوَّلًا: قولُه: «إذا أرسلتَ». هذا يدلُّ على أنَّه لابُدَّ أنْ يكونَ صاحبُ الكلابِ هو الذي يُرْسِلُها، فإن استرسَلَ الكلبُ بنفسِه -لمَّا رأى الصيدَ انطلَقَ عليه- فهل يَحِلُّ الصيدُ أوْ لا يَحِلُّ؟

الجوابُ: ظاهرُ الحديثِ أنَّه لا يَحِلُّ؛ لأنَّه قال: «إذا أرسلتَ». لكن قال العلماءُ: إنْ زَجَرَه فاشْتَدَّ في عَدْوِه وفي طلبِه، فإنَّه يَحِلُّ، بناءً على أنَّ هذا الزَّجْرَ صارَ سَبَبًا في إسراعِه، فيدلُّ ذلك على أنَّه إنَّما أمْسَكَ عليكَ ولم يُمْسِكْ لنفسِه؛ لأنَّ انْطِلاقَه أولَ ما رَأى الصيدَ بدونِ أنْ تُرْسِلَه، مِن أجلِ أن يَصِيدَ لنفسِه، فإذا زَجَرْتَه فاشْتَدَّ في عَدْوِه لطلبِه، دلَّ ذلك على أنَّه أمْسَكَه لك، ولهذا قال تعالَى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة:٤].

الفائدةُ الثانيةُ في هذا الحديثِ: أنَّه قال: «المُعَلَّمَة». وهي التي عُلِّمَتْ الصيدَ، وقد قال العلماءُ: والتعليمُ هو: أنَّه يَسْتَرْسِلُ إذا أُرْسِلَ، وَيَنْزَجِرُ إذا زُجِرَ، يَعْنِي: يَرْتَدِعُ إذا طُلِبَ منه الوقوفُ، وإذا أَمْسَكَ لم يَأْكُلْ، فالتعليمُ يَحْصُلُ بثلاثةِ أشياءَ: أنَّه يسترسلُ إذا أُرْسِلَ وينزجر إذا زُجر وإذا أمسك لم يأكل، فإن كان لا يسترسل إذا أُرسل، فهذا لم يتعلمْ، كذلك إذا أَرْسَلْتَه وانطلَق على الصيدِ وزَجَرْتَه ليَقِفَ لم يَقِفْ، فهذا لم يَتَعَلَّمْ؛ لأنَّه غيرُ مؤدبٍ، وإذا كانَ يَسْتَرْسِلُ إذا أُرْسِلَ، وَيَنْزَجِرُ إذا زُجِرَ، لكن إذا أَمْسَكَ لم يَأْتِ لك إلا بنصفِ الصيدِ، فهذا أيضًا لا يؤكلُ مِن صيدِه؛ لأنَّه لمَّا أَكَلَ منه دلَّ هذا على أنَّه أَمْسَكَه لنفسِه، وإن كان قد يَأْتِي ببقيةِ الصيدِ إما لأنَّه شَبِعَ، أو لأنَّه يريدُ أن يكونَ شريكًا لك، لك نصفُه وله نصفُه، فلا يَحِلُّ.

الفائدةُ الثالثةُ: قولُه: «وذكرتَ اسمَ اللهِ». متَى تذكرُ اسمَ اللهِ؟ تذكرُه إذا أَرْسَلْتَه؛ أي: حينَ إرسالِه، لا إذا رأيتَه قابضًا على الصيدِ -الأمر واسع- إذا سَمَّيْتَ عليه إذا أَرْسَلْتَه، فإنَّه إذا صاد أو أَمْسَكَ عليك حَلَّ، وفُهِم منه أنَّه إذا لم يُسَمِّ اللهَ فإنَّه لا يَحِلُّ، سواءٌ تَرَكَ التسميةَ نسيانًا، أو جهلًا، أو عالمًا ذاكرًا، وذلك؛ لأنَّ الشرطَ لا يَسْقُطُ سهوًا ولا جهلًا، فإذا أَرْسَلَه ولم يسَمِّ اللهَ، وأتَى بالصيدِ فإنَّ الصيدَ، حرامٌ يجبُ تركُه؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ اشْتَرَطَ التسميةَ، والشرطُ لا يسقطُ سهوًا ولا جهلًا.

فإن قالَ قائلٌ: هذه الحالُ يكثرُ فيها النسيانُ؛ لأنَّ الإنسانَ إذا رَأى الصيدَ ارْتَبَكَ، وأَرْسَلَ الكلبَ بسرعةٍ؛ لئلَّا يفوتَه الصيدُ، فيَنْسَى كثيرًا.

---

(١) رواه مسلم (١٩٢٩).

قُلْنَا: ولو كانَ الأمرُ كذلكَ، فإنَّه لا يُعْذَرُ بتركِ هذا الشرطِ.

فإن قالَ قائلٌ: ما الجوابُ عن قولِ اللهِ تعالَى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦]. وهذه قاعدةٌ عظيمةٌ في الشريعةِ الإسلاميةِ؟

قُلْنَا: نقولُ بمُوجَبِ هذه القاعدةِ، وأنَّ هذا الرجلَ الذي تَرَكَ التسميةَ نسيانًا، لا مؤاخذةَ عليه، لكن لو تركَها عمدًا صارَ مؤاخذًا، فنقولُ: بالنسبةِ لهذا الذي أرسل الصيدَ ونَسِي التسميةَ لا مؤاخذةَ عليه، ولا نُؤَثِّمُه، لكن بالنسبةِ لمن يأكلُ هو الذي نمنعُه أن يأكلَ؛ لأنَّ اللهَ قال: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام:١٢١]. لكن لو أَكَلَ الإنسانُ مِن هذا الصيدِ الذي لم يسمِّ عليه، ناسيًا أو جاهلًا، هل يأثمُ أوْ لا يأثمُ؟

الجوابُ: لا يأثمُ، فحينئذٍ تنطبقُ القاعدةُ، فنقولُ: هذا الصيدُ مِن شرطِ حِلِّه التسميةُ، فإذا فُقِدَ الشرطُ فُقِدَ المشروطُ، كما أنَّ الكلبَ لو استرسلَ بنفسِه، فإنَّه لا يَحِلُّ، كذلك لو استرسلَ بإرسالِ صاحبِه، ولكن لم يُسَمِّ فإنَّه لا يَحِلُّ، ولا فرقَ في هذا، ومثلُه أيضًا المذبوحُ، إذا ذَبَحْتَ ونَسِيتَ أنْ تُسَمِّيَ اللهَ، فإنَّ الذبيحةَ حرامٌ، ولا تحلُّ؛ لأنَّ التسميةَ شرطٌ للحِلِّ، والشرطُ لا يسقطُ بالسهوِ والجهلِ، قالَ اللهُ تعالَى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام:١١٨]. وقال النبيُّ ﷺ: «ما أَنْهَرَ الدَّمَ وذُكِرَ اسمُ اللهِ عليه فكُلُوا»[1]. فاشترطَ شَرْطَيْنِ: إنهارُ الدم، وذكرُ اسمِ اللهِ، فلو أنَّ أحدًا ذَبَحَ بدونِ إنهارِ الدمِ جاهلًا، فخَنَقَ الذبيحةَ وماتَتْ، وقد سَمَّى اللهَ عليها فلا تحلُّ، ولو كان جَاهِلًا؛ لأنَّ هذا شرطٌ، ولو أنَّه نَسِي وذَبَحَ بخنقٍ ثم ماتَتْ، وقد سَمَّى اللهَ عليها، فإنَّها لا تَحِلُّ؛ لأنَّ إنهارَ الدمِ شرطٌ فالتسميةُ كذلك مثلُ إنهارِ الدمِ؛ لابدَ منها.

وقد اختلفَ العلماءُ في هذه المسألةِ اختلافًا كثيرًا، فمنهم مَن قالَ: إنَّ التسميةَ على الذبيحةِ والصيدِ سنةٌ وليستْ بشرطٍ. وهذا قولٌ ضعيفٌ جدًّا، ومِنْهم مَن قالَ: إنَّها شرطٌ في الذبيحةِ وفي الصيدِ، لكنَّها تسقطُ بالنسيانِ في الذبيحةِ، ولا تسقطُ بالنسيانِ في الصيدِ، وهذا هو المشهورُ مِن مذهبِ الحنابلةِ رَحِمَهُمُ اللهُ. واستدلُّوا بعدمِ السقوطِ في الصيدِ بأنَّ النبيَّ ﷺ قال: «وَأَرْسَلتَ كلابَكَ، وذكرتَ اسمَ اللهِ». فجعَلَ التسميةَ شرطًا، وأما الذبيحةُ، فالتسميةُ عليها واجبةٌ وليسَتْ بشرطٍ، فتَسْقُطُ بالنسيانِ والجهلِ، وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رَحِمَهُ اللهُ: لا تَسْقُطُ التسميةُ لا في الصيدِ ولا في الذبيحةِ، وأنَّه إذا نَسِي التسميةَ في الصيدِ أو في الذبيحةِ فالصيدُ والمذبوحُ حرامٌ[2] وقولُه أصحُّ وأقعدُ.

وأمَّا التفريقُ بينَ الصيدِ والذبيحةِ، فكانَ مُقْتَضَى النظرِ أنْ تَسْقُطَ التسميةُ في الصيدِ دونَ الذبيحةِ، لأنَّ الذبيحةَ يذبحُها الإنسانُ وهو مُطْمَئِنٌ هادئُ النفسِ، بخلافِ الصيد.

---

(١) رواه البخاري (٢٤٨٨)، ومسلم (١٩٦٨).

(٢) انظر «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٣٥/ ٢٣٩، ٢٤٠).

وأمَّا قولُهم: إنَّ الرسولَ ﷺ اشتَرَطَ ذِكْرَ اسمِ اللهِ في الصيدِ، فنقولُ: وكذلك أيضًا في الذبيحةِ، فإنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**مَا أَنْهَرَ الدَّمَ وَذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ، فَكُلُوهُ، إلا السِّنَّ وَالظُّفُرَ، وَسَأُحَدِّثُكُمْ عَنْ ذَلِكَ، أَمَّا السِّنُّ فَعَظْمٌ، وَأَمَّا الظُّفُرُ فَمُدَى الْحَبَشَةِ**».

ثانيًا: في الحديثِ، قال: «**إِذَا رَمَيْتَ بِالْمِعْرَاضِ وَذَكَرْتَ اسْمَ اللهِ فَأَصَابَ، فَخَزَقَ فَكُلْ**»، وَإِنْ أَصَابَ بِعَرْضِهِ فَلَا تَأْكُلِ المِعْرَاضُ: مثالُ العَصَا، فإذا رَميتَ بالعَصَا، وكان رأسُه مُدَبَّبًا فأصابَ الصيدَ برأسِه فَخزَقَه حتَّى أَنْهَرَ الدَّمَ، فإنَّه يؤكلُ، وأمَّا إذا صَدَمَ الصيدَ، وضربَ الصيدَ بعرضه، وماتَ الصيدُ، فإنَّه لا يؤكلُ؛ لأنَّه داخلٌ في قولِه تعالَى: ﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾ [المائدة:٣]. والموقوذةُ: هي التي تُضْرَبُ بعَصًا أو شبهِهِ حتَّى تموتَ.

فإن رمَى الصيدَ بحَجَرٍ، وقتَل الحجرُ الصيدَ بثِقَلِه لا بَحَدِّه، فإنَّه لا يَحِلُّ؛ لأنَّه كالمعراضِ تمامًا، والصيدُ بالبندقيةِ المعروفةِ التي تَقْذِفُ بالسطنِ، وهو الحباتُ الصغيرةُ، فهل يحلُّ؟

الجوابُ: نعم يحلُّ؛ لأنَّه لا يَقْتُلُ بثِقَلِه، وإنَّما يقتلُ بنفوذِه، فهو كرأسِ السهمِ، وقد اضطربَ العلماءُ أوَّلَ ما خَرَجَ هذا النوعُ مِن السهامِ، هل يحلُّ أَوْ لا؟ ولكنَّهم أجْمَعُوا بعدَ ذلكَ على الحلِّ، وقالوا: كُلُّ إنسانٍ يعرفُ أنَّ السطنَةَ هذه لو ضَرَبْتَ الصيدَ لم يَمُتْ، وأنَّها إنَّما تَقْتُلُه بنفوذِها، فيكونُ حلالًا.

ولو أنَّ الكلبَ خَنَقَ الصيد وجاءَ به، فهل يحلُّ أَوْ لا؟

الجوابُ: فيه خلافٌ، والمشهورُ مِن المذهبِ أنَّه لابدَّ أن يكونَ هناكَ جُرْحٌ، لقولِه ﷺ: «**مَا أَنْهَرَ الدَّمَ**».
والقولُ الثاني: أنه لا يُشْتَرَطُ، لعمومِ قولِه تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾. والاحتياطُ ألَّا يأكلَ.

***

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٣٩٨- حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الأَحْمَرُ، قَالَ: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ عُرْوَةَ، يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ هُنَا أَقْوَامًا حَدِيثًا عَهْدُهُمْ بِشِرْكٍ، يَأْتُونَا بِلُحْمَانٍ لَا نَدْرِي يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا أَمْ لَا. قَالَ: «اذْكُرُوا أَنْتُمُ اسْمَ اللَّهِ وَكُلُوا». تَابَعَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَالدَّرَاوَرْدِيُّ، وَأُسَامَةُ بْنُ حَفْصٍ.

قال الحافظُ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ **في «الفتح»**:

۞ قولُه فيه: «**تابعَه محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ**». هو الطفاويُّ، وعبدُ العزيزِ بنُ محمدٍ، هو: الدَّرَاوَرْدِيُّ، وأسامةُ بنُ حفصٍ هو: المدنيُّ، وتقدَّم في الذبائحِ بيانُ مَن وَصَلَها، وطريقُ الدَّرَاوَرْدِيِّ وصلَها محمدُ بنُ أبي عمرَ العدني في «مسنده». عنه، وتقدَّم القولُ في هذا السندِ بأشبعَ مِن هذا هناكَ[1].

۞ قولُه: «**لَا نَدْرِي يَذْكُرُونَ اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا أَمْ لَا. قَالَ: اذْكُرُوا أَنْتُمُ اسْمَ اللهِ وَكُلُوا**».

---

(١) «فتح الباري» (١٣/ ٣٨٠).

في هذا مِن الفوائدِ الفقهيةِ:

أنَّ الفعلَ إذا وقَعَ مِن أهلِه، فإنَّ الأصلَ فيه السلامةُ، فالبيعُ إذا وقَعَ مِن جائزِ التصرفِ، فالأصلُ فيه السلامةُ، وأنَّه مِلكُ البائعِ، ولا يحتاجُ أن نقولَ: أثبت، وكذلك الهبةُ وجميعُ العقودِ والأفعالِ أيضًا، إذا صَدَرَتْ مِن أهلِها، فإنَّ الأصلَ فيها السلامةُ.

وفيه أيضًا: أنَّ الذابحَ إذا كان أهلًا للذَّبحِ وشَكَكْنا هل سَمَّى أم لا؟ فإنَّنا لا نلتفتُ إلى هذا الشكِّ، بناءً على أنَّ الأصلَ: السلامةُ، ولهذا لما سُئِل النبيُّ ﷺ عن ذبائحِ هؤلاءِ القومِ الذينَ هم حَدِيثُوا عهدٍ بشركٍ، والغالبُ أنَّ حديثَ العهدِ بالشركِ لا يَعرفُ أحكامَ الإسلامِ، ومع ذلكَ، قال: «سَمُّوا أنتُم وكُلُوا». أي: اذكُرُوا أنتمُ اسمَ اللهِ وكُلُوا، فدلَّ ذلكَ على أنَّ الذبيحةَ إذا ذبَحَها مَنْ هو أَهْلٌ للذبحِ، لا تسألْ هل سَمَّى أمْ لا؛ لأنَّ الأصلَ أن ذبيحتَه حلالٌ، وكذلك لا تسألُ كيفَ ذبحَ، هل ذبَحَ بالسكينِ، أو بخنقٍ، أو بغيرِ ذلكَ لا نسألُ؛ لأنَّ التسميةَ شرطٌ، وإنهارَ الدَّمِ شرطٌ، وإذا كُنَّا لا نسألُ عن التسميةِ، فإنَّنا لا نسألُ عن إنهارِ الدمِ، ولا فرقَ، فإذا أطْعَمَنا يهوديٌّ، أو نصرانيٌّ لحمًا، فهل نأكلُ، أو نقولُ: كيف ذبحتَ؟ وهل سمَّيتَ؟ لا نقولُ هذا، وإنَّما نأكُلُ، ولكن نُسَمِّي.

ويُشعرُ هذا الحديثُ بفحواهُ، بانتفاءِ السؤالِ؛ لأنَّه لما قالَ: «سَمُّوا أنتم وكُلُوا». ليسَ عليكم أنْ تَبْحَثُوا عن فعلِ غيرِكم، فإنَّ هذا مِن التعمقِ ومِن التنطعِ، ولكن أنتمُ سَمُّوا على فِعْلِكم، ولا تَبْحَثُوا عن فعلِ غيرِكم، وهذا هو الموافقُ للشريعةِ الإسلاميةِ، أنَّ الإنسانَ لا يَنْبَغِي له أنْ يَتَنَطَّعَ ويتعمقَ ما دامَ الفعلُ صَدَر مِن أهلِه فلا يبحثُ.

۞ وقولُه: «سَمُّوا أَنْتُم وكُلُوا». هل مُرادُه التسميةُ على الذبحِ الذي هو فعلُ غيرِهم، أو على الأكلِ الذي هو فعلُهم؟

الجوابُ: المرادُ هو الثاني؛ لأنَّ التسميةَ والذبحِ لا فائدةَ منها، فقد انْتَهَى الذبحُ، فالتسميةُ هنا على الأكلِ الذي هو فعلُنا، وفي هذا مِن يُسْرِ الشريعةِ الإسلاميةِ وسهولتِها ما فيه، وأنَّ الإنسانَ لا يُكَلَّفُ أن يَبْحَثَ، ولو أنَّنا كُلِّفْنَا أنْ نَبحَثَ لضَاقَتْ علينا الأمورُ؛ لأنَّنا نقولُ: مَن ذبحَ هذا؟ إنَّه فلانٌ، ابْحَثُوا هل هو يُصَلِّي أو لا يُصَلِّي، وابْحَثُوا أيضًا هل هو قد تَمَلَّكَ هذه الذبيحةَ على وجهٍ شرعيٍّ أَوْ لا؟ فإنْ قالوا: نعم، اشْتَرَاهَا مِن فلانٍ، نقولُ: كيفَ جاءَتْ؟ فإن قالوا: اسْتَوْهَبَها مِن فلانٍ، فنقولُ للواهبِ: كيف جاءَتْ، قال مثلًا: عِوضُ خُلْعٍ مِن امْرَأَتِي. فَنَقُولُ: مِن أين جاءَ المرأةَ. وبَقِينا نتسلسل، إلى ما لا نهايةَ له. لكن مِن لطفِ اللهِ ﷻ أنَّنا لا نتعمقُ هذا التعمقَ، فالأصلُ في التصرفِ الواقعِ مِن جائزِ التصرفِ السلامةُ والصحةُ، إلَّا أنْ تتيقَنَ أنَّهم لم يُسَمُّوا أو لم يُنْهِرُوا الدمَ، فلا تأكلْ، ولكن إذا شَكَكْنَا هل الذابحُ مِمَّن تَحِلُّ ذبيحتُه أو لا؟

الجوابُ: نقولُ: إن كانَ هناكَ أصلٌ نبنِي عليه، بَنَيْنَا على الأصلِ، مثلَ أنْ نَشُكَّ في رجلٍ مسلمٍ هل هو يُصَلِّي أو لا يُصَلِّي، فالأصلُ الصلاةُ، أما إذا لم يكنْ لدينا أصلٌ مثلَ أن شَكَكْنَا في القَائِمينَ على

المَجزرِ هل هم مُسْلِمُونَ أو مُشْرِكُونَ، أو شُيُوعِيُّون، أو مَجُوسِيُّون، فهل نأكلُ أو لا نأكلُ؟

الجوابُ: لا نأكلُ؛ لأنَّنا الآنَ شَكَكْنَا في أهْلِيةِ الذابحِ، لا في الشروطِ التي تترتبُ على ذبحِه، فحينئذٍ لا نَأْكُلُها.

والمجوسيُّ، لا تحلُّ ذبيحتُه، وقد قِيلَ للإمامِ أحمدَ: إنَّ أبا ثَوْرٍ يَرَى أنَّ المجوسيَّ تَحِلُّ ذبيحته. فقال: أبو ثَوْرٍ كاسْمِه[1]، نعم شدَّد في هذا؛ لأنَّ ما قاله خلافُ الإجماعِ، فلم يَقُلْ أحدٌ مِن العلماءِ، إنَّ المجوسَ تُنْكَحُ نِسَاؤُهم، أو تحلُّ ذبائحُهم، ولهذا نقولُ: إنَّه لا تحلُّ ذبيحةُ المجوسيِّ، ولا تُنْكَحُ نساؤُهم، وإن كان تؤخذُ منهم الجزيةُ؛ لأنَّ الجزيةَ على القول الراجح تؤخذُ مِن كلِّ كافرٍ، مِن المجوسيِّ، واليهوديِّ، والنصرانيِّ، والشيوعيِّ وغيرهم. ولو أنَّ الكتابيَّ أو المسلم أعانَ مشركًا على الذبح، هل تحلُّ الذبيحةُ؟

الجوابُ: نقولُ: المعونةُ إن كانت على الذبحِ نفسِه فإنَّها لا تحلُّ؛ لأنَّه اجتمعَ في هذا الفعل مُبيحٌ وحاظرٌ، بمَعْنَى: أنَّ الاثْنَيْن أمْسَكَا بالسكينِ وذَبَحاه، فهنا لا تحلُّ الذبيحةُ، أمَّا لو ناوَلَ مَن لا تحلُّ ذبيحتُه السكينَ، مَن تَحِلُّ ذبيحتُه فذَبَح، فإنَّها تحلُّ، وكذلك لو ذَبَحَ فأَنْهَرَ الدَّمَ ثم كَمَّلَ الذبحَ مَن لا تحلُّ ذبيحتُه، فهذا حلالٌ.

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٩٩- حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: ضَحَّى النَّبِيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ، يُسَمِّي وَيُكَبِّرُ[2].

والشاهدُ قولُه: يُسَمِّي ويكبرُ. فذَبَح باسمِ اللهِ.

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٠٠- حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنِ الأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ جُنْدَبٍ، أَنَّهُ شَهِدَ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ صَلَّى ثُمَّ خَطَبَ: فَقَالَ، «مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَلْيَذْبَحْ مَكَانَهَا أُخْرَى، وَمَنْ لَمْ يَذْبَحْ فَلْيَذْبَحْ بِاسْمِ اللهِ»[2].

الشاهدُ قولُه: «فليذبح باسم اللهِ». وفي هذا دليلٌ على أنَّ الشرطَ لا يسقطُ بالجهل؛ لقولِه: «مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَلْيَذْبَحْ مَكَانَهَا أُخْرَى». فإنَّ عمومَه يَقْتَضِي أنَّه وإن كان جاهلًا، ولهذا لما قالَ أبو بُرْدَةَ بْنُ نِيَارٍ: يا رسول الله إنِّي ذَبَحْتُ قَبْلَ أَنْ آتِيَ إلى الصلاةِ مِن أجلِ أنْ يَطْعَمَ أَهْلِي وَيَأْكُلُوا. يَعْنِي

---

(١) انظر «المغني» لابن قدامة (١٣/ ٢٩٦).

(٢) رواه مسلم (١٩٦٦).

(٢) رواه مسلم(١٩٦٠).

مُبَكِّرِينَ، فأَمَره النبيُّ ﷺ أن يذبحَ بدَلَها، وقال له: «إنَّ شَاتَكَ شاةُ لحمٍ»[1]. مع أنَّه كانَ جاهلًا، لكن الشرطَ لا يسقطُ بالجهل، كما ذَكَرْنا قبلَ ذلكَ.

قال: «وَمَنْ لَمْ يَذْبَحْ فَلْيَذْبَحْ بِاسْمِ اللهِ». استنبطَ بعضُ العلماءِ مِن قولِه ﷺ: «فَلْيَذْبَحْ بِاسْمِ اللَّهِ». أنَّ الجارَّ والمجرورَ في البسملةِ يَنْبَغِي أنْ يكونَ مُتَعَلَّقُه فِعْلًا مُناسِبًا للعمل الذي ابْتَدَأْته بالتسميةِ، فمثلًا إذا أرادَ الإنسانُ يتوضأُ، وقال: بسمِ اللهِ. فمُتَعَلَّقُ البسملةِ: أَتَوَضَّأُ، وإذا أرادَ أنْ يَدْخُلَ المسجدَ، يقولُ: بسمِ اللهِ أَدْخُلُ.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٠١- حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم، حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، وَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ»[2].

قولُه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ». إنَّما خَصَّ الآباءَ؛ لأنَّه الغالبُ، فقد كانُوا يَحْلِفُون بآبائِهم، ثُمَّ أَرْشَدَ لمَّا نَهَى عن الحلفِ بالآباءِ، أَرْشَدَ إلى ذِكْرِ مَن يُحلفُ بِهِ، وهو اللهُ، وقال: «وَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ». فدلَّ ذلك على تحريمِ الحلفِ بالآباءِ، ومثلُه الحلفُ بأيِّ مخلوقٍ كانَ؛ لقولِ النبيِّ ﷺ: «مَن حَلَفَ بغيرِ اللهِ فقد كفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»[3]. حتَّى بالرسولِ ﷺ لا يجوزُ الحلفُ به، حتَّى بجبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حتَّى بالعرشِ، أوْ أيِّ مخلوقٍ، فإنَّه لا يجوزُ الحلفُ به، فمَنْ حَلَفَ بِهِ فقد أَشْرَكَ.

قال الحافظُ ابنُ حَجَرٍ في «الفتح»:

حديثُ ابنِ عمرَ: «لا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُم». تَقَدَّمَ شرحُه في الأيمانِ والنذورِ، قال: نعيمُ بنُ حمادٍ، في «في الردِّ على الجهميةِ». دَلَّتْ هذه الأحاديثُ -يَعْنِي الواردةَ في الاستعاذةِ بأسماءِ اللهِ وكلماتِه، والسؤالِ بها، مثلَ حديثِ البابِ وحديثِ عائشةَ وأبي سعيدٍ «باسمِ اللهِ أَرْقِيكَ» وكلاهما عندَ مسلمٍ، وفي البابِ، عن عُبادةَ، وميمونةَ وأبي هريرةَ، وغيرِهم عندَ النسائيِّ، وغيرِه بأسانيدَ جيادٍ- على أنَّ القرآنَ غيرُ مخلوقٍ، إذ لو كان مخلوقًا لم يُسْتَعَذْ بها، إذ لا يُسْتَعَاذُ بمخلوقٍ، قالَ اللهُ تعالَى: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]. وقال النبيُّ ﷺ: «وإذا اسْتَعَذْتَ فاسْتَعِذْ باللهِ». وقالَ الإمامُ أحمدُ في كتابِ «السنة». قالتِ الجهميةُ لمن قال: إنَّ اللهَ لم يزلْ بأسماءِه وصفاتِه، قلتُم بقولِ النَّصارَى حتَّى جَعَلُوا معه غيرَه، فأجابوا بأنَّا نقولُ: إنَّه واحدٌ بأسماءِه وصفاتِه...إلى آخرِه[4].

يمكنُ أن يُقالَ في مطابقتِه للترجمةِ، وإن كان مِن وجهٍ بعيدٍ أن يقالَ: الحلفُ باللهِ تعظيمٌ له فيكونُ في هذا تعظيمُ

(١) رواه مسلم (١٩٦١) (٤).

(٢) رواه مسلم (١٦٤٦) (٣).

(٣) رواه الترمذي (١٥٣٥)، وأحمد (٢/ ٣٤)، وأبو داود (٣٢٥١)، وصححه الشيخ الألباني في تعليقه على «سنن أبي داود».

(٤) انظر «فتح الباري» (١٣/ ٣٨١).

له أسماء الله، وإذا عُظِّمت أسماءُ اللهِ صارَتْ مَحلًّا للاستعاذةِ. مِن هذا الوجهِ ممكنٌ، لكنْ فيه شيءٌ مِن البعدِ، ثم إن قولَه: إنَّ الاستعاذةَ لا تكونُ للمخلوقِ، ليسَ هذا على إطلاقِه، بل الاستعاذةُ بالمخلوقِ فيما يقدرُ عليه جائزةٌ، وفي ذلك أحاديثُ منها: فعاذَتِ المخزوميةُ بأمِّ سلمةَ[1]، ويعوذُ عائذٌ بالبيتِ[2]، مَن كان متعوِّذًا[3]، فمَنْ وَجَدَ فيها ملجأً أو مَعاذًا[4].

فإن قال قائلٌ: كيفَ نجمعُ بينَ نهيِ الرسولِ ﷺ عنِ الحلفِ بالآباءِ مع أنّه حَلَفَ ﷺ، فقال: «أفلحَ وأبيهِ إنْ صَدَق». في قصةِ الرجلِ الذي سَأَلَ عن الإسلامِ، فقال: واللهِ، لا أزيدُ على هذا، ولا أنقصُ. فقال الرسولُ ﷺ: «أفلحَ وأبيهِ، إنْ صَدَقَ».

الجوابُ: وقد اخْتَلَفَتْ أجوبةُ العلماءِ في هذا: فقالَ بعضُهمَا: إنَّ في هذا تصحيفًا، وأنَّ الأصلَ أفلحَ واللهِ، لكنْ لمَّا كانَ بالأولِ لا يُنَقِّطُونَ الكلماتِ، ولا يَضَعُونَ عليها حركاتٍ، صارتْ واللهِ. «أفلحَ واللهِ إن صدقَ». قريبًا مِن أبيه. ولا شكَّ أنَّ هذا خطأٌ؛ لأنَّ الأحاديثَ رُوِيتْ بالنقلِ بالقولِ، والنقلِ بالكتابةِ، والذين رَوَوْها رَوَوْها: «أفلح وأبيهِ».

قالَ بعضُهم: هذا قبلَ النهيِ عنِ الحلفِ بالآباءِ، وهذا القولُ يحتاجُ إلى شاهدٍ، هو التاريخُ.

وقال بعضُ العلماءِ: إن هذا مما يَجري على اللسانِ بلا قصدٍ، فهو كقولِه: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ»[5].

هذه ثلاثةُ أقوالٍ، وقال بعضُ العلماءِ:

إنَّ النبيَّ ﷺ يستحيلُ أنْ يكونَ في قلبِه مِن تعظيمِ المحلوفِ به، مثلُ ما يكونُ في قلبِ غيرِه، وعلى هذا فيكونُ مُسْتَثْنًى.

وهذه أربعةُ أقوالٍ ورشَّحوا هذا القولَ يَعْنِي قَوَّوْه بأنَّ النبيَّ ﷺ لم يحلفْ بأبيه، بل حلَفَ بأبي غَيْرِه، فلا يكونُ في قلبِه من التعظيمِ ما يكونُ في قلبِ مَن حلَف بِأَبِيهِ؛ لأنَّ مَن حلَفَ بِأَبِيهِ يحلفُ بشخصٍ هُو عندَه في قمةِ العظمةِ والعزةِ والافتخارِ به، بخلافِ مَن حلَف بأبِي غيرِه، فإنَّه لا يكونُ في قلبِه له مثلُ ما يكونُ في قلبِه لأبيهِ.

وَيَحْتَمِلُ أنْ نقولَ: هذا مِن المتشابهِ، وعندَنا ما هو محكمٌ، والواجبُ عندَ الاشتباهِ أن نرجعَ إلى المحكمِ ونقولُ: اللهُ أعلمُ، فقد يكونُ هذا من خصائصِ الرسولِ أو نسيانًا أو قبلَ التحريمِ، أو مما يَجْرِي على اللسانِ بلا قصدٍ، كلُّ هذا مُحْتَمِلٌ، فما دام مُحْتَمِلًا وعندَنا شيءٌ واضحٌ مُحْكَمٌ، فالواجبُ الرجوعُ إلى المحكمِ.

---

(١) مسلم (١٦٨٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٨٢).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، والنسائي في «الكبرى» (١١٣٩٤). وابن ماجه (٣٩٧٣).

ومن قال: إنَّ الرسولَ قصد وربِّ أبيه فهذا بعيدٌ، فالأصلُ عدمُ هذا التقديرِ.

وقد وقعت روايةٌ بحذفِها وحينئذٍ فلَا إشكالَ ويُنظرُ أيُّهما أوثقُ، مَن أثْبَتَها، أومَن حذَفها، فإذا كانَ مَن أثْبَتَها أوْثَق، فلابدَّ مِن الإجابةِ على الإشكالِ، وإذا كَانَ مَنْ حذَفها أوثقَ، صَارَ هذا شاذًّا، وأرَى أنَّ الراجحَ أنَّه محكمٌ ومتشابهٌ.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤- باب ما يُذْكَرُ في الذاتِ والنُّعوتِ وأسامِي اللهِ.

وقال: خُبَيْبٌ: وذلك في ذاتِ الإلهِ. فذكَر الذاتَ باسمِه تعالَى.

يَعْنِي: هل تُطْلَقُ الذاتُ على اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ وهل الربُّ عَزَّ وَجَلَّ ذاتُه مجرَّدة عن الصفاتِ؟ لا، ولهذا قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في الذاتِ والنعوتِ، والنعوتُ هي الأوصافُ، قال: وأسامِي اللهِ، فهنا ذاتٌ، واسمٌ، وصفةٌ فكلُّها ثابتةٌ للهِ، فإذا قلتَ اللهُ الخالقُ، فالخالقُ تدُلُّ على ذاتٍ وهي اسمٌ مِن أسماءِ اللهِ، ويَدُلُّ على صفةٍ، ولهذا لا يُمْكِنُ أنْ نَقُولَ: إنَّ اللهَ ذاتٌ مجرَّدةٌ عن الصفاتِ، كما قالَه مَن يقولُه مِن غُلَاةِ الجهميةِ وغيرِهم، وقالوا: إنَّه لا يجوزُ أنْ نثبتَ صفاتٍ بلْ هو ذاتٌ فَقَط؛ لأنَّ إثباتَ الصِفاتِ القديمةِ -على حدِّ قولِهم- يَقْتَضِي إثباتَ قدماءَ مُتَعَدِّدِين، وإثباتُ قدماءَ مُتَعَدِّدِين شركٌ، مثالُ ذلكَ: إذا قلتَ: أنا أُثبتُ للهِ ذاتًا وأثبتُ العزةَ له، عزةً قديمةً لم يزلْ ولا يزالُ عَزِيزًا، وأثبتُ القدرةَ له، وأُثْبِتُ العلمَ، وأُثْبِتُ السمعَ، وأُثْبِتُ البصرَ، وكلُّها قديمةٌ. يَقُولون: هذا شِرْكٌ، النَّصَارى أَشْرَكُوا باثْنَيْن، وأنتَ أشركتَ بعددٍ كثيرٍ.

إذنْ لا يجوزُ أن نُثْبِتَ للهِ صفةً هي قديمةٌ، ولا يجوزُ أن نُثْبِتَ له صفةً حادثةً، أيضًا؛ لأنَّنا لو أثْبَتْنا صفةً حادثةً لَزِمَ قيامُ الحوادثِ به، وما قامَتْ به الحوادثُ فهو حادثٌ، قالوا: وترتبَ على اعتقادِهم هذا أن قالوا: ليسَ للهِ صفاتٌ، وإنَّمَا هو ذاتٌ مُجَرَّدَةٌ عن الصفاتِ.

والبخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بَيَّنَ أنَّ هناك ذاتًا، وهناكَ نعوتًا، وهي الصفاتُ، وهناكَ أَسَامِيَ، كلُّها ثابتةٌ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، الذاتُ والاسمُ والصفةُ، ومستحيلٌ أنْ تُوجَدَ ذاتٌ مجرَّدةٌ عن الصفاتِ، لو لم يكنْ مِن صفاتِها إلَّا صفةُ الوجوبِ لكان كافيًا؛ لأن كلَّ عينٍ قائمةٍ بنفسِها؛ لابدَّ أنْ يكونَ لها صفةٌ، فإن قُلْتَ: لا أَصِفُه بالوجودِ.

قُلْنَا: ما ضِدُّ الوجودِ؟

الجوابُ: العدمُ، إذنْ فأَنتَ وَصَفْتَه بالعدم، فإنْ قالَ: أَنْفِي الوجودَ والعدمَ.

قُلْنَا: هذا مستحيلٌ؛ لأنَّ الوجودَ والعدمَ نَقِيضَانِ، والنقيضانِ لا يَتفِقانِ أبدًا، لابدَّ لكلِّ شيءٍ مِن وجودٍ أو عدمٍ، أمَّا أنْ نقولَ: لا موجودٌ ولا معدومٌ، ولا نَصِفُه بالوجودِ ولا بالعدمِ. فهذا شيءٌ مستحيلٌ، والعجبُ أنَّ هؤلاءِ -نسألُ اللهَ العافيةَ- يُشَبِّهونَه بالشيءِ الممتنعِ الذي لا يقولُ به أحدٌ؛ لأنَّهم إذا قالُوا: لا نصفُه بالوجودِ ولا بالعدمِ. شَبَّهوه بالممتنعاتِ، ولو أنَّهم سَلَكُوا مسلكَ السلفِ،

وقالوا: آمَنَّا باللهِ، وصَدَّقْنَا بكلِّ ما وصَف اللهُ به نَفْسَه؛ لَوَجَدُوا الراحةَ القلبيةَ ولأَصَابُوا الحقَّ، وهو سهلٌ ويسيرٌ، ولهذا لا تجدُ هذا التعمقَ وهذا التنطعَ عند الصحابةِ ﷺ، فما حصَل التعمقُ والتنطعُ والإيراداتُ والإشكالاتُ إلا بعدَ أنْ خاضَ الإنسانُ فيما لا يَعْنِيه.

۞ وقولُ خُبَيب: «وذلك في ذاتِ الإلهِ»: فذكَر الذاتَ باسمِه تعالَى. فأثبتَ للهِ الذاتَ، وذلك في ذاتِ الإلهِ، فأثبتَ الذاتَ والاسمَ، وهذه المسألةُ سَيَأْتِي -إنْ شاءَ اللهُ- الكلامُ عليها مبسوطًا؛ لأنَّ مِن الناسِ مَن أنكَر أن نقولَ: إنَّ للهِ ذاتًا. بناءً على أنَّ الأصلَ أنَّ الذاتَ في اللغةِ العربيةِ لا تأْتِي بمَعْنَى العينِ، وإنَّما تأْتِي بمَعْنَى الصاحبِ، فنقولُ: ذاتُ الشيءِ. أي: صاحبةُ الشيءِ، ونقولُ: امرأةُ ذاتُ جمالٍ، والدارُ ذاتُ الاتساعِ، وما أشبهَ ذلك، فهي بمَعْنَى صاحبةٍ ولا تأْتِي بمَعْنَى الشيءِ القائمِ بنفسِه، ولكنَّ هذا القولَ المردودَ بمثلِ ما قالَ البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في قولِ خُبَيْبٍ: وذلك في ذاتِ الإلهِ. وعارضُوا بأنَّ المرادَ بالذاتِ الجهةُ، فذاتُ الإلهِ؛ يَعْنِي: الجهةَ، وسَيَأْتِي -إنْ شاءَ اللهُ- الكلامُ على هذا مبسوطًا.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٠٢- حَدَّثَنَا أَبو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ أَسِيدِ بْنِ جَارِيَةَ الثَّقَفِيُّ، حَلِيفٌ لِبَنِي زُهْرَةَ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشَرَةً، مِنْهُمْ خُبَيْبٌ الأَنْصَارِيُّ، فَأَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عِيَاضٍ أَنَّ ابْنَةَ الْحَارِثِ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهُمْ حِينَ اجْتَمَعُوا اسْتَعَارَ مِنْهَا مُوسَى يَسْتَحِدُّ بِهَا، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ قَالَ خُبَيْبٌ الأَنْصَارِيُّ:

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

فَقَتَلَهُ ابْنُ الْحَارِثِ فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ خَبَرَهُمْ يَوْمَ أُصِيبُوا.

ترجمة الباب اشْتَمَلَتْ على كلماتٍ ثلاثٍ: الذاتِ، والنعوتِ، والأسامِي.

* أمَّا النعوتُ فهي الأوصافُ، فأوصافُ اللهِ تعالَى تُسَمَّى نُعُوتًا، كما تُسَمَّى أوصافًا. فنقولُ مثلًا: نعتَ اللهُ نفسَه بكذا وكذا، أي: وصَف.

* وأمَّا الأسَامِي؛ أسَامِي اللهِ، فأمرُها معلومٌ، فقد سَمَّى اللهُ نفسَه بأسماءٍ كثيرةٍ، وجعَل منها تسعةً وتِسْعِين اسمًا مَن أحْصَاهَا دخَل الجنةَ.

* أمَّا الذاتُ، فالذاتُ كلمةٌ اخْتلَف علماءُ اللغةِ هل هي فصيحةٌ مِن العربيةِ، أو هي مولدةٌ وليسَتْ بعربيةٍ؟ من جهةِ استعمالِها بمَعْنَى النفس، وأكثرُ المحققين على أنَّها مُوَلَّدةٌ، وليسَتْ مِن العربيةِ في شيء، وإنَّما هي مِن مصطلح أهلِ الكلامِ، جعَلوها بدلًا عن كلمةِ النفسِ، فنقولُ مثلًا: جاءَ زيدٌ نفسُه، أو: جاءَ زيدٌ ذاتُه. يَجْعَلونَها بَدَلًا عنها، ولكنَّها ليسَتْ مِن كلامِ العربِ العَرْبَاءِ، كما قالَ

وتُسْتَعْمَلُ بمَعْنَى «التي» عندَ طيء فيَجْعَلُون «ذات» بمَعْنَى «التي» كما يَجْعَلُونَ «ذو» بمَعْنَى «الذي» وعليه قولُ الشاعرِ:

فَإِنَّ السماءَ ماءُ أَبِي وجَدِّي ... وبِئْري ذو حَفَرْتُ وذُو طويتُ[1]

أيْ: بِئْرِي الذي حَفَرْتُ والذي طَوَيْتُ. ويقالُ: جاءتْ ذاتُ أَرْضَعَتْ وَلَدَها. أيْ: التي أَرْضَعَتْ وَلَدَها.

وتَأْتِي بمَعْنَى «جهة» ومِن ذلك قولُه تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف:١٨]. أي: جهةَ اليمين وجهةَ الشمالِ.

ويُمْكِنُ أنْ يُحْمَلَ عليها قولُ خُبَيْبٍ ﷺ: «وذلك في ذاتِ الإلهِ». وقولُ النبيِّ ﷺ في إبراهيمَ: «كذَب ثلاثَ كَذَباتٍ في ذاتِ اللهِ». أي: في جهتِه[2] والمرادُ: في سبيلِه وطاعتِه.

وتأتِي زائدةً للتوكيدِ؛ توكيدِ التنكيرِ. مثلَ: قَدِمْنَا مكةَ ذاتَ يوم فوجدنَا الحرمَ خفيفًا فقولُه: ذات يوم. هذه زائدةٌ لتوكيدِ التَّنْكِيرِ، فيكونَ المَعْنَى: قَدِمْنَا مكةَ يومًا وهذا يوجدُ كثيرًا في الحديثِ، خَرَجْنا مع النبيِّ ﷺ ذاتَ ليلةٍ وما أَشْبَهَه، فهي زائدةٌ لتوكيدِ التنكيرِ.

هذه أربعةُ معان لذاتٍ في اللغةِ العربيةِ.

أمَّا «ذاتٍ» بمَعْنَى: نَفسِ الشيءِ وحقيقةِ الشيءِ، فهذه اختلَف فيها علماءُ العربيةِ؛ فمنهم مَن أنكر استعمالَها في هذا المَعْنَى، ومِنهم مَن أجازَها، وقالَ: لا بأسَ بها.

وظاهر صنيع البخاريِّ رَحِمَهُ اللهُ جوازُ استعمالِها بمَعْنَى النفسِ.

فإذا قالَ قائلٌ: ما العلاقةُ بين هذا الاستعمالِ، وبينَ المَعْنَى الأصليِّ في اللغةِ العربيةِ؟.

قُلْنَا: المَعْنَى الأصليُّ في اللغةِ العربيةِ أنْ تأتِيَ بمَعْنَى صاحبةٍ، فهم يقُولُون: ذات علم. أي: صاحبةُ علمٍ، واللهُ تعالَى ذُو علمٍ. فأصلُها مضافةٌ، لكن حُذِفَ المضافُ ثم بَقِيتْ نكرةً فعُرِّفَتْ بـ«ال»، ولهذا مَنَع بعضُ العلماءِ أنْ نقولَ: ذات بالنسبةِ للهِ. قالوا: لا يجوزُ أنْ نَقولَ: ذات بالنسبة للهِ، وذلك؛ لأنَّ التاءَ للتأنيث، ولا يجوزُ استعمالُ الكلمةِ المؤنثةِ بالتاءِ -ولو للمبالغةِ- بالنسبة للهِ ﷻ ولهذا لا يجوزُ أنْ نقولَ: إنَّ اللهَ علَّامةٌ. ويجوزُ أن نقولَ: هذا الرجلُ علَّامةٌ. أما اللهُ فنقولُ: علامُ الغيوبِ. فأنتَ إذًا أتيتَ بذات تريدُ بها الربَّ ﷻ، فإنَّ هذا يَعْنِي تأنيثَ ما يضافُ إلى اللهِ، وهذا لا يجوزُ، خلافُ استعمالِ جمهورِ العلماءِ المحققين.

والخلاصةُ: أنَّ الذاتَ في اللغةِ العربيةِ تستعملُ على أربعة أوجهٍ.

أمَّا في الاصطلاحِ -ولا مُشاحَّةَ في الاصطلاحِ- وهو المَعْنَى الجديدُ لها، وهو أن تكونَ بمَعْنَى

---

(١)انظر: «خزانة الأدب» (٦/ ٣٤، ٣٥)، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (ص٥٩١)، «لسان العرب» (١٥/ ٤٦٠). (ذوا)، «شرح التصريح» (١/ ١٣٧).

(٢)رواه البخاري (٣٣٥٨)، ومسلم (٢٣٧١).

نفسٍ، فيقالُ: ذاتٌ وصفاتٌ. ذاتُ اللهِ؛ أي: نفسُ اللهِ، وجاءَ زيدٌ ذاتُه؛ أيْ: نَفْسُه، فتكونُ مضافةً، كذاتِ اللهِ، وتكونُ مقطوعةً عن الإضافةِ، مُعَرَّفَةً بأل مثلَ الذاتِ، وهذا هو ما ذهَب إليه البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

فإن قالَ قائلٌ: استدلالُ البخاريِّ رَحِمَهُ اللَّهُ بقولِ خُبَيبٍ: «وذلك في ذاتِ الإلهِ». هل يطابقُ ما تَرْجَم به؟ لأنَّ البخاريَّ ترجَمَ على أنَّ الذاتَ بمَعْنَى النفسِ؛ وخُبَيْبٌ ما أرادَ ذلك؛ لأنَّه لا يريدُ ذاتَ الإلهِ التي هي نفسُه، وإنما يريدُ ذاتَ الإلهِ؛ أي: في سبيلِ اللهِ، أو في طاعةِ اللهِ، أو في مرضاةِ اللهِ، أو ما أشبهَ ذلك، لكن كأنَّ البخاريَّ يقولُ: يَكْفِي في هذا أن اسْتُعْمِلتِ الذاتُ مضافةً إلى اللهِ، فأخذ مِن جوازِ استعمالِ ذاتِ مضافةً إلى اللهِ، أنْ يُوصَفَ بها اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وتقدم في صحيح البخاريِّ تفصيلُ قصةِ خُبيبٍ.

قال العيني في «عمدة القاري»:

وهي أنَّ أبا هريرة رضي الله عنه قال: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشَرَةَ رَهْطٍ سَرِيَّةً عَيْنًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيَّ -جَدَّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ- فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْهَدَأَةِ وَهْوَ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُذَيْلٍ، يُقَالُ لَهُمْ بَنُو لِحْيَانَ، فَنَفَرُوا لَهُمْ قَرِيبًا مِنْ مِائَتَيْ رَجُلٍ، كُلُّهُمْ رَامٍ، فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ حَتَّى وَجَدُوا مَأْكَلَهُمْ تَمْرًا تَزَوَّدُوهُ مِنَ الْمَدِينَةِ فَقَالُوا: هَذَا تَمْرُ يَثْرِبَ. فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ، فَلَمَّا رَآهُمْ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجَئُوا إِلَى فَدْفَدٍ، وَأَحَاطَ بِهِمُ الْقَوْمُ فَقَالُوا لَهُمْ: انْزِلُوا وَأَعْطُونَا بِأَيْدِيكُمْ، وَلَكُمُ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ، وَلَا نَقْتُلُ مِنْكُمْ أَحَدًا. قَالَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ أَمِيرُ السَّرِيَّةِ أَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ لَا أَنْزِلُ الْيَوْمَ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ، اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ. فَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ، فَقَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةٍ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ بِالْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ، مِنْهُمْ خُبَيْبٌ الأَنْصَارِيُّ وَابْنُ دَثِنَةَ وَرَجُلٌ آخَرُ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ أَطْلَقُوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ فَأَوْثَقُوهُمْ، فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ: هَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ، وَاللَّهِ لَا أَصْحَبُكُمْ، إِنَّ لِي فِي هَؤُلَاءِ لَأُسْوَةً. يُرِيدُ الْقَتْلَى، فَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ عَلَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ، فَأَبَى، فَقَتَلُوهُ، فَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ وَابْنِ دَثِنَةَ حَتَّى بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَابْتَاعَ خُبَيْبًا بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الْحَارِثَ بْنَ عَامِرٍ يَوْمَ بَدْرٍ، فَلَبِثَ خُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا، فَأَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عِيَاضٍ أَنَّ بِنْتَ الْحَارِثِ أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهُمْ حِينَ اجْتَمَعُوا اسْتَعَارَ مِنْهَا مُوسَى يَسْتَحِدُّ بِهَا فَأَعَارَتْهُ، فَأَخَذَ ابْنًا لِي وَأَنَا غَافِلَةٌ حَتَّى أَتَاهُ قَالَتْ فَوَجَدْتُهُ مُجْلِسَهُ عَلَى فَخِذِهِ وَالْمُوسَى بِيَدِهِ، فَفَزِعْتُ فَزْعَةً عَرَفَهَا خُبَيْبٌ فِي وَجْهِي فَقَالَ: تَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ، مَا كُنْتُ لأَفْعَلَ ذَلِكَ. وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْمًا يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ فِي يَدِهِ، وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ فِي الْحَدِيدِ، وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرٍ، وَكَانَتْ تَقُولُ إِنَّهُ لَرِزْقٌ مِنَ اللَّهِ رَزَقَهُ خُبَيْبًا، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ الْحَرَمِ؛ لِيَقْتُلُوهُ فِي الْحِلِّ، قَالَ لَهُمْ خُبَيْبٌ: ذَرُونِي أَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ. فَتَرَكُوهُ، فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ: لَوْلَا أَنْ تَظُنُّوا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ لَطَوَّلْتُهَا، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

فَقَتَلَهُ ابْنُ الْحَارِثِ ، فَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ لِكُلِّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ قُتِلَ صَبْرًا، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لِعَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ يَوْمَ أُصِيبَ، فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ خَبَرَهُمْ وَمَا أُصِيبُوا، وَبَعَثَ نَاسٌ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ إِلَى عَاصِمٍ حِينَ حُدِّثُوا أَنَّهُ قُتِلَ لِيُؤْتَوْا بِشَيْءٍ مِنْهُ يُعْرَفُ، وَكَانَ قَدْ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ عُظَمَائِهِم يَوْمَ بَدْرٍ، فَبُعِثَ عَلَى عَاصِمٍ مِثْلُ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ، فَحَمَتْهُ مِنْ رَسُولِهِم، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى أَنْ يَقْطَعُوا مِنْ لَحْمِهِ شَيْئًا. اهـ

هاتانِ كَرَامَتَانِ في هذه القصةِ: حمايةُ عاصمٍ، وهذا الرزقُ الذي يَأْتِي به اللهُ ﷻ إلى خُبيبٍ، وأنا أرَى مثلَ هذه القصةِ العظيمةِ أنْ تُسجَّلَ وتُنْشَرَ بينَ الناسِ، لما فيها من تثبيتِ الإيمانِ والأُسْوةِ الحسَنَةِ بهؤلاءِ الذين هم مَفْخَرَةُ الأُمَّةِ الإسلاميةِ؛ لأنَّ هذا مما يشجعُ الإنسانَ ويزيدُ في إيمانه، ويزيدُ في صبره، انظرْ إلى عاصم ﷺ ومَنْ مَعَه قال: لا يُمْكِنُ أن أنْزِلَ على ذمةِ كافرٍ. ومَن يثقُ بالكافرِ، وماذا فعَلُوا بذمتِهم، الذين نَزَلُوا على ذِمتِهم بيعُوا في مكةَ كما يباعُ الغنمُ.

الحاصلُ: أنَّ هذه لو تُقَيَّدُ وتُجْعَل في دَفْترٍ يُقَيَّدُ فيه مثلُ هذه الأشياءِ التي تمرُّ بنا لاسِيَّمَا ما وقَع منها في الصحيح؛ لأنها نبراسٌ يُقْتَدَى ويؤْخذُ به.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٥ - بابُ: قولِ اللهِ تعالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران:٣٠]. وقولِه جلَّ ذكرُه: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة:١١٦].

من صفاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أيضًا: النفسُ، والبخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ مِن فقهِه أنَّه أتى بهذا الباب بعدَ ذِكْرِ البابِ الذي فيه الذاتُ؛ ليشيرَ إلى أنَّ الذاتَ بمَعْنَى النفسِ، ونفسُ الشيءِ هو الشيءُ، فقولُه تعالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران:٣٠] أي: يحذرُكم إياه، وليسَتْ النفسُ شيئًا، واللهُ شيئًا آخرض، فاللهُ هو النفسُ.

وكذلك ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة:١١٦]؛ أي: تعلمُ ما عِنْدِي أنا في نفسِي، ولا أعْلَمُ ما في نفسِك، فليسَتِ النفسُ صفةً زائدةً على الذاتِ بل هي الذاتُ نفسُها، ومِن ذلك قولُه تعالَى: ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [المجادلة:٨]. هل المرادُ ﴿أَنفُسِهِمْ﴾ بأنفسِهم شيءٌ آخرُ غيرُ ذواتِهم؟

الجوابُ: لا، هي ذواتُهم، وعلى هذا؛ فالنفسُ بمَعْنَى الذاتِ، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ يَعْنِي يُحَذِّرُكم إياه، ويدلُّ لذلك قولُه تعالَى: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ۝٤٠﴾ [البقرة:٤٠]. ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ۝٤١﴾ [البقرة:٤١]. وما أشبه ذلك.

وفي قولِه تعالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ دليلٌ على أنَّ الإنسانَ يجبُ أنْ يحذرَ مِن اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لا يحذرْ منه ظاهرًا فقط، بلْ ظاهرًا وباطنًا فيما يقولُ وفيما يفعلُ وفيما يُضْمِرُ علنًا أو سرًّا؛ لأنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يقولُ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق:١٦]. رزقنا اللهُ وإيَّاكُم اليقينَ.

إذًا: علِم الإنسانُ هذا وأيقن؛ فإنَّه سوفَ يَخْشَى ربَّه عَزَّ وَجَلَّ، ويخافُ أن يقَع في محارِمه، ويحذرُ ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾.

وقال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ القائلُ عِيسَى بنُ مريمَ، يقولُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ يومَ القيامةِ. ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾. تنزيها لك أن أقول مثل هذا الكلام ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝١١٦﴾ ولـمَّا نفَى أنْ يكونَ قالَه بيَّنَ ماذا قال لهم، فقال: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝١١٧﴾ [المائدة:١١٧]. وأتباع عِيسَى النَّصارَى اليومَ -الذين يَدَّعُون أنَّهم أتباعُ عِيسَى وهم كَاذِبُون- يقولُون: إنَّ اللهَ ثالثُ ثلاثةٍ، وعِيسَى قد قال لهم: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾. لكن هم يَعْبُدون الآن عِيسَى، وأمَّه، والربَّ؛ ثلاثةُ أقانيمَ عندَهم، بل بعضُهم يَعْبُدُ الصليبَ، وهذا مِن سَفَهِهم وضلالِهم، فالصليبُ في الأصلِ خشبةٌ مصلوبٌ عليها -على ما زَعَمُوا- عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والعقلُ يَقْتَضِي أنَّ الواحدَ منهم الذي يَتَّبِعُ عِيسَى ويحبُّ عيسَى إذا رأَى الصليبَ كَسَّرَه، أليسَ كذلك؟ لأنَّه إذا كانَ يُحِبُّ عِيسَى، هل يحبُّ الصليبَ الذي صُلِبَ عليه؟

الجواب: لا، بل يَكْرَهُه، فمُقْتَضَى العقلِ أنَّه يَكْسِرُ الصليبَ؛ لأنَّه على زعمِهم صُلِبَ عليه نَبِيُّهم، ونحنُ نُبَرِّئُ عِيسَى ابنَ مريمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ونَشْهَدُ أنَّه عبدُ اللهِ ورسولُه، نُبَرِّؤُه مِن أنْ يكونَ صُلِبَ، واللهُ تعالَى نَزَّهَه عن ذلك، ولمَّا هَمُّوا بقَتْلِه وصَلْبِه رفعَه اللهُ إليه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء:١٥٧]. وسبحانَ اللهِ العظيم! إنَّ أصلَ ضلالِهم مبنيٌّ على شبهةٍ، والضلالُ كلُّه شبهةٌ، فقد شُبِّهَ لهم رجلٌ على أنَّه عِيسَى فقتَلُوه وصَلَبُوه، وقالُوا: هذا عِيسَى، وليسَ الذي قتلَه أيضًا النَّصارَى، الذي قتَلَه اليهودُ، والذي صَلَبَه اليهودُ -على زَعْمِهم- ومع ذلك فقد قال اللهُ تعالَى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة:٥١]. وانظرْ كيفَ كانُوا أولياءَ بعضُهم لبعضٍ، وهم أعداءٌ في الواقعِ، لكن هم أولياءُ ضدَّ عَدُوٍّ ثالثٍ وهم المسلمونَ، والمسلمونَ أعداءٌ لهم منذُ بَزَغَ صدرُ الإسلامِ إلى اليومِ، وإلى يومِ القيامةِ، وسوف يُقْتَلُ اليهودُ -إن شاء اللهُ- على يدِ المسلمين حتَّى يَخْتَبِئُوا بالشَّجَرِ: فيقولُ الشجرُ: يا عبدَ اللهِ، هذا يهوديٌّ تَحْتِي فاقْتُلْه.

فالحاصلُ: أنَّ عيسَى بنَ مريمَ ﷺ إنَّما جاءَ بالتوحيدِ الذي جاءَ به إخوانُه مِن المرسَلين ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾. ومَعْنَى تَوَفَّيْتَنِي؛ أي: قَبَضْتَنِي إليك ورفعتني.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٠٣- حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ. وَمَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ».[1]

في هذا الحديثِ: إثباتُ الغيرةِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ. والغيرةُ لا تُحَدُّ بأوضحَ مِن لفظِها، الغيرةُ هي الغيرةُ، وإنَّ الإنسانَ يَغَارُ ولكن للغيرةِ آثارٌ منها الغضبُ، فما مِن أحدٍ أغيرُ مِن اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، مِن أجل ذلك حرَّم الفواحشَ، وقد ثبتَ في الحديثِ الصحيحِ في قصةِ صلاةِ الكسوفِ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**مَا مِن أحدٍ أغيرُ مِن اللهِ أنْ يَزْنِيَ عبدُه أو تَزْنِيَ أَمَتُه**»[2] يَعْنِي: أنَّ اللهَ يغارُ غيرةً شديدةً لا يوجدُ لها نظيرٌ إذا زنَى عبدُه أو زَنَتْ أَمَتُه، وفي هذا دليلٌ على عِظَمِ الزِّنَا عندَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وأنَّه يغارُ منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى غيرةً شديدةً.

۞**قوله: «وما مِن أحدٍ أحبُّ إليه المدحُ مِن اللهِ»**. فاللهُ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ مِن عبادِه أنْ يُثْنُوا عليه وأنْ يَمْدَحُوه؛ لأنَّه أهلٌ لذلك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أهلٌ لأنْ يُثْنَى عليه وأنْ يُمْدَحَ، فلذلك يُحِبُّ هذا، وهذا مِن كمالِه عَزَّ وَجَلَّ أنْ يُحِبَّ أنْ يُثْنَى عليه بما هو أهلُه، مع أنَّنا لا نُحْصِي ثناءً عليه، ثم هذا الثناءُ مصلحتُه تعودُ لنا فهو

---

(١) رواه مسلم (٢٧٦٠).

(٢) رواه مسلم (٩٠١).

يحبُّ هذا؛ لأنَّ ذلك ينفعُ العبد، ويُحِبُّ هذا؛ لأنَّه أهلٌ لأنْ يُمْدَحَ.

هذا اللفظُ الذي مَعَنَا ليسَ فيه ذكرُ النفسِ، فما وجهُ الترجمةِ؟

الجواب: لعلَّ له طريقًا آخرَ ذكَر فيه النفسَ، والبخاريُّ هنا اخْتَصَره، وهذه من عادةِ البخاريِّ رَحِمَهُ اللهُ، وهي عادةٌ غريبةٌ يذكرُ الترجمةَ ثم يأتي بالحديثِ بلفظٍ آخرَ ليسَ فيه ذكرُ الترجمةِ؛ مِن أجلِ أنْ يَحُثَّ الطالبَ على طلبِ الحديثِ؛ لأنَّه لو كان المقصودُ مِن الترجمةِ موجودًا في الحديثِ، لكان طعامًا باردًا يَأْكُلُه الإنسانُ بكلِّ سهولةٍ، لكن إذا لم يكنْ كذلك جعَل يبحثُ ويُعْمِلُ فكرَه. فإذا كانَ عندَه علمٌ واسعٌ في الحديثِ عرَف أنَّ البخاريَّ رَحِمَهُ اللهُ أشارَ إلى لفظٍ آخرَ في الحديثِ فيه ذكرُ النفسِ، وهو يستعملُه كثيرًا رَحِمَهُ اللهُ.

لكن أحيانًا يشيرُ إلى لفظٍ يناسبُ الترجمةَ ولكن لا يكونُ الحديثُ على شرطِه؛ لأنَّ شرطَه في الصحيح قويٌّ وشديدٌ فلا يكونُ على شرطِه، ولكنْ لو سُئِلْنَا: هل إذا لم يكن على شرطِه هل في ذلك إشارةٌ على صحتِه من البخاريِّ؟.

الجوابُ: الظاهرُ، نَعَمْ أنَّ في ذلك إشارةً مِن البخاريِّ إلى صحته، لكن ليسَ كلُّ حديثٍ صحيح عندَ البخاريِّ يكونُ على شرطِه رَحِمَهُ اللهُ ، وقد يكونُ في نفسِ الصحيح، قد يكونُ ما يناسب الترجمةَ مذكورًا في نفسِ الصحيح، لكنَّه لم يذكره في هذا السياقِ مِن أجلِ أنْ تبحثَ.

قال القسطلاني رَحِمَهُ اللهُ:

ما يدلُّ على مطابقتِه للترجمة صريحًا في روايةِ تفسيرِ سورةِ الأنعامِ زيادةُ قولِه: «ولذلك مدح نفسَه»، وساقَه هنا على الاختصارِ دونَ هذه الزيادةِ، تَشْحِيذًا للأذهانِ على عادتِه ولمّا لم يستحضرِ الكرمانيُّ هذه الزيادةَ عند شرحه ذلك قال: لعلَّه أقامَ استعمالَ أحد مقامَ النفسِ لتلازمهما صحةِ استعمالِ كلِّ واحدةٍ منهما مقامَ الآخرِ» اهـ.

كلامُ الكرمانيِّ غيرُ صحيحٍ؛ لأنَّه يريدُ، يَعْنِي: ما مِن أحدٍ، يَعْنِي: ما مِن نفسٍ، هذا بعيدٌ جدًّا، لكنّ النكتةَ هي ما ذكرنا وما ذكرَه الشارح.

***

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٤٠٤- حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ -وَهُوَ يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ، وَهُوَ وَضْعٌ عِنْدَهُ عَلَى الْعَرْشِ- إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»[1].

وهذا الحديثُ في سياقِه قلقٌ، وفي جُمَله قلقٌ وقد رُوِي بسياقٍ أتمَّ وأحسنَ مِن هذا، والشاهدُ منه:

---

(١) رواه مسلم(٢٧٥١).

قولُه: «يكتبُ على نفسِه» وقد جاء في القرآن ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

والشاهدُ: إثباتُ النفسِ للهِ عَجَّلَ.

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٠٥- حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، قال: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، سَمِعْتُ أَبَا صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»(١).

[الحديث: ٧٤٠٥- طرفاه في: ٧٥٠٥، ٧٥٣٧]

قولُه تعالَى: «أَنَا عند ظَنِّ عَبْدِي بي» يَعْني كما جاءَ في حديثٍ آخرَ «إِنْ ظَنَّ بي خيراً فله، وإنْ ظَنَّ بي سوءًا فله»(٢) ولكن متى يَحْسُنُ أنْ يَظُنَّ الإنسانُ بربِّه خيرًا؟ يحسنُ إذا عَمِل عملًا يَسْتَحِقُّ به الخيرَ فحينئذٍ يظنُّ بربِّه خيرًا، مثالُه: عَمِل عملًا صالحًا فيَظُنُّ بربِّه أن يَقْبَلَه، تابَ إلى اللهِ مِن ذنبٍ فعله فيظنُّ بربه أنْ يقبلَه، ولا ينظرُ إلى عملِه وإلى حالِه فيُسِيءُ الظنَّ بناءً على ما عنده، ولكنْ ينظرُ إلى رحمة اللهِ عَجَّلَ فيُحْسِنُ الظنَّ، أمَّا مَن ليسَ عندَه ما يكونُ به إحسانُ الظنِّ، فإنَّ إحسانَ الظنِّ إفلاسٌ، ولهذا جاءَ في الحديثِ «الكَيِّسُ مَن دانَ نفسَه، وعَمِلَ لما بعدَ الموتِ، والعاجزُ مَن أَتْبَعَ نفسَه هَوَاهَا وتَمَنَّى عَلَى اللهِ الأَمَانيَّ»(٣) فحسن الظنِّ لابدَّ أنْ يكونَ في مَحَلٍّ قابلٍ، بأنْ يَعْمَلَ عَمَلًا صالحًا فيُحسنُ الظنَّ باللهِ عَجَّلَ أنَّه يقبلُه، أمَّا المُصِرُّ على معصيةٍ، ويقولُ: أنا مُحْسِنٌ الظنَّ ويغفرُ اللهُ لي، يَزْنِي صباحًا ومساءً، ويشربُ الخمرَ صباحًا ومساءً ويقولُ: أُحْسِنُ الظنَّ باللهِ، يا مسكينُ، كيف تحسنُ الظنَّ باللهِ، تُبْ إلى اللهِ وأَحْسِنِ الظنَّ باللهِ أن يقبل توبتَك.

إذًا: إحسانُ الظنِّ باللهِ متَى يكونُ؟ إذا كانَ في محلٍّ قابلٍ، عندَ العملِ الصالحِ أو التوبة مِن العملِ السيءِ فيحسنُ الظنُّ باللهِ أنْ يَقْبَل توبتَه، وأن يقبلَ علمَه.

قال: «وأنا معه إذا ذَكَرني» المعية هنا معيةٌ خاصةٌ تَقْتَضِي التثبيتَ والتأييدَ والنصرَ وغيرَ ذلك مِن مقتضياتِ هذه المعيةِ الخاصةِ، فكلَّما ذكرتَ اللهَ، فاعلمْ أنَّ اللهَ معك سواءٌ ذكرته بقلبك أو بلسانك أو بجوارحك فاعلم أن الله معك، ولهذا قالَ اللهُ تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً

---

(١) رواه مسلم(٢٦٧٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٩١)، (٩٠٧٦) وابن حبان (٦٣٩) في «صحيحه».

وصحح الحديث الشيخ شعيب كما في «التعليق على المسند» (١٥/ ٣٦).

(٣) رواه الإمام أحمد (٤/ ١٢٤) (١٧١٦٤)، والترمذي (٢٤٥٩) وابن ماجه (٤٢٦٠)، وضعفه الشيخ الألباني كما في «المشكاة»، (٥٢٨٩) و«السلسلة الضعيفة» (٥٣١٩)، وتعليقه على السنن.

﴿فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأنفال:٤٥]. لماذا؟ ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾. حتى تنالوا الفلاحَ؛ بالثباتِ وذكرِ اللهِ.

ولهذا إذا ذكر الإنسانُ ربَّه مِن قلبه نَسِي كلَّ شيءٍ، ولستُ أقولُ: نَسِي كلَّ شيءٍ كما يَنْسَى الصوفيةُ الذين يَفْنَوْن عن شهودِ الصُّورِ، إذا قامَ أحدُهم يَتَعَبَّدُ نَسِي كلَّ شيءٍ، فغفلَ على زعمِهم بالمعبودِ عن العبادةِ وبالمذكورِ عن الذكرِ، وبواجبِ الوجودِ عن ممكنِ الوجودِ، نَسِي كلَّ شيءٍ، حتَّى يَصِلَ بعضُهم إلى حد الجنونِ يُخَبِّط ويقولُ: أنا خَيْمَتِي على جَهَنَّم، ويقولُ: سبْحَانِي سُبْحَاني، ويقولُ: ما في الجُبَّةِ إلا اللهُ. يَعْنِي نفسَه، فيَصِلُون إلى حدِّ الشَّطَحِ والجنونِ والهذيانِ، فأنتَ كلمَّا ذكرتَ ربَّك فإنَّ اللهَ ﷻ معك بالنصرِ والتأييدِ والتثبيتِ وزوالِ الوحشةِ حتَّى إذا اسْتَوْحَشْتَ بالليلِ، فأردتَ أن تَزُولَ الوحشةُ عنك فاذكرِ اللهَ ﷻ؛ لأنَّك بذكرِك اللهَ يهونُ عنك كلُّ شيءٍ ويتصاغَرُ وعندَك كلُّ شيءٍ.

والمعيةُ تنقسمُ إلى أقسام:

القسم الأول: معيةٌ عامةٌ: يرادُ بها بيانُ الإحاطةِ، مثلُ قولِه تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة:٧]. هذه عامةٌ، ومثلُ قولِه تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤]. وهذه المعيةُ تشملُ المؤمنَ والكافرَ والبرَّ والفاجرَ.

القسم الثاني: معيةٌ خاصةٌ للتهديد، هي خاصةٌ لكنَّها للتهديد، مثلُ قولِه تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ [النساء:١٠٨]. هذه خاصةٌ معهم، أي: هؤلاء الذين يَسْتَخْفُون مِن الناسِ ولا يَسْتَخْفُون مِن اللهِ، وهو معهم إذ يُبَيِّتُون ما لا يَرْضَى مِن القولِ في الليل، والمقصودُ بها التهديدُ.

القسم الثالث: معيةٌ خاصةٌ لقومٍ مُعَيَّنِين بأوصافِهم للتأييدِ والتثبيتِ، مثلُ قولِه تباركَ وتعالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل:١٢٨]. وأمثالُها كثيرٌ.

القسم الرابع: معيةٌ مخصوصةٌ بقومٍ مُعَيَّنِين للتأييدِ، مثلُ قولِه تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [محمد:٣٥]. هذه وإنْ كانَتْ خاصةً في المُخاطَبِين في ذلك الوقتِ، فهي خاصةٌ، وإلا فهي عامةٌ خاصةٌ بالمُجاهِدين، ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [محمد:٣٥]. بالنصرِ والتأييدِ والتثبيتِ.

القسم الخاص: معيةٌ خاصةٌ بأشخاصٍ مُعَينين للتأييدِ والنَّصْرِ والدِّفاع: مثلُ قولِه تباركَ وتعالَى عن مُوسَى وهارونَ، لما قالَ مُوسَى: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه:٤٥-٤٦]. المعيةُ هنا خاصةٌ بشخصٍ، للتأييدِ والتقويةِ والتثبيتِ، ومِن ذلك قولُه تعالَى في حقِّ نَبِيِّنا ﷺ حينَ قال له أبو بكرٍ وهما في غارِ ثورٍ: يا رسولَ اللهِ، لو نَظَرَ أحدُهم إلى قَدَمِيه

لأبصَرَنَا، يَعْنِي بذلك: قريشًا الذين يَطْلُبون الرسول ﷺ وأبا بكرٍ، وَقَفُوا على الغارِ، ليسَ بينَهم وبينَ الرسول ﷺ وأبي بكرٍ حائلٌ، لا عُشُّ حمام ولا شجرةٌ عليها حمامة ولا شيءٌ، قال له النبيُّ ﷺ: **«لا تحزنْ، إنَّ اللهَ معَنَا، ما ظنُّك باثنين اللهُ ثالثُهما»**[1] أخبَر وبيَّن الحُكمَ **«لا تحزنْ إنَّ اللهَ معنا، ما ظنك باثنين»** هذا التثبيتُ والتأييدُ والدفاعُ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما، أبو بكر رضي الله عنه ماذا يظنُّ باثنين اللهُ ثالثُهما، أنَّه لن يَضُرَّهما أحدٌ، ولن يستطيعَ أحدٌ أنْ يعثُرَ عليهما، وهذا هو الذي وقع وقَفُوا على الغارِ، ولم يَرَوْا أحدًا، أَعْمَى اللهُ أبصارَهم وانْصَرَفُوا.

وهذه المعيةُ مِن اللهِ عَزَّ وَجَلَّ للرسولِ وأبي بكرٍ كالمعيةِ التي كانَتْ لمُوسَى وهارونَ، ولهذا كانَت أقْوَى مِن قولِ الرسولِ ﷺ لعليِّ بنِ أبي طالبٍ لما خلَّفه في أهلِه في غزوةِ تبوكَ، وكأنَّ عليًّا صارَ في نفسِه شيءٌ، كيفَ تُخَلِّفُني مع النساءِ والصبيانِ، فقالَ: **«أما ترْضَى أنْ تكونَ مِنِّي بمنزلةِ هارونَ مِن مُوسَى، غيرَ أنَّه لا نبيَّ بَعْدِي»**[2] بمنزلةِ هارونَ مِن مُوسَى في كونِك خليفةً لي على أهلِي، كما خلَّف مُوسَى هارونَ على قومِه ﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأعراف:١٤٢]. لكنَّ أبا بكرٍ قال له الرسولُ ﷺ: **«إن الله معنا»** كمعيةِ اللهِ لمُوسَى وهارونَ، فكان هذا أبلغَ مِن قولِ الرسولِ ﷺ لعليِّ بنِ أبي طالبٍ: **«أنتَ مِنِّي بمنزلةِ هارونَ مِن مُوسَى، إلا أنَّه لا نبيَّ بعدي»**، فبينَهما فرقٌ أن يقولَ الرسولُ ﷺ لأبي بكرٍ: **«إنَّ الله معنا»**، كما قالَ اللهُ لمُوسَى وهارونَ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ فهذه المعيةُ خاصةٌ بالشخص.

فإذا قال قائلٌ: هل هذه المعيةُ حقيقيةٌ أو المراد بها لوازمُها؟

نقولُ: هي حقيقيةٌ واللوازمُ تابعةٌ للمَعْنَى الأصليِّ كسائرِ المعانِي، اللوازمِ كالعلمِ والسمعِ والبصرِ والمدافعةِ وما أشبهَ ذلك، تابعةٌ للمَعْنَى الأصليِّ الذي يَدلُّ على اللفظِ بالمطابقةِ.

فإنْ قالَ قائلٌ: كيفَ تجعلُونَها حقيقيةً، وأنتم تُنكِرون على الحلوليةِ الذين يقولون: إنَّ اللهَ معنَا حقًّا بذاتِه؟

نقولُ: نعم، ننكرُ عليهم؛ لأنَّ هؤلاء يقولون: إنَّ اللهَ معنَا في نفسِ المكانِ. فيكونُ اللهُ مع الرسولِ وأبي بكرٍ في نفسِ الغارِ، مع المُحْسِنين في نفسِ الأماكنِ، والمعيةُ العامةُ مع الناسِ كلِّهم في أيِّ مكانٍ، ونحن ننكرُ هذا أشدَّ الإنكارِ.

فإنْ قال قائلٌ: كيفَ يمكنُ أن تُثْبِتُوا معيةً حقيقيةً مع اعتقادِكم أنَّ اللهَ تعالَى فوقَ عرشِه، فوق السموات السبع هذا تناقضٌ؟

فالجوابُ مِن ثلاثةِ أوجهٍ:

الوجهُ الأولُ: أنَّ اللهَ جمَع فيما وصَف به نفسَه بين المعيةِ والعلوِّ، فقال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد:٤]. وقال:

---

(١) رواه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

(٢) رواه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤).

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة:٢٥٥]. بلْ في نفسِ آيةِ الحديدِ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]. هذا علوٌّ، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ ﴿٤﴾﴾ [الحديد:٤]. فليسَ استواؤُه على العرشِ بمانعٍ مِن كونِه مَعَنا، فإذا كانَ كذلك -إذا كانَ اللهُ جمع فيما وصف فيه نفسَه بينَ العلوِّ والمعيةِ- فإنَّنا نعلمُ علمَ اليقينِ أنَّه لا تناقضَ بينهما؛ لأنَّه لو كان بينهما تناقضٌ لَلَزِمَ أنْ يكونَ أحدَ الخبَرين كذبًا، وهذا مستحيلٌ.

الوجهُ الثاني: أنَّه لا تناقضَ بينَ العلوِّ والمعيةِ، وذلك لأنَّ المعيةَ مَعْناها الأصليُّ مطلقُ المصاحبةِ والمقارنةِ، وهذا المطلقُ يختلفُ باختلافِ المضافِ إليه، وباختلافِ القرائنِ، فمثلًا الرجلُ يقولُ: زَوْجَتِي مَعِي، وهو في المسجدِ، والمرأةُ في البيتِ، والكلامُ هذا صحيحٌ، ففيه مطلقُ مقارنةٍ ومصاحبةٍ لكن ليسَ معناه أنَّها تكونُ معه في نفسِ المسجدِ، وكذا الجنودُ في الميدانِ في القتالِ، يَقُولُون: القائدُ مَعَنَا؛ لأنَّهم يَمْشُون على توجيهاتِه، هذه المعيةُ أو المقارنةُ أو المصاحبةُ لها مَعْنًى، القائدُ في غرفةِ العملياتِ وهم في ميدانِ القتالِ، ويَقُولون: القائدُ معنا.

إذًا: تَغيَّرَ المَعْنَى بحسبِ السياقِ، العربُ يَقُولُون: ما زِلْنَا نسيرُ والقمرُ مَعَنَا، والقمرُ ليسَ بأيديهم ولا على رواحِلِهم، بل في السماءِ، ومع ذلك يَقُولون باللفظِ العربيِّ الفصيحِ المبينِ: إنَّ القمرَ معنا. ولا يُنْكَرُ عليهم، أو يقولون: مازِلْنَا نسيرُ والقطبُ معنا. أو الجَدْيُ مَعَنا، وكلُّ هذا كلامٌ عربيٌّ فصيحٌ صحيحٌ، فهل هناك منافاةٌ الآنَ بينَ علوِّ القمرِ في السماءِ أو القُطْبِ أو الجَدْيِ وبين كونِهِ مَعَنَا؟

الجوابُ: لا، فإذا كانَ هذا ممكنًا في حقِّ المخلوقِ ففي حقِّ الخالقِ أَوْلَى وأَوْلَى.

ولهذا قال شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ في «العقيدةِ الواسطيةِ»: «بلِ القمرُ في السماءِ وهو مِن أصغرِ المخلوقاتِ، وهو مَع المسافرِ وغيرِه أينَمَا كان»[1]، موضوعٌ في السماءِ وهو مِن أصغرِ المخلوقاتِ مع ذلك هو مع المسافرِ وغيرِه أينما كان فكيفَ بمنْ هو محيطٌ بكلِّ شيءٍ، كيفَ بمَنْ السمواتُ السبعُ والأرضون السبعُ في كَفِّه كخردلةٍ في كفِّ أحدنا، ألا يصحُّ أن نقولَ: هو مَعَنا وهو في السماءِ؟ يصحُّ.

الوجه الثالثُ: أنْ نقولَ: هَبْ أنَّ بينَ المَعْنَى الحقيقيِّ للمعيةِ والعلوِّ الذاتيِّ تناقضا في حقِّ المخلوقِ، فإنَّ ما يلزمُ في حقِّ المخلوقِ لا يلزمُ في حقِّ الخالقِ، وما استحالَ في حقِّ المخلوقِ قد يكونُ جائزًا أو واجبًا في حقِّ الخالقِ، وبهذا يزولُ الإشكالُ، وأهمُّ هذه الأوجهِ الوجهُ الأولُ: وهو أنَّ اللهَ تعالَى لا يمكنُ أن يجمعَ فيما وصف به نفسَه بينَ شيئين متناقِضَين، لكن يحتاجُ الأمرُ إلى فطنةٍ، وإلى ذكاءٍ حتَّى يتمكنَ الإنسانُ مِن الجمعِ بينَ ما ظاهرهُ التعارضُ وذلك فضلُ اللهِ يُؤْتيه مَن يشاءُ.

والمعيةُ في هذا الحديث من المعيةِ الخاصة فعليك يا أخِي بذكرِ اللهِ دائمًا، اذكرِ اللهَ دائمًا حتَّى يكونَ اللهُ معك دائمًا؛ لقولِه: «فإنْ ذكَرَني في نفسِه ذكرتُه في نفسي».

---

(١) انظر «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٣/ ١٤٢)

والشاهد من الحديث قوله: «ذكرته في نفسي».

وقولُه: «وإنْ ذكَرني في ملإٍ ذكرتُه في ملإٍ خيرٍ منهم» ملأ يَعْنِي: جماعةً و«ذكرتُه في ملأ خير منهم» وهم الملائكةُ المُقَرَّبُون الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادتِه، ويسبحونه وله يسجدون، يذكرُه في ملأ خيرٍ منه، ويا له مِن فخرٍ عظيمٍ إذا جلَسْتَ في مجلسٍ، ما أسهلَ أن تُذَكِّر الناسَ باللهِ ﷻ لو لم تقلْ إلَّا: لا إله إلا الله. ما أعظمَ اللهَ!، كيف استطاعَ بنو آدمَ أنْ يُكَوِّنُوا هذا النورَ من مِسمارٍ يُضْغَطُ، هذا مِن ذكرِ اللهِ فإذا ذكرتَ اللهَ في هذا الملأ ذكرَكَ اللهُ في ملأ خيرٍ منه، وهم الملائكةُ المُقَرَّبون عندَ اللهِ.

اسْتَدَلَّ بعضُ العلماءِ بهذا الحديثِ: على أنَّ الملائكة خيرٌ مِن البشرِ ومِن الجنِّ، لأنَّه قال: «ذكرتُه في ملأ خير منهم» فهل هذا الاستدلالُ صحيحٌ؟

الجواب: لا؛ لأنَّه لا يلزمُ مِن الخيريةِ الخاصةِ، الخيريةُ المطلقةُ. فمثلًا أنا عندي جماعةٌ أهلُ استقامةٍ ودينٍ ويوجدُ ناسٌ خيرٌ منهم، أعْلَى منهم درجةً، وملأٌ ثالثٌ أعْلَى مِن الوسَطِ، وخيرٌ منهم، فأنا أقولُ للملأ الثاني: هم خيرٌ مِن الملأ الذين عندِي. لكن لا يلزمُ أنْ يكونُوا خيرًا مِن الملأ الذين فوقَهم، فإذا كانَ الملائكةُ الذين عندَ اللهِ حينَ الثناءِ وحينَ الذكرِ خيرًا مِن الملإِ الذين عندِي، لا يلزمُ أنْ يكونُوا خيرًا مِن كلِّ بني آدمَ؛ لأنَّ الذين عندِي ليسُوا خيرَ الناسِ.

وهذه المسألةُ أَخذَت نقاشًا طويلًا بينَ العلماءِ، أيمُّا أفضلُ الملائكةُ أو بنو آدمَ؟ ولا داعِيَ أنْ أُطِيلَ بذكرِه.

عندِي أنَّ الخلافَ والنقاشَ في هذا ليسَ بذاتِ أهميةٍ؛ لأنَّ الملائكةَ مِن جنسٍ آخرَ، وعباداتِهم مِن جنسٍ آخرَ، والتكاليفَ التي أمرَهم اللهُ بها مِن جنسٍ آخرَ، فلا حاجةَ للمقارنةِ، وكونُ اللهِ ﷻ يأمرُ الملائكةَ أنْ يَسْجُدوا لأبينا آدمَ، لا يَدُلُّ على فضلِنا عليهم، وكونُهم مُسَخَّرين لنا يكْتُبُون أعمالَنا، ويَحْفَظُون أرواحَنا، لا يدلُّ أيضًا على أنَّنا أفضلُ منهم، وكونُهم يَدْخُلُون علينا في الجنةِ مِن كلِّ بابٍ، نسألُ اللهَ تعالَى أنْ يجعلَنا مِنهم، يَقُولُون: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡ﴾، لا يدلُّ على أنَّنا أفضلُ منهم؛ لأنَّه يَأْتِينا خصلةٌ واحدةٌ مِن خصالِهم رُبَّمَا تقْضِ على كلِّ هذا، وهو أنَّهم ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠﴾ [الأنبياء:١٩-٢٠]. فأين نحن مِن هذا؟!

لكنَّ الذين قالُوا: البشرُ أفضلُ. قالُوا: إنَّ البشرَ رُكِّبَ فيهم شهوةٌ، فاتِّباعُهم للحقِّ يكونُ صعبًا، ومعاناةُ الشيءِ مع الصعوبةِ أفضلُ مِن معاناتِه مع السهولةِ؛ لأنَّ الملائكةَ أُلْهِموا التسبيحَ وصار عليهم سهلًا، وصارَ أمتثالُهم ليسَ له معارضٌ، وليسَ له موانعُ، لكنَّ البشرُ ابْتُلُوا، وصار هناك موانعُ مِن تحقيقِ العبادةِ أو الاستمرارِ فيها فصارت معاناتُهم للعبادةِ تقابلُ استمرارَ الملائكةِ؛ لأنَّ العبادةَ

مع المشقةِ تكونُ أفضلَ مِن العبادةِ بدونِ مشقةٍ؛ لقولِ النبيِّ ﷺ لعائشةَ: «**أَجْرك على قَدْرِ نَصَبِك**»[(١)].

وأنا أقولُ: لو سَلَكَ سالكٌ، مسلكَ شيخِ الإسلامِ ابن تيميةَ وقالَ: إنَّ الملائكةَ أفضلُ باعتبارِ البدايةِ، والبشرَ أفضلُ باعتبارِ النهايةِ[(٢)] أمَّا الأعمالُ التي كُلِّفوا بها فهؤلاءِ أطاعُوا وهؤلاء حَصل منهم عصيانٌ، فهذا شيءٌ آخرُ، لوسلَك سالكٌ هذا المسلكَ لكانَ مسلكًا جيدًا؛ لأنَّ الملائكةَ باعتبارِ البدايةِ خُلِقُوا مِن نورٍ، والنورُ أفضلُ مِن الطينِ، وباعتبارِ النهايةِ البُشْرَى والسعادةُ والفوزُ للبشرِ، حتَّى الملائكةُ يَدْخُلون على البشرِ مِن كلِّ بابٍ يَقُولُون: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [الرعد:٢٤]. فهم أفضلُ باعتبارِ النهايةِ؛ لأنَّ اللهَ أعدَّ لهم دارَ كرامتِه ودارَ رحمتِه، أما الأعمالُ التي كُلِّفُوا بها فلكلٍّ منهم ما يناسبُه واللهُ ﷻ حكيمٌ.

وليسَ مَعْنَى قولنا: كلَّما كانت العبادةُ أشقَّ، فهي أفضلُ. أنَّه يتعمد الإنسانُ المشقةَ في العبادةِ، لا، بلْ ربَّمَا ولو تَعَمَّد المشقةَ في العبادةِ لأَثِم؛ لأنَّ اللهَ يُحِبُّ أن تُؤْتَى رُخَصه، ويُرِيدُ بنا اليسرَ، ولمَا رَأَى النبيُّ ﷺ رجلًا واقفًا في الشمسِ وسأَل عنه، فقالوا: إنَّه نذَر أنْ يَقِفَ في الشمسِ، فأَمَرَه أنْ يَدَعَ الوقوفَ، وقال كلمةً مَعْنَاهَا: أنَّ اللهَ غَنِيٌّ عن تعذيبِ هذا لنفسِه[(٢)] فلو قالَ قائلٌ: أنَا أُرِيدُ أنْ يَشُقَّ عليَّ الوضوءُ، ففي الصيفِ أسخنُ الماءَ مِن أجلِ أن أتوضَأَ بماءٍ ساخنٍ، وفي الشتاءِ أُبَرِّدُ الماءَ مِن أجلِ أنْ أتوضَأَ بماءٍ باردٍ. نقولُ له: أخطأتَ، هذا خلافُ هَدْيِ النبيِّ ﷺ وخلافُ ما يريدُ اللهُ بنا مِن اليسرِ.

فإن قالَ: تسخينُ الماءِ في الشتاءِ، وتبريدُه في الصيفِ للوضوءِ، هل يمنعُ فضلَ الوضوءِ؟

الجواب: لا، بلْ هذا مِن حسنِ رعايةِ الإنسانِ لنفسِه، ورعايةُ الإنسانِ لنفسِه بدونِ إخلالٍ بالطاعاتِ، لا شكَّ أنَّه مطلوبٌ، إنَّ لنفسِك عليك حقًّا.

۞ قولُه: «وإنْ تَقَرَّبَ إليَّ بشبرٍ تقربتُ إليه ذِراعًا وإنْ تقرَّبَ إليَّ ذراعًا تَقَرَّبْتُ إليه بَاعًا، وإنْ أَتَانِي يَمْشِي أتيتُه هرولةً» في هذه الجملِ الثلاثِ بيانُ فضلِ اللهِ ﷻ، وأنَّه يُعطِي أكثرُ مما فُعِلَ مِن أجلِه؛ أيْ: يُعْطِي العاملَ أكثرَ ممَّا عمِلَ، وهذه هي القاعدةُ في ثوابِ اللهِ ﷻ أنَّه يُعْطِي أكثرَ، كما جاءَ في القرآنِ الكريمِ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾[البقرة:٢٦١]. فهذه الجملُ الثلاثُ تدلُّ على هذا المَعْنَى العظيمِ، وأنَّ عطاءَ اللهِ وثوابَه أكثرُ مِن عمل العبدِ، وكدحِه.

۞ يقولُ ﷻ: «**إنْ تقرَّب إليَّ بشبرٍ تقربتُ إليه ذراعًا**» الشِّبرُ مسافةُ ما بينَ طرفِ الخِنْصَرِ إلى طَرَفِ الإبهامِ عند مَدِّ اليد. والذراعُ مسافةُ ما بينَ طرفِ الأصبعِ الوُسْطَى إلى عَظْمِ المِرْفَقِ، وهذا هو

(١) أخرجه البخاري (١٧٨٧) ومسلم (١٢١١) بنحوه وينظر «فتح الباري» (٣/ ٦١١).

(٢) انظر: تمام البحث لشيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٤٣)

(٢) روى البخاري (٦٧٠١)، ومسلم (١٦٤٢) نحو هذا الحديث فيمن نذر أن يمشي إلى الكعبة، قال النبي ﷺ: «إن الله عن تعذيب هذا لنفسه لغني»

الذي كان يُقَدَّرُ به سابقًا الشِّبْرُ والذراعُ والباعُ وما أشبهَ ذلك.

❁ وقولُه: «وإنْ تَقَرَّبَ إليَّ بشبرٍ تقربتُ إليه ذراعًا» اختلَف العلماءُ في مَعْنَى هذه الجملةِ وما بعدَها فقِيلَ: إنَّ هذا على حقيقتِه، وأنَّ الإنسانَ إذا تقرَّب إلى اللهِ شِبْرًا تقرَّب إليه ذِرَاعًا. وعلى هذا فيكونُ هذا القولُ في العباداتِ التي تحتاجُ إلى مَشْيٍ كالسَّعْيِ إلى المساجدِ والسَّعْيِ إلى الحجِّ وما أشبهَ ذلك وتَخْرُجُ العباداتُ التي لا يكونُ بها مَشْيٌ ولكنَّها كالتي تحتاجُ إلى مَشْيٍ أيْ أنَّ اللهَ يُعْطِي العامِلَ أكثرَ ممَّا عَمِلَ.

وقيلَ: إنَّ هذا على سبيلِ المثالِ، وأنَّ الإنسانَ إذا تَقَرَّبَ إلى اللهِ بقلبِه تقرَّب اللهُ إليه على كيفيةٍ لا نعلمُها، نحن لأنفسنا نعلمُ كيفَ نتقربُ إلى اللهِ، لكنَّ تَقَرُّبَ اللهِ إلينا لا نعلمُه، فَالمَعْنَى: إذا تَقَرَّبَ الإنسانُ بقلبِه إلى اللهِ، فإنَّ اللهَ تعالَى يتقربُ إليه على كيفيةٍ لا تُعْلَمُ، وذلك أنَّ الإنسانَ يشعرُ بتقربِه إلى اللهِ بالقلبِ، أحيانًا يكونُ قلبُه ذاكرًا للهِ ﷻ، فيشعرُ بأنَّه قريبٌ مِن اللهِ ﷻ، وأحيانًا يكونُ غافلًا، فالمَعْنَى إذا تَقَرَّبَ الإنسانُ إلى ربِّه بالقلبِ، ومن المعلوم أنَّ العباداتِ تكونُ سببًا لتقرُّبِ القلبِ إلى اللهِ ﷻ، كما قالَ النبيُّ ﷺ: «أقربُ ما يكونُ العبدُ مِن ربِّه وهو ساجدٌ»[1] ولهذا تشعرُ وأنتَ ساجدٌ بأنَّك قريبٌ مِن اللهِ مع أنَّ اللهَ في السماءِ، فيكونُ الحديثُ على هذا القولِ مِن بابِ ضربِ المثلِ، وليسَ على الحقيقةِ، وهذا القولُ أحسنُ مِن الأولِ؛ لأنَّه يشملُ بدلالةِ المطابقةِ جميعَ العباداتِ، والأولُ يختصُّ بالعباداتِ ذات السَّعْيِ والمَشْيِ، وكذلك أيضًا يقالُ في قوله: «مَن تقرب إليَّ ذِرَاعًا تقربتُ إليه باعًا».

❁ أما قولُه: «وإنْ أَتَانِي يَمْشِي أتيتُه هرولةً» فهذا أيضًا اختلَف فيه العلماءُ، هل هو على حقيقتِه أوْ لا؟ فقيلَ: إنَّه على حقيقتِه ونحنُ إذا مَشَيْنَا نَعْرِفُ كيفَ نَمْشِي، أمَّا اللهُ ﷻ فإنَّنَا لا نعرفُ كيفيةَ مَشْيِه، ولا مانعَ مِن أنَّ اللهَ يَمْشِي مُقَابِلَ المُتَّجِهِ إليه فيقابلُه إذا أتَاهُ يَمْشِي يُقَابِلُه بهرولةٍ، ويقالُ: إنَّ الذي يَأْتِي سَيَأْتِي على صفةٍ ما ولابدَّ، فإذا كانَ اللهُ يَأْتِي حقيقةً، فإنَّه لابدَّ أنْ يَأْتِي على صفةٍ ما، الهرولةِ أو غيرها، فإذا قالَ عن نفسِه: «أتيتُه هرولةً» قُلْنَا: ما الذي يَمْنَعُ أنْ يكونَ إتيانُه هرولةً؟ إذا كُنَّا نؤمِنُ بأنَّه يأتي حقيقةً، ونحنُ نُؤْمِنُ بأنَّه يَأْتِي حقيقةً، فإذا كان يَأْتِي حقيقةً فلابدَّ أنْ يكونَ إتيانُه على صفةٍ مِن الصفاتِ فإذا أَخْبرنا بأنَّه يَأْتِي هرولةً، قُلْنَا: آمنَّا باللهِ، لكن كيفَ هذه الهرولةُ؟ لا يجوزُ أنْ نُكَيِّفَها ولا يمكنُ أن نتصورَها فهي فوق ما نتصورُ وفوقَ ما نتكلمُ به، ولكنَّ هذا قولٌ يخصُّ هذا الحكمَ بالعباداتِ التي يَأْتِي إليها الإنسانُ مشيًا، وَتَبْقَى العباداتُ الأُخْرَى التي يفعلُها الإنسانُ وهو قائمٌ في مكانِه غيرَ مذكورةٍ في هذا الحديثِ، لكنَّها بمَعْنَاها.

وعلى القولِ الثَّاني نقولُ: هذا من بابِ التمثيلِ، أي مَن أَسْرَع إلى رِضَاي وإلى عِبَادَتي أسرعتُ إلى

---

(١) تقدم تخريجه.

ثوابِه سرعةً أكثرَ مِن سرعةِ عملِه، وهذا القولُ يشملُ جميعَ العباداتِ؛ لأنَّ الإنسانَ يسرعُ إلى العبادةِ إسراعًا بالبدنِ وأحيانًا يُسْرِعُ بالقلبِ فقط وهو ثابتٌ في مكانِه.

فالمهمُّ: أنَّ للعلماءِ -علماءِ السلفِ- في هذه المسألةِ قَوْلَين: هل نَبْقِيها على ظاهرِها، وإنْ كانَ سَيَخْرُجُ عنَّا بَعْضُ العباداتِ إلَّا أنَّها تثبتُ بالقياسِ؟ أو نقولُ: إنَّ هذا كنايةٌ عن أنَّ فضلَ اللهِ ﷻ أكثرُ مِن عملِ العاملِ؟

وكأنَّ شيخَ الإسلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ يميلُ إلى هذا الرأيِ الآخرِ: أنَّه مِن بابِ ضربِ المثالِ، ويؤيدُ هذا بأنَّه ليسَتْ جميعُ العباداتِ تحتاجُ إلى سَعْيٍ ومَشْيٍ، وإبقاءً للحديثِ على عمومِه المعنويِّ في جميعِ العباداتِ، أَوْلَى من كونِنا نَخُصُّه في بعضِ العباداتِ التي لا تصلُ إلى عُشْرِ العباداتِ الأُخرى، يَعْنِي أنَّ العباداتِ التي تحتاجُ إلى مَشْيٍ قليلةٌ بالنسبةِ للعباداتِ الأُخْرَى، ومازالَ الناسُ يَضْرِبون المثلَ في هذا، يقولُ: أنا إذا رأيتُك تقبلُ عليَّ سوف أُعْطِيك الخطوةَ خُطْوَتين، أو: إذا أقبلتَ مَشْيًا أُقْبِلُ إليكَ مسرعًا: إذا مَشِيْتَ إليَّ بالأقدامِ أَمْشِي إليك بالجُفُونِ.

فهذا أسلوبٌ عربيٌّ معروفٌ، ولا زالَ إلى يومِنا هذا، وبهذا يزولُ الإشكالُ في الحديثِ.

إن حَمَلْناه على الحقيقةِ لم يَفُتْنا على هذا الحملِ إلا شيءٌ واحدٌ، وهو العباداتُ التي لا تحتاجُ إلى مَشْيٍ ولا إلى مسافةٍ، وإن حملناه على ضَرْبِ المَثَل عَمَّ جميع العبادات وهذا المَثَل معروف في أساليب اللغة العربية.

واعلمْ أن السلفَ ليسُوا يَحْمِلُون كلَّ شيءٍ على ظاهرِه، وإنْ دلَّ الدليلُ على خلافِ الظاهرِ، ولهذا لا يُنْكِرُ السلفُ كلَّ تأويلٍ، السلفُ ينكرون كلَّ تأويلٍ لا يدلُّ عليه دليلٌ، فإذا دلَّ عليه دليلٌ، قالُوا: إنَّ المرادَ ما دلَّ عليه هذا الدليلُ.

قال القسطلاني رَحِمَهُ اللَّهُ:

❁ قولُه: «إن تقرَّب إليَّ» بتشديدِ الياءِ، «بشبر» ولأبي زُرْعةَ عن الكشميهني «شِبرًا»، بإسقاطِ الخافض والنصبِ؛ أي: مقدارَ شبر، «تقربتُ إليه ذراعًا، وإن تَقَرَّبَ إليَّ ذِراعًا» بكسرِ الذالِ المعجمةِ، أي بقدرِ ذراعٍ، «تقربتُ إليه»، ولأبي زرع، عن الحمويِّ «منه باعًا»؛ أي بقدرِ باع وهو طول ذراعِ الإنسانِ وعَضُدَيه وعرضُ صدرِه، ولأبي زرعٍ عن الحمويِّ والمستملي، «ومن أتاني يمشِي أتيتُه هرولةً».

[الباعُ: الخطوةُ. وهو المعروفُ عندَنا الآنَ عند العامةِ، الباعُ الخطوةُ هو ما بينَ الخطوتين][1].

❁ قوله: «أتاني يَمْشِي أتيتُه هرولةً» إسراعًا، يَعْنِي: مَن تقرَّب إليَّ بطاعةٍ قليلةٍ جازيتُه بمثوبةٍ كثيرةٍ، وكلمَّا زادَ في الطاعةِ زِدْتُ في ثوابِه، وإنْ كانَ كيفيةُ إتيانِه بالطاعةِ على التأني، فإتْيَانِي بالثوابِ له

(١) ما بين المعكوفتين من كلام الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

على السرعةِ والتقربِ، والهرولةُ مجازٌ على سبيلِ المشاكلةِ أو الاستعارةِ أو قصد إرادةَ لازمِها وإلا فهذه الإطلاقاتُ وأشبهُها لا يجوزُ إطلاقُها على اللهِ تعالَى إلَّا على المجازِ، واستحالتُها عليه تعالَى وفي الحديثِ جوازُ إطلاقِ النفسِ على الذاتِ. اهـ

كلُّ هذه وأشكالها لا تكونُ على الحقيقةِ، إنَّما تحْملُ على المجازِ.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٦- بابُ قولِ اللهِ تعالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾.

٧٤٠٦- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، قال: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بنُ زيدٍ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ». فَقَالَ ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ». قَالَ ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَذَا أَيْسَرُ».

❂ قوله: «بابُ قولِ اللهِ تعالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾». أي زائلٌ إلا وجهَ اللهِ، والمرادُ بالهالكِ قبولُه للهلاكِ وإنْ لم يَهْلِكْ، ولهذا مِن المخلوقاتِ ما لا يَهْلك ولا يَفْنَى كالجنةِ والنارِ، والروحِ وما شاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فالمرادُ بالهلاكِ هنا أنَّه: إمَّا هالكٌ حقيقةً أو قابلٌ للهلاكِ إلا وجه الله، واختلف المُفَسِّرون في قولِه: ﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾ فقِيلَ: إلَّا ما أُريدَ به وَجْهه، وعلى هذا فَمَعْنَى الآيةِ كلَّ شيءٍ يَقُومُ به الإنسانُ ويفعلُه فإنَّه لا فائدةَ مِنه إلَّا ما أرادَ به وجهَ اللهِ.

وهؤلاء أيَّدُوا قولَهم بقولِه تعالَى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۘ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨]. هذا هو الأمرُ بالإخلاصِ، فيكونُ المرادُ بقولِه: ﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾ أيْ: إلَّا ما أُرِيدَ به وَجْهُه؛ أي: إلَّا ما كان خالصًا. وهذا لاشكَّ أنَّ له وَجْهَه مِن حيثُ سياق الآيةِ، وقِيلَ: المرادُ كلُّ شيءٍ هالكٌ؛ أي: فانٍ وزائلٌ إلا وجهَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فعلى الأولِ يكونُ الهلاكُ معنويًّا، وعلى الثَّاني يكونُ الهلاكُ حِسِّيًّا، إلا وجهَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

والمرادُ بوجهه هنا: ذاتُه، بمَعْنَى أنَّه عبَّر بالوجهِ عن الذاتِ، وليسَ كمَا قالَ أهلُ الضَّلَالِ أنَّ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ يَفْنَى إلَّا وجهَه، أعوذ باللهِ فهذا منكرٌ مِن القولِ، واللهُ يُعَبِّرُ عن وَجْهه في مقامِ الثناءِ كما قالَ اللهُ تعالَى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧]. فهي بإزاءِ قولِه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨].

والتَّعْبِيرُ بالوجهِ عن الذاتِ لا يَعْنِي أنَّنا خَرَجْنا عن المَعْنَى المرادِ إذْ أنَّ التَّعْبِير بالوجهِ عن الذاتِ يدلُّ على أنَّ للهِ وجهًا، وهذا هو المطلوبُ، فاللهُ عَزَّ وَجَلَّ له وجهٌ موصوفٌ بالجلالِ والإكْرامِ؛ أي: بالعظمةِ والإحسانِ إلى الخلقِ، وإكْرام مَن يستحقُّ الإكْرَام، وهذا الوجهُ حقيقيٌّ لكنَّه غيرُ معلومِ الكيفيةِ؛ لأنَّ اللهَ أخبَرنا عن وجهِه ولم يُخْبِرْنَا عن كيفيةِ وجهِهِ، وكما أنَّه لا كيفية لذاته نعلمها، فكذلك لا نعلمُ كيفيةَ صفاتِه؛ لأنَّ الكلامَ في الصفاتِ فرعٌ عن الكلامِ في الذاتِ، ولهذا قال بعضُ العلماءِ: إذا

قال لك الجهميُّ: أنتَ أَثْبَتَّ للهِ وجهًا، فكيفَ وجهُه، وأثبتَّ للهِ يدًا فكيف يدُه؟ فقلْ له: أنتَ تثبتُ للهِ ذاتًا فكيِّفَ ذاتَه، فإذا قلتَ هذا فسوفَ ينقطعُ؛ لأنَّه لا يمكنُ أنْ يُكيِّفَ ذاتَه، فنقولُ له: إذا كنتَ لا تكيفُ ذاتَه فإنَّنا لا نكيِّفُ صفاتِه؛ لأنَّ الكلامَ في الصفاتِ فرعٌ عن الكلامِ في الذاتِ، وقال بعضُ العلماءِ على حديثِ النزولِ: إذا قالَ لكَ المعطِّلُ: إنَّ اللهَ ينزلُ إلى السماءِ الدُّنْيَا: كيفَ ينزلُ فقلْ له: إنَّ اللهَ أخْبَرَنا أنَّه ينزِلُ، ولم يُخْبِرْنا كيفَ ينزلُ.

وكلُّ هذه الجواباتِ مفحمةٌ واضحةٌ لا تحتاجُ إلى تكلفٍ، فالوجهُ للهِ حقيقةٌ، ثابتٌ موصوفٌ بالجلالِ والإكرامِ، لكنَّ كيفيته غيرُ معلومةٍ لنا؛ لأنَّه أعظمُ مِن أنْ تحيطَ به عقولُنا وأفهامُنا، وأهلُ السنةِ والجماعةِ على طريقتِهم وعلى جادَّتِهم يَقُولُون: إنَّه وجهٌ حقيقيٌّ يليقُ باللهِ ﷻ ولا تُعلم كيفيتُه. وهذا النوع من الصفات يُسمى: الصفات الخبرية؛ لأن إثباتَها بمجردِ الخبرِ، فالعقلُ لا يَهْتَدِي إليها، لكنَّ السمعَ والبصرَ صفاتٌ معنويةٌ يَهْتَدِي إليها العقلُ، فيعلمُ أنَّه لا يصحُّ أنْ يكونَ ربًّا إلَّا مَن كان سميعًا بصيرًا، ولهذا قالَ إبراهيمُ لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم:٤٢]. لكنَّ الوجهَ واليدَ وما أشبهَها لا يمكنُ أن يُثْبِتَها العقلُ فهي موقوفةٌ على السمعِ والخبرِ، ولهذا سَمُّوها صفاتٍ خبريةً، وضابطُها أنَّ مُسَمَّاها بالنسبةِ إلينا أبعاضٌ وأجزاءٌ وليست معاني كالوجهِ واليدِ، والعينِ، والساقِ، والقدمِ، والإصبعِ، كلُّ هذه نُسَمِّها صفاتٍ خبريةً.

أهلُ التحريفِ الذين يُسَمُّون أنفسَهم أهلَ التَّأويلِ يَقُولُون: إنَّ اللهَ ليسَ له وجهٌ؛ لأنَّ إثباتَ وجهٍ حقيقيٍّ يستلزمُ التجسيمَ، والمُجَسِّمَةُ كفارٌ، والتجسيمُ كفرٌ عندَهم.

فلا نقولُ: إنَّ للهِ وجهًا حقيقيًّا، إذن ما المرادُ بالوجهِ عندهم؟ قالوا: المرادُ بالوجهِ الجهةُ، أو المرادُ بالوجهِ: الثوابُ، وليسَ المرادُ الوجهَ الحقيقيَّ.

فيقالُ: إنَّ هذا تحريفٌ، وأيُّ مَعْنى للجهةِ في قولِه تعالَى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾؟

فلو صحَّ إثباتُ الوجهِ بمَعْنَى الجهةِ لم يستقم في مثلِ قولِه تعالَى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ قالوا: إذن نقولُ: المرادُ الثوابُ، يَعْنِي في مثلِ قولِه تعالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥]. قلنا: لو صحَّ إثباتُ الوجهِ، بمعنى: الثواب؛ لأنَّ ثوابَه لا يَهْلِكُ، فالجنةُ مؤبدةٌ أبدَ الآبدين. ولكنَّ كلَّ هذا انحرافٌ عن الصِّراطِ المستقيم سببُه الرجوعُ إلى العقلِ، ولو أنَّ الإنسانَ تَأَدَّبَ مع ربِّه ومع نَبِيِّه، ولم يُحَكِّمْ عقلَه فيما جاءَ عن اللهِ ورسولِه لسَلِمَ مِن هذه المشاكلِ، فما الذي يَضِيرُه إذا قالَ: للهِ وجهٌ حقيقيٌّ، لكنَّه لا يشبهُ الأوجهَ، ولا يماثلُ أوجهَ المخلُوقِين، ولا نعلمُ كيفيتَه أيُّ شيءٍ يضيرُه.

فالصوابُ: المقطوعُ به المتعيِّنُ عقيدةً أنْ نثبتَ للهِ وجهًا حقيقيًّا موصوفًا بالجلالِ والإكْرامِ ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ ولكنَّنا لا نكيِّفُه ولا نُمَثِّلُه بخلقِه.

ثم ساقَ المؤلفُ حديثًا فيه ذكرُ الوجهِ، وهو قولُ الرسولِ ﷺ: **«أَعُوذُ بوَجْهِك»**. قالَها عندَ قولِه

تعالَى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام:٦٥]. مِن فوقِكم؛ يَعْنِي حاصلًا من السماءِ، كالصواعقِ وغيرِها مما يُهْلِكُ الناسَ، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ الخسفُ والزلزالُ، قالَ النبيُّ ﷺ: «أَعُوذُ بوجهِكَ» ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قالَ النبيُّ ﷺ: «هذِهِ أَيْسَرَ» أو قال: «أَهْوَنُ» أي بالنسبةِ لغيرِها؛ لأنَّ الأولَ لا يمكنُ مدافعتُه، والثاني لا يمكنُ مدافعتُه، والثالثُ يُمْكِنُ أن يُدافَعَ بالإِصْلَاحِ بينَ الناسِ.

ويُمْكِنُنا أنْ نقولَ: كلَّمَا جاءَ وجهُ اللهِ في القرآنِ فهو الوجهُ الحقيقيُّ. لكن اختلَف العلماءُ في قولِه تعالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥]. فقِيلَ: المرادُ بالوجهِ هنا الجهةُ، يَعْنِي: أيُّ شيءٍ تُوَلُّونه في صلاتِكم فهي جهةٌ صحيحةٌ.

ولكنَّ الراجحَ في قولِه تعالَى: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾. أنَّه الوجهُ الحقيقيُّ ويُؤَيِّدُ هذا قولُ النبيِّ ﷺ في المصلِّي: أنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ[1]، فهذا يدلُّ على أنَّ الإنسانَ إذا اتَّجَه في الصلاةِ، فإنَّمَا يتجهُ إلى وجهِ اللهِ.

ماذا نقولُ في قولِه تعالَى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان:٩]. هل المرادُ به الوجهُ الحقيقيُّ؟

الجوابُ: نعم المرادُ به الوجهُ الحقيقيُّ، وهذا كما لو قالُوا: إنَّمَا نُطْعِمُكم للهِ. لكن عَبَّروا بالوجهِ عن الذاتِ مثلَ ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ فالقاعدةُ كلما جاءتْ صفةُ وجهٍ مضافةً إلى اللهِ تعالَى في القرآنِ فهي الوجهُ الحقيقيُّ إلَّا هذه الآية ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ ففيها قولانِ للسلفِ.

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٧- بابُ قولِ اللهِ تعالَى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ۝٣٩﴾ [طه:٣٩] تُغَذَّى. وقولُه -جَلَّ ذِكْرُه- ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:١٤].

٧٤٠٧- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قال: حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: ذُكِرَ الدَّجَّالُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ -وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ- وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»[2].

٧٤٠٨- حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، أَخْبَرَنَا قَتَادَةُ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَ قَوْمَهُ الأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ»[3].

---

(١) رواه البخاري (٤٠٥)، ومسلم (٥٤٧).

(٢) رواه مسلم (١٦٩)، (١٧١).

(٣) رواه مسلم (٢٩٣٣).

هذا البابُ ذكَر المؤلفُ رَحِمَهُ اللهُ فيه صفةَ العين، والعين مِن الصفاتِ الخبريةِ، فـذكَر رَحِمَهُ اللهُ آيتـينِ مِن كتاب اللهِ.

الآيةُ الأولى: قولُه تعالَى لموسى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ واللامُ هذه للتعليل وتصنعُ بمَعْنَـى تُرَبَّـى وتُغَذَّى، والتغذيةُ صناعةٌ، والتربيةُ أيضًا صناعةٌ، فالتغذيةُ صناعةٌ للبدن، والتربيةُ صناعةٌ للعمل، فإنَّ الإنسانَ يُرَبَّى على الأخلاقِ، فيقال: صُنع عليها، ويُغَذَّى فيزدادُ نموُّه وينشط فيكونُ مصنوعًا بالغذاءِ.

والبخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ قال: «تُغذَّى» فذكر أحَد نَوْعيِ الصناعةِ، وهي التغذيةُ، والتربيةُ صناعةٌ؛ لأنَّـك تُكيِّفُ ولدَك مثلًا على الصفةِ التي تريدُها مِن التربيةِ، فيكونُ هذا صناعةً.

۞ وقولُه تعالَى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ أيْ: على مَرْأَى مِنِّي فأراكَ بعَيْنِي، وليسَ المَعْنَى أنَّه يُـصْنَعُ على عينِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حيثُ يكونُ عليها نَفْسِها، ولا يمكنُ أنْ يكونَ هذا المرادُ، وليسَ هـو غايـةَ اللفـظِ، ولكنَّ المَعْنَى على مَرْأَى مِنِّي بالعينِ؛ يَعْني أَرَاكَ بعَيْنِي ولهذا فَسَّر العلـماءُ - علـماءُ الـسلفِ- الآيـةَ بقولِهم: على مَرْأَى مِنِّي، كما فَسَّرُوا قولَه تعالَى: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:١٤]. أيْ: بمَرْأَى مِنِّـي ومـرادُهم بذلك أنَّه يُصْنَعُ على عينِ اللهِ؛ أيْ: بِمَرْأَى مِن اللهِ بعينِه.

ففيه: إثباتُ العينِ، والعينُ كما تَرَوْن في الآيةِ مُفْرَدةٌ «عَيْنِي». فهل المرادُ عينٌ واحـدةٌ، أو المـرادُ ما ثَبَت للهِ مِن عينٍ؟، المرادُ الثَّاني؛ لأنَّ المفرَدَ إذا أُضِيفَ يتناولُ كلَّ ما يحتَمِلُه المَعْنَى مِن العمـومِ، أو كلَّ ما تَحتَمِلُه الإضافةُ مِن العمومِ، فهو يشملُ ما للهِ مِن العينِ.

۞ وقولُه -جَلَّ ذِكْرُه-: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ فكلمةُ ﴿تَجْرِى﴾ الضميرُ فيها يعودُ على السفينةِ؛ سـفينةِ نوحٍ ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [القمر:١٣-١٤]. أي: تَجْرِي بمَـرْأَى مِنَّا، فنحنُ نَكْلَؤُها ونحفظُها ونراقبُها بأعيننا أيمدننا لا شكَّ أنَّ هذه مراقبةٌ بالعينِ، هي مراقبةٌ خاصةٌ، فاللهُ عَزَّ وَجَلَّ ينظرُ إلى كلِّ شيءٍ ويبصرُ كلَّ شيءٍ، لكن هـذا نظـرٌ خـاصٌ لهـذه الـسفينةِ وعنايـةٌ ورعايـةٌ تختصُّ بها.

ومِن المعلوم أنَّه لا يمكنُ أنْ يكونَ المرادُ بقولِـه: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ أنَّهـا في نفـسِ أعـينِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، هـذا مستحيلٌ فلا يَحْتَجُّ بذلك علينا أهلُ التحريفِ يقولُون أنتم تُنْكِرون علينا المشي على خلافِ الظـاهرِ، وأنتم تَمْشُون في هذه الآيةِ على خلافِ الظاهرِ. نقولُ لهم: ما مَشَيْنَا على خلافِ الظاهرِ، بل مَشَيْنَا على وَفْقِ الظاهرِ، أين كانت السفينةُ، في السماءِ أو في الأرضِ؟

الجواب: في الأرضِ، وكانت على الماءِ الذي أنْزَلَه اللهُ مِن السماءِ، وأنْبَعَه مِن الأرضِ، فكيفَ يمكنُ أن نقـولَ: إن ظاهرَ قولِه ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ أيْ: في نفسِ عينِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وحاشَا وكلَّا واللهُ تعالَى في السماءِ وهـذه في الأرضِ، لكـنَّ هذه العبارةَ معروفةٌ عندَ العربِ إذا قال: امْشِ بعَيْنِي. المَعْنَى أنِّي أكْلَؤُك بعَيْنِي وأَحْمِيك بعَيْنِي وأرقبُك بعَيْنِي، هذا المَعْنَى، أو نقولُ لشخصٍ: يا فُلانُ، هاتِ لي كذا وكذا. فيقولُ: على عَيْنِي، المَعْنَى أنِّي أحفظُ لك مـا آتِـي لـك بـه بعَيْنِي.

❁ فقولُه: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ أيْ: بمَرْأى مِنَّا بالعينِ، وليسَ هذا مِن بابِ التحريفِ، بل هذا مِن بابِ تفسيرِ الكلامِ بما يُقطَعُ أنَّهُ مرادُ اللهِ ﷻ.

❁ وهنا قال: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ وفي الآيةِ التي قبلُ قال: ﴿عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾. بالإفرادِ، فهل بينهما تعارضٌ؟

الجوابُ: لا، ليسَ بينهما تعارضٌ، وهنَا يجبُ أنْ نعلمَ أنَّ ما جاءَ في كتابِ اللهِ أو في صحيحِ السنةِ لا يمكنُ أن يناقضَ بعضُه بعضًا، ولا صحيحُ السنةِ يناقضُ بعضُه بعضًا، ولا القرآنُ مع صحيحِ السنةِ يناقضُ بعضُه بعضًا، لا يمكنُ؛ لأنَّ كلًّا مِن عندِ اللهِ، ولا يمكنُ أنْ يكونَ فيه اختلافٌ، ولكنْ قد يقصُرُ الفهمُ عن المَعْنَى المرادِ فيظُنُّون في ذلك تناقضًا، ويَشْتَبِهُ عليهم الأمرُ، ولكن مَن أعطاه اللهُ تعالَى فهمًا عرَف كيفَ يتخلصُ ممَّا ظاهرُه التعارضُ، وأنا أدلُّكم على شيءٍ يُعِينُكم على هذا، ألَّا تَنظُروا للآياتِ أو النصوصِ التي ظاهرُها التعارضُ لا تَنظُروا إليها على سبيلِ أنَّها متعارضةٌ، وانظُروا إليها على سبيلِ أنَّها متآلفةٌ، ثم حاولُوا أنْ تَصِلُوا إلى كيفيةِ هذا التآلفِ، أمَّا أنْ تَنظرَ إليها على أنَّها متعارضةٌ فإنَّكَ قد تُحرَمُ الوصولَ إلى التأليفِ بينَها؛ لأنَّك سوفَ تُوردُ بعضَها على بعضٍ على وجهٍ متناقضٍ، وحينئذٍ تُحرَمُ الوصولَ إلى المرادِ، لكن انظُرْ إليها على أنَّها متآلفة، وحاول أنْ تعرفَ كيفَ التآلفُ، هذا هو الذي يجبُ أن تعتقدَه في النصوصِ التي ظاهرُها التعارضُ حتى تَهْتَدِيَ، أمَّا إذا نَظَرْتَ إليها النظرةَ التعارضِ؛ فاعلمْ أنَّه سوفَ ينغلقُ عنك البابُ ولا تعرفُ كيف توفقُ بينَها؛ لأنَّك إنما نظرتَ إليها على أنَّها متعارضةٌ متنافرةٌ، لكن كيفَ التآلفُ بين هاتين الآيتين، ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾، ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾؟.

الجوابُ أولًا: لا نقولُ هناك تعارضٌ بينهما أصلًا، بل نقولُ بينَها تآلفٌ؛ لأنَّ العينَ مفردةٌ مضافةٌ، فتشملُ كلَّ ما ثبتَ للهِ مِن عينٍ مهما كَثُرت، انظرْ إلى قولِ اللهِ تعالَى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل:١٨]. ﴿نِعْمَةَ﴾ مُفْرَد مضافٌ، والمراد بها: ما لا يُحصي مِن النعم وكذلك قولُه: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾ [المائدة:٧]. كذلك قولُه: ﴿عَيْنِيٓ﴾، نقولُ: يَشملُ كلَّ ما ثبت للهِ مِن عين، بقي القولُ في الجمعِ هل نقولُ بظاهرِ الجمعِ أوْ لا؟

الجوابُ: ذهبَ بعضُ العلماءِ إلى أنَّنا نقولُ بظاهرِ الجمعِ، ونقولُ: للهِ أعينٌ كثيرةٌ، لكنَّها غيرُ محصورةٍ؛ لأنَّ ﴿عَيْنِيٓ﴾ جمعٌ، و«عينٌ» مفردٌ مضافٌ، فيشملُ كلَّ ما ثبت ولو كان آلافَ الآلافِ، وحينئذٍ نقولُ: للهِ أعينٌ كثيرةٌ غيرُ محصورةٍ ولا معلومةِ العددِ. وحجةُ هؤلاءِ أنَّهم يقُولُون: لم يأتِ في القرآنِ ولا في السنةِ تقييدُ العينِ بالتثنيةِ، كما جاءَ في اليدِ، فاليدُ جاءَتْ بالتثنيةِ كقولِه: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، و﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]. لكنَّ العينَ ما جاءَتْ هكذا، وإن كانَ فيها حديثٌ فيه مقالٌ «**إذا قام أحدكم يصلي فإنه بين عيني الرحمن**»، ولكن هذا الحديث فيه مقالٌ، وهو ضعيفٌ فظنُّوا أنَّ للهِ أعْيُنًا كثيرةً.

ولكنَّ البخاريَّ رَحِمَهُ اللَّهُ لدقةِ فهمِه ساقَ حديثَ الدَّجَّالِ ليبينَ أنَّ المرادَ بالأعينِ عينانِ اثنتانِ فقط

لا تزيدُ، وهو ما قال عن الدجال: ذُكِرَ الدَّجَّالُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ، إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ -وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ- وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ» وأشارَ بيدِه إلى عينِه، المشيرُ هو الرسولُ ﷺ وبهذا يسقطُ ويبطلُ قولُ مَن قال: إنَّ المرادَ بالعَورِ هنا العيبُ؛ لأنَّ بعضَ المُحرِّفين الذين أَصَرُّوا على أنْ تكونَ أعينُ اللهِ كثيرةً، قالُوا: المرادُ بالعَورِ العيبُ، والمَعْنَى أَنَّ الدجالَ أعورُ؛ أيْ: معيبٌ وليسَ المرادُ عورَ العينِ، ولكنَّنا نَدْمَغُهُم دمغًا يَزْهَقُ به الباطلُ، حين أشارَ النبيُّ ﷺ إلى عينِه، والرسولُ أعلمُ مِنَّا باللهِ، أشارَ بيدِه إلى عينِه، وقال: «وإنَّ المسيحَ الدجالَ أعورُ العينِ» وهذا أيضًا يمنعُ منعًا باتًّا أنْ يكونَ المرادُ بالعورِ العينَ.

قال: «أَعْورُ العينِ» وخصَّ اليُمْنَى وَمثَّلَها فقالَ: «كأنَّ عينه عنبةٌ طافئةٌ أو طافيةٌ» روايتان. إذا كانَ كذلك عُلِم أنَّ اللهَ ليسَ له إلا عينانِ اثنتانِ.

ووجهُ الدلالةِ: أنَّه لو زادَتْ على اثنتينِ، لكانَ الزائدُ كمالًا، ولكانَ هذا الكمالُ يحصلُ به الفرقُ بينَ عَيْنَي الدجالِ لأنَّه ليسَ له إلا اثنتانِ، وبينَ الأعينِ الزائدةِ على اثنتينِ إذا أَثْبَتْنا ذلك للهِ ﷻ، ومِن المستحيلِ أنْ يدعَ النبيُّ ﷺ العلامةَ التي فيها الكمالُ إلى علامةِ انتفاءِ العيبِ؛ لأنَّه يكونُ في ذلك إخفاءُ كمالِ اللهِ ﷻ. بعدم ذكر ما زادَ على اثنتينِ، فلو كانَ الأعين أكثرَ مِن ثنتينِ لكانَ الزائدُ كمالًا يحصلُ به الفرقُ بينَ الدجالِ والربِّ ﷻ، فلمَّا لمْ يذكرْ ذلك الذي هو الكمالُ، وإنَّما ذكرَ نفْيَ العيبِ، وهو أنَّ اللَّه ليسَ بأعورَ، عُلِم أنَّ اللهَ ﷻ ليسَ له إلا عينانِ اثنتانِ فقط، وهذا هو ما ذكَره الأشعريُّ وغيرُه ممن يَذْكُرون عقيدَةَ أهلِ السنةِ والجماعةِ، يقولُون: إنَّ للهِ عَينين اثْنَتَيْنِ. وهذا هو المتَّعينُ على المؤمنِ أن يعتقدَه في ربِّه ﷻ أنَّ له ﷻ عَيْنَينِ اثْنَينِ.

فإنْ قالَ قائلٌ: في هذا الحديثِ إشكالٌ عظيمٌ، وهو كيفَ أنَّ الرسولَ ﷺ جعَل العلامةَ الفارقةَ في العينِ معَ أنَّ الفرقَ بينَ الخالقِ والمخلوقِ عقليٌّ لا حسيٌّ، يَعْنِي: ليسَ الفرقُ مجرَّد أنَّ هذا أعورُ، والربَّ ﷻ ليسَ بأعورَ بل هناك فروقٌ كثيرةٌ فلماذا؟

قُلْنَا: إنَّ الرسولَ ﷺ ذكَر هذه العلامةَ الحسيةَ؛ لأنَّ المسألةَ ما هي هينةً؛ لأنَّه إذا جاءَ الدجالُ اندهَشَ الرِّجالُ وضاعتِ العقولُ، فالعلامةُ الحسيةُ أسرعُ إلى الإدراكِ مِن العلامةِ العقليةِ؛ لأن العلامةَ العقليةَ تحتاجُ إلى مقدماتٍ ورُبَّمَا يَغْفَلُ عنها في تلك اللحظةِ، أمَّا العلامةُ الحسيةُ فواضحةٌ، وهي كالعلامةِ الأُخْرى التي سَتَأْتِي -إن شاءَ اللهُ- في الحديثِ الذي بعدَه، وهي أنَّه مكتوبٌ بين عَيْنَيْهِ كافرٌ فهذا أيضًا علامةٌ حسيَّةٌ، والنبيُّ ﷺ -أفصح الخلقِ، وأنصحُهم ذكَر العلامةَ التي لا تحتاجُ إلى مقدماتٍ، ولا تحتاجُ إلى إعمالِ الفكرِ بمجرد ما يَرى الرجلُ هذا الخبيثَ الدجالَ يعرِفُ أنَّه ليسَ بربٍّ فهذا هو وجهُ كونِ الرسولِ ﷺ ذكَر هذه العلامةَ الحسيةَ دونَ أنْ يكونَ هناك علاماتٌ عقليةٌ، وإلَّا مِن المعلوم ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل:١٧]. على أن هذا الدجالَ يُوهِمُ الناسَ أنَّه يخلقُ، فيأمرُ السماءَ فتمطرُ، والأرضَ فتنبتُ، ويقتلُ الرجلَ ويُحْييه، فيحصلُ في هذا لبسٌ، لكن -وللهِ الحمدُ- هذه العلامةُ حسيَّةٌ لا تحتاجُ إلى تأملٍ ولا تفكيرٍ.

وفي حديثِ أنسٍ: دليلٌ على عِظَمِ فتنةِ الدجالِ؛ لأنَّ النبي ﷺ أخبرَ أنَّه ما مِن نبيٍّ إلَّا أنْذَرَ قَوْمَه الأعْورَ الكذابَ، كلُّ الأنبياءِ مِن نوحٍ إلى محمدٍ، يُنْذِرون أقوامَهم الأعورَ الكذابَ.

وقد يقالُ: الأعورُ الكذابُ مِن علامَاتِ الساعةِ، فكيفَ يُنْذِرُ به أولُ الرسلِ، والساعةُ لم تأتِ بعدُ؟

والجوابُ أنَّ هذا له أوجهٌ:

الوجه الأولُ: أنْ يقالَ: أنذَرَتْ به الرسلُ لعِظَمِ خطرِه، فيُنَوَّه عنه حتَّى في الصحفِ الأُولَى وحتَّى في الرسالاتِ الأُولَى، كما قالَ تعالَى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ۝٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝٣٨ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩﴾ [النجم:٣٦-٣٩]. وقال: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝١٦ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾ [الأعلى:١٦-١٩]. فلِعِظَمِ خطرِ هذا الرجلِ أنذَرَتْ به الرسلُ، وإنْ كانَ لن يخرجَ إلَّا في آخرِ الزمانِ.

الوجه الثاني: أنَّه يحتملُ أنَّ الرسلَ لم يَبْلُغْهم أنَّه سيخرجُ في آخرِ الزمانِ، وإنَّما بلَغهم أنَّه سيخرجُ رجلٌ له فتنةٌ عظيمةٌ ولم يوحَ إليهم أنَّه سيخرجُ في آخرِ الزمانِ.

الوجهُ الثالثُ: لكنَّه ضعيفٌ، أنَّ المرادَ ما يُشَابِهُ فِتْنَتَه مِن دعاةِ الضلالِ، لكنَّ هذا الوجهَ يمنعه قولُه: «إلَّا أنذَر قومَه الأعورَ الكذابَ» فإنَّ هذا يدلُّ على تَعْيينِ هذا الدجالِ وأنَّه هو الذي أنْذَرَ به الرُّسلُ أقوامَهم.

وعلى كلِّ حالٍ: فإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أَنْذَرنا بهذا الأعورِ الدجالِ إنذارًا لم يُنْذِرْه أحدٌ مِن الأنبياءِ قبْلَه، وفصَّله تفصيلًا تامًّا.

والدجالُ قد كُتِبَ بينَ عينيهِ كافرٌ، وجاءَتْ بعضُ الرواياتِ بتفريقِ حروفِ كافرٍ، يَعْنِي مكتوبًا (ك، ف، ر) وفي بعضِ الرواياتِ كافرٌ، فيحتملُ هذا أو هذا، ولكن مَن يقرأُ هذه الكلمةَ؟ يقرؤُها المؤمِنُ سواءٌ كان كاتبًا أو غيرَ كاتبٍ ولا يستطيعُ الكافرُ أو المنافق أنْ يقرأَها ولو كانَ مِن أعلمِ الناسِ بالكتابةِ ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ [يس:٩]. والمؤمِنُ يقرؤُها ولو كان أميًّا، وهذا من آياتِ اللهِ ﷻ، وهي من العلاماتِ الحسيةِ.

يبقى السؤالُ كيفَ نجمعُ بينَ التثنيةِ وبينَ الجمعِ؟

الجواب على ذلك: أنْ يقالَ: إن قُلْنا: أقلُّ الجمعِ اثنان، فليسَ هناك تعارضٌ، وإنْ قُلْنا: أقلُّ الجمعِ ثلاثٌ: فالجمعُ هنا إنَّمَا هو للتعظيمِ والتناسبِ بينَ المضافِ والمضافِ إليه؛ لأنَّ الجمعَ يُراد به التعظيمُ، مثلُ قولِه تعالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر:٩]. و ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ [يس:١٢]. وما أشبهَ ذلك، والتناسبُ هنا هو: التناسبُ بينَ المضافِ والمضافِ إليه، يَعْنِي أن المضافَ إليه ضميرُ جمعٍ، فكان التناسبُ بينَ المضافِ والمضافِ إليه، أو مراعاةُ التناسبِ بينَ المضافِ والمضافِ إليه أَوْلَى.

وقد سبق هذا في ذِكر اليد أمَّا شُبْهَةُ الذين يُنْكِرون العينَ واليدَ والرجلَ والوجهَ وما أشبهَ ذلك؛

فإنَّهم يَدَّعون بعقولهم أنَّ إثباتَ هذا يستلزمُ التجسيم، وأنَّ اللهَ جسمٌ؛ لأنَّنا لا نعقِلُ شيئًا له وجهٌ ويدٌ وما أشبهَ ذلك إلا جسمًا.

ونحنُ نقولُ لهم في الجوابِ على ذلك: ومَن قال لكم: إنَّ الجسمَ منتفٍ عنِ اللهِ، مَن قالَ هذا؟ هل عندَكم دليلٌ على أنَّه منتفٍ فإنْ كانَ يلزمُ مِن إثباتِ هذه الصفاتِ أنْ يكونَ اللهُ جسمًا فهو حقٌّ، ولكنَّه لا يشبهُ الأجسامَ، وإنْ كانَ لا يلزمُ، فإنَّ إلزامَكم إيَّانا بما لا يلزمُ هو عينُ الجورِ والظلمِ.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٨- بابُ قولِ اللهِ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر:٢٤].

٧٤٠٩- حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، حَدَّثَنَا مُوسَى، -هُوَ ابْنُ عُقْبَةَ- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ، عَنِ ابْنِ مُحَيْرِيزٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ أَنَّهُمْ أَصَابُوا سَبَايَا فَأَرَادُوا أَنْ يَسْتَمْتِعُوا بِهِنَّ وَلَا يَحْمِلْنَ فَسَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْعَزْلِ فَقَالَ: «مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَفْعَلُوا، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ مَنْ هُوَ خَالِقٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[1].

وَقَالَ مُجَاهِدٌ عَنْ قَزَعَةَ، سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ رضي الله عنه فَقَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْسَتْ نَفْسٌ مَخْلُوقَةٌ إِلَّا اللَّهُ خَالِقُهَا»[2].

۞ قوله بابُ قولِ اللهِ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ هذه ثلاثةُ أسماءٍ في ضمن أسماءٍ متعددةٍ، ذكَرها اللهُ تعالَى في آخرِ سورة الحشرِ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر:٢٢-٢٤].

و﴿ٱلْخَٰلِقُ﴾: الخالق من أسماءِ اللهِ، وورد الخلَّاقُ، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر:٨٦].

والخالق: هو المُوجِدُ للشيءِ على وجهٍ مُقدَّرٍ محكمٍ، ولهذا جاء في اللغةِ العربيةِ الخلقُ بمَعْنَى التقديرِ، كما في قولِ الشاعرِ:

---

(١) رواه مسلم (١٤٢٨).

(٢) رواه البخاري معلقًا بصيغة الجزم كما في «الفتح» (١٣/ ٣٩١)، وأسنده مسلم في صحيحه (٣/ ١٠٦٣)، كتاب النكاح، باب: حكم العزل (٢٢)، وأبو داود (٢١٧٠)، والترمذي (١١٣٨).



ولأنـتَ تَفْـرِي مـا خلقْـتَ وبعضُ النـاسِ يخلـقُ ثـم لا يفْـرِي [(١)]

تَفْرِي ما خلقْتَ يَعْنِي: تَفْعَلُ ما قَدَّرْتَ، فالخلقُ هو الإيجادُ بتقديرٍ، والله ﷻ يخلقُ الشيءَ بتقديرٍ مُحكمٍ بالغٍ على حسبِ ما تَقْتَضِيه الحكمةُ.

﴿ٱلۡبَارِئُ﴾ بمَعْنَى: المُنْشِئ وهو قريبٌ مِن مَعْنَى الخالقِ، لكن لابدَّ أن يكونَ بينهما فرقٌ؛ لأنَّ الله ﷻ لا يذكرُ كَلِمتين إلا وبينَهما فرقٌ، وهذا هو الأصلَ في الكلامِ، أن يُحْمَلَ على التأسيسِ لا على التوكيدِ، ومَعْنَى على التأسيسِ أي: أنَّ كلَّ لفظةٍ فيه لها مَعْنًى مستقلٌّ لا على التوكيدِ؛ لأنَّك إذا قُلْتَ: هو للتوكيدِ صارَتْ اللفظةُ الثانيةُ بمَعْنَى اللفظةِ الأُولَى، ولهذا قالَ العلماءُ: إذا دارَ الكلامُ بينَ التأسيسِ والتوكيدِ فحَمْلُها على التأسيسِ متعيِّنٌ، فلابدَّ أنَّ بينَهما فرقًا لطيفًا.

وأمَّا ﴿ٱلۡمُصَوِّرُ﴾: فواضحٌ الفرقُ بينه وبينَ الخالقِ، يَعْنِي أنَّه يخلقُ ما يشاءُ على صورةٍ معينةٍ يختارُها ﷻ، قال الله تعالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦﴾ [آل عمران:٦]. ولهذا كانَتْ هذه الأشياءُ الثلاثةُ مِن خصائصِ الربِّ ﷻ فالخالقُ مِن خصائصِ اللهِ، لا أحدَ يخلقُ، قالَ اللهُ تعالَى: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧﴾ [النحل:١٧]. وسبق لنا الجوابُ عما يقالُ: فلان خلَق كذا. أيْ صَنَعه، بأن هذا الخلقَ الذي يحصلُ مِن الآدميِّ، ليسَ هو الخلقَ الذي يكونُ للهِ؛ الخلقُ الذي يكونُ للهِ إيجادٌ مِن عدمٍ، والخلقُ الذي يكونُ للإنسانِ تكوينٌ وتغييرٌ لشيءٍ مخلوقٍ، لكن يصنعُه على كيفيةٍ معينةٍ.

ومع ذلك فإنَّ فعلَ العبدِ مخلوقٌ للهِ ﷻ فيعودُ فعلُ العبدِ خلقًا للهِ؛ لأنَّ فعلَ العبدِ صادرٌ مِن إرادتِه وقدرتِه وتصورِه، والله ﷻ هو الذي خلَق ذلك كلَّه، فيكونُ الخلقُ كلُّه للهِ سواءٌ ما خلقَه اللهُ ﷻ واستقلَّ به أو خلقَه الآدميُّ.

والبارئُ أيضًا، لا أحدَ يبرأ النسمةَ ويُحييها ويُنْشِئُها إلا الله ﷻ مهما كانَ عندَ الناسِ مِن قدرةٍ، فإنَّهم لنْ يَسْتَطِيعُوا أنْ يَبْرَءُوا النسمةَ، وقد تحدَّى الله ﷻ الخلقَ أنْ يَخْلُقوا ما هو مِن أصغرِ مخلوقاتِ اللهِ، وأهونِها، وهو الذبابُ، فقالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾ [الحج:٧٣]. أمرَنا الله ﷻ أنْ نستمِعَ وأن نُنْصِتَ لهذا المثلِ؛ لأنَّه مثلٌ عظيمٌ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ﴾. كُلُّ مَن عُبِدَ مِن دونِ اللهِ ومَن عُبِد مِن دونِ اللهِ فهو في نظرِ الخلقِ فوقَ رتبةِ الخلقِ، فإذا كانَ هذا للأعْلَى لو اجْتَمَعُوا لم يَخْلُقوا ذبابًا فمن دونَهم مِن العُبَّادِ الذين يَعْبُدُونهم مِن بابِ أَوْلَى لن يَخْلُقوا ذبابًا ولو اجْتَمَعُوا له، ثم أضافَ إلى ذلك، ﴿وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ﴾. يَعْنِي: لو أخَذ الذبابُ منهم شيئًا ما اسْتَطاعُوا أنْ يَسْتَنْقِذوه منه، كيف لذباب يأخذُ منهم شيئًا؟ صوَّرها بعضُ العلماءِ فقال: إنَّ هذه الأصنامَ يُجْعَلُ عليها أشياءٌ مِن الطينِ وغيره فيأتي

---

(١) انظر معنى البيت في «لسان العرب» مادة «خ ل ق».

الذبابُ فيقعُ على هذا الطينِ فيعلقُ بأرجلِ الذبابِ، ولا يستطيعُ هؤلاءِ أنْ يَسْتَنْقِذُوا ما يتعلقُ بالذبابِ.

إذًا: الخلقُ والبرء خاصٌّ باللهِ ﷻ. والمصورُ كذلك، والتصويرُ خاصٌّ باللهِ ﷻ، ولهذا أنكَر اللهُ ﷻ على مَنْ يُصَوِّرُ ويخلقُ كخلقِه فقال: «ومَن أظلمُ ممَّن ذهبَ يخلقُ كخَلْقِي»[1] مَنْ أظلمُ يَعْنِي: لا أحدَ أظلمُ؛ لأنَّه يُنَازِعُني في الربوبيةِ، والذي يصورُ كما يصورُ اللهُ ينازعُ اللهَ تعالى في الربوبيةِ، كأنَّما يقولُ بلسانِ حاله: أنا أقدرُ على أنْ أفعلَ كما فعَل، وأصورُ كما صَوَّر، ومن المعلوم أنَّ التصويرَ خاصٌّ باللهِ ﷻ، ولا يستطيعُ الخلقُ أن يُغيِّروا صورةً صَوَّرَها اللهُ ﷻ إلى أحسنَ ولا إلى أسوأ أبدًا، وإنما يكونُ هناك قطعُ غيارٍ إذا احتاج بعضُ الصور إلى تكميلٍ لعيبٍ أو شبهِه يمكنُ، فالأنفُ إذا انقطَع مثلًا يمكنُ للبشرِ أنْ يُجمِّعَ مِن بقيةِ أجزاءِ البدنِ ما يصوِّرُ فيه هذا الأنفَ أو ما أشبهَ ذلك، لكنْ تصويرٌ كاملٌ لا يمكنُ أبدًا، لا يمكنُ لأحدٍ أنْ يغيِّر صورةً صوَّرَها اللهُ إلى حُسنٍ أو إلى قبحٍ، ربما إلى قبيحٍ، فقد يكونُ يَجْنى على هذا الرجلِ جنايةً تُغَيِّرُ ملامحَ وجههِ مثلًا، لكنْ على أنَّه تصويرٌ لا يمكنُ.

وهنا يَحْسُنُ أن نتكلمَ عن التصويرِ وحكمُه، التصويرُ المجسَّمُ إذا كان لحيوانٍ إنسيٍّ أو بهيمةٍ فإنَّه حرامٌ وأظنُّ ذلك متفقًا عليه، يَعْنِي لا يجوز للإنسانِ أن يصوِّرَ شيئًا شاخصًا على صورةِ إنسانٍ أو صورةِ بهيمةٍ وهذا بالاتفاقِ وسواءٌ صوَّره بيدِه أو صنَع آلةً تكونُ مجوفةً ومخططةً بحيثُ إذا وضَع فيها عجينًا أو شبهَه انطبَع حتَّى يكونَ صورةً، فإنَّ هذا كلَّه حرامٌ ولا يجوزُ.

أمَّا إذا كانَ التصويرُ بالتلوينِ يَعْنِي ليسَ جسمًا يُلْمَسُ، وإنَّمَا هو لونٌ فقد اخْتَلَف العلماءُ فيه قديمًا وحديثًا حتَّى وإنْ صوَّر باليدِ، فمن العلماءِ من أجازَ ذلك، وقالَ: إنَّ الحديثَ الذي روَاه البخاريُّ في تحريمِ التصويرِ قال فيه: «إِلَّا رَقْمًا فِي ثَوْبٍ»[2] والأصل أنَّ الاستثناءَ متصلٌ، فيكونُ قولُه: «إِلَّا رَقْمًا في ثوبٍ». مُسْتَثْنَى مِن الصورِ المحرمةِ، فيكونُ التصويرُ بالتلوينِ لا بأسَ به والكلام على التصوير باليد والآن وصلنا إلى التصوير بالآلة فيكون حلالًا وإلى هذا ذهب بعضُ أهلِ العلمِ مِن السلفِ والخلفِ.

وقالَ بعضُ العلماءِ: إنَّ التصويرَ المحرمَ هو التصويرُ الذي يُخَافُ منه التوصلُ إلى عبادةِ الصورةِ، وما لا يُخْشَى منه ذلك فليسَ به بأسٌ، واسْتَدَلُّوا لذلك بقصةِ الرجالِ الذين كانُوا صالِحين مِن قومِ نوحٍ لمَّا ماتُوا صُنِعَ لهم صورٌ ثم عُبِدوا[3]، لكنَّ الصحيحَ: أنَّ هذه ليست علةً لا شك، ولكنَّ العلةَ التي نصَّ عليها الحديثُ «ومَن أظلمُ ممَّن ذهَب يخلقُ كخَلْقِي» تدلُّ على أن مَن صوَّر سواءٌ لهذا

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٥٩٥٨)، ومسلم (٢١٠٦).

(٢) رواه البخاري (٤٩٢٠) هذا يوهم أنه مرفوع مع أنه موقوف -والله أعلم-.

الغرضِ أو لغيرِه، فإنَّ ذلك حرامٌ.

إذًا: ما كان له جسمٌ فهو حرامٌ، وما لم يكنْ له جسمٌ فمَحَلَّ خلافٍ بينَ العلماءِ ولكنَّ الجمهورَ على منعِه، وحملُوا قولَه: «إلا لا رَقْمًا في ثوبٍ» على أنَّه استثناءٌ منقطعٌ وأنَّ المرادَ بالرَّقْمِ في الثوبِ ما لم يكنْ صورةَ ذِي رُوحٍ، واستدلَّ هؤلاء الذين قالُوا بذلك، وهم الجمهورُ، بحديثِ عليِّ بنِ أَبِي طالبٍ رضي الله عنه حينَ بعَث أبا الهيَّاجِ الأسديِّ، وقالَ له: «ألا أبْعَثُك على ما بَعَثَنِي عليه رسولُ اللهِ ﷺ ألَّا تَدَعَ صورةً إلا طَمَسْتَها ولا قَبْرًا مُشْرِفًا إلَّا سَوَّيْتَه» قال: صورةً إلا طَمَسْتَها وفي لفظٍ: تِمْثَالًا إلا طَمَسْتَه، ولا قَبْرًا مُشْرِفًا إلَّا سَوَّيْتَه»[1]، ومعلومٌ أنَّ الطمسَ يكونُ للمُلوَّنِ في الغالبِ، وإنْ كانَ قد يكونُ في المجسمِ بحيثُ يوضعُ على الوجهِ مثلًا طينٌ أو شِبْهُه يَطْمِسُ معالِمَ الوجهِ، على كلِّ حالٍ هذا الدليلُ.

واستدلُّوا أيضًا بحديثِ النَّمْرُقةِ حينَ جاءَ النبيُّ ﷺ إلى بيتِه بيتِ عائشةَ، فإذا فيه نَمْرُقةٌ وفيها صورٌ فلم يدخلْ عليه الصلاة والسلام وعُرِفَتْ الكراهيةُ في وجهِه، فقالتْ عائشةُ أتوبُ إلى اللهِ ورسولِه، ماذا أذنبتُ؛ فقالَ: «إنَّ أصحابَ هذه الصورِ يُعَذَّبُون يقالُ لهم: أَحْيُوا ما خَلَقْتُم»[2] وهذا القولُ الذي عليه الجمهورُ هو الصحيحُ، أنَّ الصورَ ولو كانَتْ رَقْمًا حرامٌ، وأنَّها مِن كبائرِ الذنوبِ، وإن كانت المضاهاةُ فيها بالنسبةِ لخلقِ اللهِ ليسَتْ كاملةً، يَعْنِي أنَّ خلقَ اللهِ مُجسَّمٌ، وهذه ملونةٌ ليسَ فيها شيءٌ ناتئٌ على أنَّه الأنفُ، أو ناتئٌ على أنَّه حاجب العينِ أو ما أشبهَ ذلك، لكنَّ ظاهرَ النصوصِ العمومُ، وأنَّه يشملُ حتى ما كان بالتلوينِ.

ويَبْقَى النظرُ في غير ذي الروح أو جزءٍ مِن ذواتِ الأرواحِ، يَعْنِي لو صوَّر رأسًا فقط أو يَدًا فقطْ أو رِجْلًا فقطْ فهل يدخلُ في التحريمِ أوْ لا يدخلُ؟

نقولُ: لا يدخلُ في التحريمِ؛ لأنَّ الحديثَ فيه: «كُلِّفَ أنْ يَنْفُخَ فيها الروحَ وليسَ بنافخٍ»[3] ومثلُ هذه الأجزاءِ لا تُنْفَخُ فيها الروحُ أصلًا وليسَتْ جِسْمًا يمكنُ أن تُنْفَخَ فيها الروحُ، ثم إنَّ النبيَّ ﷺ ذكَر في قصةِ التمثالِ الذي قالَ له فيه جبريلُ: مُر برأسِ التمثالِ فليقطعْ حتَّى يكونَ -أيْ التمثالُ- كهيئةِ الشجرةِ»[4] يَعْنِي إذا قطَع رأسَه سَتَبْقَى أعضاءُه حتى تكونَ كهيئةِ الشجرةِ، ولم يقلْ في الحديثِ: وكَسِّرِ الرأسَ. فدلَّ ذلك على أنَّ الجزءَ الذي لا تَحُلُّه الحياةُ لا يدخلُ في التحريمِ، ولهذا جاءَ في الحديثِ وإنْ كانَ فيه مقالٌ: «الصورة الرأسُ، فإذا قُطِع الرأسُ فلا صورةَ»[5] والمَعْنَى أنَّ الصورةَ لا

---

(١) رواه مسلم (٩٦٩).

(٢) رواه البخاري (٢٤٧٩)، ومسلم (٢١٠٨).

(٣) رواه البخاري (٢٢٢٥)، ومسلم (٢١١٠).

(٤) رواه الإمام أحمد (٢/ ٣٠٥)، (٨٠٤٥)، وأبو داود (٤١٥٨)، والترمذي (٢٨٠٦)، وابن حبان (٥٨٥٤)، وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

(٥) أخرجه الإسماعيلي في «معجمه» (٢/ ٦٦٢) (٢٩١) من حديث ابن عباس مرفوعًا. وأخرجه الطحاوي في «شرح =

تكونُ صورةً إلا مع الرأسِ، فإذا قُطِع فلا صورةَ وليسَ المَعْنَى أنَّ الصورةَ هي الـرأسُ، بـلْ يَعْنِـي أنَّ الرأسَ نفسَه يكونُ صورةً مستقلةً، والدليلُ حديثُ التمثالِ «**مُرْ برأسِ التمثـالِ فليقطـعْ حتَّـى يكـونَ كهيئةِ الشجرةِ**» ثم إنَّه يتضاعفُ الإثمُ إنْ صوَّر العظماءَ مِن الملوك أو الوزراءِ أو العلماءِ أو العبادِ. فإن هذا يتضاعفُ، وتضَاعُفُ ذلك في العلماءِ والعبادِ أشدُّ مِن تضاعفه في الملـوكِ والـوزراءِ والرؤُسـاءِ، وذلك؛ لأنَّ عاطفةَ الناسِ لتعظيمِ العلماءِ والعبادِ أشدُّ من عاطفتِهم لتعظـيمِ الملـوكِ والرُّؤَسـاءِ؛ لأنَّ تعظيمَ الملوكِ والرؤُساءِ في الغالبِ إنما يكونُ عن خوفٍ ورهبةٍ، وأمَّا العبادُ والعلماءُ فهو عـن تعظـيمٍ وتوقيرٍ في النفسِ، فلذلك كان خطرُ صورِ العلماءِ والعبادِ أشدَّ مِـن صـورِ الملـوكِ والرُّؤسـاءِ، فلهـذا يجبُ علينا إذا رَأَيْنَا صورةَ شخصٍ عالمٍ صُوِّرت، ويتناولُها الناسُ بالأيدي تعظيمًـا لهـا يجـبُ علينـا حمايةً لجانبِ التوحيدِ أنْ نُمزقَها، أمَّا ما يوجدُ مِن صورِ العلماءِ في الصحفِ والمجلاتِ، فهذه لا يُؤْبَهُ لها، لكن يوجدُ صورُ بعضِ العلماءِ مصورةً مبروزةً يتناقلُها الناسُ، وهذه خطيرةٌ جـدًّا، فالواجـبُ أن تُمَزَّقَ ولا يجوزُ إقرارُها؛ لأنَّه يُخْشَى في يومٍ مِن الدهرِ أنْ يُعَظَّمَ هؤلاء كما عُظِّمَ القومُ الـصالحون في قومِ نوحٍ.

ويتعاظمُ أيضًا الأمرُ، أمرُ الصورِ فيما إذا كانت الصورةُ صورةُ امرأةٍ جميلةٍ، فإنَّ هـذه فتنـةٌ لا مِـن حيثُ العبادةِ ولكن من حيثُ الخُلُقَ، فإنَّ الإنسانَ ربَّما يَفْتَتِنُ بهذه الصورةِ حتى يكونَ دائمًـا يطالعُهـا صباحًا ومساءً للتلذذِ والتمتعِ بها، وسواءٌ كان التمتع تمتـعَ شـهوةٍ؛ يَعْنِـي: شـهوةً غريزيـةً، أو تمتـعَ انشراحِ صدرٍ أو ما أشبهَ ذلك، فليسَ كلُّ تمتعٍ للشهوةِ، فنحن نتمتـعُ مـثلًا برؤيـةِ الـسيارةِ الجميلـةِ والساعةِ الجميلةِ، وغيرِ ذلك لكن ليسَ هذا تمتعَ شهوةٍ فهذه الصورُ بعضُ الناسِ ربَّمَا يَقْتَنِيها ليتمتعَ بها، وهذا يتضاعفُ له الإثمُ فيها.

فالحاصلُ: أنَّ الصورَ نفسَها محرمةٌ، فإذا انضافَ إلى ذلك خوفُ فتنةٍ بها من عبادتِهـا أو التلـذذِ برؤيتِها أو التمتعِ بذلك، فإنَّه يزدادُ إثْمُها، وذلك لأنَّ المعاصيَ تزدادُ بحسبِ ما يَقْتَرِنُ بها مِن الفسادِ.

أمَّا الصورُ الفوتوغرافيةُ الآنَ، فهذه صارَتْ محلَّ جدلٍ بينَ العلماءِ المعاصِرين بعـدَ أنْ ظَهَـرَتْ هذه الآلةُ، فمن العلماءِ مَن منعَها سدًّا للذريعةِ وأخْذًا بظاهرِ العمومِ، وقالُوا: إنَّ حركةَ الإنـسانِ بهـذه الآلةِ أو تحريكه هذه الآلةَ هذا هو التصويرُ.

ومِن العلماءِ مَن أجازَها وقالَ: هذه ليسَتْ تصويرًا، والإنسانُ المصورُ لا يَشْعُرُ بأنَّه حاذقٌ وأنَّه جيدٌ، ولهذا لا يُمدح الرجلُ الذي يُطلِقُ آلةَ التصوير حتَّى تُصوِّرَ، ويقالُ: ما أحذَقَه وما أجـودَه! لكـن لـو يَـأْتِي الإنـسانُ يُخَطِّـطُ صورةً حتَّى تكونَ كالمُصَوَّرِ، فقالُوا: ما أحذقَه وما أمهرَه!

=

المعاني» (٤/ ٢٨٧) من قول أبي هريرة، وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٢٧٠) من قول ابن عباس.

أَمَّا هذه فليسَتْ في حقِّه كالتصويرِ، لكنَّها التقاطُ صورةٍ صَوَّرَها اللهُ عَجَّلَك، والأصلُ لا شكَّ أنَّه تصويرُ اللهِ عَجَّلَك، والتقاطُ هذه الصورةِ كما تكون الصورةُ في المرآةِ، إلا أنها في المرآةِ لا تثبتُ، وهذه تثبتُ بسببِ ما يكونُ فيها مِن الموادِّ الكيماويةِ.

وهذه المسألةُ تجاذَبَها أصلانِ: أصلُ الحلِّ، وألا يُمْنَعَ الناسُ مِن شيءٍ إلَّا إذا تَيَقَّنَّا أنَّه حرامٌ أو غَلَب على ظَنِّنَا أنَّه حرامٌ، وأصلُ التحريمِ وهو عمومُ المصورين ولكنك إذا تأمَّلْتَ تأملًا عميقًا تَبَيَّن لك أنَّ الإنسانَ ليسَ مُصَوِّرًا فيما إذا الْتَقَطَ الصورةَ بالآلةِ ولا يقالُ مصورٌ، ولهذا يَلتقِطُها الأَعْمَى، ويَلْتَقِطُها الإنسانُ في ظلمةٍ، وتَظْهَرُ كما هي، ولو كانت تَصْوِيرًا مِن الإنسانِ نفسه، لكانَ يختلفُ في الحكمِ بينَ الماهرِ وغيرِ الماهرِ، والأَعْمَى والبصيرِ وما أشبهَ ذلك[1]، لكن مَن تركَها تَنَزُّهًا، لا يَنْبَغِي أَنْ يُوصَفَ بأنَّه مُشَدِّدٌ أو أنَّه متعمِّقٌ أو متنطعٌ أو ما أشبهَ ذلك، بل يقالُ: الحمدُ للهِ، هذه يسوغُ فيها الاجتهادُ، مَنْ أَدَّاه الاجتهادُ إلى التحريمِ والمنعِ فإنَّه لا يُلامُ، ومَنْ أدَّاه اجتهادُه إلى الحِلِّ -وقال الأصلُ الحِلُّ حتى يتبينَ له دخولُها في التحريم- فإنه لا يُلامُ، وإذا كُنَّا: لا نلومُ مَن يقولُ: إنَّ أكلَ لحمِ الإبلِ لا يَنْقُضُ الوضوءَ، فيقومُ المصلِّي أمامَنا ونحن نشهدُ باعتقادِنا أنَّ صلاتَه باطلةٌ، ومع ذلك لا نلومُه؛ لأنَّه مجتهدٌ، فلا يَنْبَغِي أن نلومَ مَن يَرَى أنَّ التصويرَ الفوتوغرافيَّ ليسَ حرامًا؛ لأنَّ صلاتَه بلا وضوءٍ أعظمُ مِن التصويرِ، فالصلاةُ ركنٌ من أركانِ الإسلام، لكنْ نظرًا إلى أنَّ هذه المسائلَ اجتهاديةٌ فأنَا أرَى أنَّه لا يَنْبَغِي أن يُشَدَّدَ فيها النكيرُ على مَن خَالَفَنا فيها، فهي مسائلُ لا تتعلقُ بالعقيدةِ إنما هي مسائلُ اجتهاديةٌ.

وأقْوَى دليلٍ رأيتُه لمن قالُوا بالحلِّ قولُهم: أنْتَ إذا أخذتَ صحيحَ البخاريِّ ثم أدْخلْتَه الآلةَ التي تُصَوِّرُ وخَرَجَتْ الصورةُ مِن الآلةِ هل يقالُ: هذا كتابُك كتبتَه أنتَ؟.

الجوابُ: لا، إذن لسْتَ مُصَوِّرًا وما كتبتَه أنتَ، وهذا واضحٌ لمن تأملَ.

لكنَّ النظرَ بالنسبةِ لاقتناءِ الصورِ أنَّ اقتناءَ الصورِ، الأصلُ فيه التحريمُ؛ لأنَّ الملائكةَ لا تدخلُ بيتًا فيه صورةٌ، وهذه صورةٌ لاشكَّ حتَّى إذا كنتَ أمامَ مرآةٍ ورأيتَ وَجْهَك، فهو صورةٌ لاشكَّ، ويجبُ أن تعلمَ أنَّ العلماءَ رَحِمَهُمُ اللهُ فَرَّقوا بينَ التصويرِ واقتناءِ التصويرِ، وأكثرُ الناسِ لا يَعْرِفون هذا الفرقَ، لكنَّه فرقٌ معتبرٌ، فقالَ في متنِ «زادِ

(١) سؤال: ذكرتُم أنَّ التلوينَ باليدِ لا يجوزُ على الراجحِ عندكم، كما أنَّ التصويرَ بالآلةِ الفوتوغرافيةِ لا بأسَ بها، لكن أحسنَ اللهُ إليكَ. إذا كانَتْ الصورةُ تَتَضَمَّنُ الأمْرَين بمَعْنَى التصويرِ الفوتوغرافيِّ والمعالجةِ باليدِ؛ لأنَّ الصورَ في بعضِ الكاميراتِ الفوتوغرافيةِ مِن حين تضغطُ تطلعُ الصورةُ كاملةً، لكن في بعضِها وهذا الأكثرُ أنَّك إذا صَوَّرت الصورةَ لابدَّ مِن تحميضٍ ومعالجةٍ بالألوانِ حتَّى تخرجَ هذه الصورةُ؟

الجواب: الذي يظهرُ لي أنَّ الاحتياطَ في هذا أن يمنعَ؛ لأنَّ الصوةَ التي تأتِي على الفيلمِ إذا رأيتَها وجدتَها مشوهةً أحيانًا لا تعرفُ لمن هي، فإذا كانتْ يُدخلُ عليها التحسيناتُ، فالظاهرُ أنَّها للتحريمِ أقربُ.

المستقنع»[1] وهو مختصرٌ من كتبِ الفقهِ قال: يَحْرُمُ التصويرُ واستعمالُه. ففرَّق بينَ التصويرِ وبينَ استعمالِه، وقالوا: يجوزُ استعمالُ الصورِ فيما يُمْتَهَنُ كالفُرُشِ والمخداتِ وما أشبهَ ذلك، والخلافُ في هذا أيضًا معروفٌ، فبعضُ العلماءِ يقولُ: لا يجوزُ حتَّى فيما يُمتهنُ، بل يجبُ أن يُقْطَعَ الرأسُ حتَّى تكونَ بلا رأسٍ.

إذًا: الخلاصةُ أولًا: التصويرَ لما له جسمٌ حرامٌ لا شكَّ عندنَا فيه، وهو محلُّ اتفاقٍ فيما نعلمُ.

ثانيًا: التصوير باليدِ أيضًا حرامٌ؛ لأنَّ المصورَ يريدُ أنْ يُضاهيَ خلقَ اللهِ في هيئةِ الصورةِ، وإنْ كانَ التصويرُ باليد ليسَ حقيقةً كخلقِ اللهِ، لكن الصورةَ والوجهَ والعينَ والشَّفتين والأنفَ وما أشبهَ ذلك كخلقِ اللهِ، هذا أيضًا حرامٌ، وتزداد حرمتُه إذا كان لمُعَظَّمٍ مِن ملوك أو علماءَ أو عبادٍ، وتزدادُ حرمتُه إذا كان مِن أجلِ التمتعِ بالصورةِ تمتعَ شهوةٍ أو تمتعًا بلا شهوة.

أما إذا كان بالآلةِ فقد عرفتُم الخلافَ في هذا، ولكن الذي نودُّ ألَّا يكونَ هذا الشغلَ الشاغلَ لطلبةِ العلمِ، بل نقولُ: هذه مسألةٌ مما ساغَ فيه الخلافُ، والعلماءُ مخْتَلِفون فيها وإدخالُها في التحريمِ فيه نظرٌ، بل أرَى أنَّه لا يدخلُ في التحريمِ، فإذا كانت المسألةُ فيها شيءٌ من الاجتهادِ فلا يَنْبَغِي التشديدُ فيها، نعم نشددُ على من اقْتَنَى صورةَ عالمٍ أو صورةَ مَلِكٍ أو صورةَ وزيرٍ أو صورةَ عابدٍ لتعظيمِها، فإنَّ ذلك لا يجوزُ، وهذا هو أصلُ منعِ التصويرِ.

أمَّا تصويرُ ما لا رُوحَ فيه مثل: نخلٍ، ورمانٍ، وبرتقالٍ، فجمهورُ العلماءِ على أنَّه جائزٌ، وقالَ مجاهدٌ -وهو إمامٌ مِن أئمةِ التَّابِعين- إنَّه لا يجوزُ أنْ تُصَوَّرَ الشجرةُ وما أشبَهها؛ لأنَّ اللهَ قال في الحديثِ القدسيِّ: «**وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن ذهَب يخلقُ كَخَلقِي فليخلق حبًّا أو ليخلق شَعِيرًا**»[2] ومعلومٌ أنَّ الشجرَ الناميَ ينفردُ اللهُ به ﷻ فهو الذي خلقَه ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥]. فمن صوَّره فقد صوَّر كما صوَّر اللهُ، خلَق كما يخلقُ اللهُ.

لكنَّ الصحيحَ أنَّه جائزٌ، وهو الذي عليه الجمهورُ وهو الذي أَرْشَدَ إليه ابنُ عباسٍ ﵄، المصورَ حينَ رَآه يصورُ الآدَمِيِّن فنهَاه وقال: إنْ كنتَ فاعلًا -يَعْنِي فصَوِّرِ الشجرَ وما أشبهَهُ[2].

وأمَّا تصويرُ السياراتِ والطياراتِ والقصورِ فيجوزُ؛ لأنَّ هذا صنعُ الآدميِّ، وفالآدميُّ هو الذي يَصْنَعُه بيدِه، فإذا جازَ الأصلُ جازَ الفرعُ، وأمَّا تصويرُ الأنهارِ لو أنَّ إنسانًا أرادَ أن يصورَ بيدِهِ قارةً مِن القاراتِ ويصورَ أنهارَها وجبالَها فهذا يجوزُ؛ لأنَّها ليسَتْ ناميةً، والإنسانُ يجوزُ أن يَحْفِرَ في الأرضِ جَدْولًا يَجْرِي فيه الماءُ، ولا يقالُ إنَّك خَلَقْتَ نهرًا.

أمَّا الدَّراهم التي تسمى الدراهمَ الفرنسيةَ، وهذه فيها صورةُ إنسانٍ كافرٍ وتلمسُ؛ لأنَّها ناتئةٌ،

---

(١) «زاد المستقنع» (ص ٣٨).

(٢) كلام مجاهد عن ابن أبي شيبة (٥/ ٢٠٨)، (٢٥٢٩٣)، والحديث القدسي رواه البخاري (٥٩٥٣)، ومسلم (٢١١١).

(٢) رواه البخاري في البيوع باب بيع التصاوير التي ليس فيها روح، ومسلم (٣/ ١٦٧٠) (٢١١٠).

وكان العلماءُ قد أَبَاحُوها للناسِ من قديمِ الزمانِ، والجنيه الذهبُ يُسميِّه الناسُ: الجنيه الإفرنجيَّ فيه صُورَتان، صورةٌ مِن أحدِ الوجهين لملكِ الإنجليزِ، والصورةُ الثانيةُ فارسٌ على فرسٍ تُشاهدُه وتُلمسُه باليدِ، وكان الناسُ يتناقلُون هذه الجنيهاتِ والعلماءُ قد أباحُوا ذلك لهم، ووجهُ الإباحةِ هو الضرورةُ؛ لأنَّ الناسَ لا يمكنُ أنْ يَترُكوا هذه النقودَ، ولا يمكنُ أن يتخلَّى عنها الإنسانُ لكن رأيت بعض الناس إذا قام يصلي –الآن– أخرج الدراهِم التي معه التي فيها صورة ملوك وجعلها أمامه، يعني بدلًا من أن تكون مُخفاةً، وصار يصلِّي إليها وهذا أعظم، ولكن لو جاء أحد من الناس والتقطها، هل يجوز أن يقطع صلاته ليلاحقه؟

الجواب: نعم. لأنه أراد أن يأخذ ماله.

وأمَّا كاميراتُ الفيديو ما فيها بأسٌ، وأنا أَنْقلُ لكم ما عُرِض على مجلسِ هيئةِ كبارِ العلماءِ، وصارَ أكثرُهم يقولُ: لا بأسَ بها. حتَّى إنَّهم أرادُوا أنْ يُصدِروا فتْوى بأنْ تُصَوَّرَ المحاضراتُ في المساجدِ، لكن رَأَوْا أنَّ مِن المصلحةِ عدمَ ذلك، وعدمَ إدخالِها المساجدَ؛ لأنَّ العامةَ يُخْشَى أنْ يكونَ منهم ثورةٌ فتركُوها، فإذا صُوِّر بها أشياءٌ فيها مصلحةٌ فلا حرجَ.

لكن في المناسباتِ والأفراح أنَا أرَى منعَها، حتَّى وإن كانَتْ حلالًا أرى منعَها؛ لأنَّ هذه خطيرةٌ، فقد يتلاعبُ به السفهاءُ، أَمَّا إذا كانت مثلًا محاضراتٌ أو إنسانٌ يشرحُ مثلًا موادَّ علميةً وما أشبهَ ذلك فهذه ما فيها بأسٌ.

هذا سؤالٌ وجيهٌ يقولُ: **إذا كانتْ الصورةُ المجسمةُ لأطفالٍ فهل يُسامَحُ فيها؟**

الجوابُ: إنَّ بعضَ الناسِ يقولُ: إنَّه يُسامَحُ فيها. بناءً على ما ثبتَ في الصحيحِ مِن أنَّ عائشةَ ﵂ كانَ لها بناتٌ تلعبُ بها، قالُوا: وهذا يدلُّ على أنَّ هذه البناتِ التي للصغارِ يَلْعَبْنَ بها لا بأسَ بها، لكن ما نَدْرِي هل الصورُ التي في ذلك العهدِ مثلُ الصور التي في عهدِنا أو أنَّها مجردُ هيكلٍ، لكن الحمدُ للهِ بدَأَ في الآونةِ الأخيرةِ الآنَ يظهرُ لعبُ بناتٍ من العهنِ القطنِ أو شِبْهِه وليسَ فيها عيونٌ ولا أنفٌ وهذا طيبٌ، فالحمدُ للهِ أنَّه هدَى الناسَ لهذا، وصارَ له رواجٌ عندَ الناسِ، والصبيانُ قد يُسامَحُ لهم ما لا يُسامَح لغيرِهم ولهذا يُسامَحُ لهم في اللُّعَبِ التي تحرُمُ على الكبارِ، والبنتُ الصغيرةُ إذا صارَ لها بنتٌ تلعبُ بها تَرَى أنَّها بِنْتُها حقيقةً تَهُزُّها تُنَوِّمُها تجعلُها كأنَّها بنتٌ تمامًا، فلذلك رُخِّصَ فيها لتوسعَ صَدْرَها وتتعودَ على التربيةِ؛ تربيةِ الأولادِ في المستقبلِ، وأنا لا أشددُ حتى في هذه المصورات ما أُشَدِّدُ فيها تشديدًا كاملًا لكن مِن الممكنِ أن تُعَفَّصَ الوَجهَ حتَّى تزولَ ملامحُ الوجهِ.

أمَّا الحديثُ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ ﵁ في غزوةِ بني المصطلقِ أنَّهم أصابُوا سبَايَا، وسبَايَا؛ يَعنِي: نساءً، والمسلمونَ إذا غزَوا الكفارَ ثم غلَبوهم، ووقَع في أيديهم أحدٌ مِن المشركين، فإنَّ النساءَ والذريةَ الصغارَ يَكُونون سَبْيًا، سَبْيًا: يَعْنِي مُلْكًا للمُسْلِمين أَرِقَّاءَ وأما المقاتلون فإنَّه يُخَيَّرُ الإمامُ أو قائدُ الجيشِ فيهم، بينَ القتلِ وبينَ المنِّ بدونِ شيءٍ، فيُطْلِقُه هكذا، وبينَ الفداءِ بالمالِ أو

الفداءِ بأسيرٍ، واختلَف العلماءُ في الرقِّ هل يدخلُ في هذا فيسترقُّهم أو لا؟ فهـذه والله ﷻ يقـولُ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد:٤]. وثبت أنَّ النبيَّ ﷺ قتَل الأَسْرَى[1]، فهـذا ثلاثـةُ أشياءٍ، والقتلُ، والمنُّ بدونِ شيءٍ، والفداءُ إمَّا بمالٍ أو بأسيرٍ أو بمنفعةٍ، مثالُ المالِ أن يُقـالَ للأسـيرِ: أعطنا مثلًا كذا وكذا مِن المالِ ثم نُطْلِقُك، والفداءُ بأسـيرٍ أن يكـونَ عنـدَ الكفـارِ أَسْـرَى للمُـسلِمين فيتبادلون الأسرى، بمنفعةٍ مثلَ أن يُقالَ للأسيرِ: أنـتَ تعـرفُ صـناعةَ الـذرَّةِ، عَلِّمْنَـا صـناعةَ الـذرةِ نطلقك، مثل ما علَّم أسْرى بدرٍ الكتابةَ للصحابةِ ﷺ أو قتْلُهم.

ولكن هل هذا التخييرُ تخييرُ مصلحةٍ، أو تخييرُ تشَهي يَعْنِي: يعودُ لما يَشْتَهِي الإنسانُ، القاعـدةُ في هذا في التخييراتِ كلِّها أنَّ ما كان للغيرِ فهو تخييرُ مصلحةٍ وما كان للتيسيرِ فهو تخييرُ تشَهي، فإذا كنتَ تتصرفُ لغيرك فالتخييرُ تخييرُ مصلحةٍ، ومِن ذلك وليُّ اليتيمِ إذا خُيِّر بينَ شَيئين في التـصرفِ في مالِهِ يجبُ عليه أنْ يختارَ ما هو أصلحُ، وكذلك الوكيلُ وغيرُ ذلك، المهمُّ أنَّه إنْ تصرفَ لغيـرِه فـإنَّ تخييرَه يكونُ تخييرَ مصلحةٍ، وما كانَ مقصودًا منه التسهيلُ على المكلَّفِ فهو تخييـرُ تـشَهي، فيقـالُ اخترْ ما تشاءُ، ونقولُ: إذا غَنِمْنَا من الكفارِ نساءً أو ذريةً يكُونون سبَايَا أرقاء بمجردِ السبيِ.

أمَّا المُقَاتِلُون فإنَّ الإمامَ يخَيَّرُ فيهم كما ذكرنا.

۞ يقولُ: «فأرادُوا أنْ يَسْتَمتِعوا بهنَّ ولا يَحْمِلْنَ»، أرادَ الصحابةُ ﷺ أن يَسْتَمْتِعوا بهـؤلاءِ النساءِ بالجماعِ بدونِ حملٍ، فسألُوا النبيَّ ﷺ عن العزلِ، والعزلُ: أنْ يجامعَ الإنسانُ امرأتَه أو مملوكتَه، فـإذا قاربَ الإنزالَ نزَع، حتَّى يكونَ الإنزالُ خارجَ الفرجِ، فقالَ عليه الصلاة والسلام: **«ما عَلَيْكُم ألَّا تَفْعَلُوا»** يعنِي: ما عَلَيْكم، إن شئْتم فافعلُوا وإنْ شئتُم فلا، **«فإنَّ اللهَ قد كتبَ ما هو خالقٌ إلى يوم القيامةِ»** بمَعْنَـى: أنَّكـم لو فعلْتُم وأنزَلتُم، فإنَّه لا يلزمُ مِن الإنزالِ أنْ يُخلَقَ منه ولدٌ؛ لأنَّ اللهَ ﷻ كتبَ مَن هو خـالقٌ إلى يـومِ القيامةِ، فأنتم إذا لم تَفْعَلُوا، يَعْنِي: لم تعزِلوا، فإنَّه قد يُخلقُ الولدُ مِن هذا الماءِ وقد لا يُخلَقُ.

الشاهدُ مِن هذا الحديثِ قولُه: «مَن هو خالقٌ»؛ لأنَّ الترجمةَ ببابُ قولِه تعالَى: ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ﴾.

ثم قالَ النبيُّ ﷺ: **«ليسَتْ نفسٌ مخلوقةٌ إلا اللهُ خالقُها»** أيُّ نفسٍ مخلوقةٍ فاللهُ تعـالَى هـو الـذي خلَقَها، وهذا مِن بابِ التوكيدِ بالجملةِ السابقةِ.

يَبْقَى مسألةُ العزلِ.

فهل يجوزُ للإنسانِ أن يَعْزِلَ أو لا يجوزُ؟

نقولُ: إذا دَعَتِ الحاجةُ إلى العزلِ، فإنَّه يجوزُ بشرطِ أنْ توافقَ الزوجةُ، فإن لم توافـقْ فـإنَّ ذلـك حرامٌ؛ ؛ لأنَّ العزلَ يَفُوتُ به أمرانِ مَقْصُودانِ للمرأةِ.

الأمرُ الأولُ: تمامُ اللذةِ، فإنَّ اللذةَ لا تتمُّ إلَّا بالإنزالِ.

---

(١) انظر ما رواه البخاري (٣٠٤٣)، (٣٠٤٤) ومسلم (١٧٦٨)، (١٣٥٧).



والثَّاني:الولدُ، ولها حقٌّ في الولدِ، فلا يجوزُ للرجلِ أن يعزلَ عن زوجتِه إلَّا بإذنِها وموافقتِها.

أمَّا إذا وافقَتْ الزوجةُ فهل الأَوْلَى العزلُ أوْ لا؟

نقولُ:الأَوْلَى عدمُ العزلِ، والأَوْلَى الإكثارُ مِن الأولادِ، فقد قالَ النبيُّ ﷺ: «**تَزَوَّجُوا الوَدُودَ الوَلُودَ فإنِّي مكاثرٌ بكم يومَ القيامةَ**»[1] وكثرةُ الأولادِ عزٌّ للأمةِ، وليسَ فيه تضييقٌ للرزقِ؛ لأنَّ اللهَ تعالَى قالَ في قرآنِه الكريمِ: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:٦]. وكلما كَثُرت الأمةُ فتَح اللهُ لها أبوابًا مِن الرزقِ بشرطِ أنْ تَصْدُقَ اللهَ في التوكلِ عليه، أمَّا هؤلاءِ الأممُ الكثيرةُ الذين يَموتُون مِن الجوعِ، فهؤلاءِ ليسَ عندَهم صدقُ توكلٍ على اللهِ وإلا فلو صَدَقُوا، لَهَيَّأَ اللهُ لهم الرزقَ، وفي الحديثِ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**لو توكَّلتُم عَلى اللهِ حقَّ توكلِه -أو حقَّ التوكلِ- لرزَقَكم كما يَرزُقُ الطيرَ تَغْدُوا خِماصًا وتروحُ بِطانًا**»[2].

فالطيرُ تَغْدُوا مِن أوكارها خِماصًا؛ أيْ: جائعةً، ليسَ في بطونِها شيءٌ، تذهبُ في أولِ النهارِ، وتروحُ في آخرِ النهارِ بطانًا؛ أيْ: مملوءةَ البطونِ.

فكثرةُ الأمةِ لا شكَّ أنَّه عِزٌّ وقوةٌ للأمةِ، ولهذا نجدُ أنَّ الأممَ الكثيرةَ لها هيبةٌ، وإنْ كانتْ متأخرةً في الصناعةِ، مِن أجلِ كثرتِها، وما يحاولُه أعداءُ المُسْلِمين اليومَ مِن تقليلِ النسلِ للمسلمين فهو خطةٌ خبيثةٌ ماكرةٌ، فهم يريدون أن يَقْضُوا على المُسْلِمين بأيِّ وسيلةٍ؛ إما بموتِ الموجودِ، أو الحيلولةِ دونَ المعدومِ، أرأيتُم لو كَثُرَتْ الأمةُ؛ لكان هذا في الزراعةِ، وهذا في الصناعةِ، وهذا في التعليمِ... إلخ يَعْنِي: كلَّ واحدٍ قامَ بعملٍ، وأرضُ اللهِ واسعةٌ، ورزقُ اللهِ لا نفادَ له ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل:٩٦]. فكثرة الأولادِ لا شكَّ أنَّه محبوبٌ في الشرعِ، مطلوبٌ في العقلِ.

وأما ما يقُولُ بعضُ الناسِ الآنَ: إذا كثُر الأولاد كثُرتْ طلباتُهم، هذا يقولُ: هاتِ قميصًا وهذا: هات سروالًا، نقولُ: رزقُك ورزقُهم على اللهِ ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام:١٥١]. ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء:٣١]. حدَّثني رجلٌ أنَّه كان قليل ذاتِ اليدِ فتزوجَ؛ يقولُ: فرأيتُ قناةً مِن الرزقِ بدأَتْ تَصُبُّ عليَّ لم تكن موجودة أوَّلًا فوُلِد له ولدٌ، واسمُه عبدُ اللهِ؛ معروفٌ عندِي، يقولُ: فلمَّا وُلِد، يقولُ: زاد الرزقُ يقسمُ على ذلك؛ وما هذا إلا مثالٌ، ومصداقٌ لقولِ اللهِ تعالَى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:٦] وقولُه: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء:٣١]. وقولُه: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ فكثرةُ الولدِ أمرٌ محمودٌ شرعًا، وكذلك عقلًا وانظرُوا إلى شعيبٍ، ماذا قال لقومِه: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف:٨٦]. فجعلَها نعمةً يُذَكِّرُ بها، وقال اللهُ تعالى لبني

(١) رواه الإمام أحمد (٣/ ١٥٨)، وابن حبان (١٢٢٨) والموارد، والبيهقي (٧/ ٨١)، وصححه الشيخ الألباني كما في «الإرواء» (١٧٨٤).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٤٤)، وابن ماجه (٤١٦٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦١)، وصححه الشيخ الألباني كما في السلسلة الصحيحة (٣١٠) وتعليقه على السنن.

إسرائيلَ: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الإسراء:٦]. وهذا فيه الإشارةُ إلى الكثرةِ والإشارةُ إلى تعلُّمِ أساليبِ الحربِ؛ لأنه لن ينفِرَ في الحربِ إلا من كان عنده خبرةٌ.

❋❋❋

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٩- بابُ قولِ اللهِ تعالَى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥].

هذا البابُ أتَى به المؤلفُ لإثباتِ اليدِ لا لإثباتِ الخلقِ؛ لأنَّ إثباتَ الخَلْقِ في البابِ الذي سبقَ، وهذا من حُسْنِ ترتيبِ المؤلفِ رَحِمَهُ اللَّهُ، أنَّ البابَ الأوَّلَ في الخلقِ عمومًا، وهذا البابُ في الخلقِ خصوصًا، وبيدِه أيضًا.

✪ يقولُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]. وهذه جملةٌ مِن آيةٍ، فإنَّ اللهَ تعالَى أمَرَ الملائكةَ لمَّا خلقَ آدمَ أنْ تسجدَ له، وكان مِن بينِهم وليسَ منهم إبليسُ فسَجد الملائكةُ كلُّهم أجْمَعُون إلَّا إبليسَ أبَى أنْ يسجدَ، قالَ اللهُ تعالَى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف:٥٠].

لأنَّ الجنَّ الأصلُ فيهم المعصيةُ لا الطاعةُ والملائكةُ لا يَعْصُون اللهَ، فسجَد الملائكةُ إلا إبليسَ أبَى، فقالَ اللهُ تعالَى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾. أيُّ شيءٍ منعه؟ ماذا قال؟ ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف:١٢] فصار المانعُ له مِن السجودِ هو الاستكبارَ والعُلُوَّ، وكانَ في علمِ اللهِ تعالَى كافرًا، وهو في اللوحِ المحفوظِ مكتوبٌ أنَّه كافرٌ، فاستكبرَ وأبَى: ﴿قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾ [الإسراء:٦١]. يَعْنِي: خَلَقْتَه مِن الطينِ، فلم يسجدْ -والعياذُ باللهِ- فقال اللهُ تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ وهنا قال: ﴿لِمَا﴾ ولم يقل: «لمن» مع أنَّ آدمَ عاقلٌ مِن عدادِ العقلاءِ؛ لأنَّه إذا أُرِيد الوصفُ عُبِّر عن العاقلِ بـ«ما»، وإذا أُرِيدَ الشخصُ عُبِّر عن العاقلِ «بمن»، أرأيتَ قولَ تعالَى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء:٣]. فقال: «ما طابَ» ولم يقُلْ: «مَن طاب» مراعاةً للوصفِ، والوصفُ غيرُ عاقلٍ، فهنا هذا المخلوقُ آدمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أمرُه عظيمٌ، فاعتبارُ الوصفِ فيه أَوْلَى من اعتبارِ الشخصِ، ومراعاةُ الوصفِ أنَّ اللهَ تعالى خلقهُ بيدِه، ولهذا انظُر جوابَ إبليسَ، الذي جعله في مقامِ الشخصيةِ، فقالَ: ﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ﴾ واللهُ عَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿لِمَا خَلَقْتُ﴾ لأنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أرادَ تعظيمَ آدمَ، وإبليسُ أراد تهوينهَ وضَعَتَه، فقال: «لما».

✪ وقولُه تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ الشاهدُ مِن هذه الجملةِ: قولُه تعالى: ﴿بِيَدَيَّ﴾؛ بيديَّ الثِّنْتَينْ وغيرُ آدمَ لم يُخلَقْ باليدينْ، بل خُلِق بالكلمةِ كما قالَ تعالَى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس:٨٢]. فالملائكةُ والشياطينُ وغيرُهم كلُّهم خُلِقوا بكلمةٍ،

فإذا قال قائلٌ: ما دَليلُك على أنَّهم خُلِقوا بالكلمةِ؟.

قُلنا: دليلُنا قوْلُه تعالَى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ فلمَّا أرادَ أنْ يخلقَ الملائكةَ قال: كُونُوا فكانوا، وكذلك غيرُهم، لكنَّ آدمَ خلقَه اللهُ بيدِه، وجعَل صورتَه على صورتِه،

جعَل اللهُ صورةَ آدمَ على صورةِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ وهذا تكريمٌ آخرُ أنْ يجعلَه على صورةِ الربِّ، ولكن لا يلزمُ مِن كونِه على صورةِ الربِّ أنْ يكونَ مماثلًا للربِّ؛ لأنَّ اللهَ تعالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١]. وأولُ زمرةٍ تدخلُ الجنةَ على صورةِ القمرِ ليلةَ البدرِ[1] وليسُوا مُمَاثِلين للقمرِ، فلا يلزمُ مِن الصورةِ المماثلةُ.

۞ قولُه تعالَى: ﴿بِيَدَىَّ﴾ الباءُ في قوله: ﴿بِيَدَىَّ﴾ للتعديةِ ؛يعني: أنَّ الخلق حصَل باليدِ، وهذا لم يكنْ في خلقِ السمواتِ والأرضِ ولا في غيرهما مِن المخلوقاتِ، فلم يخلقِ اللهُ أحدًا بيدِه إلا آدم، إلَّا ما ورد أنه ﷻ غرس جنةَ عدنٍ بيدِه[2]، فإذا صحَّ هذا الأثرُ فإنَّه يُضافُ إلى ما خلَق اللهُ تعالَى بيدِه، وأمَّا ما كتَبه بيده فهو التوراةُ كتبَها اللهُ تعالَى بيدِه، قال اللهُ تعالَى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف:١٤٥].

خلقَ اللهُ آدمَ بيدِه وخلق غيرَه بالكلمة «كن» فيكونُ حتَّى عيسَى ابنُ مريمَ خلَقه اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بكلمةٍ كما قالَ اللهُ تعالَى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء:١٧١]. فإنَّه خلَقه، وقالَ له: كنْ. فكانَ، لكن بناءً على سبب فأمرَ اللهُ جبريلَ فنفخَ في فرْجِها هذه الروحَ التي خلقها اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فنشأ الولد.

واليدُ التي وصَف اللهُ بها نفسه هي مِن الصفاتِ الخبريةِ، وليسَتْ مِن الصفاتِ المعنويةِ خلافًا لأهلِ التحريفِ الذين جعلوها مِن الصفاتِ المعنويةِ، وفسَّروها بالقُدْرةِ أو بالنعمةِ يعنِي: بالإنعامِ؛ أي: بشيءٍ منفصلٍ عن اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، بل نقولُ: هي صفةٌ للهِ عَزَّ وَجَلَّ مِن الصفاتِ الخبريةِ التي مُسَمَّاها بالنسبةِ إلينا أبعاضٌ وأجزاءٌ وهي يدٌ حقيقةٌ يقبضُ بها ويأخذُ بها، كما ثبتَ ذلك في قولِه تعالَى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر:٦٧]. وثبت أنَّه ﷻ يأخُذُ الصدقةَ إذا كانَت مِن كَسْبٍ طيبٍ يأخذُها بيمينِه فيُرَبِّيها كما يُرَبِّي أحدُنا فَلُوَّه يَعْنِي: مُهْرَه الصَّغِيرَ، حتَّى تكونَ مثلَ الجبلِ[3] وهذه اليدُ لا تُشْبِهُها يدٌ لا في الحقيقةِ ولا في الصفةِ، ولا في الكيفيةِ.

أمَّا الحقيقةُ: فإنَّ حقيقتَها تابعةٌ للذاتِ فكما أنَّ ذاتَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ليسَتْ مِن جنسِ الموادِّ المخلوقةِ كلِّها بلْ هي ذاتٌ لا يماثلُها ذاتٌ، وكذلك أيضًا في الكيفيةِ ليسَتْ كأيْدِي المَخْلُوقِين قطعًا؛ لقولِ اللهِ تبارَك وتعالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾. وهذا ينسحِبُ على جميعِ الصفاتِ.

البحث الثالث: قد وردتْ صفةُ «اليدِ» بلفظِ اليدِ ولفظِ «الكفِّ»، وكلاهما صحيحٌ، واليدُ والكفُّ في اللغةِ العربيةِ معناها واحدٌ، لا يختلِفُ، فإنَّ اليدَ إذا أُطْلِقَتْ في اللغةِ العربيةِ فهي الكفُّ،

---

(١) رواه البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (١٦٢٥).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٢٦، ٣٤٨٠) والطبراني في «الأوسط» (٤/ ٩٩)، (٣٧٠١)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٧٣٠)، وقال في «مجمع الزوائد»: رواه الطبراني في «الأوسط» و «الكبير» وأحد إسنادي الطبراني جيد. وعند مسلم (١٨٩): غرست كرامتهم بيدي؛ يعني: أنه غرس جنتهم بيده ﷻ.

(٣)رواه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤).

وإنْ قُيِّدتْ تَقيَّدت بما قُيِّدَتْ به، ولهذا لمَّا أَطْلَق اللهُ اليدَ في قولِه تعالَى في التيممِ: ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُ﴾ [المائدة:٦]. لم يتعدَّ التيممُ موضعَ الكفِّ، ولمَّا أُطْلِقتْ في قولِه تعالَى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾ [المائدة:٣٨]. لم يتعدَّ القطعُ موضعَ الكفِّ، ولما أُريد الزيادةُ على ذلك قُيِّدت، فقالَ اللهُ تعالَى في آيةِ الوضوءِ: ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ [المائدة:٦].

إذًا: اليدُ والكفُّ معناهما واحدٌ، لكن مع ذلك لولا وُرودُ الكفِّ في الحديثِ الصحيحِ[1]، لقُلْنا: نثبتُ للهِ يدًا، و لا نقولُ كفًّا لأنَّ صفاتِ اللهِ عَجَّلَ يجِبُ التحرزُ منها تحرزًا كاملًا؛ لأنَّها فوقَ ما يدرِكُه العقلُ.

البحث الرابع: اليدُ التي أثبتَها اللهُ لنفسِه وردَت في القرآنِ الكريمِ على ثلاثةِ أوجهٍ: الإفرادِ والتثنيةِ والجمعِ.

فالإفرادُ: في مثلِ قولِه تعالَى: ﴿قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [المؤمنون:٨٨]. و ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [الملك:١]. وما أشبهَ ذلك.

والتثنيةُ مثلُ: هذه الآيةِ. ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾. وقولِه تعالَى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤].

ووردتْ بلفظِ الجمعِ: في قولِه تعالَى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا﴾ [يس:٧١].

وهذه الوجوهُ الثلاثةُ قد يظنُّ ظانٌّ أنَّها متعارضةٌ، ولكن ليس في القرآنِ -وللهِ الحمدُ- ما يتعارضُ تعارضًا كليًّا بحيثُ يكذِّبُ بعضهُ بعضًا، والجمعُ بينَ هذه الوجوهِ الثلاثةِ سبقَ نظيرُه في الجمعِ بين ورود هذه الوجوهِ الثلاثةِ في صفة العين للهِ عَجَّلَ، وقُلنا في الجمعِ -بينها-: أمَّا الإفرادُ فإنَّه لا يعارضُ التثنيةَ ولا الجمعَ؛ لأن المفردَ المضافَ يَعُمُّ فلا يُنافِي التعددَ، وعليه فيكونُ قولُه تعالَى: ﴿قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾، و﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ لا يَتَعارضانِ؛ لأنَّ قولَه: ﴿قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ يعمُّ كلَّ ما للهِ مِن يَدٍ.

وكذلك أيضًا لا يعارضُ المفردُ الجمعَ في قولِه تعالَى: ﴿مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا﴾.

بقِي النظرُ في: الجمعِ بينَ المُثنَّى والجمعِ.

فنقولُ: إذا قُلْنَا: بأنَّ أقلَّ الجمعِ اثنانِ، فلا منافاةَ؛ لأنَّنا نحمِلُ الجمعَ على أنَّه مُثنًى، وإنْ قُلْنَا: بأنَّ أقلَّ الجمعِ ثلاثة، كما هو معروفٌ، فإنَّ الجمعَ بينَ التثنيةِ والجمعِ هو أنَّ المجموعَ لا يُرادُ به مَعْنَى: الجمعِ، وإنَّما جُمِعَ للتعظيمِ والمناسبةِ بينَ المضافِ والمضافِ إليه، المضافُ أَيْدِي والمضافُ إليه «نا» الدالةُ على الجمعِ، فلُوحِظ فيه المَعْنَى واللفظُ، فالمَعْنَى: هو التعظيمُ، واللفظُ هو التناسبُ بينَ المضافِ والمضافُ إليهِ.

إذًا: الذي نعتقدُ بالنسبةِ ليدِ اللهِ عَجَّلَ أنَّ اللهَ تَعَالَى له يدانِ اثنتانِ، وعلى ذلك أجمعَ السلفُ أنَّ اللهِ

---

(١) رواه مسلم (١٠١٤).

يَدَيْنِ اثنتين.

فإنْ قالَ قائلٌ: لماذا لا نأخذُ بالجمعِ لأنَّه أزيدُ، فإنَّ مَن أَخذ بالجمعِ، فقد أَخذ بالمُثَنَّى؟

قُلْنا: هذا لا يستقيمُ؛ لأنَّ قولَه تعالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ جاءَتْ ردًّا على قولِ اليهودِ: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾. فجاءت ببيانِ الصفةِ الكاملةِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ بالنسبةِ لهذه الصفةِ، ولو كان هناك يدٌ زائدةٌ على اثنَتين لذُكِرتَ؛ لأنَّه كلَّما كثُرت الأيدِي كثُرَ العطاءُ، فلو كانت هناك يدٌ زائدةٌ على اثنتين لذكَرها الله تعالى لما فيها من إفحامِ هؤلاءِ اليهودِ والردِّ عليهم، فتعيَّن أن تكونَ اليدُ اثنتينِ لا أكثرَ وجاءت الأحاديثُ أيضًا ظاهرةً في هذا المعنَى، وهو أنَّ اليدَ اثنتانِ فقط، وهذا هو الذي نعتقدُه بالنسبةِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ.

البحثُ الخامس: وإذا قيلَ ما الفرقُ بينَ قولِه﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ حيثُ قُلنا: إنَّ الآيَةَ تدلُّ على أنَّ اللهَ خلَق آدمَ بيدِه؛ وبين قولِه تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾؟.

قلنا: الفرقُ بينهما من ثلاثةِ أوجهٍ:

الوجهُ الأولُ: أنَّ اللهَ أسنَد الفعلَ إلى نفسهِ في قولِه: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ وجعلَ اليدَ بمنزلةِ الآلةِ التي يصنعُ بها.

أمَّ في قولِه ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ فأسندَ الفعلَ إلى الأيدِي نفسِها.

الوجهُ الثاني: أنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قال: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ بصيغة التثنيةِ وقال في الآيةِ الثانيةِ: ﴿بِأَيْدِينَا﴾ بصيغةِ الجمعِ فلابدَّ أن يكونَ هناكَ فرقٌ، والفرقُ أنَّ المرادَ بـ﴿بِأَيْدِينَا﴾ النفسُ فهو كقولِه تعالى: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾. أيْ: بما كسَبْتُم، فمَعْنَى الآيةِ: مما عَمِلْنا.

الوجهُ الثالثُ: أنَّ اللهَ تعالَى قالَ في خلقِ آدمَ ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ فقال: ﴿خَلَقْتُ﴾ وهنا قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ فجعَله عملًا والعملُ يكونُ بالكلمةِ، وكذلك الخلْقُ يكونُ بالكلمةِ، لكن لمَّا غايَر بينَهما عُلِم أنَّهما ليسَا سواءً، وهو كذلك، ولهذا أجمَع العلماءُ أنَّ الأنعامَ مِن الإبلِ والخيلِ، وما أشبهَ ذلك مما يُؤْكَلُ ويُرْكَبُ لم يَخْلُقْه اللهُ بيدِه، وإنَّما خلَقها بالكلمةِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وعلى هذا فتكونُ الأنعامُ غيرَ مخلوقةٍ باليدِ، بل مخلوقةٌ بالكلمةِ لا باليدِ.

المبحث السادس: وقد زعم أهلُ التعطيلِ أنَّ إثباتَ اليدِ الحقيقيةِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ منكرٌ ومحالٌ على اللهِ، ووصفٌ للهِ بما لا يليقُ به، وأنَّه لا يجوزُ للمسلمِ إنْ يعتقدَ هذه العقيدةَ، حتَّى إنَّ بعضَهم قالَ: مَن أطْلَقَ ذلك فهو كافرٌ؛ لأنَّه يَقْتَضِي أو يستلزمُ أنْ يكونَ اللهُ جسمًا، ومَن أثبتَ أنَّ اللهَ جسمٌ فهو كافرٌ على زعمِهم، لذا قالوا: مَعْنَى اليدِ يعودُ إلى القدرةِ. وذلك لأنَّهم يُثْبِتُون القدرةَ من جملةِ الصفاتِ السبعِ، فيُحِيلُون كلَّ صفةٍ فِعْليةٍ إلى مَعْنَى القدرةِ، فيكونُ مَعْنَى اليدِ: القدرةَ، وبعضُهم قالَ: اليدُ النعمةُ؛ لأنَّها تأتِي في اللغةِ العربيةِ بمَعْنَى النعمةِ، ومِنه قولُ الشاعرِ:

وَكَـمْ لِظَـلامِ الليـلِ عِنـدَكَ مِـن يَـدٍ تُؤَيِّـدُ أنَّ المانويَّـةَ تكـذبُ[1]

أي تخبرُ أنَّ المانَويةَ، والمانوية تكذِبُ. يعني يقولُ: أنَّ لك خيراتٍ كثيرةً في الليل تُبَيِّنُ وتُخبِّر أنَّ المانَويةَ، والمانوية طائفةٌ مِن المجوسِ يَقولُون: إن الظلمةَ لا تخلقُ خيرًا أبدًا، ولنْ يكونَ خيرٌ في ظلمةٍ. وهذه الخيراتُ التي يُسدِيها الممدوحُ تشهدُ بأنَّ المانويةَ كاذبةٌ.

الشاهدُ قولُه: «مِن يدٍ» أي: من نعمةٍ ومنه قولُ أبي بكرٍ رضي الله عنه -أظنُّه لبديلِ بنِ برقعٍ- لولا يدٌ لك عندي لم أجزِها. أو كلمةٌ غيرَها، وأنا نسيتُ القصةَ لكنَّه قال: لولا يدٌ لك عندِي. يعني: نعمةٌ.

فيقالُ: الأصلُ في اليدِ أنها اليدُ الحقيقيةُ، فإذا وُجِدت قرينةٌ تمنعُ أن يكونَ المرادُ بها اليد الحقيقية فحينئذٍ يجبُ أن نأخذَ بما دلت القرينةُ عليه، ثم نقولُ: يَمنَعُ هذا التحريفَ التثنيةُ في قولِه: ﴿بِيَدَيَّ﴾ و﴿يَدَاهُ﴾ فهل تقولُون: إنَّه ليسَ للهِ قدرةٌ إلا اثنتانِ. وما معني هذا القولُ؟ أو تقولُون: ليسَ للهِ نعمةٌ إلا نِعمتان. وهذا يكذبُه الواقعُ، ولا شكَّ، وعلى هذا:

فنقولُ: كلُّ مَن حرَّفها فإنه مخطئٌ، مجانبٌ للصوابِ، مخالفٌ لما عليه السلفُ الصالحُ مِن الصحابةِ والتَّابعين وتابِعِيهم بإحسانٍ.

فإن قالَ قائلٌ: أْتُوا لنا بدليلٍ واحدٍ أو نصٍّ واحدٍ عن الصحابةِ أنَّهم قالُوا: المرادُ باليدِ: اليدُ الحقيقيةُ. نقولُ: لا نَأْتِي لكم بشيءٍ بل هو المتواترُ عنهم حيثُ يَتْلُون كتابَ اللهِ وما جاءَ مِن سنةِ الرسولِ ﷺ، ومع ذلك لم يُنْقَلْ عنهم حرفٌ واحدٌ يُبيِّنون أنَّ المرادَ بها خلافُ ظاهرِها، وعلى هذا فهم يُؤْمِنون بها على ظاهرِها، وهم عربٌ خُلَّصٌ يَعْرِفون المَعْنَى، وإذا لم يَرِدْ عنهم شيءٌ يخالفُ الظاهرَ، فإنَّنا نجزمُ بأنَّهم يَقُولُون بالظاهرِ إذ كيفَ يَتْلُون كتابَ اللهِ آناءَ الليلِ وأطرافَ النهارِ، ولا يَتَجاوزُون عشرَ آياتٍ إلَّا تَعَلَّموها وما فيها مِن العلمِ والعملِ، ثم لا يَرِد عنهم حرفٌ واحدٌ يدلُّ على أنَّهم يُخرِجون الكلامَ عن ظاهرِه، ولا حاجةَ إلى أنْ نَنْقُلَ لكلِّ صفةٍ بعينِها نصًّا من الصحابةِ أو التابعين؛ لأنَّ الأصلَ أنَّهم يَقُولون بما دلَّ عليه ظاهرُ القرآنِ أنَّ المرادَ اليدُ الحقيقيةُ والعينُ الحقيقيةُ، وكذلك بقيةُ الصفاتِ.

فإنْ قالَ قائلٌ: إنَّ قولَه تعالَى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ لم يُبَيِّن فيها أنَّ للهِ يدًا يُمْنَى وله يدًا شمالًا فماذا تَقُولُون: هل تَقُولون إنَّ اللهَ ليس له إلا يدان وتَسكُتُون. أو تقولون: له يَدٌ يُمْنَى وشمالٌ. أم ماذا تقولون؟

قُلْنَا: نقولُ كما قال النبيُّ ﷺ: «كِلْتَا يديه يمينٌ»[2] فكِلتَا يديْه يمينٌ بالنسبةِ إلى عدمِ اختلافِ كلّ

---

(١) انظر: «الذخيرة» (١/ ٣٦٤)، (٣/ ٣٤٧)، «محاضرات الأدباء» (٢/ ١٢١).

(٢) رواه الإمام مسلم (١٨٢٧).

يدٍ عن الأُخرى، لكن وردَ التصريحُ بالشمالِ مِن حديثِ ابنِ عمرَ، أخرجَه مسلمٌ في صحيحِه[1]. وذكره الشيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ محمدُ بنُ عبد الوهَّابِ في كتابِ التوحيدِ[2] واستخرَج مسائلَ مِن الدلائلِ وقال: مِن جملةِ المسائلِ التصريحُ بالشمالِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وعلى هذا فالجمعُ بينَ هذه الروايةِ، وبين قولِه: «كِلْتَا يَدَيهِ يمينٌ» أنَّ نقولَ: هما يَدانِ؛ يمينٌ وشمالٌ، ولكن لا تَختلِفان كما تَختلِفُ أيدِي المخلوقين بالنسبةِ لليُمنَى والشمالِ بل كِلْتاهما يمينٌ مباركةٌ، وكلتاهما فيها الخيرُ، وفيها العطاءُ، فإنَّ اللهَ تَعَالَى يدُه ملأَى، سَحَّاء الليل والنهار، كما قالَ النبيُّ ﷺ: «أرأيتم ما أنفقَ منذُ خلقَ السمواتِ والأرضَ، فإنَّه لم يَغِضْ بما في يمينِه»[3]. تَعَالَى لكثرة خيراتِه وبركاتِه وجودِه وإحسانه.

ونذكرُ هنا قاعدةً وهي أن أهلَ الكلام أدْخلوا في العقائدِ كلماتٍ كان لابدَّ مِن أن نخُوضَ الميدانَ معهم، فهم قالوا: إن اليدَ مجاز عن كذا، فكانَ لابدَّ أنْ نقُولَ: بل هي حقيقةٌ. ولا يعني ذلك أنَّ باقِي القرآنِ فيه مجازٌ، كذلك تكَلَّموا في أشياءَ أُخْرَى؛ في مسألةِ الجسمِ ومسألةِ الحَيِّزِ فاضْطُرَّ أهلُ السنةِ أنْ يَتكَلَّمُوا، وكذلك مسألةُ زيادةِ «بذاتِه» في الاستواءِ، والنزولِ والمجيءِ كُلُّ هذا دفعًا لِمَا يُروِّجُه هؤلاء المُحرِّفون بينَ العامةِ ويَقُولون: المرادُ كنايةٌ عن كذا، مجازٌ عن كذا وما أشبهَ ذلك.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤١٠- حَدَّثَنِي مُعَاذُ بْنُ فَضَالَةَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَجْمَعُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا، حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا. فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَمَا تَرَى النَّاسَ؟ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا. فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكَ -وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ- وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحًا، فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ. فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكَ -وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ- وَلَكِنِ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ -وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطَايَاهُ الَّتِي أَصَابَهَا- وَلَكِنِ ائْتُوا مُوسَى عَبْدًا آتَاهُ اللَّهُ التَّوْرَاةَ وَكَلَّمَهُ تَكْلِيمًا. فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ -وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَهَا- وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَكَلِمَتَهُ وَرُوحَهُ. فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. فَيَأْتُونِي فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ لَهُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ

---

(١) رواه مسلم (٢٧٨٨). وقد تقدم بحث هذا الحديث وكلام البيهقي عليه وانظر: «الاسماء والصفات للبيهقي» (١/ ٣٢٤).

(٢) انظر: «كتاب التوحيد»، باب ما جاء في قولِ الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ٦٧].

(٣) رواه البخاري (٧٤١١)، ومسلم (٩٩٣).

اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي ثُمَّ يُقَالُ لِي ارْفَعْ مُحَمَّدُ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي ثُمَّ يُقَالُ ارْفَعْ مُحَمَّدُ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا رَبِّي، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي، مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي ثُمَّ يُقَالُ ارْفَعْ مُحَمَّدُ، قُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ فَأَقُولُ، يَا رَبِّ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلاَّ مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ وَوَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ». قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الْخَيْرِ ذَرَّةً»[1].

اللفظُ: «يجمعُ اللهُ المؤمنين». ولكنَّ الجمعَ يومَ القيامةِ للمؤمنين وغيرِهم، والمشقةُ تكونُ على المُؤمنين وغيرِهم، ويقولُ في هذا الحديثِ: «يأتون آدم فيقولُون: يا آدمُ، أما ترى الناسَ؟» يعنِي: على ما هم عليه مِن الغمِّ والكربِ الذي لا يُطاقُ، فالمفعولُ الثَّاني محذوفٌ دلَّ عليه السياقُ، والمعنى: أما ترَى الناسَ قد أصابَهم ما أصابَهم مِن الغمِّ والهمِّ والكربِ.

❁ قولُه: «خلقك اللهُ بيدِه» هذا هو الشاهدُ من الحديثِ، المطابقُ للترجمةِ تمامًا.

❁ وقولُه: «وأسجد لك ملائكته» أي: أمرَهم أن يسجُدُوا لك، فسجدوا.

وهنا يقعُ سؤال: كيفَ جاز للملائكةِ أن يسجُدوا لغيرِ اللهِ؟ وهل سجودُهم هذا عبادةٌ؟

الجوابُ: جاز لهم أنْ يسجدُوا لغيرِ اللهِ، لأنَّ اللهَ أمرَهم به، وسجودُهم لآدمَ عبادةٌ، ولهذا كان تركُ إبليسَ السجودَ لآدمَ كفرًا قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾. كما أن قتلَ النفسِ من كبائرِ الذنوبِ ولا سِيَّما الأقاربِ، وكان قتلُ النفسِ للأقاربِ منقبةً عظيمةً لإبراهيمَ الخليلِ، حيث أمَره اللهُ أن يقتلَ ولده فاستَسْلَم هو والولدُ، ولمَّا أحْضَره للذبحِ، وتلَّه للجبينِ تلَّه بشدةٍ لئَلَّا تأْخذَه الرحمةُ، وجعَل جبينَه مما يَلِي الأرضَ، لِئَلَّا يَعْجِزَ عن تنفيذِ ما أَمَر اللهُ به، أنْ يَرَى وجهَ ولدِه والسكينَ أمامَهُ، أو أنَّ الولدَ أيضًا يحصُلُ له ما يحصُلُ حينَ يَرى السكينَ فوقَ رأسِه، لكن جاءَ الفرجُ مِن عند اللهِ ورفَع عنه هذا التكليفَ العظيمَ، وقالَ له: ﴿قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآ﴾ [الصافات: ١٠٥]. وكُتِب لك أجرُ مَن ذبح ولدَه الذي بلَغ معه السَّعْيَ امْتِثالًا لأمرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فصارَ هذا القتلُ للابنِ قربةً إلى اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

واللهُ تعالَى له أنْ يفعلَ ما يشاءُ إذا كَلَّفنا بأمرٍ فإنَّ امْتِثالَنا لهذا الأمرِ عبادةٌ مهما كانَ.

❁ قولُه: «وعلمك أسماءَ كلِّ شيءٍ» لو أَخذْتَ بظاهرِها لكانَ اللهُ علَّمه كلَّ شيءٍ، حتَّى ما يكونُ إلى يومِ القيامةِ، ولكنَّ المرادَ بذلك أسماءُ كلِّ شيءٍ يحتاجُ إليه، أو إلى معرفةِ اسمِه في ذلك الوقتِ،

---

(١) رواه مسلم (١٩٣).

ولا غرابةَ أنْ تأْتِي هذه اللفظةُ «كلَّ شيء» ويُرادُ بها شيءٌ مخصوصٌ ألم تَرَوا إلى قولِه تعالَى عن ريح عادٍ: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف:٢٥]. ولكنْ لم تُدمِّرِ المساكنَ ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف:٢٥]. لكنْ علَّمَه أسماءَ كلِّ شيءٍ يحتاجُ إليه وإلى معرفتِه، ولهذا قِيل للملائكةِ ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ﴾ [البقرة:٣١]. شيءٌ مُعيَّنٌ عندهم ﴿بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:١١١]. ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة:٣٢]. ولكن هل علَّمه كلَّ ما يتعلقُ بهذه المسمياتِ؟ يُروَى عن عبد اللهِ بنِ عباسٍ رضي الله عنهما أنَّه قالَ: علَّمه القصعةَ والقُصَيعْةَ والفَسْوةَ والفُسَيْلة[1]. يعني: مُكبَّراتِ الأسماءِ ومُصَغَّراتِها، وكلَّ ما يحتاجُ إليه وفي هذا البحثِ اختلف العلماء، هل اللغاتُ توقيفيةٌ أو كسبٌ؟

والصحيحُ: أنَّ بعضَها توقيفيٌّ وبعضَها كسبيٌّ؛ أي: أنَّ بعضها ممَّا علَّمه اللهُ وبعضَها أخذه الإنسانُ بالتجارب، ووضَع لكلِّ معنيً اسمًا حسبَ تجاربه، ولهذا نرى أنَّ اللغاتِ تتطورُ وتزيدُ أحيانًا وتنقصُ أحيانًا فتوجدُ كلماتٌ من اللغاتِ هُجِرت ولا تستعملُ أبدًا وتوجدُ كلماتٌ تجددُ لها معانٍ، فاستُعمِل لها اللفظُ المناسبُ لهذه المعاني الجديدةِ.

۞ قولُه: «**لستُ هناك. ويذكرُ خطيئتَه التي أصابَ**». هذا اعتذارٌ وبيانُ حجةٍ، فالاعتذارُ قولُه: «لست هناك» وبيانُ الحجةِ الخطيئةُ التي أصاب، وذلك أنَّ الشافعَ لابدَّ أن يكونَ له قدرٌ عندَ مَن شفعَ إليه، وإذا لم يكنْ له قدرٌ أو كانَ حصَل منه مخالفةٌ، فإنَّه هو يحتاجُ إلى مَن يَشفعُ له ويخجلُ أن يقومَ شافعًا لغيرِه مع أنَّه حصَل منه ما حصَل، وهذا شيءٌ فِطريٌّ، فآدمُ اعتذر، وذكَر سببَ الاعتذارِ وهو أنَّه أكَل مِن الشجرةِ التي نَهاه اللهُ عن الأكلِ منها فقد أمَره اللهُ أنْ يأكلَ مِن كلِّ ما طابَ في الجنةِ، وقال: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ۝٣٥﴾ [البقرة:٣٥]. فجاءَهما الشيطانُ ووَسْوَسَ لهما، ودلَّاهما بغرورٍ، ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾، وقال: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ۝١٢٠﴾ [طه:١٢٠]. والإنسانُ بشرٌ ضعيفٌ، فانقادَ وأكلَ مِن الشجرةِ فبدَتِ العورةُ، العورةُ الحسيةُ والعورةُ المعنويةُ، والعورةُ المعنويةُ بالمعصيةِ، والحسيةُ تساقطُ ما سَتر اللهُ به عورتَهما، وجَعَلا يَخْصِفَان عليهما مِن ورقِ الجنةِ، وفي هذا دليلٌ على كذبِ الروايةِ التي تُرْوى عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما في قولِه تعالَى: ﴿۞ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝١٨٩ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ۚ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١٩٠﴾ [الأعراف:١٨٩-١٩٠]. فقد رُوِي أنَّ حواءَ حملَت، فجاءَهما الشيطانُ فقال: سَمِّياه عبدَ الحارثِ فأبيَا أنْ يُطِيعاه فخرَج ميتًا، ثم حملَتْ فجاءَهما وقال: لتُطِيعَانِّ أو لأجعلَنَّ له قَرْنَي إيَّلٍ فيخرجُ من بطنِكِ فيشقُّه، فأدْركَهما حبُّ الولدِ فسمَّياه عبدَ الحارثِ[2]، فإن هذه

---

(١) رواه ابنُ جرير «بسنده»، عن ابنِ عباس (١/ ٢١٥).

(٢) رواه أحمد (٥/ ١١)، والترمذي (٣٠٧٧)، وضعَّفه ابن حزم في «الفصل» (٤/ ٥)، والذهبي في «الميزان» (٣/ ١٧٩) وابن =

كذبٌ لا شكَّ فيه، والعجيبُ أنَّ في بعضَ سياقتِها أنَّه قالَ لهما: أن صاحبكُما الذي أخرجتكما من الجنةِ؛ سبحان اللهِ! يتوسلُ إليهما بقبولِ خبره بأنَّه أخرجهما مِن الجنةِ، وهذه القصةُ ذكرنا في شرحِ التوحيدِ[1] أكثر مِن ثمانيةِ أوجهٍ تدلُّ على كذبها ومنها هذا الحديثُ؛ لأنَّها لو وقعت من ابن آدمَ لكانَ أكبرَ مِن أكلِ الشجرةِ؛ لأنَّ فيها إخلالًا بالتوحيدِ، ووقوعًا في الشركِ، وهو أعظمُ من المعصيةِ.

فإن قالَ قائلٌ: إذا تبيَّن بطلانُ كونِ الآيةِ الكريمةِ في آدمَ وحواءَ، فبماذا تُجيبونَ عن قولِه: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَا﴾ قلنا: الجوابُ على هذا سهلٌ، فالمرادُ بقولِه: ﴿مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ أي: من جنسٍ واحدٍ وجعلَ منها زوجَها كقولِه تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [آل عمران:١٦٤]. وليسَ المرادُ بالنفسِ الواحدةِ آدمَ بل المرادُ نفوسُ بني آدمَ والمعنى أنَّا خُلِقْنَا من جنسٍ واحدٍ وحصلَ ما حصَل مِن الشركِ باللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وهذا يقعُ مِن بَنِي آدمَ، وليسَ من آدمَ، ويدلُّ لهذا قولُه تعالَى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٩٠ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ١٩١﴾ [الأعراف:١٩٠-١٩١]. ولم يَقُلْ: فتعَالَى اللهُ عمَّا يُشْرِكان. ولو كانَتْ خاصَّةً بآدمَ وحواءَ لقالَ: عمَّا يُشْرِكان، ثمَّ إنَّ آدمَ وحواءَ لم يُشْرِكا ما لا يخلقُ شيئًا، وإنَّما حصَل الشركُ - لو صحَّتِ القصةُ- بتسميةِ الولدِ عبدَ الحارثِ.

على كلِّ حالٍ: هذه القصةُ غيرُ صحيحةٍ، ولهذا نَبَّهْنَا عليها.

۞ قال: «ولكنْ ائتُوا نوحًا، فإنَّه أولُ رسولٍ بعثَه اللهُ إلى أهلِ الأرضِ» في هذه الجملةَ يقولُ: «ائتوا نوحًا». ونوحٌ هو الأبُ الثَّاني للبشريةِ؛ لقولِ اللهِ تبارَك وتعالَى: ﴿وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ٧٧ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٧٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٩﴾ [الصافات:٧٧-٧٩]. فهو الأبُ الثَّاني للبشريةِ، والأولُ آدمُ.

۞ وقولُه: «أول رسولٍ بعثه اللهُ إلى أهلِ الأرضِ» صريحٌ أنَّ آدمَ ليسَ برسولٍ، وأنَّ أولَ رسولٍ نوحٌ، ويدلُّ على ذلك قولُه تعالَى: ﴿۞إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [النساء:١٦٣]. ولو كانَ قبلَ نوحٍ رسولٌ لقالَ: كما أوْحينا إلى فلانٍ والنبيين مِن بعده. وقالَ اللهُ تبارَك وتعالَى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا﴾ [الحديد:٢٦]. -يعني نوحًا وإبراهيمَ- ﴿ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت:٢٧]. وبهذا نعرفُ أيضًا كذِبَ مَن قالَ مِن المُؤرِّخين: إنَّ إدريسَ وشيئًا رسولان قبلَ نوحٍ فشيثٌ لم يُذْكَرْ في القرآنِ، ولكن نأخذُ الذي ذُكِر في القرآنِ، وهو إدريسَ، فإنَّ بعضَ المُؤرِّخين يقولُ: إنَّ إدريسَ قبلَ نوحٍ، وهذا لاشكَّ أنَّه كذِبٌ، ولا يجوزُ تصديقُه؛ لأنَّه ليسَ أحدٌ مِن الرسلِ قبلَ نوحٍ أبدًا، والظاهرُ أنَّ إدريسَ مِن أنبياءِ بَنِي إسرائيلَ؛ لأنَّه يُذْكَرُ في سياقِ أنبياءِ بَنِي إسرائيلَ، فالظاهرُ أنَّه منهم، فإنْ قالَ قائلٌ: لماذا لَمْ يُرْسَلْ أحدٌ مِن قبلِ نوحٍ؟

=

كثير في «التفسير» (٢/ ٢٧٥).

(١) «القول المفيد» (٣/ ٨٤ـ ٨٦).

فالجواب: ما ذكره الله في قولـه: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البقرة:٢١٣]. يعْنِـي: عـلى الحـقِّ، ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّـرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾. فكـانَ النـاسُ عـلى الحقِّ، لكنْ لمَّا كثرُوا، وانْتشروا في الأرضِ اخْتلَفُوا، فحينئذٍ احتَاجُوا إلى الرسلِ؛ ليَحْكُموا بينَهم بـالحقِّ، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ آدمَ نَبِيٌّ، وقد جاءَ ذلك عن النبيِّ ﷺ فيما رَواه ابنُ حِبَّـانَ[1] بإسْـنادٍ صـحيحٍ أنَّ آدمَ نبـيٌّ مكلَّمٌ أَوْحَى اللهُ إليه بشرعٍ يُناسِبُ الوقتَ الذي هو فيه، فتعَبَّدَ به، وأولادُه في ذلـك الوقـتِ قَليلـون عـلى فطرتِهم فكانُوا يأخذون بما كانَ عليه أبُوهم، ويَتَعَبَّدون للهِ به، حتَّى كَثُروا فاخْتلفوا، وهذا مما يُـرَجِّحُ قـولَ جمهورِ العلماءِ في الفرقِ بينَ النبيِّ والرسولِ، وهو أنَّ النبيَّ مَن أُوحيَ إليه بشرعٍ، ولم يُكَلَّفْ بإبلاغِه ولم يُلزمْ به، بل قِيلَ له: تَعَبَّدْ به. فتكونُ فائدتُه -إنْ كانَ قبلَه رسولٌ- إحياءَ الرسالةِ التي نَسِيها كثيرٌ مِن الناسِ. وإنْ لم يكُنْ قبلَه رسولٌ كآدمَ فهو شرع جديدٌ، وهذا الذي عليه جمهورُ العلماءِ في الفرقِ بينَ النبيِّ والرسولِ.

فإذا قالَ قائلٌ: كيفَ يُوحِي اللهُ إليه ولم يَأْمُرْه بالتبليغِ؟!.

قُلْنا هنا شيئانِ: تعبدٌ خاصٌّ، وتعبدٌ عامٌّ يُلْزَم بإبلاغِه، فالنبوةُ هي التعبدُ الخاصُّ، وفائدتُه أنَّه إذا عمِلَ بالشرعِ وهو عندَ الناسِ معتبرٌ - والنبوةُ لابدَّ أن تكونَ فيمن هو أهلٌ لهـا- فـإنَّ النـاسَ سـوفَ يَقْتَدون به، ولهذا نَرَى العلماءَ في هذه الأمةِ يُحْيُون ما ماتَ مِن سنةِ الرسولِ، إذا رَآهم النـاسُ اقْتَـدُوا بهم وتَعَلَّمُوا منهم، فيكونُ فائدةُ النبيِّ الذي أُوحِي له بالشرعِ، وتعبَّد للهِ به، هو إحياءُ ما ماتَ مِن سنةِ الرسولِ قبلَه، إنْ كانَ قبلَه رسولٌ، أو إنشاءُ شرعٍ جديدٍ يتعبَّدُ للهِ به، ولا أعلمُ مثـالًا لهـذا الأخيـرِ إلا آدمَ، فإنَّه لم يُرْسَلْ قبلَه أحدٌ، ولكنَّه نُبِّيءَ عليه الصلاة والسلام، فكانَ يتعبَّدُ بمُقْتَضَى هذا الوحي حتى كبر أولادُه، وانتشروا واختلفوا فبعثت الرسل.

✿ وأمَّا قولُه تعالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج:٥٢]. فـالمَعْنَى: ولا نَبَّأْنـا مِـن نبيٍّ، ومثلُ هذا جارٍ في اللغةِ العربيةِ ومنه قولُ الشاعرِ عن ناقتِه:[2]

*** علفتُها تبنًا وماءً باردًا ***

والماءُ الباردُ لا يُعْلَفُ، فالتقديرُ: عَلَفْتُها تبنًا وسقيتُها ماءً بـاردًا، وحَـذْفُ الفعـلِ للدلالـةِ عليـه بقرينةٍ سائغٌ في اللغةِ العربيةِ، والقرينةُ ما عُلِم أنَّ النبيَّ مأخوذٌ مِن النبوةِ وهي الرفعةُ، أو من النَّبأ وهو الخبرُ، والرسولُ مِن الرسالةِ؛ لأنَّه أُمِر أنْ يُبَلِّغَ، فالرسولُ مـأمورٌ بـالتبليغِ، فلـو أرسـلتُ شخـصًا إلى جماعةٍ فقد أمرتُه بأن يبلغَ، لكن لو نَبَّأْتُه، أي: أخبرتُه بشيءٍ ولم أقلْ له بلِّغْ صار منبأً غيرَ مُرْسَل.

✿ **قولُه: «فيأْتُون نُوحًا فيقولُ: لستُ هناك. ويَذكُرُ خطيئتَه التي أصـابَ، ولكـن ائتُـوا إبـراهيمَ خليلَ الرحمن»**

---

(١) أخرجه ابن حبان (٦١٩٠).

(٢) البيت لذي الرمة وصدره: لما خططت الرحل عنها وارادًا.

نوحٌ عليه الصلاة والسلام يذكرُ خطيئتَه، وهي سؤالُه ربَّه ما ليسَ له به علمٌ، فإنَّه قالَ اللهُ عز وجل: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [هود:٤٥-٤٦]. تأمَّلْ كلام الربِّ عز وجل لأنبيائِه ورسلِه بهذه القوةِ والشدةِ ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ وقالَ لمحمدٍ آخرِ الرسلِ ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب:٣٧]. ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ كيفَ يقولُ اللهُ هذا الكلامَ للرسلِ، لأُولي العزمِ، ونحن -نسألُ اللهَ أن يَعُمَّنَا بعفوِه- نبارزُ اللهَ بالمعصيةِ القوليةِ والفعليةِ والعَقَدِيةِ إلا من رحم اللهُ، وكأنَّنا واثِقُون بأنَّنا ناجون؟! نسألُ اللهَ ألَّا يَكِلَنا إلى أنفسِنا طَرْفَةَ عينٍ.

قولُه: «ائتُوا إبراهيمَ خليلَ الرحمنِ» إذا قالَ قائلٌ مِن أينَ علمَ نوحٌ أنَّ إبراهيمَ خليلُ الرحمنِ؟

فالجوابُ: أنَّه علِم ذلك بالوحيِ قطعًا، وذلك لأنَّه لا يعلمُ الغيبَ، ولكن هل أَوْحى اللهُ إلى نوحٍ في وقتِ وجودِه في الدنيا أنَّه سيبعثُ إبراهيمَ، ويتخذُه خليلًا أو أنَّ نوحًا علِم بعدَ ذلك، ويكونُ الأنبياءُ تُعرضُ عليهم أحوالُ الناسِ في الدُّنيا؟

هذا مَحَلُّ نظرٍ ومراجعةٍ إن شاءَ اللهُ حتى يَتَبيَّنَ، وإن أخَذْنا هذا بالتسليمِ، وقُلْنا: نقولُ كما قالَ النبيُّ ﷺ، أمَّا كيفَ علِم أنَّه خليلُ اللهِ؟ فهذا ليسَ إلينا. إذا قُلْنا بهذا فقدْ أخَذْنا بما فيه الراحةُ والسلامةُ.

وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّ أعظمَ وصفٍ يحصلُ للإنسانِ، أنْ يتَّخذَه اللهُ خليلًا فقال: «خليلَ الرحمنِ» ولم يَقُلْ رسولٌ ولا نبيٌّ؛ لأنَّ الخُلَّةَ درجةٌ عظيمةٌ ولا نعلمُ أنَّ أحدًا نالَها مِن البشرِ إلَّا رَجُلين هما إبراهيمُ ومحمدٌ -عليهما الصلاةُ والسلامُ- فقد قال ﷺ: **«إنَّ اللهَ اتَّخذَني خليلًا كما اتَّخذَ إبراهيمَ خليلًا»**(١) وبه نعرِفُ أنَّ مَن قالُوا: إبراهيمُ خليلُ اللهِ، ومحمدٌ حبيبُ اللهِ نَقَصُوه؛ لأنَّ المحبةَ أدْنى مِن الخُلَّةِ، والخلةُ ثابتةٌ للرسولِ، المحبةُ تكونُ حتَّى لعامةِ المُؤْمِنين ولعامةِ المُحْسِنين ولعامةِ التَّوابين ولعامةِ المُتَطَهِّرين، يَعْني: ليسَتْ خاصةً بالأنبياءِ، فضلًا عن أُولِي العزمِ، والخُلَّةُ لا نعلم أنها كانت إلا لهذين الرسولين الكريمين فالذي نجدُه في بعضِ الأدعيةِ أو في بعضِ كتبِ الوعظِ أو ما أشبهَ ذلك أنَّ إبراهيمَ الخليلُ ومحمدًا الحبيبُ، نقول: هذا خطأٌ وتَنَقُّصٌ في حقِّ الرسولِ ﷺ، فإذا قالَ: أنا أريدُ محمدًا الحبيبَ لي، قُلْنا: أيضًا نَقَّصْتَه، فقد كانَ أبو هريرةَ يقولُ: حدَّثني خَلِيلِي، أَوْصاني خَلِيلِي؛ لأنَّه اتَّخذَ النبيَّ خليلًا وهو أشدُّ مِن أنْ يَتَّخِذَه حبيبًا، فهل تتخذُ صديقَك خليلًا؟.

الجوابُ: أنَّه جاءَ في الحديثِ: **«المرءُ على دينِ خليلِه فلينظرْ أحدُكم مَن يخالِلُ»**(٢) والممنوعُ أنَّ الرسولَ يتَّخِذُ خليلًا، وأمَّا نحن فلَسْنا مَمْنُوعين أنْ نَتَّخِذَ الرسولَ خليلًا، أو أنْ نتخذَ مَن يستحِقُّ

---

(١) تقدم.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٠٣) وأبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨) وحسنه الألباني.

المحبةَ والخُلَّةَ خليلًا.

لكنَّ الشيءَ الذي يجبُ أنْ يتحرزَ الناسُ منه، ما وُجِدَ عندَ بعضِ الشبابِ والشاباتِ مِن المحبةِ مع اللهِ، والتي تكونُ أولَ ما تكونُ محبةً في اللهِ ثم تَنْمُو حتَّى تكونَ محبةً مع اللهِ، فتزاحمُ محبةَ اللهِ، إنْ لم تتغلبْ على محبةِ اللهِ ولا يكونُ في قلبِه إلا محبةُ هذا الشخصِ.

وهذه المسألةُ خطيرةٌ يجبُ أن يَنْتَبِهَ الإنسانُ لها بنفسِه، ويجبُ انْ يُنَبَّهَ لها غيرَه، أَلَّا تكونَ المحبةُ في اللهِ محبةً مع اللهِ، فإنَّها تكونُ نوعًا مِن الشركِ، قال تعالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

۞ قولُه: «فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطَايَاهُ الَّتِي أَصَابَهَا» المعروفُ أنَّ هذه الخطايا: هي أنَّه قالَ: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء:٦٣]. وقال: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات:٨٩]. وقالَ لملِكِ مصرَ: «هذه أختي» والرواياتُ في هذه مختلفةٌ، ولكن مع هذا فإنَّها ليسَتْ خَطَايا، لكنْ مِثْلُ خليلِ الرحمنِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَخْشَى أنْ تكونَ خَطَايا، وإلَّا فإنَّ إبراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان مُتَأَوِّلًا بما قالَ، والتأويلُ وإنْ كانَ ظاهرُه عند المخاطَبِ أنَّه كذبٌ، فإنَّه ليسَ بكذبٍ.

قال ابن حجر في «الفتح»(١١/ ٤٣٤):

۞ «لستُ هناكم. ويَذْكُرُ خطيئَته» زادَ مسلمٌ: «التي أصابَ، فيَسْتَحِي ربَّه منها» وفي حديثِ أبي بكرٍ: «ليسَ ذاكم عندي» وفي روايةِ هَمَّامٍ: «إنِّي كنتُ كَذَبْتُ ثلاثَ كذبات» زاد شيبانُ في روايتِه.

۞ قولَه: «إنِّي سقيمٌ» وقولَه: «فعلَه كبيرهم هذا» وقولَه لامرأتِه: «أخبريه أنِّي أخوك» وفي روايةِ أبي نضرةَ عن أبي سعيدٍ: «فيقولُ إنِّي كذَبْتُ ثلاثَ كذبات». قال رسولُ اللهِ ﷺ: «ما منها كذبةٌ إلا ما حل بها عن دينِ اللهِ» و«ما حل» بمهملةٍ؛ بمَعْنَى: جادلَ. وَزْنَه ومَعْنَاه، ووقَع في روايةِ حذيفةَ مقرونةً: «لستُ بصاحبِ ذلك، إنَّما كنتُ خليلًا من وراء وراءِ»، وضُبِط بفتحِ الهمزةِ وبضمِّها، واختلَف التَّرجيحُ فيهما، قالَ النوويُّ. أشهرُهما الفتحُ بلا تنوينٍ، ويجوزُ بناؤُهما على الضمِّ. وصوَّبه أبو البقاءِ والكنديُّ، وصوَّبه ابنُ دحيةَ، وصوَّب ابنُ دحيةَ الفتحَ على أنَّ الكلمةَ مركبةٌ مثلَ «شذر مذر» وإن ورد منصوبًا مُنَوَّنًا جازَ، ومَعْنَاه لم أكنْ في التقريبِ والإدلالِ بمنزلة الحبيب، قال صاحبُ التحريرِ: كلمةٌ تُقَالُ على سبيلِ التواضعِ؛ أي: لستُ في تلك الدرجةِ، قال: وقد وقَع لي فيه معنًى مليحٌ، وهو أنَّ الفضلَ الذي أُعْطِيتُه كان بسفارةِ جبريلَ، ولكن ائتُوا موسى الذي كلَّمَه اللهُ بلا واسطةٍ وكرَّر «وراءَ» إشارةً إلى نبيِّنا ﷺ؛ لأنَّه حَصَلَت له الرُّؤْيةُ والسماعُ بلا واسطةٍ فكأنَّه قال: أنا مِن وراءِ مُوسَى الذي هو مِن وراءِ محمدٍ. قال البيضاوي: الحقُّ أنَّ الكلماتِ الثلاثَ إنَّما كانَتْ مِن معاريضِ الكلامِ لكن لمَّا كانت صورتُها صورةَ الكذبِ أشْفَقَ منها استِصْغارًا لنفسِه عن الشفاعةِ مع وقوعِها؛ لأنَّ مَن كانَ أعرفُ باللهِ وأقربُ إليه منزلةً كان أعظمَ خوفًا. اهـ

إذًا: ليسَتْ خطايَا في الواقعِ لكن نظرًا لمقامِ الشفاعةِ وأنَّه أمرٌ عظيمٌ خافَ أنْ يكونَ مثلُ هذا

مانعًا له مِن أنْ يكونَ أهلًا؛ لأنْ يَشفَع للناسِ، والأمرُ لا شكَّ أنَّه مرادٌ أنَّ اللهَ ساقَ الشفاعةَ إلى محمدٍ ﷺ من وراءِ الأنبياءِ كلِّهم كما سيأتي إنْ شاءَ اللهُ.

✪ قولُه: «ولكن ائتُوا مُوسَى عبدًا أتاهُ اللهُ التوراةَ وكلَّمَه تكليمًا. فيأْتُون مُوسَى، فيقولُ: لستُ هناكم. ويَذْكُرُ لهم خطيئتَه التي أصابَ»

خطيئتُه التي أصابَ هي أنَّه قتَلَ القِبْطِيَّ الذي اسْتَغَاثَه عليه الإسرائيليُّ مِن بَنِي إسرائيلَ، ولهذا قالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اعتَرف بأنَّه ظلَم نفسَه مع أنْ قَتْلَه إيَّاه كانَ قبلَ أنْ يُنبَّأَ وقبلَ أنْ يَذهبَ إلى مَدينَ، لكنَّ الأنبياءَ عليهم الصلاةُ والسلامُ مقامُهم مقامُ الخوفِ والأدبِ مع اللهِ والتعظيمِ فهو يَرَى نفسَه أنَّه ليسَ أهلًا لأنْ يَشفعَ، وقد صدَر منهم قتلُ نفسٍ بغيرِ حقٍّ.

✪ قولُه: « ولكن ائتُوا عيسَى عبدَ اللهِ ورسولَه وكلمتَه وروحَه. فيأْتُون عيسَى، فيقولُ: لستُ هناكم، ولكن ائتُوا محمدًا ﷺ»

وعيسَى لم يذكرْ خَطِيئةً؛ ليكملَ الشرفُ لرسولِ اللهِ ﷺ بحيثُ يكونُ الأنبياءُ الذين سَبَقُوه منهم مَن اعْتَذَر لخطيئةٍ، ومنهم مَن اعتذَر لاعترافِه بأنَّ محمدًا أكملُ بدونِ خطيئةٍ لكنَّ الكمالَ لمحمدٍ ﷺ، وهذا فضلُ اللهِ يُؤْتِيه مَن يشاءُ أن يتنقلَ طلبُ الشفاعةِ مِن أبي البشرِ إلى أربعةٍ مِن أُولِي العزمِ ولا تحصلُ الشفاعةُ إلَّا مِن محمدٍ ﷺ، منهم من يَرى أنَّه عمِل أشياءَ تحولُ بينَه وبينَ أهليةِ الشفاعةِ وهم ثلاثةٌ نوحٌ وإبراهيمُ ومُوسَى، والرابعُ لا يذكرُ شيئًا، لكنْ يَرَى أنَّ هناكَ مَن هو أحقُّ منهم أن يشفَعَ وأكملُ منه، وهو محمد ﷺ.

✪ قولُه: «فيقولُ: لستُ هناكم، ولكن ائتُوا محمدًا ﷺ عبدًا غُفِر له ما تقدَّم مِن ذنبِهِ وما تأخَّرَ، فيأْتُونِي، فأنطلقُ فأستأذنُ على ربِّي، فيُؤْذَنُ لي عليه، فإذا رأيتُ ربِّي وقَعْتُ له ساجدًا فيَدَعُني ما شاءَ اللهُ أنْ يَدَعُني، ثم يقولُ لي ارفعْ محمدُ، وقلْ يُسمعْ وسلْ تُعطَهْ واشفعْ تُشَفَّعْ. فأحمدُ ربِّي بمحامدَ علَّمنيها، ثم أشفع، فيُحَدُّ لي حدًّا، فأدخلُهم الجنةَ، ثم أرجعُ، فإذا رأيتُ ربِّي وقعتُ ساجدًا، فيَدَعُني ما شاءَ اللهُ أنْ يَدَعَني»

✪ قولُه: «فأستأذن على ربِّي» يَعْنِي: طلَب من اللهِ أن يأذنَ له فيشفَعَ، هنا طُوِي ذكرُ سببِ طلبِ الشفاعةِ، لأن سببَ طلبِ الشفاعة وهو أنْ يُرِيحَهم اللهُ مِن الموقفِ، وهنا طُوِي ذكرُه لكنَّها ذُكِرَتْ في أحاديثَ أُخرَى أنَّ الرسولَ يشفعُ حتَّى يَأْتِيَ اللهُ عَجَّلَ للقضاءِ بينَ عبادِهِ.

قالَ أهلُ العلم: وإنَّما كانَ الرواةُ يَطْوُون ذكرَ هذه الشفاعة؛ لأنَّ هذه الشفاعةَ لا يُنْكِرُها أحدٌ مِن فِرقِ الأمةِ، فكلُّ الأمةِ لا تنكرُ الشفاعةَ العُظْمَى التي للقضاءِ بينَ العبادِ، فلهذا اقتَصر الرواةُ على ذكرِ الشفاعةِ التي فيها الخلافُ بينَ فرقِ الأمةِ، وهي الشفاعةُ فيمن دخَل النار.

فإنَّ الخوارجَ والمعتزلةَ يَرَوْن أنَّ مَن دخَل النارَ، فإنَّه لا يخرجُ منها بشفاعةٍ ولا غيرِها حتَّى وإنْ كانَ مِن المُؤمِنين؛ لأنَّ الخوارجَ يَرَوْن أنَّ فاعلَ الكبيرةِ كافرٌ مخلدٌ في النارِ، وأنَّ السارقَ، مَن سَرق

ربعَ دينارٍ كمن سجدَ لصنم كلاهما كافرٌ، مخلدٌ في النارِ.

والمعتزلةُ يَرَوْن أنَّ فاعلَ الكبيرةِ خارجٌ مِن الإيمانِ غيرُ داخلٍ في الكفرِ، فهو في منزلةٍ بينَ مَنْزِلَتين، لا يُعْطَى اسمَ الإيمانِ، ولا يُعْطَى اسمَ الكفرِ، لكنَّه في حكمِ الآخرةِ مخلدٌ في النارِ، فلا فرقَ بينَهم وبينَ الخوارجِ في حكمِ الآخرةِ، كلُّهم يَرَوْن أنَّ فاعلَ الكبيرةِ مخلَّدٌ في النارِ، فلهذا كانَ الرواةُ؛ رواةُ حديثِ الشفاعةِ كانوا يَذْكُرون ما يَتَعَلَّقُ بالخلافِ بينَ أهلِ السنةِ وبينَ أهلِ البدعةِ، وهو الشفاعةُ فيمنْ دخَل النارَ بذنبٍ لكنَّه ليسَ بكافرٍ.

✿ قولُه: «ثم أرجعُ، فإذا رأيتُ ربِّي وقعتُ ساجدًا، فيَدَعُني ما شاءَ اللهُ أنْ يَدَعَني ثم يقالُ ارفع محمدُ، وقلْ يُسمعْ وسلْ تُعْطَه واشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأحمدُ ربِّي بمحامدَ علَّمَنِيها، ثم أشفعُ فيحدُّ لي حدًّا، فأدخلُهم الجنةَ، ثم أرجعُ، فإذا رأيتُ ربِّي وقَعتُ ساجدًا، فيَدَعُني ما شاءَ الله أنْ يَدَعَني، ثم يقالُ: ارفَعْ محمدُ، قلْ يُسْمَعْ وسَلْ تُعْطَه واشفعْ تُشَفَّعْ. فأحمدُ ربِّي بمحامدَ علَّمَنيها، ثم أشفعُ فيُحدُّ لي حدًّا فأُدْخِلُهم الجنةَ، ثم أرجعُ فأقولُ: يا ربِّ ما بَقِيَ في النارِ إلَّا مَن حبَسه القرآنُ ووجَب عليه الخلودُ»

✿ فقال النبيُّ ﷺ: «يخرجُ مِنَ النارِ مَن قالَ: لا إلهَ إلَّا اللهُ، وكانَ في قلبِه من الخيرِ ما يزنُ شعيرةً، ثم يخرجُ مِن النارِ مَن قالَ: لا إله إلا اللهُ وكان في قلبِه مِن الخيرِ ما يزنُ بُرَّةً، ثم يخرجُ مِنَ النارِ مَن قالَ: لا إله إلا اللهُ وكانَ في قلبِه ما يزنُ من الخيرِ ذرةً»

وهذه الشفاعةُ لأهلِ الكبائرِ مِن هذه الأمةِ لقولِه ﷺ: «شفاعتي لأهلِ الكبائرِ مِن أُمَّتِي»[1] وإذا شفَع لهم الرسولُ ﷺ أو الأنبياءُ الآخرون أو الملائكةُ أو الصَّالِحون أخرَج اللهُ ﷻ مِن النارِ مَن في قلبِه مثقالُ ذرةٍ مِن الخيرِ.

والشاهدُ مِن هذا الحديثِ كلِّه هو قولُه في آدمَ: «خلقَك اللهُ بيدِه» ففيه إثباتُ اليدِ للهِ ﷻ وسبَق الكلامُ عليها وبيانُ الوجوهِ التي ورَدت عليها بالكتابِ والسنةِ.

ومعنَى قوله ﷺ: «ما بقي في النارِ إلا مَن حبَسَه القرآنُ» أي: الكفارُ وهم الذين حبَسهم القرآنُ أنَّهم لا يَخْرُجون منها قالَ اللهُ تعالَى: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر:٤٨]. ولهذا قالَ: «ووجَبت عليه الخلودُ».

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤١١- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، قال: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَدُ اللَّهِ مَلأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَقَالَ: عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢١٣)، وأبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥) وصححه الألباني.

الأُخْرَى الْمِيزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ»[1].

قولُه: «يدُ اللهِ مَلْأَى، لا يَغِيضُها نفقةٌ» يَعْنِي، لا يَنْقُصها، و«سحاءَ» يَعْنِي: كثيرةَ العطاءِ، «الليلِ والنهارِ» يَعْنِي: في الليلِ والنهارِ فقوله: « سحَّاءَ الليلَ والنهارَ» يَعْنِي: أنَّها كثيرةُ العطاءِ ليلًا ونهارًا، والليلُ والنهارُ أوسعُ مِن قولِه في الليلِ والنهارِ؛ لأنَّه إذا قيل في الليل والنهارِ. فإنَّ «في» الظرفيةِ تحتملُ أنْ تكونَ في جميعِ الليلِ والنهارِ أو أنْ تكونَ في جزءٍ منه أمَّا إذا قالَ: «الليل والنهار» فالمَعْنَى دائمًا.

وقولُه: «أرأيتُم ما أنفقَ منذُ خلَق السمواتِ والأرضَ» يَعْنِي: أخبِرُوني ماذا أنفقَ منذُ خلَق السمواتِ والأرضَ مَن يستطيعُ إحصاءَه؟

الجواب: لا أحدَ قوله: «فإنَّه لم يَغِضْ ما في يدِه» «لم يَغِضْ» يَعْنِي: لم يَنْقُصْ، ومنه قولُه تعالَى: ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾ يَعْنِي: نقَص.

فإنْ قالَ قائلٌ: معلومٌ أنه لا يغيض ما في يده، لأنَّه يُنْفِقُ ممَّا في يدِه على ما في ملكِه، فالكلُّ لن يخرجَ عن ملكِه، فكيفَ يُتَصَوَّرُ النقصُ؟

قُلْنَا: هذا مثَلٌ: والمرادُ لو قُدِّرَ أنَّه ينفقُ خارجَ ملكِه لم يكنْ ذلك ناقصًا ممَّا عندَه كما جاءَ في الحديثِ، حديثِ أبي ذَرٍّ الغِفاريِّ الطويلِ الذي أخرجه مسلمٌ ورَواه النبيُّ ﷺ عن ربِّه قال: «يا عبادِي، لو أنَّ أوَّلَكم وآخرَكم وإنسَكم وجنَّكم قَامُوا في صعيدٍ واحدٍ فسَألُوني فأعطيتُ كلَّ إنسانٍ مَسْأَلَتَه ما نقَص ذلك مما عندِي إلا كما يَنْقُصُ المخيطُ إذا غُمِسَ في البحرِ»[2] إذا غَمَسْتَ المِخْيطَ في البحرِ ثم نَزَعْتَه ماذا يَنْقُصُ مِن البحرِ؟ لاشيءَ؛ يَعْنِي: لا يَنْقُصُ مِن ذلك شيئًا، والمَعْنَى: أنه لو قُدِّر أنَّني أعطيتُ مَن هم خارجَ مُلكِه، أمَّا وهم في ملكه فهم في مُلكه، سواءٌ أعْطَاهم أو ما أعطاهم، فهم في ملكِه، فهذا من بابِ التمثيل.

قولُه: «وعرشُه على الماءِ» هذا ماءٌ غيرُ الماءِ الأولِ الذي كانَ قبلَ خلقِ السمواتِ والأرضِ، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود:٧] ولكن هذا ماءٌ آخرُ بينَ السماءِ السابعةِ والعرشِ، فهو ماءٌ عظيمٌ عليه العرش.

فإن قيل: هل يتعارضُ كونُ عرشه على الماء مع قوله ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ۝١٧﴾ [الحاقة:١٧]؟.

الجواب: مايمنع أن يكونَ على الماء ومحمول،هذا شيءٌ متصورٌ، مع أن الآية ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾. هذا يوم القيامة، أما الآن فالمشهور أن حملة العرش أربعة.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٩٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

۞ قولُه: «وبيدِه الأُخرَى الميزانُ» يَعْنِي: إحْدَى اليَدَيْن للعطاءِ، وهو فضلٌ محضٌ، والأُخْرَى فيها العدلُ يَخْفِضُ ويَرْفَعُ، يخفضُ مَن اقْتَضَتْ حكمتُه خَفْضَه، ويَرْفَعُ مِن اقْتَضَتْ حكمتُه رَفْعَه، كما قالَ اللهُ تعالَى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران:٢٦].

والشاهدُ مِن هذا الحديثِ قولُه: «يَدُ اللهِ مَلْأَى»، «وبيدِه الأُخْرَى» فأفادَ هذا الحديثُ أنَّ للهِ عَزَّ وَجَلَّ يَدَيْن اثْنَتَين.

۞ قولُه ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾. هذا واضح، فهذا الماء الأوّل، لكن هذا ماءٌ فقو السماء السابعة، كما جاء ذلك في سياق الحديث الذي ذكره الشيخُ محمدُ بنُ عبدِ الوهابِ في آخر كتابِ التوحيد، قال: «بين السماء السابعةِ وبين العرشِ بحرٌ بين أعلاه وأسفلِه مسيرةُ خمسمائةِ عامٍ»[1] أما يومَ القيامةِ، فإنه من الجائزِ أنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعْدِمُ هذا الماءَ ويكونُ العرشُ هو سقفُ جنةِ الفردوسِ.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤١٢- حَدَّثَنَا مُقَدَّمُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي الْقَاسِمُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبِضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الأَرْضَ وَتَكُونُ السَّمَوَاتُ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ». رَوَاهُ سَعِيدٌ عَنْ مَالِكٍ[2].

٧٤١٣- وقال عمرو بنُ حمزةَ: سَمِعْتُ سَالِمًا سمعتُ ابنَ عمرَ، عن النبيِّ ﷺ بهذا[2] وقال أبو اليمانِ، أخبرنا شعيبٌ عن الزهريِّ، أخبَرني أبو سلمةَ، أنَّ أبا هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «يَقْبِضُ اللهُ الأرضَ»[4].

المؤلفُ رَحِمَهُ اللَّهُ ساقَ هذا للإشارةِ إلى أنّه لا قبضَ إلا بيدٍ، وأنَّ قولَه تعالَى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر:٦٧]. يَدلُّ على أنَّ للهِ يدًا يَقْبِضُ بها، خلافًا لأهلِ التعطيلِ الذين قالُوا: إنَّ المرادَ بالقبضِ السيطرةُ على الأرضِ والسلطانُ عليها، فلم يَقُلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: والأرضُ في قبضتِه. قال: قَبْضَتُه والقبضةُ: ما يقبضُ باليدِ، فهذا مدلولُها اللغويُّ، وهو ظاهرُ اللفظِ، فالبخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ ساق هذا الحديثِ لهذه الفائدةِ.

---

(١) انظر «القول المفيد شرح كتاب التوحيد» (٣/ ٣٨٣)، (٣٨٤) وعزاه لأبي داود.

(٢) رواه مسلم (٢٧٨٧).

(٢) رواية عمرو بن حمزة عند البخاري معلقة (٧٤١٣)، ومسنده عند مسلم(٢٧٨٨).

(٤) ورواية أبي اليمان علّقها البخاري (٧٤١٣)، وأسندها ابن خزيمة في صحيحه عن محمد بن يحيى الذهلي، عن أبي اليمان. هكذا عزاه الحافظ في الفتح (١٣/ ٣٦٧)، وانظر: تغليق التعليق (٥/ ٣٤٣).

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤١٤- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، سَمِعَ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ، عَنْ سُفْيَانَ، حَدَّثَنِي مَنْصُورٌ وَسُلَيْمَانُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ يَهُودِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْخَلَائِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾.

قَالَ: يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ وَزَادَ فِيهِ فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَبِيدَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَعَجُّبًا وَتَصْدِيقًا لَهُ[1].

٧٤١٥- حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: سَمِعْتُ عَلْقَمَةَ يَقُولُ: قَالَ: عَبْدُ اللَّهِ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْخَلَائِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ. فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾[2].

كلُّ هذا يؤيدُ ما سبقَ من أنَّ الأرضَ قبضته بيده عَزَّوَجَلَّ.

وفي الحديثِ: إثباتُ الأصابعِ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وقد جاءتْ في غيرِ هذا الحديثِ، مثلَ قولِه ﷺ: «ما من قلبٍ من قلوبِ بني آدمَ إلَّا وهو بينَ أصْبُعَيْنِ مِن أصابعِ الرحمنِ»[3]. فعقيدتُنا أنْ نثبتَ للهِ الأصابعَ، وجاءَ في حديثِ اختصامِ الملأِ الأعْلَى أنَّ له أناملَ[4]. فإذا أثبتَ اللهُ لنفسِه أو أثبتَ له الرسولُ ﷺ أيَّ صفةٍ كانتْ، فلا تَسْتَوْحِش منها، وأثْبتها للهِ، لكن اجْعَلْ أمامَكَ شيْئَيْنِ:

الأولُ: انتفاء المماثلةِ؛ لقولِه تعالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

الثَّاني: امتناع التكييفِ؛ لقولِه تعالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾. فإذا ضَمِنتَ لنفسِك هَذَين الأمْرَين فاسْتَقِرَّ ولا تستوحشْ مِن أيِّ صفةٍ يُثْبِتها اللهُ لنفسِه أو يثبتُها له رسولُه ﷺ.

وفي الحديثِ الأول ذكر خمسةَ أصابعَ. وفي الحديثِ الثَّاني ذكر أربعةً، ولا منافاةَ، لأنَّا نأخذُ بالزائدِ، ونقولُ: هذا يقعُ مِن اختلافِ الرُّواةِ ولا يضرُّ، المهمُّ ثبوتُ أصلِ الشيءِ، وهو الأصابعُ.

وإصبعٌ في اللغةِ العربيةِ يقولُون: لا يُمكِن أنْ يخطيءَ فيه ألحنُ الناسِ، يَعْنِي: مِن حيثُ

---

(١) رواه مسلم (٢٧٨٦).

(٢) رواه مسلم (٢٧٨٦).

(٢) رواه مسلم (٢٦٥٤).

(٤) رواه الإمام أحمد (١/ ٣٦٨)، (٣٤٨٤)، والترمذي (٣٢٣٣)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٣٢٠)، والأجري في «الشريعة» (ص٤٩٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٦٩).

وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على سنن الترمذي (٣٢٣٣).

التصريف، لا مِن حيثُ الإعراب، فالإعرابُ يَمْكِنُ أنْ يَلْحَنَ فيه، فمثلًا: لو قلت: قطعتُ أصبعٍ بالسكينةَ. فهذا لحنٌ، لكنْ مِن الناحية التصريفية لا يمكنُ أن يخطئَ فيه أحدٌ.

✿ قولُه: «ضحك الرسولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ» تعجبًا وتصديقًا له. أنكر بعضُ أهلِ التعطيلِ هذا الاستنتاجَ مِن حديثِ ابنِ مسعودٍ، قال: إن هذا الاستنتاجَ من عبد اللهِ بن مسعودٍ، وإنَّما أرادَ النبيُّ ﷺ الإنكارَ على اليهوديِّ، وأنَّه جعل كلامَه كالذي يُضْحَكُ منه سخريةً واستهزاءً، فانظر إلى البلاءِ إذا اعتقد الإنسان قبل أن يستدل حرَّف النصوص تحريفًا واضحًا فما هو الجوابُ؟

نقولُ: الجوابُ مِن وَجْهين:

الوجهُ الأولُ: أنَّ الصحابةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أفقهُ الناسِ بحديثِ رسولِ اللهِ ﷺ فإذا قالَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ: إنَّه تعجُّبٌ وتصديقٌ لقولِ الحَبْرِ. فهو أعلمُ منكم أيُّها الخَلَفُ بلا شكٍّ.

الوجهُ الثَّاني: أنَّ النبيَّ ﷺ قَرَأَ الآية: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾. وقراءةُ الآيةِ هل هو تأييدٌ أو تفنيدٌ؟

الجوابُ: تأييدٌ ولا شكٌّ. فبطل دَعْوَى هؤلاء أنَّ الرسولَ ﷺ ضَحِك كالساخرِ به لا كالمُقِرِّ المُصَدِّقِ، وللرسول ﷺ شفاعات هي: الشفاعةُ الثابتةُ هي الشفاعةُ العُظمَى وهي شفاعةٌ في أهلِ الموقفِ[1] داخلةٌ في قولِه تعالَى: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء:٧٩]. وهذه خاصةٌ به.

وشفاعةٌ أُخرى خاصةٌ به وهي الشفاعةُ في أهلِ الجنةِ أن يدخُلوا الجنةَ[2]، لأنَّ أهلَ الجنةِ يَصِلُونَ إلى بابِ الجنةِ، ولا يدخُلونها حتَّى يشفعَ النبيُّ ﷺ لهم في دخولِها.

الثالثةُ: شفاعتُه في عمِّه أبي طالب، فإنَّ اللهَ تعالَى أذِن له أن يشفعَ في عمِّه أبي طالبٍ مع أنَّه كافرٌ، لكنَّ هذه الشفاعةَ لعمِّه أبي طالبٍ لم تُخرِجْه من النارِ، بل جُعِل في ضحضَاحٍ من نارٍ وعليه نعلانِ مِن نارٍ يَغلي منهما دماغُه[3]، أعوذُ باللهِ، وهذه ثلاثُ شفاعاتٍ خاصةٌ به.

الرابعةُ: الشفاعةُ العامةُ التي له ولغيره، ذكَرها أهلُ العلمِ في مَن استحقَّ النارَ ألَّا يَدْخُلَها، وفيمن دخَلَها أنْ يخرُجَ منها، وهذا النوعُ مِن الشفاعةِ يكونُ في الدُّنيا، ويكونُ في الآخرةِ، يكونُ في الدُّنيا كقولِه ﷺ: «**ما مِن رجلٍ مسلم يموتُ فيقومُ على جِنَازتِه أَرْبَعون رجلًا لا يُشركُون باللهِ شيئًا إلَّا شَفَّعهم اللهُ فيه**»[4] يَعْني؛ قَبِل شفَاعَتَهم؛ لأنَّهم يَدْعُون له في الصلاةِ عليه: اللهمَّ اغْفِرْ له اللهمَّ ارْحَمْه.

وبالمناسبةِ في صلاةِ الجنازةِ نبدأ أولًا بالفاتحةِ ثمَّ بالصلاةِ على النبي ﷺ، ثم بالدعاءِ لنا، ثم بالدعاءِ للميتِ؛ لأنَّ حقَّ اللهِ مقدمٌ على كلِّ شيءٍ، وحقُّ الرسولِ ﷺ مقدمٌ علينا ثم حقُّ عمومِ

(١) تقدم تخريجه.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) رواه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩).
(٤) رواه مسلم (٩٤٨).

المسلمين، ثم حقُّ الميتِ الخاصِّ.

وفي التشهدِ نبدأُ بحقِّ اللهِ، ثم حقِّ الرسولِ، ثمَّ حقِّنا نحن، ثمَّ حقِّ العمومِ، فحقُّ اللهِ: «التحياتُ للهِ والصلواتُ والطيباتُ» وحقُّ النبيِّ: «السلامُ عليك أيُّها النبيُّ ورحمةُ اللهِ وبركاتُه» وحقُّنا نحن: «السلامُ علينا وعلى عبادِ اللهِ الصَّالحين» مما يَدُلُّنا على أنَّ حقَّ اللهِ مُقَدَّمٌ على كلِّ شيءٍ ثم حق الرسولِ مقدمٌ على حقِّنا، ثم نبدأُ بأنفسِنا قبلَ غيرِنا.

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٠- بابُ قولِ النبي ﷺ: «لا شخصَ أغيرُ مِن اللهِ»

وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ « لَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ ».

٧٤١٦- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ التَّبُوذَكِيُّ، قال: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ عَنْ وَرَّادٍ كَاتِبِ الْمُغِيرَةِ عَنِ الْمُغِيرَةِ قَالَ قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفَحٍ . فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ « تَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ ، وَاللَّهِ لأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّى ، وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُبَشِّرِينَ وَالْمُنْذِرِينَ وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنَ اللَّهِ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللَّهُ الْجَنَّةَ»(١).

هذا البابُ أرادَ المؤلفُ رَحِمَهُ اللَّهُ أنْ يُبيِّنَ فيه صفةُ الغَيرةِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، وهي مِن صفاتِهِ التي جاءَ بها الحديثُ عن رسولِ ﷺ.

والغيرةُ هي أن يَغَارَ الإنسانُ على فِعلِ مَا يَكْرَهُه، يَعْنِي: أنَّه يطلبُ تَغيُّرَ ما حصَل ممَّا يَكْرَهُه، هذا أصلُ اشتقاقِ الغيرةِ أنَّ الغَائِرَ يَكرَهُ ما حصَل ويريدُ تَغْيِيرَه فهل يوصفُ اللهُ بالغيرةِ؟

الجوابُ: نعم، يوصفُ اللهُ بالغيرةِ كما يوصفُ بالفرحِ والضحكِ والعَجَبِ وما أشبهَها، وهذه الصفةُ مِن الصفاتِ الفعليةِ التي تتعلقُ بمشيئتِه، لأنَّ الضابطَ أنَّ كلَّ صفةٍ لها سببٌ فهي مِن الصفاتِ الفعليةِ، الضحكُ صفةٌ فعليةٌ، والفرحُ صفةٌ فعليةٌ، والعَجَبُ صفةٌ فعليةٌ، وكلُّ صفةٍ لها سبب فإنها صفة فعلية؛ لدخولها في الضابط المعروف عند العلماء، أنَّ في كل صفة تتعلقُ بمشيئتِهِ فهي صفةٌ فعليةٌ، ومعلومٌ أنَّ الصفةَ ذاتَ السببِ تتعلقُ بمشيئتِهِ؛ لأنَّه هو الذي شاءَ السببَ فلمَّا وُجِدَ السببُ وُجِدَتِ الصفة، فتوبةُ الإنسانِ إلى رَبِّه حصَلَتْ بمشيئةِ اللهِ، ثم ترتبَ عليها الفرحُ، هذا وجهُ قولِهم: إنَّ كلَّ صفةٍ ذاتُ سببٍ فإنَّها مِن الصفاتِ الفعليةِ فالغيرةُ مِن الصفاتِ الفعليةِ.

وهنا هلْ أرادَ البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ إثباتَ الشخصِ للهِ لكونِه تَرْجَم بقولِه: لا شخصَ أغيرُ مِن اللهِ.

---

(١) رواه مسلم (١٤٩٩).

فلمَّا ذكَر الأثرَ المعلَّقَ: لا شخصَ أغيرُ مِن اللهِ دلَّ هذا على أنَّ رَحِمَهُ اللَّهُ يريدُ ذلك، وهل يوصفُ اللهُ بالشخصِ أوْ لا؟

هذا يَنْبَني على أمْرين:

الأمرُ الأول. صحةُ اللفظِ: «**لا شخصَ أغيرُ منَ اللهِ**»؛ لأنَّ بعضَ ألفاظِ الحديثِ: «**لا أحدَ أغيرُ مِن اللهِ**» وهذا أكثرُ الرواياتِ.

وأحدٌ يصحُّ أنْ يوصفَ اللهُ به في الإثباتِ وفي النَّفْيِ، ففي الإثباتِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١] وفي النفيِ: «**لا أحدَ أغيرُ مِن اللهِ**». فنبحثُ هل هذه اللفظةُ محفوظةٌ أو غيرُ محفوظةٍ.

ثانيًا: إذا كانَتْ محفوظةً أن الرواة رَوَوا الحديثَ رَوَوْه بالمعْنَى، فبعضُهم عبَّر بالشخصِ وبعضُهم عبَّر بأحدٍ، فإنَّ ذلك لا يلزمُ منه ثبوتُ الشخصيةِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ لأنَّه يَحْتمِلُ أنَّ المَعْنَى: لا شخصَ منكم، أو: لا شخصَ مِن بَنِي آدمَ أغيرُ مِن اللهِ، وهذا لا يلزمُ منه أن يكونَ المُفَضَّلُ عليه من جنسِ المُفَضَّلِ كما لو قلتَ: لا رجلَ أقْوَى من الفيلِ، فهل يلزمُ أنْ يكونَ الفيلُ مِن الرجالِ؟

الجواب: لا يلزمُ.

إذًا: إذا كان لفظُ الحديثِ محفوظًا: لا شخصَ أغيرُ مِن اللهِ. فلا يلزمُ أنْ يكونَ اللهُ تَعَالَى موصوفًا بالشخصيةِ، ثم إذا سَلَّمْنا أنَّ اللفظَ محفوظٌ، وأنَّه يدلُّ على أنَّه يوصفُ بالشخصيةِ، فإنَّه لا يلزمُ مِن كونِه شخصًا أنْ يكونَ مماثلًا للأشخاصِ؛ لأنَّ اللهَ ليسَ كمثلِه شيءٌ، حتَّى في اللفظةِ التي يسْتَوي فيها الإنسانُ والربُّ عَزَّ وَجَلَّ فإنَّه لا يماثلُه في حقيقةِ معنَاها.

لكنْ رأيتُ بعضَ العلماءِ قال: إنَّهم أجْمَعُوا على أنَّه لا يوصفُ اللهُ بأنَّه شخصٌ. فيُحْتَاجُ إلى تحقيقِ هذا الإجماعِ، فإن صحَّ الإجماعُ لم يَبْقَ علينا إلا أنْ نقولَ: نبحثُ أولًا عن ثبوتِ هذا اللفظِ، هل هو محفوظٌ أو غيرُ محفوظٍ؟ لأنه ما دامَ الرواةُ الثقاةُ رَوَوه على وَجْهَينِ؛ لا أحدَ أكثر، فقد ولا شخصَ، وأحدُ يكونُ هذا اللفظُ شاذًّا[1].

الأمر الثاني: على تقدير ثبوت هذه اللفظةِ، لا تستلزمُ ثبوتَ الشخصيةِ لله إذا لا يلزم أن يكونَ المفضَّل عليه من جنسِ المفضَّل، ونظيره ما قلت لكم: أن يقولَ قائل: لا رجل أقوى من الفيلِ، فإنه لَا يلزم أن يَكونَ الفيلُ رجلًا وبهذا يزول الإشكال.

لكن إذا انتفى الإجماعُ وصحتِ اللفظة ولم يتوجَّه قولنا: إنه لا يلزم أن يكون المفضل والمفضَّل عليه من جنسٍ واحد، وثبت أن النبي ﷺ قال: وصف الله بإنه شخص، فالأمر في هذا سهل جدًّا،

---

(١) سئل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا ثبتت لفظة الشخص فهل نقولُ: التقديرُ: لا شخص من بني آدم. أو نقولُ: نثبت الشخصية لله عَزَّ وَجَلَّ ونقولُ: لا تكونُ كشخصية المخلوق؟

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: لا، إذا ثبتت ثبتت دلالتُها؛ لأنه فيه حديثٌ أخرجه أهل السنن أن أبا رزين العقيلي قال: يا رسول الله، كيف يحاسبنا الله وهو شخص ونحن جميعٌ؟. وهذه إذا ثبتت قطعَت النزاعَ.

وهو أن نقول: هو شخص ليس كالأشخاص ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾. ولا شك أن الله جلَّ وعلا ذات قائمة بنفسه، ولا شكَّ في هذا. لكن هل هو مثل الذوات الأخرى؟

الجواب: لا، له ذاتٌ تختصُّ به، لا يعلم كيفيتها إلا هو ﷻ.

وفي الحديث مِن المسائل بيانُ غيرَةِ سعدِ بن عُبَادةَ وهو سيدُ الخزرج، وسعدُ بنُ معاذٍ سيدُ الأوسِ، فالسعدانِ سيدانِ، أحدُهما سيدُ الأوسِ، والثاني: سيدُ الخزرج، والخزرجُ أكبرُ من الأوسِ وأشدُ في الحروبِ، لكن لكلِّ قبيلةٍ منهما خصائصُها.

وسعدُ بنُ عبَادةِ رضي الله عنه عندهُ غيرةٌ شديدة، حتَّى قيلَ: إنَّه إذا طلَّق امرأةً لم يتزوَّجْها أحدٌ بعدَه لشدةِ غَيرتِه، واللهُ أعلمُ بصحةِ هذا، لكنَّ هذا الحديثُ يدلُّ على شدةِ غيرتِه.

❁ يقولُ: «لو رأيتُ رجلًا مع امرأتِي لضَرَبتُه بالسيفِ غيرَ مُصَفَّحٍ»، مَعْني غيرَ مُصَفَّحٍ؛ أيْ: لا أضربُه بصَفْحَتِهِ بل أضْرِبُه بحَدِّه وإذا ضَرَبَه بَحدِّه قتَلَه. وقطَعه نِصْفَين، فبلَغ ذلك النبيَّ ﷺ فقالَ: «تَعْجَبُونَ» وفي لفظٍ: «أتَعْجَبُونَ مِن غَيرةِ سعدٍ» والمَعْنَى فيهما واحدٌ؛ لأنَّ همزةَ الاستفهام قد تحذفُ مِن الجملةِ بدليل، ومِن ذلك قولُه تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنبياء:٢١]. التقديرُ: أهم يُنْشِرُون؟ ولهذا يَنْبَغي لك إذا قرأت القرآنَ فقُلْتَ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أن تَقفَ، لأنَّك لو وَصلتَ؛ يُفْهمُ مِن وَصْلِكَ أنَّ جملةَ ﴿هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ صفةٌ لـ«آلهةٍ» فيتغيرُ المَعْنَى، ولكنَّ المَعْنَى: أهم يُنْشِرون، أيقدرُ هؤلاءِ على نشرِ الموتَى؟ الجوابُ: لا.

فهنا «أتَعْجَبُون» إن كانتْ باللفظِ: «أتعْجَبون» فالأمرُ واضحٌ، وإن حُذِفَتْ الهمزةُ، فبالدليل عليها.

❁ قولُه: «واللهِ لأنا أغيرُ مِنه، واللهُ أغيرُ مني» واختلفَ العلماءُ من هذا الكلامِ في رسول الله ﷺ أهو إقرارٌ أو إنكارٌ، يَعني هل الرسول عليه الصلاة والسلام أقَرَّ سعدًا على ما حكَم به، من أنَّه لو وجَد رجلًا مع امرأتِه لضَرَبَه بالسيفِ؟ أو هو إنكارٌ منه؟

فعلى الأولِ يكونُ قولُه عليه الصلاة والسلام: «والله إنِّي لأغيرُ منه، واللهُ أغيرُ مِنِّي» يكونُ ثناءً على سعدٍ، ولكنَّه لَيْسَتْ غيرتُه أعظمَ مِن غيرةِ اللهِ ورسولِه، وعلى الثَّاني يكونُ المَعْنَى: أنِّي أغيرُ منه واللهُ أغيرُ مِنِّي ومعَ ذلك لم يُشْرَعْ هذا الفعلُ الذي عزَم عليه الإنسانُ.

والأقربُ عِنْدِي الأولُ أنَّ ذلك إقرارٌ ؛ لأنَّه لو كان إنكارًا لبَيَّنَه النبيُّ ﷺ بيانًا شافيًا، فإن الأمرَ خطيرٌ؛ لأنَّ الأمرَ هو قتلُ نفسٍ، فلو كان قتلُ هذه النفسِ بغيرِ حقٍّ لبَيَّنَه الرسول ﷺ، ويدلُّ على هذه القصة التي وقَعت في عهدِ عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه، أنَّه رُفِعَ إليه رجلٌ قتَل شخصًا وجدَه على امرأتِه، فضرَبه بالسيفِ فقطعه جِزْلَتَيْنِ ،فارْتَفَعُوا إلي عمرَ، فقالَ الرجلُ: أنا لم أَضْرِبْ إلا فوقَ فَخِذَي امْرَأتِي، فإن كان فَوقَ فَخِذَيْها أحدٌ فقد ضَرَبْتُه. فقالَ لأولياءِ المقتولِ: ما تَقُولُونَ؟ قالُوا: لا نقولُ شيئًا: فأخذَ

عمرُ السيفَ فهزَّه، وقالَ له: إنْ عَادُوا فَعُدْ[1].

فهذا إقرارٌ، ولا شكَّ أنَّ هذا هو الحكمةُ وليسَ هذا مِن بابِ دفعِ الصائلِ؛ لأنَّه لو كان من باب دفع الصائلِ لكانَ الواجبُ على الزوجِ أنْ يقول له: يا فلانُ اتَّقِ اللهَ كيفَ تفعلُ الفاحشةَ في أهْلِي فإذا أَبى أن يقومَ جَرَّه، فإنْ عَجز عنه فله أن يَقْتُلَه إذا لم يَنْدَفِعْ بغيرِ القتلِ، ولكنَّ هذا ليس مِن بابِ دفعِ الصائلِ بل مِن عقوبةِ المُعتَدِي.

فإنْ قالَ قائلٌ: وهل لهذا نظيرٌ في الشرعِ؟

قُلْنا: نعم، لو أنَّ رجلًا نَظَر إليك مِن خَصَاصِ البابِ يَعْنِي: فتحةَ البابِ، والبابُ مغلقٌ، فإنَّه يجوزُ لك أنْ تأخذَ المِدْرأ وتفقأَ عينهُ بدونِ إنذارٍ، حتَّى إنَّ الرسول ﷺ أخذ المِدْرَأ وجعلَ يختبِئُ[2] مِن أجلِ ألَّا يُحِسَّ به، ولو كانَ هذا مِن بابِ دفعِ الصائلِ، لتكلَّم إليه أولًا، وقال: انصرفْ عن البابِ، اتَّقِ اللهَ. فإذا أَصرَّ يُعامَلُ بما يُعامَلُ به.

فالظاهرُ لي: أنَّ قولَ رسول اللهِ ﷺ: «**أَتَعْجَبُون مِن غَيرةِ سعدٍ ... إلخ**» أنَّ هذا مِن بابِ الثناءِ على سعدٍ، والإقرار على ذلك، ولكن لو ادَّعى أحدٌ هذه الدَّعْوَى أنَّه وجَد هذا القتيلَ على أهلِه، وأنكر أولياءُ القتيلِ فماذا نَصْنَعُ؟.

هل **نقولُ للقائلِ**: ائتِ ببينةٍ، لأن البينةَ على المُدَّعِي، واليمينُ علي مَن أنكر، أو نقولُ: إنَّه صادقٌ؛ لأنَّ إقامةَ البينةِ على مثلِ هذه القضيةِ متعذرةٌ أو متعسِّرةٌ؟ لو ذهَب يَأتِي بأربعةِ شهداءَ لكان هذا الرجلُ قَضى حاجتَه ووَلَّى، ولهذا كان سببُ كلامِ سعدِ بنِ عبادةَ رضي الله عنه أن اللهَ أنزلَ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: ٤]. قال: أَرَى لُكَعَ بنَ لُكَعٍ على أهلي، وأَذْهَبُ آتي بأربعةِ شهداءَ، واللهِ لو رأيتُه لأَضْرِبَنَّه بالسيفِ غيرَ مُصَفَّحٍ. فإقامةُ البينةِ متعذرةٌ، لكن قبولَ الدَّعْوى أيضًا مُشْكِلٌ؛ لأنَّ كلَّ إنسانٍ يستطيعُ أنْ يَدْعُوَ شخصًا إلى بيتِه وهو يريدُ قتلَه، فيقتلَه ويَدَّعِي هذه الدَّعْوَى، فاختلفَ العلماءُ في هذا، فقالَ الفقهاءُ فقهاء الحنابلةِ: لا تُقْبَلُ دَعْوَاه، ويُقْتَلُ؛ لأنَّه قتَل نفسًا مُحَرَّمَةً، وتكونُ هذه المصيبةُ عليه رِفعةَ درجاتٍ له عندَ اللهِ، ولكنَّ حَبْرَ زمانِه، وإمامَ مَن بعده شيخَ الإسلامِ ابنَ تيميةُ قال: لا تَأتِي بمثلِ هذا شريعةُ الإسلامِ المبنيةِ على العدلِ والحكمةِ، بل يجبُ أن يُنْظَرَ، فإذا كانَ المُدَّعِي رجلَ خيرٍ، وعَدلًا، وكان المقتولُ شِريرًا معروفًا بالخبثِ، فإنَّ القولَ قولُ المُدَّعِي القاتلِ، وإنْ كان الأمرُ بالعكسِ فالقولُ لأولياءِ المقتولِ، وقال: إن القرائنَ تَثْبُتُ بها الأحكامُ، فالحاكمُ في قصة يوسفَ حكَم بالقرينةِ، قال: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ

---

(١) عزاه ابن قدامة في «المغنى» (١١/ ٤٦٢)، إلى سنن سعيد بن منصور، وكذلك عزاه العلامة الإلباني إلى سنن سعيد بن منصور كما في «الإرواء» (٧/ ٢٧٤) (٢٢١٧).

(٢) رواه البخاري (٦٢٤٢)، ومسلم (٢١٥٧).

﴿٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٧ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾ [يوسف:٢٦-٢٨].

حكَم، وقال ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ٢٨﴾ وسليمانُ أيضًا حكَم بالقرائنِ في قصة المرأتين المُتنازِعَتين على ابن لإحداهما فدَعَا بالسكينِ، فقالَ: أشقُّ الولدَ نِصْفَيْن نصفٌ لهذه ونصفٌ لهذه، أمَّا الكبيرةُ فرَحَّبَتْ بهذا الحكمِ، وأمَّا الصغيرةُ[1] فأَبَتْ، وقالَتْ: هو ولدُها يا نبيَّ الله. فقضى به للصغيرةِ، عَرَف أنَّها أمُّه وأنَّها آثَرتْ حياتَه على مُفارَقتِه، أمَّا الكبيرةُ فقد هلك ولدُها، وأرادَتْ أن يَهْلِكَ هذا الولدُ معه فليسَ في قلبها رحمةٌ له فعرفَ، أنَّه ليسَ ولدَها.

فالحاصلُ: أنَّ ما ذهَب إليه شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ اللهُ هو الحقُّ في هذه المسألةِ.

۞ قولُه: **«ومِن أجلِ غَيْرةِ اللهِ حَرَّمَ الفواحشَ ما ظهَرَ منها وما بَطنَ»** . «ما ظهرَ» هل ظَهَر فحشُه وخفِي أو ظهَر للناسِ واشْتَهَر أو خَفِي عنهم أو الأمران؟

الجوابُ: أنَّه الأمرانِ جميعًا.

۞ قولُه: **«ولا أحدَ أحبُّ إليه العذرُ مِن اللهِ، ومِن أجلِ ذلك بعثَ المُبَشِّرين والمُنْذرين»** يَعْني: الرسل، وذلك لإقامةِ العذرِ والحجةِ كما قالَ اللهُ تعالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾. استدلَّ بهذه الآيةِ أهلُ السنةِ على طائفةٍ منحرفةٍ في بابِ القدرِ، وهي الجهميةُ، لأنَّهم كانُوا جَبْرِيَّةً؛ لأنه لو ثَبتَ الجَبْرُ لكان حجةً، حتَّى لو جاءَ الرسلُ وقال الإنسان إنه يُجبر على المخالفة فهو حُجَّة.

۞ قولُه: **«ولا أحدَ أحبُّ إليه المِدْحَةُ مِن اللهِ، ومِن أجلِ ذلك وعَد الجنةَ»**. وعَدَ الجنةَ لمَن مدحه وأثْنَى عليه وقامَ بعبادتِه.

قال الحافظ في الفتح (١٣/ ٣٩٩):

۞ قولُه: **«بابُ قولِ النبيِّ ﷺ لا شخص أغيرُ مِن اللهِ»** كذا لهم ووقَع عندَ ابنِ بَطَّالٍ بلفظِ **«أحد»** بدل **«شخص»** وكأنه من تغييره.

۞ قوله: **«لا شخص أغير من الله»** يعني: أن عبيد الله بن عمرو روى الحديث المذكور عن عبد الملك بالسند المذكور أولًا فقال: **«لا شخص»** بدل قوله: **«لا أحد»**

وقد وصَله الدَّارِميُّ عن زكريَّا بنِ عديٍّ، عن عبيدِ الله بنِ عمروٍ، عن عبدِ الملكِ بنِ عميرٍ، عن وَرَّادٍ مَوْلَى المغيرةِ، عن المغيرةِ، قالَ: بلَغ النبيَّ ﷺ أنَّ سعدَ بنَ عبادةَ يقولُ، فذكَره بطولِه، وساقَه أبو عوانةَ يعقوبُ الإسْفِرَايِنيّ في صحيحه عن محمد بن عيسَى العطَّار، عن زكريَّا بتمامِه، وقالَ في المواضعِ الثلاثةِ: «لا شخص» قالَ الإسماعيليُّ بعدَ أنْ أخرجَه مِن طريقِ عبيدِ اللهِ بنِ عمرَ القواريْريِّ وأبي كاملٍ فضيل بنِ حُسَينٍ الجَحْدَريّ ومحمد بنِ عبد الملكِ بن أبي الشوارِبِ، ثلاثتُهم عن أبي

---

(١) تقدم في البخاري (٣٤٢٧، ٦٧٦٩).

عوانَـة الوَضَّـاح البـصريِّ بالـسندِ الـذي أخرَجـه البخـاريُّ، لكـن قـالَ في المواضـعِ الثلاثـةِ: «لا شخص»بدلَ «لا أحد» ثم ساقَه مِن طريقِ زائدةَ بن قدامةَ عن عبدِ الملكِ كذلك فكأنَّ هذه اللفظـةَ لم تقعْ في روايةِ البخاريِّ في حديثِ أبي عوانةَ عن عبدِ الملكِ، فلذلك عَلَّقها عن عبيدِ اللهِ بن عمروٍ.

قلتُ: وقد أخرَجَه مسلمٌ عن القواريريِّ وأبي كاملٍ كذلك، ومِن طريـقِ زائـدة أيـضًا قـالَ ابـنُ بَطَّالٍ: أجمعَتْ الأمةُ على أنَّ اللهَ تعالى لا يجوزُ أنْ يُوصَفَ بأنه شخصٍ؛ لأنَّ التوقيـفَ لم يَـرِدْ بـه، وقـد مَنَعَتْ منه المجسمةُ مع قولِهم بأنَّه جسمٌ لا كالأجسام. كذا قالَ، والمنقوُل عنهم خلافُ ما قالَ.

[وقولُه: المجسمة يَعْنِي: السلفَ واللهُ المستعانُ][1].

وقالَ الإسماعيليُّ: ليسَ في قولِه: «**لا شخصَ أغيرُ مِن اللهِ**» إثباتُ أنَّ اللهَ شخصٌ بل هو كـما جـاء «**ما خلَقَ اللهُ أعظَم من آيةِ الكرسيِّ**» فإنَّه ليسَ فيه إثباتُ أنَّ آيةَ الكرسيِّ مخلوقةٌ، بل المرادُ أنَّها أعظمُ مِن المخلوقاتِ، وهو كما يقولُ من يَصِفُ امرأةً كاملـة الفـضلِ حـسنةَ الخلـقِ: مـا في النـاسِ رجـلٌ يُشْبِهُها يريدُ تفضيلَها على الرجال لا أنَّها رجلٌ.

[والمثالُ الذي ذكرناه أوضح بكثير، وأما ما ذكره أنه «**ما خلق اللهُ أعظمَ من آية الكرسيِّ**»[2] فهذا يحتاجُ إلي إثباتٍ، ففي النفسِ منه شيٌ][3].

قال ابنُ بَطَّالٍ: اخْتَلَفَتْ ألفاظُ هذا الحديثِ فلم يُختلف في حـديثِ ابـنِ مـسعودٍ أنَّـه بلفـظِ «لا أحدَ» فظهَر أنَّ لفظَ «شخصٍ» جاءَ موضعَ «أحد» فكأنَّه مِن تَصَرُّفِ الرَّاوِي، ثم قال: على أنَّه مِن بابِ المُسْتَثْنَى مِن غيرِ جنسِه: كقولِه تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ [النجم:٢٨] وليس الظنُّ مـن نوعِ العلمِ، قلتُ: وهذا هو المعتمدُ

[لعلَّه ﴿إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ [النساء:١٥٧]. لأنَّ ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ مـا فيهـا اسـتثناء، مـا يُـستَثْنَى مِـن العلمِ؛ لأنَّ ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ مُفَرَّغ، لكن ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ هذه التي فيها اتباعُ الظنِّ مِن العلمِ][4].

وقد قَرَّره ابنُ فَوْركَ ومنه أخذَه ابُن بَطَّالٍ فقالَ بعَد ما تقـدَّمَ مِـن التمثيـلِ بقولِـه: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ فالتقديرُ أنَّ الأشخاصَ الموصوفةَ بالغَيرةِ لا تبلغُ غيرتُها -وإن تناهَتْ- غيرةَ اللهِ تعالَى وإن لم يَكُنْ شخصًا بوجه، وأما الخَطَّابُي فبني على أنَّ هذا التركيب يقتَضِي إثبـاتَ هـذا الوصـفُ للهِ تعـالَى فبالغَ في الإنكارِ وتَخْطِئةِ الرَّاوِي فقال: إطلاقُ الشخصِ في صفاتِ اللهِ تعالى غيرُ جائزٍ؛ لأنَّ الشخصَ

(١) ما بين المعقوفتين من كلام شيخ ابن عثمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٨٨٤) من طريق سفيان بن عيينة في تفسير حديث عبد الله بن مسعود قال: ما خلـق الله مـن سـماء ولا أرض أعظم من آية الكرسي قال سفيان: لأن آية الكرسي هو كلام الله، وكلام الله أعظم من خلق الله من السماء والأرض.

(٣) ما بين المعقوفتين من كلام الشيخ ابن عثمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) ما بين المعقوفتين من كلام شيخ ابن عثمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

لا يكونُ إلا جسمًا مُؤلَّفًا، فخليقٌ ألا تكونَ هذه اللفظةُ صحيحةً، وأنْ تكونَ تصحيفًا مِن الرَّاوِي، ودليلُ ذلك أنَّ أبا عَوانَةَ روَى هذا الخَبَر عن عبدِ الملكِ فلم يَذْكُرْها، ووَقَع في حديثِ أبي هريرة وأسماء بنتَ أبِي بكرٍ بلفظِ «شيءٍ» والشيء والشخصُ في الوزن سواء، فمن لم يُمْعِنْ في الاستماعِ لم يَأْمَنِ الوهمَ وليسَ كلُّ الرواةِ يُراعي لفظَ الحديثِ حتَّى لا يَتَعَدَّاه.

[مرادُه بأنَّ الشخصَ والشيءَ في الوزنِ سواءٌ، يَعْنِي: مَعْنَاه أنَّ الخطأَ قريبٌ، وأنَّ قولَه: «لا شخصَ» كانتْ «لا شيءَ» وأمَّا حقيقةُ المَعْنَى فَبَيْنَهما فرقٌ؛ لأنَّ الشيءَ يُطْلَقُ على المَعَانِي وعلى الذواتِ لكنَّ قصده أنَّ التصحيفَ قريبٌ] (١).

بل كثيرٌ منهم يُحَدِّثُ بالمَعْنَى وليسَ كلُّهم فهِمًا، بل في كلامِ بعضِهم جفاءٌ وتعجرفٌ، فلعل لفظَ «شخصٍ» جرى على هذا السبيلِ، إن لم يكنْ غَلَطًا من قبيلِ التصحيفِ، يَعْنِي: السمعيَّ.

قالَ: ثمَّ إنَّ عبيدَ اللهِ بن عمرٍو انفرد عن عبد الملك فلم يُتَابَعْ عليه واعْتَوَرَهُ الفسادُ مِن هذه الأوجهِ، وقد تَلَقَّى هذا عن الخطابيِّ أبو بكرِ بنُ فَوْرَك فقال: لفظُ الشخصِ غيرُ ثابتٍ مِن طريقِ السندِ، فإنْ صحَّ فبيانُه في الحديثِ الآخرِ وهو قولُه: «لا أحدَ» فاستعملَ الرَّاوِي لفظَ «شخصٍ» موضعَ «أحدٍ» ثم ذكَر نحوَ ما تقدَّم عن ابنِ بَطَّالٍ، ومنه أخَذَ ابنُ بَطَّالٍ، ثم قالَ ابنُ فورك: وإنَّما مَنَعَنَا مِن إطلاقِ لفظِ الشخصِ أمورٌ:

أحدُها: أنَّ اللفظَ لم يَثْبُتْ مِن طريقِ السمع.

والثَّانِي: الإجماعُ على المنعِ مِنه.

والثالثُ: أنَّ مَعْنَاه الجسمُ المؤلَّفُ المُرَكَّبُ.

ثمَّ قالَ: ومَعْنَى الغيرةِ: الزَّجْرُ والتحريمُ، فالمَعْنَى: أنَّ سَعْدًا الزجورَ عن المحارمِ وأنا أشدُّ زجرًا مِنه، واللهُ أزْجَرُ مِن الجميعِ. انتهى (٢).

[وهذا غيرُ صحيحٍ، فالغَيْرةُ لَيْست هي الزجرَ، فالزَّجْرُ يكونُ من آثار الغيرةِ، لأنَّ الإنسانَ إذا غارَ زجَر عما يغارُ منه] (٣).

وطَعْنُ الخطابيِّ ومَن تَبِعَه في السندِ مبنيٌّ على تَفَرُّدِ عبيدِ اللهِ بنِ عمرٍو به، وليسَ كذلك كما تقدَّم، وكلامُه ظاهرٌ في أنَّه لم يراجعْ صحيحَ مسلمٍ و لا غيرَه مِن الكتبِ التى وقَع فيها هذا اللفظُ مِن غيرِ روايةِ عبيدِ اللهِ بنِ عمرٍو، وردُّ الرواياتِ الصحيحةِ، والطعنُ في أئمةِ الحديثِ الضَّابِطين، مع إمكانِ توجيهِ ما رَوَوْا مِن الأمورِ التَّى أقْدَمَ عليها كثيرٌ من غيرِ أهلِ الحديثِ، وهو يَقْتَضِي قصورَ فهمِ مَن

(١) ما بين المعقوفتين من كلام شيخ ابن عثمين رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) انظر «الفتح» (١٣/ ٣٩٩)، وما بعدها.

(٣) ما بين المعقوفتين من كلام شيخ ابن عثمين رَحِمَهُ اللهُ.

فَعَل ذلك منهم، ومِن ثَمَّ قال الكرمانيُّ: لا حاجةَ لتَخْطِئَةِ الرواةِ الثقاتِ بل حُكْمُ هذا حكمُ سائرِ المتشابهاتِ إمَّا التفويضُ، وإمَّا التأويلُ.

وقال عِياضٌ بعدَ أنْ ذكر مَعْنَى قولِه: «ولا أحدَ أحبُّ إليه العذرُ مِن اللهِ» أنَّه قدَّم الإعذارَ والإنذارَ قبلَ أخذِهم بالعقوبةِ، وعلى هذا لا يكونُ في ذكرِ الشخصِ ما يُشْكِلُ. كذا قال، ولم يَتَّجِهْ أخذُ نَفْيِ الإشكالِ مما ذكَر، ثم قالَ: ويجوزُ أنْ يكونَ لفظُ الشخصِ وقَع تَجَوُّزًا مِن شيءٍ أو أحدٍ، كما يجوزُ إطلاقُ الشخصِ على غيرِ اللهِ تعالَى، وقد يكونُ المرادُ بالشخصِ المرتفعَ؛ لأنَّ الشخصَ هو ما ظهَر وشَخَصَ وارتَفَعَ، فيكونُ المَعْنَى: لا مرتفعَ أرفعُ مِن اللهِ، كقولِه لا مُتعَالي أعْلَى مِن اللهِ.

[غريبٌ هذا التأويلُ].

قالَ: ويُحْتَمَلُ أنْ يكونَ المَعْنَى: لا يَنْبَغِي لشخصٍ أنْ يكونَ أغيرَ مِن اللهِ تعالَى، وهو مع ذلك لم يَعْجَلْ ولا بادرَ بعقوبةِ عبدِهِ لارتكابِه ما نَهَاه عنه، بل حذَّره وأنْذَرَه، وأعْذَرَ إليه وأمْهَلَه، فيَنْبَغِي أن يتأدبَ بأدبِه، ويقفَ عند أمرِه ونَهْيِه، وبهذا تظهرُ مناسبةُ تعقيبِه بقولِه: «ولا أحَد أحبُّ إليه العذرُ مِن اللهِ» وقال القرطبيُّ: أصلُ وضعِ الشخص، يَعْنِي في اللغةِ لُجْرمِ الإنسانِ وجسمِه، يقالُ: شخصُ فلانٍ وَجُثْمانه، واستُعمل في كلِّ شيءٍ ظاهرٍ، يقالُ: شخَص الشيءُ. إذا ظهَر. وهذا المَعْنَى محالٌ على اللهِ تعالَى، فوجبَ تأويلُه، فقِيل: مَعْنَاه لا مرتفعَ، وقِيلَ: لا شيَ. وهو أشبهُ مِن الأول، وأوضحُ منه: لا موجودَ أوْ لا أحدَ، وهو أحسنُها، وقد ثبَت في الروايةِ الأُخْرَى وكأنَّ لفظَ الشخصِ أُطْلِقَ مبالغةً في إثباتِ إيمانِ من يتعذرُ على فهمِهِ موجودٌ لايشبهُ شيئًا مِن الموجوداتِ، لئلَّا يُفْضِيَ به ذلك إلى النَّفْيِ والتعطيلِ، وهو نحوُ قوله ﷺ للجارية: «أين اللهُ؟ قالَتْ: في السماءِ» فحكمَ بإيمانِها مخافةَ أنْ تقَعَ في التعطيلِ؛ لقصورِ فَهْمِهَا عمَّا يَنْبَغِي له مِن تَنْزِيهه ممَّا يَقْتَضِي التشبيهَ، تعالَى اللهُ عن ذلك علوًّا كبيرًا.

تنبيهٌ: لم يُفْصِحِ المصنفُ بإطلاقِ الشخصِ على اللهِ، بل أَوْرَدَ ذلك على طريقِ الإحتمالِ، وقد جزمَ في الذي بعدَه، فتسميتُه شيئًا لظهورِ ذلك فيما ذكَره مِن الآيَتَيْن[1] .اهـ

وقال الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ غُنَيْمانَ:

قولُه: وقالَ عبيدُ اللهِ بنُ عمرٍو، يَعْني عن عبدِ الملكِ: «لا شخصَ أغيرُ مِن اللهِ» قال الحافظُ: يَعْنِي: أنَّ عبدَ اللهِ بنَ عمرٍو روَى الحديثَ المذكورَ عن عبدِ الملكِ بالسندِ المذكورِ، فقالَ: «لا شخصَ» بدلَ كلمةِ «لا أحدَ» وقد وصلَه الدارميُّ. ثم ذكَر سنَده وساقَه أبو عوانَة يعقوبُ الإسْفِرَاينيُّ في صحيحةِ عن محمد بن عِيسَى العَطَّارِ، عن زَكَرِيَّا بكمالِه، وقالَ في المواضعِ الثلاثةِ: «لا شخص» قال الإسماعيليُّ بعدَ أنْ أخرجَه مِن طريق عبيدِ اللهِ بنِ عمرو القواريريِّ وأبي كاملٍ فُضَيلِ بنِ حُسَيْنٍ الجحدرِّ ومحمدِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ أبي الشوارِبِ، ثلاثتُهم عن أبي عوانةَ الوضاحِ البصريِّ بالسندِ

(١) المصدر السابق.

الذي أخرَجَه به البخاريُّ، ولكنْ قالَ في المواضعِ الثلاثةِ: «لا شخصَ» بدلَ «لا أحدَ». ثم ساقَه مِن طريقِ زائدةَ بنِ قدامةَ عن عبد الملكِ كذلك، فكأنَّ هذه اللفظةَ لم تقعْ في روايةِ البخاريِّ في حديثِ أبي عوانةَ عن عبدِ الملكِ، فلذلك علَّقها عن عبيدِ اللهِ بنِ عمروٍ.

قلتُ: وقد أخرَجَه مسلمٌ عن القواريريِّ، وأبي كاملٍ كذلك. انتهى.

ولفظُ مسلمٍ، بعدَ أن ذكَر السند، قال سعدُ بنُ عُبادَةَ: لو رأيتُ رجلًا مع امْرأتِي لـضَرَبْتُه بالسيف غيرَ مُصفَّح عنه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**أتَعْجَبُون مِن غيرة سعدٍ؟ فواللهِ لأنَا أغيرُ منه، واللهُ أغيرُ منِّي، مِن أجلِ غيرةِ اللهِ حرَّم الفواحشَ ما ظهرَ منها وما بطَن ولا شخصَ أغيرُ مِن اللهِ، ولا شخصَ أحبُّ إليه العذرُ مِن اللهِ، مِن أجلِ ذلك بعثَ اللهُ المُرسَلِين مُبَشِّرين ومُنْذِرين، ولا شخصَ أحبُّ إليه المِدْحةُ مِن اللهِ، مِن أجلِ ذلك وعَد اللهُ الجنةَ**»

ورواه الإمامُ أحمدَ في المسندِ بهذا اللفظِ، قالَ عبدُ اللهِ بنُ الإمام أحمدَ بعد ذكره: قالَ عبيدُ اللهِ القواريريُّ: ليس حديثٌ أشدَّ على الجهميةِ مِن هذا الحديثِ. وبهذا يتبينُ خطأُ ابنِ بطَّالٍ في قولِه: «أجمعتِ الأمةُ على أنَّ اللهَ تعالى. لا يجوزُ أنْ يُوصَفَ بأنَّه شخصٌ؛ لأنَّ التوقيفَ لم يَرِدْ به» اهـ ذكَره الحافظُ.

وهذه مجازفةٌ ودَعْوَى عاريةٌ مِن الدليل، فأينَ هذا الإجماعُ المزعومُ؟ ومَن قالَه سِوى المُتأَخِّرين ببدعِ أهلِ الكلامِ، كالخطابيِّ، وابنِ فَوْرَك، وابنِ بَطَّالٍ، عفَا اللهُ عنَّا وعنهم.

✿وقولُه: «لأنَّ التوقيفَ لم يَرِدْ به» يبْطِلُه ما تَقَدَّمَ مِن ذكرِ ثبوتِ هذا اللفظِ عن رسول اللهِ ﷺ بطرقٍ صحيحةٍ لا مَطْعَنَ فيهَا، وإذا صحَّ الحديثُ عن رسولِ الله ﷺ وجبَ العملُ به، والقولُ بموجبِه سواءٌ كانَ في مسائلِ الاعتقادِ أو في العملياتِ، وقد صحَّ عن النبيِّ ﷺ إطلاقُ هذا الاسم، أعْنِي: الشخصَ على اللهِ تعالَى خبرًا فيجبُ اتباعُه في ذلك على من يؤمنُ بأنَّه رسولُ اللهِ، وهو ﷺ أعلمُ بربِّه، وبما يجبُ له وما يمتنعُ عليه تعالَى من غيرهِ مِن سائرِ البشرِ.

وتقدَّم أنَّ الشخصَ في اللغةِ، ما شخصَ وارتفعَ وظهرَ. قال في اللسانِ: «الشخصُ كلُّ جسمٍ له ارتفاعٌ وظهورٌ» واللهُ تعالَى أظهرُ مِن كلِّ شيءٍ، وأعظمُ وأكبرُ، وليسَ في إطلاق الشخصِ عليه محذورٌ على أصلِ أهلِ السنةِ الذين يتقَيَّدونَ بما قالَه اللهُ ورسولُه. انتهى[1].

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢١- باب قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ.

فَسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ شَيْئًا وَسَمَّى النَّبِيُّ ﷺ الْقُرْآنَ شَيْئًا وَهُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ وَقَالَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ

قلتُ: يَعْنِي: فالوجهُ شيءٌ؛ لأنَّ الأصلَ في الاستثناءِ الاتصال.

---

(١)انظر شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان (١/ ٣٣٥)، وما بعدها.

٧٤١٧- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِرَجُلٍ «أَمَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ». قَالَ: نَعَمْ سُورَةُ كَذَا وَسُورَةُ كَذَا. لِسُوَرٍ سَمَّاهَا[1].

لفظُ شيءٍ هل يُطْلَقُ على اللهِ؟

الجوابُ: لفظُ شيءٍ يُخْبرُ به عن اللهِ، ولا يُسَمَّى اللهُ به، وقولُ البخاريِّ رحمه الله سمَّى اللهُ نفسَه شيئًا، المرادُ أنَّه وصَف نفسَه بـ«شيءٍ» وإلَّا فليسَ الشيءُ مِن إسماءِ اللهِ عز وجل؛ لقولِ اللهِ تبارك وتعالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]. فلابدَّ أنْ تتضمَّنَ أسماءُ اللهِ مَعَانِيَ حُسْنَى، لكن يصلحُ أنْ يُخْبَرَ عنه بالشيءِ، والموجودِ، وما أشْبَهَها، وعلى هذا فيقالُ: إنَّ اللهَ شيءٌ لكنَّه كاملٌ، شيءٌ كاملٌ ولا تقل: شيءٌ على سبيلِ الإطلاقِ فَقَط، يَعْنِي: ليسَ مطلقَ شيءٍ بل هو شيءٌ كاملٌ تبارك وتعالى بأسمائِه وصفاتِه.

واسْتَدلَّ البخاريُّ رحمه الله على جوازِ تسميةِ اللهِ بالشيءِ؛ أي: جوازِ الإخبارِ عن اللهِ بالشيءِ بأدلةٍ:

أولًا: قولُه تعالَى: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام:١٩]. فهنا جاءتْ لفظةُ الشيءِ غيرَ مطلقةٍ، بل شيءٌ في كمالِ الشهادةِ ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ أي: اللهُ أكبرُ شهادةً مِن كلِّ شاهدٍ ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء:١٦٦]. فسميَّ اللهُ نفسهَ شيئًا، فقالَ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ يَعْنِي الشيءَ الذي هو أكبرُ شهادةً هو اللهُ.

ثانيًا: واستدلَّ أيضًا بأنَّ النبيَّ ﷺ سمَّى القرآن شيئًا، وذلك في الحديثِ، حيثُ قالَ: «**أَمَعَكَ مِن القرآنِ شيءٌ**» وهو صفةٌ مِن صفاتِ اللهِ؛ لأنَّه كلامُه، وكلامُ اللهِ تعالَى صفةٌ مِن صفاتِه، ولهذا قالَ العلماءُ: إنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ مُنَزَّلٌ غيرُ مخلوقٍ. فهو صفةٌ، والدليلُ على أنَّه غيرُ مخلوقٍ قولُ اللهِ تباركَ وتعالَى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤]. والقرآنُ هل هو مِن الخلقِ أو مِن الأمرِ؟ لا شكَّ أنَّه مِن الأمر، وقولُه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى:٥٢]. وعلى هذا فيكونُ القرآن غيرَ مخلوقٍ، وقال تعالَى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ يَعْنِي: إلَّا وجهَ اللهِ، وسبَق لنا أنَّ التعبيرَ هنا بالوجهِ يُرادُ به الذاتُ مع ثبوتِ الوجهِ، ووجهُ الدلالةِ مِن الآيةِ أنَّ الأصلَ في الاستثناءِ الاتصالُ؛ أي: أنَّ المستثْنَى مِن جنسِ المُسْتَثْنَى منهُ، وقد قالَ: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾. فيكونُ الوجهُ مِن الأشياءِ، ولهذا اسْتَثْنَى منه، والاستثناءُ المنقطعُ هو أنْ يكونَ المُسْتَثنَى مِن غيرِ المُسْتَثْنَى منه، وعلى هذا فيصحُّ أنْ يُخْبَرَ عن اللهِ بأنَّه شيءٌ، ولكن لا يُدْعَي به ولا يسمَّى به.

والشاهدُ مِن الحديثِ قولُه: «**أمَعَكَ من القرآنِ شيءٌ**» فسمَّى ما مَعَه مِن القرآنِ شيئًا ولهذا أجابَ: سورةُ كذا وكذا.

وحديثُ سهل بنِ سعدٍ في قصةِ المرأةِ التي جاءَت إلى الرسولِ ﷺ ووَهَبَتْ نفسَها له وكأنَّه ﷺ لم يَرْغَب فيها فقَامَ رجلٌ مِن الصحابةِ، وقالَ: يارسولَ اللهِ، إنْ لم يَكُنْ لك بها حاجةٌ فزوِّجْنيها. فقالَ:

---

(١) رواه مسلم (١٤٢٥).

«أمَعَك شيءٌ» يعْني: تُصْدِقُها. قال: مَعِي إزَارِي. ليسَ له إلا إزارٌ، ما عليه رداءٌ، قال: «كيفَ ذلك؟ إزارُك إنْ أعْطَيْتَها إياه بَقِيتَ بلا إزارٍ، وإن بَقِي الإزارُ عليك بَقِيتْ بلا مهرٍ، الْتَمِسْ» فذهَب الرجلُ، فقالَ: ما وَجَدْتُ شيئًا. قالَ: «التمسْ ولو خَاتَمًا مِن حديدٍ». فلم يجدْ ولا خاتمًا من حديدٍ، فقال: أمَعَك شيءٌ من القرآنِ؟». قال: نَعَمْ، سورةُ كذا وكذا. فقالَ: «زَوَّجْتُكَها بما مَعَك مِن القرآنِ» فجعلَ النبيُّ ﷺ مهرَها تعليمَه إيَّاها القرآنَ، ولو أنَّه جعلَ مهرَها أنْ يُعَلِّمَها الحسابَ مثلًا، فإن هذا يجوزُ، أو أنْ يُعَلِّمَها الحديثَ يجوزُ؛ أو أنْ يُعَلِّمَها القرآنَ فيجوزُ، ولكن قالَ بعضُ الفقهاءِ: لا يجوزُ أنْ يكونَ مهرُها ما يُعَلِّمُها مِن القرآنِ، قالُوا: لأنَّ القرآنَ لا يُقْرَأُ إلا تَقَرُّبًا وتَعَبُّدًا، والعبادةُ لا يصحُّ أنْ تكونَ عِوَضًا في مهرٍ؛ لأنَّ القاعدةَ في المهورِ أنَّ ما صحَّ ثمنًا أو أُجْرَة صحَّ صداقًا، قالوا: أمَّا الحديثُ فقد قالَ النبيُّ ﷺ: «ولنْ تُجزئ عن أحدٍ بعدَك مهرًا»[1] فقالُوا: فهذه مِن خصائِص الرجلِ.

ولكنَّا نقولُ: هذا الحديثُ ضعيفٌ ولا يصحُّ أبدًا، والصحيحُ أنَّه يجوزُ أن يَجْعَلَ المهرَ تعليمَها لشيءٍ مِن القرآنِ مُعَيَّنٍ، ولهذا قالَ: بسُورٍ سمَّاها، وليسَ هذا مِن بابِ ما يُتَّخذُ قربةً، والذي لا يصحُّ لو جِئْنَا بقارئٍ وقُلْنَا: اقرأْ سورةً أو جزءًا مِن القرآنِ بِعوَضٍ، فهذا هو الذي يكونُ حرامًا، ولا يصحُّ، لذلك نَنعى إلى بعضِ الناسِ الذين يُقيمونَ العزاءَ للأمواتِ، ويَأْتونَ بقُرَّاءٍ يقرءون بعوَضٍ، ننْعِى إليهم عقولَهم قبلَ أن ننْعَى إليهم ما حصلَ مِن مخالفةٍ، ونقولُ: هذا القارئُ الذي قرأَ بدراهم، ليسَ له أجرٌ مِن قراءتِه، وإذا لم يكنْ له أجرٌ مِن قراءتِه فلن يَصِلَ إلى الميتِ شيءٌ من ثوابِه؛ لأنَّه ليسَ فيها ثوابٌ، وحينئذٍ نكونُ خَسِرْنا دارهمَ بدونِ عِوَضٍ.

أمَّا التعليمُ فلا بأسَ، لكن لو قالَ قائلٌ: التعليمُ مجهولٌ، فماذا تقُولُون؟ لأنَّ بعضَ الناسِ يتَعَلَّمُونَ بسرعةٍ وسهولةٍ، وبعضَ الناسِ يَتَعَلَّمون بصعوبةٍ؟ فيقالُ: الوسطُ.

قال البخاريُّ رحمه الله تعالى:

٢٢- بابُ ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود:٧] ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة:١٢٩].

۞ قولُه: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ قالَ أبو العاليةِ: اسْتَوَى إلى السماءِ: ارْتَفَعَ. ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾: خَلَقَهنَّ[2]، وقالَ مجاهدٌ: استَوى: علَا على العرشِ[2]؛ وقالَ ابنُ عباسٍ: المجيدُ:

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور (٦٤٢) من حديث أبي النعمان الأزدي مرسلا، قال الحافظ في «الفتح» (٩/ ٢١٢): وهذا مع إرساله فيه من لا يعرف.اهـ.

(٢) رواه البخاري تعليقًا بصيغة الجزم كما في «الفتح» (١٣/ ٤٠٣)، وأسنده. ابن جرير في تفسيره قال: حدثنا محمد، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن حصين، عن أبي العالية به.
وانظر الفتح (١٣/ ٤٠٥)، وتغليق التعليق (٥/ ٣٤٤).

(٢) رواه البخاري تعليقًا بصيغة الجزم كما في الفتح (١٣/ ٤٠٣) وأسنده الفريابي في تفسيره قال: حدثنا ورقاء، عن ابن أبي =

الكريمُ، والودودُ، الحبيب[1]. يقالُ: حميدٌ مجيدٌ، كأنَّه فعيلٌ مِن ماجِدٍ، محمودٌ مِن حمد.

هذا البابُ فيه عدةُ مسائلَ:

أولًا: إثباتُ العرشِ للهِ ﷻ؛ لقولِه الله تعالَى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ والعرشُ هو أعظمُ المخلوقاتِ التي نَعْلَمُها وأكبرُها وأوسعُها، و لا نعلمُ مَاهِيَّتَه؛ ما هو، ولا كَيْفِيَّتَه، لكنَّه ذُو قَوَائِمَ، كما ثَبَتَ في الحديثِ الصحيحِ، قال: «فأَسْتَفيقُ، فإذا مُوسَى آخذٌ بقائمةِ العرشِ». لكن مِن أيِّ شيءٍ هو؟ اللهُ أعلمُ، مِن نورٍ أو مِن مادةٍ أُخْرَى، ما نَدْرِي؟ لكن نؤْمِنُ بأنَّ للهِ تعالَى عرشًا عظيمًا وصَفَه اللهُ تعالَى بالعِظَمِ، وهو أكبرُ المخلوقاتِ، وقد جاءَ في بعضِ الأحاديثِ أنَّ السمواتِ السبعَ والأرضينَ السبعَ بالنسبةِ للكرسيِّ كحَلْقَةٍ أُلْقِيَتْ في فلاةٍ مِن الأرضِ[2]، حَلْقَةَ المِغْفَرِ وهي صغيرةٌ أُلْقِيتْ في فلاةٍ مِن الأرضِ، نسبة الحَلْقَةِ للفلاةِ ليسَتْ بشيءٍ، وإنَّ فضْلَ العرشِ على الكرسيِّ كفَضْلِ الفلاةِ على هذه الحلقةِ.

فهذا أمرٌ لا يُحِيطُ به الإنسانُ مِن عَظَمَتِه.

وأصلُ العرشِ في اللغةِ العربيةِ: السريرُ الخاصُّ بالملكِ، فيكونُ أعظمَ السُّرُرِ الموجودةِ في مكانِه وزمانِه، لأنَّه عرشُ الملكِ، وإنَّما ذكَر المؤلفُ العرشَ تَوْطِئَةً لِذِكرِ الاستواءِ على العرشِ.

۞ قوله: «قالَ أبو العاليةِ -وهو أحد التَّابِعين المعْرُوفين بالفقهِ والعلمِ والعبادةِ- اسْتوَى إلى السماءِ: ارْتَفَع».

يُشيرُ إلى قولِه تباركَ وتعالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٩]. وهذه في سورة البقرةِ، وفي سورة فُصِّلَتْ قال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت:١١]. فما مَعْنَى ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: قالَ أبو العاليةِ: ارْتَفَعَ إلى السماءِ. وإذا قيلَ: ارْتَفع إليها فإنَّه يقْتَضِي أنْ يكُون قبلَ ذلك دُونَها، ولهذا لم يَتَّفِق السلفُ على تفسيرِ ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ بارْتَفَع إلى السماءِ، بل ذكَر كثيرٌ مِن المُفسِّرين أنَّ المرادَ بالاستواءِ هنا القصدُ بالإرادةِ التامةِ، فاسْتَوى إليها؛ أيْ: اتَّجَهَ إليها، وقَصَدَ إليها بإرادةٍ تامةٍ، وأصلُ ذلك أنَّ هذه المادةَ «اسْتَوَى» في الأصلِ تدلُّ على: الكمالِ، ثم هي في اللغةِ العربيةِ تُسْتَعْمَلُ على وجوهٍ، ويَتَقَيَّد مَعْنَاها بحسبِ تلكَ الوجوهِ فتُسْتَعْمَلُ مطلقةً، وتُسْتَعْمَلُ معدَّاةً بـ«إلى»، وتُسْتَعْمَلُ معداةً بـ«على»، وتُسْتَعْمَلُ مقرونةً بالواوِ، هذه أربعةُ استعمالاتٍ.

=

نجيح، عن مجاهد، به.

وانظر الفتح (١٣/ ٤٠٥)، وتغليق التعليق (٥/ ٣٤٥).

(١) رواه البخاري تعليقًا بصيغة الجزم كما في الفتح (١٣/ ٤٠٣) وأسنده ابن أبي حاتم قال: حدثنا أبي، ثنا أبو صالح، عن علي، عن ابن عباس به، انظر تغليق التعليق (٥/ ٣٤٥)، وكذا أسنده ابن جرير تفسير (٣٠/ ١٣٨، ١٣٩)، قال: حدثني علي، حدثنا أبو صالح، عن معاوية، عن علي، عن ابن عباس به.

(٢) أخرجه ابن حبان (٢/ ٧٦)، (٣٦١) وصححه، وحسنه ابن حجر وذكر له طرقًا كما في «الفتح» (١٣/ ٤١١).

الاستعمالُ الأولُ: إذا استُعْمِلَتْ مطلقةٌ، فهي بمَعنى الكمال؛ أي: كمالِ الشيءِ، ومنه قولُه تعالَى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾ [القصص:١٤]. استوى؛ أي: كَمَل. ويَقولُ العامةُ: استَوَى الطعامُ: أيْ كَمُل نُضجُه.

والثاني: إذا عُدِّيَتْ بـ«إلى»، صارَ مَعْنَاها: القَصْدَ والجهةَ؛ أي: أنتَهى قصدُه إلى ما بعدَ الحرفِ، ومنه قولُه تعالَى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أيْ قَصَدَ قصدًا تامًّا بإرادةٍ تامةٍ، مُنتَهاها السماءُ.

الثالثُ: المعداةُ بعلى، فمَعْنَاها: العلوُّ والاستقرارُ، لكنَّه بالنسبةِ للاستواءِ على العرشِ ليسَ هو العلوَّ العامَّ كما سنُوَضِّحُ إن شاءَ اللهُ.

الاستعمالُ الرابعُ: أنْ تكونَ مقرونةً بالواوِ، وفي هذه الحالِ يكونُ مَعْنَاها: التَّساوِي،كقولِهم: اسْتَوَى الماءُ والخشبةَ. ذكَر ذلك النَّحْوِيُون في بابِ المفعولِ مَعَه، استَوى الماءُ والخشبةَ؛ أيْ: تَسَاوَيَا، يَعْنِي: صارَ الماءُ على حذاءِ الخشبةِ. نعم.

فهذه استعمالاتُ الاستواء في اللغةِ العربيةِ والصحيحُ في قولِه تعالَى ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي أنَّه ﷻ قصَد إليها بإرادةٍ تامةٍ؛ لأنَّه ﷻ فوقَ السماءِ، ولم تكُنِ السماءُ فوقَه في يومٍ مِن الأيامِ أو لحظةٍ مِن اللحظاتِ، بل هو فوقَ السماءِ، فيكونُ المرادُ بالاستواء كما قرَّره كثيرٌ مِن المُفسِّرين، ومنهم ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ في التفسيرِ[1]، لأنَّ مَعْنَاها القصدُ، مع تمامِ الإرادةِ.

وعليه سيكونُ في قولِه تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ للعلماءِ قولان.

القولُ الأولُ: أنَّه بمَعْنَى: ارتفَع.

والثَّاني: أنَّه بمَعْني: قصد قصْدًا تامًّا.

وقولُه: «فسَوَّاهنَّ». يَعْني: قولَه تعالَى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ﴾: مِن سورة البقرةِ. قال: خَلَقَهنَّ. وفي هذا التفسيرِ قصورٌ؛ لأنَّ التسويةَ أمرٌ زائدٌ على الخلقِ؛ لقولِه تعالَى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢﴾ [الأعلى:٢]. ولو جعَلْنَا التسويةَ بمَعْنَى الخلقِ لكانَ مَعْنَى الآيةِ والذي خلق فخلقَ. وهذا لا يستقيمُ فالعطفُ يَقْتَضِي المغايرةَ. والتسويةُ تمامُ الخلقِ، يَعْنِي: خلَقَهن على وجهٍ مستوٍ تامٍّ، هذا هو مَعْنَى قولِه: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾.

وقالَ مجاهدٌ: اسْتَوى: عَلَا على العرشِ. ومجاهدٌ إمامُ المُفسِّرين في التَّابِعين؛ لأنَّه أخَذَ التفسيرَ عن عبد اللهِ بنِ عباسٍ رضي الله عنه، يَعْرِض عليه القرآنَ مِن أولِه إلى آخره يُوقِفُه عندَ كلِّ آيةٍ ويسألُه عن مَعْناها، وقولُه: عَلَا على العرشِ. يَعْني: قولَه تبارك وتعالَى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [السجدة:٤]. اسْتَوى، يقولُ: عَلَا على العرشِ، وقد ذكَر ابنُ القيمِ

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (١/ ٦٨).

رَحِمَهُ اللهُ في النونيةِ[1] وغيرها أيضًا أنَّ «اسْتَوى على العرشِ» وَرَدتْ فيها أربعُ عباراتٍ عن السلفِ: علَا، وارْتَفَع، وصعد، واستقرَّ. لكن علَا وارْتَفع وصَعد مَعْنَى الثلاثةِ مُتقارِبٌ أو واحدٌ.

أمَّا استقرَّ فالاستقرارُ أمرٌ زائدٌ على مجردِ العلوِّ، وكأنَّ الذين فَسَّروه بالاستقرار أَخَذُوه مِن قولِه تعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الزخرف:١٣]. أيْ: إذا اسْتَقْرَرْتُم عليه، وهذا ليس بعيدٍ، وإنْ كانَ الأحوطُ ألَّا نفسرَ. ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ إلَّا بعَلَا على العرشِ، هذا هوالأحوطُ؛ لأنَّ هذا الفعلَ عُدِّي بـ«على» فنقتصِرُ على معْنَى العلوِّ فيه، ولكن لا مانَع أن نقولَ: اسْتَقَرَّ. وإنْ كان أمرًا زائدًا على العلوِّ؛ لأنَّ هذا هو معْناه في اللغةِ العربيةِ.

وهذا العلوُّ هل هو العلوُّ العامُّ على جميع المخلوقاتِ، أو هو علوٌّ خاصٌّ بالعرشِ؟

الجوابُ: الثَّاني، أنَّه علوٌّ خاصٌّ بالعرشِ؛ لأنَّه لو كانَ هو العلوَّ العامَّ للزِمَ أنْ يجوزَ قولُ القائلِ: اسْتَوى على الأرضِ، واسْتَوى على الجبالِ، واسْتَوى على الشجرِ، واسْتَوى على الإنسانِ. لأنَّه عالٍ عليه بالمَعْنَى العامِّ، لكنَّ هذا علوٌّ خاصٌّ بالعرشِ يختصُّ به العرشُ، ولهذا قيَّده اللهُ تعالى فقالَ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [يونس:٣]. وهو عالٍ عليهم ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ فهذا علوٌّ خاصٌّ، ويَتبيَّنُ بالمثالِ الفرقُ بينَ العلوِّ العامِّ والخاصِّ، فلو وُضِع لك سريرٌ على سطح فجلَسْتَ عليه لكنتَ عاليًا عليه، وعلى السطحِ، وعلى مَن تحتَ السطحِ، لكن ما هو العلوُّ الخاصُّ المباشرُ للسريرِ الذي علوتَ عليه؟ هو علوُّك على السريرِ، وبهذا يقالُ: اسْتَوى على السريرِ. في هذا المثالِ، ولا يقالُ: اسْتَوى على السطحِ. لكن يقالُ: عَلا، فعليه نقولُ: الاستواءُ على العرشِ علوٌّ خاصٌّ غيرُ العلوِّ العامِّ.

نبحثُ في هذه المسألةِ -مسألةِ الاستواءِ- مِن عدة وجوهٍ:

البحثُ الأول: ما مَعْنَى قولِه: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾؟

نقولُ: مَعْنَى قولِه: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ أي: علَا على العرشِ، هذا هو المَعْنَى لا يَحْتَمِل غيرَه، ودليلُ ذلك قولُ اللهِ تبارَك وتعالَى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٥]. واللسانُ العربيُّ المبينُ يدُلُّ على أنَّ مَعْنَى قولِ: اسْتَوى على الشيءِ. علَا على الشيءِ ولا يجوزُ لنا العدولُ عن ما يَقْتَضِيه اللسانُ العربيُّ إلَّا بدليلٍ مِن الكتابِ أو السنةِ أو الإجماعِ، وهنا لا دليلَ مِن الكتابِ ولا السنةِ ولا اللغةِ ولا الإجماعِ على مخالَفةِ هذا التفسير، وهو أنَّ اسْتَوى بمَعْنَى علَا.

فإنْ قالَ قائلٌ: ماذا تَقُولُون في قولِ مَن قالَ: اسْتَوى على العرشِ؛ اسْتَوْلَى على العرشِ؟

نقولُ: هذا قولٌ باطلٌ؛ لأنَّه لا دليلَ له مِن اللغةِ ويلزمُ عليه لوازمُ باطلةٌ، فليسَ له دليلٌ إيجابيٌّ، ولا تَنْتَفِي عنه

---

(١) انظر شرح القصيدة النونية (٢/ ٣٠).

الموانعُ، فإنْ قِيلَ: قولُكم: إنَّه لا دليلَ عليه في اللغةِ. ممنوعٌ، فقد قال الشاعرُ:

قَدِ اسْتَوى بِشْرٌ عَلى العِراقِ ... مِن غَيرِ سَيْفٍ أَوْ دَمٍ مِهْرَاقِ [1]

وبِشْرٌ: هو بنُ مرْوانَ . ومَعْنَى استوى على العراقِ؛ أي: اسْتَولى عليه.

فالجوابُ عن هذا مِن وجوهٍ:

الوجهُ الأولُ: قائلُ هذا مجهولٌ، والناقلُ عنه أيضًا مجهولٌ، فهو ظلماتٌ بعضُها فوقَ بعضٍ، هذه واحدة.

الوجهُ الثاني: لو سلَّمنا أنَّ القائلَ معلومٌ، فهل هو قبلَ تغيرِ اللسانِ فيكونَ مِن العربِ الأقحاح [2]، أو بعدَ تغيُّرِ اللسانِ فلا يُحتجُّ به؛ الثاني، لأنَّ الفتوحاتِ كَثُرتْ في ذلك الوقتِ وانتَشَرت واخْتَلَط العجمُ بالعربِ وتغيرَ اللسانُ.

الوجهُ الثالثُ: لو فُرِض أنَّ هذا الرجلَ معلومٌ، ولم يتَغَيَّرْ لسانُه، فإنَّ قولَه: قد اسْتَوى بشرٌ على العراقِ لا يتعينُ أنْ يكونَ المرادُ به استَوْلَى إذ إنَّه يجوزُ أنْ يكونَ المرادُ اسْتَوى على العراقِ: علَا علوًّا معنويًّا، لا علوًّا حسيًّا؛ لأن كونَه يَعْلُو عليها علوًّا حسيًّا ممتنعٌ، لكن يعلُو عليه علوًّا معنويًّا، والمَعْنَى قد كَمُلَ استيلاؤه عليه وسيطرتُه عليه؛ لأنَّ الاستواءَ أصلُ المادةِ هذه من الكمالِ. وحينئذ لا دليلَ لقولِ هذا القائلِ.

أما ما يلزمُ عَليه مِن اللوازمِ الباطلةِ، إذا فَسَّرنا اسْتَوى على العرشِ بِاسْتَولى على العرشِ فهي:

أولًا: يَقْتَضِي أنْ يكونَ العرشُ قبلَ استواءِ اللهِ عليه مملوكًا لغيرِ اللهِ، فمنِ الذي ملكه غيرُ اللهِ؟

الجوابُ: لا أحدَ.

ثانيًا: يَقْتَضِي أنْ يكونَ هناكَ معالجةٌ للاستيلاءِ عليهِ؛ لأنَّ اسْتَولى لا تكونُ إلا بعد عِراكٍ ومقاتلةٍ وأخذٍ وردٍّ، فمنِ الذي قاتلَ اللهَ ؟

الجوابُ: لا شيءَ.

ثالثًا: نقولُ: إذا قلتَ: اسْتَوى بَمْعني: اسْتَولى. لزم أن يَصِحَّ قولُك: إنَّ اللهَ اسْتَوى على الأرضِ، وعلى البعيرِ. لأنَّه مستولٍ على هذا، فهذه اللوازمُ الباطلةُ تُبْطِلُ تحريفَ مَن حرَّف الاستواءَ إلى الاستيلاءِ، والحمدُ للهِ أنَّ الأمرَ واضحٌ.

فإن قالَ قائلٌ: إذا قلتُم: اسْتَوى على العرشِ؛ عَلا على العرشِ. لزم أنْ يكونَ جِسمًا ومحدودًا،

---

(١) ذكر هذا البيت الجويني في «لمع الأدلة» (ص٩٥)، والرازي في أساس التقديس (ص ٢٠٢)، والعز بن عبد السلام في «الإشارة إلى الإيجاز» (ص١١٠)، وابن القيم في «الصواعق المرسلة» (١/ ٣٥٩)، وانظر قول شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٥/ ١٤٦).

(٢) الأقحاح: عربيٌّ قُحٌّ؛ أي: مَحْضٌ خالِصٌ انظر: مختار الصحاح مادة (ق ح ح).



ولهذا لما جاءَتِ امرأة جهمِ بنِ صفوانَ إلى الكوفةِ أو إلى البصرةِ واجتمَع الناسُ عليها يناقِشُونَها قالتْ: إنَّها تكفرُ «بمحدودٍ على محدودٍ» فالعرش محدودٌ وهي تقولُ: إذا كان مُسْتَوِيًا على محدودٍ لزِم أنْ يكونَ محدودًا. فما هو الجوابُ على ذلك؟

نجيبُ عن القولِ بأنه: يلزمُ أنْ يكونَ جسمًا، وأن يكونَ محدودًا، فنقولُ: إذا لزِم أنْ يكونَ جسمًا مِن كلام اللهِ فليكنْ ذلك، ونحن نؤمنُ به، ولكننا نقولُ: إنَّه ليسَ كأجسامِ المخلُوقين، وإن لم يلزمْ ذلك فلا يَلْزَمُنا أنْ نلتزمَ به، ولا يكونُ قولُنا باطلًا بهذا الإلزامِ الباطلِ، ثم نقولُ: ماذا تَعْنُون بالجسمِ؟ أتَعْنُون بالجسمِ: الشيءَ المركبَ مِن لحمٍ وعظمٍ ودمٍ وما أشبهَ ذلك؟ فهذا ممنوعٌ. أم تُريدون بالجسمِ الشيءَ القائمَ بنفسِه، الفاعَل لما يريدُ الذي يأْتِي ويتكلمُ وينزلُ؟ إن قالُوا: نريدُ هذا فنحن نلتزمُ به، ونقولُ: إنَّ اللهَ هو هذا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾.

أما كلمةُ محدودٍ، فإنَّها كلمةٌ كالجسمِ لم تردْ في القرآنِ ولا في السنةِ ولا في كلامِ الصحابةِ لا نفيًا ولا إثباتًا، ورَدت عن بعضِ الأئمةِ بالإنكارِ، وعن بعضِ الأئمةِ بالإقرارِ، يَعْني أنَّ بعضَ الأئمةِ قالوا: إنَّ اللهَ محدودٌ، أوْ له حدٌّ. وبعضهم أنكر ذلك[1] والحقيقةُ أنَّ الخلافَ لفظيٌّ عندَ التحقيقِ؛ لأنَّه إنْ أُريدَ بالحدِّ أنَّ شيئًا يَحُدُّ اللهَ فهذا مُنْتَفٍ قطعًا؛ لأن ما فوقَ المخلوقاتِ هواءٌ، لا يوجدُ شيءٌ، واللهُ تعالَى فوق المخلوقاتِ، وإنْ أرادَ بالحدِّ البَيْنُونةَ عن الخلقِ، فهذا هو مَعْنَى قولِ السلفِ: إنَّه بائنٌ مِن خلقِه. ولهذا إنكارُ الحدِّ مطلقًا أو إثباتُه مطلقًا فيه نظرٌ بل يُفسَّرُ، ثم نقولُ: قولُكم: إنَّه يلزمُ مِن كونِه على العرشِ أنْ يكونَ محدودًا على محدودٍ. أمَّا كونُه على محدودٍ فهذا نُسَلِّمُ به، فالعرشَ مخلوقٌ له حدٌّ، ولكن لايلزمُ مِن استوائه على هذا المخلوقِ المحدودِ أنْ يكونَ هو أيضًا محدودًا؛ لأنَّه فوقَ المخلوقاتِ، ليسَ شيءٌ يَحُدُّه. وبهذا بطلتْ اعتراضاتُهم، وتَبَيَّنَ أنَّهم أرادُوا أنْ يَحْكُموا على اللهِ بعقولِهم لا أنْ يُحَكِّموا اللهَ تعالَى بعقولِهم، والفرقُ بين الكلمتين واضحٌ؛ فأن يْحكُموا على اللهِ بعقولِهم، هذا لا يجوزُ، وأن يُحَكِّموا اللهَ بعقولِهم هذا صحيحٌ؛ لأنَّ العقلَ يَقْتَضِي أنْ تُحَكِّمَ اللهَ؛ لأنَّه هو الحَكَمُ وإليه الحُكْمُ.

فتبيَّنَ الآنَ أنَّ استواءَ اللهِ على العرشِ بِمَعْنى علَا على العرشِ، ولا يَحْتَمِلُ غيرَ هذا المعْنَى.

البحثُ الثاني: هل استواءُ اللهِ على العرشِ مِن الصفاتِ الفعليةِ، أم مِن الصفاتِ الذاتيةِ؟

الجوابُ: الأولُ، أنَّ استواء اللهِ على العرشِ مِن الصفاتِ الفعليةِ بناءً على الضابطِ الذي ضبَطَه أهلُ العلمِ، فقالُوا: كلُّ ما يتعلقُ بمشيئةِ اللهِ فهو فعلٌ والاستواءُ متعلقٌ بمشيئتِه، والدليلُ على تعلقِه بمشيئتِه أنَّه قالَ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ﴾ فالاستواءُ حدَث بعدَ الخلقِ.

---

(١) انظر «بيان تلبيس الجهمية» (١/ ٥٢، ٣٩٧، ٤٢٨)، (٢/ ١٦٣) و«مسألة القرآن لابن عقيل» (ص٩٣).

فإنْ قالَ قائلٌ: أنَا لا أُقِرُّ بالصفاتِ الفعليةِ، وأَردُّ الصفاتِ الفعليةَ إلى القُدْرةِ الأزليةِ.

قُلْنا: هذا خطأٌ عظيمٌ؛ لأنَّك إذا حوَّلتَ ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ إلى: ثم قدرَ على الاستواءِ على العرشِ، لَزِم مِن ذلك أن يكونَ قبلَ هذا عاجزًا، فوقعتَ في شرٍّ ممَّا فَرَرْتَ منه، بل نقولُ: قيامُ الأفعالِ باللهِ ﷻ وكونُه يفعلُ ما يشاءُ هذا مِن كمالِ اللهِ أنْ يفعلَ ما يشاءُ وأنْ تقوم به الأفعالُ الاختياريةُ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:٦٨]. فإنْ قالَ: الحوادثُ لا تقومُ إلَّا بحادثٍ فما الجوابُ؟

الجوابُ: هذه أكذبُ القواعدِ، فَمن قال هذا؟ مَنْ قالَ: إنَّ الحوادثَ لا تقومُ إلا بحادثٍ؟ ومَن قال: إنَّ الفعلَ لابدَّ أنْ يكونَ مقارنًا للفاعلِ وإلَّا بطَل إثباتُه، فمن قال هذا؟! الإنسانُ نفسهُ يُحدِثُ الفعلَ، فيقومُ بعدَ أنْ كانَ قاعدًا، ويقعدُ بعدَ أن كان قائمًا ولا يلزمُ مِن حدوثِ هذا القيامِ المُعَيَّنِ أو القعودِ المُعيَّنِ أنْ يكونَ سابقًا سَبْقَ هذا الفاعلِ، بَمْعَنى أنَّ الفاعلَ يفعلُ، ووجوده سابقٌ على فعلِه، فما المانعُ أنْ يقعَ مِن اللهِ ﷻ فعلٌ حادثٌ مع كونِه هو أزليًّا؟ إذا كانَ الإنسانُ المحدَثُ يفعلُ الفعلَ الحادثَ وهو سابقٌ على هذا الفعلِ، قد يكونُ له مئةُ سنةٍ، ونوحٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَبِثَ في قومِه ألفَ سنةٍ إلَّا خَمْسين عامًا، فهل الفعلُ الذي فعلَه في آخرِ وجودِه في قومِه يلزمُ أنْ يكونَ موجودًا معه حينَ وُلِد أو لا يلزمُ؟ لا يلزمُ فتبيَّنَ أنَّ هذه القاعدةَ باطلةٌ وفاسدةٌ، وأنَّ مِن كمالِ اللهِ تَعَالَىٰ أنْ يكونَ فَعَّالًا لِما يريدُ، ومن جملةِ ذلك الاستواءُ على العرشِ، والنزولُ إلى السماءِ الدُّنيا، والضَّحِكُ والفرحُ والغضبُ، وما أشبهَها، وذكَرنا فيما سبق أنَّ كلَّ صفةٍ لها سببٌ فهي صفةٌ فعليةٌ؛ لأنَّها متعلقةٌ بمشيئتِه.

فتبيَّنَ الآنَ أنَّ الاستواءَ على العرشِ صفةٌ فعليةٌ.

أمَّا العلوُّ العامُّ، فهل هو صفةٌ فعليةٌ أو ذاتيةٌ؟

الجوابُ: ذاتيةٌ؛ لأنَّ اللهَ لم يزلْ ولا يزالُ عاليًا فوقَ المخلوقاتِ؛ لأنَّ الاستواءَ علوٌّ خاصٌّ كما سبَق.

۞ وقوله: «قال ابن عباس المجيدُ: الكريم» وهذا القول عن ابن عباس معَلَّقٌ.

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ:

قولُه: قالَ ابنُ عباسٍ: المجيدُ: الكريمُ، والودودُ: الحبيبُ: وصلَه ابنُ أبي حاتمٍ مِن طريقِ عَليِّ بن أبي طلحةَ عن ابنِ عباسٍ في قولِه تعالَى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥﴾ [البروج:١٥]. قال: المجيدُ: الكريمُ. وبه عن ابن عباسٍ في قولِه تعالَى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤﴾ [البروج:١٤]. قال: الودود: الحبيبُ. وإنما وقَع تقديمُ المجيدِ قبلَ الودودِ هنا؛ لأنَّ المرادَ تفسيرُ لفظِ «المجيدِ» الواقعِ في قولِه: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ فلمَّا فسَّره اسْتَطْردَ في تفسيرِ الاسمِ الذي قبلَه، إشارةً إلى أنَّه قُرِئَ مرفوعًا بالاتفاقِ ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ بالرفعِ صفةٌ له.

واختلَفت القرّاءُ في «المجيدِ» بالرفعِ، فيكونُ مِن صفاتِ اللهِ، وبالكسرِ فيكونُ صفةَ العرشِ، قال ابنُ مُنَيِّرٍ: جميعُ ما ذكَره البخاريُّ في هذا البابِ يشتملُ على ذِكرِ العرشِ إلا أثرَ ابن عباسٍ، لكنَّه نبَّه به على لطيفةٍ، وهي أنَّ المجيدَ في الآيةِ على قراءةِ الكسرِ ليسَ صفةً للعرش حتى لا يُتخيَّلَ أنَّه قديمٌ، بل

هي صفةُ اللهِ بدليلِ قراءةِ الرفعِ وبدليلِ اقترانِه بالودودِ، فيكونُ الكسرُ على المجاورةِ، لتجتمعُ القِرَاءتان على مَعْنًى واحدٍ. اهـ

ويؤيدُ أنَّها عندَ البخاريِّ صفةُ اللهِ تعالَى، ما أَرْدَفه به وهو يقالُ: حميدٌ مجيدٌ. إلى آخرِه [1]. اهـ

قولُه: المجيدُ بالرفعِ، وعندنا الآنَ مرفوعةٌ، فيَقْتَضي أنْ يكونَ المرادُ بذلك الربَّ عَجَّلَ، وفي الآيةِ الكريمةِ: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ۝١٥﴾ قراءتان؛ ذو العرشِ المجيدِ، وذو العرشِ المجيدُ، فأمَّا على قراءةِ الرفعِ، فهي اسمٌ مِن أسماءِ اللهِ وتعودُ الصفةُ فيها إلى اللهِ، ولهذا جاءَتْ مرفوعةً، وأمَّا على قراءةِ الجرِّ «ذو العرش المجيدِ» فهي صفةٌ للعرشِ، والقولُ بأنَّها صفةٌ للربِّ، وأنَّها كُسِرَتْ للمجاورةِ قولٌ بعيدٌ جدًا.

فالصوابُ: أنَّها على قراءةِ الرفعِ مِن أسماءِ اللهِ، والمجدُ صفةُ اللهِ، وعلى قراءةِ الجرِّ تكونُ صفةً للعرشِ، فأمَّا على قراءةِ الجرِّ فلا بأسَ أنْ تُفَسَّرَ بالكريمِ؛ لأنَّ اللهَ تعالَى قالَ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ۝١١٦﴾ [المؤمنون:١١٦]. بالكسرِ، فيكونُ المجدُ بالنسبةِ للعرشِ هو الكرمَ، والكرمُ في كلِّ موضعٍ بحَسَبِه، ليسَ الكَرَمُ هو كثرةُ العطاءِ؛ لأنَّ العرشَ لا يُعْطِي، لكن يُرادُ به البهاءُ والحسنُ والجمالُ والكمالُ على حدِّ قولِ النبيِّ ﷺ لمعاذٍ: «**فإنْ أطَاعُوك لذلك، فإيَّاك وكرائمَ أموالِهم**» [2]: جمعُ كريمةٍ، وليسَ المرادُ بكرائمِ الأموالِ أنَّها تُعْطِي لكنَّها الجميلةُ البهيةُ الكاملةُ، فإذا كانَتْ قراءةُ المجيدِ بالجرِّ صفةً للعرشِ صحَّ أنْ يُفَسِّرَها بالكريمِ؛ لأنَّ العرشَ وَصِفَ بذلك في آيةٍ أُخْرَى، أمَّا إذا كانت بالرفعِ «المجيدُ» صفةً للربِّ عَجَّلَ فلا يصحُّ أنْ نُفَسِّرَها بالكريمِ، بل نُفَسِّرُها بذي العظمةِ والسلطانِ الكاملِ، ودليلُ ذلك قولُه تعالَى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ حيثُ كانَ اللهُ يجيبُ القارئَ ويقولُ: «مَجَّدَني عَبْدِي» [3] لأنَّه في يومِ الدينِ يكونُ تمامُ الملْكِ للهِ عَجَّلَ.

وأما الودودُ ففسَّره بالحبيبِ، لقولِ اللهِ: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ۝١٤﴾ فالحبيبُ فعيلٌ، هل هي بمعنَى فاعلٍ أو مفعولٍ؟

إذا قلتَ حَبِيبي فلانٌ هذا مفعولٌ، وإن قلتَ: فلانٌ حبيبٌ: أيضًا بمَعْنَى مفعولٍ، لكن مع ذلك يصحُّ أنْ يكونَ بمَعْنَى حابٍّ، ولكن تفسيرُ الودودِ بالحبيبِ تفسيرٌ تقريبيٌّ؛ لأنَّ الودودَ أخصُّ مِن الحبيبِ، فالمودةُ وصفٌ زائدٌ على مطلقِ المحبةِ، فهي المحبةُ الخالصةُ؛ يَعْني: التي ليسَتْ مشوبةً بكُرْهٍ، فتفسيرُ الودودِ بالحبيبِ تفسيرٌ تَقْريبيٌّ، وإلَّا فإنَّ المَعْنَى الأدقَّ أنْ نقولَ: الودودُ: ذو المحبةِ الخالصةِ وليسَتْ مطلقَ المحبةِ، والودودُ مِن أسماءِ اللهِ تَعَالَى كما قالَ اللهُ تعالَى: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ۝١٤﴾

---

(١) انظر «الفتح» (١٣/ ٤٠٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٢) رواه مسلم (٣٩٥).

وهي بمَعْنَى الوادِّ، فجمَع اللهُ بينَ هذين الاسمَين الكَريمين؛ لأنَّ بالمغفرةِ تكفيرَ السيئاتِ، وبالوُدِّ حصولُ الهباتِ، فيجمعُ الإنسانُ في تلاوةِ هذين الاسمين بينَ الخوف والرجاء، بين الخوفِ مِن الذنوبِ فيسألُ اللهَ المغفرةَ، والرجاءِ؛ لقوله: ﴿ٱلْوَدُودُ﴾ لأنَّ الودودَ لا شكَّ أنَّه سيكونُ كثيرَ العطاءِ وكثيرَ الغفرانِ.

۞ قوله: «حميدٌ مجيدٌ، كأنَّه فعيلٌ مِن ماجدٍ، محمودٌ مِن حَمِيد»، في العبارةِ لفٌّ ونشرٌ غيرُ مرتبٍ، يقول: حميد كأنه محمود حامد، مجيدٌ يقولُ: كأنَّه فَعِيلٌ مِن ماجدٍ، وماجدٌ اسمُ فاعلٍ، ومجيدٌ اسمُ فاعلٍ، لكن فيه مبالغةٌ كما هو معلومٌ في علمِ النحوِ أنَّ أمثلةَ المبالغةِ منها فعيلٌ، فيكونُ مجيدٌ بمَعْنَى ماجِدٍ، لكن فيه مبالغةٌ، والمجدُ سبقَ أنَّه السلطانُ التامُّ الذي تكونُ به السيطرةُ التامةُ، وأمَّا حميدٌ فيكونُ محمودٌ من حُمِد.

إذًا: مجيدٌ بمَعْنَى الفاعلِ، وحميدٌ يقولُ البخاريُّ أنَّه بَمْعَنى المفعولِ مِن حُمِد فهو محمودٌ، وهذا صحيحٌ، واللهُ ﷻ حميدٌ بمَعْنَى محمودٍ؛ أي: محمودٍ حمدًا يستحقه، ولهذا جاءت بصيغةِ المبالغةِ «حميد» وتَحْتَمِلُ مَعْنًى آخرَ أنْ يكونَ حميدٌ بمَعْنَى حامدٍ؛ لأنَّه ﷻ يَحْمَدُ مَن يَستحقُّ الحمدَ مِن أوليائِه، فيحمدَ الأنبياءَ، والأولياءَ والصِّدِّيقين، والشهداءَ ويُثْنِي عليهم، وهذا حمدٌ، فهو حميدٌ بمَعْنَى حامدٍ وحميدٌ بمَعْنَى محمودٍ، ويكونُ للمَعْنَيين جميعًا، وجاءَ الجمعُ بينهما في القرآنِ والسنةِ، فقالَ اللهُ تبارَك وتعالَى في قصةِ إبراهيم: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ۝٧٣﴾ [هود: ٧٣] وقالَ النبيُّ ﷺ فيما علَّمنا مِن الصلاةِ عليه: «كما صليتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيم إنَّك حميدٌ مجيدٌ»[1].

رُوِيَ عن أمِّ سلمةَ رضي الله عنها أنَّها قالَتْ في الاستواءِ: الاستواءُ غيرُ مجهولٍ، والكيفُ غيرُ معقولٍ، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بدعةٌ. والإمامُ مالكٌ رحمه الله سُئِلَ في الحَلْقَةِ هذا السؤالَ: قالَ له رجلٌ يا أبا عبدِ اللهِ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾، كيفَ اسْتوى؟ فاستعظَمَ الإمامُ مالكٌ رحمه الله هذا السؤال، وأطْرَق برأسِه حتى علاه الرُّحضاءُ؛ أي: العرقُ، وجَعل يتصببُ عرقًا مِن شدةِ وَقْعِ السؤالِ على قلبِه، ثم قالَ: الاستواءُ غيرُ مجهولٍ والكيفُ غيرُ معقولٍ، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بدعةٌ. هذا اللفظُ الذي رُوِيَ، لكن نقلَه كثيرٌ مِن العلماءِ على وجهٍ آخرَ، فقالَ: الاستواءُ معلومٌ، والكيفُ مجهولٌ، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بدعةٌ[2]. ولْنَشْرحِ هذا الكلامَ.

۞ قالَ: «الاستواءُ غيرُ مجهولٍ». أي: أنَّه معلومٌ بمُقْتَضَى اللغةِ العربيةِ وإجماعِ مَن سلَف، ففي اللغة العربيةِ «اسْتَوى على» معناه: العُلُوُّ، وإجماعُ مَن سلَف؛ لأنَّه لم يَرِدْ حرفٌ واحدٌ عن الصحابةِ يخالفُ ما جاءَ به القرآنُ، فيكونُ الأصلُ بقاءَه على ما كانَ عليه كما قرَّرنا ذلك سابقًا.

---

(١) رواه البخاري (٣٣٧٠)، ومسلم (٤٠٥).
(٢) تقدم تخريجه عن مالك، شيخهُ ربيعة.

۞ «والكيفُ مجهولٌ» وفي روايةٍ عنه: «غيرُ معقولٍ». أما روايةُ: غيرُ معقولٍ. فالمَعْنَى: أن الكيفَ لا يُدْرِكُه العقلُ وإذا لم يُدْرِكه العقلُ تَوقَّفَ إثباتُه على الدليلِ السَّمعيِّ، وليسَ هناكَ دليلٌ سمعيٌّ، وعلى هذا فيكونُ، إذا كان العقْل لا يدركُه ولم يَرِدْ به السمعُ، صارَ مجهولًا، فالكيفُ مجهولٌ ودليلُ جهالتِه أنَّ كيفيةَ استواء اللهِ على العرشِ هو تكييفٌ لصفةٍ مِن صفاتِه، والقولُ في الصفاتِ كالقولِ في الذاتِ، فإذا كنَّا لا نُكيِّفُ ذاتَه، فإنَّا لا نكيِّفُ صفاتِه؛ لأنَّ الكلامَ في الصفاتِ فرعٌ عن الكلام في الذاتِ، هذا وجه.

الوجهُ الثَّاني: أنَّ اللهَ أخْبَرنا عنه، ولم يُخْبِرْنا عن كيفيتِه، ونحن لا ندركُه بعقولِنا.

الوجهُ الثالثُ: أنَّ الشيءَ لا تُعْلَمُ كيفيتُه إلا بواحدٍ من أمورٍ ثلاثةٍ: مشاهدته أو مشاهدةِ نظيرِه أو الخبرِ الصادقِ عنه. وكلُّ هذا منتفٍ بالنسبةِ لاستواء اللهِ على العرشِ، لا شاهَدْنَاه، ولا شاهدنا له نظيرًا، ولا أَخْبَرَنا الصادقُ عنه، فوجَب أنْ يكونَ مجهولًا، وبقيةُ الصفاتِ يقالُ فيها كما يقالُ في الاستواءِ، فيقالُ مثلًا في النزولِ إلى السماءِ الدَّنيا، النزولُ معلومٌ والكيفُ مجهولٌ والإيمانُ به واجبٌ. والسؤالُ عنه بدعةٌ.

لكن لماذا كانَ الإيمانُ به واجبًا؟ لأنَّه خبرٌ مِن أخبارِ اللهِ ورسولِه.

ولماذا كان السؤالُ عنه بدعةً؟ لوجْهَين:

الوجهُ الأولُ: أنَّ الصحابةَ لم يَسْأَلوا عنه.

والوجهُ الثَّاني: أنَّ السؤالَ عن ذلك مِن سماتِ أهلِ البدعِ، فهم الذين يَسْأَلون هذا السؤالَ.

ولهذا قالَ الإمامُ مالكٌ: وما أُراك إلا مبتدعًا. ثم السؤالُ عنه أيضًا تنطعٌ وتكلفٌ، فيدخلُ في قولِه ﷺ: «هلَكَ المتَنَطِّعون»[1] وهكذا بقيةُ الصفاتِ، السؤالُ عن كيفيتها أو عن شيءٍ زائدٍ على ما جاءَ به النصُّ بدعةٌ، وتكلفٌ وتنطعٌ، ولهذا يجبُ على المرءِ أن يحذرَ مِن التنطعِ في هذه الأمورِ.

****

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤١٨- حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: إِنِّي عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ قَوْمٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: «اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ». قَالُوا: بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا. فَدَخَلَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ: «اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ». قَالُوا: قَبِلْنَا. جِئْنَاكَ لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ وَلِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الأَمْرِ مَا كَانَ. قَالَ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ». ثُمَّ أَتَانِي رَجُلٌ فَقَالَ: يَا عِمْرَانُ، أَدْرِكْ نَاقَتَكَ فَقَدْ ذَهَبَتْ فَانْطَلَقْتُ أَطْلُبُهَا، فَإِذَا السَّرَابُ يَنْقَطِعُ

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٠).

دُونَهَا، وَايْمُ اللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّهَا قَدْ ذَهَبَتْ وَلَمْ أَقُمْ.

الشاهدُ مِن هذا الحديث: «وكانَ عرشهُ على الماءِ» هذا شاهدُ الترجمةِ. النبيُّ ﷺ جاءه قومٌ مِن بني تميمٍ، قال: «اقبَلُوا البُشْرَى، يابني تميم» قالوا: بَشَّرتنا فأعْطِنا. ناسٌ يُريدون الدُّنيا، بَشَّرْتنا وعرفنا ما عندَكَ، لكن أعْطِنا. ولهذا جعلَ النبيُّ ﷺ هذا ردًّا منهم للبُشْرَى، لما دخَل أهلُ اليمنِ قال: «اقْبَلُوا البُشْرَى يا أهلَ اليمنِ إذ لم يقبلها بنو تميم» لأنهم قالُوا: بشَّرْتنا فأَعطِنا. فكأنَّهم جاءُوا للعَطَايا؛ للمالِ لكن لا يَعْنِي هذا أنَّه لا يوجدُ خيرٌ في بني تميم، بنو تميمٍ فيهم خيرٌ لو لم يكنْ فيهم إلَّا أنَّهم أشدُّ الناسِ على الدجَّالِ، كما قال النبي ﷺ: «أشدُّ أمَّتي على الدجَّالِ بنو تميم»[1]. وكلُّ قبيلةٍ وكلُّ أمةٍ فيها الخيرُ وفيها الشر، والخيرُ قد يكونُ عامًّا، وقد يكونُ خاصًّا وكذلك الشرُّ.

۞ قولُه: «فدخل ناسٌ مِن أهلِ اليمنِ فقال: اقْبَلُوا البُشْرى، ياأهلَ اليمنِ، إذا لم يقبلْها بنو تميمٍ قالوُا: قَبِلْنا» ﷺ قَبِلْنَا البُشْرَى، «جِئْنَاك لنتفقه في الدينِ». يعني ولم يَقُولوا: جئْنَاكَ للعطاءِ. ما قالُوا: أَعطِنا، فقد جاءوا للعلم قالوا: «ولنسألك عن أول هذا الأمرِ ما كان؟» وكيفَ نَشأتِ الدَّنيا هذه، كيف نشأت السمواتُ، كيف نشأت الأرضُ أخْبِرنا. فقال النبي ﷺ: «كانَ اللهُ ولم يكنْ شيءٌ قبلَه» فهو الأولُ الذي ليسَ قبلَه شيءٌ، وهذا أمرٌ معلومٌ.

۞ وقولُه: «كان اللهُ» هذه مسحوبة الدلالةِ على الزمنيةِ:يعْنِي ليسَ المعْنَى كان فبانَ، بل هو ﷻ لم يزلْ ولا يزالُ موجودًا، والعقلُ لا يدركُ كيفَ كان؛ لأنه أزليٌّ، لا نهايةَ لأولِه، ولا غايةَ، هو الأوَّلُ الذي ليسَ قبلَه شيءٌ و لا تُعْمِلْ فكرك، كيف هذا إن أَعْمَلْتَ فكرك ستصلُ إلى نقطةٍ بيَّن النبي ﷺ علاجَها حيثُ أَخْبَر أنَّ الناسَ يقولُون: مَن خلَق كذا، من خلَق كذا، مَن خلَق كذا؟ حتى يقولُوا: مَن خلَق اللهَ؟ وحينئذٍ يجبُ أنْ تَقِفَ، وتقولَ: اللهُ أحدٌ، صمدٌ، لم يلدْ ولم يولدْ، ولم يكنْ له كفوًا أحدٌ وتستعيذ باللهِ مِن الشيطانِ الرجيمِ[2].وتَنْتَهي عن هذه التقديراتِ كلِّها.

۞ قولُه: «وكانَ عرشهُ على الماءِ» قبلَ خلقِ السمواتِ «ثم خلقَ السمواتِ والأرضَ»، وخلقُها مُبيَّنٌ في القرآن مجملًا ومفصلًا.

۞ قولُه: «وكتبَ في الذكرِ كلَّ شيءٍ» الذكرُ: اللوحُ المحفوظُ، كما قالَ تعالَى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.

۞ قوله: «كلَّ شيء» الظاهرُ لي أنَّه ليسَ على عمومِه؛ لأنَّ اللهَ قالَ للقلم: «اكتبْ ما هو كائنٌ إلى يوم القيامةِ» فكتبَ القلمُ ما هو كائنٌ إلى يومِ القيامةِ، وعلى هذا يكونُ المرادُ بالعمومِ أو المرادُ بالعامِّ الخاصَّ أي ما يكونُ إلي يومِ القيامةِ.

۞ يقولُ عمرانُ بنُ حصينٍ: «ثم أتاني رجلٌ فقالَ: يا عمرانُ، أدركْ ناقتك، فقد ذَهَبت فانطلقْتُ

---

(١) رواه البخاري (٢٥٤٣)، ومسلم (٢٥٢٥).

(٢) رواه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم(١٣٤).

أَطْلُبُها، فإذا السرابُ ينقطعُ دونَها، وايمُ اللهِ لودِدْتُ أنَّها قد ذهَبت ولم أقمْ»، ولم أقمْ. جاءَه رجلٌ قال: أدركْ ناقتكَ. وهذا التنبيهُ مِن هذا الرجلِ واجبٌ؛ لأنَّه مِن حفظِ مالِ أخيه، والظاهرُ واللهُ أعلمُ أنَّ عمرانَ ظنَّ أنَّها قريبةٌ فخرَج ليَعْقِلَها ويرجعَ ليستمعَ إلى الرسولِ ﷺ، لكنَّه يقولُ: فإذا السرابُ ينقطعُ دونَها، إذًا هي بعيدةٌ وراءَ السرابِ، ولكنَّه لم يترُكْها؛ لأنَّ النفسَ تتعلقُ بالمالِ في مثلِ هذه الحالِ إذ يشقُّ عليه أن يَرَى بعيره، وهي راحلتُه من المدينةِ إلى أهلِه، وراحلتُه لقضاء حاجاتِه، أن يراها بعيدةً ثم يرجعَ. فذهبَ، لكن يقولُ: «لوددْتُ أنَّها قد ذهبْت ولم أقمْ».

وفي هذا دليلٌ على: حرصِه ﷺ على العلمِ، وأنه يفضلُ العلمَ على المالِ، وهذا هو الذي يعرِفُ قدرَ العلمِ.

قال الحافظ في الفتح:

۞ قوله: «**كان الله ولم يكن شيءٌ قبلَه؟**» تقدَّم في بدءِ الخلقِ بلفظِ: «**ولم يكنْ شيءٌ غيره**» وفي رواية أبي معاويةَ: «**كان الله قبلَ كلِّ شيءٍ**»وهو بمَعْنَى: كان اللهُ ولا شيءَ معه، وهي أصرحُ في الردِّ على من أثبتَ حوادثَ لا أولَ لها، مِن روايةِ البابِ، وهي من مستشنعِ المسائلِ المنسوبة لابن تيميةَ، ووقفتُ في كلامٍ له على هذا الحديثِ يرجحُ الروايةَ التي في هذا البابِ على غيرِها مع أنَّ قضيةَ الجمعِ بين الروايتين تَقْتَضِي حملَ هذه على التي في بدءِ الخلقِ لا العكسِ، والجمعُ مقدمٌ على الترجيحِ بالاتفاقِ، قال الطيبيُّ قولُه: «**ولم يكن شيءٌ قبلَه**» حالٌ، وفي المذهبِ الكوفيِّ خبرٌ والمعْنَى يساعدُه، إذ التقديرُ: كانَ اللهُ منفردًا، وقد جوَّز الأخفشُ دخولَ الواوِ في خبر كانَ وأخواتِها، نحوَ: كانَ زيدٌ وأبوه قائمٌ على جعلِ الجملةِ خبرًا مع الواوِ تشبيهًا للخبرِ بالحالِ، ومالَ التوربشتي إلى أنَّهما جملتان مستقلتان وقد تقدَّمَ تقريرُه في بدءِ الخلقِ وقال الطيبيُّ: لَفظةُ «كان» في الموضعين بحسبِ حالِ مفعولِها، فالمرادُ بالأولِ الأزليةُ والقدمُ، وبالثاني الحدوثُ بعدَ العدمِ، ثم قالَ: فالحاصلُ أنَّ عَطْفَ قولِه: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ على قولِه: «**كانَ اللهُ**» مِن بابِ الإخبارِ عن حصولِ الجملتين في الوجودِ وتفويضِ الترتيبِ إلى الذهنِ، قالُوا: وفيه بمنزلةِ ثُم، وقالَ الكرمانيُّ: قولُه: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ معطوفٌ على قولِه: «**كان اللهُ**». ولا يلزمُ منه المعيةُ إذ اللازمُ مِن الواوِ العاطفةِ الاجتماعُ في أصلِ الثبوتِ، وإنْ كانَ هناك تقديمٌ وتأخيرٌ، قال غيرُه: ومن ثَمَّ جاء شيءٌ غيرُه، ومِن ثم جاءَ قولُه: «**ولم يكنْ شيءٌ غيرُه**» لنفْي توهمِ المعيةِ، قالَ الراغبُ: «كانَ» عبارةٌ عمَّا مضَى مِن الزمانِ، لكنَّها في كثيرٍ من وصفِ اللهِ تعالَى تنبئُ عن معْنَى الأزليةِ، كقولِه تعالَى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ قالَ: وما استُعْمل منه في وصفِ شيءٍ متعلقًا بوصفٍ له هو موجودٌ فيه فللتنبيهِ على أنَّ ذلك الوصفَ لازمٌ له أو قليلُ الانفكاك عنه، كقولِه تعالَى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ وقولِه: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ وإذا استعمل في الزمنِ الماضي جازَ أن يكونَ المستعملُ على حالِه. وجازَ أنْ يكونَ قد تغيَّر نحوُ: كان فلانٌ كذا ثم صارَ كذا، واستُدِل به على أنَّ العالمَ حادثٌ؛ لأنَّ قولَه: «**ولم يكنْ شيءٌ غيرُه**» ظاهرٌ في ذلك، فإنَّ

كلَّ شيءٍ سوى اللهِ وجِدَ بعدَ أنْ لم يكنْ موجودًا[1].

هذه المسألةُ الواقعُ أنَّ الخوضَ فيها مِن فضولِ العلمِ، وهي مسألةُ التسلسلِ في الأزلِ؛ أي: في الماضي؛ لأنَّ العلماءَ، وأَقْصِدُ علماءَ السلفِ وعلماءَ أهلِ الكلامِ، اخْتَلَفوا في هذه المسألةِ على ثلاثةِ أقوالٍ.

القولُ الأولُ: منعُ التسلسلِ في الماضي والمستقبلِ، وهذا مذهبُ الجهميةِ، ولهذا يَقولون بفناءِ الجنةِ والنارِ، وأنَّهما تفنيان، ولا يبقى شيءٌ مخلوقٌ.

القولُ الثاني: ومِن العلماءِ مَن قال: بجوازِ التسلسلِ في الماضي والمستقبلِ، وقالُوا: الذي جوَّزه في المستقبلِ لا يمنعُ أن يكونَ جائزًا في الماضي؛ لأنَّ قولَه ﷺ: «**أنت الأولُ فليسَ قبلك شيءٌ، وأنت الآخرُ فليسَ بعدَك شيءٌ**»[2]. على ميزانٍ واحدٍ، فإذا قلتَ بتسلسلِ الحوادثِ في المستقبلِ، فمَعْنَى ذلك أنَّ اللهَ تعالى إن تَسَلْسَلتِ الحوادثُ فهو بعدَها، فكذلك هي في الماضي وإن تَسَلْسَلتِ فهو قبلَها، وهذا كما أنَّه مُقْتَضَى النصِّ، فهو أيضًا مُقْتَضى العقلِ؛ لأنَّ الفعلَ لا يكونُ إلَّا بفاعلٍ، والمفعولُ لا يكونُ إلا بعد الفعلِ ومهما قلتَ بالتسلسلِ فلابدَّ أنْ يكونَ المخلوقُ بعد الخالقِ، وهذا لا يُنافِي الأوَّليةَ، ولأنَّنا لو قُلْنَا بعدمِ التسلسلِ في الماضي لقُلْنا قبلَ أن يوجدَ الفعلُ يلزمُ أنْ يكونَ اللهُ مُعطَّلًا منه، فلماذا؟ هل هو كانَ غيرَ قادرٍ، ثم قدر أو كانَ غيرَ مريدٍ ثم أراد؟ إنْ قلتَ بالأوَّلِ، وصفتَ اللهَ بالعجزِ، وإن قلتَ بالثاني فما دليلُك على أنَّ اللهَ لم يُرِد أن يفعلَ حتى تقولَ: إن هذا شيءٌ ممتنعٌ؛ وأظنُّ هذا دليلًا واضحًا.

القولُ الثالثُ: جوازُ التسلسلِ في المستقبلِ دونَ الماضي، وهذا هو الذي عليه جمهورُ المتكلمين، فالمستقبلُ يجوزُ التسلسلُ فيه مثلُ الجنةِ والنارِ، إذا كانتا لا تفنيان فذلك معناه التسلسلُ إلى ما لا نهايةَ له، لكن في الماضي لا يجوزُ.

ولكن عندَ التأملِ يتبينُ أنَّ ما ذهبَ إليه شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ وجماعةٌ مِن أهلِ العلمِ هو الصوابُ، فإنَّه إذا جازَ التسلسلُ في المستقبلِ فما الذي يمنعُه في الماضي، فالحديثُ والآيةُ الوزانُ فيهما واحدٌ «**أنت الأولُ فليسَ قبلَك شيءٌ، وأنتَ الآخرُ فليسَ بعدَك شيءٌ**» فهما متوازيان، فإذا جازَ التسلسلُ في الآخريةِ جاز في الأوليةِ، ولاشكَّ.

ونقولُ بالطريقِ العقليِّ: إذا قلنا: إنَّه لا تسلسلَ في الحوادثِ، لزم أنَّ اللهَ تعالَى قد أتَى عليه وقتٌ لم يفعلْ ، فلماذا؟ إنْ قلتَ لعدمِ القدرةِ، وهو لازمٌ له؛ لأنه إذا قال ممتنعٌ. فمعناه أنَّه غيرُ قادرٍ، وإنْ قلتَ بعدمِ القدرةِ لزم أنْ تصِفَ الربَّ بالعجزِ، وإنْ قلتَ لعدمِ الإرادة صارَ الأمرُ ممكنًا، وهذا

---

(١) انظر «فتح الباري» (١٣/ ٤١٠).

(٢) رواه مسلم (٢٧٣١).

هو المطلوبُ؛ يَعْنَى: أنَّه لم يُرِدْ ولكن لو أرادَ لحصَل، وهذا هو المطلوبُ.

فهؤلاء يقولُون: تسلسلُ الحوادثِ في الماضي ممتنعٌ عقلًا ولا يمكنُ، وفي المستقبلِ جائزٌ عقلًا وممكنٌ.

ونحن نقولُ: إنَّه جائزٌ في الماضي والمستقبلِ، والدليلُ في هذا واضحٌ ، الدليلُ على أنَّه جائزٌ في الماضي جوازُه في المستقبلِ، إذ لا فرقَ، وهذه المسألةُ كما سبقَ من فضولِ العلمِ الذي غيرهُ أهمُّ منه، لكنَّنا يجِبُ أنْ نعتقدَ أنَّ اللهَ فعالٌ لما يريدُ لم يزلْ، ولا يزالُ كذلك لم يزلْ ولا يزالُ فعالًا لما يريدُ، لكنَّ المخلوقاتِ التي لم يُخْبِرْ عنها، وهي سابقةٌ أزليةٍ ما نعرفُ عنها شيئًا، هذه يجبُ أن نقولَ: لا نعلمُها ولا نعلمُ ماذا خلَقَ اللهُ قبلَ خلقِ السمواتِ والأرضِ، إنْ كان هناكَ مخلوقٌ، لكنْ نعلمُ أنَّه خلَقَ القلمَ قبلَ أنْ يخلقَ السمواتِ والأرضَ بخمْسِين ألفَ سنةٍ، وأنَّ هناكَ مخلوقاتٍ، ولكنَّا لم نُخْبَرْ عنها، فما أُخْبِرْنا عنه من المخلوقاتِ قبلَ خلقِ السمواتِ والأرضِ وجبَ علينا التسليمُ، وقُلْنا: إنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وكما لا يستحيلُ دوامُ أفعالِه في المستقبلِ فلا يستحيلُ دوامُ أفعالِه في الماضي.

وأمَّا استشناعُ الحافظ ابنِ حجرٍ لمذهبِ شيخِ الإسلامِ في هذه المسألةِ فلا شكَّ أنَّ شيخَ الإسلامِ رَحِمَهُ اللهُ تكلَّم فيه ناسٌ في هذه المسألةِ مع أنَّ الصوابَ معه، والحقَّ معه، لكنَّ بعضَ العلماءِ - رحمةُ اللهِ عليهم- في مقامِ الردِّ يخلطون ردَّهم بالسبِّ لما عندَهم مِن الغيرةِ على ما يَعْتَقِدون أنَّه باطلٌ، وهذه زلةٌ مِن ابنِ حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ نسألُ اللهَ أنْ يعفوَ عنه، وسيلْتَقِي معه عندَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يفصِلُ بينهما يومَ القيامةِ.

ومِن المستحسنِ أن تطلعوا على قصيدتين في أول منهاج السنة الطبعةِ القديمةِ ذكَر فيها أحدُ الأعداءِ لشيخِ الإسلامِ مسائلَ كثيرةً يشنِّعُ فيها على شيخ الإسلام ابن تيميةَ، ثم جاءَ رجلٌ آخرُ مِن أهلِ الحقِ فردَّ عليه وعلى قافيةٍ واحدةٍ ووزْنٍ واحدٍ.

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٤١٩- حَدَّثَنا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامٍ، حَدَّثَنا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ يَمِينَ اللَّهِ مَلأَى لا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَبِيَدِهِ الأُخْرَى الْفَيْضُ -أَوِ الْقَبْضُ- يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ»(١).

هذا الحديثُ سبقَ الكلامُ عليه وبيَّنا مَعْنَى قولِه: «فإنَّه لم ينقصْ ما في يمينِه» من هذا الإنفاقِ؛ لأنَّ التقديرَ أنَّ الإنفاقَ كان على أمرٍ خارجٍ، فإنَّه لو كانَ على أمرٍ خارجٍ فإنَّه لا ينقصُ اللهُ شيئًا مع أنَّ الكلَّ

---

(١) رواه مسلم (٩٩٣).

في ملكِ اللهِ ﷻ، وإنَّما قُلْنا ذلك؛ لئلَّا يقولَ قائلٌ: معلومٌ أنَّه لا ينقصُ ما في يمينِهِ إذا أنفقَ؛ لأنَّه إنَّما ينفقُ في ملكِه، فهو كما لو أنَّ الإنسانَ أخرجَ الدراهمَ مِن حجرةٍ وجعلَها في حجرةٍ أخرى، أو مِن دولابٍ وجعلَها في دولابٍ آخرَ، فإنّه معلومٌ أنَّه لم يخرجْ عن ملكِه، ولا يمكنُ أن يقالَ في هذا نقصٌ لكن هو على تقديرِ أنَّ الإنفاقَ كان خارجًا، ومع ذلك لم ينقصْ ما في يمينِهِ، الشاهدُ للبابِ في هذا الحديثِ قولُه: «وعرشُه على الماءِ».

*****

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٢٠- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: جَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَشْكُو فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اتَّقِ اللَّهَ، وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ». قَالَ أَنَسٌ: لَوْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَاتِمًا شَيْئًا لَكَتَمَ هَذِهِ. قَالَ: فَكَانَتْ زَيْنَبُ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ تَقُولُ: زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ[1]. وَعَنْ ثَابِتٍ ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ نَزَلَتْ فِي شَأْنِ زَيْنَبَ وَزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ.

۞ قوله: «قَالَ أنس» في نسخة -عندنا-: «قَالَ أنس: قالت عائشة»، وفي نسخة أخرى: «قالت عائشة».

الشاهدُ مِن هذا: قولُه: «**مِن فوقِ سبعِ سمواتٍ**». وذلك أن العرشَ فوق السمواتِ فيكونُ اللهُ ﷻ فوق السمواتِ؛ لأن الله فوق العرش، وليُعلم أن هناك استواءً وعلوًّا، فالاستواءُ سبقَ الكلامُ عليه، وبيَّنا أنَّه مِن الصفاتِ الفعليةِ المتعلقةِ بمشيئتِه، أمَّا العلوُّ فإنَّه مِن الصفاتِ الذاتيةِ اللازمةِ له، فهو دائمًا أزلًا وأبدًا فوقَ كلِّ شيءٍ، وليسَ فوقَه شيءٌ، كما قال النبيُّ ﷺ: «**وأنت الظاهرُ فليس فوقَك شيءٌ**».

وهذا الحديثُ: في قصةِ زينبَ بنتَ جحشٍ وزيدِ بن حارثةَ رضي الله عنه وتوجدُ رواياتٌ كثيرةٌ رُويت حولَ هذه القصةِ ضعيفةٌ لا تصحُّ عن النبيِّ ﷺ عليه ولا تليقُ بمقامِ النبيِّ ﷺ، والنبيُّ ﷺ نصحَ زيدَ بنَ حارثةَ أنْ يُبْقِيَ زوجتَه عنده ولم يُضمِرْ في قلبِه إلَّا أنَّ زيدَ بنَ حارثةَ يُبْقِيها عنده، وإن كانَ الرسولُ ﷺ حينَ أشارَ عليه هذه المشورةَ في قلبِهِ أشياءُ، اللهُ أعلمُ بها، فلعلَّه عليه الصلاة والسلام خافَ أنْ يطلِّقَها ثم يتزوجَها الرسولُ ﷺ فيكونَ في هذا إشكالٌ عندَ الناسِ؛ لأنَّهم يرَوْنَ أنْ ابن التَّبَنِّي لا يجوزُ أنْ يتزوجَ امرأتَه مَن تبنَّاه، ولكنَّ اللهَ ﷻ أرادَ أنْ يُبيِّنَ للخلقِ أنَّ المتبنِّي يجوزُ أنْ يتزوجَ زوجةَ مَن تبنَّاه قال: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ [الأحزاب:٣٧] وطلقها رغبةً عنها ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ فتزوَّجها النبيُّ ﷺ بعدَ أنْ طلَّقَها زيدُ بنُ حارثةَ، وبذلك زالت هذه المشكلةُ.

---

(١) انظر ما أخرجه مسلم (١٤٢٨).

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٢١- حَدَّثَنَا خَلَّادُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ طَهْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه يَقُولُ: نَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ فِي زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَأَطْعَمَ عَلَيْهَا يَوْمَئِذٍ خُبْزًا وَلَحْمًا وَكَانَتْ تَفْخَرُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَتْ تَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ أَنْكَحَنِي فِي السَّمَاءِ[1].

هذا كالأول فيه إثباتُ علوِّ اللهِ تعالى، وأهلُ السنةِ والجماعةِ يُثْبِتُون علوَّ اللهِ في ذاتِه وصفاته، ويقولُون: إنَّ العلوَّ نوعانِ: علوُّ ذاتٍ، وعلوُّ صفة.

أمَّا علوُّ الذاتِ: فهو أنَّه تعالى فوقَ عبادِه.

وأمَّا علوُّ الصفات: فهو أنَّ جميعَ صفاتِه عُلْيا، ليس فيها نقصٌ بوجهٍ مِن الوجوهِ، وأهلُ التعطيل أنكَروا الأولَ، وقالوا: إنَّ اللهَ ليسَ عاليًا بذاتِه، ثم اخْتَلَفوا، فقالَ بعضُهم: إنَّه جلَّ وعلَا بذاتِه في كلِّ مكانٍ، فاللهُ في الأرضِ في السماءِ وفي البرِّ وفي البحرِ وفي الجوِّ وفي المساجدِ وفي البيوتِ وفي كلِّ شيءٍ فهو حالٌّ في كلِّ شيءٍ، وهذا مذهبُ الجهميةِ الحلوليةِ الذين يقولُون: إنَّ اللهَ معنَا بذاتِه في أيِّ مكانٍ كنَّا.

ومنهم الذين أنكرُوا العلوَّ، وقالوا: إنَّ اللهَ تعالَى لا يُوصفُ بأنَّه فوقُ ولا تحتُ ولا يمينُ ولا شمالُ ولا متصلٌ ولا منفصلٌ، فقِيل لهم: هذه الأوصافُ أوصافٌ للمعدومِ، لو قِيل لنَا: صِفُوا لنا المعدومَ بأبلغَ مِن هذه الأوصافِ ما وجَدْنا إلى ذلك سبيلًا مع أنَّها كما تَرَوْن أوصافًا سلبيةً، وأهلُ التعطيلِ يَصِفون اللهَ بالأوصافِ السلبيةِ دونَ الإيجابيةِ، أمَّا أهلُ السنةِ والجماعةِ فقالُوا: إنَّ اللهَ تعالى فوقَ كلِّ شيءٍ فوق عباده، وقالُوا: إنَّ الأدلةَ على علوِّ اللهِ تعالى متنوعةٌ، بلْ جميعُ أصولِ الأدلةِ تشهدُ بذلك، الكتابُ والسنةُ وإجماعُ السلفِ والعقلُ والفطرةُ، خمسة أنواع من الأدلة -ولا يوجد سوى هذه الأدلة- كلُها تدلُّ على أنَّ اللهَ تعالى فوقَ عبادِه.

* ففي القرآنِ الكريم ما لا يُحصَى من الأدلةِ على علوِّ اللهِ، على وجوهٍ متنوعةٍ منها قوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ و ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر:١٠]. و ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلى:١]. ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٤] والآياتُ في ذلك كثيرة وقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان:١] لأنَّ النزولَ يكونُ مِن أعْلَى إلى أسفلَ.

أمَّا السنةُ: فكذلك، جاءَت بأنواعِها الثلاثةِ -بالقولِ والفعلِ والإقرارِ- تدلُّ على ذلك.

أما القولُ: فإنَّ الرسولَ ﷺ كان يسبحُ اللهَ تعالى في سجودِه ويقولُ: «سبحانَ ربِّي الأعلى»[2] والأحاديثُ عنه في إثباتِ ذلك كثيرةٌ.

---

(١) انظر: ما أخرجه مسلم (١٤٢٨).

(٢) رواه مسلم (٧٧٢).

وأما الفعلُ: فإنَّه لمَّا استشهدَ الأمَّةَ على إبلاغِه في حجةِ الوداع وهو يخطبُ الناسَ، ويقولُ: «ألَا هلْ بلَّغتُ» قالُوا: نَعَم، فيرفعُ أُصْبعَه إلى السماءِ، ويقـولُ: «اللهـمَّ اشـهدْ»[1] هـذه إشـارةٌ إلى أنَّ اللهَ في العلوِّ، وكذلك مدُّ يديه إلى السماء حينمَا استسقَى ، واستـصحَى[2]، هـذه دلالـةٌ بالإشـارةِ علـى أنَّ اللهَ تعالَى فوقَ.

وأما الإقرارُ: فهو قد أقرَّ الجاريةَ التي سألَها: «أينَ اللهُ» قالتْ: في السماءِ. قال: «أعْتِقْها فإنَّها مؤمنةٌ»[3].

وأمَّا الإجمـاعُ: إجماعُ السلفِ، فقد قال شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ اللهُ: إنَّه طالَع ما أمْكَنه مِن كتـبِ الـسلفِ فلم أجدْ عن واحدٍ منهم أنَّه قالَ: إنَّ اللهَ ليسَ في السماءِ أو أنكرَ الفوقيةَ أو العلوَّ[4].

وأمَّا العقلُ: فإنَّا نقولُ: هل العلوُّ صفةُ كمالٍ أو السُّفْلُ هو صفةُ الكمالِ؟

الجوابُ: الأولُ فإذا كان العلوُّ صفةَ كمالٍ، وكان السُّفْلُ صفةَ نقـصٍ لـزِم أنْ يكـونَ اللهُ متـصفًا بالكمالِ عقلًا.

وأمَّا الفطرةُ: فظاهرةٌ، فإنَّ الإنسانَ حينمَا يذكرُ ربَّه بقلبِـه لايجـدُ قلبَـه يتطلـعُ أو يرتفـعُ إلَّا إلى السماءِ، بفطرتِه بدونِ أنْ يُلَقَّن، وبدونِ أنْ يَدْرُسَ، حينمَا يقولُ:يارِبِّ: يجدُ مِن قلبِـه ضـرورةً لطلـبِ العلوِّ، وهذا يدلُّ على أنَّ الفطرةَ تدلُّ على علوِّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ويقالُ: إنَّ أبا المَعَالِي الجوينيَّ الملقبَ بإمـامِ الحَرَمين كان يقررُ فيقولُ:كانَ اللهُ ولم يكن شيءٌ قبلَه أو كانَ اللهُ ولا شـيءَ، وهـو الآنَ علـى مـا كـانَ عليه. يريدُ بهذا أنْ ينكرَ استواءَ اللهِ على العرشِ؛ لأنَّه إذا كانَ اللهُ قبل كلِّ شيءٍ وكانَ الآنَ على مـا هـو عليه لزِم مِن ذلك أنْ لا يستويَ على العرشِ، وهو يريدُ أن يقررَ ما وراءَ ذلك أيـضًا أنَّ اللهَ لا يوصـفُ بأنَّه فوقُ، فقالَ له أبو العلاءِ الهمدانِّي رَحِمَهُ اللهُ: يا شيخُ دَعْنَا مِن ذكرِ العرشِ -يَعْنَى: أنَّ الاسـتواءَ علـى العرشِ دليلُه السمعُ لا تَقْتَضيه الفطرةُ، ولولا أنَّ اللهَ أخْبرَنا أنَّه اسْتَوى على العـرشِ مـا عَلِمْنَـا بهـذا- ولكن أخْبِرْنا عن هذه الضرورةِ ما قال عارفٌ قطُّ يااللهُ، إلا وجدَ بقلبِـه أو مِـن قلبِـه ضـرورةً لطلـبِ العلوِّ، ما قالَ الإنسانُ ياربِّ. إلا وجد قلبَه يرتفعُ إلى السماءِ، فصرَخ أبو المَعَالِي وجعَل يـضربُ علـى رأسه ويقولُ: حيَّرني الهَمَداني، حيَّرني[5]، يعْنِي: أنَّه لم يستطع أنْ يجيبَ عن هذه الفطرةِ فتبيَّن الآنَ أنَّ أدلةَ العلوِّ خمسةُ أنواعٍ: الكتابُ والسنةِ وإجماعُ السلفِ والعقلُ والفطرةُ.

۞ قولها: «أنكحَني اللهُ في السماء» وقول الجارية: «في السماء» هل هذا المعنى.يعني على السماء؟.

الجواب: هذه المسألة موجـودةٌ في القـرآن: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِـي الـسَّمَاءِ﴾ والمعـروفُ أنَّ «في»

---

(١) رواه مسلم (١٢١٨).

(٢) رواه البخاري (١٠١٤،١٠١٥)، ومسلم (٨٩٧).

(٣) رواه مسلم (٥٣٧).

(٤) انظر «تلبيس الجهمية» (٢/ ٤٥).

(٥) أورد هذه القصة ابن أبي العز في شرحه على «العقيدة الطحاوية» (ص٢٩١).

للظرفيةِ، فإذا جعَلناها للظرفيةِ صار في هذا إشكالٌ؛ لأنَّ الظرفِ يحيطُ بالمظروفِ، وهو أوسعُ منه، فالظرف أوسعُ مِن المظروفِ، إذا قلتَ: الماءَ في الكأسِ، أيُّهما أوسعُ؟ الكأسُ؛ لأنَّه يحيطُ بالماءِ فيبْقَى في هذا إشكالٌ، وأجابَ أهلُ العلمِ عن ذلك بأحدِ وَجْهين:

الوجهُ الأولُ: أنْ تكونَ «في» للظرفيةِ، والسماءُ بمَعْنَى العلوِّ؛ لأنَّ السماءَ تطلقُ على العلوِّ في اللغة العربيةِ، وفي القرآنِ، قالَ اللهُ تباركَ وتعالَى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ وقال: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ جعلَ الإنزالَ مِن السماءِ والمرادُ به هنا العلوُّ قطعًا، لا السماءُ التي هي السقفُ المحفوظُ، والدليلُ على هذا قولُه تباركَ وتعالَى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:١٦٤]. ومعلومٌ أنَّ المطرَ ينزلُ مِن السحاب: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ [النور:٤٣] وعليه يكونُ «في» للظرفيةِ، والسماءُ بمَعْنَى العلوِّ، والعلوُّ اللانهائيُّ فوقَ السمواتِ ولا إشكالَ في هذا.

والوجهُ الثاني: قالوا: إنَّ «في» بمَعْنَى «على» وليسَتْ للظرفيةِ، والسماءُ هي السمواتُ، وحينئذٍ نحتاجُ إلى شاهدٍ يُؤيدُّ به القولُ بأنَّ «في» بمعنى «على»، فاسْتَشْهدوا لذلك بقولِ فرعونَ للسحرةِ ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه:٧١] في جذوعِ النخلِ؛ يَعْني: على جَذْعِ النخلِ؛ لأنَّه ليسَ المعْنَى أنَّه يَشُقُّ الجذعَ ثم يُصلبُ الرجلُ فيه، بل يصلبُه على الجذعِ، وقولِه تعالَى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأنعام:١١]. ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾. أي: عليها؛ لأنَّ ديارَ المُكذِّبين نشاهدَها على سطحِ الأرضِ، وليسَتْ في جوفِها وبهذا يزوُلُ الإشكالُ.

***

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٢٢- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»[1].

۞ قوله: «كتبَ عنده فوقَ عرشِه: إنَّ رَحْمَتي سَبَقَت غَضَبي» وهذه الكتابةُ فرضَها اللهُ عَزَّ وَجَلَّ على نفسِه، كما قالَ تعالَى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام:٥٤]

والشاهدُ في هذا الحديثِ قولُه: «عندَه فوقَ عرشِه».

وفيه مِن الصفاتِ: الرحمةُ والغضبُ، واعلمْ أنَّ الرحمةَ المضافةَ إلى اللهِ تنقسمُ إلى قِسمينِ رحمةٍ مخلوقةٍ، ورحمةٍ هي صفتُه غيرُ مخلوقةٍ.

---

(١) رواه مسلم (٢٧٥١).

فالرحمةُ المخلوقةُ سُمِّيت بذلك؛ لأنَّها مِن آثارِ الرحمةِ، وهي محلُّ الرحمةِ، ومسكنُ الرحماءِ، وتلك هي الجنةُ، حيثُ قالَ اللهُ لها: **«أنتِ رَحْمَتي أرحمُ بكِ من أشاءُ»**[1]. هذه الرحمةُ التي أضافَها اللهُ إلى نفسهِ رحمة مخلوقةٌ.

وأمَّا الرحمةُ التي هي صفتُه، وهي غيرُ مخلوقةٍ، تنقسمُ أيضًا إلى قسمينِ: عامةٍ وخاصةٍ؛ فالعامةُ: هي الشاملةُ لجميعِ الخلقِ، حتى الكافرِ يدخلُ في رحمةِ اللهِ يرزقُه اللهُ ﷻ معاشًا ومسكنًا، وقوةً في بدنِه، وفي عقلِه، كلُّ هذا مِن الرحمةِ، ينعمُ عليهم بأنواعِ النعمِ، إنزالُ المطرِ، وإنباتُ النباتِ، وما أشبه ذلك، هذه رحمةٌ عامةٌ للمُؤمنين وللكافرين، وهي رحمةٌ دنيويةٌ، قاصرةٌ في ذاتِها وفي زمنِها وفي موضعِها.

القسمُ الثَّاني: الرحمةُ الخاصةُ وهي خاصةٌ بالمُؤمنين، وهذه رحمةٌ تتصلُ بها رحمةُ الآخرةِ، فيُرحمُ المؤمنون في الدُّنيا وفي الآخرةِ.

فإنْ قالَ قائلٌ: هذه الرحمةُ التي جعلَها اللهُ ﷻ في قلوبِ المخلوقاتِ، فتجدُ أنَّ الإنسانَ يرحمُ الضعيفَ مِن الصغارِ والشيوخِ والعجائزِ والمَرْضَى، ويرحمُ الدوابَّ والبهائمَ، وكذلك الدوابُّ فيما بينَها تتراحمُ، فنقولُ: هذه الرحمةُ صفةٌ للراحمِ، مَن هذا الراحمُ؟ هو المخلوقُ، والمخلوقُ وصفاتهُ مخلوقةٌ، فالرحمةُ التي وضعَها اللهُ في قلوبِ البشرِ وغيرِ البشرِ، هذه رحمةٌ مخلوقةٌ؛ لأنَّها وصفٌ لا للهِ، ولكن للراحمِ، ولهذا جاءَ في الحديثِ: **«الرَّاحِمونَ يرْحَمُهم الرحمنُ» «ومن لا يرحمُ لا يُرحمُ»**[2]. لكن هذه رحمةٌ مخلوقةٌ لا تتعلقُ بصفةِ اللهِ ﷻ، وإنَّما هي مِن خلقِ اللهِ في عبادِ اللهِ.

وفي الحديثِ: إثباتُ الغضبِ، والغضبُ وصفٌ يحصلُ بفعلِ ما يكرهُه الغاضبُ، حيثُ يشعرُ بالقدرةِ على الانتقامِ فهو وصفٌ انفعاليٌّ لا فعليٌّ، يَحصُلُ إذا وجدَ ما يكرهُه الغاضبُ مع شعورهِ بالقدرةِ على الانتقامِ، الحَزنُ أو الحُزنُ قريبٌ منه لكنَّه يحصلُ مِن الحازنِ لعدمِ قدرتِه على الانتقامِ، فالفرقُ الآنَ بينَ الحُزْنِ وبينَ الغضبِ، أنَّ الغاضبَ يشعرُ بالقدرةِ على الانتقامِ، والحَزِنُ أو الحازنُ لا يشعرُ بذلك بل يشعرُ بالضعفِ وعدمِ القدرةِ، ولهذا لا يوصفُ اللهُ بالحزنِ، ويوصفُ بالغضبِ وغضبُ اللهِ ﷻ هو صفةٌ مِن صفاتِه الفعليةِ؛ لأنَّه يتعلقُ بمشيئتِه، وقد سبقَ لنا القولُ بأنَّ كلَّ صفةٍ ذاتِ سببٍ فإنَّها مِن الصفاتِ الفعليةِ، وهو حقيقيٌّ، لكنَّ أهلَ التعطيلِ أنكَرُوا هذه الصفةَ؛ لأنَّها صفةٌ فعليةٌ، وقد سبقَ أنَّهم يُنكِرون جميعَ الصفاتِ الفعليةِ بحجةِ أنَّ الصفاتِ الفعليةَ حادثةٌ، والحادثُ لا يقومُ إلَّا بحادثٍ، وقد بيَّنا بطلانَ ذلك، هم أيضًا أنكروها مِن وجهٍ آخرَ، قالُوا: إنَّ الغضبَ غليانُ دمِ القلبِ؛ لطلبِ الانتقامِ، واللهُ منزهٌ عن ذلك فنقولُ: هذا الغضبُ الذي وَصَفْتُموه

---

(١) رواه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).

(٢) رواه البخاري (٧٣٧٧)، ومسلم (٩٢٣).

بهذا الوصفِ غضبُ المخلوقِ، أما غضبُ الخالقِ فإنَّه لا يماثِل غضبَ المخلوقِ.

ويقولون: نحن نُفَسِّرُ الغضبَ بأحد أمرين: إمَّا بإرادةِ الانتقام أو بالانتقامِ نفسهِ؛ لأنهم يثبتون الإرادةَ لله، أو بالانتقام لنفسه لأن الانتقامَ فعل منفصل. الانتقام أداة منفصلةٌ عن الله ليس من صفاته، حاصلٌ من الإرادة والقدرة، لأن المُريدَ القادرَ هو الذي يقدر على أن ينتقمَ، ولهذا فسروه إما بإرادة الانتقام أو الانتقام نفسه، وسبق لنا بيان بطلان هذا التفصيل، وقلنا: إن قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ [الزخرف:٥٥] تَرُدُّ هذا التفصيل؛ لأنه جعل الانتقامَ غير الأسفِ غير الغضب، والأسف هنا بمعنى الغضب، ثم نقول لهم: إن إرادةَ الانتقامِ إنما تكون عند القدرةِ على الانتقامِ وبذلك يحصل الغضبُ في الغالبِ، فما المانع من أن يوصفَ الله بذلك وهو صفة كمال إذا وُجِدَ سببه.

****

٧٤٢٣- حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنِي هِلَالٌ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَبِّئُ النَّاسَ بِذَلِكَ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»[1].

الشاهد من هذا قولُه: «أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقَه -وفي رواية بالرفع (فوقُه)- عرش الرحمن، ومنه -أي من الفردوس- تفجَّر أنهار الجنة».

هذا الحديث فيه: فوائدُ فقهيةٌ وفوائدُ عقدية:

الفقهية: قوله ﷺ: «**مَن آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان- كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة**». ولم تُذْكَر الزكاة والحج مع أنهما من أركان الإسلام ولابد منهما، ومَن لم يزكِ فإنه على خطر، وإن كان الصحيح أنه لا يكفر لكنه على خطر، وكذلك الحج ذهب كثير من العلماء إلى أن مَن لم يحج مع قدرته فهو كافر؛ لقولُه تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩٧﴾ [آل عمران:٩٧]. ولعل الراوي نسي فحذفهما وإلا فلابد مِن ذكرهما.

وكذلك من المسائل الفقهية:

أن الإنسانَ إذا كان في بلد كفر وقدر على أن يقوم بدينه، فإنه لا تجب عليه الهجرةُ، لكن إذا لم يقدر على إظهار دينه وجب عليه أن يُهاجرَ، وهذا هو الصحيح أن الهجرةَ باقيةٌ إلى أن تقومَ الساعة؛ لقول النبي ﷺ: «**لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من**

---

(١) رواه البخاري (٧٤٢٣).

مغربها»[1]. وأما مَن قال من أهل العلم: إن الهجرةَ انقطعت بفتح مكة؛ لقول النبي ﷺ: **«لا هجرة بعد الفتح»**[2]. وقال: إن هذا ثابت في الصحيحين بخلاف الأوَّل، فيُقال: إننا لا نحتاج إلى الترجيح إلا حيث تعذَّر الجمع، فإذا أمكن الجمع آمنا بالدليلين جميعًا، ويكون معنى قوله: **«لا هجرة بعد الفتح»**؛ أي من مكة، ولكن جهادٌ وعلم، أما من غير مكة فمتى وجد السبب الموجب للهجرة فإن الهجرةَ تجب.

وفيه من المسائل العقدية: أن في الجنةِ مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، وهل هذا الحديث يدل على أنه ليس في الجنة إلا مائة درجة؟

الجوابُ: لا، يدل على أن في الجنة مائة درجة للمجاهدين في سبيل الله، علىَ حسب مراتبهم، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض. وما أعظم ما بين الدرجتين!! كما بين السماء والأرض، مائة اضربها في ما بين السماء والأرض، فإنها تبلغ عددًا كبيرًا، لكن الجنةُ واسعةٌ وأفقها واسع وبعيد وعميق.

ومما يستفاد من الحديث: أن الإنسانَ إذا سأل الله أن يسألَ الأكملَ والأعلى. لأن فضلَ اللهِ واسعٌ، ولا يحقرن نفسه، فيقول: لست بأهلٍ لذلك، بل يسأل مُنتهى رغبته، ويأخذ بالأكمل فالأكمل، لقوله: **«سلوه الفردوس، فإنه أوسط الجَنة وأعلى الجنة»**.

ومنها: أن الجنةَ مثلُ الخيمة؛ وذلك لأن الفردوسَ وسطَ الجنةِ وأعلى الجنة، ولا يكون وسطًا وأعلى إلا إذا كان مثل القبة؛ لأنه لو كان مُسطحًا لم يكن وسط الجنة، بل يكون أعلى الجنةِ أو فوق الجنةِ، ولكنه ليس هو الوسط، فالوسط الأعلى لابد أن يكونَ مثل القبةِ. وكما جاء في الحديث أن عرش الله ﷻ على سماواته مثل القبة[3] وبه يتبَّين أن هذا الكونَ السموات والأراضين أنها مكورة، يعني: بعضها محيط بالثاني من كلِّ جانب.

ومن فوائد الحديث: أن عرشَ الله ﷻ هو سقف هذه الدرجة أو هذا المكان من الجنة الذي هو الفردوس؛ لأن قوله: **«وفوقه عرش الرحمن»**. لولا أنه هو السقف لكان الذي فوقه هو سقفه، ولاسيما على روايةِ الرفع (فوقُه) عرش الرحمن، بأنه صريحٌ؛ لأن عرشَ الرحمنِ بمنزلة السقفِ للفردوسِ.

٧٤٢٤- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ -هُوَ التيميِّ-

---

(١) رواه أبو داود (٢٤٧٩)، وأحمد (٤/ ٩٩) والبيهقي (٩/ ١٧)، والدارمي (٢/ ٣١٢)، وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على سنن أبي داود؛ وانظر: «إرواء الغليل» (٥/ ٣٣)، (١٢٠٨).

(٢) رواه البخاري (٢٧٨٣)، ومسلم (١٣٥٣).

(٣) رواه أبو داود (٤٧٢٦)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٣٩) والآجري في الشريعة «٦٨٦» وقد انتصر للحديث ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «تهذيب سنن أبي داود» وردَّ على من طعن في سنده. انظر: حاشيته «عون المعبود» (١٣/ ١١) «تهذيب سنن أبي داود».

عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ هَلْ تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ؟» قَالَ: قُلْتُ اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «فَإِنَّهَا تَذْهَبُ تَسْتَأْذِنُ فِي السُّجُودِ فَيُؤْذَنُ لَهَا وَكَأَنَّهَا قَدْ قِيلَ لَهَا ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ذَلِكَ مُسْتَقَرٌّ لَهَا﴾ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللهِ[1].

الشاهد قوله: «**فإنها تذهب تستأذن في السجود.... إلى آخره**». في بعضِ الرواياتِ: «**تسجد تحت العرش**»، والبخاريُّ لم يأتِ في هذا اللفظ. وهذا من تصرفاته الكثيرة رَحِمَهُ اللهُ أنه يأتِ بالحديث وإن لم يوجد له الشاهد لأجل أن يعتنيَ الطالبُ بالبحثِ عن اللفظ الآخر الذي فيه ذِكر ما يكونُ شاهدًا للبابِ، أحيانًا يكون الحديث قد ورد في الصحيحِ نفسه، وكأنه يقول: ارجع ابحث في الصحيح حتى تجدَ اللفظ الذي يكون شاهدًا للترجمة وأحيانًا لا يكون في الصحيح، لأنه ليس على شرطه، وهذا رَحِمَهُ اللهُ من حُسن تصرفه في التأليف؛ لأن هذا يَشُدُّ الطالب على البحثِ والمناقشةِ.

وفي هذا الحديث: دليلٌ واضحٌ على أن الشمسَ هي التي تجري في الأفقِ وتدورُ على الأرضِ؛ لأنه قال: أين تذهب؟ فأسند الذهاب إليها، والأصل أن إسنادَ الفعل لمَن قام به على وجهِ الحقيقةِ لا على وجه المجازِ، وكذلك في القرآن ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ [الكهف:١٧]. فهذه أربعةُ أحوالٍ كلُّها مضافة إلى الشمسِ ﴿إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ﴾، ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ﴾. وكذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾ [ص:٣٢]؛ أي تغطت به، كل هذه النصوصِ ظاهرُها أن الشمسَ هي التي تدورُ على الأرضِ، وهذا ما نعتقده إلى الآن، ولم يتبينْ لنا شيءٌ نستطيع أن ندفعَ به هذه الظواهرَ ويكون حجةً لنا عند الله عَزَّ وَجَلَّ، فالواجب علينا أن نأخذَ بهذه الظواهرِ، وإن كان عند بعضِ الناسِ الآن ما هو كالمحسوسِ، بأن الشمسَ لا تدورُ على الأرضِ، وأما تعاقب الليل والنهار إنما هو بدورانِ الأرضِ، يرون ذلك عندهم من الأمورِ اليقينيةِ التي لا إشكال فيها.

فنحن نقولُ: يجب أن نتمسكَ بظاهرِ القرآنِ والسنةِ حتى يتبيَّنَ لنا أن الأمرَ على خلافِ ذلك مما يُسوِّغ لنا أن نخرجَ النصوصَ عن ظواهرِها إلى هذا المعنى الذي تيقناه؛ لأن دلالةَ النصوصِ، أو دلالةَ ظواهرِ النصوصِ على الحكمِ دلالةٌ ظنيةٌ لا شك، ولهذا نقول: ظاهرُ القرآنِ وظاهرُ السنةِ في هذا الموطن ليس بصريح ولكنه ظاهرٌ وقويٌّ كالصَّريح، فلو فُرِضَ أن الناس تيقنوا أن الشمس لا يحصل بها اختلافُ الليلِ والنهارِ.

قلنا: إنه يُمكن أن نصرفَ هذه الظواهرَ إلى معنىً لا يُخالفُ الواقعَ؛ لأن القرآنَ لا يمكنُ أن يخالفَ الواقعَ، فنقول: «إذا طلعت» في رأي العين، «إذا غربت» في رأي العين، «تزاور» في رأي العين «تقرض» في رأي العين «تذهب» في رأي العين، إنما الواجب علينا الآن ما دامت المسألةُ لم تكنْ

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٩).

يقينيةً، الواجب أن نأخذَ بظواهرِ الكتابِ والسنةِ.

وأيضًا في المسألة هذه إشكال: وهي أن الشمسَ تغربُ في الأُفقِ في كلِّ لحظةٍ، كلَّ لحظةٍ تغربُ، أليس كذلك؟! لأنها تدور، فإذا غربت عنَّا في الحالِ غربت عن مَن بعدنا، فهي دائمةٌ طالعةٌ غاربةٌ، فمتى يكون السجود؟

قلنا: الواجب علينا أن نؤمنَ بما أخبر به الرسولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وألَّا نقولَ: كيف؟ ولا نقول: لِمَ؟ نقول: -الله أعلم-، وجائز أن تكون دائمًا في سجود كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ [الحج:١٨]. جائزٌ أن تكونَ دائمًا في سجود، وما المانع من ذلك إذا كانت الملائكةُ يسبحون الليلَ والنهارَ لا يفترون، فلا غرابة أن تكونَ الشمسُ دائمًا في سجود، أو يُقال: إنها تسجدُ إذا غابت عن هذه المنطقةِ من الأرضِ فالتي تحدَّث فيها الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقط، وأما سجودها إذا غابت عن بقيةِ الأراضي -فالله أعلم-، وبهذا نتخلَّصُ من هذا الإشكال الذي طعن فيه العقلاءُ أو العقلانيون -كما يقولون- في هذا الحديث؛ لأن الذين يرجعون إلى عقولِهم يسهلُ عليهم جدًّا أن يردوا الحديثَ بل أن يردوا النصوصَ، إن كان مما يمكنُ الطعنُ فيه رأسًا وردُّه، وقالوا: هذا خبر آحاد، فلا يمكنُ أن نحكمَ على العقلِ وإن كان مما لا يمكنُ رده مثل القرآن أو المتواتر من السنةِ حرَّفوه إلى معنىً آخر يوافق ما يدعون أنه العَقل وهذا غلطٌ عظيمٌ، لأن الأمورَ الغيبيةَ أكبرُ من أن يدركَها العقلُ وإذا لم يُسلِّمْ حصل لنا إشكالاتٌ كثيرةٌ، أرأيتم الشمسُ يوم القيامةِ تدنوا من الخلائقِ قدر ميلٍ ويعرقُ الناسُ وهم في مكانٍ واحدٍ على قدرِ أعمالِهم منهم مَن يبلغُ العرقُ إلى كعبيه، ومنهم مَن يبلغُ إلى ركبتيه، ومنهم من يبلغُ إلى حقويه، ومنهم من يلجمُه العرقُ، هل هذا يمكنُ في هذه الدنيا، أن يكونَ أناسٌ في مكانٍ واحدٍ ويكونَ العرقُ يبلغُ بهم هذا المبلغ المتفاوت؟

الجواب: لا، لكن في أمورِ الغيب أمور لا يكون فيها إلا التسليم فقط، نقول: سمعنا وآمنا وصدقنا، وليس هذا شيء أمامنا حتى نعرفهَ؟ هذا في علمِ الغيبِ، إذا أخبر به الصادقُ وجب قبولُه والاستسلامُ له.

* *** *

٧٤٢٥- حَدَّثَنَا مُوسَى، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا ابْنُ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ السَّبَّاقِ، أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَقَالَ اللَّيْثُ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنِ ابْنِ السَّبَّاقِ، أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ حَدَّثَهُ قَالَ: أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة:١٢٨]. حَتَّى خَاتِمَةِ بَرَاءَةٌ.

حَدَّثَنَا يحيى ين بكير، حَدَّثَنَا اللَّيث، عنْ يُونس بهذَا، وقَالَ مع أَبي خزيمةَ الأنصاريِّ.

آخر السورة ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة:١٢٩]. هذا هو الشاهد في الحديث، وزيد بن ثابت رضي الله عنه أحد النفر الذين كلفهم أبو بكر وعمر

أن يتتبعوا القرآنَ ويجمعوه وهذا هو الجمعُ الأوَّلُ للقرآنِ على عهد أبي بكر رضي الله عنه، أما جمع عثمان رضي الله عنه فإنما كان جمعه على حرفٍ واحدٍ وهي لغة قريش وكان في الأوَّلِ يقرأه الناس بلغاتهم، وهذا معنى قوله ﷺ: «أُنزل القرآن على سبعة أحرف»[1]. فلما كان في عهد عثمان رضي الله عنه، واتسعت الآفاق وانتشر المسلمون في كلِّ مكانٍ وصار بعضُهم يقرأُ بهذا وبعضُهم يقرأُ بهذا، خاف عثمان ومَن معه من الصحابةِ أن تقعَ فتنةٌ بين المسلمين، فاستشار الصحابةَ وجمعهم على حرف واحد وهو لغة قريش[2] وليست القراءاتُ السبعُ هي الحروف السبعة، بل القراءاتُ السبعُ كلُّها على حرفٍ واحدٍ وهو لغة قريش، فاجتمع المسلمون -ولله الحمد- على ذلك وحصل بهذا خيرٌ كثيرٌ.

ولكن إذا قال قائل: هذه الآياتُ التي في آخر سورة التوبة مع أبي خزيمةَ الأنصاريِّ وهو واحد، فكيف اعتمد الصحابةُ على نقل واحد وهو القرآنُ كلامُ اللهِ عز وجل؟

قلنا: اعتمدوا على ذلك؛ لأن أبا خزيمةَ رضي الله عنه جعل النبي ﷺ شهادته بشهادة رجلين هذه واحدة.

الشيء الثاني: أن تلقي الصحابة له بالقَبولِ كافٍ في ثبوته، والصحابةُ اعتمدوه قرآنًا.

الشيء الثالث: أن الله عز وجل قال في كتابه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر:٩]. ومُحال أن يُزادَ في القرآنِ شيءٌ أو يُنقصَ منه شيءٌ ولم يبينْه اللهُ بأيِّ وسيلةٍ، فكون هذه الآيات تكونُ عند أبي خزيمةَ ويتلقاها الصحابةُ بالقبولِ ولم يظهرْ لهم ما يُنكَر من عند الله عز وجل دليلٌ على ثبوتِ ذلك، وبهذا نعرف ما ذكره بعضُ أهلِ العلمِ أن مَن أنكر حرفًا من القرآنِ فهو كافر؛ لأنه مكذبٌ لقول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. وكذلك مخالفٌ لسبيل المؤمنين، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝١١٥﴾ [النساء:١١٥]. فالقرآنُ -ولله الحمد- محفوظٌ لم يُنقصْ فيه شيءٌ ولم يُزَدْ فيه شيءٌ، يوجد في بعضِ القراءاتِ حذفُ واو مثلًا تُحذف الواو من بعضِ القراءات السبعة وهذا لا يَضُر؛ لأن المسلمين اتفقوا على تلقي هذه القراءات بالقبول حتى ما حُذف منها حرف، لكن ما أجمع القرَّاء عليه، فإنه لا يجوز إنكار شيء منه أبدًا. -والله أعلم-.

***

٧٤٢٦- حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ أَسَدٍ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَلِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»[2].

---

(١) رواه البخاري (٧٥٥٠)، ومسلم (٨١٨).
(٢) رواه البخاري (٤٩٨٧).
(٢) أخرجه مسلم (٢٧٣٠).

الشاهد من هذا الحديث قوله: «رب العرش العظيم»، قوله: «رب العرش الكريم». فقد وصف العرش بوصفين:

أولًا: العظم، والثاني: الكرم، وليس المرادُ بالكرمِ: البذلَ والعطاءَ؛ لأن العرشَ لا يبذلُ ولا يعطي، لكن المرادُ به الحسنُ والبهاءُ، وهذا كقول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه اليمن، قال: «إياك وكرائم أموالهم»[1]؛ يعني: لا تأخذْ من الزكاةِ الحسنَ من المالِ، وعلى هذا فيكونُ العرشُ عظيمًا في حجمه وكريمًا في صفتِه ومنظرِه، وهذا الدعاءُ يقوله الإنسانُ إذا أصابه كربٌ، سواء من الدنيا أو من الآخرةِ؛ يعني: من أعمالِ الدنيا أو من أعمالِ الآخرةِ، إذا أصيب الإنسانُ بالكربِ فليدعُ بهذا الدعاءِ كما كان النبي ﷺ يدعو به، وفائدته: أنه يُزيل الكرب أو يُخفف الكرب.

****

٧٤٢٧- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ»[2].

٧٤٢٨- وَقَالَ الْمَاجِشُونُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْفَضْلِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالْعَرْشِ»[2].

الشاهد قوله: «بقائمة من قوائم العرش». فهذا يدل على أن العرشَ له قوائم وعليه فيكون العرش محدودًا لكنه ليس صغيرًا، بل هو كبيرٌ وعظيمٌ كما وصفه الله ﷻ بذلك.

****

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٣- باب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].

وَقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]. وَقَالَ أَبُو جَمْرَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِأَخِيهِ: اعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ يُقَالُ ذِي الْمَعَارِجِ: الْمَلَائِكَةُ تَعْرُجُ إِلَى اللهِ.

هذا البابُ ذكره بعد ذِكر الاستواءِ على العرشِ؛ لأن الاستواءَ على العرشِ علوٌّ خاصٌّ، وهذا البابُ للعلوِّ العام الشامل لكلِّ شيء، الله -جلَّ وعلا- عالٍ على كلِّ شيء علوًّا عامًّا شاملًا، والعلو له أدلة أشرنا إليها فيما سبق، منها: ما ترجم به البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾. الملائكة: جمع مَلك، وأصله ملأك، وأصل ملأك مألك، فهي حولت ثلاث مرات، لأنها

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٧٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٧٤).

مشتقة من الألوكة وهي الرسالة، والملائكة رسل، كما قال -تبارك وتعالى-: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ﴾ [فاطر:١]. ففيها:

قلب مكاني، أصل ملاك مألك؛ لأنه من الألوكة، الهمزة مُقدَّمة، ثم حُذفت الهمزة تخفيفًا فقيل: مَلك والجمع ملائكة. والملائكة عالمٌ غيبيٌّ خلقهم الله ﷻ من نور وجعل وظائفهمَ متنوعةً مختلفةً، وهم صُمُدٌ لا يحتاجون لأكل ولا شرب، ولا يتبولون ولا يتغوطون؛ لأنهم صُمُدٌ ليس لهم أجواف- كما قرر ذلك أهلُ العلمِ.

۞ وأما قولُه ﷻ: «﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾». فالمرادُ تصعدُ إلى اللهِ؛ لأن العروجَ معناه: الصعود، والصعودُ لا يكونُ إلا من أسفل إلى أعلى.

ففي هذا: دليلٌ على علوِّ الله ﷻ.

۞ وفيه: دليل على كمالِ ملكوتِه وعظيم سلطانه حيث كان هؤلاء الرسلُ الملائكةَ العظام يصعدون إلى الله ﷻ.

۞ وأما قوله: «﴿وَٱلرُّوحُ﴾». فيُحتملُ أن يكونَ المرادُ بها جبريل، كما قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾ [النحل:١٠٢]، وقال: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٤]. ويحتمل أن يكون المرادُ بها: أرواحَ بني آدمَ تعرج إلى الله ﷻ بعد الموت ثم إن كانت صالحةً فُتحت لها أبواب السماء، وإلا أُغلقت أبواب السماء دونها وطُرحت على الأرض -والعياذُ باللهِ-.

۞ وقولُه - جل ذكره-: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾، ﴿إِلَيْهِ﴾. إلى مَن؟ إلى الله ﴿يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾. الكلم: اسم جمع للكلام، والمرادُ بالكلمِ الطيب كل كلام يُقرب إلى الله ﷻ فهو كلمٌ طيبٌ، أعظمه كلام الله ﷻ ثم الذكر، ثم الأمر بالمعروف، فهو درجاتٌ، لا تستطيع أن ترتبهَا، لكن المرادُ بالكلمِ الطيبِ كلُّ كلامٍ يُقرِّبُ إلى اللهِ ﷻ فهو يصعدُ إلى اللهِ، ولا يكون كَلِمًا طيبًا إلا إذا كان مبنيًّا على الإخلاصِ وعلى المتابعةِ؛ لأن ما لا أخلاصَ فيه فليس بطيبٍ وما لا متابعةَ فيه فليس بطيبٍ أيضًا.

۞ وقولُه: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾. اختلف العلماءُ في فاعل يرفع، فقيل: الفاعل هو اللهُ؛ يعني: أن الله يرفعُ العملَ الصالحَ، وقيل: إن المرادَ به أن العملَ الصالحَ يرفعُ الكلمَ الطيبَ فيكونُ فاعلُ الرفعِ هو العملَ الصالحَ، والأقرب الأول: أن الله ﷻ، يرفعُ العملَ الصالحَ، فإنه لمَّا ذكر القول أنه يصعدُ إلى الله ﷻ بيَّن أن العملَ الصالحَ أيضًا يُرفع عند اللهِ ﷻ، ويجزه يوم القيامةِ الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعافٍ كثيرةٍ.

ثم ذكر الأثر أثر أبي ذر أنه قال لأخيه: اعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبرُ من السماءِ، «من» هذه لابتداء الغايةِ؛ لأن من السماءِ إلى الأرضِ، والخبر الذي يأتي الرسول ﷺ هو الوحي، فإذا كان من السماءِ كان الموحي به في السماءِ، فيكون في هذا دليلٌ على علوِّ الله ﷻ، وقال

مجاهدٌ: «العمل الصالح يرفع الكلم الطيب» وهذا أحد التفسيرين في الآية وعليه يكون فاعل الرفع العمل الصالح.

۞ وقولُه: «يقال: ذي المعارج، الملائكة تعرج إلى الله». يشير إلى آية سورة المعارج، ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٢-٤]. فهذا معنى قولُه: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾؛ أي أن الملائكةَ تعرجُ إلى اللهِ ﷻ، وهذا نظيرُ قولِه: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر:١٥]. يعني: أن الله ﷻ رفيعُ الدرجاتِ نفسه، ومَن قال: إن معناها: رافع الدرجات فقد أخطأ، لأن هذه صفةٌ مشبهةٌ أضيفت إلى الفاعل؛ يعني: أن درجاته رفيعة ﷻ.

****

٧٤٢٩- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بهم فَيَقُولُ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»[1].

۞ الشاهد من هذا الحديث قوله: «ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم»؛ يعني: الله ﷻ «وهو أعلم بهم».

أوّلًا: في هذا الحديثِ إشكالٌ لغويٌّ، وهو قولُه: «يتعاقبون فيكم ملائكةٌ»، والمشهور في لغة العرب أن علامة الجمع لا تلحق الفعل إذا كان الفاعل ظاهرًا، فيُقال في هذا: يتعاقب فيكم ملائكة، هذه اللغة الفصحى، والواو هنا في قولُه: «يتعاقبون». حرف دال على الجمع وليس فاعلًا، بل الفاعل: ملائكة، وقد اختلف النحويون في تخريج هذه اللغة فقيل: إنها شاذة.

والشاذ يقول العلماء: إنه يُحفظ ولا يُقاس عليه بمعنى نحفظه من كلام العربِ ولكننا لا نتكلمُ بمثله؛ لأنه شاذ، وقيل: بل هو لغة لكنها رديئة وقليلة، وعلى هذا فيمكن أن نتحدثَ بمثلِها، لكن نقولُ للمتحدثِ بمثلِها: أن هذه اللغةَ رديئةٌ، وقيل: بل الفاعل هو ضمير يتعاقبون وما بعده بيان؛ يعني عطف بيان أو بدل. فأبهمه أوّلًا ثم بيَّنه ثانيًا؛ لأن البيانَ بعد الإبهامِ يأتي إلى القلبِ وهو متطلعٌ لمعرفةِ هذا المبهمِ.

فمثلًا: «يتعاقبون فيكم»، سيقولُ الإنسانُ: مَن هؤلاء الذين يتعاقبون؟ فإذا قلنا: الملائكةَ فبيَّن بعد الإبهام صار هذا أوقعَ في نفسِ السامع ولعل هذا أقربُ ما يُقال.

فأقربُ ما يُقال: أن الواو فاعل، وملائكة عطف بيان أو بدل، ونظيرها قولُه تعالى: ﴿فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة:٧١]. فقال: عموا وصموا على سبيل الإبهام، ثم قال ﴿كَثِيرٌ

---

(١) أخرجه مسلم (٦٣٢).

﴿مِّنْهُمْ﴾. لئلا يُظنَّ أنهم كلَّهم عمُوا وصموا. هذه واحدة.

الثانية: في هذا الحديث: أن هؤلاء الملائكةَ يجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر ولهذا حث النبيُّ ﷺ على المحافظةِ عليها، وقال: «**مَن صلَّى البردَيْن دخل الجنة**»[1]، وقال حين تحدث عن رؤية المؤمنين لربهم، قال: «**فإن استطعتم ألا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها، فأفعلوا، فهاتان الصلاتان هم طرفي النهار**»، وفيهما فوائد:

منها: أن الملائكةَ الموكَّلين بنا يجتمعون في صلاةِ الفجرِ وصلاةِ العصرِ.

ومن فوائد هذا الحديث:

التنويه لهؤلاء المصلين، لأن سؤالَ اللهِ للملائكةِ ليس سؤال استفهام للعلم، بل هو ﷻ، أعلم، لكنه سؤال استفهام للرفعِ من شأنِهم، والتنويه بفضلهم.

*****

٧٤٣٠- **وَقَالَ خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللهِ إِلَّا الطَّيِّبُ فَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ». وَرَوَاهُ وَرْقَاءُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ «وَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللهِ إِلَّا الطَّيِّبُ».**

هذا أيضًا فيه: ذكر العلو المستفاد من قولِه: «**ولا يصعد إلى الله إلا الطيب**»، والصعود يكونُ من أسفل إلى أعلى، وهذا الحديث رويَ بهذا اللفظ كما قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ، وروي: «**مَن تصدق بعدل تمرة من طَيِّب ولا يقبل الله إلا الطيب**». أيهما أعم؟

الجواب: أعم، لأننا نقولُ: إن الشيءَ قد يكونُ خبيثًا بكسبه، وقد يكونُ خبيثًا بعينه، فلو تصدق الإنسانُ بكأسٍ من خمرٍ، فهنا نقولُ: هذا يكونُ تصدق بشيءٍ غير طيب لا من كسبه، ثم خمْره، بعد هذا يكون قولُه: «من طيب»، أعم من قولُه: «من كسب طيب»، ليشملَ ما كان طيبًا في كسبِه وما كان طيبًا في عينِه.

وقولُه: «**لا يقبل الله إلا الطيب**»، ظاهره أن اللهَ لا يقبلُ إلا الطيبَ، ولو كان الإنسانُ جاهلًا به، وهو كذلك، لكن الإنسانُ يُثاب على نيته.

وفي هذا الحديث أيضًا: من صفات الله إثبات اليمين لله، «**فإن الله يتقبلها بيمينه**».

*****

٧٤٣١- **حَدَّثَنَا عَبْدُ الأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ،**

---

(١) رواه البخاري (٥٧٤)، (٦٣٥).

عَن ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو بِهِنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»(١).

يوجد فرقٌ بين هذا الحديث والذي سبق، هنا قال: العظيم الحليم، وهناك قال: العليم الحليم.

*****

٧٤٣٢- حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِيهِ، عَن ابْنِ أَبِي نعم -أَوْ أَبِي نُعْم، شَكَّ قَبِيصَةُ- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: بُعِثَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِذُهَيْبَةٍ فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةٍ، و حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِيهِ، عَن ابْنِ أَبِي نُعْم، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: بَعَثَ عَلِيٌّ وَهُوَ فِي الْيَمَنِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِذُهَيْبَةٍ فِي تُرْبَتِهَا فَقَسَمَهَا بَيْنَ الأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي مُجَاشِعٍ، وَبَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ الْفَزَارِيِّ، وَبَيْنَ عَلْقَمَةَ ابْنِ عُلَاثَةَ الْعَامِرِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي كِلَابٍ، وَبَيْنَ زَيْدِ الْخَيْلِ الطَّائِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي نَبْهَانَ؛ فَتَغَيَّظَتْ قُرَيْشٌ وَالأَنْصَارُ فَقَالُوا: يُعْطِيهِ صَنَادِيدَ أَهْلِ نَجْدٍ وَيَدَعُنَا! قَالَ: «إِنَّمَا أَتَأَلَّفُهُمْ» فَأَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، نَاتِئُ الْجَبِينِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اتَّقِ اللهَ فقال النبي: ﷺ: «فَمَنْ يُطِيعُ اللهَ إِذَا عَصَيْتُهُ، فَيَأْمَنُنِي عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ وَلَا تَأْمَنُونِي» فَسَأَلَ رَجُلٌ مِن الْقَوْمِ قَتْلَهُ -أُرَاهُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ- فَمَنَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا وَلَّى قال النبي ﷺ: «إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الإِسْلَامِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»(٢).

الشاهد من هذا الحديث: ما أشار إليه المؤلف رَحِمَهُ اللهُ، وهو قولُه: «**فيأمنني على أهلِ الأرض، ولا تأمنوني**»، فإن في بعض ألفاظه ألا تأمنوني وأنا أمينُ مَن في السماء، وكعادة البخاري رَحِمَهُ اللهُ، يذكر سياقًا يُشير به إلى سياق آخر.

والشاهدُ من هذا: قولُه: «وأنا أمينُ مَن في السماء»، أهلُ السنةِ والجماعةِ يقولون: إن الله في السماءِ أي فوقَ السماءِ، وأهلُ التعطيلِ يقولون: في السماءِ مُلكُه وسلطانه، فيفسرون قول الله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]. على النحو التالي: أأمنتم مَن في السماءِ ملكه وسلطانه، ولا شك أن هذا خروجٌ عن ظاهرِ اللفظِ، وأنه يؤدي إلى معنىً فاسدٍ وهو أنه لا ملك ولا سلطان لله في الأرض مع أن الله تعالى ملكه في السماءِ والأرضِ، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف:٨٤]، إله لمَن في الأرض، وإله لمَن في السماءِ، وسبق لنا جواب على إشكالٍ ورد وهو كيف نُخرِّج قولَه: ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾، هل نجعلُ «في» ظرفية، أو نجعلها بمعنى «على»؟ وذكرنا عن ذلك جوابين:

الجواب الأوَّل: أن نجعلَ السماءَ هنا بمعنى العلوِّ وحينئذٍ نجعل «في» للظرفية.

---

(١) أخرجه ومسلم (٢٧٣٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٦٤).

والثاني: أن نجعلَ السماءَ؛ يعني: السموات التي هي السقف المحفوظ وحينئذٍ يَتعين أن تكونَ «في» بمعنى «على».

وفي هذا دليل: على أن الخروجَ على الإمامِ من دأب الخوارجِ؛ لأن الرسولَ ﷺ أخبر بأنه يكونُ موضوعٌ لهذا الرجلِ أي: من سمتِه وشكلِه قوم يقرءون القرآنَ لا يجاوزُ حناجرَهم يمرقون من الإسلام مروقَ السهمِ من الرَّميةِ -نسأل الله العافية-، فمروق السهم من الرَّميةِ سريعٌ جدًّا، السهم إذا ضرب الرَّميةَ خرقها ثم خرج من الجانبِ الآخرِ بسرعةٍ، فهؤلاء كذلك يمرقون من الإسلام كما يمرق السهمُ من الرميةِ ثم ذكر وصفه العدواني: أنهم يقتلون أهلَ الإسلامِ ويدعون أهلَ الأوثانِ، وهذا هو الذي حصل في صدرِ هذه الأمةِ أن هؤلاء كفَّروا الناسَ -أعني الخوارج- واستباحوا دماءَهم وأموالَهم، ولم يذهبوا يقاتلون في أرجاءِ الأرضِ، صاروا يقاتلون ولاة الأمورِ ومَن ساعدهم ولا يقاتلون في مشارق الأرض ومغاربها أهل الكفرِ والأوثانِ.

وفي وصف الرجل الذي أقبل: دليل على أن الراوي قد ضبط القضيةَ حتى أدرك أوصافَ الرجلِ الذي خرج على النبي ﷺ في قسمتِه، وقال له: يا محمد اتقِ الله[1]، ولم يقلْ: يا رسولَ اللهِ، وهذه مِن علاماتِ الخوارجِ، أنهم يحطُّون من رتبة مَن له رتبة، ولا يخاطبونه بمقتضى رتبته، بل يُنزلونه، وهنا يقول: اتقِ الله، ولا شك أن الرسولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لم يغضبْ إذا قيل له: اتق الله، فإن الله قد قال له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب:١]، وقال: ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الأحزاب:٣٧]، لكن لما كان وراء هذه الكلمة ما وراءها تكلَّم النبيِ ﷺ بهذا الكلام، وقال: «**فمن يطع الله إذا عصيته**»، إذا كان رسولُه يعصي الله فمن الذي يُطيعُ اللهَ، وفي لفظٍ آخر قال: «**ويحك مَن يعدل إذا لم أعدل**»[2]، وهذا هو الحقُّ إذا كان الرسولُ لا يَعدلُ فمن الذي يعدل، إذا كان لا يتقي الله فمَن الذي يتقِي اللهِ؟!

قَالَ العيني رَحِمَهُ اللَّهُ في «**عمدة القاري**»:

۞ قوله: «لأقتلنهم» قيل: لما منع خالد بن الوليد وقد أدركه، وأجيب بأنه: إنما أراد إدراك طائفتهم وزمان كثرتهم وخروجهم على الناس بالسيف، وإنما أنذر رسول الله ﷺ أن سيكون ذلك وقد كان كما قال وأول ما نجم هو في زمان علي رضي الله عنه.

۞ قوله: «قتل عاد» وقد تقدم في بعث علي إلى اليمن أنه قَالَ: لأقتلنهم قتل ثمود ولا تعارض؛ لأن الغرض منه الاستئصال بالكلية وعاد وثمود سواءٌ فيه إذ عاد استُؤصِلَت بالريح الصرصر، وثمود أهلكوا بالطاغية، قال الكرماني: ما معنى كقتل حيث لا قتل وأجاب: بأن المراد لازمه وهو الهلاك ويحتمل أن تكون الإضافة إلى الفاعل ويراد به: القتل الشديد القوي لأنهم مشهورون بالشدة والقوة.

---

(١) رواه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٤٤) (١٠٦٤).

(٢) رواه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٣).

الظاهر: الأول وأن المعنى ليس «قتل عاد»، أن عاد إذا قتلوا أحدًا، فإنهم يقتلونه بطريقةِ الشدةِ، والغلظة، والظاهر والله أعلم: أن هذه كلمةً تقال معروفةً عند العربِ، والمراد بها الإهلاك.

*****

٧٤٣٣- حَدَّثَنَا عَيَّاشُ بْنُ الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ الأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [يس:٣٨]. قَالَ: مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ.[1]

الشاهد قولُه: «تحت العرش»، ولا شك أن الشمسَ عاليةٌ جدًّا، فإذا كانت تحت العرشِ لزم من هذا أن يكونَ العرشُ عاليًا علوًّا عظيمًا.

*****

٢٤- باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

هذا أيضًا من اعتقاد أهل السنة والجماعة إثباتهم النظر إلى وجه الله ﷻ وهو الذي ترجم فيه البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وترجم بالآيةِ كما أسلفنا في أوّلِ الكلام على كتابِ التوحيد.

قلنا: إن المؤلفَ رَحِمَهُ اللَّهُ، صدّر كثيرًا من أبواب التوحيدِ بالآيات وليس هذا من عادته في الصحيحِ، لكن ليدفعَ قولَ أهلِ البدعِ إنه لا يعتدُّ بخبر الآحاد في بابِ العقائدِ، فإذا صدَّر الحديث بآياتٍ من القرآنِ انقطعت هذه القاعدةُ من أصلِها.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾؛ يعني: في الآخرة، ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القيامة:٢٤]؛ يعني: كالحة ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ [القيامة:٢٥]؛ أي: مهلكة تهلكهم وتقطع ظهورهم.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾؛ انظروا إلى كتابةِ الكلمتين، ﴿نَّاضِرَةٌ﴾، و﴿نَاظِرَةٌ﴾؛ تجد بينهما فرقًا، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾؛ أي حسنه، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾؛ يعني: إلى الله، ناظرة بالعينِ، ويتعيَّن أن يكونَ ذلك بالعين؛ لأنه أضافه إلى الوجوهِ التي هي محل الأعين، والآيةُ واضحةٌ وصريحةٌ، ولها شواهد من القرآنِ مثل قوله -تبارك وتعالى-: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]. حيث فسر النبيُّ ﷺ الزيادة بأنها النظرُ إلى وجهِ الله[2]، ومثل قوله -تبارك وتعالى-: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام:١٠٣]. فإن نفيَ الإدراكِ يدل على وجودِ أصل الرؤيةِ ولو كان أصلُ الرؤيةِ غيرَ موجودٍ لكان النفيُ مسلطًا عليهم، فيقال: لا تراه الأبصارُ، فلما قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ﴾. عُلم أنها تراه لكن بدونِ إدراكٍ.

ثالثًا: قولُه -تبارك وتعالى-: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق:٣٥]. فإن قولَه: ﴿مَزِيدٌ﴾.

---

(١) رواه البخاري (٧٤٣٣)، ومسلم (١٥٩).

(٢) رواه مسلم (١٨١).

يُحمل على قولِه تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾. ومِن ذلك قولُه تعالى: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٣٥)﴾ [المطففين:٣٥]. ينظرون الله عَزَّوَجَلَّ، لقولِه في نفسِ السورةِ عن الفجار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥)﴾ [المطففين:١٥]. فيكونُ النظرُ، أي النظر إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وإن كان اللفظُ أعمَّ من ذلك ليشملَ النظرَ إلى وجهِ الله، وإلى كل ما أعد الله لهم من نعيمٍ، لكن الذي يظهرُ أن المرادَ النظرُ إلى الله.

ومن أدلة النظر إلى وجه الله:

۞ قولُه -تبارك وتعالى-: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾؛ يعني: الفجار، فإذا كان الفجارُ محجوبون عن اللهِ دلَّ ذلك على أن الأبرارَ ينظرون إلى اللهِ، ولو كان النظرُ ممتنعًا على الأبرارِ لكان لا فرقَ بين الأبرار وبين الفجارِ، فهذه آيات من القرآنِ كلها تدل على ثبوتِ رؤيةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، ولهذا قال بعضُ السلفِ: إن من أنكرَ رؤيةَ اللهِ فإنه كافرٌ؛ لأن الآياتِ الواردةَ فيها لا تحتملُ التأويلَ، وإذا كانت لا تحتملُ التأويلَ صار تأويلُها بمنزلةِ الجحدِ لها، وقد مَرّ علينا شيءٌ من هذا، أن النصوصَ إذا لم تحتملِ التأويلَ فأوَّلها الإنسان فهذا يعني أنه ردها؛ لأنه ردها، فالتأويلُ إنما يكونُ عذرًا إذا كان النصُ يحتملُ ذلك. أما مع عدمِ الاحتمالِ فلا تأويل، وهذا هو مذهبُ أهلِ السنةِ والجماعةِ، وأنكر ذلك الأشاعرةُ والمعتزلةُ، ونحوهم، وقالوا: لا يمكنُ أن نرى لأنك إذا رأيتَ الله فقد حددته وجعلت له حدًّا -سبحان الله!- الرب عَزَّوَجَلَّ يثبت أنه يُنظر إليه ورسوله كذلك وأنتم تقولون: لا، فتقدمون القياسَ على النصِّ.

وقال العلماء: وأوّلُ مَن قدَّم القياسَ على النصِّ هو إبليس، فيكون من قدَّم القياسَ على النصِّ من جنود إبليس.

ولا شك أن هذا قياسٌ في مقابلةِ النصِّ فيكونُ فاسدَ الاعتبار، ولما قيل لهم: عن ماذا تجيبون الآياتِ الواضحةَ الصريحةَ؟ قالوا: نقول: إن قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾؛ أي إلى ثواب ربها فهو من مجازِ الحذف، وعندهم أن المجازَ أنواعٌ، منها مجازُ الحذفِ بأن يُحذفَ من الكلامِ ما يُعلمُ وقد قال ابن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وحذف ما يُعلم جائز.

فنقول: إذا قالوا: إلى ثواب ربها هذا معنًى جديدٌ يخالفُ الظاهرَ، فمَن قال: إن الله أراد ما قُلْتم، الأصل أن اللفظَ يُرادُ به ظاهرُه، لا يُراد به سواه، ومَن ادَّعى خلافَ الظاهرِ فعليه الدليل، وكيف نعدل عن الظاهرِ مع أنه مؤيَّدٌ بآياتٍ أخرى ومؤيَّدٌ بأحاديثَ صريحةٍ لا تحتملُ التأويلَ بوجهٍ من الوجوهِ.

وعلى هذا فنقولُ: إن من عقيدتِنا أن نؤمنَ بأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، يُرى يومَ القيامةِ ولكن مَن الذي يراه؟ ومتى يُرى؟ فنقول: الذي يراه رؤيةَ رضًا هم المؤمنون، هم الذين يَروَن الله ويرونه في عرصات القيامة، ويرونه بعد دخولِ الجنةِ كما يشاء الله، وأما الكفارُ الخلَّصُ فلا يرون الله؛ لقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾. وأما المنافقون فيرون الله عَزَّوَجَلَّ، في عرصاتِ القيامةِ ثم يُحجبون عنه فلا يرونه،

وهذا أشد مما لو لم يكونوا رأوه من قبل، يعني: كونهم يرون الله ثم يُحجب عنهم أعظم مما لو أن يكونوا رأوه أصلًا، ولهذا كان عذابُ المنافقين بحجبهم عن رؤيةِ اللهِ أشدَّ من عذابِ الكافرين الذين لم يروه، هذا بيان مَن يَرَ الله، ومتى يُرى الله؟.

أما لو قال قائل: كيف يُرى الله؟ فهذا هو الذي يجب الامتناعُ عنه، وأن نقولَ: إن صفاتِ اللهِ ليس فيها كَيْف، نقول: هو على كيفية الله أعلم بها، نحن لا ندري، نقول: إن الله يُرى، أما كيف يُرى؟ فإن هذا علمه عند الله عَجَّلَك.

٧٤٣٤- حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ، أَوْهُشَيْمٌ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ جَرِيرٍ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ فَافْعَلُوا»[1].

صريحٌ **«إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمرَ»** وهم يرون القمرَ رؤيةً صريحةً واضحةً، والتشبيه هنا ليس تشبيهً للمرئي بالمرئي، ولكنه تشبيهٌ للرؤيةِ بالرؤيةِ؛ أي أنها رؤيةٌ حقيقيةٌ كما يُرى القمرُ، والدليل على أنها تشبيهُ الرؤيةِ بالرؤيةِ: أن «ما»، في قوله: «كما ترون»، مصدرية، فإذا حولنا الفعلَ بعدها إلى مصدرٍ، صار ترتيبُ الكلام: إنكم سترون ربكم كرؤيةِ هذا القمرِ، هذا من حيث اللفظ.

من حيث المعنى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١]. فلا يمكنُ أن يكونَ اللهُ تعالى مثلَ القمرِ.

✧وقولُه: **«لا تضامون في رؤيته»**، فيها عدةُ رواياتٍ منها، هذا اللفظ: لا تُضامون؛ أي لا يلحقكم ضيم وضيق.

ومنها: لا تَضامون؛ يعني: لا يضم بعضكم بعضًا ليورِّيَه الآخر؛ لأن الشيءَ الخفيَّ إذا تراءاه الناسُ تجدُ كلَّ واحدٍ يقول: تعال، يمسك بأخيه يضمه لنفسه يقول: انظر هنا أو حولنا.

ومن ألفاظه: «لا تَضارُّون في رؤيته»؛ يعني لا يَجِدُ بعضكم بعضًا في الرؤية، بل كل إنسان يراه بدون ضيمٍ ولا مظانه ولا ضررٍ، كلٌّ يراه في مكانه كالقمر، القمر يراه الناسُ في البلدِ، ويراه المسافرون في البر، ويراه أهل البحر في البحرِ، ويراه أهل الجو في الجو، وكل واحد يراه بمفرده.

وفي هذا الحديث: دليلٌ على فضيلةِ صلاةِ الفجرِ، وفضلية صلاة العصر، فصلاةُ العصرِ هي الصلاة الوسطى كما دلَّ على ذلك الحديثُ الصحيحُ حين قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في غزوة الخندق:

---

(١) رواه البخاري (٧٤٣٤)، ومسلم (٦٣٣).

«شغلونا عن الصلاة الوسطى، صلاة العصر»[1].

وصلاة الفجر مشهودة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ [الإسراء:٧٨].

٧٤٣٥- حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ يُوسُفَ الْيَرْبُوعِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو شِهَابٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا»[2].

قوله: «عِيانًا» مصدر عَاين يُعاين عيانًا، فجاهد يُجاهد جهادًا، والمصدر الثاني لعايَن معاينة، والمراد بذلك: الرؤية بالعين، يقول رأيتُ معاينة؛ أي بعيني.

كيف يُجيب أهلُ التعطيلِ على قولِ الرسولِ: «عيانًا»، «وكما ترون القمر»؟

يجيبون عن هذا أنها أحاديثُ آحادٍ، وأحاديثُ الآحادِ لا تُقبلُ في العقائدِ، وهذا الجوابُ لا صحةَ له؛ لأن أحاديثَ الرؤيةِ مما تواترت عن النبيِّ عليه الصلاة والسلام.

ثم يقولون: إن المرادَ المبالغةُ في اليقين؛ يعني: ترونه بقلوبكم كما ترون القمرَ بأعينِكم وهذا أيضًا تحريفٌ، لأن الرسولَ عليه الصلاة والسلام، قال في الأحاديثِ التي ستأتي: «كما ترون الشمسَ ليس دونها سحاب»، يقول بعض السلف: اللهم مَن أنكر رؤيتك في الدنيا فاحرمه إياها في الآخرة، كما أن مَن لبس الحرير في الدنيا حُرمه في الآخرة، ومَن شرب الخمرَ في الدنيا لم يشربْها في الآخرةِ.

****

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رحمه الله:

٧٤٣٦- حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ الْجُعْفِيُّ، عَنْ زَائِدَةَ، حَدَّثَنَا بَيَانُ بْنُ بِشْرٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ»[3].

٧٤٣٧- حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ». قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ». قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ. فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا شَافِعُوهَا -أَوْ مُنَافِقُوهَا شَكَّ

---

(١) رواه البخاري (٦٣٩٦)، ومسلم (٦٢٨).

(٢) رواه البخاري (٧٤٣٥)، ومسلم (٦٣٣).

(٢) رواه البخاري (٧٤٣٦)، ومسلم (٦٣٣).

إِبْرَاهِيمُ- فَيَأْتِيهِمُ اللهُ: فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَنَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا. فَيَتْبَعُونَهُ، وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ؟». قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمُ الْمُوبَقُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ الْمُخَرْدَلُ أَوِ الْمُجَازَى أَوْ نَحْوُهُ، ثُمَّ يَتَجَلَّى حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ ابْنَ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ قَدِ امْتُحِشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ تَحْتَهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ هُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا. فَيَدْعُو اللهَ بِمَا شَاءَ أَنْ يَدْعُوَهُ ثُمَّ يَقُولُ اللهُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ. فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، وَيُعْطِي رَبَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ مَا شَاءَ، فَيَصْرِفُ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّةِ وَرَآهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ قَدِّمْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ. فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: أَلَسْتَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ أَبَدًا، وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ». فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ. وَيَدْعُو اللهَ حَتَّى يَقُولَ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ. فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، وَيُعْطِي مَا شَاءَ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا قَامَ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْحَبْرَةِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ اللهُ: أَلَسْتَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ فَيَقُولُ: وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ. فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ لَا أَكُونَنَّ أَشْقَى خَلْقِكَ فَلَا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ اللهُ مِنْهُ فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ قَالَ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللهُ لَهُ: تَمَنَّهْ. فَسَأَلَ رَبَّهُ وَتَمَنَّى حَتَّى أَنَّ اللهَ لَيُذَكِّرُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ قَالَ اللهُ ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ».(1)

٧٤٣٨- قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِهِ شَيْئًا حَتَّى إِذَا حَدَّثَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: «ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: «وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ». يَا أَبَا هُرَيْرَةَ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَا حَفِظْتُ إِلَّا قَوْلَهُ: «ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: أَشْهَدُ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَوْلَهُ «ذَلِكَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ». قَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ

---

(١) رواه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢-١٨٥).

فَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ.[1]

في الحديث الطويل سؤال الصحابة ﵃: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ هذا السؤالُ منهم؛ شوقًا إلى اللهِ ﷻ، فهو كقولِ موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف:١٤٣]. فسألوا: هل يكونُ فيها يوم القيامةِ هذا النعيمُ، فأخبرهم النبي ﷺ بأن هذا حاصلٌ وأنهم كما لا يُضارون في رؤيةِ القمر ليلةَ البدرِ، فكذلك لا يضارون في رؤيةِ اللهِ يومَ القيامةِ، وقد سبق لنا أن رؤيةَ الله تعالى دَلَّ عليها الكتابُ والسنةُ المتواترةُ، وأن السلفَ أجمعوا على ذلك ولم نخالفْ في هذا إلا مَن يُخشى أن يحرمَه الله منها يومَ القيامةِ؛ لأنه لم يصدقْ بذلك.

وفي هذا الحديث: أنه يُقال للناسِ كلُّ أمةٍ تتبع مَن كانت تعبد إذلالًا لهم وإظهارًا لباطِنهم لأن هؤلاء المعبودين يذهبون بهم إلى النارِ فيتبيّن بذلك أن معبوديهم يخذلونهم في أحوج ما يكونون إليهم، ولهذا يقول: «**يتبع مَن كان يعبدُ الشمسَ الشمسَ، ومن كان يعبدُ القمرَ القمرَ، ومَن كان يعبدُ الطواغيتَ الطواغيتَ**»، حتى يوصلهم إلى النار -والعياذُ باللهِ-.

وقولُه: «تبقى هذه الأمة»، المراد مَن كان على ملةِ رسولِه ﷺ ظاهرة، ولهذا يكون فيهم المنافقون: «فيأتيهم الله ﷻ فيقول: أنا ربكم»، ولكنهم يبقون مكانهم، وإنما يقول: أنا ربُّكم؛ لأن الأمم السابقة كانت تتبع مَن تعبده وترى أنه ربها، فيقول: «أنا ربكم»، ولكنهم يبقون ولا يتحركون، فيأتيهم الله في صورتِه التي يعرفون، والصورةُ التي يعرفون هي مما عرفوه من وصف الله ﷻ، بالجلالِ والإكرامِ، ومما وصفته به الرسلُ فيأتيهم على الصورةِ التي نعتت لهم فيما أنزل الله على رسلِه ولذا قال: «التي يعرفون»، ثم يقول: «أنا ربكم»، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه، ومعلومٌ أنه ﷻ سيدُّلهم على محلِّ رحمتِه وهي الجنة.

ثم ذكر أنه يُضرب الصراطُ بين ظهري جهنم؛ يعني: فوقها الصراط الذي يَمرُّ الناس عليه من عرصات القيامة إلى الجنة؛ لأن الجنة فوق، فيُضْرَبُ هذا الصراطُ على النارِ، ويعبره مَن هو من أهلِ الجنةِ، واختلفَ العلماءُ في هذا الصراطِ، هل هو طريقٌ واسعٌ أو هو كما جاء في «صحيحِ مسلم» بلاغًا: أنه أدقُّ مِن الشَّعرِ وأحدُّ من السيفِ[2]، فذهب إلى الأوّلِ جماعةٌ واستدلوا بهذا الحديثِ بأن عليه مثلُ شوكِ السَّعْدانِ لكن لا يعلمُ عظمها إلا الله، واستدلوا أيضًا بأن هذا الطريقَ وُصِفَ بأنه دحض مزَلة؛ أي: زلق يزلق الناس فيه ويزلون، والحديث الذي في مسلم: بلاغ، والبلاغ قديثبت وقد لا يثبت.

فعلى كلِّ حال: إذا ثبت أنه أدق من الشعر وأحدُّ من السيف، فإن العبور عليه غير ممتنع عقلًا؛ لأنه إذا كانت الملائكةُ تطير في الهواءِ فإن الناسَ يمكنهم أن يسيروا على هذا الصراطِ، وأحوال

---

(١) رواه البخاري (٧٤٣٨)، ومسلم (١٨٢-١٨٥) (١٩٤).

(٢) رواه مسلم عقب الحديث (٣٠٢) عن أبي سعيد.

الآخرة لا تُقاس بأحوالِ الدنيا، وعلى كلِّ حال، فهذا الصراطُ خطيرٌ جدًّا؛ لأنه على جهنم، والرُّسل وهم الرسل عليهم الصلاةُ والسلامُ كل واحد منهم يقول: اللهم سلِّم اللهم سلِّم، وأوّل من يجوز هذا الصراط محمد ﷺ وأمته؛ لأنهم كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: قال: «**نحن الآخرون الأوَّلون يوم القيامة**»[1] ففي جميع مشاهد يوم القيامة هذه الأمة هي أوّل الأمم.

وفي هذا الحديث: أن هؤلاء الذين يعبرون الصراط لا ينجون كلهم منه مَنهم يُخطف ويُلقى في جهنم ومنهم مَن يسلم، لكن الذي يُخطف ويُلقى في جهنم لا يُخلَّد فيها؛ لأنه لا يَعبُر هذا الصراط إلا مَن كان من أهل الجنة إلا أنه قد تخطفه النار ويُعذَّب بقدرِ أعمالِه، ثم يخرج منها، وهذا العبور هو معنى قولُه -تبارك وتعالى-: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم:٧١]. وقيل: إن الورودَ الدخول فيها، وأن كلَّ الناسِ يدخلونها لكن المؤمنُ ينجو منها وتكون عليه مثل نار إبراهيم، وأما الكافر أو مَن يستحق العذاب بقدر عمله فإنه لا تكون بردًا وسلامًا عليه -والله أعلم-.

وكما عرفتم أن الناسَ يرون الله ﷻ على صورته التي يعرفون وهي رؤيةٌ حقيقيةٌ كما سبق، وهذه العهودُ والمواثيقُ التي يعطيها هذا الرجلُ هي عهودٌ بينه وبين الله ﷻ، فلذلك ينقضها طمعًا في فضل الله ﷻ، كما لو كان بينك وبين أخيك عهد مما يختص به، ثم أدليت عليه؛ يعني: يسامح أو يتجاوز عن هذا العهدِ فإنه لا بأسَ به، كذلك هذا الرجل، يقول: إن العهودَ بينه وبين الله ﷻ، وهي حقُّ اللهِ فإذا عاد، فكأنه يرجو من الله بأن يعفوَ عنه وأن يسامحَه ويضعَ عنه هذا العهد إذا طلب، ولهذا كان في النهايةِ أن الله يضحك له ثم يرسله الجنة.

وفي هذا الحديث: دليل على عظمِ نعيمِ الجنةِ وسَعةِ منازلِ أهلِها، أنه له مثل الدنيا وعشرة أمثالها وهذا ليس بغريبٍ؛ لأن أدنى أهلِ الجنة منزلًا مَن يَنظر في ملكه مسيرة ألفي عام، ينظرُ أقصاه كما ينظرُ أدناه، فالمسألةُ أعظمُ مما نتصورُ ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٧].

وفي هذا: ورع الصحابة ﭫ حيث امتنع أبو هريرةَ أن يقولَ غيرَ ما حفظ وهو قولُه: لك هذا ومثله معك، لكن أبا سعيد ﭬ جزم بأن النبيَّ ﷺ قال: «**وعشرة أمثاله معك**».

*****

٧٤٣٩- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ زَيْدٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا». قُلْنَا: لَا. قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا ثُمَّ قَالَ: يُنَادِي مُنَادٍ لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا

(١) رواه البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥).

يَعْبُدُونَ. فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَغُبَّرَاتٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ. فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ فَمَا تُرِيدُونَ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ. فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا. فَيُقَالُ: اشْرَبُوا. فَيَتَسَاقَطُونَ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ فَيَقُولُونَ: فَارَقْنَاهُمْ وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَيْهِ الْيَوْمَ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ. وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا قَالَ: فَيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ فِي صورةٍ غيرِ صورته التي رأوه فيها أوَّلَ مرةٍ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا. فَلَا يُكَلِّمُهُ إِلَّا الأَنْبِيَاءُ فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ. فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الْجَسْرُ؟ قَالَ: «مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ، لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا، فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشَدَةً فِي الْحَقِّ، قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ، وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا فِي إِخْوَانِهِمْ يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا وَيَصُومُونَ مَعَنَا وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا. فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ. وَيُحَرِّمُ اللهُ صُوَرَهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي فَاقْرَءُوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]. «فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي. فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدِ امْتُحِشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ. قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ، فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ اللُّؤْلُؤُ، فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمُ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ. فَيُقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلُهُ مَعَهُ»[1].

---

(١) رواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٢-١٨٥).

قوله: «اشربوا فيتساقطون»، وهذا صريحٌ؛ لأن أهلَ النارِ لا يعبرون الصراطَ؛ لأنه قال بعد ذلك «ثم يؤتى بالجسر فيُجعل بينَ ظهري جهنم».

وهذا بمعنى الحديثِ السابقِ وإن كان يختلف عليه بعضَ الشيءِ، وقولُه: «لكم ما رأيتم ومثله معه»؛ يدل على أنهم يُعطَوْن مثل ما رأوا، «ومثله معه»، لكن سبق أن أبا سعيد رضي الله عنه روى الحديثَ بهذا السياقِ، قال: «وعشرة أمثاله معه»، يحتاج إلى التحقيقِ في اختلافِ هذا اللفظِ مع الذي سبق في حديثِ أبي هريرةَ.

* * *

٧٤٤٠- وَقَالَ حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ: حَدَّثَنَا هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يُحْبَسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُهِمُّوا بِذَلِكَ فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيُرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا. فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ أَبُو النَّاسِ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، لِتَشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، قَالَ: فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ - قَالَ: وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ أَكْلَهُ مِنَ الشَّجَرَةِ وَقَدْ نُهِيَ عَنْهَا - وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ. فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ - وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ سُؤَالَهُ رَبَّهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ - وَلَكِنِ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ. قَالَ: فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ - وَيَذْكُرُ ثَلَاثَ كذباتٍ كَذَبَهُنَّ - وَلَكِنِ ائْتُوا مُوسَى عَبْدًا آتَاهُ اللهُ التَّوْرَاةَ وَكَلَّمَهُ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا. قَالَ فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ - وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ قَتْلَهُ النَّفْسَ - وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللهِ وَرَسُولَهُ وَرُوحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ. قَالَ: فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدًا غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي فَيَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَه قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، فَيُحَدُّ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ». قَالَ: قَتَادَةُ وَسَمِعْتُهُ أَيْضًا يَقُولُ: «فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَه قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ قَالَ: ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ». قَالَ قَتَادَةُ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ الثَّالِثَةَ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ قَالَ: ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ». قَالَ قَتَادَةُ: وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، حَتَّى مَا يَبْقَى فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ أَيْ: وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ قَالَ: ثُمَّ تَلَا الآيَةَ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ٧٩﴾

[الإسراء:٧٩]. قَالَ: وَهَذَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي وُعِدَهُ نَبِيُّكُمْ ﷺ».

قولُه: «حتى يُهِمُّوا»؛ يعني: يلحقهم الهمُّ.

وهذا الحديثُ ليس فيه إشكالٌ، إلا قوله: «استأذن على ربي في دَاره»، فيقال: إن دارَ اللهِ ﷻ الذي جاءت في هذا الحديث لا تشبه دورَ البشرِ، تُكنّه من الحرِّ ومن البردِ ومن المطرِ ومن الرياح، لكنها دارُ واللهِ أعلم بها ولعلها والله أعلم حجب النور الذي احتجب الله به ﷻ، كما جاء في الحديث الصحيح: «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

****

٧٤٤١- حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنِي عَمِّي، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَرْسَلَ إِلَى الأَنْصَارِ فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ وَقَالَ لَهُمُ: «اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوُا اللهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنِّي عَلَى الْحَوْضِ»[1].

هذا أيضًا مما استدل به أهلُ السنةِ على رؤيةِ اللهِ ﷻ من قولُه: «حتى تلقوا الله ورسوله»، قال: ولا لقاء إلا به، وهو يُخاطبُ الأنصار ﭫ، وهم من أهل الرؤية؛ لأنهم مؤمنون، وأما قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧...﴾ [الانشقاق:٦-٧]. إلى آخره، فهذا -والله أعلم- الملاقاة العامة؛ لأن كلَّ إنسانٍ يكدحُ إلى اللهِ، ويساوم أخيه يوم القيامة، وعلى هذا هناك ملاقاة عامة لجميعِ بني الإنسان بدليلِ أن الله قسمهم إلى قسمين: مَن أوتي كتابه بيمينه ومَن أوتي كتابه بشمالِه، وملاقاة خاصة: وهي التي ذكرها الرسول عليه الصلاة والسلام في هذا الحديثِ، وهي التي استدل بها العلماءُ على رؤيةِ الله ﷻ.

الأنبياء -عليهم الصلاةُ والسلامُ- الذين تعذروا من الشفاعة بما فعلوا من الذنوبِ أليس النبي ﷺ قد وقع منه ذنب وغفر الله له؟

نقول: لو تعذر النبي ﷺ من يبقى، هو آخرهم، فلو تعذَّر من يبقى؟!

****

٧٤٤٢- حَدَّثَنِي ثَابِتُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ الأَحْوَلِ، عَنْ طَاوُسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﭭ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا تَهَجَّدَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ، وَبِكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، وَمَا

(١) رواه البخاري (٧٤٤١)، ومسلم (١٠٥٩).

أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ».[1] قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: قَالَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ وَأَبُو الزُّبَيْرِ عَنْ طَاوُسٍ قَيَّامٌ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْقَيُّومُ الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. وَقَرَأَ عُمَرُ: الْقَيَّامُ، وَكِلَاهُمَا مَدْحٌ.

قولُه: «أنت قيوم السموات»، وفي لفظ: «أنت قيَّام السموات»، وكلاهما مدحٌ، والقيوم هو الذي قام بنفسه وقام على غيره، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد:٣٣]؛ يعني: كمن لا يملكُ ذلك، والذي يقومُ على كلِّ نفسٍ بما كسبت هو الله.

وقد سبق الكلام على بقية الحديث وبيَّنَّا أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يقولُ ذلك في تهجدِه وأنه يحتمل أن يكونَ في السجودِ أو بعد التشهدِ الأخيرِ، أو في حالِ القيام بعد الركوع، وكل هذا موضع دعاء.

****

٧٤٤٣- حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنِي الأَعْمَشُ، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ وَلَا حِجَابٌ يَحْجُبُهُ».[2]

الشاهد من هذا قولُه: «ولا حجابَ يحجبه».

وفي هذا الحديثِ: ردٌّ على القائلين بالكلامِ النفسيِّ، ووجهه: أن الله يُحدثُ القولَ في تلك الساعةِ، يُكلِّم هذا الذي خلا به في تلك الساعةِ، والقائلون بالكلامِ النفسيِّ، يقولون: إن الكلامَ النفسيَّ هو أزلي، ولكن الله تعالى يخلق أصواتًا في الوقت الذي يُريد أن يُسمعَ مَن شاء، يُعبِّر عن الكلام النفسيِّ، ولهذا قال بعض الأذكياء: إن مذهبَ الأشاعرةِ في الكلامِ هو مذهب الجهميةِ، بل هو أرجأ منه؛ لأن هؤلاء يقولون: إن الذي يُسمعُ والمكتوبُ في المصاحفِ إنه مخلوقٌ يُعبَّر به عن كلام اللهِ، أما كلامُ اللهِ فهو الذي في نفسِه لا يُسمعُ ولا يَحدُث، وأما الجهمية فيقولون: إن الذي يُسمعُ هو كلامُ اللهِ حقيقةً وأنه مخلوقٌ، فهؤلاء قالوا: إن الذي يُسمع عبارة عن كلامِ اللهِ، ولكنه مخلوقٌ، والجهميةُ قالوا: هو كلامُ اللهِ وهو مخطئ، فأيهم أقربُ للصوابِ؟

الجوابُ: الجهمية ولهذا قال: إن قول الأشاعرةِ في الكلامِ من قولِ الجهميةِ، وأما حقيقةُ الأمرِ أنه لا فرق بينهم وبين الجهميةِ؛ لأنهم متفقون على أن ما سمعه محمدٌ وما سمعه موسى وما يُسمع في المستقبل كله مخلوقٌ، لكن الأشاعرةُ قالوا: إنه عبارةٌ عن الكلامِ النفسيِّ، وهؤلاء قالوا: هذا مخلوقٌ خلقه الله، خلق أصواتًا تُسمعُ، وأضافها لنفسِه على سبيلِ التشريفِ والتعظيمِ.

فهذا الحديث يردُّ ردًّا واضحًا على مَن يزعمون أن كلامَ اللهِ هو المعنى القائمُ بنفسِه الأزليِّ، فيرون أن الكلامَ مثل العلمِ مثل الإرادةِ.

---

(١) رواه البخاري (٧٤٤٢)، ومسلم (٧٦٩).

(٢) رواه البخاري (٧٤٤٣)، ومسلم (١٠١٦).

والساقُ ثابتةٌ للهِ عَزَّ وَجَلَّ لحديثِ أبي سعيدٍ: «**يكشف عن ساقه**»، وهو واضحٌ، وإذا كان اللهُ له رِجْلٌ فلا يمتنعُ أن يكون له ساقٌ، ولكن نقتصرُ على ما بلغنا فقط، وهل الساقُ ثابتٌ في القرآن كما ثبت في السنةِ؟

نقول: في هذا خلافٌ بين العلماءِ بناءً على اختلافِهم في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم:٤٢]. فمنهم مَن قال: إن قولَه تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾؛ يعني بذلك: ساقه جَلَّ وَعَلَا.

ومنهم مَن قال: بل المرادُ بالساقِ: الشدة، ولا يجوزُ أن نقولَ: إنها ساقُ اللهِ؛ لأن اللهَ لم يضفْها إلى نفسِه، بل قال ساق، وإذا لم يضفِ اللهُ الشيءَ لنفسِه، فإنه لا يحلُّ لنا أن نضيفَه نحن إلى اللهِ، بل الواجب علينا أن نقتصرَ على ما جاء به الكتابُ والسنةُ.

ولهذا نقول: القائل بهذا القولِ أقربُ إلى الصوابِ، لولا أن حديثَ أبي سعيدٍ في سياقِه إذا قارنته بسياقِ الآية وجدتَ أنهما سواء، ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٤٢ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ۝٤٣﴾ [القلم:٤٢-٤٣]. كذلك هنا يكشف عن ساقِه فيسجد له مَن كان يسجدُ لله عَزَّ وَجَلَّ ويعجز مَن كان يسجدُ رياءً وسمعة، فلولا سياقُ حديثِ أبي سعيدٍ كان مطابقًا للآيةِ لقلنا: إنه لا يجوزُ إثباتِ الساقِ للآيةِ الكريمةِ؛ لأن اللهَ لم يضفْه إلى نفسِه.

فإن قال قائل: وهل مثل ذلك قولُه تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧﴾ [الذاريات:٤٧]؟

قلنا: لا، ليس مثل هذا، ولهذا لم يقلْ أحدٌ من السلفِ إن المرادَ بقولِه ﴿بِأَيْيدٍ﴾ جمع اليد، بل الأيدي في الآيةِ الكريمةِ: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ﴾؛ معناها: القوة، فهي مصدر: (أدى، يَئِيْد، أيدًا)، (كَباعَ، يَبِيْع، بيعًا)؛ فيكون المعنى: بنيناها بقوةٍ، ويشبه هذا قوله تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢﴾ [النبأ:١٢]. أي: قوية، لكن يجبُ علينا بأن نعتقدَ بأن لله ساقًا، إلا أنه لا يشبه سَوْقَ المخلوقين، بل هو ساقٌ يليق بعظمتِه وجلالِه كما قلنا في اليدِ، وقلنا في الوجهِ، وقلنا في العينِ، وقلنا في القدمِ.

****

٧٤٤٤- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ»(١).

الشاهد قوله: «وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداءَ الكبر على وجهه في جنةِ عدن»، وفي هذا إثباتٌ لرؤيةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بعد إزالة رداء الكبر، وكأن البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ يشيرُ إلى ركنٍ آخر أصرح من هذا، أما هذا فليس صريحًا في إثبات الرؤية.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ (١٣/ ٤٣٢-٤٣٣):

---

(١) رواه البخاري (٧٤٤٤)، ومسلم (١٨٠).

قوله: «**وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه**» قال المازري: كان النبي ﷺ يخاطب العرب بما تفهم ويخرج لهم الأشياء المعنوية إلى الحس ليقرب تناولهم لها، فعبر عن زوال الموانع ورفعه عن الأبصار بذلك. وقال عياض كانت العرب تستعمل الاستعارة كثيرا، وهو أرفع أدوات بديع فصاحتها وإيجازها، ومنه قوله تعالى: ﴿جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ [الإسراء:٢٤]. فمخاطبة النبي ﷺ لهم برداء الكبرياء على وجهه ونحو ذلك من هذا المعنى، ومن لم يفهم ذلك تاه فمن أجرى الكلام على ظاهره أفضى به الأمر إلى التجسيم ومن لم يتضح له وعلم أن الله منزه عن الذي يقتضيه ظاهرها إما أن يكذب نقلتها وإما أن يؤولها كأن يقول: استعار لعظيم سلطان الله وكبريائه وعظمته وهيبته وجلاله المانع إدراك أبصار البشر مع ضعفها لذلك رداء الكبرياء، فإذا شاء تقوية أبصارهم وقلوبهم كشف عنهم حجاب هيبته وموانع عظمته انتهى ملخصا. وقال الطيبي قوله: «**على وجهه**» حال من رداء الكبرياء. وقال الكرماني هذا الحديث من المتشابهات فإما مفوض وإما متأول بأن المراد بالوجه الذات، والرداء صفة من صفة الذات اللازمة المنزهة عما يشبه المخلوقات، ثم استشكل ظاهره بأنه يقتضي أن رؤية الله غير واقعة، وأجاب بأن مفهومه بيان قرب النظر إذ رداء الكبرياء لا يكون مانعا من الرؤية فعبر عن زوال المانع عن الإبصار بإزالة المراد انتهى. وحاصله أن رداء الكبرياء مانع عن الرؤية فكأن في الكلام حذفا تقديره بعد قوله إلا رداء الكبرياء: فإنه يمن عليهم برفعه فيحصل لهم الفوز بالنظر إليه، فكأن المراد أن المؤمنين إذا تبوؤوا مقاعدهم من الجنة لولا ما عندهم من هيبة ذي الجلال لما حال بينهم وبين الرؤية حائل، فإذا أراد إكرامهم حفهم برأفته وتفضل عليهم بتقويتهم على النظر إليه سبحانه، ثم وجدت في حديث صهيب في تفسير قوله تعالى: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦].

ما يدل على أن المراد برداء الكبرياء في حديث أبي موسى الحجاب المذكور في حديث صهيب، وأنه سبحانه يكشف لأهل الجنة إكراما لهم، والحديث عند مسلم والترمذي والنسائي وابن خزيمة وابن حبان ولفظ مسلم: أن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله ﷻ: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا وتدخلنا الجنة؟ قال: فيكشف لهم الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم منه**، ثم تلا هذه الآية. ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾» أخرجه مسلم عقب حديث أبي موسى، ولعله أشار إلى تأويله به. وقال القرطبي في المفهم الرداء استعارة كنى بها عن العظمة كما في الحديث الآخر «**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري**» وليس المراد الثياب المحسوسة لكن المناسبة أن الرداء

والإزار لما كانا متلازمين للمخاطب من العرب عبر عن العظمة والكبرياء بهما، ومعنى حديث الباب أن مقتضى ﷻ واستغنائه أن لا يراه أحد لكن رحمته للمؤمنين اقتضت أن يريهم وجهه كما لا للنعمة، فإذا زال المانع فعل معهم خلاف مقتضى الكبرياء فكأنه رفع عنهم حجابا كان يمنعهم، ونقل

الطبري عن علي وغيره في قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق:٣٥]. قال هو النظر إلى وجه الله.اهـ

كلام الحافظ هو الظاهر، يعني: «إلا رداءُ الكبرِ على وجهه لا يرفعه حتى ينظرَ إليه»، وحينئذٍ يتم استدلالُ البخاريِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الحديث.

قولُه: «جنتان من فضةٍ، وجنتان من ذهب»، يؤيد هذا قولُه تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن:٤٦]. ثم قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ [الرحمن:٦٢]. وذكر الله تَعَالَىٰ، الفرق بينهما، وقد أشار ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النونية إلى أن الفرقَ بينهما؛ أي بين الجنتين الأولين والآخرين من عشرةِ أوجه، وقال: لولا ضيق النظم لسقتها.

والجنتان من الذهب لمن هو أعلى مقامًا، وأكثر ثوابًا ممن في الجنتين اللتين من الفضةِ.

****

٧٤٤٥- حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَعْيَنَ وَجَامِعُ بْنُ أَبِي رَاشِدٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنِ اقْتَطَعَ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ كَاذِبَةٍ، لَقِيَ اللهَ وَهْوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ». قَالَ عَبْدُ اللهِ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧٧] الآيَةَ [1].

هذا الحديثُ: فيمن اقتطع مالًا من المسلمِ بيمينٍ كاذبةٍ لقي اللهَ.

الشاهد قولُه: «لقي الله»، فقد استدل بها كثيرٌ من العلماءِ على رؤيةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قال: لأن اللقاءَ لا يكونُ إلا برؤيةٍ، وقد سبق أن اللقاءَ عامٌّ وخاص، فاللقاءُ الخاصُّ هو أن يخلوَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بعبدِه المؤمن ويقرره بذنوبه، واللقاءُ العامُّ يكونُ لجميعِ الخلقِ، وبهذا التحذيرِ من اقتطاعِ مالِ المسلمِ باليمينِ الكاذبةِ ولها صور:

منها: **الصورة الأولى:** أن يدَّعيَ شخصٌ على آخر بألفِ درهم وليس عند المدَّعي بينة، فهنا توجَّه اليمين على المدَّعى عليه، فيحلف أنه ليس للمدعي شيء مع أنه له شيءٌ، فهنا اقتطع شيئًا من ماله كاذبًا فيلقى اللهَ وهو عليه غضبان.

الصورة الثانية: أن يدَّعيَ شخصٌ على آخر ألف درهم ويأتي بشاهدٍ واحدٍ، وفي هذه الحالِ لا يحكم له بالألفِ إلا إذا حَلف، إذا حلف فإنه يُحكمُ له بالألفِ، فيأتي بالشاهدِ ويحلفُ معه ثم القاضي يحكم له على المدَّعى عليه بالألف، فيكون هناك اقتطع مالَ امريءٍ مسلمٍ بيمينٍ كاذبةٍ، فيلقى اللهَ وهو عليه غضبان، فإن اعتدى على المسلمِ بغيرِ المالِ، ادَّعى عليه مثلًا بجراحة أو غيرها، وحلف فهل تكون مثل المال أو دونه أو أعظم منه؟.

الظاهر: أنها تكونُ أعظمَ؛ لأن العدوانَ على البدنِ أشدُّ من العدوانِ على المالِ، ولكن مع ذلك لا

---

(١) رواه البخاري (٧٤٤٥)، ومسلم (١٣٨).

نجزمْ بهذا؛ لأن مسائلَ الوعيدِ قد تكونُ لاختصاصِها في الصورةِ التي تأتي فيها أمر لا نعلمُه فيمتنعُ القياسُ حينئذ.

وفيه: استدلالُ الرسول ﷺ بالآيةِ الكريمةِ دليلٌ على أن: العمومَ حجةٌ على كلِّ فردٍ من أفرادِه؛ لأن الآيةَ عامةٌ، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ...﴾ [آل عمران:٧٧]. هذا عامٌ، يدخلُ فيها الذين يشترون بعهدِ اللهِ وأيمانهم ما يقتطعونه من الأموال، فيكونُ هذا عامًّا، فيكونُ هذا فردًا دخل في العموم.

وقد مر علينا شاهدٌ مثل ذلك وهو قول النبي ﷺ: «**إنكم إذا قلتم: السلامُ علينا وعلى عباد الله الصالحين، فقد سلمتم على كلِّ عبدٍ صالحٍ في السماءِ والأرضِ**»[١].

۞ قولُه: ﴿لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾؛ أي لا نصير.

****

٧٤٤٦- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَى وَهُوَ كَاذِبٌ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ فَيَقُولُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي، كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ»[٢].

۞ الشاهد قولُه: «**لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم: رجلٌ حلف على سلعةٍ لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب**»، هذا طريقٌ من طرقِ أكلِ المالِ بغيرِ حقٍّ، أن يقولَ: إنه آتٍ بهذه السلعةِ بأكثر مما أعطاك وهو كاذب؛ لأنه في هذه الحالِ يخدعُ الآخرين فيظنون أنه صادقٌ، فيُعطون مثل ما أعطى أو يزيدون، وهذه تقعُ من بعضِ الناسِ يُحابي بها صديقه، يقول: إني سُمْت هذه السلعةَ بمائة، وهو لم يسمْها من أجلِ أن الآخرين يقولون: نحن نأخذه بمائة وعشرين، وكذلك العكس أن يحلفَ أنه أُعطي فيها أكثر مما أُعطي، مثل أن تُسامَ منه بعشرة، فيقول: إنها سيمت بعشرين ويخدعُ الناسَ بذلك، فكلُّ هذا من أكلِ المالِ بغيرِ حقٍّ.

والثاني: «**حلف على يمين كاذبة**» بعد العصر؛ ليقتطعَ بها مال امريء مُسلم، وقد سبق ذكره.

والثالث: مَن «**مَنع فضل ماءٍ**» فيقول الله ﷻ يوم القيامة: «**اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك**». وهذا في غيرِ الماءِ الذي ملكَه، أما الماءُ الذي ملكه فهو ملكُه، له أن يمنعَه، وله أن يبيعَه، لكن الماءُ الذي لم يملكْه مثل رجل عنده غدير في أرضِه، والغدير هو مجتمعُ ماءِ السيولِ، فصار

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٧٤٤٦)، ومسلم (١٠٨).

لا يُمَكِّنُ الناسَ من أخذه إلا بعوضٍ، هذا منعه، منع فضلَ الماءِ، وكرجلٍ آخر عنده بئرٌ فيها ماء لا يحتاجُ إليه، بل هو زائدٌ عن حاجتِه فيمنعُ الناسَ من أن يأخذوا منها بدونِ ضررٍ عليه، فهذا أيضًا حرامٌ عليه؛ لأن الذي أنبعَ الماءَ في البئرِ هو الله، والذي أنزل الماءَ من السماءِ هو الله.

وفي قولِه: «ما لم تعمل يداك». دليلٌ على أن ما عملت يداه بأن ملكه ووضعه في آنيته، أو استخرجه من البئرِ وصبَّه في بركتِه، فإن له الحقَّ في أن يمنعَ منه من أراد الأخذَ إلا بعوضٍ.

وكل ما مَرّ عليكم من نفي الكلامِ والنظرِ، فالمراد به: كلامُ الرضا ونظرُ الرضا.

وكونُ اليمين الكاذبة بعدَ العصرِ؛ لأن هذا الوقتَ وقتُ فضلٍ وذكرٍ فإذا حلف الإنسانُ بعد صلاةِ العصرِ وهو كاذبٌ صار هذا أعظمَ؛ لأن آخرَ النهارِ أفضلُ من أوَّلِ النهارِ.

* *** *

٧٤٤٧- حدَّثنا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «الزَّمَانُ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلَاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ، أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟». قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ: «أَلَيْسَ ذَا الْحَجَّةِ». قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: «أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟». قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ: «أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ؟». قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: «فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟». قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ». قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ - قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَأَعْرَاضَكُمْ - عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلَا فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلَّالًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبْلِغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى له مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ». فَكَانَ مُحَمَّدٌ إِذَا ذَكَرَهُ قَالَ: صَدَقَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟».[1]

قولُه ﷺ: «الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض»، قال بعض العلماء: المعنى أن قريشًا كانوا يقولون بالنسيئة، ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾ [التوبة:٣٧]. مُحرَّمٌ: من الأشهرِ الحرمِ، أحيانًا تؤجل قريش شهر المحرم تجعله في صفر، وشهر صفر تجعله في محرّم، بمعنى: أنها تُحلُّ شهرَ المحرَّمِ وتُحرِّمُ شهرَ صفر، وأن السنةَ التي حدَّث فيها النبي ﷺ وافق أن التحريمَ لشهرِ المحرّم، لا لشهرِ صفر، فاستدار الزمانُ كهيئتِه يومَ خلقَ اللهُ السمواتِ والأرضَ.

وقال بعض العلماء: المعنى: أن الزمانَ استدار كهيئتِه؛ أي: في تساوي الليلِ والنهارِ، وأن الرسولَ ﷺ حدَّث بهذا الحديثِ في وقتٍ تساوى فيه الليلُ والنهارُ في فصلِ الربيعِ.

---

(١) رواه البخاري (٧٤٤٧)، ومسلم (١٦٧٩).

وعلى كلِّ حال: المقصودُ أن الرسولَ بيَّن عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن السنةَ اثنا عشر شهرًا هلالية، وهذه السنةُ مواقيت لجميعِ الناسِ للمسلمين والكفار، لهذه الأمةِ ولغيرِ هذه الأمةِ، ولهذا كان اليهودُ يصومون عاشوراء في شهرِ المحرمِ، ويوقّتون بهذه الشهور، فهذه الشهورُ كما قال الله تعالى: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة:١٨٩]. هي مواقيت للناسِ عمومًا والحجِّ، وقال تعالى في القمر: ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾ [يونس:٥]. هذا هو التوقيتُ الذي جعله الله تعالى للعبادِ، لكن توالتِ الأمور والأحداث وغلب النصارى على بعض البلاد الإسلامية وحوّلوا التوقيت إلى التوقيت غير العربيِّ وغير الهجريِّ وغير ما جعله الله عَزَّوَجَلَّ للناسِ، بأشهرٍ لا نعلمُ ما أصل هذه الأشهر.

۞ قوله: «منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم»، والحكمةُ من ذلك -والله أعلم- من أجلِ أن يسيرَ الناسُ إلى بيتِ اللهِ في أمنٍ؛ لأن هذه الأشهرَ الحرمَ يحرم فيها القتالُ.

وفيما سبق لا يصلُ الناسُ إلى مكةَ في أيامِ الحجِّ إلا من شهرٍ أو أكثر، الذين في أقصى الجزيرة، فلذلك جعل الله عَزَّوَجَلَّ للحجِّ حرمًا في الزمانِ، كما جعل له حرمًا في المكانِ، هذه الأشهرُ الثلاثةُ: «ذو القعدة»، شهر قبل شهر ذي الحجة «محرم»، شهر بعد شهرِ ذي الحجةِ، حتى يأمنَ الناسُ في ذهابِهم وإيابِهم إلى بيتِ اللهِ.

والرابع يقول: «ورجبُ مضر». القبيلة المعروفة من أكبر قبائل العرب، وأضيف إليها؛ لأنه معلومٌ عندها، ويُعرفُ بهذه النسبةِ: رجل مضر، قال: «الذي بين جمادى وشعبان»، جمادى الثانية وشعبان هذا أيضًا من الأشهرِ الحرمِ، وهو شهر فرد.

قَالَ القسطلاني رَحِمَهُ اللَّهُ:
وذلك لأن العربَ كانوا يأتون إلى العمرةِ في هذا الشهرِ في رجب، ولا يمكن أن يعتمروا في أشهرِ الحجِّ أبدًا يرون أن الاعتمارَ في أشهرِ الحجِّ من أكبر الكبائر، ويقولون: إذا عفا الأثر، وبرأ الدبر، ودخل صفر، حلّت العمرة لمن اعتمر، و(عفى الأثر): أي انمحى أَثر الحجاج، (برأ الدبر)؛ يَعْنِي: القروح التي تكونُ على ظهورِ الإبل من الحملِ، (ودخل صفر)؛ يعني: بعد الحجِّ بشهر، (حلّت العمرةُ لمن اعتمر) أما قبل ذلك فلا تحل، ولهذا اعتمر النبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جميع عُمره في أشهرِ الحجِّ حتى إن بعضَ العلماءِ تردد، هل العمرة في أشهرِ الحج أفضل أو في رمضان أفضل؟!.

۞ قولُه: «أيُّ شهر هذا؟! قلنا: اللهُ ورسولُه أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغيرِ اسمِه»، لماذا قالوا: اللهُ ورسولُه أعلم، وهم يعلمون الشهرَ؛ لأنهم استبعدوا أن يسألَ النبي ﷺ عن اسمِ الشهرِ مع أنه معلومٌ، لا إشكالَ فيه، فظنوا أنه سيسميه بغير اسمه، إذًا فقولهم: «الله ورسوله أعلم»، يعود إلى تسميةِ الشهرِ لا إلى نفسِ الشهرِ، فالشهرُ معلومٌ عندهم ولا إشكالَ فيه، لكن ظنوا أن الرسولَ ﷺ

استفهم عن اسمِه لا عن عينه، ولهذا يقول: «فسكت حتى ظننا أنه يسميه بغير اسمه»، وهذان أسلوبان.

قوله: «**أي شهر**»، والسكوت، أسلوبان من الأساليبِ التي توجبُ انتباهَ الإنسانِ؛ يعني: لو أن الإنسانَ ألقى الحديثَ مرسلًا، يُفهم أوْ لا يفهم، لكن لا ينتبه الناسُ له مثل ما ينتبهون له إذا سأل، هذه واحدة.

ثانيًا: السكوتُ، فالسكوتُ يوجبُ الانتباهَ -السكوتُ في أثناءِ الكلامِ يُوجبُ الأنتباهَ- ولهذا نجدُ أن المحاضرَ أو الخطيبَ أو المدرسَ إذا سكتَ اشرأبت الأعناقُ والتفتت العيونُ إليه، ما الذي حدث؟ فاستعمل النبي ﷺ هذين الأسلوبين.

قوله: «**أليس ذا الحجة؟**». قلنا: بلى، قال: **أي بلد هذا؟** قلنا: اللهُ ورسولُه أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغيرِ اسمِه، قال: **أليس البلدة؟**» -البلدة اسم من أسماء مكة- ولها أسماءٌ كثيرةٌ معروفة عند الذين يتكلمون عن مكةَ وحرمِها.

قوله: «قلنا: بلى، قال: **فأي يوم هذا؟** قلنا: اللهُ ورسولُه أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغيرِ اسمِه، قال: **أليس يوم النحر؟** قلنا: بلى». يومُ النحرِ؛ يعني: يومَ عيد الأضحى، وسُمي يومَ النحرِ؛ لأنه تُنحر فيه الضحايا والهدايا.

قوله: «قال: **فإن دماءكم وأموالكم، وقال محمد: وأحسبه قال وأعراضكم- عليكم حرام كحرمةِ يومكم هذا- في بلدكم هذا في شهركم هذا**».

إذًا: أراد النبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من الاستفهام عن الشهرِ والمكانِ واليومِ، أراد تأكيدَ تحريمِ هذه الثلاثة الدماء، والأموال، والأعراض.

وفي الحديث لفٌّ ونشرٌ غيرُ مرتبٍ؛ لأنه بدأ باليومِ وهو الأخيرُ، ثم بالمكانِ، ثم بالزمانِ، ثم قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**وستلقون ربكم**»، وهذا هو الشاهدُ من الحديث «**فيسألكم عن أعمالِكم**» وقد ورد أن صفةَ هذا اللقاءُ أن اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يخلو بعبدِه المؤمنِ ويقرره بذنوبه، يقول: فعلت كذا، فعلت كذا، حتى إذا أقرَّ، قال: قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرُها لك اليوم، ثم قال: «**ألا فلا ترجعوا بعدي ضُلالًا**»، وفي لفظ: «**كفارًا**»، ولا منافاةَ بينهما؛ لأن كلَّ كافرٍ فهو ضال، وعلى هذا فيكونُ المرادُ بالضُّلَّالِ هنا ضُلالُ الكفرِ.

قولُه: «**يضرب بعضكم رقاب بعض**»، وهنا قد يسألُ النحويُّ، لماذا قال يضربُ بالرفعِ مع أنها بعد النهي «**فلا ترجعوا**»، ومعلومٌ أن فاء السببية إذا حُذفت بعد النهي أو الأمر، فإن الفعلَ يُجزم.

نقول الجواب على هذا: أن «**يضربَ**» ليست جوابًا لترجع، ولكنها بيانٌ للضلالِ، أو للكفرِ، فهي جملةٌ استئنافيةٌ تُبينُ ماذا يحصلُ به الكفرُ أو ماذا يحصلُ به الضلال، «**يضربُ بعضُكم رقابَ بعض ألا ليبلغِ الشاهدُ الغائبَ**»، هذا كررها مرتين للتنبيه.

وقوله: «ليبلغ»، اللام للأمرِ، والفعل بها مجزوم، ولكنه حُرِّك بالكسرِ، لالتقاء الساكنين فلعل بعض مَن يبلغه أن يكون أوعى من بعض مَن سمعه، هذا يُفسر قولُه: «رُب مُبلَّغ أوعى من سامع»؛ يعني: أن بعض مَن يبلغه أوعى مِن بعض مَن سمعه، وليس كلُّ مَن يبلغه أوعى من كلِّ مَن سمعه، وهذا من الاحتراس في القول، وينبغي للإنسان في مثل هذا التعبير أن يحترس، بدل أن يقول مثلًا الناسُ فعلوا: يقول: بعض الناس فعلوا، الناس يفعلون، يقول: بعض الناس يفعلون، حتى يكون كلامُه محررًا.

قال: «كان محمد إذا ذكره قال: صدق النبي ﷺ» ثم قال: «ألا هل بلغت؟ ألا هل بلغت؟».

فالجواب: بلّغ البلاغَ المبينَ عليه الصلاة والسلام بقوله وفعله وإقراره وتركه أمته على محجة بيضاء ليلها كنهارِها لا يزيغُ عنها إلا هالكٌ، ومَن خفي عليه شيء من السنة فهو لأحد أسباب ثلاثة: إما نقصُ علمه، وإما قصورُ فهمه، وإما سوءُ قصدِه.

أما الأوَّل: وهو نقص العلم فواضح.

وأما الثاني: قصور الفهم فواضح أيضًا؛ لأن بعض الناس يحفظ كثيرًا، ولكن لا يفهم فيفوتُه من العلم بقدر ما فاته من الفهم.

وأما الثالث: سوء القصدِ، فإن الإنسان يُحرم العلمُ ولو كان عنده حفظٌ كثيرٌ وفهم، يُحرم بسبب سوء القصد -والعياذُ بالله-.

ومن سوء القصد: ألا يُريد الإنسان إلا الدنيا، ومن سوء القصد ألا يُريد الإنسان إلا أن ينصرَ رأيَه، ومن سوءِ القصدِ ألا يُريدَ الإنسانُ إلا أن يتعصبَ لشيخِه ومتبوعِه، والواجبُ على الإنسانِ أن يُريدَ الوصولَ إلى الحق وإذا علم الله من الشخص أنه يُريد الوصول إلى الحق سهله له ويسره له سواء في المراجعة أو في المناقشة؛ لأن الله يقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾ [القمر: ٤٠]. فإذا علم الله منك أنك تريد الحق يسره لك.

هل تحريم القتال في الأشهر الحرم باقٍ أوْ لا؟

نقول: أما القتالُ دفاعًا فهو باقٍ في هذه الأشهرِ حتى في مكة، إذا قاتل الإنسان دفاعًا فإنه له ذلك، ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٩١]. لأن قولَه: ﴿فَاقْتُلُوهُمْ﴾. أشد، اقتلوهم؛ لأنهم انتهكوا حرمتكم وحرمة البيت فاقتلوهم، كذلك الأشهر الحرم إذا كان القتال دفاعًا فإنه لا يُنهى عنه، إذا كان القتال طلبًا؛ يعني: نحن نريد أن نقاتل الكفار بدون أن يعتدوا علينا، طلبٌ.

فقد اختلف العلماء: هل النهي باقٍ أو منسوخ؟

فقال أكثر العلماء: إن النهي منسوخٌ.

وقال آخرون: إن النهي باقٍ، والذين استدلوا بأن النهي منسوخ، قالوا: إن الرسول عليه الصلاة والسلام

قاتل ثقيفًا الطائف في شهر ذي القعدةِ، ومعلومٌ أن شهر ذا القعدة من الأشهر الحرم، وكذلك في غزوة تبوك في المحرم، وهذا من الأشهر الحرم.

وأجاب الآخرون قالوا: إن قتل ثقيف كان امتدادًا للفتح، والقتال في الفتح كان في شهر رمضان، وانتهت الترتيبات إلى أن دخل شهر شوال وعلم الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن ثقيفًا تستعد له، فاستمر في القتال، وغزوة تبوك أيضًا كانت شبه مُدافَعة، وعلى هذا نقول: نسأل الله أن يُعطينا قوةً نقاتلهم حتى في غير الأشهر الحرم، نحن الآن لا نقاتل لا في الأشهر الحرم ولا في غير الأشهر الحرم، ولكن نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن يعطينا القوة الإيمانية والقوة المادية.

٢٥- باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾ [الأعراف:٥٦].

٧٤٤٨- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ، حَدَّثَنَا عَاصِمٌ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ أُسَامَةَ، قَالَ: كَانَ ابْنٌ لِبَعْضِ بَنَاتِ النَّبِيِّ ﷺ يَقْضِي، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَهَا فَأَرْسَلَ: «إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلٌّ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ». فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ فَأَقْسَمَتْ عَلَيْهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقُمْتُ مَعَهُ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، فَلَمَّا دَخَلْنَا نَاوَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ الصَّبِيَّ وَنَفْسُهُ تَقَلْقَلُ فِي صَدْرِهِ -حَسِبْتُهُ قَالَ: كَأَنَّهَا شَنَّةٌ-، فَبَكَى رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ أَتَبْكِي فَقَالَ: «إِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ».[1]

٧٤٤٩- حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اخْتَصَمَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ إِلَى رَبِّهِمَا فَقَالَتِ الْجَنَّةُ: يَا رَبِّ مَا لَهَا لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ. وَقَالَتِ النَّارُ -يَعْنِي-: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ. فَقَالَ اللهُ تَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي. وَقَالَ: لِلنَّارِ أَنْتِ عَذَابِي أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا قَالَ: فَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَإِنَّهُ يُنْشِئُ لِلنَّارِ مَنْ يَشَاءُ فَيُلْقَوْنَ فِيهَا فَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ. ثَلَاثًا، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا قَدَمَهُ فَتَمْتَلِئُ وَيُرَدُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ: قَطْ قَطْ قَطْ».[2]

هذا الباب عقده البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في إثبات رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ وقد سبق التفصيل في الرحمة وذكرنا أنها تنقسم أوَّلًا إلى قسمين: مخلوقةٌ وغير مخلوقة، وأن المخلوقة تنقسم أيضًا إلى قسمين: عامة وخاصة، وسبق الكلام على هذا وبيان أن أهل التعطيل أنكروا أن يكون لله رحمة بمعنى ما أراده الله ورسوله، وقالوا: المراد بالرحمة ما يترتب عليها من ثوابٍ وإنعام وما أشبه ذلك.

۞ وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. فيها الحث على الإحسان وأنه كلما كان الإنسان أكثر إحسانًا كان أقرب إلى رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ لأنه يكون رحيمًا بذلك، والله تعالى يرحم من

(١) رواه البخاري (٧٤٤٨)، ومسلم (٩٢٣).
(٢) رواه البخاري (٧٤٤٩)، ومسلم (٢٨٤٦).

عبادة الرحماء، ثم ذكر حديث الصبي الذي لإحدى بنات الرسول ﷺ وتقدّم الكلام عليه، ثم ذكر حديث أبي هريرة، وفيه اختصمت الجنة والنار إلى ربهما، فالجنة قالت: يارب إنه لا يدخلها إلا الضعفاء، والنار قال: إنها أوثرت للمتكبرين، وفي قول الراوي: «وقالت النار؛ يَعْنِي: أوثرت». دليل على أنه لم يضبط اللفظ، ولكنه صحيحٌ.

وفي الحديث: أن الله قال للجنة «أنت رحمتي»، وهي مخلوقةٌ، «وقال للنارِ: أنت عذابي أصيبُ بك ما أشاء، ولكل واحدةٍ منكما ملؤها، قال: فأما الجنةُ فإن الله لا يظلمُ من خلقه أحدًا، وإنه ينشئ للنار مَن يشاء»، هذا لا شك أنه مُنقلبٌ على الراوي، منقلب انقلابًا واضحًا.

والصواب: فأما النار فإن الله لا يظلمُ من خلقه أحدًا، وأما الجنة فإنه ينشئ لها مَن يشاء، وهذا قد مَرَّ علينا على الوجه الصحيح، فالحديثُ منقلبٌ، وعليه فيكون: فأما الجنة فينشئ لها مَن يشاء وأما النار فإن الله لا يظلم من خلقه أحدًا، فيُلقون فيها ... إلى آخره.

۞وقولُه: «حتى يضع فيها قدمه فتمتلئ»، هذا مما استدل به أهل التعطيل على أن المراد بالقدمِ مَن يُقدمهم اللهُ إلى النارِ؛ لقوله: «فتمتلئ».

وسبق لنا اللفظ الصواب «فينزوي بعضها إلى بعض» وتنضم هي بعضها إلى بعض من وضع الرب عليها قدمه، وهذا هو الصواب، ويُحمل قولُه: «فتمتلئ». إن كان محفوظًا على أنه إذا انضم بعضها إلى بعض لم يعد فيها مكان لأحد، لأنه إذا انزوى بعضُها إلى بعضٍ امتلأت فيُحمل على هذا المحمل، والشاهدُ من هذا قولُه: «أنتِ رحمتي».

****

٧٤٥٠- حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيُصِيبَنَّ أَقْوَامًا سَفْعٌ مِنَ النَّارِ بِذُنُوبٍ أَصَابُوهَا عُقُوبَةً، ثُمَّ يُدْخِلُهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ يُقَالُ لَهُمُ: الْجَهَنَّمِيُّونَ». وَقَالَ هَمَّامٌ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ حَدَّثَنَا أَنَسٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

هذا سبق على ما يدل عليه في الحديث الطويل عن أبي سعيدٍ وغيره.

****

٢٦- باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١].

٧٤٥١- حَدَّثَنَا مُوسَى، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ يَضَعُ السَّمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرْضَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ وَالأَنْهَارَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ بِيَدِهِ أَنَا الْمَلِكُ فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾» [الأنعام: ٩١][1].

---

[1] رواه البخاري (٧٤٥١)، ومسلم (٢٧٨٦).

قولُه تعالى: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَا﴾». فيها بيان الإمساك، والإمساك: القبض، وقد سبق أن الله قال: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧]. وقد قال تعالى في آيةٍ أخرى: ﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓ﴾. فالله تعالى يمسك السموات والأرض ﴿أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓ﴾ [فاطر:٤١]. يعني: ما أمسكهما أحدٌ من بعده ﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓ﴾؛ يعني: السماء فوق الأرض، فلولا إمساك الله تعالى لها لوقعت على أهل الأرض.

***

٢٧- باب مَا جَاءَ فِي تَخْلِيقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَغَيْرِهَا مِن الْخَلَائِقِ.

وَهُوَ فِعْلُ الرَّبِّ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وَأَمْرُهُ فَالرَّبُّ بِصِفَاتِهِ وَفِعْلِهِ وَأَمْرِهِ وَكَلَامِهِ وَهُوَ الْخَالِقُ الْمُكَوِّنُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَمَا كَانَ بِفِعْلِهِ وَأَمْرِهِ وَتَخْلِيقِهِ وَتَكْوِينِهِ فَهُوَ مَفْعُولٌ مَخْلُوقٌ مُكَوَّنٌ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ «باب ما جاء في تخليق السموات والأرض» تخليق مصدر خلَّق، وخَلْقُ السمواتِ مصدر خلق، وهي في نسخة عندي: خلق السموات، فيجوز خلق وتخليق، وفي القرآن ﴿مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ﴾ [الحج:٥]. «مُخلَّقة» مشتقة من التخليق، تخليق السموات والأرض وغيرها من الخلائق.

قولُه: «وهو» -أي: التخليق «فعل الرب تبارك وتعالى وأمره» فعله وأمره، التخليقُ يكون بأمرين، بالأمر والفعل، ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس:٨٢]. فلا يتم الخلق إلا بالأمر، والأمر هنا مسبوق بالإرادة، وإنما بوَّب البخاريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذا؛ لأن من أهل البدع مَن يقول: إنَّ الرب ليس له فعلٌ، وأن المراد بفعله مفعوله، لماذا؟ لأنه لو قام الفعل بالخالقِ لكان محلًّا للحوادثِ، ولا يكونُ محلًّا للحوادث إلا الحادث، وسبق أن هذه القاعدة فاسدةٌ وباطلةٌ وأن الربَّ عَزَّ وَجَلَّ لم يزلْ ولا يَزال خلاقًا، والمخلوقُ هو الذي يتجددُ، والفعلُ المقاربُ للخلقِ كذلك أيضًا يتجددُ، ولكن لم يزل ولا يزال خلاقًا، فعلى هذا نقول: البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ سلك في هذا مسلك السلف الصالح، وهو أن الفعل غير مخلوق، الفعل صفة قائمة بالرب، والمفعول مخلوق بائن عن الرب، وغرضه بذلك الرد على مَن زعم أن الفعل هو المفعول، قصده بذلك الرد على مَن زعم أن فعل الله مفعوله وليس لله فعل يقوم به.

إذًا: البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ سلك مسلك السلف في أن الفعل غير المفعول، الفعل فعل الربِّ، والمفعول مفعول، منفصلٌ عن الربِّ مكوَّن ولهذا قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهو فعلُ الربِّ تبارك وتعالى وأمره، فعل الرب واضح، الخلق هو فعل الرب، أمره؛ يعني: الكائن بأمره، ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس:٨٢]. يقول لِلسموات: كن فتكون، ويقول لها وللأرضِ: ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١﴾ [فصلت:١١]. وهكذا كلُّ المخلوقاتِ حتى الذرة: إذا أراد أن يخلقها عَزَّ وَجَلَّ قال لها: كوني، فتكون، وقَبْلَهُ ﷺ الذي وسع هذه الخلائق العظيمة، كم يُخلق في اللحظة من المخلوقات؟ أمْ لا

يُحصيها إلا الله، وهو ﷻ يقول لها كلها: كن، فتكون، وإذا كان الربُّ ﷻ وسع الأصواتَ كلَّها، الكل يُصلي يقول: الحمد لله رب العالمين، فالربُّ ﷻ يقولُ لهم: حمدني عبدي، كلُّ مُصلٍّ في أيِّ مكانٍ، ولو اتحد الزمانُ، فإنَّ الله يقول: حمدني عبدي، وهذا يَدُلك على سعةِ اللهِ، ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٢٦٨﴾ [البقرة:٢٦٨]. محيطٌ بكلِّ شيءٍ علمًا ﷻ، وعلى هذا فنقولُ: قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو «أمره»؛ يعني: الكائن بأمره، الخلقُ فعلُ الربِّ، وأمره؛ يعني: الكائن بأمره الكوني.

قوله: «فالرب بصفاته وفعله وأمره»، يعني: الربَّ ربٌّ بصفاتِه، فالصفات لا تنفصل عن الموصوفِ، و«بصفاته» أزلي أبدي جلَّ وعلا، الأوَّل الذي ليس قبله شيءٌ، والآخر الذي ليس بعده شيءٌ، وهذا أيضًا ردٌّ على مَن قال: إن الصفةَ غيرُ الموصوفِ، يقول: «الرب بصفاته»، فأنت إذا دعوتَ اللهَ، هل دعوت ذات مجردة من الصفات؟ إذا قلت يارب، فأنت تسأل الله وأنت تستحضر جميع صفاته التي تحيط بها، يعني: يارب بالصفات الكاملة والأسماء الحسنى، فالله ﷻ بصفاته وكذلك بأسمائه، لكن لم يذكر الأسماء لأن الكلام الآن في الخلق، والخلق صفة، فالرب بصفاته، الجار والمجرور «بصفاته» خبر الرب؛ يعني: الربُّ ربٌّ بصفاته وفعلِه وأمرِه، وأشار البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «الرب بصفاته وفعله» إلى القول الراجح في تسلسل الحوادث، إذا كان الرب بفعله لزم من هذا أن يكون الفعل قديمًا أزليًا وهو كذلك، فالفعلُ قديمٌ أزليٌّ، لكن المفعولُ هو الحادثُ والفعل المقارن للمفعولِ حادثٌ، ولهذا نقولُ: فعلُ اللهِ الذي هو فعله من حيث الجنس أزلي، لم يزل ﷻ فعَّاله، والفعل المقارِن للمفعول حادثٌ كالكلام سواء، أصلُ الكلام أزليٌّ وما يتكلمُ به ﷻ حين يتكلَّم فهو حادثٌ، ولا مانع أن نقول بهذا، أليس الله يقول: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣]. فكان الكلام حين المجيء لم يكن من قبل، فالأمر في هذا واضح، فالبخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أشار بهذا إلى أن الأرض لازمةٌ له، وهذا هو الحقُّ، ومَن تأمله وجَدَ أنه لا يُمكن العدول عنه خلافًا لمن شنع على شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله بهذا القول، والإنسان يستغرب كيف يُشنِّع؟ لأننا إذا قلنا: إنه ليس هناك تسلسل وأن الله في الأول كان لا يدري نقول: لماذا لا يدري الله؟ هل هو عاجزٌ؟ إن قالوا: نعم: كفروا، وإن قالوا: بلى، قلنا: فإن كان كذلك؛ فما الذي يمنعُه أن يفعلَ؟ فجواز تسلسل الحوادث في الأزل كجوازه في المستقبل ولا فرق، هو الأوَّل بصفاته وأفعاله التي ليس قبله شيء، والآخر بصفاته وأفعاله الذي ليس بعده شيء.

قوله: «أمره». الأمر الذي يكون به الفعل. «كن». هذا أمر فهو لم يزل ﷻ بصفاته وفعله وأمره.

قوله: «وهو الخالق المكون»، أراد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله وهو المكون: أن يفسر معنى الخالق، لا أن يُثبت أن المكون من أسماء الله، ولهذا ليس من أسماء الله المكوِّن، لكن هو فسر الخالق، والخالق من أسماء الله، البارئ الخالق، «المكوِّن»، تفسير للخالق وإن شئت فقل: تفسير للمصوِّر كما قال تعالى: ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر:٢٤]. أي: المكون للشيء على الصورة التي

أرادها.

قوله: «غيرُ مخلوق»، وإن حدثت منه الأفعال فإنه ليس بمخلوق؛ لأن الله هو الخالق وما سواه مخلوقٌ، ثم قال: وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مفعول، ففرق رَحِمَهُ اللَّهُ بين الفعل والفاعل والمفعول، فهذه ثلاثة أشياء، كل واحدة منها لها حقيقةٌ: فاعل وفعل ومفعول.

الأوَّل: الفاعل، ثم الفعل، ثم الفعول، هذا إذا قلنا: الفاعل؛ يعني: الذي يريد أن يفعل، أما إذا قلنا: الفاعلَ الذي قام به الفعل، فالفعل سابق على الفاعل؛ لأنه لا يصدق عليه أنه فاعل حقيقة إلا بعد وقوع الفعل.

الفاعل: الأصل أنه لا فعل إلا بفاعل، أليس كذلك، فإذا قلنا: لا فعل إلا بفاعل لزم أن يسبق الفاعل الفعل، ولا مفعول إلا بفعل، فالسابق الفعل، لكن إذا أُريد بالفاعل حقيقة الفعل فهنا يجب أن يسبق الفعل الوصفَ بالفاعل؛ يعني: ما يكون فاعلًا حتى يفعل، أنا مثلًا: ناطق حقيقة ولا أكون ناطقًا حقيقة إلا بعد أن أنطق، لَكن قبل أن أنطق أكون ناطقًا حكمًا، ولا يمكن النطق إلا بوجود، فالناطق سابق على النطق، والمنطوق به مُتأخر عن النطق، لكن إذا أردت حقيقة وصفه بالفعل فإنه لا يمكن أن يكون فاعلًا حتى يفعل.

قولُه: «وما كان بفعله وأمره وتخليقه...» فهو مخلوق عائد على تخليقه وأمره، والحاصل من هذه الترجمة أن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أراد أن يُبيِّن أن ما سوى الله مخلوق وأن الله وحده هو الخالق وأنه عَزَّ وَجَلَّ رب بفعله ووصفه بأفعاله وصفاته، فلم يزل فعَّالًا، ولن يزال موصوفًا بصفاته الكاملة، وأن الخلقَ حادثٌ، -الخالق الذي هو المخلوق حادث-.

فإن قيل: إن الصفات الفعلية أصلها أزلي، فما الجواب عن قولُه: إن رحمتي سبقت غضبي؟

الجوابُ: المعنى: إذا وجد مُقتضى الغضب ومقتضى الرحمة، فالرحمةُ تسبقُ هذا المعنى، ليس المعنى سبقت في الأزلِ، المعنى: إذا وُجدَ شيء يوجب غضب الله ورحمة الله فالرحمة تغلب وتسبق.

*****

٧٤٥٢- حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، أَخْبَرَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ، عَنْ كُرَيْبٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بِتُّ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ لَيْلَةً وَالنَّبِيُّ ﷺ عِنْدَهَا لأَنْظُرَ كَيْفَ صَلَاةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِاللَّيْلِ، فَتَحَدَّثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً ثُمَّ رَقَدَ، فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الأخير أَوْ بَعْضُهُ قَعَدَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَقَرَأَ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠﴾ [آل عمران: ١٩٠] ثُمَّ قَامَ فَتَوَضَّأَ وَاسْتَنَّ، ثُمَّ صَلَّى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، ثُمَّ أَذَّنَ بِلَالٌ بِالصَّلَاةِ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى لِلنَّاسِ الصُّبْحَ.[1]

---

(١) رواه البخاري (٧٤٥٢)، ومسلم (٧٦٣).

صلة ميمونة بعبد الله بن عباس أنها خالته أخت أمه، وابن عباس رضي الله عنهما ذكيٌّ عاقلٌ حريصٌ على العلمِ حتى إنه كان يأتي إلى الرجل من أصحاب الرسول ﷺ في القيلولة ويضع رداءَه يتوسده، ينام على العتبة حتى يخرج صاحب البيت ويقول: حدثني عن رسول الله، فيقول له: يابن عم رسول الله: لماذا لم تقمنِ؟ قال: أنا صاحب الحاجة.

وفهمه وعقله وفقهه رضي الله عنه معروفٌ، أحبَّ أن ينظر كيف يصنع الرسول عليه الصلاة والسلام في أهله وكيف يصلِّي في الليل؟ يقول: فدخل النبي عليه الصلاة والسلام بعد صلاة العشاء وتحدَّث مع أهله ساعة يعني: يمكن أقل أو أكثر من ستين دقيقة، لكن معروف أن الرسول عليه الصلاة والسلام يكره الحدَّيث بعد صلاة العشاء، فيكون هذا الحديث الذي تحدث به حديثًا يحصل به الإيناس للأهل؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «خيركم خيركم لأهله»، [1] ومعلوم أن الرجلَ لو جاء إلى أهلِه ودخل عليهم، ثم انصرفَ إلى الفراشِ ونام والمرأة نامت لا يكون هناك ألفةٌ، وهذا سببٌ للقطيعة، ولكن إذا تحدث معه أهله ساعةً يؤنِّسهم ويدخلُ السرورَ عليهم فهذا من هدي الرسول ﷺ.

✿ قوله: «ثم رقد فلما كان ثلث الليل الآخر أو بعضه قعد صلوات الله وسلامه عليه»، ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ ﴾ [المزمل:٢٠]. حسب نشاطه عليه الصلاة والسلام، أما إذا مضى ثلث الليل أو نصفه أو ثلثاه، يقول: «فقعد فنظر إلى السماء» نظر تفكُّر واتعاظٍ لما فيها بما فيها من الآياتِ العظيمةِ، هذه النجومُ الزواهرُ والقمر الزاهر يستدل به على عظمة الله عز وجل وحكمته ونظامه العظيم.

✿ قوله: «فقرأ ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠ ﴾».

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾؛ أي: تخليقهما، وما أودع الله فيهما من الغرائب، وبدائع الصنعة، واختلاف الليل والنهار، في أي نوع من الاختلاف بالطول، والقصر، والحر، والبرد، والحرب، والسلم، والصحة، والمرض، والعِز، والذُلِّ، وغير ذلك، كل فيه آيات لأولي الألباب.

﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾. آيات: جمع آية، وهي العلامةُ الدالة على ما لله تعالى من الحكمةِ والرحمةِ وغير ذلك مما تقتضيه هذه الاختلافات.

✿ وقولُه: «﴿ لَأٓيَٰتٍ ﴾»؛ المعنى: في كلِّ واحدٍ منها آيات أو آيات موزعة على الجمع السابقِ؟

الجواب: الأوَّل، كل شيءٍ من هذه فيه آياتٌ عظيمةٌ، فمثلًا: النجوم فيها آيات في عظمِها وكبرِها ونورِها وحركاتها وسكناتها ولونها، بعض النجوم تجده يتحرك يلمع، وبعضها ساكن وبعضَها أبيض وبعضها يميل للحُمرة، وبعضها كبير وبعضها صغير، وبعضها سائر وبعضها خالصٌ، كل في آياتِه، وهكذا القمر وهكذا الشمس في آياتِه لكن لمَن؟ لأولي الألباب لأصحاب العقول، أما الغافلون فلا ينتفعون بهذه الآيات.

---

[1] أخرجه أبو داود (٢٥٧٨)، وابن ماجة (١٩٧٩).

قوله: «ثم قام فتوضأ واستن ثم صلَّى إحدى عشرة ركعة»، «توضأ واستن»؛ يعني: استاك، وكان النبيُّ ﷺ إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك[١] هكذا قال حذيفة رضي الله عنه بأن يدلكه، دلكًا بغسل؛ لأن الفمَ يتغيَّر بالنومِ.

واستُدِلَّ بهذا الحديثِ على أن القرآنَ يجوزُ لغيرِ المتوضئ؛ لأن النبي ﷺ قرأ قبل أن يتوضأ وهو كذلك، ولكن الاستدلالُ على هذا بهذا الحديث فيه نظر، وذلك لأن نوم النبي ﷺ لا ينقض الوضوء حيث تنام عيناه، ولا ينام قلبه[٢] وهو ﷺ فيما يظهر قد نام على وضوئه، فيكون قد قام على وضوئه.

قولُه: «ثم أذن بلال بالصلاة فصلى ركعتين ثم خرج فصلى للناس الصبح» في هذا أيضًا دليل على أن الإمام ينبغي له أن يصلِّي الرواتب في بيته لا في المسجد، وأنه إذا دخل المسجد أقيمت الصلاة، هذا في الصلوات الخمس، أما في الجمعة فهو أوكد، وبه نعرف أن ما يفعلَه بعضُ الأئمةِ من التقدمِ يوم الجمعة والصلاة والجلوس حتى يأتيَ وقت خروج الإمام، ثم يقوم فيصعد المنبر أن هذا خلاف السنة، وهو يريد أن يحصل على أجر التقدم في الجمعة، فنقول له: أجر اتباع السنة أكثر من أجر التقدم فلا تتقدم، لا تأتِ إلا وقت صعودك إلى المنبر، وكذلك بقية الصلوات، فالسنة للإمام أن يتأخر في بيته فإذا جاء أقيمت الصلاةُ، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: **«لا تقوموا حتى تروني»**[٣] مما يدل على أنه يأتي، ثم تقام الصلاةُ فورًا.

قولُه: «فصلى للناس»، اللام قيل إنها بمعنى «الباء»، أي: صلَّى بالناسِ الصبح، وقيل: صلَّى لهم؛ لأنه إمامهم. فاللام للتعليل، وليس المعنى أنه صلَّى تقرُّبًا إلى الناس، ولكن صلَّى لأجلهم؛ أي: ليكونَ إمامًا لهم.

الشاهد من هذا الحديث: قراءته هذه الآية: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. مَن خلقهما؟ الله.

***

٢٨- باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [الصافات:١٧١].

٧٤٥٣- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَمَّا قَضَى اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»[٤].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾. بقية الكلام ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات:١٧٢-١٧٣].

ففي قولُه: ﴿سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾. دليلٌ على أن كلمات الله عز وجل فيها سابقٌ ومسبوقٌ وهو كذلك؛ لأن

---

(١) أخرجه البخاري (٨٨٩)، ومسلم (٢٢٥).

(٢) رواه البخاري (٧٢٨١).

(٣) أخرجه البخاري (٩٠٩).

(٤) رواه البخاري (٧٤٥٣)، ومسلم (٢٧٥١).

الله يتكلَّم متى شاء.

۞ وفي قولِه: «لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي»، هذا أيضًا مما سبق منْ كلماته ﷻ ما كتبه في أن رحمته سبقت غضبه؛ ومعنى الحديث: أنه إذا حصل فعلٌ يكونُ سببًا للرحمة وسببًا للغضبِ، فإن الرحمة تسبقُ الغضبَ ويرحم الله ﷻ بها مَن شاء.

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٥٤- حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، سَمِعْتُ زَيْدَ بْنَ وَهْبٍ، سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: «إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيُؤْذَنُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيَكْتُبُ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى لَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا».[1]

هذا الحديثُ كالأولِ فيه بيانُ حدوث الكلام.

۞ يقول ابن مسعود: «حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق» الصادق فيما أخبر به، المصدوق فيما أُخبر به؛ يعني: ما كذَبَ ولا كُذبَ بخلافِ الكهانِ، فالكهان كاذبون مكذوبون؛ لأن الشياطين التي تُلقي إليهم السمع تكذب مع الصدق مائة كذبة، وهم يكذبون أيضًا، أما النبي عليه الصلاة والسلام فهو صادق مصدوق، صادق فيما أخبر به، مصدوق فيما أُخبر به، فالوحي الذي أوحاه الله إليه صدق، وخبره إيانا صدق، وإنما قدَّم ابن مسعود هذه المقدِّمة؛ لأنه سيتحدث عن أمر غيبيٍّ لا يعلمه إلا الله ﷻ ولاسيما أنه في ذلك الوقت ليس هناك طبٌّ متقدمٌ يعرف الناس كيف يتطوّر الجنين.

۞ قوله: «أن خلق أحدكم يُجمع في بطن أمه أربعين يومًا وأربعين ليلة»، يُجمع: الجمع ضد التفريق، وذلك أن الحيواناتِ المنويةَ في النطفة الواحدة كثيرةٌ جدًّا، تُجمع هذه لمدة أربعين يومًا نطفة.

۞ قوله: «ثم يكون علقة مثله» يتحول هذا المني إلى علقةٍ، العلقة: دودةٌ دقيقةٌ جدًّا حمراء، يكون هذا الحيوان المنوي علقة مثله؛ أي أربعين يومًا.

۞ قوله: «ثم يكون مضغة مثله»؛ أي: أربعين يومًا، والمضغة: القطعة من اللحم بقدر ما يمضغه الإنسان في الأكل، ولكن لا تظن أن هذا التحولَ يحدثُ طفرةً واحدةً؛ بمعنى يبقى أربعين يومًا منيًّا، ثم في تمام الأربعين

---

(١) رواه البخاري (٧٤٥٤)، ومسلم (٢٦٤٣).

ينقلب مرة واحدة أحمر، ثم بعد أربعين ينقلب مرة واحدة مضغة، لا، يتكوَّن شيئًا فشيئًا، لكن يغلب عليه في الأربعين الأولى أن يكون نطفة وفي الأربعين الثانية أن يكون علقة وفي الأربعين الثالثة يكون مضغة، ويتكون بإذن الله العظمُ واللحم، كلُّ شيءٍ.

۞ قوله: «ثم يُبْعثُ إليه الملك»، الملكُ اسم جنسٍ يُراد: به الملائكة الموكلُون بها في البطونِ.

۞ قوله: «فيؤذن بأربع كلمات»؛ أي يُعلم، يؤذن؛ أي يُعلم، كما قال تعالى: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾ [التوبة:٣]. أي: إعلامٌ بأربع كلمات.

۞ قوله: «فيكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد»، يكتب الملك هذه الأشياء الأربعة:

أولًا: الرزق: ولكن يُكتب الرزق بأسباب الرزق من أين يأتيه؟ بشراء إرثٍ، هباتٍ، يكتب الرزق.

ثانيًا: الأجل: يُكتب طويلٌ أو قصيرٌ.

ثالثًا: العمل: يُكتب عمل صالح أو عمل فاسد.

رابعًا: الشقي أو السعيد المآل، مآله إلى الشقاءِ أو مآله للسعادةِ، كل هذا يُكتب، ولكن نسأل، هل نحن عندنا علم بالمكتوب؟

الجوابُ: لا، ليس عندنا علم بما يكتب، الملك الموكل بذلك عنده علم متى سيموت هذا الرجل؟ كيف رزقه؟ كيف أجله؟ كيف عمله؟ كيف مآله؟ لكن نحن ليس عندنا علمٌ، ولهذا لا يمكن لأحد أن يحتج بهذا الحديث وما شابهه على معصية الله، لأننا نقول له لو احتج: ما الذي أعلمك أنك من الأشقياء؟ ما الذي أعلمك أن عملك سيِّءٌ؟ أنت الذي اخترت وأنت لا تعلم أن عملك سيء إلا بعد أن تفعل.

۞ قوله: «ثم ينفخ فيه الروح»، الروح من الأشياء التي لا تفنى إذا خلقها الله ﷻ فإنها لا تفنى؛ لأنها عند الموت تخرجُ من الجسد فقط وتُنعّم أو تعذَّب، ويوم القيامة تُردُّ إلى الجسد فهي من المخلوقات الدائمة التي خلقها الله ﷻ للبقاء ولذلك ليست من العناصر المعروفة، يعني: ليست من حديدٍ ولا من خشب ولا من طين، من عنصر الله أعلم به كما قال الله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء:٨٥]. ولهذا تجدها تتخلل البدن وتخرج منه في النوم من غير أن يشعر الإنسان، وترجع عند اليقظة من غير أن يشعر بشيء دخل فيه أو خرج منه، مع أنها لا شكَّ أنها تخرج؛ ولذلك يفقد الإحساس، وتعود ولذلك يعود الإحساس، فلهذا أمرها عجيب، فالروح أمرها عجيب، ومن ثَمَّ قطع الله ﷻ علينا الوصول إلى حقيقتها فقال: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

يقول في الحديث: «ثم ينفخ فيه الروح» والنفخ معروف، والنافخ: الملكُ، كيف ينفخُ الملكُ؟

نقول: هذا ليس لنا أن نسألَ عنه؛ لأن هذا أمرٌ غيبيٌّ وإذا كان الشيطانُ وهو عدوٌّ للإنسان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فالملك الذي يسير بأمر الله من باب أولى، والشيطان كذلك يسير بأمر الله،

لكنه ابتلاء وامتحان.

قوله: «**فإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل عمل أهل الجنة فيدخلها**»، هاتان الجملتان من أشد ما يكون إخافة للإنسان الذي يعمل بعمل أهل الجنة؛ لأنه لا يدري ماذا يُختم له، قد يعمل بعمل أهل الجنة حتى يكاد يصلها لا يبقى بينه وبينها إلا ذراع، وقد كُتب شقيًّا من أهل النار فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار.

والثاني بالعكس يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، ولكن قد ثبت في صحيح البخاري في قصة الرجل الذي كان في غزاة مع الرسول عليه الصلاة والسلام وكان مِقدامًا شجاعًا لا يدع للعدو شاذة ولا فاذة؛ يعني: إلا قضي عليها، فقال النبي: «**هذا من أهل النار**» مع أنه مجاهد، فعَظُم ذلك على الصحابة وكَبُر عليهم، فقال أحدهم: والله لألزمنه حتى أنظر ماذا يكون أمره، «**ألزمنه**»؛ يعني: أتابعه وأنظر مآله، يقول: فأصابه سهمٌ من العدو فجَزِع فوضع ذبابة سيفه على صدره واتكأ على السيف حتى خرج السيف من ظهره -نعوذ بالله- فقتل نفسه، فجاء الرجل في الصباح إلى النبي ﷺ وقال: أشهد أنك رسول الله، قال: «**ولِمَ؟**»: قال: الرجل الذي قلت فيه كذا وكذا، هذا ما فعل، فقال النبي ﷺ: «**إن الرجلَ ليعمل بعملِ أهلِ الجنةِ فيما يبدو للناسِ وهو من أهل النار**»[1] فهذا الحديث يُقيِّد حديث ابن مسعود، فيكون قولُه: «**حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع**»؛ أي حتى يَقربُ أجله وهو يعمل بعمل أهل النار أو بعمل أهل الجنة، فيكون قد سبق عليه الكتاب.

فإذا قال قائل: ما هو السبب؟ أليس الله تبارك وتعالى، قد سبقت رحمتُه غضبَه؟ أليس الله تعالى قال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء:١٤٧]؟ فهل من شكر الله أن يعمل له هذا الرجل إلى أن يبقى بينه وبين الموت هذا القدرُ، ثم يخجله الله؛ أين الشكر؟

الجوابُ: نقول: والله إن الله لشكورٌ عليمٌ، لكن هذا الرجل -نعوذ بالله- في قلبِه سرٌّ هو الذي أهلكه: إما مراءاة ناس أو أحقاد أو كره لبعض ما أنزل الله أو ما أشبه ذلك، هذا السر الذي لا يبدو للناس هو الذي خانه، أحوج ما يكون إليه، فأودى به إلى الهلاك، ولهذا يجب علينا أن نطهِّرَ قلوبَنا دائمًا وأن نحافظ على طهارتها وسلامتها أكثر مما نحافظ على ركن من أركان الصلاة أو شرط من شروط الصلاة، يعني الإنسان مِنَّا لا يكاد يُفرِّط في ركن من أركان الصلاة أو شرط من شروطها، لكن القلوب قد غبنا عنها لا نطهرها وهذا يُخشى علينا منه، نسأل الله أن يسلمنا منه، المسألة خطيرة، وبهذا الحديث الذي سقناه في قصة الرجل يرتاح الإنسان ويحافظ على قلبه وعلى سلامة قلبه حتى

---

(١) رواه البخاري (٦٤٩٣)، ومسلم (١١٢).

يوافق ظاهره باطنه ويسلم من سوء الخاتمة -نسأل الله العافية-.

أما العكس الذي يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة، فهذا كثير، ما أكثر الذين أسلموا في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ثمَّ ماتوا قريبًا من إسلامهم! ومنهم الأُصَيْري رجل من بني عبد الأشهل كان كافرًا مُعاديًا للدعوة الإسلامية، فلما سمع بالخروج يوم أُحد ألقى الله في قلبه الإسلام وخرج مع الناس للغزو في سبيل الله فَقُتل، فلما تتبع الناس قتلاهم بعد انفكاك المعركة وجدوا الأصيري، قالوا: ما الذي جاء بك ونحن قد عهدناك تكره هذا الأمر. أحُدَبٌ على قومك أم رغبة في الإسلام؟! قال: بل رغبة في الإسلام -ما شاء الله، انظروا إلى حسن الخاتمة- وبلغوا عني رسول الله ﷺ السلام وأخبروه، ثم مات من حينه، فهذا الرجل كان يعمل بعمل أهل النار، حتى لم يبق بينه وبينها إلا ذراع أو أقل، فخرج وقُتل شهيدًا في سبيل الله، فنسأل الله أن يكتب لنا ولكم الخاتمة وأن يُطهِّر قلوبنا وأن يجعل بواطننا خيرًا من ظواهرنا إنه على كل شيءٍ قدير.

****

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٥٥- حَدَّثَنَا خَلَّادُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ ذَرٍّ، سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَا جِبْرِيلُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا». فَنَزَلَتْ ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ [مريم:٦٤] إِلَى آخِرِ الآيَةِ. قَالَ هَذَا كَانَ الْجَوَابَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ.[1]

هذا الحديث فيه: اشتياقُ النبي ﷺ إلى زيارة جبريل؛ لأن الملائكة عباد الله عز وجل فيجب علينا أن نحبهم لله؛ لأنهم عباده، عبادٌ مكرمون ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء:٢٧]. فعرض عليه النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**ألا تزورنا**»، وفي لفظ «**ما يمنعك أن تزورَنا**» أكثر مما تزورنا، فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ...﴾ [مريم:٦٤]. قال: هذا كان الجوا بُ لمحمدٍ ﷺ، جوابًا من الله عن قول الرسول عليه الصلاة والسلام لجبريل: «**ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا**».

والشاهد في هذا الحديث: أن قولَه: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ﴾ [مريم:٦٤]. كلام، فهو كلام الله عز وجل حصل بعد أن قال النبي ﷺ لجبريل: «**ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا**».

****

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٥٦- حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي حَرْثٍ بِالْمَدِينَةِ وَهْوَ مُتَّكِئٌ عَلَى عَسِيبٍ، فَمَرَّ بِقَوْمٍ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ

---

[1] رواه البخاري (٧٤٥٥).

لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَسْأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ. فَسَأَلُوهُ عن الروح فَقَامَ مُتَوَكِّئًا عَلَى الْعَسِيبِ وَأَنَا خَلْفَهُ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ فَقَالَ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء:٨٥]. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ قَدْ قُلْنَا لَكُمْ لَا تَسْأَلُوهُ.[1]

هؤلاء اليهود يسألون الرسول ﷺ تعنتًا وتنطعًا لا أنهم يريدون أن يرجعوا إلى حكمه؛ لقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المائدة:٤٣]. فهم لا يحكّمون الرسولَ عليه الصلاة والسلام ولا يسألونه إلا تعنتًا، ولهذا اختلفوا هل يسألونه عن الروح أوْ لا؟ فقال بعضهم: سلوه، وقال بعضهم: لا تسألونه، والمراد بالروح هنا: نفس الإنسانِ وهي الروح التي في البدن، وهي من أمر الله عز وجل لا يمكن للإنسان أن يدرك كنهها وحقيقتها، لكن يعرف ذلك بآثارها، وقد ثبت عن النبي ﷺ أن الروح تُقبض وتُكفَّن وأن الميت يراها يتبعها بصره إذا توفي[2] وهذا يدل على أنها ذات جُرم، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في الروح، أنها جسم لطيف لا يشبه هذه الأجسام وليس من مادة منها هذه الأجسام -والله أعلم- بكيفيتها وحقيقتها.

وقال بعض المتكلمين إن الروح صفةٌ من صفات البدن كالمرض والصحة والقوة والنشاط والضعف وما أشبه ذلك.

وقال بعضهم: هي جزء من أجزاء البدن.

وقال بعضهم: هي الدمُ.

وقال بعضهم: هي البدن، واضطربوا فيها، وسبب اضطرابهم أنهم لم يبلغهم ما جاء في الكتاب والسنة عن هذه الروح، وقالت الفلاسفة: الروح ليس داخل العالم ولا خارجه، ولا متصلًا بالبدن ولا منفصلًا عنه، ولا مباينًا للبدنِ، ولا فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال، وصفوها بالعدم كما وصفوا الله بالعدم.

فسببُ اضطرابِ هؤلاء وهؤلاء أنهم لم يدركوا ما جاء في الكتابِ والسنةِ من صفاتِها، ولهذا قال شيخُ الإسلام رحمه الله: المتكلمون بالنسبة للروح ممثلةٌ، والفلاسفةُ معطلةٌ، وصدق رحمه الله، هؤلاء ألحقوها بالأجسامِ، وهؤلاء وصفوها بالعدمِ المحضِ، أما نحن فنقول: هي من أمر الله، وأمرها عجيب ولا يمكن إدراك حقيقتها ولا كنهها، ونعلم أنها ليست من المادة التي خُلق منها الجسد، وليس لنا أكثر من ذلك.

✿ قوله: «وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا»، الخطاب للناس كلهم ما أوتوا من العلمِ إلا قليلًا،

(١) رواه البخاري (٧٤٥٦)، ومسلم (٢٧٩٤).
(٢) رواه مسلم (٩٢٠).

وكان في هذا توبيخٌ لهم، يعني: كأنه يقول: ما فاتكم من العلمِ إلا الروح تسألون عنها، فاتكم شيءٌ كثيرٌ، «ما أوتيتم من العلم إلا قليلًا»، وصدق الله، ما أكثر ما يخفى علينا مما هو بين أيدينا، الكتاب والسنة الآن بين أيدينا ويخفى علينا شيءٌ كثيرٌ من أحكامهم، نحن نعيش في وسط مجتمعٍ ويخفى علينا كثيرٌ من المجتمع، بل الإنسان يعيش في أهله في عشٍّ محصورٍ ومع ذلك يخفى عليه شيءٌ كثيرٌ من أهلِه، إذا ما أوتينا من العلم إلا قليلًا كما قال ربنا ﷻ.

قال بعضهم لبعض: قد قلنا لكم لا تسألوا، وكأنهم تنادموا فيما بينهم؛ لأنهم يُفسرون الروح بغير ذلك، هذا هو الذي يظهر.

فإن قيل: هل الذي يَسْأَل تعنتًا تَجِبُ إجابتُه؟

فالجوابُ: لا؛ لأن الله تعالى خيَّر النَّبيَّ ﷺ في ذلك فقال: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [المائدة:٤٢]. فإذا علِمنا أن الرجلَ لا يَسْأَلُ إلا تعنتًا -يَعْنِي: يُرِيدُ الاشقاق على المسئولِ- فإن الإنسانَ بالخيارِ، وإلا فالأصلُ أن مَن سألك عن علمٍ وجَبت عليك إجابتُه؛ لأن كتمانَ العلمِ محرمٌ، ومن كبائرِ الذنوبِ.

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٥٧- حَدَّثَنَا إسماعيلُ، حَدَّثَنِي مالكٌ، عن أبي الزنادِ، عن الأعرجِ، عن أبي هريرةَ أن رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «تكفَّلَ اللهُ لمنْ جاهَدَ في سبيلِهِ لا يُخْرِجُه إلا الجهادُ في سَبيلِه، وتصديقُ كلماتِه، بأنْ يُدْخِلَهُ الجنَّةَ، أو يُرْجِعَه إلى مسكنِه الَّذِي خرَجَ منه مع ما نَالَ من أجْرٍ أوْ غَنِيمَةٍ»[1].

۞ وقولُه: «تكفَّل». بمعنى ضمِن؛ أي: ضمِن اللهُ لمن جَاهَد في سبيلِه بهذا الشرطِ لا يُخرِجُه إلا الجهادُ في سبيلِ الله، وتصديقُ كلماتِه؛ أي: كلماتِه الشرعيةِ بأن من قَاتَل في سبيلِ الله ثم قُتِل فله الجنةُ.

۞ وقولُه: «إلا جهادًا في سبيلِه». الجهادُ في سبيلِ الله هو القتالُ لِتكُونَ كلمةُ الله هي العليا، فمن قَاتَل حميةً، أو قَاتَل شجاعةً، أو قَاتَل رياءً فليس في سبيلِ الله، بل من قَاتَل لِتكُونَ كلمةُ الله هي العليا فهو في سبيلِ الله، وهذا هو الذي ضمِن اللهُ له أن يُدْخِلَه الجنةَ، أو يُرْجِعَه إلى مسكنِه الذي خرج منه إذا لم يُقْتَل مع ما نال من أجرٍ أو غنيمةٍ.

۞ قوله: «من أجر». إذا كان قصده أن تكون كلمة الله هي العليا.

۞ وقولُه: «أو غنيمةٍ». أي: إن ذلك كان في رياءٍ، ولكنَّ هذا التقدير يُشْكِلُ؛ لأنه يُعَارِضُ قولَه في أولِ الحديثِ: «لا يُخْرِجُه إلا الجهادُ في سبيلِه». فكيف يُقَالُ: «من أجرٍ أو غنيمةٍ»؟

إن «أو» هنا بمعنى الواو؛ أي: من أجرٍ وغنيمةٍ. فمن أجرٍ؛ أي: ثوابٍ في الآخرةِ، وغنيمةٍ أي: في الدنيا.

---

(١) رواه مسلم (١٨٧٦).

قَالَ العيني في «عمدة القاري»:

✿قولُه: «تَكَفَّلَ اللهُ». من بابِ التشبيهِ كالكفيل؛ أي: كأنه أَقْرَن بملابسةِ الشهادةِ إدخالَ الجنةِ، وبملابسةِ السلامةِ المرجعَ بالأجرِ والغنيمةِ؛ أي: أَوْجَب تفضلًا على ذاتِه؛ يَعْني: لا يَخْلُو من الشهادةِ أو السلامةِ.

فعلى الأولِ: يَدْخُلُ الجنةَ بعد الشهادةِ في الحالِ.

وعلى الثاني: لا يَنْفَكُّ عن أجرٍ أو غنيمةٍ مع جوازِ الاجتماعِ بينهما، إذ هي قضيةٌ مانعةُ الخلوِّ، لا مانعةُ الجمع. اهـ

[يَعْنِي: «أو» هنا مانعةُ الخلوِّ لا مانعةُ الجمعِ، وهذا الكلامُ يُشْبِهُ قولَ النَّحْويين: إنَّ «أو» تأتي للتخييرِ أو للإباحةِ، والفرقُ بينهما أن التخييرَ يَمْتَنِعُ فيه الجمعُ بين الأُمُورِ المُخَيرِ بينها، والإباحةُ يَجُوزُ فيها الجمعُ، فإذا قلت: تزوَّج هندًا أو أختَها. فهذا تخييرٌ.

وإذا قلت: كُلْ خبزًا أو أُرْزًا مثلًا. فهذه إباحةٌ، ويُمْكِنُ أن يُجْمَعَ بينهما.

✿إذًا قولُه: «من أجرٍ أو غنيمةٍ» يَعْنِي: إما أجرٌ وحدَه، أو غنيمةٌ وحدَها، أو هما جميعًا.

لكن الغنيمةَ وحدَها يُشْكِلُ عليه ما ذكَرنا من أن أصلَ خروجِه كان للجهادِ في سبيلِ الله] [(١)].

وقال الكرمانيُّ: المؤمنونَ كلُّهم يُدْخِلُهم الجنةَ، ثم أجاب بقولِه؛ يَعْني: يُدْخِلُهم عند موتِهم، أو عند دخولِ السابقينَ بلا حسابٍ ولا عذابٍ.

✿قولُه: «أو يَرْجِعَه». بفتحِ الياءِ؛ لأنه متعدٍّ. انتهى

***

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٤٥٨- حَدَّثَنَا محمدُ بنُ كثير، حَدَّثَنا سفيانُ، عن الأعمشِ، عن أبي وائلٍ، عن أبي موسى قَالَ: جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: «الرَّجلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً، ويُقَاتِلُ شجاعةً، ويُقَاتِلُ رياءً، فأيُّ ذلك في سبيلِ الله؟ قَالَ: مَنْ قَاتَلَ لِتكُونَ كلمةُ اللهِ هيَ العُلْيَا فهو في سبيلِ الله» [(٢)].

الشاهدُ من هذا الحديثِ قولُه: «لِتَكُونَ كلمةُ اللهِ هي العُليا». فأَثْبَتَ للهِ تعالى كلمةً.

وكلماتُه عَزَّ وَجَلَّ كونيةٌ وشرعيةٌ، فالكونيةُ هي المتعلقةُ بالخلقِ والتكوينِ، والشرعيةُ هي المتعلقةُ بالتكليفِ؛ أي:س ما جاءت به الرسلُ فهي كلماتٌ شرعيةٌ كالقرآنِ.

والكلماتُ الكونيةُ هي ما يتعَلَّقُ بالخلقِ والتكوينِ، وهي مثلُ قولِه تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس: ٨٢]. فقولُه: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩﴾ [الأنبياء: ٦٩]. فهذه كلماتٌ كونيةٌ.

أما قولُه: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ...﴾ [البقرة: ١٣٦]. فهذه شرعيةٌ.

---

(١) ما بين معقوفين من كلام الشيخ العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) رواه مسلم (١٩٠٤).

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٩- بابُ قولِ الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾ [النحل: ٤٠].

۞ قولُه: «إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ» لا يَخْفَى ما في هذا التعبيرِ من التعظيمِ والعظمةِ والسلطانِ؛ لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا يرده شيءٌ فإذا أراد شيئًا فلا مانعَ له، ولهذا عظَّم نفسَه سبحانه فقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ يَعْنِي: كُنْ على مرادِنا فيكُونُ على مرادِ الله عَزَّ وَجَلَّ.

والشاهدُ من هذه الترجمةِ: إثباتُ القولِ لله عَزَّ وَجَلَّ، واللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يقُولُ ويتكلَّمُ كما جاء في القرآنِ الكريمِ.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٥٩- حَدَّثَنَا شهابُ بنُ عبادٍ، حَدَّثَنَا إبراهيمُ بنُ حميدٍ، عن إسماعيلَ، عن قيسٍ، عن المغيرةِ بنِ شعبةَ قَالَ: سمعت النَّبيَّ ﷺ يقُولُ: «لا يزَالُ مِنْ أُمَّتِي قَوْمٌ ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ حتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ»[1].

٧٤٦٠- حَدَّثَنَا الحميديُّ، حَدَّثَنَا الوليدُ بنُ مسلم، حَدَّثَنَا ابنُ جابرٍ، حَدَّثَني عميرُ بنُ هانئٍ أنه سمِع معاويةَ قَالَ: سمعت النَّبيَّ ﷺ يقُولُ: لا يَزَالُ من أمتي أُمَّةٌ قائمةٌ بأمرِ الله، ما يَضُرُّهُمْ مَنْ كَذَّبَهُمْ، ولا مَنْ خَالَفهم، حتَّى يَأْتِيَ أمرُ الله وهم عَلَى ذلك.

فقال مالكُ بنُ يُخَامِرٍ: سمعت معاذًا يَقُولُ: وهم بالشأمِ. فقال معاويةُ: هذا مالكٌ يَزْعُم أنه سمِع معاذًا يَقُولُ: وهم بالشأمِ.

۞ هذانِ الحديثانِ الشاهدُ فيهما للبابِ: قولُه «حتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله»، والمرادُ بأمرِ الله هنا الأمرُ الكونيُّ؛ يَعْنِي: أَمْرَ الله تعالى بموتِهم وهلاكِهم، وفي حديثٍ آخرَ: «حتَّى تَقُومَ الساعةُ». والجمعُ بينهما أن يُقَالَ: إما أن يُرَادَ بالساعةِ الساعةُ العامةُ التي تَقُومُ على جميعِ الخلائقِ، ويَكُونُ معنى قولِه: «حتَّى تَقُومَ الساعةُ». أي: حتَّى يَقْرُبَ قيامُها؛ وذلك لأن قيامَ الساعةِ لا يَكُونُ إلا على شرارِ الخلقِ[2]، فلا تَقُومُ الساعةُ وفي الأرضِ مَن يَقُولُ: اللهُ اللهُ[3].

۞ وإما أن يُرَادَ بالساعةِ في قولِه: «حتَّى تَقُومَ الساعةُ»؛ أي: ساعتُهم. وهو موتُهم؛ لأن مَن مات فقد قامَت قيامتُه، ولهذا يُقَالُ: القيامةُ قيامتانِ: قيامةٌ صغرى وهي قيامةُ كلِّ إنسانٍ بحسبِه، وقيامةٌ كبرى وهي القيامةُ العامةُ.

۞ وفي قولِه ﷺ: «لا يَضُرُّهم مَن كذَّبهم ولا من خالَفهم». بُشْرَى لهذه الطائفةِ أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَيَنْصُرُها، وأنه سَيَكُونُ لها من يُقَاوِمُ، يَكُونُ لها من يُكَذِّب ومن يُخَالِفُ، ولكنهم مع ذلك يَثْبُتُونَ

---

(١) رواه مسلم (١٩٢١).

(٢) رواه مسلم (٢٩٤٩).

(٣) رواه مسلم (١٤٨).

على ما هم عليه، ويَقُومُونَ بأمرِ اللهِ.

وقولُه في الحديثِ الأولِ: «ظاهرين على الناسِ». أي: عالين عليهم.

وهل المرادُ: علوُّ السلطةِ وأنهم يَكُونُونَ هم الخلفاءَ عليهم، أو المرادُ علوُّ القولِ، بمعنى: أن الناسَ يُحَاوِلُونَ إضلالَهم ولكنهم يَبْقُونَ ظاهرينَ قائمينَ؟

نَقُولُ: الثاني أَوْلَى؛ لأنه قد لا يَكُونُ لهم سلطانٌ يَمْلِكُونَ به الناسَ، لكنهم ظاهرون بقيامِهم بأمرِ اللهِ ﷻ، لا يَضُرُّهم من خالفهم، ولا من كذَّبهم.

۞ أما قولُه: «وهم بالشام». فهذه تَحْتَاجُ إلى تحريرٍ؛ لأن روايةَ معاذٍ ليس فيها ذكرُ الشام، ولكِنَّ مالكًا يَقُولُ: إنه سمع معاذًا ﷺ يَقُولُ: «وهم بالشام». فيجِبُ النظرُ هل هذه الكلمةُ موقوفةٌ على معاذٍ ﷺ، أو هي مرفوعةٌ إلى النَّبِيِّ ﷺ، ولكن لم أَتَمَكَّنْ من مراجعتها.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٤٦١- حَدَّثَنَا أبو اليمانِ، أَخْبَرَنا شعيبٌ، عن عبدِ الله بنِ أبي حسين، حَدَّثَنَا نافعُ بنُ جبيرٍ، عن ابنِ عباسٍ قَالَ: وقفَ النَّبِيُّ ﷺ على مُسَيْلِمَةَ في أصحابِه فقال: «لَوْ سَأَلْتَنِي هذه القطعةَ ما أَعْطَيْتُكَهَا، ولن تَعْدُوَ أَمْرَ الله فيكَ، ولئن أدبرتَ لَيَعْقِرَنَّكَ اللهُ»[1].

اللهُ أكبرُ هذا الكلامُ قويٌّ؛ لأنه كلامٌ حقٌّ أمامَ مبطلٍ، وهذا المبطلُ هو مسيلمةُ الكذابُ، ويُقالُ له: كذابُ اليمامةِ، وكان ذا شرفٍ وسلطانٍ في قومِه، حتَّى إنهم يُطْلِقُونَ عليه رحمانَ اليمامةِ، ولما أخذ هذا الاسم من أسماءِ اللهِ لنفسِه أذاقَه اللهُ الذلَّ وكذَّبه ﷻ، فإنه ادَّعى الرسالةَ في آخرِ حياةِ النَّبِيِّ ﷺ، وتبعه من قومِه فئامٌ من الناسِ، ووفدَ إلى النَّبِيِّ ﷺ في نحوِ سبعينَ رجلًا من أصحابِه، وأتى إليه النَّبِيُّ ووقفَ عليه، فخاطَبه مسيلمةُ وقال: أَقِرَّ لي بالرسالةِ ولكَ الحجازُ وما حوله، ولي اليمامةُ وما يَتْبَعُها، وكان مع النَّبِيِّ ﷺ قطعةٌ من جريدٍ فقال: **«لو سألتني هذه القطعةَ ما أعطيتُكَها»**؛ يَعْنِي: فكيف أُعْطِيكَ اليمامَةَ.

۞ ثم قَالَ: **«ولن تَعْدُو أمرَ الله فيك»**. وهذا هو الشاهدُ من هذا الحديثِ: **«أمرَ الله فيك»** أي: أمرَه بهلاكِك، وهو الأمرُ الكونيُّ.

۞ ثم قَالَ ﷺ: **«ولئن أَدْبَرت لَيَعْقِرَنَّك اللهُ»**. وبالفعل أَدْبَرَ الرجلُ فعقَره اللهُ وللهِ الحمدُ، وقتِل في عهدِ أبي بكرٍ ﷺ في يمامتِه وفي حصنِه، وقتَله الصحابةُ ﷺ[2]، وتبيَّن بذلك كذبُه.

وقد أعطاه اللهُ ﷻ آياتٍ، لكنها آياتٌ تَدُلُّ على كذبِه لا على صدقِه، ومن هذا ما ذكَره المؤرخونَ أنه أُتِيَ إليه بصبيٍّ في شعرِه تمزقٌ؛ أي: تالفٌ بعضُه، فطُلِبَ منه أن يَمْسَحَ على رأسِه ليُخْرِجَ بقيةَ

---

(١) رواه مسلم (٢٢٧٣).

(٢) انظر: القصة بتمامها عند البخاري (٤٠٧٢).

الشعرِ، فمسحَ عليه، فأراهم اللهُ آيةً تَدُلُّ على كذبِه فتَساقَطَ الشعرُ الباقي.

وموقفٌ آخرُ قريبٌ من هذا أيضًا فقد جاء أصحابُ بئرٍ، وقالوا: إن البئرَ قد نقصت، وطَلَبوا منه أن يَفْعَلَ كما فعَل الرسولُ ﷺ في بئرِ الحديبيةِ، حيث نزَل على بئرٍ غائرةِ الماءِ، فأخذ ماء فتمَضْمَضَ به ومجَّه فيها فجاشَت البئرُ بالماءِ ورووا الناسُ، فجيء لهذا الكذابِ وطُلِب منه أن يَفْعَلَ كما فعَل الرسولُ ﷺ، فأخَذ ماءً في فمِه فتمَضْمَضَ به، ثم مجَّه في البئرِ فغار الماءُ الموجودُ بعدما كانوا يَترقَّبونَ أن يَجِيشَ بالماءِ[1].

وهذه شهادةٌ من الله فعليةٌ على كذبِه؛ لأن فعلَ اللهِ ﷻ والذي يكُونُ شهادةً إما أن يكُونَ تأييدًا، أو تفنيدًا، فإن كان تأييدًا فهو شهادةٌ من الله على الصدقِ، وإن كان تفنيدًا فهو شهادةٌ من الله على كذبِه.

والشاهد من هذا الحديثِ: قولُه: «ولن تَعْدُو أمرَ الله فيك». وهذا هو الذي وقَع، فإن هذا الرجلَ الكذابَ لم يَعْدُ أمرَ الله فيه، وأهلكَه اللهُ ﷻ على يدِ أصحابِ النَّبيِّ ﷺ.

وفي هذا: دليلٌ على أن أفعالَ الله ﷻ لا تَنْحَصِرُ بشيءٍ معينٍ، وأن كلَّ ما صحَّ أن يُضافَ إلى الله وإن لم يَرِدْ به نصٌّ فإنه جائزٌ، فإن النَّبيَّ ﷺ قَالَ هذا: «لَيَعْقِرَنَّك اللهُ»، فأثْبَتَ لله العقرَ، ولا شكَّ أن المرادَ بالعقرِ هنا عقرُ إهلاكٍ، كما قَالَ تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾ [الشمس:١٤-١٥].

****

ثُمَّ قَالَ البُخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٦٢ - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ، عَنْ الأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَن ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ حَرْثِ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَسِيبٍ مَعَهُ، فَمَرَرْنَا عَلَى نَفَرٍ مِن الْيَهُودِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنْ الرُّوحِ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَسْأَلُوهُ أَنْ يَجِيءَ فِيهِ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَنَسْأَلَنَّهُ. فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا الرُّوحُ؟ فَسَكَتَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ فَقَالَ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وما أُوتُوا مِنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٨٥]. قَالَ الأَعْمَشُ هَكَذَا فِي قِرَاءَتِنَا[2].

الشاهدُ من هذا الحديثِ: قولُه تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾؛ أي: من أمرِه الكونيِّ، فهو ﷻ يَخْلُقُ ما يَشاءُ، كما قَالَ تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:٦٨]. فهو سبحانه يَخلُقُ ما يَشاءُ، من أي مادةٍ شاء، وعلى أيِّ صفةٍ شاء؛ لأن الأمرَ كلَّه لله. قَالَ ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٤].

وفي هذا: دليلٌ على أن الرسولَ ﷺ لا يَتكلَّمُ بما لا يَعْلَمُ، وأن الأمورَ الغيبيةَ يَسكُتُ عنها حتَّى يَنْزِلَ عليه

---

(١) انظر: «معجم البلدان» (٥/ ٤٠٥)، و«البداية والنهاية» (٦/ ٣٢٧).

(٢) رواه مسلم (٢٧٩٤).

الوحيُ، أما الأمورُ الحُكميةُ فإنه يتكلَّمُ فيها، ثم إذا لم ينْزِلْ وحيٌ بنقضِها صار ذلك بمنزلةِ الموحى، فيكُونُ وحيَ إقرارٍ من الله عَجَّلَ، وإن نزَل ما يُخَصِّصُ ما قاله، أو يُقيِّدُه، أو ما أشبهَ ذلك، عُمِل به.

وقولُ الأعمشِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هكذا في قراءتِنا». نَقُولُ: ولكن هذه القراءةَ ليست سبعيةً -قراءةَ ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبعد أن وحَّد عثمانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المصحفَ صارت القراءةُ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

***

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٠- باب قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف:١٠٩]، ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان:٢٧]، ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف:٥٤]. **سَخَّرَ: ذَلَّلَ.**

هذه الترجمةُ فيها: عدةُ مسائلَ، ولكنها كلُّها تعُودُ إلى كلماتِ الله عَجَّلَ.

فإن قيل: هل كلماتُ الله محصورةٌ؟

فالجواب أن نقولُ: هل أفعالُ الله وخلقُه محصورةٌ؟ نَقُولُ: قطعًا لا، فهو كلما خلقَ شيئًا قَالَ له: كُنْ فيَكُونُ، فكلُّ شيءٍ مخلوقٍ فإنه مسبوقٌ بكلمةِ كن، إذًا لا حصرَ لكلماتِه عَجَّلَ، ولهذا قَالَ اللهُ تعالى مبينًا ذلك: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾، فلو كان البحرُ حبرًا والمدادُ: الحبرُ الذي يُكْتَبُ به، ومدادًا لكلماتِ الله لنفِد قبل أن تَنْفَد كلماتُ الله؛ لأنها لا تحصى، فكما أنه سبحانه لا تُحْصَى أفعالُه فكذلك لا تُحْصَى أقوالُه عَجَّلَ.

ثم قَالَ عَجَّلَ: «﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾»، فلو جِئنَا بمثلِه مددًا لهذا البحرِ من الحبرِ لنَفَد قبل أن تَنْفَدَ كلماتُ الله.

والآيةُ الثانيةُ التي ذكَرها مثلُها أو أشدُّ، قَالَ تعالى: «﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾» «ما» في قولِه: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا﴾ اسمُ «أن» في محلِّ نصبٍ، وأقلامٌ خبرُ أن، وتقديرُ الآية في المعنى: لو كان ما في الأرض من الأشجارِ أقلامًا؛ يَعْنِي: لو جعَلت كلَّ الأشجار أقلامًا.

ثم قَالَ: «﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾»؛ أي: يُصْبِحُ الجميعُ ثمانيةَ أبحرٍ على هذا البحرِ العظيمِ، وكلُّ ما في الأرضِ من شجرٍ أقلامٌ، وكتِب بها. يَقُولُ عَجَّلَ: ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾. فسبحان الله، إذا تأمَّل الإنسانُ مثلَ هذه الآيةِ عَرَفَ عظمةَ الله عَجَّلَ عَجَّلَ، وأنه كما وصَف نفسَه سبحانه في كلِّ صفاتِه، وفي كلِّ أفعالِه، لا يُمْكِنُ أن تُحْصَى أبدًا.

ثم ساق المؤلفُ آيةً ثالثةً وهي: «﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾» وقد سبقَ الكلامُ على هذا كلِّه، وأن الله سبحانه خلقَها في ستةِ أيامٍ، الأربعةُ الأولى

للأرضِ، واليومانِ المتمانِ للستةِ للسماءِ. ثم استوى سبحانه على العرشِ؛ أي: بعدَ أن كمُل الملكُ استقرَّ وعلا ﷻ على عرشِه؛ لكمالِ عظمتِه وسلطانِه.

ثم قَالَ: «﴿يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾» يُغْشِي؛ أي: يُغطِّي الليلَ بالنهارِ، ويُغطِّي النهارَ بالليلِ.

ثم قَالَ: «﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾»؛ يَعْنِي: يَطْلُبُ الليلُ النهارَ حثيثًا؛ أي: سريعًا، فلا فاصلَ بينهما، ولذلك نَرَى أن الليلَ يَبِينُ في الأفقِ قبلَ أن تَغيبَ الشمسُ، فقبل أن تَغِيبَ الشمسُ، تَجِدُ سوادَ الليلِ في الأفقِ الشرقيِّ، وأنت ما زِلْتَ تُشاهِدُ الشمسَ لم تَغْرُبْ، وكأنه يسابقه ويلاحقه لا يتأخر.

وتَعاقُبُ الليلِ والنهارِ من آياتِ اللهِ ﷻ التي لا يستطيعُ البشرُ أن يَقُومُوا بها، قَالَ تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [القصص:٧١-٧٢]. فالليل والنهارُ يَتعاقَبانِ ويَطْلُبُ كلُّ واحدٍ منهما الآخرَ طلبًا حثيثًا.

وقولُه: «﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾». هذه معطوفةٌ على قولِه ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يَعْنِي: وخلَق الشمسَ والقمرَ، وذكَر الشمسَ؛ لأنها آيةُ النهارِ، وذكَر القمرَ؛ لأنه آيةُ الليلِ قَالَ سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء:١٢].

ثم قَالَ: «﴿وَٱلنُّجُومَ﴾»؛ يعْنِي: وخلقَ النجومَ ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ وقولُه: ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾ حال من النجوم، ولا يَجُوزُ أن تَكُونَ صفةً؛ لأن الصفةَ يَجِبُ أن تَتْبَعَ الموصوفَ في التعريفِ والتنكيرِ، وهنا النجومُ معرفةٌ ومسخراتٌ مُنكَّرة، فإذا أَتَت المنكرةُ بعد المعرفةِ منصوبةً فهي حالٌ.

وقولُه: «﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾»؛ أي: مزللاتٌ. بأمرِه الكونيِّ، فقد أمَرها ﷻ أن تَكُونَ على ما أَرادَ فكانت على ما أَراد سبحانه.

ثم قَالَ: «﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾» «ألا» أداةُ استفتاحٍ يُؤْتَى بها للتنبيه والتحقيقِ.

وقولُه: «﴿لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾». جملةٌ مكونةٌ من مبتدإٍ وخبرٍ، قُدِّم فيها الخبرُ للاختصاصِ؛ يَعْنِي: ألا له وحدَه الخلقُ والأمرُ، فهو الخالقُ وحدَه، وهو الآمِرُ وحدَه، فهو ذو السلطانِ وحدَه، قَالَ ابنُ عمرَ: مَن كان له شيءٌ فَلْيَدَعْهُ ما دام الخلقُ والأمرُ للهِ، فكلِ شيءِ للهِ ﷻ.

ثم قَالَ سبحانه: «﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾». قولُه: ﴿تَبَارَكَ﴾ قَالَ العلماءُ: أي: أن البركةَ تكُونُ باسمِه ﷻ وذكرِه. ولهذا تَجِدُ الإنسانَ إذا سمَّى على الذبيحةِ حلَّت، وإذا لم يُسَمِّ عليها لم تَحِلَّ، فهذا من البركةِ، وإذا سمَّيت اللهَ على الطعامِ نزَلت فيه البركةُ، وعجَز الشيطانُ أن يَتَناولَ منه، وإذا لم تُسَمِّ نزَل فيه الفشلُ، وشَاركك الشيطانُ فيه، كذلك إذا سمَّيت عند إتيانِ الأهلِ نزَلت البركةُ، ولم يُصِبِ الشيطانُ ما يُقَدَّرُ بينكما بضررٍ، وإذا لم تَفْعَلْ فإنه على خطرٍ، فهو ﷻ تُنالُ البركةُ بذكرِ اسمِه سبحانه.

والبركةُ هي الخيرُ الثابتُ الواسعُ، وأصلُها من البِرْكةِ، وهي حوضُ الماءِ الكثيفِ الذي يَجْتَمِعُ فيه الماءُ.

وقولُه: «﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾» العالَمُ كلُّ ما سوى اللهِ ﷻ فهو عالَمٌ، وجُمِع باعتبارِ الأجناسِ، ويُفْرَدُ

باعتبارِ الجنسِ، فيُقَالُ: العالَمُ كلُّه. ويُقَالُ: العالَمونَ، والعالمينَ. باعتبارِ الأجناسِ.

ومعنى كونِه ربَّهم أنه الخالقُ لهم، المالكُ لهم، المدبرُ لأمورِهم؛ لأن هذا هو معنى الربوبيةِ.

والشاهدُ في هذه الآيةِ: قولُه تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ لأن الأمرَ لا يَكُونُ إلا بالكلماتِ، ومذهبُ أهلِ السنةِ والجماعةِ في كلامِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أنه صفةٌ من صفاتِه، صفةٌ ذاتيةٌ باعتبارٍ، وصفةٌ فعليةٌ باعتبارٍ.

أما كونُها ذاتيةً باعتبارٍ، فهو باعتبارِ أنه لم يَزَلْ ولا يَزَالُ متكلمًا، وتَكُونُ الصفةُ بهذا الاعتبارِ ذاتيةً ملازمةً للذاتِ، لم يَأْتِ عليه تَعَالَى وقتٌ يَكُونُ غيرَ متكلمٍ، بل هو متكلمٌ دائمًا، فله دوامُ الفعلِ ودوامُ الخلقِ، كما سبَق.

وتَكُونُ صفةَ فعلٍ باعتبارِ آحادِه التي تَكُونُ عند فعلِ مرادِه، أو عند نزولِ شرعِه، فتَكُونُ عند فعلِ مرادِه إذا أراد أن يَخْلُقَ شيئًا قَالَ: كُنْ. أو عند نزولِ شرعِه، فإذا أراد عَزَّ وَجَلَّ أن يُنَزِّلَ ما شاء من الشرعِ تكلَّم به، وإذا تكلَّم اللهُ سبحانه بالوحيِ ارتجفت السماءُ وصَعِقت الملائكةُ، هذا هو مذهبُ أهلِ السنةِ والجماعةِ.

وهو بحرفٍ وبصوتٍ، ودليلُ ذلك أن كلَّ الكلماتِ التي يَطْلُقُ اللهُ عليها كلماتٍ هو بالحرفِ كقولِه تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾ [الأنبياء:٦٩]. فهذه الجملُ حروفٌ، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة:١١٦]. فهذه أيضًا حروفٌ.

ويكون كذلك بصوتٍ؛ لأنه يُسْمَعُ، فقد سمِعه جبريلُ، وسمِعه محمدٌ ﷺ، وسمِعه موسى، قَالَ اللهُ تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ۝٥٢﴾ [مريم:٥٢]. والنداءُ يَكُونُ بصوتٍ عالٍ، والمناجاةُ تَكُونُ بصوتٍ أخفَّ، والمناداةُ والمناجاةُ وصفٌ للصوتِ.

وثبتَ في «الصحيحين» أن اللهَ تعالى يَقُولُ يومَ القيامةِ: «يا آدمُ. فيَقُولُ: لبيكَ وسَعْديكَ. فيُنَادِي بصوتٍ: إن اللهَ يَأْمُرُكَ أن تُخرِجَ من ذريتِك بعثًا إلى النارِ. فيَقُولُ: يا ربِّ وما بعثُ النارِ؟ قَالَ: من كلِّ ألفٍ تسعمائةٍ وتسعةٌ وتسعونَ». ألفٌ إلا واحدٌ كلُّهم في النارِ من بني آدمَ[1]. نَسْأَلُ اللهَ أن يُنَجِّينا وإيَّاكم منها، فهذا صريحٌ في أنه عَزَّ وَجَلَّ يُنَادِي بصوتٍ، وهو مذهبُ أهلِ السنةِ والجماعةِ.

وقالت الأشاعرةُ: إنَ كلامَ اللهِ تعالى هو المعنى النفسيُّ، أي: المعنى الذي في نفسِه، وهو غيرُ مسموعٍ، وليس بحرفٍ، وليس بصوتٍ، ومن زعمَ أنه بحرفٍ وصوتٍ فإنه مجسِّمٌ مشبِّهٌ ضالٌّ.

نَقُولُ: إذًا كيف سمِع موسى كلامَ اللهِ؟ وأنتم تَقُولُونَ: إنه صفةٌ نفسيةٌ أزليةٌ، وكيف سمِع محمدٌ ﷺ كلامَ ربِّه وهو يَفرِضُ عليه الصلواتِ الخمسَ فوق السمواتِ السبعِ؟

قالوا: خلَق صوتًا سمِعه موسى، وهو إما من الشجرةِ، أو من الوادي، أو من أيِّ شيءٍ آخرَ، المهم أنه خلَق صوتًا سمِعه موسى، وخلَق صوتًا سمِعه محمدٌ ﷺ.

---

(١) رواه البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢).

وعلى هذا يَكُونُ الصوتُ المسمُوعُ الذي يُلَقَّى إلى جبريـلَ، أو إلى موسى، أو إلى محمـدٍ، أو إلى غيرِهم، ممن كلَّمه اللهُ، يَكُونُ مخلوقًا.

قلنا لهم: وهل هذا الصوتُ المخلوقُ هو كلامُ اللهِ؟

قالوا: لا، بل هو عبارةٌ عن كلامِ اللهِ، أما كلامُ اللهِ فهو المعنى القائمُ بالنفسِ.

وبهذا التقديرِ يَتَبَيَّنُ تمامًا أن مذهبَهم فيما يُسْمَعُ كمذهبِ الجهميةِ تمامًا؛ لأن الجهميةَ يَقُولُونَ: ما سمِعه موسى، أو محمدٌ ﷺ، أو جبريلُ، فإنه مخلوقٌ، وهؤلاءِ يَقُولُونَ أيـضًا: مـا سـمِعه محمـدٌ أو موسى أو جبريلُ فإنه مخلوقٌ. فاتَّفق الجميعُ على أنه مخلوقٌ، لكنَّ المعتزلةَ كانوا أقومَ مـنهم حيث قالوا: إنه كلامُ اللهِ. وهؤلاءِ قالوا: إنه عبارةٌ عن كلامِ اللهِ، فالجميعُ عـلى هـذا متَّفقـونَ عـلى أن مـا في المصحفِ مخلوقٌ، لكن الجهميةَ قالوا: مخلوقٌ تمامًا وهو نفسُ الكلامِ، وهؤلاءِ قالوا: هو مخلـوقٌ عبارةٌ عن كلامِ اللهِ، وليس هو كلامَ اللهِ.

فتبيَّن أن قولَ الجهميةِ أسَدُّ من قولِ الأشاعرةِ، وأن هذا القولَ لا صحةَ له، لا لغةً ولا عرفًا، ولا شرعًا.

والعجبُ أن الأشاعرةَ تَرَكُوا جميعَ لغاتِ العالمِ، وجميعَ عقـولِ العـالمِ، وجميـعَ المحـسوسِ لـدى العالمِ، واستدلُّوا بقولِ رجلٍ نصرانيٍّ -هو الأخطلُ- حيث قَالَ:

إنَّ الكَـــلامَ لَفِـــي الفُـــؤَادِ وإنَّـــما ... جُعِـلَ اللِّـسانُ عَـلى الفُـؤَادِ دَلِـيلًا

فقالوا: إنه قَالَ: الكلامُ في الفؤادِ؛ أي: في القلبِ، وهذا هـو معنـى قولِنـا: الكـلامُ هـو: الكـلامُ النفسيُّ، واللسانُ دليلٌ يُعْبِّرُ.

فيُقال: أولًا: كيف نتْرُكُ العالمَ كلَّه ونَأْخُذُ بقولِ واحدٍ فقط. هذه واحدةٌ.

ثانيًا: من القائلُ؟

الجوابُ: نصرانيٌّ كذابٌ.

ثالثًا: على فرضِ التسليمِ بهذا نَقُولُ: إن مرادَه بقولِه: إن الكلامَ لفي الفؤادِ؛ أي: إن الكلامَ الرصينَ الذي يَدْري الإنسانُ أن نفسَه محاسبةٌ عليه هو الكلامُ الذي في الفؤادِ، أما الكلامُ اللَّغْوُ فهذا في اللسانِ، ويَشْهَدُ لهذا قولُه تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾ [المائدة:٨٩]. وفي الآية الأخرى: ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٥]. فالكلامُ الحقيقيُّ الموزونُ الرصينُ الذي يَسْتَحِقُّ أن يُسَمَّى كلامًا هو الصادرُ من القلبِ، المعبَّرُ عنه باللسانِ، أما ما كان من اللسانِ فقط، فهو لغوٌ من القولِ، ولهذا لا يُؤَاخِذُ اللهُ عليه، هذا إذا سلَّمنا جدلًا أن لهذا الكلامِ وجهًا من الصحةِ.

فيَحْصُلُ لدينا الآن في مسألةِ كلامِ اللهِ ﷻ ثلاثةُ مذاهبَ:

مذهبُ السلفِ، ومذهبُ الأشاعرةِ، ومذهبُ الجهميةِ، وهنـاك مـذاهبُ أخرى تَـصِلُ إلى ثمانيـةِ مـذاهب، بعضُها يُمْكِنُ أن نَجْعَلَه فرعًا من فروعِ هذه الأصولِ الثلاثةِ، وبعضُها من الفلاسفةِ الذين لا يُؤْمِنُـونَ بالرسـالاتِ،

ولكننا نَقُولُ: إن الذي يَشْهَدُ له الحسُّ واللغةُ هو: أن الكلامَ ما كان بحرفٍ وصوتٍ.

فإن قَالَ قائلٌ: إن الله أطلَق على القولِ ما كان في النفسِ فقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [المجادلة:٨]. فأَثْبَتَ قولًا في النفسِ.

فالجوابُ أن نَقُولَ: إن هذا حجةٌ عليكم، وليس حجةً لكم؛ لأن هذا ليس قولًا مطلقًا، بل هو قولٌ مقيدٌ بقولِه تعالى: ﴿فِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾. وهذا كقولِ الرسولِ ﷺ: «إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها»[1]، والإنسانُ يُحدِّثُ نفسَه لا شكَّ، ويَقُولُ في نفسِه، ويُقَدِّرُ في نفسِه، لكن لا يُقَالُ إنه قولٌ على وجهِ الإطلاقِ أبدًا، بل لابدَّ أن يَكُونَ مقيَّدًا، وأحيانًا تَرَى الرجلَ شاردًا، مفكِّرًا، واضحةً عليه آثارُ التفكيرِ وحديثُ النفسِ، ولا تَسْمَعُ له قولًا، فهل يُقَالُ: إن هذا الرجلُ قَالَ؟

فالجوابُ: لا، بل لا تَسْمَعُ له قولًا، هل يُقَالُ: إن هذا الرجلَ قَالَ؟ لا، إن أردت أن تَقُولَ إنه قَالَ فقُلْ: قَالَ في نفسِه، فهو قولٌ مقيَّدٌ وليس قولًا مطلقًا.

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٦٣- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «تَكَفَّلَ اللهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ وَتَصْدِيقُ كَلِمَتِهِ، أَن يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرُدَّهُ إِلَى مَسْكَنِهِ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»[2].

هذا الحديثُ تقدَّم الكلامُ عليه، وقد بيَّنا فيه إشكالًا في قولِه: «من أجر أو غنيمة». وقلنا: إن «أو» هنا بمعنى أنه يُمْكِنُ أن يَجْتَمِعَ الأجرُ والغنيمةُ، أو يَنْفَرِدَ الأجرُ وحدَه. وأما انفرادُ الغنيمةِ وحدَها في رجلٍ جاهد في سبيلِ الله لتكُونَ كلمةُ الله هي العليا فهذا لا يُمْكِنُ.

***

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣١- بابٌ فِي الْمَشِيئَةِ وَالإِرَادَةِ.

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران:٢٦]. ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان:٣٠]. ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف:٢٣-٢٤]. ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦].

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ نَزَلَتْ فِي أَبِي طَالِبٍ ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥].

هذا البابُ بابٌ مهمٌّ، وهو في المشيئةِ والإرادةِ؛ أي: مشيئةِ الله وإرادةِ الله، والبحثُ فيهما من وجوهٍ:

---

(١) رواه البخاري (٥٢٦٩)، ومسلم (١٢٧).
(٢) رواه مسلم (١٨٧٦).

الأول: هل هما مترادفتانِ، أو متباينتانِ؛ يَعْنِي: هل المشيئةُ هي الإرادةُ أو غيرُ الإرادةِ؟
نقول: المشيئةُ معنًى من معاني الإرادةِ وليست مرادفًا لها. أي: أن الإرادةَ تأتي بمعنى المشيئةِ.
وما شاءَه اللهُ كان ولابدَّ، وقد أَجْمَعَ المسلمونَ على هذه الكلمةِ: ما شاء اللهُ كان، وما لم يَشَأْ لم يَكُنْ [1].

فما شاءه اللهُ ﷻ كان، سواءٌ كان مما يُحِبُّه اللهُ أو مما لا يُحِبُّه الله، وسواءٌ كان مما يُلائِمُ طبائعَ البشرِ كسعةِ الرزقِ، أو مما لا يُلائِمُ طبائعَهم كضيقِ الرزقِ، فالمشيئةُ عامةٌ في كلِّ شيءٍ قَالَ اللهُ تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [البقرة:٢٥٣]. ومعلومٌ أن الاقتتالَ بالنسبةِ للبشرِ لا يُلائم طبائعَهم.

وقال اللهُ تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام:١١٢]. ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام:١٣٧]. أي: منكراتُهم وهذا مما يَكْرَهُهُ اللهُ.

إذًا: المشيئةُ لا تُرَادِفُ الإرادةَ، بل هي بعضٌ من معانيها كما سَيَأْتِي في الإرادةِ، وهي عامةٌ في كلِّ شيءٍ، وما شاء اللهُ كان، ولابدَّ من وقوعِه، ولا يُمْكِنُ أن يَمْنَعَه أحدٌ، سواءٌ كان هذا الذي شاءه مما يُحِبُّه كالإيمانِ والعملِ الصالحِ، أو مما لا يُحِبُّه كالكفرِ وعملِ السيئاتِ، وسواءٌ كان هذا الذي شاءه مما يُلائِمُ طبيعةَ البشرِ كسعةِ الرزقِ أو مما لا يُلائِمُ طبيعةَ البشرِ كضيقِ الرزقِ، وهذا واضحٌ.

البحث الثاني: هل مشيئةُ الله شاملةٌ لفعلِه وفعلِ العبادِ أو هي خاصةٌ بفعلِه سبحانه؟

والجوابُ: أن أهلَ السنةِ والجماعةِ يَقُولُونَ: إنها عامةٌ فيما يتعَلَّقُ بفعلِه سبحانه وما يتعلَّقُ بفعلِ العبادِ، عامةٌ فيما يتعلَّقُ بفعلِه سبحانه كإنزالِ المطرِ، وإخراجِ النباتِ، وإماتةِ الأحياءِ، وإحياءِ الأمواتِ، وما أشبهَها، وكذلك فيما يتعلَّقُ بفعلِ العبادِ، كصلاحِ العبدِ وفسادِ العبد، قَالَ اللهُ تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [التكوير:٢٨-٢٩]. ففعلُ الإنسانِ بمشيئةِ اللهِ، كما أن فعلَ الله سبحانه بمشيئةِ اللهِ.

فمشيئةُ اللهِ شاملةٌ لما يَقُومُ به ﷻ، ولما يَقُومُ به العبادُ والدليلُ على هذا: قولُه تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [التكوير:٢٨-٢٩].

وقولُه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ۝٢٥٣﴾ [البقرة:٢٥٣]. والآياتُ في هذا المعنى كثيرةٌ.

وفائدةُ الإيمانِ بذلك -أي إيمانِ العبدِ بأن فعلَه واقعٌ بمشيئةِ اللهِ- عظيمةٌ وهي: أنه يُوجِبُ اللجوءَ إلى اللهِ في إصلاحِ العملِ، واجتنابِ الفسادِ؛ لأنك إذا علمتَ أن ما شاء اللهُ كان وأنه إذا شاء اللهُ أن تَهْتَدِيَ اهتديتَ، فإنك سوف تُضْطَرُّ إلى طلبِ الهدايةِ ممن بيدِه الهدايةُ.

ومن فوائدِ ذلك أيضًا: أنك إذا حصَلت لك نعمةٌ، أو فعَلت عملًا صالحًا، فإنك لا تَنْسِبُها إلى

---

[1] رواه البخاري (٤٦٧٥) ومسلم (٢٤).

نفسِك، ولا تُدِلُّ بها على ربِّك؛ لأن الذي جلَب لك النعمةَ، ويسَّر لـك العمـلَ الـصالحَ هـو اللهُ عَجَّلَ، فيُورِثُكَ ذلك أن تتبرَّأَ من حولِك وقوتِك إلى مشيئةِ الله عَجَّلَ، وتَعْلَمَ أنه هو الذي قدَّر لـك هـذا، وهـو الذي شاء لك هذا. وهاتانِ فائدتانِ عظيمتانِ.

أما الإرادةُ فهي تنْقَسِمُ إلى قسمين:

إرادةٌ كونيةٌ: تتعَلَّقُ بالخلقِ والتكوينِ.

وإرادةٌ شرعيةٌ: تتعَلَّقُ بالحكمِ بين الناسِ والشرعِ.

أما الإرادةُ الكونيةُ: فهي بمعنى المشيئةِ تمامًا، ولهذا قَالَ تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾. أي: ما يُرِيدُ بالإرادةِ الكونيةِ، فالإرادةُ الكونيةُ مرادفةٌ للمشيئةِ تمامًا، فإذا قلت: أراد اللهُ كذا، شاء اللهُ كذا. فمعناهما واحدٌ.

إذًا: الإرادةُ الكونيةُ تتعَلَّقُ بما أراده اللهُ، سواءٌ كان هذا المرادُ محبوبًا إلى اللهِ، أو مكروهًا إليـه، وسواءٌ كان هذا المرادُ مما يُلائِمُ طبيعةَ البشرِ، أو مما لا يُلائِمُ طبيعةَ البشرِ.

فإذا قَالَ قائلٌ: هل أراد اللهُ المعاصي بالإرادةِ الكونيةِ؟

فالجوابُ: نعم، كما أنه إذا قَالَ: هل شاءها اللهُ؟ لقلنا: نعم.

إذًا: الإرادة الكونية بمعنى المشيئة تمامًا، أما الإرادةُ الشرعيةُ والتي تتعَلَّقُ بما شَرَعه فإنها بمعنـى المحبةِ، فتتعَلَّقُ بما يُحِبُّه اللهُ عَجَّلَ سواءٌ وقَع أم لم يَقَعْ، وعلى هذا فالإيمانُ والعملُ الصالحُ من مـرادِ اللهِ شرعًا، والكفرُ وعملُ السيئاتِ ليس مرادًا للهِ شرعًا؛ لأن اللهَ لا يُحِبُّه.

فصار هناك فرقٌ بين الإرادةِ الكونيةِ والإرادةِ الشرعيةِ.

فإذا قَالَ قائلٌ: هل المعاصي مرادةٌ للهِ؟

لقلنا: أما قدرًا فنعم، وأما شرعًا فلا.

فإذا قَالَ قائلٌ: إذا كانت المعاصي مرادةً غير مرادةٍ للهِ شرعًا فكيـف يُرِيـدُها قـدرًا، وهـل أحـدٌ أَجْبَره على أن يُرِيدَ ما لا يُحِبُّ وما لا يَرْضَى؟

فالجوابُ: أن ما يَكْرَهُه اللهُ عَجَّلَ إذا أَرَاده فهو مرادٌ لغيرِه، وليس مرادًا لذاتِه، ومعنى قولِنا: مـرادٌ لغيرِه. أي: محبوبٌ إلى اللهِ لغيرِه لا لذاتِه، فالأعمالُ السيئةُ والكفرُ مرادةٌ للهِ لغيرِه، فهي مرادةٌ للهِ شرعًا لغيرِه، لا لذاتِه، فهو سبحانه يَكْرَهُ الكفـرَ، ويَكْـرَهُ المعاصـي، لكنـه يُرِيـدُها لـما يَتَرَتَّـبُ عليهـا مـن المصالحِ، فهي مكروهةٌ للهِ من وجهٍ، ومحبوبةٌ له من وجهٍ آخر؛ لأنه لولا الكفرُ ولولا المعاصـي مـا عُرِفَ الإيمانُ ولا العملُ الصالحُ، فلو كان الناسُ كلُّهم مؤمنينَ، وكلُّهـم يَعْمَـلُ العمـلَ الـصالحَ، مـا حصَل تمييزٌ، ولا عُرِف قدرُ الإيمانِ والعملِ الصالحِ، ولهذا يَقُولُونَ: وبضدِها تتبـيَّنُ الأشـياءُ، فهـل بغيرِ الكفرِ يَقُومُ الجهادُ؟

الجوابُ: لا، إذ كيف تُجاهِدُ مسلمًا مثلَك.

وهل بدونِ المعاصي يَكُونُ هناك أمرٌ بالمعروفِ أو نهيٌ عن منكرٍ؟

الجوابُ: لا، ولولا المعاصي لما كان هناك دعوةٌ إلى الخيرِ؛ لأن الناسَ إذا كانوا كلهم بلا معاصٍ فهم على خيرٍ.

فالحاصلُ: أنه تَفُوتُ مصالحُ كثيرةٌ إذا لم تَقَعْ هذه المعاصي التي يَكْرَهُها اللهُ شرعًا، ويُرِيدُها قدرًا وكونًا.

ولهذا قَالَ اللهُ تعالى في الحديثِ القدسيِّ: «**ما تَرَدَّدْتُ عن شيءٍ أنا فاعلُه تردُّدي عن قبضِ نفسِ عبدِي المؤمنِ، يَكْرَه الموتَ وأَكْرَهُ إساءتَه ولابدَّ له منه**» [1] فهنا الربُّ عَجَّلَ يَتَرَدَّدُ لا لجهلِه والعياذُ باللهِ بما يَنْفَعُ أو يَضُرُّ، بل هو يَعْلَمُ ذلك سبحانه، لكن لرحمتِه بعبدِه المؤمنِ، ومحبتِه لما يُحِبُّه عبدُه المؤمنُ، فالمؤمنُ يَكْرَهُ الموتَ، واللهُ يَكْرَهُ إساءتَه، لكن لابدَّ له منه، إذ الحكمةُ تَقْتَضِي أن يَمُوتَ؛ حتَّى يَنْتَقِلَ إلى الجزاءِ والثوابِ والنعيمِ الذي هو أضعافُ أضعاف ما في الدنيا، فالمؤمنُ يَكْرَهُ الموتَ، لكن بموتِه يَنْتَقِلُ إلى خيرٍ من حياتِه، قَالَ تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [الأعلى:١٦-١٧]. فهي كراهةٌ مؤقتةٌ، يَنْتَقِلُ الإنسانُ بعدها إلى نعيمٍ أنعمَ من الدنيا وما فيها.

فالحاصلُ أن نَقُولَ: إن المعاصي مكروهةٌ للهِ من وجهٍ، لكنها محبوبةٌ إليه من وجهٍ آخرَ؛ وذلك لِمَا يَتَرَتَّبُ عليها من المصالحِ.

فمثلًا: الجدبُ والقحطُ؛ -والجدبُ معناه: أن الأرضَ لا تُنْبِتُ، والقحطُ معناه: أن السماءَ لا تُمْطِرُ- والخوفُ وما أشبهَ ذلك، هل اللهُ يُحِبُّ ذلك لعبادِه؟

الجوابُ: لا، لكنه يُرِيدُه عَجَّلَ كونًا لِمَا يَتَرَتَّبُ عليه من المصالحِ، فهو محبوبٌ إليه من وجهٍ، ومكروهٌ إليه من وجهٍ آخرَ، ولكن المصالحَ العظيمةَ تَجْعَلُه محبوبًا إلى اللهِ عَجَّلَ.

وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم:٤١]. وقال عَجَّلَ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة:١٥٥]. فهذا ليس عقوبةً ولكن لنَرْجِعَ إلى اللهِ.

أما قولُه تعالى: في سورة البقرة: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ...﴾ فهذا ابتلاءٌ، فقد يَبْتَلِي اللهُ المؤمنَ وهو لم يَعْمَلْ عملًا سيئًا، ولم يَكْسِبْ عملًا سيئًا، يخطِئُ ويَرْجِعُ إلى اللهِ بالتوبةِ، لكن يَبْتَلِيه من أجلِ أن يَنَالَ درجةَ الصابرينَ، ولهذا قَالَ: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

فالحاصلُ: أن ما يَقَعُ من المعاصي مرادٌ للهِ كونًا، غيرُ مرادٍ له شرعًا، لكن اللهَ قدَّره لما يَتَرَتَّبُ عليه من المصالحِ.

ونظيرُ ذلك في الشيءِ المحسوسِ لو كان لك ولدٌ مريضٌ، وقال الأطباءُ: إنه لابدَّ من كيِّه؛

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢).

يَعْنِي: بالنارِ، فإنك تُوافِقُ على هذا، بل وتُمْسِكُ بولدِك ليَكْوِيَه الطبيبُ، فأنت الآن كارهٌ لهـذا الكـيِّ، لكن تحبه لما يترتب عليه من المصالح.

ومن ذلك: أنه قد يُشَقُّ بطنُ ابنِك أمامك؛ لاستخراجِ الزائدةِ منه، أو أيِّ عضوٍ آخرَ مريضٍ، فلا شكَّ أنـك لا تُحِبُّ شقَّ بطنِ ابنك، لكن نظرًا لما يَتَرَتَّبُ عليه من المصالحِ تُحِبُّه، فصار هذا محبوبًا مكروهًا.

كذلك السيئاتُ والكفرُ، فهي محبوبةٌ مكروهةٌ، فما يَتَرَتَّبُ عليه من المصالحِ العظيمةِ يُرِيـدُه اللهُ عَجَّلَ لهذا، لا لأنه يُحِبُّه.

فإذا قَالَ قائلٌ: ما الفرقُ بين الإرادتينِ الكونيةِ والشرعيةِ؟

فالجوابُ: أن الفرقَ بينهما من وجهينِ:

الوجهُ الأولُ: أن الإرادةَ الكونيةَ لابدَّ فيها من وقوعِ المرادِ، فإذا أراد اللهُ شيئًا كونًا وقَـع ولابـدَّ، والإرادةُ الشرعيةُ لا يَلْزَمُ منها وقوعُ المرادِ، فقد يَقَعُ وقد لا يَقَعُ.

مثالُ ذلك: الإيمانُ مرادُ اللهِ شرعًا، فهل يَلْزَمُ من كونِه مرادًا للهِ شرعًا أن يُؤْمِنَ الناسُ؟

الجوابُ: لا، ولهذا ففي الناسِ كافرٌ ومؤمنٌ، أما الإرادةُ الكونيةُ فلابدَّ فيها مـن وقـوعِ المـرادِ؛ لأنها بمنزلةِ المشيئةِ، وما شاء اللهُ كان.

الفرقُ الثاني: أن الإرادةَ الشرعيةَ لا تَكُونُ إلا فيما يُحِبُّه اللهُ، والإرادةُ الكونيةُ تَكُونُ فيما يُحِبُّه وفيما يَكْرَهُه، فالمعاصي الواقعةُ من الإنسانِ مرادةٌ للهِ كونًا، غيرُ مرادةٍ للهِ شرعًا، مرادةٌ كونًا؛ لأنها وقَعـت، وغير مرادةٍ شرعًا؛ لأن اللهَ لا يُحِبُّها.

فهذانِ فرقانِ بين الإرادةِ الكونيةِ والإرادةِ الشرعيةِ.

فقولُ اللهِ تبارك وتعالى: ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦﴾ [المائدة:٦]. من الإرادةِ الشرعيةِ؛ لأن من الناسِ من لم يَتَطَهَّرْ.

وكذلك قولُه تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]. الإرادةُ فيه شرعيةٌ؛ لأن هناك أشياءَ كونيةً تَعْسُرُ علينا.

كذلك قولُه عَجَّلَ: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة:٦]. الإرادةُ فيه شرعيةٌ؛ لأن الحرجَ كونًا يَقَعُ، فأحيانًا يَقَعُ الإنسانُ في حرجٍ وضيقٍ وشدةٍ. لكن هذا كونًا، أما شرعًا فإن اللهَ لا يُرِيدُ أن يَجْعَلَ علينا حرجًا.

أما قولُه تعالى: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ﴾ [هود:٣٤]. فالإرادةُ فيه كونيةٌ لا شكَّ، فاللهُ تعالى لا يُرِيدُ إغواءَ الخلقِ، ولو أراد أن يُغْوِيَ الخلقَ ما أرسَل إليهم الرسلَ، وما أنزَل عليهم الكتبَ، ولجعَلهم يَعْمَهُونَ في ضلالِهم، لكن يُحِبُّ من عبادِه الهدايةَ، أما الإغواءُ فلا. فقولُه: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ﴾ الإرادةُ فيه كونيةٌ.

ونَزِيدُ الأمرَ إيضاحًا بالأمثلةِ فنقُولُ مثلًا:

إيمانُ أبي بكرٍ الصديقِ ﷺ، هل هو مرادٌ شرعًا أم كونًا؟

الجوابُ: هو مرادٌ كونًا وشرعًا: كونًا؛ لأنه وقعَ، وشرعًا؛ لأن اللهَ يُحِبُّه.

مثالٌ آخرُ: كفرُ أبي طالبٍ هل هو مرادٌ كونًا أو شرعًا؟

الجوابُ: هو مرادٌ لله كونًا لا شرعًا.

مثالٌ آخرُ: إيمانُ أبي لهبٍ هل هو مرادٌ لله كونًا أو شرعًا؟

الجوابُ: هو مرادٌ شرعًا لا كونًا.

مثالٌ آخرُ: إيمانُ رجلٍ كافرٍ؟

نَقُولُ: هذا مرادٌ لله شرعًا لا كونًا.

إذًا: يُمْكِنُ أن يَجْتَمِعَ الإرادتانِ، وذلك في الإيمانِ إذا وقَع؛ وقد تَنْتَفِي الإرادتانِ؛ ككفرِ المؤمنِ، فهذا إنسانٌ مؤمنٌ، فلو قدَّرنا كفرَه، -ولكنه الآن مؤمنٌ- نَقُولُ: إن كفرَه غيرُ مرادٍ شرعًا، ولا كونًا.

فهنا انتَفت عنه الإرادتانِ؛ لأنه لم يَقَعْ، فلم تكُنِ الإرادةُ الكونيةُ، وليس محبوبًا إلى الله فلم تكُنِ الإرادةُ الشرعيةُ.

فتحصَّل لدينا الآن أربعةُ أقسامٍ:

- **قسمٌ:** تَتَّفِقُ فيه الإرادتانِ.
- **وقسمٌ:** تَنْتَفِي عنه الإرادتانِ.
- **وقسمٌ:** تكُونُ فيه الإرادةُ الشرعيةُ دونَ الكونيةِ.
- **وقسمٌ:** تكُونُ فيه الإرادةُ الكونيةُ دونَ الشرعيةِ.

وقولِ اللهِ تعالى: «﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾». الشاهدُ في هذه الآيةِ قولُه: ﴿مَن تَشَآءُ﴾ وبقية الآيةِ: ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران:٢٦]. فاللهُ تعالى يُؤْتِي الملكَ من يَشاءُ، ولكن هل إتيانُه الملكَ مَن يَشاءُ لمجردِ المشيئةِ، بل هل فعلُه ما يَشاءُ لمجردِ المشيئةِ؟

ذهَبَ بعضُ العلماءِ: إلى أن فعْلَ اللهِ ﷻ ما يَشاءُ يكُونُ لمجردِ المشيئةِ؛ أي: أنه يَشاءُ الوجودَ أو العدمَ بدونِ مرجحٍ، ولكن لمجردِ المشيئةِ؛ لأنه سبحانه ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء:٢٣]. فله أن يَشاءَ بدونِ مرجحٍ.

ولكنْ هذا القولُ قولٌ ضعيفٌ، بل باطلٌ؛ لأنه يَسْتَلْزِمُ انتفاءَ حكمةِ اللهِ في فعلِه، هذا من جهةِ الدليلِ العقليِّ.

أما من جهةِ الدليلِ السمعيِّ لقولِه تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإنسان:٣٠]. فختم هذا بقولِه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ يدُلُّ على أن مشيئَتَه سبحانه تابعةٌ لحكمتِه، وعلى هذا فَقُيِّدَ بالحكمةِ كلُّ آيةٍ فيها إطلاقُ المشيئةِ.

فقولُه: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ ليس لمجردِ مشيئةٍ يُؤْتِي هذا الملكَ سبحانه، ولكن يُؤْتِيه؛ لأن حكمتَه اقتضَت أن يَأْخُذَ هذا الملكَ.

كذلك قولُه: ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ ويكُونُ نزعُ الملكِ ممن يشاء إما بموتِه، أو بأن يُغْلَبَ، أو بأن يَفْسُدَ تدبيرُه، أو ما أشبهَ ذلك، المهمُّ أنه يَنزِعُ الملكَ ممن يَشَاءُ لحكمته سبحانه.

إذًا: المشيئةُ لابدَّ أن تَكُونَ مقرونةً بالحكمةِ، واللهُ ﷻ ليس يَفْعَلُ الشيءَ بدونِ مرجح إطلاقًا، وإذا كان تصرفُ الواحدِ منا بالشيءِ وترجيحُه لأحدِ الأمرينِ بدونِ مرجحٍ يُعَدُّ سفهًا، فما بالُك بفعلِ اللهِ ﷻ والذي فعلُه في غايةِ الحكمةِ.

وأما قولُه تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ فالمعنى أن له الملكَ التامَّ، وأن فعلَه على أتمِّ وجهٍ، فلا يَتوَجَّهُ إليه سؤالٌ؛ لأنه على أتمِّ وجهٍ، أما أفعالُنا فإنها ناقصةٌ فلذلك نُسْأَلُ عنها، فاللهُ لا يُسْأَلُ عما يَفْعَلُ لتمامِ سلطانِه، وكمالِ فعلِه، وأنه تامٌّ لا يَحْتَاجُ أن يُسْأَلَ عنه.

ثم إنه يَجُوزُ أن تَسْأَلَ عن فعلِ اللهِ استرشادًا وطلبًا للحكمةِ، لا اعتراضًا.

ثم ساق البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ الآيةَ الثانيةَ وهي: «﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف:٢٣-٢٤]». الخطابُ هنا للرسولِ ﷺ؛ لأن قريشًا سألوه فقال: «**أُخْبِرُكم غدًا**». اعتمادًا على نزولِ الوحيِ، وكان الرسولُ ﷺ يُسْأَلُ فيأتِيه الوحيُ في الحالِ، كما مرَّ علينا في سؤالِ اليهودِ له عن الروحِ، فاتَّكأَ على العسيبِ ونزَل عليه الوحيُ.

فهنا قال لهم: «**أُخْبِرُكم غدًا**». ولم يَقُلْ: إن شاء اللهُ. فبقِي الوحيُ خمسةَ عشرَ يومًا لم يَنزِلْ عليه، فضاق النبيُّ ﷺ، ولكنَّ تَأَخُّرَ الوحيِ فيه مصالحُ عظيمةٌ منها:

أن يَعْرِفَ الإنسانُ قدرَ نفسِه، وأن الأمرَ بيدِ اللهِ.

ومنها: أن النبيَّ ﷺ صادقٌ فيما يَنْزِلُ عليه من الوحيِ؛ لأنه لو كان كاذبًا لافتعَل ما يُفْتَعَلُ وأتى به في الوقتِ الذي حدَّده، لكن لما بقِي حتى نزَل عليه الوحيُ دلَّ ذلك على صدقِه.

ومنها: أن يَشْتَدَّ اشتياقُ النبيِّ ﷺ إلى الوحيِ وترقبُه له، إلى غير ذلك من المصالحِ التي ليس هذا موضعَ ذكرِها.

ثم نزَل الوحيُ بقولِه تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾. قولُه: ﴿فَاعِلٌ﴾ أي: مُوقِعٌ للفعلِ، فلا تَقُلْ: إن فاعلٌ إلا وذلك مقرونٌ بمشيئةِ اللهِ؛ لأجل أن تُفَوِّضَ الأمرَ إليه؛ لأنك لا تَدْرِي ما يَعْرِضُ لك، وكم من إنسانٍ قال: إني فاعلٌ ذلك غدًا. ولكن وُجِدت موانعُ تَمْنَعُه من فعلِه، فإذا قال: إن شاء اللهُ. وفوَّض الأمرَ إلى اللهِ تيسَّر له الأمرُ، وما قصةُ سليمانَ بخافيةٍ حين قَالَ: واللهِ لأَطُوفَنَّ الليلةَ على تسعينَ امرأةً تَلِدُ كلُّ واحدةٍ منهن غلامًا يُجاهِدُ في سبيلِ اللهِ. فقيل له: قل إن شاء اللهُ. فلم يَقُلْ؛ اعتمادًا على ما في نفسِه من العزيمةِ، فطاف على تسعينَ امرأةً، فلم تَلِدْ إلا واحدةٌ منهن شِقَّ إنسانٍ وليس إنسانًا كاملًا، ليُرِيَه اللهُ ﷻ أن الأمرَ أمرُه، وأنك لا تَتَأَلَّى على اللهِ، كِلِ الأمرِ إليه، قال النبي ﷺ: «**لو قال: إن شاء اللهُ. لكان دركًا لحاجتِه، ولقاتلوا في سبيلِ اللهِ**»[1]. أي: لو قال إن شاء

---

(١) رواه البخاري (٦٧٢٠)، ومسلم (١٦٥٤).

الله لولَدت كلُّ واحدةٍ منهن غلامًا يُجَاهِدُ في سبيل الله.

فهنا يَقُولُ اللهُ للرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴾ ولكنَّ هنا سؤالًا: هل يَجُوزُ أن تُخْبِرَ عما في نفسِك من العزيمةِ غيرَ مقرونةٍ بالمشيئةِ، دونَ أن تُرِيدَ إيقاعَ الفعلِ؟

الجوابُ: نعم؛ وذلك لأن إخبارَكَ عما في نفسِك من العزيمةِ إخبارٌ عن شيءٍ حاضِرٍ لا شيءٍ مستقبلٍ.

مثالُ ذلك: أن تَقُولَ لصاحبِك: سَأُسَافِرُ غدًا إلى الرياضِ مثلًا، فإن أَرَدْتَ أنك سَتُسافِرُ بالفعلِ؛ يعني: إني فاعلٌ ولابدَّ، فهذا لابدَّ أن تُقْرِنه بالمشيئةِ، وإن أَردت الإخبارَ عما في قلبِك من العزيمةِ، فهذا إخبارٌ عن شيءٍ حاضرٍ، لا شيءٍ مستقبلٍ، فلا حرجَ عليك إذا لم تُقْرِنْه بالمشيئةِ، وهذا فرقٌ دقيقٌ قد يَخْفى على كثيرٍ من الناسِ.

وللقرنِ بالمشيئةِ فوائدُ عظيمةٌ:

الأولى: تفويضُ الأمرِ إلى الله. الثانية: تسهيلُ الأمرِ.

الثالثةُ: أنك لو أَقْسَمْت لم تَحْنَثْ، فلو قلت: والله إن شاء الله لأُسَافِرَنَّ غدًا إلى الرياضِ، ثم تَركت السفرَ اختيارًا منك فلا حِنْثَ ولا شيءَ عليك.

لو قال قائلٌ: إني فاعلٌ ذلك الليلةَ الساعةَ الثانيةَ عشرةَ. فماذا نَقُولُ؟

نَقُولُ: لابدَّ من قرنِه بالمشيئةِ أيضًا، وإنما قال الله سبحانه: ﴿غَدًا﴾؛ لأن هذا هو الذي وقَع من الرسولِ ﷺ حيث قال: «أُخْبِرُكم غدًا». والتقييدُ في الجوابِ تبعًا للسؤالِ لا يُعْتَبَرُ قيدًا. وهذه قاعدةٌ مفيدةٌ في أصولِ الفقهِ.

قال العلماءُ: ومن ذلك اختلافُ الرواياتِ في سفرِ المرأةِ، ففي روايةٍ: «لا تُسَافِرُ امرأةٌ يومًا وليلةً إلا مع ذي مَحْرَمٍ»[1] في أخرى: «مسيرةَ ثلاثةِ أيامٍ إلا مع ذي محرم»[2]. وفي ثالثةٍ: «لا تُسافِرُ امرأةٌ إلا مع ذي محرم»[2]. فالتقييداتُ اختلفت؛ ففي روايةٍ مسيرة يومٍ وليلةٍ، وفي أخرى مسيرة ثلاثةِ أيامٍ، والمطلقُ لم يُقَيَّدْ بشيءٍ فهل نَعْتَبِرُ المقيداتِ أو نَعْتَبِرُ المطلقَ؟

والصحيحُ: أننا نَعْتَبِرُ المطلقَ؛ لأنه لما اختَلَفت المقيداتُ فإنها تَكُونُ جوابًا لسؤالٍ، فكأن سائلًا قال: أَرَأَيت لو سَافَرت المرأةُ يومًا وليلةً بغيرِ مَحْرَمٍ؟ فقال: «لا تُسَافِرُ امرأةٌ يومًا وليلةً إلا مع ذي محرم». ولهذا دائمًا يَقُولُ العلماءُ في النصِّ المقيدِ: وقَع هذا جوابًا لسؤالٍ.

❁ فقولُه تعالى: «﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الكهف:٢٣-٢٤]». تنطبق عليه هذه القاعدةُ.

---

(١) رواه مسلم (١٣٣٩).

(٢) رواه مسلم (١٣٤٠).

(٢) رواه البخاري (١٣٤١)، ومسلم (٥٢٣٣).

وكذلك لو قلت: إني فاعلٌ ذلك بعد ساعتينِ أو ثلاثٍ. فقُلْ: إن شاء اللهُ، فإن تقييدَها بالغدِ في الآيةِ جاء بناءً على جوابِ الرسولِ ﷺ لهم حيث قال: «غدًا أُخْبِرُكم».

والشاهدُ من الآيةِ: قولُه تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ فإن فيه إثباتَ المشيئةِ لله ﷻ مع أن الفعلَ هو فعلُك، فهو وإن كان فعلَك إلا أنه لابدَّ أن يكُونَ مقرونًا بمشيئةِ اللهِ ﷻ.

۞ وقولُه: «﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦]». الخطابُ في قولِه: ﴿إِنَّكَ﴾ للرسولِ ﷺ.

۞ وقولُه: «﴿لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾» أي: هدايةَ توفيق؛ يعني: لا تُوَفِّقُه للهدايةِ حتى يَهْتَدِي.

۞ وقولُه: «﴿مَنْ أَحْبَبْتَ﴾» هل المعنى: مَن أَحْبَبْتَ هدايتَه، أو من أَحْبَبْتَه؟ وأيُّهما أشملُ؟

الجوابُ: المرادُ إنك لا تَهْدِي من أحببتَ هدايتَه؛ لأنك قد تُحِبُّ هدايةَ الإنسانِ وإن كنت لا تُحِبُّه هو بنفسِه فتكُونُ أشملَ.

۞ ثم قال: «﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾» ولم يَقُلْ: ولكن اللهَ يَهْدِيه، بل عمَّم فقال: ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ ليَشْمَلَ من أحبَّ ومن لا يُحِبُّ، فالهدايةُ بيدِ اللهِ ﷻ.

وهذه الآيةُ نزَلت تسليةً للرسولِ ﷺ في عمِّه أبي طالبٍ[1]، فعمُّه أبو طالبٍ هو الذي اعتَنَى بِه، وربَّاه، ودافعَ عنه دفاعًا عظيمًا، وقصائده في ذلك مشهورةٌ، ولاسيَّما اللاميةُ التي تَبْلُغُ خمسين بيتًا أو أكثرَ، والتي قال عنها ابنُ كثيرٍ في «البدايةِ والنهايةِ»: إنها جديرةٌ بأن تكُونَ من المعلقاتِ بل هي أعظمُ منها[2]. والمعلقاتُ هي سبعُ قصائدَ أعجبت العربَ فعلَّقوها في وسطِ الكعبةِ تعظيمًا لشأنِها، فسمِّيت المعلقات السبعِ. وكان يَقُولُ فيها:

لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ ابْنَنَا لا مُكَذَّبٌ لَدَيْنَا

وانظر إلى قولِه: «ابننا» الذي يُفِيدُ الحنوَّ والعطفَ، والفخرَ بانتسابِه إليه، ويقصِدُ بذلك محمدًا ﷺ، ثم قَالَ:

* وَلا يُعْنَى بِقَوْلِ الأَبَاطِلِ *

قولُه: بقولِ الأباطلِ؛ أي: السحرةِ أو غيرِهم من الكذبةِ، فهو ﷺ لا يُعْنَى بذلك، بل هو صدوقٌ ﷺ.

ويَقُولُ فيها:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ... مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ البَرِيَّةِ دِينَا

لَوْلا المَلامَةُ أَوْ حِذَارُ مَسَبَّةٍ ... لَرَأَيْتَنِي سَمْحًا بِذَاكَ مُبِينَا[2]

---

(١) رواه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤).

(٢) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (٣/ ٥٧).

(٢) انظر: «سمط العوالي» (١/ ٣٩٤)، و«خزانة الأدب» (٣/ ٢٥٦)، و«لسان العرب» (٥/ ١٤٤)، الزاهر في «غريب ألفاظ الشافعي» (١/ ٣٨١).

وانظر وتأمَّل هذا الكلامَ، فهو يَكَادُ يُؤْمِنُ، لكن لم يَحْصُلْ منه القبولُ والإذعانُ، فهو وإن كان قد حصَل منه التصديقُ إلا أنه لم يَحْصُلْ القبولُ والإذعانُ فخُذِل -والعياذُ باللهِ- ومات على الشركِ، وكان آخرُ ما قَالَ: إنه على ملةِ عبدِ المطلبِ. وأبى أن يَقُولَ: لا إله إلا اللهُ. مع أن الرسولَ عنده عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ: «يا عمِّ قُلْ لا إله إلا اللهُ كلمةً أُحاجُّ لك بها عند اللهِ». ولكنه أبى أن يَقُولَ ذلك[1]، فقد سبقَت له من اللهِ السابقةُ -والعياذُ باللهِ- قَالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [يونس:٩٦-٩٧].

ولكن شُكِرَ له جميلُه، فأُذِنَ للرسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يَشْفَعَ فيه، مع أن الكفارَ لا يُشْفَعُ فيهم، فشفَع فيه فكان في ضَحْضَاحٍ من نارٍ، وعليه نعلانِ من نارٍ يَغْلِي منهما دماغُه[2] -والعياذُ باللهِ- أبدَ الآبدينَ.

فحزِن الرسولُ ﷺ فأنزَل اللهُ هذه الآيةَ تسليةً له: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ فماذا يَكُونُ حالُ الرسولِ ﷺ حين نزَلت هذه الآيةُ؟

لا شكَّ أنه سَيَقُولُ: رضيتُ باللهِ، وسلَّمتُ به؛ لأن الأمرَ يَرْجِعُ إلى اللهِ.

فإن قَالَ قائلٌ: كيف تَجْمَعُونَ بين هذه الآيةِ وبين قولِه تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى:٥٢]. حيث بيَّن اللهُ في هذه الآيةِ الثانيةِ أن الرسولَ يهدي إلى صراط مستقيم، وأكَّد ذلك بـ«إن» واللام؟

فالجوابُ أن يُقَالَ: إن الهدايةَ نوعانِ: هدايةُ دلالةٍ، وهدايةُ توفيقٍ، فالثابتةُ للرسولِ ﷺ هي هدايةُ الدلالةِ فهو يَدُلُّ الناسَ، والخاصةُ باللهِ سبحانه هي هدايةُ التوفيقِ.

فإن قَالَ قائلٌ: أليس اللهُ تعالى قد قَالَ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾﴾ [الليل:١٢]. فأوجَب على نفسِه الهدى وهنا يَقُولُ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ فما الجمعُ بينهما؟

فالجوابُ: الجمعُ بينهما أن قولَه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾﴾؛ أي: لَلبيانِ. فهي هدايةُ البيانِ والإرشادِ، فاللهُ عليه البيانُ ﷻ، وقد أوجبَه على نفسِه، ولهذا قَالَ بعدَها مباشرةً: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الليل:١٣]. أي: فنحن نبيِّن ولكنَّ الحكمَ لنا، فمن شِئنا وفَّقناه للهدايةِ، ومن شِئنا لم نُوفِّقْه -نَسْأَلُ اللهَ أن يُوَفِّقني وإيَّاكم للهدايةِ إلى صراطٍ مستقيمٍ.

إذًا تبيَّن أنه ليس بين الآياتِ -والحمدُ للهِ- اختلافٌ ولا تعارضٌ، وهكذا كلُّ ما جاء في القرآنِ أو السنةِ الصحيحةِ فإنه لا يُمْكِنُ أن يَقَعَ فيه تعارضٌ، وإن أُوهِم التعارضُ فلقصورِنا نحن في الفهمِ، أو لنقصنا في العلمِ، أو يَكُونُ الإنسانُ سيئَ الإرادةِ ولا يُرِيدُ إلا جمعَ المتعارضاتِ، ولهذا أنا أَنْصَحُكُم ألا يَكُونَ همُّكم جمعَ المتعارضاتِ؛ لأن بعضَ الطلبةِ تَشْعُرُ منه كلما سألك: ما الجمعُ بين كذا وكذا؟ كأنه موكَّلٌ بأن يَتَتَبَّعَ الأشياءَ التي ظاهرُها التعارضُ، من أجل أن يُورِدَها على نفسِه، ويَحْصُلُ له بذلك الشكُّ، فإعراضُ الإنسانِ عند ذلك هو الأولى.

لكن إذا وقَع له فَلْيَسْتَعِنْ باللهِ وليتَدَبَّرْ، فإذا مرَّ بآيةٍ مثلًا وأُشْكِلت عليه، فليَسْتَعِنْ باللهِ، وليَتَدَبَّرْ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٦٥٦٤)، ومسلم (٢١٠).

مرةً بعد أخرى، حتَّى يُهْدَى إليه، أما أن يَكُونَ ليس له همٌّ إلا أن يَجْمعَ الآياتِ التي ظاهرُها التعارضُ، أو الأحاديثَ التي ظاهرُها التعارضُ، ثم يُورِدُها على نفسِه أولًا فيقَعُ في شكٍّ وحيرةٍ، ثم يُورِدُها على من يُورِدُها من الناسِ، فهذا ليس من شأنِ طالب العلمِ.

لكن إذا قُدِّر أن يَكُونَ الأمرُ كذلك وسَيَكُونُ؛ لأنه ليس الإنسانُ محيطًا بكلِّ شيءٍ فحينئذٍ استَعِنْ باللهِ وقرِّرْ في نفسِك قبل كلِّ شيءٍ: أنه لا تعارضَ بين كلامِ اللهِ تعالى بعضِه مع بعضٍ، ولا بين كلامِ اللهِ وما صحَّ عن رسولِه ﷺ، وأنت إذا بنيت على هذا الأساسِ سَهُلَ عليك الجمع، أما إذا كان شبحُ التعارضِ أمامك وهو الذي بنيت عليه فإنك قد تُحْرَمُ الوصولَ إلى الجمعِ.

۞وقوله تعالى: «﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]». هذه الآيةُ فيها ذكرُ الإرادةِ، وقد ذكرَها اللهُ ﷻ في آياتِ الصيام، فقال: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]. ومن هنا نَعْرِفُ أن الإرادةَ هنا شرعيةٌ ولابدَّ، وليست إرادةً كونيةً؛ لأن الإرادة الكونية قد تكُونُ في أمورٍ تَعْسُرُ علينا.

وما أجملَ هذه الآيةَ وأحسنَها! وأن يَكُونَ مرادُ اللهِ بنا ﷻ في شرعِه هو اليسرَ، ولهذا قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تُنفِّروا»[1]، وقال: «إنما بُعِثتم ميسِّرينَ ولم تُبْعَثوا معسِّرينَ»[2]، فهذه القاعدةُ اجعَلها عندك.

وقد بنَى عليها بعضُ العلماءِ مسألةً وهي: إذا اختلَف العلماءُ على قولينِ، ولم يَتبيَّنْ للإنسانِ الراجحُ منهما، فهل يَأْخُذُ بالأشدِّ أو بالأيسرِ أو يُخيَّرُ؟

بعضُ العلماءِ قَالَ: يُؤْخَذُ بالأيسرِ، والدليلُ قولُه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾.

وبعضُ العلماءِ يَقُولُ: خُذْ بالأشدِّ؛ لأنه أحوطُ وأبرأُ للذمةِ.

وبعضُ العلماءِ يَقُولُ: تُخيَّرُ؛ لأنه لم يَترَجَّحْ عندك شيءٌ واللهُ تعالى لا يُكلِّفُ نفسًا إلا وُسْعَها.

والراجحُ عندنا: هو الأخذُ بالأيسرِ إذا لم يَتَرجَّحْ عند الإنسانِ أحدُ الدليلينِ، أما إذا ترجَّح فالواجبُ أن نأْخُذَ بالراجحِ.

۞وقولُه تعالى: «﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾» فردٌ من أفرادٍ لا تُحْصَى داخلةٍ تحت كتابتِه تعالى: «إن رحمتي سبقت غضبي» فمنها أن اللهَ يُرِيدُ بنا اليسرَ.

۞ثم قَالَ ﷻ: «﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾» سبحان الله هذه الجملةُ الثانيةُ تُعْتبَرُ تأكيدًا للأولى؛ لأن قولَه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ مفهومُها: لا يُرِيدُ العسرَ، لكن صرَّح بالمفهومِ، فكان عدمُ إرادتِه العسر بنا قد ذُكِرَ في هذه الآيةِ مرتينِ، مرةً بطريقِ المفهومِ ومرةً بطريقِ المنطوقِ، وهذا من نعمِ اللهِ ﷻ علينا فله الحمدُ والشكرُ، نسألُ

---

(١) رواه البخاري (٦٩)، ومسلم (١٧٣٤).
(٢) رواه البخاري (٢٢٠).

الله أن يرزُقَنا شكرَ نعمتِه وحسنَ عبادتِه.

*****

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٦٤- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا دَعَوْتُمْ اللهَ فَاعْزِمُوا فِي الدُّعَاءِ، وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي. فَإِنَّ اللهَ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ»[1].

۞ الشاهدُ من هذا الحديثِ: قولُه: «إن شئت». فأثبتَ الله المشيئةَ.

۞ وقولُه: «إذا دَعوتم الله». أعمُّ من قولِه ﷺ في الحديثِ الآخرِ: «لا يَقُولُ أحدُكم: اللهُمَّ اغْفِر لي إن شئت». فإن قولَه: «إذا دعوتم» يَشْمَلُ أيَّ دعاءٍ.

وفي هذا الحديثِ: أدبٌ عظيمٌ في الدعاءِ، وهو أن الإنسانَ إذا دعَا الله سواء باستغفارٍ أو غير استغفار، لا يَقُلْ: اللهمَّ اغْفِر لي إن شئت، اللهُمَّ ارحَمْني إن شئت، اللهُمَّ ارزُقْني إن شئت، اللهُمَّ عَلِّمني إن شئت. فلا تَقُلْ في دعائك: «إن شئت»، واعزِمْ في الدعاءِ وقُلْ: اللهُمَّ ارحَمْني، اللهم ارزُقْني، اللهُمَّ عَلِّمني. بدون أن تَقُولَ: «إن شئت»؛ لأن الله لا مُسْتكْرِهَ له؛ يَعْنِي: لا أحدَ يُكْرِهُه حتَّى تَقُولَ: إن شئت أعطِني وإن شئت لا.

وفي قولِ القائلِ في الدعاءِ: «إن شئت» من سوءِ الأدبِ ما يلي:

أولًا: أنه يُشْعِرُ بأن الداعي يَرَى أن الله له مُكْرِهٌ، فكأنه يَقُولُ: إذا أُكْرِهتَ فإن شئت فافْعَل، وإن شئت فلا تَفْعَلْ.

ثانيًا: أنه يُشْعِرُ باستغناءِ الداعي عن الله، فإنك لو قَالَ لك قائلٌ: تُرِيدُ كذا وكذا. فقلت له: إن شئت. فمعناه أنك مستغنٍ، وكأنك تَقُولُ: إن شئت أعطني، وإن شئت فلا يَهُمُّني أن تَحرِمَني.

ثالثًا: أنه قد يُشْعِرُ بأن هذا عظيمٌ على الله كثيرٌ عليه، لذا فإنه يَقُولُ: إن شئت. ولهذا جاء في اللفظِ الآخرِ: «ولْيُعْظِمِ الرغبة». يَعْنِي: ليَسْأَلِ الله عَزَّوَجَلَّ أعظمَ ما يكونُ، فإن الله لا يَتَعَاظَمُه شيءٌ أعطاه، لذلك نُهِي الإنسانُ أن يَقُولَ: اللهم أَعطِني إن شئت. سواءٌ كان في المغفرةِ أو غيرِ المغفرةِ.

فإن قَالَ: إن شاء الله. كما يُوجَدُ عند كبيرٍ من العامةِ تَجِدُه يَقُولُ: الله يَغْفِرُ له إن شاءَ الله، الله يُعَافِيه إن شاءَ الله.

نَقُولُ: إن قصَدَ بها التبركَ فلا بأسَ، وإن قصَدَ بها الشرطَ فإنه يُنْهَى عنها، ولكنها أقلُّ من قولِه: إن شئت؛ لأن «إن شئت» صريحةٌ في خطابِ الله عَزَّوَجَلَّ، أما لفظةُ: إن شاء الله فقد جاءت بلفظِ الغائبِ، والمجابهةُ بالسوءِ أعظمُ من التكنيةِ عنها بالغائبِ.

ولهذا قَالَ العلماءُ: إن قولَه تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢﴾ [عبس:١-٢]. أهونُ مما لو قَالَ:

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٨).

عبست وتوليت أن جاءك الأعمى؛ لأن الثانيةَ صريحةٌ في مواجهةِ المخاطبِ، فإذا كان قولُ القائلِ في الدعاءِ: إن شاء اللهُ، أو: إن شئت قبيحًا وسوءَ أدبٍ مع الله، كان قبحُه بصيغةِ المخاطبِ أشدَّ؛ لأنها صريحةٌ للمخاطبِ. بخلافِ التكنيةِ عن ذلك بالغائبِ فإنها أهونُ، فصار قولُه: «إن شاء اللهُ» تَخْتَلِفُ عن قولِه: «إن شئت» من وجهين:

الوجهِ الأولِ: أنه قد يُرَادُ بـ«إن شاء اللهُ» التبركُ.

والثاني: أنها أقلُّ بشاعةً مما يَجِيء بلفظِ المخاطبِ؛ لأنها تَكُونُ بلفظِ الغائبِ وهو أهونُ.

ومن الأشياءِ التي سمِعناها حديثًا قولُ بعضِهم: اللهم إني لا أَسْأَلُك ردَّ القضاءِ ولكن أَسْأَلُك اللطفَ فيه. فإن هذا لا يَجُوزُ؛ لأنه قد جاء في الحديثِ: «لا يَرُدُّ القدرَ إلا الدعاءُ، أو لا يَرُدُّ القضاءَ إلا الدعاءُ»[1].

ثم إن قولَك: لا أَسْأَلُك ردَّ القضاءِ، ولكن أَسْأَلُك اللطفَ فيه. كأنك تَرَى أن هذا أمرٌ كبيرٌ على الله، أن يَرُدَّ القضاءَ بدعائِك.

ثالثًا: أن قولَك: لا أَسْأَلُك ردَّ القضاءِ، ولكن أَسْأَلُك اللطفَ فيه. كأنك تَقُولُ: لا يَهُمُّني أن تَقْضِي عَلَيَّ بفقرٍ أو مرضٍ، أو غيرِ ذلك لكن اللطفَ فيه؛ يَعْنِي: أَجِّلْه قليلًا، وهذا أيضًا خطأٌ، بل أعظمُ للرغبةِ في الله تعالى وأوسعُ مما في قلبِك.

لكن سبحان الله، يَأْتِي الإنسانُ ويُطْلِقُ ألفاظًا لها رونقٌ مزخرفةٌ، فيتنقلها الناسُ من غيرِ رَوِيَّةٍ وتَرُوجُ عليهم، وإلا فلو تَأَمَّلَ الإنسانُ هذا الدعاءَ لوجَده خطأً واضحًا.

* * *

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٦٥- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ. ح

وحَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي أَخِي عَبْدُ الْحَمِيدِ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَتِيقٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، أَنَّ حُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَام أَخْبَرَهُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ الله ﷺ لَيْلَةً فَقَالَ لَهُمْ: أَلَا تُصَلُّونَ؟ قَالَ عَلِيٌّ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِنَّمَا أَنْفُسُنَا بِيَدِ الله فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا. فَانْصَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ قُلْتُ ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُدْبِرٌ يَضْرِبُ فَخِذَهُ وَيَقُولُ: ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤][2].

الشاهدُ من هذا الحديثِ قولُه: إذا شاءَ أن يَبْعَثَنَا بعثَنا.

وفيه: دليلٌ واضحٌ على أن أفعالَ العبادِ تَقَعُ بمشيئةِ الله، مع أن فعلَ النائمِ وهو استيقاظُه ليس

---

(١) رواه الإمام أحمد (٥/ ٢٢٧)، والترمذي (٢١٣٩)، وابن ماجة (٩٠)، وابن حبان (٨٧٢). وحسنه الشيخ الألباني كما في «السلسلة الصحيحة» (١٥٤)، عدا قوله: «إن الرجل ليحرم الرزق بخطيئة يعملها».

(٢) رواه البخاري (٧٤٦٥)، ومسلم (٧٧٥).

باختيارِه، فقد يُقالُ: إن الاستدلالَ بذلك لا يَتِمُّ. لكن قد مرَّ علينا في شرحِ ترجمةِ هذا البابِ آياتٌ متعددةٌ تَدُلُّ على أن أفعالَ العبادِ تَقَعُ بمشيئةِ الله قَالَ تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام:١٣٧]. وقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام:١١٢]. وقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة:٢٥٣].

*****

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٦٦- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ، حَدَّثَنَا هِلَالُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ خَامَةِ الزَّرْعِ يَفِيءُ وَرَقُهُ مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ تُكَفِّئُهَا فَإِذَا سَكَنَت اعْتَدَلَتْ وَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ يُكَفَّأُ بِالْبَلَاءِ، وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الأَرْزَةِ صَمَّاءَ مُعْتَدِلَةً حَتَّى يَقْصِمَهَا اللهُ إِذَا شَاءَ»[1].

هذا الحديثُ فيه: مثلٌ من أمثالِ الرسولِ ﷺ، والأمثالُ في القرآنِ والسنةِ تُقَرِّبُ المعقولَ إلى العقولِ؛ لأنها تَضْرِبُ المحسوسَ مثلًا، وتَصَوُّرِ الإنسانَ للمحسوسِ أقربَ من تصورِه للمعقولِ، قَالَ اللهُ تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت:٤٣].

وفي ضربِ الأمثالِ فائدةٌ أصوليةٌ فقهيةٌ وهي أن كلَّ مثلٍ ضَرَبه اللهُ أو رسولُه فهو دليلٌ على ثبوتِ القياسِ؛ لأن المقصودَ به تمثيلُ هذا بهذا، فيَكُونُ مثبتًا للقياسِ.

أما المثَلُ الذي ذكَره الرسولُ عليه الصلاة والسلام هنا فالمرادُ بقولِه: «مثلُ المؤمنِ». أي: بالنسبةِ لقضاءِ الله وقدرِه «كمثلِ خامةِ الزرعِ». أي: ورقِ الزرعِ، فورقُ الزرعِ تأْتِيه الرياحُ العاصفةُ وتميلُه يمينًا ويسارًا، لكنه باقٍ لا يَنْكَسِرُ، فإذا سكَتت الريحُ عاد إلى وضعه فهو ليِّنٌ لا يَنْكَسِرُ، فالمؤمنُ كذلك في قضاءِ الله وقدرِه، إن أصَابته الضراءُ صبَر، وإن أصابته السراءُ شكَر، فهو دائمًا مع الله عز وجل في قضائِه وقدرِه، فتَراه منبسطًا في الضراءِ وفي السراءِ.

أما الكافرُ فهو: «كمثلِ الأرزةِ» أي: شتلةِ الأرزِ، وهي صلبةٌ مستقيمةٌ، صمَّاء لا تلين، فإذا جاءتها الريحُ العاصفُ كسرَتها ويَقْصِمُها اللهُ عز وجل.

والشاهدُ من هذا الحديثِ قولُه: «إذا شاء».

فإذا قيل: كيف المثلُ بالنسبةِ للكافرِ؟

قلنا: الكافرُ إذا جاءه القضاءُ على غيرِ ما يُريدُ ارتَدَّ، كما قَالَ اللهُ تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ﴾ [الحج:١١]. فيَتَسخَّطُ ويَكْرَهُ

---

(١) رواه مسلم (٢٨٠٩).

قضاءَ الله، بل ويَكْرَهُ اللهَ -والعياذُ بالله-، أما المؤمنُ فلا، بل هو راضٍ بقضاءِ الله ﷻ، صابرٌ محتسبٌ، فهو وإن أصابته عواصفُ القضاءِ الشديدةُ لا يَتَأَثَّر.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٦٧- حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ ﭬ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: «إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، أُعْطِيَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ التَّوْرَاةَ فَعَمِلُوا بِهَا حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارُ ثُمَّ عَجَزُوا فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُعْطِيَ أَهْلُ الإِنْجِيلِ الإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا بِهِ حَتَّى صَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ عَجَزُوا فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُعْطِيتُمُ الْقُرْآنَ فَعَمِلْتُمْ بِهِ حَتَّى غُرُوبِ الشَّمْسِ فَأُعْطِيتُمْ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، قَالَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ: رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَقَلُّ عَمَلًا وَأَكْثَرُ أَجْرًا. قَالَ: هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ. قَالُوا: لَا. فَقَالَ: فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ».

الشاهدُ من هذا الحديثِ قولُه: «من أشاء». فأثبَت المشيئةَ، وهي مشيئةٌ في فعلِه تعالى لا في فعل العبدِ، وهذا متفقٌ عليه؛ أي: إثباتُ المشيئةِ في فعلِ الله، حتَّى عند المعتزلةِ الذين هم القدريةُ يُثْبِتُونَ مشيئةَ الله في فعلِه.

وفي هذا الحديثِ: دليلٌ على فضيلةِ هذه الأمةِ.

وفيه: دليلٌ على أن مَن منع فضلَه فإنه لا يُلامُ، إذا كان قد أَعْطَى ذا الحقِّ حقَّه، فهؤلاءِ الأُجَرَاءُ: الأَوَّلُ من أولِ النهارِ إلى انتصافِ النهارِ، عامَلهم على قيراطٍ، والثاني من انتصافِ النهارِ إلى صلاةِ العصرِ، عامَلهم أيضًا على قيراطٍ برضاهم، والثالثُ من صلاةِ العصرِ إلى الغروبِ عامَلهم على قيراطينِ قيراطينِ، فهل يَبْقَى حجةٌ للأولينَ؟

الجوابُ: لا؛ لأنه لم يَمْنَعْهُم حقَّهم، بل أَعْطَاهم حقَّهم، فإذا زاد أحدًا فإنه لا يُقَالُ: إنه ظَلَم. ما دام الأولونَ قد أُعْطُوا حقَّهم الذي رضُوا به.

فإن قَالَ قائلٌ: وهل يَجْرِي ذلك فيما لو أَعْطَى أولادَه شيئًا على درهمٍ درهمٍ ورضُوا به، ثم زاد أحدَهم شيئًا؟

فالجوابُ: لا؛ لأن أصلَ العطيةِ للأولادِ يَجِبُ أن تكُونَ بالسويةِ بين الذكورِ، وعلى النصفِ في الإناثِ؛ يَعْنِي: يَعْدِلُ بينهم ويَكُونُ للذكرِ مثلُ حظِّ الأنثيينِ، هذا في العطيةِ، أما في النفقةِ فالعدلُ أن يُعْطِيَ كلَّ واحدٍ سواءٌ كان من الإناثِ أو الذكورِ ما يَحْتَاجُه.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٦٨- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ الْمُسْنَدِيُّ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي رَهْطٍ فَقَالَ: «أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ

شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأُخِذَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ وَطَهُورٌ، وَمَنْ سَتَرَهُ اللهُ فَذَلِكَ إِلَى اللهِ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ»[1].

هذه البيعةُ التي في هذا الحديثِ تُسَمَّى بيعةَ النساءِ، والبيعةُ هي العهدُ والميثاقُ، وسمِّيت بيعةً؛ لأن كلَّ واحدٍ منهما يَمُدُّ باعه إلى آخرِ، لإثباتِ هذا العهدِ، فيقُولُ مثلًا: مُدَّ يدَكَ أُبايعْك على كذا وكذا. وهي بيعةُ النساءِ المذكورةُ في قولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الممتحنة:١٢] إلى آخره.

والشاهدُ من هذا الحديثِ قولُه: «فذلك إلى الله إن شاءَ عذَّبه وإن شاء غفَر له».

وفي هذا الحديثِ من الفوائدِ:

أن مَن أصابَ شيئًا من هذه القاذوراتِ كالزِّنا مثلًا، أو قتلِ الأولادِ، فأخِذ به في الدنيا فهو كفارةٌ له، وعلى هذا فالحدودُ كفاراتٌ لأصحابِها، فالزاني إذا زنى ثم رُجِم أو حُدَّ، فإن ذلك يَكُونُ كفارةً له، ولا يُعَاقَبُ عليه في الآخرةِ.

ولا يُشْكِلُ على هذا -أي: على أن الحدودَ كفاراتٌ- إلا قصةُ العُرَينيينَ الذينَ سَعَوا في الأرضِ فسادًا[2]، قَالَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٣٣﴾ [المائدة:٣٣]. فأثبَت لهم عقوبتينِ عقوبةً في الدنيا، وعقوبةً في الآخرةِ.

فإما أن يُقَالَ: إن هؤلاء لعظمِ جرمِهم وفسادِهم لم يَكُنِ الحدُّ مكفرًا عنهم، وصاروا يُحَدُّون في الدنيا فتُقطعُ أيديهم وأرجلُهم من خلافٍ، ولهم في الآخرةِ عذابٌ عظيمٌ، فعلى هذا يَكُونُ مستثنًى من بقيةِ الحدودِ.

وإما أن يُقَالَ: إن هذا منسوخٌ، وأن الحدودَ بعدُ صارت كفارةً لأصحابِها، ولكن النسخَ يَحْتَاجُ إلى تعذرِ إمكانِ الجمعِ، فإذا أمكَن الجمعُ فإنه لا نَسخَ، والجمعُ هنا سهلٌ وذلك بأن نَقُولَ: هذا يُسْتَثْنَى من بقيةِ الحدودِ.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٤٦٩- حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ أَسَدٍ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ لَهُ سِتُّونَ امْرَأَةً فَقَالَ: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى نِسَائِي، فَلْتَحْمِلْنَ كُلُّ امْرَأَةٍ وَلْتَلِدْنَ فَارِسًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَطَافَ عَلَى نِسَائِهِ فَمَا وَلَدَتْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةٌ وَلَدَتْ شِقَّ غُلَامٍ، قَالَ نَبِيُّ اللهِ

---

(١) رواه مسلم (١٧٠٩).
(٢) تقدم تخريجه.

ﷺ: «لَوْ كَانَ سُلَيْمَانُ اسْتَثْنَى لَحَمَلَتْ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ فَوَلَدَتْ فَارِسًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ»[1].

هذا الحديثُ الشاهدُ منه: قولُه: «لو كان سليمانُ اسْتَثْنَى». والمرادُ بالاستثناءِ قولُه: إن شاء اللهُ.

وسياقُ الحديثِ باللفظِ الآخرِ أصحُّ، وهو أن النساءَ كن تسعينَ امرأةً[2] لا ستينَ امرأةً، وأنه قيل له: قل إن شاء اللهُ. فلم يَقُلْ إن شاء اللهُ.

والبخاريُّ كما بيَّنا يَسُوقُ أحيانًا الحديثَ بلفظٍ لا يُطَابِقُ الترجمةَ بناءً على لفظٍ آخرَ يُطَابِقُها، أما أنه ذكره في محل آخرَ، وإما أنه جاء في روايةٍ ليست على شرطِه، وقلنا: إن هذا فيه فائدة وهي: حمل الإنسان على البحثِ؛ أي: البحث عن الحديث وهل هو على شرطِه أَوْ لا، والبحث عن مكانِه إن كان على شرطِه في الصحيحِ.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٤٧٠- حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ الْحَذَّاءُ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ فَقَالَ: «لَا بَأْسَ عَلَيْكَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ». قَالَ: قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: طَهُورٌ! بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ تُزِيرُهُ الْقُبُورَ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَنَعَمْ إِذًا».

الأعرابُ أجدرُ ألا يَعْلَمُوا ما أنزل اللهُ على رسولِه، فهذا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْجُو لهذا الأعرابيِّ ويَقُولُ: «لا بأسَ عليك طهورٌ إن شاء اللهُ». لكن كأن الْحُمَّى كانت شديدةً فقال الأعرابيُّ: «طهورٌ؟!» وهذه الجملةُ استفهاميةٌ؛ يَعْنِي: أيكونُ هذا طهورًا؟ ثم قَالَ: بل هي حمَّى تَفُورُ على شيخٍ كبيرٍ تُزيرُه القبورَ. فقال النَّبيُّ ﷺ: «فنعم إذًا». والظاهرُ أنها أزارته القبورَ؛ لأن الرسولَ قَالَ: «فنعم إذًا». فحرِمَ هذا الرجلُ بركةَ رجاءِ الرسولِ ﷺ بسببِ أن في قلبِه شيئًا من الغضبِ على ما حصَل له.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٤٧١- حَدَّثَنَا ابْنُ سَلَامٍ، أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ حُصَيْنٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أَبِيهِ حِينَ نَامُوا عَنِ الصَّلَاةِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ قَبَضَ أَرْوَاحَكُمْ حِينَ شَاءَ وَرَدَّهَا حِينَ شَاءَ»، فَقَضَوْا حَوَائِجَهُمْ وَتَوَضَّئُوا إِلَى أَنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَابْيَضَّتْ فَقَامَ فَصَلَّى[3].

الشاهدُ من هذا الحديثِ قولُه: «قبَض أرواحكم حين شاء وردَّها حين شاء».

****

---

(١) رواه مسلم (١٦٥٤).
(٢) تقدم تخرجه.
(٢) رواه مسلم (٦٨١).

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٤٧٢- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ قَزَعَةَ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ وَالْأَعْرَجِ. ح وحَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي أَخِي، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَتِيقٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ الْمُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ فِي قَسَمٍ يُقْسِمُ بِهِ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْعَالَمِينَ، فَرَفَعَ الْمُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذَلِكَ فَلَطَمَ الْيَهُودِيَّ، فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْمُسْلِمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ»[1].

الشاهدُ من هذا الحديثِ قولُه: «أو كان ممن اسْتَثْنَى اللهُ»؛ لأن الله تعالى استثنى هذا بالمشيئةِ فقال: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر:٦٨].

وفي هذا: دليلٌ على تواضعِ النَّبيِّ ﷺ حيث قَالَ: «لا تُخَيِّروني على موسى». كما قَالَ أيضًا: «لا تُخَيِّروني على يونُسَ بن مَتَّى». وذلك من تواضعِه عليه الصلاة والسلام، ومعنى قولِه: «لا تُخَيِّروني»؛ أي: لا تَقُولُوا هو خيرٌ من كذا، وهذا من التواضعِ، وإلَّا فلا شكَّ أن الرسولَ ﷺ خيرُ الأنبياءِ، قَالَ تعالى: ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٥٣].

* * * *

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٤٧٣- حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي عِيسَى، أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمَدِينَةُ يَأْتِيهَا الدَّجَّالُ فَيَجِدُ الْمَلَائِكَةَ يَحْرُسُونَهَا فَلَا يَقْرَبُهَا الدَّجَّالُ وَلَا الطَّاعُونُ إِنْ شَاءَ اللهُ»[2].

الشاهدُ من هذا الحديثِ قولُه: «إن شاء اللهُ».

وفي هذا بُشْرَى لأهلِ المدينةِ أن الدجالَ لا يَدْخُلُ عليهم المدينةَ، وأن الطاعونَ أيضًا لا يَقَعُ فيها.

ولكن قولَ الرسولِ ﷺ: «إن شاء اللهُ». يَحْتَمِلُ أن النَّبيَّ ﷺ قاله تبركًا وتحقيقًا، ويَحْتَمِلُ أنه قاله ترددًا وتعليقًا وأنه يُمْكِنُ أن يَأْتِيَها الطاعُونُ، أما الدجالُ فقد جاءت أحاديثُ كثيرةٌ[3] بدونِ استثناءٍ أنه لا يَدْخُلُها، ولكن لا يَعْنِي ذلك أن كلَّ من فيها يَسْلَمُ من فتنتِه؛ لأن المدينةَ حينئذٍ تَرْجُفُ ثلاثَ رجفاتٍ فيَخْرُجُ منها -أي: من

---

(١) رواه مسلم (٢٣٧٣).

(٢) رواه مسلم (٢٩٤٣).

(٣) انظر من ذلك ما رواه البخاري (٧١٣٣)، ومسلم (١٣٧٩).

المدينةِ- مَن كان منافقًا، أو كافرًا، أو ما أشبهَ ذلك.

قَالَ الحافظُ ابنُ حجرٍ في «الفتح»:

قيل: إنه يَتَعَلَّقُ بالطاعونِ فقط. وفيه نظرٌ وحديثُ محجن بن أدرع المذكورَ آنفًا يُؤَيِّدُ أنه لكلٍّ منهما[1] .اهـ

الظاهرُ -والله أعلمُ- أنه للتبركِ والتحقيقِ.

ﷺﷺ

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٧٤- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ فَأُرِيدُ إِنْ شَاءَ اللهُ أَنْ أَخْتَبِيَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[2].

الشاهدُ من هذا الحديثِ قولُه: «فَأُرِيدُ إِنْ شَاءَ اللهُ أَنْ أَخْتَبِيَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وهذا من فضلِه ﷺ على أمتِه أنه اختبأ الدعوةَ المستجابةَ له لهذا الغايةِ.

ﷺﷺ

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٧٥- حَدَّثَنَا يَسَرَةُ بْنُ صَفْوَانَ بْنِ جَمِيلٍ اللَّخْمِيُّ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ فَنَزَعْتُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ أَنْزِعَ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَنَزَعَ ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ واللهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا عُمَرُ فَاسْتَحَالَتْ غَرْبًا فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَفْرِي فَرِيَّهُ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ حَوْلَهُ بِعَطَنٍ»[3].

هذه الرؤيةُ أُوِّلت بالخلافةِ، والضعفُ الذي حصَل لأبي بكرٍ رضي الله عنه زال اللَّومُ عنه في قولِ النَّبيِّ ﷺ: «واللهُ يَغْفِرُ له».

وهو أيضًا ضعفٌ نسبيٌّ؛ أي: بالنسبةِ لما حصَل من عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه؛ لأن الفتوحاتِ في عهدِ عمرَ رضي الله عنه أكثرُ بكثيرٍ من الفتوحاتِ في عهدِ أبي بكرٍ، فإن أبا بكرٍ رضي الله عنه اشتغَل بحروبِ الردةِ وبأشياءَ داخليةٍ، ولم تَنْتَشِرِ الفتوحاتُ في عهدِه كما انتشَرت في عهدِ عمرَ رضي الله عنه، ومع ذلك فإن الرسولَ ﷺ بادَر فقال: «واللهُ يَغْفِرُ له» وحينئذٍ يَنْدَفِعُ اللومُ ويَتِمُّ النقصُ الذي ذكَره النَّبيُّ ﷺ.

والشاهدُ من هذا الحديثِ قولُه: «فنزَعت ما شاء اللهُ أن أنزِعَ». ففيه إثباتُ المشيئةِ.

ﷺﷺ

---

(١) انظر: «الفتح» (١٣/ ١٠٥).

(٢) رواه مسلم (١٩٨).

(٢) رواه مسلم (٢٣٩٢).

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٧٦- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا أَبو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ السَّائِلُ وَرُبَّمَا قَالَ: جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ صَاحِبُ الْحَاجَةِ قَالَ: «اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا وَيَقْضِي اللهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ مَا شَاءَ»[1].

الشاهدُ من هذا الحديثِ قولُه: «على لسانِ رسولِه ما شاء».

وفي هذا الحديثِ: دليلٌ على استحبابِ الشفاعةِ لصاحبِ الحاجةِ، وهذا مشروطٌ بما إذا لم يَكُنْ في ذلك مفسدةٌ، فإن كان في ذلك مفسدةٌ فإن الشفاعةَ لا تُشْرَعُ؛ لأن الشفاعةَ مصلحةٌ محدودةٌ تَرْجِعُ إلى صاحبِها الذي شُفِع له، فإذا كان ذلك يَتَضَمَّنُ مفسدةً عامَّةً أو مفسدةً خاصةً على نفسِ المشفوعِ له فإنها لا تُشْرَعُ.

فلو جاء شخصٌ يَسْأَلُ نفقةً، وأنا أَعْلَمُ أنه إذا أُعْطِي النفقةَ سوف يُبَذِّرُها، ويَشْتَري بها ما يَحْرُمُ من دخانٍ أو غيرِه، فحينئذٍ لا تُشْرَعُ الشفاعةُ؛ لأن هذه الشفاعةَ سَتُؤَدِّي إلى شيءٍ محرم.

وكذلك إذا كان يُخْشَى مفسدةً عامةً، بحيث إذا شفِعت له صار هذا وسيلةً لأن يَسْتَعْمِلَ الناسُ الرَّشَاوي والوثائقَ المحرمةَ، فهذا أيضًا لا نَشْفَعُ له.

أما إذا لم يَكُنْ في ذلك مفسدةٌ، فلا شكَّ أن الشفاعةَ للناسِ وقضاءَ حوائجِهم مأمورٌ بها شرعًا.

****

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٧٧- حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ هَمَّامٍ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، ارْزُقْنِي إِنْ شِئْتَ، وَلْيَعْزِمْ مَسْأَلَتَهُ إِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ لَا مُكْرِهَ لَهُ»[2].

سبَق الكلامُ على هذا الحديثِ، والشاهدُ منه قولُه: «إن شئت». لكنه سبَق بلفظٍ أعمَّ، حيث قَالَ: «إذا دعَا أحدُكم». فيَكُونُ أعمَّ من طلبِ المغفرةِ، أو طلبِ الرحمةِ.

****

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٧٨- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا أَبو حَفْصٍ عَمْرٌو، حَدَّثَنَا الأَوْزَاعِيُّ، حَدَّثَنِي ابْنُ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ تَمَارَى هُوَ وَالْحُرُّ بْنُ قَيْسِ بْنِ حِصْنٍ الْفَزَارِيُّ فِي صَاحِبِ مُوسَى أَهُوَ خَضِرٌ؟ فَمَرَّ بِهِمَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ الأَنْصَارِيُّ فَدَعَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨٥).

(٢) رواه مسلم (٢٦٧٩).

فَقَالَ: إِنِّي تَمَارَيْتُ أَنَا وَصَاحِبِي هَذَا فِي صَاحِبِ مُوسَى الَّذِي سَأَلَ السَّبِيلَ إِلَى لُقِيِّهِ، هَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ شَأْنَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «بَيْنَا مُوسَى فِي مَلإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ فَقَالَ مُوسَى: لَا. فَأُوحِيَ إِلَى مُوسَى: بَلَى عَبْدُنَا خَضِرٌ. فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَى لُقِيِّهِ فَجَعَلَ اللهُ لَهُ الْحُوتَ آيَةً، وَقِيلَ لَهُ: إِذَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ، فَكَانَ مُوسَى يَتْبَعُ أَثَرَ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ فَتَى مُوسَى لِمُوسَى: أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ. قَالَ مُوسَى: ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا فَوَجَدَا خَضِرًا وَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا مَا قَصَّ اللهُ»[1].

المؤلفُ رَحِمَهُ اللَّهُ اختصَر القصةَ في هذا المكانِ والشاهدُ منها قولُ موسى للخضرِ: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ [الكهف:٦٩].

* ****

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٧٩- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ. وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَن ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «نَنْزِلُ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ. يُرِيدُ الْمُحَصَّبَ»[2].

هذا القولُ قاله الرسولُ ﷺ في حجةِ الوداعِ. والمُحَصَّبُ سمِّي بذلك؛ لأنه كثيرُ الحصباءِ، وهو محلٌّ في ظاهرِ مكةَ، لمَّا نزل النبيُّ ﷺ حين رمى الجمراتِ في اليوم الثالثَ عشرَ نزلَ وصلَّى بها الظهرَ والعصرَ، والمغربَ والعشاءَ، ثم رقَد، ثم في آخرِ الليلِ ارتحَل حتَّى أتَى المسجدَ الحرامَ، ثم طَافَ طوافَ الوداعِ، ثم صلَّى صلاةَ الفجرِ، ثم انصرَف راجعًا إلى المدينةِ.

والشاهدُ من هذا الحديثِ قولُه: «نَنْزِلُ غدًا إن شاء اللهُ».

* ****

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٨٠- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: حَاصَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَهْلَ الطَّائِفِ فَلَمْ يَفْتَحْهَا، فَقَالَ: «إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ». فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: نَقْفُلُ وَلَمْ نَفْتَحْ. قَالَ: «فَاغْدُوا عَلَى الْقِتَالِ»، فَغَدَوْا فَأَصَابَتْهُمْ جِرَاحَاتٌ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ» فَكَأَنَّ ذَلِكَ أَعْجَبَهُمْ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ[3].

---

(١) رواه مسلم (٢٣٨٠).
(٢) رواه مسلم (١٣١٤).
(٢) رواه مسلم (١٧٧٨).

قولُه: فتبسم رَسُولُ اللهِ ﷺ. ذلك لأن رأيَه الأولَ كان خيرًا من رأيهم، لكنَّ هذه عادةُ النَّبـيِّ ﷺ أنه يُعْطِيهم بعضَ الشيءِ الذي يُرِيدُونَ حتَّى يَعْرِفُوا أن رأيَه هو الصوابُ، ومثلُ ذلك لـما نهـاهم عـن الوصالِ فقالوا: إنك تُواصِلُ. فوَاصَلَ بهم يومًا ويومًا ويومًا حتَّى دخَل شهرُ شوالٍ، فقال: «لـو تـأخَّر الهلالُ لزِدْتُكم»[1]. فمكَّنهم من الوصالِ مع نهيِه إيَّاهم عنه؛ حتَّى يَتَبَيَّنَ لهم بعد ذلك أن الحكمـةَ فـيما نهَاهم عنه، وهو تَرْكُ الوصالِ.

فهذا الحديثُ أيضًا مثلُه، فإنه لما قَالَ: «إنا قافلونَ». قالوا: نَقْفِلُ ولم نَفْتَحْ. فتركَهم، فلـما أُصِيبُوا بالجراحِ قَالَ: «إنا قافلونَ» أعجَبهم الأمرُ، فتبسَّم النَّبيُّ ﷺ وقفَل.

* ❁❁❁ *

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٢- باب قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ:٢٣]. **وَلَمْ يَقُلْ مَاذَا خَلَقَ رَبُّكُمْ. وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ:** ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وَقَالَ مَسْرُوقٌ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ شَيْئًا، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ وَسَكَنَ الصَّوْتُ عَرَفُوا أَنَّهُ الْحَقُّ، وَنَادَوْا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ.

وَيُذْكَرُ عَنْ جَابِرٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُنَيْسٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يَحْشُرُ اللهُ الْعِبَادَ فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدَّيَّانُ».

هذا البابُ عقَده المؤلفُ رَحِمَهُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ أن قولَ الله عَزَّ وَجَلَّ يَكُونُ بصوتٍ، وهذا الذي عليه السلفُ الصالحُ أن كلامَ الله تعالى بحرفٍ وصوتٍ، والأدلةُ على ذلك سبقت، وقلنا: إن قولَ الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:١١٦]. ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [البقرة:٣٤]. وأمثالَهما تدُلُّ دلالةً واضحةً على أنه يَقُولُ قولًا يُسْمَعُ.

بل إن اللهَ فصَّل الصوتَ بأنه يَكُونُ رفيعًا ويَكُونُ دونَ ذلك، كما قَالَ تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم:٥٢]. فالسلفُ يَقُولُونَ: إن اللهَ يَتكلَّمُ ويَقُولُ بكلامٍ مسموعٍ، وبكلامٍ يَكُونُ بحروفٍ، وهذه الحروفُ متعاقبةٌ وليست متقارنةً، فالباءُ في بسمِ الله الرحمنِ الرحيمِ سابقةٌ والسينُ بعدها، والميمُ بعدها، وهَلُمَّ جرًّا، ولا يَضُرُّ أن تُثْبِتَ الحروفَ حرفًا بعد حرفٍ؛ لأنه كما سبَق أن اللهَ لم يَزَلْ ولا يَزَالُ فعَّالًا، والذي يَحْدُثُ هو آحادُ الكلامِ، وهو من الكمالِ أن يَكُونَ متى شاء تكلَّم بما شاء.

وأما الصوتُ فظاهرٌ أيضًا، قَالَ تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ فهذا بصوتٍ عالٍ، ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ وهذا بصوتٍ منخفضٍ، وفي الحديثِ يَقُولُ اللهُ تعالى: «يا آدمُ، فيَقُولُ: لبيك وسعديك. فيُنَادِي

---

[1] رواه البخاري (١٩٦٥)، ومسلم (١١٠٣).

بصوتٍ: إن اللهَ يأْمُرُكَ أن تُخرِجَ من ذريتِك بعثًا من النارِ»(١)، قَالَ: «فيُنَادِي بصوتٍ». فأكَّد النداءَ بأنه بصوتٍ، مع أن النداءَ لا يَكُونُ إلا بصوتٍ، لكن هذا من بابِ التوكيدِ لقولِه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء:١٦٤].

قولُه: بابُ قولِ الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ إلى آخرِه. هذه الآيةُ بقيةُ آيةٍ سبقت وهي: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ:٢٢-٢٣]. فهذه الآيةُ والتي بعدَها قطَعت جميعَ ما يَتعلَّقُ به المشرِكونَ، وبيَّنت أن أوثانَهم وأصنامَهم لا تَسْتحِقُّ العبادةَ بأيِّ وجهٍ من الوجوهِ.

أولًا: يَقُولُ: ﴿لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يَعْنِي: لا يملِكُونَها استقلالًا، فمثلًا: لا يَمْلِكُونَ الأرضَ، ولا يَمْلِكُونَ السماءَ، ولا يَمْلِكُونَ نجمةً من النجومِ، ولا يَمْلِكُونَ شجرةً من الأشجارِ، ولا يَمْلِكُونَ ذرةً من الذراتِ من الأرضِ على وجهِ الاستقلالِ، ﴿وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ﴾ يَعْنِي: ولا يَمْلِكُونَها على وجهِ المشاركةِ.

والفرقُ بين ملكِ الاستقلالِ، والمشاركةِ يَظْهَرُ بهذا المثالِ:

لو قدَّرنا أن هناك عشرةً من الغنمِ لي فيها خمسٌ معيناتٌ، ولك خمسٌ معيناتٌ. فهذا مُلكٌ استقلاليٌّ، وإذا كانت هذه العشرُ بَيْنَنَا، ورِثناها عن أبينا مثلًا. فهذا ملكُ مشاركةٍ.

فهذه الأصنامُ لا تَمْلِكُ مثقالَ ذرةٍ على وجهِ الاستقلالِ من السمواتِ والأرضِ، ولا تُشَارِكُ أيضًا في ذرةٍ واحدةٍ من السمواتِ والأرضِ، ﴿وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ﴾ [سبأ:٢٢].

هل هذه الأصنامُ أعانت اللهَ على خلقِ السمواتِ والأرضِ؟

الجوابُ: لا، قَالَ عَجَّلَ: ﴿وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢﴾ [سبأ:٢٢]. فلو كان له منهم ظهيرٌ لقيل: إن هذه الأصنامَ بها شيءٌ من التعلقِ بالسمواتِ والأرضِ. لكن حتَّى المساعدةَ والإعانةَ منتفيةٌ عنها، فهي لم تُسَاعِدِ اللهَ سبحانه ولم تُعِنْه في خلقِ السمواتِ والأرضِ، وهو سبحانه أغنى الشركاءِ عن الشركِ، إذن ليس لها يد على شيءٍ من السموات والأرض فبقيت الشفاعة، فهل تَشْفَعُ هذه الأصنامُ عندَ اللهِ؟

الجوابُ: لا، قَالَ تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ ومعلومٌ أن اللهَ لا يأْذَنُ لهذه الأصنامِ؛ لأنه لا يَرْضَاهَا، ولا يَرْضَى مَن تَشْفَعُ له وهم الكفارُ.

وبذلك انقطَعت جميعُ العلائقِ التي يَتعَلَّقُ بها المشركونَ.

ثم قَالَ مبينًا لعظمتِه سبحانه، وأن هذه الأصنامَ ليست بشيءٍ بالنسبةِ لعظمتِه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡ﴾ أي: إذا تكلَّم صعقت الملائكةُ؛ أي: غشِي عليها من عظمةِ ما تَسْمَعُ، فإذا فزِّع عن قلوبِهم؛ أي:

---

(١) تقديم تخريجه.

أُزِيلَ عنها الفزعُ ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ يَعْنِي: يَتَسَاءَلُونَ فيما بينهم ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ وفي بعضِ ألفاظِ الحديثِ أنهم يَسْأَلُونَ جبريلَ؛ لأنه أولُ من يَفِيقُ فيقُولُونَ: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ فيَقُولُ: ﴿قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ فمَن هذه عظمتُه كيف يَلِيقُ عقلًا أن يُشْرَكَ به مَن لا يَمْلِكُ شيئًا في السمواتِ ولا في الأرضِ، وليس له فيها شركةٌ، وما به من ظهيرٍ، وشفاعتُه لا تَنْفَعُ عند الله.

۞ وقولُه: ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾. قولُه: «ماذا» استفهاميةٌ وتكُونُ منصوبةً على أنها مقولُ القولِ، ولهذا كان الجوابُ: «قالوا الحق». ولم يَكُنِ الجوابُ قالوا: الحقُّ؛ لأنه لو كانت «ذا» اسمًا موصولًا على أنها خبرٌ، لكان الجوابُ يُطَابِقُ السؤالَ فيَقُولُ: الذي قَالَ الحقُّ.

۞ ثم قَالَ سبحانه: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ العليُّ: بذاتِه وصفاتِه، وعلوُّ الصفاتِ متفقٌ عليه بين أهلِ القبلةِ، حتَّى أهلَ البدعِ يُثْبِتُونَ لله علوَّ الصفاتِ، على حسبِ مفهومِهم في علوِّ الصفةِ؛ لأنهم قد يَقُولُونَ: في هذا علوُّ صفةٍ. وهي نقصٌ، كقولِهم مثلًا: إن الله تعالى لا تَقُومُ به الحوادثُ، ولا يَسْتَطِيعُ أن يَنْزِلَ، ولا يَسْتَطِيعُ أن يَسْتَوِيَ على العرشِ، وما أشبه ذلك.

لكن على كلِّ حالٍ: فأهلُ القبلةِ؛ أي: من يَنْتَسِبُ للإسلامِ، كلهم متَّفِقونَ على أن الله عالٍ علوَّ صفةٍ حسبَ مفهومِهم في علوِّ الصفةِ.

أما علوُّ الذاتِ، فإنه عند السلفِ فقط، أما أهلُ التحريفِ والتعطيلِ، أو أهلُ الحلولِ، فلا؛ لأن أهلَ الحلولِ من الجهميةِ وغيرهم يَقُولُونَ: إن الله في كلِّ مكانٍ. وأهلُ التعطيلِ يَقُولُونَ: لا يُوصَفُ بأنه فوقَ العالمِ ولا تحتَه، ولا يمينٌ ولا شمالٌ، ولا متصلٌ ولا منفصلٌ. وقد سبَق الكلامُ على هذا، وبيانُ أن العلوَّ الذاتيَّ قد دلَّ عليه الكتابُ والسنةُ والإجماعُ والعقلُ والفطرةُ.

قَالَ: ﴿الْكَبِيرُ﴾ فهو تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذو الكبرياءِ والعظمةِ.

۞ وقوله: «ولم يَقُلْ: ماذا خلَق ربُّكم». هذا ردٌّ على الجهميةِ الذين يَقُولُونَ: إن كلامَ الله مخلوقٌ. وربما نَقُولُ: وعلى الأشاعرةِ الذين يَقُولُونَ: إن ما يُسْمَعُ مخلوقٌ؛ لأن الأشاعرةَ يَقُولُونَ: ما يُسْمَعُ من كلام الله ليس هو كلامَ الله، بل كلامُ الله هو المعنى القائمُ بنفسِه، وأما ما يُسْمَعُ فهو مخلوقٌ خلَقَه الله للتعبيرِ عما في نفسِه.

۞ وقوله: «وقال جلَّ ذكرُه: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾»؛ يَعْنِي: لا أحدَ يَشْفَعُ إلا بإذنِه، والإذنُ هو الأمرُ لمَن طلَب الشفاعةَ أن يَشْفَعَ، وهذا لا يَكُونُ إلا بالكلامِ.

۞ وقوله: «وقال مسروقٌ: عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: إذا تكلَّم الله بالوحيِ سمِع أهلُ السمواتِ شيئًا، فإذا فزِّع عن قلوبِهم، وسكَن الصوتُ، عرَفوا أنه الحقُّ، ونادوا: ماذا قَالَ ربُّكم قالوا: الحقُّ».

وهذا القولُ عن ابنِ مسعودٍ معلَّقٌ في البخاريِّ، لكنه مجزومٌ به، وقد قَالَ أهلُ الاصطلاحِ: إن البخاريَّ إذا روَى شيئًا معلَّقًا مجزومًا به فهو عنده صحيحٌ، ولكن لا يَلْزَمُ من صحتِه عنده أن يَكُونَ صحيحًا عند غيرِه.

وابنُ مسعودٍ رضي الله عنه حين يتكلَّم بهذا الكلام يَكُونُ له حكمُ الرفعِ؛ لأن هذا الكلامَ لا يُقالُ بالرأيِ والاجتهادِ.

ثم قَالَ: «ويُذْكَرُ عن جابرٍ». قولُه: يُذْكَرُ. بصيغةِ التمريضِ، فهو عنده ضعيفٌ.

ثم قَالَ: «عن عبدِ الله بنِ أنيسٍ قَالَ: سمِعتُ النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ: **«يَحْشُرُ اللهُ العبادَ فيُنَادِيهِم بصوتٍ يَسْمَعُهُ مَن بَعُدَ كما يَسْمَعُهُ مَن قَرُبَ: أنا الملكُ، أنا الدَّيَّانُ»**. وهذا الحديثُ هو الحديثُ المشهورُ الذي ارتَحَل له جابرُ بنُ عبد الله مسيرةَ شهرٍ، وذلك أنه حُدِّثَ بهذا الحديثِ عن عبدِ الله بنِ أنيسٍ، فذهَبَ إلى عبدِ الله بنِ أنيسٍ مسيرةَ شهرٍ. قَالَ أهلُ الاصطلاحِ: يَطْلُبُ علوَّ السندِ. وقال أصحابُ الفقهِ: للاستثباتِ والتثبتِ. وبين القولينِ فرقٌ.

فالأولونَ يَقُولُونَ: المقصودُ بذلك هو طلبُ علوِّ السندِ؛ لأن الحديثَ إذا روِي عن ثلاثةٍ، ثم روِي عن أربعةٍ، فعن الثلاثةِ يَكُونُ أعلى، والآن جابرٌ قد حُدِّث بالحديثِ فصار بينه وبين الرسولِ ﷺ عبدُ الله بنُ أنيسٍ، والواسطةُ التي بين جابرٍ وعبدِ الله بنِ أنيسٍ، لكن إذا روَاه عن عبدِ الله مباشرةً صار بينه وبين الرسولِ واحدٌ فقط، وهذا علوُّ سندٍ.

وقال الفقهاءُ: بل هذا من أجلِ التثبتِ والاستثباتِ في الخبرِ.

ولو قَالَ قائلٌ: بأنه للأمرينِ جميعًا، لم يَكُنْ هذا بعيدًا، وإن كانت مَسْأَلَةُ علوِّ السندِ، أو نزولِ السندِ، لم تَكُنْ معروفةً في ذلك العهدِ تلك المعرفةَ التي يُشَارُ إليها ويُرْتَحَلُ إليها، من خَرَّج الحديثَ.

قَالَ الحافظُ ابنُ حجرٍ رحمه الله في «الفتح» (١٣/ ٤٥٧):

قولُه: «ويُذْكَرُ عن جابرِ بنِ عبدِ الله، عن عبدِ الله بنِ أنيسٍ». بنونٍ ومهملةٍ مصغرةٍ، هو الجُهَنِيُّ كما تقدَّم في كتابِ العلمِ، وأن الحديثَ الموقوفَ هناك طرف من هذا الحديثِ المرفوعِ، وتقدَّم بيانُ الحكمةِ من إيرادِه هناك بصيغةِ الجزمِ وهنا بصيغةِ التمريضِ، وساقه هنا من الحديثِ بعضَه وأخرَجه بتمامِه في الأدبِ المفردِ، وكذا أَخْرَجَه أحمدُ وأبو يَعْلَى والطبرانيُّ كلُّهم عن طريقِ همام بنِ يحيى، عن القاسمِ بنِ عبدِ الواحدِ المكيِّ، عن عبدِ الله بنِ محمدِ بنِ عقيلٍ أنه سمِع جابرَ بنَ عبدِ الله يَقُولُ..فذكَر القصةَ، وأَوَّلُ المتنِ المرفوعِ: **«يَحْشُرُ اللهُ الناسَ يومَ القيامةِ -أو قَالَ: العبادَ- عراةً غُرْلًا بُهْمًا، قَالَ: قُلْنَا: وما بُهْمًا؟ قَالَ: ليس معهم شيءٌ، ثم يُنَادِيهم...»** فذكَره وزاد بعد قولِه «الدَّيَّانُ»: **«لا يَنْبَغِي لأحدٍ من أهلِ النارِ أن يَدْخُلَ النارَ وله عند أحدٍ من أهلِ الجنةِ حقٌّ حتَّى يَقُصَّهُ منه، ولا يَنْبَغِي لأحدٍ من أهلِ الجنةِ أن يَدْخُلَ الجنةَ ولأحدٍ من أهلِ النارِ عنده حقٌّ حتَّى يَقُصَّهُ منه حتَّى اللطمةَ. قَالَ: قلنا: كيف. وأنا إنما نَأْتِي عراةً بُهْمًا؟ قَالَ: الحسناتُ والسيئاتُ»**. لفظُ أحمدَ عن يزيدِ بنِ هارونَ عن همامٍ، وعبدِ الله بنِ محمدِ بنِ عقيلٍ مختلفٌ في الاحتجاجِ به، وقد أشَرت إلى ذكرِ من تابعه في كتابِ العلمِ.اهـ

الشاهدُ من هذا الحديثِ قولُه: «ينادي بصوت يسمعه مَن بَعُدَ كما يسمعه مَن قَرُبَ». إذًا فهو صوت عظيم يبلغ الناس كلهم القريبين منهم والبعيدين.

***

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٨١- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَضَى اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ».

قَالَ عَلِيٌّ وَقَالَ غَيْرُهُ: صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ.

قَالَ عَلِيٌّ: وَحَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا عَمْرٌو، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بِهَذَا.

قَالَ سُفْيَانُ: قَالَ عَمْرٌو: سَمِعْتُ عِكْرِمَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ عَلِيٌّ: قُلْتُ لِسُفْيَانَ قَالَ: سَمِعْتُ عِكْرِمَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ لِسُفْيَانَ: إِنَّ إِنْسَانًا رَوَى عَنْ عَمْرٍو عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ أَنَّهُ قَرَأَ فُزِّعَ قَالَ سُفْيَانُ: هَكَذَا قَرَأَ عَمْرٌو، فَلَا أَدْرِي سَمِعَهُ هَكَذَا أَمْ لَا. قَالَ سُفْيَانُ: وَهِيَ قِرَاءَتُنَا.

قَالَ الحافظُ ابنُ حجرٍ في «الفتح» (١٣/ ٤٥٨-٤٥٩):

قولُه: «إذا قضى اللهُ الأمرَ في السماءِ». وقَع في حديثِ ابنِ مسعودٍ المذكورِ أولًا: «إذا تكلَّم اللهُ في الوحي». وكذا في حديثِ النَّوَّاسِ بنِ سَمْعَانَ عند الطبرانيِّ.

قولُه: «ضربَت الملائكةُ بأجنحتِها». في حديثِ ابنِ مسعودٍ: «سمِع أهلُ السماءِ الصَّلْصَلَةَ».

قولُه: «خُضْعَانًا». مصدرٌ كقولِه: غُفْرَانًا. قاله الخطابيُّ، وقال غيرُه: هو جمعُ خاضعٍ.

قولُه: (قَالَ عليٌّ). هو ابنُ المدِينيِّ أو قَالَ غيرُه: «صفوانٍ يَنفُذُهم». قَالَ عياضٌ: ضبطوه بفتحِ الفاءِ من صفوانٍ. وليس له معنى وإنما أراد لغيرِ المُبْهَم.

قولُه: «يَنفُذُهم». وهو بفتحِ أولِه وضمِّ الفاءِ؛ أي: يَعُمُّهم. قلت: وكذا أَخرَجه ابنُ أبي حاتمٍ عن محمدِ بنِ عبدِ الله بنِ زيدٍ، عن سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ بهذه الزيادةِ، ولكن لا يُفَسَّرُ به الغيرُ المذكورُ؛ لأن المرادَ به غيرُ سفيانَ، وذكَره الكرمانيُّ بلفظِ: صفوانٍ يَنفُذُ فيهم ذلك بزيادةِ لفظِ الإنفاذِ؛ أي: يُنفِذُ اللهُ ذلك القولَ إلى الملائكةِ، أو من النفوذِ؛ أي: يَنفُذُ ذلك إليهم أو عليهم.

ثم قَالَ: ويَحتمِلُ أن يُرادَ غيرُ سفيانَ، قَالَ: إن صفوانًا بفتحِ الفاءِ، فالاختلافُ في الفتحِ والسكونِ، ويَنفُذُهم غيرُ مختصٍّ بالغيرِ، بل مشتركٌ بين سفيانَ وغيرِه انتهى

وسياقُ عليٍّ في هذه الروايةِ يُخالِفُ هذا الاحتمالَ، لكن قد وقَعت زيادةُ: «يَنفُذُهم» في الروايةِ التي ذكَرتُها وهي عن سفيانَ فيُقوِّي ما قَالَ.

ثُمَّ قَالَ ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

تنبيهٌ: وقَع في تفسيرِ سورةِ الحجرِ بالسندِ المذكورِ هنا بعدَ قولِه: وهو العليُّ الكبيرُ فسمِعها مُسْتَرِقُو السمعِ، هكذا إلى آخرِ ما ذكَر من ذلك، وهذا مما يُبيِّنُ أن التفزيعَ المذكورَ يقَعُ للملائكةِ، وأن الضميرَ في قلوبهم للملائكةِ لا للكفارِ، بخلافِ ما جزَم به مَن قدَّمت ذكرَه من المفسرينَ.

وقد وقَع في حديثِ النَّوَّاسِ بنِ سَمْعَانَ الذي أَشَرتُ إليه ما نصُّه: «أَخذَت أهلُ السمواتِ منه

رعدةً خوفًا من الله وخرُّوا سُجَّدًا فيكونُ أولَ مَن يَرْفَعُ رأسَه جبريلُ، فيُكَلِّمُه اللهُ بما أراد، فيَمْضِي به على الملائكةِ من سماءٍ إلى سماءٍ».

وفي حديثِ ابنِ عباسٍ عند ابنِ خُزَيْمَةَ وابنِ مَرْدَوَيه: «كمرِّ السلسلةِ على الصفوانِ، فلا يَنْزِلُ على أهلِ السماءِ إلا صُعِقُوا، فإذا فزِّع عن قلوبِهم» إلى آخرِ الآيةِ ثم يَقُولُ: يَكُونُ العامُ كذا فيَسْمَعُه الجن.

وعند ابنِ مَرْدَوَيهِ من طريقِ بَهزِ بنِ حكيم، عن أبيه، عن جدِّه: «لما نزَل جبريلُ بالوحيِ فزِع أهلُ السماءِ لانحطاطِه، وسمِعوا صوتَ الوحيِ كأشَدِّ ما يَكُونُ من صوتِ الحديدِ على الصَّفَا، فيَقُولُونَ: يا جبريلُ بما أُمِرت» الحديثَ.

وعنده وعند ابن أبي حاتمٍ من طريقِ عطاءَ بنِ السائبِ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ، عن ابنِ عباسٍ: «لم تَكُنْ قبيلةٌ من الجنِّ إلا ولهم مقاعدُ للسمعِ، فكان إذا نـزَل الوحيُ سمِع الملائكةُ صوتًا كصوتِ الحديدةِ ألقيتها على الصفا، فإذا سمِعت الملائكةُ ذلك خَرُّوا سُجَّدًا، فلم يَرْفَعُوا حتَّى يَنْزِلَ، فإذا نـزَل قالوا: ماذا قَالَ ربُّكم؟ فإن كان مما يكون في السماء قالوا: الحق. وإن كان مما يكون في الأرض من غيث أو موت تكلَّموا فيه، فسمِعت الشياطينُ، فيَنْزِلُونَ على أوليائِهم من الإنسِ».

وفي لفظ: فيقولون: «يكون العام كذا فيسمعه الجن فتحدثه الكهنة».

وفي لفظٍ: «يَنْزِلُ الأمرُ إلى السماءِ الدنيا له وقعةٌ كوقعِ السلسلةِ على الصخرةِ، فيَفْزَعُ له جميعُ أهلِ السمواتِ»... الحديثَ.

فهذه الأحاديثُ ظاهرةٌ جدًّا في أن ذلك وقَع في الدنيا، بخلافِ قولِ مَن ذكَرنا من المفسرينَ الذين أقدموا على الجزمِ بأن الضميرَ للكفارِ، وأن ذلك يَقَعُ يومَ القيامةِ مخالفينَ لما صحَّ من الحديثِ النبويِّ من أجلِ خفاءِ معنى الغايةِ في قولِه: «حتَّى إذا فزِّع عن قلوبِهم» وفي الحديثِ إثباتُ الشفاعةِ.اهـ

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٨٢- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: قال رسول الله ﷺ: «مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ، وَقَالَ صَاحِبٌ لَهُ يُرِيدُ أَنْ يَجْهَرَ بِهِ»[1].

الشاهدُ من هذا الحديثِ قولُه: «ما أذِن اللهُ لشيءٍ ما أذِن للنبيِّ». ومعنى هذا الإذنِ الاستماعُ للشيءِ؛ يَعْنِي: ما استمَعَ اللهُ لشيءٍ كاستماعِه لنبيٍّ حسنِ الصوتِ كما في روايةٍ أخرى يَتَغَنَّى بالقرآنِ؛ يَعْنِي: يَجْهَرُ به.

وهذا دليلٌ على: أن اللهَ ﷻ يَستَمِعُ إلى مَن يَقْرَأُ القرآنَ، وكلما كان الإنسانُ أحسنَ صوتًا وأداءً

---

[1] رواه البخاري (٧٤٨٢)، ومسلم (٧٩٢).

كان اللهُ إليه أسمَع.

وظاهرُ سياقِ البخاريِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أنه يَرى أن المرادَ بالإذنِ الإذنُ الكونيُّ؛ يَعْنِي: أنه عَزَّ وَجَلَّ يَأْمُرُ هذا النَّبيَّ فيَتَغَنَّى بالقرآنِ؛ لأنه سَاقَه في الأحاديثِ التي يَتَحَدَّثُ فيها عن الكلامِ.

قَالَ الحافظُ ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (١٣/ ٤٦٠):

وأشار بإيرادِه هنا إلى حديثِ فُضَالةَ بنِ عبيدٍ، الذي أَخْرَجه ابنُ ماجه من روايةِ مَيْسَرةَ مَوْلَى فُضَالةَ، عن فضالةَ بنِ عبيدٍ قَالَ: قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «للهُ عَزَّ وَجَلَّ أشدُّ أَذَنًا إلى الرجلِ الحسنِ الصوتِ بالقرآنِ مِن صاحبِ القينةِ إلى قينتِه». وذكَره البخاريُّ في «خلقِ أفعالِ العبادِ» عن ميسرةَ، وقولُه: «أَذَنًا» بفتحِ الهمزةِ والمعجمةِ؛ أي: استماعًا.اهـ

ويُحتَمَلُ أن البخاريَّ رَحِمَهُ اللَّهُ سَاقه في هذا البابِ؛ لقولِه: «يَتَغَنَّى بالقرآنِ». والقرآنُ سبَق أنه كلامُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وهذا أقربُ؛ لأن المعنى الذي أَشَرنا إليه أولًا بعيد من أنه من الإذنِ الذي هو الأمرُ بعيدٌ.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٨٣- حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْص بْنِ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قال النَّبيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ: يَا آدَمُ. فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ. فَيُنَادَى بِصَوْتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ»[1].

الشاهدُ من هذا الحديثِ قولُه: «فيُنَادِي بصوتٍ: إنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ». وقد رُوِيَ: «فيُنَادَى بصوتٍ: إن اللهَ يَأْمُرُك». فأبطلَ مَن يَقُولُ: «إن اللهَ تعالى لا يَتَكَلَّمُ بحرفٍ وصوتٍ» الاستدلالَ بهذا الحديثِ على أن اللهَ يَتَكَلَّمُ بحرفٍ وصوتٍ، وقال: إن قولَه: «فيُنَادَى». أي: يُنَادِي ملكٌ من الملائكةِ، بدليلِ قولِه: «إن اللهَ يَأْمُرُك». حيث سَاقَه مساقَ الغائبِ.

ولكنَّ هذا وإن كان له احتمالٌ إلا أنه ضعيفٌ، يُضَعِّفُه أن اللهَ يَقُولُ: يا آدمُ. فيَقُولُ: لبيك وسعديك. فكان مُقْتَضَى ذلك أن الذي يُنَادِيه هو اللهُ، فكيف يَقُولُ: يا آدمُ. فإذا قَالَ: لبيك وسعديك. وكَّلَ ملكًا يُكَلِّمُه، هذا بعيدٌ من السياقِ، وإنما الذي ناداه هو اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، بدليلِ الروايةِ الأخرى: «فيُنَادِي بصوتٍ: إن اللهَ يَأْمُرُك».

وأما إقامةُ الظاهرِ مقامَ المضمرِ حيث قالوا: إن اللهَ. بدل: إني آمُرُك. فيُقَالُ: إن إقامةَ الظاهرِ مقامَ المضمرِ هنا إشارةٌ إلى قوةِ سلطانِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ودليلُ ذلك أنه قُرِن بالأمرِ قولُه: إن اللهَ يَأْمُرُك، وهذا كما يَقُولُ الملكُ في الدنيا: إن المَلِكَ يَأْمُرُكَ أن تَفْعَلَ كذا وكذا. أو إن أميرَ المؤمنينَ يَأْمُرُك أن تَفْعَلَ كذا وكذا. وهو يَعْنِي نفسَه، فهذا من بابِ التعظيمِ، والالتفاتِ للتعظيمِ في اللغةِ العربيةِ أسلوبٌ متبعٌ ومعروفٌ.

---

(١) رواه مسلم (٢٢٢).

وقولُه: «بصوتٍ». تأكيدٌ لقولِه: «يُنَادِي»؛ لأن المناداةَ لا تكُونُ إلا بصوتٍ، وهو كقولِه تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ١٦٤﴾ [النساء:١٦٤]. فإن تكليمًا هذه جاءت للتوكيدِ، ولهذا تُسَمَّى عند النحويينَ مصدرًا مؤكِّدًا.

وفي هذا إثباتُ أن الله تعالى يَتكَلَّمُ بصوتٍ وهو كذلك، ولهذا يُخَاطِبُ موسى ويُكَلِّمُه، ويُخَاطِبُ النَّبيَّ ﷺ ويُكَلِّمُه ليلةَ المعراجِ فهم يَسْمَعُونَ صوتَه ويَرُدُّونَ عليه.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٨٤- حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ وَلَقَدْ أَمَرَهُ رَبُّهُ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ[1].

الشاهدُ من هذا الحديثِ قولُها: «ولقد أمَره ربُّه»؛ لأن الأمرَ لا يَكُونُ إلا بالكلامِ، ففيه إثباتُ أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَتكَلَّمُ، وقد سبقَ الكلامُ على ذكرِ كلامِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وأن أهلَ السنةِ والجماعةِ يَقُولُونَ: إن الله يَتكَلَّمُ بحرفٍ وصوتٍ، يتكلَّم بما شاء، متى شاء، كيف شاء.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٣- بابُ كَلَامِ الرَّبِّ مَعَ جِبْرِيلَ وَنِدَاءِ اللهِ الْمَلَائِكَةَ.

وَقَالَ مَعْمَرٌ: وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ. أَيْ يُلْقَى عَلَيْكَ، وَتَلَقَّاهُ أَنْتَ. أَيْ: تَأْخُذُهُ عَنْهُمْ، وَمِثْلُهُ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ.

قولُه: «بابُ كلامِ الربِّ مع جبريلَ». جبريلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هو أشرفُ الملائكةِ، وهو موكلٌ بالوحيِ يَنْقُلُه إلى مَن شاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وكلامُ الله معه، هو كما قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٤]. وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ٦﴾ [النمل:٦]. أي: يُلْقَى عليك القرآن، ﴿مِن لَّدُنۡ﴾ أي: من عند. ﴿حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾. وقدَّم الحكمةَ هنا لبيانِ أن ما جاء به هذا القرآنُ فإنه مبنيٌّ على الحكمةِ، وكلُّ ما في القرآنِ فإنه مطابقٌ للحكمةِ تمامًا، سواءٌ كان من الأخبارِ العلميةِ، أم من الأحكامِ العمليةِ.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٨٥- حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ -هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ- عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ

---

(١) رواه مسلم (٢٤٣٥).

قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ. فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ. فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ»[1].

هذا حديثٌ عظيمٌ فيه بيانُ الغايةِ العظيمةِ من محبةِ الله سبحانه للعبدِ، فإنه سبحانه إذا أحبَّ عبدًا نادى جبريلَ -والمناداةُ لا تكونُ إلا بصوتٍ-: «إن اللهَ قد أحبَّ فلانًا». وهنا أتى بصيغةِ الغائبِ من بابِ التعظيم كما أَسْلَفْنا آنفًا.

يَقُولُ: «إن اللهَ قد أحبَّ فلانًا فأَحِبَّه، فيُحِبُّه جبريلُ». امتثالًا لأمرِ الله تعالى، ومحبةً لأحبابِ الله.

ثم قَالَ: «ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ. فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ». ويَذْكُرُ ذلك باسمِه الخاصِّ، ثم يُوضَعُ له القبولُ في أهلِ الأرضِ. فيَقْبَلُه أهلُ الأرضِ، ولا قبولَ إلا بعد محبةٍ؛ لأن من لا يُحِبُّه لا تُقْبَلُ منه، أما هذا فيُوضَعُ له القبولُ في الأرضِ فيكُونُ رجلًا مقبولًا، وقولُه: مقبولًا أي: عند الناسِ.

وفي هذا: دليلٌ على إثباتِ محبةِ الله للعبدِ، وأهلُ السنةِ والجماعةِ يَقُولُونَ: إن اللهَ تعالى يُحِبُّ ويُحَبُّ؛ لقولِه تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤].

ولكنَّ أهلَ التحريفِ قالوا: لا محبةَ من الله للعبدِ ولا من العبدِ لله.

ومنهم من يَقُولُ: العبدُ يُحِبُّ اللهَ واللهُ لا يُحِبُّ العبدَ.

وحرَّفوا الآياتِ الكثيرةِ في المحبةِ إلى أن المرادَ بها الثوابُ، فقالوا: إن اللهَ يُحِبُّ المحسنينَ؛ أي: يُثِيبُهم. ففسَّروها بشيءٍ بائنٍ منفصلٍ، قالوا: أو يُرِيدُ ثوابَهم. ففسَّروها بالإرادةِ التي هم يُثْبِتُونَها.

ولكننا نَقُولُ: إن حبَّ الشيءِ فوقَ الإرادةِ وفوق الإثابةِ، والمحبةُ ثابتةٌ لله حقًّا.

فإن قَالَ قائلٌ: وهل هناك طريقٌ يَصِلُ بها الإنسانُ إلى أن يُحِبَّه اللهُ؟

قلنا: نعم، هناك طريقٌ بَيَّنَه اللهُ عز وجل في قولِه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]. فالطريقُ إلى كونِ الله يُحِبُّ العبدَ أن يَتَّبِعُ العبدُ الرسولَ ﷺ، وكلما كان الإنسانُ أَتْبَعَ لرسولِ الله كان أحبَّ إلى الله؛ وذلك لأن الحكمَ إذا علِّق بعلةٍ قوِي بقوتِها وضعُفَ بضعفِها، والحكمُ هنا هو حبُّ الله لعبدِه، وقد علِّق باتباعِ الرسولِ ﷺ، فكلما كان الإنسانُ أتبعَ لرسولِ الله كان أحبَّ إلى الله، فإذا أَرَدْتَ أن يُحِبَّكَ اللهُ فاتَّبِعِ الرسولَ ﷺ ظاهرًا وباطنًا.

*****

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٨٦- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ وَصَلَاةِ

(١) رواه مسلم (٢٦٣٧).

الْفَجْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»[1].

هذا الحديثُ سبَق الكلامُ عليه في بابِ قولِه تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٤]. وأتَى به المؤلفُ هنا في بابِ الكلامِ إشارةً إلى أن اللهَ تعالى يُكَلِّمُ الملائكةَ.

وسبَق الكلامُ على الإشكالِ النحويِّ في قولِه: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ». وبيَّنا جوابَ أهلِ النحوِ عليه، وأن بعضَهم قَالَ: إن هذه لغةٌ معروفةٌ عند العربِ ويُسَمُّونَها لُغَةَ: أَكَلُوني البراغيثُ.

وبعضُهم قَالَ: إن الواوَ فاعلٌ وملائكةٌ بدلٌ مِن يَتَعَاقَبُونَ، وأن الفائدةَ من ذلك: التفصيلُ بعد الإجمالِ؛ لأن قولَه: «يَتَعَاقَبُونَ» الضميرُ فيه مبهمٌ لا يُعْلَمُ مرجعُه، فإذا جاء قولُه: «ملائكةٌ». صارت الجملةُ مبينةً بعد الإجمالِ، فصارت أوقَعَ في النفسِ.

***

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٨٧- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ وَاصِلٍ، عَنِ الْمَعْرُورِ، قَالَ سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ. قُلْتُ: وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى. قَالَ: وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى»[2].

الشاهدُ من هذا الحديثِ: أن جبريلَ بشَّرَ الرسولَ ﷺ، والبشارةُ هذه لا تَقَعُ من جبريلَ من تلقاءِ نفسِه، بل لابدَّ أن اللهَ أَخْبَره بذلك، فبشَّر به جبريلُ النَّبيَّ ﷺ.

وقولُه: «مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ». استدلَّ به من قَالَ: إن تاركَ الصلاةِ لا يَكْفُرُ وقال: إن تاركَ الصلاةِ ليس بمشركٍ فيَدْخُلُ الجنةَ.

ولكننا نُجِيبُ عن هذا بأحدِ جوابين:

الجوابُ الأولُ: أننا لا نُسَلِّمُ أن تاركَ الصلاةِ ليس بمشركٍ؛ لأن النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «بين الرجلِ وبين الشركِ والكفرِ تركُ الصلاةِ».

والثاني: أننا لو سلَّمنا أن تركَ الصلاةِ ليس بشركٍ كان هذا عامًّا، وأدلةُ كفرِ تاركِ الصلاةِ خاصةٌ، والقاعدةُ: أن العامَّ يُحْمَلُ على الخاصِّ. فيَكُونُ الخاصُّ خارجًا من العمومِ.

***

(١) رواه مسلم (٦٣٢).
(٢) رواه مسلم (٩٤).

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٤- بابُ قَوْلِ الله تعالى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ [النساء:١٦٦].

قَالَ مُجاهِدٌ: يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ بَيْنَ السَّماءِ السَّابِعَةِ وَالأَرْضِ السَّابِعَةِ.

قولُه تعالى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ الضميرُ فيه يَعُودُ على القرآنِ؛ لأن الله يَقُولُ: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾.

وقد سبَق بيانُ معنى قولِه: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ وأن لها معنيينِ:

المعنى الأولُ: كأنه قَالَ: أَنْزَلَه عن علمٍ منه.

والثاني: أن العلمَ هنا يُرادُ به المعلومُ.

أما قولُه: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾؛ يَعْنِي: يَشْهَدُونَ بأن الله أَنْزَلَ هذا القرآنَ بعلمِه.

ثم قَالَ: «وقال مجاهدٌ: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ بين السماءِ السابعةِ والأرضِ السابعةِ». يُشِيرُ إلى قولِه تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾، الأمرُ؛ أي: أمرُ الله. ﴿بَيْنَهُنَّ﴾؛ يَعْنِي: بينَ السماءِ السابعةِ والأرضِ السابعةِ يَتَنَزَّلُ أمرُ الله.

والسمواتُ سبعُ طِباقٍ، والأرضُون كذلك سبعُ طباقٍ، هذا هو الصحيحُ في الأراضينَ؛ بقولِه: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ ولقولِ النَّبيِّ ﷺ: «مَن اقتطَع من الأرضِ شبراً طُوِّقه يومَ القيامةِ من سبعِ أراضينَ» [1].

***

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٨٨- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الأَحْوَصِ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْهَمْدَانِيُّ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «يَا فُلَانُ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنَّكَ إِنْ مُتَّ فِي لَيْلَتِكَ مُتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَإِنْ أَصْبَحْتَ أَصَبْتَ أَجْرًا» [2].

⬥قولُه: «أَصَبْتَ أَجْرًا». في نسخةٍ: «أَصَبْتَ خيراً».

وهذا الحديثُ قد تقدَّمَ الكلامُ عليه، والشاهدُ منه هنا قولُه: «بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ».

وسبَق لنا أن البراءَ قَالَ: برسولِك الذي أَرْسَلْتَ. فقال: «قل بنبيِّك الذي أَرْسَلْتَ» [3].

وسبَق لنا أن بيَّنا لماذا قَالَ له الرسولُ ﷺ: «قل بنبيِّك الذي أَرْسَلْتَ». وبيَّنا أنه لوجهينِ:

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) رواه مسلم (٢٧١٠).
(٣) تقدم تخريجه.

الوجهُ الأولُ: أنه لو قيل: برسولِك الذي أَرْسَلْتَ. فقد يُوهِمُ أنه جبريلُ، لأنه رَسُول مرسل، وقد ذُكِر مقارنًا للقرآنِ الذي أنزل.

الوجهُ الثاني: لو قَالَ برسولِك الذي أَرْسَلْت. لكانت دلالتُها على النبوةِ بطريقِ اللزوم، لكن إذا قَالَ: نبيِّك الذي أَرْسَلْتَ. كانت الدلالةُ على وجهِ المطابقةِ، والدلالةُ في المطابقةِ أَقْوَى من الدلالةِ في اللزومِ.

* ****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٨٩- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ عَبْدِ الله ابْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ: قال رسول الله ﷺ يَوْمَ الأَحْزَابِ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اهْزِمِ الأَحْزَابَ وَزَلْزِلْ بِهِمْ». زَادَ الْحُمَيْدِيُّ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي خَالِدٍ، سَمِعْتُ عَبْدَ الله سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ[1].

۞ قولُه: «زاد الحميديُّ». زيادةُ الحميديِّ هي زيادةُ السماعِ، وبهذا نَعْرفُ أن الزيادةَ تكُونُ في المتنِ، وتكونُ في السندِ، والزيادةُ في السندِ تكُونُ من مَزِيدِ متَّصلِ الأسانيدِ، وتكُونُ من زيادةِ صيغِ الأداءِ، والبخاريُّ هنا قَالَ: إن هذا زيادةٌ. وهي زيادةٌ في صيغةِ الأداءِ، وليست زيادةَ راوٍ محذوفٍ من روايةٍ أخرى، وليست زيادةَ متنٍ أو شيءٍ في المتن.

فتبيَّنَ بهذا أن المحدِّثين رَحِمَهُمُ اللَّهُ يَتوَسَّعُونَ في بعضِ المصطلحاتِ.

* ****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٩٠- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، عَنْ هُشَيْمٍ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾. قَالَ: أُنْزِلَتْ وَرَسُولُ الله ﷺ مُتَوَارٍ بِمَكَّةَ، فَكَانَ إِذَا رَفَعَ صَوْتَهُ سَمِعَ الْمُشْرِكُونَ فَسَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾. لَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ حَتَّى يَسْمَعَ الْمُشْرِكُونَ، وَلَا تُخَافِتْ بِهَا عَنْ أَصْحَابِكَ فَلَا تُسْمِعُهُمْ، وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا: أَسْمِعْهُمْ وَلَا تَجْهَرْ حَتَّى يَأْخُذُوا عَنْكَ الْقُرْآنَ[2].

هذا من تفسيرِ ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وابنُ عباسٍ أَعْلَمُ الصحابةِ بالتفسيرِ -ما عدا الخلفاء الراشدين وكبارَ الصحابةِ-.

۞ وقولُه: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾. المرادُ: لا تَجْهَرْ جهرًا يَسْمَعُه المشركونَ، فيَسُبُّونَ القرآنَ ومن أَنْزَلَه -وهو اللهُ- ومَن جاءَ به.

وفي هذا إشارةٌ أو دليلٌ -إذا قلنا بأن قولَ الصحابيِّ حجةٌ- على أن الإنسانَ إذا خافَ إذا تكَلَّمَ بموعظةٍ، أو قرأ

(١) رواه مسلم (١٧٤٢).
(٢) رواه مسلم (٤٤٦).

قرآنًا، أن يُسَبَّ القرآنَ، أو تُسَبَّ الموعظةُ، فإن الأولى ألا يَفْعَلَ، وأن يَجْعَلَ المسألَةَ في وقتٍ آخرَ، وهذا من الحكمةِ ألا تَضَعَ القرآنَ أو الموعظةَ بين يدي من يَمْتَهِنُها.

ولهذا قَالَ: لا تَجْهَرْ ولا تُخافِت وابتَغِ بين ذلك سبيلًا. فلا تُخَافِتْ بها؛ لأنك لو خافَتَّ لم يَسْمَعْ أصحابُك قراءتَك، بل اجْعَلْ قراءتَك وسطًا فتَجْهَرُ بها بحيث يَسْمَعُ أصحابُك، وتُخافِتُ بحيث لا يَسْمَعُ المشركونَ.

والشاهدُ من هذا قولُه: أُنْزِلَتْ ورسولُ اللهِ ﷺ متوارٍ بمكةَ؛ أي: أنها نَزَلَت من عندِ اللهِ، فيَكُونُ فيه دليلٌ على أن اللهَ تَكَلَّم بالقرآنِ.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٥- بابُ قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح:١٥]. إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ حَقٌّ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ بِاللَّعِبِ.

قَالَ تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح:١٥]. والمرادُ بالتبديلِ هنا، تبديلُ معناه وحكمِه، لا أنهم يُريدونَ أن يُبَدِّلُوا لفظَه؛ لأنهم لا يَسْتَطِيعُون ذلك.

وفي هذا: دليلٌ على أن الذين يُحَرِّفُون الكلمَ عن مواضعِه مبدلون لكلام اللهِ، وكذلك الذين يَصْرِفُون النصوصَ عن ظاهرِها مبدلون لكلامِ الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأن الكلامَ في الحقيقةِ يُرادُ به معناه، فإذا غُيِّر المعنى فيَكُونُ تغييرًا للفظِ؛ لأن الألفاظ قوالب.

والشاهدُ من ذلك قولُه: ﴿كَلَامَ اللَّهِ﴾. فدَلَّ ذلك على إثباتِ الكلام لله عَزَّ وَجَلَّ.

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾﴾ [الطارق:١٣]. والقولُ لا يَكُونُ إلا كلامًا.

وقولُه: ﴿فَصْلٌ﴾ قَالَ: حقٌّ. والصحيحُ أنه أَعَمُّ من كلمةِ حقٌّ، فهو فصلٌ يَفْصِلُ بين الحقِّ والباطلِ، وبين المسلمين والمجرمين، فهو فصلٌ في كلِّ شيءٍ يَحْتاجُ إلى فصلٍ.

وقولُه: ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾ [الطارق:١٤]. أي: باللعبِ، بل هو جدٌّ، وحزمٌ، وقوةٌ، وعزةٌ، وكلُّ من تَمَسَّكَ بالقرآنِ فإنه سوف يَكُونُ حالُه كهذه الحالِ.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٩١- حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ. بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»(١).

الشاهدُ من هذا الحديثِ قولُه: «بيدي الأمرُ». فالأمرُ كلُّه لله، ولا يُمْكِنُ أن نُبَدِّلَ كلامَ اللهِ، كما

---

(١) رواه مسلم (٢٢٤٦).

قَالَ تعالى: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾ [الأنعام:١١٥]. فإذا كان بيده الأمرُ فإنه لا يَجُوزُ لنا أن نُبَدِّلَ كلماتِه لا بالفظِ ولا بالمعنى.

وقد سبَق الكلامُ على هذا الحديثِ، وبيَّنا أن معنى قولِه تعالى: «وأنا الدهر»؛ أي: أنا مدبرُ الدهر، وليس المعنى أن اللهَ هو الدهرُ؛ لأن الذين يَسُبُّونَ الدهرَ لا يريدون أن يسبوا اللهَ، إنما يريدون أن يسبوا الدهر الذي هو الوقتُ والزمنُ، فتَجِدُه يَسُبُّ السَّنَةَ، أو يَسُبُّ الشهرَ، أو يَسُبُّ اليومَ، وما أشبهَ هذا، وقد بيَّن اللهُ ﷻ أن سبَّ هذه المخلوقاتِ هو في الحقيقةِ سَبٌّ للهِ؛ لأن الذي يُدَبِّرُ هذه المخلوقاتِ هو اللهُ؛ أما هذه المخلوقاتِ فلا تُدَبِّرُ نفسَها.

***

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٩٢- حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ ﷻ: الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَأَكْلَهُ وَشُرْبَهُ مِنْ أَجْلِي، وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ حِينَ يُفْطِرُ، وَفَرْحَةٌ حِينَ يَلْقَى رَبَّهُ، وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ»[1].

۞ قولُه: «يَقُولُ اللهُ ﷻ: الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ». قَالَ العلماءُ معنى قولِه: «الصوم لي». أنه سرٌّ بيني وبين العبدِ؛ لأن الصومَ مركبٌ من نيةٍ وتركٍ، ولا يَعْلَمُ بالنيةِ والتركِ إلا اللهُ ﷻ؛ فلهذا اختصَّ اللهُ به وأضافه لنفسِه.

وقيل: بل معناه: أن الإنسانَ إذا كان عليه مظالمُ، وأُخِذَ من حسناتِه يومَ القيامةِ، فإنه يُؤْخَذُ من جميعِ الحسناتِ إلا الصومَ، فإنه لا يُؤْخَذُ منه شيءٌ؛ لأنه للهِ.

والمعنى الأَوَّلُ أَصَحُّ، وهو أن الصومَ للهِ؛ لأنه ليس فيه رياءٌ، بل هو خالصٌ له، بدليلِ قولِه: وأنا أَجْزِي به.

ثم بيَّن حِكمةَ اختصاصِه به سبحانَه فقال: «يَدَعُ شهوتَه، وأكلَه، وشربَه، من أجلي». وقولُه: «يَدَعُ شهوتَه»؛ يَعْنِي: الجماعَ، ويَدَعُ أيضًا أكلَه وشربَه من أجلِ اللهِ ﷻ، وهذا هو الإخلاصُ.

وهذه الثلاثةُ هي التي نَصَّ عليها اللهُ في القرآنِ في قولِه تبارك وتعالى: ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة:١٨٧]. وهي التي أجمَع المسلمون على أنها تُفْسِدُ الصومَ[2].

۞ وقولُه: «يَدَعُ شهوتَه». هل نُفَسِّرُ هذا بالجماعِ فقط؟ ونَقُولُ: لا يُفْطِرُ بالمذي والمنيِّ والمباشرةِ، أو نَقُولُ: إنها تَشْمَلُ الجماعَ والإنزالَ؟

---

(١) رواه مسلم (١١٥١).

(٢) انظر: «المغني» لابن قدامة (٤/ ٣٤٩)، و «المجموع» للنووي (٦/ ٣٢١)، و «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٢٥/ ٢١٩) وغيرها من كتب الفقه.

الجوابُ أن يُقالَ: أما المباشرةُ فإنها لا تُفْطِرُ الصائمَ بلا شكٍّ؛ لأن النَّبيَّ ﷺ كان يُقَبِّلُ وهو صائمٌ، ويُبَاشِرُ وهو صائمٌ(١).

وكذلك المذي ولو من شهوةٍ لا يُفطِرُ الصائمَ؛ لأنه ليس عليه دليلٌ، وليس فيه شهوةٌ، فالشهوةُ بغيرِه لا به.

وأما المنيُّ فإن جمهورَ العلماءِ على أنه يُفْطِّرُ الصائمَ؛ لأنه شهوةٌ، ودليلُ ذلك قولُه ﷺ: **«وفي بُضعِ أحدِكم صدقةٌ، قالوا: يا رسولَ الله أيَأْتِي أحدُنا شهوتَه ويَكُونُ له فيها أجرٌ؟ قَالَ: نعم أرَأَيْتُم لو وضَعها في الحرام أكان عليه وزرٌ؟ قالوا: نعم، قَالَ: فإذا وضعَها في الحلالِ لكان له أجرٌ»**(٢). والذي يوضَعُ هو النطفةُ، وهذا يَدُلُّ على أن المنيَّ مفطِّرٌ، وهو الأصحُّ.

وأما الجماعُ فالإجماعُ منعقدٌ على أنه مفطرٌ.

۞وقولُه: **«وأنا أَجْزِي به»**. لا شكَّ أن اللهَ ﷻ يَجْزِي على كلِّ شيءٍ، لكن قَالَ العلماءُ: إضافةُ الجزاءِ على الصومِ إلى اللهِ ﷻ يُفِيدُ أن هذا جزاءٌ أكثرُ من غيره، وعلَّلوا ذلك بأن الصومَ فيه أنواعُ الصبرِ الثلاثةُ، فهو صبرٌ على طاعةِ اللهِ، وصبرٌ عن معصيةِ اللهِ، وصبرٌ على أقدارِ اللهِ بما يَحْصُلُ للصائمِ من الجوعِ والعطشِ، والهزالِ، وضعفِ النفسِ، والصابرون يُجْزَون أجرَهم بغيرِ حساب.

وقولُه تبارك وتعالى: **«الصومُ جُنَّةٌ»**(٣). الجُنَّةُ هي ما يُتَّقى به سهامُ الأعداءِ، مأخوذةٌ من الاجتنانِ وهو الخفاءُ؛ لأن الإنسانَ يَخْتَفِي به عن سهامِ الأعداءِ وهو مثلُ الصاجِ الكبيرِ الذي يُخْبَزُ عليه يَحْمِلُه المقاتلُ، فإذا رأى أحدًا صَوَّبَ إليه سهمًا دفَع السهمَ بهذا الترسِ الذي يُسَمَّى جُنَّةً.

والمرادُ بكونِه جُنة: أنه يَسْتَتِرُ به الإنسانُ في الدنيا من قولِ الزورِ، والعملِ به، والجهلِ، وفي الآخرةِ يتقي به من النارِ.

۞وقولُه: **«وللصائمِ فرحتانِ: فرحةٌ حين يُفْطِرُ، وفرحةٌ حين يَلْقَى ربَّه»**(٤). وفرحتُه حين يُفْطِرُ تكُونُ لأمرَين:

الأمرُ الأوَّلُ: تناولُ ما أحَلَّ اللهُ له من طعامٍ، وشرابٍ، ونكاحٍ، فإن النفسَ إذا حُبِسَتْ عن ذلك ثم أُزِيد لها فيه فَرِحَتْ.

الأمرُ الثاني: فرحتُه بِأداءِ هذه الفريضةِ إن كان صومَ فرضٍ، أو التطوعِ إن كان صومَ نفلٍ.

والفرحُ الثاني: فرحه حين يَلْقَى ربَّه يومَ القيامةِ، ويَجِدُ أجرَ الصومِ موفَّرًا عند اللهِ ﷻ.

۞وقولُه: **«ولخلوفُ فمِ الصائمِ أطيبُ عند الله من ريحِ المسكِ»**. الخلوفُ هو الرائحةُ التي

---

(١) رواه البخاري (١٩٢٧)، ومسلم (١١٠٦).
(٢) رواه مسلم (١٠٠٦).
(٣) رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١).
(٤) المصدر السابق.

تَنْبَعِثُ من المعدةِ عند خلوِّها، وهي رائحةٌ مستكرهةٌ في مشامِّ الناسِ، لكنها عند الله أطيبُ من ريحِ المسكِ؛ لأنها ناشئةٌ عن طاعتِه، وهذا يُشْبِهُ قولَ الرسولِ ﷺ في دم الشهيدِ: **«أنه يأتي يومَ القيامةِ وجرحُه يَثْعَبُ دمًا، اللونُ لونُ الدم، والريحُ ريحُ المسكِ»** [1].

وكلُّ هذه الجملِ في هذا الحديثِ تُفِيدُ الترغيبَ في الصومِ، والحثَّ عليه، وبيان فوائدِه في الدنيا وفي الآخرةِ.

والشاهدُ من هذا الحديثِ قولُه: يَقُولُ اللهُ ﷻ. ثم ذكَر الحديثَ. وهذا كلامٌ -مقولُ القولِ- فَدَلَّ ذلك على أن الله ﷻ يتكلَّمُ بكلامٍ بحروفٍ تُتلَى وتُقرأُ.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٤٩٣- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلُ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ فَنَادَى رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ وَلَكِنْ لَا غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ».

سبَق الكلامُ على هذا الحديثِ، والشاهدُ منه قولُه: **«فناداه ربُّه»**. والنسخةُ التي عندي: **«فنادى ربُّه»** بدونِ ضميرٍ. والمعنى واحدٌ.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٤٩٤- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْأَغَرِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» [2].

هذا هو حديثُ النزولِ، وهو حديثٌ عظيمُ الفائدةِ، وفيه قوةُ الرجاءِ، وقد شرَحه شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رَحِمَهُ اللهُ في كتابٍ مستقلٍّ شرحًا وافيًا، وهو كما هو معروفٌ طويلُ النفسِ رَحِمَهُ اللهُ، وقد تكلَّم عليه بكلامٍ طويلٍ جدًّا.

۞ قولُه: «يَتَنَزَّلُ ربُّنا». وفي لفظٍ: **«يَنْزِلُ ربُّنا تبارك وتعالى»**. وسبَق بيان معنى قولِه: تبارك: أنه كثيرُ البركةِ، وتَحِلُّ البركةُ باسمِه.

۞ وأما قولُه: **«تعالى»** فمعناه: تعالى عن كلِّ عيبٍ ونقصٍ.

۞ وقولُه: **«يَنْزِلُ ربُّنا»** النزولُ هنا مضافٌ إلى الربِّ ﷻ، والفعلُ المضافُ إلى الله يَكُونُ فعلًا واقعًا من الله، وهذا هو الواجبُ إثباته؛ لأن هذا هو ظاهرُ اللفظِ، والناسُ في كلامِهم إذا قالوا: قَالَ

---

(١) رواه البخاري (٢٨٠٣)، ومسلم (١٨٧٦).

(٢) رواه مسلم (٧٥٨).

وفعَل وذَهَب وجاء وركِب ونزَل. فإن هذه الأوصافُ تعُودُ إلى الفاعلِ الذي أُضِيفَتْ له، فإذا كان النَّبيُّ ﷺ -وهو أَعْلَمُ الخلقِ بالله، وأنصحُ الخلقِ لعبادِ الله، وأفصحُ الخلقِ فيما يَقُولُ، وأصدقُهم فيما يُخبِرُ- يَقُولُ: «يَنْزِلُ ربُّنا تبارك وتعالى كلَّ ليلةٍ إلى السماءِ الدنيا» فإنه لا يَبْقَى مجالٌ للتحريفِ، ولا أن يُقَالَ: إن المرادَ ينزل أمره أو تنزل رحمته أو ينزل مَلَكٌ من ملائكتِه، بل نقول: يَنْزِلُ اللهُ نفسُه.

أما كيف يَنْزِلُ؟ فهنا نَقِفُ ونَقُولُ: اللهُ أَعْلَمُ، فالنزُولُ معلومٌ، والكيفُ مجهولٌ، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بدعةٌ.

فإذا قَالَ قائلٌ: وإذا نزَل إلى السماءِ الدنيا فهل يَلْزَمُ أن يَخلُوَ منه العرشُ؟

فالجوابُ أن نَقُولَ لهذا السائلِ: هذا السؤالُ بدعةٌ، لو كان هذا من الدينِ؛ أي: لو كان علمُنا بكونِه يَخلُو منه العرشُ أو لا يَخلُو من الدينِ لكان ذلك مُبيَّنًا قبلَ وفاةِ الرسولِ ﷺ؛ لأن اللهَ يَقُولُ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣]. فقد أَكْمَلَ اللهُ الدينَ لنا عقيدةً، وقولًا، وعملًا.

ثم نَقُولُ: هل أنت أحرصُ على معرفةِ صفاتِ الله من الصحابةِ؟

إن قَالَ: نعم. قُلْنَا: كَذَبْتَ. وإن قَالَ: لا. قلنا: فلماذا لم يَسْأَلوا الرسولَ ﷺ؟

نَقُولُ: هم لم يَسْأَلوا؛ لأن عندهم من تعظيمِ الله، والأدبِ مع الله، وعدمِ التقديمِ بين يدي الله ورسولِه، ما ليس عند هذا السائلِ، هذا هو السبب أن يَرِد مثلُ هذا السؤالِ من الخلفِ من هذه الأمةِ دون أن يَرِدَ من سلفِ هذه الأمةِ؛ لأن في قلوبِ سلفِ الأمةِ من تعظيمِ الله، والتأدبِ بين يدي الله ورسولِه، ما ليس عند خلفِ هذه الأمةِ؛ ولذلك لا يَسْأَلُون عن هذا الشيءِ.

فلو سأل سائلٌ وقال: هل نزولُ الله إلى السماءِ الدنيا ينافي علوَّه؟

فالجوابُ: لا؛ لأن علوَّه وصفٌ لازمٌ له، والوصفُ اللازمُ لا يُمْكِنُ أن يَتحوَّلَ أو يَتغيَّرَ.

فإذا قَالَ: إذا أثبتم العلوَّ فكيف يَنْزِلُ؟

فالجوابُ أن نَقُولَ: إن نزولَه إلى السماءِ الدنيا أمرٌ لا يُحَاطُ به، فليس مَعْنَى نزولِه أن تكُونَ السماءُ الثانيةُ وما فوقَها فوقَه، بل هذا شيءٌ مستحيلٌ، فليس معنى نزولِه أن السماءَ الدنيا تُقِلُّه وما فوقها يُظِلُّه، فإن هذا من الظنونِ الكاذبةِ، ولا يَظُنُّ هذا الظنَّ إلا مَن لم يَقْدِرِ اللهَ حقَّ قدره، فاللهُ أعظمُ وأجلُّ من أن تُحِيطَ به السمواتُ، أو يُحِيطَ به شيءٌ من مخلوقاتِه، ونحن ليس علينا إلا أن نُسَلِّمَ، حتَّى وإن حارت عقولُنا في كيفيةِ هذا الشيءِ، فالعقلُ قد يَحَار ويَقُولُ: كيف يَكُونُ هذا؟ فنَقُولُ: الحيرةُ حدثَت لعدمِ قدرتِنا على الإحاطةِ بصفاتِ الله ﷻ، ولكنِ العقلُ لا يحيلُ ذلك بالنسبةِ لله؛ لأن اللهَ تعالى ليس كمثلِه شيءٌ في جميعِ الصفاتِ.

۞ وقولُه: «حينَ يَبْقَى ثلثُ الليلِ الآخرِ». الليلُ لا شكَّ أنه يُحْتَسَبُ من غروبِ الشمسِ بالنصِّ والإجماعِ، فإن قولَه تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة:١٨٧]. يَحْصُلُ بغروبِ الشمسِ بالاتفاقِ[1]، بل بالنصِّ وهو قولُ النَّبِيِّ ﷺ: «إذا أقبلَ الليلُ من هاهنا، وأدبرَ النهارُ من ها هنا -يشيرُ إلى المشرقِ والمغربِ- وغربتِ الشمسُ فقد أفطرَ الصائمُ»[2]. وهذا هو معنى قولِه تعالى: ﴿إِلَى اللَّيْلِ﴾.

إذًا: ابتداءُ الليلِ يَكُونُ من غروبِ الشمسِ ولا إشكالَ فيه.

لكن انتهاءُ الليلِ هل يَكُونُ بطلوعِ الفجرِ أو بطلوعِ الشمسِ؟

الجوابُ: أما فلكيًّا فإن الليلَ يَنْتَهِي بطلوعِ الشمسِ؛ لأن الشمسَ ما دامتِ مواجهة للأرضِ فهو نهارٌ، فإذا اختفت فهو دليلٌ.

وأما شرعًا فالنهارُ من طلوعِ الفجرِ.

فإن قيل: هل نحمل هذا الحديثَ على المعنى الشرعيِّ أو على المعنى اللُّغويِّ؟

فالجوابُ: أن هذا يَنْبَنِي على قاعدةٍ معروفةٍ وهي: أن خطابَ الشرعِ ينبني على المصطلحِ الشرعيِّ؛ أي: على الحقيقةِ الشرعيةِ، فإن وافقت الحقيقةَ اللغويةَ فهذا واضحٌ، وإن خالفت الحقيقةَ اللغويةَ وجَب الأخذُ بالحقيقةِ الشرعيةِ، فإذا جاء في لسانِ الشارعِ مثلًا: أقم الصلاةَ. فهل نَقُولُ: المعنى أقم الدعاءَ؟

الجوابُ: لا، مع أن الصلاةَ في اللغةِ الدعاءُ؛ لأن اصطلاحَ كلِّ متكلم يُحْمَلُ عليه كلامُه.

فعلى هذا نَقُولُ: الأقربُ في هذا الحديثِ أن الليلَ المعتبرَ هو من غروبِ الشمسِ إلى طلوعِ الفجرِ، ويَدُلُّ لذلك أنه جاء في بعضِ الألفاظِ: «حتَّى يَطْلُعَ الفجرُ». وعليه يَكُونُ المعنى واضحًا.

ولكن كيف نَعْرِفُ ثلثَ الليلِ؟

نقولُ: قسِّم ما بين غروبِ الشمسِ إلى طلوعِ الفجرِ على ثلاثةٍ، فما حصَل فهو ثلثُ الليلِ، فإذا بقى هذا المقدارُ فهذا وقتُ النزولِ الإلهيِّ.

وهل يَخْتَلِفُ هذا الثلثُ باختلافِ الفصولِ، وباختلافِ الأماكنِ؟

الجوابُ: نعم، يَخْتَلِفُ باختلافِ الفصولِ، وباختلافِ الأماكنِ، فالليلُ في أيامِ الصيفِ يَكُونُ قصيرًا، والليلُ في أيامِ الشتاءِ يَكُونُ طويلًا، والليلُ في الجانبِ الشماليِّ من الأرضِ، أو الجنوبيِّ الذي حول القطبِ يَكُونُ طويلًا جدًّا في أيامِ الشتاءِ، وربما يَصِلُ إلى أسبوعٍ أو أسبوعين، وكلما قربنا من خطِّ الاستواءِ، قرب التساوي بين الليلِ والنهارِ.

من فوائدِ هذا الحديثِ: إثباتُ نزولِ الرَّبِّ ﷻ في هذا الوقتِ من الليلِ، وهو نزولٌ حقٌّ، ولكن

---

(١) انظر: «التمهيد» لابن عبد البر (١٠/ ٦٢)، و«الإقناع في مسائل الإجماع» لابن قطان (١/ ٢٣١).

(٢) رواه البخاري (١٩٥٤)، ومسلم (١١٠٠).

لا نَعْلَمُ كيفيتَه، كسائرِ الصفاتِ، ولا يَحِلُّ لنا أيضًا أن نمثلَه بنزولِ الواحدِ منا من السطح إلى الأرضِ مثلًا؛ لأن الله تعالى يَقُولُ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل: ٧٤]. ويَقُولُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

۞ وقولُه: «فأستجيبَ له» نُصِبَ الفعلُ «فاستجيبَ» بفاء السببيةِ، فإنها تَنْصِبُ الفعلَ المضارعَ إذا وقعت بعد سبعةِ أمورٍ مجموعةٍ في بيتٍ مشهورٍ وهو:

مُرْ وادعُ وانهَ وسلْ واعْرِضْ لحضِّهِمُ ... تَمَنَّ وارجُ كَذاكَ النَّفْيُ قَدْ كَمُلَا[1]

فهذه السبعةُ متى سبقَت فاءَ السببيةِ نُصب الفعلُ بأن مضمرةٍ بعد فاءِ السببيةِ.

۞ فقوله: «فأستجيب له». سبقها الاستفهامُ المراد بقولِه: «وسَلْ».

۞ وقوله تعالى: «مَن يَدْعُوني فأستجيبَ له، من يَسْألني فأُعْطِيه، من يستغفرني فأغفر له». هذه ثلاثةُ أمورٍ، فقولُه: «مَن يَدْعُوني»؛ أي: يَقُولُ: يا رب. فأستجيب له، وقوله: «مَن يَسْألني»؛ أي: يَقُولُ: يا رب أَعْطِني. فيُعْطِيه، وقولُه: «من يَسْتَغْفِرُني»؛ أي: يَقُولُ: اللهمَّ اغفِرْ لي. فيَغْفِرَ له سبحانه.

والشاهدُ من هذا الحديثِ قولُه: «فيَقُولُ من يَدْعُوني». فأثبَت القولَ لله ﷻ.

وفي الحديثِ: من صفاتِ الله ﷻ: النزولُ، والكرمُ، والسمعُ، والعلمُ، والقدرةُ، فكلُّ هذه الصفاتِ تُؤْخَذُ من الحديثِ، لكنْ بعضُها بالتَّضمُّنِ، وبعضُها بالالتزام، ولتنظر الأمرَ في كيفيةِ استخراجِ هذه الصفاتِ من هذا الحديثِ؛ ليتمرن الطالبُ على استباطِ الفوائدِ.

فإثباتُ القولِ في هذا الحديثِ: بالمطابقةِ، وإثباتُ النزولِ: بالمطابقةِ أيضًا، وكذلك إثباتُ المغفرةِ: بالمطابقةِ، وإثباتُ الاستجابةِ: بالمطابقةِ، وإثباتُ العطاءِ: بالمطابقةِ، وإثباتُ العلمِ: باللزومِ، وإثباتُ السمعِ: بالزومِ، وإثباتُ الكرمِ: باللزومِ، وإثباتُ القدرةِ: باللزومِ.

وربما تَجِدُ صفاتٍ أكثرَ بالتأمُّلِ.

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٩٥- حَدَّثَنَا أَبو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبو الزِّنَادِ، أَنَّ الأَعْرَجَ حَدَّثَهُ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[2].

٧٤٩٦- وبهذا الإسناد قال الله: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ[3].

---

(١) ذكَر هذا البيت الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد رحمه الله في شرحه على الآجرومية (ص٥٥)، وذكر أنه من جمع بعض العلماء، وكذلك ذكره الشيخ محمد بن صالح العثيمين في شرحه على الآجرومية أيضًا (ص٣١٤).

(٢) رواه مسلم (٨٥٥).

(٢) رواه مسلم (٩٩٣).

الشاهدُ من هذا الحديثِ قولُه: «قَالَ اللهُ: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عليك». وأصله: «قَالَ اللهُ: يا ابنَ آدمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عليك». قولُه: «أَنْفِقْ». هذا الأمرُ يُرَادُ به الإنفاقُ الشرعيُّ الذي أَمَرَ اللهُ به.

وقولُه: «أُنْفِقْ عليك». هذا مثل قولِه تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾. فإذا أنفق الإنسانُ ما أمرَه اللهُ بإنفاقِه أخلَفَ اللهُ عليه سواه.

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٩٧- حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ: «هَذِهِ خَدِيجَةُ أَتَتْكَ بِإِنَاءٍ فِيهِ طَعَامٌ، أَوْ إِنَاءٍ فِيهِ شَرَابٌ، فَأَقْرِئْهَا مِنْ رَبِّهَا السَّلَامَ وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ»[1].

الشاهدُ من هذا الحديثِ قولُه: «فأقرئها من ربِّها السلامَ». فإن اللهَ حمَّل جبريلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يُبَلِّغَ النبيَّ ﷺ هذه الأمانةَ، وهي قولُه: «أقرئها من ربِّها السلام». أي: قل لها إن اللهَ يُسَلِّمُ عليك.

وهذه منقبةٌ عظيمةٌ لخديجةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن اللهَ تَعَالَى من فوقِ سبعِ سمواتٍ أقرأها السلامَ.

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٩٨- حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ أَسَدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»[2].

هذا الحديثُ سبَق الكلامُ عليه، والشاهدُ منه قولُه: «قَالَ اللهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ...» إلى آخرِه. حيث أثبَت فيه القولَ للهِ.

فإن قَالَ قائلٌ: لماذا اعتنى البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بهذه المسألةِ، وساق فيها هذه الأحاديثَ المتنوعةَ؟

قلنا: لأن المحنةَ في الكلامِ كانت على أشدِّها في زمنِه رَحِمَهُ اللَّهُ.

فإذا قَالَ قائلٌ: وما مناسبةُ هذه الأحاديثِ للترجمةِ: يُرِيدُونَ أن يُبَدِّلوا كلامَ اللهِ؟

قلنا: إن الذين يَقُولُون: إن كلامَ اللهِ مخلوقٌ، أو إن كلامَ اللهِ هو المعنى القائمُ بالنفسِ. هؤلاء قد بَدَّلوا كلامَ اللهِ؛ أي: جعَلُوه غيرَ الواقعِ، فإن الواقعَ من كلامِ اللهِ بحرفٍ وصوتٍ كما في هذه الأحاديثِ، وهم جعَلُوه معنًى قائمًا بالنفسِ، أو جعَلُوه شيئًا مخلوقًا، هذا هو وجه إدخالِ هذه الأحاديثِ في الترجمةِ، وإلا فقد يَبْدُو للإنسانِ لأولِ وهلةٍ أن المرادَ بتبديلِ كلامِ اللهِ هو: تحريفُ الكلمِ، بأن يُؤَوِّلَ مثلًا الاستواءُ بالاستيلاءِ، أو اليدُ بالقدرةِ وما

---

(١) رواه مسلم (٢٤٣٢).

(٢) رواه مسلم (٢٨٢٤).

أشبهها، لكن المرادُ أن هؤلاء الذين أنكروا أن الله يَتكلَّمُ، وقالوا: إن الكلامَ مخلوقٌ، أو أنه المعنى القائمُ بالنفسِ، وما يُسْمَعُ فهو عبارةٌ عنه. هؤلاء نَعْتَبِرُهم مبدلين لكلامِ اللهِ؛ حيث حَمَلُوه على ما لم يَكُن صوابًا.

۞وقولُه: «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أذنٌ سَمِعَتْ ولا خطَر على قلبِ بشر». هذا كقولِه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [السجدة:١٧].

فإن قَالَ قائلٌ: إذا كانت العينُ لم تَرَه، والأذنُ لم تَسْمَعْهُ، والقلبُ لم يَخْطُرْ عليه هذا، فكيف نَعْرِفُ النعيمَ؟

قلنا: نَعْرِفُه بالقدرِ المشتركِ بين ما في الدنيا وما في الآخرةِ، وإن كان ما في الآخرةِ يَخْتَلِفُ اختلافًا عظيمًا كما في الدنيا، ولهذا قَالَ ابنُ عباسٍ: ليس في الجنةِ مما في الدنيا إلا الأسماءُ فقط. أما المسمياتُ فإنها تَخْتَلِفُ اختلافًا كبيرًا[1].

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٤٩٩- حَدَّثَنَا مَحْمُودٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ الأَحْوَلُ، أَنَّ طَاوُسًا أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا تَهَجَّدَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»[2].

الشاهدُ من هذا الحديثِ قولُه: «وقولُك الحقُّ». فقولُ الله هو الحقُّ، فهو الحقُّ فيما يُخْبِرُ به، فما حكمَ به فهو عدلٌ أو فضلٌ، وما أخبرَ به فهو صدقٌ كما قَالَ تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام:١١٥].

۞وقولُه: «وبك خاصَمْتُ». الباءُ فيه للاستعانةِ؛ أي: أَسْتَعِينُ بك في المخاصمةِ.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٥٠٠- حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ النُّمَيْرِيُّ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ الأَيْلِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ قَالَ: سَمِعْتُ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ وَعَلْقَمَةَ بْنَ وَقَّاصٍ وَعُبَيْدَ اللهِ بْنَ عَبْدِ اللهِ، عَنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الإِفْكِ مَا قَالُوا فَبَرَّأَهَا اللهُ مِمَّا قَالُوا، وَكُلٌّ حَدَّثَنِي طَائِفَةً مِنَ الْحَدِيثِ

---

(١) رواه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ١٧٢)، وابن أبي حاتم (١/ ٦٦)، (٢٦٠)، وانظر: البيهقي في «البعث» (١/ ٩٦).

(٢) رواه مسلم (٧٦٩).

الَّذِي حَدَّثَنِي عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: وَلَكِنِّي واللهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللهَ يُنْزِلُ فِي بَرَاءَتِي وَحْيًا يُتْلَى، وَلَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللهُ بِهَا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾. الْعَشْرَ الْآيَاتِ»[1].

الشاهدُ من هذا قولُها ﵂: «أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى». فأثبت كلامَ الله ﷿.

وفي هذا: دليلٌ على تواضعِ عائشةَ ﵂، وهكذا يَنْبَغِي للإنسانِ أن يَحْقِرَ نفسَه، لا أن يُنْزِلَها بمنزلةٍ عاليةٍ فيَغْتَرَّ ويعجب ويَتَعَاظَم، ولهذا يُقَالُ: رحِم اللهُ امرأً عرَف قدرَ نفسِه.

مع أن عائشةَ ﵂ قدرُها عظيمٌ، ولاسيَّما أنها فراشُ الرسولِ ﷺ، والقدحُ فيها بهذا الأمرِ قدحٌ في رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ ولهذا كان إشاعةُ هذا الإفكِ من المنافقين ليس من أجلِ عائشةَ بنتِ أبي بكرٍ، فهي امرأةٌ من النساءِ يَجُوزُ عليها ما يَجُوزُ على النساءِ، لكن من أجلِ أَنَّها زوجُ النَّبِيِّ ﷺ؛ أي: ليتوصلوا بالقدح فيها إلى القدح في رسولِ اللهِ ﷺ، ولهذا عظَّم اللهُ هذا الأمرَ فقال: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النور:١٥-١٨].

فالشأنُ كلُّ الشأنِ في هذه القصةِ هو تطهيرُ فراشِ الرسولِ ﷺ مما يَرُومُ هؤلاء المنافقون، وبراءةُ هذه المرأةِ الطيبةِ الطاهرةِ ﵂.

وليُعْلَمَ أن من رمَى عائشةَ ﵂ بما برَّأها اللهُ منه فهو كافرٌ بالإجماع؛ لأنه مكـذبٌ للقـرآنِ، ومـن رمَى واحدةً من زوجاتِ الرسولِ ﷺ بالفاحشةِ فهو كافرٌ أيضًا؛ لأن هذا أعظمُ قدحِ رسولِ اللهِ ﷺ.

***

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ ﵀:

٧٥٠١- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «يَقُولُ اللهُ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ»[2].

الشاهدُ من هذا الحديثِ قولُه: «يَقُولُ اللهُ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً». إلى آخره.

وفي هذا الحديثِ: بيانُ فضلِ اللهِ ﷿ على عبادِه؛ حيث إن السيئةَ لا تُكْتَبُ حتَّى يَعْمَلَها، فإن هَمَّ بها فتركَها للهِ كُتِبَتْ حسنةً؛ لأنه تركَها للهِ، والحسنةُ إذا هَمَّ بها ولم يَعْمَلْها كُتِبَتْ حسنةً؛ لأنه هَمَّ بها، فتُكْتَبُ حسنةً على

(١) رواه مسلم (٢٤٤٥).
(٢) رواه مسلم (١٢٨)، (١٢٩).

هذا الهمِّ، فإن عَمِلَها كُتِبَتْ عشرَ حسناتٍ إلى سبعمائةِ ضعفٍ إلى أضعافٍ كثيرةٍ.

واعلم أن مَن همَّ بالسيئةِ فلم يَعْمَلْها فلا يَخْلُو من ثلاثِ حالاتٍ:

الحالةُ الأولى: أن يَهِمَّ بها ثم يَدَعَها لله كأن يُخَوَّفُ بالله فيترُكَها، كما فعَل الرجلُ الذي همَّ أن يقعَ بابنةِ عمِّه -وهو أحدُ الثلاثةِ الذين طبق عليهم الغارُ- فلما جلَس منها ما يَجلِسُ الرجلُ من امرأتِه قالَت: يا هذا اتق الله ولا تَفُضَّ الخاتمَ إلا بحقِّه. فقام عنها وهي أحبُّ الناسِ إليه[1]. فهذا قد تركَ هذا الفعلَ لله، فيُكْتَبُ له حسنةً، وهذه الحسنةُ تتضاعَفُ بقدرِ ما يَحْمِلُه عليه، فإذا كان تركُها شديدًا عليه؛ كان أجرُها أكثرَ.

الحالُ الثانيةُ: أن يَهِمَّ بالسيئةِ ثم يَدَعها لا لله ولا للخوفِ من أحدٍ، ولكنه زالت همته، فهذا ليس عليه ولا له.

الحال الثالثة: أن يَهِمَّ بالسيئةِ ولكنه يَدَعها عجزًا عنها، ويَعْرِفُ أنه لا يُمْكِنُه ذلك، كرجلٍ هَمَّ أن يَسْرِقَ ولكن عَرَفَ أن رجالَ الأمنِ لن يُمَكِّنُوه من ذلك، فهذا تُكْتَبُ عليه سيئةٌ.

أما إذا فعَل أسبابَ الوصولِ إلى السيئةِ ولكنه عجَز، فهذا يُكتب له عقوبةُ السيئةِ كاملةً، ودليلُ هذا قولُ النبيِّ ﷺ: **«إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتلُ والمقتولُ في النارِ، قالوا: يا رَسُولَ الله هذا القاتلُ فما بالُ المقتولِ؟ قالَ: لأنه كان حريصًا على قتلِ صاحبِه»**[2]. فيُكْتَبُ عليه الوزرُ كاملًا.

أما الذي نوى ولكن ترك عجزًا ولم يَعْمَلْ فإن هذا يُكْتَبُ له وزرٌ، لكن ليس كوزرِ من فعَل، بل دون ذلك.

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٥٠٢- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الله، حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي مُزَرِّدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتْ الرَّحِمُ فَقَالَ: مَهْ. قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِن الْقَطِيعَةِ. فَقَالَ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ. قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَذَلِكِ لَكِ. ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ»[3].

الشاهدُ من هذا قولُه: **«فقال: مَه»**. والقائلُ هو اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثم قالَ: **«ألا ترضين...»** إلى آخرِه. والقائلُ أيضًا هو اللهُ، فدَلَّ ذلك أن كلامَ الله مسموعٌ، وأنه بحرفٍ، وهذا هو الذي أراد البخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ توكيدَه.

*****

---

(١) رواه البخاري (٣٤٦٥)، ومسلم (٢٧٤٣).

(٢) رواه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨).

(٢) رواه مسلم (٢٥٥٤).

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٠٣- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ صَالِحٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ قَالَ: مُطِرَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «قَالَ اللهُ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِي»[1].

هذا الحديثُ مختصرٌ من حديثٍ مطوَّلٍ وهو أن الرسولَ ﷺ أصبح بالحديبيةِ على إثر سماءٍ كانت من الليل، فقال: «هل تدرون ماذا قَالَ ربُّكم؟ قالوا: الله ورسوله أَعْلَمُ. قَالَ: قَالَ اللهُ: أَصْبَح من عبادي مؤمنٌ بي وكافرٌ».

فأمَّا من قَالَ: مُطِرْنا بفضلِ الله ورحمتِه. فذلك مؤمنٌ بي كافرٌ بالكوكبِ، وأما من قَالَ: مُطِرْنا بنوءِ كذا وكذا. فذلك كافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكبِ.

والشاهدُ من هذا الحديثِ قولُه: «قَالَ اللهُ». فأثبَت لله تعالى قولًا.

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٠٤- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللهُ: إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ، وَإِذَا كَرِهَ لِقَائِي كَرِهْتُ لِقَاءَهُ»[2].

اللهم حَبِّبْ إلينا لقاءَك.

الشاهدُ في هذا الحديثِ أيضًا هو إضافةُ القولِ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

فإذا قَالَ قائلٌ: هل كل آيةٍ في القرآنِ يُمْكِنُ أن نَسْتَدِلَّ بها لهذا؟

فالجوابُ: نعم، كلُّ آيةٍ في القرآنِ يُمكِنُ أن نَستَدِلَّ بها لهذا، ومن قَالَ: إن كلامَ الله مخلوقٌ. فقد بَدَّلَ كلامَ الله.

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٠٥- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنْ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «قَالَ اللهُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»[3].

٧٥٠٦- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ -لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ-: فَإِذَا مَاتَ فَحَرِّقُوهُ وَاذْرُوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ اللهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ. فَأَمَرَ اللهُ الْبَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، وَأَمَرَ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: لِمَ فَعَلْتَ؟

---

(١) رواه مسلم (١٧).

(٢) رواه مسلم (٢٦٨٥).

(٢) رواه مسلم (٢٦٧٥).

قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ وَأَنْتَ أَعْلَمُ فَغَفَرَ لَهُ»(١).

الشاهدُ من هذا الحديثِ الأخيرِ قولُه: «ثم قَالَ: لِمَ فعَلْتَ».

وهذا الحديثُ فيه إشكالٌ وهوَ: أن ظاهرَه أن هذا القائلَ ظَنَّ أن اللهَ لا يَقْدِرُ عليه، والشكُّ في قدرةِ اللهِ كفرٌ، فكيف غفرَ اللهُ له؟

نَقُولُ: إن هذا كان جاهلًا، فظنَّ أنه إذا فعَل ذلك فإن اللهَ تعالى لا يَبْعَثُه، فلم يلحقه مَعَرَّةٌ من ذلك، لكن ما في قلبِه من خشيةِ اللهِ وخوفِه منه جعَل اللهُ تعالى يَغْفِرُ له.

فإن قيل: هل يُعْذَرُ بالجهلِ في أمورِ توحيدِ العبادةِ؟

فالجوابُ: نعم وفي كلِّ شيءٍ قَالَ تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء:١٥]. لكن قد يُؤَاخَذُ الإنسانُ بتفريطِه إذا لم يَبْحَثْ ويَتَعَلَّمْ.

فإن قيل: هل يُعْذَرُ بالجهلِ في المعلومِ بالدينِ بالضرورةِ؟

قلنا: ما هو المعلومُ من الدينِ بالضرورةِ؟ المعلومُ من الدينِ بالضرورةِ لا يحصل إلا إذا كان هذا الرجلُ باقٍ بين أظهرِ المسلمينَ، وحينئذٍ لا يُمْكِنُ أن يَكُونَ جاهلًا، لكن إذا كان يَعِيشُ في مجاهلِ الأرضِ، ولا يَعْرِفُ عن الأديانِ شيئًا، ولم يَنْتَسِبْ إلى دينٍ معينٍ من أديانِ الكفرِ، فهذا يُعْذَرُ، ولهذا قَالَ تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥].

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٠٧- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي عَمْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا -وَرُبَّمَا قَالَ: أَذْنَبَ ذَنْبًا- فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ -وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَبْتُ- فَاغْفِرْ لِي. فَقَالَ رَبُّهُ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي. ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا -أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا- فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ -أَوْ أَصَبْتُ- آخَرَ فَاغْفِرْهُ. فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي. ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا -وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَابَ ذَنْبًا- قَالَ: قَالَ: رَبِّ أَصَبْتُ -أَوْ قَالَ: أَذْنَبْتُ- آخَرَ فَاغْفِرْهُ لِي. فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لِعَبْدِي. ثَلَاثًا فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ»(٢).

۞ قوله سبحانه: «فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ»؛ أي: فليَعْمَلْ ما شاء من الذنبِ والتوبةِ منه، فكلما أذنب الإنسانُ وتاب فإن اللهَ يَتُوبُ عليه، وإذا عاد إلى الذنبِ فإن التوبةَ الأولى لا تَنْخَرِمُ ولا تَنْهَدِمُ، لكن

(١) رواه مسلم (٢٧٥٦).
(٢) رواه مسلم (٢٧٥٨).

يَجِبُ أن يُجَدِّدَ للذنبِ الثاني توبةً، فإذا جدَّد التوبةَ تاب اللهُ عليه.

فقوله: «فليَعْمَلْ ما شاء». ليس معناه فليَعْمَلْ ما شاء من المعاصي والذنوبِ، بل فلْيَعْمَلْ ما شاء من هذا العملِ الذي كان يُنَاجِي اللهَ تعالى به.

والشاهدُ من هذا قوله: «فقال ربُّه: أَعَلِمَ عبدي». وفي نسخةٍ: «فقال: عَلِمَ عبدي».

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٠٨- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي الأَسْوَدِ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، سَمِعْتُ أَبِي، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَبْدِ الْغَافِرِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا فِيمَنْ سَلَفَ أَوْ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَالَ كَلِمَةً يَعْنِي: أَعْطَاهُ اللهُ مَالًا وَوَلَدًا فَلَمَّا حَضَرَتِ الْوَفَاةُ قَالَ لِبَنِيهِ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ. قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَئِرْ -أَوْ لَمْ يَبْتَئِزْ- عِنْدَ اللهِ خَيْرًا، وَإِنْ يَقْدِرِ اللهُ عَلَيْهِ يُعَذِّبْهُ، فَانْظُرُوا إِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي حَتَّى إِذَا صِرْتُ فَحْمًا فَاسْحَقُونِي -أَوْ قَالَ فاسحكوني- فَإِذَا كَانَ يَوْمُ رِيحٍ عَاصِفٍ فَأَذْرُونِي فِيهَا. فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: فَأَخَذَ مَوَاثِيقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَرَبِّي فَفَعَلُوا ثُمَّ أَذْرَوْهُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ، فَقَالَ اللهُ ﷻ: كُنْ. فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ قَائِمٌ. قَالَ اللهُ: أَيْ عَبْدِي مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ. قَالَ: مَخَافَتُكَ أَوْ فَرَقٌ مِنْكَ. قَالَ: فَمَا تَلَافَاهُ أَنْ رَحِمَهُ عِنْدَهَا وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى فَمَا تَلَافَاهُ غَيْرُهَا». فَحَدَّثْتُ بِهِ أَبَا عُثْمَانَ فَقَالَ: سَمِعْتُ هَذَا مِنْ سَلْمَانَ غَيْرَ أَنَّهُ زَادَ فِيهِ أَذْرُونِي فِي الْبَحْرِ أَوْ كَمَا حَدَّثَ[1].

حَدَّثَنَا مُوسَى، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، وَقَالَ: لَمْ يَبْتَئِرْ. وَقَالَ خَلِيفَةُ: حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ وَقَالَ: لَمْ يَبْتَئِزْ. فَسَّرَهُ قَتَادَةُ: لَمْ يَدَّخِرْ.

هذا الحديثُ كالذي سبق، لكنه يَخْتَلِفُ عنه بعضَ الشيءِ، والمقصودُ واحدٌ وهو إثباتُ القولِ للهِ ﷻ.

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٦- بابُ كَلَامِ الرَّبِّ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ.

٧٥٠٩- حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ رَاشِدٍ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنْ حُمَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ شُفِّعْتُ فَقُلْتُ: يَا رَبِّ أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ خَرْدَلَةٌ. فَيَدْخُلُونَ ثُمَّ أَقُولُ: أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى شَيْءٍ. فَقَالَ أَنَسٌ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَصَابِعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ»[2].

هذا الحديثُ ليس فيه ذكرُ كلامِ اللهِ، ولكن سبَق لنا في حديثٍ سابقٍ للشفاعةِ أن اللهَ تعالى يَتَكَلَّمُ ويَقُولُ: «أخرجوا من في قلبه كذا وكذا».

---

(١) رواه مسلم (٢٧٥٧).

(٢) رواه مسلم (١٩٣).

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥١٠- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا مَعْبَدُ بْنُ هِلَالٍ الْعَنَزِيُّ قَالَ: اجْتَمَعْنَا نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَذَهَبْنَا إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَذَهَبْنَا مَعَنَا بِثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ لَنَا عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ فَإِذَا هُوَ فِي قَصْرِهِ فَوَافَقْنَاهُ يُصَلِّي الضُّحَى، فَاسْتَأْذَنَّا فَأَذِنَ لَنَا وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى فِرَاشِهِ فَقُلْنَا لِثَابِتٍ: لَا تَسْأَلْهُ عَنْ شَيْءٍ أَوَّلَ مِنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ. فَقَالَ: يَا أَبَا حَمْزَةَ هَؤُلَاءِ إِخْوَانُكَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ جَاءُوكَ يَسْأَلُونَكَ عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ. فَقَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ. فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللهِ. فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ. فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا: وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ. فَيَأْتُونِي فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي. فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ. فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي. فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ. فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي. فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ. فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ». فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ أَنَسٍ قُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا: لَوْ مَرَرْنَا بِالْحَسَنِ وَهُوَ مُتَوَارٍ فِي مَنْزِلِ أَبِي خَلِيفَةَ فَحَدَّثْنَاهُ بِمَا حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ. فَأَتَيْنَاهُ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَأَذِنَ لَنَا فَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَلَمْ نَرَ مِثْلَ مَا حَدَّثَنَا فِي الشَّفَاعَةِ. فَقَالَ: هِيهْ. فَحَدَّثْنَاهُ بِالْحَدِيثِ فَانْتَهَى إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ فَقَالَ: هِيهْ. فَقُلْنَا: لَمْ يَزِدْ لَنَا عَلَى هَذَا. فَقَالَ: لَقَدْ حَدَّثَنِي وَهُوَ جَمِيعٌ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً فَلَا أَدْرِي أَنَسِيَ أَمْ كَرِهَ أَنْ تَتَّكِلُوا. قُلْنَا: يَا أَبَا سَعِيدٍ فَحَدِّثْنَا. فَضَحِكَ وَقَالَ: خُلِقَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا مَا ذَكَرْتُهُ إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ، حَدَّثَنِي كَمَا حَدَّثَكُمْ بِهِ قَالَ: «ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[1].

---

(١) رواه مسلم (١٩٣).

سياقُ حديثِ أنسٍ جيدٍ، وفيه أيضًا فائدةٌ وهي أنه لم يَذْكُرْ أعذارَ الأنبياءِ التي اعتذروا بها، فلم يَذْكُرْ عذرَ آدمَ، ولا عذرَ نوحٍ، ولا عذرَ إبراهيمَ، ولا عذرَ موسى؛ لأن المقامَ يَقْتَضِي ذلك، فإن أهلَ البصرةِ في آخرِ عمرِه حصَل منهم بدعٌ منكرةٌ، منها: بدعةُ الخوارجِ، وبدعةُ المعتزلةِ، ولهذا طوى ذكرَ الشفاعةِ العظمى، مع أن المراجعةَ للأنبياءِ إنما هي من أجلِ الشفاعةِ العظمى وهي أن يَقْضِيَ اللهُ بين العبادِ فيريحهم من الموقفِ.

ثم أتى إلى ذكرِ الشفاعةِ فيمن دخلَ النارَ أن يَخْرُجَ منها؛ لأن المعتزلةَ يُنْكِرُونَها، والخوارجُ يُنْكِرونها كذلك، فأرادَ رحمه الله هو وغيرُه من الذين حدَّثوا بأحاديثِ الشفاعةِ فيمن دخلَ النارَ أن يَخْرُجَ منها أرادوا أن يُقَرِّرُوا أن عصاةَ المؤمنينَ وإن دخلوا النارَ فإنهم يَخْرُجُونَ منها.

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٥١١- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُوسَى، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْ النَّارِ رَجُلٌ يَخْرُجُ حَبْوًا، فَيَقُولُ لَهُ رَبُّهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ: رَبِّ الْجَنَّةُ مَلْأَى. فَيَقُولُ لَهُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَكُلُّ ذَلِكَ يُعِيدُ عَلَيْهِ: الْجَنَّةُ مَلْأَى. فَيَقُولُ: إِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا عَشْرَ مِرَارٍ»[1].

الشاهدُ من هذا قولُه: «فَيَقُولُ». وهذا الكلامُ يكونُ يومَ القيامةِ كما قَالَ البخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ.

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٥١٢- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، عَنْ الأَعْمَشِ، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ».

قَالَ الأَعْمَشُ: وَحَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ، عَنْ خَيْثَمَةَ مِثْلَهُ وَزَادَ فِيهِ: «وَلَوْ بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»[2].

الشاهدُ من هذا قولُه: «إلا سيُكَلِّمُه ربُّه، ليس بينَه وبينه ترْجُمانٌ».

*****

---

(١) رواه مسلم (١٨٦).

(٢) رواه مسلم (١٠١٦). وقوله: «قال الأعمش...». قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٧٧): هو موصول بالسند الذي قبله.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥١٣- حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: «جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ إِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَعَلَ اللهُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْخَلَائِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ. فَلَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَضْحَكُ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَعَجُّبًا وَتَصْدِيقًا لِقَوْلِهِ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ- إِلَى قَوْلِهِ- يُشْرِكُونَ﴾»[1].

٧٥١٤- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ قَالَ: «يَدْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ: أَعَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. وَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيُقَرِّرُهُ ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ»[2].

وَقَالَ آدَمُ: حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، حَدَّثَنَا صَفْوَانُ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ.

الشاهدُ من هذا قولُه: «**يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ**» -أي: سِتْرَه- **فَيَقُولُ: أَعَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نعم**».

وكما رأيتم فإن البخاريَّ رَحِمَهُ اللَّهُ أكثرَ من ذكرِ الأحاديثِ الدالةِ على كلام الله عَزَّ وَجَلَّ وقولِه؛ لأن في زمنِه قد اشتدَّتْ محنةُ القولِ بخلقِ القرآنِ، فكان لابدَّ من أن يُكثِرَ الأحاديثَ في ذلك؛ ليتقرَّر القولُ الحقُّ في هذا.

***

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٧- بَابُ ما جاء في قَوْلِهِ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾.

٧٥١٥- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، حَدَّثَنَا عُقَيْلٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَخْرَجْتَ ذُرِّيَّتَكَ مِنَ الْجَنَّةِ. قَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ وَكَلَامِهِ، ثُمَّ تَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ. فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى»[3].

❁ قولُه: «بابُ قولِ الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾». هذه الآيةُ صريحةٌ في أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يتكلَّمُ كلامًا حقيقةً، ووجهُ الدلالةِ أن الفعلَ أُكِّدَ بالمصدرِ، قَالَ العلماءُ: ومن فوائدِ التوكيدِ نفيُ احتمالِ المجازِ.

فإذا قُلْتَ مثلًا: ضَرَبْتُ الرجلَ ضربًا. فإن (ضربًا). تؤكِّدُ أن المرادَ بقولِك: ضَرَبْتُ. الضربُ الحقيقيُّ.

---

(١) رواه مسلم (٢٧٨٦).

(٢) رواه مسلم (٢٧٦٨).

(٢) رواه مسلم (٢٦٥٢).

وكذلك: أَكرَمْتُ الرجلَ إكرامًا. فإن «إكرامًا» تَدُلُّ كذلك على أن الإكرامَ حقيقيٌّ.
كذلك قوله: (تكليمًا) تَدُلُّ على أن اللهَ ﷻ كَلَّم موسى كلامًا حقيقيًّا. فالتوكيدُ يَنْفِي احتمالَ المجازِ.

وأهلُ السنَّةِ والجماعةِ الذين بَنَوا عقيدتَهم على عقيدةِ السلفِ يَقُولُون: نُؤْمِنُ بأن اللهَ تعالى يَتكَلَّمُ كلامًا حقيقيًّا يَسْمَعُه من وجَّه الخطابَ إليه.

لكنْ أهلُ التعطيلِ والإنكارِ يَقُولُون: إن اللهَ تعالى لا يَتكَلَّمُ كلامًا حقيقيًّا، ويَقُولُون: معنى قولِه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾؛ أي: جَرَّحه بمخالبِ الحكمةِ. قالوا: لأن الكَلْمَ بمعنى الجرحِ، ومنه قولُه ﷺ: «**ما من مكلومٍ يُكْلَمُ في سبيلِ اللهِ إلا إذا كان يومَ القيامةِ جاء وكلمُه يَثْعَبُ دمًا**»[1]؛ أي: جرحُه.

فيُقَالُ: سبحانَ اللهِ هذا التفسيرُ الذي ذَكَرْتم بعيدٌ عن المعنى، بل ممتنعٌ؛ لأن اللهَ يَقُولُ: «كَلَّم اللهُ موسى».

ثم قَالَ بعضُهم: بل القراءةُ الصحيحةُ: «وكَلَّم اللهَ موسى تكليمًا» فَحَرَّفَ اللفظَ؛ ليَكُونَ الكلامُ من موسى للهِ.

فقيل له: ماذا نَقُولُ في قولِه تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣]. -وهذه لا يُمْكِنُ فيها التحريفُ اللفظيُّ- فبُهِتَ.

ثم ساق المؤلفُ رَحِمَهُ اللَّهُ حديثَ احتجاجِ موسى على آدمَ، وفيه: «**قَالَ موسى لآدمَ: أَخرَجْتَ ذريتَك من الجنةِ**»؛ لأن اللهَ نهاه أن يَأْكُلَ من الشجرةِ، فأَكَلَ منها، فأخرَجه اللهُ ﷻ من الجنةِ، فلامَه موسى لتسببه في إخراجِ الذريةِ من الجنةِ.

ولكنَّ آدمَ قَالَ له: «**أنت موسى الذي اصطفَاك اللهُ برسالاتِه، وكلامِه** -وهذا هو الشاهدُ- **ثم تَلُومني على أمرٍ قد قُدِّر عليَّ قبلَ أن أُخلَق. فحَجَّ آدمُ موسى**»؛ يَعْنِي: غَلَبه في الحُجَّةِ.

وهذا الحديثُ اختَلَف فيه الناسُ:

فالمعتزلةُ قالوا: هذا حديثٌ لا يَصِحُّ؛ لأنه خبرُ آحادٍ، وخبرُ الآحادِ لا يُقْبَلُ في العقائدِ، وأفعالُ العبادِ ليست مكتوبةً عند اللهِ، بل العبدُ مستقلٌّ بعملِه.

وأما الجبريةُ فتلقَّوا هذا الحديثَ بالقبولِ، وقالوا: إن آدمَ احتَجَّ بالقدرِ وحكَم النَّبيُّ ﷺ بصحةِ احتجاجِه على موسى.

فتنازع في هذا الحديثِ طائفتان، فالجبريةُ قبِلَتْهُ، والمعتزلةُ -الذين هم القدريةُ- رَفَضَتْهُ وقالوا: هذا لا يَصِحُّ.

وأما أهلُ السنَّةِ والجماعةِ فقَبِلُوا الحديثَ، ولكنَّهم قالوا: ليس فيه دليلٌ لمذهبِ الجبريةِ؛ لأن آدمَ لم يَحْتَجَّ بالقدرِ على فعلِ المعصيةِ، وموسى أيضًا لم يَحْتَجَّ على آدمَ بفعلِ المعصيةِ، إنما احْتَجَّ على إخراجِه من الجنةِ، فاحتجَّ آدمُ بالقدرِ على المصيبةِ التي حَدَثَتْ بغيرِ اختيارِه وإرادتِه وهي إخراجه

---

(١) تقدم تخريجه.



من الجنةِ؛ لأن آدمَ لو عَلِمَ أنه سَيَخْرُجُ من الجنةِ ما أَكَل بالتأكيدِ، بدليل أن إبليسَ وسْوَس له وقال: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ۝١٢٠﴾ [طه:١٢٠]. فيكُونُ احتجاجُ آدمَ بالقدرِ على المصائبِ لا على المآلِ.

ونظيرُ ذلك: أن يُسافِرَ شخصٌ فيُصَابَ بحادثةٍ، فيلُومه لائمٌ ويقُولَ: لماذا سافرت؟ فيقُولُ: أنا ما سافَرْتُ لأجلِ أن يُصِيبني هذا الحادثُ، لكن هذا قضاءُ الله وقدرُه.

فآدمُ لم يأكُل من الشجرةِ من أجلِ أن يَخْرُجَ من الجنةِ، بل صارت النتيجةُ التي لا يَعْلَمُ بها من قبلُ أنه خرَج من الجنةِ.

فصار الاحتجاجُ هنا على المصيبةِ لا على الفعلِ؛ ولهذا قَالَ النَّبيُّ ﷺ: **«احرِص على ما يَنْفَعُكَ واستَعِن بالله ولا تَعْجَزْ، وإن أَصَابَك شيءٌ** -يَعْنِي: بعد الحرصِ- **فلا تَقُلْ: لو أني فَعَلْتُ كذا. ولكن قل: قَدَّرَ اللهُ وما شاء فَعَل»**[1]؛ أي: حينئذٍ لك أن تَحْتَجَّ بالقدرِ؛ لأنك فَعَلْتَ ما يَنْبَغِي أن تَفْعَلَ.

وهذا الوجهُ كما يَتَّضِحُ ظاهرٌ في القوةِ، لاسيَّما وأن موسى ﷺ أَعْلَمُ وأَبَرُّ من أن يَصِمَ أباه آدمَ بعيبٍ تاب منه، وهَدَاه اللهُ واجْتَباه بعدَه.

وقد خرَّج ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الحديثَ تخريجًا آخرَ فقال: إن آدمَ إنما احْتَجَّ بالقدر على معصيته بعد أن تاب إلى الله وندِم، وليس كاحتجاجِ المشركين على شركِهم الذي أبطَلَه اللهُ؛ لأن احتجاجَ المشركين على شركِهم يُرِيدُون منه دفعَ اللومِ عنهم واستمرارهم على شركِهم، أما إذا احتَجَّ الإنسانُ بالقدرِ على معصيتِه بعد أن تاب ورجَع إلى الله، فإن هذا لا بأسَ به[2].

مثالُه: رجلٌ فعَل معصيةً ثم تاب وصَلَحَتْ حالُه، فلامَه بعضُ الناسِ وقال له: كيف تفعَلُ كذا وكذا؟ فقال: هذا شيءٌ أَفْلَتَ منِّي بقضاءِ الله وقدرِه، وأنا أَسْتَغْفِرُ اللهَ وأَتُوبُ.

فهذا الاحتجاجُ على ما ذهَب إليه ابنُ القيمِ هو احتجاجٌ صحيحٌ، واسْتَدَلَّ له بحديثِ عليٍّ رضي الله عنه الذي مرَّ علينا حين جاء النَّبيُّ ﷺ إلى بيتِ عليٍّ، فوجَده نائمًا هو وفاطمةُ، فقال: ألا تصليان؟ فقال: إن أنفسَنا بيدِ الله عز وجل.

ولكن ما ذهَب إليه شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ بالنسبةِ لتخريجِ الحديثِ أَوْلَى.

أما بالنسبةِ لاحتجاجِ الإنسانِ بالقدرِ بعد فعلِ المعصيةِ والتوبةِ منها، فهذا لا بأسَ به، فلا بأس أن تَقُولَ: هذا الشيءُ قَدَّرَه اللهُ عليَّ، وغَلَبَتْنِي نفسِي والهوى والشيطانُ، ولكن أَسْتَغْفِرُ اللهَ وأَتُوبُ إليه. فهذا لا بأسَ به، وكثيرًا ما يَقَعُ هذا الشيءُ، والإنسانُ معذورٌ فيه؛ لأنه لم يَحْتَجَّ بالقدرِ لِيَبْقَى على معصيتِه، أو ليَدْفَعَ اللومَ عن نفسِه.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٢) انظر: «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (١/ ١٨).

❊❊❊

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٥١٦- حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُجْمَعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيُرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا. فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ آدَمُ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ الْمَلَائِكَةَ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا. فَيَقُولُ لَهُمْ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، فَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ»[1].

هذا طرفٌ من الحديثِ الطويلِ الذي فيه ذكرُ مرورِ المؤمنين على موسى، وذكرُ أن اللهَ كلَّمه، وإلا فهذه الطرقُ التي ذكَرها الآن ليس فيها شاهدٌ للبابِ.

❊❊❊

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٥١٧- حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ، عَنْ شَرِيكِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ: أَنَّهُ جَاءَهُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ وَهُوَ نَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَقَالَ أَوَّلُهُمْ: أَيُّهُمْ هُوَ؟ فَقَالَ أَوْسَطُهُمْ: هُوَ خَيْرُهُمْ. فَقَالَ آخِرُهُمْ: خُذُوا خَيْرَهُمْ. فَكَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّى أَتَوْهُ لَيْلَةً أُخْرَى فِيمَا يَرَى قَلْبُهُ وَتَنَامُ عَيْنُهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ، وَكَذَلِكَ الأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ. فَلَمْ يُكَلِّمُوهُ حَتَّى احْتَمَلُوهُ فَوَضَعُوهُ عِنْدَ بِئْرِ زَمْزَمَ، فَتَوَلَّاهُ مِنْهُمْ جِبْرِيلُ، فَشَقَّ جِبْرِيلُ مَا بَيْنَ نَحْرِهِ إِلَى لَبَّتِهِ حَتَّى فَرَغَ مِنْ صَدْرِهِ وَجَوْفِهِ، فَغَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ بِيَدِهِ حَتَّى أَنْقَى جَوْفَهُ، ثُمَّ أُتِيَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ تَوْرٌ مِنْ ذَهَبٍ مَحْشُوًّا إِيمَانًا وَحِكْمَةً، فَحَشَا بِهِ صَدْرَهُ وَلَغَادِيدَهُ -يَعْنِي عُرُوقَ حَلْقِهِ- ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَضَرَبَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِهَا، فَنَادَاهُ أَهْلُ السَّمَاءِ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جِبْرِيلُ. قَالُوا: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مَعِيَ مُحَمَّدٌ. قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالُوا: فَمَرْحَبًا بِهِ، وَأَهْلًا. فَيَسْتَبْشِرُ بِهِ أَهْلُ السَّمَاءِ لَا يَعْلَمُ أَهْلُ السَّمَاءِ بِمَا يُرِيدُ اللهُ بِهِ فِي الأَرْضِ حَتَّى يُعْلِمَهُمْ، فَوَجَدَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا آدَمَ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ آدَمُ وَقَالَ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا بِابْنِي نِعْمَ الِابْنُ أَنْتَ، فَإِذَا هُوَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِنَهَرَيْنِ يَطَّرِدَانِ، فَقَالَ: مَا هَذَانِ النَّهَرَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا النِّيلُ وَالْفُرَاتُ عُنْصُرُهُمَا. ثُمَّ مَضَى بِهِ فِي السَّمَاءِ فَإِذَا هُوَ بِنَهَرٍ آخَرَ عَلَيْهِ قَصْرٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ فَضَرَبَ يَدَهُ فَإِذَا هُوَ مِسْكٌ أَذْفَرُ، قَالَ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي خَبَأَ لَكَ رَبُّكَ. ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَتْ لَهُ الأُولَى: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قَالُوا: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ. قَالُوا: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالُوا: مَرْحَبًا بِهِ وَأَهْلًا. ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، وَقَالُوا لَهُ مِثْلَ مَا قَالَتِ الأُولَى وَالثَّانِيَةُ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى الرَّابِعَةِ،

---

(١) رواه مسلم (١٩٣).

فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَقَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ كُلُّ سَمَاءٍ فِيهَا أَنْبِيَاءُ قَدْ سَمَّاهُمْ فَأَوْعَيْتُ مِنْهُمْ إِدْرِيسَ فِي الثَّانِيَةِ، وَهَارُونَ فِي الرَّابِعَةِ، وَآخَرَ فِي الْخَامِسَةِ لَمْ أَحْفَظِ اسْمَهُ، وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّادِسَةِ، وَمُوسَى فِي السَّابِعَةِ بِتَفْضِيلِ كَلَامِ اللهِ، فَقَالَ مُوسَى: رَبِّ لَمْ أَظُنَّ أَنْ يُرْفَعَ عَلَيَّ أَحَدٌ، ثُمَّ عَلَا بِهِ فَوْقَ ذَلِكَ بِمَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ حَتَّى جَاءَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى وَدَنَا لِلْجَبَّارِ رَبِّ الْعِزَّةِ فَتَدَلَّى حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَأَوْحَى اللهُ فِيمَا أَوْحَى إِلَيْهِ: خَمْسِينَ صَلَاةً عَلَى أُمَّتِكَ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. ثُمَّ هَبَطَ حَتَّى بَلَغَ مُوسَى، فَاحْتَبَسَهُ مُوسَى فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَاذَا عَهِدَ إِلَيْكَ رَبُّكَ؟ قَالَ: عَهِدَ إِلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ فَارْجِعْ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ رَبُّكَ وَعَنْهُمْ. فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى جِبْرِيلَ كَأَنَّهُ يَسْتَشِيرُهُ فِي ذَلِكَ فَأَشَارَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ أَنْ نَعَمْ إِنْ شِئْتَ. فَعَلَا بِهِ إِلَى الْجَبَّارِ فَقَالَ وَهُوَ مَكَانَهُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَنَّا فَإِنَّ أُمَّتِي لَا تَسْتَطِيعُ هَذَا. فَوَضَعَ عَنْهُ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مُوسَى فَاحْتَبَسَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُرَدِّدُهُ مُوسَى إِلَى رَبِّهِ حَتَّى صَارَتْ إِلَى خَمْسِ صَلَوَاتٍ، ثُمَّ احْتَبَسَهُ مُوسَى عِنْدَ الْخَمْسِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ وَاللهِ لَقَدْ رَاوَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمِي عَلَى أَدْنَى مِنْ هَذَا فَضَعُفُوا فَتَرَكُوهُ، فَأُمَّتُكَ أَضْعَفُ أَجْسَادًا وَقُلُوبًا وَأَبْدَانًا وَأَبْصَارًا وَأَسْمَاعًا فَارْجِعْ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ رَبُّكَ. كُلَّ ذَلِكَ يَلْتَفِتُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى جِبْرِيلَ لِيُشِيرَ عَلَيْهِ، وَلَا يَكْرَهُ ذَلِكَ جِبْرِيلُ فَرَفَعَهُ عِنْدَ الْخَامِسَةِ فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنَّ أُمَّتِي ضُعَفَاءُ أَجْسَادُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ فَخَفِّفْ عَنَّا. فَقَالَ الْجَبَّارُ: يَا مُحَمَّدُ. قَالَ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: إِنَّهُ لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، كَمَا فَرَضْتُهُ عَلَيْكَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ، قَالَ: فَكُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا فَهِيَ خَمْسُونَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ وَهِيَ خَمْسٌ عَلَيْكَ. فَرَجَعَ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: كَيْفَ فَعَلْتَ؟ فَقَالَ: خَفَّفَ عَنَّا أَعْطَانَا بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا. قَالَ مُوسَى: قَدْ وَاللهِ رَاوَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ فَتَرَكُوهُ، ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ أَيْضًا. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا مُوسَى قَدْ وَاللهِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي مِمَّا اخْتَلَفْتُ إِلَيْهِ. قَالَ: فَاهْبِطْ بِاسْمِ اللهِ. قَالَ: وَاسْتَيْقَظَ وَهُوَ فِي مَسْجِدِ الْحَرَامِ[1].

❁قولُه: «أسري برسولِ الله ﷺ من مسجدِ الكعبةِ» قد اشْتَهَرَ عند الناسِ أن الرسولَ ﷺ أُسْرِيَ به من بيتِ أمِّ هانئٍ، والصوابُ أنه أُسْرِيَ به من المسجدِ الحرام نفسِه، فإنه كان نائمًا في الحِجْرِ، وأُسْرِيَ به من هناك.

وقد جمعَ بينهما بعضُ العلماءِ فقال: إنه كان نائمًا في بيتِ أمِّ هانئٍ فأُوقِظ ثم قام فنام في المسجدِ، فكان ابتداءُ الإسراءِ من بيتِ أمِّ هانئٍ ولكنْ حقيقتُه كانت من المسجدِ الحرامِ.

❁وفي قولِه: «مسجدِ الكعبةِ»: دليلٌ أن مسجدَ الكعبةِ هو نفسُ المسجدِ الذي هو موضعُ الصلاةِ، وعلى هذا فيَكُونُ التفضيلُ الواردُ في أن الصلاةَ في مسجدِ النَّبِيِّ ﷺ خيرٌ من ألفِ صلاةٍ فيما

---

(١) رواه مسلم (١٦٢).

سواه إلا المسجدَ الحرامَ كما في الصحيحين[1]، وفي لفظِ مسلمٍ من حديثِ ميمونةَ قَالَ: «إلا مسجدَ الكعبةِ»[2]، فدَلَّ على أن المرادَ بالمسجدِ الحرامِ هو موضعُ الصلاةِ في المكانِ الذي فيه الكعبةُ، وليس المرادُ جميعَ الحرمِ، حتَّى نَقُولَ: إن التضعيفَ يَكُونُ في جميعِ مكةَ، بل نَقُولُ: إن التضعيفَ يَكُونُ في المسجدِ الذي فيه الكعبةُ فقط، فلا تُشَدُّ الرحالُ مثلًا إلى مسجدٍ في العزيزيةِ، أو مسجدٍ في الأبطحِ، أو ما أشبهَ ذلك.

والشاهدُ من هذا الحديثِ: هذا الكلامُ من اللهِ عَزَّ وَجَلَّ في ليلةِ المعراجِ.

والمعراجُ والإسراءُ ثابتان بالقرآنِ الكريمِ.

قَالَ اللهُ تعالى في الإسراءِ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء:١].

وقال في المعراجِ: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣)﴾ إلى أن قَالَ: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (١٨)﴾ [النجم:١٨]. وهما على القولِ الراجحِ كانا في ليلةٍ واحدةٍ.

والعروجُ كان بجسدِه وروحِه، وليس بروحِه فقط، وهو حقيقةٌ، وصاحبَه جبريلُ وكان يَصْعَدُ به إلى السماءِ الدنيا، ثم الثانيةِ، ثم الثالثةِ، ثم الرابعةِ، حتَّى وصل به إلى السماءِ السابعةِ.

وفي هذا الحديثِ: أن موسى في السابعةِ، وإبراهيمَ في السادسةِ وهو غلطٌ، فإن إبراهيمَ في السابعةِ، وموسى في السادسةِ، وهارونَ في الخامسةِ، وإدريسَ في الرابعةِ، وهنا ذكَر أن إدريسَ في الثانيةِ وهو غلطٌ أيضًا.

وهذا السياقُ الذي ذكَره البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ هنا فيه شيءٌ يَحْتَاجُ إلى تحليلٍ ونظرٍ.

والإسراءُ والمعراجُ لا يُعْلَمُ متى كان، وأما ما اشتُهِر عند الناسِ أنه ليلةَ السابعِ والعشرينَ فلا أصلَ له، وأقربُ ما قيل في ذلك: أنه كان في ربيعٍ الأوَّلِ قبلَ الهجرةِ بنحوِ ثلاثِ سنواتٍ، وقد صلَّى النَّبيُّ ﷺ هذه الثلاث سنواتِ الرباعيةَ ركعتين، ولما هاجَر إلى المدينةِ زيد في صلاةِ الحضرِ، وأُقِرَّتْ صلاةُ السفرِ على الفريضةِ الأولى.

والمعراجُ من خصائصِ النَّبيِّ ﷺ، فلم يُعْرَجْ بأحدٍ من الأنبياءِ قبلَه.

وقولُه: «ودنا الجبارُ فتدَلَّى». الصحيحُ أن قولَه تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨)﴾ [النجم:٨]. أنه جبريلُ؛ لأن اللهَ قَالَ: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠)﴾ [النجم:٥-١٠]. أي: أوحى جبريلُ لعبدِ اللهِ ما أوْحى، إلى أن قَالَ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤)﴾ [النجم:١٣-١٤]. وهذا جبريلُ وقد رآه الرسولُ ﷺ مرتين: مرةً في الأرضِ في غارِ حراءَ، ومرةً في السماءِ عند سدرةِ المنتهى، وهذا هو الصوابُ في هذا اللفظِ من الحديثِ.

---

(١) رواه البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤).

(٢) رواه مسلم (١٣٩٦).

قَالَ ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومجموع ما خالف في روايةِ شريكٍ غيرَه من المشهورين عشرةَ أشياءَ بل تَزِيدُ على ذلك:

الأوَّلُ: أمكنةُ الأنبياءِ عليهم الصلواتُ والسلامُ في السمواتِ، وقد أَفْصَح بأنه لم يَضْبِط منازلَهم، وقد وافقَه الزهريُّ في بعضِ ما ذكَر كما سبَق في أوَّلِ كتابِ الصلاةِ.

[الذي أخطأَ فيه هو ذكرُ إبراهيمَ وموسى، فإنه زعَمَ أن موسى في السابعةِ، وإبراهيمَ في السادسةِ، والأمرُ بالعكس].

الثاني: كونُ المعراجِ قبلَ البعثةِ. وقد سبَق الجوابُ عن ذلك، وأجاب بعضُهم عن قولِه: قبلَ أن يُوحى بأن القبليةَ هنا في أمرٍ مخصوصٍ وليست مطلقةً، واحتمل أن يَكُونَ المعنى قبلَ أن يُوحى إليه في شأنِ الإسراءِ والمعراجِ مثلًا؛ أي: أن ذلك قدْ وقَع بغتةً قبلَ أن يُنْذَر به، ويُؤَيِّدُه قولُه في حديثِ الزهريِّ: «فُرِجَ سقفُ بيتي».

[هذه تسقط ما دام فيه احتمالٌ أن المرادَ بقولِه: قبل أن يُوحَى إليه بشأنِ المعراجِ، وليس المرادُ قبل أن يُوحى إليه بالرسالةِ، فإذا وجد احتمالٌ بطَل الاعتراضُ].

الثالثُ: كونُه منامًا وقد سبَق الجوابُ عنه أيضًا بما فيه غُنْيةٌ.

الرابعُ: مخالفتُه في محلِّ سدرةِ المنتهى، وأنها فوقَ السماءِ السابعةِ لما لا يَعْلَمُه إلا اللهُ، والمشهورُ أنها في السابعةِ أو السادسةِ كما تقَدَّم.

[والصحيحُ: أنها في السابعةِ؛ لأن اسمَها يَدُلُّ على ذلك: سدرةُ المنتهى. ولا انتهاءَ قبلَ السماءِ السادسةِ][1].

والخامسُ: مخالفتُه في النهرينِ وهما النيلُ والفراتُ وأن عنصرَهما في السماءِ الدنيا، والمشهورُ في غيرِ روايتِه أنهما في السماءِ السابعةِ، وأنهما من تحتِ سدرةِ المنتهى.

[وهذا يُمكِنُ الإجابةُ عنه بأنهما يَمُرَّان في السماءِ الدنيا، لكن نظرًا لكثرةِ ما يُعْتَرَضُ على سياقِ شريكٍ، لا يَنْبَغِي أن نُؤَوِّلَ هذا التأويلَ البعيدِ، أو المستكره في نظرِ المحدثين، بل نَقُولُ: هذا من جملةِ الأوهامِ التي عُدَّت عليه في هذا السياقِ، وإلا فمن الممكنِ أن يُقَالَ: إن أصلَهما في سدرةِ المنتهى، ويَمُرَّان بالسماءِ الدنيا من أجلِ نزولِهما إلى الأرضِ، وحينئذٍ لا يَكُونُ فيه وهمٌ، لكني أَقُولُ: إن هذا يُضَعِّفُه كثرةُ الأوهامِ في سياقِه، ونَقُولُ: هذا من جملةِ الأوهامِ][2].

السادسُ: شقُّ الصدرِ عند الإسراءِ، وقد وافقَه روايةُ غيرِه كما بَيَّنْتُ ذلك في شرحِ روايةِ قتادةَ عن أنسِ بنِ مالكٍ بنِ صَعْصَعَة، وقد أَشَرْتُ إليه أيضًا هنا.

السابعُ: ذكرُ نهرِ الكوثرِ في السماءِ الدنيا، والمشهورُ في الحديثِ أنه في الجنةِ كما تَقَدَّم التنبيهُ عليه.

---

(١) ما بين معقوفين من كلام الشيخ العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) ما بين معقوفين من كلام الشيخ العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

[هذا نَقولُ فيه مثلَ ما قُلْنا في النيل والفراتِ؛ أي: لعل أصلَه في الجنةِ ويَنْزِلُ إلى الأرضِ مارًّا بالسماءِ الدنيا؛ ليصب في الحوضِ، لكن لا شكَّ أن الصوابَ أنه في الجنَّةِ].

الثامنُ: نسبةُ الدنوِّ والتدلِّي إلى الله ﷻ، والمشهورُ في الحديثِ أنه جبريلُ كما تَقَدَّم التنبيهُ عليه.

[هذا صحيحٌ الذي دنا فتدلى هو جبريلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ].

التاسعُ: تصريحُه بأن امتناعَه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من الرجوعِ إلى سؤالِ ربِّه التخفيفَ كان عند الخامسةِ، ومقتضى روايةِ ثابتٍ عن أنسٍ أنه كان بعد التاسعةِ.

العاشرُ: قولُه: «فعلا به الجبارُ فقال وهو مكانه» وقد تَقَدَّم ما فيه.

وقال في موضعٍ آخرَ:

۞ قولُه: «ودنا الجبارُ ربُّ العزَّةِ حتَّى كان قابَ قوسينِ أو أَدْنَى». في روايةِ ميمونةِ المذكورةِ: «فدنا ربُّك ﷻ فكان قابَ قوسين أو أدنى». قَالَ الخطابيُّ ليس في هذا الكتابِ -يَعْنِي: صحيحَ البخاريِّ- حديثٌ أَشْنَعُ ظاهرًا ولا أَشْنَعُ مذاقًا من هذا الفصلِ، فإنه يَقْتَضِي تحديدَ المسافةِ بين أحدِ المذكورينِ وبين الآخرِ، وتَمْييزَ مكانِ كلِّ واحدٍ منهما، هذا إلى ما في التدلِّي من التشبيهِ والتمثيلِ له بالشيءِ الذي تَعلَّق من فوق إلى أسفل، قَالَ: فمن لم يَبْلُغْه من هذا الحديثِ إلا هذا القدرُ مقطوعًا أو غيرُه، ولم يَعْتَبِرْه بأولِ القصةِ وآخرِها اشتبَه عليه وجهُهُ ومعناه، وكان قُصَارَاهُ ما رد الحديث من أجلِه، وأما الوقوعُ في التشبيهِ وهما خطتان مرغوبٌ عنهما.

وأما من اعتبر أولَ الحديثِ بآخرِه فإنه يَزُولُ عنه الإشكالُ، فإنه مصرحٌ فيهما بأنه كان رؤيا؛ لقولِه في أوَّلِه: «وهو نائمٌ» وفي آخرِه: «استيْقَظ». وبعضُ الرؤيا مَثَلٌ يُضرَبُ ليَتأوَّلَ على الوجهِ الذي يَجِبُ أن يُصْرَفَ إليه معنى التعبيرِ في مثلِه، وبعضُ الرؤيا لا يُحْتَاجُ إلى ذلك بل تَأْتِي كالمشاهدةِ.

قُلْتُ: وهو كما قَالَ، ولا التفاتَ إلى مَن تَعقَّب كلامَه بقولِه في الحديثِ: أن رُؤْيَا الأنبياءِ وَحْيٌ، فلا تُحْتَاجُ إلى تعبيرٍ؛ لأنه كلامُ مَن لم يُمْعِنِ النظرَ في هذا المحَلِّ، فقد تَقَدَّم في «كتاب التعبير»: أن بعضَ مَرْأى الأنبياءِ يَقْبَلُ التعبيرَ، وتَقَدَّمَ من أمثلةِ ذلك: قولُ الصحابةِ له عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في رُؤْيَةِ القميصِ: فما أَوَّلْتَه يا رَسُولَ الله؟ قَالَ: الدينُ، وفي رؤيةِ اللبنِ. قَالَ: العلمُ. إلى غير ذلك.

لكنْ جزْمَ الخطابيِّ بأنه كان في المنامِ متعقَّبٌ بما تَقَدَّم تقريرُه قَبْلُ.

ثم قَالَ الخطابيُّ مشيرًا إلى رفع الحديثِ من أصلِه بأن القصةَ بطولِها إنما هي حكايةٌ يَحْكِيها أنسٌ من تلقاءِ نفسِه لم يَعْزُها إلى النَّبِيِّ ﷺ، ولا نقَلها عنه، ولا أضافها إلى قولِه، فحاصلُ الأمرِ في النقلِ أنها من جهةِ الراوي، إما من أنسٍ وإما من شريكٍ، فإنه كثيرُ التفردِ بمناكيرِ الألفاظِ التي لا يتابعُه عليها سائرُ الرواةِ. انتهى

وما نفاه من أن أنسًا لم يُسْنِدْ هذه القصةَ إلى النَّبِيِّ ﷺ لا تأثيرَ له، فأدنى أمرِه فيها أن يَكُونَ مرسلَ صحابيٍّ، فإما أن يَكُونَ تلقَّاها عن النَّبِيِّ ﷺ، أو من صحابيٍّ تلقَّاها عنه، ومثلُ ما اشتملتْ عليه لا يُقالُ بالرأيِ فيكُونُ له حكمُ الرفعِ، ولو كان لما ذكَره تأثيرٌ لم يُحْمَلْ حديثُ أحدٍ روى مثلَ ذلك على الرفعِ أصلًا، وهو خلافُ عملِ المحدِّثين

قاطبةً، فالتعليلُ بذلك مردودٌ.

ثم قَالَ الخطابيُّ: إن الذي وقع في هذه الروايةِ من نسبةِ التدلِّي للجبارِ ﷻ مخالفٌ لعامةِ السلفِ والعلماءِ وأهلِ التفسيرِ من تقدَّم منهم ومن تأخَّر، قَالَ: والذي قيل فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنه دنا جبريلُ من محمدٍ ﷺ فتدلَّى؛ أي: تقرَّب منه.

وقيل: هو على التقديمِ والتأخيرِ؛ أي: تدلى فلانًا لأن التدلِّي بسببِ الدُّنُوِّ.

الثاني: تدلَّى له جبريلُ بعد الانتصابِ والارتفاعِ حتَّى رآه متدليًا كما رآه مرتفعًا، وذلك من آياتِ الله، حيثُ أقدره على أن يَتَدَلَّى في الهواءِ من غيرِ اعتمادٍ على شيءٍ، ولا تمسكٍ بشيءٍ.

الثالثُ: دنا جبريلُ فتدلَّى محمدٌ ﷺ ساجدًا لربِّه تعالى شكرًا على ما أعطاه.

قَالَ وقد رُوِي هذا الحديثُ من أنسٍ بغيرِ طريقِ شريكٍ فلم يُذْكَرْ فيه هذه الألفاظُ الشنيعةُ، وذلك مما يُقَوِّي الظنَّ أنها صادرةٌ من جهةِ شريكٍ. انتهى

وقد أخرَج الأمويُّ في مغازيه ومن طريقِه البيهقيُّ عن محمدِ بنِ عمرٍو عن أبي سلمةَ، عن ابنِ عباسٍ في قولِه تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ١٣﴾ [النجم:١٣]. قَالَ: دنا منه ربُّه. وهذا سندٌ حسنٌ وهو شاهدٌ قويٌّ لروايةِ شَرِيكٍ.

ثم قَالَ الخطابيُّ: وفي هذا الحديثِ لفظةٌ أخرى تفرَّد بها شَرِيكٌ أيضًا لم يَذْكُرْها غيرُه وهي قولُه: «فعَلا به» يَعْني: جبريلَ إلى الجبارِ تعالى فقال وهو مكانَه: يا ربُّ خففْ عنا. وقال: والمكانُ لا يُضَافُ إلى الله تعالى، وإنما هو مكانُ النَّبيِّ ﷺ في مقامِه الأولِ الذي قام فيه قبلَ هبوطِه. انتهى

وهذا الأخيرُ متعيِّنٌ وليس في السياقِ تصريحٌ بإضافةِ المكانِ إلى الله تعالى.

وأما ما جزَم به من مخالفةِ السلفِ والخلفِ لروايةِ شَريكٍ عن أنسٍ في التدلِّي ففيه نظرٌ، فقد ذكرتُ من وافقه، وقد نقَل القرطبيُّ عن ابنِ عباسٍ أنه قَالَ: دنا اللهُ ﷻ. قَالَ: والمعنى: دنا أمرُه وحكمُه.

[قولُه: دنا أمرُه وحكمُه. غيرُ صحيحٍ؛ لأنه لو صحَّ أن المرادَ بقولِه: ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ هو الربُّ ﷻ لم يَصِحَّ أن نَقُولَ: دنا أمرُه وحكمُه؛ لأن هذا تحريفٌ للكلمِ عن مواضعِه، لكنْ نَقُولُ في الأصلِ: إن الصوابَ أنَّ الدانيَ والمتدلِّيَ هو جبريلُ][1].

وأصلُ التدلِّي النزولُ إلى الشيءِ حتَّى يَقْرُبَ منه. قَالَ: وقيل: تدلى الرفرف لمحمدٍ ﷺ حتَّى جلَس عليه، ثم دنا محمد من ربه. انتهى

وقد تقدم في تفسير سورة النجم ما ورد من الأحاديثِ في أن المراد بقوله: ﴿رَءَاهُ﴾ أن النَّبيَّ ﷺ رأى جبريل، له ستمائة جناح ومضى بَسْطُ القول في ذلك هناك، ونقل البيهقي نحو ذلك عن أبي هريرة، قَالَ: فاتفقت روايات هؤلاء على ذلك. ويعكر عليه قوله بعد ذلك: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ

(١) ما بين معقوفين من كلام الشيخ العلامة ابن عثيمين رحمه الله.

﴿١٠﴾. ثم نقل عن الحسن أن الضمير في عبده لجبريل، والتقدير: فأوحى الله إلى جبريل.

وعن الفَرَّاءِ: التقدير فأوحى جبريل إلى عبد الله مُحَمَّدٍ ما أوحى.

وقد أزال العلماء إشكاله، فقال القاضي عياض في «الشفاء»: إضافة الدنو والقرب إلى الله تعالى أو من الله، ليس دنو مكان، ولا قرب زمان، وإنما هو بالنسبةِ إلى النَّبِيِّ ﷺ إبانةٌ لعظيم منزلته، وشريفِ رتبته، وبالنسبةِ إلى الله ﷻ تأنيس لِنَبِيِّه وإكرام له. ويتأول فيه ما قالوه في حديث: «ينزل ربنا إلى السماء». وكذا في حديث: «من تقرب مني شبرًا تقربت منه ذراعًا».

وقال غيره: الدنو مجاز عن القرب المعنوي.

[هذا أيضًا خطأ، فإن المراد بنزوله ﷻ نزوله حقيقة إلى السماء الدنيا، وكذلك تقربه إلى عبده حقيقة][1].

لإظهارِ عظيمِ منزلتِه عندَ ربِّه تعالى، والتدلِّي: طلبُ زيادةِ القربِ، وقابَ قوسين بالنسبةِ إلى النَّبِيِّ ﷺ عبارةٌ عن لطفِ المحلِّ، وإيضاحِ المعرفةِ، وبالنسبةِ إلى الله إجابةِ سؤالِه ورفعِ درجتِه.

وقال عبدُ الحقِّ في «الجمعِ بين الصحيحين»: زاد فيه -يَعْنِي: شريكًا- زيادةً مجهولةً وأَتَى فيه بألفاظٍ غيرِ معروفةٍ وقد روى الإسراءَ جماعةٌ من الحفاظِ، فلم يَأْتِ أحدٌ منهم بما أتى به شريكٌ، وشريكٌ ليس بالحافظِ، وسبَق إلى ذلك أبو محمدٍ ابنُ حزمٍ فيما حكاه الحافظُ أبو الفضل ابنُ طاهرٍ في جزءٍ جمَعه سمَّاه: «الانتصارَ لأيامِ الأمصارِ» فنقَل فيه عنِ الْحُمَيْدِيِّ عن ابنِ حزمٍ قَالَ: لم نَجِدْ للبخاريِّ ومسلمٍ في كتابيهما شيئًا لا يَحْتَمِلُ مخرجًا إلا حديثين، ثم غلبَه في تخريجِه الوهمُ، مع إتقانهما وصحةِ معرفتِهما، فذكَر هذا الحديثَ، وقال: فيه ألفاظٌ معجمةٌ، والآفةُ من شريكٍ، من ذلك قولُه: قبل أن يُوحَى إليه، وأنه حينئذٍ فرَض عليه الصلاةَ، قَالَ: وهذا لا خلافَ بين أحدٍ من أهلِ العلمِ إنما كان قبلَ الهجرةِ بسنةٍ وبعدَ أن أُوحِيَ إليه بنحوِ اثنتي عشرةَ سنةً.

[قولُه: أنه كان قبلَ الهجرةِ بسنةٍ. ليس بصحيحٍ، فالمؤرخون بعضُهم قَالَ: قبلَ الهجرةِ بخمسِ سنواتٍ، وبعضُهم قَالَ: بثلاثٍ وبعضُهم قَالَ: بسنةٍ.

ثم قولُه: «إن الجبارَ دنا فتدلَّى حتَّى كان منه قَاب قوسين أو أدنى». وعائشةُ ﵂ تقولُ: إن الذي دنا فتدلَّى جبريلُ..انتهى. وقد تقدم الجوابُ عن ذلك.

وقال أبو الفضلِ ابنُ طاهرٍ: تعليلُ الحديثِ بتفرُّدِ شريكٍ، ودعوى ابنِ حزمٍ أن الآفةَ منه شيءٌ لم يُسْبَقْ إليه فإنَّ شريكًا قَبِلَهُ أئمةُ الجرحِ والتعديلِ، ووثَّقوه، ورووْا عنه، وأدخلوا حديثَه في تصانيفِهم، واحتجوا به، وروَى عبدُ الله بنُ أحمدَ الدورقيُّ، وعثمانُ الدارميُّ، وعباسٌ الدوريُّ، عن يحيى بنِ معينٍ أنه قَالَ: لا بأسَ به. وقال ابنُ عديٍّ: مَشْهُورٌ من أهلِ المدينةِ، حدَّث عنه مالكٌ وغيرُه من الثقاتِ، وحديثُه إذا روَى عنه ثقةٌ لا بأسَ به، إلا أن يَرْوِيَ عنه ضعيفٌ، قَالَ ابنُ طاهرٍ: وحديثُه هذا

(١) ما بين معقوفين من كلام الشيخ العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

رواه عنه ثقةٌ وهو سليمانُ بنُ بلالٍ، قَالَ: وعلى تقديرِ تسليمِ تفردِه: «قبلَ أن يُوحَى إليه». لا يَقْتَضي طرحَ حديثِه، فوهمُ الثقةِ في موضعٍ من حديثٍ لا يُسْقِطُ جميعَ الحديثِ، ولاسيَّما إذا كان الوهمُ لا يَسْتَلْزِمُ ارتكابَ محظورٍ، ولو تُرِكَ حديثُ من وهِمَ في تاريخٍ لتُرِكَ حديثُ جماعةٍ من أئمةِ المسلمين، ولعله أراد أن يَقولَ: بعد أن أُوحيَ إليه. فقال: قبلَ أن يوحى إليه. انتهى

وقد سبَق إلى التنبيهِ على ما في روايةِ شريكٍ من المخالفةِ مسلمٌ في صحيحه فإنه قَالَ بعدَ أن ساق سندَه وبعضَ المتنِ: ثم قَالَ فقدَّم وأخَّر، وزاد ونَقَصَ.

وسبَق ابنُ حزمٍ أيضًا إلى الكلامِ في شريكٍ أبو سليمانَ الخطابيُّ كما قدمتُ.

وقال فيه النسائيُّ، وأبو محمدٍ ابنُ الجارودِ: ليس بالقويِّ. وقال يحيى بنُ سعيدٍ القطانُ: لا يُحَدَّثُ عنه. نعم قَالَ محمدُ بنُ سعدٍ وأبو داودَ: ثقةٌ. فهو مختلَفٌ فيه، فإذا تفرَّد عُدَّ ما يَنْفَرِدُ به شاذًّا، وكذا منكرًا على رأيِ من يَقولُ: المنكرُ والشاذُّ شيءٌ واحدٌ، والأولى إلتزامُ ورودِ المواضعِ التي خالف فيها عندَه، والجوابُ عنها إما بدفعِ تفردِه، وإما بتأويلِه على وفاقِ الجماعةِ.

ثم قَالَ ابنُ حجرٍ مستكملًا بيانَ ما خالف فيه شريكٌ:

الحادي عشر: رجوعُه بعدَ الخمسِ، والمشهورُ في الأحاديثِ أن موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أمَره بالرجوعِ بعد أن انتهى التخفيفُ إلى الخمسِ، فامتنع كما سأُبيِّنُ.

الثاني عشر: زيادةُ ذكرِ التورِ في الطَّسْتِ. وقد تقدَّم ما فيه.

فهذه أكثرُ من عشرةِ مواضعَ في هذا الحديثِ لم أرها مجموعةً في كلامِ أحدٍ ممن تقدَّم، وقد بينتُ في كلِّ واحدٍ إشكالَ من استشكله والجوابَ عنه إن أمكن، وبالله التوفيقُ.

وقد جزَم ابنُ القيمِ في الهَدْيِ بأن في روايةِ شريكٍ عشرةَ أوهامٍ لكن عَدَّ مخالفتَه لمحالِّ الأنبياءِ أربعةً منها، وأنا جعلتُها واحدةً فعلى طريقتِي تزيدُ العِدةُ ثلاثةً، وبالله التوفيقُ.اهـ

نقولُ: إن ما خالف شريكٌ غيرَه فيه يَنْقَسِمُ إلى قسمين:

القسمُ الأولُ: ما يُمْكِنُ تخريجُه على وجهٍ يوافقُ الآخرين.

والثاني: ما لا يُمْكِنُ، فيقالُ: إن شريكًا رَحِمَهُ اللَّهُ لم يَحفَظْ، ويُؤْخَذُ بما عليه الأكثرُ. هذه هي القاعدةُ.

وقولُه: «لا يُبَدَّلُ القولُ لديَّ» هذا في غيرِ الأحكام الشرعيةِ التي يُمْكِنُ أن تُنْسَخَ، كما قَالَ تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٠١﴾ [النحل:١٠١].

أما الأحكامُ الجزائيةُ التي وعَدها اللهُ عَزَّوَجَلَّ، فإنها لا تتبدَّلُ، كما قَالَ اللهُ تعالى في سورةِ (ق): ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٢٩﴾ [ق:٢٩].

*****

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٨- بابُ كَلَامِ الرَّبِّ مَعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

٧٥١٨- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ ابْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ. فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ. فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟ فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»[1].

هذا الحديثُ فيه: إثباتُ كلامِ الربِّ عز وجل مع أهلِ الجنةِ، وإثباتُ الرِّضا لله، وانتفاءِ السُّخْطِ على أهلِ الجنةِ.

أما كلامُ الله فقد سبقَ الكلامُ فيه.

وأما الرِّضا، فهو مِن الصفاتِ الفعليةِ؛ لأنه يَتعلَّقُ بمشيئتِه سبحانه، وقد قلنا: إن كلَّ صفةٍ ذاتِ سببٍ، فهي فعليةٌ؛ لأنها مقرونة بسببٍ، والسببُ حادثٌ، فكلُّ صفةٍ مِن صفاتِ الله مقرونةٌ بفعلٍ له سببٌ، فهي فعليةٌ.

أما الرِّضا: فهل هو الإثابةُ والإعطاءُ، أو هو شيءٌ آخرُ؟

نقولُ: هو شيءٌ آخرُ، ولا يُحرِّفُه إلى الإثابةِ أو الإعطاءِ إلا مَن لا يُثْبِتُونَ الصفاتِ الفعليةَ لله عز وجل، ويُحوِّلُون الصفةَ الفعليةَ إلى القدرةِ، أو الإرادةِ، أو المفعولِ.

****

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥١٩- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ، حَدَّثَنَا هِلَالٌ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ: «أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ، فَقَالَ لَهُ: أَوَ لَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ، فَأَسْرَعَ وَبَذَرَ، فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ، وَاسْتِوَاؤُهُ، وَاسْتِحْصَادُهُ، وَتَكْوِيرُهُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَإِنَّهُ لَا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ». فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَا تَجِدُ هَذَا إِلَّا قُرَشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا، فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ، فَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

قولُه: «**فبادَر الطَّرْفَ نباتُه**». يَعْنِي: ينبتُ بسرعةٍ ويَسْتَوي بسرعةٍ، ويَسْتَحْصِدُ بسرعةٍ، ويُكَوَّرُ بسرعةٍ، فيحصلُ ما في نفسِ هذا الزارعِ؛ لأن اللهَ قَالَ: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾. وإن كان هذا الزرع ليس كزرعِ الدنيا يَبْقَى ستةَ أشهرٍ أو نحوَه.

وكنتُ أَتوقَّعُ أنَّ هذا الأعرابيَّ يقولُ للنبيِّ ﷺ: وهل في الجنةِ من إبلٍ؟ وأظنُّ أنه قد ورَد أن فيها

---

(١) رواه مسلم (١٨٣).

نوقًا من الذهب، لكني لا أَذْكُرُه جيدًا.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٩- بابُ ذِكْرِ اللهِ بالأَمْرِ، وَذِكْرِ العِبَادِ بالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَالرِّسَالَةِ وَالإِبْلَاغِ.

لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢]. ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [يونس:٧١-٧٢]. غُمَّةٌ: هَمٌّ وَضِيقٌ. قَالَ مُجَاهِدٌ: اقْضُوا إِلَيَّ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ، يُقَالُ: افْرُقِ اقْضِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ: إِنْسَانٌ يَأْتِيهِ فَيَسْتَمِعُ مَا يَقُولُ. وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ فَهُوَ آمِنٌ حَتَّى يَأْتِيَهُ فَيَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ، وَحَتَّى يَبْلُغَ مَأْمَنَهُ حَيْثُ جَاءَهُ النَّبَأُ الْعَظِيمُ: الْقُرْآنُ: صَوَابًا حَقًّا فِي الدُّنْيَا وَعَمَلٌ بِهِ.

۞ قوله: «بابُ ذكر الله بالأمرِ، وذكرُ العبادِ بالدعاءِ والتضرعِ والرسالةِ والإبلاغِ»؛ يَعْنِي: أنَّ اللهَ عَجَلَّ يكونُ كلامُه المضافُ إليه كلامَه بنفسِه، وأما العبادُ فلهم الدعاءُ، والتضرعُ، والرسالةُ، والإبلاغُ.

وقولُه تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة:٦]؛ أي: كلامَ الله المبلغ من قبلِ التالي وليس كلامَ الله الذي هو فوقَ العرشِ عَجَلَّ.

۞ قوله: لقولِه تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾. وقد حذَف المؤلفُ آخرَ الآيةِ مع أنه كان يَنْبَغِي أن يذكرها؛ لأن الشكرَ لله هو العبادةُ.

۞ وقولُه: «اذكروني أذكركم». هذا شرطٌ وجوابٌ. «فاذكروني» أمرٌ جوابه: «أذكركم».

وهذا التركيبُ عند علماءِ النحوِ فيه قولان:

الأولُ: أن «أذكركم» جوابُ الأمرِ.

والثاني: أن «أذكركم» جوابٌ لشرطٍ مقدرٍ، تقديرُه: فاذكروني إن تذكروني أذكركم.

ولكنَّ القولَ الأولَ أصحُّ؛ لأنه: إذا دارَ الكلامُ بينَ التقديرِ وعدمِه، فالأولى عدمُ التقديرِ، والكلامُ هنا يَسْتَقِيمُ بلا تقديرٍ.

وقولُه: «اذكروني» أي: بأيِّ شيءٍ سواء بنفوسِكم، أو بألسنتِكم، أو بجوارحِكم، قالَ تعالى في الحديثِ القدسيِّ: «مَن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خيرٍ منهم».

إذًا فكونُك تظل ساعةً من الليلِ أو النهارِ تتأمَّلُ وتتفكَّرُ في الربِّ عَجَلَّ، وفي أسمائه، وصفاتِه، وفي آياتِه الكونيةِ والشرعيةِ فإنَّ هذا يُعْتَبَرُ ذكرًا.

وكونُك تَنْطِقُ بلسانِك: سبحان الله، والحمدُ لله، واللهُ أكبرُ فهذا ذكرٌ.

وكونُك تُثْنِي على الله عَجَلَّ بنعمةٍ عند جماعةٍ من الناسِ، فهذا أيضًا ذكرٌ.

وكونُك تَقُومُ بطاعتِه بالجوارحِ بالركوعِ، والسجودِ، والقيامِ، والقعودِ، وغيرِ ذلك، فهذا أيضًا ذكرٌ.

فالله ﷻ يقولُ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾. والجزاءُ من جنسِ العملِ.

۞ قولُه: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾. أي: يا محمدُ: ﴿نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾. النبأُ هو الخبرُ الهامُّ، ونوحٌ أولُ الرسل، ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ «إذ» متعلقةٌ بنبأ؛ أي: نبأه في هذه الحالِ.

۞ قولُه: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ﴾. يَعْنِي: عَظُمَ عليكم وشقَّ عليكم: ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾. وهذه قوةٌ عظيمةٌ، وتحدٍّ عظيمٌ، يقولُ: إن كان الأمرُ قد كبُر عليكم، وعظُم عليكم مقامي بينكم، وتذكيري إياكم بآياتِ الله، فأنا متوكلٌ على الله، معتمدٌ عليه، واثقٌ به ﷻ، وأنتم لا تهموني، ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾ أي: اعزموه وجدُّوا فيه، (وأجمعوا شركاءكم) ولهذا نقولُ: الواو حرفُ عطفٍ وشركاءَ مفعولٌ لفعلٍ محذوفٍ تقديرُه: وأجمعوا شركاءكم، ولا يَصِحُّ أن يكونَ معطوفًا على أمرٍ؛ لأن المعنى يفسدُ بل المعنى: أجمعوا أمركم مأخوذ من الإجماعِ وهو العزمِ، واجمعوا شركاءكم؛ يَعْنِي: اجعلوا الأمرَ جِدًّا لا هزلًا، وأجمعوا شركاءكم؛ أي: كلَّ من تعبدون من دونِ الله، وكل مَن شاركَكم في ما أنتم عليه من الكفرِ.

۞ قولُه: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ يَعْنِي: ائتوا إليَّ ببصيرةٍ، وسبحان الله قد تحداهم ﷺ بعدةِ أمورٍ:

أولًا: أن يعزموا إلى طلبه ويُؤْخَذُ من قولِه: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾.

الثاني: أن يجتمعوا بلا تفرقٍ، ويُؤخذُ من قولِه: (وأجمعوا شركاءكم).

الثالث: أن يتأنوا بلا عناءٍ؛ لقولِه: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ يَعْنِي: ائتوا بتأنٍّ وتبصرٍ.

وسبحان الله يقولُ هذا الكلامَ وهو وحيدٌ؛ لأنه أَوَى إلى ركنٍ شديدٍ فقد أَوَى إلى الله فإنه أولَ ما قدَّم قَالَ: فعلى الله توكلت.

۞ قولُه: ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾ أي: ليكنْ قضاؤكم عليَّ بسرعةٍ، ولا تمهلوني. يقولُ بعضُ العلماءِ: إن هذا يُعْتَبرُ آيةً أوتيها نوحٌ؛ لأن كونَه يَتحدَّى هذا التحدِّي لقومِه وهو وحيدٌ، ومع أنهم عجزوا أن يُدَبِّروا ما تحدَّاهم به، فإن ذلك يعتبرُ آيةً؛ لأنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لم يُذْكَرْ له آيةٌ معينةٌ تدل على ذلك، فصالحٌ مثلًا له آيةٌ، وكذلك موسى، وكذلك عيسى، أما نوحٌ فإنه لم يُذْكَرْ له آيةٌ معينةٌ، لذلك فإن مثلَ هذا الكلامِ الذي قاله، وصبره على قومِه ألف سنةٍ إلا خمسين عامًا، يعتبرُ آيةً من آياتِ الله.

۞ قولُه: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾. يَعْنِي: إن توليتم فإن ذلك لا يضرني؛ لأن إيمانكم بي لا يَعْنِي أنكم تعطونني أجرًا: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾؛ أي: أجره على الله وهو ثوابُ الآخرةِ الذي هو خيرٌ من ثوابِ الدنيا.

۞ قولُه: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾؛ أي: أُمِرَ -وهو نبيٌّ- أن يكونَ من المسلمين، والإسلامُ وصفٌ يشتركُ فيه الأنبياءُ وأتباعهم بإحسانٍ، فكلُّهم مسلمون، لكن هناك فرقٌ بَيْنَ إسلامِ الأنبياءِ وإسلامِ الأتباعِ، فإسلامُ الأنبياءِ أقوى لا شكَّ، لكنهم يشتركون في كونِ كلٍّ منهما مسلمًا.

۞ قولُه: «غمةً». همٌّ وضيقٌ؛ يَعْنِي بذلك قولَه: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ والمعنى الذي

ذكره له وجهٌ، لكن ما ذكرناه أحسنُ؛ يَعْنِي: لا يكن أمركم فيه تعمية كما يقال: غُمَّ الهلالُ. إذا اسْتَتَر فلم يُرَ. والمعنى: ائتوا على بصيرةٍ وتأنٍ، لكن ما قاله المؤلفُ لا بأسَ به.

«قَالَ مجاهدٌ: اقضوا إليَّ ما في أنفسكِم»، والـذي في أنفسِهم هـو القـضاءُ عليـه؛ أي: أهلكـوني واقتلوني، لكنهم ما استطاعوا إلى هذا سبيلًا.

ثم قَالَ: «افرق: اقضِ».

قَالَ الحافظُ في «الفتح» (١٣/ ٤٩٠):

۞ وأما قولُه: «افرق: اقضِ». فمعناه أَظْهِرِ الأمرَ وافصلْه بحيث لا تبقى شبهةٌ.

وفي بعضِ النسخِ يقالُ: افرق اقض. فلا يكونُ من كلامِ مجاهدٍ، ويُؤَيِّدُه إعادة قولِه بعده: وقال مجاهدٌ.اهـ

لكن ليس افرق، فهو لو قَالَ: اقْضِ افرق. كما قَالَ تعالى: ﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥﴾. يَعْنِي: افْصِلْ بيننا لكان أولى.

۞ قولُه: وقال مجاهدٌ: مجاهد هو إمام التابعين في التفسيرِ، وقد أخذ تفسيرَه عن عبدِ الله بنِ عباسٍ رضي الله عنهما.

۞ قولُه: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾. وفي قولِه: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ﴾ مشكلةٌ وهي: كيف دخلتْ «إن» الشرطيةُ على أحدٍ وهو اسمٌ؟

نقولُ: قد خرَّجها علماءُ النحوِ على الوجوهِ التاليةِ:

أولًا: أنه لا مانعَ من أن يليَ الاسمَ حرفُ الشرطِ، وعلى هذا القولِ يكـونُ قولُـه: «أحـد» مبتـدأٌ، و«استجارك» خبرُه، و«فأجره» جوابُ الشرطِ وهذا مذهبُ الكوفيين.

ونظيرُ ذلك قولُه تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ١﴾ [الانشقاق:١]. يقولون: «السماء» مبتدأٌ، و«انشقت». خبرُه.

والقولُ الثاني: أن «أحد» فاعلٌ مُقَدَّمٌ، وأنه لا بأسَ بتقـديمِ الفاعـلِ. وعـلى هـذا تكـونُ الجملـةُ فعليةً، ويكونُ التقديرُ: وإن استجارك أحد من المشركين. لكن قدمتْ أَحـدٌ، فقيـلَ: «وإن أحـد مـن المشركين». وهذا أيضًا مذهبُ الكوفيين.

وعلى هذا فقولُك: زيدٌ قام. يكونُ زيدٌ فاعلًا مقدمًا، وقامَ فعلٌ ماضٍ، وليس فيه ضميرٌ.

والقولُ الثالثُ: هو قولُ البصريين -وهم في الغالبِ متشددون- يقولون: «أحـد» فاعـلٌ لفعـلٍ محذوفٍ يُفَسِّرُه ما بعدَه، والتقديرُ: «وإن استجارك أحد من المشركين».

والمبتدئون في طلبِ العلمِ يقولون: التقديرُ: وإن استجارك أحد استجارك. وهذا غلطٌ؛ لأنـه لا يُجْمَعُ المُفسِّرُ والمُفـسَّرُ، فأنـت إذا أردتَ التقـدير تقـولُ: التقـديرُ: وإن اسـتجارك أحـد، ولا تـأتي باستجارك؛ لأنه لا يُجْمَعُ بَيْنَ المُفَسِّرِ والمُفَسَّرِ مـن وجـهٍ، لأنـك إذا قلـت: وإن اسـتجارك أحـد استجارك. ظنَّ السامعُ أن الثانيةَ جوابُ الشرطِ وهذا غلطٌ.

وعلى كلِّ حالٍ: نحن لدينا قاعدةٌ دلَّ عليها القرآن والسنة وهي أن نتبعَ الأيسرَ من أقوالِ النحويين؛ لأننا لا نأثمُ بذلك، الدليل من القرآنِ قولُه تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ﴾ [البقرة:١٨٥]. والدليل من السنةِ: «ما خُيِّرَ النَّبيُّ

ﷺ بَيْنَ شيئين إلا اختارَ أيسرَهما -بشرط- ما لم يكنْ إثمًا» ونحن نقولُ: إن شاء اللهُ ليس علينا إثمٌ، إذا كان الكلامُ لا يتغيرُ به المعنى، فإننا نتبعُ الأسهلَ.

وقوله: «استجارك»؛ أي: طلَبَ الجوارَ، والجوارُ؛ يَعْنِي: المنعَ والحمايةَ.

۞ قولُه: «فأجره حتَّى يسمع كلام الله». يَعْنِي: لو قَالَ رجلٌ من الكفارِ الحربيين: أجيروني حتَّى أسمعَ القرآنَ لعلي أنتفعُ به. فالواجبُ علينا أن نجيرَه حتَّى يسمعَ كلامَ الله، فإذا سَمِعَ وكان له قلبٌ وإن لم يَكنْ مسلمًا فسيتذكرُ؛ لقولِه تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧﴾ [ق:٣٧].

فإذا سَمِعَ كلامَ الله وقال: أريدُ أن أرْجِعَ فهل نقولُ: لا تَرْجِعْ. بل لابدَّ أن تُؤْمِنَ وإلا قتلناك؛ لأنك تلعبُ بنا؟

الجوابُ: لا. قَالَ تعالى: ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة:٦]. انْظُرْ إلى معاملةِ الإسلامِ لغيرِ أهلِه، أي: إلى المكانِ الذي يَأْمَنُ فيه وهو أرضُه، فنَقُولُ: نردك إلى مأمنِك، فإن اهتديتَ فسنجدك، وإن لم تَهْتَدِ فالحربُ بيننا وبينك.

۞ قولُه: «قَالَ مجاهدٌ: إنسانٌ يأتيه فيَسْتَمِعُ ما يَقُولُ، وما أُنْزِل عليه، فهو آمنٌ حتَّى يأتيه فيسمعَ كلامَ الله، وحتى يبلغَ مأمنَه حيثُ جاءَه». أي: من المكانِ الذي جاء منه.

۞ قولُه: «النبأ العظيم» القرآن. يشير بذلك إلى قولِه تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾ [النبأ:١-٣]. أو إلى قولِه تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝٦٨﴾ [ص:٦٧-٦٨]. وسواء هذا أو هذا فالمعنى واحدٌ، والظاهرُ أنه يريدُ ما في سورةِ «النبأ»؛ لقولِه بعده: صوابًا حقًّا، إشارةٌ إلى قولِه تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ۝٣٨﴾ [النبأ:٣٨].

۞ قولُه: «حقًّا في الدنيا وعمل به». يَعْنِي: يَسْمَعُ القرآنَ في الدنيا ويَعْمَلُ به، أو قَالَ صوابًا. يَعْنِي: حقًّا في الدنيا وعمِلَ به؛ أي: بالحقِّ في الدنيا؛ لأنه إذا عَمِلَ حقًّا في الدنيا؛ فإنه يكونُ من أهلِ الشفاعةِ فيؤذَنُ له.

والمؤلفُ لم يذكر حديثًا في هذا البابِ، ولعله لم يجد حديثًا على شرطِه يَتَعَلَّقُ بهذا البابِ.

والحاصلُ في هذا البابِ أن الأمرَ من الله، والدعاءَ والعبارةَ من المخلوقين، والرسالةَ والإبلاغَ على الرسلِ، قَالَ تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ [آل عمران:٢٠]. ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝١٢﴾ [التغابن:١٢]. والعلماءُ هم وَرَثَةُ الأنبياءِ فيجبُ عليهم أن يُبَلِّغُوا ما وجَب على الرسلِ أن يبلغوا، وأما الهدايةُ فإلى الله، فعليك أن تبلغَ الشرعَ فإن اهتدى الناسُ فهذا لك ولهم، وإن لم يَهْتَدُوا فلك وعليهم.

* ***

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٠ - باب قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة:٢٢]. وَقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩﴾ [فصلت:٩]. ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٦﴾ [الزمر:٦٥-٦٦]. وَقَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان:٦٨]. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِالله إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ. وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ وَمَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ الله فَذَلِكَ إِيمَانُهُمْ وَهُمْ يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ.

وَمَا ذُكِرَ فِي خَلْقِ أَفْعَالِ العِبَادِ وَأَكْسَابِهِمْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفرقان:٢]. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: مَا تَنَزَّلُ المَلَائِكَةُ إِلَّا بِالحَقِّ: بِالرِّسَالَةِ وَالعَذَابِ، لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ: المُبَلِّغِينَ المُؤَدِّينَ مِنَ الرُّسُلِ. وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ عِنْدَنَا. وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ: القُرْآنُ، وَصَدَّقَ بِهِ المُؤْمِنُ. يَقُولُ يَوْمَ القِيَامَةِ: هَذَا الَّذِي أَعْطَيْتَنِي عَمِلْتُ بِمَا فِيهِ.

۞قولُه: بابُ قولِ الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾. وهذا البابُ يَتعلَّقُ بتوحيدِ الأسماءِ والصفاتِ، ويتعلقُ بتوحيدِ العبادةِ، وبتوحيدِ الربوبيةِ.

۞فقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾؛ أي: نظراءَ ندًّا لله، فيكونُ فيه ردٌّ على أهلِ التمثيلِ، وهذا يتعلقُ بتوحيدِ الصفاتِ، وردٌّ على عُبَّادِ الأصنامِ، وهذا يتعلقُ بتوحيدِ العبادةِ، وردٌّ على مَن زعموا أن للعالمِ خالقين، فيتعلقُ بتوحيدِ الربوبيةِ.

فإن قَالَ قائلٌ: وهل في الآيةِ ردٌّ على أهلِ التعطيلِ؟

فالجوابُ: نعم، مع أن أهلَ التعطيلِ لا يمثلون، لكن نقولُ: نعم فيها ردٌّ على أهلِ التعطيلِ؛ لأن أهلَ التعطيلِ بَنَوْا تعطيلَهم على فهمٍ خاطئٍ وهو التمثيلُ، فمثلوا أولًا وعطلوا ثانيًا؛ لأنهم مثلًا فهموا من إثباتِ اليدِ أنها يدٌ كأيدي المخلوقين، وهذا تمثيلٌ، ثم قالوا: وبناءً على ذلك يَجِبُ أن نفسرَ اليدَ بالقدرةِ، فعطلوا، ولهذا قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية: كلُّ واحدٍ مِن فريقَيِ التعطيلِ والتمثيلِ جامعٌ بَيْنَ التعطيلِ والتمثيلِ، فالمعطلُ ممثلٌ معطلٌ، والممثلُ معطلٌ ممثلٌ.

وتمثيلُ المعطلِ حصل بأنه مثَّل أولًا وعطَّل ثانيًا. ونقولُ في الممثل: إنك معطِّلٌ؛ لأنك عطلتَ النصوصَ الدالةَ على أن الله ليس كمثلِه شيءٌ، فكل نص يدلُّ على نفيِ التمثيلِ فالممثِّلُ قد عطلَه.

الثاني: أنك قد عطلتَ اللهَ من كمالِه الواجبِ[1]؛ لأن تمثيلَ الخالقِ بالمخلوقِ نقصٌ.

الثالثُ: أنه عطَّل نفسَ النصِّ الذي أثبت به الصفة؛ لأن النصَّ الذي أثبتَ به الصفةَ لا يَدُلُّ على صفةِ المماثلةِ للمخلوقين، بل يدلُّ على صفةٍ مضافةٍ إلى ربٍّ لا يماثِلُ المربوبَ.

فصار الآنَ كلُّ ممثلٍ معطلٍ من ثلاثةِ أوجهٍ؛ لأنه مثَّل أولًا وعطَّل ثانيًا. فكلٌّ منهما قد جعَل لله أندادًا.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٣/ ١٦٤-١٦٧).

قولُه: وقوله جلَّ ذكرُه: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩﴾. هذا معطوفٌ على قولِه تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ [فصلت:٩]. وهو ﷻ لا ندَّ له، ﴿ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩﴾. وأين النِّدُّ الذي يكونُ ربًّا للعالمين؟ لا يوجدُ. إذًا فأنتم كاذبون في جعلِ الأندادِ لله.

قولُه: وقولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾. لا يدعون مع الله إلهًا آخر دعاءَ مسألةٍ أو دعاءَ عبادةٍ.

لكنَّ دعاءَ المسألةِ فيما يُمْكِنُ أن يجيبَ الإنسانُ ويفعل جائزٌ، فلو دعوتَ إنسانًا وقلتَ: تعالَ واحمل معي هذا المتاعَ. فهذا جائزٌ.

أما دعاءُ العبادةِ فلا يَجُوزُ بوجهٍ من الوجوهِ إلا لله.

قولُه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٦٥﴾. قولُه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ﴾. هذه الجملةُ مؤكدةٌ بثلاثِ مؤكداتٍ هي: اللامُ والقسمُ المضمرُ وقدْ، وهذه تأتي في القرآنِ كثيرًا.

قَالَ سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾. قوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾. هل الموحَى لمن قبلَه أنه قيل له: لئنْ أَشْرَكَ محمدٌ لَيَحْبَطَنَّ عملُه؟

الجوابُ: لا، بل قد أوحي إلى كلِّ واحدٍ فقيل له: لئن أشركت ليحبطن عملك، فالجملةُ موزعةٌ على كلِّ واحدٍ منهم، وليستْ للرسولِ فقطْ.

وهذه الآيةُ فيها إشكالٌ وهو: كيف يقالُ للرسولِ ﷺ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾؟

قَالَ بعضُ العلماءِ: المرادُ: لئن أشركتْ أمتُك ليحبطن عملك. أما هو فلا يُشْرِكُ، ونظيرُ هذا قولُ مَن قَالَ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر:٥٥] أي: لذنبِ أمتِك، أما هو فلا يُذْنِبُ.

وهذا كما يتضح جوابٌ ليس بصحيحٍ؛ لأن الخطابَ قد جاءَ نصًّا: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾. والجوابُ الصحيحُ أنه لا يلزمُ من تعليقِه بالشرطِ أن يقعَ المشروطُ، ونظيرُه قولُه تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ۝٨١﴾ [الزخرف:٨١]. ولا يُمْكِنُ أن يَكُونَ للرحمنِ ولدٌ، فالتعليقُ بالشرطِ لا يلزمُ منه وقوعُ المشروطِ.

فهنا «إن» شرطٌ، والمشروطُ «أشركتَ»، وجوابُ الشرطِ «ليحبطن عملك». نعم إن أشركَ حبِطَ عملُه، لكن هل معنى ذلك أنه سيشرك؟

الجوابُ: لا.

ونظيرُ ذلك: إذا قلتَ لشخصٍ: إن قتلتَ زيدًا قتلناك. فهل يَلْزَمُ أن يقتلَ زيدًا؟

الجوابُ: لا يلزمُ، بل قد يكونُ ممتنعًا، كما كان الشركُ في حقِّ الرسولِ ﷺ ممتنعٌ.

وهذا الجوابُ ليس فيه إشكالٌ ولا تعقيدٌ.

قولُه ﷻ: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ﴾. وهذا هو الشاهدُ حيثُ خصَّ العبادةَ بالله، ووجهُ الاختصاصِ

هو تقديمُ المفعولِ الذي هو «الله».

ولهذا قَالَ المعربون في الفاءِ في قوله ﴿فَٱعۡبُدۡ﴾: إنها زائدةٌ لتحسينِ اللفظِ، وأن أصلَ التركيبِ: بل اللهَ اعبد. لكن من أجلِ تحسينِ اللفظِ زِيدَتْ الفاءُ، كما زِيدَتْ في قولِهم: فقطْ. بمعنى: قطْ؛ لتحسينِ اللفظِ، فقولك: أعط فلانًا مئةَ درهمٍ فقطْ. كقولِك: أعْطِ فلانًا مئةَ درهمٍ قطْ.

وعلى هذا فالآيةُ فيها دليلٌ على أن اللهَ وحده ﷻ هو المختصُّ بالعبادةِ، وأنه لا يُعْبَدُ أحدٌ سواه، لا ملكٌ مقربٌ، ولا نبيٌّ مرسلٌ.

قولُه: ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾. أي: الشاكرين اللهَ على نعمِه، ومن أكبرِ النعمِ أن يُوَفِّقَكَ اللهُ ﷻ لعبادتِه وحدَه.

قولُه: «وقال عكرمةُ: وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ولئن سألتهم من خلقهم ومن خلق السموات والأرض ليقولن الله فذاك إيمانُهم وهم يعبدون غيرَه». وقد فسَّر عكرمةُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الآيةَ تفسيرًا واضحًا جدًّا، فقولُه: وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون، الإيمانُ الذي آمنوا فيه هو الإيمانُ بالربوبيةِ، والشرك الذي أشركوا به هو الإشراكُ في الألوهيةِ.

واسْتَدَلَّ عكرمةُ بكونِهم مؤمنين بالربوبيةِ بقولِه: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف:٨٧]. ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥]. والمؤلفُ ما ساق الآيةَ على أنها آيةٌ، بل ساقها على أنها من قولِ عكرمةَ؛ يَعْنِي: أن هؤلاء يقرون بالربوبيةِ، وأن خالق السمواتِ والأرضِ وخالقهم هو اللهُ لكنهم يعبدون غيرَه وهذا شركهم.

كذلك أيضًا يوجدُ من غيرِ هؤلاء من يؤمنُ باللهِ وهو مشركٌ، فمن كان همُّه المالَ فهو مؤمنٌ باللهِ مشركٌ؛ لأن الرسولَ ﷺ قَالَ: **«تعِسَ عبدُ الدنيا، تعِسَ عبدُ الدرهم، تعِسَ عبدُ الخميصةِ، تعِسَ عبدُ الخميلةِ، إن أعطيَ رضيَ وإن لم يُعْطَ سَخِطَ»**[1] فسماه الرسولُ عبدًا، فالذي يؤثرُ المالَ على الأعمالِ الصالحةِ وإن عملَها يعتبرُ مشركًا، عابدًا لها، كما قَالَ النَّبيُّ ﷺ، فهذا نقولُ في حقِّه: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف:١٠٦].

ومن ذلك: من تقلَّدَ وترًا، أو علَّقَ تميمةً محرمةً، فهذا أيضًا نقولُ له: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦﴾.

ثم قَالَ البخاريُّ: وما ذُكِر في خلقِ أفعالِ العبادِ وأكسابِهم؛ لقولِه تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ٢﴾. وذكَر هنا خلقَ الأفعالِ لأن من أهلِ القبلةِ مَن أشركَ في خلقِ الأفعالِ وهم القدريةُ، فقالوا: إن الإنسانَ خالقٌ لعملِه، وخالقٌ لكسبِه. فأخرجوا قسمًا من الحوادثِ عن خلقِ اللهِ ﷻ، وقالوا: إن كلَّ أفعالِ الناسِ،

(١) تقدم تخريجه.

والمواشي، وغيرها، خارجةٌ عن خلقِ الله، ولهذا سماهم النَّبيُّ ﷺ: «مجوسُ هذه الأمة»[1]؛ لمشابهتهم بالمجوسِ المشركين؛ لأن المجوسَ المشركين يقولون: إن الحوادثَ لها خالقان هما: الظلمةُ والنورُ، فالشرُّ خالقُه الظلمةُ، والخيرُ خالقُه النورُ. وهؤلاء القدريةُ يقولون: الحوادثُ التي تكونُ في الكونِ منها ما يَخْلُقُه اللهُ وهو فعلُه، ومنها ما يَخْلُقُه غيرُ الله وهو فعلُ العبادِ.

ولهذا ذكَر المؤلفُ هذه المسألةَ -خلق أفعال العباد- في بابِ لا تجعلوا لله أندادًا، ردًّا على المعتزلةِ الذين قالوا: إن الإنسانَ خالقٌ عملَه وكسبَه، فيكونون بذلك مشركين جاعلين لله أندادًا.

فلو قَالَ قائلٌ: ما هو الدليلُ على أن الله خالقٌ لأفعالِ العبادِ؟

قلنا: استدلَّ البخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ بقولِه تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ فقال سبحانه: خلق كل شيء وأفعالُ العبادِ شيء فقد خلق في العموم.

۞ وقولُه: ﴿فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾. هل المرادُ بالتقديرِ التقديرُ الأولُ وهو القضاءُ، أو المرادُ به التسويةُ؟

إذا قلنا: إنه التقديرُ الأولُ الذي قدَّره اللهُ في الأزلِ أُشْكِل علينا الترتيبُ في قولِه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ﴾. أي: أننا إذا قلنا في قولِه تعالى: ﴿فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾؛ يَعْنِي: قدره في الأزلِ قبلَ الخلقِ، أشكل علينا الترتيبُ في قوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾.

قَالَ العلماءُ: إن هذا من بابِ الترتيبِ الذكري؛ يَعْنِي: أَخَّر التقديرَ ذكرًا وإن كان سابقًا وهذا يُسَمَّى الترتيبَ الذكري لا الواقعي، والترتيبُ الذكري موجودٌ في اللغةِ العربيةِ، وموجودٌ في القرآنِ، يقولُ الشاعرُ:

إِنَّ مَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوه ... ثُمَّ سَادَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ جده[2]

ومعلومٌ أن سيادةَ الجَدِّ سابقةٌ على سيادةِ الأبِ، وسيادةَ الأبِ سابقةٌ على سيادةِ الابنِ، لكن هذا من بابِ الترتيبِ الذكري.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ [الأعراف: ١١]. فهذه الآيةُ أيضًا فيها ترتيبٌ ذكري، ذلك إن لم تقل: إن المرادَ بقولِه خلقناكم؛ أي: خلقنا أباكم، ثم صورنا أباكم، فإن قيل: هذا هو معناها فالترتيبُ على ما هو.

القولُ الثاني: إن التقديرَ في قولِه تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ﴾. بمعنى التسوية. فقولُه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ﴾ أي: جعلَه على قدرٍ معلومٍ وسواه؛ لقولِه تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢﴾ [الأعلى: ٢]، وعلى هذا الوجهِ يكونُ الترتيبُ واقعيًّا ولا إشكالَ فيه.

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٤٦٩١)، وابن ماجه في «سننه» (٩٢). وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في تعليقه على سنن أبي داود وابن ماجه: حسن.

(٢) البيت لأبي نواس في «ديوانه» (١/ ٣٥٥)، و«خزانة الأدب» (١١/ ٣٧)، (٤٠/ ٤١)، و«الدرر» (٦/ ٩٣)، وبلا نسبة في «الجني الداني» (ص٤٢٨)، و«جواهر الأدب» (ص٣٦٤).

والشاهدُ أن اللهَ خالقُ أفعالِ العبادِ؛ لأن اللهَ خالقُ كلِّ شيء.

وهنا قد يُشْكَلُ على الإنسانِ كيف يكونُ اللهُ خلقَ أفعالَ العبادِ مع أن الفعلَ فعلُ العبدِ، فالمصلي هو العبدُ، والصائمُ هو العبدُ، والقائمُ هو العبدُ، والآكلُ هو العبدُ، والشاربُ هو العبدُ، والمتخلي هو العبدُ، والمتوضئُ هو العبدُ، فكيف يكونُ هذا خلقًا لله عَجَّلَ؟

فالجوابُ أن يقالَ: وجهُ ذلك أن فعلَ العبدِ ناشئ عن أمرين:

إرادةٌ جازمةٌ وقدرةٌ، إذ لولا الإرادةُ لم يَفعَلْ لعدمِ الإرادةِ، ولولا القدرةُ لم يَفْعَلْ للعجزِ، فمن الذي خلَق إرادتَه وقدرتَه؟

فالجوابُ: اللهُ، وخالقُ السببِ التامِّ خالقٌ للمسببِ، فهذا وجهُ كونِ أفعالِنا مخلوقةً لله وذلك أن أفعالَنا ناشئةٌ عن الإرادةِ والقدرةِ، والذي خلَق الإرادةَ والقدرةَ هو اللهُ، فما نشأ عنهما فهو خلقُ الله لأن خالقَ السببِ التامِّ خالقٌ للمسببِ.

فإن قيل: إذا كان هذا خلقَ الله فكيف يعذبنا اللهُ على فعلِه؟

نقولُ: إن هذا خلقُ اللهِ وليس فعلَه، بل الفعلُ فعلنا، فالآكلُ نحن، والشاربُ نحن، والمصلي نحن، والصائمُ نحن، وهلمَّ جرًّا، فهو فعلنا ويضافُ إلينا، وهو خلقُ الله عَجَّلَ، فالمباشرُ هو الإنسانُ، ولهذا يُجازَى على عملِه؛ لأنه مباشرٌ له، والخالقُ باعتبارِ السببِ التامِّ هو اللهُ عَجَّلَ، وهذا أمرٌ لا إشكالَ فيه.

لكن لما ضاق بطان القدرية والجبرية عن الجمعِ بَيْنَ المنقولِ والمعقولِ، ذهبتِ الجبريةُ إلى المنقولِ، وذهبتِ القدريةُ إلى المعقولِ.

فالجبريةُ أخذوا بنصوصِ العمومِ في القضاءِ والقدرِ، وقالوا: ليس للإنسانِ أي قدرةٍ، أو أي قوةٍ، أو أي إرادةٍ، والإنسانُ مسكينٌ مُسَيَّرٌ مُكْرَهٌ مُرْغَمٌ، فالذي ينزلُ من السطحِ في الدرجِ رويدًا رويدًا، كالذي يُلْقَى من السطحِ بغيرِ اجتهاده.

فهذا عقلًا ليس بصحيح يقولون: هذا هو الشرعُ؛ لأن الكلَّ بقضاءِ اللهِ وقدرِه، والإنسانُ مجبورٌ.

قيل لهم: على تقديركم هذا يكونُ اللهُ تَبَارَكَ ظالمًا لعبادِه؛ حيث أجبَرَهم على فعلِ المعصيةِ ثم عاقبهم عليها، وهل هذا إلا عينُ الظلمِ.

فلو قلتَ لولدِك مثلًا: كُلْ هذا الخبزَ وهذا الإدام -وأنت قد هيأته للضيوف- فقال: يا أبي هذا طعامُ الضيوفِ. فقلتَ له: كُلْ وإلا ضربْتُك أو قطعتُ رأسَك، وأجبرتَه حتَّى أكَلَ ثم لمَّا أكَلَ ضربته وقلتَ له: لماذا أكلتَ طعامَ الضيوفِ؟

فهذا ظلمٌ واضحٌ.

فقيل لهم: إذا قلتم: إن الله مُجبر الإنسان على عمله ثم يعمل المعصية قهرًا ثم يعاقب عليها هذا ظلم!

فقالوا: إن اللهَ له ملكُ السمواتِ والأرضِ، والمالكُ المطلقُ يتصرفُ في ملكِه كما يشاءُ، ولا يتصورُ الظلمُ في حقِّه؛ لأنه تصرفٌ في ملكِه، والمتصرفُ في ملكِه ليس بظالمٍ، وقالوا: إن الظلمَ في حقِّ

الله مستحيلٌ لعينه.

وفي ذلك قَالَ ابنُ القيمِ في النونيةِ.

***والظلمُ عندهمُ المحالُ لذاتِه[1] ***

قالوا: فالظلمُ أن تَتَصَرَّفَ في حقِّ غيرِك، أما التصرفُ في حقِّك فليس بظلم.

وهؤلاء نقولُ لهم: بل إن هذا ظلمٌ، والله ﷻ قد نفاه عن نفسِه، فقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت:٤٦]. وقال: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ [ق:٢٩]. وقال في الحديثِ القدسيِّ: «**حرمتُ الظلمَ على نفسي**»[2]. وهذا يَدُلُّ على أن الظلمَ ممكنٌ في ذاتِه، وأنتم تقولون: مستحيلٌ لذاتِه. لأنه لولا إمكان بذاتِه، ما صحَّ أن يَتَمَدَّحَ اللهُ بانتفائه عنه، فلولا أنه قادرٌ على الظلمِ لكن تركَه لكمالِ عدلِه لم يكنْ في انتفاءِ الظلمِ عنه مدحٌ، فالظلمُ ممكنٌ في حقِّ الله عقلًا، لكن شرعًا لا يُمْكِنُ، وبمقتضى عدلِه لا يمكنُ.

هذا هو الردُّ على الجبريةِ.

أما القدريةُ فقالوا: نحن أصحابُ المعقولِ -والقدريةُ هم المعتزلةُ، والمعتزلةُ عند كثيرٍ من الناسِ هم أصحابُ العقولِ وأصحابُ النظرِ- ونحن أسعدُ بالدليلِ من الجبريةِ المساكين، فإن كلَّ إنسانٍ يعرفُ أنه يَفْعَلُ كما شاءَ. قَالَ تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩]. فكل إنسانٍ يَعْرِفُ أنه يخرجُ إلى المسجدِ، ويرجعُ إلى البيتِ، ويخرجُ إلى الدكانِ ويبيعُ ويَشْتَرِي، ولا يُحِسُّ بأن أحدًا يُكرهُه إطلاقًا، ولو قَالَ: أريد أن أذْهَبَ إلى المكانِ الفلاني. فقيل له: في هذا المكانِ سبُعٌ قد يأكلُك. لقال: عدلتُ عن الذهابِ. فهل أحدٌ أجبرَه على الإرادةِ الأولى وعلى الإرادةِ الثانيةِ؟

فالجوابُ: لا. قالوا: إننا إذا قلنا بذلك تَبَيَّنَ كمالُ عَدْلِ الله ﷻ، حيثُ عاقَب من عصَى؛ لأن الذي يَعْصِي باختيارِه وبمشيئتِه، وبه يتبين كمالُ العدلِ، فنحن أصحابُ العدلِ.

وهذا القولُ في المعقولِ أقربُ من مذهبِ الجبريةِ لا شكَّ، فالكل يعرفُ أنه يفصلُ باختيارِه، ويتركُ باختيارِه، ولا إشكالَ في ذلك، لكن المشكلُ أنهم قالوا: إن الإنسانَ يفعلُ فعلًا مستقلًّا ليس لله فيه دخلٌ، ولم يقدِّرْه اللهُ؛ يَعْنِي: لم يَشَأْهُ ولم يخلقْه.

فكلٌّ منهما؛ أي: من الطائفتين عجَز بطانه عن الجمعِ بَيْنَ الشرعِ والعقلِ.

أما أهلُ السنةِ فقالوا: كلٌّ منكم معه حقٌّ، فالجبريةُ معهم حقٌّ وهو: أن كلَّ شيءٍ بقضاءِ الله وقدرِه، وأن كلَّ شيءٍ مخلوقٌ لله ونوافقهم على هذا، والمعتزلةُ معهم حقٌّ في أن الإنسانَ يعملُ باختيارِه فعلًا وتركًا ولا أحدَ يجبرُه، في ظاهرِ الحالِ، فهو مريدٌ مختارٌ فاعلٌ، ولهذا إذا جاء الفعلُ بغيرِ إرادتِه فإنه يعفى عنه، فلو أُكْرِه على الفعلِ فلا

---

(١) «شرح قصيدة ابن القيم» (١/ ٥٨).

(٢) رواه مسلم (٢٥٧٧).

حكْمَ لهذا الفعل، ولكننا نقولُ: إن هذا الفعلَ الاختياري الذي يقعُ منا نعلمُ علْمَ اليقينِ أن الله قدّره سابقًا، وأن الله خلقه لاحقًا، ووجهُ خلقِ الله له أن فعلَ العبدِ ناشئٌ عن إرادةٍ جازمةٍ وقدرةٍ، والإرادةُ والقدرةُ مخلوقتانِ لله ﷻ وما نشأ عن السببِ فله حكمُ المسبب؛ أي: أن ما نشأ عن القدرةِ والإرادةِ التي هي مخلوقةٌ لله فإن خالقَ السببِ التامِّ هو خالقٌ للمسببِ.

وبهذا نجمعُ بَيْنَ الشرعِ والعقلِ. فَهَدَى اللهُ الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وأكثرُ ضلالِ العالمِ إذا تأملْتَه وجدتَ السببَ فيه أنهم ينظرون إلى النصوصِ من زاويةٍ واحدةٍ، ولو نظروا إليها من كلِّ الزوايا هُدوا، نسألُ اللهَ أن يهديَنا وإياكم لما اخْتُلِف فيه من الحقِّ بإذنه إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

يقولُ المؤلفُ رَحِمَهُ اللهُ: «وما ذُكِر في خلقِ أفعالِ العبادِ وأكسابِهم»؛ لقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾. سبق وأن تكلمنا على قولِه: (خلق فقدر) وقلنا: إن المرادَ بالتقديرِ هنا التسويةُ.

ثم قَالَ: وقال مجاهدٌ: (ما تنزل الملائكة إلا بالحق). ولفظ الآيةِ الكريمةِ: ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الحجر:٨]. وقد يكونُ فيها قراءةٌ أخرى، والمرادُ بالحقِّ يقولُ: بالرسالةِ والعذابِ، الرسالةُ التي بها التكليفُ، والعذابُ الذي به بيانُ الجزءِ، ولهذا كان القرآنُ مشتملًا على الأحكامِ الشرعيةِ، وعلى العذابِ لمن عَصَى وخالَفَ. ثم قَالَ مجاهدٌ: ليسأل الصادقين عن صدقهم. قوله: ليسأل: الفاعلُ فيه هو الله ﷻ. وقوله: الصادقين. الرسلُ عليهم الصلاةُ والسلامُ، كما قَالَ تعالى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأعراف:٦]. ولهذا قَالَ: المبلغين المؤدين من الرسل. فهو تَعَالَى سوف يسألُ الرسلَ، ويَسْأَلُ المرسلَ إليهم، فيقول للمرسلِ إليهم: ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [القصص:٦٥]. ويالها من كلمةٍ عظيمةٍ حَرِيٌّ بك أن تُفكِّرَ في الإجابةِ عليها، وما الذي ستقوله يومَ القيامةِ، هل ستقولُ: أجبتُ بالسمعِ والطاعةِ، والتصديقِ والقبولِ. أم ماذا ستقول؟

أما الرسلُ فيسألُهم هل بلّغوا أم لم يُبلِّغوا؟ فيشهدون بأنهم بَلَّغُوا، قَالَ تعالى لعيسى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ﴾ [المائدة:١١٦-١١٧].

ثم قَالَ مجاهدٌ: وإنا له حافظون. وفي نسخةٍ: لحافظون. وهذه النسخةُ هي الموافقةُ للفظِ الآيةِ. والذي تكفَّلَ اللهُ بحفظِه هنا هو القرآنُ، قَالَ تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر:٩]. أما أعمالُ بني آدمَ فقد قَالَ اللهُ تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الانفطار:١٠-١١]. وقال: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الطارق:٤].

ثم قَالَ: والذي جاء بالصدق: القرآن. وصدَّق به: المؤمنُ. يشيرُ بذلك إلى قولِه تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الزمر:٣٣]. يقولُ: الصدقُ هو القرآنُ. وعلى هذا التفسيرِ يكونُ الذي جاء

بالصدقِ هو الرسولُ ﷺ؛ لأنه هو الذي جاء بالقرآنِ.

وقوله: وصدَّقَ به: المؤمن؛ أي: المرسَلُ إليه، وعلى هذا فيكونُ العطفُ هنا عطفَ مغايرٍ على مغايرٍ؛ لأن الذي جاء بالصدقِ هو الرسولُ ﷺ، والذي صدَّق به هم المؤمنون.

والصوابُ: أن مرجعَ الضميرين في الآيةِ واحدٌ، وأن الذي جاء بالصدقِ وصدَّق به هو الرسولُ ﷺ وورثتُه من العلماءِ، فهم قد جاءوا بالصدقِ وصدقوا به، فهم آتون بالصدقِ من قِبلِ أنفسِهم، مصدقون لمن قامتِ البينةُ على صدقه.

ثم قَالَ: يقولُ يومَ القيامةِ: هذا الذي أعطيتني عملتُ له؛ أي: فإنه يأتي بالصدقِ يومَ القيامةِ مصدقًا به.

والشاهدُ في هذا كلِّه يعودُ على ما ذُكِر من الإشارةِ إلى أن أفعالَ بني آدمَ مخلوقةٌ لله. ومنسوبةٌ إليه، ولهذا قَالَ: والذي جاء بالصدق.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٢٠- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُرَحْبِيلَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»، قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ. قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ. قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ[1].

هذه الترتيباتُ الثلاثُ موافقةٌ لآيةِ الفرقانِ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ إلى آخره.

فأعظمُ الذنبِ عند الله أن تجعلَ لله ندًّا وهو خَلَقَك، والشاهدُ من هذا الحديثِ قولُه: «وهو خَلَقَك». فهذا هو أعظمُ الذنبِ عند الله، إذ كيف تعبدُ من لم يَخْلُقْك؟ وكيف تنيبُ إلى من لم يَخْلُقْك؟ وهكذا نقولُ في كلِّ مشكل.

۞ ثم قَالَ: «ثم أن تقتُلَ ولَدَك». وقوله: «ولَدَك». يشملُ الذكر والأنثى؛ لأن ولَدًا في اللغةِ العربيةِ بمعنى مولودٌ، وهو صالحٌ للذكرِ والأنثى.

۞ ثم قَالَ: «تخافُ أن يَطْعَمَ معك».

فإن قيل: إذا قتلْتَه كراهةً له وبغضًا، فهل يَدْخُلُ في هذا الحديثِ أو لا؟

فالجوابُ: نعم يدخلُ في هذا، بل قد يكونُ أولى؛ لأنك إذا كنتَ تقتلُه اتقاءَ الإنفاقِ عليه فقتلُه لغيرِ هذا السببِ من بابِ أولى.

۞ ثم قَالَ: «أن تزاني بحليلةِ جارك». قوله: «تزاني بها». أي: تدعوها إلى الزنا حتَّى توافِق، وإنما كانتِ المزاناةُ

(١) رواه مسلم (٨٦) (١٤١).

بحليلةِ الجارِ أشدُّ؛ لأن الجارَ في الحقيقةِ قد أمنَك واطمئنَّ إليك، فإذا خنتَه في أهلِه كان هـذا أعظـمُ مـما لـو زنيـتَ بامرأةٍ أجنبيةٍ، ولهذا صار أعظمَ الزنا أن تزانيَ بحليلةِ جارِك.

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤١- باب قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [فصلت:٢٢].

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ﴾؛ أي: ما كنتم تستخفون بالمعاصي كالشركِ فما دونَه خشيةَ أن يَشْهَدَ عليكم سمعُكم ولا أبصارُكم ولا جلودكم، أو لئلا يشهدَ عليكم سمعُكم ولا أبصارُكم ولا جلودُكم؛ لأنكم لا تُؤمنون بهذا، ولكن ظننتم أن الله لا يعلمُ كثيرًا مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين.

هذا البابُ عقدَه المؤلفُ رَحِمَهُ اللَّهُ لإثباتِ أن علْمَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بما خفي كعلمِه بما ظَهَرَ.

فهؤلاء يستخفون في بيوتِهم، ويُبيِّتون ما لا يرضى من القولِ لا ظنًّا منهم أنهم سيبعثون، ويشهدُ عليهم سمعُهم وأبصارُهم وجلودُهم؛ لأنهم لا يؤمنون بذلك، لكن يظنون أنهم إذا استتروا عن أعينِ الناسِ استتروا عن علمِ الله عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ الحافظُ ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (١٣/ ٤٩٥-٤٩٦):

قوله: بابُ قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ﴾ الآيةَ. ساق -في روايةِ كريمةَ- الآيةَ كلَّها ذكرَ فيه حديثَ «عبد الله» وهو ابنُ مسعودٍ اجتمع عند البيتِ. وفيه: يسمعُ إن جهرنا ولا يسمعُ إن أخفينا فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ وقد تقدَّمَ شرحُه في تفسيرِ «فصلت».

قَالَ ابنُ بطالٍ: عَرَض البخاريُّ في هذا البابِ إثباتَ السمعِ لله، وأطالَ في تقريرِ ذلك، وقد تقدَّمَ في أوائلِ التوحيدِ في قولِه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾ [النساء:١٣٤].

والَذي أقولُ: إن غرضَه في هذا البابِ إثباتُ ما ذهَبَ إليه أن الله يتكلمُ متى شاء، وهذا الحـديثُ من أمثلةِ إنزالِ الآيةِ بعد الآيةِ على السببِ الذي يَقَعُ في الأرضِ، وهذا ينفـصلُ عنـه مـن ذهَـبَ إلى أن الكلامَ صفةٌ قائمةٌ بذاتِه أن الإنزال بحسبِ الوقائع من اللوحِ المحفوظِ أو من السماءِ الدنيا، كما ورَد في حديثِ ابنِ عباسٍ رفعه: نزلَ القرآنُ دفعةً واحدةً إلى السماءِ الدنيا فوُضِعَ في بيتِ العزةِ ثـم أُنْـزِلَ إلى الأرضِ نجومًا. رواه أحمدُ في «مسندِه» وسيأتي مزيدٌ لهذا في البابِ الذي يليه.

قَالَ ابنُ بطالٍ: وفي هذا الحديثِ إثباتُ القياسِ الـصحيحِ وإبطـالُ القيـاسِ الفاسـدِ؛ لأن الـذي قَالَ: يسمع إنْ جهرنا ولا يسمع إن أخفينا. قاس قياسًا فاسدًا؛ لأنه شبَّه سَمْعَ الله تعالى بأسـماعِ خلقِـه الذين يسمعون الجهرَ.اهـ

الذي يظهرُ لي خلافُ ما قالَه الحافظُ وابنُ بطـالٍ، فالـذي يظهـرُ لي هـو أن المؤلـفَ رَحِمَهُ اللَّهُ أرادَ

بالترجمةِ إثباتُ علم الله ﷻ بما خفي وما ظهَرَ، وأما كونُ الآيةِ تَنْزِلُ بعد الحادثةِ ففيها دليلٌ على أن كلامَ الله تعالى يَتَجَدَّدُ، فهذا له هنا مناسبةٌ، لكنها ليست واضحةً.

وقد سبَق لنا أن كلامَ الله في أصلِه من الصفاتِ الذاتيةِ، لكنه في آحادِه من الصفاتِ الفعليةِ؛ يَعْني: أن الله لم يزلْ ولا يزالُ يَتكَلَّمُ، لكن هذا الكلامُ المعيَّنُ هو الذي يكونُ حادثًا؛ أي: يحدثُه الله ﷻ متى شاء. وفي الصحيح من حديثِ ابن مسعودٍ رضي الله عنه أنه لما رجَع من الحبشةِ وجَد النَّبيَّ ﷺ يصلي فسلَّم عليه، وكانوا يسلمون عليه فيردُّ عليهم السلامَ، حتَّى نزَل قولُ الله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾ [البقرة:٢٣٨]. فأمروا بالسكوتِ، ونهوا عن الكلامِ فسلَّم على النَّبي ﷺ فلم يَرُدَّ عليه. يقولُ: فصار في نفسي وأخذني ما قَرُبَ وما بَعُدَ؛ لأنه لم يَرُدَّ عليَّ السلامَ وكان من عادتِه أن يَرُدَّ. فلما سلَّم النَّبيُّ ﷺ قَالَ: «**إن اللهَ يُحدِثُ من أمرِه ما شاء، وإن مما أحدَثَه ألا تتكلموا في الصلاةِ**»[1]. ومعلومٌ أن هذا الحكمَ ثبتَ بنزولِ قولِه تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾ [البقرة:٢٣٨]. ويَدُلُّ لهذا قولُه تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ﴾ [الأنبياء:٢]. وليس المعنى أنه مخلوقٌ، بل المرادُ: محدثُ الكلامِ به، فالله تعالى يتكلمُ متى شاء بما شاء.

***

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٢١- حَدَّثَنَا الحميديُّ، حَدَّثَنَا سفيانُ، حَدَّثَنَا منصورُ، عن مجاهدٍ، عن أبي معمرٍ، عن عبد الله رضي الله عنه قَالَ: اجتمع عند البيتِ ثقفيان وقرشيٌّ، أو قرشيان وثقفيٌّ؛ كثيرةٌ شحومُ بطونِهم، قليلةٌ فقهُ قلوبِهم، فقال أحدهم: أترون أن اللهَ يَسْمَعُ ما نقولُ؟ قال الآخرُ: يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا ولا يَسْمَعُ إن أَخْفَيْنَا. وقال الآخرُ: إن كان يسمعُ إذا جَهَرْنَا فإنه يسمعُ إذا أخفينا. فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [فصلت:٢٢] الآية[2].

في هذا الحديثِ قياسٌ في قولِه: إن كان يسمعُ إذا جَهَرْنا فإنه يسمعُ إذا أخفينا.

وجهُ ذلك أنه إذا كان لا يمنعُه بُعْدُه من سماعِ ما نجهرُ به فلن يَمْنَعَه من سماعِ ما نخفي؛ لأن البعدَ بَيْنَ الله ﷻ وبَيْنَ الخلقِ ليس بالشيءِ الذي يمكنُ قياسُه، بل هو بُعْدُ الله لا يعلمُه إلا الله ﷻ، ومعروفٌ أن الصوتَ الخفيَّ لا يسمعُ، والذي يجهرُ به يسمعُ لكن في حدودٍ معينةٍ، فإذا كان سبحانه يسمعُ لما يجهرُ به في غيرِ الحدودِ المعهودةِ المعروفةِ فإنه يَسمعُ أيضًا ما نُسِرُّ ونخفي.

وهل في الحديثِ إشارةٌ إلى أن كثيرَ شحمِ البطنِ يكونُ قليلَ الفقهِ؟

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (١/ ٣٧٧) (٣٥٧٥)، وأبو داود في «سننه» (٩٢٤)، والنسائي (١٢٢١). وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه على سنن أبو داود، والنسائي: حسن صحيح.

(٢) رواه مسلم (٢٧٧٥).

الظاهرُ أنه ليس فيه ما يؤخذُ منه هذا؛ لأن هذا وصفٌ فرضيٌّ لا يترتبُ عليه حكمٌ، وإلا فمن الممكنِ أن يقالَ: إن كثيرَ البطنِ يَدُلُّ على كثرةِ الأكلِ، وكثرةُ الأكلِ تميتُ القلبَ؛ ذلك لأنه إذا كثُرَ الأكلُ كثرتِ الغفلةُ، ولهذا ذكروا أن من فوائدِ الصيامِ: أن الإنسانَ يَتفرَّغُ للذكرِ أكثرَ مما لو كان شبعًا؛ لأن الشبعَ يوجبُ الغفلةَ، فإن أُخذ ذلك المعنى من هذا الوجهِ فإنه يَتبيَّنُ بذلك حسنُ قولِ الرسولِ ﷺ: **«حسبُ ابنَ آدمَ لقيماتٌ يُقِمْنَ صلْبَه، فإن كان لا محالةَ فثلثٌ لطعامِه وثلثٌ لشرابِه وثلثٌ لنفَسِه»**[1].

ولو أننا أخذنا بهذا الطريقِ وبهذا التوجيهِ النبويِّ الطبي ما انتابتنا هذه التغيرات في المعدةِ والأمعاءِ وغيرِها؛ لأن هذا هو حقيقةُ الطبِّ. وقد سمعتُ أنهم في البلادِ التي يدَّعون أنها متحضرةٌ يعملونَ هذا، فيأكلون خمسَ مراتٍ أو ستَّ مراتٍ في اليومِ والليلةِ، لكن الذي يأكلُ لا يأكلُ إلا يسيرًا، فإذا جاع أكل شيئًا يسيرًا. وهذا في الحقيقةِ أخذوه من هدي النبيِّ ﷺ، أما نحن فإننا مع الأسفِ اعتمدنا على حديثِ أبي هريرةَ ﵁ في قصةِ اللبنِ حين قالَ له النبيُّ ﷺ: **«اشرب»**. فشَرِبَ حتَّى قَالَ: لا أجدُ له مسلكًا[2]. أي: لم يعد له مكان في البطنِ.

ولكنا نقولُ: إن هذه الواقعةَ -أي: امتلاءَ البطنِ- لعلها ما وقعت لأبي هريرة إلا مرةً واحدةً في عمرِه، أما نحن فنفعلُ كلَّ يومٍ قصةَ أبي هريرةَ.

والشاهدُ: أنه لا يؤخذُ من هذا الحديثِ أن كبيرَ البطنِ يكونُ قليلَ الفقهِ، ولهذا يقالُ: إن عليَّ بنَ أبي طالبٍ ﵁ كان يوصَفُ بأنه البطين؛ أي: كبير البطن، مع أنه من أفقهِ الصحابةِ ﵃، حتَّى إنه قد اشْتُهِرَ في وصفه المثل المعروف: قضِية ولا أبا حسن لها.

فإن قيل: هل يُفْهَمُ من الآيةِ التي بوَّب بها البخاريُّ أن السمعَ والبصرَ والجلودَ تشهدُ؟

فالجوابُ: نعم هو كذلك، وقد جاء ذلك مصرحًا به في قولِه: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور:٢٤]. وقوله ﷻ: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [فصلت:٢١].

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٢- باب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن:٢٩]. ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء:٢]. وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾ [الطلاق:١]. وَأَنَّ حَدَثَهُ لا يُشْبِهُ حَدَثَ الْمَخْلُوقِينَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٤/ ١٣٢) (١٧١٨٦)، والترمذي (٢٣٨٠)، وابن ماجه (٣٣٤٩)، وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه على سنن ابن ماجه: صحيح.

(٢) تقدم تخريجه في كتاب الرقاق.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُحْدِثُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ وَإِنَّ مِمَّا أَحْدَثَ أَنْ لَا تَكَلَّمُوا فِي الصَّلَاةِ».

البخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ ساق هذا البابَ -وهو مهمٌّ- بالنسبةِ لأفعالِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لإثباتِ أن لله تعالى صفاتٍ هي أفعالٌ يفعلُها متى شاء، ويَصِحُّ أن يطلقَ عليها حادثةٌ، لكنها ليستْ كحدوثِ المخلوقين التي قد يعتريها العجزُ، وقد يعتريها الخفاءُ، وما أشبَه ذلك من نواقصِ حوادثِ المخلوقين.

يقول عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الرحمن:٢٩]؛ أي: يسألوا الله عَزَّ وَجَلَّ، فكلُّ من في السموات والأرض يسألون اللهَ مفتقرون إليه.

وقوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾؛ أي: أنه تَبَارَكَ وَتَعَالَى كلَّ يوم هو في شأنٍ فيغني فقيرًا ويفقرُ غنيًّا، ويوجدُ معدومًا ويَعْدِمُ موجودًا، ويُمْرِضُ صحيحًا، ويَشْفِي مريضًا، وهكذا.

وهذا الشأنُ ليس شأنًا واحدًا بل شئونٌ عظيمةٌ لا يحصيها إلا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ؛ لأن كلَّ شيءٍ لا يقومُ إلا بأمرِه، وهو سبحانه قائمٌ على كلِّ نفسٍ بما كسبتْ، فلو أردتَ أن تُحْصِيَ أجناسَ المخلوقاتِ ما استطعتَ، فكيف بأنواعِها، فكيف بأفرادِها، فحتى النملة في جحرِها يدبرُها هو عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود:٥٦]. فكلَّ يوم هو سبحانه في شأنٍ عظيمٍ من شئونِه عَزَّ وَجَلَّ، يَفْعَلُ ما يشاءُ.

وكونُه سبحانَه كلَّ يومٍ هو في شأنٍ يَدُلُّ على أن الحوادثَ تكونُ بأمرِه عَزَّ وَجَلَّ، وأنه يُحْدِثُ من خلقِه ما شاء، ويُحْدِثُ من شرعِه ما شاء، وذلك وقتُ نزولِ الوحي، أما بعد وفاةِ الرسولِ ﷺ فإنه لا يُمْكِنُ أن يحدثَ شيء في الشرعِ ولا أن يتغيرَ.

وقال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنبياء:٢]. فأثبتَ عَزَّ وَجَلَّ أن الذكرَ الذي يأتي من الله يكونُ محدثًا.

۞ وقال تعالى: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾ [الطلاق:١]. هذا في المطلقةِ إذا طُلِّقَتْ طلاقًا رجعيًّا، فإنه يجبُ أن تبقى في بيتِها؛ لأنه ربما تصلحُ الأحوالُ، وينقلبُ بغضُ الزوج لها محبةً، وسَخَطُه عليها رضًا، فيراجعُها وهي في البيتِ ولا يَعْلَمُ بها حدَث أحدٌ. ولهذا قَالَ: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾؛ يَعْنِي: المراجعةَ. وإذا حدَث ذلك لم يَطَّلِعْ على ما حصَل أحدٌ، وإن كان يجبُ أن يكونَ الطلاقُ بشهودٍ، وأن تكونَ الرجعةُ بشهودٍ، أو يستحبُّ على خلافٍ في ذلك، لكن هذا لا يَمْنَعُ أن تبقى الزوجةُ في البيتِ.

۞ والشاهدُ: قولُه: ﴿يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾. وهو رجوعُ الزوجِ إلى زوجتِه.

ثم قَالَ البخاريُّ: وأن حدثَه لا يشبهُ حدَثَ المخلوقينَ؛ لقولِه تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾. فهو لا يُشْبِهُ حدث المخلوقين، لا من جهةِ العلمِ، ولا القدرةِ، ولا الإحداثِ أيضًا، فإن إحداثه للشيءِ سبحانَه يكونُ بكلمة كنْ. فيكونُ، وأما حدثُ المخلوقين فيكون بعملٍ ومعاناةٍ، وقد يحصلُ وقد لا يحصلُ، أما الربُّ عَزَّ وَجَلَّ فإن إحداثَه لا يُشْبِه إحداثَ المخلوقين.

وقد اسْتَدَلَّ البخاريُّ بأن حدثه سبحانه لا يشبه حدث المخلوقين بقولِه تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ

شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

ثم قَالَ: وقال ابنُ مسعودٍ، عن النَّبيِّ ﷺ: «**إن اللهَ يُحدِثُ من أمرِه ما يشاء وإنَّ مما أحدث ألا تكلموا في الصلاةِ**». وهذا إحداثٌ شرعيٌّ، وأما قوله: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾. فإحداثٌ قدريٌّ؛ لأن مراجعةَ الزوجِ زوجتَه ليس وحيًا ينزلُ، أو حكمًا يتجددُ، ولكنه حكمٌ قدريٌّ يلقيه اللهُ ﷻ في قلبِ الزوجِ فيراجعُ الزوجةَ.

فاللهُ تعالى يحدثُ من أمره الكونيِّ ومن أمرِه الشرعيِّ ما شاء، فأما الإحداثُ بالأمرِ الشرعيِّ فقد انقطَعَ بوفاةِ الرسولِ ﷺ، فلا يمكنُ أن يتجددَ، ولا يمكنُ أن يَتَغيَّرَ.

فإن قيل: وهل خالف أحدٌ في هذا؟

فالجوابُ: نعم، خالَفَ في هذا عامةُ المتكلمين من معتزلةٍ وأشعريةٍ وغيرهم، وقالوا: لا يمكنُ أن تقومَ الحوادثُ باللهِ أبدًا؛ لأن قيامَ الحوادثِ به يستلزمُ أن يكونَ حادثًا -بناءً على أن الحادثَ لا يقومُ إلا بحادثةٍ.

فيقالُ لهم: من الذي قَالَ لكم هذا؟ ومن الذي قَالَ: إن الحادثَ لا يقومُ إلا بحادثةٍ؟ ومن أين أتيتم بهذه القاعدةِ؟ أمن الكتاب أو من السنةِ أو من العقلِ؟

فالجوابُ: كلُّ ذلك لم يَكُنْ، فنحن نشاهدُ الآن بأنفسِنا أنه تحصلُ حوادثُ لنا في هذا اليومِ غيرَ التي حصلتْ في اليومِ الذي قبلَه، فهل يلزمُ إذا قامت بنا الحوادثُ أن تكونَ موجودةً بوجودنا؟

الجوابُ: لا، لا يلزمُ، فالحوادثُ تتجددُ من الحادثِ ومن غيرِ الحادثِ، بل إن قيامَ الحوادثِ به دليلٌ على كمالِه، وأنه يفعلُ ما يشاء متى شاء، ولو قلنا: إنه لا يستطيعُ أن يَفْعَلَ لكان في هذا وصفٌ للهِ بالنقصِ، فاللهُ تعالى فعَّال لما يُريدُ، قَالَ تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة:٢٥٣]. واقتتالهم حادثٌ لا شكَّ، وهو من فعلِ اللهِ؛ أي: من تقديرِه أن يفعلوا هذا، وهذا نصٌّ صريحٌ في قيامِ الأفعالِ الحادثةِ به، وكذلك استواؤه على العرشِ، ونزولُه إلى السماءِ الدنيا، وتكليمُه من يكلمه، كلُّ هذا يَدُلُّ على قيامِ الحوادثِ به، لكن لا يَلْزَمُ من هذا أن يكونَ هو سبحانه حادثًا.

وسبحانَ اللهِ العظيم، لو رجعنا إلى الفطرةِ وسألنا عجوزًا لم تَعْرِفْ بالكلامِ وأهلِه وقلنا: هل اللهُ يَفْعَلُ متى شاء؟ لقالتْ: نعم. سبحانَه يَفْعَلُ ما يَشاءُ.

وأيُّهما أحسنُ: ربٌّ لا يفعلُ أو ربٌّ يفعلُ؟ تقولُ: ربٌّ يفعلُ، فالذي لا يفعلُ جمادٌ، لا يصحُّ أن يكونَ ربًّا، ولكن -نسألُ اللهَ العافيةَ- لما دخلوا في علمِ الكلامِ وحكَّمُوا العقول ضلوا عن شيءٍ تعرفُه العجائزُ.

إذًا إحداثُ اللهِ ﷻ للفعلِ ليسَ كإحداثنا له؛ لأنه يحدثُ ما شاء بكلمةٍ: كنْ. فيكونُ، ونحن لا نحدثُ إلا بمعاناةٍ وعملٍ.

ثانيًا: يحدثُه سبحانه من غيرِ جهلٍ سابقٍ أو عجزٍ مقارنٍ، وأما نحنُ فإنا نحدثُ من جهلٍ؛ بمعنى أنه يكونُ خافيًا علينا ثم يَتَبيَّنُ لنا وجهه، ثم إننا لا نَسْلَمُ من عجزٍ مقارنٍ؛ أي: قد نعجزُ عن

إكماله، أما الله ﷻ فلا.

******

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٢٢- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الله، حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ وَرْدَانَ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ كُتُبِهِمْ وَعِنْدَكُمْ كِتَابُ الله أَقْرَبُ الْكُتُبِ عَهْدًا بِالله تَقْرَءُونَهُ مَحْضًا لَمْ يُشَبْ.

سبَقَ الكلامُ على هذا الحديثِ، والشاهدُ منه قولُه: أقربُ الكتبِ عهدًا بالله. وهذا في الوحي، وقد ثبَتَ أنه لما نزَل المطرُ حصر النَّبيُّ ﷺ عن ثوبِه ليصيبه وقال: «إنه حديثُ عهدٍ بربه»[1]؛ أي: من جهةِ خلقِه وتكوينه؛ لأنه خُلِقَ الآن فنزل.

فعندنا ما هو قريبُ العهدِ من جهةِ التكوينِ والخلقِ، وما هو قريبُ العهدِ من قِبل الإنزالِ والوحي، فما ذكَره ابنُ عباسٍ يعودُ إلى الإنزالِ والوحي، والآيةُ تشهدُ له: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾. وأما القريبُ من جهةِ التكوينِ والخلقِ فحديثُ المطرِ.

******

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٢٣- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ الله بْنُ عَبْدِ الله أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ وَكِتَابُكُمْ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيِّكُمْ ﷺ أَحْدَثُ الأَخْبَارِ بالله، مَحْضًا لَمْ يُشَبْ، وَقَدْ حَدَّثَكُمْ اللهُ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ بَدَّلُوا مِنْ كُتُبِ الله وَغَيَّرُوا فَكَتَبُوا بِأَيْدِيهِم الْكُتُبَ، قَالُوا: هُوَ مِنْ عِنْدِ الله لِيَشْتَرُوا بِذَلِكَ ثَمَنًا قَلِيلًا. أَوَلَا يَنْهَاكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنِ الْعِلْمِ عَنْ مَسْأَلَتِهِمْ؟ فَلَا والله مَا رَأَيْنَا رَجُلًا مِنْهُمْ يَسْأَلُكُمْ عَنْ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ.

قولَه: ما رأينا رجلًا منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم. ذلك مع أنه أحقُّ أن يسألونَا عما أُنزِلَ علينا. وكأن ابن عباسٍ رضي الله عنه في زمنِه رأى من الناسِ من يَذْهَبُ إلى بني إسرائيل ويسألُهم، فاشْتَدَّ قولُه في ذلك.

وعلى هذا يَجِبُ علينا نحن المسلمين إذا دعونا إلى أخلاقٍ حسنةٍ من وفاءٍ بوعدٍ، وصدقٍ في القولِ، وعزيمةٍ في القصدِ، وما أشبَه ذلك ألا نقولَ: هذا فعلُ الإنجليزِ، هذا فعلُ الأمريكان، هذا فعلُ كذا، هذا فعلُ كذا. لأن هذه الأخلاقَ الفاضلةَ مصدرُها من الإسلام.

وعجبًا من بعضِ الناسِ من ضعفاءِ العقولِ وضعفاءِ الدينِ إذا أراد أن يؤَكدَ الوفاءَ بالوعدِ قَالَ: هذا وعدُ إنجليزي -سبحانَ الله- بل قل: إنه وعدُ مؤمنٍ. هذا هو الصحيحُ، أتظن أن الإنجليزَ أوفَى بالوعدِ من المسلمين؟ أبدًا.

---

(١) رواه مسلم (٨٩٨).

فهذا الذي رسمَه ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما يَنبَغِي أن يكونَ نبراسًا نَمْشِي عليه، وألا نُظْهِرَ الافتقارَ لأهلِ الكتابِ، وإن كان الرسولُ ﷺ رخَّصَ لنا في أن نقبلَ من حديثِهم ما شَهِدَ له الشرعُ، وما لم يَشْهَدْ الشرعُ له ولا بخلافِه فلا نُصدِّقُه ولا نكذبُه[1]، وما شَهِدَ شرعُنا بخلافِه فإننا نكذِّبُه.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٣ - باب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ [القيامة:١٦]، وفِعْلُ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ. وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: «انا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بي شفتاه».

قولُه: بابُ قولِ اللهِ تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾. ترجَم البخاريُّ هذه الترجمةَ ليُشِيرَ إلى أن القراءةَ بالقرآنِ من فعلِ الإنسانِ؛ لأن قولَه: ﴿لَا تُحَرِّكْ﴾ دليلٌ على أن الذي يحركُ هو القارئُ، وعلى هذا فتلفظُ الإنسانِ بالقرآنِ يُعْتَبرُ مخلوقًا؛ لأنه من فعلِه، وفعلُ الآدميِّ مخلوقٌ.

وهذه المسألةُ ثار حولَها جدلٌ عظيمٌ في فتنةِ الجهميةِ في القولِ بخلقِ القرآنِ، حتَّى إن الإمامَ أحمدَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: من قَالَ: لفظي بالقرآنِ مخلوقٌ. فهو جهميٌّ، ومن قَالَ: غيرُ مخلوقٍ. فهو مبتدعٌ، وفي روايةٍ عنه: من قَالَ لفظي بالقرآنِ مخلوقٌ. يُريدُ القرآنَ -يَعْنِي: لا يُرِيدُ القراءةَ- فهو جهميٌّ، ومن قَالَ: غيرُ مخلوقٍ. فهو مبتدعٌ. وقد أطلَق رَحِمَهُ اللَّهُ في إحدى الروايتين؛ لأن الجهميةَ كانوا يُمَوِّهون على العامةِ فيقولون: قُلْ: لفظي مخلوقٌ. وهم يريدون بقولِه: لفظي. القرآنُ فيُمَوِّهُون على العامةِ.

والصحيحُ في هذه المسألةِ التفصيلُ فيقالُ: قراءةُ القارئِ تَشْتَمِلُ على أمرين: على مقروءٍ، وعلى قراءةٍ.

فأما المقروءُ فهو كلامُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ غيرُ مخلوقٍ.

وأما القراءةُ فهي فعلُ الإنسانِ، فهذا الذي يحركُ شفتيه، ويُحَرِّكُ لسانه، وهو الذي ينطقُ، وهو الذي يُخْرِجُ الصوتَ من فمِه، وكلُّ هذا مخلوقٌ؛ لأنه من صفاتِ الإنسانِ، وصفاتِ الإنسانِ كلُّها مخلوقةٌ.

فمرادُ البخاريِّ رَحِمَهُ اللَّهُ بهذه الترجمةِ الإشارةُ إلى أن قراءةَ قارئِ القرآنِ من فعلِه، لأنه قَالَ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾. وفعلُه مخلوقٌ.

قولُه: وقال أبو هريرةَ، عن النَّبِيِّ ﷺ: قَالَ اللهُ تعالى: «**أنا مع عبدي حيث ما ذكرني وتحركتْ بي شفتاه**».

فإن قيل: كيف قَالَ: «**تحركتْ بي شفتاه**». مع أن الإنسانَ إذا ذكَرَ اللهَ يَذْكُرُ أسماءَ اللهِ، وأسماءُ اللهِ غير مخلوقةٍ؟

نقولُ: نفسُ الحركةِ مخلوقةٌ، وبهذا التفصيلِ الذي ذكَرْنا -وهو الفرقُ بَيْنَ الملفوظِ به وبَيْنَ اللفظِ- فاللفظُ حركةُ الإنسانِ وهي مخلوقةٌ، والملفوظُ به إذا كانَ قرآنًا فإنه ليس بمخلوقٍ، بل هو كلامُ اللهِ.

---

(١) روى البخاري (٣٤٦١) عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قَالَ: «**بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج...**» الحديث.

وروى البخاري أيضًا (٧٥٤٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ﴾ الآية**».

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٢٤- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي عَائِشَةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ [القيامة:١٦]. قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ، فَقَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكَ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَرِّكُهُمَا. فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أُحَرِّكُهُمَا كَمَا كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا. فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [القيامة:١٦-١٧]. قَالَ: جَمْعُهُ فِي صَدْرِكَ، ثُمَّ تَقْرَؤُهُ. ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة:١٨]. قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ. قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- اسْتَمَعَ، فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا أَقْرَأَهُ[١].

هذه الآياتُ التي في هذا الحديثِ آياتٌ عظيمةٌ، تُبيِّنُ كيف كان النَّبيُّ ﷺ يُعَالجُ من الوحي شدةً؛ لأن الله قَالَ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾﴾ [المزمل:٥]. أحيانًا إذا نزل عليه الوحي وهو على ناقتِه فبَرَكَتْ، ونزَل عليه الوحيُ مرةً ورأسُه على فخِذِ حذيفةَ رضي الله عنه فكادتْ ترضُّها، وكان يأتيه الوحيُ في اليومِ الشاتي الباردِ فيَتَصبَّبُ عرقًا من شدةِ ما يَجِدُ[٢].

وكان لحرصِه ﷺ على القرآنِ وضبطِه يَتَعجَّلُ، فإذا قَرَأه جبريلُ تلقاه فورًا منه فيتعجّل، وربَّما يكونُ بتعجُّلِه هذا يَفُوتُه بعضَ الشيءِ، فنهاه اللهُ عن ذلك وقال: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾. فالعجلةُ قد يكونُ فيها شيءٌ من فواتِ المقصودِ.

ثم تكفَّل الربُّ عَزَّ وَجَلَّ فقال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾؛ أي: نحن الذين سنَجْمَعُه في صدرِك، ونَحْفَظُه فيه، ولا يفوتُك شيءٌ منه.

ثم قَالَ: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾؛ أي: قرَأه جبريلُ، وأَسْنَدَ اللهُ قراءةَ جبريلَ إليه؛ لأنه رسولُ ربِّ العالمين، وفعلُ الرسولِ فعلٌ للمرسل.

ثم قَالَ: ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾؛ أي: لا تُعجِّلْ فتأْخُذْه كلمةً كلمةً، بل انتظِر حتَّى يفرغَ ثم اتبع قرآنَه.

ثم تكفلَ اللهُ سبحانه كفالةً ثانيةً بعد الجمعِ والقرآنِ فقال: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة:١٩]. فتكفَّل اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ببيانِه لعبادِه، وذلك ببيانِه لفظًا وبيانِه معنًى، وما يَفُوتُ الناسُ من لفظِه أو من معناه فهذا إما لقصورٍ أو تقصيرٍ، وإلا فإن اللهَ قد تكفَّل ببيانِ القرآنِ لفظًا ومعنًى، لكن لا يَلْزَمُ من هذا أن يكونَ مبينًا لكلِّ شخصٍ.

ولهذا نقولُ: ليس في القرآنِ شيءٌ يخفى معناه على جميعِ الناسِ أبدًا؛ لأن اللهَ قَالَ: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾. ولو

---

(١) رواه مسلم (٤٤٨).

(٢) تقدم تخريجه في كتاب بدء الوحي.

كان في القرآنِ حرفٌ واحدٌ يخفى على جميع الناسِ لم يكنِ القرآنُ بيانًا، والله تعالى قَالَ فيه: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٣٨]. لكن نقولُ: إن الخفاءَ والظهورَ أمرٌ نسبيٌّ، بمعنى أنه قد يَخْفَى على شخصٍ ما، ويَظْهَرُ لشخصٍ آخَرَ، بل إن الإنسانَ نفسَه أحيانًا يكونُ صافي الذهنِ فيَظْهَرُ له من معانِي القرآنِ والسنةِ ما لا يَظْهَرُ له إذا كان مُشَوَّشًا، وهذا شيءٌ مجربٌ.

فالخفاءُ والظهورُ أمرٌ نسبيٌّ باعتبارِ الأشخاصِ، واعتبارِ الأحوالِ، وإلا فإن الله قد تكفَّل ببيانِه -والحمد لله- فقد حُفِظَ القرآنُ منذُ نزَل به جبريلُ إلى محمدٍ ﷺ، وعُرِفَ معناه، وتبيَّن للناسِ إلى يومنا هذا ولله الحمدُ.

وقد قَالَ ابنُ عباسٍ فيما يُرْوَى عنه: القرآنُ أربعةُ أقسامٍ:

قسمٌ لا يَسَعُ أحدٌ جهالتَه.

وقسمٌ تعرفُه العربُ من لغاتِهم.

وقسمٌ يَعْرِفُه الراسخونَ في العلمِ.

وقسمٌ لا يَعْلَمُه إلا الله. فمن ادَّعى علمَه فهو كاذبٌ.

أما الذي تَعرِفُه العربُ من كلامِها فمثْلُ معرفةِ السماءِ، والأرضِ، والشجرِ، والنباتِ، والكهفِ، والغارِ، وما أشبَه ذلك مما هو معلومٌ بدلالةِ اللغةِ.

وأما الذي لا يَسَعُ أحدٌ جهالتَه فهو ما يَجِبُ على الإنسانِ معرفتُه مما يَكْمُلُ به دينُه، كمعرفةِ أحكامِ الصلاةِ، والزكاةِ، والصيامِ، والحجِّ، والبيعِ، والشراءِ، وما أشبَه ذلك.

وأما الذي يَعْرِفُه الراسخونَ في العلمِ؛ فهو الآياتُ التي تَحْتَاجُ إلى تَعَمُّقٍ في فهمِها، أو جمعٍ بينها إذا كان ظاهرُها التعارضَ، وما أشبَه ذلك.

وأما الذي لا يَعْلَمُه إلا الله؛ فهو الكنُه والحقيقةُ لما أخبَر الله به عن نفسِه من الأسماءِ والصفاتِ، فإن هذا لا يَعْلَمُ حقيقتَه إلا الله، فمن ادَّعى علمَه فهو كاذبٌ.

أما المعنى للقرآنِ فإنه لا يُمْكِنُ أن يَخْفَى على جميعِ الناسِ أبدًا.

فإن قيل: إذا كان الأمرُ كذلك فما هو معنى قولِه تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧]؟

فالجوابُ: أن قولَه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فيه قراءتان معروفتان: فأكثرُ السلفِ على الوقفِ في قولِه: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾. ثم يَبْتَدِئُ فَيَقُولُ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾. وعلى هذا يَكُونُ المرادُ بالتأويلِ الحقيقةَ التي عليها الأمورُ الغيبيةُ؛ لأن حقيقةَ الأمورِ الغيبيةِ لا يَعْلَمُها إلا الله، فلا يَعْلَمُها الراسخون في العلمِ ولا غيرُهم.

وأما القراءةُ الثانيةُ -وهي ثابتةٌ أيضًا عن السلفِ- فهي قراءةُ الوصلِ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾. وعلى هذا يَكُونُ المرادُ بالتأويلِ تفسيرَ المشتبهاتِ التي تَخْفَى على كثيرٍ من الناسِ، ويَعْلَمُها الراسخونَ في العلمِ؛ ولهذا قَالَ ابنُ عباسٍ: أنا من الراسخين الذين يَعْلَمُونَ تأويلَه.

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٤- باب قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤﴾ [الملك:١٣-١٤]. يَتَخَافَتُون يَتَسَارُّونَ.

قولُه تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣﴾؛ ولم يقل: إنه عليم به؛ أي: بالقولِ الذي أَسْرَرْتُم أو جَهَرْتُم به؛ لأن من عَلِم بذاتِ الصدورِ؛ أي: القلوبِ، كان علمُه بما أَظْهَرَتْه الألسنُ من بابِ أولى، وهذا هو قياسُ الأولى.

وقولُه: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣﴾؛ أي: أنه سَيَعْلَمُ ما تُسِرُّون وما تَجْهَرُونَ.

ثم قَالَ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤﴾. وهذا الاستفهامُ للتقرير.

وقولُه: ﴿مَنْ﴾: في إعرابِها وجهانِ:

الوجهُ الأوَّلُ: أن تكُونَ فاعلًا.

والوجهُ الثاني: أن تكُونَ مفعولًا به.

فإن كانت فاعلًا فالمعنى: ألا يَعْلَمُ الخالقُ وهو اللطيفُ الخبيرُ؟ ويَكُونُ جوابُها: بلى، لابدَّ أن يَعْلَمَ الخالقُ ما خَلَقَه، ولا يُمْكِنُ أن يَكُونَ الخالقُ جاهلًا بما خلَق.

وإذا كانت مفعولًا به صار المعنى: ألا يَعْلَمُ مخلوقَه؟

والجوابُ: بلى. يَعْلَمُ مخلوقَه.

فإذا قَالَ قائلٌ: لماذا عدَل عن قولِه: ألا يَعْلَمُ العَلَّامُ، أو ألا يَعْلَمُ اللهُ؟

قُلْنَا: من أجلِ إقامةِ الحجةِ العقليةِ الملزمةِ؛ لأن كونَه يَخْلُقُ يَلْزَمُ عليه عقلًا أنَ يكونَ عالمًا، فإذا كان خالقًا لكلِّ شيءٍ كان عالمًا لكلِّ شيء، أضفْ إلى ذلك أنه عَزَّوَجَلَّ لطيفٌ خبيرٌ، فهو اللطيفُ العالمُ بسرائرِ الأمورِ، الخبيرُ العالمُ ببواطنِ الأمورِ.

واللطفُ أَخصُّ من الخبرةِ، والخبرةُ أَخصُّ من العلمِ، ففي الآيةِ علمٌ وخبرةٌ ولطفٌ، فالعلمُ في قولِه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾، واللطفُ في قولِه: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾، والخبرةُ في قولِه: ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾.

واللطيفُ أرقُّ وأدقُّ من الخبيرِ؛ حيثُ أنه يَعْلَمُ أشياءَ لطيفةً جدًّا لا تُدْرَكُ، لكنه يُدْرِكُها عَزَّوَجَلَّ.

وقولُه: يَتَخَافَتون: يَتَسَارُّون. هذا مذكورٌ في قولِه تعالى: ﴿فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ۝٢٣ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ۝٢٤﴾ [القلم:٢٣-٢٤]. وهؤلاء هم أصحابُ الجنةِ الذين أقسموا أن يَصْرِمُونها صباحًا ولم يَقُولُوا: إن شاء الله. وإنما اختاروا صرمَها صباحًا؛ لئلا يَأْتِي المساكينُ فيَأْكُلوا منها.

قَالَ تعالى: ﴿إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝١٧ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ۝١٨﴾ [القلم:١٧-١٨]؛ أي: لم يقولوا: إن شاء الله. فطاف عليها طائفٌ من الله فدَمَّرها فأَصْبَحَتْ كالصريم، فلما أصبحوا تَنادوا وذَهَبُوا إليها، فلما رأَوْها قالوا: هذه ليست جنتَنا ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ ۝٢٦﴾ [القلم:٢٦]؛ أي: تائِهُون، ولم نَهْتَدِ إلى طريقها، ثم تأَكَّدُوا

فقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [القلم:٢٧]. فعرفُوا أنهم قد حُرِمُوا، وأن الله قد أتلف هذه الجنةَ؛ لأن نيتَهم كانت سيئةً، حيث كانوا لا يُرِيدُون أن يُطْعِمُوا منها المساكين.

وقد ذكَر لنا من نَثِقُ به من كبرائِنا في السنِّ أن شخصين تقاسما ثمرَ بستانٍ لهما، وأن أحدَهما خيَّر الآخرَ وقال له: اختر. فقال الآخرُ: أختارُ هذا الجانبَ الشرقيَّ؛ لأنـه رأى أنـه أحسنُ وأكثرُ. فقال الثاني: وأنا أختار الغربيَّ. والمُلك بينهما أنصافًا.

ثم الذي اختارَ الأكثرَ قَالَ: سأَجُزُّ الثمرَ في نهارِ رمضانَ؛ لئلا يَأْكُلَ منه الفقراءُ، ثم واعدَ الذين يَجُزُّون في النهارِ فجزوا له وأخذَ الثمر.

أما الثاني: فقال: لن أَجُزَّه حتَّى يُفْطِرَ الناسُ. فلما أَفْطَرُوا قَالَ لهم: يا أهلَ الحيِّ، وكان الناسُ في ذلك الوقتُ في فقرٍ شديدٍ: إني سأجز النخلَ في اليومِ الفلانيِّ بعد العيدِ، فمن شاء منكم أن يَحْضُرَ فلْيَحْضُرْ. فحضَر الناسُ وحضَر الفقراءُ، وامتلأ البستانُ، وصاروا يَأْكُلُون حتَّى إن الزنابيلَ امتلأت بالنوى، ولكن مع ذلك أنزل اللهُ سبحانَه في هذا الثمرِ البركةَ.

فلما عَلِمَ شريكُه بذلك جاءه وقال له: إننا قد أَخطَأْنا في القسمةِ، وأنا الآن أدعي أنني مغبونٌ، إذ كيف يَأْكُلُ الناسُ منك هذا الأكلَ الكثيرَ، وتَدَّخِرُ من التمرِ أكثرَ مما ادَّخَرْتُ أنا، فهذا معناه أنك غبنتني. فقال له: نحن قد قسمنا جميعًا، وقد خيَّرتُك فاخْتَرْتَ نصِيبك معتقدًا أنه أكثرُ، ولكن بركةُ اللهِ ﷻ لا حدَّ لها. فقال له: بل قد غبنتني.

ثم رفَع الأمرَ إلى القاضي، وقال: أيها القاضي قد اقتسمنا التمرَ نصفين، وادَّخَرْتُ أنا تمري وبلَغ من الزنابيل كذا وكذا، وهو تأَخَّر حتَّى أفطَر الناسُ، فجاءوا وأكَلُوا حتَّى ملأوا الزنابيل بالنوى، ومع ذلك ادَّخَر من التمرِ أكثر مما ادَّخَرتُ، وهذا يَعْنِي أنني مغبونٌ.

ولكن كان القاضي ذكيًّا فقال له: اقرأ: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [القلم:١٧]. وكأنه يَقُولُ: احمد ربَّك أنك حَصَّلْتَ هذا التمرَ؛ لأن أصحابَ الجنةِ ما حَصَّلُوا شيئًا، وأنت قُلْتَ: أجزها في نهارِ رمضانَ لئَلَّا يَدْخُلَنَّها اليومَ عليك مسكينٌ، فهذا جزاؤك، وأما صاحبك فقد أنزَل اللهُ له البركةَ، وبركةُ اللهِ لا نهايةَ لها. ثم طرَدَه. وهذه قصةٌ مشهورةٌ عندنا، ويُسَمَّى أصحابُها فلان وفلان، لكن لا حاجة لذكرِهما.

فالحاصلُ: أن قولَه ﴿فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ﴾؛ يَعْنِي: يَسِيرُ بعضُهم إلى بعضٍ، حتَّى لا يَأْتِي إليهم المسكينُ، فلما أَصْبَحُوا وجَدُوها كالصريم -سبحان الله- وفي النهايةِ أَقْبَل بعضُهم على بعضٍ يتلاومون قالوا: ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [القلم:٣١-٣٢].

وهذا من حكمةِ اللهِ ﷻ أن اللهَ قد يَبْتَلِي الإنسانَ في فَقْدِ ما يُحِبُّ لاستقامةِ دينه قَالَ تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم:٤١].

وهذا الابتلاءُ قد يَكُونُ خيرًا للإنسانِ، وقد يَكُونُ شرًّا، فمن الناسِ من إذا ابتلي في دنياه قوي إيمانُه ورجَع إلى ربِّه، وأناب إلى الله، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحج:١١].

وهذا البابُ قد عَقَده المؤلفُ في أثناءِ الكلامِ على كلامِ الله؛ ليُبيِّنَ أن لفظَ الإنسانِ بكلامِ الله من فعلِه، فأنت إذا تكَلَّمْتَ بالقرآنِ إسرارًا أو جهرًا فهو من فعلِك، وفعلُك مخلوقٌ.

ومعلومٌ أن البخاريَّ رَحِمَهُ اللَّهُ قد امْتُحِنَ في مسألةِ اللفظِ والملفوظِ، وهل اللفظُ مخلوقٌ أو غيرَ مخلوقٍ، والملفوظُ به هل هو مخلوقٌ أو غيرُ مخلوقٍ؟ فأكثرَ في صحيحه من سياقِ الأدلةِ الدالةِ على أن أقوالَنا من أفعالِنا، وأفعالُنا مخلوقةٌ.

۞ فقولُه: «﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ﴾». الإسرارُ والجهرُ صفةُ القولِ، والذي يُسِرُّ أو يَجْهَرُ هو الإنسانُ المتكلمُ، إذًا فالإسرارُ والجهرُ من فعل الإنسانِ، فيَكُونُ مخلوقًا، وما يُسِرُّ به أو يَجْهَرُ به فهو إما مخلوقٌ، وإما غيرُ مخلوقٍ، فكلامي معكم الآن مخلوقٌ حتَّى الملفوظَ به، لكن عندما أَقرأُ القرآنَ يَكُونُ قولي ولفظي مخلوقًا، لكنَّ القرآن غيرُ مخلوقٍ.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٢٥- حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ زُرَارَةَ، عَنْ هُشَيْمٍ، أَخْبَرَنَا أَبُو بِشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠]. قَالَ: نَزَلَتْ وَرَسُولُ الله ﷺ مُخْتَفٍ بِمَكَّةَ، فَكَانَ إِذَا صَلَّى بِأَصْحَابِهِ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ، فَإِذَا سَمِعَهُ الْمُشْرِكُونَ سَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾. أَيْ: بِقِرَاءَتِكَ فَيَسْمَعَ الْمُشْرِكُونَ فَيَسُبُّوا الْقُرْآنَ، ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عَنْ أَصْحَابِكَ فَلَا تُسْمِعُهُمْ، ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١١٠﴾[1].

۞ قوله: ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾؛ يَعْنِي: اطلب سبيلًا بين الإخفاتِ والجهرِ.

والشاهدُ من هذا الحديثِ: أن الله قَالَ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾؛ أي: بقراءتك القرآنَ في صلاتِك، ولا تُخافِت بها، ومعلومٌ أن الجهرَ والمخافتةَ من فعلِ الإنسانِ، وأن القرآنَ الذي يُسَرُّ به أو يُخَافَتُ هو كلامُ الله.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٢٦- حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠] فِي الدُّعَاءِ[2].

على هذا الحديثِ يَكُونُ معنى قوله: ﴿بِصَلَاتِكَ﴾؛ أي: بدعائِك، ولا منافاةَ بين كلامِ عائشةَ وكلامِ ابنِ عباسٍ؛ وذلك لأن قولَ الصحابيِّ: نزلت في كذا. ليس صريحًا في أن هذا هو سببُ

(١) رواه مسلم (٤٤٦).

(٢) رواه مسلم (٤٤٧).

النزولِ، بل قد يَكُونُ مرادُه: نَزَلَتْ في كذا؛ أي: في هذا المعنى.

أما لو قَالَ: سببُ نزولِها أن النَّبيَّ ﷺ فعَل كذا، أو صار كذا فنزلت. فالأَوَّلُ صريحٌ في سببِ النزولِ، والثاني ظاهرٌ فيه.

وأما الذي في سياقِ ما ذكَره البخاريُّ فلا.

فالصورُ إذًا ثلاثٌ:

الأولى: أن يَقُولَ الصحابيُّ: سببُ نزولِها كذا وكذا. فهنا يَكُونُ سببُ النزولِ صريحًا.

الثانيةُ: أن يَقُولَ: كان كذا فَنَزَلَتْ. وهذا ظاهرٌ، وليس بصريحٍ.

والثالثةُ: أن يَقُولَ: نَزَلتْ في كذا. فهذا مُحْتَمِلٌ أن يَكُونَ المرادُ: أن هذًا سببُ النزولِ، أو أن هذا من معناه.

وهنا نَقُولُ: قولُ عائشةَ وقولُ ابنِ عباسٍ، ليس بينهما تنافٍ؛ لأن المعنى: أنها نزَلت في كذا؛ أي: في هذا المعنى، وفي كذا؛ أي: في هذا المعنى.

بَقِيَ علينا ما لو كان كلٌّ من اللفظين صريحًا في سببِ النزولِ، وبينهما اختلافٌ.

نَقُولُ: إن ترجَّحَ أحدُهما أُخِذَ به، وإن لم يَتَرَجَّحْ فلا مانعَ من تعددِ سببِ النزولِ، ويَكُونُ ذلك من بابِ التوكيدِ والتذكيرِ.

***

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٢٧- حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ». وَزَادَ غَيْرُهُ: «يَجْهَرُ بِهِ».

هذا الحديثُ كالأَوَّلِ؛ لأن تَغَنِّي الإنسانِ بالقرآنِ؛ أي: جهرَه بتحسينِ الصوتِ وهو من فعلِه، فيَكُونُ مخلوقًا، أما القرآنُ نفسُه فإنه ليس بمخلوقٍ.

وقد بيَّنا أن البخاريَّ رَحِمَهُ اللَّهُ قد فصَّل تفصيلًا بينًا في هذا، وأن الإمامَ أحمدَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: مَن قَالَ: لفظي بالقرآنِ مخلوقٌ. فهو جهميٌّ. وفي روايةٍ عنه: من قَالَ: لفظي بالقرآنِ مخلوقٌ. يُرِيدُ القرآنَ، ومن قَالَ: غيرُ مخلوقٍ فهو مبتدعٌ؛ لأن المحنةَ التي كانت في زمنِ الإمامِ أحمدَ غير المحنة التي كانت في زمنِ البخاريِّ، فالمحنةُ التي كانت في زمنِ الإمامِ أحمدَ هي: هل القرآنُ مخلوقٌ أو غيرُ مخلوقٍ؟ والمحنةُ في زمنِ البخاريِّ كانت: هل لفظُ القرآنِ مخلوقٌ أو لا؟ فبينهما فرقٌ.

فالإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللَّهُ رأى الكفَّ عن هذا، وألا يقالَ: لفظي بالقرآنِ مخلوقٌ أو غيرُ مخلوقٍ، والبخاريُّ أراد التفصيلَ والبيانَ.

فإن قيل: هناك من أخَذ من هذا الحديثِ أن التجويدَ واجبٌ، فما هو الردُّ عليه؟

نَقُولُ: إن من قَالَ بهذا القولِ له شبهةٌ في هذا الحديثِ إذا قَالَ: إن التجويدَ يَقْتَضِي تحسينَ الصوتِ في القرآنِ، وقراءةُ المجوِّدِ ألذ على السمعِ من قراءةِ غيرِ المجودِ، والرسولُ نفى أن يَكُونَ منا

من لم يَتغنَّ بالقرآنِ، وهذا يَقْتَضِي أن تركَ التغني يَكُونُ من كبائرِ الذنوبِ؛ لأنه لا يَتبَرَّأُ الرسولُ من شيءٍ إلا وهو من كبائرِ الذنوبِ.

ولَكِنِ الجوابُ عن هذا أن يُقَالَ: إن التغني أمرٌ نسبيٌّ، وقد بَيَّنَه الرسولُ ﷺ بقولِه فيما رواه أهلُ السننِ: «زيِّنُوا بالقرآنِ أصواتَكم». وأن المرادَ بذلك تزيينُ الصوتِ، وليس صفةَ الأداءِ، وفرقٌ بين صفةِ الأداءِ، وبين تزيينِ الصوتِ.

فالصحيحُ في مسألةِ التجويدِ: أنه سنةٌ ما لم يُؤَدِّ إلى التكلفِ فيَكُونُ مذمومًا، وأما كونُه واجبًا فليس بواجبٍ.

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٥- باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ يَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا فَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ». فَبَيَّنَ اللهُ أَنَّ قِيَامَهُ بِالْكِتَابِ هُوَ فِعْلُهُ. وَقَالَ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [الروم:٢٢]. وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٧٧﴾ [الحج:٧٧].

يريدُ البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ من سوقِه لهذه الآياتِ أن يُثْبِتَ بأن قراءةَ القارئِ مخلوقةٌ؛ لأنها فعلُه، فإن النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «رجلٌ آتاهُ اللهُ القرآنَ فهو يقومُ به آناءَ الليلِ والنهارِ». أي: يَقْرَأُه فيَقُومُ به، فأضاف القيامَ إلى القارئِ.

وقال أيضًا: «ورجلٌ يَقُولُ: لو أُوتِيتُ مثلَ ما أُوتي هذا فَعَلْتُ كما يَفْعَلُ». فجعلَ قراءةَ القرآنِ فعلًا.

ثم قَالَ: فَبَيَّنَ اللهُ. وفي نسخةٍ: فَبَيَّن النَّبيُّ ﷺ أن قراءتَه الكتابَ هو فعلُه.

فإن كانت النسخةُ الصحيحةُ هي: -فبيَّن اللهُ- فإن فيها إشكالًا، لأن المبيِّنَ هنا هو الرسولُ ﷺ، لكن يُقَالُ: إن بيانَ الرسولِ ﷺ إذا أقرَّه اللهُ فهو كبيانِه.

وإذا كانت النسخةُ التي فيها: فبيَّنَ النَّبيُّ ﷺ، هي الصحيحةَ فلا إشكالَ.

ثم قَالَ: وقال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾. فذكَر اختلافَ اللسانِ واللونِ، أما اختلافُ اللونِ فهو من فعلِ اللهِ ولا طاقةَ لنا به، وأما اختلافُ اللسانِ فهو من فعلِه، ولهذا إذا عاش الإنسانُ في بيئةٍ عربيةٍ صار لسانُه عربيًّا، وإذا عاش في بيئةٍ أعجميةٍ صار لسانُه أعجميًّا، وإذا شاء رَفَع صوتَه وإذا شاء لم يَرْفَعْ.

وصور اختلافِ الألسنِ كثيرةٌ منها:

اللغةُ، ومنها الصوتُ، ومنها البيانُ والفصاحةُ، ومنها سهولةُ النطقِ، فكلُّ هذا يَدْخُلُ في قولِه: ﴿وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾.

ثم قَالَ: وقال جلَّ ذكره: ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾. وقراءةُ القرآنِ من الخيرِ، فتَكُونُ مفعولةً، أما القرآنُ المقروءُ فليس مخلوقًا.

***

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٢٨- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَحَاسُدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا لَفَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ. وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ، فَيَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ».

٧٥٢٩- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ الزُّهْرِيُّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ»(١).

سَمِعْتُ سُفْيَانَ مِرَارًا لَمْ أَسْمَعْهُ يَذْكُرُ الْخَبَرَ وَهُوَ مِنْ صَحِيحِ حَدِيثِهِ.

الشاهدُ من هذا قولُه: «فهو يقُولُ: لو أُوتيتُ مثلَ ما أُوتيَ هذا لفعَلْتُ كما يَفْعَلُ». فعلُ الأولِ هو تلاوةُ القرآنِ آناءَ الليلِ والنهارِ، فجعَل النَّبيُّ ﷺ تلاوتَه للقرآنِ فعلًا، وفعلُ العبدِ مخلوقٌ.

۞ وقوله: «لا تحاسُدَ إلا في اثنتين». الحسدُ نوعان:

حسدُ غبطةٍ، وحسدُ عدوانٍ.

أما حسدُ الغبطةِ فهو أن يَتَمَنَّى الإنسانُ مثلَ ما أُعْطِيَ الآخرُ. فهذا محمودٌ إذا كان في الخير، وقد أَرْشَدَ اللهُ إلى ذلك في قولِه: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء:٣٢]؛ يعْنِي: قولوا: اللَّهم أَعْطِنا مثلَ ما أَعْطَيْتَ فلانًا. ولا تَحْسِدُوه.

أما حسدُ العدوانِ فقد فَسَّره بعضُ العلماءِ بأنه: تَمني زوالِ نعمةِ الغيرِ سواءٌ تَمَنَّيْتَ أن تَزُولَ منه إلى غيرِه، أو أن تَزُولَ منه إلى غيرِ أحدٍ، أو أن تزولَ منه إلى نفسِك.

وقال شيخُ الإسلام: الحسدُ كراهةُ ما أَعْطَى اللهُ غيرَك من النعم(٢) سواءٌ تَمَنَّيْتَ الزوالَ أم لم تَتَمَنَّ، وهذا أقرب، فإذا اغْتَمَمْتَ بما يُعْطِي اللهُ غيركَ من النعمِ فهذا هو الحسدُ، وإذا فَرِحْتَ بما أعطى اللهُ غيرَك من النعمِ، وسألت اللهَ أن يُعْطِيك مثلَه، فهذا هو حسدُ الغبطةِ وهو محمودٌ إذا كان في الخيرِ.

إذًا: الحسد نوعان: حسد غبطة وحسد عدوان، فحسد الغبطة محمود إذا كان في الخير، وهو أن يتمنى الإنسان من الله مثل ما أُعطِيَ فُلانٌ.

وأما حسدُ العدوانِ فهو عدوانٌ لا يَجُوزُ، وهو من أخلاقِ اليهودِ كما قَالَ تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ

---

(١) رواه مسلم (٨١٥).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١١١).

أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة:١٠٩].

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٤٦- باب قَوْلِ الله تعالَى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة:٦٧].

وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: مِنْ اللهِ الرِّسَالَةُ، وَعَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ [الجن:٢٨]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ [الأعراف:٦٢].

وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ.

وَقَالَتْ عَائِشَةُ: إِذَا أَعْجَبَكَ حُسْنُ عَمَلِ امْرِئٍ فَقُلْ: اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ أَحَدٌ.

وَقَالَ مَعْمَرٌ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾: هَذَا الْقُرْآنُ. ﴿هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة:٢]: بَيَانٌ وَدِلَالَةٌ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ﴾ [الممتحنة:١٠]. هَذَا حُكْمُ اللهِ. ﴿لَا رَيۡبَۛ﴾ [البقرة:٢]: لَا شَكَّ. ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٥٢]: يَعْنِي هَذِهِ أَعْلَامُ الْقُرْآنِ، وَمِثْلُهُ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾ [البقرة:٢٥٢]. يَعْنِي: بِكُمْ.

وَقَالَ أَنَسٌ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالَهُ حَرَامًا إِلَى قَوْمِهِ، وَقَالَ: أَتُؤْمِنُونِي أُبَلِّغُ رِسَالَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُمْ.

هذا البابُ أيضًا يُريدُ منه البخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ أن يُقرر أنَّ فعلَ العبدِ مخلوقٌ.

۞ قوله: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾». الرسولُ هو محمدٌ ﷺ، ولم يَقُلْ: يا أيها النَّبيُّ؛ لأن المناسبَ للبلاغ هو الوصفُ بالرسولِ ﴿بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾. وذلك بأن تقرأه على الناسِ. ﴿وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾. فجعَل إبلاغَه للناسِ فعلًا، وفعلُ العبدِ مخلوقٌ.

۞ ثم قَالَ: «وقال الزهريُّ: من الله الرسالةُ، وعلى رسولِ الله البلاغُ، وعلينا التسليمُ». هذه كلماتٌ جيدةٌ. وهذا من حسنِ الأدبِ مع الله حيث قَالَ: من الله الرسالةُ. ولم يَقُلْ: على الله الرسالةُ. مع أن اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ۝١٢﴾ [الليل:١٢]. فأَوْجَبَ على نفسِه الهدايةَ، ولا هدايةَ إلا عن طريقِ الرسلِ عليهم الصلاةُ والسلامُ، لكن هذا من الزهريِّ رَحِمَهُ اللهُ على سبيلِ الأدبِ.

۞ وقولُه: «وعلى رسولِ الله البلاغُ». والبلاغُ من فعلِه فيكُونُ مخلوقًا.

۞ وقوله: «وعلينا التسليمُ». أي: التسليمُ بما تَقْتَضِيه هذه الرسالةُ، فيَدْخُلُ في ذلك التصديقُ؛ لأن التسليمَ للأوامرِ والنواهي، والتصديقَ للأخبارِ، وكلُّها واجبةٌ علينا، فعلينا أن نَقْبَلَ وعلينا أن نُسَلِّمَ، ولا نَعْتَرِضَ، ولا نَقُولَ: لِمَ؟ بل نَقُولُ: سَمِعْنَا وأَطَعْنَا.

۞ ثم قَالَ: «وقال: ﴿لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ﴾». قوله: وقال. لا يَعُودُ على الزهريِّ، بل يَعُودُ على الله تَعَالَى. وفي هذا إشكالٌ من بعضِ الوجوهِ؛ لأنه عطَف فعلًا على اسمٍ، حيث قَالَ: «بابُ قولِ الله». ثم

قَالَ: «وقال تعالى». ثم قَالَ: «وقال». ولم يَقُلْ أيضًا: «قَالَ اللهُ»، لكن يُوجَدُ نسخةٌ فيها: «وقال الله تعالى». وحينئذٍ يَزُولُ الإشكالُ.

۞ يَقُولُ: «وقال: ﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾». الشاهدُ في هذا قولُه: ﴿أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾. والبلاغُ فعلُ الْمُبَلِّغِ.

۞ ثم قَالَ: «وقال تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي﴾». والتبليغُ فعلُه.

۞ ثم قَالَ: «وقال كعبُ بنُ مالكٍ حينَ تَخَلَّف عن النَّبيِّ ﷺ: وسَيَرى اللهُ عملَكم ورسولُه. وقالت عائشةُ: إذا أَعْجَبَك حسنُ عملِ امرئٍ فقل اعملوا فسَيَرى اللهُ عملَكم ورسولُه والمؤمنون، ولا يَسْتَخِفَّنَّك أحدٌ». ومن العملِ قراءةِ القرآنِ.

فإن قَالَ قائلٌ: هل في أثرِ عائشةَ هذا دليلٌ لمن يَضعُون هذه الآيةَ وهي قولُه تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:١٠٥]. في المحافلِ والمناسباتِ وذلك في معرضِ الثناءِ؟

نَقُولُ: إن صحَّ الأثرُ عنها فإن فيه دليلٌ على أن ما نراه في المحافلِ مبنيٌّ على هذا الأثرِ، لكن سياقُ الآيةِ ليس في معرضِ الثناءِ بل هو في معرضِ التهديدِ.

قَالَ الحافظُ ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ:

زعم مغلطايُ أن عبدَ الله بنَ المباركِ أخرَج هذا الأثرَ في كتابِ البرِّ والصلةِ عن سفيانَ، عن معاويةَ بنِ إسحاقَ، عن عروةَ، عن عائشةَ. وقد وهِم في ذلك، وإنما وقَع هذا في قصةٍ ذكَرها البخاريُّ في كتابِ خلقِ أفعالِ العبادِ من روايةِ عقيلٍ، عن ابنِ شهابٍ، عن عروةَ، عن عائشةَ قَالت: وذكَرتِ الذي كان من شأنِ عثمانَ: ودِدْتُ أني كُنْتُ نسيًا منسيًا، فوالله ما أَحْبَبْتُ أن ينتهك من عثمانَ أمرٌ قط إلا انتهك منِّي مثلَه، حتَّى والله لو أحببت قتله لقتلت، يا عبيد الله بن عدي لا يَغُرَّنَّك أحدٌ بعد الذي تَعلم، فوالله ما احْتَقَرْتُ من أعمالِ أصحابِ رسولِ الله ﷺ حتَّى نجم النَّفر الذين طَعَنُوا في عثمانَ فقالوا قولًا لا يَحْسُنُ مثلُه، وقرأوا قراءةً لا يَحْسُنُ مثلُها، وصلَّوا صلاةً لا يُصَلَّى مثلُها، فلما تَدَبَّرْتُ الصنيعَ إذا هم والله ما يُقَارِبون أصحابَ رسولِ الله ﷺ، فإذا أعجبَك حسنُ قولِ امرئٍ فقل: ﴿اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ ولا يَسْتَخِفَّنَّك أحدٌ.

وأخرَجه ابنُ أبي حاتمٍ من روايةِ يونسَ بن يزيد، عن الزهريِّ قَالَ: أخبرني عروةُ أن عائشةَ كانت تَقُولُ: احْتَقَرْتُ أعمالَ أصحابِ رسولِ الله ﷺ حين نجَم القراءُ الذين طَعَنُوا على عثمانَ فذكَرتْ نحوَه وفيه: فوالله ما يُقَارِبون عملَ أصحابِ رسولِ الله ﷺ، فإذا أَعجبَك حسنُ عملِ امرئٍ منهم فقل: اعملوا... إلى آخرِه.

والمرادُ بالقراءِ المذكورين الذين قاموا على عثمانَ، وأنكروا عليه أشياءَ اعتذر من فعلِها، ثم كانوا مع عليٍّ ثم خرجوا بعد ذلك على عليٍّ، وقد تَقَدَّمَت أخبارُهم مفصلةً في كتابِ الفتنِ.

ودلَّ سياقُ القصةِ على أن المرادَ بالعملِ ما أشارت إليه من القراءةِ والصلاةِ وغيرِها، فسمت كلَّ ذلك عملًا.

۞ وقولُها في آخرِه: «ولا يَسْتَخِفَّنَّكَ أحدٌ». بالخاءِ المعجمةِ المكسورةِ، والفاءِ المفتوحةِ، والنونِ المثقلةِ للتأكيدِ، قال ابنُ التينِ، عن الداوديِّ: معناه: لا تَغْتَرَّ بمدحِ أحدٍ وحاسب نفسَك.

والصوابُ ما قاله غيرُه أن المعنى: لا يَغُرَّنَّك أحدٌ بعملِه فتَظُنَّ به الخيرَ، إلا إن رأيته واقِفًا عند حدودِ الشريعةِ.اهـ

فتَبيَّن من شرحِ الحافظِ رَحِمَهُ اللَّهُ: أنها رضي الله عنها لم تكن تُرِيدُ الثناء بل تُرِيدُ التهديدَ، وأنه ليس في هذا الأثرِ دليلٌ لما يَفْعَلُه بعضُ الناسِ اليومَ من وضعِ وتعليقِ هذه الآيةِ في المحافلِ والمناسباتِ بغرضِ الثناءِ، بل مرادُها رضي الله عنها: أنه إذا أعجبَك حسنُ عملِ امرئٍ من هؤلاءِ الخوارجِ، الذين خرَجوا على عثمانَ ثم على عليٍّ، فقل: ﴿ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾. فيكُونُ تهديدًا وليس ثناءً. ولهذا قالت: ولا يَسْتَخِفَّنَّك أحدٌ؛ يعني: لا يَغُرَّنَّك صلاتُه، وصيامُه، وصدقتُه، فتَظُنَّ به خيرًا.

۞ ثم قال: «وقال معمرٌ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: هَذَا الْقُرْآنُ. ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢]: بَيَانٌ وَدِلَالَةٌ». قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: هَذَا الْقُرْآنُ. والتفسير هنا فيه شيءٌ من النظرِ؛ لأنه فسَّر اسمَ الإشارةِ للبعيدِ باسمِ الإشارةِ للقريبِ، وهذا يُؤَدِّي إلى اختلافِ المعنى؛ لأن قولَه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾. مع أنه بين أيدينا وقريبٌ منا فيه بلاغةٌ هي الإشارةُ إلى علوِّ مكانِه، فهو لعلوِّ مكانِه كأنه بعيدٌ، ثم إن من عادةِ العربِ أن الإشارةَ بالبعيدِ تُفِيدُ تعظيمَ المشارِ إليه، فنَقُولُ مثلًا: فلانٌ ذلك الرجلُ الذي فيه كذا وكذا.

فالصوابُ: أن نَقُولَ: ذلك الكتابُ. أي: ذلك القرآنُ.

۞ ثم قَالَ: «﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢]: بَيَانٌ وَدِلَالَةٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ [الممتحنة:١٠]. هَذَا حُكْمُ اللهِ». يُشِيرُ إلى أن هذه الإشارةَ لا تَقْتَضِي بُعدَ المشارِ إليه عنا حسًّا، لكنها تقتضي عُلُوَّه معنًى.

۞ وقولُه: «﴿لَا رَيْبَ﴾ [البقرة:٢]: لَا شَكَّ». فسَّر فيه الريبَ بالشكِّ وهذا تفسيرٌ مقاربٌ، لكن الريبَ أشدُّ من الشكِّ، قَالَ شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ في «مقدمةِ التفسيرِ»: الريبُ أشدُّ من الشكِّ؛ لأنه شكٌّ بقلقٍ، والشكُّ يكُونُ بلا قلقٍ.

لكنَّ العلماءَ يُفَسِّرونَ الشيءَ بما يُقَرِّبُه إلى الأذهانِ وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ.

ثم قَالَ: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٥٢]: يَعْنِي هَذِهِ أَعْلَامُ الْقُرْآنِ. و«تلك» إشارةٌ للبعيدِ، و«هذه» للقريبِ.

ثم قَالَ: وَمِثْلُهُ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [البقرة:٢٥٢]. يَعْنِي: بِكُمْ. ففيها التفاتٌ، إذ كان ظاهرُ السياقِ أن يُقالَ: وجَريْن بكم. لكنَّ فيه التفاتًا من الخطابِ إلى الغيبِ.

والالتفات في القرآنِ موجودٌ منه، من الخطابِ إلى الغيبةِ، ومن الضميرِ إلى الظاهرِ، ومن الغيبةِ إلى المتكلمِ، وفائدةُ الالتفاتِ العامةُ -التي تَشْمَلُ كل التفاتٍ- هي تنبيهُ المخاطَبِ؛ لأن الكلامَ إذا كان على نسقٍ فربما يَنَام المخاطبُ، ولاسيما إن طالتِ المدةُ أو الجَلسةُ، لكن إذا اختلف النسقُ فكأنه يَقْرَعُه بشيءٍ لينتبه.

فهنا لما قَالَ سبحانَه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِى ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾. فسيَقُولُ السامع لماذا لم يقُلْ: وجرين بكم. فيَنْتَبِهُ الإنسانُ، وهذا فيما إذا كان الإنسانُ يَفْهَمُ المعنى، أما من لا يَفْهَمُ المعنى فالأمرُ عليه واحدٌ، سواءٌ التفت أم لم يَلْتَفِتْ، لكن إذا كان يَفْهَمُ المعنى فسوف يَقِفُ عندما يَكُونُ هناك التفاتٌ ويَنْتَبِهُ.

۞ وقولُه: «﴿ٱلۡفُلۡكِ﴾». يقولون إنها كلمةٌ يَسْتَوِي فيها الجماعةُ والواحدُ. قَالَ اللهُ تبارك وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِى ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ﴾ وهذا للجماعةِ. وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِىَ فِى ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ﴾ [إبراهيم:٣٢]. فهذه لواحدٍ، ولم يَقُلْ (ليجرين).

وأعجبني مرةً في الفقهِ قولُ بعضِ الفقهاءِ: إذا كان الرجلُ أحدبَ فإنه يَنْوِي الركوعَ بقلبِه دونَ إحداثِ فعل لأنه راكعٌ، والأحدبُ هو محني الظهرِ، وهذا يَكُونُ غالبًا في الكبارِ.

قَالَ ابنُ عقيل: كفُلْكٍ في العربيةِ؛ ذلك لأن «فلك» تَصْلُحُ للجماعةِ والواحدِ، وانحناءُ هذا الرجلِ يَصْلُحُ للركوعِ والقيامِ.

فانظرْ كيف جمعَ بينَ النحوِ والفقهِ.

ويُقَالُ: إنَّ الكِسَائيَّ وأبا يوسفَ كانا عندَ هارونَ الرشيدِ -وكان الكِسَائيُّ يقولُ: إذا أتقنْتُ فنًّا من العلومِ اسْتَغْنَيْتَ به عن غيرِه- فاختبره أبو يوسفَ وقال له: ما تقولُ فيما إذا سها الإنسانُ في سجودِ السهوِ؟ قَالَ: أقولُ إنه إذا سها في سجودِ السهو فلا سهوَ عليه. فقال: ومن أين أخذتَ هذا من علمِك -والكِسَائيُّ إمامُ النحوِ- فقال: أخذتُه من قاعدةِ أن المصغَّر لا يُصَغَّرُ، وسجودُ السهوِ بالنسبةِ للصلاةِ مصغَّرٌ.

قد تكونُ هذه الحكايةُ صحيحةً، وقد تكونُ غيرَ صحيحةٍ، فإن كانت صحيحةً فهذه من ظَرافةِ الكسائيِّ، وإلا فالواقعُ أن العلومَ لا يُغْنِي بعضُها عن بعضٍ، ولكن لا شكَّ أن الذي يَكُونُ عندَه قوةٌ في علمٍ من العلومِ فإنه يَسْهُلُ عليه بقيةُ العلومِ الأخرى.

ومرادُ البخاريِّ رَحِمَهُ اللَّهُ من سوقِ كلامِ معمرٍ هذا أن يَضْرِبَ أمثلةً لكونِ الكلامِ يَجْرِي على خلافِ ظاهرِه، كتفسير قولِه: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ بـ «هذا القرآن».

ثم قَالَ: وقال أنسٌ: بعَثَ النَّبيُّ ﷺ خاله حرامًا إلى قومِه وقال: أتؤْمِنوني أبلغُ رسالةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فجعلَ يُحَدِّثُهم.

قَالَ الحافظُ ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (١٣/ ٥٠٦):

۞ قولُه: «قَالَ أنسٌ: بعَثَ النَّبيُّ ﷺ خاله حرامًا إلى قومِه وقال: أتؤْمِنوني أبلغُ رسالةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فجعلَ يُحَدِّثُهم». هذا طَرَفٌ من حديثٍ وصَلَه المؤلفُ في الجهادِ من طريقِ همامٍ، عن إسحاقَ بنِ عبدِ اللهِ بن أبي طلحةَ، عن أنسٍ قَالَ: بعَثَ النَّبيُّ ﷺ أقوامًا من بني سُلَيم إلى بني عامرٍ في سبعينَ راكبًا، فلما قدِموا قَالَ لهم خالي: أتقدَّمُكم فإن أمَّنُوني حتَّى أُبَلِّغَهم عن رَسُولِ اللهِ ﷺ، وإلا كنتم قريبًا مني. فتقدَّم فأمَّنوه، فبينما هو يُحَدِّثُهم عن النَّبيِّ ﷺ، فذكَر القصةَ.

ولفظُه في المغازي عن أنسٍ: فانطلق حرامٌ أخو أمِّ سليم فذكَره وفيه: وإن قتلوني أتيتم

أصحابكم، فقال: أتؤمِنوني أُبلِّغ رسالةَ رَسُولِ الله ﷺ فجعَل يُحدِّثُهم، وأماؤوا إلى رجلٍ منهم فأتاه فطعَنه من خلفِه. الحديثَ. وسياقُه في المغازي أقربُ إلى اللفظِ المعلقِ هنا.

وفي السياقِ حذفٌ تقديرُه بعدَ قولِه أتيتم أصحابكم: فأتى المشركين فقال: أتُؤمِنوني. اهـ

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٥٣٠- حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ يَعْقُوبَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ الرَّقِّيُّ، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ الثَّقَفِيُّ، حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْمُزَنِيُّ، وَزِيَادُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ حَيَّةَ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ حَيَّةَ، قَالَ الْمُغِيرَةُ: أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا ﷺ عَنْ رِسَالَةِ رَبِّنَا أَنَّهُ مَنْ قُتِلَ مِنَّا صَارَ إِلَى الْجَنَّةِ.

الشاهدُ من هذا الحديثِ: قولُه: «أَخبَرَنا عن رسالةِ ربِّنا»، وإخبارُه من فعلِه.

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٥٣١- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ كَتَمَ شَيْئًا. وَقَالَ مُحَمَّدٌ: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ الْعَقَدِيُّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِنَ الْوَحْيِ فَلَا تُصَدِّقْهُ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة:٦٧].

الشاهدُ من هذا الحديثِ قولُه: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾. مع أن الرسولَ كان يتلو القرآنَ تِلاوةً.

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ:

٧٥٣٢- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُرَحْبِيلَ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَدْعُوَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ». قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ». قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ». فَأَنْزَلَ اللهُ تَصْدِيقَهَا: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ﴾ [الفرقان:٦٨-٦٩] الآيَةَ[1].

هذا الحديثُ أيضًا تأكيدٌ لأن أفعالَ الإنسانِ مخلوقةٌ حتَّى ولو كان يَنطِقُ بالقرآنِ.

وهذا الحديثُ فيه أن عبدَ الله بنَ مسعودٍ رضي الله عنه سألَ النَّبيَّ ﷺ: أيُّ الذنبِ أعظمُ -أو أكبرُ- عند

(١) رواه مسلم (٨٦) (١٤٢).

الله؟ وفي حديثٍ آخر سأله: أي العمل أحبُّ إلى الله؟[1] مما يدُلُّ على حرصِ الصحابةِ ﷺ على معرفةِ الأحبِّ إلى الله، والأكبر عندَه سبحانَه من الذنوبِ؛ حتَّى يفعَلُوا الأحبَّ، ويَتْرُكُوا الأعظَمَ، وإن كانوا ﷺ يَتْرُكُون -بقدرِ استطاعتهم- من الذنوبِ ما هو أعظمُ، وما هو دونَ ذلك، لكنَّ الأعظمَ يكونون أشدَّ منه هربًا.

وقد أنزل الله تصديقَ ذلك قولَه: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾.

***

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٧- باب قَوْلِ الله تعالَى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا﴾ [آل عمران:٩٣]. وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أُعْطِيَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ التَّوْرَاةَ فَعَمِلُوا بِهَا، وَأُعْطِيَ أَهْلُ الإِنْجِيلِ الإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا بِهِ، وَأُعْطِيتُم الْقُرْآنَ فَعَمِلْتُمْ بِهِ».

الشاهدُ من هذا الحديثِ قولُه: «فعمِلتم به». فسمَّى التمسك بالتوراةِ والإنجيلِ والقرآنِ عملًا، وسمَّى التوراةَ والإنجيلَ والقرآنَ إيتاءً، وهذا كما ذكرنا يَدُلُّ على أن ذلك من فعلِ العبدِ؛ لأن العملَ بالتوراةِ يَشْمَلُ تلاوةَ التوراةِ، وكذلك الإنجيلُ، وكذلك القرآنُ.

وقولُه تعالى: «﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا﴾». هذه الآيةُ نزَلت عندَ قولِه تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا﴾.

والمقصودُ من ذلك تكذيبُ اليهودِ في منعِهم النسخَ، فإن هذا صريحٌ في النسخِ، فإن إسرائيلَ قد حرَّم على نفسِه شيئًا، ثم نزلتِ التوراةُ بحلِّه، وهذا يَدُلُّ على أن النسخَ جائزٌ عقلًا وواقعٌ شرعًا.

واليهودُ إنما منعوا النسخَ ليُسَوِّغُوا تكذيبَهم لعيسى، ثم تكذيبَهم لمحمدٍ؛ لأنهم قالوا: الشرائعُ لا تُنْسَخُ، فالنسخُ طعنٌ في الله ﷻ؛ لأنه يَلْزَمُ منه البَدَاءُ؛ أي: أنه بدا له غير ما كان عنده أولًا، كما لو أمرتَ خادمَك أن يَفْعَلَ شيئًا ثم بدا لك أنه ليس بمناسبٍ فنهيتَه عنه، فلهذا منعوا النسخَ.

ولكنْ نَقُولُ لهم: إن النسخَ ثابتٌ حتَّى في التوراةِ، وفي جميعِ الشرائعِ، ولا يَلْزَمُ منه البَدَاءُ على الله، وهو الظهورُ بعد الخفاءِ؛ لأن الله عالمٌ بالحكمِ الناسخِ والحكمِ المنسوخِ، لكنَّ حكمةَ الله ﷻ تقتضي أن يُعْمَلَ بالمنسوخِ في وقتِه، وبالناسخِ في وقتِه، والأممُ تَخْتَلِفُ حالُها، وتَخْتَلِفُ أيضًا فيما بينها، فقد يُحَرَّمُ على أمةٍ ما يُحَلَّلُ لغيرِها، وقد يُوجَبُ عليها ما لا يُوجَبُ على غيرِها، ولهذا وصَفَ الله النَّبيَّ ﷺ بأنه: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف:١٥٧].

***

(١) تقدم تخريجه.

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَالَ أَبُو رَزِينٍ: يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ: يَتَّبِعُونَهُ وَيَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ. يُقَالُ: يُتْلَى: يُقْرَأُ، حَسَنُ التِّلَاوَةِ: حَسَنُ الْقِرَاءَةِ لِلْقُرْآنِ. لَا يَمَسُّهُ: لَا يَجِدُ طَعْمَهُ وَنَفْعَهُ إِلَّا مَنْ آمَنَ بِالْقُرْآنِ وَلَا يَحْمِلُهُ بِحَقِّهِ إِلَّا الْمُوقِنُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥﴾ [الجمعة:٥].

قولُه: «وقال أبو رزينٍ: يَتْلُونه حَقَّ تِلَاوَتِهِ: يَتَّبِعُونَهُ وَيَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ». التلاوةُ للقرآنِ. تَنْقَسِمُ إلى قسمينِ:

تلاوةٌ لفظيةٌ، وتلاوةُ اتباع.

أما التلاوةُ اللفظيةُ فظاهرةٌ وهي أن يَقْرَأَ الإنسانُ القرآنَ، فهذا يُقَالُ: تلا القرآنَ.

وتلاوةُ التبعيةِ: هي أن يَتَّبعَ القرآنَ تصديقًا بأخبارِه، وامتثالًا لأحكامِه، وهذه هي الثمرةُ والغايةُ، وقد استدلَّ المؤلفُ لذلك بما ذكرَه عن أبو رزينٍ.

ثم استدلَّ للمعنى الثاني للتلاوةِ وهو القراءةُ، فقال: يُتْلَى: يُقْرَأُ. حَسَنُ التلاوةِ: حَسَنُ القراءةِ للقرآنِ، لا يَمَسُّه: لا يَجِدُ طعمه ونفعَه إلا من آمن بالقرآنِ، ولا يَحْمِلُه بحقِّه إلا الموقنُ. ولكنَّ قولَه تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ [الواقعة:٧٩]. الصحيحُ أن الضميرَ فيه يعودُ على الكتابِ المكنونِ لا على القرآنِ؛ لأن الضميرَ يَعُودُ إلى أقربِ مذكورٍ، ولأن الجملةَ خبريةٌ وليست طلبيةً، ومعلومٌ أن القرآنَ يَمَسُّه المطهَّرُ وغيرُه.

وأما من قَالَ: إن الضميرَ يَعُودُ على القرآنِ، وأن المرادَ: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾؛ أي: الذين تطهَّروا. فهذا ليس بصحيحٍ؛ لأنه لو كان الأمرُ كذلك لقال: لا يمسه إلا المُطَّهِّرُون. كما قَالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ۝٢٢٢﴾ [البقرة:٢٢٢]. وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟﴾ [المائدة:٦].

فالصحيحُ أن الضميرَ في قوله تعالى: ﴿يَمَسُّهُۥٓ﴾ يعودُ إلى الكتابِ المكنونِ.

ثم إن المؤلفَ أشار إلى أن المسَّ قد يَكُونُ حسيًّا وذلك باليد، وقد يَكُونُ معنويًّا وذلك بالقلبِ، فلا يجد طعمَ الإيمانِ، ولا يَصِلُ إلى عظمتِه، ويَنْتَفِعُ به إلا من آمن به.

ثمَّ قَالَ: لقولِه تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة:٥]. وهؤلاءِ هم اليهودُ، فقد حُمِّلُوا التوراةَ بتعليمهم إياها، وتنزيلِها عليهم ولكنهم لم يَحْمِلُوها؛ أي: لم يَقُومُوا بحقِّها، فمثلُهم كمثل الحمارِ يَحْمِلُ أسفارًا؛ أي: يحمل كتبًا، فإنه لا يَنْتَفِعُ بها، فهؤلاء لمَّا حُمِّلُوا التوراةَ ولكن لم يَعْمَلُوا بها صاروا كمثلِ الحمارِ، وشبههم بالحمارِ؛ لأن الحمارَ أبلدُ الحيواناتِ.

ثم قَالَ: ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥﴾ [الجمعة:٥]. قولُه: ﴿بِئْسَ﴾. هذا فعلٌ جامدٌ لإنشاءِ الذمِّ، وقولُه: ﴿مَثَلُ﴾. فاعلٌ، والمخصوصُ محذوفٌ؛ أي: بئس مثلُ القومِ الذين كذَّبوا بآياتِ الله مَثَلُهم.

ثم قَالَ: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. هذه الجملةُ فيها دليلٌ على أنهم ظلَموا أنفسَهم فحُرِمُوا الهُدى، وفيها أيضًا تحذيرُ الإنسانِ من الظلمِ، وأن الإنسانَ إذا ظلَم حُرِمَ الهُدى -والعياذُ باللهِ- وإذا اهتدى زاده اللهُ هُدًى.

والمقصودُ من هذا البابِ أن قراءةَ القارئِ من الأشياءِ المخلوقةِ؛ لأنها فعلُه، والإنسانُ وفعلُه مخلوقان، وأما المقروءُ فإنه كلامُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ غيرُ مخلوقٍ.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ:

وَسَمَّى النَّبِيُّ ﷺ الإِسْلَامَ وَالإِيمَانَ وَالصَّلَاةَ عَمَلًا[1]. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِبِلَالٍ: «أَخْبِرْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلَامِ». قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ إِلَّا صَلَّيْتُ. وَسُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، ثُمَّ الْجِهَادُ، ثُمَّ حَجٌّ مَبْرُورٌ».

كلُّ هذا يَدُلُّ على أن عملَ العبدِ من فعلِه وكسبِه، وإذا كان كذلك فهو مخلوقٌ.

۞وقولُه: «إن الإيمانَ يُسَمَّى عملًا». ذلك كما قَالَ اللهُ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣]. قَالَ العلماءُ: صلاتكم إلى بيتِ المقدسِ[2]. وهي عملٌ، وقد سمَّى النَّبيُّ ﷺ الإيمانَ عملًا حين سُئِل: أيُّ العملِ أفضلُ؟ فقال: «إيمانٌ بالله ورسولِه». والإيمانُ لا شكَّ أنه إقرارُ القلبِ، وما يَتَرَتَّبُ على الإيمانِ من الرجاءِ والخوفِ، فهو عملُ القلبِ.

وهل نَقُولُ: إن الإيمانَ مخلوقٌ؟

نَقُولُ: الإيمانُ مخلوقٌ لا شكَّ؛ لأنه إقرارُ القلبِ واعترافُه، فهو صفةٌ في قلبِ المؤمنِ، والمؤمنُ بصفاتِه مخلوقٌ.

لكنَّ ما يُؤْمَنُ به يَنْقَسِمُ إلى مخلوقٍ وغيرِ مخلوقٍ، فالربُّ عَزَّ وَجَلَّ يُؤْمَنُ به وهو تَبَارَكَ وَتَعَالَى بصفاتِه أزليٌّ أبديٌّ، فهو الخالقُ وما سواه مخلوقٌ، والملائكةُ يُؤْمَنُ بهم وهم مخلوقون، والرسلُ مخلوقون، والكتبُ غيرُ مخلوقةٍ، والقدرُ الذي هو تقديرُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ؛ لأنه من صفاتِه، فالمهمُّ أن الإيمانَ نفسَه الذي هو إيمانُ العبدِ مخلوقٌ؛ لأنه من صفاتِه، وأما المؤمَنُ به فإنه يَنْقَسِمُ إلى مخلوقٍ وغيرِه، حسَبَ ما تقتضيه الأدلةُ الشرعيةُ.

---

(١) أما تسمية النبي ﷺ للإيمان والإسلام عملًا فكما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أي العمل أفضل؟». وهو مسند عند البخاري في «صحيحه» برقم (٢٦).
«التغليق» (٥/ ٣٧٠).

(٢) انظر «تفسير الطبري» (٢/ ١٧، ١٨) و«الدر المنثور» (١/ ٣٥٣).

❊❊❊

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٣٣- حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي سَالِمٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَنْ سَلَفَ مِنَ الأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، أُوتِيَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ التَّوْرَاةَ فَعَمِلُوا بِهَا حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارُ، ثُمَّ عَجَزُوا فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُوتِيَ أَهْلُ الإِنْجِيلِ الإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا بِهِ حَتَّى صُلِّيَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ عَجَزُوا فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُوتِيتُمُ الْقُرْآنَ فَعَمِلْتُمْ بِهِ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأُعْطِيتُمْ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ: هَؤُلَاءِ أَقَلُّ مِنَّا عَمَلًا وَأَكْثَرُ أَجْرًا. قَالَ اللهُ: هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَهُوَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ».

الشاهدُ من هذا الحديثِ قولُه: «فعملوا بها»؛ أي: بالتوراةِ، وفي الإنجيل قَالَ: «عمِلوا به». وفي القرآنِ قَالَ: «عمِلتم به». ومن العملِ به تلاوتُه، فتكُونُ التلاوةُ عملًا، ويكونُ المَتْلُوُّ هو كلامُ اللهِ غيرَ مخلوقٍ.

❊❊❊

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٨- بابٌ وَسَمَّى النَّبِيُّ ﷺ الصَّلَاةَ عَمَلًا[1]. وَقَالَ: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ».

۞ قولُه: وقال: «لا صلاةَ لمن لم يَقْرَأْ بفاتحةِ الكتابِ». الفاتحةُ من الصلاةِ، بل هي ركنٌ في الصلاةِ، فتَدْخُلُ في كونِ قراءةِ الفاتحةِ عملًا، وهذا هو المقصودُ من أن فعلَ الإنسانِ مخلوقٌ، وأما مفعولُه فمنه المخلوقُ، ومنه غيرُ المخلوقِ.

❊❊❊

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٣٤- حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنِ الْوَلِيدِ. ح وحَدَّثَنِي عَبَّادُ بْنُ يَعْقُوبَ الأَسَدِيُّ، أَخْبَرَنَا عَبَّادُ بْنُ الْعَوَّامِ، عَنِ الشَّيْبَانِيِّ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْعَيْزَارِ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ، ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»[2].

السائلُ في هذا الحديثِ هو ابنُ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما جاء مصرَّحًا به قَالَ: سألتُ النَّبيَّ ﷺ: أيُّ العملِ أحبُّ إلى اللهِ؟ قَالَ: «الصلاةُ لوقتِها». قلتُ: ثم أيٌّ؟ قَالَ: «برُّ الوالدين». قلتُ: ثم أيٌّ؟ قَالَ: «الجهادُ في سبيلِ اللهِ». وهذا السياقُ أتمُّ مما ذكره المؤلفُ.

والشاهدُ من هذا الحديثِ: أن الرسولَ ﷺ سمَّى الصلاةَ عملًا، والصلاةُ فيها قراءةُ قرآنٍ.

❊❊❊

---

(١) وذلك كما في حديث الباب برقم (٧٥٣٤).

(٢) رواه مسلم (٨٥) (١٣٧).

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٩ - باب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١﴾ [المعارج:١٩-٢١]. هَلُوعًا: ضَجُورًا.

۞ قولُه تعالى: «﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾». الإنسانُ هنا اسمُ جنسٍ بدليلِ قولِه: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢﴾ [المعارج:٢٢].

۞ وقولُه: «﴿خُلِقَ﴾»؛ أي: خلقَه اللهُ، ﴿هَلُوعًا﴾؛ أي: غيرَ صبورٍ، بل هو ضجورٌ يَتَضَجَّرُ إذا مسَّه الشرُّ، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾.

فإذا مسَّه الشرُّ جزِع. ومن الشرِّ الفقرُ، وإذا مسَّه الخيرُ ومنه الغِنى كان منوعًا، فيَتَضَجَّرُ من غيرِه، ولا يَتَضَجَّرُ من نفسِه، ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣﴾ إلى آخرِ أوصافِهم.

ومناسبةُ البابِ للترجمةِ قَالَ الحافظُ في «الفتح» (١٣/ ٥١١):

قَالَ ابنُ بطالٍ: مرادُه في هذا البابِ إثباتُ خلقِ اللهِ تعالى للإنسانِ بأخلاقِه من الهلعِ والصبرِ والمنعِ والإعطاءِ، وقد استثنى اللهُ المصلين الذين هم على صلاتِهم دائمون لا يَضْجَرون بتكررِها عليهم، ولا يَمْنَعون حقَّ اللهِ في أموالِهم؛ لأنهم يَحْتَسِبُون بها الثوابَ، ويكسِبون بها التجارةَ الرابحةَ في الآخرةِ، وهذا يُفْهَمُ منه أن من ادعى لنفسِه قدرةً وحولًا بالإمساكِ والشحِّ والضجرِ من الفقرِ وقلةِ الصبرِ لقدرِ اللهِ تعالى ليس بعالمٍ ولا عابدٍ؛ لأن من ادعى أن له قدرةً على نفعِ نفسِه أو دفعِ الضرِّ عنها فقد افترى. انتهى ملخصًا.

وأولُه كافٍ في المرادِ، فإن قصدَ البخاريِّ أن الصفاتِ المذكورةَ بخلقِ اللهِ تعالى في الإنسانِ، لا أن الإنسانَ يَخْلُقُها بفعلِه.

وفيه: أن الرزقَ في الدنيا ليس على قدرِ درجةِ المرزوقِ في الآخرةِ، وأما في الدنيا فإنما تَقَعُ العطيةُ والمنعُ بحسَبِ السياسةِ الدنيويةِ، فكان ﷺ يُعْطِي من يَخْشَى عليه الجزعَ والهلعَ لو مُنِعَ، ويَمْنَعُ من يَثِقُ بصبرِه واحتمالِه وقناعتِه بثوابِ الآخرةِ.اهـ

أي: كأن الصفاتِ التي في الإنسانِ من المنعِ والإعطاءِ وغيرِها من جملةِ الصفاتِ التي خُلِقَ عليها، فهو مَنُوعٌ وجَزُوعٌ، بحسَبِ الخِلقةِ التي خلَقه اللهُ عليها.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٣٥ - حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ، عَنِ الْحَسَنِ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ مَالٌ فَأَعْطَى قَوْمًا وَمَنَعَ آخَرِينَ، فَبَلَغَهُ أَنَّهُمْ عَتَبُوا، فَقَالَ: «إِنِّي أُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدَعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ وَالْهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغِنَى وَالْخَيْرِ مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ». فَقَالَ عَمْرٌو: مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ.

۞ قولُه: «مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ». لا شكَّ أن هذا أحسنُ من كلِّ مالٍ أن يشهدَ له

الرسولُ ﷺ بهذه الصفةِ الحميدةِ. وهي ما جعَل اللهُ في قلبه من الغِنى والخيرِ.

وفي هذا الحديثِ: دليلٌ على كمالِ حكمةِ النَّبيِّ ﷺ في معاملةِ الخلقِ، وأنه قد يُعْطِي أقوامًا ويَدَعُ أقوامًا آخرين، وهذا موجودٌ حتَّى في عرفِ الناسِ الآنَ، فتَجِدُه يُعْطِي أقوامًا ولا يُعْطِي آخرين، ويَكِلُهم إلى ما في قلوبِهم وما في قلبِه أيضًا لهم، ولا يَعُدُّون ذلك نقصًا في حقِّهم.

وهكذا ينبغي للإنسانِ في إعطائِه ومنعِه أن يُرَاعِيَ المصلحةَ، حتَّى إذا رأَى أن هذا الشخصَ إذا لم يُعْطِه أُصِيبَ بدِينِه فإنه يُعْطِيه، ويكونُ هذا من بابِ التأليفِ، والتأليفُ على الإسلامِ ابتداءً أو تقويةً مما يجوزُ دفعُ الزكاةِ فيه، فكيف بالصدقاتِ والتبرعِ؟!

****

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٥٠- باب ذِكْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَرِوَايَتِهِ عَنْ رَبِّهِ.

٧٥٣٦- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ، حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ سَعِيدُ بْنُ الرَّبِيعِ الْهَرَوِيُّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ قَالَ: «إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِذَا أَتَانِي مَشْيًا أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»[1].

٧٥٣٧- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، عَنْ يَحْيَى، عَنِ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: رُبَّمَا ذَكَرَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا أَوْ بُوعًا».

وَقَالَ مُعْتَمِرٌ: سَمِعْتُ أَبِي، سَمِعْتُ أَنَسًا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عز وجل.

قد سبَق الكلامُ على هذا الحديثِ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٥٣٨- حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّكُمْ قَالَ: «لِكُلِّ عَمَلٍ كَفَّارَةٌ، وَالصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ»[2].

٧٥٣٩- حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ. ح وَقَالَ لِي خَلِيفَةُ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ قَالَ: «لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى وَنَسَبَهُ إِلَى أَبِيهِ»[3].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٥) (٢).

(٢) رواه مسلم (١١٥١).

(٣) رواه مسلم (٢٣٧٧).

٧٥٤٠- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي سُرَيْجٍ، أَخْبَرَنَا شَبَابَةُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ الْمُزَنِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ -أَوْ مِنْ سُورَةِ الْفَتْحِ- قَالَ: فَرَجَّعَ فِيهَا، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ مُعَاوِيَةُ يَحْكِي قِرَاءَةَ ابْنِ مُغَفَّلٍ؛ وَقَالَ: لَوْلَا أَنْ يَجْتَمِعَ النَّاسُ عَلَيْكُمْ لَرَجَّعْتُ كَمَا رَجَّعَ ابْنُ مُغَفَّلٍ يَحْكِي النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ لِمُعَاوِيَةَ: كَيْفَ كَانَ تَرْجِيعُهُ قَالَ آآآ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[1].

قوله: «آآآ». هذا ترجيعٌ للكلمةِ الممدودةِ، فهو يُرَجِّعُها حتَّى تكونَ كأنها مكررةٌ.

والشاهدُ من هذه الأحاديثِ: أن النَّبيَّ ﷺ يَرْوِي الحديثَ عن الله، وهذه الأحاديثُ تُسَمَّى الأحاديثَ القدسيةَ، وهي أرفعُ من الأحاديثِ النبويةِ ودونَ القرآنِ، فهي في منزلةٍ وسطٍ، ولهذا تُضَافُ إلى الله، فيُقالُ: الأحاديثُ القدسيةُ. ولكن لا يَثْبُتُ لها أحكامُ القرآنِ، فَيَجُوزُ أن تُنْقَلَ بالمعنى، كما تُنْقَلُ الأحاديثُ النبويةِ، ويَقْرَؤها الجنبُ، وغيرُ الجنبِ، ويَمَسُّها المتوضئُ، وغيرُ المتوضئِ، ولا يُتَعَبَّدُ بتلاوتِها؛ يَعْنِي: لا يَتَقَرَّبُ الإنسانُ إلى الله بلفظِها، وإن كان الإنسانُ الذي يَحْفَظُها أو يَحْفَظُ غيرَها من الأحاديثِ النبويةِ يُثابُ على ذلك، ولا تُقْرَأُ في الصلاةِ، ولا يَحْنَثُ بها من حلَفَ ألا يَقْرَأَ القرآنَ، إلى غيرِ ذلك من الأحكامِ التي تُخَالِفُ فيها الأحاديثُ القدسيةِ أحكامَ القرآنِ، وهي نحوُ عشرةِ أحكامٍ، وهذا يَدُلُّ على أنها ليست من كلام الله لفظًا، وإنما الرسولُ ﷺ أضافها إلى الله؛ لأنه أوحى إليه بها على وجهٍ يُخَالِفُ ما يُوحَى إليه في الأحاديثِ النبويةِ.

ولا يُشْكِلُ على هذا أن الرسولَ ﷺ يَقُولُ: قَالَ اللهُ تعالى: كذا وكذا؛ لأن إضافةَ القولِ إلى القائلِ قد تَكُونُ بالمعنى، ومن ذلك أن كلَّ قولٍ قاله الأنبياءُ في القرآنِ فهو منقولٌ عنهم بالمعنى بلا شكٍّ؛ لأن لغتَهم ليستِ اللغةَ العربيةَ، ثم إنَّا نَجِدُ أن الله ﷻ يَقُولُ: إنهم قالوا كذا، وفي آيةٍ أخرى يَقُولُوا خلافَ هذا؛ ولكنَّه بمعناه، مما يَدُلُّ على أن الله تعالى نقَل عنهم ما نقَل بالمعنى، وهذا لا إشكالَ فيه.

وفي الحديثِ الأخيرِ أن الرسولَ ﷺ كان يَقْرَأُ سورةَ الفتحِ، أو منها حينَ دخَل مكةَ، إشارةً إلى أن هذا الفتحَ المذكورَ هو فتحُ مكةَ، وقد جاء ذكرُ الفتحِ في القرآنِ في عدةِ مواضعَ منها: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ①﴾ [الفتح:١]. والمرادُ به فتحُ مكةَ، ومنها: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ①﴾ [النصر:١]. والمرادُ به فتحُ مكةَ، ومنها قولُ الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾ [الحديد:١٠]. والمرادُ به صلحُ الحديبية على القولِ الراجحِ، والذي يُعَيِّنُ هذا المعنى السياقُ أو الوقائعُ.

وفي هذا الحديثِ: دليلٌ على جوازِ ترجيعِ القرآنِ، ولكن هل هو سنةٌ؟

قَالَ بعضُ العلماءِ: إنه سنةٌ.

وقال بعضُ العلماءِ: إنه ليس بسنةٍ، وأن النَّبيَّ ﷺ كان يُرَجِّعُ؛ لأنه كان يهتز والناقةُ تمشي به، فبسببِ الاهتزازِ حصَل منه هذا الترجيعُ.

---

(١) رواه مسلم (٧٩٤) (٢٣٨).

ولكن الظاهرَ هو الأولُ، وأنه كان يُرَجِّعُه قصدًا لا من أجلِ أن الناقةَ كانت تهتز به فيُرَجِّعُ قولَه، وإذا كان كذلك فهو دليلٌ على جوازِ ترجيعِ القرآنِ.

وهل من ذلك ما يُفْعَلُ الآن في بعضِ المساجدِ، وهو ما يُسَمَّى بالصَّدَى -وأنا لم أَسْمَعْ القراءةَ بالصَّدَى- لكن قيل لي: إن بعضَ الناسِ يَجْعَلُون صدًى في مكبرِ الصوتِ، كأنه طبلٌ يَقْرَعُ عليك؟

نَقُولُ: هذا الظاهرُ منه أنه يُغَيِّرُ تركيبَ القرآنِ، ويُحَوِّلُه إلى أن يَجْعَلَ القرآنَ كأنه أغانٍ.

وقولُه: «قَالَ: آآآ. ثلاث مراتٍ».

قَالَ الحافظُ ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (١٣/ ٥١٥):

قولُه: «كيف كان ترجيعُه؟ قَالَ: آآآ ثلاث مراتٍ». قَالَ ابنُ بطالٍ: في هذا الحديثِ إجازةُ القراءةِ بالترجيعِ والألحانِ الملذذةِ للقلوبِ بحسنِ الصوتِ، وقولُ معاويةَ: لولا أن يَجْتَمِعَ الناسُ. يُشِيرُ إلى أن القراءةَ بالترجيعِ تَجْمَعُ نفوسَ الناسِ إلى الإصغاءِ، وتَسْتَمِيلُها بذلك حتَّى لا تكادُ تَصْبِرُ على استماعِ الترجيعِ المشوبِ بلذةِ الحكمةِ المهيِّمةِ.

وفي قولِه: آآآ بمدِّ الهمزةِ والسكونِ دَلالةٌ على أنه ﷺ كان يُرَاعِي في قراءتِه المدَّ والوقفَ. انتهى. وقد تقدم شرحُ هذا كلِّه في أواخرِ فضائلِ القرآنِ في بابِ الترجيعِ.

وقال القرطبيُّ: يُحْتَمَلُ أن يكونَ حكايةَ صورتِه عندَ هزِّ الراحلةِ، كما يَعْتَرِي رافعَ صوتِه إذا كان راكبًا من انضغاطِ صوتِه، وتقطيعِه؛ لأجلِ هزِّ المركوبِ وباللهِ التوفيقُ.

قَالَ ابنُ بطَّالٍ: وجهُ دخولِ حديثَ عبدِ اللهِ بنِ مغفَّلٍ في هذا البابِ أنه ﷺ كان يَرْوِي القرآنَ عن ربِّه. كذا قَالَ.

وقال الكِرمانيُّ: الروايةَ عن الربِّ أعمُّ من أن تَكُونَ قرآنًا أو غيرَه بدون الواسطةِ وبالواسطةِ، وإن كان المتبادَرُ هو ما كان بغيرِ واسطةٍ واللهُ أعلمُ.اهـ

ثم قَالَ الحافظُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قولُه: «فرَجَّع فيها». بتشديدِ الجيمِ؛ أي: ردَّد الصوتَ في الحلقِ، والجهرُ بالقولِ مكرَّرًا بعدَ خفائِه، ووقَع في روايةِ آدمَ عن شعبةَ: وهو يَقْرَأُ سورةَ الفتحِ أو من سورةِ الفتحِ قراءةً لينةً يُرَجِّعُ فيها، وأخرَجه في «فضائلِ القرآنِ» أيضًا.اهـ

وقال القسطلانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قولُه: «آآآ ثلاثَ مراتٍ». بهمزةٍ مفتوحةٍ بعدَها ألفٌ، وهو محمولٌ على الإشباعِ في محلِّه.اهـ

قولُه: «محلِّه». أي: ما يُمْكِنُ فيه الإشباعُ مثلُ الألفِ، والياءِ، والواوِ، والهاءُ المضمومةُ، وما أشبهَ ذلك.

***

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥١- باب مَا يَجُوزُ مِنْ تَفْسِيرِ التَّوْرَاةِ وَغَيْرِهَا مِنْ كُتُبِ اللهِ بِالْعَرَبِيَّةِ وَغَيْرِهَا؛ لِقَوْلِ اللهِ

تَعَالَى: ﴿فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٣)﴾ [آل عمران:٩٣].

❁ قولُه: «بابُ ما يَجُوزُ من تفسيرِ التوراةِ وغيرِها». التوراةُ كانت باللغةِ العبريةِ، والإنجيلُ كان باللغةِ السُّريانية، واللغةُ العبريةُ قريبةٌ من اللغةِ العربيةِ كما قالَ ذلك شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ رَحِمَهُ اللهُ[1]، ولهذا تعلَّمها زيدُ بنُ ثابتٍ -أي: العبريةَ- في ستةِ عشرَ يومًا[2]، وذلك حين أمرَه النبيُّ ﷺ أن يتعلَّمَ لغةَ اليهودِ؛ ليقْرَأَ كتبَهم إذا وردت إلى النبيِّ ﷺ، وليَكْتُبَ لهم ما يَرُدُّه عليهم النبيُّ ﷺ.

وظاهرُ كلامِ البخاريِّ رَحِمَهُ اللهُ حيثُ قالَ: وغيرِها من كتبِ اللهِ بالعربيةِ وغيرِها. أنه يَجُوزُ أن نُفَسِّرَ القرآنَ بغيرِ العربيةِ، وهذه هي الترجمةُ المعنويةُ، فترجمةُ القرآنِ ترجمةً معنويةً جائزةٌ بل واجبةٌ لمن لا يَفْهَمُه إلا بذلك، وأما ترجمةُ القرآنِ ترجمةً لفظيةً فإن هذا لا يُمْكِنُ فضلًا عن كونِه جائزًا أو غيرَ جائزٍ، فهو غيرُ جائزٍ؛ لأنه يُخْرِجُ القرآنَ عن كونِه كلامَ اللهِ، لكن مع ذلك قالوا: إنه لا يُمْكِنُ؛ لأن اللغةَ العربيةَ تُخَالِفُ غيرَها من اللغاتِ في الترتيبِ، والبلاغةِ، وغيرِها، فلا يُمْكِنُ أن يُتَرْجَمَ القرآنُ ترجمةً لفظيةً.

ونَضْرِبُ لهذا مثلًا: في اللغةِ العربيةِ المضافُ سابقٌ على المضافِ إليه، وفي غيرِها العكسُ، وفي اللغةِ العربيةِ الصفةُ متأخرةٌ عن الموصوفِ وفي غيرِها بالعكسِ، فيقالُ عندنا الآن في اللغةِ العاميةِ: مستودَعُ الجازِ. ويُسَمُّونه عندنا في اللغةِ العرفيةِ: «جاز خانة». وأصلُه: خانةُ الجازِ؛ لأن الخانةَ بمعنى المستودَعِ، وفي اللغةِ العربيةِ يُوجَدُ حروفٌ زائدةٌ للتوكيدِ، وتقديمٌ وتأخيرٌ لا يُوجَدُ في اللغاتِ الأخرى، فالترجمةُ اللفظيةُ ممتنعةٌ حسًّا، ممنوعةٌ شرعًا.

أما الترجمةُ المعنويةُ فهي جائزةٌ، بل واجبةٌ لمن يَحْتَاجُ إلى تفهيمِ القرآنِ بالمعنى؛ لأنه يَجِبُ علينا أن نُبَلِّغَ القرآنَ، فإذا وجَبَ علينا أن نُبَلِّغَ القرآنَ وهناك قومٌ لا يَعْرِفون اللغةَ العربيةَ، فإننا نُتَرْجِمُه معنًى إلى لغتِهم حتَّى يَفْهَمُوه.

ثم قالَ: لقولِ اللهِ تعالى: ﴿فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾. وجهُ الدلالةِ من هذه الآيةِ. قولُه: ﴿فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾. وهم سوف يَتْلُونها باللغةِ العربيةِ حتَّى نَفْهَمَ.

❁❁❁

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ:

٧٥٤١- وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ أَنَّ هِرَقْلَ دَعَا تَرْجُمَانَهُ ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَرَأَهُ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ وَ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران:٦٤]. الآيَةَ.

---

(١) انظر «مجموعة الفتاوى» (٤/ ١١٠).

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (٥/ ١٨٦) (٢١٦٨١)، وأبو داود (٣٦٤٥)، والترمذي (٢٧١٥). وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في تعليقه على سنن أبي داود: حسن صحيح.

الشاهدُ من هذا قولُه: دعا تَرْجُمَانَه. والمترجمُ سيترجمُ كلَّ الكتابِ بما فيه الآيـةَ، لكنـه يُتَـرْجِمُ معناها، أما لفظُها فلا يُمْكِنُ حسًّا، ولا يَجُوزُ شرعًا.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٤٢- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ، أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ﴾ [البقرة:١٣٦]». الآيَةَ.

هذا الحديثُ فيه دليلٌ على أنه يُمْكِنُ تحريـفَ المعنـى؛ لقولِـه: «لا تُـصَدِّقُوهم ولا تُكَـذِّبُوهم»، ومعلـومٌ أن التوراةَ النازلةَ من عندِ الله حقًّا يَجِبُ أن تُصَدَّقَ، لكنَّ أهلَ الكتابِ حَرَّفُوا وبَدَّلُوا. هذه من جهةٍ.

ومن جهةٍ أخرى أنهم ربما يُفَسِّرون المعنى الحقَّ بمعنًى باطلٍ.

فها هنا يَعْتَرِي إخبارَ هؤلاءِ عن التوراةِ باللغةِ العربيةِ شيئان:

الأولُ: أنه ربما يكونُ النصُّ المترجَمُ إلى العربيةِ محرَّفٌ.

والثاني: ربما يكونُ النصُّ باقٍ على ما هو عليه لكنهم يُحَرِّفُون المعنى.

هذا وَهُمْ في عهدِ الرسولِ ﷺ واليومَ هم أشدُّ، فلهذا يَجِبُ أن نَحْتَرِزَ من اليهودِ والنصارى فـيما يَبُثُّونه لنا من أفكارٍ أو غيرِها أشدَّ من احترازِ الناسِ في عهدِ الرسولِ ﷺ.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٤٣- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْـنِ عُمَـرَ رضي الله عنهما قَـالَ: أُتِـيَ النَّبِـيُّ ﷺ بِرَجُـلٍ وَامْرَأَةٍ مِنَ الْيَهُودِ قَدْ زَنَيَا، فَقَالَ لِلْيَهُودِ: «مَا تَصْنَعُونَ بِهِمَا؟» قَالُوا: نُسَخِّمُ وُجُوهَهُمَا وَنُخْزِيهِمَا. قَـالَ: «فَـأْتُوا بِـالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ». فَجَاءُوا، فَقَالُوا لِرَجُلٍ مِمَّنْ يَرْضَوْنَ: يَا أَعْوَرُ اقْرَأْ. فَقَرَأَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَوْضِعٍ مِنْهَا فَوَضَـعَ يَدَهُ عَلَيْهِ. قَالَ: «ارْفَعْ يَدَكَ». فَرَفَعَ يَدَهُ فَإِذَا فِيهِ آيَةُ الرَّجْمِ تَلُوحُ. فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ عَلَيْهِمَا الرَّجْمَ، وَلَكِنَّـا نُكَاتِمُـهُ بَيْنَنَـا، فَأَمَرَ بِهِمَا فَرُجِمَا، فَرَأَيْتُهُ يُجَانِئُ عَلَيْهَا الْحِجَارَةَ[1].

الشاهدُ من هذا الحديثِ قولُه: «فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا». وهم سوف يَتْلُونها علينا بالعربيةِ.

وكان رجمُ الزاني حكمًا شرعيًّا في التوراةِ، لكن لمَّا كَثُرَ الزنـا في أشـرافِهم -والعيـاذُ بـالله- فـشقَّ علـيهم أن يَرْجُموا كلَّ يومٍ شريفًا منهم، فقال لهم علماءُ الضلالِ: لا حاجةَ للرجمِ، سنَـضَعُ لكـم قانونًـا جديـدًا وهوتَـسْخِيمُ الوجهِ والخزيُ، وتَسْخِيمُ الوجهِ؛ أي: تسويدُه، والخزيُ قالوا: إنهم يُرَكِّبون الزانيَ والزانيةَ على حمارٍ ويَجْعَلُون وجه

---

(١) رواه مسلم (١٦٩٩).

أحدِهما إلى دُبُرِ الحمارِ، ووجهُ الثاني إلى وجهِ الحمارِ، ويَطُوفُون بهما في الأسواقِ.

ومعلومٌ أن هذا أهونُ من الرجمِ، واستمرُّوا على ذلك وهم في قلقٍ وخوفٍ؛ لأنهم يَعْلَمُون أنهم محرِّفون، فلما بُعِثَ النَّبيُّ ﷺ وقدِم المدينةَ جاءوا إليه وقالوا: لعلكم تَجِدُون عندَ هذا الرجلَ فرجًا - وهم متلاعبون يُريدون أن يَأْخُذُوا من الرسولِ ﷺ ما يَرُوقُ لهم والباقي يَدَعُونَه- وكان ممن أسلَم من أحبارِ اليهودِ عبدُ الله بن سَلامٍ رضي الله عنه، ولذلك فهو يَعْلَمُ أن الرجمَ واجبٌ عليهم فأمرَ النَّبيُّ ﷺ أن يُؤْتَى بالتوراةِ -والظاهرُ أن هذا بمشورةٍ من عبدِ الله بن سَلامٍ؛ لأنه يَعْلَمُ- فلما أَتَوْا بها قالوا الرجلِ عندَهم أعورَ: اقرأ يا أعورَ. وهو عبدُ الله بن سورية -وسبحان الله- جاء القدرُ مناسبًا للشرعِ، فالأعورُ ليس فيه خيرٌ، ولهذا فالدجالُ أعورُ[1]، وأكثرُ من يَتْبَعُه اليهودُ[2]، فاليهودُ كلهم عَوَرٌ، وكلُّهم عيبٌ، وكلُّهم خبثٌ.

فلما قرأ هذا الأعورُ التوراةَ وضَع يدَه على آيةِ الرجمِ من أجلِ الا يَطَّلِعَ عليها المسلمون، فقيل له: ارفَعْ يدَك. فلما رفَع يدَه إذ آيةُ الرجمِ تَلُوحُ واضحةً بينةً، فأمرَ النَّبيُّ ﷺ برجمِهما، فرُجِما، فكان الرجلُ من شدةِ عشقِه للزانيةِ وحنانِه عليها يَنْحَني عليها من أجلِ ألا تُصِيبَها الحجارةُ.

وفي هذا: دليلٌ على وجوبِ إقامةِ الحدِّ على اليهودِ والنصارى، لكن إن كان ذلك واجبًا في شريعتِهم وكان حرامًا، فإنه يَجِبُ علينا إقامةَ الحدودِ عليهم فيما يَعْتَقِدُون تحريمَه دونَ ما يَعْتَقِدُون حلَّه، فلو شربوا الخمرَ فإننا لا نَحُدُّهم، لكننا نَمْنَعُهم من إظهارِ شربِ الخمرِ في بلادِ المسلمين، أما إذا كانوا في بيوتِهم يَشْرَبُونَ الخمرَ، فلا نَتَعَرَّضُ لهم؛ لأنهم يَعْتَقِدون أنه حلالٌ.

كذلك أيضًا إقامةُ الحدودِ عليهم فإنها واجبةٌ علينا فيما يَعْتَقِدُون تحريمه، لكن إذا تَرَافَعُوا إلينا، فإذا تَرَافَعُوا إلينا في معصيةٍ وهم يَعْتَقِدُون أنها معصية فإننا نَحْكُمُ عليهم بحكمنا لا بحكمِهم، قَالَ اللهُ تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ [المائدة:٤٩].

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٢- باب قَوْلِ النَّبيِّ ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ». «وَزَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ».

✿ قولُه: «بابُ قولِ النَّبيِّ ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ»». جزَم المؤلفُ رَحِمَهُ اللَّهُ بأن هذا قولُ النَّبيِّ وللحديثِ بقيةٌ وهو: «والذي يَقْرَأُ القرآنَ ويتتعْتَعُ فيه وهو عليه شاقٌّ له أجران». أي: أجرُ المعاناةِ من التلاوةِ وأجرُ التلاوةِ، أما الماهرُ الذي يَسْهُلُ عليه القراءةُ، ويُؤَدِّيها بأداءٍ جيدٍ فإنه مع السَّفَرَةِ الكرامِ البررةِ الذين ذكَرهم اللهُ في قولِه: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ۝١٣ مَّرۡفُوعَةٖ

---

(١) رواه البخاري (٣٠٥٦)، ومسلم (١٦٩) (٢٧٣).

(٢) رواه مسلم (٢٩٤٤).

مُطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس: ١١-١٦].

وقولُه: «وَزَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ». قَالَ بعضُ العلماءِ: إن هذا الحديثَ على القلبِ، والمعنى: زيِّنوا أصواتَكم بالقرآنِ؛ وذلك لأن القرآنَ زَيْنٌ سواءٌ بأصواتٍ جميلةٍ أو بغيرِ جميلةٍ، ويكون المعنى: زيِّنوا أصواتَكم بالقرآنِ؛ يَعْنِي: اجعلوا أصواتَكم بالقرآنِ حسنةً جميلةً في الأداءِ والنطقِ، وغيرِ ذلك.

ويَحتَمِلُ أن معنى قولِه: «وَزَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ». أي: زيِّنوا القراءةَ بأصواتِكم، بمعنى أن تقرأوا بأصواتٍ جميلةٍ؛ لأن القرآنَ إذا كان بأصواتٍ جميلةٍ يَتَلَذَّذُ الإنسانُ له أكثرَ مما إذا كان بالعكسِ.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٤٤- حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمْزَةَ، حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ يَزِيدَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ»[1].

قولُه: «أَذِنَ». بمعنى: استمع، وهو من الأَذَنِ وهو الاستماعُ؛ يَعْنِي: أن اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لا يَستَمِعُ إلى شيءٍ مثلما يَسْتَمِعُ إلى نبيٍّ حسنِ الصوتِ يَقْرَأُ القرآنِ يَجْهَرُ به.

من هو هذا النبي هل هو رسولُ اللهِ ﷺ أو نبيٌّ آخرَ؟

نَقُولُ: إن كلمةَ «نبيٍّ» قد جاءتْ نكرةً، فيَحْتَمِلُ أنه الرسولُ ﷺ، ويَحْتَمِلُ أنه داودُ، أو غيرُه من الأنبياءِ الذين أعطاهم اللهُ صوتًا حسنًا.

وعلى كلِّ حالٍ فالحديثُ يَدُلُّ على أنه ينبغي للإنسانِ أن يُحَسِّنَ صوتَه بالقرآنِ؛ لأنه كلما حَسُنَ صوتُه كان اللهُ إليه أَسْمَعَ.

****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٤٥- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ وَقَّاصٍ، وَعُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ، عَنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الإِفْكِ مَا قَالُوا وَكُلٌّ حَدَّثَنِي طَائِفَةً مِنَ الْحَدِيثِ قَالَتْ: فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي وَأَنَا حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللهَ يُبَرِّئُنِي وَلَكِنِّي واللهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللهَ يُنْزِلُ فِي شَأْنِي وَحْيًا يُتْلَى، وَلَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى، وَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ﴾. الْعَشْرَ الآيَاتِ كُلَّهَا[2].

هذا الحديثُ فيه: من فضائلِ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ثقتُها باللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وأن اللهَ تعالى سَيُبَرِّئُها، أولًا: لأنها بريئةٌ، وثانيًا: من

---

(١) رواه مسلم (٧٩٢) (٢٣٢).

(٢) رواه مسلم (٢٧٧٠) (٥٦).

أجل الدفاع عن فراشِ الرسولِ ﷺ، وهذا هو الذي وقَع، لكنها ظنَّت ﵂ أن الله تعالى يُخْبِرُ نبيَّـه ببراءتِهـا دونَ أن يَنْزِلَ فيها قرآنٌ يُتْلَى، ولكنَّ الله تعالى أنزَل فيها القرآنُ الذي يُتْلَى؛ لأن الأمرَ عظيمٌ.

والشاهدُ في هذا الحديثِ: قولها: «وحيًا يُتْلَى». أي: يُقْرَأُ، والقراءةُ فعلُ القارئِ.

*****

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٥٤٦- حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا مِسْعَرٌ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ -أُرَاهُ عن الْبَرَاءَ- قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْعِشَاءِ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١﴾ [التين: ١]. فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا أَوْ قِرَاءَةً مِنْهُ[1].

الشاهدُ من هذا الحديثِ: قولُه: «أحسنَ صوتًا أو قراءةً». «أو» هنـا للتنويـعِ وليسـت للـشكِّ؛ يَعْنِي: أن صوتَه أحسنُ الأصواتِ، وأن قراءتَه أحسنُ القراءاتِ.

وهنا ذكر صوتًا وقراءةً، فالقراءةُ هي حسنُ الأداءِ، والصوتُ هو تحسينُ النطـقِ بـالقرآنِ، وكـما هو مشاهدُ فمن الناسِ من يَكُونُ حسنَ الصوتِ والإداءِ، ومن الناسِ من يَكُونُ حسنَ الأداءِ ولـيس حسنَ الصوتِ، ومن الناسِ من يَكُونُ بالعكسِ حسنَ الصوتِ، ضعيفًا في الأداءِ، وخيـرُ النـاسِ مـن كان حسَنَ الصوتِ وحسَنَ الأداءِ، وهذا هو الذي حصَل للرسولِ ﷺ.

وهل نَقُولُ: إنه يُؤخَذُ من هذا الحديثِ استحبابُ قراءة ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ في العشاءِ؟

نَقُولُ: لو واظَب عليها الرسولُ ﷺ لكانت سنةً، أما وإنه لم يُواظِبْ عليها فإنها تَكُونُ قد جـاءت اتفاقًا، وما جاء اتفاقًا فإنه لا يُعْتَبَرُ مشروعًا بعينِه، ولكنْ مع هذا لو قرأها الإنسانُ وهو يَشْعُرُ أنه بذلك متبعٌ لرسولِ الله ﷺ لحصَل على خيرٍ.

*****

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٥٤٧- حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مُتَوارِيًا بِمَكَّةَ وَكَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ، فَإِذَا سَمِعَ الْمُشْرِكُونَ سَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ اللهُ ﷻ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠][2].

قد سبَق الكلامُ على هذا الحديثِ.

*****

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٥٤٨- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الـرَّحْمَنِ بْـنِ أَبِـي

---

(١) رواه مسلم (٤٦٤) (١٧٧).

(٢) رواه مسلم (٤٤٦) (١٤٥).

صَعْصَعَةَ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رضي الله عنه قَالَ لَهُ: «إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الْغَنَمَ وَالْبَادِيَةَ، فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ أَوْ بَادِيَتِكَ فَأَذَّنْتَ لِلصَّلَاةِ فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

في هذا الحديثِ: دليلٌ على أن قراءةَ الإنسانِ مخلوقةٌ؛ لأنها فعلُه؛ لقولِه: ارْفَعْ صوتَك بالنداءِ.

وفيه: دليلٌ على استحبابِ النداءِ للواحدِ، فإذا كان في الباديةِ فإنه يُؤَذِّنُ استحبابًا لا وجوبًا.

وفيه أيضًا: أن ما يَسْمَعُه من الإنسِ والجنِّ وأيِّ شيءٍ يَكُونُ من شجرٍ، أو حجرٍ، أو مَدَرٍ، أو جبالٍ، أو رمالٍ، فإنه يَشْهَدُ له يومَ القيامةِ؛ لقولِ اللهِ تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ [الزلزلة:٤-٥]. والبخاري رحمه الله ساق هذه الأدلةِ الكثيرة؛ لإثبات أن صوت القارئ من فعله فيكون مخلوقًا، أي: أنه لم يقصد قصدًا أوليًّا تحسين الصوت بالقراءة.

***

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رحمه الله:

٧٥٤٩- حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أُمِّهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَرَأْسُهُ فِي حَجْرِي وَأَنَا حَائِضٌ[1].

الشاهدُ من هذا الحديثِ: قولُها: «يَقْرَأُ القرآنَ». فأضافت الفعلَ إليه.

وفي هذا الحديثِ من الفقهِ: دليلٌ على جوازِ قراءةِ القرآنِ والإنسانُ متكئٌ، أو مضطجعٌ؛ لأنه قد جاء في بعضِ ألفاظِ هذا الحديثِ: كان يَتَّكِئُ في حجري ويَقْرَأُ القرآنَ.

وفيه: دليلٌ على أن الحائضَ ليست بنجسةٍ.

وفيه أيضًا: دليلٌ على جوازِ استماعِ الحائضِ لقراءةِ القرآنِ.

ولكن هل لها أن تَقْرَأَ القرآنَ هي بنفسِها؟

في هذا خلافٌ بين العلماءِ، وليس فيه عن النَّبِيِّ ﷺ سنةٌ صحيحةٌ صريحةٌ تَدُلُّ على تحريمِ قراءةِ القرآنِ على الحائضِ، وعلى هذا فنَقُولُ: الأفضلُ ألا تَقْرَأَ القرآنَ طلبًا للثوابِ، ولها أن تَقْرَأَه لدفعِ السُّوءِ، أو لحفظِ ما حفِظت، وما أشبهَ ذلك؛ أي: تقرأ عند الحاجة فقط.

وهذا قول وسط بين من يقول: إنه يجوز لها أن تَقْرَأَ من القرآنِ ما شاءت؛ لعدم وجودِ دليلٍ يَدُلُّ على المنعِ، وبين مَن يَقُولُ: إنها لا تَقْرَأُ شيئًا من القرآنِ.

فالصوابُ أن هذا ينبغي أن يَحْتَاطَ الإنسانُ فيه فيَقُولُ: ما احتاجت إلى قراءتِه لحفظٍ أو أورادٍ تقرأها في الليلِ أو في النهارِ، أو لتعليمِ أبنائِها، أو لتعلمِها، فهذا لا بأسَ به، أما لمجردِ الأجرِ والثوابِ

(١) رواه مسلم (٣٠١) (١٥).

فالأولى ألا تَقْرَأَ؛ لأن هناك أحاديثَ تَمْنَعُ ذلك ولكنها ضعيفةٌ[(١)].

*****

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٣- باب قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ﴾ [المزمل: ٢٠].

٧٥٥٠- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، حَدَّثَنِي عُرْوَةُ أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدٍ الْقَارِيَّ، حَدَّثَاهُ أَنَّهُمَا سَمِعَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ الله ﷺ، فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ الله ﷺ، فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ، فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ فَلَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ؟ قَالَ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ الله ﷺ. فَقُلْتُ: كَذَبْتَ، أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ. فَانْطَلَقْتُ بِهِ أَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا، فَقَالَ: «أَرْسِلْهُ، اقْرَأْ يَا هِشَامُ». فَقَرَأَ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اقْرَأْ يَا عُمَرُ». فَقَرَأْتُ الَّتِي أَقْرَأَنِي. فَقَالَ: «كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ»[(٢)].

هذه القصةُ فيها فوائدُ عظيمةٌ، منها:

أولًا: قوةُ عمرَ رضي الله عنه.

ثانيًا: أن انفعالَ الإنسانِ في صلاتِه بشيءٍ سمِعه لا يُؤَثِّرُ في الصلاةِ، فإذا سمِع شيئًا يُفْرِحُ مثلًا ففرِح وهو في الصلاةِ، أو سمِع شيئًا يُحْزِنُ فحزِن وهو في الصلاةِ أو سمِع شيئًا يُغْضِبُ فغضِب وهو في الصلاةِ، فإن كلَّ هذا جائزٌ. والدليلُ على ذلك قولُه: «فكدتُ أُساورُه في الصلاة فتصبرت». وقوله: «أُساورُه»؛ أي: أُمْسِكُ به في الصلاةِ، لكنَّه تَصَبَّرَ حتَّى انتهى.

وفيه: أنه لا ينبغي للإنسانِ أن يَتَسَرَّعَ في ما دونَ الأهمِّ؛ لأن بقاءَه في صلاتِه أهمُّ من مساورَتِه إياه.

وفيه: دليلٌ على جوازِ تلْبِيب الإنسانِ بردائِه؛ أي: أن يَأْخُذَ بلبَّتِه -وهو رداءٌ معروفٌ على الكتفين- ويَنْصَرِفَ به.

وفيه: دليلٌ على جوازِ الإنكارِ بالقولِ وبالفعلِ؛ لقولِه: «لببتُه فقلتُ: من أقرأك»؟

وفيه: دليلٌ على مسألةٍ مهمةٍ وهي: أن إنكارَ شيءٍ من القرآنِ جاهلًا لا يَكْفُرُ به الإنسانُ؛ لأن

---

(١) ومن ذلك ما رواه الترمذي (١٣١)، وابن ماجه (٥٩٦)، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «لا يقرأ الجنب والحائض شيئًا من القرآن».
قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢١/ ٤٦٠): وهو حديث ضعيف باتفاق أهل المعرفة بالحديث. اهـ.

(٢) رواه مسلم (٨١٨) (٢٧٠).

عمرَ أنكَر القراءةَ التي قرأَها هشامٌ، بل قَالَ له: كذَبتَ. وهذه فرعٌ من فروعِ مسألةِ العذرِ بالجهلِ، فإنه لو أنكَر أحدٌ شيئًا من القرآنِ وهو عالمٌ فإنه يَكْفُرُ، قَالَ العلماءُ: من أنكَر حرفًا واحدًا من القرآنِ وهو يَعْلَمُ فإنه كافرٌ. وعمرُ قد أنكَر هنا عدةَ حروفٍ، لكنه كان جاهلًا لم يَعْلَمْ أن النَّبيَّ ﷺ أجازها.

وفيه: دليلٌ على حسنِ معاملةِ النَّبيِّ ﷺ؛ حيثُ لم يُؤَاخِذْ هشامًا بمجردِ قولِ عمرَ، حتَّى استمع إلى ما عندَه، واستمع أيضًا إلى ما عندَ عمرَ.

وفيه أيضًا: دليلٌ على إيقانِ الصحابةِ وإيمانِهم، فإن عمرَ ﷺ لم يَلْحَقْه الشكُّ حين قَالَ الرسولُ ﷺ لهشامٍ: «كذلك أُنزِلَتْ». وكذلك قَالَ لعمرَ مع أنه قرَأ خلافَ ما قرَأ هشامٌ، ومع ذلك لم يَحْصُلْ عندَه ريبٌ أو شكٌّ.

وفيه: أن القرآنَ أولَ ما نزَل كان على سبعةِ أحرفٍ؛ أي: كان موسَّعًا فيه، حتَّى إنه كان يُوَسَّعُ لبعضِ الناسِ في لغتِهم؛ أي: كان لهم أن يقرأوه بلغتِهم، لكن بعدَ ذلك حصَره الصحابةُ ﷺ على حرفٍ واحدٍ وهو لغةُ قريشٍ، خوفًا من الفتنةِ التي وقَعت في عهدِ عثمانَ بنِ عفانَ ﷺ، وكاد الناسُ يَقْتَتِلون، حيثُ كان يقرأه بعضُهم على حرفٍ، والبعضُ الآخرُ على حرفٍ آخرَ، فجيءَ إلى عثمانَ وشُكِيَ إليه الأمرُ، فأقام اللجنةَ المعروفةَ لجمعِ القرآنِ على حرفٍ واحدٍ[1].

وفي الحديثِ: فوائدُ أخرى لكنَّ بعضَها قد مرَّتْ.

فإن قيل: هل يُؤْخَذُ من هذا الحديثِ أن الإمامَ إذا أخطَأ في الصلاةِ خطأً لا يُسْمَحُ به أنه يُنَحَّى عن الإمامةِ ويَتَقَدَّمُ أحدٌ سواه؟

فالجوابُ: إذا كان خطأُه يُحِيلُ المعنى ورددْنا عليه، ولكن أبى وأصرَّ، فحينئذٍ نَأْخُذُ به ونردُّه، ويُصَلِّي مكانَه من يُقِيمُ القراءةَ، أما إذا كان خطأُهُ لا يُحِيلُ المعنى فإن أخذَه وردَّه يكونُ به فتنةٌ.

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٤- باب قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر:١٧]. وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ». يُقَالُ: مُيَسَّرٌ: مُهَيَّأٌ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: يَسَّرْنَا القُرْآنَ بِلِسَانِكَ: هَوَّنَّا قِرَاءَتَهُ عَلَيْكَ.

وَقَالَ مَطَرٌ الْوَرَّاقُ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ قَالَ: هَلْ مِنْ طَالِبِ عِلْمٍ فَيُعَانَ عَلَيْهِ.

۞ قولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾. هذه الجملةُ مؤكَّدةٌ بثلاثِ مؤكِّداتٍ كما هو معروفٌ وهي: القَسَمُ، واللامُ، وقَدْ.

والتيسيرُ: هو التسهيلُ والتهيئةُ، فقولُه: ﴿يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ﴾. أي: هيأناه وسهَّلناه للذكرِ.

---

(١) رواه البخاري (٤٩٨٦).

والذكرُ: بمعنى التذكيرِ بدليلِ قولِه: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾. أي: هل من متذكرٍ، فالإنسانُ إذا رجَع للقرآنِ ليتذكرَ به فإن الله تعالى يُيَسِّرُ له التذكرَ به، وإذا أعرض عنه فإنه يُحَالُ بينَه وبينَ الانتفاعِ به.

۞ وقولُه: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾. قَالَ فيه مطرٌ الورَّاقُ: هل من طالبِ علمٍ فيُعانَ عليه. لأن طالبَ العلمِ إذا طلَبه بصدقٍ فلابدَّ أن يَتَذَكَّرَ.

وهنا قَالَ: فيُعانَ عليه. بالفتحِ؛ لأنه جوابُ الاستفهامِ.

ومناسبةُ هذا البابِ للترجمةِ، قَالَ الحافظُ ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (١٣/ ٥٢١):

۞ قولُه: «بابُ قولِ الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾». قيل: المرادُ بالذكرِ: الأذكارُ والاتعاظُ. وقيل: الحفظُ. وهو مقتضى قولِ مجاهدٍ.

۞ قوله: وقال النَّبيُّ ﷺ: «كلٌّ ميسرٌ لما خُلِق له». فذكَره موصولًا في البابِ من حديثِ عليٍّ.

۞ قولُه: وقال مجاهدٌ: يسَّرنا القرآنَ بلسانِك هوَّنَّاه عليك. في روايةِ غيرِ أبي ذرٍّ: هوَّنَّا قراءتَه عليك. وهو بفتحِ الهاءِ والواوِ وتشديدِ النونِ من التهوينِ، وقد وصَله الفِرْيَابِيُّ، عن ورقاءَ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ، عن مجاهدٍ في قولِه تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾. قَالَ: هوَّنَّاه.

قَالَ ابنُ بَطَّالٍ: تيسيرُ القرآنِ: تسهيلُه على لسانِ القارئِ، حتَّى يُسارِعَ إلى قراءتِه، وربما سبَق لسانُه في القراءةِ فيُجاوزُ الحرفَ إلى ما بعدَه، ويحذفُ الكلمةَ حرصًا على ما بعدَها. انتهى. وفي دخولِ هذا في المرادِ نظرٌ كبيرٌ.

۞ قولُه: «وقال مطرٌ الورَّاقُ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ قَالَ: هل من طالبِ علمٍ فيُعانَ عليه». وقع هذا التعليقُ عندَ أبي ذرٍّ عن الكُشْمِيهَنِي وحدَه، وثبتَ أيضًا للجُرْجَانيِّ عن الفَرَبْرِيِّ، ووصَله الفِرْيَابِيِّ عن ضَمْرَةَ بنِ رَبِيعَةَ، عن عبدِ الله بنِ شَوْذَبٍ، عن مَطَرٍ.

وأخرَجه أبو بكرِ بن أبي عاصمٍ في كتابِ العلمِ من طريقِ ضمرةَ.

ثم ذكَر حديثَ عمرَانَ بنِ حُصَيْنٍ: قلتُ: يا رسولَ الله. وهو مختصَرٌ من حديثٍ سبَق في كتابِ القدرِ فيه: عن عِمران قَالَ: قَالَ رجلٌ: يا رَسُولَ الله، أَيُعْرَفُ أهلُ الجنةِ من أهلِ النارِ؟ قَالَ: «نعمْ». قَالَ: فلِمَ يَعْمَلُ العاملون؟

وقد تَقَدَّم شرحُه هناك. اهـ

ثم قَالَ ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في آخرِ شرحِ هذا البابِ:
قلتُ: وكأن مناسبةَ هذا البابِ لما قبلَه من جهةِ الاشتراكِ في لفظِ «التيسيرِ». والله أعلمُ. اهـ

*****

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٥١- حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ قَالَ يَزِيدُ: حَدَّثَنِي مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ الله، عَنْ عِمْرَانَ

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ فِيمَا يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟ قَالَ: «كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»[1].

٧٥٥٢- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مَنْصُورٍ، وَالأَعْمَشِ، سَمِعَا سَعْدَ بْنَ عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ فِي جَنَازَةٍ فَأَخَذَ عُودًا فَجَعَلَ يَنْكُتُ فِي الأَرْضِ، فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ أَوْ مِنَ الْجَنَّةِ». قَالُوا: أَلَا نَتَّكِلُ؟ قَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥﴾ [الليل:٥]. الآيَةَ»[2].

هذان الحديثان سبقا والشاهدُ منهما قولُه: «فكلٌّ ميسرٌ». وفي اللفظِ الأولِ: «ميسرٌ لما خُلِقَ له».

فأهلُ الجنةِ يُيَسَّرون لعملِ أهلِ الجنةِ، وأهلُ النارِ يُيَسَّرون لعملِ أهلِ النارِ، فإذا رأيتَ أنَّ اللهَ قد يسَّر لك العباداتِ وسهَّلها على نفسِك، فاعلم أن هذه بشرى خيرٍ، وإذا رأيتَ شخصًا قد عسَّر اللهُ عليه العباداتِ فاعلم أن هذه بشرى سوءٍ؛ لأن أهلَ الشقاوةِ يُيَسَّرون لعملِ أهلِ الشقاوةِ.

*****

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رحمه الله:

٥٥- باب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾ [البروج:٢١-٢٢]. ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝٢﴾ [الطور:١-٢].

قَالَ قَتَادَةُ: مَكْتُوبٌ. يَسْطُرُونَ: يَخُطُّونَ. فِي أُمِّ الْكِتَابِ: جُمْلَةِ الْكِتَابِ وَأَصْلِهِ. مَا يَلْفِظُ: مَا يَتَكَلَّمُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا كُتِبَ عَلَيْهِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُكْتَبُ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ. يُحَرِّفُونَ: يُزِيلُونَ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُزِيلُ لَفْظَ كِتَابٍ مِنْ كُتُبِ اللهِ عز وجل، وَلَكِنَّهُمْ يُحَرِّفُونَهُ: يَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ، دِرَاسَتُهُمْ: تِلَاوَتُهُمْ. وَاعِيَةٌ: حَافِظَةٌ. وَتَعِيَهَا: تَحْفَظُهَا. ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ﴾ [الأنعام:١٩]. يَعْنِي: أَهْلَ مَكَّةَ، وَمَنْ بَلَغَ هَذَا الْقُرْآنُ فَهُوَ لَهُ نَذِيرٌ.

هذا البابُ مُشْتَمِلٌ على أمورٍ متعددةٍ:

أولًا: قولُه: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾. هذا آخرُ سورةِ البروجِ. وقولُه: ﴿هُوَ﴾. الضميرُ فيه يعودُ على القرآنِ. و﴿مَّجِيدٌ﴾: ذو العظمةِ، وإذا كان القرآنُ مجيدًا فإنَّ مَن تمسَّك به نال المجدَ.

۞ وقولُه: «﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾». أي: في اللوحِ المحفوظِ عندَ اللهِ عز وجل.

۞ وقولُه: «﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝٢﴾». الطورُ هو الجبلُ المعروفُ، ﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾. أي: مكتوبٍ، وهو مأخوذٌ من السطرِ؛ لأن الكتابَ يُكْتَبُ على وجهِ الأسطرِ.

والمرادُ بهذا الكتابِ المسطورِ، إما إنه اللوحُ المحفوظُ، وإما إنه القرآنُ، ويُؤَيِّدُه قولُه: ﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣﴾ [الطور:٢-٣]. والرقُّ: الجلدُ. وكانوا فيما سبق يَكْتُبُون القرآنَ في الجلودِ، وفي

---

(١) رواه مسلم (٥٦٤٩) (٩).

(٢) رواه مسلم (٢٦٤٧)(٧).

عَسِيبِ النخل، وفي اللِّخَافِ -وهي حجارةٌ رقيقةٌ ملساءُ- وغيرِ ذلك.

۞وقولُه: «﴿وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ [القلم:١]». قال: يَسْطرُون: يَخُطُّون؛ لأن الخطاط يُسَطِّرُ المكتوبَ.

۞ثم قَالَ: «في أمِّ الكتابِ»: جملةِ الكتابِ وأصلِه. يُشِيرُ إلى قولِه تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ [الزخرف:٤].

۞وقولُه: «ما يلفظُ من قولٍ»: ما يَتكلَّمُ من شيءٍ إلا كُتِبَ عليه. يُشِيرُ إلى قولِه تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق:١٨]. وقولُه: إلا كُتِبَ عليه. فيه شيءٌ من القصورِ، ولهذا أردفها بقولِه: وقال ابنُ عباسٍ: يُكْتَبُ الخيرُ والشرُّ، وعلى هذا فيكونُ قولُه: ﴿مِن قَوْلٍ﴾. عامًّا لأقوالِ الخيرِ وأقوالِ الشرِّ. ثم قَالَ تعالى: ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ يُرَاقِبُه، ﴿عَتِيدٌ﴾ حاضرٌ لا يَغِيبُ.

۞ثم قَالَ: «يُحَرِّفُون»: يُزيلون، وليس أحدٌ يُزِيلُ لفظَ كتابٍ من كتبِ اللهِ ﷻ، ولكنهم يُحَرِّفُونه: يَتَأَوَّلُونه على غيرِ تأويلِه. قوله: يُحَرِّفُون. مأخوذٌ من التحريفِ وهو صرفُ الشيءِ، يُقَالُ: انحرفتِ الدابةُ. أي: انصرفت. ويُقَالُ: حرَّفتُ كذا. أي: صرفتُه، وهو بمعنى التغييرِ والإزالةِ عن موضعِه، فقولُه: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء:٤٦]؛ أي: يُزِيلُونه عن مواضعِه.

ولكن هل التحريفُ يَكُونُ لفظيًّا أو معنويًّا أو يكونُ هذا وهذا؟

نقولُ: يَكُونُ هذا وهذا، فقد يَكونُ لفظيًّا، وقد يكونُ معنويًّا، وقد يكونُ لفظيًّا معنويًّا. فإذا قَالَ القارئُ: «قل أعوذُ بربَّ الناسَ». فهذا تحريفٌ لفظيٌّ لكن لا يتغيرُ به المعنى.

وإذا قَالَ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ أي: ملكه وقهرَه. فهذا تحريفٌ معنويٌّ.

وإذا قرأ القارئُ: (وكلَّم اللهَ موسى تكليمًا) فهذا تحريفٌ لفظيٌّ معنويٌّ.

وكلُّه مذمومٌ، لكن أشدُّه التحريفُ اللفظيُّ المعنويُّ.

۞ وقولُه: «وليس أحدٌ يُزِيلُ لفظَ كتابٍ من كتبِ اللهِ». يَعْنِي: في الغالبِ، وإلا فإنهم -أي: الذين حرَّفوا- ربما يُغَيِّرون، فيزيدون أو يَنْقُصون.

۞ وقولُه: «دراستُهم»: تلاوتُهم. يُشِيرُ بذلك إلى قولِه تعالى: ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ۝١٥٦﴾ [الأنعام:١٥٦]. أي: تلاوتِهم.

۞ قوله: «واعيةٌ»: حافظةٌ. يُشِيرُ بذلك إلى قولِه تعالى: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ۝١٢﴾ [الحاقة:١٢]. تَعِيها؛ أي: تَحْفَظُها.

۞ ثم قَالَ: «﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾». يَعْنِي: أهلَ مكةَ. يُرِيدُ بذلك أن الخِطابَ في قولِه: ﴿لِأُنذِرَكُم﴾. يَعُودُ إلى أهلِ مكةَ، ﴿وَمَنۢ بَلَغَ﴾. أي: من بلَغه هذا القرآنُ من غيرِ أهلِ مكةَ.

۞ ثم قَالَ: «ومن بلَغ هذا القرآنُ فهو له نذيرٌ».

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٥٣- و قَالَ لِي خَلِيفَةُ بْنُ خَيَّاطٍ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، سَمِعْتُ أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ

أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لمَّا قَضَى اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ كِتَابًا عِنْدَهُ: غَلَبَتْ -أَوْ قَالَ: سَبَقَتْ- رَحْمَتِي غَضَبِي فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ»[1].

٧٥٥٤- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي غَالِبٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ أَنَّ أَبَا رَافِعٍ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي. فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ»[2].

الشاهدُ من هذا الحديثِ: قولُه: «كتَب كتابًا عندَه». وكأن المؤلفَ رحمه الله يُشِيرُ بهذا إلى قولِه تعالى: ﴿وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢﴾ [الطور:٢].

قَالَ الحافظُ ابنُ حجرٍ رحمه الله في «الفتح» (١٣/ ٥٢٢-٥٢٦):

۞قولُه: «بابُ قولِ اللهِ تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ۝٢٢﴾». قَالَ البخاريُّ في «خلقِ أفعالِ العبادِ» بعدَ أن ذَكَرَ هذه الآيةَ والذي بعدَها: قد ذكر اللهُ أن القرآنَ يُحْفَظُ ويُسْطَرُ، والقرآنُ المَوْعِيُّ في القلوبِ المسطورُ في المصاحفِ المتلوُّ بالألسنةِ كلامُ اللهِ ليس بمخلوقٍ، وأما المدادُ والورقُ والجلدُ فإنه مخلوقٌ.

۞قولُه: «﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢﴾ قَالَ قتادةُ: مكتوبٌ». وصَله البخاريُّ في «خلقِ أفعالِ العبادِ» من طريقِ يزيدَ بنِ زُرَيْعٍ، عن سعيدِ بنِ أبي عَروبةَ، عن قتادةَ في قولِه: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢﴾. قَالَ: المسطورُ: المكتوبُ. ﴿فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣﴾. هو الكتابُ، وصَله عَبْدُ بنُ حُمَيْدٍ من روايةِ شيبانَ بنِ عبد الرحمنِ، وعبدُ الرزاقِ، عن معمرٍ كلاهما عن قتادةَ نحوَه.

وأخرَج عبدُ بنُ حميدٍ، عن ابن أبي نَجيحٍ عن مجاهدٍ في قولِه: ﴿وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢﴾ قَالَ: صحفٌ مكتوبةٌ. ﴿فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣﴾ قَالَ: في صحفٍ. قولُه: (يَسْطُرُون: يَخُطُّون) أي: يَكْتُبُون، أورَده عبدُ بنُ حميدٍ من طريقِ شيبانَ بنِ عبدِ الرحمنِ، عن قتادةَ في قوله: ﴿وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾ قَالَ: وما يَكْتُبُون.

۞قولُه: «في أم الكتاب: جملةِ الكتابِ وأصلِه» وصَله أبو داودَ في كتابِ «الناسخ والمنسوخ» من طريقِ معمرٍ عن قتادةَ في قولِه: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ۝٣٩﴾ [الرعد:٣٩]. قَالَ: جملةِ الكتابِ وأصلِه. وكذا أخرَجه عبدُ الرزاقِ في تفسيرِه، عن معمرٍ، عن قتادةَ.

وعندَ ابنِ أبي حاتمٍ من طريقِ عليِّ بنِ أبي طلحةَ، عن ابنِ عباسٍ في قولِه تعالى: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يَقُولُ: جملةُ ذلك عندَه في أمِّ الكتابِ الناسخِ والمنسوخِ، وما يُكْتَبُ وما يُبَدَّلُ.

۞قولُه: «ما يلفظ من قول» ما يَتكلَّمُ من شيءٍ إلا كُتِبَ عليه، وصَله ابنُ أبي حاتمٍ من طريقِ شعيبِ بنِ إسحاقَ، عن سعيدِ بنِ أبي عَروبةَ، عن قتادةَ، والحسنِ في قولِه: «ما يلفظ من قول». قَالَ:

---

(١) رواه مسلم (٢٧٥١).
(٢) رواه مسلم (٢٧٥١).

ما يَتكلَّمُ به من شيءٍ إلا كُتِبَ عليه. ومن طريقِ زائدةَ بنِ قدامةَ، عن الأعمشِ عن مجمعٍ قَالَ: المَلَكُ مدادُه: ريقُه، وقلمُه: لسانُه.

قولُه: «وقال ابنُ عباسٍ: يُكْتَبُ الخيرُ والشرُّ». وصَله الطبريُّ وابنُ أبي حاتمٍ من طريقِ هشامِ بنِ حسانَ، عن عكرمةَ، عن ابنِ عباسٍ في قولِه تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾ قَالَ: إنما يُكْتَبُ الخيرُ والشرُّ.

وأخرَج أيضًا من طريقِ عليِّ بنِ أبي طلحةَ، عن ابنِ عباسٍ في قولِه تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ قَالَ: يُكْتَبُ كلُّ ما تكلَّمَ به من خيرٍ أو شرٍّ حتَّى إنه لَيُكْتَبُ قولُه: أكلتُ، شربتُ، ذهبتُ، جئتُ، رأيتُ. حتَّى إذا كان يومَ الخميسِ عُرِضَ قولُه وعملُه، فأُقِرَّ ما كان من خيرٍ أو شرٍّ، وأُلْقِيَ سائرُه، فذلك قولُه: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾.

وأخرَج الطبريُّ هذا من طريقِ الكلبيِّ، عن أبي صالحٍ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ رِئابٍ -بكسرِ الراءِ، ثم ياءٌ مهموزةٌ، وآخِرُه موحدةٌ- والكلبيُّ متروكٌ، وأبو صالحٍ لم يُدْرِكْ جابرًا هذا.

وأخرَج الطبريُّ من طريقِ سعيدِ بنِ أبي عروبةَ، عن قتادةَ عن أنسٍ: «ما يلفظ من قول». ما يَتكلَّمُ به من شيءٍ إلا كُتِبَ عليه. وكان عكرمةُ يَقُولُ: إنما ذلك في الخيرِ و الشرِّ.

قلتُ: ويُجْمَعُ بينهما بروايةِ عليِّ بنِ أبي طلحةَ المذكورةِ.

قولُه: «يُحَرِّفُون: يُزِيلُون». لم أَرَ هذا موصولًا من كلامِ ابنِ عباسٍ من وجهٍ ثابتٍ، مع أن الذي قبلَه من كلامِه، وكذا الذي بعدَه وهو قولُه: «دراستُهم: تلاوتُهم» وما بعدَه.

وأخرَج جميعَ ذلك ابنُ أبي حاتمٍ من طريقِ عليِّ بنِ أبي طلحةَ، عن ابنِ عباسٍ، وقد تقدَّم في بابِ قولِه: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن: ٢٩] عن ابنِ عباسٍ ما يُخالِفُ ما ذُكِر هنا، وهو تفسيرُ يُحَرِّفُون بقولِه: يُزِيلُون، نعمْ أخرَجه ابنُ أبي حاتمٍ من طريقِ وهبِ بنِ مُنَبِّهٍ، وقال أبو عبيدةَ في كتاب المجاز في قولِه: (يحرفون الكلم عن مواضعه) قَالَ: يَقْلِبُون ويُغَيِّرون، وقال الراغبُ: التحريفُ: الإمالةُ، وتحريفُ الكلامِ أن يَجْعَلَه على حرفٍ من الاحتمالِ؛ بحيثُ يُمْكِنُ حملُه على وجهين فأكثرَ.

قولُه: «وليس أحدٌ يُزِيلُ لفظَ كتابٍ من كتبِ اللهِ ﷻ ولكنَّهم يُحَرِّفُونه: يَتأَوَّلُونه عن غيرِ تأويلِه» في روايةِ الكُشْمِيهَني: «يَتأَوَّلُونه على غيرِ تأويلِه» قَالَ شيخُنا ابنُ المُلَقِّنِ في شرحه: هذا الذي قاله أحدُ القولين في تفسيرِ هذه الآيةِ وهو مُختارُه -أي البخاريِّ- وقد صرَّح كثيرٌ من أصحابِنا بأن اليهودَ والنصارى بدَّلوا التوراةَ والإنجيلَ، وفرَّعوا على ذلك جوازَ امتهانِ أوراقِهما، وهو يُخالِفُ ما قاله البخاريُّ هنا. انتهى، وهو كالصريحِ في أن قولَه: «وليس أحدٌ» إلى آخرِه من كلامِ البخاريِّ ذيَّل به تفسيرَ ابنِ عباسٍ، وهو يَحتَمِلُ أن يَكُونَ بقيةَ كلامِ ابنِ عباسٍ في تفسيرِ الآيةِ.

وقد صرَّح بعضُ الشراحِ المتأخرين: اختُلِف في هذه المسألةِ على أقوالٍ، أحدُها: أنها بُدِّلَتْ كلُّها وهو مقتضى القولِ المحكيِّ بجوازِ الامتهانِ، وهو إفراطٌ، ويَنْبَغِي حملُ إطلاقِ من أطلَقه على الأكثرِ وإلا فهي مكابرةٌ، والآياتُ والأخبارُ كثيرةٌ في أنه بَقِيَ منها أشياءُ كثيرةٌ لم تُبَدَّلْ، من ذلك قولُه

تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف:١٥٧]. الآيةَ، ومن ذلك قصةُ رجمِ اليهوديين، وفيه وجودُ آيةِ الرجم، ويُؤَيِّدُه قولُه تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [آل عمران:٩٣].

ثانيها: أن التبديلَ وقَع ولكن في معظمِها، وأدلتهُ كثيرةٌ، ويَنْبَغِي حملُ الأوَّلِ عليه.

ثالثُها: وقعَ في اليسيرِ منها ومعظمُها باقٍ على حالِه، ونصَره الشيخُ تَقِيُّ الدينِ ابنُ تيميةَ في كتابِه: «الردُّ الصحيحُ على من بدَّل دينَ المسيحِ».

رابعُها: إنما وقَع التبديلُ والتغييرُ في المعاني، لا في الألفاظِ، وهو المذكورُ هنا.

وقد سُئِلَ ابنُ تيميةَ عن هذه المسألةِ مجردًا، فأجاب في فتاويه أن للعلماءِ في ذلك قولين، واحتجَّ للثاني من أوجهٍ كثيرةٍ، منها: قولُه تعالى: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام:١١٥]. وهو معارَضٌ بقولِه تعالى: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾ [البقرة:١٨١]. ولا يَتَعَيَّنُ الجمعُ بما ذكَر من الحمل على اللفظِ في النفي، وعلى المعنى في الإثباتِ؛ لجوازِ الحملِ في النفي على الحكمِ، وفي الإثباتِ على ما هو أعَمُّ من اللفظِ والمعنى، ومنها أن نسخَ التوراةِ في الشرقِ والغربِ والجنوبِ والشمالِ لا يَخْتَلِفُ، ومن المحالِ أن يقَع التبديلُ فيَتَوارَدُ النسخُ بذلك على منهاجٍ واحدٍ، وهذا استدلالٌ عجيبٌ؛ لأنه إذا جاز وقوعُ التبديل جاز إعدامُ المبدَّلِ، والنُّسَخُ الموجودةُ الآن هي التي استقرَّ عليها الأمرُ عندَهم عند التبديل، والأخبارُ بذلك طافحةٌ.

أما فيما يَتَعَلَّقُ بالتوراةِ فلأن بخْتُنَصَّرَ لما غزا بيتَ المقدسِ، وأهلَك بني إسرائيلَ، ومزَّقهم بينَ قتيلٍ وأسيرٍ، وأعدَم كتبَهم، حتَّى جاء عُزَيْرًا فأملاها عليهم.

وأما فيما يَتَعَلَّقُ بالإنجيل فإن الرومَ لما دخَلوا في النصرانيةِ جمَع ملكُهم أكابرَهم على ما في الإنجيلِ الذي بأيديهم، وتحريفُهم للمعاني لا يُنكَرُ، بل هو موجودٌ عندَهم بكثرةٍ، وإنما النزاعُ: هل حرفت الألفاظ أو لا؟ وقد وُجِد في الكتابين ما لا يَجُوزُ أن يَكُونَ بهذه الألفاظِ من عندِ الله ﷻ أصلًا.

وقد سرَد أبو محمدِ بنِ حزمٍ في كتابِه: «الفِصَلُ في المللِ والنِّحَلِ» أشياءَ كثيرةً من هذا الجنسِ، من ذلك أنه ذكَر أن في أولِ فصلٍ في أولِ ورقةٍ من توراةِ اليهودِ التي عندَ رهبانِهم وقرائِهم، وعاناتِهم وعيسَوِيِّهم، حيث كانوا في المشارقِ والمغاربِ لا يَخْتَلِفُون فيها على صفةٍ واحدةٍ لو رام أحدٌ أن يَزِيدَ فيها لفظةً أو ينقص منها لفظة لافتُضِح عندَهم متفقًا عليها عندهم إلى الأحبارِ الهارونيةِ الذينَ كانوا قبلَ الخرابِ الثاني يَذْكُرُون أنها مبلغةٌ من أولئك إلى عزرا الهارونيِّ، وأن اللهَ تعالى قَالَ لما أكَل آدمُ من الشجرةِ: هذا آدم قد صار كواحدٍ منا في معرفةِ الخيرِ والشرِّ، وأن السحرةَ عمِلوا لفرعونَ نظيرَ ما أُرْسِلَ عليهم من الدَّمِ والضفادعِ، وأنهم عجزوا عن البعوضِ، وأن ابنتي لوطٍ بعدَ هلاكِ قومِه ضاجعتْ كلٌّ منهما أباها بعدَ أن سقتْه الخمرَ، فوَطِئَ كلًّا منهما فحملَتا منه، إلى غيرِ ذلك من الأمورِ المنكرةِ المستبشعةِ.

وذكَر في مواضعَ أخرى أن التبديلَ وقَع فيها إلى أن أُعدِمتْ فأملاها عزرا المذكورُ على ما هي عليه الآن، ثم ساق أشياءَ من نصِّ التوراةِ التي بأيديهم الآن الكذبُ فيها ظاهرٌ جدًّا، ثم قَالَ: وبلغَنا

عن قومٍ من المسلمين يُنْكِرونَ أن التوراةَ والإنجيلَ اللتين بأيدي اليهودِ والنصارى محرفان، والحاملُ لهم على ذلك قلةُ مبالاتِهم بنصوصِ القرآنِ والسنةِ وقد اشتملا على أنهم: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء:٤٦]. و﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [آل عمران:٧٥]. ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٧٨]. ويلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون.

ويُقالُ لهؤلاءِ المنكرين: قد قَالَ اللهُ تعالى في صفةِ الصحابةِ ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ [الفتح:٢٩]. إلى آخرِ السورةِ، وليس بأيدي اليهودِ والنصارى شيءٌ من هذا.

ويُقَالُ لمن ادعى أن نقلَهم نقلٌ متواترٌ: قد اتفقوا على أن لا ذكرَ لمحمدٍ ﷺ في الكتابين، فإن صدقتموهم فيما بأيديهم لكونِه نُقِلَ نقلَ المتواترِ فصدقوهم فيما زعموه أن لا ذكرَ لمحمدٍ ﷺ ولا لأصحابِه، وإلا فلا يَجُوزُ تصديقُ بعضٍ وتكذيبُ بعضٍ مع مجيئهما مجيئًا واحدًا. انتهى كلامُه، وفيه فوائدُ.

وقال الشيخُ بدرُ الدينِ الزركشيُّ: اغترَّ بعضُ المتأخرينَ بهذا -يَعْنِي: بما قَالَ البخاريُّ- فقال: إن في تحريفِ التوراةِ خلافًا هل هو في اللفظِ والمعنى، أو في المعنى فقط؟ ومال إلى الثاني ورأى جوازَ مطالعتِها، وهو قولٌ باطلٌ، ولا خلافَ أنهم حرَّفوا وبدَّلوا، والاشتغالُ بنظرِها وكتابتِها لا يَجُوزُ بالإجماعِ، وقد غضِب ﷺ حين رأى مع عمرَ صحيفةً فيها شيءٌ من التوراةِ، وقال: «**لو كان موسى حيًّا ما وسِعه إلا اتباعي**»، ولولا أنه معصيةٌ ما غضِب فيه.

قلتُ: إن ثبتَ الإجماعُ فلا كلامَ فيه، وقد قيده بالاشتغالِ بكتابتِها ونظرِها، فإن أراد من يَتَشَاغَلُ بذلك دونَ غيرِه فلا يَحصُلُ المطلوبُ؛ لأنه يُفْهَمُ أنه لو تشاغل بذلك مع تشاغلِه بغيرِه جاز، وإن أراد مطلقَ التَّشَاغُلِ فهو محلُّ النظرِ، وفي وصفِه المذكورَ بالبطلانِ مع ما تقدَّم نظرٌ أيضًا، فقد نُسِب لوَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ وهو من أعلمِ الناسِ بالتوراةِ، ونُسِب أيضًا لابنِ عباسٍ تَرْجُمانِ القرآنِ وكان ينبغي له تركُ الدفعِ بالصدرِ والتشاغلِ بردِّ أدلةِ المخالفِ التي حكيتُها، وفي استدلالِه على عدمِ الجوازِ الذي ادعى الإجماعَ فيه بقصةِ عمرَ نظرٌ أيضًا، سأذكرُه بعد تخريجِ الحديثِ المذكورِ، وقد أخرجه أحمدُ والبزارُ واللفظُ له من حديثِ جابرٍ قَالَ: نَسَخ عمرُ كتابًا من التوراةِ بالعربيةِ فجاء به إلى النَّبيِّ ﷺ فجعَل يَقْرَأُ ووجهُ رسولِ اللهِ ﷺ يَتَغَيَّرُ، فقال له رجلٌ من الأنصارِ: ويْحَكَ يا ابنَ الخطابِ، ألا ترى وجهَ رسولِ اللهِ ﷺ؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا تسألوا أهلَ الكتابِ عن شيءٍ فإنهم لن يَهْدُوكم وقد ضلُّوا، وإنكم إما أن تُكَذِّبوا بحقٍّ، أو تصدِّقوا بباطلٍ، والله لو كان موسى بين أَظْهُرِكم ما حلَّ له إلا أن يَتَّبِعَني**». وفي سندِه جابرٌ الجُعْفِيُّ وهو ضعيفٌ.

ولأحمدَ أيضًا وأبي يَعْلَى من وجهٍ آخرَ، عن جابرٍ أن عمرَ أَتَى بكتابٍ أصابه من بعضِ كتبِ أهلِ الكتابِ فقرَأه على النَّبيِّ ﷺ فغضِب، فذكَر نحوَه دونَ قولِ الأنصاريِّ، وفيه: «**والذي نفسي بيدِه لو أن موسى حيًّا ما وسِعه إلا أن يَتَّبِعَني**». وفي سندِه مجالدُ بنُ سعيدٍ وهو لَيِّنٌ.

وأخرَجه الطبرانيُّ بسندٍ فيه مجهولٌ ومختلَفٌ فيه، عن أبي الدرداءِ: جاء عمرُ بجوامعَ من

التوراةِ فذكَر بنحوه. وسمَّى الأنصاريَّ الذي خاطَب عمرَ عبدَ الله بنَ زيدِ الذي رأَى الأذانَ، وفيه «**لو كان موسى بينَ أَظْهُرِكم ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم ضلالًا بعيدًا**».

وأخرَجه أحمدُ والطبرانيُّ من حديثِ عبدِ الله بنِ ثابتٍ قَالَ: جاء عمرُ فقال: يا رَسُولَ الله إني مررتُ بأخٍ لي من بني قريظةَ فكتَب لي جوامعَ من التوراةِ ألَا أَعرِضُها عليك؟ قَالَ: فتغيَّر وجهُ رَسُولِ الله ﷺ...الحديثُ، وفيه: «**والذي نفسُ محمدٍ بيدِه لو أصبَح موسى فيكم ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم**».

وأخرَج أبو يَعْلَى من طريقِ خالدِ بنِ عُرْفطةَ قَالَ: كنتُ عندَ عمرَ فجاءه رجلٌ من عبدِ القيسِ فضرَبه بعصًا معه فقال: ما لي يا أميرَ المؤمنين؟ قَالَ: أنت الذي نسَختَ كتابَ دانيال؛ قَالَ: مُرْنِي بأمرِك. قَالَ: انطلق فامْحه، فلئن بلَغني أنك قرأتَه أو أقرأتَه لأُنْهِكَنَّك عقوبةً، ثم قَالَ: انطلقتُ، فانتسختُ كتابًا من أهلِ الكتابِ، ثم جئتُ، فقال لي رَسُولُ الله ﷺ: «**ما هذا؟**». قلتُ: كتابٌ انْتَسَخْتُه لِنَزْدَادَ به علمًا إلى علمِنا. فغضِب حتَّى احمرتْ وجنتاه فذكَر قصةً فيها: «**يا أيها الناسُ، إني قد أُوتيتُ جوامعَ الكلمِ وخواتِمَه، واختُصِر لي الكلامُ اختصارًا، ولقد أتيتُكم بها بيضاءَ نقيةً فلا تَتَهَوَّكُوا**». وفي سندِه عبدُ الرحمنِ بنُ إسحاقَ الواسطيُّ، وهو ضعيفٌ.

وهذه جميعُ طرقِ هذا الحديثِ، وهي وإن لم يَكُنْ فيها ما يُحْتَجُّ به لكنَّ مجموعَها يقتضي أن لها أصلًا، والذي يَظْهَرُ أن كراهيةَ ذلك للتنزيهِ، لا للتحريمِ.

والأولى في هذه المسألةِ التفرقةُ بينَ من لم يَتَمَكَّنْ ويصر من الراسخين في الإيمانِ فلا يَجُوزُ له النظرُ في شيءٍ من ذلك، بخلافِ الراسخِ فيجوزُ له، ولاسيَّما عند الاحتياجِ إلى الردِّ على المخالفِ، ويَدُلُّ على ذلك نقلُ الأئمةِ قديمًا وحديثًا من التوراةِ، وإلزامُهم اليهودَ بالتصديقِ بمحمدٍ ﷺ بما يَسْتَخْرِجُونه من كتابِهم، ولولا اعتقادُهم جوازُ النظرِ فيه لما فعلوه وتواردوا عليه.

وأما استدلالُه للتحريمِ لما ورَد من الغضبِ ودعواه أنه لو لم يَكُنْ معصيةً ما غضِب منه، فهو معترَضٌ بأنه قد يَغْضَبُ من فعلِ المكروهِ، ومن فعلِ ما هو خلافُ الأولى إذا صدَر ممن لا يليقُ منه ذلك، كغضبه من تطويلِ معاذٍ صلاةَ الصبحِ بالقراءةِ، وقد يَغْضَبُ ممن يَقَعُ منه تقصيرٌ في فَهمِ الأمرِ الواضحِ، مثلُ الذي سألَ عن لُقَطَةِ الإبلِ. وقد تقدَّم في كتابِ «العلمِ» الغضبُ في الموعظةِ، ومضَى في كتابِ «الأدبِ» ما يَجُوزُ من الغضبِ. اهـ

الراجحُ: أن التحريفَ حصَل في المعنى كثيرًا، وفي اللفظِ قليلًا، وكذلك في الإنجيلِ، والتحريفُ في الإنجيلِ أكثرَ من التوراةِ.

أما قولُه -أي: البخاري-: ليس أحدٌ يُزيلُ لفظَ كتابٍ من كتبِ الله ﷻ. فهذا فيه نظرٌ، أما القرآنُ فنعمْ، فإنه لا يُمكِنُ لأحدٍ أن يُزيلَ لفظًا من كتابِ الله؛ وذلك لأنه محفوظٌ، قَالَ تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر:٩]. وما من أحدٍ حاول إلا فضَحه الله وهتَك سِتْرَه.

***

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٥٦- باب قَوْلِ الله تعالَى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات:٩٦]. ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر:٤٩]. وَيُقَالُ لِلْمُصَوِّرِينَ: «أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ». ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٥٤﴾ [الأعراف:٥٤].

قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: بَيَّنَ اللهُ الْخَلْقَ مِنَ الأَمْرِ لِقَوْلِهِ تعالَى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾.

وَسَمَّى النَّبِيُّ ﷺ الإِيمَانَ عَمَلًا. قَالَ أَبُو ذَرٍّ وَأَبُو هُرَيْرَةَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بالله وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ». وَقَالَ: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٤﴾ [الواقعة:٢٤]. وَقَالَ: وَفْدُ عَبْدِ الْقَيْسِ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مُرْنَا بِجُمَلٍ مِنَ الأَمْرِ إِنْ عَمِلْنَا بِهَا دَخَلْنَا الْجَنَّةَ. فَأَمَرَهُمْ بِالإِيمَانِ وَالشَّهَادَةِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ. فَجَعَلَ ذَٰلِكَ كُلَّهُ عَمَلًا.

هذا البابُ أراد المؤلفُ أن يُبيِّنَ به هل أفعالُ العبادِ مخلوقةٌ أو غيرُ مخلوقةٍ؟ فصدَّره بقولِ الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾. قولُه: ﴿خَلَقَكُمْ﴾. أمرُه واضحٌ، وقولُه: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾. قيل في إعرابِها وجهان:

الوجهُ الأولُ: أن «ما» مصدريةٌ؛ أي: خَلقكم وعملكم.

وقيل: بل «ما» موصولةٌ. وهو الصحيحُ؛ لأنه قَالَ: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝٩٥ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات:٩٥-٩٦]. أي: ما تَنْحِتُون، فأصنامُكم مخلوقةٌ فكيف تَعْبُدُونَها ولا تَعْبُدُون الذي خلَقكم وخلَقها.

فالصحيحُ: الراجحُ أن «ما» موصولةٌ وليست مصدريةً؛ لأن السياقَ يُعَيِّن ذلك، وهي من حيثُ العموم يَجُورُ أن تكُونَ مصدريةً، والتقديرُ: خلَقكم وخلَق عملكم، وتكُونُ دِلالتُها على خلقِ الأصنامِ من بابِ دِلالةِ اللزوم؛ لأنه إذا كان العملُ مخلوقًا كان المعمولُ مخلوقًا كذلك.

أما على الوجهِ الأولِ فإنها تدل على أن هذه الأصنام مخلوقة بدلالة التضمن والمطابقة، ومع ذلك تَدُلُّ على أن عملَ الإنسانِ مخلوقٌ بطريقِ الالتزام.

ولكن أيُّهما نَأْخُذُ؟ هل نَأْخُذُ بأنها تَدُلُّ على أن العملَ مخلوقٌ وأن هذه الأصنامَ مخلوقةٌ بطريقِ اللزوم، أو بالعكسِ؟

نَقُولُ: نَأْخُذُ بالعكسِ؛ لأن سياقَ الآيةِ يُرادُ به بيانُ بطلانِ عبادةِ هذه الأصنامِ التي نَحَتُّمُوها أنتم فهي مخلوقةٌ، وإذا كان الأمرُ كذلك فلماذا تَعبُدُونها ولا تَعْبُدُون الذي خلَقكم وخلَقها، فتقديرُ الآيةِ: واللهُ خلَقكم والذي تعملونَه، والعائدُ على الموصولِ محذوفٌ.

والقائلُ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾. هو إبراهيمُ حين أنكر على قومِه أن يَعْبُدُوا هذه الأصنامَ التي هم بأنفسِهم يَنْحِتُونها، وهي مخلوقةٌ للهِ.

ثم نَرْجِعُ فنقولُ: هل أعمالُ العبادِ أفعالٌ لهم أو أفعالٌ للهِ؟ وهل هم مستقلون بها أو غيرُ مستقلين بها؟

نقولُ: قد سبَق الكلامُ على هذا، وبيَّنا أن في هذه المسألةِ ثلاثةَ أقوالٍ، طرفانِ ووسَطٌ:

طَرَفٌ يَقُولُ: أفعالُ العبادِ مخلوقةٌ لله، وليست فعلًا لهم؛ لأنهم مجبورون عليها، ويَفْعَلُونها بغيرِ إرادةٍ، ويَقُولون: إن الإنسانَ الذي يَأْتِي ويَرْكَبُ سيارتَه ويُشَغِّلُها ويمشِي، كالإنسانِ الذي حُمِلَ وهو مغْمِيٌّ عليه ووُضِعَ في السيارةِ، ويَقُولُون: إن الذي يَنْزِلُ من السَّطْحِ بالدَّرَجِ رُوَيْدًا رُوَيْدًا، كالذي يُلْقَى من السَّطْحِ؛ أي: أن الجميعَ يَفْعَلُ بغيرِ إرادةٍ ولا اختيارٍ.

ولا شكَّ أنَ هذا قولٌ باطلٌ؛ لأن كل إنسانٍ يَعْرِفُ الفرقَ بينَ ما يَفْعَلُه باختيارِه وما يَفْعَلُه باضطرارِه.

والطَّرَفُ الثاني، بالعكسِ يَقُولُ: إن الإنسانَ مستقلٌّ بعملِه، ولا عَلاقةَ لله فيه، وأنه يَفْعَلُ باختيارِه، ويَتْرُكُ باختيارِه، وبمشيئتِه وبإرادتِه، وأن اللهَ لا عَلاقةَ له بفعلِه لا مشيئة ولا خلْقًا.

وهؤلاءِ هم القدريةُ الذين هم مجوسُ هذه الأمةِ، وسبَق لنا بيانُ وجهِ كونِهم مجوسًا، ذلك أنهم قد جعَلوا للحوادثِ خالقين كما جعلتِ المجوسُ للحوادثِ خالقين.

القولُ الثالثُ، وهو الوسَطُ: أن أفعالَ العبادِ أفعالُهم هم. باختيارِهم وإرادتِهم، لكنَّها مخلوقةٌ لله من حيثُ أن فعلَ العبدِ صادرٌ عن إرادةٍ جازمةٍ، وقدرةٍ تامةٍ، والذي خلَق هذه الإرادةَ وهذه القدرةَ هو اللهُ، وخالقُ السببِ التامِّ خالقٌ للمسبِّبِ؛ لأن المُسَبَّبَ ناشئٌ عن السببِ، فباعتبارِ الأصلِ يكونُ المُسَبَّبُ مخلوقًا للمُسَبِّبِ الذي خلَق السببَ.

وهذا القولُ هو الصحيحُ، والدليلُ على هذا أن الإنسانَ إذا أُجبِرَ على الفعلِ لم يَتَرَتَّبْ عليه أثرُه؛ لأنه ليس باختيارِه، وأن الإنسانَ إذا فعَل الشيءَ وهو نائمٌ لم يَتَرَتَّبْ عليه أثرُه، إلا ما كان من الإتلافاتِ التي للخلقِ، وأن الإنسانَ لو نسِي فعمِل عملًا لم يَتَرَتَّبْ عليه أثرُه؛ لأنه بغيرِ قصدِه.

وهذا القولُ تَدُلُّ عليه القواعدُ الشرعيةُ والواقعُ أيضًا؛ لأننا لو قلنا: إن الإنسانَ يستقلُّ بعملِه، ويَفْعَلُ ما يشاءُ، ولا عَلاقةَ لله بفعلِه، صار في مُلكِ اللهِ ما لا يَشاؤُه وهذا ممتَنِعٌ.

إذًا فأعمالُنا تُنْسَبُ إلى اللهِ تعالى خلقًا ومشيئةً، وتُنْسَبُ إلينا فعلًا وكسبًا، فنحن الساجدون الراكعون الصائمون المتصدقون الحاجُّون المعتمرون، ولا يُنْسَبُ هذا لله عَجَّلَ، لكن خالقُ هذه الأفعالِ هو اللهُ عَجَّلَ، ضرورةَ أنها صادرةٌ منَّا وهي من صفاتِنا، ونحن وصفاتُنا مخلوقون لله عَجَّلَ.

ثم قَالَ البخاريُّ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾. قولُه: ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾. هذه مفعولٌ لفعلٍ محذوفٍ، ويُسَمِّيه النحويون: الاشتغالَ؛ لأن العاملَ اشتغل بضميرِه -بضميرِ المتقدمِ- فقولُه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ﴾ تقديرُه: إنا خلقنا كلَّ شيءٍ.

وهل هذا الخلقُ يَشْمَلُ فعلَ العبدِ؟

الجوابُ: نعمْ، وهذا كقولِه تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفرقان: ٢]. وهنا يَقُولُ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾. فالآيتانِ متساويتانِ دَلالةً، وإن اختلفتا تعبيرًا.

۞ وقولُه: «ويُقالُ للمصورين: أحيوا ما خلَقتم». أي: يومَ القيامةِ يقال لهم: أحيوا ما خلقتم. فأضاف الخلقَ إليهم، فصاروا هم الفاعلون.

وهنا يُشْكِلُ على بعضِ الناسِ كيف سمَّى فعلَهم خلقًا؟

والجوابُ: لأنهم يُضَاهِئُون بخلقِ الله، ويُرِيدُون أن يَكُونُوا كالخالقِ ﷻ في الإبداعِ والتصويرِ.

فإذا قَالَ قائلٌ: ألستم تَقُولُون: إن الله منفردٌ بالخلقِ. فكيف قيل لهؤلاءِ: أحيوا ما خلَقتم؟

فالجوابُ: أن الخلقَ الذي انفرد اللهُ به غيرُ الخلقِ الذي خلَقه هؤلاءِ، فخلقُ الله الذي انفرد به إيجادٌ من عدم، أما هؤلاءِ فإنهم لم يُوجِدوا من عدمٍ، بل غايةُ ما صنَعوا هو التغييرُ والتحويلُ.

فمثلًا: البابُ يُقالُ: خلَقه النجارُ، فهل هو الذي أوجَد مادتَه، الخشبَ والمساميرَ وغيرَها؟

الجوابُ: لا. لكنه حوَّل هذه الأخشابَ والمساميرِ إلى بابٍ، فكذلك المصورُ كان عندَه مادةٌ فهل خلَق هو هذه المادةَ؟ الجوابُ: لا. بل الذي خلَق ذلك هو اللهُ، والمصورُ شكَّل هذه الصورةَ فقط.

ثم قَالَ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. هذه الآيةُ سبَق الكلامُ عليها، وبيَّنا أن الأيامَ الستةَ أولُها الأحدُ وآخرُها الجمعةُ.

ونُورِدُ الآن إشكالًا وهو: أنه كيف قدر خلقَ السمواتِ والأرضِ في ستة أيامٍ أولُها الأحدُ وآخرُها الجمعةُ، مع أنه لم يَكُنْ هناك شمسٌ يُقدَّرُ بها اليومُ؟

والجوابُ: أنها تُقدَّرُ بحركةِ الشمسِ على مدى ستةِ أيام، وإن لم تُوجَدِ الشمسُ.

ثم قَالَ: قَالَ ابنُ عيينةَ -يَعْنِي: سفيان- بيَّنَ اللهُ الخلقَ من الأمرِ. بيَّنه؛ أي: ميَّزه، فقال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾؛ ذلك لأنه عطَف الأمرَ على الخلقِ، والأصلُ في العطفِ المغايرةُ، إذًا فالأمرُ شيءٌ والخلقُ شيءٌ آخرُ، فالأمرُ أن يَقُولَ: كُنْ. والخلقُ هو التكوينُ والإيجادُ.

ثم قَالَ: وسمَّى النَّبيُّ ﷺ الإيمانَ عملًا. وسبَق أن قلنا: إن الإيمانَ عملُ الإنسانِ وأن «آمن»؛ أي: كوَّن الإيمانَ في قلبه، و«كفر»؛ أي: كوَّنَ الكفرَ في قلبه، فهو عملٌ.

ثم قَالَ: وقال أبو ذرٍّ وأبو هريرةَ: سُئِلَ النَّبيُّ ﷺ: أي الأعمالِ أفضلُ؟ قَالَ: «إيمانٌ بالله، وجهادٌ في سبيلِه». فجعَل الإيمانَ عملًا.

ثم قَالَ: وقال تعالى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. أي: جزاءً بالذي كانوا يَعْمَلُونه، سواءٌ الخيرَ أو الشرَّ.

ثم قَالَ: وقال وفدُ عبدِ القيسِ للنبيِّ ﷺ: مُرْنا بِجُمَلٍ من الأمرِ، إن عمِلنا بها دخلنا الجنةَ. فأمَرهم بالإيمانِ والشهادةِ، وإقامِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ. فجعَل ذلك كلَّه عملًا. أي: عملًا للإنسانِ، فيُضافُ إليه على أنه هو العاملُ المباشرُ، أما الخالقُ فهو اللهُ ﷻ.

* ****

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٥٥- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، وَالْقَاسِمِ التَّمِيمِيِّ، عَنْ زَهْدَمٍ قَالَ: كَانَ بَيْنَ هَذَا الْحَيِّ مِنْ جُرْمٍ وَبَيْنَ الْأَشْعَرِيِّينَ وُدٌّ وَإِخَاءٌ، فَكُنَّا عِنْدَ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ فَقُرِّبَ إِلَيْهِ

الطَّعَامُ فِيهِ لَحْمُ دَجَاجٍ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَيْمِ الله كَأَنَّهُ مِنَ الْمَوَالِي، فَدَعَاهُ إِلَيْهِ فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ شَيْئًا فَقَذِرْتُهُ، فَحَلَفْتُ لَا آكُلُهُ. فَقَالَ: هَلُمَّ فَلأُحَدِّثْكَ عَنْ ذَاكَ، إِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي نَفَرٍ مِنَ الأَشْعَرِيِّينَ نَسْتَحْمِلُهُ، قَالَ: «والله لَا أَحْمِلُكُمْ، وَمَا عِنْدِي مَا أَحْمِلُكُمْ». فَأُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِنَهْبِ إِبِلٍ فَسَأَلَ عَنَّا فَقَالَ: «أَيْنَ النَّفَرُ الأَشْعَرِيُّونَ؟». فَأَمَرَ لَنَا بِخَمْسِ ذَوْدٍ غُرِّ الذُّرَى، ثُمَّ انْطَلَقْنَا قُلْنَا: مَا صَنَعْنَا؟ حَلَفَ رَسُولُ الله ﷺ لَا يَحْمِلُنَا، وَمَا عِنْدَهُ مَا يَحْمِلُنَا، ثُمَّ حَمَلَنَا، تَغَفَّلْنَا رَسُولَ الله ﷺ يَمِينَهُ؟ والله لَا نُفْلِحُ أَبَدًا، فَرَجَعْنَا إِلَيْهِ، فَقُلْنَا لَهُ، فَقَالَ: «لَسْتُ أَنَا أَحْمِلُكُمْ، وَلَكِنَّ الله حَمَلَكُمْ، وَإِنِّي والله لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ وَتَحَلَّلْتُهَا»[1].

۞ قولُه: «كان بينَ هذا الحيِّ من جُرْمٍ وبينَ الأشعريين وُدٌّ وإخاءٌ، فكُنَّا عندَ أبي موسى الأشعريِّ فقُرِّبَ إليه الطعامُ فيه لحمُ دجاجٍ، وعندَه رجلٌ من بني تيم الله كأنه رجلٌ من الموالي؛ يَعْنِي: بهيئتِه وشكلِه، فدعاه إليه؛ أي: ليأكلَ. فقال: إني رأيتُه يأكُلُ شيئًا فقذِرْتُه»؛ يَعْنِي: الدجاجَ، والدجاجُ كما هو معروفٌ يأكُلُ ما هبَّ ودبَّ، فكلُّ ما على الأرضِ تأكُلُه من طيِّبٍ كان أو خبيثٍ، وكأنه رآها تأكلُ شيئًا خبيثًا فقذِرها وكرِهها.

وهنا نَسْأَلُ: لو أكلتِ الدجاجةُ شيئًا خبيثًا نجسًا، فهل تكونُ حرامًا؟

نقولُ: في هذا تفصيلٌ، فإن كان أكثرُ علفِها ولم تُطَهَّرْ منه فإنها تكونُ حرامًا، وإن كان نصفَ علفِها، أو أقلَّ فهي حلالٌ.

فمثلًا: إذا كنا نُعطِيها جرامًا من الدم النجسِ، وجرامين من الخبزِ ونحوِه، فإنها تكُونُ حلالًا؛ لأن أكثرَ علفِها من الطاهرِ، والعكسُ بالعكسِ فتكُونُ حرامًا، إلى أن تُطَهَّرُ، ويكُونُ تطهيرُها بأن تَحْبِسَها عن هذا الخبيثِ وتُطْعَمَ الطاهرَ ثلاثةَ أيام، وبهذا تَعُودُ طيِّبةً.

وقال بعضُ العلماءِ: إن الجلَّالةَ وهي التي أكثرُ علفِها النجاسةُ حلالٌ، بناءً على أن استحالةَ النجاسةِ تُطَهِّرُها. وعلى هذا فتكونُ حلالًا.

لكن الروايةَ الأولى أصحُّ. وهاتان روايتان عن الإمامِ أحمدَ:

الأولى: أن الجلالةَ حلالٌ مطلقًا.

والثانيةُ: أنها حرامٌ إذا كان أكثرُ علفِها النجاسةَ[2].

ثم ذكرَ الراوي قصةَ حملِ النَّبِيِّ ﷺ الأشعريين بعد أن أتوه وقالوا: احملنا يا رَسُولَ الله. فقال: «ما عندي ما أَحْمِلُكم»، وقد قَالَ اللهُ فيهم: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [التوبة:٩٢]. ولكنَّ اللهَ تعالى يَسَّر لهم ما يَحْمِلُهم عليه، فقد أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بنَهْبِ إبلٍ -أي: بغنيمةِ إبلٍ- فقال: «أين النفرُ الأشعريون». فأمرَ لهم بخمسِ ذَوْدٍ غُرِّ الذُّرَى،

---

(١) رواه مسلم (١٦٤٩) (٩).

(٢) انظر: «المغني» لابن قدامة (١٣/ ٣٢٨-٣٢٩).

والذُّرَى: الأَسْنِمةُ، والغر: البيض؛ أي: أن أَسْنِمَتَها بيضاءُ.

ثم تساءلوا فيما بينَهم وخافوا أن يَكُونوا أكرَهوا النَّبيَّ ﷺ على ذلك.

وقالوا: «تغفَّلنا رَسُولَ الله ﷺ يمينَه»؛ لأنه كان قد حلَف وقال: «والله لا أحملُكم». فندِموا على ذلك، ثم رجَعوا إليه فقالوا له هذا فقال: «لستُ أنا أحملُكم، ولكنَّ اللهَ حملَكم». فأضاف حملَهم إلى الله.

وهذا الحديثُ استدلَّ به الجبريةُ على مذهبِهم، وقالوا: إن فعلَ العبدِ فعلُ الله.

كما استدلُّوا لذلك بقولِه تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال:١٧]. قالوا: فهذا صريحٌ في أن الله أضافَ فعلَ الإنسانِ إليه ﷻ، وهنا قَالَ: «ولكن الله حملكم».

والجوابُ على هذا أن نَقُولَ: إن معنى قولَه: «ولكن الله حملكم». أي: ولكنَّ الله يَسَّرَ لكم ما لا أَقْدِرُ عليه حتَّى حَملكم، فإن هذه الإبلَ ما كان الرسولُ ﷺ يَخْطُرُ ببالِه أنها ستأتي، ولكنَّ الله تعالى يسَّرها، فكانت إضافةُ الحمل إلى الله من أجلِ أنه هو الذي يَسَّر لهم ذلك فحملَهم النَّبيُّ ﷺ عليه.

ثم أقسَم ﷺ فقال: «والله لا أَحْلِفُ على يمينٍ فأَرَى غيرَها خيراً منها إلا أتيتُ الذي هو خيرٌ منه وتَحلَّلْتُها». وهكذا يَنْبَغِي للإنسانِ إذا حلَف على شَيءٍ ورأى غيرَه خيرًا منه أن يأتيَ الذي هو خيرٌ وأن يَتَحَلَّلَ يمينَه؛ أي: يُكَفِّرَ عنه.

مثال ذلك:

قَالَ رجلٌ: والله لا أُسَلِّمُ على فلانٍ -وترْكُ السلامِ على المُسلم حرامٌ والسلامُ عليه خيرٌ وواجب لأنه سنةٌ- فهنا نَقُولُ: كفِّرْ عن يمينِك وسلِّمْ.

كذلك: حلَف شخصٌ ألا يُجِيبَ دعوةَ فلانٍ. نَقُولُ: كَفِّرْ عن يمينِك وأَجِبْ دعوتَه؛ لأن هذا أفضلُ.

ومن ثَمَّ قَالَ العلماءُ: إن الحِنثَ في اليمينِ تَجْرِي فيه الأحكامُ الخمسةُ -وهي: الواجبُ، والحرامُ، والمندوبُ، والمكروهُ، والمباحُ- فيكونُ الحِنثُ واجبًا، إذا حلَف على تركِ واجبٍ، أو على فعلِ محرم، -والحِنثُ هو مخالفةُ ما حلَف عليه- فإذا قَالَ: والله لا أُصلِّي مع الجماعةِ. قلنا: يَجِبُ عليكَ أن تُصَلِّيَ، وأنْ تُكفِّرَ، وإذا قَالَ: والله لا أَتْرُكُ شربَ الدخانِ.

قلنا: يَجِبُ أن تَتْرُكَ هذا الدخانَ، وتُكفِّرَ.

ويَكُونُ الحِنثُ حرامًا إذا كان على فعلِ واجبٍ، أو على تركِ محرمٍ.

مثالُه:

قَالَ: والله لأُصَلِّيَنَّ اليومَ مع الجماعةِ. نَقُولُ: الحِنثُ هنا حرامٌ؛ لأنه لا يَجُوزُ أن تَدَعَ صلاةَ الجماعةِ، حتَّى وإنْ قَالَ: أدعُها وأُكفِّرُ.

وكذلك: لو قَالَ: والله لا أشربُ الدخانَ. نقولُ: الحِنثُ هنا حرامٌ.

ويَكُونُ الحِنثُ مستحبًا إذا قَالَ: والله لا أصلِّي راتبةَ العشاءِ. نقولُ: الأفضلُ أن يَحْنَثَ، فيُصَلِّي ويُكَفِّرُ.

وإذا قَالَ: والله لأُصَلِّيَنَّ راتبةَ العشاءِ. فالحِنثُ خِلافُ الأولى.

وإذا قَالَ: والله لآكُلَنَّ البصلَ. نقولُ: أكلُ البصلِ إذا كان يَسْتَلْزِمُ تركَ الجماعةِ فقد قَالَ العلماءُ: إنه مكروهٌ.

فالقاعدةُ عندَنا: أن الحِنثَ يكونُ واجبًا إذا كان الحلفُ على تركِ واجبٍ أو فعلِ محرمٍ.

ويكونُ حرامًا إذا كان الحلف على فعل واجبٍ أو تركِ محرمٍ.

وإذا كان على فعلِ مستحبٍّ، وكان تركُه مما يُكْرَهُ كان الحِنثُ فيه مكروهًا؛ لأنه لا يَلْزَمُ من تركِ المستحبِّ الوقوعُ في الكراهةِ، وإلا لقلنا: إن كلَّ إنسانٍ لا يأتي بمسنوناتِ الصلاةِ، تكونُ صلاتُه مكروهةً.

وأما المباحُ فقد يُقالُ: لأنه لا يُتَصَوَّرُ أن يَكُونَ الحِنثُ مباحًا ولو كان الحَلِفُ على مباحٍ؛ وذلك لأن حفظَ اليمينِ أولى من الحِنثِ.

* *** *

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٥٥٦- حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، حَدَّثَنَا قُرَّةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو جَمْرَةَ الضُّبَعِيُّ قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: فَقَالَ: قَدِمَ وَفْدُ عَبْدِ الْقَيْسِ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالُوا: إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ مُضَرَ، وَإِنَّا لَا نَصِلُ إِلَيْكَ إِلَّا فِي أَشْهُرٍ حُرُمٍ، فَمُرْنَا بِجُمَلٍ مِنَ الأَمْرِ إِنْ عَمِلْنَا بِهِ دَخَلْنَا الْجَنَّةَ، وَنَدْعُو إِلَيْهَا مَنْ وَرَاءَنَا. قَالَ: «آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: آمُرُكُمْ بِالإِيمَانِ بِالله، وَهَلْ تَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِالله؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَتُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمُسَ. وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: لَا تَشْرَبُوا فِي الدُّبَّاءِ، وَالنَّقِيرِ، وَالظُّرُوفِ الْمُزَفَّتَةِ، وَالْحَنْتَمَةِ»[1].

في هذا الحديثِ: فسر النَّبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الإيمانَ بالإسلامِ، فدلَّ ذلك على أن العملَ يُسَمَّى إيمانًا؛ لأن شهادةَ أن لا إله إلا اللهُ، وإقامَ الصلاةِ، وإيتاءَ الزكاةِ، وإعطاءَ الخُمسِ من المغنمِ. كل هذه أعمالٌ.

ولم يَذْكُرْ ﷺ هنا شهادةَ أن محمدًا رَسُولُ الله. وذلك لأنهم جاءوا مُقِرِّين بذلك.

ثم قَالَ: **«وأنهاكم عن أربعٍ»**. وفسَّر هذا النهيَ بقولِه: **«لا تَشْرَبُوا في الدُّبَّاءِ، والنَّقِيرِ، والظُّروفِ المُزَفَّتَةِ، والحَنْتَمَةِ»**. وهذه أواني يُجْعَلُ فيها النبيذُ، وهي لحرارتِها تَطْبُخُ النبيذَ، وربما يَصِلُ إلى حدِّ مسكرٍ وهم لا يَعْلَمُون، فنهاهم عن ذلك، ثم بعدَ هذا نُسِخَ هذا النهيُ وقال: **«كنتُ نهيتُكم عن الانتباذِ في كذا وكذا وكذا. فانتبذوا بها شئتم غيرَ ألا تَشْرَبُوا مسكرًا»**[2].

والدُّبَّاءُ هي: القرعُ، ولاسيَّما قرعُ النَّجْد، فإنه مثلُ الأوعيةِ تمامًا، حيثُ يُبْقُونَه حتَّى يَيْبَسَ في غُصْنِه، فإذا يَبِسَ فإن المخَّ الذي في داخلِه يَيْبَسُ ويكونُ مثلَ الورقِ، ثم يَقُصُّونَ أعلاه ويَجْعَلُونه وعاءً، وهو في الشكلِ له حُلْقُومٌ؛ يَعْني: أعلاه ضيقٌ وأسفلَه متسعٌ.

وأما النَّقِيرُ: فهو حجرٌ أو خشبٌ، أو ما أشبهَ ذلك، يُنْقَرُ ثم يُوضَعُ فيه النبيذُ، وهو حارٌّ.

---

(١) رواه مسلم (١٧، ١٨).

(٢) رواه مسلم (٩٧٧) (١٠٦).

وأما الظروفُ المزفتةُ: فهي المطليةُ بالزِّفْتِ، والزِّفتُ أيضًا حارٌّ.

والحنتمة: هي الجرة الخضراء.

وعلى هذا فنقول: أن هذا النهي قد نُسِخ وأذن النَّبي بالانتباذ بكل شيء إلا أن نشرب مسكرًا.

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٥٥٧- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ!»[1].

٧٥٥٨- حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»[2].

٧٥٥٩- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ شَعِيرَةً»[3].

كل هذه الأحاديثِ قد سبَق الكلامُ عليها، والشاهدُ فيها إضافةُ الخلقِ إلى هؤلاءِ المصورين.

فإن قيل: هل التصويرُ بالفيديو يَدْخُلُ في هذا الوعيدِ؟

فالجوابُ: لا، لا يَدْخُلُ في هذا؛ لأن المصورَ في الفيديو ما ذهب يَخْلُقُ كخلقِ الله، وإنما نقل هذه الصورةَ، أو أثبت هذه الصورةَ في نفسِ الشريطِ.

فإن قَالَ قائلٌ: هذه الصورة المصورة بالفيديو تكون أعظم وأدق.

نقولُ: نعمْ، هي أعظمُ وأدقُّ لا شكَّ، لكنها ليست مثلَها.

ثم إنا نقول: هذا الذي يصور بالفيديو أو نحوه هل الناس يقولون: ما أحسن تصويره وما أبدعه؟

الجوابُ: لا، لكن لو صور بيدِه لقالوا: هذا الرجلُ جيد إنه يخلق كخلق الله. فالفرق ظاهر.

فالذي يَصْنَعُه الإنسانُ بيدِه من صورٍ هو المحرمُ، سواءٌ كان ذلك بالكمبيوتر، أو على ورقةٍ، أو بأي شيءٍ؛ لأنه ذهَب يَخْلُقُ كخلقِ الله عَزَّ وَجَلَّ.

*****

---

(١) رواه مسلم (٢١٠٧) (٩٦).

(٢) رواه مسلم (٢١٠٨) (٩٧).

(٣) رواه مسلم (٢١١١) (١٠١).

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٧- باب قِرَاءَةِ الْفَاجِرِ، وَالْمُنَافِقِ، وَأَصْوَاتُهُمْ وَتِلَاوَتُهُمْ لَا تُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ.

٧٥٦٠- حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، حَدَّثَنَا أَنَسٌ، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الَّذِي لَا يَقْرَأُ كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ وَلَا رِيحَ لَهَا»[1].

في هذا الحديثِ تشبيهٌ عجيبٌ:

فالناسُ أقسامٌ: مؤمنٌ يَقْرَأُ القرآنَ ويَعْمَلُ به، فهذا كالأُتْرُجَّةِ طعمُها طيبٌ وريحُها طيبٌ، والأترُجة مثلُ البرتقالةِ لكنها أكبرُ، وتَخْتَلِفُ نوعًا ما عن البرتقالةِ.

ومثلُ المنافقِ الذي يَقْرَأُ القرآنَ كمثلِ الريحانةِ لها ريحٌ طيبةٌ لكنَّ طعمها مرٌّ.

ومثلُ المؤمنُ الذي لا يَقْرَأُ القرآنَ كالتمرةِ طعمُها حلوٌ ولكن ليس لها رائحةٌ، والمرادُ: ليس لها رائحةٌ زكيةٌ، وإلا فإن لها رائحةً ولكنَّها ليست زكيةً كرائحةِ الطيبِ.

ومثلُ الفاجرُ الذي لا يَقْرَأُ القرآنَ كمثلِ الحنظلةِ -وهي تُسَمَّى عندنا الشَّرِي- وهي مثلُ التفاحةِ الصغيرةِ، لكنَّ طعمها مرٌّ جدًّا جدًّا، وليس لها ريحٌ؛ يَعْنِي: ليس لها ريحٌ زكيٌّ يَجْذِبُ النفوسَ.

وهذه الحنظلةُ يُقَالُ: إن الإنسانَ إذا وطِئ عليها وهي مستويةٌ فإنها تُسَهِّلُ ما في بطنِه؛ يَعْنِي: أنه بدَلَ من أن يَشْرَبَ المُسَهِّلَ فما عليه إلا أن يَطَأَ عليها وهي مستويةٌ، فإذا به يُخرِجُ كلَّ ما في بطنِه. وهذا الأمرُ كان يَفْعَلُه بعضُ الناسِ فيما سبَق، لكن مع ذلك تأكُلُها المواشي ولا تتأَثَّرُ بها، وهذا من عجائبِ مخلوقاتِ الله عَزَّ وَجَلَّ.

والشاهدُ من هذا الحديثِ: أن الرسولَ ﷺ أضاف القراءةَ إلى القارئِ فجعلَها من فعلِه، وبيَّن أن القرآنَ يَقْرَأُهُ المؤمنُ وغيرُ المؤمنِ؛ لقولِه ﷺ: «وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ». وهذا يُوجَدُ فهناك منافقون يَقْرَأُون القرآنَ، ولكن لا يَعْمَلُون به.

* * * *

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٦١- حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ ح. وحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا عَنْبَسَةُ، حَدَّثَنَا يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: سَأَلَ أُنَاسٌ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْكُهَّانِ، فَقَالَ: «إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِشَيْءٍ». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا. قَالَ: فقال النَّبِيُّ ﷺ: «تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطَفُهَا

---

(١) رواه مسلم (٧٩٧) (٢٤٣).

الْجِنِّيُّ فَيُقَرْقِرُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ كَقَرْقَرَةِ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلِطُونَ فِيهِ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ»[1].

قولُه: «سأل أناسٌ النبيَّ ﷺ عن الكُهَّانِ». الكهَّانُ هم الذين يُخْبِرون عن المغيباتِ في المستقبل، فيقُولُون: سيكُونُ كذا في يومِ كذا، أو في شهرِ كذا، أو في سنة كذا. وهذا من علمِ الغيبِ الذي لا يَطَّلِعُ عليه إلا اللهُ، ولهذا جاء في الحديثِ: «من أتى كاهنًا فصدَّقه بما يَقُولُ فقد كفر بما أُنزِلَ على محمدٍ ﷺ»[2]. ووجهُ الكفرِ أنه صدَّق بأن أحدًا يَعْلَمُ الغيبَ سوى الله، فيكونُ في هذا تكذيبٌ لقولِه تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥].

وهؤلاءِ الكهانُ كانوا حكامًا في الجاهليةِ؛ لأن لهم شياطينَ تَتَّصِلُ بهم وتُخْبِرُهم بخبرِ السماءِ، ثم إن هذا الكاهنَ يَزِيدُ على هذه الأخبارِ أشياءَ من عندِه يُرَوِّجُ بها على الناسِ، فإذا وقعتْ الكلمةُ الصدقِ التي سُمِعَتْ من السماءِ ظنَّ الناسُ أن كلَّ كلامِه صدقٌ، فصدَّقوه بما يَقُول، ولكن الرسولَ ﷺ قَالَ: «إنهم ليسوا بشيءٍ»؛ يَعْنِي: ليس عندَهم علمٌ، ولما أُورد على الرسولِ ﷺ أنهم يُحَدِّثُون بالشيءِ ويَكُونُ حقًّا، قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «تلك الكلمةُ من الحقِّ يَحْفَظُها الجنيُّ فيُقَرْقِرُها في أُذُنِ وليِّه كقَرْقَرَةِ الدجاجة». يَعْنِي: أنه يُلْقِي إليه كلامًا ليس بمفهوم جيدًا، فيَأْخُذُ الكاهنُ منه هذه القرقرةَ ويُضِيفُ إليها ما يُضِيفُ، ثم يُحَدِّثُ الناسَ، فإذا وقعتْ كلمةُ الحقِّ قالوا: هذا هو العالمُ.

وكما أن هذا كان موجودًا في الجاهليةِ فما زال الناسُ أيضًا يَأْخُذُونَ به الآن ويُصَدِّقُونه، حتَّى إني رأيتُ بعضَ الصحفِ في أولِ هذه السنةِ الميلاديةِ -كما هي عادتُهم في التأريخ- يَكْتُبُون في الصحفِ، قالتِ الكاهنةُ فلانةُ -ثم يُصَوِّرُونها-: سيكُونُ كذا، وسيكُونُ كذا. والجهالُ من الناسِ يُصَدِّقُون، وضعفاءُ الدِّينِ يُصَدِّقُون، والواجبُ تكذيبُ هذا، والواجبُ أيضًا منعُ الصحفِ من نشرِ مثلِ هذه الأشياء، ولكن مع الأسفِ تَدْخُلُ بلادَنا من غيرِنا وتَرُوجُ فينا.

حتَّى لو فُرِضَ أن القضاءَ والقدرَ صدَّق ما يَقُولُه هذا الكاهنُ، فإننا نَعْلَمُ علمَ اليقين أن هذا الكاهنَ لا يَعْلَمُ الغيبَ، ولا يَجُوزُ لنا أن نُصَدِّقَه، ولا أن نَرْكَنَ إلى ما قَالَ قبلَ أن يَقَعَ؛ لأن الرسولَ ﷺ قَالَ: «ليسوا بشيءٍ».

فإن سأل شخصٌ الكاهنَ ليختبِرَه ويُكَذِّبَه. فهذا لا بأسَ، بل قد يَكُونُ واجبًا، فقد اختبرَ النَّبيُّ ﷺ ابنَ صيَّادٍ، فقال: «ما خبأتُ لك؟». فقال: الدُّخُّ. وكان الرسولُ ﷺ قد أضمرَ في نفسِه الدُّخانَ، لكن قصد وعجز أن يُكمِلَها، فقال: الدُّخُّ. فقال النَّبيُّ ﷺ: «اخسأ فلن تَعْدُوَ قدرَك»[2].

فسؤالُ الكهانِ يَنْقَسِمُ إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

---

(١) رواه مسلم (٢٢٢٨) (١٢٣).

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (٢/ ٤٢٨) (٩٥٠٢)، وأبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، وابن ماجة (٦٣٩). وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه على السنن: صحيح.

(٢) تقدم تخريجه.

القسمُ الأولُ: أن يُرَادَ به بيانُ عُوارِه وكذبه، فهذا جائزٌ، بل واجبٌ، بشرطِ ألا يَكُونَ في ذلك تغريرٌ لأحدٍ، بحيثُ يغترُّون إذا جاء هذا الرجلُ ليَسْأَلَ الكاهنَ، أو يُمَوِّهَ هذا الكاهنُ ويقُولُ: فلانٌ جاء إليَّ وسألني، وما أشبهَ ذلك.

الثاني: أن يَسْأَلَهم لِيَنْظُرَ ما عندَهم لا لتصديقِهم. فهذا عليه الوعيدُ: **«لا تُقْبَلُ له صلاةٌ أربعينَ ليلةً»**؛ لأن في سؤالِهم إغراءً لهم لما هم عليه من الكذبِ والدَّجَلِ، وفي سؤالِهم أيضًا تغريرٌ للغيرِ، حيثُ يَظُنُّونَ أنهم على حقٍّ.

والثالثُ: أن يَسْأَلَهم ويُصَدِّقَهم فهذا هو الكفرُ؛ لأن النَّبيَّ ﷺ قَالَ: **«من أتى كاهنًا فصدَّقه بما يَقُولُ فقد كفر بما أُنزلَ على محمدٍ ﷺ»**.

وفي هذا الحديثِ: إشارةٌ إلى أن الإنسَ قد يَسْتَخْدِمُ الجنَّ، لكن إذا استخدمه لأمرٍ باطلٍ فإنه حرامٌ، أو استخدمه بطريقٍ باطلٍ كالذبحِ له، أو الركوعِ له، أو السجودِ له، أو تمكينِه من نفسِه مثلًا، فإن ذلكَ لا يَجُوزُ؛ لأن الجنَّ فيهم سفهاءُ، فمنهم من يَختَارُ هذه المرأةَ لجمالِها فيَختارُ أن تَكُونَ زوجةً له، وفيهم من يَختَارُ هذا الصبيَّ لجمالِه ويَفْعَلَ به الفاحشةَ، أو هي امرأةٌ من الجنِّ تَعْشَقُ إنسيًّا وتُرِيدُ أن تَتَّصِلَ به، وما أشبهَ ذلك، فإذا كان على هذا الوجهِ كان حرامًا.

فإذا كان تَوَلِّيه بطريقٍ محرمٍ، أو لِيَسْتَعِينَ بهم على محرمٍ كان ذلك حرامًا بلا شكٍّ.

أما إذا كان بطريقٍ مباحٍ، لِيَسْتَعِينَ بهم على شيءٍ مباحٍ، فقد ذكرَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رَحِمَهُ اللهُ أن ذلك جائزٌ، ولكن إذا خِيفَ أن يَكُونَ هذا ذريعةً إلى أمرٍ لا يَجُوزُ فلدينا القاعدةُ الشرعيةُ، وهي: سدُّ الذرائعِ.

فإن قَالَ قائلٌ: ما حكم الذهابِ إلى السَّاحرِ لفكِّ السِّحْرِ؟

فالجوابُ: هذا ليس محل اتفاق بين العلماءِ، فإنَّ من الأمانةِ العلميَّةِ أن نقولَ: لا يجوز الذَّهاب إلى السحرةِ لفكِّ السحر حتَّى لو أدَّى ذلك إلى موتِ الإنسانِ.

ومن العلماء من يجيزه للضرورةِ، كالمشهور من مذهب الإمام أحمد عند أصحابه المتأخرين، فإنهم يقولون: يجوز حلُّ السحرِ بمثلِه للضرورة، وكذلك أيضًا ما ذُكِرَ عن ابن المسيَّب أنه سُئل عن الرجل يُمنع من امرأتِه بالسحر فهل يجوزُ النُّشْرَةِ قَالَ: لا بأس، إنما يريدون به الإصلاح، فأمَّا ما ينفع فلم يَنْهَى عنه.

لكن كثيرًا من أهلِ العلمِ قالوا: إن النُّشْرَةَ بالسحرِ حرامٌ ولا تجوزُ؛ لأنَّ الرسولَ ﷺ سُئِلَ عن النشرة فقال: «هي مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ». وهكذا قَالَ العلماء.

*****

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٥٦٢- حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا مَهْدِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ، سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ سِيرِينَ يُحَدِّثُ عَنْ مَعْبَدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ نَاسٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ،

يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ حَتَّى يَعُودَ السَّهْمُ إِلَى فُوقِهِ». قِيلَ: مَا سِيمَاهُمْ؟ قَالَ: «سِيمَاهُمْ التَّحْلِيقُ -أَوْ قَالَ- التَّسْبِيدُ».

قولُه: «سِيماهم». يَعْنِي: علاماتِهم، وهؤلاءِ هم الخوارجُ الذين خرَجُوا من المشرقِ فكانوا كما وصَفهم النبيُّ ﷺ يقْرأُون القرآنَ، لكن لا يُجاوزُ تَرَاقِيَهم -والعياذُ باللهِ-، وعليك يا أخي أن تُفَتِّشَ في نفسِك: هل إذا قرأت القرآنَ يَصِلُ القرآنُ إلى قلبِك، أو يكونُ في الحنجرةِ فقط.

إن كان الثاني فعليك بالمبادرةِ بالعلاجِ قبل أن يَسْتَشْرِيَ المرضُ، فلا تَسْتَطِيعُ الفِكَاكَ منه.

وإن كان الأولُ، وأنك تَجِدُ لذةً في قراءةِ القرآنِ، وحلاوةً، وطعمًا، وانشراحَ صدرٍ، فاعلمْ أن هذه منةٌ من اللهِ عليك فاشكرْه عليها؛ لِيَزِيدَك عليها.

والتحليقُ: إزالةُ الشعرِ، والتَّسْبِيدُ: استئصالُه.

قَالَ الحافظُ في «الفتح» (١٣/ ٥٣٧):

قولُه: «التحليقُ أو قَالَ: التسبيدُ» شكٌّ من الراوي، وهو بالمهملةِ والموحدةِ؛ بمعنى: التحليقِ، وقيل: أبلغُ منه؛ وهو بمعنى: الاستئصالِ. وقيل: إن نبَت بعدَ أيامٍ. وقيلَ: هو تركُ دَهْنِ الشعرِ وغسلِه.

قَالَ الكِرْمَانيُّ: فيه إشكالٌ، وهو أنه يَلْزَمُ من وجودِ العلامةِ وجودُ ذي العلامةِ فيَسْتَلْزِمُ أن كلَّ مَن كان محلوقَ الرأسِ فهو من الخوارجِ، والأمرُ بخلافِ ذلك اتفاقًا، ثم أجاب بأن السلفَ كانوا لا يَحْلِقون رءوسَهم إلا للنسكِ أو في الحاجةِ، والخوارجُ اتَّخَذُوه دَيْدَنًا، فصار شعارًا لهم، وعُرِفوا به.

قَالَ: ويَحْتَمِلُ أن يُرادَ به حلقُ الرأسِ واللحيةِ وجميعِ شعورِهم، وأن يرادَ به الإفراطُ في القتلِ، والمبالغةُ في المخالفةِ في أمرِ الديانةِ.

قلتُ: الأولُ باطلٌ؛ لأنه لم يَقَعْ من الخوارجِ، والثاني مُحْتَمِلٌ، لكنَّ طرقَ الحديثِ المتكاثرةِ كالصريحةِ في إرادةِ حلقِ الرأس، والثالثُ كالثاني. واللهُ أعلمُ.

تنبيهٌ: وقَعَ لابنِ بَطَّالٍ في وصفِ الخوارجِ خَبْطٌ أَرَدْتُ التنبيهَ عليه لئلا يُغْتَرَّ به، وذلك أنه قَالَ: يُمْكِنُ أن يكونَ هذا الحديثُ في قومٍ عرَفهم النَّبيُّ ﷺ بالوحيِ أنهم خرَجُوا ببدعتِهم عن الإسلامِ إلى الكفرِ، وهم الذين قتَلَهم عليٌّ بالنَّهروانِ حين قالوا: إنك ربُّنا. فاغْتاظ عليهم، وأمَرَ بهم، فحُرِّقوا بالنارِ، فزادَهم ذلك فتنةً، وقالوا: الآن تَيَقَّنَّا أنك ربُّنا؛ إذ لا يُعَذِّبُ بالنارِ إلا اللهُ. انتهى. وقد تقدَّمَت هذه القصةُ لعليٍّ في الفتنِ، وليستْ للخوارجِ، وإنما هي للزنادقةِ، كما وقَع مصرَّحًا به في بعضِ طرقِه.

ووقَع في شرحِ الوجيزِ للرافعيِّ عند ذكرِ الخوارجِ قَالَ: هم فرقةٌ من المبتدعةِ خرَجوا على عليٍّ حيثُ اعتقدوا أنه يَعْرِفُ قَتَلَةَ عثمانَ، ويَقْدِرُ عليهم، ولا يَقْتَصُّ منهم؛ لرضاه بقتلِه ومواطأتِه إياهم، ويَعْتَقِدُون أن من أتَى كبيرةً فقد كفَر، واستحقَّ الخلودَ في النارِ، ويَطْعَنُونَ لذلك في الأئمةِ. اهـ

الظاهرُ منه -واللهُ أعلمُ- أن قولَه: «سِيماهم التحليقُ». ليس حلقَ الرأسِ كلِّه ولكنهم يَحْلِقُونَ حلقًا يكُونُ كالحَلْقةِ على الرأسِ، فإما أن يَكُونَ حلقةً دائرةً في وسَط الرأسِ؛ أي: يَكُونُ ما فوقَ الرأسِ باقيًا وما أسفلَه باقيًا على

شكلِ حلقةٍ كالطوقِ، وإما أن تكُونَ حلقةً من أسفل، ويَكُونُ أعلى الرأسِ باقيًا.

وهناك احتمالٌ ثالثٌ: أن تكُونَ حلقةً في أعلى الرأس.

أما مجردَ حلقِ الرأسِ فهذه ليست علامةً على الخوارجِ؛ لأن الناسَ يَفْعَلُونها وهم ليسوا من الخوارجِ.

والشاهدُ من هذا الحديثِ قولُه: «يَقْرَأُون القرآنَ لا يُجاوزُ تَرَاقِيَهم». فدلَّ هذا على أن القرآنَ يَقْرَأه البرُّ والفاجرُ.

***

ثُمَّ قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٨- باب قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء:٤٧]. وَأَنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ وَقَوْلَهُمْ يُوزَنُ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْقُسْطَاسُ الْعَدْلُ بِالرُّومِيَّةِ.

وَيُقَالُ: الْقِسْطُ مَصْدَرُ الْمُقْسِطِ، وَهُوَ الْعَادِلُ. وَأَمَّا الْقَاسِطُ فَهُوَ الْجَائِرُ.

قولُ الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾. قولُه: ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾. اللامُ فيه للتوقيتِ؛ أي: في يوم القيامةِ تُوضَعُ الموازينُ، وهي موازينُ قسطٍ؛ أي: عدلٍ، كما قَالَ تعالى: ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾﴾ [الشعراء:١٨٢]. يَعْنِي: بالعدلِ.

۞ وقولُ المؤلفِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأن أعمالَ بني آدمَ وقولَهم يُوزَنُ». هذا هو القولُ الراجحُ؛ أن الذي يُوزَنُ هو العملُ، سواءٌ كان فعلًا أم قولًا.

وذهَبَ بعضُ العلماءِ إلى أن الذي يُوزَنُ هو صحيفةُ العملِ.

وذهبَ آخرونَ إلى أن الذي يُوزَنُ هو العاملُ.

فأما الذين قالوا بأن الذي يُوزَنُ هو العملُ فأدلَّتُهم من القرآنِ ظاهرةٌ، وكذلك من السنةِ، ومن ذلك قولُ الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ [الأنبياء:٤٧]. وقولُه تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة:٧-٨].

وقال تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم﴾ [الأعراف:٨]. إلى غير ذلك من الآياتِ التي تَدُلُّ على أن الذي يُوزَنُ هو العملُ.

وقيلَ: بل إن الذي يُوزَنُ هو صحائفُ العملِ، واستَدَلَّ أصحابُ هذا القولِ بحديثِ صاحبِ البطاقةِ الذي يُؤْتَى له بسِجِلَّاتٍ كثيرةٍ، ويقالُ: هذه سيئاتُك. فإذا رأى أنه قد هلَكَ قيل له: إن عندنا لك حسنةً. فيُؤْتَى ببطاقةٍ فيها: لا إله إلا اللهُ. فيقول: يا ربِّ، وما هذه البطاقةُ مع هذه السِّجِلَّاتِ؟! فيقالُ: إنك لا تُظْلَمُ. ثم تُوضَعُ البطاقةُ في كِفَّةٍ، والسِّجِلَّاتُ في كفةٍ، فتَرْجَحُ البطاقةُ، وتَطِيشُ

السِّجِلَّاتُ[(١)]. فهذا يَدُلُّ على أن الذي يُوزَنُ هو صحائفُ الأعمالِ.

والقولُ الثالثُ: أن الذي يُوزَنُ هو العاملُ. واسْتَدَلُّوا على ذلك بقولِ النَّبِيِّ ﷺ: «إن ساقيه - يَعْنِي: عبدَ الله بنَ مسعودٍ- في الميزانِ أثقَلُ من أحدٍ»[(٢)]. وبقولِه تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف:١٠٥].

وأُجِيبَ عن هذه الأدلةِ بأن الآيةَ لا دليلَ فيها أصلًا؛ لأن المعنى: لا نُقِيمُ لهم قيمةً، وإلا فسَيُقامُ الوزنُ لكلِّ أحدٍ.

وأما حديثُ عبدِ الله بنِ مسعودٍ فظاهرُه أن الذي يُوزَنُ هو العاملُ. ولكن قد نَقولُ: إن هذا خاصٌّ بابنِ مسعودٍ رضي الله عنه، أو إنه قد يُوزَنُ غيرُه، ولكنه نادرٌ.

والقولُ الراجحُ من هذه الأقوالِ: أن الذي يُوزَنُ هو العملُ، كما قَالَ البخاريُّ رحمه الله.

وقولُه: «المُقْسِط» وهو العادلُ، وأما القاسطُ فهو الجائرُ. هذا صحيحٌ فقد قَالَ اللهُ تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات:٩]. وقال: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [الجن:١٥]. فالقاسطُ هو الجائرُ، والمُقْسِطُ هو العادلُ، وسُمِّي بذلك؛ لأنه مُزِيلٌ للقسْطِ، وهو الجَوْرُ.

***

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رحمه الله:

٧٥٦٣- حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِشْكَابٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ الله الْعَظِيمِ»[(٣)].

هذا الحديثُ أيضًا مما يَدُلُّ على أن الذي يُوزَنُ هو العملُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كلمتانِ حبيبتانِ إلى الرحمنِ». أي: أنه يُحِبُّهما عز وجل، «خفيفتانِ على اللسانِ». أي: لا تَثْقُلُ على اللسانِ. «سبحان الله وبحمدِه، سبحان الله العظيم». فقولُه: «ثقيلتانِ في الميزانِ». وهذا واضحٌ بأن الذي يُوزَنُ هو العملُ؛ يَعْنِي: يومَ القيامةِ تُوضَعُ هاتانِ الكلمتانِ في الميزانِ فتكونان ثقيلتان.

فإن قَالَ قائلٌ: كيف تُوضَعُ وهي عملٌ؟

فالجوابُ: أن اللهَ تعالى قادرٌ على أن يَجْعَلَ العملَ أجسامًا، ونظيرُ ذلك أن الموتَ -وهو معنًى وصفةً- يُؤْتَى

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٢/ ٢١٣) (٦٩٩٤)، والترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجة (٤٣٠٠). وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في «شرح المسند»: إسناده صحيح. وقال الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (١٧٧٦): صحيح.

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (١/ ٤٢٠، ٤٢١) (٣٩٩١)، من طريق عاصم بن أبي النجود. وقال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٢٨٩): رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني من طرق...وأمثل طرقها فيه عاصم بن أبي النجود، وهو حسن الحديث على ضعفه، وبقية رجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح.اهـ.

(٣) رواه البخاري (٧٥٦٣)، ومسلم (٢٦٩٤) (٣١).

به يومَ القيامةَ، ويَطَّلِعُ عليه أهلُ النارِ وأهلُ الجنةِ، ويُذْبَحُ أمامَ الجميعِ، فيُقالُ: يا أهلَ الجنةِ خلودٌ ولا موتٌ، ويا أهلَ النارِ خلودٌ ولا موتٌ[1]، واللهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

۞ وقوله: «سبحانَ الله وبحمدِه». أي: أُسَبِّحُ اللهَ تسبيحًا مقرونًا بحمدِه، فيكونُ جمعًا بين التَّخْلِيَةِ والتَّحْلِيَةِ؛ أي: التخليةُ عن صفاتِ العيبِ، والتحليةُ بإثباتِ صفاتِ الكمالِ، وبذلك يَتِمُّ الكمالُ، إذ إن الكمالَ الذي يُمْكِنُ أن يَقْتَرِنَ به عيبٌ ليس كاملًا، والعيبُ الخالي من الكمالِ ليس كاملًا، ويَتِمُّ الكمالُ إذا انتفى النقصُ وثبَتَ الكمالُ، ولهذا جمَعَ بينهما فقال: «سبحانَ الله وبحمدِه». و«الباءُ» هنا للمصاحبةِ.

۞ وقولُه: «سبحانَ الله العظيمِ». تأكيدٌ لما سبَق، والعظيمُ: ذو العظمةِ والجلالِ.

وبهذا الحديث انتهى صحيح البخاري رحمه الله وغفر له
وقد ختم كتابه بهاتين الكلمتين فنسأل الله أن يثقل ميزانه ويغفر لنا وله

---

(١) تقدم تخريجه.



فهرس الأطراف

أدرجنا في ثنايا هذا الفهرس الآثارَ الموقوفة، ولم نقتصر على فهرسةِ الأحاديث المرفوعة فحسب، وذلك حتى يتسنَّى للقارئ الكريم الرجوعُ إلى بغيتِهِ بطريقةٍ سهلةٍ مُيسرَةٍ.

وقد ميَّزنا ذلك بنسبة كلِّ قول إلى قائله خلا الأحاديث المرفوعة، ووضعنا اسمَ القائلِ بينَ قوسين هكذا ( ) ومثال ذلك:

١- أبيٌّ أقرؤنا (من قول عمر).

٢- أرأيتَ إنْ عجز واستحْمَقَ (من قول ابن عمر).

٣- تبارك الذي وسع سمعُه الأصوات (من قول عائشة).

وقمنا -كذلك- بوضع عبارة (قدسي) إلى جوار الحديث القدسي لتمييزه، وذلك إن لم نصدره بقول: قال الله، أو نحوه.

وكذا، قمنا بفهرسة أشهر العبارات التي تميزت بها بعض الأحاديث كحديث: (الشفاعة)، و(جبريل)، و(الجساسة)... وهكذا.

وضمَّناه -أيضًا- بالإضافة إلى طرف الحديث أشهر العبارات الواردة في ثنايا الحديث النبوي، وإن لم تكن في صدرِ الحديث.

وذلك من أجل خدمة تراث الإمام العلَّامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ على الوجه الأمثل، والله نسأل أن يوفقنا وسائر المسلمين إلى ما يحب ويرضى.



فهرس الأطراف

ائتموا بي، وليأتم بكم من بعدكم .... ٣ .... ١٨١
ائتني بغيرها .... ١ .... ٤١٦
ائتوا نوحًا .... ١ .... ٢٠
ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده .... ١ .... ٣٠٢
ائذن له ويبشره بالجنة .... ١٠ .... ٤٢
ائذن له ويبشره بالجنة .... ٩ .... ٥٢٠
ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد .... ٣ .... ٤٨٨
ائذنوا له بئس أخ العشيرة .... ٣ .... ١٧١
أبا بكر ض قبل النبي ﷺ وهو ميت .... ٧ .... ٣٨٤
أبا هر الحق أهل الصفة .... ٧ .... ٦٧٩
أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئًا .... ١٠ .... ٤٥٧
أبايعكم علي أن لا تشركوا بالله شيئًا .... ٩ .... ١٢٠
ابتاعيها فأعتقيها .... ٢ .... ٣٤٨
ابدءوا بميامنها ومواضع الوضوء منها .... ٤ .... ٤١٧
ابدءوا بميامنها، ومواضع الوضوء .... ٤ .... ٤١٧
ابدأ بمن تعول .... ٧ .... ٦١٤
ابدأ بنفسك .... ١ .... ٦١
ابدأ بنفسك ثم بمن تعول .... ٧ .... ٣١٤
ابدأن بميامنها ومواضع الوضوء منها .... ١ .... ٤٤١
ابدأن بميامنها ومواضع الوضوء منها .... ٤ .... ٤١٧
ابدأن بميامنها ومواضع .... ٢ .... ١٤
أبرد أبرد .... ٢ .... ٤٧٠
أبرد .... ٢ .... ٤٧٥، ٥٨٣
أبرد .... ٣ .... ٣٠
أبرد .... ٣ .... ٣٥٩
ابسط رداءك .... ١ .... ٣٢٤
ابعثها قيامًا مقيدةً سنة محمد ﷺ .... ٥ .... ٤٣٢
أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم .... ٩ .... ٦٢٩
أبغض الناس إلى الله ثلاثة ملحد في الحرم .... ٩ .... ٢٤٢
أبك جنون؟ .... ٦ .... ٥١٨
أبك جنون؟ .... ٧ .... ٥٤٤
أبك جنون؟ .... ٩ .... ١٤٤، ١٥٠، ١٥٤
أبك جنون؟ .... ٩ .... ٦٠٨
أبك جنون؟ .... ٩ .... ٦٤٢
أبكرًا أم ثيبًا؟ .... ٦ .... ١٥٥
أبلي وأخلقي .... ٧ .... ٤٨٩، ٥١٦
ابن أخت القوم منهم .... ٩ .... ٧٨
أبوء بذنبي، فاغفر لي .... ٨ .... ١٤٤
أبوك «حذافة .... ٢ .... ٤٧٦
أبوك حذافة .... ١٠ .... ٦٩، ٧٦
أبوك فلان .... ١٠ .... ٨٠
أبي أقرؤنا...(من قول عمر) .... ٦ .... ٤٤
أتاني الليلة آت من ربي .... ١٠ .... ١٤٢
أتاني الليلة آت من ربي .... ٥ .... ١٩٢
أتاني جبريل فبشرني .... ١٠ .... ٤٧٢
أتت النبي ﷺ فرد نكاحها...(عن خنساء بنت خزام) .... ٩ .... ٣٦٠
أتحبين؟ .... ٦ .... ٢٢٩
أتخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟ .... ٢ .... ٢٠٩
اتخذ النبي ﷺ خاتمًا من فضة .... ١ .... ١٩٣
اتخذ النبي ﷺ خاتمًا من فضة .... ٧ .... ٥٤٤
اتخذ النبي ﷺ خاتمًا من فضة .... ٩ .... ٥٩٧
اتخذ خاتمًا من فضة .... ٧ .... ٥٤٦
اتخذ رسول الله ﷺ خاتمًا من ورق .... ٧ .... ٥٤٤
أتدرون أي يوم هذا؟ .... ٥ .... ٤٦٣، ٤٦٤
أتدرون أي يوم هذا؟ .... ٩ .... ٢١٧
أتدرون ماذا قال ربكم .... ٧ .... ٤٠١
أتدري أين تذهب .... ٧ .... ٣٩١
أترا ني ماكستك لآخذ جملك .... ٢ .... ٣٣٣

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
أتردين عليه حديقته؟	٦	٥٣٠
أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة	٧	٤٤٠
أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة	٧	٥٥٢
أترك النبي ﷺ من شيء؟ قال: ما ترك إلا ما بين الدفتين	٦	٦٢
أترون أن هذه المرأة تقذف ولدها في النار	٧	٣٤٥
أتزوجت؟	٦	٤٦٨
أتشفع في حد من حدود الله	٧	٦٩٧
أتشفع في حد من حدود الله	٩	١١٢
أتشفع في حد من حدود الله	٩	١١٤
أتصلي للناس فأقيم...(من قول بلال لأبي بكر)	٣	١٢٦
أتعجبون من غيرة سعد	٧	٦٧٢
أتعجبون من هذا؟	٧	٥٠٢
أتعجبون منها؟	٧	٥٤٩
اتق الله واردها إلى بيتها...(من قول عائشة)	٦	٦٠٤
اتق الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه	٩	١٣١
اتق الله، وأمسك عليك زوجك	١٠	٣٨٦
اتق دعوة المظلوم	٧	١٤١
اتقوا الشح فإنه أهلك	١٠	٧٥
اتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندكم	٦	١٥٨
اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم	٥	١٠
اتقوا الله، علام تدغرون أولادكن	٧	٣٩٣
اتقوا النار ولو بشق تمرة	٤	٦٣٣
اتقوا النار ولو بشق تمرة	٧	٤٦٣، ٤٨٦
اتقي الله واصبري	٤	٤١٠، ٤٥١
اتقي الله واصبري	٩	٥٨٠
أتمها وأكملها	٦	٩١
أتموا الركوع والسجود	٧	٥٥٣
أتموا صلاتكم، وأرخى الستر	٣	١١٩
اتهموا رأيكم على دينكم... (من قول سهل بن حنيف)	١٠	٩٩
أتي النبي ﷺ برجل قد شرب	٩	١٠٢
أتي النبي ﷺ بسكران فأمر بضربه	٩	١٠٦
أتي النبي ﷺ بصبي فبال على ثوبه	٧	٢١٧
أتى النبي ﷺ سباطة قوم	١	٥٦٦
أتى النبي ﷺ عبد الله بن أبي بعد ما دفن	٤	٤٣٢
أتى النبي ﷺ عبد الله بن أبي	٧	٤٥٦
أتى النبي ﷺ على قبر منبوذ، فصفهم وكبر أربعًا	٤	٥٠٧
أتى النساء فوعظهن وذكرهن	٣	٤٣٣
أتى النساء فوعظهن وذكرهن	٣	٦٤٢
أتى النساء فوعظهن وذكرهن	٤	١٠
أتى النساء ومعه بلال فوعظهن وذكرهن	٤	١١
أتى رجل النبي ﷺ فقال له: إن أختي	٧	٦٣٤
أتي رسول الله ﷺ بصبي، فبال على ثوبه	١	٥٦٤
أتى رسول الله ﷺ سباطة قوم، فبال قائمًا	١	٥٦٦
أتى رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي بعد ما أدخل	٤	٥٦٤
أتى رسول الله ﷺ قبرًا	٤	٥١٨
أتى رسول الله ﷺ وقد حمل	٧	٦٣٢
أتيت الذي هو خير	٧	٦٦٥
أتيت النبي ﷺ وهو في قبة حمراء	٧	٥٢٨
أتيت أنا وأبوبكر وعمر	٤	٥٣٩
أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة...(من قول عمر)	٦	٢٤٩
اثنتان في الناس هما بهم كفر	٩	٨٥
اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب	١	٩٤
اجتنبوا السبع الموبقات	٩	٢٠٤
اجتنبوا الموبقات	٧	٤٣٨
أجرك على قدر نصبك	١٠	٣٢٤
أجرك على قدر نصبك	٥	١٥٩
أجعلتني لله ندا	١	١٦٥
أجعلتني لله ندا،	٧	٤٠٠
أجعلتني لله ندا؟	٧	٥٦٣
اجعله مكانه، ولن توفي أو تجزي	٣	٦٢٧
اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترًا	١	٣٨٣
اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترًا	٤	٥٧
اجعلوا إهلالكم بالحج عمرةً	٥	٢٥٦

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم	٢	٣١٨
اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم	٤	٢٨٥
أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم	٣	٥٤٦
أجل كما يوعك رجلان منكم	٧	٣٣٦
أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك	٦	٤٤٩
أجل، ولكني لست كأحد منكم	٤	٢٠٤
اجلسوا ها هنا	٦	٤٨٠
أجيبوا هذه الدعوة إذا دعيتم لها	٦	٣٥٦
أحابستنا هي؟	١	٣٧٠
أحابستنا هي؟	٥	٤٨٤
أحب الأعمال إلى الله الصلاة على وقتها	١٠	٢١٢
أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل	٧	٥٢٩
أحب البقاع إلى الله مساجدها، وأبغض البقاع	١٠	٢١٢
أحب الصلاة إلى الله صلاة داود	٤	٢٢٦
أحب أموالي إلي بيرحاء...(من قول أبي طلحة)	٧	٦٣٩
أحبوا الله؛ لما يغذوكم به من النعم	١	٧٣
احتج آدم وموسى	١٠	٤٩١
احتجبي منه يا سودة	٩	١٤٧
احتجبي منه يا سودة	٩	٨٤
احتجبي منه	٩	٥٧
احتجبي منه	٩	٦٢٤
احتجم النبي ﷺ في رأسه	٧	٣٧٤
احتجم النبي ﷺ وهو صائم	٧	٣٧٢
احتجم النبي ﷺ وهو محرم	٥	٥٩٦
احتجم النبي ﷺ وهو محرم	٧	٣٧٢
احتجم بلحي جمل من طريق مكة	٧	٣٧٤
احتجم رسول الله ﷺ وهو محرم	٥	٥٩٥
احتجم في رأسه	٧	٣٧٤
احتجم وأعطى الحجام أجره واستعط	٧	٣٦٩
احتجم وهو محرم في رأسه	٧	٣٧٤
احث في أفواههن التراب	٤	٤٩١
احث في أفواههن التراب	٤	٤٩٢
أحججت عن نفسك؟	٥	١٦٨
أحججت؟	٥	٤٤٩، ٥٢٥
أحد جبل يحبنا ونحبه	١٠	٢١١
أحد جبل يحبنا ونحبه	٥	٩٤
احرص على ما ينفعك واستعن بالله	١٠	٤٩٣
احرص على ما ينفعك واستعن بالله	٧	٤٠٢
احرص على ما ينفعك واستعن بالله	٧	٤٠٣
احرص على ما ينفعك	١٠	١٢
احرص على ما ينفعك، واستعذ بالله	٧	٢٥٢
أحرم رسول الله ﷺ المدينة	١٠	٩٧
أحرورية أنت؟...(من قول عائشة)	٢	٢٢٩
أحسنت	٦	٤٠
أحسنت، طف بالبيت وبالصفا والمروة ثم أحل	٥	٥٢٥
أحق الشروط أن توفوا به ما استحللتم	٦	٣١٤
أحق ما أوفيتم من الشروط أن توفوا به ما استحللتم	٦	٣١١
أحق ما يقول؟	٤	٣٥٥
أحل الذهب والحرير لإناث أمتي	٤	٣٨٧
أحل الذهب والحرير لإناث	١٠	١٢٧
أحلت لي ساعة من نهار	١	٢٨١
احلق رأسك، وصم ثلاثة أيام	٥	٥٤٨
احلق	١	٤٥٥
أحلوا من إحرامكم بطواف	٥	٢٥٢
أحيانًا يأتيني مثل صلصلة	١	٢٢
أحيوا ما خلقتم	٧	٦١٨، ٦٢٧
أخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا	١٠	٥٣٤
أخبروه أن الله يحبه	١٠	٢٠٨
اختار الله لرسوله ﷺ...(من قول عمر)	١٠	٥٢
اختتن إبراهيم	٧	٧٨١
اختر منهن أربعًا، وفارق البواقي	٦	١٩٠
الاختصار في الصلاة	٤	٣٣٨
اختصام الملأ الأعلى	١٠	٢٣٨
اختصام الملأ الأعلى	١٠	٣٦٠
اختصمت الجنة والنار إلى ربهما فقالت	١٠	٤٢١
اختلاف أمتي رحمة	١٠	١٠٦
اختلف علي وعثمان ه وهما بعسفان في المتعة	٥	٢٥٣

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
أخذ الجزية من مجوس هجر	١	٨٣
أخذ الراية زيد فأصيب	٤	٤٠٢
أخذ الرسول ﷺ بذؤابتي فجعلني عن يمينه	٧	٥٨٠
أخذ علينا النبي ﷺ عند البيعة أن لا ننوح	٤	٤٩٥
أخذت أهل السموات منه	١٠	٤٦٧
أخذها خالد بن الوليد من غير إمرة، ففتح له	٤	٤٠٥
أخذها زيد فقتل، وأخذها جعفر فقتل	٤	٤٩٢
آخر آية نزلت خاتمة سورة النساء...(من قول البراء)	٩	٤٨
أخر عني يا عمر	٤	٥٩٢
اخرج بأختك من الحرم فلتهل	٥	٢٤٣
أخرج بعث النار	٧	٤٤٢
اخرج عدو الله، إني رسول الله	٧	٣١٧
اخرج معها	٥	٦٢٩
أخرجت إلينا شعرًا من شعر النبي ﷺ مخضوبًا	٧	٥٦٥
أخرجوا المشركين من جزيرة العرب	٢	٥٩٩
أخرجوا المشركين من جزيرة العرب	٩	٥٥٨
أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب	٢	٥٩٩
أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب	٩	٥٥٩
أخرجوا بعث النار	٧	٤٤٧
أخرجوهم من بيوتكم	٧	٥٥٤
أخرجوهم من بيوتكم	٩	١٧٨
اخسأ فلن تعدو قدرك	١٠	٥٦٧
أخضب النبي ﷺ	٧	٥٦٥
أخطأ من شدة الفرح	٦	٥١٦
أخوف ما أخاف عليكم	٧	٧٤٤
أدرك هذه الأمة...(من قول حذيفة)	٦	١٦
أدركت العلم بلسان سؤول...(من قول ابن عباس)	٦	٣٩٠
ادع الله أن يجعلني منهم...(من قول عكاشة)	٤	٧٣
ادع حالقك	٥	٥٤٤
ادع لي أبا بكر	١	٣٠٤
ادع لي رجالًا -سماهم- وادع لي من لقيت	٦	٣٢٩
ادع لي زيدًا وليجئ باللوح والدواة	٦	١٩
ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله	٤	٦٠٣
ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة	٦	٥٣
ادعوا الله وأنتم	٧	١٣٩
ادعوا لي المقداد	٩	٢١٤
ادعوه بها	٢	٢٢٨
ادفنوهم في دمائهم	٤	٥٥٦
أدق من الشعر وأحد من السيف	١٠	٤٠٧
أدومها وإن قل	٧	٣٤١
إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه	٦	٢٦٠
إذا أتاكم من ترضون دينه	٦	١٧٦
إذا أتى أحدكم الصلاة و الإمام على حال	٣	٤٤
إذا أتى أحدكم الصلاة، والإمام على حال	٤	٥١٢
إذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة	١	٣٩٤
إذا أتى أحدكم الغائط فلا	١	٣٩٣
إذا أتى الخلاء قال: أعوذ بالله	١	٣٩٠
إذا أتيت مضجعك فتوضأ	١	٦١٣
إذا أتيت مضجعك فتوضأ	٧	١٥١
إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة	٢	٢٦٧
إذا اجتنبت الكبائر	٢	٤٦١
إذا أحب عبدي لقائي	١٠	٤٨٦
إذا احتضر الإنسان	١	٣٤١
إذا أحدث أحدكم في صلاته، فليأخذ بأنفه	٣	٥٠
إذا أحسن أحدكم إسلامه، فكل حسنة	١	١٢٣
إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت...(من قول عثمان)	٦	١٠
إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة	٢	٣٨٣

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
إذا أدرك أحدكم سجدةً من صلاة العصر	٢	٥١١
إذا أذن بالصلاة أدبر	٤	٣٤٢
إذا أذنت أذان الصبح الأول	١٠	٣٣
إذا أذنت الأول لصلاة الصبح	٣	١٤
إذا أراد عبدي أن يعمل سيئةً	١٠	٤٨٤
إذا أردت مضجعك فقل	٧	١٥٣
إذا أرسلت كلابك المعلمة وذكرت اسم الله	١٠	٣٠٤
إذا أرسلت كلبك المعلم	١	٤٥٨
إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له	١	٢٦٣
إذا استأذن أحدكم ثلاثًا	٧	٦٧٧
إذا استأذنت المرأة أحدكم إلى المسجد	٦	٤٦٢
إذا استأذنت امرأة أحدكم فلا يمنعها	٣	٤٤٨
إذا استأذنكم نساؤكم بالليل	٣	٤٣٤
إذا استطاع أحدكم أن ينفع أخاه فلينفعه	٧	٣٥٦
إذا استغسل أحدكم فليغتسل	٧	٦٠٧
إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة	٤	٣٢١
إذا اشتد الحر فأبردوا	٢	٤٦٩
إذا اشتد الحر فأبردوا	٢	٤٧٠
إذا أصاب ثوب إحداكن الدم	٢	١٩٤
إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلًا	٦	٤٦٦
إذا أطعمت المرأة من بيت زوجها	٥	٣٨
إذا أعجلت أو قحطت فعليك الوضوء	١	٤٧٩
إذا أعطي خيرًا فهوا أهله	٧	٣٢٦
إذًا أفعل كما فعل رسول الله ﷺ	٥	٤١٨
إذا أقبل الليل من هاهنا	١٠	٤٨٠
إذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة	٢	٢٤٢
إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب	٩	٤٥٥
إذا أقعد المؤمن في قبره أتي	٤	٥٩٦
إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون	٣	٥١١
إذا أقيمت الصلاة فلا تقوموا حتى تروني	٣	٤٦، ٤٧
إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة	٣	٤٥
إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة	٣	٨٨
إذا أقيمت صلاة الصبح فطوفي على بعيرك	٥	٣٤١
إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل	١	٩٩
إذا التقى المسلمان بسيفيهما	١٠	٤٨٥
إذا التقي المسلمان بسيفيهما	٩	٢٢٢
إذا أم أحدكم الناس فليخفف	١	٢١١
إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم	١٠	٦٥
إذا أمسيتم قبل أن تطوفوا هذا البيت صرتم حرمًا	٤	٥٤
إذا أمن الإمام	٣	٢٨٩
إذا أمن القارئ فأمنوا	٧	٢٦٨
إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمين	٧	٥٢٧
إذا أنتما خرجتما فأذنا	٣	٣١
إذا أنزل الله بقوم عذابًا أصاب	٩	٥٢٨
إذا أنفق الرجل على أهله	١	١٦٦
إذا أنفق المسلم نفقةً على أهله	٦	٦٣٩
إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة	٥	٢٢
إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها	٥	٣٨
إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه	٧	١٧١
إذا أويتما إلى فراشكما	٧	١٦٨
إذا باتت المرأة مهاجرةً فراش	٦	٤٠٩
إذا بايعت فقل: لا خلابة	٩	٣٨٩
إذا تبايعتم بالعينة	٧	٣١٦
إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم بأذناب	١٠	١٥٩
إذا تشهد أحدكم التشهد الأخير فليقل	٣	٣٨٢
إذا تصدقت المرأة من طعام زوجها	٥	٣٧
إذا تقرب العبد إلي شبراً	١٠	٥٤٠
إذا تقرب العبد مني شبراً	١٠	٥٤٠
إذا تقرب إلي عبدي شبراً	٧	٣٤٤
إذا تنخم أحدكم فلا يتنخمن قبل وجهه	٢	٢٨٨
إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فكلاهما من أهل النار	٩	٥٠٤
إذا توضأ أحدكم فليجعل في أنفه ثم		

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
لينثر	١	٤٢٢
إذا توضأ أحدكم في بيته، ثم أتى المسجد	٢	٣٨٩
إذا توضأ أحدكم واستنثر فليفعل	١	٤٢١
إذا توضأ أحدكم، ثم خرج عامدًا على المسجد	٢	٣٩٠
إذا توضأ العبد المسلم فغسل وجهه خرجت	١	٣٦٢
إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل	٣	٤٥٦
إذا جاء أحدكم فراشه فلينفضه	١٠	٣٠٠
إذا جاء أحدكم والإمام يخطب	٤	٢٦١
إذا جد به السير	٥	٥٣٩
إذا جلس بين شعبها الأربع	١	٤٨٠
إذا جلس بين شعبها الأربع	١	٦١٨
إذا جلس بين شعبها الأربع، ثم جهدها	٢	٣٨
إذا حانت الصلاة فأمر أبا بكر أن يصلي	٣	١٢٨
إذا حدث الرجل بالحديث	٧	٧٦٦
إذا حرم امرأته ليس بشيء...(من قول ابن عباس)	٦	٤٩٦
إذا حضرت الصلاة فأذنا وأقيما	٣	٧٧
إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم	٢	٥٨٠
إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم	٢	٥٨٤
إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم	٢	٦٣١، ٦٣٤
إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم	٤	٥٣
إذا حضرت الصلاة فليؤذن	٣	١٤، ١٧، ٢١
إذا حضرت الصلاة فليؤذن	٣	٣٢
إذا حضرت الصلاة	١٠	٣٠
إذا حكم الحاكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد	٢	٢٨١
إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله	٣	٥٩٦
إذا حكم الحاكم فاجتهد	١٠	١٦٠
إذا حلفت على يمين	٧	٥٨٩
إذا حلفت على يمين، فرأيت غيرها خيرًا منها	٧	٥٣٤
إذا دبغ الإهاب فقد طهر	٥	١١٠
إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين	٢	٥٥٦
إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس	٣	٢٤٣
إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس	٣	٦٢٥
إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس	٥	٣١
إذا دخل أحدكم المسجد فليركع	٢	٣٣٣
إذا دخل أحدكم المسجد	٤	٢٥٧
إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله عند دخوله	٢	٦١٤
إذا دخل أهل الجنة الجنة	٧	٤٧٤، ٤٨٥
إذا دخلت ليلًا فلا تدخل	٦	٤٦٧
إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة	٧	١٩٥
إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه	٦	٤٠٩
إذا دعوتم الله فاعزموا في الدعاء	١٠	٤٥٣
إذا دعي أحدكم إلى الوليمة فليأتها	٦	٣٤٨
إذا دعي أحدكم إلى وليمة فليجب	٦	٣٤٨
إذا دعي أحدكم فجاء	٧	٦٧٩
إذا رابكم أمر فليسبح الرجال وليصفح النساء	٩	٦٣٢
إذا رأت الماء	١	٣٥١
إذا راح أحدكم إلى الجمعة فليغتسل	٣	٤٦٧
إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها	٩	٤٧٣
إذا رأى أحدكم جنازةً فإن لم يكن ماشيًا معها فليقم	٤	٤٩٧
إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها	٩	٤١٧
إذا رأيت شحا مطاعًا	٧	٣٩١
إذا رأيتم الجنازة فقوموا حتى تخلفكم	٤	٤٩٥
إذا رأيتم الجنازة فقوموا	٤	٥٠٠
إذا رأيتم الجنازة فقوموا	٤	٥٠١
إذا رأيتم الذين يتبعون المتشابه	٤	٢٨٢
إذا رأيتم الليل قد أقبل	٦	٥٧٣
إذا رأيتم آيةً فاسجدوا	٤	١٠٧
إذا رأيتم آيةً فاسجدوا	٤	١٠٩
إذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله	٤	١٢٠
إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد	٢	٣٤٩
إذا رفع رأسه من الركوع قام حتى نقول: قد نسي	٣	٣١٥

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
إذا ركع فاركعوا، وإذا سجد فاسجدوا	٤	١٦٥
إذا رميتم وحلقتم	٧	٥٨٢
إذا زنت الأمة فتبين زناها فليجلدها ولا يثرب	٩	١٨٤
إذا زنت فاجلدوها، ثم إن زنت فاجلدوها	٩	١٨٤
إذا سجد أحدكم فلا يبرك	٣	٣١٩
إذا سجد أصابني بعض ثوبه...(من قول ميمونة)	٢	٢٤٧
إذا سجد غمزني فرفعتها	٤	٣٢٣
إذا سلم عليكم اليهود	٧	٧٠٢
إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم	٩	٣٢٥
إذا سلم عليكم أهل الكتاب	٧	٧٠٢
إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة	٢	٦٠٦
إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة	٣	٢٠٣
إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة	٣	٤٣
إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة	٣	٤٩٣
إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي	٢	٦٣٤
إذا سمعتم المؤذن	١٠	٣١
إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول	٢	٦٢٧
إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها	٧	٣٩٨
إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه	٧	٣٩٩، ٤٠٦
إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه	٩	٣٩٨
إذا شرب أحدكم فلا يتنفس فى الإناء	١	٤١١
إذا شرب الكلب فى إناء أحدكم فليغسله سبعًا	١	٤٥٦
إذا شرب فاجلدوه	٩	٩٩
إذا شك أحدكم في صلاته فليتحر الصواب	٢	٦١٨
إذا شك أحدكم في صلاته، فلم يدر كم صلى	٢	٦١٧
إذا صار أهل الجنة إلى الجنة	٧	٤٧٦
إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعًا	٣	٥٦٣
إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعًا	٤	٢٦٠
إذا صلى أحدكم إلى شيء	٢	٤٢٢
إذا صلى أحدكم ركعتي	٧	١٥١
إذا صلى أحدكم فأحدث فليمسك على أنفه	١	٣٧٥
إذا صلى أحدكم فإنه يصلي بين عيني الرحمن	٩	٥٤٧
إذا صلى أحدكم للناس فليخفف	٣	١٧٦
إذا صلى فأراد أحد أن يمر بين يديه فليدفعه	٩	١٨٨
إذا صلى قائمًا فصلوا قيامًا	٤	٣٦٨
إذا صلى قاعدًا فصلوا قعودًا	٤	١٩٩
إذا صلى كبر ورفع يديه	٣	٢١٦
إذا صليت فقد قضيت...(من قول زيد بن ثابت)	٤	٥١٦
إذا صليتما في رحالكما	٢	٣٥٤
إذا صليتما في رحالكما	٤	٥٣١
إذا صليتما في رحالكما، ثم أتيتما مسجد الجماعة	٢	٥٥٣
إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه	٧	٦٤٥
إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة	٧	٣٩٢
إذا طلع حاجب الشمس فأخروا الصلاة	٢	٥٥٣
إذا ظننت فلا تحقق	٦	٢٩٤
إذا علا ماء الرجل	١	٣٥٤
إذا غاب القمر فادفعوا	٥	٦١٩
إذا فرغت فآذنا	٧	٤٥٧
إذا قاتل أحدكم أخاه	٧	٦٤٥
إذا قال أحدكم آمين، وقالت الملائكة	٣	٢٩٠
إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده	٣	٣١٢
إذا قال الإمام: ولا الضالين	٧	٢٦٨
إذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر	٢	٦٢٨
إذا قال: الحمد لله رب العالمين (حديث قدسي)	٢	٤٦٦
إذا قتلتم فأحسنوا القتلة	٩	١٣٩
إذا قدم العشاء فابدءوا به	٣	١٠٨
إذا قضى الله الأمر في السماء	١٠	٤٦٧
إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت	٢	٣٦٧
إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة	٣	٥٥٥

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
إذا قمت إلى الصلاة، فأسبغ الوضوء	٧	٥٨١
إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء	٧	٦٨٩
إذا قمت إلى الصلاة فكبر	٣	٢٤٢
إذا قمت إلى صلاتك فأسبغ الوضوء	٣	٢١١
إذا كان أحدكم على الطعام فلا يعجل	٣	١٠٩
إذا كان أحدكم يصلي	٢	٢٨٦
إذا كان أحدكم يصلي	٢	٤٢٣
إذا كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار	٩	٢١٤
إذا كان في الصلاة	٤	٣٣٣
إذا كان يوم القيامة شفعت	١٠	٤٨٨
إذا كان يوم القيامة ماج الناس	١٠	٤٨٩
إذا كان يوم عرفة فإن الله ينزل إلى السماء، فيباهي	١	١٣٢
إذا كانوا ثلاثًا فليأمروا أحدهم	٩	٤٨٩
إذا كانوا ثلاثةً فلا يتناجى	٧	٧٧٠
إذا كنتم ثلاثةً فلا يتناجى	٧	٧٧٥
إذا لم يستطع أحدنا أن يمكن جبهته	٢	٢٤٣
إذا ما رب النعم لم يعط حقها تسلط عليه	٩	٣٧٨
إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده	٧	٤١٩
إذا مات الإنسان انقطع عمله	٧	٦٣١
إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق...(من قول ابن عباس)	٩	٣٦٢
إذا مات قال: لا إله إلا الله	٧	٣١٥
إذا مر أحدكم في مسجدنا	٩	٥٠٢
إذا مر بآيات رحمة سأل	٦	١١٤
إذا مرض العبد	٤	٢٠٣
إذا مضت أربعة أشهر يوقف...(من قول ابن عمر)	٦	٥٥٦
إذا نابكم شيء فليسبح الرجال ولتصفق النساء	٤	١٣٩
إذا نابكم شيء فليسبح الرجال	٤	٣٠٧
إذا نابكم شيء في الصلاة فليسبح الرجال	٣	٦٣٨
إذا نابكم شيء في الصلاة فليسبح الرجال	٤	٦
إذا نظر أحدكم إلى من فضل	٧	٣٨٥

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
إذا نعس أحدكم وهو يصلي	١	٥٤٩
إذا نعس أحدكم وهو يصلي	٧	٣٤٦
إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان	٤	٣٦٢
إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان	٢	٦١٢
إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده	٧	٥٣٩
إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده	٧	٥٣٩
إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين	٤	٢٥٣
إذا هم بالأمر فليركع ركعتين، ثم يقول	٧	٢٤٢
إذا وجب فلا تبكين باكية	٤	٤٩١
إذا وجد أحدكم ذلك	١٠	٥٤
إذا وضع العشاء، وأقيمت الصلاة	٣	١٠٨
إذا وضع عشاء أحدكم وأقيمت الصلاة	٣	١٠٨
إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم	٤	٥٠٥
إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال	٤	٥٠٢
إذا وقع بأرض فلا تخرجوا فرارًا منه	٧	٤٠٥
إذا ولغ الكلب في الإناء فاغسلوه سبعًا	١	٤٥٠
إذًا يتكلوا	١	٣٤٧
اذبح ولا حرج	١	٢٣٨
اذبح ولا حرج	٥	٤٦٠، ٤٦١
اذبحها ولا تفي عن أحد بعدك	٣	٦٤٣
اذبحها ولا تفي عن أحد بعدك	٤	١١
اذكروا اسم الله	٦	٣٢٩
اذكروا أنتم اسم الله وكلوا	١٠	٣٠٦
أذن الرسول ص لعائشة أن تلعب بالبنات	٧	٧٨٩
آذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا...(من قول كعب)	٩	٦٦٧
أذن رسول الله ﷺ لأهل بيت من الأنصار	٧	٣٩٣
أذن عمر لأزواج النبي ﷺ في آخر حجة حجها	٥	٦٢٢
أذن في قومك	١٠	٤٤
أذهب الباس رب الناس	٧	٣٤٩
اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئًا؟	٦	١٦٦
اذهب فأخبرني عن القوم، ولا تحدث		

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
شيئًا	٥	٥٣٣
اذهب فادع لي معاوية	٢	٥٦٣
اذهب فادع لي معاوية	٣	٥٢٧
اذهب فأطعمه أهلك	٧	٦٥٠
اذهب فاطلب ولو خاتمًا من حديد	٦	٣١٠
اذهب فأفرغه عليك	٢	١٨٠
اذهب فالتمس ولو خاتمًا من حديد	٦	٢٤٨
اذهب فالتمس ولو خاتمًا من حديد	٧	٥٤١
اذهب فخذ جاريةً	٢	٢٢٨
اذهب فقد أنكحتكها بما معك من القرآن	٦	٣١٠
اذهب فقد زوجتكها بما معك من القرآن	٦	٢٧٠
اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن	٦	٢٥٤
اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن	٦	٨٣
اذهبا فابتغيا الماء	٢	١٨٠
اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم	٢	٢٣١
اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم	٦	٤٩
اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم	٧	٤٨٥
اذهبوا به فارجموه	٦	٥٢٦
اذهبوا به فارجموه	٩	١٤٤، ١٥٤
اذهبوا به فارجموه	٩	٦٠٨
أراد ألا يحرج أمته...(من قول ابن عباس)	١٠	٥٧٨
أراد ألا يحرج أمته...(من قول ابن عباس)	٢	٤٨٤
أراد ألا يحرج أمته...(من قول ابن عباس)	٣	١٠٢
أراد أن لا يحرج أمته...(من قول ابن عباس)	٢	٥١٩
أراكم يا بني حارثة قد خرجتم	٥	٦٤٩
أراني الليلة عند الكعبة	٧	٥٦٩
أراني الليلة عند الكعبة، فرأيت رجلًا آدم	٩	٤٤٤
أراه فلانًا	٦	١٩٢
أرأيت إن عجز واستحمق...(من قول ابن عمر)	٦	٤٨٠، ٦١١
أرأيتكم ليلتكم هذه، فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى	١	٣١٤
أرأيتكم ليلتكم هذه، فإن رأس مائة	٢	٥٩٢
أرأيتم إن كان أسلم	٧	٥٤٥
أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم	٢	٤٦١
أرأيتم لو وضعها في الحرام	٢	٥٣٩
أرأيتم ليلتكم هذه فإن رأس مائة سنة منها	٢	٥٢٥
أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض	١٠	٣٤٩
أرب ماله تعبد الله ولا تشرك به شيئًا	٤	٦٠٧
اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم	١٠	٢٨٢
اربعوا على أنفسكم	٢	٦٢٠
ارتحلت الدنيا مدبرةً...(من قول علي بن طالب)	٧	٢٨٩
ارجع إليه، وقل له: إنك تعيش حميدًا	٦	٥٣١
ارجع إليها فأخبرها أن لله ما أخذ وله ما أعطى	١٠	٢٢٥
ارجع فأعد وضوءك	١	٦٤٢
ارجع فحج مع امرأتك	٦	٤٥٦
ارجع فصل فإنك لم تصل	٢	٤٦٤
ارجع فصل فإنك لم تصل	٣	٢٤٢
ارجع فصل فإنك لم تصل	٣	٣٠٦
ارجع فصل فإنك لم تصل	٧	٦٨٤
ارجع فصل فإنك لم تصل	٩	٤١٣
ارجع فصل، فإنك لم تصل	٧	٥٨١
ارجعوا إلى أهليكم	١٠	٢٩
ارجعوا إلى أهليكم	٣	٣٢
ارجعوا إلى أهليكم، وعلموهم، وأدبوهم	١	٢٥٠
ارجعوا فكونوا فيهم، وعلموهم	٣	٢٤
ارحموا من في الأرض يرحمكم	١٠	٢٢٤
أرخص في أولئك رسول الله ﷺ	٥	٣٩٦
أرخص لها النبي ﷺ	٦	٦٠٦
أرخوا اللحى	١	٢٠١
أردف الفضل من المزدلفة إلى منًى	٥	٢٢٣
أردف رسول الله ﷺ الفضل	٧	٦٥٦
أرسل النبي ﷺ إلى الأنصار	٧	٥٢٩
أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما		

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
السلام	٤	٥٣٧
آرسلك أبو طلحة؟	٢	٢٩٨
أرسله يا عمر، اقرأ يا هشام	٩	٣٤١
أرسله، اقرأ يا هشام	١٠	٥٤٩
أرسله، اقرأ يا هشام	٦	٢١
الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام	٢	١٦٢
أرضعيه تحرمي عليه	٣	٦٢٨
أرضعيه تحرمي عليه	٦	١٩٨
ارفضي عمرتك، وانقضي رأسك	٥	٥٠٩
ارفع رأسك وسل تعطه	٧	٤٨٧
ارفع رأسك وقل يسمع لك	١٠	٤٨٩
اركبها ويلك	٥	٤١٣
اركبها	٥	٤١٣، ٤٢٣
ارم ولا حرج	١	٢٣٨
ارموا بني إسماعيل؛ فإن أباكم كان راميًا	٥	٩٦
ارموا وأنا معكم كلكم	٥	٩٦
أرني إزاري	٥	٢٧٤
أرى أن رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر	١	٢٩٠
أرى رؤياكم تواطأت في السبع	١	١٠٤
أرى رؤياكم قد تواطأت في العشر الأواخر	٤	٢٤٦
أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء	١	٩٥
أريت النار، فلم أر منظرًا	٢	٣١٧
أريتك في المنام مرتين إذا رجل يحملك في سرقة	٦	١٥٤
أريتك في المنام مرتين	٩	٤٥٢
أريتك في المنام يجئ بك الملك في سرقة	٦	٢٥٣
أريتك قبل أن أتزوجك مرتين	٩	٤٥٢
إزرة المؤمن إلى نصف ساقه	١	٤٢٨
أسألك اللهم بكل اسم سميت به نفسك	١	٦١٩
أسألك بكل اسم هو لك سميت به	١٠	٢١٩
أسألك بكل اسم هو لك	٥	١٤٣
إسباغ الوضوء على المكاره	٧	٣٤٦
إسباغ الوضوء على المكاره	٧	٣٨٢
استأذن أبو موسى على عمر	١٠	١٦٣
استأذن العباس بن عبد المطلب ض رسول الله ﷺ	٥	٣٤٧
استأذنت النبي ﷺ سودة أن تدفع قبل حطمة الناس	٥	٤٠٣
استأذنت سودة النبي ﷺ ليلة جمع	٥	٤٠٣
استرقوا لها فإن بها النظرة	٧	٦٠٧
استرقوا لها، فإن بها النظرة	٧	٤١٣
استعمل رسول الله ﷺ رجلًا من الأسد	٥	١٣٢
استغفروا لأخيكم	٤	٥١٨
استفتى النبي ﷺ في نذر كان على	٧	٦٣٣
استقبل القبلة وقلب رداءه	٧	٢٠٤
استقبل القبلة وكبر	٢	٢٧٢
استنثروا مرتين بالغتين أو ثلاثًا	١	٤٢١
استنصت الناس	١	٣٢٦
استنصت الناس	٣	٥٤٧
استنصت الناس	٩	٢١٧
استنصت الناس	٩	٥٠٤
أسرعوا بالجنازة؛ فإن تك صالحةً	٤	٥٠٤
أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة	١٠	٤٩٤
اسق يا زبير حتى يصل الجدر	٧	٧٧٦
أسقط الحد عن السارق في عام المجاعة	٦	٢٧٣
اسقني	٥	٣٤٨
اسقه عسلًا	٧	٣٦٠
اسقه عسلا	٧	٣٨٨
الإسلام أن تشهد	١	١٤٢
أسلم تسلم	١٠	١٥١
أسلمت على ما سلف من خير	٥	٣٥
اسمع، وأطع ولو لحبشي	٣	١٥٥
اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل	٣	١٥١
اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم	٩	٥٧١
أشار النبي ﷺ إلى عينيه	١	٣٤٨
أشبهتمونا بالحمير والكلاب...(من قول عائشة)	٩	٥٦٦
اشترى رسول الله ﷺ من اليهود طعاما	٦	١٨٥
اشتريها فإنها الولاء لمن أعتق	٥	١١١

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
اشتريها فإنما الولاء لمن أعتق	٩	٧٧
اشتريها وأعتقيها	٦	٥٤٣
اشتريها، فإن الولاء لمن أعتق	٩	٦٤
اشتكت النار إلى ربها	٢	٤٧٠
اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلةً أو ليلتين	٦	٩
اشتكى النبي ﷺ، فلم يقم ليلةً أو ليلتين	٤	٢١٨
أشد الناس عذابًا يوم القيامة	٧	٦٢٥
أشد الناس عذابًا	٧	٦٢٢
أشد أمتي على الدجال بنو تميم	١٠	٣٨٢
الإشراك بالله	٩	٣١١
اشربوا ألبانها	٧	٣٦٣
اشربوا في الأسقية كلها و لا تشربوا	٢	٤٤٩
أشركنا فإن النبي ﷺ قد دعا لك بالبركة	٧	٢١٤
أشعرنها إياه	٤	٤١٣، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢١
اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ﷺ	٥	٣٢
اشفعوا فلتؤجروا	١٠	٤٦١
أشق الولد نصفين نصف لهذه...(من قول سليمان)	١٠	٣٦٦
أشهدكم أني قد أوجبت مع عمرتي حجا	٥	٣٥٦
أصاب أرضًا بخيبر...(أي عمر)	٩	٦٣٧
أصبت السنة	١	٢٦٥
أصبت السنة	١	٤٢٠
أصبت السنة	١	٥٩٧
أصبت السنة	٣	٥٩٦
أصبت بعضًا وأخطأت بعضًا	٧	٥٦٧
أصبت بعضًا وأخطأت بعضًا	٩	٤٧٥
أصبت بعضًا، وأخطأت بعضًا	٩	٤٤٧
أصبح من عبادي كافر بي ومؤمن بي	١٠	٤٨٦
أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر	٤	١١٢
أصبحنا يومًا ونساء النبي ﷺ يبكين	٦	٤٢٢
اصبروا حتى تلقوا الله ورسوله	١٠	٤١١
اصبروا حتى تلقوني على الحوض	٩	٤٨٧
اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان	٩	٤٩٩
أصدق بيت قاله الشاعر	٧	٣٨٣
أصدق ذو اليدين	١٠	٣٦

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
أصدق ذو اليدين؟	٣	١٨٢
أصدق ذو اليدين؟	٤	٣٥٦
أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد	٤	٣٨٠
أصدق كلمة قالها الشاعر	٧	٣٧١
أصلاة الصبح مرتين؟!	٢	٥٥٤
أصلى الناس؟	٣	١٣٩
أصلى النبي ﷺ في الكعبة...(من قول ابن عمر)	٢	٢٦٨
أصليت بأصحابك وأنت جنب؟	٢	١٥٣
أصليت يا فلان؟	٣	٥٥١
اصنع في عمرتك ما أنت	٥	٤٨٣
اصنع في عمرتك ما تصنع في حجك	٥	٦١٢
اصنعوا كل شيء إلا النكاح	٢	١٥٣
اضربوه	٩	١٠٢
أطعموا الجائع، وعودوا المريض	٧	٣١٢
اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء	٧	٤٧٥
اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها	٧	٣٢٨
اطلعت في الجنة فرأيت أكثر	٦	٤١٥
أطلقوا ثمامة	٢	٣٥٧
أطولكن يدًا	٤	٦٣٧
اعتدلوا في السجود، ولا يبسط أحدكم	٣	٣٦٣
اعتدلوا في السجود، ولا يبسط ذراعيه	٢	٤٦٨
اعتدي في بيت ابن أم مكتوم	٣	٦١٠
اعتدي في بيت ابن أم مكتوم	٧	٦٥٣
أعتقها فإنها مؤمنة	١٠	٣٨٨
أعتقها فإنها مؤمنة	٧	٥٣٢
أعتقها، فإنها مؤمنة	٧	٦٤٧
أعتقيها فإن الولاء لمن أعطى الورق	٩	٧٢
أعتقيها فإنما الولاء لمن أعتق	٩	٦٦
اعتكف رسول الله ﷺ عشر الأول من رمضان	٣	٣٥٠
أعتم رسول الله ﷺ ليلةً بالعشاء	٢	٥٣٥
اعتمر أربع عمر: في ذي القعدة	٥	٥٠٧
اعتمر النبي ﷺ حيث ردوه	٥	٥٠٦
اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة	٥	٦٠٧
اعتمر النبي ﷺ قبل أن يحج	٥	٥٠٠

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
اعتمر رسول الله ﷺ أربعا	٥	٥٠١
اعتمر رسول الله ﷺ فطاف بالبيت	٥	٣١٣
اعتمر رسول الله ﷺ في ذي القعدة	٥	٥٠٧
اعتمر رسول الله ﷺ واعتمرنا معه	٥	٥٢٤
أعددت لعبادي الصالحين	١٠	٤٨٢
أعدلتمونا بالكلب والحمار...(من قول عائشة)	٢	٤١٩
أعذر الله إلى امرئ أخر أجله	٧	٢٩٢
أعرستم الليلة؟	٥	١٣٨
أعرضوا على رقاكم	٧	٤٦٩
اعرف وكاءها وعفاصها وعرفها سنةً	٦	٥٥٩
اعرف وكاءها	١	٢٥٧
أعطها ثوبًا	٦	٨٠
أعطها ولو خاتمًا من حديد	٦	٨٠
أعطوهم الحق الذي لهم واسألوا الله الحق	٩	٥٦١
أعطى الابنة النصف والأخت النصف...(أي معاذ)	٩	٣٣
أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي	٢	١٦٠
أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي	١	٦٢٣
أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي	٢	٣٢٤
أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء	٢	١٥٤
أعطيت مفاتيح الكلم، ونصرت بالرعب	٩	٤٤٤
أعطيت مفاتيح خزائن الأرض	٤	٥٥٣
أعظم الناس أجرًا في الصلاة	٣	٦٨
اعلم أن النصر مع الصبر	١	٤٠٢
أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب	١٠	٤٨٧
أعلمهم بأن الله افترض عليهم صدقةً	٥	٤٢
اعلموا أن الأرض لله ورسوله	٩	٣٥٨
أعلى أم سلمة؟ لو لم أنكح أم سلمة ما حلت لي	٦	٢٥٠
أعمار هذه الأمة ما بين الستين والسبعين	٦	٨٧
الأعمال بالنية	١	١٦٦
الأعمال بالنية	٩	٣٤٧
اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا	٧	٢٨٨

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
اعملوا فإنكم على عمل صالح	٥	٣٤٩
اعملوا فكل ميسر لما خلق له	٤	٥٨٩
اعملوا فكل ميسر لما خلق له	٦	٣٣٣
اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم	٢	٣٠٢
اعملوا ما شئتم	٧	٧٠٧
أعندك من شيء؟	٦	٢٧٠
أعني على نفسك بكثرة السجود	٣	٢٥١
أعوذ بالله من الفتن...(من قول عمار)	٢	٣٤١
أعوذ بالله من عذاب جهنم	٤	٥٩٦
أعوذ برضاك من سخطك	١٠	٢٦٥
أعوذ بعزة الله وقدرته	١٠	١٠٦
أعوذ بعزة الله	٧	٥٧٤
أعوذ بعزتك الذى لا إله إلا أنت، الذى لا يموت	١٠	٢٦٤
أعوذ بك من عين	٧	١٩٤
أعوذ بوجهك	١٠	١٠٦
أعوذ بوجهك	١٠	٣٢٧
أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية	٩	٥٤٦
أغد يا أنيس إلى امرأة هذا	٩	٥٩٤
اغسل الطيب الذي بك ثلاث مرات	٥	١٩٣
اغسلنها بالسدر وترًا، ثلاثًا، أو خمسًا	٤	٤٢٣
اغسلنها ثلاثًا أو خمسًا	٤	٥٥٧
اغسلنها ثلاثًا، أو خمسًا	٤	٤١٣، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢١
اغسلوه بماء وسدر	٤	٥٥٧
اغسلوه بماء وسدر	٥	٦١٣
اغسلوه بماء وسدر	٥	٦١٣
اغسلوه بماء وسدر	٥	٦١٤
اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبين	٤	٤٣١
اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبين، ولا تحنطوه	٤	٤٢٥، ٤٢٨
اغسلوه وكفنوه ولا تغطوا رأسه	٥	٦٠١
اغسلوه وكفنوه	٥	٦٠١
اغسلي عنك الدم	١	٤٧٣
اغفر لي ذنبي كله دقه وجله	١٠	٢٧٨
أغنوهم عن الطواف في هذا اليوم	٤	٢٣
أفتاني إذا وضعت أن أنكح...(من قول		

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
سبيعة الأسلمية)	٦	٥٩٦
أفرضكم زيد	٩	٢٩
أفرغه عليك	٢	٢٨
أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل قولي	١٠	٢٨٨
أفضل الصدقة ما ترك غنًى	٦	٦٤٥
أفضل الصوم صوم داود	٦	١١٥
أفضل الصيام صيام داود	١٠	١٥
أفضل الكلام أربع	٧	٥٩٧
أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة	١	٥٩٩
أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة	٤	٢٧١
أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة	٤	٢٨٥
أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة	٦	٩٩
أفضل ما أكل الرجل	٧	٤٧١
أفعل إن شاء الله	٣	٣٩٦
افعل كما يفعل أمراؤك...(من قول أنس)	٥	٣٧٢
افعل ولا حرج	٧	٥٨٠
افعل ولا حرج لهن كلهن	٥	٤٦١
افعل ولا حرج	١	٢٣٨
افعلوا ما أمرتكم	٥	٢٥٢
افعلي كما يفعل الحاج، غير أن لا تطوفي بالبيت	٥	٣٦٦
أفعمياوان أنتما	٣	٦١٠
أفلا أخبرك بملاك ذلك كله	١٠	٧٢
أفلا أخبركم بأمر تدركون من كان قبلكم	٧	١٨٧
أفلا آذنتموني به، دلوني على قبره	٢	٣١٨
أفلا آذنتموني؟	٤	٥٠٨، ٥٣٠
أفلا أكون عبدًا شكورًا	٤	٢٢٦
أفلا أكون عبدًا شكورًا	٧	٣٥٤
أفلا تخرجون مع راعينا في إبله	٩	٢٧٤
أفلا قعدت في بيت أبيك وأمك	٧	٥٤٥
أفلا كنتم آذنتموني به	٢	٣٥٣
أفلح إن صدق	١	١٣٣
أفلح إن صدق	٩	٣٧٨
أفلح وأبيه إن صدق	١٠	٣١٠
أفلح وأبيه إن صدق	٧	١٦٧

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
أفلح وأبيه، إن صدق	١٠	٣١٠
أفي هذا أستأمر أبوي، إنما أختار الله ورسوله	٦	٤٩٢
أقام الرسول في مشربة تسعًا وعشرين ليلةً	٧	٦٠٠
أقام النبي ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاثًا	٦	١٦٤
أقام النبي ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاثًا	٦	٣٢٥
أقام النبي ﷺ تسعة عشر يقصر	٤	١٧٣
أقام النبي ﷺ في مكة تسعة عشر	١	٥١٨
أقامها الله و أدامها	٢	٦٢٧
اقبل الحديقة وطلقها تطليقةً	٦	٥٣٠
أقبلت راكبًا على حمار أتان	١	٢٢٤
أقبلت راكبًا على حمار أتان...(من قول ابن عباس)	٢	٤٠٠
أقبلت راكبًا على حمار أتان...(من قول ابن عباس)	٣	٤٣٢
أقبلت وقد ناهزت الحلم...(من قول ابن عباس)	٥	٦٢١
اقبلوا البشرى يا بني تميم	١٠	٣٨١
اقتدوا بالذين من بعدي	٤	٣٠٦
أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟	٤	٥٨٠
أقتلته بعد أن قال: لا إله إلا الله	٧	٣٦٠
أقتلته بعد أن قال: لا إله إلا الله؟	٩	٥٢٨
أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟	٩	٢١٩
أقتلك فلان؟	٩	٢٣٨
اقتلوه...(أي ابن خطل)	٥	٦٠٩
اقتلوها	٥	٥٧٧
اقدروا له قدره	٥	٦٦٥
أقدمهم سلمًا	١	٦١١
اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم	٦	١٢٩
اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه	١٠	١٨٠
اقرءوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم	٦	١٢٩
اقرءوا القرآن	١٠	١٨٠
اقرإ القرآن في شهر	٦	١١٦
أقرأ بأم الكتاب ...(من قول عائشة)	١	٥٠٠
اقرأ علي القرآن	٦	١١٢
اقرأ علي	٦	١١٣، ١٢٠، ١٢٢

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
آقرأ عليك وعليك أنزل؟!...(من قول ابن مسعود)	٦	١١٢
اقرأ يا ابن حضير	٦	٦١
أقرأني جبريل على حرف فراجعته	٦	٢١
أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد	١٠	٢٨٤
أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد	١٠	٣٢٥
أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد	٢	٢٠٤
أقرب ما يكون العبد من ربه	٧	٢٧٦
اقسمه بين الناس	١	٤٥٥
اقسموا واضربوا لي معكم بسهم	٧	٤٢٠
اقضه عنها	٩	٣٨٠
اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء	٥	٦١٤
أقم عندنا حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها	٥	١١٦
أقم عندنا حتى تأتينا الصدقة	١	١٩٠
أقول: اللهم باعد بيني وبين خطاياي	٣	٢٢٥
أقيمت الصلاة، فعرض للنبي ﷺ رجل	٣	٥٦
أقيمت الصلاة، والنبي ﷺ يناجي رجلًا	٣	٥٦
أقيمت الصلاة، ورجل يناجي رسول الله	٧	٧٧٨
أقيموا الركوع والسجود فوالله	٣	٢٢١
أقيموا الصفوف فإني أراكم	٣	١٨٨
أقيموا صفوفكم، فإني أراكم	٣	١٩٣
أقيموا صفوفكم، وتراصوا	٣	١٨٩
أكان النبي ﷺ يصلي في نعليه؟ قال: نعم	٢	٢٦٠
أكان رسول الله ﷺ يقرأ في الظهر والعصر	٣	٢٢٨
أكبر الكبائر الإشراك بالله، وعقوق الوالدين	٩	٣١٠
أكبر الكبائر: الإشراك بالله، وقتل النفس	٩	٢١٨
اكتب ما هو كائن	٧	٥٢٢
اكتبوا عني فإني لا أقول إلا حقا	١	٢٩٤
اكتبوا لأبي شاه	٩	٢٣٨
أكثر أهلها النساء	٤	١٣٦
أكثر من يتبعه اليهود	١٠	٥٤٥
أكثرت عليكم في السواك	٣	٤٧٤
الأكثرون أموالًا	٧	٥٤٧
أكل النبي ﷺ من هدي القران	٥	٤٤٦
أكل عندها كتفا ثم صلى...(ميمونة)	١	٥٤٨
أكلت مع النبي فجعل ﷺ يتتبع الدباء	٦	٣٣٠
أكلت مغافير...(من قول عائشة)	٦	٤٩٨
أكلت مغافير؟	٩	٣٩٥
اكلفوا من الأعمال ما تطيقون	٧	٣٤١
أكما يقول ذو اليدين	٢	٣٩٢
أكما يقول ذو اليدين؟	٢	٣٨٩
أكمل المؤمنين إيمانًا	٦	١٧٣
أكنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة	٥	٣٦٤
ألا أدلكم على أهل الجنة	٧	٥٦٩
ألا إن الله ينهاكم	٧	٥٥٥
ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع صورةً	١٠	٣٣٧
ألا أحدثكم بأمر إن أخذتم به أدركتم من سبقكم	٣	٤٠٧
ألا أخبركم بأكبر الكبائر	٧	٧٣٩
ألا أخبركم بخير الشهداء	٧	٦٢٥
ألا أخبركم بخير دور الأنصار	٦	٥٧٨
ألا أخبركم بشيء تدركون به من سبقكم	٧	٢٧٧
ألا أخبركم عن الثلاثة	٢	٣٨١
ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فآوى	١	١٩٥
ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة	٧	٢٧٤
ألا أدلك على كلمة هي كنز من كنوز الجنة	٧	٢٤٦
ألا أدلكما على خير من خادم	١	٦١٥
ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن	٦	٤٥
إلا الإذخر	١	٢٩٦
إلا الإذخر	٥	٥٨٨، ٥٩٤
إلا الإذخر	٧	٥٥٠
إلا الإذخر	٧	٦٦٤
إلا الإقامة	٢	٦١٢
إلا الدين أخبرني بذلك جبريل آنفًا	٩	٤٢٤
ألا إن الفتنة ها هنا، ألا إن الفتنة ها هنا	٤	١١١
ألا إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن		

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
الشيطان	٩	٥١٤
ألا إن القوة الرمي	٧	٧٩٣
إلا أن تروا كفرًا بواحًا	٩	١٧٥
ألا أي شهر تعلمونه أعظم حرمةً؟	٩	١١١
ألا بعثتم معها من يغني	٦	٣٢٩
ألا تدرون أي يوم هذا؟	٩	٥٠٣
ألا تراه قال: لا إله إلا الله	٤	٢٧٧
ألا تركبين الليلة بعيري...(من قول حفصة)	٦	٤٣١
ألا ترى إلى بيتي؟ ما أقربه من المسجد	٢	٣١٩
ألا تريحني من ذي الخلصة	٧	١٩٠
ألا تصلون	١٠	١٤٧
ألا تصليان	٤	٢٢١
ألا تعجبون من غيرة سعد؟	٤	١٢٦
ألا تقولونه يقول: لا إله إلا الله	٩	٣٤٢
ألا رجل يتصدق عليه فيصلي معه	٤	٥٦
إلا رقمًا في ثوب	١٠	٣٣٦
إلا رقمًا في ثوب	٩	٤٧٢
ألا صلوا في الرحال	٣	١٠٠
ألا صلوا في الرحال	٣	٣٣
ألا قمتما...(لعلي و فاطمة)	٣	٦١
ألا كنتم آذنتموني	٤	٤٠٦
ألا لا يحج بعد العام مشرك	٥	٣٣٣
ألا هل بلغت	١٠	٣٨٨
ألا وإن في الجسد مضغةً	١	٣٤٩
ألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان	٥	١٥٧
ألحقوا الفرائض بأهلها	٩	١٠
ألحقوا الفرائض بأهلها	٩	٣٠، ٣٥، ٤٢، ٥٢
ألحقوا الفرائض بأهلها	٩	٣٤
ألحقوا الفرائض بأهلها	٩	٤٧
ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي	٥	٤٨٦
آلصبح أربعًا، آلصبح أربعًا؟	٣	٨٧
ألق عنك شعر الكفر واختتن	٢	٣٥٩
ألقه على بلال؛ فإنه أندى صوتًا منك	٢	٦٠٩
ألك بينة؟	٩	٦٢٥
ألم أخبر أنك تقوم الليل	٤	٢٤٤
ألم أر البرمة على النار؟!	٩	٦٧
ألم أر البرمة فيها لحم؟	٦	٥٣٩
ألم أر البرمة	٦	١٨١
ألم أنهكم أن تلدوني	٧	٣٨٤
ألم أنهكم أن تلدوني	٩	٢٦٢
ألم تروا أنها تنبت صفراء ملتويةً	٧	٤٨٥
ألم تري أن قومك لما بنوا الكعبة اقتصروا	٥	٢٧٥
ألم تري أن مجززًا نظر آنفًا إلى زيد	٩	٨٨
ألم تعلم أن القلم رفع عن ثلاثة...(من قول علي)	٦	٥٢٢
إلى أن يصير ظل كل شيء مثليه	٢	٥٤٤
آلى رسول الله ﷺ من نسائه	٦	٥٥٥
آلى رسول الله ﷺ من نسائه	٧	٦٠٠
إلى نصف الليل...(عن وقت صلاة العشاء)	٢	٤٤٢
أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم	٢	١٧٠
أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا	٧	٤٣٦
أليس حسبكم سنة رسول الله ﷺ	٥	٥٤٥
أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل	٢	١٧٠
أليس قد صليت معنا؟	٩	١٥٣
أليسوا يحلون ما حرم الله	٧	٦١٥
أما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم	٧	٥٧٢
أما الذي يثلغ رأسه بالحجر	٤	٢٣٠
أما الركوع فعظموا فيه الرب	١	٢٥٩
أما الركوع فعظموا فيه الرب	١٠	٢٢٠
أما الركوع فعظموا فيه الرب	٣	٣١٠
أما السجود فأكثروا فيه من الدعاء	٤	٢٣٤
أما الطيب الذي بك فاغسله ثلاث	٦	١٠
أما أنا فأفيض على رأسي ثلاثًا	١	٦٣٤
أما أنا فلا أزال أخرجه كما كنت أخرجه...(من قول أبي سعيد)	٥	١٤٤
أما أنا والله فإني كنت أصلي...(من قول سعد)	٣	٢٣٨
أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا، لا		

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
تضامون	٢	٥٤٦
أما أول أشراط الساعة: فنار تحشر الناس	٧	٤٣٣
أما بعد فإنه لم يخف علي مكانكم لكني خشيت	٣	٥٤٢
أما بعد	٣	٥٤٤
أما بعد	٤	١٤٧
أما بعد: فإني أستعمل رجالاً منكم على أمور	٩	٦٤٥
أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة	٧	٥٥٤
أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة	٩	١١٢
أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل؟...(من قول عائشة)	٦	٢٣٦
أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة	٥	١٠٨
أما علمت أن آل محمد لا يأكلون الصدقة	٥	١٠١
أما غنمك وجاريتك فرد عليك	٧	٥٤٣
أما قطع السبيل؛ فإنه لا يأتي عليك إلا قليل	٤	٦٣٠
أما كان فيكم رجل رحيم	٧	٢٠٣
أما لو أن أحدهم يقول حين يأتي أهله: بسم الله	٦	٣٣٩
أما موسى كأني أنظر إليه إذا انحدر في	٥	٢٣٦
أما والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله	٧	٥٤٣
أما والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله	٩	١٨٧
أما والله إني لأعلم أنك حجر...(من قول عمر)	٥	٣١٧
أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك	٢	٦٣٨
أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك	٤	٥٧٨
أما يخشى أحدكم، أو لا يخشى	٣	١٤٩
إمام عادل، وشاب نشأ	٧	٣٧٤
أمامكم حوض كما بين جرباء وأذرح	٧	٥١٠
أمر الحيض أن يعتزلن المصلى	٣	٦٢٥
أمر الله بوفاء النذر...(من قول ابن عمر)	٥	٦٣٧
أمر الله بوفاء النذر...(من قول ابن عمر)	٧	٦٣٩
أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت الطواف	٢	٣٦٧
أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت	٥	٤٨٢
أمر النبي ﷺ أن يحرق نخل بني النضير	٥	١٣٩
أمر النبي ﷺ ألا يطوف بالبيت عريان	٢	٢٠٣
أمر النبي ﷺ الرهط من جهينة و عكل	١	١٨٨
أمر النبي ﷺ العرنيين	١	٥٥٩
أمر النبي ﷺ أن يرض رأسه	٩	١٢٥
أمر النبي ﷺ أن يسجد علي سبعة أعضاء	٣	٣٤٤
أمر النبي ﷺ أن يسجد على سبعة أعظم	٣	٣٥٤
أمر النبي ﷺ بالاضطجاع بعد سنة الفجر	٤	٤٩
أمر النبي ﷺ بالعتاقة في كسوف الشمس	٤	١٤٠
أمر النبي ﷺ بدفن الشهداء في ثيابهم التي قتلوا فيها	٤	٤٢٦
أمر النبي ﷺ بزكاة الفطر	٥	١٤٣
أمر النبي ﷺ عليا ض أن يقيم على إحرامه	٥	٢٣٨
أمر النبي ﷺ معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري	١	١٤٢
أمر النبي ﷺ من كان بالبيت أن يضربوه	٩	١٠٠
أمر النبي ﷺ من لم يسق الهدي أن يجعلها عمرةً	٥	٥٠٠
أمر أن تضرب له قبة بنمرة	٥	٤٩١
أمر بزكاة الفطر قبل خروج الناس إلى الصلاة	٥	١٤٥
أمر بلال أن يشفع الأذان، وأن يوتر الإقامة	٢	٦٠٨، ٦١٠
أمر بهم فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمر أعينهم	٩	١٢٥
أمر رسول الله ﷺ من لم يكن معه هدي	٥	٤٤٧
أمر رسول الله أن يسترقى من العين	٧	٤١٢
أمر عائشة أن تخرج إلى التنعيم	٥	١٨٧
أمر من صلى منفردا أن يعيد	١	٣٢١
أمر من ضحك أن يعيد الوضوء والصلاة	١	٤٦٩
أمرت أن أسجد على سبعة أعظم	٢	٢٣٨

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
أمرت أن أسجد على سبعة أعظم	٧	٤٤٩
أمرت أن أسجد على سبعة	٣	٣٤٩
أمرت أن أسجد على سبعة	٣	٣٥٤
أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا	١	٨٢
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله	٤	٦١٠
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله	٤	٥٧٩
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله	٩	٣٢٤
أمرت أن أقاتل الناس	١٠	١٨٩
أمرت أن أقاتل الناس	١٠	٦١
أمرت بقرية تأكل القرى	٥	٦٥٤
آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع	١٠	٥٦٤
آمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع	٤	٦٠٩
آمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع...(وفد عبد القيس)	٢	٤٤٩
أمرنا النبي ﷺ أن نغطي رأسه	٤	٤٤٠
أمرنا النبي ﷺ بإبرار المقسم	٧	٥٦٨
أمرنا النبي ﷺ بسبع ونهانا عن سبع	٤	٣٨١
أمرنا النبي ﷺ بسبع، ونهانا عن سبع	٦	٣٤٨
أمرنا النبي ﷺ؛ بسبع	٧	٥٢٠
أمرنا أن نخرج الحيض يوم العيدين	٢	٢٠٧
أمرنا أن نخرج العواتق...(من قول أم عطية)	٢	١٧٨
أمرنا أن نسجد على سبعة أعضاء؛ الجبهة	٣	٢٥١
أمرنا أن نسجد على سبعة أعظم	٣	٣٤٥
أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع	٧	٣١٤
أمرنا رسول الله ﷺ بسبع	٧	٦٦٦
أمرنا نبينا بأن نخرج العواتق وذوات الخدور	٣	٦٤٢
أمرنا نبينا بأن نخرج العواتق...(من قول أم عطية)	٤	١٠
أمرني النبي ﷺ أن أقوم على البدن	٥	٤٣٥
أمرني أن آذن له	٦	٢٠٦
أمرني رسول الله ﷺ أن أتصدق بجلال البدن	٥	٤٢٤
أمره النبي ﷺ أن يغتسل بماء وسدر	٢	٣٥٩
أمره أن يعيد الذبح	٧	٥٨٤
أمره رسول الله ﷺ أن يراجعها ثم يمسكها	٦	٦١٠
أمرهم أن يتعوذوا من عذاب القبر	٤	١٣٣، ١٤١
أمرهم أن يجعلوها عمرةً	٤	١٨٠
أمرهم أن يخرجوا فيشربوا من أبوالها وألبانها	٩	١٢٥
أمرهم أن يشربوا من أبوالها وألبانها	٤	٥٨٦
أمرهن أن يعتزلن المصلى	٤	٣٧
أمرهن أن يعتزلن المصلى	٥	٣١
أمروا بالحلق في غزوة الحديبية	١٠	٨٩
أمزامير الشيطان...(من قول أبي بكر)	٣	٦١١
امسح الباس رب الناس	٧	٤١٧
أمسك بنصالها	٢	٣٤٤
أمسك بنصالها	٩	٥٠٢
أمسك عليك بعض مالك	٧	٦١١
أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك	٥	٢٣
أمسك عليك بعض	٧	٦١٣
أمعك من القرآن شيء	١٠	٣٧١
أمك	٣	٥٨
أملكناكها بما معك من القرآن	٦	٢٤٨
آمنت بالقدر خير وشره وحلوه ومره	٩	٤٨١
أمهلوا حتى تدخلوا ليلًا	٦	١٥٥
أميركم زيد، فإن قتل فجعفر	٤	٤٠٢
أميطي عني	٧	٦٢٦
آمين ولك بمثله	٦	٥٠
إن الله يعطي بالرفق ما لا يعطي على العنف	١	٥٦١
أن أبا أسيد الساعدي دعا النبي ﷺ لعرسه	٦	٣٦٥
إن أبا بكر رجل أسيف...(من قول عائشة)	٣	١٨١
أن أبا بكر رضي الله عنه لم يكن يحنث...(من قول		

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
عائشة)	٧	٥٣٣
أن أبا بكر كتب له فريضة الصدقة	٥	٥٧
أن أبا حذيفة بن عتبة تبنى سالما	٦	١٦٨
إن أبا سفيان رجل شحيح...(من قول هند)	٩	٦٢٣
إن أباها أخي من الرضاعة	٦	٢٥٠
أن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك	٦	٢٨٢
إن إبراهيم ابني، وإنه مات في الثدي	٤	٤٨٦
إن إبراهيم حرم مكة، وإني حرمت المدينة	٥	٥٨٠
إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام قال للنبي ﷺ: اقرئ أمتك مني السلام	٧	٥١٦
أن ابن عمر ه كان يبيت بذي طوًى	٥	٤٩٢
إن ابني هذا سيد	٧	٥٥٢
إن ابني هذا لسيد	٩	٥٢٩
إن آتيًا أتاني من ربي فبشرني أن الله يدخل الجنة	٧	٤٧٣
إن أحب أموالي إلي بيرحاء...(من قول أبي طلحة)	٥	٦٦
إن أحدكم إذا صلى يناجي ربه	٢	٤٦٥
إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنما يناجي ربه	٢	٢٩٣
إن أحدكم إذا قام يصلي	٤	٣٦٤
إن أحدكم إذا كان في الصلاة فإن الله قبل وجهه	٣	٢٣٣
إن أحدكم يجمع في بطن أمه	٧	٥٢١
إن أحسن الحديث كتاب الله... (من قول ابن مسعود)	١٠	٥٧
أن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله	٦	٤٨
إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله	٧	٤١١
إن أخاك رجل صالح	٩	٤٥٥
إن آخر أهل الجنة دخولًا الجنة	١٠	٤٩٠
إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر	٢	٤٩٩
إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملك ألفي سنة	١٠	٢٧٠
إن أذنت لي أعطيت هؤلاء	١	٦١٠
إن أردت بعبادك فتنةً فاقبضني إليك غير مفتون	٧	٣٤٢
إن أردت بعبادك فتنةً فاقبضني إليك غير مفتون	٧	٣٤٣
إن أردت بعبادك فتنةً فاقبضني إليك غير مفتون	٩	٤٢٣
إن أردت بعبادك فتنةً فاقبضني إليك غير مفتون	٩	٥٣٧
إن أردت بعبادك فتنةً	١٠	٦
إن أردت بعبادك فتنةً	٧	٣٠٧
أن أسامة بن زيد ه كان ردف النبي ﷺ من عرفة	٥	٤٠٣
أن أسامة ض كان ردف النبي ﷺ من عرفة	٥	٢٢٣
إن أستخلف فقد استخلف...(من قول عمر)	٩	٦٦١
أن أشد الناس عذابًا يوم القيامة	٧	٦٢٠
إن أشد الناس عذابًا	٧	٦١٨
إن أصحاب هذه الصور يعذبون يقال لهم: أحيوا	١٠	٣٣٧
إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة	٧	٦٢٧
إن أصحاب هذه الصور يعذبون	١٠	٥٦٥
إن أصحاب هذه الصور يعذبون	٦	٣٦١
إن أصحاب هذه الصور يعذبون	٧	٦٢٢
إن أصحاب هذه الصور يعذبون	٧	٦٢٦
إن أصدقتها الإزار بقيت بلا إزار	٧	٢٢٥
إن أطيب ما أكلتم من كسبكم	٥	١٦٨
إن أعظم المسلمين جرمًا من سأل عن شيء	١	١١٢
إن أعظم المسلمين جرمًا	١٠	٦٥
إن أفضل صلاة المرء في بيته	١٠	٦٨
إن أفضل صلاة المرء في بيته	١٠	٦٨
إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه	٦	٨٠
أن أفلح أخا أبي القعيس جاء يستأذن عليها	٦	٢٠٦
إن أكثر ما أخاف عليكم	٧	٣٠١

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
أن الإبل خلقت من الشياطين	١	٥٨٥
أن الإبل خلقت من الشياطين	٢	٣٦٦
إن الإسلام ليأرز إلى المدينة	٢	٥٩٩
إن الأكثرين هم المقلون يوم القيامة	٧	٣١٩
أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال	٩	٥١٠
أن الأمانة نزلت من السماء	١٠	٥٧
إن الإيمان ليأرز إلى المدينة	٥	٦٦٤
إن البلاء موكل بالمنطق	٩	٢٠٢
إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة	٧	٦٢٧
إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله	٦	٣٦١
إن التلبينة تجم فؤاد المريض	٧	٣٦٨
أن الحيض يخرجن إلى المصلى	٣	٦٣٢
إن الخلاف شر...(من قول ابن مسعود)	٤	٤٥
إن الخمر قد حرمت... (من قول أنس)	١٠	٣٨
إن الدجال أعور، وإن ربكم ليس بأعور	١٠	٢٦٠
أن الذهب حرم على ذكور هذه الأمة	١٠	٨٧
إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته	١٠	٢٨٣
إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم	٧	٢٧٥،٢٤٧
إن الذي تدعونه المفصل هو المحكم...(من قول ابن عباس)	٦	٩٥
إن الذين جاءوا بالإفك... (من قول عائشة)	١٠	٥٤٦
إن الذين يصنعون هذه الصور	٧	٦١٨
إن الذين يصنعون هذه الصور	٧	٦٢٢
إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة	١٠	٤٣٠
إن الرجل لينصرف، وما كتب له إلا عشر صلاته	٢	٦١٦
إن الرسول ﷺ أخذ المدرأ وجعل يختبيء	١٠	٣٦٥
أن الرسول ﷺ أقام بمكة عام الفتح تسعة عشر يومًا	٢	٢٤٠
أن الرسول ﷺ خطب الرجال، ثم نزل إلى النساء	٢	٢٠٩
أن الرسول ﷺ كان يتخولهم	٦	٣٠٣
أن الرهط الذين ولاهم عمر...(من قول المسور بن مخرمة)	٩	٦٥٢

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
إن الروح إذا قبض اتبعه البصر	١٠	٨٢
إن الروح إذا قبض تبعه البصر	١	٣٤١
إن الروح إذا قبض تبعه البصر	١٠	٤٣٢
أن الساعة لن تقوم حتى تروا قبلها	٧	٤٣٣
إن السبعين ألفًا يشفعهم الله في آباءهم	٧	٤٧٢
أن الشمس خسفت على عهد رسول الله ﷺ	٤	١٤٨
إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله	٤	١٢٤، ١٣١، ١٣٦، ١٤٦، ١٤٧
إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله	٦	٤١٤
إن الشمس والقمر آيتان	٧	٤٤٧
إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد	٤	١٢٣، ١٤٣
إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد	٤	١٢١، ١٢٢
إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم	٧	٦٤٠
إن الشهر تسع وعشرون	٢	٢٥٠
إن الشهر تسع وعشرون	٦	٤١٨
إن الشهر يكون تسعًا وعشرين	٧	٦٠٠
إن الشهر يكون تسعةً وعشرين يومًا	٦	٤٢٢
إن الشيطان عرض لي	٤	٣٢٥
إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم	٢	٤٢٩
إن الشيطان يجري من ابن آدم	٩	٦١٣
إن الصبر عند أول صدمة	٩	٥٨١
إن الصلاة جامعة	٤	١٢٧، ١٣٤
أن العباس ض استأذن النبي ﷺ ليبيت	٥	٤٦٥
إن العباس قد أسلفنا زكاة	٥	٨١
إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان	٧	٣٧٢
إن العبد ليتكلم بالكلمة	٧	٣٧٠
إن العيش عيش الآخرة	٥	٥٣٢
إن العين تدمع، والقلب يحزن	٤	٤٨٥
إن العين لتدخل الرجل القبر	٧	٦٠٧
إن العين نائمة، والقلب يقظان	١٠	٥٨
إن العينين وكاء السه	١	٣٢٢
إن القبلة قد حولت	١	١١٥
إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء		

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
القرآن...(من قول عمر)	٦	١٢
إن القتل قد استحر يوم اليمامة...(من قول عمر)	٩	٦٣٤
إن القرآن أنزل على سبعة أحرف	٦	١٠١
إن الله أبدلكم بخير منهما: عيد الأضحى	٣	٦٠٥
إن الله اتخذني خليلًا	٧	٤٩١
إن الله أثنى عليكم	١	٤٠٩
إن الله أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية	٩	١٧
إن الله أنكحني في السماء...(من قول زينب)	١٠	٣٨٧
إن الله بعث محمدًا ﷺ بالحق...(من قول ابن عباس)	١٠	١٢١
إن الله تبارك وتعالى إذا أحب	١٠	٤٧٠
إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها	١٠	٤٤٢
إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت	٦	٥٢٣
إن الله تجاوز لأمتي عما وسوست	٧	٥٧٩
إن الله تصدق عليكم	١٠	٩٦
أن الله تعالى أشد فرحًا بتوبة	٦	٥١٥
أن الله تعالى تابع على رسوله ﷺ الوحي	٦	٨
إن الله تعالى جميل يحب الجمال	٣	٤٧١
إن الله تعالى عرض بالخمر	٧	٧٩٣
أن الله تعالى محسن	١٠	٢٢٣
إن الله تعالى يخوف بهما عباده	٤	١٣٢
أن الله تعالى يمقت على ذلك...(الكلام وقت قضاء الحاجة)	١	٥٦٨
إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه	٧	٣٠٧
إن الله جميل يحب الجمال	٣	٨٥
إن الله جميل، يحب الجمال	٧	٤٤٦
إن الله حبس عن مكة الفيل	٩	٢٣٨
إن الله حبس عن مكة القتل أو الفيل	١	٢٩٦
إن الله حرم المشركات...(من قول ابن عمر)	٦	٥٤٣
إن الله حرم على الأرض	٤	٢٨٢
إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله	٤	٢٨٣
إن الله حرم مكة، فلم تحل لأحد قبلي	٥	٥٨٨
إن الله حيي ستير يحب الحياء	١	٣٥٣
إن الله حيي كريم يستحيي	٢	٢٤
إن الله حيي كريم	١	٣٥٢
إن الله حيي كريم	٢	٣٨١
إن الله حيي كريم	٦	٣٣٢
إن الله حيي كريم	٧	١٩٧
إن الله خلق آدم على صورته	٧	٥٠٣
إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة	٧	٣٤٥
إن الله خلق الرحمة يوم	٧	٣٤٦
إن الله خلق مائة رحمة	٧	٣٤٦
إن الله خير عبدًا بين الدنيا	٢	٣٧٠
إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله	٩	٣٢٦
إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا	٦	٦٣٠
إن الله ع وكل بالرحم ملكًا يقول: يا رب نطفة	٤	١١٥
إن الله ع وكل بالرحم ملكًا	٢	٢١٥
إن الله ع يقبل توبة	٧	١٤٧
إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغني	١٠	٣٢٤
إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغني	٥	٦٣٩
أن الله غني عن تعذيب هذا النفسه	١٠	٣٢٤
إن الله قال: قسمت الصلاة بيني	١	٥٠٧
إن الله قال: من عادى لي وليا	٧	٦٥٨
إن الله قبض أرواحكم حين شاء	٢	٥٨٢
إن الله قبض أرواحكم	١٠	٤٥٨
إن الله قبل أحدكم	٤	٣٣١
إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية	٩	١٣
إن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله	٤	٢٧٧
إن الله قد حرم على النار	٤	٢٨٢
إن الله كتب الحسنات والسيئات،	٧	٣٨٥
إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا	٧	٦٧٣
إن الله كتب عليكم الحج فحجوا	١٠	٦٧
إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق الخلق	١٠	٥٥٤
إن الله كره لكم ثلاثًا: قيل وقال، وإضاعة المال	٥	٩٠
إن الله كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال	٩	٣٨٧

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
إن الله لا يخفى عليكم	١٠	٣٢٩
إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب	٤	٤٨٩
إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا من صدور الرجال	٦	٤٥٣
إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا من صدور الرجال	٩	١٣٤
إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا	١	٢٣٢
إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا	١	٢٦٩
إن الله لا يمل حتى تملوا	٧	٥٢٩
إن الله لا ينتزعه انتزاعًا من صدور الرجال	٤	١٠٢
إن الله لا ينزع العلم انتزاعًا من صدور الرجال	٩	٤٩٨
إن الله لا ينزع العلم	١٠	٩٨
إن الله لغني عن تعذيب هذا نفسه	٧	٦٣٧
إن الله لغني عن تعذيب	٧	٦٣٦
إن الله لم يفرض السجود...(من قول ابن عمر)	٤	١٦٨
إن الله لم يفرض علينا السجود...(من قول عمر)	٤	١٥٣
إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه	١٠	٣٨٩
إن الله لما قضى الخلق كتب	٥	٣٦
إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها	٩	٤٣١
إن الله ليزيد الكافر عذابًا ببكاء أهله عليه	٤	٤٥٨
إن الله ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه	٤	٤٥٨
إن الله ليملي للظالم	٧	٣١٠
إن الله هو السلام ولكن قولوا	١٠	٢٤١
إن الله هو السلام	٣	٣٧٥
إن الله هو السلام	٣	٣٨٠
إن الله هو السلام	٧	١٨٤
إن الله هو السلام	٧	١٨٦
إن الله هو السلام	٧	٦٦٣
إن الله هو القابض الباسط المسعر	١٠	٢٢١
إن الله هو القابض الباسط	١٠	٢٢١
إن الله يبعثه يوم القيامة ملبيًا	٤	٤٣١
أن الله يجعل السموات على إصبع والأرضين على إصبع	١٠	٢٥٦
إن الله يحب الرفق في الأمر كله	٧	٢٦٣
إن الله يحب أن تؤتى رخصه	٣	١٠٤
إن الله يحدث من أمره ما شاء	١٠	٥١٦
إن الله يحدث من أمره ما يشاء	١٠	٥١٨
إن الله يستعتبكم فاعتبوه	٤	١٠٦
أن الله يعطي بالرفق ما لا	٧	٤٠٣
أن الله يعطي بالرفق	١٠	٢٩
إن الله يعطي بالرفق	٧	٢٦٣
إن الله يعطي بالرفق	٧	٧٠٣
إن الله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب	٦	٥٨٢
إن الله يغار، وغيرة الله	٦	٤٤٢
إن الله يغنيكم أو نعشكم بالإسلام... (من قول أبي برزة)	١٠	٥٢
إن الله يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السموات	١٠	٣٥٩
إن الله يقول لأهل الجنة	١٠	٥٠٢
إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة	٧	٤٧٦
إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم	٧	٥٥٦
إن المؤمن إذا كان في الصلاة فإنما يناجي ربه	٢	٢٩١
إن المؤمن لا ينجس	٧	٥٥٤
إن المؤمن للمؤمن كالبنيان	٢	٣٨٨
إن المؤمن يرى ذنوبه	٧	١٤٦
إن الماء لا يجنب	٧	٢٩٧
إن المرأة ناقصة في دينها وعقلها	١	٥٧٥
إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة	٧	٣١٥
إن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه الصورة	٧	٦٢٦
إن المنبت لا أرضًا قطع	١	١١٣
إن الميت ليعذب ببكاء الحي	٤	٤٥٩
إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه	٤	٤٥٨
إن الميت يعذب ببعض بكاء أهله عليه	٤	٤٥٨
إن الميت يعذب ببكاء أهله	٢	٤٣٠

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
إن النار اشتكت إلى ربها	٧	٥٠٥
إن الناس قد صلوا ورقدوا	٣	٤١٤
إن الناس قد صلوا وناموا	٧	٥٤٠
أن الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أفواج	٧	٤٣٥
إن الناس يقولون: أكثر أبو هريرة	١	٣٢٣
أن النبي ﷺ أتي بنعيمان أو بابن نعيمان، وهو سكران	٩	١٠١
أن النبي ﷺ أردف الفضل	٥	٤٠٣
أن النبي ﷺ استسقى فرفع يديه	٧	٢٠٠
أن النبي ﷺ استسقى فصلى ركعتين، وقلب رداءه	٤	٩١
أن النبي ﷺ استسقى فقلب رداءه	٤	٧٤
أن النبي ﷺ أعطى لبنتي سعد بن الربيع الثلثين	٩	٨
أن النبي ﷺ اغتسل من الجنابة	١	٦٣٧
أن النبي ﷺ أقبل من خيبر	٧	٢٤٩
أن النبي ﷺ أمر بالوضوء من لحم الإبل	١	٥٤٣
أن النبي ﷺ أمره أن يتعلم كتاب اليهود	٩	٦٤٣
أن النبي ﷺ أمره أن يردف عائشة	٥	٥١٥
أن النبي ﷺ أمره أن يقوم على بدنه	٥	٤٣٥
أن النبي ﷺ أمرهم ألا ينزعوا خفافهم إلا من جنابة	١	٥٤٠
أن النبي ﷺ أهل وأصحابه بالحج	٥	٥١٥
أن النبي ﷺ بعث معاذًا إلى اليمن	١٠	٢٠٣
أن النبي ﷺ بعثه وأتبعه بمعاذ..(عن أبي موسى)	٩	٥٨٢
أن النبي ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم	٥	٥٩٧
إن النبي ﷺ تزوجها وهو حلال	٥	٥٩٧
أن النبي ﷺ تزوجها وهي بنت ست سنين	٦	٢٧٣
أن النبي ﷺ تزوجها وهي بنت ست سنين	٦	٢٧٥
إن النبي ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه	٣	٤٣٠
أن النبي ﷺ توضأ مرتين مرتين	١	٤١٨
إن النبي ﷺ جلس ذات يوم على المنبر وجلسنا حوله	٣	٥٣٧
أن النبي ﷺ حج مرةً واحدةً	٥	٥٠٦
أن النبي ﷺ خرج إلى المصلى فاستسقى، فاستقبل	٤	٧٤
أن النبي ﷺ خرج يوم الفطر، فصلى ركعتين	٤	٣٦
إن النبي ﷺ دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل	٤	٢٦٨
أن النبي ﷺ دخل عام الفتح من كداء	٥	٢٦٧
أن النبي ﷺ دخل عام الفتح من كداء	٥	٢٦٧
أن النبي ﷺ دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه المغفر	٧	٤٧٩
أن النبي ﷺ دعا بإناء من ماء، فأتي بقدح	١	٥٣٣
أن النبي ﷺ رأى رجلًا يطوف بالكعبة	٧	٦٣٦
أن النبي ﷺ رأى رجلًا يطوف	٥	٣٣٢
إن النبي ﷺ رخص لهن	٥	٤٨٥
أن النبي ﷺ ركب حمارًا عليه إكاف	٧	٦٩٣
أن النبي ﷺ سجد بالنجم	٤	١٦٠
إن النبي ﷺ سماه الزور	٧	٥٩٧
إن النبي ﷺ صف بهم بالمصلى	٤	٥١٨
أن النبي ﷺ صلي السبحة بالليل في السفر	٤	١٩٣
أن النبي ﷺ صلى الظهر بالمدينة أربعًا	٥	٢٢٨
أن النبي ﷺ صلى الظهر والعصر	٥	٤٨٢
أن النبي ﷺ صلي بالمدينة سبعًا وثمانيًا	٢	٤٨٤
أن النبي ﷺ صلى بهم الظهر	٣	٣٧٦
أن النبي ﷺ صلى بهم بالبطحاء	٢	٤٠٢
أن النبي ﷺ صلى في ثوب واحد	٢	٢١٢
أن النبي ﷺ صلى يوم العيد ركعتين	٧	٥٥١
أن النبي ﷺ صلى يوم الفطر ركعتين لم يصل قبلها	٣	٦٢٤
أن النبي ﷺ ضرب في الخمر بالجريد	٩	٩٧
إن النبي ﷺ قام فبدأ بالصلاة ثم خطب الناس	٣	٦٢١
أن النبي ﷺ قتل يهوديا بجارية قتلها على أوضاح لها	٩	٢٤٦

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
أن النبي ﷺ قرأ سورة النجم، فسجد بها	٤	١٦٠
إن النبي ﷺ قضى بالدين قبل الوصية	٩	١٣
أن النبي ﷺ قطع العرنيين	٩	١٢٤
أن النبي ﷺ قطع يد امرأة	٩	١٢٠
أن النبي ﷺ قيل له في الذبح	٥	٤٥٩
أن النبي ﷺ كان إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه	٦	٤٣١
أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه	٦	٦٠
أن النبي ﷺ كان إذا صلى فإن كنت مستيقظةً حدثني	٤	٢٤٩
أن النبي ﷺ كان إذا صلى فرج بين يديه	٢	٢٦٣
أن النبي ﷺ كان إذا طاف بالبيت الطواف الأول	٥	٣٢٦
أن النبي ﷺ كان إذا قام للتهجد من الليل يشوص فاه	٤	٢٢٧
أن النبي ﷺ كان أهل بعمرة عام الحديبية	٥	٥٤٧
أن النبي ﷺ كان خاتمه من فضة	٧	٥٤٠
أن النبي ﷺ كان في سفر فقرأ في العشاء	٣	٢٦١
أن النبي ﷺ كان لا يدع أربعًا قبل الظهر	٤	٢٧١
أن النبي ﷺ كان لا يرد الطيب	٧	٥٩١
إن النبي ﷺ كان لا يصلي هذه الساعة	٥	٣٩٥
أن النبي ﷺ كان له حصير يبسطه بالنهار	٣	٢٠٤
أن النبي ﷺ كان يأتي قباء ماشيًا وراكبًا	١٠	١٣١
أن النبي ﷺ كان يبيع نخل بني النضير	٦	٦٤٦
أن النبي ﷺ كان يتكئ في حجري	٢	١٦١
أن النبي ﷺ كان يرى وبيص المسك في مفارقه	٥	٦٠٣
أن النبي ﷺ كان يصلي ركعتين	٤	٢٦٣
أن النبي ﷺ كان يصلي علي راحلته	٤	١٩٠
أن النبي ﷺ كان يصوم تسع ذي الحجة	٣	٦٣٤
أن النبي ﷺ كان يضرب شعره منكبيه	٧	٥٦٩
أن النبي ﷺ كان يطوف على نسائه	٦	١٤٢
أن النبي ﷺ كان يطول في الركعة الأولى	٣	٢٨٨
أن النبي ﷺ كان يعتم، ويلبس برده الأحمر	٢	٢٠٤

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
أن النبي ﷺ كان يعجبه التيمن ما استطاع	٧	٥٨٨
أن النبي ﷺ كان يقبلها وهو صائم	٢	٢٢٩
أن النبي ﷺ كان يقرأ بأم الكتاب وسورة معها	٣	٢٨٧
أن النبي ﷺ كان يقرأ في الظهر في الأوليين	٣	٢٨٥
أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه	٧	٤٠٨
أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه	٧	٤٢٣
أن النبي ﷺ كان يومًا يحدث	١٠	٥٠٢
أن النبي ﷺ كانت تركز الحربة قدامه يوم الفطر	٤	٨
أن النبي ﷺ لاعن بين رجل وامرأته	٦	٥٩٢
أن النبي ﷺ لم يدخل بيتها إلا صلاهما	٥	٣٤٥
أن النبي ﷺ لم يكن يترك في بيته	٧	٦٢٣
أن النبي ﷺ لما جاء إلى مكة	٥	٢٦٦
أن النبي ﷺ مر وهو يطوف بالكعبة	٥	٣٣٢
أن النبي ﷺ مر وهو يطوف بالكعبة	٧	٦٣٦
أن النبي ﷺ مسح على خفيه	١	٥٣٧
أن النبي ﷺ نهى أن يلبس السلاح في بلاد الإسلام	٣	٦٢٩
أن النبي ﷺ نهى عن اشتمال الصماء	٧	٤٨٩
أن النبي ﷺ نهى عن الصلاة في أعطان الإبل	٢	٣٦٥
إن النبي ﷺ نهى عن المتعة	٦	٢٤٣
إن النبي ﷺ نهى عن المتعة، وعن لحوم الحمر	٩	٣٨٢
إن النبي ﷺ نهى عن ثمن الدم	٧	٦١١، ٦٢٧
أن النبي ﷺ نهى عن لبس الحرير	٧	٤٩٦
أن النبي ﷺ وأبا بكر، وعمر كانوا يفتتحون الصلاة	٣	٢٢٥
إن النبي ﷺ وقت لأهل المدينة ذا الحليفة	٥	١٨٠
أن النبي ﷺ وقت لأهل المدينة ذا الحليفة	٥	١٨٩
أن النبي ﷺ وقت لأهل المدينة ذا		

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
الحليفة	٥	٦٠٩
أن النبي ﷺ وميمونة كانا يغتسلان من إناء واحد	١	٦٣٣
أن النبي ﷺ يوم فتح مكة اغتسل	٤	١٩٣
أن النبي ل قضى بالشاهد واليمين	٩	٦٣٩
إن النذر لا يقدم شيئًا	٧	٦٢٠
إن النذر لا يقدم شيئًا	٧	٦٢٣
إن اليهود إذا سلموا على أحدكم إنما يقولون	٩	٣٢٦
إن اليهود والنصارى لا يصبغون	٧	٥٦٦
أن أم سلمة أرته شعر النبي ﷺ أحمر	٧	٥٦٥
إن أمتي يدعون يوم القيامة غرا	١	٣٦٧
إن أمثل ما تداويتم به الحجامة والقسط البحري	٧	٣٧٢
أن امرأةً بكرًا جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن أبي زوجني	٦	٢٨٢
أن امرأةً ماتت في بطن، فصلى عليها النبي ﷺ	٢	٢٤٥
أن امرأة يهودية أتت الرسول ﷺ بشاة مسمومة	٦	١٨٥
إن امرأتي ولدت غلامًا أسود	١٠	١٠٧
إن أمن الناس علي في صحبته وماله	٢	٣٧٠
إن أنفسنا بيد الله...(من قول علي)	٣	٦١
إن أهل الإسلام لا يسيبون...(من قول ابن مسعود)	٩	٦٦
إن أهل الجنة ليتراءون الغرف	٧	٤٧٩
إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف	٧	٢٠٩
إن أهل هذه الصور يعذبون	١٠	١٢٨
إن أهون أهل النار عذابًا	٧	٤٨٥، ٤٨٦
إن أول ما نبدأ به في يومنا	٣	٦٣١
إن أول ما نبدأ في يومنا هذا أن نصلي	٣	٦٢٦
إن أول ما نبدأ من يومنا هذا	٣	٦١٠
إن أول نسكنا في يومنا هذا أن نبدأ بالصلاة	٣	٦٤٣
إن أول نسكنا في يومنا هذا أن نبدأ بالصلاة	٤	١١
إن أولئك إذا كان فيهم الرجل	٢	٣٠٨

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
إن بلالًا يؤذن بليل فكلوا	٣	١٣
إن بلالًا يؤذن بليل، فكلوا	٣	١٠
إن بلالًا يؤذن بليل، فكلوا	٣	١٨
إن بلالًا ينادي بليل	١٠	٣٤
إن بلالًا ينادي بليل، فكلوا واشربوا	٣	١٣
إن بني المغيرة استأذنوا في أن ينكح علي ابنتهم	٦	٥٣٥
إن بني هشام بن المغيرة استأذنوا في أن ينكحوا	٦	٤٥٠
إن بين يدي الساعة أيامًا يرفع فيها العلم	٩	٤٩٧
إن بين يدي الساعة لأيامًا ينزل فيها الجهل	٩	٤٩٧
إن بينك وبينها بابًا مغلقًا...(من قول حذيفة لعمر)	٢	٤٥١
أن تؤمن بالقدر	٧	٥٢١
أن تجعل لله ندا وهو خلقك	١	١٠١
أن تجعل لله ندا وهو خلقك	١٠	٥١٤
أن تجعل لله ندا وهو خلقك	٩	١٣٦
أن تجعل لله ندا وهو خلقك	٩	٢٠٥
أن تدعو لله ندا وهو خلقك	١٠	٥٣٤
أن تدعو لله ندا وهو خلقك	٩	٢١١
أن تزاني بحليلة جارك	١٠	٥١٤
أن تزاني حليلة جارك	١٠	٥٣٤
أن تسكت	٦	٢٧٨
أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر	٤	٦٣٥
إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون	٩	٦٢٨
أن تعبد الله كأنك تراه	٧	٤٧٣
أن تعبد الله كأنك تراه	٩	٤٢٦
أن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك	١٠	٥١٤
أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك	١٠	٥٣٤
أن تقتل ولدك من أجل أن يطعم معك	٩	١٣٦
أن تلبية رسول الله ﷺ: لبيك اللهم لبيك	٥	٢٢٩
أن تلد الأمة ربها	٩	٤٣٤
إن ثلاثةً في بني إسرائيل	٧	٥٦٣
إن جاءت به أحمر قصيرًا كأنه وحرة فلا أراها إلا قد صدقت	٦	٥٨٦

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
إن جبريل أتاني، فأخبرني أن فيها قذرًا	١	٥٧٤
أن جبريل بشرني أن من مات لا يشرك	٧	٣١٨
إن جبريل ش ناداني قال: إن الله قد سمع قول قومك	١٠	٢٨٩
أن جبريل كان يعارض الرسول ﷺ بالقرآن	٧	٧٦٤
إن جبريل يقرأ عليك السلام	٧	٦٩٣
إن حبسني حابس	٥	٦٠٢
إن حقا على الله أن لا يرفع شيئًا	٧	٤٠٢
إن خالدًا احتبس أدراعه في سبيل الله	٥	٧٨
إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا	١٠	٤٢٨
إن خلوف فم الصائم عند الله	٤	٢٤٣
إن خنساء بنت خذام أنكحها أبوها وهي كارهة	٩	٣٩٤
إن خير التابعين رجل يقال له أويس	٤	٧٣
إن دم الحيض أسود يعرف	٢	١٩١
إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم	٩	٣٦٩
إن دماءكم، وأموالكم	٧	٤٥٤
إن ذلك شيطان يسمى: «خنزب»	٣	٢٢٢
إن ذلك لا يحل لي	٦	١٩٣، ٢٣٠
إن رؤيا الأنبياء وحي	٣	٤٣٠
إن ربك يسارع في هواك	٤	٩٧
إن رجالًا من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يرون الرؤيا	٩	٤٦٤
أن رجلًا رأى كلبًا يأكل الثرى	١	٤٥٦
أن رجلًا من أسلم أتي رسول الله ﷺ فحدثه	٩	١٤٢
أن رجلًا من الأنصار قذف امرأته، فأحلفها	٦	٥٨١
أن رجلًا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل	٥	١٢٢
إن رحمتي تغلب غضبي	١٠	٣١٨
إن رحمتي سبقت غضبي	١٠	٤٥٢
أن رسول الله ﷺ اتخذ خاتمًا من ذهب	٧	٥٣٥
أن رسول الله ﷺ اتخذ خاتمًا من ذهب	٧	٥٣٥

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
إن رسول الله ﷺ أذن للظعن	٥	٤٠١
أن رسول الله ﷺ أعتق صفية وتزوجها	٦	٣٤٥
أن رسول الله ﷺ أعتق صفية	٦	١٦٤
إن رسول الله ﷺ اعتمر أربع عمرات	٥	٥٠١
أن رسول الله ﷺ أناخ بالبطحاء	٥	١٩٠
إن رسول الله ﷺ بريئ من الصالقة، والحالقة	٤	٤٧٣
أن رسول الله ﷺ جمع في حجة الوداع	٥	٣٩٤
إن رسول الله ﷺ حد لأهل نجد قرنًا	٥	١٩٠
أن رسول الله ﷺ حين توفي سجي ببرد حبرة	٧	٤٨٤
أن رسول الله ﷺ دخل عام الفتح وعلي رأسه المغفر	٥	٦٠٩
أن رسول الله ﷺ دخل مكة	٥	٢٦٦
أن رسول الله ﷺ رآه وقمله يسقط على وجهه	٥	٥٥٢
أن رسول الله ﷺ رأى رجلًا قد شبك	٢	٣٩٠
أن رسول الله ﷺ رأى في جدار القبلة مخاطًا	٢	٢٨٦
أن رسول الله ﷺ ركب على حمار	٧	٦٣١
أن رسول الله ﷺ سابق بين الخيل التي أضمرت	٢	٢٩٤
أن رسول الله ﷺ سقط عن فرسه	٢	٢٤٩
أن رسول الله ﷺ صلى الصبح بغلس	٣	٥٩٧
أن رسول الله ﷺ صلى الظهر خمسًا	٤	٣٥٢
أن رسول الله ﷺ صلى العصر والشمس	٢	٤٨٩
أن رسول الله ﷺ صلى فيه	٥	٣١٣
أن رسول الله ﷺ طاف بالبيت وهو على بعير	٥	٣٤٦
أن رسول الله ﷺ فرض زكاة الفطر	٥	١٤١
أن رسول الله ﷺ فرق بين رجل	٦	٥٩٢
أن رسول الله ﷺ قام في صلاة الظهر	٤	٣٦٢
إن رسول الله ﷺ قام من اثنتين من الظهر	٤	٣٤٧
إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن	٢	٢٨٤

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
إن رسول الله ﷺ قضى في بروع بنت واشق	٦	٦٣٢
أن رسول الله ﷺ قضي في جنين امرأة	٩	٢٨٧
أن رسول الله ﷺ قضي فيمن زني	٩	١٧٨
أن رسول الله ﷺ قطع في مجن ثمنه	٩	١١٧
أن رسول الله ﷺ كان إذا اعتكف المؤذن	٣	١٣
أن رسول الله ﷺ كان إذا خرج إلى مكة	٥	٥٣٥
أن رسول الله ﷺ كان إذا خرج يوم العيد	٢	٤٠١
أن رسول الله ﷺ كان إذا طاف في الحج	٥	٣٢٦
أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالصبيان فيبرك	٥	١٣٧
أن رسول الله ﷺ كان يتخولنا بالموعظة	٧	٢٨٠
أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين هاتين الصلاتين	٤	١٩٧
أن رسول الله ﷺ كان يخرج من طريق الشجرة	٥	١٩١
أن رسول الله ﷺ كان يرفع يديه حذو منكبيه	٣	٢١٣
أن رسول الله ﷺ كان يسبح علي ظهر راحلته	٤	١٩٤
أن رسول الله ﷺ كان يصلي إحدى عشرة ركعةً	٤	٢١٦
أن رسول الله ﷺ كان يصلي الصبح	٣	٤٤٧
أن رسول الله ﷺ كان يصلى العصر فيأتي العوالي	١٠	١٣٢
أن رسول الله ﷺ كان يصلي جالسًا	٤	٢٠٧
أن رسول الله ﷺ كان يصلي قبل الظهر ركعتين	٣	٥٦٢
أن رسول الله ﷺ كان يصلي قبل الظهر ركعتين	٥	٣٢
أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل أمامة	٢	٤٣٦
أن رسول الله ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة إذا سلم	٧	١٨٧
أن رسول الله ﷺ كان يكره النوم قبل العشاء	٢٢	٥٣٢
أن رسول الله ﷺ كان ينقل معهم الحجارة	٢	٢٢١
أن رسول الله ﷺ كفن في ثلاثة أثواب يمانية	٤	٤٢٣
أن رسول الله ﷺ لبس خاتم فضة في يمينه	١	٤٤٥
أن رسول الله ﷺ نحر قبل أن يحلق	٥	٥٤٦
أن رسول الله ﷺ نهى عن الحرير	٧	٤٩٥
أن رسول الله ﷺ نهى عن الشغار	٦	٢٣٢
أن رسول الله ﷺ نهى عن القزع	٧	٥٨٠
أن رسول الله ﷺ نهى عن النجش	٩	٣٨٨
إن ساقيه في الميزان أثقل من أحد	١٠	٥٧١
إن شئت أنكحتك حفصة...(من قول عمر)	٦	٢٦٦
إن شئت أنكحتك حفصة...(من قول عمر)	٦	٢٩٨
إن شئت بقيت معه، وإن شئت	٦	١٨٢
إن شئت حبست أصلها	٧	٦٣٩
إن شئت حبست أصلها	٧	٦٤٠
إن شئت صبرت و لك الجنة	٧	٣١٦
إن شئتما أعطيتكما، ولا حظ فيها لغني	٥	٨٥
إن شئتما أعطيتكما، ولا حظ فيها لغني	٥	١٠
إن شاتك شاة لحم	١٠	٣٠٩
إن شدة الحر من فيح جهنم	٢	٤٧٥
إن شدة الحر من فيح جهنم	٣	٣٠
إن شر الناس ذو الوجهين	٩	٦٢١
إن شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل	٢	١٧٣
إن صلي قائمًا فهو أفضل	٤	٢٠٠
أن عائشة أنكرت ذلك على فاطمة	٦	٦٠٧
أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته أن النكاح في الجاهلية	٦	٢٦٢
إن عادوا فعد	١٠	٣٦٥
أن عبد الرحمن بن عوف تزوج امرأةً على وزن نواة	٦	٣٠٩

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
أن عبد الله بن عمر كتب إلى عبد الملك بن مروان	١٠	٥٣
إن عبد الله رجل صالح	٩	٤٦٤، ٤٦٦
إن عبدًا خيره الله تعالى بين أن يعيش في الدنيا	١	٢٣٤
إن عصية عصوا الله ورسوله	٧	٢٦٣
إن عفريتًا من الجن تفلت علي البارحة	٢	٣٥٦
إن عليه كلاليب مثل شوك السعدان	٧	٥٠٥
إن عمرةً في رمضان حجة	٥	٥٠٨
أن عمرو بن العاص أجنب في ليلة باردة فتيمم	٢	١٨٧
إن عند كل أذانين ركعتين	٤	٢٧٤
إن غم عليكم فأكملوا	٧	٦٠٠
إن فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها	٦	٣١٣
إن فاطمة بضعة مني	٦	٢٦٣
إن في الجنة لشجرةً يسير	٧	٤٧٨
إن في الجنة لشجرةً	٧	٤٧٨
إن في الجنة مائة درجة أعدها الله	١٠	٣٩١
إن في الصلاة شغلًا	٢	٦٣٢
إن في الصلاة شغلًا	٤	٣٠٣
إن في الصلاة شغلًا	٤	٣٣٤
إن في الصلاة لشغلًا	٤	٣٠٦
إن في نواصيها الخير	١٠	١٧١
إن فيمن كان قبلكم محدثون	١	٢٣٧
إن فيه شفاءً	٧	٣٧٤
إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء	٧	٥١١
إن قريشًا أبطئوا عن الإسلام، فدعا عليهم النبي ﷺ	٤	٨٢
إن قومك قصرت بهم النفقة	١٠	١١
إن قومك قصرت بهم النفقة	٥	٢٧٧
إن كان الشؤم في شيء ففي الدار	٦	١٧٧
إن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل	٤	٢٢٣
إن كان رسول الله ﷺ ليصلي الصبح	٣	٤٤٠
إن كان في شيء ففي الفرس، والمرأة	٦	١٧٨
إن كان في شيء من أدويتكم خير	٧	٣٧٥
إن كان في شيء من أدويتكم شفاء	٧	٣٧٦
إن كان في شيء من أدويتكم	٧	٣٥٩
إن كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف	٣	١٧٤
إن كان ما تقول فكأنما تسفهم	١	٣١
إن كان ولابد فأعطوا الطريق حقه	٥	٤٧١
إن كانت هذه لصلاته حتى فارق الدنيا	٣	٣١٨
أن كلتا يدي الله يمين	٤	٦٢٦
إن كنا لنتكلم في الصلاة... (من قول زيد بن أرقم)	٤	٣٠٤
إن كنت تريد السنة فهجر... (من قول سالم)	٥	٣٨٢
إن كنت فاعلًا فواحدةً	٤	٣٢٠
إن كنتم تطعنون في إمرته	٧	٥٣٧
إن لربك عليك حقًا ولنفسك	٦	٩٧
إن لكل نبي حوضًا	٧	٥٠٩
إن لله تسعةً وتسعين اسمًا	١	٥٦
إن لله تسعةً وتسعين اسمًا مائةً إلا واحدًا	١٠	٢٩٩
إن لله تسعةً وتسعين اسمًا من أحصى	١٠	٢١٩
إن لله عبادًا لا يكلمهم الله تعالى	٩	٧٠
إن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل عنده بأجل مسمى	٤	٤٥٥
إن لله ما أخذ وما أعطى	٧	٥٦٨
إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل إلى أجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب	١٠	٤٢١
إن لله ملائكةً يطوفون في الطرق، يلتمسون أهل الذكر	٧	٢٧٢
إن لم تبكوا فتباكوا	٦	١٢٣
إن لم تجديني فأتي أبا بكر	١	٣٠٤
إن لم تجديني فأتي أبا بكر	٧	٧٢٤
إن لم تجديني فأتي أبا بكر	٩	٦٦٢
إن لم تجديني فأتي	١٠	١٧٦
إن لم تزد على أم القرآن أجزأت... (من قول أبي هريرة)	٣	٢٦٣
إن لنفسك عليك حقا	٩	١٨٢
إن له دسمًا	١	٥٤٩
إن له دسمًا	١	٥٥٤
إن له مرضعًا في الجنة	٤	٤٨٦

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
إن لو تفتح عمل الشيطان	٧	٣٦٦
أن مري غلامك النجار يعمل لي أعوادًا	٢	٣٤٢
أن معاذ بن جبل كان يصلي مع النبي ﷺ	٣	١٦٦
إن معه ماءً ونارًا، فناره ماء بارد	٩	٥٥٤
إن مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله	١٠	٢٣٣
إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس	١	٢٧٥
إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس	٥	٥٧٩
إن مما أخاف عليكم من بعدي	٥	٧١
أن من أتى كاهنًا فصدقه	٧	٤٣٠
إن من أشراط الساعة: أن يرفع العلم	١	٢٣١
إن من أشراط الساعة: أن يرفع العلم	٦	٤٥٢
إن من أفرى الفرى أن يري عينه ما لم تر	٩	٤٧٢
إن من البيان لسحرًا	٦	٣٠٠
إن من الشجر شجرةً لا يسقط ورقها	١	١٨٣
إن من الشجر شجرةً لا يسقط ورقها	١	٣٥٥
إن من الشجر شجرةً مثلها كمثل المسلم	١	٢١٨
إن من الشجر شجرةً مثلها	٧	٤٠٤
أن من جاء منهم مسلما	١	٨٣
أن من خرج على الإمام	١٠	١١٧
أن من خرج عن الجماعة، فإنه شاذ	١٠	١١٧
إن من ضئضئ هذا قومًا يقرءون	١٠	٤٠٠
إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره	٩	٢٤٨
إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره	٩	٢٥٧
أن من قرأ آية الكرسي في ليلة لم يزل عليه	٦	١١٥
إن من كان قبلكم اختلفوا فأهلكهم	٦	١٣٠
إن من ورطات الأمور...(من قول ابن عمر)	٩	٢١٢
إن منكم منفرين	٣	١٦٨
إن نأخذ بسنة النبي ﷺ فإنه لم يحل	٥	٢٤١
إن نأخذ بكتاب الله فإنه يأمرنا بالتمام...(من قول عمر)	٥	٢٤١
أن ناسًا اختلفوا عندها يوم عرفة	٥	٣٨٢
أن ناسًا طافوا بالبيت بعد صلاة الصبح	٥	٣٤٤
إن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ، فأعطاهم	٥	٨٢
أن ناسًا من عرينة اجتووا المدينة	٥	١٣٤
أن نبي الله ﷺ كان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة	٦	٤٣٧
أن نبي الله ﷺ كان يطوف على نسائه في الليلة	٢	٣٠
أن نبي الله ﷺ وزيد بن ثابت ض تسحرا	٤	٢٢٧
أن نرى كفرًا بواحًا عندنا فيه من الله برهان	٩	٥٣١
أن نعل النبي ﷺ كان لها قبالان	٧	٥٢٨
إن هاتين الصلاتين حولتا عن وقتهما	٥	٤٠٥
إن هدايا العمال غلول	٥	١٣٣
إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله	٩	٥٦٥
إن هذا البلد حرمه الله، لا يعضد شوكه	٥	٢٨٦
إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف	١٠	٥٤٩
إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف	٩	٣٤١
إن هذا المال خضرة حلوة	٧	٣١٣
إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم	٢	١٥٦
إن هذا حمد الله، وإنك لم تحمد الله	٤	٣٨٥
إن هذا قيام داود	٧	٧٤٢
إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء	٧	٣٦٦
إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس	٤	٥١٠
إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء	١٠	٢٤٣
إن هذه الصلاة لا يصلح	٤	٣١٢
إن هذه القبور مملوءة ظلمةً على أهلها	٤	٥١٥
إن هذه النار إنما هي عدو لكم	٧	٧٧٩
إن هذه من ثياب الكفار	٢	٢٣٨
إن وجدتم فلانًا وفلانًا فأحرقوهما بالنار	٩	٣١٩
إن وجدتموه فاجعلوه بين حزمتي حطب	٩	٣٢٠
الآن يا عمر	١	٦٣
الآن يا عمر	٧	٥٤٢
إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم	٣	٣٨٣
أن يد السارق لم تقطع على عهد النبي ﷺ إلا في ثمن	٩	١١٦
إن يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا	٤	٣٠٦
إن يعش هذا لا يدركه الهرم	٧	٤١٦

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
إن يعش هذا لا يدركه الهرم	٧	٤١٦
إن يك هذا من عند الله يمضه	٦	٢٥٣
إن يكن فيكم محدثون فعمر	٢	٢٨٢
إن يكن فيكم محدثون فعمر	٤	٤٣٠
إن يكن فيكم محدثون فعمر	٧	٤٠٠
إن يكن هذا من عند الله يمضه	٦	١٥٤
إن يكنه فلن تسلط عليه	٤	٥٧١
إن يمين الله ملأى لا يغيضها	١٠	٣٨٥
أن يهوديًّا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد	١٠	٣٦٠
إنا اتخذنا خاتمًا ونقشنا فيه	٧	٥٣٨
إنا اتخذنا خاتمًا ونقشنا فيه	٧	٥٤٥
إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء	٢	٢٢٨
أنا الملك....(قدسي)	١٠	٣٦٠
أنا النبي لا كذب	٢	٦٢٦
أنا أول الناس يشفع في الجنة	٩	١١٤
أنا أول شفيع في الجنة	٢	٦٣٩
أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم	٩	٢٧، ٥١
أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون	٤	٣٤٩
أنا بن عبد المطلب	٦	١٧٠
أنا بين خيرتين	٤	٤٣٢
أنا سيد الناس يوم القيامة (حديث الشفاعة)	٩	١١٤
أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر	٢	١٦٧
أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة	٤	٥٤٧
أنا طيبت رسول الله ﷺ...(من قول عائشة)	٢	٧
أنا على حوضي أنتظر من يرد علي	٩	٤٨٦
أنا عند حسن ظن	٧	٣٧٧
أنا عند ظن عبدي بي	١٠	٤٨٦
أنا عند ظن عبدي بي	٧	٣٤٤
أنا عند ظن عبدي بي	٩	١٢٩
أنا فتلت قلائد هدي رسول الله ﷺ بيدي	٥	٤٢١
أنا فرطكم على الحوض	٧	٥٠٩
أنا فرطكم على الحوض	٩	٤٨٦
إنا قافلون غدًا إن شاء الله	١٠	٤٦٢
إنا كنا احتجنا، فتعجلنا من العباس	٥	٨١
إنا لا ندخل بيتًا فيه صورة ولا كلب	٧	٦٢٦
إنا لا نولي هذا الأمر أحدًا سأله	٧	٦٦٨
إنا لا نولي هذا من سأله	٩	٥٧٧
إنا لم نؤمر أن نكسوا الحجارة والطين	٦	٣٦٢
إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم	٥	٥٦٤
إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم	٥	٥٦٨
أنا مع عبدي	١٠	٥٢١
إنا معاشر الأنبياء لا نورث	٩	١٧٢
إنا معاشر الأنبياء لا نورث	٩	٢١
إنا معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا صدقة	١	٢٠٤
أنا ممن قدم النبي ﷺ ليلة المزدلفة	٥	٤٠٠
أنا نازل ثم قام وبطنه معصوب	١	٣١
إنا نتوب إلى الله ع... (من قول عمر)	١٠	٦٩
أنا وكافل اليتيم في الجنة	٦	٥٧٩
انبعث الدم من جرحه (أي سعد بن معاذ)	٢	٣٦٢
الأنبياء لم يورثوا مالًا وإنما ورثوا العلم	٦	٦٩
أنت أخي في دين الله وكتابه وهي لي حلال	٦	١٥٧
أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر	١٠	٣٨٤
أنت الحق وقولك الحق	١٠	٢٧٤
أنت إمامهم	٧	٦٦٨
أنت أول رسول أرسله	١	٢٠
أنت أول رسول بعثه الله	٧	٤٩٠
أنت رحمتي أرحم بك من أشاء	١٠	٣٩٠
أنت مع من أحببت	٩	٥٨٠
أنت مني بمنزلة هارون من موسى	٧	٤٣٨
أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي	١٠	٣٢١
أنت ومالك لأبيك	٦	٢٨٣
انتبذوا بما شئتم غير ألا تشربوا مسكرًا	١	١٦٥
انتبذوا فيما شئتم غير أن لا تشربوا مسكرًا	٤	٦٠٩
انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي	١	١٠٦

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
انتظر على رسلك	٢	٣٧٢
انتظري، فإذا طهرت فاخرجي إلى التنعيم	٥	٥١٧
أنتم أعلم بأمور دنياكم	٩	٢٣٦
أنتم الذين قلتم كذا وكذا	٦	١٣٧
أنتم الغر المحجلون	١	٣٦٧
أنزل القرآن على سبعة أحرف	١٠	٣٩٥
أنزل الله على رسوله ﷺ وفخذه على فخذي	٢	٢٢٨
أنزل الله	١٠	
انزل فاجدح لي	٦	٥٧٣
أنزلت في قوله: لا والله... (من قول عائشة)	٧	٥٧٨
أنزلت ورسول الله ﷺ متوار بمكة	١٠	٤٧٤
أنشدك الله، هل سماني لك رسول الله	١	١٣٨
انصر أخاك ظالما أو مظلومًا	٤	٣٨٣
انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا	٧	٥٣٤
انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا	٩	٣٧٠
انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين	٣	٢٦٥
انطلق النبي ﷺ لحاجته	٧	٤٦٦
انطلق النبي ﷺ من المدينة	٥	٢٢٥
انطلقن فقد بايعتكن	٦	٥٥٤
انطلقوا إلى يهود	٩	٣٥٨
انطلقوا فإنا حملكم الله	٧	٦٦٦
انظر حيث يصلي أمراؤك فصل... (من قول أنس)	٥	٣٧٤
انظر ولو خاتمًا من حديد	٦	١٦٦
انظر ولو خاتمًا من حديد	٦	٨٣
انظر ولو كان خاتمًا من حديد	٦	٢٥٤
انظرن من إخوانكن فإنما الرضاعة من المجاعة	٦	١٩٦
انظروها، فإن جاءت به	١٠	٩٣
انظروها، فإن جاءت به	١٠	٩٤
أنفق أنفق عليك	١٠	٤٨٢
أنفق يا ابن آدم أنفق عليك... (قدسي)	٦	٦٤٠
أنفقي عليهم، فلك أجر ما أنفقت عليهم	٥	٧٥

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
انقضي رأسك وامتشطي وأمسكي	٢	٢١٣
انقضي رأسك وامتشطي	٥	٢٣٧
أنقعت -العروس- له تمرًا في تور من الليل	٧	٦٠٠
إنك أحب البلاد إلى الله	٧	٣٢٠
إنك امرؤ تائه... (من قول علي لابن عباس)	٦	٢٩٦
إنك امرؤ فيك جاهلية	١	٩٦
إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير	٧	٣٣٦
إنك إن تركت ولدك أغنياء خير	٩	٣٣
إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم	٥	٦٢
إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب	١٠	٢٠٣
إنك ستأتي قومًا أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم	٥	١١٥
إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك	٧	٤٣٨
إنك لأحب البقاع إلى الله	١٠	٢١٢
إنك لم تخلف فتعمل	٧	٢٩٣
إنك لن تخلف فتعمل عملًا تبتغي به وجه الله	٧	٢٩٣
إنك لن تخلف فتعمل عملًا تبتغي	٧	٢٣٥
إنك لن تنفق نفقةً تبتغي	١	١٦٧
إنك لن تنفق نفقةً تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها	٤	٤٧٠
إنك لن تنفق نفقةً تبتغي بها وجه الله	٦	٦٤٤
أنكحني أبي امرأةً ذات... (من قول عبد الله بن عمرو)	٦	١١٥
أنكحي أسامة	٦	٢٩٨
انكحي (في حديث سبيعة الأسلمية)	٦	٥٩٦
انكسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فصلى ركعتين	٤	١٤٧
إنكم إذا فعلتم ذلك فقد سلمتم	٤	٣١٣
إنكم إذا قلتم ذلك فقد سلمتم	١٠	١٧٠
إنكم إذا قلتم عباد الله الصالحين	٧	١٨٦
إنكم إذا قلتم: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين	١٠	٤١٦
إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث	١٠	١٦٣

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
إنكم ستحرصون على الإمارة	٩	٥٧٦
إنكم سترون بعدي أثرةً وأمورًا تنكرونها	٩	٤٨٧
إنكم سترون ربكم عيانًا	١٠	٤٠٥
إنكم سترون ربكم عيانًا	٢	٥٠٥
إنكم سترون ربكم كما ترون القمر	٢	٤٧٩
إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر	١٠	٤٠٤
إنكم سترون ربكم كما ترون هذا	٢	٤٩٧
إنكم سترون ربكم كما ترون	٧	٤٥٣
إنكم سترون ربكم يوم القيامة	١٠	٤٠٥
إنكم ستلقون بعدي أثرةً	١٠	١٩
إنكم ستلقون بعدي أثرةً	٩	٤٩٩
إنكم لتعملون أعمالًا هي أدق... (من قول أنس ض)	٧	٣٨٧
إنكم لم تزالوا في صلاة ما انتظرتموها	٧	٥٤٠
إنكم محشورون حفاةً عراةً	٧	٤٣٨
إنكم محشورون، ونحى بيله	٧	٤٣٦
إنكم ملاقو الله	٧	٤٣٧
إنكم ملاقوا العدو غدًا	٦	٤٧
إنكن صواحب يوسف	٣	١٢٤
إنكن صواحب يوسف	٤	٣١٦
إنكن لأنتن صواحب يوسف	١٠	٩٣
إنما أتألفهم	١٠	٤٠٠
إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم	٦	٦٦
إنما أقضي بنحو ما أسمع	٩	٣٥٢
إنما أقضي بنحو ما أسمع	٩	٥٨٨
إنما أقضي بنحو ما أسمع	٩	٥٩٠
إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى	٦	٤٨٧
إنما الأعمال بالنيات	١	١٩
إنما الأعمال بالنيات	١٠	٥٤، ١٥٦
إنما الأعمال بالنيات	٣	١١٥
إنما الأعمال بالنيات	٤	٤١١
إنما الأعمال بالنيات	٦	٢٤٢
إنما الأعمال بالنيات	٦	٥٠٨
إنما الأعمال بالنيات	٧	٦٠٨، ٦٠٩
إنما الأعمال بالنيات	٩	٢٨٨
إنما الأعمال بالنيات	٩	٣٥٢، ٤١٤
إنما الأعمال بالنيات	٩	٦٤٦
إنما الأعمال بالنية	٧	٦٠٦
إنما الأعمال بالنية	٩	٣٥١
إنما الأعمال بالنية	٩	٣٧١
إنما الرضاعة من المجاعة	٦	٢٠٥
إنما الصبر عند الصدمة الأولى	٤	٤٥١
إنما الماء من الماء	٢	٤٣
إنما المدينة كالكير تنفي خبثها	٩	٦٥٥
إنما المدينة كالكير	١٠	١١٩
إنما الناس كالإبل المائة	٧	٣٩٧
إنما الولاء لمن أعتق	٦	١٨٢
إنما أنا أشفع	٦	٥٣٨
إنما أنا أشفع	٦	٥٤٢
إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون	١	٢٢٩
إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون	٧	٣٩٥
إنما أنا بشر مثلكم	٢	١٣
إنما أنا بشر مثلكم، أنسى كم تنسون	٣	٣٧٧
إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي	٩	٦٠٩
إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم	٩	٦٢٤
إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم	٩	٦٢٧
إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي	٩	٣٩٣
إنما أنا شافع	٦	١٨٢
إنما أنسى لأسن	١	٢٢٩
إنما أنهى الناس عن النياحة	٤	٤٨٦
إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم	٩	١١٢
إنما أهلك من كان قبلكم أنهم إذا سرق فيهم الضعيف	٥	٤٨
إنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم	٧	٣٦١
إنما أهلك من كان قبلكم	٧	٤٩٧
إنما أوعك كما يوعك الرجلان	٧	٣٥٣
إنما بعثت إليك لتبيعها أو تكسوها	٧	٥٠٧
إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق	٧	٦٦٠
إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق	٧	١٦٦
إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق	٧	٦٦٠
إنما بعثتم ميسرين	١٠	٤٥٢

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم	١٠	٤٥٦
إنما بقاؤكم فيمن سلف من الأمم	١٠	٥٣٨
إنما جعل الإذن من قبل البصر	٩	٢٧٩
إنما جعل الإذن من قبل البصر	٩	٢٨٠
إنما جعل الإمام ليؤتم به	٢	٢٤٩
إنما جعل الإمام ليؤتم به	٢	٢٤٩
إنما جعل الإمام ليؤتم به	٣	١٤٠
إنما جعل الإمام ليؤتم به	٣	١٩٠، ٢١٠
إنما جعل الإمام ليؤتم به	٣	٣٢١
إنما جعل الإمام ليؤتم به	٤	١٩٨، ٣٦٨
إنما جعل الطواف بالبيت وبالصفا والمروة	٥	١٥٩
إنما جعل الطواف بالبيت وبالصفا	٥	٤٦٩
إنما جعل النبي ﷺ الشفعة في كل ما لم يقسم	٩	٤٠١
إنما خيرني الله	٧	٣٠٧
إنما ذلك العرض	٧	٤٦٠
إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك	١	٢٧١
إنما ذلك عرق وليس بالحيضة	٢	١٩٠
إنما سعى رسول الله ﷺ بالبيت وبين الصفا	٥	٣٦٤
إنما سمل النبي ﷺ أعين أولئك	٩	١٢٥
إنما فعلت هذا لتأتموا بي	٢	٢٤٦
إنما فعلت هذا لتأتموا بي	٣	١١٥
إنما كان منزل ينزله النبي ﷺ ليكون أسمح لخروجه	٥	٤٩٠
إنما كان يكفيك أن تصنع هكذا	٢	١٩٢
إنما كان يكفيك أن تقول بيديك هكذا	٦	٥٧٨
إنما كان يكفيك هكذا	٢	١٩٢
إنما كان يكفيك هكذا	٢٢	١٧٦
إنما كانت فتنة بني إسرائيل في النساء	٧	٥٩٩
إنما مثل صاحب القرآن	٦	٩٢
إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل	٧	٣٧٩
إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومًا	١٠	٦٠
إنما منعني أن أرد عليك	٤	٣٣٤

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
إنما نزل أول ما نزل منه سورة...(من قول عائشة)	٦	٣١
إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين	٤	٤٨٥
إنما هذا من إخوان الكهان	٧	٤٢٩
إنما هذه صفية	٩	٦١٢
إنما هذه لباس من لا خلاق له	٣	٦٠٦
إنما هلك من كان قبلكم	١٠	٦٥
إنما هلك من كان قبلكم	٩	١١٢
إنما هلكت بنو إسرائيل	٧	٥٩٦
إنما هو من إخوان الكهان	٩	٦٥٠
إنما هي أربعة أشهر وعشر وقد كانت إحداكن	٦	٦١٦
إنما هي صفية	٩	٦١٣
إنما يرحم الله من عباده الرحماء	١٠	٤٢١
إنما يرحم الله من عباده	٧	٥٦٨
إنما يلبس الحرير في الدنيا من لا خلاق له	٧	٥٠٠
إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة	٣	٤٧١
إنما يلبس هذه من لا خلاق له	٧	٥٠٧
أنه ﷺ خطب مرتين	٣	٦١٨
أنه أبصر النبي ﷺ يضطجع في المسجد	٧	٦٣٨
إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني	٩	٤٧٩
أنه أدق من الشعر وأحد من السيف	٧	٥٠٤
إنه أعطي شطر الحسن	٩	٤٣٩
إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور	٩	٤٤٥
إنه أمين هذه الأمة (أبو عبيدة بن الجراح)	٩	١٧٣
إنه حديث عهد بربه	١٠	٥٢٠
أنه حديث عهد بربه	٤	٩٧
إنه حديث عهد بربه	٤	٩٨
إنه حلية أهل النار	٧	٥٤٢
إنه دم عرق	٢	١٥٢
أنه ذكر رجلًا فيمن سلف	١٠	٤٨٨
أنه صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء	٥	٤٩٠
أنه طاف طوافًا واحدًا	٥	٤٥٨
أنه عقل رسول الله ﷺ	٤	٢٧٦

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
إنه على رأس مائة سنة	١٠	١٧٠
إنه عمك فأذني له	٦	٤٦٣
أنه قال للنبي ﷺ: هل نفعت أبا طالب بشيء	٧	٤٩٨
إنه قد أذن لكم أن تستمتعوا فاستمتعوا	٦	٢٤٥
إنه قد أذن لكم أن تستمتعوا فاستمتعوا	٩	٣٨٢
إنه قد أذن للظعن	٥	٦٢٠
أنه قرأ على الرسول ﷺ سورة النجم	٦	١٢٢
أنه كان بين جدار المسجد مما يلي القبلة...(من قول سهل)	١٠	١٣٥
أنه كان عذابًا يبعثه الله على من يشاء	٧	٤٠٧
أنه كان يصب الماء على النبي ﷺ	٦	٣٩١
إنه لا يرد شيئًا ولكنه يستخرج	٧	٦٢٠
إنه لا عتق فيما لا يملك	٦	٥٠٢
إنه لا يأتي الخير بالشر	٥	٧٢
إنه لا يأتي بخير	٥	٦٤١
إنه لا يأتي بخير	٥	٦٤١
إنه لا يبقى على ظهر الأرض	٧	٤٥٢
أنه لا يفتن في قبره	٧	٥١٧
إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين	١٠	٢٧٩
إنه لم يبق في دنياكم إلا كما بقي في هذا اليوم	٧	٤٠٩
إنه لم يقبض نبي قط	٧	٤١٣
إنه لمن أهل الجنة	٧	٣٤٨
إنه لو حدث في الصلاة شيء	٢	٢٧٦
إنه لوقتها لولا أن أشق على أمتي	١	١٠٨
إنه ليس بذلك، ألا تسمعون إلى قول لقمان	٩	٣٠٨
إنه مكان حضرنا فيه الشيطان	٢	٥٨٣
أنه من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة	٦	١١٤
أنه يأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت (يعني)	٤	
إنه يبقى في الأرض أربعين يومًا	٧	٤٢٢
أنه يسير في الأرض كالغيث استقبلته الريح	٩	٤٤٥
أنه يقف على أبوابها وأن على أبواب المدينة ملائكة	٧	٤٠٧
إنه يمكث أربعين، يوم كسنة	٧	٤٦١
أنه يملك الناس في آخر الزمان	٩	٥٦٦
إنها ابنة أخي من الرضاعة	٦	١٩٢
أنها استعارت من أسماء قلادةً	٦	٣٣٣
أنها استعارت من أسماء قلادةً(أي	٦	
أنها بعد العصر...(ساعة الإجابة يوم الجمعة)	٣	٥٥٨
إنها تنفي الرجال كما تنفي النار	٥	٦٦٩
إنها حرام إلى يوم القيامة	٦	٢٤٦
إنها خمس بالفعل، وخمسون في الميزان	٢	١٩٧
إنها ستكون	٦	٣٢٧
إنها قد بلغت محلها	٥	١١٤
إنها لا تحل لي	٦	٢٢٩
إنها لرؤيا حق	٢	٦٠٨
إنها لو لم تكن ربيبتي في حجري	٦	١٥٦
إنها من فيح جهنم فأبردوها	١	٥٢٨
انهكوا الشوارب وأعفوا اللحى	٧	٥٥٨
أنهلك وفينا الصالحون	٩	٤٩٦
إنهم ليبكون عليها، وإنها لتعذب في قبرها	٤	٤٥٩
إنهم ليسوا بشيء	١٠	٥٦٦
إنهم ليعلمون الآن أن ما كنت أقول حق	٤	٥٩٨
إنهم يعذبون عذابًا تسمعه البهائم	٧	٢٢٧
إنهما آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت	٤	١٣١
إنهما آيتان من آيات الله	١	٥٠٨
إنهما آيتان من آيات الله	٤	٣٣٠
إنهما آيتان من آيات الله، لا ينخسفان لموت أحد	٤	١٠١
إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير	٤	١٣٤
إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير	٤	٥٨٥
إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير	٧	٢٢٨
إنهما ليعذبان وما يعذبان	٧	٢٢٨
إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير	١	٥٥٩
إنهما يلتمسان البصر ويسقطان الحبل	٧	٦٠٩
إنهن من العتاق الأول...(من قول ابن مسعود)	٦	٣٤
أنهن ناقصات عقل	٧	٣٢٩
إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني	١٠	٨٨

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
إني اتخذت خاتمًا من ذهب	١٠	٨٣
إني اتخذت خاتمًا من ورق	٧	٥٤٧
إني أحب ألا أذكر الله إلا على طهارة	١	٣٧٠
إني أحب أن أسمعه من غيري	٦	١١٢، ١٢٢
إني أحبك فلا تدعن أن تقول دبر كل صلاة	٩	٤٨١
إني أحبك، فقل في	٧	١٨٤
إني أراك تحب الغنم والبادية... (من قول أبي سعيد)	١٠	٥٤٧
إني أريد أن أجليكم من هذه الأرض	١٠	١٥٢
إني أصوم وأفطر	١٠	٩٢
إني أعطي الرجل وأدع الرجل	١٠	٥٣٩
إني أعلم أنك حجر لا تضر... (من قول عمر)	٥	٣٠٨
إني أمرتكم أن تحرقوا فلانًا وفلانًا	٩	٣١٩
إني أنا النذير العريان	١٠	٦٠
إني أنكرت بصري، وإن السيول (من قول عتبان بن مالك)	٣	٣٩٦
إني أوعك كما يوعك رجلان منكم	٧	٣١٢
إني تزوجت امرأةً على وزن نواة	٦	٣٠٩
إني خشيت أن تكتب عليكم صلاة الليل	٣	٢٠٢
إني خيرت فاخترت، لو أعلم أني إن زدت	٤	٥٩٢
إني رأيت الجنة فتناولت عنقودًا	٤	١٣٦
إني رأيت الجنة، أو أريت الجنة	٦	٤١٤
إني على الحوض حتى أنظر	٧	٥١٩
إني على ما أشاء قادر	٦	١٦٨
إني على ما أشاء قادر... (قدسي)	١٠	٢٩٠
إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم	٧	٥١٧
إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم	٤	٥٥١
إني فرطكم على الحوض	٧	٥١٣
إني فرطكم وأنا شهيد عليكم	٧	٣٠٠
إني قد سترتها عليك في الدنيا	٧	٤٦١
إني كرهت أن أذكر الله على غير طهارة	٣	٣٧
إني كنت اصطنعته وإني لا ألبسه	٧	٥٤٦
إني كنت ألبس هذا الخاتم	٧	٥٦٠
إني كنت آمر بالمعروف ولا أفعله	٩	٥٢٢
أني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها... (من قول أبي بكر)	٦	٢٤٩
إني لا أدري من أذن فيكم ممن لم يأذن	٩	٦٢١
إني لا أشهد على جور	٩	٦٣٠
إني لا آلو أن أصلي بكم كما رأيت النبي ﷺ	٣	٣٦٢
إني لأدخل في الصلاة، وأنا أريد إطالتها	٣	١٧٥
إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة	٧	٥٥٢
إني لأرى الفتن خلال بيوتكم	٩	٥١٦
إني لأستحي من الله	٩	٣٢٠
إني لأشبهكم صلاةً برسول الله ﷺ	٣	٢٩٧
إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم علي	٣	٥٣٢
إني لأعطي الرجل، وغيره أحب إلي منه	٥	٩٠
إني لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها	٧	٤٩٧
إني لأعلم إذا كنت عني راضيةً	٦	٤٤٨
إني لأعلم أي يوم نزلت هذه الآية... (من قول عمر)	١٠	٥٢
إني لأقوم إلى الصلاة أريد أن أطول فيها	٣	١٧٤
إني لأنذركموه وما من نبي إلا وقد أنذره قومه	٩	٥٤٦
إني لأول العرب رمى بسهم... (من قول سعد)	٧	٣٣٥
إني لبدت رأسي وقلدت هديي	٥	٤٥١
إني لبدت رأسي وقلدت هديي	٧	٥٧٣
إني لبدت رأسي، وقلدت هديي	٥	٢٥١
إني لبدت رأسي، وقلدت هديي	٥	٤٢٠
إني لست أنا حملتكم	٧	٥٥٧
إني لست كهيئتكم؛ إني أبيت	٢	٦١٤
إني لست مثلكم	١٠	٨٨
إني لم أكسكها لتلبسها	٣	٤٧١
إني لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت	٩	٦٧٤
إني متعجل إلى المدينة	٥	٩٣
إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلةً... (من قول عمر)	٧	٦٢٩
إني نهيت عن كذا وكذا، وإن		

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
الناس...(من قول عمر)	٥	٤٨
إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى	٧	٦٦٢
إني والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها	١٠	٥٦٢
اهتز لموت سعد بن معاذ	٢	٣٦٢
أهدت أم حفيد بنت الحارث إلى النبي ﷺ سمنًا	١٠	١٧٤
أهدي النبي ﷺ مائة بدنة	٥	٤٣٥
أهدى النبي ﷺ مرةً غنمًا	٥	٤٢٢
أهدي إلى النبي ﷺ فروج حرير	٢	٢٣٦
أهدي إلى النبي ﷺ فروج حرير	٢	٢٣٦
أهريقوا ما فيها وكسروها	٧	١٩٠
أهل النبي ﷺ حين استوت به راحلته قائمةً	٥	٢٣٢
أهل بعمرة عام الحديبية	٥	٥٤٣
أهللت مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع	٢	٢١٣
أو استأثرت به في علم الغيب عندك	١٠	٢٩٨
أو تحيين ذلك	٦	١٩٣
أو جوزي بصعقة الطور	٧	٤٢٨
أو ليخالفن الله بين قلوبكم	٣	١٨٨
أو مسلمًا	٥	٩٠
أو مسلمًا؟	١	٨٩
أو يفعل هكذا	٢	٢٩٣
أوإنكم لتفعلون؟	٦	٤٢٩
أوساخ الناس(أي الزكاة)	٥	٤٤
أوصاني النبي ﷺ بالوتر قبل النوم	٤	٥٢
أوصاني النبي ﷺ بركعتي الضحى	٤	٢٦١
أوصى بكتاب الله	٦	٦٧
أوف بنذرك	٧	٦٢٩
أوفوا اللحى	١	٢٠١
أوفي هذا أنت يا بن الخطاب؟!	٦	٣٩٠
أوكلكم يجد ثوبين؟	٢	٢٢٣
أول أشراط الساعة نار تحشر الناس	٩	٥٣٩
أول جيش يغزو القسطنطينية	٤	٢٨٣
أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر	١٠	٣٤٥
أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر	٧	٤٧٢
أول شيء بدأ به حين قدم النبي ﷺ أنه توضأ ثم طاف	٥	٣٢٥
أول شيء بدأ به حين قدم أنه توضأ، ثم طاف	٥	٣٥٨
أول ما بدئ به الرؤيا	١	٢٠
أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا	٩	٤١١
أول ما بدئ به	١	٢٣
أول ما فرضت الصلاة	٢	١٧١
أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة	٩	٢١٣
أول ما يحاسب عليه العبد	٩	٢١٣
أول ما يقضى بين الناس في الدماء	٧	٤٥٦
أول ما يقضي بين الناس في الدماء	٩	٢١٣
أول من يدعى يوم القيامة آدم	٧	٤٤٠
أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره	٤	٥٤٣
أولئك العصاة أولئك العصاة	١	١٠٧
أولئك العصاة، أولئك العصاة	٢	١٧٦
أولئك شرار الخلق عند الله	٢	٣٢١
أولئك قوم إذا مات فيهم	٢	٣٢١
أولم النبي ﷺ بزينب فأوسع المسلمين خيرًا	٦	٣١٩
أولم النبي ﷺ على بعض نسائه	٦	٣٤٦
أولم تسمعي أني أرد ذلك	٧	٢٦٣
أولم ولو بشاة	٦	١٤٨، ٣١٨
أولم ولو بشاة	٦	٣٤٥
أومخرجي هم؟	٩	٤١٢
أي الأجلين قضى موسى	٦	٩١
أي حفصة أتغاضب إحداكن...(أي عمر)	٦	٣٨٨
أي داء أدوء من البخل	٩	٥٩٠
أي سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب؟	٧	٣٣٢
أي سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب؟	٧	٦٩٤
أي عبدي ما حملك على أن فعلت	١٠	٤٨٨
أي هؤلاء أكثر أخذًا للقرآن؟	٤	٥٥٩

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
أي يوم هذا؟	١	١٩٨
أيؤذيك هوام رأسك؟	٧	٣٣٣
أيؤذيك هوامك	٧	٦٤٥
أيؤذيك هوامك؟	٥	٥٥٢
أيؤذيك هوامك؟	٧	٣٧٥
إياك والالتفات في الصلاة، فإنه هلكة	٣	١٢٩
إياك وكرائم أموالهم	١٠	٣٩٦
إياك وكرائم أموالهم	٥	١١٥
إياك وكرائم أموالهم	٧	٢٠٦
إياكم والدخول على النساء	١	٤٠٣
إياكم والدخول على النساء	٣	٦٢٨
إياكم والدخول على النساء	٦	١٧٠
إياكم والدخول على النساء	٦	١٩٧
إياكم والدخول على النساء	٦	٤٥٤
إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث	٦	٢٩٢
إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث	٩	١٨
آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون	٧	٦٣٦
آيبون، تائبون، عابدون، ساجدون	٥	٥٢٨
آية الإيمان: حب الأنصار	١	٦٧
آية التيمم	٦	٣٣٣
آية المنافق ثلاث	١	١٠١
آية المنافق ثلاث	٦	٣١٣
أية ساعة هذه؟...(من قول عمر لعثمان)	٣	٤٥٧
الآيتان من آخر سورة البقرة	٦	١٠٠
أيسرك أن يجعل الله في يدك خواتيم من نار	١	٢٦٦
أيسرك أن يسورك الله بها سوارين من نار؟	٥	٧٠
أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة	٦	٥٩
أيكسر أم يفتح؟...(من قول عمر لحذيفة)	٢	٤٥١
أيكم لم يقارف الليلة؟	٥	٦٣١
أيكم مال وارثه أحب	٧	٣١٤
أيكم مثلي إني أبيت يطعمني ربي ويسقين	١٠	١١
أيكم مثلي؟ إني أبيت يطعمني ربي ويسقين	٩	١٩٦
أيكم يحفظ حديث رسول الله عن الفتنة؟...(من قول عمر)	٥	٣٤
أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتنة...(من قول عمر)	٢	٤٥١
أيكم ينطلق إلى المدينة	٧	٦٢١
أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم	٦	٤٨٤
أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم	٦	٥٨٥
أيما امرأة أصابت بخورًا، فلا تشهد معنا	٣	٤٤٣
أيما امرأة سألت زوجها الطلاق	٦	٥٣٠
أيما امرأة مات لها ثلاثة من الولد	٤	٤٠٨
أيما إهاب دبغ فقد طهر	٥	١١٠
أيما رجل أدركته الصلاة فليصل	١	٤٤٨
أيما رجل ارتد عن الإسلام فادعه، فإن عاد	٩	٣١٥
أيما رجل كانت عنده وليدة	٦	١٦١
أيما رجل وامرأة توافقا فعشرة ما بينهما ثلاث ليال	٩	٣٨٣
أيما رجل وامرأة توافقا فعشرة ما بينهما	٦	٢٤٥
أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة	٤	٥٩٤
إيمان بالله ورسوله	١	٨٤
إيمان بالله ورسوله	٥	١٧٥
الإيمان بضع وسبعون شعبةً	١	٤٧
الإيمان هاهنا -مرتين- ألا وإن القسوة وغلظ القلوب	٦	٥٧٩
الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته.	١	١٤٤
أيمس طيبًا أو دهنًا إن كان عند أهله	٣	٤٧٠
أين ابن عمك؟...(لفاطمة)	٢	٣٢٩
أين الذي سأل عن العمرة؟	٥	١٩٣
أين السائل عن العمرة؟	٥	٥٢٢
أين أنا غدًا، أين أنا غدًا؟	٦	٤٣٩
أين تحب أن أصلي لك من بيتك؟	٢	٣٠٠
أين تحب أن أصلي من بيتك	٣	١٣٥
أين تحب أن أصلي من بيتك؟	٢	٣٠١
أين تحب أن أصلي من بيتك؟	٣	٣٩٦
أين تحب أن أصلي من بيتك؟	٤	٢٧٧
أين تحب أن أصلي؟	٣	١٠١

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
أين تريد أن أصلي؟	٥	٤٩٣
أين صلى الظهر يوم التروية؟...(من قول ابن رفيع)	٥	٤٨٩
أين علي بن أبي طالب؟	١	٣٣٠
أين كنت يا أبا هر؟	٢	٣٠
أين كنت يا أبا هر؟	٤	٥٩
أين كنت يا أبا هريرة	٣	١٩٤
أين كنت يا أبا هريرة؟	٢	٢٦
أين لكم؟	٧	٥٥١
أين ماله؟	٩	٢٣٠
أينا لم يظلم	١	١٠٠
أيها الناس اربعوا على أنفسكم	٧	٢٤٦
أيها الناس اربعوا على أنفسكم	٧	٢٧٦
أيها الناس إنكم منفرون	١	٢٥٦
أيها الناس صلوا في بيوتكم	١٠	٦٨
أيها الناس، ضحوا، تقبل الله ضحاياكم...(من قول خالد بن عبد الله القسري)	١٠	٢٠١
أيها الناس، عليكم بالسكينة، فإن البر ليس بالإيضاع	٥	٣٩٢
أيهم أكثر أخذًا للقرآن؟	٤	٥٥٩، ٥٦٧
بئس خطيب القوم أنت	٧	٤٠١
بئس ما لأحدهم أن يقول نسيت آية	٦	٩٢
بئس ما لأحدهم يقول نسيت آية	٦	٩٨
بئسما عدلتمونا بالكلب والحمار...(من قول عائشة)	٢	٤٣٧
بات النبي ﷺ بذي طوًى حتى أصبح	٥	٢٦٥
بارك الله لك أولم ولو بشاة	٧	٢٥٠
بارك الله لك في أهلك ومالك	٦	٣٤٥
بارك الله لك، أولم ولو بشاة	٦	٣٢٠
بارك الله لكما في ليلتكما	٥	١٣٨
بارك الله لكما وعليكما وجمع بينكما في خير	٦	٣٢٠
باسمك اللهم أموت وأحيا	٧	١٨٣
باسمك أموت وأحيا	٧	١٥٢
باسمك رب وضعت جنبي وبك	٧	١٧١
باسمك نموت ونحيا	١٠	٣٠٢
باضطراب لحيته...(من قول خباب)	٣	٢٨٧
باضطراب لحيته...(من قول خباب)	٣	٢٢٨
باضطراب لحيته...(من قول خباب)	٣	٢٥٧
بال الشيطان في أذنه	٤	٢٣١
بالأبطح...(من قول أنس)	٥	٤٨٩
بأمثال هؤلاء فارموا	٥	٤٧٢
بأي شيء دووي جرح النبي ﷺ؟...(من قول سعد)	١	٦٠٧
بايع النبي ﷺ أصحابه على ألا يسألوا الناس شيئا	١	٤١٤
بايعت النبي ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة	٤	٦١١
بايعت النبي ﷺ على السمع والطاعة	٩	٦٥١
بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة	١	١٦٨
بايعت رسول الله ﷺ على: إقام الصلاة	٢	٤٥٠
بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة	٩	٦٤٩
بايعناه على أن لا نشرك بالله شيئًا	٩	٢٢١
بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا	١	٦٧
بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا	٩	١٠٨
بت عند النبي ﷺ فاستن...(من قول ابن عباس)	١	٦٠٩
بت عند خالتي ميمونة ليلةً	٣	٤٣٠
بت في بيت خالتي ميمونة	٣	١٦٠
بت في بيت خالتي ميمونة...(من قول ابن عباس)	١	٣١٦
بت في بيت ميمونة ليلةً والنبي ﷺ عندها لأنظر كيف صلاة رسول الله	١٠	٤٢٥
بخ بخ ذاك مال رابح	٧	٦٤١
بخ بخ...(من قول أبي هريرة)	١٠	١٢٤
بخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح	٥	٦٦
بدأ رسول الله ﷺ فأهل	٥	٤١٥
برحمتك أستغيث	١٠	١٠٧
برحمتك أستغيث	١٠	٢٦٥
البزاق في المسجد خطيئة	٢	٢٩١
البزاق في المسجد خطيئة، وكفارتها		

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
دفنها	٢	٤٦٧
بسم الله الرحمن الرحيم. هذه فريضة الصدقة	٥	٥٧
بسم الله، تربة أرضنا	٧	٤١٧
البسوا البياض وكفنوا	٦	٣٤
البسوا ثياب البياض؛ فإنها أطهر وأطيب	٤	٤٢٤
بشروا خديجة ببيت من الجنة	٥	٥٢٤
بصدقاتهم علانية	٥	٦٠
بع الجمع بالدراهم ثم اشتر بالدراهم جنيبًا	٩	٤٠٦
بع الردئ بالدراهم، واشتري بالدراهم جيدًا	٩	٤٩٣
بعث النبي ﷺ معها أخاها عبد الرحمن فأعمرها	٥	١٧٥
بعث رسول الله ﷺ خيلًا قبل نجد	٢	٣٧٤
بعث رسول الله ﷺ عشرةً، منهم خبيب الأنصاري	١٠	٣١٢
بعثت أنا والساعة كهاتين	٧	٤٠٩
بعثت أنا والساعة كهاتين	٧	٤١٠
بعثت أنا والساعة كهذه من هذه	٦	٥٧٨
بعثت أنا والساعة	٧	٤٠٩
بعثت بجوامع الكلم	١٠	٥٤
بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب	٩	٤٥٣
بعثني النبي ﷺ فقمت على البدن	٥	٤٣٤
بعثني رسول الله ﷺ من جمع بليل	٥	٤٠٠
بعنيه	٣	٥٥٢
البكر بالبكر جلد مائة، وتغريب عام	٩	١٤٠
البكر تستأذن	٩	٣٩٥
البكر يستأذنها أبوها	٦	١٥٨
بل أحسن صحبته	٧	٤٥٩
بل أشير عليك	٦	٥٣٢
بل أنا وارأساه	٧	٣٥٣
بل أنتم فيه	٥	٦٤٩
بل شربت عسلًا عند زينب بنت جحش	٧	٦١٤
بل يعيش حميدًا، ويقتل شهيدًا	١	١٣٧
بلغ النبي ﷺ أن رجلًا من أصحابه أعتق غلامًا	٩	٦٢٧
بلغني أن الجسر أدق من الشعرة...(من قول أبي سعيد)	٣	٣٣٣
بلى ، ولكنك كنت إمامنا فيها، ولو سجدت لسجدنا	٤	١٦٦
بلى قد نسيت	٢	٣٩٢
بما أهللت؟	٥	٢٤١
بما أهللت؟	٥	٤٤٩، ٥٢٥
بنو النجار، ثم الذين يلونهم بنو عبد الأشهل	٦	٥٧٨
بني الإسلام على خمس	١	١٣٣
بني الإسلام على خمس	١	٥٢
بني الإسلام على خمس	٥	١٥١
بني الإسلام على خمس	٧	٣٣٧
بنى النبي ﷺ بامرأة فأرسلني فدعوت	٦	٣٤٦
بها يطلع قرن الشيطان	٤	١١٠
بهذا أمرت...(صلاة جبريل بالنبي ﷺ)	٢	٤٤٣
بيرحاء...(حديث أبي طلحة)	٥	٦٦
بيع المسلم لا داء ولا خبثة ولا غائلة	٩	٤٠٩
بين أصبعين من أصابع الرحمن	٧	٥٣٩
بين الرجل و وبين الشرك والكفر ترك الصلاة	٩	٨٥
بين الرجل وبين الشرك	١٠	٤٧٢
بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة	٩	٨٥
بين كل أذانين صلاة -ثلاثًا- لمن شاء	٣	١٨
بين كل أذانين صلاة	١٠	٣٣
بين كل أذانين صلاة	٣	٢٠
بين كل أذانين صلاة	٣	٢٣
بين كل أذانين صلاة	٤	٣٦
بين كل أذانين)	٣	٢٣
بين يدي الساعة أيام الهرج	٩	٤٩٧
بينا الناس بقباء في صلاة الصبح	٢	٢٨٤
بينا النبي ﷺ يخطب في يوم جمعة قام أعرابي	٣	٥٥٤
بينا أنا على بئر أنزع منها إذ جاء أبو بكر وعمر	٩	٤٦١
بينا أنا مع النبي ﷺ مضطجعة في خميصة	٢	١٦٢
بينا أنا مع النبي ﷺ مضطجعة في خميلة حضت	٢	٢٣٠

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت منه	٩	٤٥٠، ٤٦٤، ٤٦٦
بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن	١	٢٣٣
بينا أنا نائم إذ أوتيت خزائن الارض	٩	٤٦٨
بينا أنا نائم أطوف بالكعبة فإذا رجل آدم	٩	٥٤٩
بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا علي	٩	٤٥١
بينا أنا نائم رأيت أنه وضع في يدي سواران	٩	٤٦٧
بينا أنا نائم رأيت أني على حوض أسقي	٩	٤٦٢
بينا أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة	٩	٤٦٣
بينا أنا نائم رأيتني على قليب وعليها دلو	٩	٤٦١
بينا أنا نائم رأيتني على قليب	١٠	٤٦٠
بينا أنا نائم رأيتني في الجنة	٩	٤٦٢، ٤٦٣
بينا أنا نائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم	٧	٥١٤
بينا أنا نائم، رأيت الناس يعرضون	١	٨٠
بينا رجل يجر إزاره	٧	٤٥١
بينا موسى في ملإ من بني إسرائيل	١٠	٤٦٢
البينة على المدعي	٦	٥٨٣
البينة على المدعي	٧	٥٥١
البينة على المدعي	٩	٦٢٣
بينتك أو يمينه	٧	٥٨٨، ٥٩١
بينما المسلمون في صلاة الفجر لم يفجأهم	٣	٢٣٦
بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر	٧	٥١٢
بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص	٩	٤٥١
بينما أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ	٦	٤٤٨
بينما أيوب يغتسل عريانًا	١٠	٤٧٨
بينما رجل يمشي في حلة	٧	٤٥٠
بينما موسى فى ملإ من بني إسرائيل	١	٢٢١
بينما موسى فى ملإ من بنى إسرائيل	١	٢٢٨
بيوتهن خير لهن	٢	١٧٧
بيوتهن خير لهن	٢	٥٥٠
تأتي الإبل على صاحبها على خير ما كانت	٤	٦١٣
تأخذين فرصةً ممسكةً	١٠	١٧٣
تبارك الذي وسع سمعه		

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
الأصوات...(من قول عائشة)	٦	٥٦٣
تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا	٩	٦٥٦
تبكي أو لا تبكي، فما زالت الملائكة تظله	٤	٤٦٣
تبكين أو لا تبكين، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها	٤	٣٩٧
تبيعها أو تصيب بها حاجتك	٣	٦٠٦
تتبعون أذناب الإبل...(من قول أبي بكر)	٩	٦٦٢
تتبعي بها أثر الدم...(من قول عائشة)	٢	٢١١
تتركون المدينة علي خير ما كانت	٥	٦٥٨
تجزئ عنك	٧	٥٨٥
تحت كل شعرة جنابةً	١	٥٥٢
تحريمها التكبير، وتحليلها التسليم	٤	٥١٠
تحشرون حفاةً عراةً غرلًا	٧	٤٤٠
تحلفون خمسين يمينًا على قاتل صاحبكم؟	٩	٢٧٠
تحار	٥	١٠٥
تحوز المرأة ثلاثة مواريث	٩	٥٦
التحيات لله والصلوات والطيبات	١٠	٢٤٤
التحيات لله والصلوات	٣	٣٩٢
التحيات لله والصلوات	٧	٧١٨
تختلف أيدينا فيه...(من قول عائشة)	١	٥٢٦
تخرج نار قبل يوم القيامة	٧	٤٣٣
تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس	٦	١٦٠
تدنوالشمس من رءوس الخلائق قدر ميل	٢	٤٩٩
تدنو الشمس من رءوس الخلائق	٣	٨٢
تدني الشمس يوم القيامة من الخلق	٩	١٢٧
تربة أرضنا، وريقة بعضنا	٧	٤١٧
ترتجف المدينة بأهلها	٥	٦٥٥
ترجح البطاقة، وتطيش السجلات	١٠	٥٧٠
ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات	٥	٦٦٧
تردين حديقته؟	٦	٥٣٤
تزوج النبي ﷺ أميمة بنت شراحيل	٦	٤٨١
تزوج النبي ﷺ عائشة وهي بنت ست سنين	٦	٣٢٥
تزوج النبي ﷺ وهو محرم	٦	٢٣٨

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
تزوج ولو بخاتم من حديد	٦	٣١٠
تزوجني الزبير وما له في الأرض...(من قول أسماء)	٦	٤٤٤
تزوجني النبي ﷺ فأتتني أمي فأدخلتني الدار	٦	٣٢٦
تزوجني النبي ﷺ فأتتني أمي فأدخلتني	٦	٣٢١
تزوجني النبي و أنا بنت... (من قول عائشة)	١	٢٤
تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم يوم القيامة	١٠	٣٤٣
تزوجوا الودود الولود	٦	١٣٧، ١٤٣
تسبحون في دبر كل صلاة عشرًا	٧	١٨٧
تسبحون وتحمدون وتكبرون	٣	٤٠٧
تسبق شهادة أحدهم يمينه	٧	٥٧١
التسبيح للرجال، والتصفيح للنساء	٤	٣١٥
التسبيح للرجال، والتصفيق للنساء	٤	٣١٥
تستطيع أن تعتق رقبةً	٧	٦٤٨
تسحرنا مع رسول الله ﷺ، ثم قمنا إلى الصلاة	٣	١٢
تسير على بعير لها	٩	٣٤٣
تشتهين تنظرين	٣	٦٠٨
تشتهين تنظرين؟	٣	٦٠٧
تصدق رجل من ديناره من ثوبه	٥	٦
تصدقن ولو من حليكن	٥	٧٤
تصدقوا فسيأتي عليكم زمان يمشي	٥	٢٠
تصدقوا، فإنه يأتي عليكم زمان يمشي الرجل بصدقته	٤	٦٢٩
تصدقوا، فسيأتي على الناس زمان	٩	٥٤٤
تطعم الطعام، وتقرأ السلام	١	٥٩، ٩٢
تطهري	٢	٢١٢
تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده	٦	٩٢
تعبد الله لا تشرك به شيئًا	٤	٦٠٨
تعجبون من غيرة سعد	١٠	٣٦٢
تعرض عليه نفسها	٦	٢٤٧
تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة	١٠	٢٢٢
تعس عبد الخميصة	٢	١٦٧
تعس عبد الدنيا	١٠	٥٠٩
تعس عبد الدينار	٧	٣١٠
تغدو به إلى النبي ﷺ يحنكه	٧	٤٩١
تفتح اليمن فيأتي قوم يبسون	٥	٦٦٠
تقرصه، ثم تحته، ثم تغسله، وتصلي فيه	٢	١٦٧
تقطع اليد في ربع دينار فصاعدًا	٩	١٠٨
تقطع اليد في ربع دينار فصاعدًا	٩	١١٥
تقطع اليد في ربع دينار	٩	١١٦
تقطع يد السارق في ربع دينار	٩	١١٦
تقول جهنم قط قط وعزتك	١٠	٢٦٢
تقول جهنم: قط قط	١٠	٢٥٧
تكثرن اللعن، وتكفرن العشير	٢	١٧٠
تكفر كل شيء	٩	٤٢٤
تكفل الله لمن جاهد في سبيله	١٠	٤٣٣
تكفل الله لمن جاهد في سبيله	١٠	٤٤٢
تلاحى رجلان	١	٣٠٩
التلبينة	٧	٣٦٨
تلك الروضة روضة الإسلام	٩	٤٥٣
تلك السكينة تنزلت بالقرآن	٦	٥٥
تلك الكلمة من الحق يخطفها	١٠	٥٦٦
تلك الكلمة من الحق، يخطفها من الجني	٧	٤٣٠
تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لاصبحت	٦	٦١
تلك امرأة كانت تظهر السوء...(من قول ابن عباس)	٦	٥٩٣
تلك امرأة يغشاها	٧	٦٥٣
تمارى الناس في صوم النبي ﷺ يوم عرفة	٣	٥٥٠
تمتعنا على عهد رسول الله ﷺ، فنزل القرآن	٥	٢٥٥
التمس ولو خاتمًا من حديد	٦	٢٤٨، ٢٧٧
التمسوها في السبع الأواخر	٩	٤٢٧
تنام عيناه ولا ينام قلبه	٧	١٥٧
تنحى بعد أن فرغ من غسله...(من قول ميمونة)	١	٦٣٠
تنكح المرأة لأربع: لمالها	٦	١٧٢

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
تهادوا تحابوا	٧	٥٤٦
تهادوا تحابوا	٩	٣٥٥
تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدر	٩	٣٥٥
توضئوا مما مست النار	١	٥٤٤
توضئوا من لحوم الإبل	٧	٦٣٠
توضئي لكل صلاة	١	٥٧٧
توضأ رسول الله ﷺ ثم صب وضوءه على	١٠	١٠١
توضأ رسول الله ﷺ وضوءه للصلاة غير رجليه	١	٦٣٠
توضأ، واغسل ذكرك، ثم نم	٢	٣٨
توفي النبي ﷺ وليس في رأسه ولحيته	٧	٥٦٧
توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين...(من قول ابن عباس)	٦	٩٥
التيس المستعار	٦	٥٩٤
ثكلتك أمك يا معاذ	١٠	٣١٠
ثكلتك أمك يا معاذ	١٠	٧٢
ثكلتك أمك يا معاذ	٤	٤٧٧
ثكلتك أمك يا معاذ	٧	٣٦٥
ثكلتك أمك	٣	٣٠٠
ثكلتك أمك	٧	١٦٧
ثكلتك أمك، سنة أبي القاسم ﷺ	٣	٣٠٠
ثلاث ساعات كان رسول الله ﷺ ينهانا	٣	٤٦٨
ثلاث ساعات نهانا الرسول ﷺ أن نصلي فيهن	٢	٥٦٥
ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان	١	٦٤ ٧٨
ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان	٩	٣٥٤
ثلاثة لا تقر بهم الملائكة: جيفة الكافر	٢	٣٣
ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة	١٠	٤١٦
ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة	٥	١٥
ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة	٧	٣٧٣
ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة	٧	٥٨٩
ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة	٩	٦٥٥
ثلاثةً لم يبلغوا الحنث	١	٢٧١
ثلاثة لهم أجران	١	٢٦٤
الثلث كبير	٩	٣٣
الثلث كثير	٧	٣٣٦
الثلث كثير، إنك أن تذر	٧	٢٣٥
الثلث والثلث كثير إنك إن تذر	٧	٢٩٣
الثلث والثلث كثير	٧	٣٣٠
الثلث، والثلث كبير	٤	٤٦٧
الثلث، والثلث كثير	٦	٦٤٢
ثم أتى النساء ومعه بلال فأمرهن بالصدقة	٣	٦٢٤
ثم أتي بمنديل، فلم ينفض بها...(من قول ميمونة)	١	٦٣٦
ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبايل اللؤلؤ	٢	١٩٩
ثم أدخلت الجنة	٤	١٤٠
ثم إذا شرب فاقتلوه	٩	١٠٥
ثم صلوا علي	٧	٢٢١
ثم صلى ركعتين كما يصلي في العيد	٤	٧٥
ثم صلى لنا ركعتين جهر فيهما بالقراءة (الاستسقاء)	٤	٩٠
ثم ليتخير بعد من المسألة ما شاء	٣	٣٥٧
ثم ليتخير من الدعاء ما شاء	١	٦٠٠
ثم ليتخير من الدعاء ما شاء	٣	٣٨٩
ثم ليتخير من الدعاء ما شاء	٧	٢٦٢
ثم ليتخير من الدعاء	١٠	٢٨٦
ثم يضطجع على شقه الأيمن	٤	٥١
ثوبي حجر، ثوبي حجر...(من قول موسى عليه السلام)	٣	٥٣٣
ثور ونون، يأكل من زائدة كبدهما	٧	٤٣٠
الثيب بالثيب جلد مائة والرجم	٩	١٤٠
جئت أنا وأبو بكر وعمر، ذهبت	٢	٣٧٢
جاء اليهود إلى النبي ﷺ برجل منهم وامرأة زنيا	٤	٥١٨
جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ	٦	١٣٧
جاء رجل إلى النبي ﷺ من أهل الكتاب، فقال: يا أبا القاسم إن الله يمسك السموات	١٠	٣٦٠
جاء رجل فأعطاه غنما بين جبلين	١	٣٢
جاء رسول الله ﷺ يعودني، وأنا مريض لا أعقل	١	٥٢٧

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
جاءت النبي ﷺ فاستأذنته أن تنكح فأذن لها فنكحت	٦	٥٩٦
جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ	٦	٢٤٧
جاءني النبي ﷺ يعودني	٧	٣٣٢
جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي	٧	٢٥٣
جابر بن عبد الله يحلف بالله أن ابن الصائد الدجال	١٠	١٦٨
الجار أحق بصقبه لما أعطيتكه	٩	٤٠٦
الجار أحق بصقبه	٩	٤٠٥، ٤٠٨، ٤٠٩
جزاك الله خيرًا فوالله ما نزل بك أمر قط إلا جعل...(من قول أسيد)	٦	٣٣٣
الجساسة	١	٣١٥
الجساسة	٢	٥٩٣
جعل اليمين على الشمال (الاستسقاء)	٤	٩٢
جعلت قرة عيني في الصلاة	٧	٣٨٢
جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا	٢	١٥٣، ١٧٨
جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا	٤	٢٦٢
جعلت لي الأرض مسجدًا	٤	٦٢٦
جعلت لي الأرض	٧	٣٠٩
الجلالة	٧	٥٥٨
جلد النبي ﷺ في الخمر بالجريد والنعال	٩	١٠٢
جلست إحدى عشرة امرأةً	٦	٣٧٠
جمع ﷺ بتبوك	١	٥١٧
جمع النبي ﷺ بين الظهر والعصر	١	٥٧٨
جمع النبي ﷺ بين الظهر والعصر	٢	٥١٩
جمع النبي ﷺ بين المغرب والعشاء بجمع	٥	٣٩٤
الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله	٧	٣٨٣
جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب	١٠	٤١٣
جهاد في سبيل الله	٥	١٧٥
جهد المقل	١	٩٣
جهد المقل	٥	٢٧
جهر النبي ﷺ في صلاة الخسوف بقراءته	٤	١٤٨
حابستنا هي؟	٥	٤٥٨
حالف النبي ﷺ بين الأنصار	١٠	١٣٨
حبب إلي من الدنيا: النساء	٢	٣٩١
حبس النبي ﷺ	٤	٣٠٤
حبست الناس...(من قول أبي بكر)	٩	١٨٨
حبست رسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء...(من قول أبي بكر)	٩	١٨٨
حبستي الناس على غير ماء...(من قول أبي بكر)	٦	٣٣٣
حبك إياها أدخلك الجنة	٣	٢٧٠
حتى اللقمة ترفعها في في امرأتك	٦	٦٤٢
حتى تتورم قدماه	٧	٢٠٩
حتى تحمار	٥	١٠٥
حتى تخرج الظعينة من كذا إلى كذا لا تخشى إلا الله	١	١٥٩
حتى تذهب عاهته	٥	١٠٥
حتى تستحد المغيبة، وتمتشط الشعثة	٥	٥٣٦
حتى تقوم الساعة	١٠	٤٣٥
حتى تمتشط الشعثة، وتستحد المغيبة	٦	٤٦٦
حتى هممت بأمر سوء...(من قول ابن مسعود)	٣	٢٨٥
حتى يأذن أو يترك	٦	٢٨٩
حتى يضع رب العزة عليها قدمه	٧	٤٧٩
حتى يضع رب العزة فيها	٧	٥٧٤
حج النبي ﷺ مرتين	١	٢٣٩
حج عن نفسك، ثم حج عن شبرمة	٥	١٦٨
حج مبرور	٥	١٧٥
الحج مرةً فما زاد فهو تطوع	٥	١٨٥
الحج مرة فما زاد فهو تطوع	٥	٦٠٩
الحج مرة، فما زاد فهو تطوع	٥	١٨١
حجابه النور لو كشفه لأحرقت	٢	٤٩٩
حجبت النار بالشهوات	٧	٣٨٢
حجي عنها، أرأيت لو كان	١٠	١٠٨
حجي واشترطي	٦	١٧١
حدث الناس كل جمعة مرةً...(من قول ابن عباس)	٧	١٩٢
حرم الله مكة، فلم تحل لأحد قبلي	٤	٥٦١

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
حرم على ذكورها	٧	٤٧٤
حرم ما بين لابتي المدينة على لساني	٥	٦٤٩
حرم من النسب سبع، ومن الصهر سبع	٦	٢٢٠
حرمت الظلم على نفسي	١٠	٥١٢
حرموا من الرضاعة ما يحرم من النسب	٦	٢٣٢
حسابكما على الله ، أحدكما كاذب لا سبيل لك عليها	٦	٦٣٥
حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه	١٠	٥١٧
حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه	٧	٣٣٤
حسبت علي بتطليقة...(من قول ابن عمر)	٦	٤٨٠
حسبك الآن	٦	١١٣
حسر النبي ﷺ عن فخذه	٢	٢٢٧
حفاةً عراةً غرلًا	١	٣١٤
حفظت من النبي ﷺ عشر ركعات	٤	٢٧١
حق العباد على الله	٧	٧٢٨
حق الله على العباد أن يعبدوه	٤	٤٢٩
حق الله على العباد، أن يعبدوه	٧	٧٢٥
حق المسلم على المسلم خمس	٤	٣٨٨
حق المسلم على المسلم ست	٧	٦٦٨
حق المسلم على المسلم	٦	٣٥١
حق المسلم على المسلم	٧	٣٢٨
الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي	٧	٣٣٠
حق على كل مسلم أن يغتسل	٣	٤٨٧
حل كله	٥	٢٥٠
الحلال بين والحرام بين	١	١٥٧
حلق النبي ﷺ وطائفة من أصحابه	٥	٤٥٤
حلق رسول الله ﷺ في حجته	٥	٤٥٢
حلقى عقرى، ما أراها إلا حابستكم	٥	٤٩٥
الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور	١٠	٣٠٢
الحمد لله الذي أحيانا	٧	١٥٣
الحمد لله الذي أحيانا	٧	١٨٣
الحمد لله الذي أنقذه من النار	٤	٥٧٤
الحمد لله على كل حال	٧	٣٦٧
الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره	١	٢٧٧
حمدني عبدي، فإذا قال: الرحمن الرحيم	١٠	٢٧٤
الحمو الموت	١	٤٠٣
الحمو الموت	٣	٦٢٨
الحمو الموت	٦	١٧٠، ٤٥٤
الحمو الموت	٦	١٩٧
الحمى من فوح جهنم	٧	٣٩٧
الحمى من فيح جهنم	٧	٣٩٦، ٣٩٧
حوضه ما بين صنعاء والمدينة...(من قول حارثة)	٧	٥١٨
حوضي مسيرة شهر	٧	٥١١
الحياء شعبة من الإيمان	٢	٢٥
الحياء من الإيمان	١	٤٧
الحياء من الإيمان	٢	٢٥
حيث تقاسموا على الكفر	٥	٢٩٠
حيل بيننا وبين خبر السماء...(من قول الجن)	٣	٢٦٥
الخازن المسلم الأمين الذي	٥	٣٨
خالفوا المجوس	٧	٥٦٦
خالفوا المشركين	٧	٥٥٨
خالفوا اليهود، فإنهم لا يصلون في نعالهم	٢	٢٦١
خبأت هذا لك	٧	٤٧٠
خذ جاريةً من السبي غيرها	٢	٢٢٩
خذ من صحتك لمرضك	٧	٢٨٤
خذ هذا أفرغه على نفسك	١	٦١٩
خذ هذا فتصدق به	٧	٦٥٢
خذه فتصدق به	٧	٦٤٩
خذه فتموله وتصدق به	٩	٦٠٦
خذه فتموله وتصدق به	٩	٦٠٧
خذه، إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف	٥	٨٦
خذها فإنما هي لك أو لأخيك أو للذئب	٦	٥٥٩
خذوا القرآن من أربعة	٦	٣٨
خذوا ساحل البحر حتى نلتقي	٥	٥٦٨
خذوا عني، خذوا عني، فقد جعل الله	٩	١٦٨
خذوا من الأعمال ما تطيقون	٧	٥٢٩

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
خذوها واضربوا لي بسهم	٧	٤١٠
خذي فرصةً ممسكةً	٢	٢١٢
خذي فرصةً من مسك فتطهري بها	٢	٢١١
خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف	٩	٥٨٧
خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف	٩	٦٢٣
خذيها واشترطي لهم الولاء	٦	٥٣٩
خذيها واشترطي لهم الولاء	٧	٦٩١
خرج النبي ﷺ بالناس يستسقي لهم	٤	٨٩
خرج النبي ﷺ يستسقي فتوجه إلى القبلة يدعو	٤	٩٠
خرج النبي ﷺ يستسقي، وحول رداءه	٤	٦٧
خرج النبي ﷺ يوم عيد فصلى ركعتين	٧	٥٥٠
خرج النبي ﷺ يوم عيد، فصلى ركعتين لم يصل	٥	٣١
خرج رسول الله ﷺ إلى النساء فوعظهن	١	٢٦٥
خرج رسول الله ﷺ فصلى ثم خطب	٦	٤٧٤
خرج علينا رسول الله ﷺ بالهاجرة	١	٥١٦
خرج علينا رسول الله ﷺ بالهاجرة	٢	٤٠٦
خرجت مع النبي ﷺ في جنازة، وجلست خلفه أنتظر	١	٢٥٠
خرجت مع النبي ﷺ يوم فطر أو أضحى	٣	٦٤٢
خرجنا مع النبي ﷺ معتمرين	٥	٥٤٦
خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حجة الوداع	٥	٢٤٧
خرجنا مع رسول الله ﷺ لخمس بقين	٥	٤٢٧
خرجنا مع رسول الله ﷺ لخمس بقين	٥	٤٤٧
خرجنا مع رسول الله ﷺ، فحال كفار قريش دون البيت	٥	٥٤٤
خسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ فصلى	٤	١٢٤
خط النبي ﷺ خطا مربعًا	٧	٢٩٠
خطب خطبتين	٣	٥٤٨
خطبنا النبي ﷺ يوم النحر	٥	٤٦٣
خلق الله آدم على صورته	٧	٦٤٤
خلق الله آدم على صورته	٧	٦٤٤
خلق الله الخلق فلما فرغ منه	١٠	٤٨٥
خلقن من ضلع	٦	٣٦٧
خمروا الآنية،	٧	٧٧٩
خمس صلوات في اليوم والليلة	١	١٣٣
خمس لا يعلمهن إلا الله	٤	١١٤
خمس من الدواب كلهن فاسق	٥	٥٧٧
خمس من الدواب لا حرج	٥	٥٧٣
خمس من الدواب ليس على المحرم	٥	٥٧٣
خير الأسماء ما حمد وعبد	١	٢٨٩
خير الدعاء دعاء يوم عرفة	١٠	٢٨٨
خير الصدقة جهد المقل	٥	٢٧
خير الصدقة ما كان عن ظهر غنًى	٥	٢٦
خير الصدقة ما كان عن ظهر غنًى	٥	٢٧
خير الصدقة ما كان عن ظهر غنًى	٦	٦٤٦
خير الناس قرني	٧	٣٠٥
خير الناس قرني	٧	٣٥١
خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم	٤	٩٩
خير الناس من طال عمره وحسن عمله	٧	٢١١
خير دور الأنصار	٤	٢٨٠
خير صفوف الرجال أولها	٣	١٩٩
خير صفوف النساء آخرها وشرها أولها	٥	٣٢
خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش	٦	١٥٩
خير هذه الأمة أكثرها نساءً...(من قول ابن عباس)	٦	١٤٤
خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي	٦	٣٨٥
خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي	٦	٤٤٩
خيركم خيركم لأهله	١٠	٤٢٦
خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي	٢	١٦٢
خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي	٢	٢٥١
خيركم قرني	٧	٣٠٢
خيركم قرني	٧	٦٢٤
خيركم من تعلم القرآن وعلمه	٦	٣٩
خيركم من تعلم القرآن وعلمه	٦	٧٨
خيرنا النبي ﷺ، أفكان طلاقًا	٦	٤٨٦
خيرنا رسول الله ﷺ فاخترنا الله ورسوله	٦	٤٨٦
الخيل لثلاثة: لرجل أجر	١٠	١٧٣

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
دباغ جلود الميتة	٧	٦٠١
دباغها ذكاتها	٥	١١١
الدجال أعور	١٠	٥٤٥
الدجال)	٤	٧٧
دحض مزلة	٧	٥٠٥
دخل النبي ﷺ عام الفتح من كداء	٥	٢٦٧
دخل على النبي ﷺ وأنا مريض فتوضأ فصب علي	٧	٣٥٠
دخل علي النبي ﷺ وأنا مريض فدعا بوضوء	٩	٤٨
دخلت الجنة -أو أتيت الجنة- فأبصرت قصرًا	٦	٤٤٧
دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب	٩	٤٦٢
دعا أبو أسيد الساعدي رسول الله	٦	٣٤٩
دعا بماء فرش عليه	٧	٣٧٠
الدعاء هو العبادة	٧	٥٠٧
دعانا النبي ﷺ فبايعناه	٩	٤٨٩
دعه؛ فإن الحياء من الإيمان	١	٨٢
دعها، فإنها معها سقاؤها وحذاؤها	١	١٥٠
دعهم أمنًا بني أرفدة	٤	٣٥
دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين	٧	٤٦٨
دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام عيد	٤	٣٥
دعهما؛ فإني أدخلتهما طاهرتين	١	٥٣٨
دعوني ما تركتكم	١٠	٦٥
دعوه	١	٥٦٠
دعي عمرتك وانقضي رأسك	٢	٢١٤
دعي عمرتك وانقضي رأسك	٥	٥١٧
دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين	٦	٣٠٤
دفع رسول الله ﷺ من عرفة	١	٣٨١
دفن مع أبي رجل...(من قول جابر)	٤	٥٦٥
دلوني على قبره	٤	٥٣٠
الدين النصيحة	١	١٧٠
الدين النصيحة لله ولكتابه	٢	٤٥٠
الدين النصيحة	٩	٥٧٧
ذاك أدنى أهل الجنة منزلةً	٧	٤٩٧
ذاك شيطان يقال له خنزب	٢	٦٣٢
ذاك عمله يجري له	٩	٤٦٠
ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك	٩	٦٥٩
ذاك لو كان وأنا حي	٧	٣٣٤
ذروة سنامه	٧	٣٩١
ذكر رجلًا فيمن كان سلف	٧	٣٧٦
ذكرت وأنا في الصلاة تبرًا	٤	٣٤١
ذكرنا هذا الرجل صلاةً كنا نصليها مع رسول الله ﷺ	٣	٢٩٦
ذكره أبي بن كعب بآية كان نسيها	٦	٢٩
ذلك الوأد الخفي	٦	١٤٣
ذلك صريح الإيمان	٦	٥٢٤
ذلك عرق، وليست بالحيضة	٢	٢٢٨
ذلك فضلي أوتيه من أشاء	١٠	٤٥٦
ذلك لك وعشرة أمثاله...(قدسي)	١٠	٤٠٦
ذلك لك ومثله معه	١٠	٤٠٦
ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم	٥	٦٥١
ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم	٩	٦٨
ذمة مسلمين واحدة	١٠	٨٩
ذنب السرحان	٣	١٧
ذهب أهل الدثور	٣	٤٠٧
الذهب بالذهب	٦	٦٢٦
الذهب بالذهب	٧	٦١٢
الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر	٥	١٤٣
الذهب، والفضة، والحرير	٧	٤٩٧
الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله	٢	٤٩٢
الذي يتكلم يوم الجمعة	٣	٣٦٤
الذي يخنق نفسه يخنقها في النار	٤	٥٩٠
ر لقد أذكرني	٧	١٩١
الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين	٩	٤١٦
الرؤيا الحسنة من الله	٩	٤٧٣
الرؤيا الصادقة من الله، والحلم من الشيطان	٩	٤١٧
الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين	٩	٤١٨
الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان	٩	٤١٨
الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان	٩	٤٤١
رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من		

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
النبوة	٩	٤١٨
الرؤيا جزء من ستة و أربعين	١	٢٦
الرؤيا من الله	٧	٤١٩
الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان	٩	٤٥٠
الراحمون يرحمهم الرحمن	١٠	٣٩٠
رأى رجلًا يصلي معقوص الشعر...(أي ابن عباس)	٣	٣٤٥
رأى في يد رسول الله ﷺ خاتمًا من ورق	٧	٥٣٦
رأيت بلالًا يؤذن، فجعلت أتتبع...(من قول أبي جحيفة)	٣	٤٠
رأيت الماء ينبع	١	٤٤٦
رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ	٤	٩٦
رأيت الملائكة تغسلها	٤	٥٥٨
رأيت الناس اجتمعوا، فقام أبو بكر فنزع ذنوبًا	٩	٤٦١
رأيت النبي ﷺ إذا أعجله السير	٤	١٨٧
رأيت النبي ﷺ إذا جد به السير	٥	٥٣٩
رأيت النبي ﷺ صنع مثل هذا...(في المسح على الخفين)	٢	٢٦٢
رأيت النبي ﷺ يتحرى الصلاة عندها	٢	٤٠٩
رأيت النبي ﷺ يحتز من كتف شاة	١	٥٤٦
رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة	٦	٤٦٠
رأيت النبي ﷺ يصلي على راحلته	٤	١٨٨
رأيت النبي ﷺ يصلي في ثوب	٢	٢١١
رأيت النبي ﷺ يفعله..(الصلاة إلى البعير)	٢	٣١٤
رأيت النبي ﷺ يقرأ وهو على ناقته	٦	١٠٩
رأيت امرأةً سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة	٩	٤٦٩
رأيت بشمال النبي ﷺ ويمينه رجلين	٧	٤٩٤
رأيت بضعةً وثلاثين ملكًا يبتدرونها	٣	٣١٣
رأيت رسول الله ﷺ إذا أعجله السير في السفر	٤	١٩٦
رأيت رسول الله ﷺ إذا أعجله السير	٤	١٨٦
رأيت رسول الله ﷺ إذا قام في الصلاة رفع يديه	٣	٢١٦
رأيت رسول الله ﷺ بالأبطح	٣	٣٥
رأيت رسول الله ﷺ حين يقدم مكة	٥	٣١٦
رأيت رسول الله ﷺ في المسجد مستلقيًا	٧	٧٦٨
رأيت رسول الله ﷺ قاعدًا على لبنتين، مستقبل بيت المقدس	١	٤٠٤
رأيت رسول الله ﷺ وهو على الراحلة يسبح	٤	١٩٠
رأيت رسول الله ﷺ يأكل ذراعًا يحتز منها	٣	١١٢
رأيت رسول الله ﷺ يركب راحلته	٥	١٧٠
رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله	٥	٣٢٣
رأيت رسول الله ﷺ يسجد في الماء والطين	٣	١٠٤
رأيت رسول الله ﷺ يسجد في الماء والطين	٣	٣٩٣
رأيت رسول الله ﷺ يصبغ بالصفرة	٧	٥٢٥
رأيت رسول الله ﷺ يلبس النعال التي ليس فيها شعر	٧	٥٢٥
رأيت رسول الله ﷺ يوم الفتح	١٠	٥٤٠
رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وهو يقرأ	٦	٩٤
رأيت عبد الله بن الزبير ه، يطوف بعد الفجر	٥	٣٤٥
رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل	٩	٤٦٧
رأيت في المنام كأن في يدي سرقةً من حرير...(من قول ابن عمر)	٩	٤٥٥
رأيت في رؤياي أني هززت سيفًا فانقطع صدره	٩	٤٧٠
رأيت كأن امرأةً سوداء ثائرة الرأس	٩	٤٦٨
رأيت نورًا	١٠	٢٣٨
رأيتني مع النبي ﷺ بنيت بيدي بيتًا	٧	٧٩٤
رأيته عبدًا؛ يعني...(من قول ابن عباس)\ زوج بريرة	٦	٥٤١
رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب	٧	٥٧٠

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره	٦	١٧٤
رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون	٩	٣٢٧
رب اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي	٧	٢٦٦
رب اغفر لي وارحمني	٧	١٩٩
رب مبلغ أوعى	١٠	١٠٥
ربنا آتنا في الدنيا حسنةً	٧	٢٥٢
ربنا لك الحمد	٣	٣١٢
رجل آتاه الله القرآن	١٠	٥٢٨
رجل آتاه الله تعالى مالًا	٧	٤٠١
رجل جاهد بنفسه وماله	٧	٣٩٠
رجل في شعب من الشعاب	٧	٣٩١
الرجل مزكوم	٤	٣٨٥
الرجل يقاتل حميةً، ويقاتل شجاعةً	١٠	٤٣٤
رجم النبي ﷺ ورجمنا بعده	٩	١٥٧
رجم النبي ﷺ	٩	١٨٥
رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده	٩	١٦٠
رحم الله امرأً صلى قبل العصر أربعًا	٤	٢٧٢
رحمة الله على موسى	٧	٧٧٦
رحمته سبقت غضبه	١٠	٢٧٠
رحمتي سبقت غضبي...(قدسي)	٥	٣٦
رخص النبي ﷺ الرقية من كل ذي حمة	٧	٤١٦
رخص النبي ﷺ للزبير وعبد الرحمن في لبس الحرير	٧	٥٠٦
رخص النبي ﷺ.	٥	٤٦٥
رخص للحائض أن تنفر إذا أفاضت	٥	٤٨٥
رخص للحائض أن تنفر إذا	٢	٢٣٨
رخص للحائض أن تنفر...(من قول ابن عباس)	٢	٢٣٨
رخص للرعاة في ترك المبيت بمنًى	٥	٥٩٠
رد رسول الله ﷺ ابنته على أبي العاص بالنكاح الأول	٦	٥٥١
رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل	٦	١٥٠
رسول الله ﷺ خرج في حلة مشمرًا	٧	٤٤٨
رضاها صمتها	٦	٢٧٨
رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينًا... (من قول عمر)	١٠	٧٦
رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس	٣	٤٠٤
رفع القلم عن ثلاث	٩	١٤٢
رفع القلم عن ثلاثة	٥	١٥٣
رفع النبي ﷺ رأسه إلى السماء	١	٤٩٧
رفع النبي ﷺ واستوى حتى يعود كل فقار	٣	٣١٥
رفع النبي ﷺ يديه حتى رأيت بياض إبطيه	٤	٩٣
الرفق ما كان في شيء إلا زانه	١	٥٦٢
رقيت يوما على بيت حفصة فرأيت النبي ﷺ	١	٣٩٦
ركع النبي ﷺ ركعتين في سجدة (صلاة الكسوف)	٤	١٣٤
ركعتا الفجر	٧	٤٩٥
ركعتان لم يكن رسول الله ﷺ يدعهما سرا ولا علانيةً	٢	٥٦٩
ركعتين خفيفتين...(من قول عائشة)	٣	٢١
الرواح إن كنت تريد السنة...(من قول ابن عمر)	٥	٣٨١
الرواح...(من قول ابن عمر)	٥	٣٨٤
رويدًا أيها الناس، عليكم السكينة	٢	٤٧٤
زادك الله حرصًا ولا تعد	١	٢٣٩
زادك الله حرصًا ولا تعد	٣	٢٩٤
الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض	١٠	٤١٧
زملوهم بجراحهم فإني أنا الشهيد عليهم	٤	٥٦٠
زوجت أختًا لي من رجل فطلقها...(من قول معقل)	٦	٢٦٦
زوجتك بما معك من القرآن	٧	٢٢٥
زوجتكها بما معك من القرآن	٦	٨٠
زوجناكها بما معك من القرآن	٦	٢٧٧

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
سئل عن بيع التمر بالرطب	٣	٣٢٧
سائر أيامه كأيامكم	٤	١٠٥
سابق النبي ﷺ بين الخيل...(من قول ابن عمر)	١٠	١٣٧
الساعي على الأرملة والمساكين كالمجاهد	٣	٥٦٥
الساعي على الأرملة والمسكين	٦	٦٤١
سأفعل إن شاء الله...(لعتبان بن مالك)	٢	٣٠١
سألت ربي فوعدني أن يدخل الجنة	٧	٤٧٢
سألوا النبي ﷺ عن امرأة توفي زوجها	٤	٤٤٩
سب رسول الله ﷺ الواصلة والمستوصلة	٧	٥٩٧
سباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر	٩	٢١٥
سباب المسلم فسوق وقتاله كفر	١	٩٨
سباب المسلم فسوق	١	١٤٠
سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر	٩	٨٥
سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر	٤	٣٧٦
سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر	٩	٥٠٣
سبحان الله عشرًا، والحمد لله عشرًا، والله أكبر عشرًا	٣	٤٠٨
سبحان الله يا أبا هر، إن المؤمن لا ينجس	٢	٣٠
سبحان الله	٢	٢١٢
سبحان الله! ماذا أنزل الله من الخزائن؟	٩	٥٠٠
سبحان الله! ماذا أنزل الليلة من الفتنة	٤	٢٢٠
سبحان الله، إن المسلم لا ينجس	٢	٢٦
سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا إله إلا الله.	٣	٤٠٨
سبحان ربي الأعلى	١٠	٣٨٧
سبحانك اللهم ربنا وبحمدك	٣	٣١٠
سبحانك اللهم ربنا وبحمدك	٣	٣٥٤
سبحانك اللهم وبحمدك	٣	٥٦٣
سبحانك اللهم	١	٣٧٤
سبعة يظلهم الله تعالى في ظله	٥	١٥
سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل	٣	٧٨
سبعة يظلهم الله في ظله	٥	٧
سبعة يظلهم الله في ظله	٧	٣٧٣
سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله	٩	١٢٦
سبعة يظلهم الله	٧	٤٨٨
سبعون ألفًا يدخلون الجنة بلا	٧	٤٣١
سبقك بها عكاشة	٢	٤٦٠
سبقك بها عكاشة	٧	٤٢٤
سبقك بها عكاشة	٧	٤٦٥
سبقك عكاشة	٧	٣٧٧
سبقك عكاشة	٧	٤٨٤
ستر ما بين الجن وعورات بني آدم إذا دخل	١	٣٩٢
سترت النبي ﷺ، وهو يغتسل	٢	٢١
ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقةً	٤	٤٦٩
ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم	٩	٥٠٤
ستكون هجرة بعد هجرة، وتنحاز الناس	٧	٤٣٦
سجد النبي ﷺ ووضع يديه غير مفترش	٣	٣٦٣
سجدت بها خلف أبي القاسم ﷺ	٣	٢٦١
سجدت خلف أبي القاسم ﷺ	٣	٢٦٠
سجدها داود توبة، ونحن نسجدها شكرا	٤	١٥٩
سحاء الليل والنهار	١٠	٣٥٨
سحقًا سحقًا لمن بدل بعدي	٩	٤٨٦
سحقًا سحقًا لمن غير بعدي	٧	٥١٣
سددوا وقاربوا، وأبشروا	٧	٣٤٢
سددوا وقاربوا،	٧	٣٤٠
سعى النبي ﷺ ثلاثة أشواط، ومشى أربعةً	٥	٣١٧
السفر قطعة من العذاب	٤	٤٥٤
السفر قطعة من العذاب	٤	٤٩٠
السفر قطعة من العذاب	٥	٥٣٨
سقتني حفصة شربة عسل	٦	٤٩٨
سقتني حفصة شربة عسل	٩	٣٩٥
سقيت رسول الله ﷺ من زمزم، فشرب	٥	٣٥١
سكاتها إذنها	٩	٣٦٠
السلام على النبي...(من قول ابن مسعود)	١٠	٢٤٣

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
السلام على النبي...(من قول ابن مسعود)	٣	٣٨٠
السلام على أهل الديار	١٠	١٨٧
السلام عليك أيها النبي...(من قول عمر)	٣	٣٨٠
السلام عليكم دار قوم مؤمنين	٩	٤١٥
سلوني عما شئتم	١	٢٦٠
سلوني	١٠	٧٦
سلوني	٢	٤٧٦
سلوه لأي شئ يصنع ذلك	١	٣٧٩
سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟	١٠	٢٠٨
سمع الله لمن حمده	٣	٢١٦
سمع الله لمن حمده	٣	٢١٦
سمع الله لمن حمده	٣	٣٠١
سمع الله لمن حمده	٣	٣١١
سمع الله لمن حمده	٣	٣١٣
سمع الله لمن حمده	٣	٣٤٥
السمع والطاعة على المرء المسلم	٩	٥٧٢
سمعت النبي ﷺ يأمر فيمن زني ولم يحصن	٩	١٧٧
سمعت النبي ﷺ يتعوذ من عذاب القبر	٧	٢٢٧
سمعت النبي ﷺ يخطب بعرفات	٥	٤٦٣
سمعت النبي ﷺ يقرأ بطولى الطوليين	٣	٢٥٩
سمعت النبي ﷺ يقرأ في العشاء	١٠	٥٤٧
سمعت النبي ﷺ يقرأ: ﴿والتين والزيتون﴾ في العشاء	٣	٢٦١
سمعت النبي ﷺ ينهى عن الصلاة عند طلوع الشمس	٥	٣٤٥
سمعت رسول الله ﷺ قرأ في المغرب بالطور	٣	٢٦٠
سمعت رسول الله ﷺ يستعيذ في صلاته	٣	٣٨١
سمعت رسول الله ﷺ يستعيذ في صلاته من فتنة الدجال	٩	٥٥٤
سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن القزع	٧	٥٨٠
سمعت رسول الله ﷺ يهل ملبدًا	٥	٢٠٤
سموا أنتم وكلوا	١٠	٩٢
سموا أنتم وكلوا	٧	٣٣٤

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
السموات السبع والأرضين السبع بالنسبة للكرسي	١٠	٣٧٣
السنة إذا تزوج البكر أقام عندها سبعًا	٦	٤٣٦
سنة النبي ﷺ...(من قول ابن عباس في حج التمتع)	٥	٢٥١
سنين كسني يوسف	٩	٣٥٤
السواك مطهرة للفم مرضاة للرب	١	١٥٠، ٢٥٩، ٦٠٩
السواك مطهرة للفم مرضاة للرب	٣	٤٧٨
السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب	١٠	٢٢٠
سودوا نونته	٧	٤١٥
سووا صفوفكم فإن تسوية	٣	١٩١
سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان	٩	٣٣٦
سيد الاستغفار اللهم أنت ربي	٧	١٨٣
سيد الاستغفار أن يقول	٧	١٤١
السيد الله تبارك و تعالى	١٠	٢٢٤
سيما ليست لغيركم	١	٣٦٨
الشؤم في المرأة، والدار، والفرس	٦	١٧٧
الشؤم فى ثلاث	٧	٤٢٦
شاتك شاة لحم	٣	٦١٤
شاهداك أو يمينه	٩	٢٦٦
شبهتمونا بالحمر والكلاب...(من قول عائشة)	٢	٤٣٠
شر الطعام طعام الوليمة	٦	٣٥٠
شراك من نار	٧	٦٤٠
شغلتني أعلام هذه، اذهبوا	٣	٢٣٢
شغلونا عن الصلاة الوسطى...(من قول عمر)	٣	٥٩٢
الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم	٧	٣٥٩
الشفاء في ثلاثة، شربة عسل	٧	٣٥٩
شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي	١٠	٣٥٧
شك الناس يوم عرفة في صوم النبي ﷺ	٥	٣٧٩
شكوت إلى رسول الله ﷺ أني أشتكي...(أم سلمة)	٢	٣٦٤
الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته	٤	١٤٢
شهد عندي رجال مرضيون(من قول ابن		

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
عباس)	٢	٥٥٢
الشهداء: الغرق، والمطعون	٣	١٩٠
شهدت العيد مع النبي ﷺ فصلى قبل الخطبة	٧	٥٤٨
شهدت المتلاعنين...(من قول سهل بن سعد)	٩	٦٠٧
شهدت عثمان وعليا ه، وعثمان ينهى عن المتعة	٥	٢٤٩
شهدت مع رسول الله ﷺ العيد أضحى أو فطرًا؟	٦	٤٧٤
الشهر تسع وعشرون	٦	٥٥٥
الشهر هكذا وهكذا وهكذا	٦	٥٧٩
الشهر هكذا وهكذا	٩	٢٣٠
الشهر هكذا، وهكذا	٧	٦٠٠
الشهر هكذا، وهكذا، وهكذا	٢	٢٥١
شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر	٥	١٦
الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالًا	٩	١٦٧
الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم	٥	٦٣٠
﴿ص﴾ ليس من عزائم السجود	٤	١٥٧
صببت للنبي ﷺ غسلًا	١	٦٣٦
الصبر عند الصدمة الأولى	٤	٤٨٤
صحبت النبي ﷺ فلم أره يسبح في السفر	٤	١٩٢
صحبت رسول الله ﷺ فكان لا يزيد في السفر	٤	١٩٢
صدق الله: ﴿ﮗ ں ں ڻ ڻ﴾	٦	٣٣٣
صدق الله، وكذب بطن أخيك	٧	٣٦٠
صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده	٦	١٢١
الصدقة تدفع ميتة السوء	٢	١٧١
صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته	٥	٣٧٨
الصدقة تطفئ الخطيئة	٢	١٧١
الصدقة تطفئ الخطيئة	٦	١٨٤
صدقت ذاك الظن بك...(من قول عمر لسعد)	٣	٢٦٢
صدقك وهو كذوب	٧	٢٣١
صدقك وهو كذوب، ذاك شيطان	٦	٥٤
صرخ إبليس يوم أحد في الناس...(من قول عائشة)	٩	٢٤٣
صل ركعتين	٢	٣٣٢
صل ركعتين، وتجوز فيهما	٣	٥٥٧
صل قائمًا فإن لم تستطع فقاعدًا	١	١١١
صل قائمًا فإن لم تستطع فقاعدًا	٤	٢٠٦
صل ها هنا	٧	٦٣٤
صلاة الآيات ست ركعات وأربع سجدات	٤	١٠٤
صلاة التسابيح	٣	٦٣١
صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ	٢	٤٨٧
صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ	٣	٦٣
صلاة الجميع تزيد على صلاته في بيته	٢	٣٨٦
صلاة الرجل قاعدًا على نصف الصلاة	٤	٢٠٤
صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده	٣	٦٤
صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده	٤	٥٥
صلاة الرسول سبع وتسع وإحدى عشرة	٤	٢٢٨
الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم	٧	٤١٤
الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم	٧	٤١٥
صلاة العشاء إلى نصف الليل	٢	٥٣٥
صلاة القاعد على النصف من أجر صلاة القائم	٣	٢٥٣
صلاة القاعد نصف صلاة القائم	٤	٢٠٣
صلاة الليل مثنى مثنى	٤	٤١، ٥٠
صلاة الليل مثنى مثنى	٤	٤٨
الصلاة أمامك	١	٣٨١
الصلاة أمامك	٥	٣٨٨، ٣٩٠، ٣٩٣
الصلاة أول ما فرضت ركعتين... (من قول عائشة)	٤	١٨٥
الصلاة جامعة	١	٥٠٥

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
الصلاة خير من النوم	٣	١٤
الصلاة خير من النوم	٣	٢٠
الصلاة خير من النوم	٣	٣٦٠
الصلاة على وقتها	١	٨٦
الصلاة على وقتها	٢	٤٥٧
الصلاة في الرحال	٣	٦
صلاة في مسجدي هذا خير	٤	٢٩٠
صلاة في مسجدي هذا	١٠	٦٨
صلاة في مسجدي هذا	٤	٢٩١
الصلاة لوقتها	١٠	٥٣٨
صلوا ركعتي الفجر، ولو طردتكم الخيل	١	٣٨٣
صلوا على صاحبكم	٤	٥٠٨
صلوا في بيوتكم	٣	٤٩٠
صلوا في رحالكم	١٠	١٢٦
صلوا في رحالكم	٢	٦٣١
صلوا في مرابض الغنم، ولا تصلوا في أعطان الإبل	٢	٣١٦
صلوا في نعالكم	٧	٥٦٢
صلوا قبل المغرب	١	٥٠١
صلوا قبل المغرب	٣	١٩
صلوا قبل المغرب	٤	٣٦
صلوا قبل صلاة المغرب	١٠	١٨٥
صلوا قبل صلاة المغرب	٤	٢٧٢
صلوا كما رأيتموني أصلي	٣	٢٩٦
صلوا كما رأيتموني أصلي	٣	٣١٢
صلوا كما رأيتموني أصلي	٣	٥٤
صلوا كما رأيتموني أصلي	٤	٣٤٩
صلوا كما رأيتموني أصلي	٤	٣٦٠
صلوا كما رأيتموني أصلي	٧	٢٦٢
الصلوات الخمس إلا أن تطوع شيئًا	٩	٣٧٨
الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة	٣	٢٩٠
الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة	٣	٤٦٩
الصلوات الخمس، والجمعة إلى		

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
الجمعة	١	١٠٥، ٤٢٩
صلى الظهر ركعتين، والعصر ركعتين	٢	٢٣٩
صلى الناس ورقدوا، ولم تزالوا	٣	٨٥
صلى النبي ﷺ الظهر بالمدينة أربعًا	٥	٤٣٤
صلى النبي ﷺ الظهر ركعتين	٣	١٨٢
صلى النبي ﷺ العشاء، ثم صلى ثمان ركعات	٤	٢٤٦
صلى النبي ﷺ بالمدينة أربعًا، وبذي الحليفة ركعتين	٥	٢٢٧
صلى النبي ﷺ بالمدينة الظهر أربعًا	٥	٢٢٨
صلى النبي ﷺ خمسًا	٧	٥٦٢
صلى النبي ﷺ على أصحمة النجاشي، فكبر أربعًا	٤	٥٢٧
صلى النبي ﷺ على رجل بعد ما دفن بليلة	٤	٥٤٣
صلى النبي ﷺ في كسوف الشمس أربع ركعات في سجدتين	٤	١٤٨
صلى النبي ﷺ إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا	١	١١٤
صلى بنا النبي ﷺ آمن ما كان بمنًى ركعتين	٤	١٧٧
صلى بنا النبي ﷺ بمنى	٥	٣٧٧
صلى بنا النبي ﷺ فقام في الركعتين	٧	٥٨٢
صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر	٣	٣٧٩
صلى بنا عثمان بمنى أربع (من قول عبد الرحمن بن يزيد)	٢	٦٠٤
صلى رسول الله ﷺ بمنًى ركعتين	٥	٣٧٧
صلى رسول الله ﷺ على النجاشي	٤	٥٠٥
صلى رسول الله ﷺ ونحن معه بالمدينة الظهر أربعًا	٥	٢٣١
صلى لنا رسول الله ﷺ ركعتين	٤	٢٦٠
صلى لنا رسول الله ﷺ ركعتين	٤	٣٤٧
صليت الظهر مع النبي ﷺ	٤	١٨٥
صليت مع النبي ﷺ بمنًى ركعتين	٤	١٧٦
صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فقرأ النبي ﷺ «البقرة» ثم «النساء» ثم «آل عمران»	٣	٢٧٤

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فقمت عن يساره	٣	١٩٥
صليت مع النبي ﷺ ركعتين	٥	٣٧٨
صليت مع النبي ﷺ سجدتين قبل الظهر	٤	٢٦٥
صليت مع رسول الله ﷺ بمنًى ركعتين	٤	١٧٩
صليت مع رسول الله ﷺ ثمانيًا جميعًا	٤	٢٦٦
صليت مع رسول الله ﷺ ركعتين قبل الظهر	٤	٢٦٠
صليت وراء النبي ﷺ على امرأة ماتت في نفاسها	٤	٥٢٥
صليت وراء النبي ﷺ على امرأة ماتت في نفاسها	٤	٥٢٥
صليت: ولو مت مت على غير الفطرة	٣	٣٠٥
صم ثلاثة أيام، أو تصدق بفرق بين ستة	٥	٥٥٠
صم في كل شهر ثلاثةً	٦	١١٥
الصورة الرأس، فإذا قطع الرأس فلا صورة	١٠	٣٣٧
صورت لي الجنة والنار	٧	٢٢٣
صوم ثلاثة أيام من كل شهر	٤	٢٦٩
الصوم لي وأنا أجزي به	١٠	٤٧٦
الصوم لي وأنا أجزي به...(قدسي)	٣	٦٣٥
صيد البر لكم حلال ما لم تصيدوه، أو يصد لكم	٥	٥٦٤
ضحى النبي ﷺ بكبشين، يسمي ويكبر	١٠	٣٠٨
ضحى بالمدينة كبشين أملحين	٥	٤٣٢، ٤٣٤
ضحى بكبشين موجوءين	٦	١٤٧
ضرب النبي ﷺ خيمةً في المسجد	٢	٣٦١
ضع من دينك هذا	٢	٣٥٢
ضفرنا شعر بنت النبي ﷺ ثلاثة قرون	٤	٤٢٢
الضيافة ثلاثة أيام جائزته	٧	٣٦٩
الطاعون شهادة لكل مسلم	٧	٢٠٥
الطاعون شهادة لكل مسلم	٧	٤٠٧
الطاعون شهادة لكل مسلم	٩	٤٠٠
طاف النبي ﷺ بالبيت على بعير	٢	٣٦٥
طاف النبي ﷺ بالبيت على بعير	٥	٣٢٣، ٣٢٤
طاف النبي ﷺ في حجة الوداع على بعير	٥	٣١٩
طاف بالبيت سبعًا	٥	٣٦٤
طاف رسول الله ﷺ على بعيره، وكان كلما أتى على الركن	٦	٥٧١
طعام بطعام وإناء بإناء	٩	٢٢٤
الطهور شطر الإيمان	٧	٣٠٩
الطواف بالبيت صلاة إلا أن الله أباح فيه الكلام	١	٣٦٩
طوافك بالبيت والصفا والمروة يسعك لحجك	٦	٣٣٦
طوافك بالبيت وبالصفا والمروة يسعك	٢	١٨٢
طوافك بالبيت وبالصفا والمروة يسعك	٩	٦٧٧
طوفي من وراء الناس وأنت راكبة	٥	٣٣١، ٣٤٦
طيبت النبي ﷺ بيدي لحرمه	٧	٥٨٢
طيبت رسول الله ﷺ بيدي هاتين	٥	٤٨٠
طيبت رسول الله ﷺ بيدي	٧	٥٩١
العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه	٩	٤٠١
العائد في هبته كالكلب يقيء	٣	٣٦٤
عائذًا بالله من شر الفتن	٩	٥١٣
عائشة)	٦	٣٣٣
عاتبني أبو بكر وجعل يطعنني بيده في خاصرتي	٦	٤٧٥
العبد إذا وضع في قبره وتولي	٤	٥٣٢
العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا	٧	٤١٧
عبدًا قبطيا مات عام أول...(من جابر بن عبد الله)	٧	٦٥٧
عثمان)	٦	١٠٣
عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير	٧	٣١٠
العجفاء التي لا مخ فيها	٥	٤٤١
العجماء جبار، والبئر جبار، والمعدن جبار	٥	١٢٦
العجماء جبار، والبئر جبار، والمعدن جبار	٥	١٣١
العجماء جرحها جبار	٥	٤٤٠
العجماء جرحها جبار، والبئر جبار	٩	٢٩١
العجماء عقلها جبار، والبئر جبار	٩	٢٩٦
عذاب عذب به بعض الأمم ثم بقي منه	٩	٤٠٠

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
عرش الله على سماواته مثل القبة	١٠	٣٩٢
عرضت علي الأمم	٧	٣٧٦
عرضت علي الأمم	٧	٤٢٣
عرضت على الأمم	٧	٤٦٤
عرضت علي الجنة والنار آنفًا في عرض	٢	٤٧٦
عرضت على النار وأنا أصلي	٢	٣١٦
عرفتك يا سودة...(من قول عمر)	٧	٦٧١
عرفناك يا سودة (من قول عمر)	١	٤٠١
عرفها سنة	٦	٥٥٩
العشاء أحيانًا يؤخرها، وأحيانًا يعجل	٢	٤٨٢
عفروه الثامنة بالتراب	١	٤٥٠
عفي لأمتي عن الخطأ والنسيان	٩	٣٤٨
عقرى -أو حلقى- إنك لحابستنا	٦	٦٠٨
عقرى حلقى أطافت يوم النحر؟	٥	٤٩٤
عقرى حلقى أو ما طفت يوم النحر؟	٥	٢٤٧
عقرى حلقى، إنك لحابستنا	٥	٤٨٧
عقل مجةً	٣	٣٩٦
العقل وفكاك الأسير	٦	٦٣
علام تدغرن أولادكن بهذا العلاق	٧	٣٨٤
علام تدغرن أولادكن بهذا العلاق؟	٧	٣٨٨
علام يضحك أحدكم مما يفعل	٣	٥١
علام يقتل أحدكم أخاه	٧	٦٠٦
العلم	١	٢٣٤
على إبراهيم وعلى آل إبراهيم	٧	٢١٩
على الموت...(من قول سلمة)	٩	٦٥٢
على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون	٩	٥٥٥
على أنقاب المدينة ملائكة	٥	٦٦٧
على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي	٧	٤٧٧
على رسلكم أبشروا، إن من نعمة الله عليكم أنه	٢	٥٣١
على رسلكما إنها صفية بنت حيي	٧	٤٩٧
على رسلكما إنها صفية بنت حيي	٩	٦١٣
على رسلكما، إنها صفية	٢	٤٢٩
على كل ذروة بعير شيطانًا	٢	٣٦٦
على كل مسلم صدقة	٥	٤٣
على مكانكم	٣	٤٨، ٥٢
عليك السلام	٣	٢٤٤
عليك بالشرط	٣	٢٤٠
عليك بالصعيد فإنه يكفيك	١	٦١٩
عليك بالصعيد فإنه يكفيك	٢	١٨٠، ١٩٣
عليك بالصعيد، فإنه يكفيك	١٠	٨٥
عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين	٤	٤٣٠
عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين	٢	٦٠٤
عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين	٣	٥٢٢
عليكم بهذا العود الهندي	٧	٣٦٩
عليها صدقة ولنا هدية	٦	٥٣٧
عليهن جهاد لا قتال فيه؛ الحج والعمرة	٤	٤٢٨
العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما	٥	٤٩٩
عمرةً في رمضان	٥	٥٠٨
العمل بالنية، وإنما لامرئ ما نوى	٦	١٤٥
عندك شيء تصدقها	٧	٥٤١
عندكم شيء؟	٥	٤٣
العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة	٩	٨٥
العوراء البين عورها	٥	٤٤٠
العين تدمع والقلب يحزن	٧	٧٧١
العين تدمع، والقلب يحزن	١	٥٠٤
العين حق	٧	٤١٥
العين حق	٧	٦٠٤
العين وكاء السه	١	٣٢٢، ٥٠٣
العين وكاء السه	٢	٥٨٢
العين وكاء السه	٧	٧٧٨
غارت أمكم	٦	٤٤٦
غدًا أخبركم	١٠	٤٥٠
غدوت إلى رسول الله ﷺ بعبد الله بن أبي طلحة	٥	١٣٧
غدوة في سبيل الله أو روحة	٧	٤٩٥
غزا مع النبي ﷺ ثنتي عشرة غزوةً	٥	٦٣٦
غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني	٦	٣٢٤
غزوت مع رسول الله ﷺ قبل نجد	٣	٥٧٦
غسل الجمعة واجب على كل محتلم	٣	٤٦٩

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم	٣	٤٢٩
غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم	٣	٤٥٨
غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم	٣	٤٨٧
الغسل يوم الجمعة واجب	٣	٤٥٨
الغسل يوم الجمعة واجب	٣	٤٦٢
الغسل يوم الجمعة واجب	٣	٤٦٣
غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله	٤	٦٨
غير ألا تطوفي بالبيت	٢	١٥٨
غير ألا تطوفي بالبيت، ولا بالصفا والمروة	٢	١٨٢
فأبصرني النبي ﷺ، فأنزل الرداء	٣	٤٢٢
فابنك هذا لعله نزعه عرق	١٠	٩٨
فابنك هذا لعله نزعه عرق	٩	٥٧
فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه	٦	٣٤٠
فأبواه يهودانه، أو ينصرانه	٧	٤٧٥
فأت أبا بكر	٣	٩٧
فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك	٧	٦٦٧
فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين	١٠	٥٤٤
فأجب	٣	٩٥
فاجعل لنا يومًا تأتي إلينا...(من قول النساء للنبي ﷺ)	٥	٥١
فأجلسه رسول الله ﷺ في حجره، فبال على ثوبه	١	٥٦٤
فاحث في أفواههن التراب	٤	٤٧٥
فاحلق رأسك	٥	٥٥٠
فأخذني فجعلني عن يمينه...(من قول ابن عباس)	٣	١٦٢
فاخرجي مع أخيك إلى التنعيم	٥	٤٨٧
فإذا اختلفتم فقوموا عنه	٦	١٢٩
فإذا جلس أحدكم في الصلاة فليقل: التحيات لله	٧	٦٦٣
فإذا رأيتموهما فافزعوا إلى الصلاة	٤	١٢٨، ١٣١
فإذا قالوها عصموا مني دماءهم	١	٢٣٧

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
فإذا كبر فكبروا، وإذا ركع فاركعوا	٢	٢٤٤
فإذا لم يستطع أحدنا أن يمكن جبهته من الأرض	٣	٣٤٧
فإذا لم يستطع أحدنا أن يمكن جبهته.(من قول أنس)	٢	٤٨٢
فإذا نسيت فذكروني	٢	٢٧٧
فإذا نسيت فذكروني	٣	٥٢
فاستن به	٣	٤٧٧
فاطمة بضعة مني	٩	١٧٢
فاطمة بضعة مني	٩	٩
فاعمل من وراء البحار فإن الله لن يترك	٥	٥٦
فأعني على نفسك بكثرة السجود	٩	٤٦٥
فاغسلي عنك الدم ثم صلي	٧	٣٩٥
فأفعل ماذا؟	٦	٢٢٩
فاقدروا قدر الجارية الحديثة	٦	٣٨٦
فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك	٦	١١٦
فاقض الله، فهو أحق	٧	٦٣٤
فاقضوا الذى له، فإن الله	١٠	١٠٨
فأكون أول من بعث فإذا موسى	١٠	٣٩٦
فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة...(من قول زيد بن ثابت)	٦	١٧
فأمر الرسول بها فرجما	١٠	١٣٣
فأمر بقتل الأسرى	١٠	٣٤٢
فأمر بلال أن يشفع الأذان، وأن يوتر	٢	٦١٢
فأمر لهم رسول الله ﷺ بذود وبراع	٧	٣٩٨
فأمرنا النبي ﷺ أن نغطي رأسه	٧	٣٢٧
فأمرنا رسول الله ﷺ فجعلناها عمرةً	٥	٢٥٤
فأمرنا عند منامنا بثلاث	٧	١٧٠
فأمره النبي ﷺ أن يتخذ أنفا من ذهب	٦	٤٢٥
فأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة	٥	٣١٥
فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة	١٠	٣٩٩
فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له	٦	٢٧٦
فإن أطاعوك لذلك، فإياك وكرائم أموالهم	١٠	٣٧٩
فإن الله أحق بالوفاء	١٠	٩٧
فإن الله تبارك وتعالى قد حرم عليكم دماءكم	٩	١١١

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
فإن الله قد حرم على النار	٢	٣٠١
فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه	٧	١٩٥
فإن الله يحب الرفق في الأمر	٧	٧٠٢
فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم	٣	٦٢
فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام	٥	٤٦٣
فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم	٩	٥٠٣
فإن عمرةً في رمضان تقضي حجةً معي	٥	٦٣٢
فإن عن يمينه ملكًا	٢	٤٦٧
فإن كان واسعًا فالتحف به	٢	٢١٦
فأنزل آية الحجاب	٧	٦٦٩
فإنك لا تدري الماء قتله أم سهمك	١	٤٦٠
فإنكم إذا قلتم ذلك سلمتم على كل عبد صالح	١٠	٢٤٥
فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا	٧	٢٧٤
فإنما بعثتم ميسرين	٣	١٠١
فإنها تذهب تستأذن في السجود فيؤذن لها	١٠	٣٩٣
فإني رأيتكن أكثر أهل النار	٥	٤٩
فإني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر	٩	٤٩٥
فأنى يستجاب لذلك	٧	١٤٠
فأنى يستجاب له	٦	٤٩
فأنى يستجاب	٧	١٤٠
فبكرًا تزوجت أم ثيبًا؟	٦	٤٦٧
فتؤذوا الأحياء	٧	٤٢٠
فتان، فتان، فتان	٣	١٦٦
فتتبعت القرآن حتى وجدت آخر سورة التوبة...(من قول زيد)	١٠	٣٩٤
فتح من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه	٦	٥٧١
فتردين عليه حديقته؟	٦	٥٣٤
فتصدقن	٤	١٣
فتلاعنا في المسجد وأنا شاهد...(من قول سهل)	٩	٦٠٧
فتلت قلائد بدن النبي ﷺ بيدي	٥	٤١٩
فتلت قلائد هدي النبي ﷺ ثم أشعرها	٥	٤٢١
فتلت قلائدها من عهن...(من قول عائشة)	٥	٤٢٣
فتلت لهدي النبي ﷺ -تعني القلائد-	٥	٤٢٣
فتلك مائة باللسان	٧	١٧٠
فتنة الرجل في أهله وماله وولده	٩	٥١٩
الفتنة من ها هنا	٦	٥٧٢
الفتنة هاهنا، الفتنة هاهنا	٩	٥١٤
فتوضأ لهم وضوء النبي ﷺ	١	٥١٤
فجاءهما الشيطان فقال: سمياه عبد الحارث	١٠	٣٥١
فجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل	٥	٦١٧
فجعيل خير من ملء الأرض	٧	٣٢٦
فحمي الوحي، وتتابع	١	٣٤
فحينئذ يسجد لها الكفار	٤	١١١
الفخذ عورة	٢	٢٢٧
فخيرها النبي ﷺ	٦	٢٨٢
فدخلت فإذا النبي ﷺ على حصير قد أثر في جنبه	٧	٥١٠
فدعا عليهم رسول الله ﷺ	١٠	٤٣
فدعاه رسول الله ﷺ فقرأ عليه	٦	٦٠٩
فدية من صيام أو صدقة	٧	٦٤٥
فذلك من نقصان دينها	٢	١٧٠
فذلك من نقصان عقلها	٢	١٧٠
فر من المجذوم فرارك من الأسد	٧	٤٠٥
فرآه قد فك أزراره	٢	٢٠٥
فرأيت النبي ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه	١٠	٣٦٠
فرأيت جهنم يحطم بعضها بعضًا حين	٣	٢٢٧
فرأيت عينيه تذرفان...(من قول ابن مسعود)	٦	١٢٠
فرج سقفي وأنا بمكة، فنزل جبريل ش	٥	٣٥٠
فرج عن سقف بيتي، وأنا بمكة	٢	١٩٨
الفرج يصدق ذلك أو يكذبه	٤	١٨٠
فرد نكاحها	٦	٢٨٢
فرض الله الصلاة حين فرضها، ركعتين	٢	٢٠٠
فرض النبي ﷺ صدقة الفطر	٥	١٤٨
فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر	٥	١٤٠
فرض رسول الله ﷺ صدقة الفطر	٥	١٤٨
فرض زكاة الفطر	٥	١٤١
فرضها رسول الله ﷺ لأهل نجد قرنًا	٥	١٧٩

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
فرق النبي ﷺ بينهما، وألحق الولد بالمرأة	٩	٥٤
فسكت...لما سئل عن الروح	١٠	٣٣٩
فصعد النظر إليها وصوب	٦	٢٥٣
فصل رضاعه في الجنة	٤	٤٨٦
فصلوا أيها الناس في بيوتكم	٢	٣١٨
فصم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة	٥	٥٥١
فضحك رسول الله ﷺ تعجبًا وتصديقًا له	١٠	٣٦٠
فضرب بكفه ضربةً على الأرض	٢	١٩٢
فضل عائشة على النساء، كفضل الثريد	٦	٥٤٠
الفطر أقوى لكم فأفطروا	٦	٤٧
الفطرة خمس	٧	٥٥٧، ٥٥٨
الفطرة خمس	٧	٧٨١
فطفق النبي ﷺ يلوم حمزة	٦	٥١٨
فعنده مسجده وطهوره	٢	١٦٥
ففرض الله على أمتي خمسين صلاةً	٢	١٩٩
فقال أتعجبون من غيرة سعد	٩	١٩٠
فقال الله: قد فعلت	١٠	٧٤
فقام النبي ﷺ خطيبًا صبيحة عشرين من رمضان	٣	٣٥٠
فقام إليه النبي ﷺ بمشقص	٧	٦٧٢
فقام رسول الله ﷺ فخرج، وخرجت معه	٧	٦٦٩
فقد ملكتكها بما معك من القرآن	٦	٢٨٧
فقمنا إلى بطحان...(من قول جابر)	٢	٥٨٤
فقولوا مثل ما يقول المؤذن	٣	٥٢٧
فكان أبو بكر يصلي بصلاة رسول الله ﷺ	٣	١٢٥
فكان النبي ﷺ يقسم لعائشة يومها ويوم سودة	٦	١٤٢
فكانت سنة المتلاعنين	٦	٥٨٣
فكبر ثنتين وعشرين تكبيرةً	٣	٣٠٠
فكبرا ثلاثًا وثلاثين، وسبحا	٧	١٦٨
فكلته ففني...(من قول عائشة)	٥	٣٣
فكلوا ما بقي من لحمها	٥	٥٦٨
فكوا العاني وأجيبوا الداعي	٩	٦١٦
فكوا العاني، وأجيبوا الداعي	٦	٣٤٨

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
فلا أزال أسجد فيها	٤	١٦٩
فلا بأس انفري	٥	٤٨٧
فلا تفعل، صم وأفطر	٦	٤١٦
فلا تفعلوا، إذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة	٣	٤١
فلا صلاة إلا التي أقيمت	٣	٨٨
فلا يتناجى اثنان	٧	٧٧٥
فلأن أصلي في بيتي أحب إلي من أن أصلي	٢	٣١٩
فلان قتلك؟	٩	٢٢٩
فلعل ابنك هذا نزعه عرق	٩	١٩٢
فلعل ابنك هذا نزعه	٦	٥٨٠
فلما فرغ النبي ﷺ من الطعام	٦	٣٦٥
فلولا صليت بسبح اسم ربك	٣	١٧٠
فليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ...(من قول ابن عمرو)	٦	١١٥
فليجعل في أنفه، ثم لينثر	١	٤٢٢
فليخلقوا حبةً أو ذرةً أو شعيرةً	٧	٦١٩
فليخلقوا ذرةً أو ليخلقوا حبةً	٦	٦٢٨
فليصل ركعتين، ثم ليقل	٢	٤٣٩
فليعتزلنا، أو ليعتزل مسجدنا	١٠	١٧٥
فما رئي بعد ذلك عريانًا ﷺ	٢	٢٢١
فما سقت	٦	١٤٨
فما من يوم أكثر عتيقًا من النار	١	١٣٢
فمسح بوجهه ويديه، ثم رد عليه السلام	٢	١٧٥
فمسح رأسي ودعا لي بالبركة	٧	٣٣٩
فمسح رأسي، ودعا لي بالبركة	٧	٢١١
فمن أطاع محمدًا ﷺ	١٠	٥٨
فمن تركها -يعني: الصلاة- فقد كفر	٢	٤٩٥
فمن رغب عن سنتي فليس مني	٦	١٣٥
فمن رغب عن سنتي فليس مني	٦	١٣٧
فمن يطع الله إذا عصيته	١٠	٤٠٠
فنزل النبي ﷺ إلى بطحان	٣	٥٤
فنزل رداءه ﷺ حتى يشاهد سليمان خاتم النبوة	١	٥٢٣
فنزل رداءه ﷺ من أجل أن يراه	٧	٢١٣

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
فنهانا عن ذلك...(أي الاختصاء)	٦	١٤٦
فنهانا عن ذلك...(أي الاختصاء)	٦	١٥٠
فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين	٧	٦٥٢
فهلا جاريةً تلاعبها وتلاعبك	٦	١٥٥
فهلا جاريةً تلاعبها وتلاعبك	٦	٤٦٧
فهلا جلس في بيت أبيه وأمه	٩	٦١٧
فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك	٩	٤٠٧
فهلا جلست في بيت أبيك	٩	٦٤٥
فهو بنية فهما في الأجر سواء	٩	٦٧٣
فهو بنيته فهما في الوزر سواء	٧	٤٠٢
فهو فضلي أوتيه من أشاء	١٠	٥٣٨
فواعدهن، وأتى إليهن	٥	٥١
فوالذي نفس محمد بيده لا يغل	٧	٥٤٧
فوالله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم	٩	٤١١
فوعظهن وأمرهن أن يتصدقن	٥	٥١
فوعظهن، وأمرهن أن يتصدقن	٥	٣١
فويسق...(أي الوزغ)	٥	٥٧٨
في التي لم يرتع منها	٦	١٥٣
في الجمعة ساعة لا يوافقها	٦	٥٧١
في الحبة السوداء	٧	٣٦٦
في ضحضاح من نار	١٠	٤٥١
في كل إبل سائمة من كل أربعين: ابنة لبون	٥	٥٨
في كل صلاة يقرأ، فما أسمعنا	٣	٢٦٣
في كم تقرأ القرآن؟	٦	١١٦
في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها	١	١٣٢
في يوم الجمعة ساعة	٧	٢٦٧
فيا ليت حظي من أربع ركعتان...(من قول ابن مسعود)	٥	٣٧٨
فيحيي الله تعالى ملك الموت وجبريل وميكائيل	٧	٤٧٦
فيشرئبون يطلعون فيؤتى بالموت	٧	٤٧٤
فيشهدن جماعة المسلمين ودعوتهم	٤	١٨
فيقضي الله ما شاء	١٠	٢٣٤
فيقوم على جنازته أربعون رجلًا	٧	٤٨٤
فيكسر الباب أو يفتح؟...(من قول عمر)	٥	٣٤
فيم يختصم الملأ الأعلى؟	٢	١٨١
فيما استطعتم	٩	٦٥١
فيما سقت السماء العشر	٥	١٠٠
فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريًا العشر	٥	٩٧
فيه الوضوء	١	٣٥٧، ٤٧٧
فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم	٣	٥٥٧
فيه غرة عبد أو أمة	١٠	١١٢
قاتل الله اليهود اتخذوا قبور	٢	٣٢٤
قاتل الله اليهود لما حرمت عليهم الشحوم أذابوها	٩	٣٨٧
قاتلهم الله، أما والله لقد علموا	٥	٣١٤
قال إبراهيم لامرأته: هذه أختي	٩	٣٦٤
قال الله تعالى ما تقرب إلي عبدي	١	١٦٧
قال الله تعالى: قد فعلت	٥	٦١٠
قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت	٩	٢٩٨
قال الله: لك ذلك وعشرة أمثاله	٧	٥٧٣
قال النبي ﷺ للمتلاعنين: «حسابكما على الله»	٦	٥٩١
قال رجل: لأتصدقن بصدقة	٥	٨
قال سليمان بن داود عليهما السلام: «لأطوفن الليلة	٦	٤٦٤
قال سليمان: لأطوفن الليلة على تسعين امرأة	٧	٥٤٨
قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك	٦	٥١٥
قام النبي ﷺ يوم الفطر فصلى فبدأ بالصلاة	٤	١٢
قام إليه بمشقص أو بمشاقص	٩	٢٧٩
قبض النبي ﷺ وأنا ختين	٧	٧٨٢
قبض روح النبي ﷺ في هذين	٧	٤٨٥
قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ	٢	٢١٣
قد أحصر رسول الله ﷺ فحلق رأسه	٥	٥٤٥
قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن	٦	٤٦٠

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
قد أذن أن تخرجن في حاجتكن	١	٤٠١
قد أريت الآن الجنة والنار	٧	٣٤٢
قد أنزل الله فيك وفي صاحبتك	٦	٤٨٢
قد أنزل الله فيكم قرآنًا	١٠	٩٣
قد بايعتكن	٦	٥٥٤
قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش	٤	٥٠٧
قد خيرني ربي	٧	٤٦٢
قد دنت مني الجنة حتى لو اجترأت	٣	٢٢٧
قد ذكرني هذا صلاة محمد ﷺ	٣	٢٩٨
قد رأيت الذي صنعتم	٤	٢٢٥
قد رجمتها بسنة رسول الله ﷺ	٩	١٣٨
قد صلى الناس وناموا	٢	٥٤١
قد عجب الله من صنيعكما الليلة	٦	٦٤٧
قد عذت بمعاذ	٦	٤٨٠
قد عرفت الذي رأيت من صنعكم	٣	٢٠٥
قد علمتم أني أتقاكم لله	١٠	١٨٥
قد فعلت...(قدسي)	٥	٦١٠
قد قضى الله فيك وفي امرأتك	٦	٥٨٥
قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له	٩	٣٥٨
قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ	٩	٦٣٤
قد ملكتكها بما معك من القرآن	٧	٥٤٢
قدر خمسين أو ستين...(من قول زيد بن ثابت)	٢	٥٤٨
قدر خمسين آيةً...(من قول زيد بن ثابت)	٢	٤٨٨
قدم النبي المدينة فأضاء منها...(من قول أنس)	٤	٣٩٠
قدم النبي ﷺ فطاف بالبيت سبعًا	٢	٢٦٧
قدم النبي ﷺ فطاف بالبيت سبعًا	٥	٣٦٤، ٣٤٤
قدم النبي ﷺ فطاف بالبيت سبعًا	٥	٥٢٤
قدم النبي ﷺ مكة، فطاف بالبيت، ثم صلى ركعتين	٥	٣٦٤
قدم النبي ﷺ مكة، فطاف وسعى بين الصفا والمروة	٥	٣٤٠
قدم النبي ﷺ من سفر	٧	٦٢٥
قدم رسول الله ﷺ المدينة صلى	١٠	٣٧
قدم رسول الله ﷺ فطاف بالبيت سبعًا	٥	٣٣٦
قدم على النبي ﷺ نفر من عكل فأسلموا	٩	١٢٤
قدمت على النبي ﷺ فأمره بالحل	٥	٢٥١
قدمني- النبي ﷺ في الثقل من جمع بليل	٥	٦١٩
قرأ البقرة ثم النساء ثم آل عمران	٦	٣٣
قرأ البقرة وآل عمران والنساء	٤	٥١
قرأ النبي ﷺ النجم بمكة فسجد	٤	١٥٥
قرأ النبي ﷺ في صلاة الليل	٣	٢٧٠
قرأ بسم الله الرحمن الرحيم، يمد ببسم الله	٦	١٠٧
قرأت على النبي ﷺ والنجم فلم يسجد فيها	٤	١٦٢
القرآن حجة لك أو عليك	٩	٤٢٦
قرني، ثم الذين يلونهم	٧	٥٧٠
قسم النبي ﷺ يومًا قسمةً	٧	٧٧٥
قسمت الصلاة بيني ...(قدسي)	١	٥٠٧، ٢٩
القصاص	٩	٢٤٧
القصد القصد تبلغوا	٧	٣٤١
قصرت عن رسول الله ﷺ بمشقص	٥	٤٥٤
قضاء الله أحق	٩	٦٥٠
قضاء الله أحق، وشرط الله أوثق	٤	٨٧
قضى النبي ﷺ أن دية جنينها غرة عبد أو وليدة	٩	٢٨٧
قضى النبي ﷺ بالغرة عبد أو أمة	٩	٢٨٦
قضى رسول الله ﷺ في جنين امرأة من بني لحيان	٩	٤٤
قضى رسول الله ﷺ فيها بغرة عبد أو أمة	٩	٢٨٦
قضى فينا معاذ بن جبل على عهد رسول الله ﷺ	٩	٤٥
قضى فيه النبي ﷺ بغرة عبد	٧	٤٢٩
قطع النبي ﷺ في مجن ثمنه ثلاثة دراهم	٩	١١٧
قطع النبي ﷺ يد سارق في مجن ثمنه ثلاثة دراهم	٩	١١٧
قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا	١٠	٢٨٦
قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا	٣	٣٨٦
قل اللهم إني ظلمت نفسي	٧	١٨٤

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
قل لا إله إلا الله كلمةً أحاج	٧	٥٩٧
قل: الصلاة في الرحال	٣	١٠٣
قلادة لأسماء فبعث النبي ﷺ في طلبها	٧	٥٥٠
قلت: قل هذا عمر بن الخطاب	١٠	٤٣
قم أبا تراب	٧	٧٤٧
قم أبا تراب، قم أبا تراب	٢	٣٢٩
قم فاركع ركعتين خفيفتين	٣	٥٥٢
قم فاركع ركعتين	٣	٥٥١
قم فاقضه	٢	٣٥٢، ٣٧٥
قم يا حذيفة	٥	٥٣٣
قم يا عباس فادع الله...(من قول عمر)	٤	٧٢
قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين	٧	٤٧٥
قمت على باب الجنة فكان عامة	٦	٤١٣
قنت النبي ﷺ شهرًا؛ يدعو على رعل وذكوان	٤	٦٣
قنت النبي ﷺ في الصبح	٤	٦٢
قنت رسول الله ﷺ بعد الركوع شهرًا	٤	٦٣
قنت رسول الله ﷺ شهرًا حين قتل القراء	٤	٤٧٩
قولوا التحيات لله والصلوات والطيبات	٤	٣٠٩
قولوا كذا وكذا	٢	٥٣٩
قولوا: اللهم صل على محمد	٣	٢٥٠
قولي: السلام عليكم دار قوم مؤمنين	٢	٢٠٩
قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر	٩	٥٠٦
قوموا فلأصل لكم	٢	٢٥٤
قوموا فلأصلي بكم	٣	٤٣١
قوموا	٢	٢٩٨
قيام الساعة لا يكون إلا على شرار الخلق	١٠	٤٣٥
قيد رمح	٥	٦٣٨
كاد الخيران أن يهلكا... (من قول أبي مليكة)	١٠	٩٢
كاد يرضها	١	٢٢
كان ﷺ ينام أوله، ويقوم آخره	٤	٢٣٦
كان النبي ﷺ يغتسل بالصاع	١	٦٣٧
كان ﷺ يوعك كما يوعك الرجلان	٣	٢٧٢

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
كان ابن عشر سنين مقدم رسول الله ﷺ المدينة..(أي أنس)	٦	٣٤٣
كان ابن عمر ه إذا أراد الخروج	٥	٢٣٦
كان ابن عمر ه إذا دخل أدنى الحرم أمسك عن التلبية	٥	٢٦٤
كان ابن عمر ه إذا صلى بالغداة بذي	٥	٢٣٣
كان ابن عمر يوضع له الطعام وتقام الصلاة	٣	١٠٨
كان أجود بالخير من الريح المرسلة	٦	٣٧
كان أحب الثياب إلى النبي ﷺ أن يلبسها الحبرة	٧	٤٨٤
كان أحب العمل إلى رسول الله ﷺ الذي يدوم	٧	٣٣٩
كان أحب العمل إلى رسول الله ﷺ	١	١٢٤
كان إذا أخذ مضجعه نفث	٧	١٧١
كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ لقاه جبريل	٣	٩٤
كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات	٦	٦٠
كان إذا أقبل بات بذي طوًى	٥	٤٩٣
كان إذا خرج مسيرة ثلاثة أميال	٤	١٨٢
كان أصحاب رسول الله ﷺ ينامون ثم يصلون	٢	٥٣٦
كان الحبش يلعبون بحرابهم فسترني	٦	٣٨٦
كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا...(من قول أنس)	٥	١٣٨
كان الرجل يؤتى به يهادى...(من قول ابن مسعود)	٣	١٤٣
كان الرسول ﷺ يقوم إذا سمع الصارخ	٤	٢٢٦
كان الصاع على عهد النبي ﷺ مدا وثلثًا...(من قول السائب بن يزيد)	١٠	١٣٢
كان الصاع على عهد النبي ﷺ...(من قول السائب بن يزيد)	٧	٦٥٢
كان الصحابة م إذا حال بينهم شجرة	٣	٣٠٧
كان الطلاق على عهد الرسول ﷺ وأبي بكر	٦	٢٧٢

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
كان الطلاق في عهد النبي ﷺ	٦	٥١٣
كان القنوت في المغرب والفجر	٣	٣١٣
كان القنوت في المغرب والفجر...(من قول أنس)	٤	٦٣
كان الله ولم يكن شيء قبله	١٠	٣٨١
كان المؤذن إذا أذن قام ناس	٣	١٩
كان المال للولد...(من قول ابن عباس)	٩	٤٤
كان المسلمون حين قدموا المدينة...(من قول ابن عمر)	٢	٦١٠
كان المشركون على منزلتين من النبي ﷺ	٦	٥٤٦
كان المهاجرون حين قدموا المدينة...(من قول ابن عباس)	٩	٥٣
كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل يده اليمنى	٣	٣٧٢
كان الناس يطوفون في الجاهلية عراةً...(من قول عروة)	٥	٣٨٦
كان النبي ﷺ إذا اغتسل من الجنابة	١	٦٣٠
كان النبي ﷺ إذا سكت المؤذن من الأذان لصلاة الصبح	٣	٥٥٢
كان النبي ﷺ في مهنة أهله	١	٥٨٢
كان النبي ﷺ يتكئ في حجر عائشة	٢	٣٠
كان النبي ﷺ يصلي الظهر بالهاجرة	٢	٥٢٩
كان النبي ﷺ يصلي العصر والشمس في حجرتها	٢	٤٤٣
كان النبي ﷺ يصلي الهجير	٢	٥٩١
كان النبي ﷺ يقرأ بالجمعة والمنافقين	٣	٥٠٣
كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة بسبح والغاشية	٣	٥٠٣
كان النبي ﷺ يقرع بين نسائه	٢	١٥٧
كان النبي ﷺ ينهى عن قيل وقال، وكثرة السؤال	٧	٣٥٩
كان النبي ﷺ أجود الناس	٦	٣٧
كان النبي ﷺ إذا أتاه رجل بصدقته	٧	١٩٠
كان النبي ﷺ إذا أراد أن ينام وهو جنب	٢	٣٧
كان النبي ﷺ إذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس	٤	١٩٧

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
كان النبي ﷺ إذا اغتسل من الجنابة دعا	١	٦٣٥
كان النبي ﷺ إذا خرج لحاجته أجيء أنا وغلام معنا	١	٤٠٦
كان النبي ﷺ إذا خرج لحاجته	٢	٤٠٦
كان النبي ﷺ إذا سافر فأراد أن يتطوع	٤	٦١
كان النبي ﷺ إذا صلى ركعتي الفجر	٤	٢٤٨
كان النبي ﷺ إذا صلى صلاةً أقبل علينا بوجهه	٣	٤١٠
كان النبي ﷺ إذا فاتته ركعتا الفجر	٢	٥٥٤
كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد	٧	١٦٠
كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يشوص فاه	١٠	٤٢٧
كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يشوص	١	٦٠٨
كان النبي ﷺ إذا قام من الليل	٣	٤٧٥
كان النبي ﷺ إذا كان يوم عيد خالف الطريق	٤	٢٢
كان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء	٢	٢١١
كان النبي ﷺ شثن القدمين	٧	٥٧٠
كان النبي ﷺ ضخم القدمين	٧	٥٦٩
كان النبي ﷺ ضخم الكفين	٧	٥٧٠
كان النبي ﷺ ضخم اليدين والقدمين	٧	٥٦٩
كان النبي ﷺ ضخم اليدين	٧	٥٦٩
كان النبي ﷺ لا يرد سائلاً	١	٥٤
كان النبي ﷺ لا يرفع يديه في شيء من دعائه إلا	٤	٩٤
كان النبي ﷺ لا يرفع يديه في شيء من دعائه إلا	٣	٥٥٤
كان النبي ﷺ لا يطرق أهله	٥	٥٣٥
كان النبي ﷺ متواريًا بمكة	١٠	٥٤٧
كان النبي ﷺ مربوعًا وقد رأيته في حلة حمراء	٧	٥١٨
كان النبي ﷺ يأتي مسجد قباء راكبًا وماشيًا	٤	٢٩٤
كان النبي ﷺ يأتي مسجد قباء كل سبت	٤	٢٩٣
كان النبي ﷺ يأخذ ثلاثة أكف	١	٦٣٤
كان النبي ﷺ يأمر نساءه، فيتزرن		

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
فيباشرهن	٢	١٥٣
كان النبي ﷺ يبايع النساء بالكلام	٩	٦٥٦
كان النبي ﷺ يتخولنا	١	٢٠٩
كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد	٤	٥٤٧
كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد	٤	٥٥٩،٥٥٥
كان النبي ﷺ يجمع بين المغرب والعشاء	٤	١٩٤
كان النبي ﷺ يجمع بين رجلين من قتلى أحد	٤	٥٦٧
كان النبي ﷺ يجمع بين صلاة المغرب والعشاء	٤	١٩٤
كان النبي ﷺ يجنب،ثم ينام ولا يمس ماء	٢	٣٥
كان النبي ﷺ يحب التيمن	٢	٣٠٨
كان النبي ﷺ يحب التيمن	٧	٥٢٦
كان النبي ﷺ يحب الطيب	٣	٤٢٧
كان النبي ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب	٧	٥٧٤
كان النبي ﷺ يخطب خطبتين يقعد بينهما	٣	٥٤٨
كان النبي ﷺ يخطب قائمًا ثم يقعد ثم يقوم	٣	٥٣٤
كان النبي ﷺ يخفف الركعتين	٤	٢٦٤
كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه	٣	٣٦
كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه	٣	٣٧
كان النبي ﷺ يسرع في ركعتي الفجر	٤	٥٢
كان النبي ﷺ يصبح جنبًا من جماع	٣	٤٣٠
كان النبي ﷺ يصلي الصبح وأحدنا يعرف جليسه	٢	٤٨٠
كان النبي ﷺ يصلي الظهر بالهاجرة	٢	٥١٨
كان النبي ﷺ يصلي الظهر حين تزول الشمس	٣	٢٦٢
كان النبى ﷺ يصلى ركعتين خفيفتين	٣	١٣
كان النبي ﷺ يصلي على راحلته حيث توجهت به	٤	٦١

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
كان النبي ﷺ يصلي في السفر على راحلته	٤	٦٠
كان النبي ﷺ يصلي في مرابض الغنم	٢	٣١٣
كان النبي ﷺ يصلي في نعليه	٧	٥٢٤
كان النبي ﷺ يصلي قبل أن يبنى المسجد في مرابض الغنم	١	٥٨٤
كان النبي ﷺ يصلي من الليل إحدى عشرة ركعةً	٧	١٥٠
كان النبي ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعةً	٤	٢٢٨
كان النبي ﷺ يصلي وأنا إلى جنبه نائمة	٢	٤٣٧
كان النبي ﷺ يصلي وأنا راقدة معترضةً على فراشه	٤	٥٧
كان النبي ﷺ يصلي وأنا راقدة معترضة	٢	٤٢٨
كان النبي ﷺ يطيل الصلاة في الكسوف	٤	١٣٩
كان النبي ﷺ يعجبه التيمن	١	٤٤٢
كان النبي ﷺ يعجبه التيمن	٢	١٤
كان النبي ﷺ يعجبه الحلواء والعسل	٧	٣٥٩
كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور	٧	٢٤٢
كان النبي ﷺ يعودني وأنا مريض بمكة	٦	٦٤٢
كان النبي ﷺ يعوذ بعضهم	٧	٤٢٣
كان النبي ﷺ يغتسل	١	٥٢٦
كان النبي ﷺ يغدو إلى المصلى والعنزة	٤	٩
كان النبي ﷺ يفرغ على رأسه ثلاثًا	١	٦٣٤
كان النبي ﷺ يقرئنا القرآن ما لم نكن جنبًا	١	٤٨٨
كان النبي ﷺ يقرأ السجدة ونحن عنده فيسجد	٤	١٦٤
كان النبي ﷺ يقرأ القرآن	١٠	٥٤٨
كان النبي ﷺ يقرأ علينا السورة فيها السجدة، فيسجد	٤	١٦٤
كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة بسبح	٧	٦٧٦
كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر	٣	٤٧٩
كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر	٤	١٥٦
كان النبي ﷺ يقرأ في الركعتين الأوليين	٣	٢٥٦

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
كان النبي ﷺ يقرأ في الركعتين من	٣	٢٥٨
كان النبي ﷺ يقوم إذا سمع الصارخ	٧	٣٣٨
كان النبي ﷺ يكره أن يأتي الرجل أهله طروقًا	٦	٤٦٦
كان النبي ﷺ ينحر أو يذبح بالمصلى	٤	١٨
كان النبي ﷺ ينيخ بها	٥	٤٩٢
كان النبي ﷺ إذا عمل عملا	١	١٢٤
كان النبي لا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم	٦	١٠٨
كان النبي يقسم لعائشة بيومها ويوم سودة	٦	٤٣٤
كان النبي ﷺ إذا أمر أميرا	١	٨٤
كان النبي ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب	١	١١٦
كان النبي ﷺ يستقبل الكعبة و بيت المقدس	١	١١٨
كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون	٥	١٨٠
كان برجل جراح فقتل نفسه	٤	٥٩٠
كان بين مصلى رسول الله ﷺ وبين الجدار	٢	٤٠٢
كان جبريل يدارسه القرآن كل سنة في رمضان	٦	١٣
كان حقا على كل من سمعه	٤	٣٨٥
كان حقا على كل من سمعه	٧	٥٢١
كان خاتم النبي ﷺ في هذه	١	٤٤٥
كان خاتم النبي ﷺ في يده	٧	٥٤٧
كان ذلك كمن أعتق أربع أنفس	٧	٥٥٣
كان ذو المجاز وعكاظ متجر الناس في الجاهلية	٥	٤٩٤
كان رجال يصلون مع النبي ﷺ عاقدي أزرهم	٢	٢١٧
كان رجل في بني إسرائيل يقال له جريج	٥	١١٨
كان رجل ممن كان قبلكم	٧	٣٧٦
كان رجل يسرف على نفسه	١٠	٤٨٧
كان رجلًا مؤمنًا يخفي إيمانه مع قوم كفار فقتلته	٩	٢١٤
كان رسول الله ﷺ أجود الناس	١	٣٧
كان رسول الله ﷺ إذا أتاه جبريل	١٠	٥٢٢
كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يباشر	٢	١٦٩
كان رسول الله ﷺ إذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس	٤	١٩٨
كان رسول الله ﷺ إذا اغتسل من الجنابة غسل يديه	٢	٨٠
كان رسول الله ﷺ إذا اغتسل من الجنابة	١	٦٤٠
كان رسول الله ﷺ إذا أمرنا بالصدقة	٤	٦٣٣
كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه	٧	٤٢٠
كان رسول الله ﷺ إذا سكت المؤذن بالأولى	٣	٢٠
كان رسول الله ﷺ إذا طاف الطواف الأول	٥	٣٦٣
كان رسول الله ﷺ إذا عطس وضع يده	٤	٣٨٦
كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل ليصلي	٣	٥٥٣
كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر	٥	٥٣٧
كان رسول الله ﷺ إذا قعد في الصلاة جعل قدمه	٣	٣٧٥
كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل بالوحي	٦	١٠٤
كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء	٣	٦٠٩
كان رسول الله ﷺ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر	٢	٢٧٢
كان رسول الله ﷺ قد مسح عينه	٧	٢١٧
كان رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر يصلون العيدين	٣	٦٢٤
كان رسول الله ﷺ يتعوذ من جهد البلاء	٧	٢٠٧
كان رسول الله ﷺ يجمع بين صلاة الظهر والعصر	٤	١٩٤
كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء	٩	٣٩٥
كان رسول الله ﷺ يحب العسل والحلواء	٦	٤٩٨
كان رسول الله ﷺ يخرج يوم الفطر والأضحى	٣	٦١٦

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
كان رسول الله ﷺ يدخل الخلاء، فأحمل أنا وغلام	١	٤٠٨
كان رسول الله ﷺ يدخل من الثنية العليا	٥	٢٦٥
كان رسول الله ﷺ يسبح علي الراحلة	٤	١٩٠
كان رسول الله ﷺ يصلي العصر والشمس مرتفعة	٢	٤٩٢
كان رسول الله ﷺ يصلي العصر والشمس	٢	٤٨٨
كان رسول الله ﷺ يصلي بالليل ثلاث عشرة ركعةً	٤	٢٦٤
كان رسول الله ﷺ يصلي ركعتي الفجر	١	٤٢٠
كان رسول الله ﷺ يصلي وأنا حذاءه وأنا حائض	٢	٢٥٢
كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدةً	١	٣٦
كان رسول الله ﷺ يفطر من الشهر	٤	٢٢٩
كان رسول الله ﷺ يقرأ في ركعتي الفجر	١	٤٢٠
كان رسول الله ﷺ يهدي من المدينة	٥	٤٢٠
كان رسول الله ﷺ يوتر على البعير	٤	٥٩
كان رسول الله إذا انصرف من العصر	٦	٤٣٩
كان ركوع النبي ﷺ، وسجوده	٣	٣٠٥
كان ركوع النبي ﷺ، وسجوده	٣	٣١٦
كان زوج بريرة عبدًا أسود...(من قول ابن عباس)	٦	٥٤١
كان سالم مولى أبي حذيفة يؤم المهاجرين	٩	٦١٩
كان سجود النبي ﷺ وركوعه وقعوده	٣	٣٦٢
كان شعر رسول الله ﷺ رجلًا	٧	٥٦٩
كان عبد الله بن عمر يجمع بين المغرب والعشاء بجمع	٥	٣٨٩
كان عبد الله بن عمر، يقدم ضعفة أهله	٥	٣٩٦
كان عمر ض يكبر في قبته بمنًى	٤	٥٠
كان عمر يقول للنبي ﷺ: احجب نساءك	١	٤٠١
كان عمله ديمةً، وأيكم يستطيع... (من قول عائشة)	٧	٣٤١
كان عند أم سلمة ث جلجل من فضة	١	٤٥٤
كان فراش رسول الله ﷺ من أدم	٧	٣٣٧
كان فراشي حيال مصلى النبي ﷺ	٢	٤٣٦
كان فعل رسول الله ﷺ إذا قال سمع الله لمن حمده	٣	١٤٨
كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات	١	٢٥٢
كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات	٦	٢٠٠
كان فيما أنزل من القرآن: عشر رضعات معلومات	٩	١٥٧
كان كمن أعتق أربع أنفس من بني إسماعيل	٦	٥٩
كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل	٥	٦٣٦
كان كمن أعتق رقبةً	٧	٢٧٠
كان لا يزيد في رمضان ولا غيره على	٤	٤٤
كان له ستمائة جناح	٦	١٨٧
كان معاذ يصلي مع النبي ﷺ، ثم يأتي قومه	٣	١٧٨
كان وقافًا عند كتاب الله... (من قول ابن عباس)	١٠	٦٣
كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه نارًا	٧	٣٣٧
كان يأمرني فأتزر، فيباشرني	٢	١٦٨
كان يبعث بهديه من جمع من آخر...(أي ابن عمر)	٥	٤٣١
كان يختم القرآن في ليلة...(أي	٦	....
كان يخرج رأسه إلي، وهو معتكف	٢	١٦٨
كان يرمي الجمرة الدنيا بسبع حصيات	٥	٤٧٨، ٤٧٩
كان يستغفر الله مائة مرة	٧	١٤٥
كان يسير العنق، فإذا وجد...(من قول أسامة)	٥	٣٨٧
كان يصلي إحدى عشرة ركعةً يصلي أربعًا	٤	٤٨
كان يصلي الهجير...(من قول أبي برزة)	٢	٤٩٠
كان يصلي سجدتين خفيفتين بعدما يطلع الفجر	٤	٢٦٥

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
كان يضرب شعر النبي ﷺ منكبيه	٧	٥٦٩
كان يعجبه التيامن في تنعله	٢	٣٠٧
كان يعجبه التيامن في كل شيء	٤	٤١٦
كان يعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرةً	٦	٣٧
كان يغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد	١	٥٣٤
كان يفتتح صلاة بركعتين خفيفتين	١	٤٩٩
كان يكبر في كل صلاة من المكتوبة	٣	٣١٨
كان يكون بين يدي النبي ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة	٩	٥٨٢
كان يكون في مهنة أهله	٣	١١٤
كان يلبي الملبي لا ينكر عليه	٣	٦٣٨
كان يلبي الملبي لا ينكر عليه...(من قول أنس)	٤	٦
كان يمد مدا	٦	١٠٧
كان ينحر في المنحر	٥	٤٣٠
كان ينهى عن قيل وقال، وكثرة السؤال	١٠	٦٩
كان يهل منا المهل فلا ينكر عليه...(من قول أنس)	٥	٣٨٠
كان يوضع لي ولرسول الله ﷺ هذا المركن	١٠	١٣٨
كانت الأولى من موسى نسيانًا	٧	٥٨٤
كانت الريح الشديدة إذا هبت عرف ذلك في وجه النبي ﷺ	٤	٩٩
كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها دخلت حفشًا...(من قول زينب)	٦	٦١٧
كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب	٩	٨٦
كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراةً	٢	١٥
كانت تغسل الدم عن وجهه ﷺ ..(يعني: فاطمة)	١	٥٧٣
كانت صلاة النبي ﷺ ثلاث عشرة ركعةً	٤	٢٢٨
كانت فاطمة رضي الله عنها تغسل الدم عن وجه رسول الله ﷺ	٢	٣٦٣
كانت في بني إسرائيل قصاص...(من قول ابن عباس)	٩	٢٤١
كانت مدا	٦	١٠٧
كانت ناقة لرسول الله ﷺ تسمى العضباء	٧	٤٠٢
كانوا لا يكتوون، ولا يسترقون	٧	٤٦٤
كانوا يخرجونها قبل العيد بيوم أو يومين	٥	١٤٥
كانوا يرون أن العمرة في أشهر الحج	٥	٢٥٠
كانوا يعطون قبل الفطر بيوم أو يومين	٥	١٤٨
كأني أنظر إلى وبيص الطيب في مفارق النبي ﷺ	٧	٥٧٥
كأني أنظر إلى وبيص الطيب في مفارق	٥	٢٠١
كأني أنظر إلى وبيص الطيب...(قول عائشة)	٢	٧
كأني أنظر إلى وبيص المسك في مفارق رسول الله ﷺ، وهو محرم	٤	٤٢٧
كأني أنظر إلى وبيص المسك في مفارق	٥	١٩٧
كأني أنظر إلى وبيص المسك...(من قول عائشة)	٢	٥
كأني أنظر إليه يتبعها في سكك المدينة	٦	٥٤١
الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين	٩	٢١٨
الكبائر: الإشراك بالله	٧	٥٨٦
الكبر الكبر	٩	٢٧٠
كبر ثم أومأ بيده إلى القوم أن اجلسوا	٣	٥١
كبر كبر	١	٦١١
كبر كبر	٩	٦٣٧
كتاب الله القصاص	٩	٢٤٨
كتب له ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا	٤	٢١٨
كخ، كخ	٥	١٠٨
كذب أبو السنابل	١٠	١٧٨
كذب أبو السنابل	٢	٢٠٦
كذب أبو السنابل	٧	١٧٩
كذب أبو السنابل	٧	٢٣١
كذب ثلاث كذبات في ذات الله...(أي إبراهيم)	١٠	٣١٣
كذب سعد، اليوم تعظم الكعبة	٥	٥٨٧
كذب سعد، بل اليوم يوم تعظم فيه الكعبة	١	٢٨١
كذب من قالها إن له لأجرين	٩	٢٥٤
كذب؛ اليوم تعظم الكعبة	٥	٥٨٢
كذبوا، ما بطل أجر عامر	٧	٢٣١

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة	٦	٢١
كذلك أنزلت	١٠	٥٤٩
كذلك صنع النبي ﷺ	٥	٤٢٦
الكرسي موضع القدمين	١٠	٢٨٥
كرهت أن أذكر الله على غير طهر	٧	٢٤٦
كساني النبي ﷺ حلةً سيراء	٧	٥٠٧
كسب الحجام خبيث	١٠	١٧١
كسر عظم الميت ككسره حيا	٩	٢٥٨
كسرت على رأس رسول الله ﷺ البيضة	٧	٣٩٤
كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ يوم مات إبراهيم	٤	١٢٣
كف -أو أمسك-	٦	١٢٠
كف عليك هذا	١٠	٧٢
كفارة النذر إذا لم	٧	٦٢٢
كفر عن يمينك، وأت	٧	٥٣٤
كفن النبي ﷺ في ثلاثة أثواب	٤	٤٣٥
كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب	٤	٤٣٥
كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب	٤	٤٣٦
كفنوه في ثوبيه	٥	٦٠١
كفى ببارقة السيوف	٧	٥١٧
كل الليل أوتر رسول الله ﷺ	٤	٥٦
كل أمتي يدخلون الجنة	١٠	٥٨
كل امرئ في ظل صدقته يوم القيامة	٢	١٧٢
كل امرئ في ظل صدقته يوم القيامة	٣	٨١
كل امرئ في ظل	٧	٣٧٥
كل امرىء في ظل صدقته يوم القيامة	٥	١٦
كل بدعة ضلالة	٩	٣٦
كل بني آدم خطاء	٧	٦١٧
كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني	٦	٣٠٧
كل شراب أسكر فهو حرام	١	٦٠٤
كل شيء عنده بأجل مسمى	٧	٥٢٢
كل ضلالة في النار	١	٩٩
كل عمل ابن آدم له	٧	٥٨٩
كل فإني أناجي من لا تناجي	٣	٤٢٥
كل كلم يكلمه المسلم في سبيل الله	١	٥٩٢
كل مسكر حرام	٩	٦١٤
كل مسكر خمر وكل مسكر حرام	١	٦٠٥
كل مسكر خمر	٦	٣٦٥
كل مولود يولد على الفطرة	١	٣٨٩
كل مولود يولد على الفطرة	١٠	٢٤٧
كل مولود يولد على الفطرة	١٠	٣٠٣
كل مولود يولد على الفطرة	٧	٥٥٩
كل ميسر لما خلق له	١٠	٥٥١
كل واشرب وتصدق	٧	٤٥٨
كلا، لو كانت كما تقول كانت فلا جناح...(من قول عائشة)	٥	٥٢٤
كلاكما محسن، فاقرأ	٦	١٣٠
كلانا جنب...(من قول عائشة)	٢	١٦٨
كلتا يديه يمين	١٠	٣٤٨
كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ	١٠	٣٣٧
كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ	٦	٣٦٣
كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته	٩	٥٦٤
كلكم راع وكلكم مسئول	٦	٣٦٩
كلكم راع وكلكم مسئول	٦	٤١٦
كلكم راع ومسئول عن رعيته	٤	٤٥٣
الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم	٧	٤٢٨
كلمتان حبيبتان إلى الرحمن	١٠	٥٧١
كلمتان خفيفتان على اللسان	٧	٢٧١
كلمتان خفيفتان على اللسان	٧	٥٩٧
كلهم من قريش	٩	٦٦٥
كلوا أو اطعموا فإنه حلال	١٠	٤٦
كلوا واشربوا حتى تسمعوا	١٠	٢٤
كلوا وتزودوا	٥	٤٤٦
كلوا	٥	٥٦٥،٥٦٦
كلوا، غارت أمكم	٧	٦٩٦
كلوه حلال	٥	٥٦٧
كم أصدقتها؟	٦	٣٤٥
كم اعتمر النبي ﷺ؟	٥	٥٠٥
كم سقت إليها؟	٦	٣١٨
كم من كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة	٧	٥١٣
كما أنتم	٢	١٢

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
كما بين المدينة وصنعاء	٧	٥١٨
كما تراءون الكوكب الغارب	٧	٤٨٠
كما رأيتموني أصلي	٣	٢٦
الكمأة من المن	٧	٣٨٢
كمر السلسلة على الصفوان	١٠	٤٦٨
كن في الدنيا كأنك غريب	٧	٢٨٨
كن نساء المؤمنات يشهدن مع رسول الله ﷺ	٢	٥٤٩
كنا إذا صعدنا كبرنا، وإذا نزلنا سبحنا	٣	٥٩٨
كنا إذا صلينا خلف رسول الله ﷺ بالظهائر	٢	٤٨٢
كنا لا نعد الصفرة والكدرة بعد الطهر شيئًا	٦	٤٩٧
كنا لا نعد الصفرة والكدرة شيئًا	٢	٢٢٣
كنا مع النبي ﷺ بالقاحة	٥	٥٦٦
كنا مع النبي ﷺ بالقاحة، ومنا المحرم	٥	٥٦٦
كنا نؤتى بالشارب على عهد رسول الله ﷺ	١	٦٢٧
كنا نؤمر أن نخرج يوم العيد حتى نخرج البكر	٣	٦٣٩
كنا نؤمر أن نخرج يوم العيد...(من قول أم عطية)	٤	٧
كنا نتحين، فإذا زالت الشمس رمينا	٥	٤٦٨
كنا نتقي الكلام والإنبساط إلى نسائنا	٦	٣٦٨
كنا نحيض مع النبي ﷺ فلا يأمرنا		٢٢٩
كنا نخرج زكاة الفطر...(من قول أبي سعيد)	٥	١٤٢
كنا نخرج في عهد رسول الله ﷺ يوم الفطر	٥	١٤٦
كنا نداوي الكلمى...(من قول حفصة)	٥	٣٦٧
كنا نصلي العصر ثم يخرج الإنسان(من قول أنس)	٢	٤٩١
كنا نصلي العصر، ثم يذهب الذاهب منا إلى قباء	٢	٤٩٢
كنا نصلي المغرب مع النبي ﷺ فينصرف أحدنا	٢	٥١٨
كنا نصلي مع النبي ﷺ المغرب، ثم نرجع إلى منازلنا	١	٥٠٠
كنا نصلي مع النبي ﷺ في شدة الحر	٤	٣٢١
كنا نصلي مع النبي ﷺ فيضع أحدنا طرف الثوب	٢	٢٦٠
كنا نعدها نفاقًا...(من قول ابن عمر)	٩	٦٢١
كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ	٦	٤٢٩
كنا نعزل على عهد رسول الله والقرآن ينزل	٦	٤٢٩
كنا نعزل والقرآن ينزل	٦	٤٢٩
كنا نعطيها في زمان النبي ﷺ: صاعًا...(من قول أبي سعيد)	٥	١٤٤
كنا نغزو مع رسول الله ﷺ نسقي القوم	٧	٣٥٧
كنا نغزو مع رسول الله ﷺ، فنصيب من آنية	٢	٢٨
كنا نفعله فنهينا عنه، وأمرنا أن نضع أيدينا على الركب	٣	٣٠٤
كنا نمنع عواتقنا أن يخرجن...(من قول حفصة)	٥	٣٦٧
كنا ننهى أن نحد على ميت فوق ثلاث	٢	٢٠٠
كنا ننهى أن نحد على ميت فوق ثلاث	٦	٦٢٠
كنا ننهى عن اتباع الجنائز	٦	٦٢٠
كنت أرجل رأس رسول الله ﷺ	٧	٥٨٧
كنت أرجل رأس رسول الله ﷺ، وأنا حائض	٢	١٥٩
كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ	١٠	٤٨٤
كنت أطيب النبي ﷺ بأطيب ما يجد	٧	٥٨٤
كنت أطيب النبي ﷺ	٧	٥٩٠
كنت أطيب رسول الله ﷺ لإحرامه	١	٣٦٤
كنت أطيب رسول الله ﷺ لإحرامه	٥	٢٠٢
كنت أعرف انقضاء صلاة النبي ﷺ بالتكبير	٣	٤٠٤
كنت أغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد	١	٦٣١ ٦٤٠
كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد	٢	٨
كنت اغتسل أنا ورسول الله ﷺ...(من		

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
حديث عائشة)	١٠	١٣٨
كنت أغسل الجنابة من ثوب النبي ﷺ	١	٥٨١
كنت أغسله من ثوب رسول الله ﷺ	١	٥٨٣
كنت أفتل القلائد للنبي ﷺ فيقلد	٥	٤٢٢
كنت أفتل قلائد الغنم للنبي ﷺ فيبعث	٥	٤٢٢
كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني	٧	٤٨٠
كنت أنا وأمي من المستضعفين...(من قول ابن عباس)	٤	٥٧٥
كنت أنام بين يدي رسول الله ﷺ ورجلاي في قبلته	٢	٢٥٨
كنت أنام بين يدي رسول الله ﷺ ورجلاي في قبلته	٢	٤٢٨
كنت أنظر إلى علمها وأنا في الصلاة	٢	٢٣١
كنت خلفت في البيت تبراً	٥	٣٠
كنت رجلًا مذاءً...(من قول علي)	١	٤٧٧
كنت فيمن رجمه فرجمناه بالمصلى...(من قول جابر)	٦	٥٢٦
كنت لك كأبي زرع لأم زرع	٦	٣٧١
كنت نهيتكم عن الانتباذ	١٠	٤٥
كنت نهيتكم عن الانتباذ	١٠	٥٦٤
كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها	٣	٤٥٩
كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها	٤	٤٥٢
الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه...(من قول ابن عباس)	٧	٥١١
كونوا عباد الله إخوانًا	٦	٢٩٧
كونوا عباد الله إخوانًا	٩	١٩
كويت من ذات الجنب ورسول الله ﷺ حي	٧	٣٩٣
الكيس الكيس يا جابر	٦	٤٦٧
الكيس من دان نفسه	١٠	٣١٩
كيف أفنته الحروب، الهال كثير	٩	٢٣٠
كيف بها وقد زعمت أنها قد أرضعتكما دعها عنك	٦	٢٠٧
كيف تسألون أهل الكتاب عن كتبهم... (من قول ابن عباس)	١٠	٥٢٠
كيف تسألون أهل الكتاب...(من قول ابن عباس)	١٠	١٧٩
كيف كان رسول الله ﷺ يغسل رأسه وهو محرم؟	٥	٦٠٤
كيف يمنعهن وقد طاف نساء النبي ﷺ	٥	٣٢٨
لا تزال جهنم تقول	٧	٥٧٤
لا تسأل الإمارة فإنك	٧	٦٦٧
لا حرج	٧	٥٨٠
لا ومقلب القلوب	٧	٥٣٨
لا يأتي ابن آدم النذر بشيء	٧	٦٢٠
لا يغل أحدكم منها شيئًا	٧	٥٤٦
لا يموت لأحد من المسلمين	٧	٥٦٩
لا أتحملها حيا وميتًا...(من قول عمر)	٩	٦٦١
لا أجلس حتى أقتله قضاء الله ورسوله ﷺ	٩	٥٨٢
لا أحلف على يمين... (من قول أبي بكر)	٧	٥٣٣
لا أزال أحبه سمعت النبي ﷺ	٦	٣٨
لا أشهد على جور	٩	٥٩٢
لا آكله ولا أحرمه	١٠	١٧١
لا إلا أن تطوع	٤	٤٢
لا ألبسه أبدًا	٧	٥٣٦
لا ألفين أحدكم متكئًا على أريكته	١٠	٥٩
لا إله إلا الله العظيم الحليم	٧	٢٠٦
لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله	١٠	٤٠٠
لا إله إلا الله العظيم الحليم،	٧	٢٠٦
لا إله إلا الله العليم الحليم	١٠	٣٩٥
لا إله إلا الله إن للموت سكرات	٧	٤١٤
لا إله إلا الله ماذا أنزل الليلة من الفتنة	٧	٥١٠
لا إله إلا الله وحده لا شريك له	٥	٥٢٨
لا إله إلا الله وحده لا شريك له	٧	٣٥٩
لا إله إلا الله وحده لا شريك له...(في الذكر عقب الصلاة)	٣	٤٠٩
لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك	٧	٢٤٨
لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده	٧	٢٥٠
لا إله إلا الله، وحده لا شريك له	١٠	٦٩
لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب	٩	٤٩٥
لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب	٩	٥٥٨

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
لا إنه قد لعن الموصلات	٦	٤٢٤
لا بأس طهور إن شاء الله	٧	١٩٦
لا بأس طهور إن شاء الله	٧	٣٣١
لا بأس عليك طهور إن شاء	١٠	٤٥٨
لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها	٦	٤٦٣
لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها	٦	٤٦٤
لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام	٧	٦٩٨
لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام	٧	٧٠٠
لا تبشرهم فيتكلوا	٤	٤٢٩
لا تبشرهم فيتكلوا	٧	٦٣٤
لا تبيعوا الثمرة حتى يبدو صلاحها	٥	١٠٣
لا تحروا طلوع الشمس ولا غروبها	٤	٢٩٣
لا تتركوا النار في بيوتكم	٧	٧٧٩
لا تتمنوا لقاء العدو	٧	٣١١
لا تجتمع أمتي على الضلالة	١	٣١٠
لا تجسسوا ولا تحسسوا	٦	٢٩٣
لا تجسسوا	٩	٢٠
لا تجعل مصيبتنا في ديننا	٦	٣٩٨
لا تجعلوا بيوتكم قبورًا	٢	٣٠٩
لا تجلدوا فوق عشرة أسواط إلا في حد	٩	١٩٥
لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها	٤	٥٢٤
لا تجهر بصلاتك	١٠	٤٧٤
لا تحاسد إلا في اثنتين	١٠	٥٢٩
لا تحاسد إلا في اثنتين	٩	٦٧٩
لا تحدث الناس بتلاعب الشيطان بك في منامك	٧	٤٢٠
لا تحدث الناس بتلاعب الشيطان بك في منامك	٩	٤٤٣
لا تحدث شيئًا	٥	٥٣٣
لا تحرم الإملاجة ولا الإملاجتان	٦	٢٠٠
لا تحرم المصة ولا المصتان	١	٢٥٢
لا تحرم المصة ولا المصتان	٦	٢٠٣
لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها	٢	٥٥٢
لا تحسسوا	٩	٢٠
لا تحصي فيحصي الله عليك	٥	٣٣
لا تحقق	٦	٢٩٣
لا تحل لأحد بعدي	١٠	١٧
لا تحل لآل محمد إنما هي أوساخ الناس	٥	١٠٢
لا تحلفوا بآبائكم	٧	٥٥٧
لا تحلفوا بآبائكم، ومن كان حالفًا	١٠	٣٠٩
لا تحلين لزوجك الأول حتى يذوق الآخر عسيلتك	٦	٤٩٦
لا تخاف أحدًا إلا الله	٢	٦٢٠
لا تخبر بتلاعب الشيطان بك في المنام	٩	٤٥٨
لا تختلفوا فتختلف قلوبكم	٣	٤٩
لا تخمروا رأسه	٤	٤٢٧
لا تخيروا بين الأنبياء	٩	٢٩٩
لا تخيروني على موسى	١٠	٤٥٩
لا تخيروني على موسى؛	٧	٤٢٣
لا تخيروني من بين الأنبياء	٩	٣٠١
لا تدخل الملائكة بيتًا فيه جنب	٢	٣٣
لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب	٧	٦١٥
لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين	٢	٣١٩
لا تدعن أن تقول في دبر كل صلاة	١٠	٧٠
لا تدفني مع النبي ﷺ في البيت...(من قول عائشة)	١٠	١٣١
لا تذبحوا إلا مسنةً إلا أن يعسر عليكم	٦	٢٨٠
لا تذبحوا إلا مسنةً	٧	٣٧٦
لا تذبحوا إلا مسنةً	٧	٥٨٦
لا تذبحوا إلا مسنةً، إلا أن تعسر	٣	٦٢٧
لا ترتدوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض	٩	٥٠٤
لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله	٩	٣٧٢
لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض	٩	٢١٦
لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم	٩	٢١٧
لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم	٩	٥٠٣، ٥٠٤
لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب	١	٣٢٦
لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب	٥	٤٦٢

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
لا ترغبوا عن آبائكم	٩	٨٤
لا ترفعن رءوسكن حتى يستوي الرجال	٢	٢١٧
لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين	٩	٤٩٨
لا تزال طائفةٌ من أمتي على الحق	١	٣١١
لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم	٥	٦٢٩
لا تسافر المرأة ثلاثًا إلا ومعها ذو محرم	٩	١٣٥
لا تسافر المرأة ثلاثًا	٤	١٨٢
لا تسافر المرأة ثلاثة أيام	٤	١٨١
لا تسافر المرأة يومين	٤	٢٩٤
لا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم	١٠	٤٤٩
لا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم	٥	٤٩٠
لا تسافر امرأة مسيرة ثلاثة أيام	١٠	٤٤٩
لا تسافر امرأة مسيرة يومين	٥	٦٣٦
لا تسافر امرأة يومًا وليلةً	١٠	٤٤٩
لا تسأل الإمارة	٧	٥٣٤
لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء	١٠	٥٥٧
لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم	٧	٢٢٢
لا تسألوني عن شيء إلا بينت لكم	٩	٥١٢
لا تسبوا الأموات	٧	٤٢٠
لا تسبوا الأموات	٩	١٠٧
لا تستقبلوا القبلة بغائط ولا بول	٣	٢٥٣
لا تستقبلوا القبلة بغائط	٢	٢٦٦
لا تسلموا تسليم اليهود	٣	٩٦
لا تسلموا على شراب	٧	٦٩٨
لا تشتر الصاع بالصاعين	٦	٣٠٥
لا تشتر، ولا تعد في صدقتك	٥	١٠٦
لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد	٤	٢٨٩
لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد	٥	٦٣٦
لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة	٧	٦٣٤
لا تشددوا فيشدد الله عليكم	١٠	١٥
لا تشربوا في آنية الذهب والفضة	٤	٣٨٦
لا تشمن ولا تستوشمن	٧	٦١٥
لا تصدقوا أهل الكتاب	١٠	١٧٨
لا تصدقوا أهل الكتاب	١٠	٥٢١
لا تصدقوا أهل الكتاب	١٠	٥٤٤
لا تصروا الإبل	٩	٣٩٠

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
لا تصلوا إلى القبور	٢	١٦٣
لا تصلوا إلى القبور	٤	٢٨٥
لا تصلوا إلى القبور	٤	٥٢١
لا تصلوا إلى القبور، ولا تقعدوا عليها	٤	٥٤٤
لا تصلوا بعد الفجر حتى تطلع الشمس	٢	٥٥٦
لا تصوم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه	٦	٤٠٨
لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم	٩	٢٣
لا تطروني كما أطري عيسي ابن مريم	٩	١٦١
لا تعد في صدقتك	٥	١٠٥
لا تعذبوا بعذاب الله	٩	٣١٩
لا تعرضن علي بناتكن ولا أخواتكن	٦	١٩٣
لا تعرضن علي بناتكن ولا أخواتكن	٦	٢٣١
لا تغسلوهم فإن كل جرح	٤	٥٥٨
لا تغضب	١	٧٦
لا تغطوا رأسه	٥	٦٠١
لا تغلبنكم الأعراب على صلاتكم	٣	٧٤
لا تفعلوا، ولكن مثلًا بمثل	١٠	١٥٥
لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ	١	٣٦٥
لا تقبل له صلاة أربعين ليلةً	١٠	٥٦٨
لا تقتل نفس إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها	٩	٢١٥
لا تقتله فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله	٩	٢١٤
لا تقرأ الحائض ولا الجنب شيئًا من القرآن	١	٤٩٢
لا تقسم	٧	٥٦٧
لا تقل ذلك، ألا تراه قد قال: لا إله إلا الله	٢	٣٠١
لا تقولوا هكذا، لا تعينوا عليه الشيطان	٩	١٠٢
لا تقولوا: السلام على الله	٣	٣٩٢
لا تقوم الساعة حتى: يقبض العلم	٤	١٠١
لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق	١	٢١٥
لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي	١٠	١١٣
لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز	٩	٥٣٩
لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء	٩	٥٣٧
لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من		

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
مغربها	٧	٤١٠
لا تقوم الساعة حتى تعود جزيرة العرب مروجًا	١	٦٦
لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة	٩	٣٣٩
لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان	٩	٥٤٤
لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها	١٠	١٢٠
لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت	٥	٢٩٨
لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان	٩	٥٣٧
لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم	٤	١٠٢
لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال	٤	٦٣٠
لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر	٩	٥٣٧
لا تقوم الساعة وفي الأرض	١٠	٤٣٥
لا تقوم الساعة	٩	١٣٣
لا تقوموا حتى تروني وعليكم السكينة	٣	٥١١
لا تقوموا حتى تروني	١٠	٤٢٧
لا تقوموا كما تقوم الأعاجم	٧	٧١٣
لا تكتبوا عني ومن كتب	١٠	٧٠
لا تكحل، قد كانت إحداكن	٦	٦١٩
لا تكذبوا علي فإنه من كذب علي فليلج النار	١	٢٨٤
لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل	١	١٢٤
لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم	٩	١٠٦
لا تلبس ثوبًا مسه الزعفران	٥	٥٢٣
لا تلبسوا القمص، ولا العمائم	٧	٤٧٥
لا تلبسوا القميص ولا السراويلات	٥	٥٩٨
لا تلبسوا القميص، والسراويل	٧	٤٧٦
لا تلبسوا ثوبًا مسه زعفران، ولا ورس	٥	١٩٤
لا تلدوني	٩	٢٤٨
لا تلعنوه	٩	١٠٤
لا تلعنوه، فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله	٩	١٠٤
لا تمنعوا إماء الله مساجد الله	٢	٤٦٠
لا تمنعوا إماء الله مساجد الله	٣	٤٤٨
لا تمنعوا إماء الله مساجد الله	٣	٤٨٨
لا تمنوا الموت	١٠	٥
لا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم	٧	٢٣٧
لا تنتقب المحرمة، ولا تلبس القفازين	٥	٥٩٩
لا تنتقب المرأة	٧	٤٥٨
لا تنسنا يا أخي من دعائك	٤	٧٣
لا تنسنا يا أخي من دعائك	٩	٤٤٨
لا تنظر المرأة إلى عورة المرأة	٧	٥١٥
لا تنظروا إلى من هو فوقكم	٧	٣٥١
لا تنقطع التوبة حتى تخرج الشمس	٥	٥٩٥
لا تنقطع التوبة حتى تطلع	٧	١٤٧
لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة	١٠	٣٩١
لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة	٧	٤١١
لا تنكح الأيم حتى تستأمر	٦	٢٧٨
لا تنكح الايم حتى تستأمر	٩	٣٩٤
لا تنكح البكر حتى تستأذن	٦	١٥٨
لا تنكح البكر حتى تستأذن	٩	٣٩٤
لا تواصلوا	١٠	٨٨
لا توعي فيوعي الله عليك	٥	٣٤
لا توعي فيوعي الله عليك	٦	٦٤١
لا توكي فيوكى عليك	٥	٣٣
لا حرج ...لمن سعى قبل الطواف	١	٢٤٠
لا حرج عليك أن تطعميهم من معروف	٩	٥٨٩
لا حسد إلا على اثنتين	٦	٧٦
لا حسد إلا في اثنتين رجل	٦	٧٦
لا حسد إلا فى اثنتين	١	٢١٩
لا حسد إلا فى اثنتين	١٠	١١١
لا حسد إلا في اثنتين	١٠	١١١
لا حسد إلا في اثنتين	١٠	٥٢٩
لا حسد إلا في اثنتين	٩	٥٦٩
لا حسد إلا في اثنتين: رجل أتاه الله مالًا فسلطه	٤	٦٢٠
لا رضاع إلا ما أنشز العظم	٦	١٩٧
لا رضاع إلا ما فتق الأمعاء	٣	٦٢٨
لا رقية إلا في نفس	٧	٦١٠
لا شيء أغير من الله	٦	٤٤٢
لا صلاة بحضرة الطعام	١	٥٤٦
لا صلاة بحضرة طعام	٢	٦١٥

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
لا صلاة بحضرة طعام	٣	١٩٩
لا صلاة بحضرة طعام	٣	٢٢٢
لا صلاة بحضرة طعام	٦	٣٢٤،٤٠٥
لا صلاة بعد صلاتين: بعد العصر حتى تغرب	٥	٦٣٦
لا صلاة في حضرة طعام	٤	٣٢٩
لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب	١٠	٥٣٨
لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب	٣	٢٤١،٣٠٩
لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب	٣	٢٩٥
لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب	٤	١٥٤
لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب	٧	٦٨٩
لا صلاة لمن يقرأ بفاتحة الكتاب	٤	٥٢٩
لا صلاة لمنفرد خلف الصف	١	٣٢١
لا صلاة لمنفرد خلف الصف	٣	١٩٩
لا صوم فوق صوم داود	٧	٧٤٢
لا صوم يومين: الفطر والأضحي	٥	٦٣٦
لا ضرر ولا ضرار	٧	٦٨٠
لا ضير -أو لا يضير- ارتحلوا	٢	١٨٠
لا طاعة في معصية الله، وإنما الطاعة في المعروف	٦	٤٠٨
لا طاعة في معصية	١٠	٤١
لا طلاق في إغلاق	٧	٥٩٤
لا طيرة، وخيرها الفأل	٧	٤٢٦،٤٢٨
لا عدوى ولا صفر ولا هامة	٧	٣٩٢
لا عدوى ولا طيرة	١٠	٩٤
لا عدوى ولا طيرة	٧	٣٨١،٤٢٦،٤٢٨
لا عدوى، ولا طيرة	٧	٤٢٨
لا عقوبة فوق عشر ضربات إلا في حد	٩	١٩٥
لا عليك أن تستأمري أبويك	٦	٢٧٤
لا عليك أن تستأمري أبويك	٦	٤٩٢
لا قود إلا بالسيف	٩	٢٣١
لا مال لك إن كنت صادقًا	٦	٥٩٠
لا مال لك، إن كنت صدقت عليها	٦	٦٣٥
لا نذر في معصية	٧	٦٢٩
لا نستعمل على عملنا من أراده	٩	٣٢٣
لا نكاح إلا بولي	٦	٢٥٧

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
لا نورث ما تركنا صدقة	١٠	٩٤
لا نورث ما تركنا صدقة	٩	٢١،٢٣،٢٤،٢٧
لا هجرة بعد الفتح	١٠	٣٩٢
لا هجرة بعد الفتح	٧	٤٠٥
لا هجرة بعد الفتح	٧	٤٠٦
لا هجرة ولكن جهاد ونية	٥	٥٩٤
لا والذي نفسي بيده حتى أكون	٧	٥٤٢
لا والذي نفسي بيده رجال	٧	٤٥٥
لا والله لا أوثرهم بأحد أبدًا..(من قول عائشة)	١٠	١٣١
لا وصية لوارث	٦	٧٠
لا وضوء إلا من حدث أو ريح	١	٤٦٤
لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه	١	٣٨٧
لا ومقلب القلوب	١٠	٢٩٧
لا ومقلب القلوب	٧	٥٣٩
لا يؤذين بعضكم بعضًا في القراءة	٣	٦٣٣
لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه	١	٦٢
لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه	٩	٤٢٦
لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه	١	٦٠
لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه	٣	٣٠٨
لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه	٦	٢٤٢
لا يؤمن الرجل الرجل في سلطانه	٣	١٣٥،١٤٢
لا يبع بعضكم على بيع بعض	٩	١٩٨
لا يبقي أحد منكم إلا لد غير العباس	٩	٢٤٨
لا يبقى أحد منكم إلا لد	٩	٢٤٩
لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض	٢	٥٩٢
لا يبقي منكم أحد إلا لد وأنا أنظر	٩	٢٦٢
لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا	٢	٣٧٠
لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري	١	٥٩٥
لا يبولن أحدكم في الماء	٧	٧٣٠
لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه	٢	٤٦٠
لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه	٧	٤٦٣

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
لا يتحري أحدكم فيصلي	٢	٥٦٢
لا يتمنين أحد منكم الموت	٧	٢١٠
لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به	٩	٥٣٧
لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه	٧	٣٣٩
لا يتمنين أحدكم الموت	٧	٣٤٠
لا يتوضأ الرجل بفضل	٧	٢٩٧
لا يتوضأ رجل يحسن وضوءه	١	٤١٨
لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد	٦	٤٢٣
لا يجلد فوق عشر جلدات إلا في حد	٩	١٩٣
لا يجلد فوق عشر جلدات إلا في حد	٩	١٩٤
لا يجمع الله عليك موتتين...(من قول أبي بكر)	٤	٣٨٩
لا يجمع بين المرأة وعمتها	٦	٢١٧، ٢٣١
لا يجهر بعضكم على بعض في القراءة	٧	٢٧٧
لا يجهر بعضكم على بعض	٣	٣١٤
لا يحج بعد العام مشرك	٢	٢٢٦
لا يحدثني أحد منكم عن أحد شيئًا	٦	٢٩٣
لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث	٩	٣٤٤
لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله	٩	٢٣١
لا يحل دم امرئ مسلم	٩	٢٣٧
لا يحل لأحد بعد الأجل إلا أن يمسك...(من قول ابن عمر)	٦	٥٥٦
لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد	٤	٤٤٨
لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تحد على ميت	٤	٤٤٨
لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر	٦	٦١٦
لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر	٦	٦١٦
لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر	٦	٦٢١
لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر	٦	٦٢٤
لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر	٧	٣٨٠
لا يحل لامرأة تؤمن بالله	٤	١٨٢
لا يحل لامرأة تسأل طلاق أختها	٦	٣١٥
لا يحل لامرأة مسلمة تؤمن بالله واليوم الآخر	٦	٦٢٠
لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك	٥	٥٧٨
لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث	٦	٣٥٢
لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها	٦	٤١٠
لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه	٧	٦٦٧
لا يحل لمسلم أن يهجر	٧	٦٦٥
لا يحلف على يمين صبر	٩	٦٢٥
لا يخرجه إلا الصلاة	١	١٠٥
لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم	١	٤٠٣
لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم	٦	٤٥٦
لا يدخل أحد الجنة إلا أري مقعده من النار	٧	٤٩٦
لا يدخل الجنة قتات	٩	١٩٨
لا يدخل الجنة قتات	٩	٢١٣
لا يدخل القبر أحد قارف أهله البارحة	٤	٥٤٦
لا يدخل المدينة المسيح	٧	٤٠٧
لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال	٥	٦٦٥
لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال	٩	٥٤٦
لا يدخل المدينة رعب المسيح	٩	٥٤٦
لا يدخلن هؤلاء عليكن	٧	٥٥٥
لا يدخلن هذا عليكم	٦	٤٥٩
لا يرث المسلم الكافر	٩	٨٠
لا يرث المسلم الكافر	٩	٨٣
لا يرحم الله من عباده إلا الرحماء	٧	٣٢١
لا يرحم الله من لا يرحم الناس	١٠	٢١٣
لا يرد القدر إلا الدعاء	١٠	٤٥٤
لا يرد القضاء إلا الدعاء	١٠	٧٥
لا يرقون	٧	٣٥٦، ٤٦٦
لا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة	٣	٥٥٨
لا يزال العبد في صلاة ما كان في المسجد ينتظر	١	٤٧٥
لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر	٩	٤٨
لا يزال طائفة من أمتي	١٠	١٠٤
لا يزال قلب الكبير شابا	٧	٢٩٢
لا يزال من أمتي أمة قائمة	١٠	٤٣٥
لا يزال من أمتي قوم	١٠	٤٣٥
لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان	٩	٥٦٥

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
لا يزال يلقى فيها، وتقول: هل من مزيد؟	١٠	٢٦٦
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن	٩	٩٥، ١٠٦، ١٣٦
لا يزني الزاني حين يزني، وهو مؤمن	٤	٣٧٨
لا يزني الزاني، وهو مؤمن	٢	٤٩٦
لا يزني العبد حين يزني وهو مؤمن	٩	١٣٥
لا يسألني أحد عن شيء	١٠	٧٧
لا يستلقين أحدكم	٧	٦٣٨
لا يستلقين أحدكم	٧	٧٦٩
لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح	٩	٥٠٢
لا يصلي أحدكم في الثوب	٢	٢١٥
لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة	٣	٥٩٤
لا يصلين أحد العصر	٣	٥٩٤
لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة	١	٢٥٣
لا يصيب الإنسان من أذىً ولا هم	٧	٣٤٧
لا يعضد شجرها، ولا يقتلع شوكها	٩	٢٤٠
لا يعلم الغيب إلا الله	١٠	٢٣٧
لا يفرك مؤمن مؤمنةً	٦	٢٩٥
لا يفرك مؤمن مؤمنةً	٧	٣٨٥
لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ	٩	٣٧٤
لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث	١	٥٠٣
لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث	١	٥٥٠
لا يقبل الله صلاةً بغير طهور	١	٣٦٥ ٤٩٠
لا يقبل الله صلاة من شرب الخمر أربعين ليلةً	١	٣٦٦
لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا	١٠	٩٠
لا يقتسم ورثتي دينارًا	٩	٢٦
لا يقتل الوالد بالولد	٩	٢٣٢
لا يقتل مسلم بكافر	٩	٢٢٧
لا يقتل مسلم بكافر	٩	٢٣٢
لا يقتل مسلم بكافر	٩	٢٨٣
لا يقتل والد بولده	٩	٢٢٧
لا يقرأ الجنب	١٠	٥٤٨
لا يقربن مساجدنا	١	٤٧٥
لا يقض القاضي وهو غضبان	٣	٢٤٧
لا يقضي القاضي و هو غضبان	١	٢٦١
لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان	٩	٥٨٤
لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت	١٠	٤٦١
لا يقول أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت	١٠	٤٥٣
لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت	١	١٤٩
لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي	٧	١٩٥
لا يقيم الرجل الرجل	٧	٧٣٠
لا يكيد أهل المدينة أحد	٥	٦٦٤
لا يلبس الحرير في الدنيا	٧	٤٩٦
لا يلبس القمص ولا العمائم	٥	٢٠٦
لا يلبس القميص ولا السراويل	٢	٢٢٤
لا يلبس القميص ولا السراويل	٧	٤٥٧
لا يلبس القميص ولا العمامة	١	٣٦٠
لا يلبس القميص، ولا العمائم	٥	٦٠٥
لا يلبس المحرم القميص	٧	٤٥٦
لا يلبس المحرم القميص	٧	٤٧٦
لا يمس القرآن إلا طاهر	٦	٦٨
لا يمسن أحدكم ذكره بيمينه، وهو يبول	١	٤١٣
لا يمل الله حتى تملوا	١	١٢٤
لا يمل الله حتى تملوا	٤	٦٢٨
لا يمنع فضل الماء ليمنع به فضل الكلأ	٩	٣٨٧
لا يمنعن أحدًا منكم نداء بلال	٦	٥٧٣
لا يمنعن أحدكم أذان بلال	١٠	٣٢
لا يمنعن أحدكم أو أحدًا منكم	٣	١٦
لا يمنعك ذلك، فإنما الولاء لمن أعتق	٩	٧٢
لا يمنعنكم من سحوركم أذان بلال	٣	١٢
لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد، فيلج النار	٤	٤٠٩
لا يموتن أحدكم إلا وهو	٧	٣٤٤
لا ينبغي لأحد من أهل النار	١٠	٤٦٦
لا ينبغي لعبد أن يقول إنه خير من يونس	١٠	٥٤٠
لا ينبغي للإنسان أن يقرأ...(من قول ابن عباس)	١٠	١٨١
لا ينبغي لنبي يلبس	١٠	١٨٨
لا ينبغي هذا للمتقين	٢	٢٣٦

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
لا ينبغي هذا للمتقين	٧	٤٧١
لا ينصرف حتى يسمع صوتًا أو يجد ريحًا	١	٤٦٧
لا ينصرف حتى يسمع صوتًا	٢	٢٣
لا ينصرف حتى يسمع صوتًا، أو يجد ريحًا	١	٤٧٦
لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء	٧	٤٤٦
لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرًا	٧	٤٥٠
لا ينفتل أو لا ينصرف حتى يسمع	١	٣٧٢
لا ينفع ذا الجد منك الجد	١٠	٦٩
لا ينكح المحرم ولا ينكح ولا يخطب	٦	٢٣٨
لا، الثلث والثلث كثير	٩	١٣
لا. اعملوا فكل ميسر لما خلق له	٧	٤٠٢
لا...(في الكحل للمحدة)	٦	٦٢٠
لا...(لما سئل عن الكحل للمرأة وقت الإحداد)	٢	٢٠٢
لا...لما سأله عمر عن تطليق نسائه	١	٢٥٥
لا، إلا بالمعروف	٧	٥٥١
لا، إلا أن تطوع	١	١٣٣
لا، إلا أن تطوع	٤	١٢٢
لا، إن ذلك عرق	١	٣٧٤
لا، إن ذلك عرق، ولكن دعي الصلاة	٢	٢٣٤
لا، إنما ذلك عرق، وليس بحيض	١	٥٧١
لا، إنما هو بضعة منك	٢	١١
لا، إنه قد لعن الموصلات	٦	٤٢٤
لا، بل شربت عسلًا عند زينب	٦	٤٩٧
لا، بل يكسر...(من قول حذيفة)	٥	٣٤
لا، حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك	٦	٥٩٤
لا، حتى يذوق عسيلتها كما ذاق الأول	٦	٤٨٥
لا، حلوه، ليصل أحدكم نشاطه	٤	٢٤١
لا، هو حرام	٥	١١٠
لا، والذي نفسي بيده رجال	٧	٢٠٩
لا، ولكن آليت منهن شهرًا	٦	٤٢٢
لا، فمازلت أعرفها في لهوات الرسول	١	١٠٩

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
لأبعثن إليكم رجلًا أمينًا حق أمين	١٠	٣٩
لأتوهما ولو حبوًا	٢	٦٤٠
لأجل أن تستحد المغيبة، وتمتشط الشعثة	٥	٥٣٦
لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب	٩	٤٩٦، ٥٥٩
لأخرجن اليهود والنصارى	٢	٥٩٩
لإرجاع القائم، وإيقاظ النائم	٣	٣٦٠
لأطوفن الليلة على تسعين امرأة	٤	٥٦٣
لأطوفن الليلة على نسائي	١٠	٤٥٧
لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله	١	٣٣٠
لأعطين الراية غدًا رجلاً يحب الله ورسوله	١	٨١
لاعن النبي ﷺ بين رجل وامرأة من الأنصار	٦	٥٩٢
لأقربن صلاة النبي ﷺ	٣	٣١٣
لأقربن صلاة النبي...(من قول أبي هريرة)	٣	٣١٣
لأقضين بينكما بكتاب الله	١٠	٥٨
لأقضين بينكما بكتاب الله	٩	٦٤١
لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يغدو	٥	٩٢
لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة	٥	٨٤
لأن يهدي بك الله رجلًا واحدًا	٧	٥٩٨
لأنكن تكثرن اللعن، وتكفرن العشير	٦	٤١٣
لأنه إنما تركها من جرائي	٧	٣٨٧
لبث النبي ﷺ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن	٦	٥
لبسها النبي ﷺ محتاجًا إليها	٤	٤٤١
لبيك اللهم لبيك	٧	٥٧٣
لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك	٥	٢٣٠
لبيك إن العيش عيش الآخرة	٥	٥٣٢
لبيك إن العيش عيش الآخرة	٧	٢٨٥
لبيك عمرةً وحجةً	٥	٥٠٢
لتأخذوا عني مناسككم	١	٣٣٨
لتتبعن سنن من كان قبلكم	١٠	١١٣

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
لتتبعن سنن من كان قبلكم	٣	٣٨٥
لتتبعن سنن من كان قبلكم	٥	٦٢٧
لتتبعن سنن من كان قبلكم	٩	١٣٤
لتتبعن سنن من كان قبلكم؛ اليهود والنصارى	٤	٤٧٠
لتخرج العواتق ذوات الخدور	٥	٣٦٧
لتركبن سنن من كان قبلكم	١	١٥٩
لتركبن سنن من كان قبلنا	٢	٦٢٠
لتسون صفوفكم، أو ليخالفن	٣	١٨٧
لتقوم الساعة وقد انصرف	٧	٤١٦
لتلبسها صاحبتها من جلبابها	٢	٢٠٧
لتلبسها صاحبتها من جلبابها	٢	٢٣٠
لتلبسها صاحبتها من جلبابها	٤	١٦
لتلبسها صاحبتها من جلبابها، ولتشهد الخير	٥	٣٦٧
لتمش ولتركب	٥	٦٤٣
لجميع أمتي كلهم	٢	٤٥٢
اللحد لنا والشق لغيرنا	٤	٥٦٨
لخلوف فم الصائم أطيب	١٠	٤٧٦
لست أنا أحملكم	١٠	٥٦٢
لست لك بمخلية...(من قول أم حبيبة)	٦	٢٢٩
لست ممن يصنعه خيلاء	٧	٤٤٧
لعل الله أن يبارك لكما في ليلتكما	٤	٤٨٠
لعلك آذاك هوامك؟	٥	٥٤٨
لعلك أردت الحج	٦	١٧١
لعلك بلغت معهم الكدى	٤	٤٤٦
لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة	٦	٤٨٤
لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة	٧	٤٥٤
لعلك قبلت أو غمزت أو نظرت	٩	١٥٤
لعلك نفست	٢	١٦٤
لعلنا أعجلناك	١	٤٧٩
لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة	٧	٤٨٦
لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا	١	٥٥٩
لعلها تحبسنا، ألم تكن طافت معكن؟	٢	٢٣٨
لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا	١	٢٣٨
لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده	٩	١٠٦، ١١٨
لعن الله الواشمات والمستوشمات... (من قول ابن مسعود)	٧	٦٠٤
لعن الله الواشمات والمستوشمات... من قول (عبد الله)	٧	٦١٥
لعن الله الواشمات، والمستوشمات.. (من قول عبد الله)	٧	٥٩٢
لعن الله الواصلة والمستوصلة	٧	٥٩٦، ٥٩٧
لعن الله الواصلة والموصولة	٧	٦٠٣
لعن الله اليهود والنصارى	٤	٥٢٤
لعن الله من آوى محدثًا	١	٣٦٦
لعن الله من جلس وسط الحلقة	٩	١٩
لعن النبي ﷺ زائرات القبور	٢	٢٠٩
لعن النبي ﷺ المتشبهات من النساء بالرجال	١	٥٥١
لعن النبي ﷺ المحلل والمحلل له	٩	٣٧٣
لعن النبي ﷺ المخنثين من الرجال	٩	١٧٨
لعن النبي ﷺ المخنثين	٧	٥٥٤
لعن النبي ﷺ الواصلة والمستوصلة	٧	٥٩٧
لعن النبي ﷺ الواصلة	٧	٦٠٣
لعن النبي ﷺ زائرات القبور	٤	٤١١
لعن النبي ﷺ: الواشمة، والمستوشمة	٦	٦٢٦
لعن النبي ﷺ: الواصلة والمستوصلة	٧	٦١٥
لعن رسول الله ﷺ المتشبهين	٧	٥٥٣
لعن زائرات القبور	٣	٤٥٩
لعن زوارات القبور	٥	٤٤٣
لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور	٤	٥٤٣
لعنة الله على اليهود والنصارى	٢	٣٢٣
لعنة الله على اليهود والنصارى	٢	٥٨٥
لعنة الله على اليهود والنصارى	٧	٤٨٥
لعنة الله على اليهود والنصارى	٧	٧٠٣، ٧٠٤
لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور	٤	٥٢٠
لغدوة في سبيل الله وروحة	٧	٢٨٧
لقد أمر أمر ابن أبي كبشة	١	٣٣٢
لقد أمره ربه أن يبشرها	١٠	٤٧٠

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
لقد أنزلت علي الليلة سورة لهي أحب	٦	٥٥
لقد أوتيت مزمارًا من مزامير داود	٦	١١٠
لقد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور	٤	١٣٨
لقد تعلمت النظائر	٦	٣٥
لقد توفي النبي ﷺ وما في رفي...(من قول عائشة)	٧	٣٢٩
لقد جعلتمونا كلابًا...(من قول عائشة)	٢	٤٢٦
لقد حكمت بها حكم به الملك	٧	٧١٢
لقد خشيت أن يطول بالناس زمان...(من قول عمر)	٩	١٥٦
لقد خشيت أن يكون قد عجلت...(من قول ابن عوف)	٤	٤٣٨
لقد خشيت على نفسي	٧	٣٧٣
لقد ذكرني هذا صلاة محمد ﷺ	٣	٣٦٩
لقد رأيت الآن الجنة والنار	٣	٢٢٨
لقد رأيت الذين عد رسول ﷺ صرعى في القليب	١	٥٩٨
لقد رأيت النبي ﷺ كثيرًا ينصرف عن يساره	٣	٤١٠
لقد رأيت النبي ﷺ كثيرًا ينصرف عن يساره	٣	٤٢٤
لقد رأيتني مضطجعةً على السرير فيجيء النبي ﷺ	٢	٤١٩
لقد رأيتني وإن عمر موثقي...(من قول سعيد بن زيد)	٩	٣٥٧
لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني	٧	٤٩٦
لقد عذت بعظيم، الحقي بأهلك	٦	٤٨٠
لقد عرفت النظائر التي كان النبي ﷺ يقرن بينهن	٣	٢٨٥
لقد فرطنا في قراريط كثيرة...(من قول ابن عمر)	٤	٥١٦
لقد كان رسول الله ﷺ يصلي الفجر	٢	٢٣٠
لقد كانت إحداكن تمكث في بيتها	٧	٣٨٠
لقد كنت أنشد فيه...(قول حسان لعمر)	٢	٣٤٦
لقد نزلنا معه هاهنا، ونحن يومئذ خفاف	٥	٥٢٥
لقد هممت أن لا أدع فيها صفراء	٥	٣٠٠
لك الأجر مرتين	١	٢٦٥
لك ذلك وعشرة أمثاله...(قدسي)	١٠	٢٥٧
لك ما نويت يا يزيد	٥	١٠
لكل أمة أمين	١٠	٣٩
لكل أمة أمين	٧	٤٠١
لكل عمل كفارة	١٠	٥٤٠
لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به	٩	٣٩٢
لكل مسكين نصف صاع	٧	٣٧٦
لكل نبي حواري وحواري الزبير	١٠	٤٢
لكل نبي حواري، وإن حواري الزبير	٩	١٧٤
لكل نبي دعوة	١٠	٤٦٠
لكل نبي دعوة	٧	١٣٧
لكل نبي سأل	٧	١٣٧
لكن أحسن الجهاد وأجمله	٥	٦٢٣
لكن الله لا يستحي من الحق	٦	٢٤٧
لكن رسول الله ﷺ أذن لي في البدو	٩	٥١١
لكني أصلي وأنام، وأصوم، وأفطر	٦	١٣٧
لكي تمتشط الشعثة، وتستحد المغيبة	٦	١٥٥، ٤٦٨
للابنة النصف ولابنة الابن السدس	٩	٤٧
للصائم فرحتان	١٠	٤٧٦
لله أفرح بتوبة عبده من رجل	٧	١٤٦
لله تسعة وتسعون اسمًا	٧	٢٧٩
لله تعالى على كل مسلم حق أن يغتسل	٣	٤٨٨
للهع أشد أذنًا إلى الرجل	١٠	٤٦٩
لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة	١	١٣٧
لم أر النبي ﷺ يستلم من البيت إلا الركنين	٥	٣٢٢
لم أر رسول الله ﷺ يمس إلا اليمانيين	١	٤٣٥
لم أر رسول الله ﷺ يمس إلا اليمانيين	٧	٥٢٥
لم أر رسول الله ﷺ يهل حتى تنبعث به راحلته	٧	٥٢٥
لم أر منظرًا أفظع منه	١	٥٠٨
لم أزل حريصًا على أن أسأل عمر بن الخطاب...(من قول ابن عباس)	٦	٣٨٧
لم أنس ولم تقصر	١٠	٢٤

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
لم أنس ولم تقصر	٢	٣٨٩
لم أنس ولم تقصر	٤	٣٥٧
لم تحلي له حتى يذوق من عسيلتك	٧	٤٩٢
لم تقطع يد سارق علي عهد النبي ﷺ في أدني من ثمن	٩	١١٧
لم تكن تقطع يد السارق في أدني من حجفة أو ترس	٩	١١٦
لم تكن قبيلة من الجن	١٠	٤٦٨
لم يأذن الله لشيء ما أذن للنبي	٦	٧٣
لم يأكل النبي ﷺ على خوان	٧	٣٢٩
لم يبق من النبوة إلا المبشرات	٩	٤١٨
لم يبلغ النبي ﷺ ما يخضب	٧	٥٦٥
لم يبلغوا الحلم	١٠	١٠٣
لم يزل النبي ﷺ يلبي حتى رمى جمرة العقبة	٥	٢٢٣
لم يصل رسول الله ﷺ صلاة الليل قاعدًا قط	٤	٢٠٧
لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة	٧	٤١٤
لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات	٦	١٦٣
لم يكن الرسول يصوم يوم الأضحى...(من قول ابن عمر)	٧	٦٣٩
لم يكن النبي ﷺ على شيء من النوافل	٤	٢٦٣
لم يكن يؤذن يوم الفطر	٣	٦٢٠
لم ينشب ورقة أن توفي	٦	٥٦
لما اشتد برسول الله ﷺ وجعه	٣	١٢٤
لما بنيت الكعبة ذهب النبي وعباس ينقلان الحجارة	٥	٢٧٤
لما تزوج النبي ﷺ زينب دخل القوم	٧	٦٧٠
لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش	٧	٧٣٤
لما ثقل النبي ﷺ واشتد وجعه	٣	٩١
لما خلق الله الخلق كتب فى كتابه	١٠	٣١٨
لما دخل النبي ﷺ البيت دعا في نواحيه كلها	٢	٢٦٩
لما دعا أو أراد أن يدعو استقبل القبلة، وحول رداءه	٤	٩٢
لما عرس أبو أسيد الساعدي دعا النبي ﷺ	٦	٣٦٤
لما قدم النبي ﷺ مكة استقبلته أغيلمة	٥	٥٣٤
لما قدم النبي ﷺ مكة	٥	٤٥٨
لما قدم النبي ﷺ مكة	٧	٦٣٢
لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر	٥	٦٧٠
لما قدم على النبي ﷺ وفد بني تميم	١٠	٩٢
لما قدم على النبي ﷺ وفد بني تميم	١٠	٩٣
لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه	١٠	٤٢٧
لما قضى الله الخلق	١٠	٥٥٣
لما كان يوم أحد هزم المشركون...(من قول عائشة)	٩	٢٥١
لما نزل جبريل بالوحي	١٠	٤٦٨
لما نزلت آية الصدقة...(من قول أبي مسعود)	٤	٦٣٢
لمن شاء ...(في حديث	٣	
لمن شاء	٢	٤١١
لموضع سوط أحدكم في الجنة خير	٧	٣٤٥
لن تخلف بعدي فتعمل عملًا	٩	٣٣
لن نعدم من رب يضحك خيرًا	٣	٣٤٠
لن يبرح الناس يتساءلون	١٠	٨٠
لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله	٩	٤٤٩
لن يدخل أحدًا عمله الجنة	٧	٣٤٠
لن يزال المؤمن في فسحة من دينه	٩	٢١٢
لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة	٩	٥٢٤
لن يقبض نبي قط	٧	٢٠٨
لن ينجي أحدًا منكم عمله	٧	٣٣٩
لن يوافق عبد يوم	٧	٢٩٤
الله أحق أن يستحيا منه من الناس	٢	١٥
الله أرحم بخلقه أو بعباده	٧	٣٤٥
الله أعلم بمن يكلم في سبيله	٧	٥٠٣
الله أفرح بتوبة عبده	٧	١٥٠
الله أكبر خربت خيبر	٣	٥٩٧
الله أكبر سنة أبي القاسم ﷺ(حج التمتع)	٥	٤٠٨

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
الله أكبر	٣	٥٩٨
الله أكبر، إنها السنن	١	٢٥٦
الله أكبر، خربت خيبر	٢	٢٢٨
الله الواحد الصمد ثلث القرآن	٦	٥٩
الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب؟	٦	٦٣١
الله يعلم أن أحدكما كاذب	٦	٥٩٠
الله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب؟	٦	٥٩٠
اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد	٩	٦٣٠
اللهم اجعل بالمدينة ضعفي	٥	٦٦٩
اللهم اجعل في عظامي نورًا	٧	١٥٩
اللهم اجعل في قلبي نورًا	٧	١٥٥
اللهم اجعلها رياحًا ولا تجعلها ريحًا	٤	٩٩
اللهم اجعلها سنين كسني يوسف	٤	٦٨
اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف	٤	٨٤
اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي	٧	٢١٠
اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي	٧	٣٤٠
اللهم ارحم المحلقين	٥	٤٥٢
اللهم ارحمني ومحمدًا، ولا ترحم معنا.. (الأعرابي)	١	٥٦٣
اللهم ارزق آل محمد قوتًا	٧	٣٣٧
اللهم ارزقني شهادةً في سبيلك	٥	٦٧٠
اللهم اسقنا	٤	٨٨
اللهم اسقنا، اللهم اسقنا	٤	٧٦
اللهم أسلمت نفسي إليك	٧	١٥٤
اللهم اشدد وطأتك على مضر	٣	٣١٨
اللهم اشدد وطأتك على مضر	٤	٦٨
اللهم اشف سعدًا	٧	٣٤٩
اللهم أشهد	٦	١٢٠
اللهم أطل عمره، وأكثر ماله	٦	٣٣٢
اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف	٧	٢٥٩
اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا	٤	٧٨
اللهم أغثنا	٧	١٩٨
اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين	٢	٦٣٨
اللهم اغفر لعبيد أبي عامر	٧	١٨٩، ٢٤٥
اللهم اغفر للمحلقين	٥	٤٥٣
اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وظلمنا وهزلنا وجدنا	٤	٨٧
اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه	٤	٥٥٢
اللهم اغفر له، اللهم ارحمه	٢	٣٣٥
اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي	٧	٢٦٦
اللهم اغفر لي ذنبي كله	٧	٦١٨
اللهم اغفر لي وارحمني	٧	٣٤٠
اللهم اغفر لي	٧	١٦٤
اللهم اغفرلي ذنبي كله	٧	١٩٤
اللهم أكثر ماله وولده	٧	١٩١، ٢٤٢
اللهم أكثر ماله وولده	٧	٢٤٢
اللهم أكثر ماله وولده، وأطل عمره	٩	٢٩٠
اللهم أكثر ماله	٧	٢٠٤
اللهم الرفيق الأعلى	٧	٢٠٨
اللهم الرفيق الأعلى	٧	٤١٣
اللهم العن شيبة بن ربيعة	٥	٦٧٠
اللهم العن فلانًا وفلانًا وفلانًا	٩	١٠٧
اللهم العن فلانًا وفلانًا	٧	٢٥٩
اللهم أمض لأصحابي هجرتهم	٤	٤٧١
اللهم أمض لأصحابي هجرتهم	٧	٢٣٩
اللهم إن الخير خير الآخره	٩	٦٥٠
اللهم إن كان لي عندك خير...(من قول ابن عمر)	٩	٤٦٦
اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا...(من قول عمر)	٤	٧٢
اللهم إنا نتوسل إليك بنبينا...(من قول عمر)	٧	١٨٥
اللهم أنت الأول فليس قبلك	١٠	٨١
اللهم أنت السلام، ومنك السلام	٣	٤١٠
اللهم أنت عبدي وأنا ربك	٧	١٤٩
اللهم أنت عبدي	٧	٣٧٦
اللهم أنتم من أحب الناس إلي	٦	٣٥٨
اللهم أنج الوليد بن الوليد	٣	٣١٨
اللهم أنج عياش ابن أبي ربيعة	٤	٦٨

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة	٩	٣٥٣
اللهم أنج عياش	٧	٢٦١
اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد	٧	١٩٧
اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد	٧	٢٠١
اللهم إني أحبه فأحبه	٧	٥٥١
اللهم إني أحرم ما بين جبليها	٧	٢٢٤
اللهم إني أسألك خيرها، وخير ما فيها	٤	٩٩
اللهم إني أستخيرك بعلمك	٤	٢٥٣
اللهم إني أعوذ بك من البخل	٧	٢٢٧، ٢٣٤، ٢٥٣
اللهم إني أعوذ بك من الجبن،	٧	٢٤٠
اللهم إني أعوذ بك من الخبث	١	٣٩٠
اللهم إني أعوذ بك من الخبث	٧	١٨٢
اللهم إني أعوذ بك من العجز	٧	٢٣٢
اللهم إني أعوذ بك من الكسل	٧	٢٣٢، ٢٤٠
اللهم إني أعوذ بك من الكسل	٧	٢٣٤
اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن	٧	٢٢٤
اللهم إني أعوذ بك من الهم	٧	٢٣٤
اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر	٣	٣٨١
اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار	٧	٢٤١
اللهم إني أعوذ من عذاب جهنم	٧	٢٢٢
اللهم إني ظلمت نفسي	٧	١٨١
اللهم اهد دوسًا وأت بهم	٧	٢٦٥
اللهم أيده بروح القدس...(لحسان بن ثابت)	٢	٣٤٥
اللهم بارك لأمتي في بكورها	٢	٣٠٤
اللهم بارك لنا في شأمنا	٩	٥١٥
اللهم بارك لنا في شامنا، وفي يمننا	٤	١١٠
اللهم بارك لهم فى مكيالهم	١٠	١٣٢
اللهم بارك لهم في مكيالهم	٧	٦٥٣
اللهم باسمك أحيا وأموت	١٠	٣٠٢
اللهم باسمك أموت وأحيا	٧	١٨٣
اللهم باسمك أموت	٧	١٥٣
اللهم باعد بيني وبين خطاياي	٣	٢٢٥
اللهم باعد بيني وبين خطاياي	٣	٢٦٩
اللهم باعد بيني وبين خطاياي	٣	٥٦٣
اللهم باعد بيني وبين خطاياي	٧	١٩٩

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
اللهم بعلمك الغيب	٧	١٨٥
اللهم بيِّن	٦	٥٨٨، ٥٩٣
اللهم بين	٩	٢٠٠
لهم تأتون بالبينة علي من قتله	٩	٢٧٠
اللهم ثبته واجعله هاديًا مهديا	٧	١٩٠، ١٩١
اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد	٥	٦٧٠
اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة	٧	٣١٩، ٣٥١
اللهم حبب إلينا المدينة	٧	٢٣٥
اللهم حبب إلينا المدينة...وانقل حماها إلى الجحفة	١	٣٥٩
اللهم حوالينا ولا علينا	٣	٥٥٤
اللهم حوالينا ولا علينا	٤	٧٩، ٨٢، ٨٨، ٩٦
اللهم حوالينا ولا علينا	٧	٢٠٤
اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والجبال	٤	٧٦
اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام	٤	٧٨
اللهم حوالينا	٧	١٩٨
اللهم رب الناس مذهب الباس	٧	٤١٧
اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنةً	٧	٢٥٢
اللهم ربنا لك الحمد، أنت قيم السموات والأرض	١٠	٤١١
اللهم ربنا ولك الحمد فى	١٠	١٤٤
اللهم سبع كسبع يوسف	٤	٧٠
اللهم سلم اللهم سلم	١٠	٢٤٣
اللهم صل على آل أبي أوفي	٥	١٢٠
اللهم صل على آل أبي أوفى	٧	٢١٩
اللهم صل على آل فلان	٥	١٢٠
اللهم صل على آل فلان	٧	١٩٠
اللهم صل على محمد وأزواجه	٧	٢٢٠
اللهم صل على محمد	٧	١٨٥
اللهم صل على محمد	٧	٢١٨
اللهم صيبًا نافعًا	٤	٩٥
اللهم علمه الكتاب	١	٢٢٣
اللهم علمه الكتاب	١٠	٥٢

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
اللهم على الآكام والظراب والأودية ومنابت الشجر	٤	٨٠
اللهم على رءوس الجبال والآكام وبطون الأودية	٤	٨٠
اللهم على ظهور الجبال والآكام وبطون الأودية	٤	٨٢
اللهم عليك بأبي جهل	١	٥٩٨
اللهم عليك بأبي جهل	٧	٢٥٩
اللهم عليك بعمرو بن هشام	٢	٤٣٨
اللهم عليك بقريش	٢	٤٣٨
اللهم عمي عنهم الأخبار	٧	٢٩٩
اللهم فأيما مؤمن سببته	٧	٢٢١
اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل	١	٢٢٤
اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل	٩	١٦٢
اللهم فقهه في الدين	١	٣٩٣
اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل	١	٦٢٠
اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل	٣	٣٥٦
اللهم لا خير إلا خير الآخره	٢	٣١١
اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة	٧	٢٨٤
اللهم لا عيش إلا عيش الآخره	٧	٢٨٤
اللهم لا مانع لما أعطيت	١٠	٧٢
اللهم لك الحمد أنت رب السموات والأرض	١٠	٢٧٣
اللهم لك الحمد أنت قيم السموات	٤	٢١٤
اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض	١٠	٤٨٣
اللهم لك الحمد أنت نور السموات	٧	١٦٠
اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك	٧	٣٠٧
اللهم منزل الكتاب	١٠	٤٧٤
اللهم منزل الكتاب	٧	١٩٤
اللهم منزل الكتاب	٧	٢٦٠
اللهم هالة بنت خويلد	٧	٦٩٦
اللهم هذا قسمي فيما أملك	٩	٣٥٥
اللهم هون علينا سفرنا	٧	٢٤٩
اللهم وليديه فاغفر	٩	٢١٣
اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك	٩	٥١١
لو اتخذت من أمتي خليلًا	٧	٧٢٤
لو أحسنت إلى إحداهن الدهر	٢	١٧٢
لو أخذت منه	٤	٣٣٠
لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن	٣	٤٤٢
لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت	٥	٣٦٦
لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي	٩	٦٧٤
لو استقبلت من أمري ما استدبرت	٥	٥١٥
لو استقبلت من أمري ما استدبرت	٩	٦٧٣
لو أصبح موسى فيكم	١٠	٥٥٨
لو اطلع في بيتك أحد، ولم تأذن له	٩	٢٥٠
لو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله...(من قول ابن مسعود)	٦	٤١
لو أعلم أن أحدًا أعلم مني بكتاب الله	٣	٢٩٧
لو أعلم أن أحدًا أعلم مني بكتاب الله...(من قول ابن مسعود)	٣	٢٩٧
لو أعلم أنك تنتظرني لطعنت به في عينيك	٩	٢٧٩
لو أعلم أنك تنظر لطعنت به	٧	٦٧٢
لو أعلم أني إن زدت عن السبعين	٧	٤٦١
لو أقسم على الله لأبره	٧	٥٦٧
لو أن ابن آدم أعطي واديًا	٧	٣١١
لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله	١	٣٨٦
لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتى أهله	١٠	٣٠٢
لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله	٧	٢٥١
لو أن امرأ اطلع عليك بغير إذن	٩	٢٧٩
لو أن فاطمة فعلت ذلك لقطعت يدها	٩	١١٢
لو أن لابن آدم ملء واد	٧	٣١١
لو أن لابن آدم واديًا من ذهب	٧	٣١١
لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا	٣	٥٠٠
لو أنها لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي	٦	١٩٣
لو أني أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا	١	٢٤٦
لو تأخر الهلال لزدتكم	١	٢١٠

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
لو تأخر الهلال لزدتكم	١٠	٤٦٣
لو تأخر الهلال لزدتكم	١٠	٨٨
لو تركته بين	٤	٥٧٣
لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا	٤	١٢٤
لو تعلمون ما أعلم لضحكتم	٧	٣٨٠، ٣٨١
لو تعلمون ما أعلم	٧	٤٠١
لو تعلمون ما أعلم	٧	٥٤٢
لو تفتح عمل الشيطان	١٠	١٢
لو تناولته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا	١	٥٠٧
لو توكلتم على الله حق توكله	١٠	٣٤٣
لو دخلوها لم يزالوا فيها إلى يوم القيامة	١٠	٤٠
لو دخلوها ما خرجوا منها أبدًا	٩	٥٧٣
لو دعيت إلى كراع لأجبت	٦	٣٥٦
لو راجعته	٦	١٨٢
لو راجعته	٦	٥٤٢
لو رأى الرسول ما رأينا من النساء (من قول عائشة)	٢	٤٦٠
لو رأيتموني وإبليس	٤	٣٢٧
لو رجعتم إلى أهليكم صلوا	٣	٣٥٧
لو رجمت أحدًا بغير بينة رجمت هذه	٦	٥٨٨
لو رجمت أحدًا بغير بينة رجمت هذه	٩	٢٠٠
لو رجمت أحدًا بغير بينة لرجمت هذه	٦	٥٩٣
لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها	١٠	٤٣٦
لو سلك الناس واديًا أو شعبًا	١٠	١١
لو سلك الناس واديًا	٧	٥٥٤
لو طلقت مرةً أو مرتين...(من قول ابن عمر)	٦	٤٩٢
لو علم النبي ﷺ من النساء ما حصل..(من قول عائشة)	٢	٤٦١
لو علمت أنك تسمعني لحبرته لك تحبيرًا	٦	١١٠
لو علمت أنك تنظر لطعنت بها في عينك	٧	٥٨٦
لو قال إن شاء الله، لم يحنث	١	٣٠١
لو قال: إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله	٧	٥٤٨
لو قال: إن شاء الله لكان دركًا لحاجته	٧	٦٦٣
لو قال: إن شاء الله لم يحنث	٧	٦٦٥
لو قال: إن شاء الله	١٠	٤٤٨
لو قال: إن شاء الله. لم يحنث	٦	٤٦٥
لو قال: إن شاء الله. لم يحنث	٧	٦٦٢
لو قال: إن شاء الله. لم يحنث، وكان دركًا لحاجته	٢	٥٨١
لو قلت: نعم. لوجبت	١٠	٦٧
لو كان سليمان استثنى لحملت	١٠	٤٥٨
لو كان شيء سابق القدر	٧	٦٠٦
لو كان على أمك دين أكنت قاضيته	٥	٦١٤
لو كان عليها دين أكنت قاضيه	٧	٦٣٤
لو كان عندي أحد ذهبًا	٩	٦٧٣
لو كان لابن آدم واديان من مال	٧	٣١١
لو كان لي مثل أحد ذهبًا ما يسرني	٧	٣٢٠
لو كان موسى بين أظهركم	١٠	٥٥٨
لو كان موسى حيا	١٠	٥٥٧
لو كنت أعلم لحبرته لك تحبيرًا...(من قول أبي موسى)	٦	٢٠
لو كنت راجمًا امرأةً عن غير بينة	٩	٢٠٠
لو كنت راجمًا امرأةً	١٠	١٠
لو كنت متخذًا خليلًا من أمتي	٢	٣٧٠
لو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر	٤	٢٧٠
لو كنت متخذًا من أمتي خليلًا	١٠	٢٨٦
لو كنت متخذًا من أمتي خليلًا	٩	٤٣
لو كنت متخذًا من هذه الأمة خليلًا	٩	٤٢
لو لبثت في السجن ما لبث يوسف	٩	٤٤٠
لو لم أحك شعر رأسي إلا برجلي لحككت	٥	٦٠٣
لو لم أر النبي ﷺ يسجد...(سجدة الانشقاق)	٤	١٦٣
لو لم تكن ربيبتي ما حلت لي	٦	٢٢٩
لو مد بي الشهر لواصلت	١٠	١٠
لو يعطى الناس بدعواهم	٩	٦٢٣
لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه	٢	٤٠٠
لو يعلم المار بين يدي المصلي	٢	٤٢٤

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول	٢	٦٤٠
لو يعلم الناس ما في النداء، والصف الأول	٦	٤٣٢
لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار	٧	٥٥٤
لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار	١٠	١١
لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم أن يصلوها	٢	٥٣٥
لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك	١	١٠٨
لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك	١٠	١٤
لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك	٣	٤٧٤
لولا أن أشق على أمتي	١٠	١٠
لولا أن أشق على أمتي	١٠	١٣
لولا أن النبي ﷺ نهانا أن ندعو بالـموت	٧	٢١٠
لولا أن رسول الله ﷺ نهانا أن ندعو بالموت	١٠	٥
لولا أن رسول الله ﷺ نهانا أن ندعو بالـموت	٧	٢١٠
لولا أن رسول الله ﷺ نهانا أن ندعو بالموت	٧	٣٠٦
لولا أن قومك حديث عهد بالجاهلية	١٠	١١
لولا أن قومك حديث عهد	٧	٦٥٩
لولا أن قومها حديثو عهد بكفر لبنى الكعبة	١	٣٤٤
لولا أن معي الهدي لأحللت	٥	٢٤١
لولا أنت ما اهتدينا	١٠	٧
لولا أنه أمر حق، ووعد صدق، وسبيل نأتيه	٤	٤٨٦
لولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك...(من قول عمر)	٥	٤٦٩
لولا أني رأيت رسول الله ﷺ فعله	٤	١٩١
لولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك	٥	٣٢٣
لولا حداثة قومك بالكفر	٥	٢٨٣
لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت	٥	٢٧٥
لولا ما كان من كتاب الله لكان لي ولها شأن	٦	٥٨٧
لولا ما مضى من كتاب الله	٩	٢٠٢

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة	٤	٦٣١
ليبلغ الشاهد الغائب	١٠	٢٧
ليت رجلًا صالحًا من أصحابي يحرسني الليلة	٩	٦٧٨
ليحجن البيت وليعتمرن	٥	٢٩٨
ليدخلن الجنة من أمتى سبعون ألفًا	٧	٤٦٥
ليدخلن الجنة من أمتى سبعون	٧	٤٧٩
ليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر	٩	٥٨٧
ليراجعها	٦	٤٨٠
ليرجع قائمكم ويوقظ نائمكم	٣	١٠
ليردن علي ناس من أصحابي الحوض	٧	٥١٢
ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك	٧	٤٦٠
ليس التحصيب بشيء...(من قول ابن عباس)	٥	٤٩١
ليس السنة بأن لا تمطروا	١	١٥١
ليس الغنى عن كثرة العرض	٧	٣٢٤
ليس المسكين الذي ترده الأكلة والأكلتان	٥	٨٩
ليس المسكين الذي يطوف على الناس	٥	٩٢
ليس المسكين بالطواف الذي ترد اللقمة واللقمتان	٤	٤٨٣
ليس المسكين بالطواف	١	٥٧
ليس الواصل بالمكافئ	١	٣٠
ليس ذاك ولكن المؤمن إذا حضره الموت	٧	٤١٢
ليس صلاة أثقل على المنافقين	٣	٧٧
ليس على الأرض من أنجاس القوم شيء	٢	٢٨
ليس على المسلم صدقة في عبده	٥	٦٩
ليس على المسلم في عبده ولا فرسه	٥	٤٢
ليس على المسلم في فرسه وغلامه صدقة	٥	٦٩
ليس في النوم تفريط	٢	٤٤٢
ليس في النوم تفريط	٢	٥٤٣
ليس فيما أقل من خمسة أوسق صدقة	٥	١٠٠
ليس فيما دون خمس أواق صدقة	٤	٦١٧

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
ليس فيما دون خمس أوسق صدقة	٤	٦٠٦
ليس فيما دون خمس ذود صدقة من الإبل	٥	٤٥
ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة	٥	٩٤
ليس فيما دون خمسة أوسق من التمر	٥	٦٤
ليس فيهم حملة العرش	٧	٤٢٧
ليس كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه	٩	٣٤٢
ليس لنا مثل السوء	٣	٣٦٥
ليس من البر الصيام في السفر	٢	١٧٧
ليس من البر الصيام في السفر	٢	٤٥٥
ليس من البر الصيام في السفر	٦	٣٣٧
ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال	٥	٦٦٧
ليس من نفس تقتل ظلمًا	١٠	١١٤
ليس منا من تطير	٧	٣٥٨
ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب	٤	٤٧٤
ليس منا من ضرب الخدود	٤	٤٧٥
ليس منا من لطم الخدود	٤	٤٦٤
ليس منا من لم يتغن بالقرآن	١٠	٥٢٧
ليست السنة ألا تمطروا	٤	١١٤
ليست السنة ألا تمطروا	٤	٩٥
ليست نفس مخلوقة إلا الله خالقها	١٠	٣٣٤
ليصيبن أقوامًا سفع من النار	١٠	٤٢٢
ليكونن أقوام من أمتي يستحلون	٦	٧٤
ليلني منكم أولوا الأحلام والنهى	٣	٥١٤
ليلني منكم أولوا الأحلام والنهى	٣	٥٤٦
لينتهن عن ذلكم أو لتخطفن أبصارهم	٣	٢٣٠
ليوقظ النائم ويرجع القائم	٣	٥٢٣
المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله	٧	٤١٢
المؤمن الذي يخالط الناس	٧	٣٩٠
المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة	٦	١٢٨
المؤمن القوي خير	١٠	١٢
المؤمن لا ينجس حيا، ولا ميتًا	١	٤٨٩
المؤمن لا ينجس	١	٤٧٢
المؤمن لا ينجس	٤	٤١٣
المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم		

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
أدناهم	٩	٢٢٥
ما أبقيت لأهلك	٥	٦
ما اجتنبت الكبائر	٢	٤٥٣
ما أجد لكم إلا أن تلحقوا بإبل رسول الله	٩	١٢٤
ما أحب أن لي مثل أحد ذهبًا أنفقه كله	٤	٦٢٠
ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله	١٠	٢٢٧
ما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا	١	٢٢٥
ما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا	٣	٤٣
ما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا	٤	٥١٢
ما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فاقضوا	٢	١٥٧
ما أدري ما يفعل به؟	٩	٤٤٩
ما أذن الله لشيء ما أذن للنبي ﷺ	١٠	٤٦٨
ما أذن الله لشيء ما أذن للنبي	٦	٧٣
ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي	١٠	٥٤٦
ما أرى شيطانك إلا قد تركك فأنزل الله	٦	٩
ما أسفل من الكعبين ففي النار	١	٤٢٧
ما أسفل من الكعبين ففي النار	٧	٤٤٧
ما أسفل من الكعبين ففي النار	٧	٤٥٢
ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار	٧	٤٥٠
ما اعتمر رسول الله ﷺ في رجب	٥	٥٠٤
ما أعددت لها؟	٩	٥٨٠
ما أعلم النبي ﷺ رأى رغيفًا مرققًا، حتى لحق	٧	٣٣٧
ما أعلم والله خير مما لا أعلم...(من قول أبي سعيد لمروان)	٣	٦١٧
ما أكل آل محمد ﷺ أكلتين...(من قول عائشة)	٧	٣٣٦
ما السرى يا جابر؟	٢	٢١٦
ما ألفاه السحر عندي إلا نائمًا... (قول عائشة)	٤	٢٢٧
ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم	٧	٢٩٨
ما ألفيته سحرًا إلا نائمًا	٣	١٩٧
ما المسئول عنها بأعلم من السائل	١٠	٢٣٣
ما أمرت بتشييد المساجد	٢	٣٣٩
ما أنا إلا رجل من المسلمين...(من		

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
قول علي)	١	٤٧٧
ما أنا إلا رجل من المسلمين...(من قول علي)	١	٦٣٥
ما أنا حملتكم بل الله حملكم	٧	٦٦١
ما أنا حملتكم،	٧	٥٣٥
ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء	٩	١٩٩
ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط	٩	٢٦٥
ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاءً	٧	٣٥٥
ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا	١٠	٣٠٥
ما أنهر الدم	١٠	٥٤
ما أنهر الدم، وذكر اسم الله عليه	١	٤٦١
ما أهل رسول الله ﷺ إلا من عند المسجد	٥	٢٠٤
ما أولم النبي ﷺ على شيء من نسائه ما أولم على زينب	٦	٣٤٥
ما بال أحدكم يقوم مستقبل ربه فيتنخع	٢	٤٦٧
ما بال أقوام يتنزهون	١٠	٩١
ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء	٣	٢٣٠
ما بال أقوام يشترطون شروطًا ليست في كتاب الله	٢	٣٤٨
ما بال أقوام يشترطون شروطًا	٦	١٨٢
ما بال أقوام يقولون كذا وكذا، إني أصلي	١	١١٣
ما بال الرجل نستعمله على عمل فيرجع	٥	١٣٢
ما بال العامل نبعثه	٩	٦١٧
ما بال العامل نستعمله	٧	٥٤٥
ما بال هذا؟	٥	٦٣٩
ما بال هذه النمرقة	٢	٣٢٢
ما بال هذه النمرقة؟	٦	٣٦١
ما بال هذه النمرقة؟	٧	٦٢٧
ما بالكم؟...(لما خلعوا نعالهم)	١	٥٧٤
ما بعث الله من نبي إلا أنذر	١٠	٣٢٩
ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة	٩	٦٤٦
ما بعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب	٩	٥٥٤
ما بعد فإن خير الحديث كتاب الله	٣	٥٤٠
ما بقي من الناس أحد أعلم به مني...(من قول سهل)	٦	٤٦٩
ما بين المشرق والمغرب قبلة	١	٣٩٥
ما بين المشرق والمغرب قبلة	٣	٢٥٣
ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة	٢	٣٤٣
ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة	٥	٦٦٩
ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض	٧	٥١٥
ما بين بيتي ومنبري روضة	٤	٥٥٣
ما بين بيتي ومنبري	١٠	١٣٦
ما بين بيتي ومنبري	٤	٢٩٤
ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة	١	٥٠٨
ما بين قبري ومنبري	٧	٥١٥
ما بين لابتيها حرام	٥	٦٥٦
ما بين مجيء الإمام إلى انقضاء	٣	٥٥٧
ما بين منكبي الكافر	٧	٤٧٨
ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟	٩	١٨٦
ما تجدون في كتابكم؟	٩	١٤٨
ما ترددت عن شيء أنا فاعله	١٠	٤٤٥
ما ترك النبي ﷺ السجدتين بعد العصر عندي قط	٢	٥٦٩
ما تركت استلام هذين الركنين في شدة...(من قول ابن عمر)	٥	٣١٨
ما تركت بعدي فتنةً أضر على الرجال	٧	٤٧٥
ما تركت بعدي فتنةً أضر على	٦	١٧٨
ما تزوجت؟	٦	١٥٥
ما تشيرون علي في قوم يسبون أهلي	١٠	١٩٢
ما تصنع بإزارك إن لبسته لم يكن عليها	٦	١٦٦
ما تصنع بإزارك، إن لبسته	٦	٨٣
ما تصنع بإزارك؟	٦	٢٥٤
ما تصنعون بهما؟	١٠	٥٤٤
ما تقتل نفس ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول	٤	٤٥٣
ما تقرب أحد إلى الله بشيء أحب إليه	٧	٦٥٨
ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب...(قدسي)	٣	٦٢
ما تقرب إلى عبدي	٧	٣٣٩

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
ما تقولون في هذا؟	٦	١٧٣
ما تنخم النبي ﷺ نخامةً إلا وقعت	١	٦٠١
ما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف	٧	٣١٣
ما جاءك من هذا المال	٧	٤٨٢
ما جاءك من هذا المال، وأنت غير مشرف	٥	٨٣
ما حصلت فتنة منذ خلق آدم	٦	١٨١
ما حق امرئ مسلم له شيء يوصى فيه	٦	٧١
ما حملكم على خلع نعالكم	٧	٥٦٢
ما خبأت لك؟	١٠	٥٦٧
ما خرجت لأبارز رجلين...(من قول علي)	١٠	٢١٧
ما خلا القيام والقعود	٣	٣٦٢
ما خلق الله أعظم من آية الكرسي	١٠	٣٦٧
ما خير النبي ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما	٩	١١١
ما خير النبي ﷺ بين شيئين	١٠	٥٠٦
ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما	٦	١٤١
ما رأيت أحدًا أحسن في حلة حمراء من النبي ﷺ	٧	٥٦٨
ما رأيت أحدًا أشد عليه الوجع من رسول الله	٧	٣١١
ما رأيت النبي ﷺ أولم على أحد من نسائه	٦	٣٤٦
ما رأيت النبي ﷺ صائمًا العشر قط	٣	٦٣٤
ما رأيت النبي ﷺ صلى صلاةً بغير ميقاتها	٥	٤٠٤
ما رأيت النبي ﷺ يقرأ في شيء	٤	٢٣٨
ما رأيت رسول الله ﷺ سبح سبحة الضحى	٤	٢٦٩
ما رأيت رسول الله ﷺ صلى إلى عمود	١	٥٢٠
ما رأيت رسول الله ﷺ يصلي إلى عود	٣	٦٤١
ما رأيت رسول الله ﷺ يصلي إلى عود، ولا عمود	٤	٩
ما رأيت في الخير والشر كاليوم قط	٧	٢٢٢
ما رأيت من ناقصات عقل ودين	١	١٣٠
ما رأيت من ناقصات عقل ودين	٥	١٦٤
ما رأيته صلاها إلا يومئذ...(أي: صلاة الضحى)	٣	١٠٥
ما رأيته صلى الضحى غير ذلك اليوم	٤	٢٧٠
ما زال بكم الذي رأيت من صنيعكم	١٠	٦٧
ما زالت أكلة خيبر تعاودني	١	١٠٩
ما زالت أكلة خيبر تعاودني	٧	٢٥٤
ما سئل شيئًا على الإسلام إلا أعطاه	١	٥٥
ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن	١٠	٤٤٣
ما شأنكم؟	٣	٤١
ما شبع آل محمد ﷺ من خبز بر...(من قول عائشة)	٧	٦٠٤
ما شبع آل محمد ﷺ...(من قول عائشة)	٧	٣٣٦
ما صليت وراء أحد قط أخف صلاةً ولا أتم	٣	١٧٤
ما صليت وراء إمام قط أتم قراءة	٦	٧٤
ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة	١	٢٥٧
ما صليت وراء إمام قط أخف صلاةً	٣	١٦٧
ما صليت وراء إمام قط أخف صلاةً	٣	١٧٤
ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة...(من قول أنس)	٩	٥٨٦
ما صنع النبي ﷺ؟...(أي في داخل الكعبة)	٢	٤١٢
ما ظنك باثنين الله ثالثهما	١٠	٣٢١
ما عليكم أن لا تفعلوا	١٠	٣٣٤
ما عندك؟	٦	٢٤٨
ما عندنا شيء إلا كتاب الله (من قول علي) وهذه الصحيفة عن النبي ﷺ	٥	٦٤٩
ما عندنا كتاب نقرؤه إلا كتاب الله...(من قول علي)	٩	٦٨
ما غرت على امرأة لرسول الله ﷺ كما غرت	٦	٤٤٩
ما غرت على امرأة...(من قول عائشة)	١٠	٤٧٠
ما فرحت بعد الإسلام فرحي...(من قول ابن أبي سلمة)	٣	١٥٢
ما قال لي لشيء صنعته لم صنعت هذا	٩	٢٨٩
ما قطع من البهيمة وهي حية فهو ميتة	١	٥٧٣
ما كان لنبي أن تكون	٧	٦١٧

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
ما كان لنبي أن	٧	١٦٦
ما كانتا في شيء إلا كثرتاه	٧	٤٤٤
ما كدت أصلي العصر...(من قول عمر)	٢	٥٨٤
ما كنا نقيل ولا نتغدي...(من قول سهل)	٣	٥٦٧
ما كنت أرى الوجع بلغ بك ما أرى	٥	٥٤٨
ما كنت أرى الوجع بلغ بك ما أرى	٥	٥٥١
ما كنت أظن أن الله ينزل في براءتي	١٠	٤٨٤
ما كنت تطوفين بالبيت	٥	٤٨٧
ما كنت لأصيب منك خيرًا...(من قول حفصة)	٣	١١٨
ما كنت لأصيب منك خيرًا...(من قول عائشة)	٣	١٨٤
ما كنت لأقيم حدا علي أحد...(من قول علي)	٩	١٠٣
ما لفاطمة ألا تتقي الله...(من قول عائشة)	٦	٦٠٥
ما لك أنفستي؟	٢	١٥٦
ما لك تأخرت؟	٤	٣٠٧
ما لك وللعذارى ولعابها	٦	١٥٥
ما لك ولها، معها الحذاء	٦	٥٥٩
ما لم يأمروا بمعصية	٣	٥٩
ما لم يكن جنبًا	١	٤٨٨
ما لم يكن جنبًا	٣	٣٨
ما لي أجد منك ريح الأصنام؟	٧	٥٤٢
ما لي أرى عليك حلية أهل النار؟	٧	٥٤٢
ما لي اليوم في النساء من حاجة	٦	٢٨٧
ما لي في النساء من حاجة	٦	٨٠
ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة	٩	٦٥٦
ما مسست حريرًا ألين من كفه ﷺ	٧	٥٧١
ما معك من القرآن	٦	٨٠
ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته	١٠	٣١٧
ما من أحد أغير من الله من أجل ذلك	٦	٤٤١
ما من أحد أغير من الله	١٠	٣١٧
ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله	١	٣٤٧

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات	٦	٦
ما من الأنبياء نبي	١٠	٥٤
ما من الناس من مسلم يتوفى له ثلاث لم يبلغوا الحنث	٤	٤٠٨
ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله	١٠	٢١٢
ما من رجل تكون له إبل أو بقر أو غنم لا يؤدي	٥	٦٤
ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون	١٠	٣٦١
ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته	٧	٤٨٤
ما من رجل مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربعون	٢	٦٣٩
ما من شيء كنت لم أره إلا قد رأيته في مقامي هذا	٤	١٣٨
ما من شيء كنت لم أره إلا قد رأيته في مقامي	١	٥٠١
ما من شيء لم أره	١٠	٦٤
ما من شيء لم أكن أريته إلا قد رأيته	٣	٥٣٩
ما من شيء لم أكن أريته	١	٢٤٤
ما من صاحب ذهب، ولا فضة لا يؤدي منها حقها	٤	٦٠١
ما من عبد استرعاه الله رعيةً فلم يحطها	٩	٥٧٧
ما من عبد قال لا إله إلا الله	٧	٤٩٤
ما من عبد قال لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك	٤	٣٧٧
ما من قلب من قلوب بني آدم إلا وهو بين أصبعين	١٠	٣٦٠
ما من قلب من قلوب بني آدم إلاوهو بين أصبعين	٩	٥١٠
ما من قلب من قلوب	٧	٥٣٩
ما من مسلم يدعو لأخيه	٧	٤١٤
ما من مسلم يصلي عليه ما يبلغ	٤	٥٠٦
ما من مسلم يصيبه أذًى إلا حاتت عنه خطاياه	٧	٣٣١
ما من مسلم يصيبه أذًى شوكة فما فوقها	٧	٣١٢
ما من مسلم يصيبه أذًى: مرض فما سواه	٧	٣٣١

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
ما من مسلم يصيبه أذًى، إلا حات الله عنه خطاياه	٧	٣١١
ما من مسلم يصيبه هم أو غم	٧	٣٠٨
ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته	٧	٥١٧
ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها	٧	٣٠٨
ما من مكلوم في سبيل الله	٧	٥٠٣
ما من مكلوم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة	١٠	٢٠١
ما من مكلوم يكلم	١٠	٤٩٢
ما من مولود إلا يولد على الفطرة	٤	٥٧٧
ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه	٤	٥٧٥
ما من مولود ولد إلا نخسه الشيطان	٦	٣٤٠
ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان	١	٣٨٨
ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا هي كائنة	٦	٤٢٩
ما من وال يلي رعيةً من المسلمين فيموت وهو غاش	٩	٥٧٨
ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان	٥	٣٩
ما منا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة	٢	٤٥٦
ما منعك أن تحجي معنا؟	٥	٥٠٨
ما منعك أن تصلي معنا؟	١٠	٨٥
ما منعك من الحج؟	٥	٦٣١
ما منعك يا فلان أن تصلي مع القوم؟	٢	١٨٠
ما منعك؟...(للذي جلس ولم يصلي)	١	٦١٩
ما منعكم أن تعلموني؟	٤	٤٠٦
ما منعكما؟... (ي: الصلاة)	٢	٥٥٣
ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه	١٠	٤٩٠
ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه	١٠	٤١٢
ما منكم من أحد إلا سيكلمه	٧	١٦٢
ما منكم من أحد إلا كتب مقعده	١٠	٥٥٢
ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة	٧	٤٦٣
ما منكم من أحد وإلا وقد كتب مقعده	٧	٤٠٢
ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة	٤	٥٨٨

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
ما منكن امرأة تقدم بين يديها	١٠	١٠٢
ما هذا الاشتمال الذي رأيت؟	٢	٢١٦
ما هذا؟	٦	٣٢٠
ما هذه بأول بركتكم يا آل أبي بكر...(من قول أسيد)	٦	٣٣٤
ما هي بأول بركتكم ...(أسيد بن حضير)	٢	١٥٦
ما يبكيك يا هنتاه؟	٥	٢٤٣
ما يبكيك؟...(لعائشة حينما حاضت في الحج)	٢	١٨١
ما يدريك لعل الله اطلع عليهم فقال: اعملوا ما شئتم	٩	٣٤٣
ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة	٥	٨٧
ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهبًا	٧	٣١٩
ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب	٧	٣٠٩
ما يضرك منه؟(المسيح الدجال)	٩	٥٤٥
ما يعجلك	٦	١٥٥
ما يعجلك؟	٦	٤٦٧
ما يكون عندي من خير لا أدخره	٧	٣٥٢
ما يكون عندي من خير	٥	٨٢
ما ينتظرها أحد من أهل الأرض غيركم	٢	٥٣٠
ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيرًا	٥	٨٠
الماء لا يجنب	١	٥٢٧
مات ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي	١	٣٢
مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة	٦	٤٣
مات عن تسع من النساء	٦	١٨٩
مات وآخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة	١٠	١٩٧
ماتت لنا شاة فدبغنا مسكها	٧	٦٠١
ماحق امرئ مسلم له شيء يوصي	٦	٧٠
ماذا معك من القرآن	٦	٨٣
ماذا معك من القرآن؟	٦	٢٤٨
المال كثير العهد قريب	٧	٥٥٦
الماهر بالقرآن مع الكرام البررة	١٠	٥٤٥
المبطون شهيد، والمطعون شهيد	٧	٤٠٧

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور	٦	٤٤١
متلفعات في مروطهن ...(من قول عائشة)	٢	٢٣٠
مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين	٥	٤١
مثل البخيل والمتصدق	٧	٤٦٤
مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين	٥	٤١
مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين	٦	٥٧٣
مثل البيت الذي يذكر الله	٧	٢٧٢
مثل الجليس الصالح كحامل المسك	٤	٥٧٨
مثل الذي يذكر ربه	٧	٢٧٢
مثل الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها	٦	٦٤
مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن	١٠	٥٦٥
مثل المؤمن كالخامة من الزرع تفيئها الريح مرةً	٧	٣٠٩
مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع	٧	٣٠٩
مثل المؤمن كمثل خامة	١٠	٤٥٥
مثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة	٦	١٢٩
مثل ما بعثني الله به من الهدى	١	٢٣٠
مثلي ومثل ما بعثني الله	٧	٣٧٨
مثنى مثنى، فإذا خشي الصبح صلى واحدةً	٢	٣٧٨
مثنى مثنى، فإذا خشيت الصبح فأوتر بواحدة	٢	٣٧٩
مثنى مثنى، فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة	٤	٢٢٧
مج رسول الله ﷺ في وجهه	١	٥١٦
مج رسول الله ﷺ في وجهه	٧	٢١٦
مجدني عبدي...(قدسي)	١٠	٣٧٩
مجوس هذه الأمة	١٠	٢٣٦
مجوس هذه الأمة	١٠	٥٠٩
المدة التي كان رسول الله ﷺ ماد	١	٣٨
المدينة حرم ما بين عير إلى ثور	٩	٦٨
المدينة حرم من عير إلى كذا	١٠	٨٩
المدينة حرم من كذا إلى كذا	٥	٦٤٥
المدينة كالكير تنفي خبثها وتنصع طيبها	٩	٦٥٤
المدينة كالكير تنفي خبثها	٩	٦٥٨
المدينة كالكير تنفي خبثها، وينصع طيبها	٥	٦٦٨
المدينة يأتيها الدجال فيجد الملائكة يحرسونها	٩	٥٥٥
المدينة يأتيها الدجال	١٠	٤٥٩
مر النبي ﷺ على قبر منبوذ فأمهم وصفوا	٣	٤٢٩
مر النبي ﷺ بديار ثمود	٢	٣٢٠
مر النبي ﷺ بقبر منبوذ فأمنا، فصففنا	٤	٥١٣
مر النبي ﷺ على قبر منبوذ فأمهم وصلوا خلفه	٤	٥٣٠
مر برأس التمثال فليقطع حتى يكون كهيئة الشجرة	٩	٤٧٢
مر برأس التمثال فليقطع حتى يكون	١٠	٣٣٨
مر برأس التمثال فليقطع	١٠	٣٣٧
المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل	١٠	٣٥٤
المرأة كالضلع إن أقمتها	٦	٣٦٦
مرةً ثلاثين ومرةً تسعًا وعشرين	٦	٥٧٩
مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح	٧	٣١٤
مرحبًا بالقوم أو الوفد غير خزايا ولا ندامى	١	١٦٢
مرحبًا بالوفد والقوم	١٠	٤٤
مرحبًا بأم هانئ	٢	٢١٣
مرضت فعادني رسول الله ﷺ وأبو بكر	٩	١٨
مره فليتكلم وليستظل	٧	٦٣٦
مره فليراجعها، ثم ليطلقها طاهرًا أو حاملًا	٢	١٦٦
مره فليراجعها، ثم ليمسكها	٦	٤٧٩
مروا أبا بكر فليصل بالناس	١٠	٩٣
مروا أبا بكر فليصل بالناس	٣	١١٧
مروا أبا بكر فليصل بالناس	٤	٣١٦
مروا أبا بكر فليصل للناس	٣	٩٠
مروا أبا بكر يصلي بالناس	١٠	٩٣
مروا أبا بكر	٣	١٧٩
مروا أبا ثابت يتعوذ	٧	٦١٠

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
مروا أبناءكم بالصلاة لسبع	٧	٢١٦
مروا أبناءكم بالصلاة لسبع	٩	١٨٩
مري غلامك النجار أن يعمل لي أعوادًا	٣	٥٢٩
المسبل والمنان والمنفق سلعته	٥	١٥
المسبل والمنان	٧	٣٧٣
مستريح ومستراح منه	٧	٤١٧
مستقرها تحت العرش	١٠	٤٠٢
مسح على الخفين	١	٤٨٢
المسلم أخو المسلم	٩	٣٦٤
المسلم أخو المسلم	٩	٣٦٥
المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه	٩	٣٦٩
المسلم لا ينجس حيا...(من قول ابن عباس)	٤	٤١٢
المسلم من سلم المسلمون	١	٥٧
المسلم من سلم المسلمون	٧	٣٨٠
المصلى أمامك	١	٤٨٢
مطعمه حرام وملبسه حرام	٧	١٤٠
مع كل واحد سبعين ألفًا	٧	٣٥٦
مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم	١٠	٢٣٧
مفتاح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله	٤	١١٤
المقسطون على منابر من نور على يمين	٣	٨١
مكانكم ...(لما خرج إليهم في الصلاة)	٢	١٢
مكتوب بين عينيه كافر	٥	٢٣٦
مكث النبي في مكة	١	٢٥
ملأ الله قبورهم وأجوافهم نارًا	٣	٥٩٣
ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارًا	٧	٢٦٤
الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم	٣	٤٨٩
الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه	٢	٣٣٥
الملائكة تصلي على أحدكم	٣	٧٨
الملائكة تصلي عليه مادام في مصلاه	٣	٤١٥
الملائكة لا تدخل بيتًا فيه حائض، ولا جنب	٢	١٦٢
ملكتكها بما معك من القرآن	٣	٥٩٩
مم ذاك	٩	١٥٢
مما يتأذى منه بنو آدم	٦	٣٦٤
مما يضحك أحدكم؟ أو لم يضحك أحدكم مما يفعل	٢	٢٢٠
من ابتلي من هذه البنات بشيء، كن له سترًا من النار	٤	٦٣٣
من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي...(من قول أنس)	٦	٤٢
من أتاكم وأمركم جميع	١٠	١٥٣
من آتاه الله مالًا فلم يؤد زكاته	٤	٦١٣
من اتبع جنازة مسلم إيمانًا واحتسابًا	١	١٣٥
من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه	٦	٤٩
من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل	١	٣٦٧
من أتى كاهنًا أو عرافًا	١٠	٢٤٠
من أتى كاهنًا أو عرافًا	٧	٤٣٢
من أتى كاهنًا فصدقه	١٠	٥٦٧،٥٦٨
من أتى كاهنًا فصدقه	٧	٤٣٢
من أحب أن يتمثل له الناس	٧	٧١٤
من أحب أن يحلق حبيبه حلقةً من نار	١	٢٦٦
من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة	٤	٦١١
من أحب أن يزحزح عن النار	٧	٢٨٩
من أحب أن يزحزح عن النار	٩	٤٢٦
من أحب أن يزحزح عن النار، ويدخل الجنة	١	٦١
من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل	٢	٤٧٦
من أحب أن يسأل عن شيء	١٠	٧٦
من أحب أن يقرأ القرآن غضا طريا	٧	٦٤٧
من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل	٧	٣٨٩
من أحب أن ينظر إلى رجل	٧	٣٨٨
من أحب أن يهل بعمرة فليهل	٥	٥١٧
من أحب أن يهل بعمرة فليهلل	٢	٢١٤
من أحب أن يوتر بثلاث فليفعل	٤	٤٤
من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه	٧	٤١٢
من أحب لقاء الله أحب	٧	٤١٢
من أحب منكم أن يهل بالحج	٥	٥٠٩
من أحدث في أمرنا هذا ما ليس	١٠	١٥٦

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
من أحدث في أمرنا هذا	٧	٥٧٦
من أحرم بعمرة ولم يهد فليحلل	٢	٢٢٠
من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية	٩	٣١١
من أحصاها دخل الجنة	٧	٢٧٩
من أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله	٥	٢٣
من أداها قبل الصلاة فهي صدقة مقبولة	٥	١٤٥
من أدرك ركعةً من الصلاة فقد أدرك الصلاة	٢	٥١١
من أدرك ركعةً من الصلاة فقد أدرك الصلاة	٢	٥٥٢
من أدرك ركعةً من الصلاة	٣	٨٩
من أدرك سجدةً من العصر	٢	٥٤٤
من أدرك سجدةً من العصر	٢	٥٤٥
من أدرك من الصبح ركعةً	٢	٥٥١
من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم	٩	٨٤
من أراد أن يقرأ القرآن	٧	٥٣٣
من أراد أن يقرأ القرآن	٧	٦٠٢
من استجمر فليوتر	١	٤١٥
من استلج في أهله بيمين	٧	٥٣٦
من أسلف في شيء فليسلف	٦	٢٦٥
من أسلم على شيء فهو له	٩	٨١
من أشراط الساعة أن يرفع العلم	٩	١٣٣
من أشراط الساعة	٧	٣٩٤
من أشراط الساعة: أن يقل العلم	١	٢٣٢
من أطاعني دخل الجنة	١٠	٥٨
من أطاعني دخل الجنة	١٠	٥٩
من أطاعني فقد أطاع الله	٩	٥٦١
من أظل رأس غاز أظله الله يوم القيامة	٥	١٥
من أعتق رقبة مسلمةً أعتق الله	٧	٦٥٥
من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة	٣	٤٦٦
من اغتسل يوم الجمعة غسل	٢	٦٠٧
من اقتطع مال امرئ مسلم بيمين كاذبة	١٠	٤١٥
من اقتطع من الأرض شبراً	١٠	٤٧٣
من اقتطع من الأرض شبراً، طوقه الله يوم القيامة	١٠	٢٧٤
من أقرأك هذه السورة...(من قول عمر)	٦	٢١
من أكل بصلًا أو ثومًا	١	٤٧٥
من أكل ثومًا أو بصلًا فليعتزلنا	٣	٤٢٥
من أكل ثومًا أو بصلًا	١٠	١٧٤
من أكل فليتم بقية يومه	١٠	٤٤
من أكل من هذه الشجرة	٣	٤٢٥
من أكل من هذه الشجرة	٣	٤٢٥
من أكل من هذه الشجرة	٣	٤٢٦
من أكل ناسيًا وهو صائم	٧	٥٨٢
من البول	١	٥٥٦
من التمس رضا الناس	١٠	٩٦
من السائق؟	٩	٢٥٤
من السنة إذا تزوج الرجل البكر على الثيب	٦	٤٣٧
من الفطرة حلق العانة	٧	٥٥٧
من الفطرة قص الشارب	٧	٥٥٧
من القوم أو من الوفد؟	١	١٦٢
من المتكلم؟...(لمن قال ربنا و لك الحمد حمدا)	٣	٣١٣
من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة	١٠	٣٩١
من أنظر معسرًا، أو وضع له أظله الله	٩	١٢٧
من أنظر معسرًا، أو وضع له	٣	٨٢
من بدل دينه فاقتلوه	١٠	١٨٩
من بدل دينه فاقتلوه	٩	٣١٥
من بدل دينه فاقتلوه	٩	٣١٩
من بلغت عنده من الإبل صدقة الجذعة	٥	٥٧
من بنى مسجدًا يبتغي به وجه الله	٢	٣٤٢
من تاب قبل أن تطلع الشمس	٧	١٤٧
من تبع جنازةً فله قيراط...(من قول أبي هريرة)	٤	٥١٦
من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين	٩	٤٧٠
من ترك مالًا فلأهله	٩	٢٧
من ترك مالًا فلورثته	٩	٨٠
من ترون أن نكسو هذه	٧	٤٨٩

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
من ترون نكسوها هذه الخميصة؟	٧	٥١٥
من تشبه بقوم فهو منهم	٢	١٦٠
من تشبه بقوم فهو منهم	٧	٤٧٣
من تشبه بقوم فهو منهم	٧	٥٦٣
من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب	١٠	٣٩٩
من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب	٤	٦٢٤
من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله	٤	٢٤٥
من تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا	١٠	٣٢٥
من تقرب مني شبراً	١٠	٥٠٠
من تمنى الشهادة بصدق	٩	٦٧١
من توضأ فليستنثر، ومن استجمر فليوتر	١	٤٢١
من توضأ في بيته	١	١٠٥
من توضأ مثل هذا الوضوء	٧	٣٠٩
من توضأ نحو وضوئي هذا	١	٤١٨
من توضأ نحو وضوئي هذا	١	٤٢٩
من توكل لي ما بين رجليه وما بين لحييه	٩	١٣٢
من جاء إلى الجمعة فليغتسل	٣	٥٣٤
من جاء منكم الجمعة فليغتسل	٣	٤٨٧
من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه	١	٤٢٨
من جر ثوبه خيلاء	٧	٤٤٧
من جر ثوبه مخيلةً	٧	٤٥١
من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ؟	٦	٤٢
من جهز غازيًا فقد غزا	٦	٧٩
من جهز غازيًا فقد غزى	٥	٦١٧
من حالت شفاعته	٧	٦٩٧
من حج فلم يرفث، ولم يفسق	٣	٢٩١
من حج فلم يرفث، ولم يفسق رجع كيوم	٢	٤٦٢
من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم	٥	١٧٨
من حج هذا البيت فلم يرفث	٥	٥٥٣، ٥٥٤
من حدثك أن النبي ﷺ كتم شيئًا... (من قول عائشة)	١٠	٥٣٤
من حدثك أن محمدًا ﷺ رأى ربه فقد كذب	١٠	٢٣٧
من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه	٤	٣٨٤
من حسن إسلام المرء	٧	٥٣٤

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك	١٠	٣٠٩
من حلف بغير ملة الإسلام فهو كما قال	٧	٥٦٢
من حلف بملة غير الإسلام كاذبًا متعمدًا	٤	٥٨٩
من حلف على يمين صبر	٧	٥٨٨، ٥٩١
من حلف على يمين كاذبة	١	١٠٣
من حلف على يمين كاذبة	٧	٥٧١
من حلف على يمين هو فيها فاجر	١	٢٨٥
من حلف على يمين هو فيها فاجر	٧	٥٨٦
من حلف على يمين	٧	٦٦٢
من حلف على يمين	٧	٦٦٣
من حلف فقال في حلفه واللات والعزى	٧	٥٥٩
من حلف منكم فقال في حلفه: باللات	٧	٧٨٦
من حمل علينا السلاح فليس منا	٩	٢٢١
من حمل علينا السلاح فليس منا	٩	٥٠١
من حوسب عذب	١	٢٧١
من خاف ألا يقوم من آخر الليل فليوتر في أوله	٤	٥٢
من دخل المسجد فهو آمن	١	٢٨١
من دخل المسجد فهو آمن	٥	٦١٠
من دخل دار أبي سفيان فهو آمن	٥	٦١٠
من دخل دار أبي سفيان	١	٢٨١
من دعا إلى هدًى كان له من الأجر مثل أجور	١٠	١١٥
من ذبح فليبدل مكانها	٧	٥٨٤
من ذبح قبل الصلاة فليعد	٣	٦١٢
من ذبح قبل أن يصلي فليذبح أخرى مكانها	٤	٢١
من ذبح قبل أن يصلي فليذبح مكانها أخرى	١٠	٣٠٨
من ذكرني في نفسه	١٠	٥٠٣
من رآني فقد رأى الحق	٩	٤٤١
من رآني فقد رأى الحق، فإن الشيطان لا يتكونني	٩	٤٤٢
من رآني في المنام فسيراني في اليقظة	٩	٤٤١
من رآني في المنام فقد رآني	١	٢٨٨
من رآني في المنام فقد رآني	٩	٤٤١
من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر	٩	٥٠٠

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر	٩	٥٧١
من رأى من أميره شيئًا يكرهه	٩	٤٨٨
من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده	٣	٢٣٦
من رأى منكم منكرًا فليغيره	٧	٦٣٨
من رغب عن سنتي فليس مني	١	١١٣
من رغب عن سنتي فليس مني	١	١٧٩
من رغب عن سنتي فليس مني	٥	١٦٢
من رغب عن سنتي فليس مني	٦	١٣٠
من رغب عن سنتي فليس مني	٦	١٥١
من رغب عن سنتي فليس مني	٩	٣٢٤
من رغب عن سنتي	١٠	٩٢
من رمى مؤمنًا بكفر	٧	٥٦٢
من زاد على ذلك	٤	٣٠١
من زاد على هذا، أو نقص فقد أساء وظلم	١	٣٦١
من زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئًا من كتاب الله	٢	٦٠٥
من زعم أن محمدًا قد مات...(من قول عمر)	٦	١٥
من سأل الله الشهادة بصدق	٩	٦٧٢
من سأل الناس أموالهم تكثرًا	٥	٨٣
من سأل الناس أموالهم تكثرًا	٧	٣٦١
من سأل كاهنًا ولم يصدقه	٧	٤٣٠
من سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام	٩	٣٧٤
من سره أن يقرأ القرآن	٧	٧٤٥
من سره أن يمثل له الرجال قيامًا	٣	٤٦
من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة	٤	٦٠٨
من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا	٦	١٦٢
من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا	٦	٤٢
من سمع النداء فلم يأته؛ فلا صلاة له	٢	٣٨٧
من سمع النداء فلم يجب فلا	٢	٤٨٧
من سمع بالدجال فلينأ عنه	٦	١٣٩
من سمع بالدجال فلينأ عنه	٦	٢٨٧
من سمع سمع الله به يوم القيامة	٩	٥٧٨
من سمع سمع الله به	٧	٣٩٨

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
من سن في الإسلام سنةً حسنةً فله أجرها	٩	٢١٦
من سن في الإسلام سنةً حسنةً فله	٥	٦
من سن في الإسلام سنةً حسنةً	٥	٧
من شاء أن يصومه فليصمه	٥	٢٩٧
من شبرمة؟	٥	١٦٨
من شرار الناس من تدركهم	٩	٤٩٧
من شرب الخمر في الدنيا، لم يشربها في الآخرة	٩	٩٩
من شغله ذكري عن مسألتي	٧	١٦٥
من شهد الجنازة حتى يصلى عليها	٤	٣٨٢
من شهد الجنازة حتى يصلي فله قيراط	٤	٥١٧
من شهد أن لا إله إلا الله واستقبل قبلتنا..(من قول أنس)	٢	٢٦٦
من شيء كنت لم أره إلا رأيته في مقامي هذا	٤	١٤٠
من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا	١	١١٠
من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا	٥	١٩
من صام رمضان	٧	٢٩٧
من صلى البردين دخل الجنة	١٠	٣٩٩
من صلى البردين دخل الجنة	٢	٥٤٧
من صلى ثنتي عشرة ركعةً من غير الفريضة	٤	٢٦٥
من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فقد أصاب النسك	٤	١٩
من صلى صلاتنا ونسك	٣	٦١٣
من صلى على الجنازة	٤	٥٠٨
من صلى على جنازة، ولم يمش معها	٤	٥٠٠
من صلى قائمًا فهو أفضل	٤	٢٠٥
من صنع إليكم معروفًا فكافئوه	٧	٥٩١
من صور صورةً في الدنيا	٧	٦٢٩
من صور صورةً ومن تحلم ومن استمع	٩	٤٧١
من ضفر فليحلق... (من قول عمر)	٧	٥٧٣
من طلب القضاء واستعان عليه	٧	٦٦٩
من طلب قضاء المسلمين حتى يناله	٧	٦٦٩
من طيب أهله	٣	٤٦٨
من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب	٧	٤٠٥

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
من عصاني فقد أبى	١٠	٥٨
من عمل عملًا ليس عليه أمرنا	٥	٦٥٧
من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد	٥	١٤٥
من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد	٦	٢٨٢
من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد	٩	٥٨٥
من عمل عملًا ليس عليه أمرنا	١	١٤٣
من عمل عملًا ليس عليه أمرنا	١	١٧٨
من عمل عملًا ليس عليه أمرنا	٢	٤٦٤
من عمل عملًا ليس عليه أمرنا	٢	٥٤٤
من عمل عملًا ليس عليه أمرنا	٣	٣٣٨
من عمل عملًا ليس عليه أمرنا	٥	٤٤٤
من عمل عملًا ليس عليه أمرنا	٦	٦١١، ٦١٢
من عمل عملًا ليس عليه	١٠	١٥٦
من عمل عملًا ليس عليه	١٠	٥٤
من عمل عملًا ليس عيه أمرنا فهو رد	٦	٢٣٨
من عمل عملًا ليس عيه أمرنا فهو رد	٩	٥٨٧
من عمل عملًا ليس	٣	٣٢٣
من عمل عملًا ليس	٧	٦٢١
من غدا إلى المسجد وراح	٣	٨٦
من غسل واغتسل	٣	٤٦٦
من غش فليس منا	٦	٢٤٣
من غشنا فليس منا	٢	٤٥١
من غشنا فليس منا	٩	٥٠١
من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا	١	١٠٦
من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا	١	٣٣٥
من قاتل؛ لتكون كلمة الله هي العليا	٣	٧١
من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة	٢	٤٦٢
من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له	٧	٢٦٩
من قال لأخيه يا كافر	٦	١٢٨
من قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق	٧	٥٥٩
من قال: سبحان الله وبحمده	٧	٢٧١
من قال: لا إله إلا الله وحده	٧	٥٥٣
من قالها من النهار موقنًا بها فمات	٧	١٤١
من قالهن ثم مات تحت	٧	١٥٤
من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له	٥	١٩
من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا	١	١١٠
من قام رمضان	٧	١٤٤
من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة	٤	٤٦
من قتل دون نفسه فهو شهيد	٤	٥٤٧
من قتل قتيلًا فله سلبه	٦	١١٠
من قتل له قتيل فهو بخير النظرين	٩	٢٢٨
من قتل نفسًا معاهدًا لم يرح رائحة الجنة	٩	٢٩٧
من قتل نفسه بحديدة عذب به في نار جهنم	٤	٥٨٩
من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها	٩	٢١٢
من قتل وزغا في أول ضربة	٥	٥٧٨
من قتلك؟ فلان؟	٦	٥٧٢
من قذف مملوكه كان لله في ظهره حد	٩	٢٠٦
من قذف مملوكه وهو بريء	٩	٢٠٥
من قرأ آية الكرسي في ليلة لم يزل عليه	١	٣٨٩
من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه	٦	٥٢
من قرأ بهما في ليلة كفتاه	٦	١٠٠
من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة	٦	٥٥
من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة	٤	٣٧٣
من كان حالفًا فليحلف بالله	٧	٥٥٥
من كان عنده شيء فليجئ به	٢	٢٢٩
من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث	٢	٥٩٣
من كان له أرض فليزرعها أو يمنحها	٩	٢٣٦
من كان معه هدي فليهل بالحج والعمرة	٥	٣٥٥
من كان معه هدي فليهل بالحج	٥	٢٣٧
من كان منكم أهدى فإنه	٥	٤١٥
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل	٧	٣٥٩
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر	١	٤٠٢
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر	١٠	٧٢
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر	٦	٣٦٧
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر	٧	٣٦٥
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر	٧	٣٦٦
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر	٧	٣٦٨

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يسق	١٠	٣٠٣
من كان يؤمن بالله واليوم	٧	٣٦٩
من كان يؤمن بالله	٧	٧٧٧
من كانت عنده مظلمة لأخيه	٧	٤٥٦
من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار	٤	٤٦٢
من كذب في رؤياه	٩	٤٧٠
من كره من أميره شيئًا فليصبر	٩	٤٨٨
من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون	١٠	٤٤٠
من لبس الحرير في الدنيا	٧	٤٩٨، ٤٩٩
من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة	٢	٢٣٧
من لغا فلا جمعة له	٣	٥٥٦
من لم يجد إزارًا فليلبس السراويل	١	٣٦٤
من لم يجد إزارًا فليلبس سراويل	٧	٤٧٥
من لم يجد الإزار فليلبس السراويل	٥	٦٠٦
من لم يجد النعلين فليلبس الخفين	٥	٦٠٤
من لم يجد نعلين فليلبس الخفين	٥	٥٩٩
من لم يجد نعلين فليلبس خفين	٧	٥٢٦
من لم يصل ركعتي الفجر فليصلهما بعدما	٢	٥٥٤
من لم يكن له إزار فليلبس السراويل	٧	٥٢٦
من لم يكن معه هدي فأحب	٥	٥١٩
من لم يكن منكم معه هدي فأحب	٥	٢٤٢
من له بينة على قتيل	٩	٦١١
من مات في سبيل الله	٧	٥٠٣
من مات لا يجعل لله ندا	٧	٥٩٧
من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة	٤	٣٨١
من مات من أمتك لا يشرك بالله	٧	٣٢٠
من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة	٤	٣٧٤
من مات وعليه صيام	٧	٧١٦
من مات يجعل لله ندا	٧	٥٩٧
من مات يجعل لله ندا	٧	٥٩٩
من مات يشرك بالله شيئًا دخل النار	٤	٣٧٥
من مات، وهو يدعو من دون الله ندا	٤	٣٧٩
من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل	٧	٧٠٩
من محمد عبد الله ورسوله	١٠	٥٤٣
من مس فرجه فليتوضأ	٢	١١
من نام عن صلاة الجمعة أو نسيها	٣	٤٥٧
من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها	٣	٥٤
من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها	٢	٥٤٥
من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها	٢	٥٥٥
من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها	٢	٥٧١
من نذر أن يطيع الله فليطعه	٤	٢٨٤
من نذر أن يطيع الله فليطعه	٥	٦٤١
من نذر أن يطيع الله فليطعه	٧	٦٢٧
من نذر أن يطيع الله فليطعه	٧	٦٣٦
من نذر أن يطيع الله فليطعه	٧	٦٣٧
من نذر أن يطيع الله	٧	٦٢١
من نذر أن يطيع	٧	٦٢١، ٦٣٨
من نذر أن يعصي الله فلا يعصيه	٥	٦٣٨
من نسي صلاة أو نام عنها	٢	٤٥٩
من نسي صلاة أو نام عنها، فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها	٣	٥٩١
من نسي صلاةً فليصل	٢	٥٩٠
من نسي وهو صائم، فأكل وشرب	٦	٥٢٣
من نوقش الحساب عذب	٧	٤٦٠
من نيح عليه يعذب بما نيح عليه	٤	٤٦٢
من ها هنا\اقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة	٥	٤٧٨
من هذا؟...(عن جبريل)	٦	٦
من هذه؟	١	١٢٤
من هذه؟	٢	٢١٣
من هذه؟...(لأم هانئ)	٢	٢١
من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر	٣	٢٩٠
من والى قومًا بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله	٩	٦٨
من وجد معاذًا فليعذ به	٧	٥٦٤
من ورق، ولا تتمه مثقالًا	٧	٥٤٢
من وضع هذا؟	١	٣٩٣
من يبسط رداءه حتى أقضى مقالتي	١٠	١٦٣
من يتصدق على هذا؟	٣	٦٤

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
من يرد الله به خيرًا يصب منه	١٠	٢١٨
من يرد الله به خيرًا يصب منه	٧	٣٠٩
من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين	١	٢١٢
من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين	١	٣٩٣
من يرد الله به خيرًا	١٠	١٠٤
من يرد الله به خيرًا	١٠	٢٦
من يشتريه مني	٧	٦٥٧
من يشتريه مني؟	٩	٣٦١
من يضمن لي ما بين لحييه	٧	٣٦٧
من يضيف هذا	٦	٦٤٧
من يقل علي ما لم أقل فليتبوأ	١	٢٨٥
من يقم ليلة القدر	١	١٠٤
مناديل سعد بن معاذ في الجنة	٧	٥٠٢
منزلنا غدًا -إن شاء الله- بخيف بني كنانة	٥	٢٩٠
منكم أحد أمره أن يحمل عليها أو أشار إليها؟	٥	٥٦٨
منهومان لا يشبعان؛ منهوم في علم لا يشبع	٩	٤٥١
مه عليكم بما تطيقون	١	١٢٤
مه، عليكم ما تطيقون من الأعمال	٤	٢٤٢
المهاجر من هجر	٧	٦٠٩
مهل أهل المدينة ذو الحليفة	٥	١٨٨
مهلًا يا عائشة، عليك بالرفق	٧	٢٦٨
مهيم يا عبد الرحمن	٦	١٤٨
موضع سوط فى الجنة	٧	٢٨٧
مولى القوم من أنفسهم	٩	٧٨
الميت يعذب ببكاء الحي عليه	٤	٤٦٢
الميت يعذب في قبره بما نيح عليه	٤	٤٦٢
ن عبدًا أصاب ذنبًا	١٠	٤٨٧
نؤتي بالشارب على عهد رسول الله ﷺ	٩	١٠٣
نا فرطكم على الحوض	٧	٥١٧
النائحة إذا لم تتب	٩	٦٥٧
نادت امرأة ابنها وهو في صومعة	٤	٣١٨
الناس دثار، والأنصار شعار	٧	٥٥٤
الناس شركاء في ثلاث: الماء والكلا والنار	٩	٢٣٦
ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله	٩	٤٤٧

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
ناس من أمتي عرضوا علي غزاة	٧	٧٤٩
الناس يؤمرون أن يضع الرجل	٣	٢١٩
نام الغليم	١	٣١٦
نام رسول الله ﷺ حتى انتصف الليل	٤	٢٩٨
النبي ﷺ كان يصلي التطوع وهو راكب	٤	١٨٩
نبي مكلم	١	٢٠
نبي مكلم	١٠	٣٥٣
نجر خشبةً فجعل	٧	٧١١
نحر النبي ﷺ بيده سبع بدن قيامًا	٥	٤٣٢
نحن الآخرون الأولون يوم القيامة	١٠	٤٠٨
نحن الآخرون السابقون يوم القيامة	١٠	٤٨١
نحن الآخرون السابقون يوم القيامة	٣	٤٥٥
نحن الآخرون السابقون يوم القيامة	٣	٤٨٧
نحن الآخرون السابقون يوم القيامة	٧	٥٣٦
نحن الآخرون السابقون يوم القيامة	٩	٢٥٠
نحن الآخرون السابقون	١	٥٩٥
نحن الآخرون السابقون	٩	٤٦٨
نحن نازلون غدًا بخيف بني كنانة حيث تقاسموا	٥	٢٩٢
نخرج الحيض، فيكن خلف الناس فيكبرن	٣	٦٣٩
نزل بها رسول الله ﷺ وعمر وابن عمر	٥	٤٩٢
نزلت آية ولا تجهر بصلاتك... (من قول عائشة)	١٠	٥٢٦
نزلت على النبي ﷺ وهو قائم	١	١٣٢
نزلت هذه الآية فينا...(من قول البراء)	٥	٥٣٧
نساء كاسيات عاريات	٧	٥٧٩
نصرت بالرعب	١٠	٥٤
نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور	٣	٥٩٥
نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور	٤	١٠٠
نصر الله امرءًا سمع مني حديثًا	١٠	٢٧
النظر إلى وجه الله	١٠	٤٠٢
النظرة الأولى لك	٧	٦٧٥
نظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه	١	٥٢١
نعم ...لمن سأل عن الصدقة عن الميت	١	٣٧٩
نعم إذا رأت الماء	٢	٢٣

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل	٤	٢١٥
نعم الرجل عبد الله	٤	٢٤٦
نعم الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة	٦	١٩٢
نعم النساء نساء الأنصار...(من قول عائشة)	٢	٢٦
نعم بين العمودين اليمانيين...(من قول بلال)	٥	٣١٠
نعم حجي عنها	٥	٦١٤
نعم ما من مسلم يصيبه أذًى	٧	٣٣٦
نعم ولن تجزي عن أحد بعدك	٣	٦١٤
نعم...(في الحج عن الكبير)	٥	١٦٣
نعم...(في الحج عن الكبير)	٥	٦١٦، ٦١٨
نعم، إذا توضأ أحدكم فليرقد وهو جنب	٢	٣٦
نعم، إذا توضأ	١	٦١٣
نعم، إذا توضأ	٢	٣٨
نعم، إذا كثر الخبث	٩	٥٥٨
نعم، فإني أحب أن أسمعه من غيري	٧	٦٤٧
نعم، ولك أجر	٥	١٥٣
نعم، ويتوضأ...(من قول عائشة)	٢	٣٥
نعمت البدعة هذه...(من قول عمر)	٣	٥٤٣
نعمت البدعة هذه...(من قول عمر)	٥	٦
نعمتان مغبون فيهما	٧	٢٨٣
نعى النبي ﷺ النجاشي في اليوم الذي مات فيه	٤	٥٢٦
نعى النبي ﷺ إلى أصحابه النجاشي	٤	٥٠٦
نعى رسول الله ﷺ النجاشي في اليوم الذي مات فيه	٤	٣٩٨
نفر من قدر الله إلى قدر الله	٩	٣٩٩
نما أنا شافع	٦	١٨٢
ننزل غدًا إن شاء الله	١٠	٤٦٢
نهانا النبي ﷺ أن نشرب في آنية الذهب	٧	٥٠٤
نهانا النبي ﷺ عن المياثر الحمر	٧	٥٠٥
نهانا النبي ﷺ عن سبع	٧	٥٣٣
نهانا رسول الله ﷺ أن نستنجي بأقل من ثلاثة	١	٤٢٢
نهانا عن النياحة	٩	٦٥٧
نهانا عن سبع	٧	٥٢٠
نهى النبي ﷺ عن الصلاة عند قيام الشمس	٣	٥١٣
نهى ﷺ عن إضاعة المال	٧	٧٨٧
نهى النبي ﷺ عن الصلاة بعد الصبح حتى تشرق	٢	٥٥٢
نهى النبي ﷺ عن صوم يوم عرفة بعرفة	٣	٥٥٠
نهى النبي ﷺ أن تشبه الوتر بصلاة المغرب	٤	٤٤
نهى النبي ﷺ أن تقام الحدود في المساجد	٩	١٥٠
نهى النبي ﷺ أن تنكح المرأة على عمتها	٦	٢٣٢
نهى النبي ﷺ أن يبيع بعضكم على بيع بعض	٦	٢٩٠
نهى النبي ﷺ أن يتزعفر الرجل	٧	٥١٦
نهى النبي ﷺ أن يجلس على القبر	٤	٥٨٤
نهى النبي ﷺ أن يطرق أهله ليلًا	٥	٥٣٦
نهى النبي ﷺ أن يقيم الرجل أخاه من مقعده ويجلس	٣	٥١٣
نهى النبي ﷺ أن يلبس المحرم ثوبًا مصبوغًا بورس	٧	٥١٧
نهى النبي ﷺ عن إضاعة المال	١	٣٦٥
نهى النبي ﷺ عن البناء على القبور	٤	٥٢٤
نهى النبي ﷺ عن الدفن ليلًا	٤	٤٠٦
نهى النبي ﷺ عن الشغار	٦	٢٣٢
نهى النبي ﷺ عن الصلاة في أعطان الإبل	١	١٨٨
نهى النبي ﷺ عن الملامسة والمنابذة	٧	٤٨٦
نهى النبي ﷺ عن النذر	٧	٦٢٠
نهى النبي ﷺ عن الوطء على القبر	٤	٥١٦
نهى النبي ﷺ عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها	٥	١٠٥
نهى النبي ﷺ عن بيع الثمرة حتى يبدو صلاحها	٥	١٠٥
نهى النبي ﷺ عن بيع الغرر	٢	٥٥٩
نهى النبي ﷺ عن بيع الولاء	٩	٧١

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
نهى النبي ﷺ عن ثمن الكلب وحلوان	٦	٦٢٥
نهى النبي ﷺ عن ثمن الكلب	٧	٤٢٩
نهى النبي ﷺ عن خاتم الذهب	٧	٥٣٥
نهى النبي ﷺ عن كسب الإماء	٦	٦٣٠
نهى النبي ﷺ عن كل ذي مخلب	٧	٧٨٤
نهى النبي ﷺ عن لبستين، وعن بيعتين	٧	٧٦٢
نهى النبي ﷺ ولا تمس طيبًا إلا أدنى	٦	٦٢١
نهى النبي ل عن الاستنجاء باليمين	٢	٤٦٦
نهى أن يبزق الرجل بين يديه أو عن يمينه	٢	٢٩١
نهى أن يبيع الرجل على بيع أخيه	٦	٢٩١
نهى أن يتوضأ الرجل بفضل وضوء المرأة	١	٥٢٦
نهي أن يصلي الرجل مختصرًا.. (من قول أبي هريرة)	٤	٣٣٧
نهى أن يصلى إلى القبور	٢	٣٠٩
نهى رسول الله ﷺ أن تنكح المرأة على عمتها	٦	٢٣١
نهى رسول الله ﷺ عن الشغار	٩	٣٨٠
نهى رسول الله ﷺ عن الوشم	٧	٤١٥
نهي رسول الله ﷺ عن الوصال	٩	١٩٦
نهى رسول الله ﷺ عن لبستين وعن بيعتين	٧	٤٨٨
نهى رسول الله ﷺ عن لبستين	٧	٤٨٩
نهى رسول الله ﷺ عن متعة النساء يوم خيبر	٩	٣٨١
نهى عن الترجل إلا غبا	١	٤٤٣
نهي عن التعذيب بالنار	٥	١٣٨
نهي عن الخصر في الصلاة... (من قول أبي هريرة)	٤	٣٣٧
نهى عن المتعة	٦	٢٤٣
نهى عن الملامسة والمنابذة	٧	٤٨٨
نهى عن بيع أمهات الأولاد	٦	٢٧٢
نهى عن قتل الكلاب	١	٤٥٨
نهى نبي الله ﷺ عن لبس الحرير	٣	٤٧٢
نهينا أن نحد أكثر من ثلاث إلا بزوج	٤	٤٤٧
نهينا أن نحد أكثر من ثلاث إلا بزوج	٦	٦٢٠
نهينا عن اتباع الجنائز، ولم يعزم علينا	٢	٢٠٨
نهينا عن اتباع الجنائز، ولم يعزم علينا	٤	٤٤٤
نهينا عن التكلف... (من قول عمر)	١٠	٧٥
نور أنى أراه	١٠	٢٣٨
ها... للحلاق	١	٤٥٥
هات، فقد بلغت محلها	٥	٤٣
هاتان السجدتان لمن لا يدري	٧	٥٨٣
هاجر إبراهيم بسارة، دخل بها قريةً	٩	٣٦٤
هبلت أجنة واحدة هي	٧	٤٩٥
هبي نفسك لي	٦	٤٨٠
هجر النبي ﷺ كعب بن مالك	٧	٦٦٩
هدايا العمال غلول	٧	٥٤٧
هذا أثنيتم عليه خيرًا فوجبت له الجنة	٤	٥٩٣
هذا الأمل وهذا أجله	٧	٢٩٠
هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به	٧	٢٩٠
هذا أمر كتبه الله على بنات آدم	٢	١٥٥
هذا أيسر	١٠	٣٢٧
هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم	٢	٢٧
هذا جبريل أتاكم يعلمكم	١	١٤٢
هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم	١	١٤٤
هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم	٤	٥٣٩
هذا جبل يحبنا ونحبه	١٠	١٣٤
هذا جبل يحبنا ونحبه	٧	٢٢٤
هذا جبل يحبنا ونحبه	٧	٢٢٦
هذا خالي فليرني امرؤ خاله	٣	٢٣٩
هذا خير من ملء الأرض مثل هذا	٦	١٧٣
هذا خير من ملء الأرض	٧	٣٢٤
هذا شيء كتبه الله على بنات آدم	٩	٦٧٧
هذا عرق	٢	٢٣٨
هذا عيدنا أهل الإسلام	٤	٢٨
هذا في اليتيمة التي تكون...(من قول عائشة)	٦	٢٦٥
هذا كهذ الشعر	٦	١٠٣
هذا كهز الشعر...(من قول ابن مسعود)	٣	٢٨٥
هذا لك وعشرة أمثاله	٧	٤٩٩
هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة		

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
ﷺ	٥	٤٧٤
هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة	٥	٤٧٧
هذا من كيس أبي هريرة...(من قول أبي هريرة)	٦	٦٤٥
هذا والله من الحمس...(من قول جبير)	٥	٣٨٥
هذا يوم الحج الأكبر	٥	٤٦٤
هذه أختي	٧	٤٩٢
هذه أختي	٩	٣٦٧
هذه الأقدام بعضها من بعض	٦	٢٦٤
هذه الآيات التي يرسل الله لا تكون لموت أحد	٤	١٤٣
هذه القبلة	٢	٢٦٩
هذه ثم ظهور الحصر	٥	٦٣٧
هذه ثم لزوم الحصر	٥	٦٢٣
هذه خديجة أتتك بإناء فيه طعام	١٠	٤٨٢
هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده	٤	٤٥٥
هذه رحمة يضعها الله	٧	٥٦٨
هذه زوجة النبي ﷺ فإذا رفعتم نعشها	٦	١٤٢
هذه صلاة رسول الله ﷺ التي كنا نصلي معه	٢	٤٩٢
هذه طابة	٥	٦٥٦
هذه مكان عمرتك	٥	٣٥٥
هذه وهذه سواء يعني الخنصر والإبهام	٩	٢٥٩
هريقوا علي من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن	١	٥٣١
هريقوا علي من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن	٧	٣٨٦
هزم المشركون يوم أحد هزيمةً...(من قول عائشة)	٧	٥٨١
هكذا رأيت النبي ﷺ يفعله	٥	٤٧٩
هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعل	٥	٤٧٩
هكذا رمى الذي أنزلت عليه سورة البقرة	٥	٤٧٦
هكذا وضوء رسول الله ﷺ	١	٥٢٣
هل اتخذتم أنماطًا؟	٦	٣٢٧
هل أنتم إلا عبيد أبي...(من قول حمزة)	١	٦٢٧

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
هل أنتم إلا عبيد لأبي...(من قول حمزة)	٦	٥١٨
هل بك جنون؟ هل أحصنت؟	٦	٥٢٥
هل بك جنون؟	٦	٥٢٦
هل بلغت؟	٦	١٢٠
هل تجد رقبةً؟	٩	١٥٢
هل تدرون ما الإيمان بالله؟	١٠	٤٤
هل تدرون ماذا قال ربكم	١٠	٤٨٦
هل تدري ما حق الله على عباده	٧	٣٩٩
هل تدري ما حق الله على عباده	٧	٦٣٣
هل ترون قبلتي ها هنا	٣	٢٢١
هل ترون قبلتي ها هنا؟	٢	٢٩٤
هل ترون ما أرى؟ إني لأرى مواقع الفتن	٥	٦٦٥
هل ترون ما أرى؟	٩	٤٩٥
هل تسمع النداء بالصلاة؟	٢	٣٨٧
هل تسمع النداء بالصلاة؟	٣	٥٨
هل تسمع النداء؟	٣	٩٥
هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب	٧	٤٩٨
هل تضارون فى القمر ليلة البدر	١٠	٤٠٥
هل تضارون في رؤية الشمس والقمر	١٠	٤٠٨
هل تمارون	٣	٣٢٩
هل رأى أحد منكم من رؤيا؟	٩	٤٧٩
هل رأيتم السعدان؟	١٠	٤٠٦
هل رجم رسول الله ﷺ؟	٩	١٤١
هل ظلمتكم شيئًا»؟	٦	٦٦
هل عندك من شئ تصدقها	٦	٢٧٧
هل عندك من شيء	٦	٨٣
هل عندك من شيء؟	٦	٣١٠
هل عندكم شيء؟	٥	١١٤
هل فيكم من أحد لم يقارف الليلة؟	٤	٥٤٤
هل لك من إبل	١٠	١٠٧
هل لك من إبل؟	٦	٥٨٠
هل لك من إبل؟	٩	١٩٢
هل معك من هدي؟	٥	٢٤١
هل منكم رجل لم يقارف الليلة؟	٤	٤٥٧
هل يكب الناس في النار على وجوههم	١٠	٧٢

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
هلا انتفعتم بجلدها؟	٥	١٠٩
هلا بعثتم معها من يغني فإن الأنصار	٦	٣٠٣
هلا تركتموه يتوب فيتوب الله عليه	٩	١٤٤
هلا تركتموه يتوب، فيتوب الله عليه	٩	٦٣
هلا تزوجت بكرًا	٤	٥٦٧
هلا جاريةً تلاعبها وتلاعبك	٦	١٥٥
هلا جاريةً تلاعبها وتلاعبك	٧	٢٥٠
هلك المتنطعون	١٠	١٥
هلك المتنطعون	١٠	٢٦٧
هلك المتنطعون	١٠	٣٨١
هلك المتنطعون	١٠	٧٦
هلك كسرى، ثم لا يكون كسرى بعده	٧	٥٤٠
هلكة أمتي على يدي غلمة من قريش	٩	٤٩٣
هلكت يا رسول الله	٧	٦٤٨، ٦٥٠
هلكت يا رسول الله	٩	١٠٠
هلم أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده	٧	٣٣٦
هلم أكتب لكم كتابًا لن تضلوا	١٠	١٨٢
هلمي يا أم سليم ما عندك	٧	٦٠٥
هم الأخسرون ورب الكعبة	٧	٥٤٧
هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم	٧	٢٧٣
هم الذين لا يتطيرون، ولا يسترقون	٧	٤٢٣
هم الذين لا يسترقون	٧	٤١٤
هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون	٧	٣٧٧
هم شر الخلق والخليقة، يقتلهم خير الخلق والخليقة	٩	٣٣٥
هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا	٩	٥٠٦
هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمتها... (من قول عمر)	١٠	٥٧
هن لهن ولمن أتى عليهن	٧	٤٨٠
ههنا أبو طلحة؟	١	٤٥٥
هو أحد المتصدقين	٥	٢٢
هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد	٣	٢٢٢، ٢٣٢
هو إذنه	٧	٦٧٩
هو الطهور ماؤه الحل ميتته	١	٣٦١
هو الطهور ماؤه الحل ميتته	٦	٣٩٣

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
هو الطهور ماؤه، الحل ميتته	٥	٥٦٣
هو أهون على الله من ذلك	٩	٥٤٥
هو أولى الناس بمحياه ومماته	٩	٧٢
هو أولى الناس بمحياه ومماته	٩	٧٣
هو صغير	٩	٦٥٤
هو عليها صدقة ولنا هدية	٥	١٠٩
هو عليها صدقة ولنا هدية	٦	١٨١
هو عليها صدقة، وهو لنا هدية	٥	١١٤
هو في ضحضاح	١٠	٣٦١
هو لك يا عبد بن زمعة، الولد للفراش	٩	١٤٧
هو لك يا عبد بن زمعة، الولد للفراش	٩	٥٧
هو لك يا عبد بن زمعة، الولد للفراش	٩	٨٤
هو لها صدقة ولنا هدية	٦	٥٤٣
هو لها صدقة ولنا هدية	٩	٦٧
هو لها صدقة، ولنا منها هدية	٦	٤٩
هو لها صدقة، ولنا هدية	٥	١١١
هو لها صدقة، ولنا هدية	٩	٦٤
هي السبع المثاني	٣	٢٧٣
هي المرأة تكون عند الرجل...(من قول عائشة)	٦	٤٢٧
هي النخلة	١	١٨٤
هي النخلة	١	٢١٨
هي النخلة	١	٣٥٥
هي النظر إلى وجه الله	٢	٤٩٩
هي اليتيمة تكون عند الرجل...(من قول عائشة)	٦	١٩١
هي اليتيمة تكون في حجر الرجل...(من قول عائشة)	٦	٢٧٠
هي اليتيمة في حجر...(من قول عائشة)	٩	٣٩٢
هي بضعة مني يريبها ما رابني	٩	١١٣
هي حرام إلى يوم القيامة	٦	٢٤٦
هي علي ومثلها	٥	٧٩، ٨٢
هي لهم في الدنيا، ولكم في الآخرة	٧	٤٩٧
هي من فيح جهنم	٧	٥٠٥
و بيوتهن خير لهن	٢	٤٦٠
و لكن من غائط ،و نوم ،و بول...(من		

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
قول صفوان بن العسال)	١	٥٤٠
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه...(من قول ابن عمر)	٤	٧١
وأتبع أصحاب القليب لعنةً	٢	٤٣٨
واتق دعوة المظلوم	٥	١١٥
واختصر لي الكلام اختصارًا	٩	٤٤٤
وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن	٧	٤٣٤
وإذا شك أحدكم في صلاته فليتحر الصواب	٢	٢٧٧
وإذا صلى قاعدًا فصلوا قعودًا	٣	٩٦
وإذا ظننت فلا تحقق	٦	٢٩٢
وإذا قال: سمع الله لمن حمده	٣	٣٢٣
وإذا وقع بأرض وأنتم بها	٧	٤٠٤
وأرجو أن أكون أنا هو	٢	٦٣٥
وأشد الناس عذابًا يوم القيامة	٧	٦٢٠
واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك	١٠	٢٣١
واشف أنت الشافي	١٠	٢٢٠
واصنع في عمرتك كما تصنع في حجك	٥	٥٢٢
واعجبًا لك يا ابن عباس هما عائشة، وحفصة...(من قول عمر)	٦	٣٨٨
واعلم أن الأمة لو اجتمعوا	٣	٤٠٩
واعلم أن النصر مع الصبر	٦	١٥٢
واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا	١٠	٢٣٨
وافعل ذلك في صلاتك كلها	٣	٢٥١
وافقت ربي في ثلاث... (قول عمر)	٧	٣٠٦
وافقت ربي في ثلاث...(من قول عمر)	٢	٢٨٠
وألا ننازع الأمر أهله	٩	٦٤٩
والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح	٢	٢٥٨
والخيل في نواصيها الخير	٧	٧٩٣
والذي بعثك بالحق لا أعلم أهل بيت أفقر مني	٣	٣٣٩
والذي فلق الحبة وبرأ النسمة...(من قول علي)	٩	٢٨٣
والذي نفس محمد بيده لتنفقن كنوزهما	٧	٥٣٩
والذي نفس محمد بيده لو تعلمون	٧	٥٤٧
والذي نفس محمد بيده	٧	٥٣٨

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن	٦	٥٨
والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن	٧	٥٥٣
والذي نفسي بيده إنهم خير منهم	٧	٥٤٥
والذي نفسي بيده إني لأطمع أن	٧	٤٤٣
والذي نفسي بيده لاقضين بينكما بكتاب الله	١٠	٤١
والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله	٩	١٥٥، ١٧٩، ٢٠٧
والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله	٥	٨٤
والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما	٧	٥٣٩
والذي نفسى بيده لقد عرضت	١٠	٧٦
والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب	٩	٦٦٥
والذي نفسي بيده لقد هممت	٣	٦٠
والذي نفسي بيده لمناديل سعد	٧	٥٤٩
والذي نفسي بيده لو أن موسى	١٠	٥٥٧
والذي نفسي بيده لولا أن رجالًا يكرهون	٩	٦٧١
والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم	٩	٦٧٢
والذي نفسي بيده	١٠	٢٩٧
والذي نفسي بيده	٧	٥٣٨
والذي نفسي بيده، إنكم لأحب	٧	٥٥٤
والذي نفسي بيده، وددت أني أقاتل في سبيل الله	٩	٦٧١
والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه	١٠	٥٤٥
والله إنكم لأحب الناس إلي	٦	٤٥٨
والله إنني لأعرف مما هو...(من قول سهل في منبر رسول الله ﷺ)	٣	٥٢٩
والله إني لأستغفر الله	٧	١٤٥
والله لا أحلف على يمين	٧	٥٥٧
والله لا أحملكم على شيء	٧	٥٩٥
والله لا أحملكم وما عندي ما أحملكم عليه	٧	٦٦٦
والله لا أحملكم	٧	٥٥٧
والله لا ألبسه أبدًا	٧	٥٦٠
والله لا أنفق على مسطح شيئًا...(من قول أبي بكر)	٧	٥٩٥
والله لا أحملكم	١٠	٥٦٢

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
والله لا أحملكم	٧	٥٣٥
والله لا أفضح قومي سائر اليوم	٩	٥٥
والله لا تجتمع بنت عدو الله	٦	٣١٣
والله لا يجمع الله عليك موتتين...(من قول أبي بكر)	٤	٣٩٢
والله لأطوفن الليلة على تسعين امرأة	٧	٦٦٣
والله لأطوفن الليلة على تسعين...(من قول سليمان)	٥	٥٩٤
والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة... (من قول أبي بكر)	١٠	٦١
والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة...(من قول أبي بكر)	٤	٦١٠
والله لأقاتلن من فرق بين...(من قول أبي بكر)	٩	٣٢٤
والله لأن يلج أحدكم بيمينه	٧	٥٣٦
والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعًا	٦	٣٩
والله لهم أشبه به من الغراب بالغراب	٧	٤٩٢
والله لو تعلمون ما أعلم	٧	٥٤٥
والله لو لم تكن في حجري ما حلت لي	٦	٢٣٠
والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها	٥	٦١
والله لولا الله ما اهتدينا	٣	٥٤
والله ليتمن الله هذا الأمر حتى تسير الظعينة	٤	٤٦٩
والله ليتمن الله هذا الأمر حتى تسير الظعينة	٩	١٣٥
والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي؟	٤	٥٥٤
والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم	٩	٤٦٠
والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي	٤	٣٩٥
والله ما أدري وأنا رسول الله ماذا يفعل بي؟	٩	٤٤٩
والله ما الفقر أخشى عليكم	٧	٢٣٣
والله ما الفقر أخشى عليكم	٧	٥١٤
والله ما تعطينا الجزل.. (من قول عيينة بن حصن لعمر)	١٠	٦٣
والله ما صليتها	٢	٥٨٤
والله ما صليتها	٣	٥٤

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط	٦	٥٥٤
والله، إن شاء الله لا أحلف على يمين	٧	٥٩٦
والله، إني لأعلم أنك حجر لا تضر...(من قول عمر)	٥	١٥٨
والمغرب إذا وجبت	٢	٤١١
والمقصرين	٥	٤٥٢
والنصح لكل مسلم	١	١٦٩
والنصح لكل مسلم	٩	٦٥١
والوضوء أيضًا، وقد علمت أن رسول الله ﷺ	٣	٤٥٧
وأما خالد فإنكم تظلمون خالدًا	٥	٧٨
وأما خالد فقد احتبس أدراعه	٥	٤٧
وإن أردت بعبادك فتنةً	٧	٢١١
وأن ترى الحفاة العراة	٧	٧٩٥
وأن تمنعوني مما تمنعون	٣	٥٤٧
وإن زنى وإن سرق	٤	٣٧٤
وإن زنى وإن سرق	٧	٤٩٤
وأن عيسى عبد الله ورسوله	٦	٥٤٥
وإن كانوا أكثر من ذلك فليصلوا قيامًا وركبانًا	٣	٥٨٥
وإن لم ينزل	١	٤٨٠
وإن لنفسك حقا ولأهلك حقا	٤	٢٤٤
وأنا آكل اللحم	٦	١٨٦
وأنا آمركم بخمس أمرني الله بهن	١٠	١٥٣
وإنا إن شاء الله بكم لاحقون	٣	٤٢
وأنا على حمار أتان وقد ناهزت الاحتلام	٦	٩٦
وأنا والله ما صليتها بعد	٣	٥٩٢
وأنت الباطن فليس دونك شيء	١٠	٢٣٦
وإنما الماء من الماء	٢	٤٣
وإنما أمتي جزء من ألف جزء	٧	٤٤٨
وإني لأرى حوضي الآن	٧	٥١٦
وإني والله -إن شاء الله- لا أحلف	٧	٥٣٥
وأهل النار كل جواظ عتل مستكبر	٧	٥٦٩
وأيضًا والذي نفس محمد بيده	٧	٥٥١
وأيكم يملك إربه	٢	١٦٨

طرف الحديث	الجزء	الصفحة

وايم الله، إن كان لخليقًا للإمارة	٧	٥٣٧
وبنيك الذي أرسلت	١٠	٢٤٤
وبيوتهن خير لهن	٢	١٧٧
وتحبين؟	٦	٢٣٠
وتر النهار	١	٥٧٨
وترى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأةً	٦	٤٥٢
وتضع الحوامل ما في بطونها	٧	٤٥٠
وجبت	٤	٥٩٣
وجدت آخر سورة التوبة...(من قول زيد بن ثابت)	٦	١٢
وجدتم ما وعد ربكم حقا	٤	٥٩٧
وجرحه يثعب دمًا...(يعني عمر)	١	٤٧٤
وجعلت تربتها لنا طهورًا	٢	١٦٤
وحين تضيف الشمس للغروب	٧	٤٨٧
ورجل يقول: لو أوتيت	١٠	٥٢٨
ورسول الله ﷺ يسترني بردائه	٢	٣٤٦
وزينوا القرآن بأصواتكم	١٠	٥٤٥
وسطوا الإمام وسدوا الخلل	٣	٢٠١
وصلوا كما رأيتموني أصلي	٣	٣٢
وضعت لرسول الله ﷺ غسلًا	٢	١
وضعت للنبي ﷺ غسلًا	٢	١٤
وضعت للنبي ﷺ ماءً للغسل	١	٦٣٥
وضلع الدين، وغلبة الرجال	٧	٢٢٦
وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا	٧	٤٧٢
وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين	٧	٤٧٠
وعزتك لا غنى لي عن بركتك ش	١٠	٢٥٧
وعلموهم وأدبوهم وصلوا كما رأيتموني أصلي	٣	٢٤
وفروا اللحى	١	٢٠١
وفي بضع أحدكم صدقة	١٠	٤٧٧
وفي بضع أحدكم صدقة	٢	٥٣٩
وفي كل دور الأنصار خير	٦	٥٧٨
وقت العصر ما لم تصفر الشمس	٢	٥٤٤
وقت النبي ﷺ قرنًا لأهل نجد...(من قول ابن عمر)	١٠	١٤٣
وقت النبي ﷺ لأهل العراق	١	٣٦٠
وقت رسول الله ﷺ لأهل المدينة ذا الحليفة	٥	١٨٤
وقت لأهل المدينة ذا الحليفة	٥	١٨٩
وقت لنا ألا نترك فوق أربعين	٧	٥٦٦
وقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به	١٠	١٨٢
وقعت على امرأتي في رمضان يا رسول الله	٨	٦٥٢
وقف رسول الله ﷺ على ناقته	٥	٤٦١
وقيت شركم، كما وقيتم شرها	٥	٥٧٧
وكان الإنسان أكثر شيء جدلًا	١٠	٤٥٤
وكان رجل من الأنصار إذا غاب عن رسول الله	١٠	٤٠
وكان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نبردها	٧	٣٩٧
وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من أبياتهم	٧	٣٣٧
وكلتا يديه يمين	١٠	٢٥٤
وكنت أنقل النوى من الأرض...(من قول أسماء)	٦	٤٤٤
الولاء لمن أعتق	٧	٦٦٠
ولا أعطي عليها شيئًا في جزارتها	٥	٤٣٥
ولا الخفاف	١	٣٦٤
ولا تجهر بصلاتك	١٠	٥٢٦
ولا تخمروا رأسه فإنه يبعث يوم القيامة ملبيًا	١	٣٦٢
ولا حرج	١	٢٤٢
ولا يتمنين أحدكم الموت	٧	٣٤٧
ولا يجمع بين متفرق ولا يفرق	٥	٥٢
ولا يجمع بين متفرق، ولا يفرق بين مجتمع	٩	٣٧٧
ولا يخرج في الصدقة هرمة	٥	٦٠
ولا يخلون رجل بامرأة؛ فإن ثالثهما الشيطان	١	٤٠٣
ولا يصعد إلى الله إلا الطيب	١٠	٣٩٩
ولا يعضد شوكها	١	٢٧٩
الولاء لحمة كلحمة النسب	٥	٦٥٢
الولاء لمن أعتق	٢	٣٤٨
الولاء لمن أعتق	٦	١٨١
الولاء لمن أعتق	٦	٥٣٧

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
الولاء لمن أعتق	٦	٥٣٨
الولاء لمن أعتق	٩	٦٤
الولاء لمن أعتق	٩	٦٥، ٦٦، ٧٢، ٧٧
الولاء لمن أعتق	٩	٧٣
الولاء لمن أعطى الورق	٩	٧٢
الولاء لمن أعطي الورق	٩	٧٧
ولايكتوون	٧	٤١٤
ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان	٧	٤١١
الولد لصاحب الفراش	٩	٦٠
الولد للفراش وللعاهر الحجر	٦	٢٠٢
الولد للفراش وللعاهر الحجر	٦	٥٨١
الولد للفراش وللعاهر الحجر	٩	٦٢٤
الولد للفراش، وللعاهر الحجر	٩	١٤٧
ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم	٦	٤٢٣
ولكن من غائط، ونوم، وبول	١	٥٤٠
ولم يرها شيئًا	٦	٦١٢
ولما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات	٤	١٢٦
ولن تجزي جذعة عن أحد بعدك	٣	٦٣١
ولو استزدته لزادني...(من قول ابن مسعود)	٢	٤٥٧
ولو بأن تختله	٦	٥٨٤
ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه	٣	٧٠
ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا	٣	١٩٠
ولولا أن النبي ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به	٧	٣٤٠
ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار	٢	٦٣٨
ولولا أنا لكان في الدرك	٧	٤٨٦
وليؤمكم أكبركم	١	٦١١
وليؤمكم أكبركم	٣	٢٨
وليتابعه من سمعه	١٠	٣١
وليقطعهما حتى يكون أسفل من الكعبين	٥	٦٠٥
وما أدراك أنها رقية	٧	٤١٠
وما أوتوا من العلم إلا قليلًا	١٠	٤٣٧
وما تصنع بإزارك، إن لبسته لم يكن عليها منه	٦	٢٤٨
وما ذاك	١٠	٣٥
وما ذاك؟	٢	٢٧٦
وما ذاك؟...(لما قيل أزيد في الصلاة)	٢	٢٨٤
وما طفت ليالي قدمنا مكة؟	٥	٢٤٧
وما فاتكم فاقضوا	٣	٤٥
وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة	٢	١٧٥
وما قدروا الله حق قدره	١٠	٤٩١
وما كان من خليطين فإنهما	٥	٥٤
وما كان يدريه أنها رقية	٦	٤٦
وما كنتم تستترون	١٠	٥١٦
وما لي لا ألعن من لعن رسول الله... (من قول عبد الله)	٧	٦٠١
وما يؤمنني أن يكون فيه عذاب	٤	٩٩
وما يدريك أن الله أكرمه؟	٩	٤٤٨
وما يدريك أن الله قد أكرمه؟	٤	٣٩٥
وما يدريك أنها رقية؟	٧	٤٢٠
وما يدريك؟	٩	٤٦٠
وما يسرني بتلك الصلاة...(من قول أنس)	٣	٥٨٦
وما يغني عنه قميصي من الله	٧	٤٦٣
ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي	١٠	٣٣٦
ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي	١٠	٣٣٦
ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي	١٠	٥٦٥
ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي	٦	٦٢٨
ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي...(قدسي)	١٠	٣٤٠
ومن أظلم ممن ذهب يخلق	٧	٦٢٥
ومن بلغت صدقته بنت مخاض وليست عنده	٥	٥٠
ومن توفيته منا فتوفه	١٠	٦
ومن قتل نفسه بشيء	٧	٥٦٢
ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه	٧	٣٧٠
ومن نذر أن يعصي الله	٧	٦٢١

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
وهل ترك عقيل من رباع أو دور؟	٥	٢٩٠
وهل عندك من شيء؟	٦	١٦٦
وهل عندك من شيء؟	٦	٢٥٣
ويح عمار تقتله الفئة الباغية	٢	٣٤١
ويحك -أوهبلت- أوجنة واحدة هي جنان كثيرة	٧	٤٧٧
ويحك من يعدل إذا لم أعدل	١٠	٤٠١
ويحك يا أنجشة	٢	٣١٣
ويحك، إن شأنها شديد، فهل لك من إبل	٥	٥٦
ويد الله مع الجماعة	١٠	١١٧
ويسألونك عن الروح	١٠	٤٣٧
ويسألونك عن الروح	١٠	٨١
ويعتزل الحيض المصلى	٥	٣٦٨
ويكبر حين يقوم من الثنتين بعد الجلوس	٣	٣٠١
ويل للأعقاب من النار	١	١٧٨
ويل للأعقاب من النار	١	٢٦٣
ويل للأعقاب من النار	١	٣٦٥
ويل للأعقاب من النار	١	٤٢٥
ويل للأعقاب من النار	٧	٤٥٢
ويل للأعقاب، وبطون الأقدام من النار	٧	٤٥٢
ويلك، من يعدل إذا لم أعدل؟	٩	٣٣٨
ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل؟	٩	٣٣٧
ويلهمني محامد أحمده بها	١٠	٤٨٩
يؤذيك هوامك؟	٥	٥٥٠
يؤذيني ابن آدم يسب الدهر	١٠	٢٢٩
يؤذيني ابن آدم يسب الدهر	١٠	٤٧٥
يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر...(قدسي)	١٠	٢١٨
يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله	١٠	٣٢
يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله	٢	١٧٩
يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله	٣	١٣١
يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله	٣	٣٢
يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله	٣	٣٦٢
يؤم القوم أقرأهم لكتاب الله	٣	٢٨
يؤم الناس أقرؤهم لكتاب الله	٤	٣٧٠

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
يؤمكم أقرأكم	٣	٢٨
يا أبا أسيد اكسها رازقيتين	٦	٤٨٠
يا أبا بكر، إن لكل قوم عيدًا وهذا عيدنا	٣	٦١١
يا أبا بكر، لا تبك، إن أمن الناس علي	٢	٣٧٠
يا أبا ذر هل تدري أين تذهب هذه؟	١٠	٣٩٣
يا أبا ذر، أعيرته بأمه؟	١	٩٦
يا أبا عمير ما فعل النغير؟	٥	٦٥٦
يا أبا عمير، ما فعل النغير	٢	٨
يا أبا موسى، لقد أوتيت مزمارًا	٦	١١٠
يا أبا هريرة جف القلم بما أنت لاق	٦	١٥١
يا أبا هريرة جف القلم	٦	١٥٢
يا ابن أختي هذه اليتيمة...(من قول عائشة)	٦	٢٨٦
يا ابن أختي، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه كانت	٥	٣٦١
يا آدم أخرج بعث النار	٩	٦٤٥
يا آدم. فيقول: لبيك وسعديك	١٠	٤٤٠
يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك	١٠	٤٦٣
يا أم خالد هذا سنا	٧	٥١٦
يا أمة محمد ما أحد أغير من الله	٦	٤٤٢
يا أمة محمد، والله لو تعلمون ما أعلم	٧	٥٤٢
يا أمة محمد، والله ما من أحد أغير من الله	٤	١٢٤
يا أنيس اغد على امرأة هذا فارجمها	٩	٦٤١
يا أيها الناس إن منكم منفرين	٩	٥٨٥
يا أيها الناس إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا	٩	١١٤
يا أيها الناس توبوا إلى الله	٧	٦١٨
يا أيها الناس ما لكم حين نابكم شيء في الصلاة	٤	٣٦٧
يا أيها الناس ما لكم حين نابكم شيء	٤	٣٣٦
يا أيها الناس، إن منكم منفرين	٣	١٧٠
يا أيها الناس، إنما الأعمال بالنية	٩	٣٧١
يا أيها الناس، إني قد أوتيت جوامع الكلم	١٠	٥٥٨
يا أيها الناس، أي يوم هذا؟	٥	٤٦٢
يا بلال حدثني بأرجى عمل	٤	٢٤٠
يا بلال، قم فناد بالصلاة	٢	٦١٠

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
يا بن أختي، اليتيمة تكون...(من قول عائشة)	٦	١٣٨
يا بن أختي، هذه اليتيمة...(من قول عائشة)	٦	١٧٥
يا بنت أبي أمية ،سألت عن الركعتين بعد العصر	٢	٥٣٧
يا بنت أبي أمية سألت عن الركعتين بعد العصر	٤	٣٦٦
يا بني النجار، ثامنوني	٥	٦٤٧
يا بني سلمة ألا تحتسبون آثاركم؟	٥	٦٦٩
يا بني سلمة دياركم	٤	٢٨٠
يا بني عبد مناف، لا تمنعوا أحدًا طاف	٢	٥٥٤
يا بنية لا يغرنك هذه...(من قول عمر)	٦	٤٤٠
يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا	١٠	٤٣١
يا حاطب ما حملك على ما صنعت؟	٩	٣٤٣
يا حسان، أجب عن رسول الله ﷺ	٢	٣٤٥
يا حكيم، إن هذا المال خضرة حلوة	٥	٨٥
يا رب أمتي أمتي	١٠	٤٨٩
يا رب إن أمتي ضعفاء	١٠	٤٩٥
يا رسول الله ﷺ أيعذب الناس في قبورهم؟	٤	١٤١
يا رسول الله ﷺ هلك الكراع	٣	٥٥٣
يا رسول الله ﷺ، أنسيت أم قصرت الصلاة	٦	٨٥
يا رسول الله ألبس أبي قميصك الذي يلي جلدك	٤	٥٦٤
يا رسول الله ما أنقم على ثابت في دين ولا خلق	٦	٥٣٤
يا رسول الله هلك المال، وجاع العيال	٤	٩٦
يا رسول الله هلكت الأموال	٣	٥٥٢
يا رسول الله، تهدم البناء ، وغرق المال	٤	٩٦
يا رسول الله، هلكت الماشية، هلك العيال	٤	٩٣
يا رسول الله، يصدر الناس بنسكين وأصدر بنسك؟	٥	٥١٧
يا سلمة ألا تبايع؟	٩	٦٥٣
يا عائشة أعلمت أن الله قد أفتاني	٧	٤٤١
يا عائشة ألم تري أن مجززًا المدلجي	٩	٨٨
يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي	٤	٢٣٧
يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء	٧	٤٣٧
يا عائشة ما كان معكم لهو	٦	٣٢٨
يا عائشة هذا جبريل يقرأ عليك السلام	٧	٦٨٢
يا عائشة هذا جبريل	٧	٦٨٢
يا عائشة، لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية	٥	٢٨٣
يا عائشة، أشعرت أن الله أفتاني	٧	٤٣٧
يا عائشة، لولا قومك حديث عهدهم	١	٣٤٤
يا عائشة، ما كان معكم لهو؟	٢	٣١٢
يا عبادي لو أن أولكم	٧	١٥٠
يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني...(قدسي)	١٠	٢٢٩
يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم...(قدسي)	١٠	٣٥٨
يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة	٦	٥٤٢
يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة	٩	٥٧٤
يا عبد الرحمن بن سمرة، لا تسأل الإمارة	٧	٥٣٤
يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة	٩	٥٧٤
يا عبد الرحمن، اذهب بأختك فأعمرها	٥	١٧٥
يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم	٦	٤١٦
يا عبد الله بن قيس قل: لا حول ولا	٧	٢٤٧
يا عبد الله لا تكن مثل فلان	٤	٢٤٤
يا عم قل لا إله إلا الله	١٠	٤٥١
يا عم قل: لا إله إلا الله	٤	٥٧٨
يا عم، قل: لا إله إلا الله. كلمةً أشهد لك	٢	٦٣٨
يا غلام سم الله	٧	٣٣٤
يا غلام سم الله،	٧	٦٦٢
يا فاطمة ألا ترضين	٧	٧٦٤
يا فاطمة، أيسرك أن يقول الناس	١	٢٦٦
يا فلان إذا أويت إلى فراشك	١٠	٤٧٣
يا فلان، ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به	٣	٢٧٠
يا كعب ...(في أمره بالوضع من الدين)	٢	٣٥٢

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
يا كعب بن مالك، يا كعب	٢	٣٧٥
يا محمد إن الله يضع السماء على إصبع	١٠	٤٢٢
يا محمد إنك رسول الله حقًا	٩	٤١٣
يا مخرمة هذا خبأناه لك	٧	٥٣٢
يا معاذ بن جبل	١	٣٤٧
يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد	١٠	٢٠٦
يا معاذ، أفتان أنت	٣	١٧٠
يا معشر الأنصار	٧	٧٣٨
يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج	٦	١٤١
يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج	٦	١٣٩
يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة	٦	١٣٦
يا معشر القراء استقيموا... (من قول حذيفة)	١٠	٦٠
يا معشر المسلمين كيف تسألون... (من قول ابن عباس)	١٠	٥٢٠
يا معشر المسلمين من يعذرني	١٠	١٩٢
يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن	٥	٦٧
يا معشر النساء تصدقن	٢	١٧٠
يا معشر يهود أسلموا تسلموا	١٠	١٥١
يا معشر يهود، أسلموا تسلموا	٩	٣٥٨
يا مغيرة، خذ الإداوة	٢	٢١٩
يا مقداد قتلت رجلًا قال: لا إله إلا الله؟	٩	٢١٤
يا موسى قد والله استحييت	١٠	٤٩٥
يا نبي الله أو عليك أغار؟...(من قول عمر)	٦	٤٤٧
يأبى الله والمؤمنون إلا	١٠	١٧٦
يأبى الله ورسوله والمؤمنون إلا أبا بكر	١	٣٠٤
يأبى الله ورسوله والمؤمنون إلا أبا بكر	٧	٧٢٤
يأبى الله ورسوله، والمؤمنون إلا أبا بكر	٣	٩٧
يأتي الدجال -وهو محرم عليه أن يدخل	٥	٦٦٧
يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة	٩	٥٥٤
يأتي على الناس زمان خير مال	٧	٣٩٢
يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان	٦	١٢٤

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
يأتي يوم القيامة وجرحه يثعب دمًا	١٠	٤٧٨
يأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصلة، والعفاف	٤	٦٠١
يأمرنا -يعني: النبي ﷺ- بالصلاة والصدق	٢	١٩٨
يبقي رجل بين الجنة والنار فيقول	٧	٥٧٣
يبقى رجل بين الجنة والنار	١٠	٢٦٣
يتبع الميت ثلاثة	٧	٤١٨
يتراصون ويكملون الأول فالأول	٣	٧٢
يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل	١٠	٣٩٨
يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل	١٠	٤٧١
يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل	٢	٥٠٨
يتقارب الزمان وينقص العمل	٩	٤٩٦
يتنزل ربنا تبارك وتعالى	٧	١٧٣
يجاء بالكافر يوم القيامة	٧	٤٦٢
يجاء برجل فيطرح في النار فيطحن فيها	٩	٥٢٢
يجاء بنوح يوم القيامة	١٠	١٥٤
يجعل السماء على أصبع والأرضين على أصبع	١	٣٤٨
يجمع الله المؤمنين يوم القيامة	١٠	٣٤٩
يجمع الله الناس يوم القيامة	٧	٤٨٧
يجمع المؤمنون يوم القيامة	١٠	٤٩٤
يجيء الدجال حتى ينزل في ناحية المدينة	٩	٥٤٦
يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا	١٠	٤١٠
يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب	٦	١٦٧
يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب	٦	٢١٦،١٩٢
يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب	٦	٢١٣
يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب	٩	٥٩
يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة	٦	٤٦٣
يحسر الفرات عن جبل من ذهب	٩	٥٤٣
يحسر عن جبل من ذهب	٩	٥٣٩
يحشر الله العباد	١٠	٤٦٦
يحشر الله الناس يوم القيامة	١٠	٤٦٦
يحشر الناس على ثلاث طرائق	٧	٤٣٣
يحشر الناس يوم القيامة	٧	٤٣٢
يحشرون حفاةً عراةً	٧	٤٢١

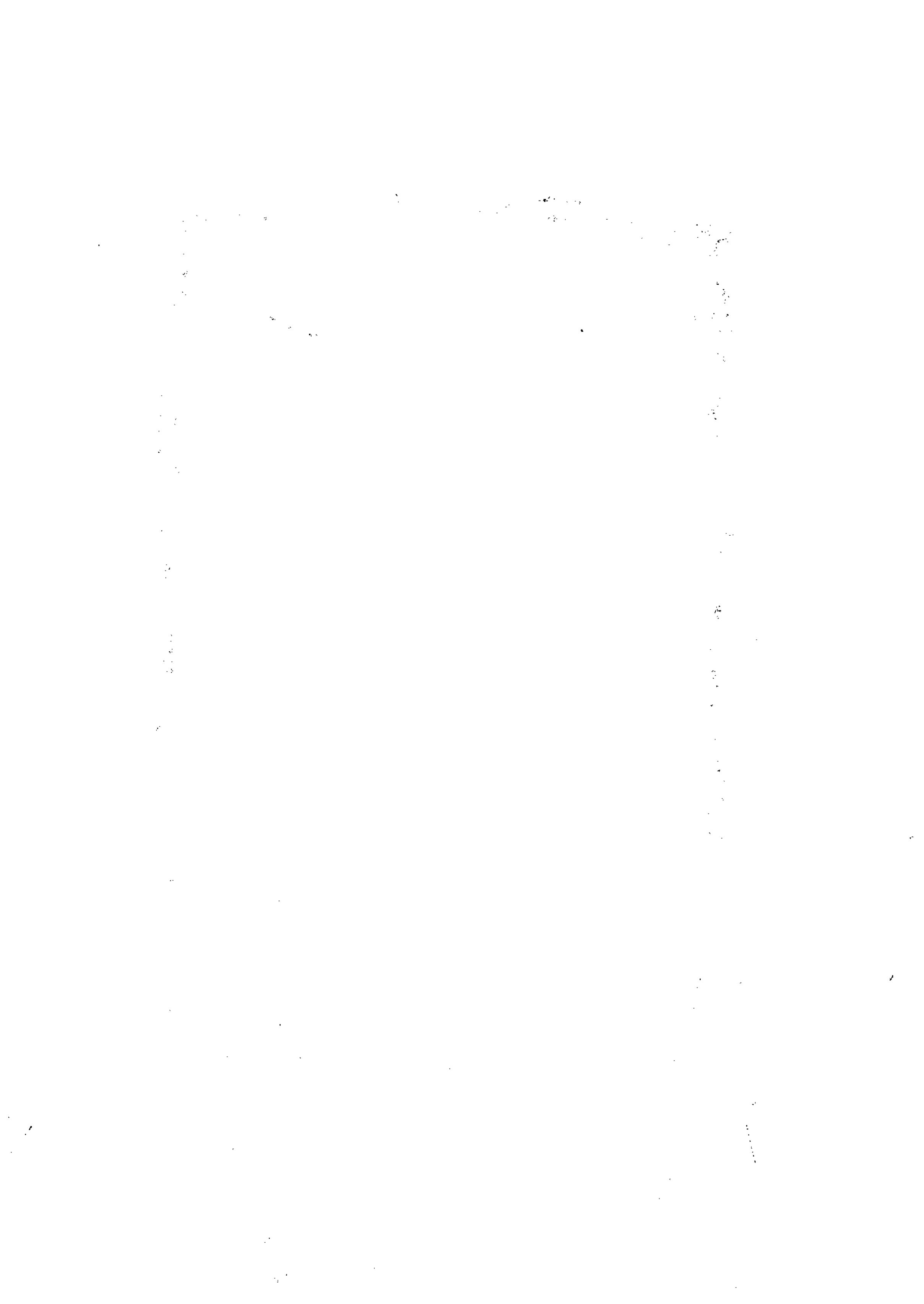
طرف الحديث	الجزء	الصفحة
يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة	٥	٢٩٦
يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة	٥	٣٠٨
يخرج في هذه الأمة قوم تحقرون صلاتكم	٩	٣٣٦
يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم	٦	١٢٦
يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ	٩	١١٤
يخرج قوم من النار بشفاعة محمد	٧	٤٩٤
يخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها سفع	٧	٤٨٥
يخرج قوم هلكى لا يفلحون	٩	٥٢٧
يخرج من النار بالشفاعة	٧	٤٨٢
يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله	١	١٣٠
يخرج منه قوم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم	٩	٣٣٧
يخرج ناس من قبل المشرق	١٠	٥٦٨
يخلص المؤمنون من النار	٧	٤٥٧
يخوف الله بهما عباده	٤	١٣١
يخوف الله عباده بالكسوف	٤	١٣١
اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول	٥	٢٦
اليد العليا خير من اليد السفلى	٥	٢٧
يد الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار	١٠	٣٥٧
يدخل الجنة من أمتي زمرة	٧	٤٨٤
يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا	٧	٣٥٥
يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار	٩	٢١٣
يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار	١	٧٩
يدخل من أمتي زمرة هم سبعون ألفًا	٧	٤٦٥
يدخل من أمتي زمرة هم سبعون ألفًا	٧	٤٦٧
يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب	٤	٣٧٤
يدع شهوته، وأكله، وشربه	١٠	٤٧٦
يدنو أحدكم من ربه	١٠	٤٩١
يذهب الصالحون الأول	٧	٣٠٩
يربيها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوه	١٠	٣٩٩
يرحم الله فلانًا لقد أذكرني آية كنت	٦	٢٩
يرحم الله موسى لقد أوذي	٧	١٩٢
يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا	٦	٩٨، ١٠١
يرحمه الله لقد أذكرني	٦	٩٨
يرد على الحوض رجال من أصحابي فيحلئون	٧	٥١٤
يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي	٧	٥١٤
يريني ما أراها	٦	٤٥٠
يريد أن يوصي فيه	٦	٧١
يزره ولو بشوكة	٢	٢٠٣
يستجاب لأحدكم ما لم يعجل	٧	١٩٦
يستجاب لنا فيهم	٧	١٣٩
يسرا ولا تعسرا	٩	٦١٤
يسروا ولا تعسروا	١	٢١٠
يسروا ولا تعسروا	١٠	٤٥٢
يسروا ولا تعسروا	٤	٣٣٠
يسروا ولا تعسروا، وبشروا	٣	١٠١
يسلم الراكب على الماشي	٧	٦٦٥
يسلم الراكب على الماشي	٧	٦٦٦
يسلم الصغير على الكبير	٧	٦٦٦
يسم إبل الصدقة	٥	١٣٧
يشير بأصبعه هكذا	٧	١٩٨
يصعق الناس حين يصعقون فأكون أول من قام	٧	٤٢٤
يصعقون يوم القيامة فإذا أنا بموسى	١٠	٣٩٦
يصلون لكم فإن أصابوا فلكم	٣	١٥٣
يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم	٣	١٥٣
يصلي الركعتين قبل صلاة الغداة، وكأن الأذان بأذنيه	٤	٥٢
يضع رب العزة فيها رجله	١٠	٢٦٩
يطهرها الماء والقرظ	٥	١١٠
يطيل السفر أشعث أغبر	٧	١٩٧
يعتزل الحيض المصلى	٣	٦٣٩
يعتزل الحيض المصلى	٤	٥١٩
يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه	٤	٤٥٣
يعذبان وما يعذبان في كبير	١	٥٥٤
يعرق الناس يوم القيامة	٧	٤٥٣
يعض أحدكم أخاه كما يعض الفحل لا دية لك	٩	٢٥٥
يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم	٤	٢٢٩
يعقد الشيطان	١	٤٩٩

طرف الحديث	الجزء	الصفحة
يعقد الشيطان	٤	٤٨
يعين ذا الحاجة الملهوف	٥	٤٣
يغسل ما مس المرأة منه، ثم يتوضأ	٢	٤٣
يفتح الردم ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه	٩	٥٥٩
يقال لأهل الجنة: خلود لا موت	٧	٤٧٤
يقال لهم: أحيوا ما خلقتم	١٠	١٩٨
يقبض العلم ويظهر الجهل	١	٢٤٣
يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه	١٠	٢٤٨
يقبض الله الأرض	١٠	٣٥٩
يقبض الله الأرض	٧	٤٢٩
يقتل المحرم	٥	٥٧٣
يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة	٩	٥٤٣
يقرأ السورة التي فيها السجدة، فيسجد	٤	١٧٠
يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب	٢	٢٥٩، ١٢، ٤٠
يقطع الصلاة المرأة	٢	٤١٩
يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذابًا	٧	٤٨٠
يقول الله تعالى ما لعبدي المؤمن	٧	٢٩٧
يقول الله تعالى من وصلك وصلته	١	٣٠
يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي	١٠	٣١٩
يقول الله: يا آدم	١٠	٤٦٩
يقولون يثرب وهي طيبة	٥	٦٥٤
يقوم أحدهم في رشحه	٧	٤٥٢
يكبر ابن آدم ويكبر	٧	٢٩٢
يكبر عند كل حصاة	٥	٤٧٩
يكبر في كل خفض ورفع	٣	٣٠٠
يكثرن اللعن،	٧	٣٢٩
يكفر السنة التي قبله والتي بعده	٣	٥٥٠
يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان	٦	٤١٥
يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان	٤	١٣٦
يكفيك الوجه والكفان	٢	١٧٦
يكون اثنا عشر أميرًا	٩	٦٦٥
يكون الرجل قيم خمسين امرأة	٤	٦٣١
يكون العام كذا	١٠	٤٦٨
يكون كنز أحدكم يوم القيامة شجاعًا أقرع	٩	٣٧٨
يلبثون ما لبثتم، ثم تبعث الصائحة	٧	٤٢٨
يلقى في النار	١٠	٢٦٥
يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية	٩	٣٣٦
يمرقون من الإسلام	٦	١٢٤
يمس من طيب بيته	٣	٤٦٨
يموت عبد الله وهو آخذ بالعروة الوثقى	٩	٤٥٢
ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه	٩	٥١٠
ينام الرجل النومة فتقبض	٧	٣٩٤
ينزع منه نور الإيمان في الزنا...(من قول ابن عباس)	٩	٩٣
ينزل الأمر إلى السماء	١٠	٤٦٨
ينزل ربنا إلى السماء الدنيا	٧	٣٦٢
ينزل ربنا إلى السماء الدنيا	٧	٣٦٣
ينزل ربنا إلى السماء	١٠	٥٠٠
ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء	٤	٢٣٣
ينزل ربنا تبارك وتعالى	١٠	٤٧٨
ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة	٩	٥٣١
يهل أهل المدينة من ذي الحليفة	٥	١٨٢
يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب	٩	٥٣٩
يوشك أن تنزل عليكم حجارة...(من قول ابن عباس)	٦	٢٤٤
يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم	٩	٥١٢
يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم	٩	٥١٢
يوقظ النائم ويرجع القائم	٣	٢٧
اليوم الأول كسنة	١٠	٦٦
اليوم تستحل الكعبة...(من قول سعد)	٥	٥٨٢



شرح صحيح البخاري

الفهرس



الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
• **كتاب التمني**	٣
○ باب ما يكره من التمني	٥
○ قول الرجل لولا الله ما اهتدينا	٧
○ كراهية التمني لقاء العدو	٩
○ ما يجوز من اللو	٩
• **كتاب أخبار الآحاد**	٢١
○ ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام	٢٣
○ بعث النبي ﷺ الزبير طليعة وحده	٤٢
○ باب قول الله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾	٤٢
○ ما كان يبعث النبي ﷺ من الأمراء والرسل واحد بعد واحد	٤٣
○ وصاة النبي ﷺ وفود العرب يبلغوا من وراءهم.	٤٤
○ خبر المرأة الواحدة	٤٦
• **كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة**	٤٩
○ قول النبي ﷺ: بعثت بجوامع الكلم	٥٤
○ الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ وقول الله تعالى: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾	٥٥
○ ما يكره من كثرة السؤال وتكلف مالا يعنيه	٦٥
○ الاقتداء بأفعال النبي ﷺ	٨٣
○ ما يكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين والبدع	٨٧
○ إثم من آوى محدثًا	٩٧

○ ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس ٩٧
○ ما كان النبي ﷺ يسأل مما لم ينزل عليه الوحي ١٠٠
○ تعليم النبي ﷺ أمته من الرجال والنساء ١٠٢
○ قول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي...» ١٠٤
○ قول الله تعالى: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ ١٠٥
○ من شبه أصلاً معلومًا بأصل مبين ١٠٧
○ ما جاء في اجتهاد القضاء بما أنزل الله تعالى ١٠٩
○ قول النبي ﷺ لتتبعن سنن ما كان قبلكم ١٠٣
○ إثم من دعا إلى ضلالة أو سن سنة سيئة ١١٤
○ ما ذكر النبي ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم ١١٦
○ قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ ١٤٤
○ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ ١٤٦
○ قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ ١٥٢
○ إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول ١٥٥
○ أجر الحاكم إذا اجتهدفأصاب أو أخطأ ١٥٩
○ الحجة على من قال إن أحكام النبي ﷺ كانت ظاهرة ١٦٣
○ من رأى ترك النكير من النبي ﷺ حجة لا من غير الرسول ١٦٨
○ الأحكام التي تعرف بالدلائل وكيف معنى الدلالة وتفسيرها ١٧٠
○ قول النبي ﷺ لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ١٧٧
○ كراهية الخلاف ١٨٠
○ نهي النبي ﷺ عن التحريم إلا ما تعرف إباحته ١٨٤
○ قول الله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ﴾ و ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ ١٨٨
• **كتاب التوحيد** ١٩٥
○ ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ٢٠٢
○ قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ ٢١٣
○ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ ٢٢٧
○ قول الله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ٢٣١
○ قول الله تعالى: ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ﴾ ٢٤٠
○ قول الله تعالى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ ٢٤٧

○ قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾ ٢٥٧
○ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ ٢٧١
○ قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ ٢٨٠
○ قول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ﴾ ٢٨٩
○ مقلب القلوب وقول الله تعالى ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ﴾ ٢٩٦
○ إن لله مائة اسم إلا واحدًا ٢٩٨
○ السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها ٢٩٩
○ ما يذكر في الذات والنعوت وأسامي الله ٣١١
○ قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ ٣١٦
○ قول الله تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ ٣٢٧
○ قول الله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ ٣٢٩
○ قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ ٣٣٤
○ قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ ٣٤٤
○ قول النبي ﷺ: لا شخص أغير من الله ٣٦٢
○ ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ ٣٧٠
○ ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ ٣٧٤
○ قول الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ ٣٩٦
○ قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ٤٠٢
○ ما جاء في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ٤٢١
○ قول الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ ٤٢٢
○ ما جاء في تخليق السموات والأرض وغيرها من الخلائق ٤٢٣
○ باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ٤٢٧
○ قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ ٤٣٥
○ قول الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ ٤٣٨
○ في المشيئة والإرادة ٤٤٢
○ قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ ٤٦٣
○ كلام الرب مع جبريل ونداء الله للملائكة ٤٧٠



○ قول الله تعالى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ ٤٧٣
○ قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ ٤٧٥
○ كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ٤٨٨
○ ما جاء في قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ ٤٩١
○ كلام الرب مع أهل الجنة ٥٠٢
○ ذكر الله بالأمر وذكر العباد بالدعاء والتضرع والرسالة والبلاغ ٥٠٣
○ قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ ٥٠٧
○ قول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٥١٥
○ قول الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ ٥١٧
○ قول الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ ٥٢١
○ قوله الله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ ٥٢٤
○ قول النبي ﷺ: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به ٥٢٨
○ قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ ٥٣٠
○ قول الله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ﴾ ٥٣٥
○ وسمى النبي ﷺ الصلاة عملاً وقال لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب ٥٣٨
○ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ ٥٣٩
○ ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه ٥٤٠
○ ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها ٥٤٢
○ قول النبي ﷺ الماهر بالقرآن مع الكرام البررة ٥٤٥
○ قول الله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ ٥٤٩
○ قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ ٥٥٠
○ قول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ ﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ ٥٥٢
○ قول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ ٥٥٩
○ قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم وتلاوتهم لا تجاوز حناجرهم ٥٦٦
○ قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ ٥٧٠
● **فهرس الأطراف** ٥٧٣
● **الفهرس** ٦٨٥